المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة



يناير ١٩٤٧

يناير

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
				١	٢	٣
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤
٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١

فبراير

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨

مارس

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨
٢٩	٣٠	٣١				

ابريل

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
			١	٢	٣	٤
٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠		

مايو

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
					١	٢
٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦
١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣
٢٤/٣١	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠

يونيه

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
	١	٢	٣	٤	٥	٦
٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣
١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧
٢٨	٢٩	٣٠				

يوليه

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
			١	٢	٣	٤
٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	

اغسطس

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
						١
٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢
٢٣/٣٠	٢٤/٣١	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩

سبتمبر

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
		١	٢	٣	٤	٥
٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩
٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦
٢٧	٢٨	٢٩	٣٠			

أصحابه ومحرروه يهنئون قراءهم بالعام الجديد

١٩٤٧

ويتمنون لهم كل خير وعافية وإقبال

اكتوبر

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
				١	٢	٣
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤
٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١

نوفمبر

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨
٢٩	٣٠					

ديسمبر

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
		١	٢	٣	٤	٥
٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩
٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦
٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١		

سنة
بعة

المختار
من
ريدرز دايجست

المجلد ٧
العدد ٤١

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

يناير ١٩٤٧

في حديقة صينية

الدكتور فردريك لوميس • ملخصة عن "الرابطة التي بيننا"

> متّع نفسك،
> فقد تأخرت
> أكثر مما تظن

في السنوات القليلة الماضية دارت الكلمة التي أوحت بهذه القصة الصغيرة على الألسنة وجرت بها الأقلام، وكانت إلى حد ما، موضوع قصيدة نظمها روبرت سيرفس منذ بضع سنوات، واتخذت في سنة ١٩٣٨ عنواناً لكتاب وضعه ماكس ليرنر عن أخطار الديمقراطية.

ولست أدري هل ابتكرها روبرت سيرفس، أو رآها غيره وقرأها في حديقة صينية، أو أنها كغيرها من الحكم والأمثال الصينية تسربت إلينا في حياتنا بوسائل أخرى.

وقد رويت مراراً قصة رسالة تلقيتها منذ سنوات، لأن وقعها في نفسي كان عميقاً، وما رويتها قط وأنا على ظهر سفن في البحار القصية، أو إلى جانب الموقد في مكان أقرب إلى وطني، إلا وجدت من حولي يستجيبون لها مفكرين متدبرين.

وهذه هي الرسالة:

« بكين — الصين.

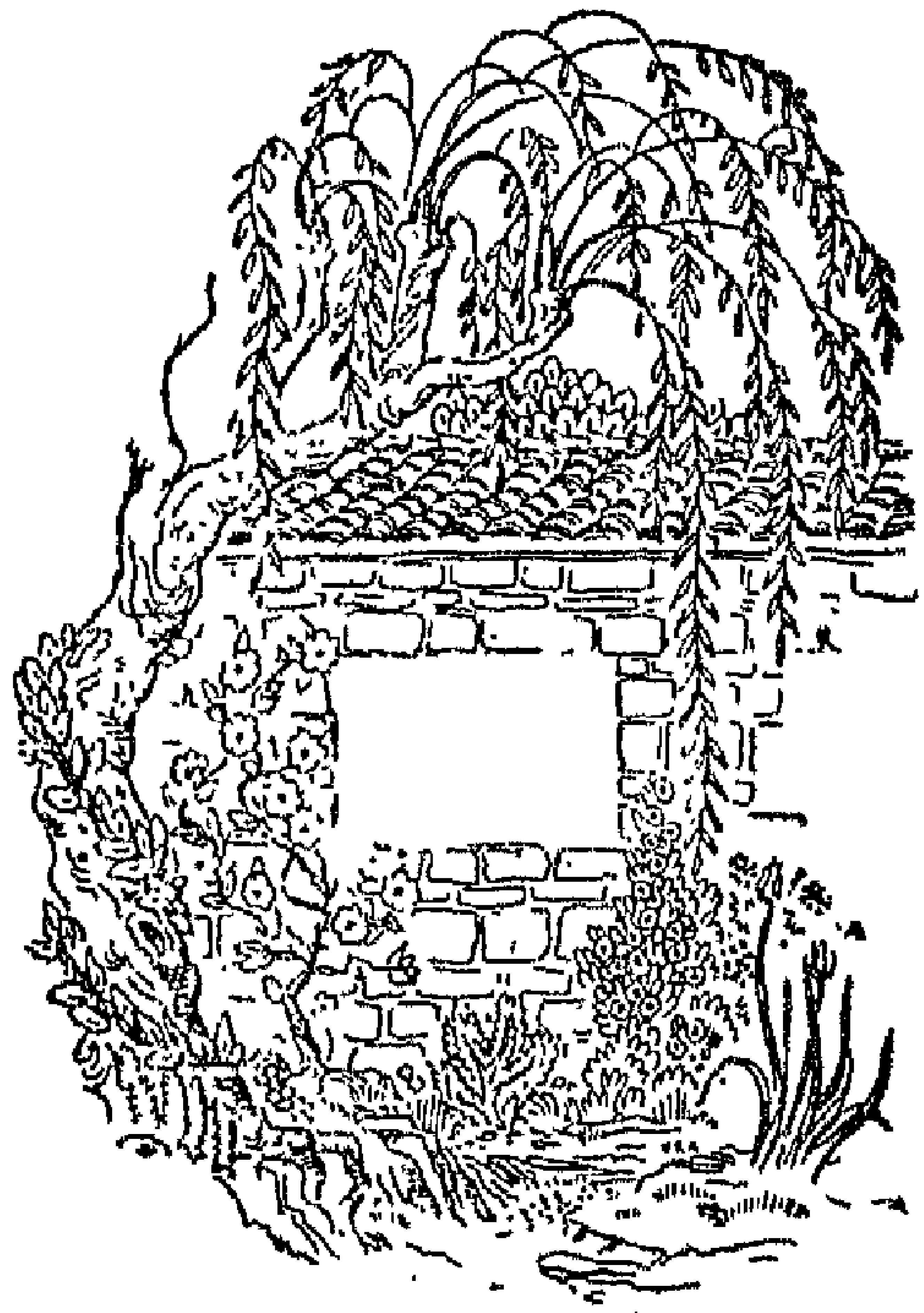
« عزيزي الدكتور

« أرجو أن لا يدهشك كثيراً أن تتلقى مني رسالة، وقد وقعتها باسمي الأول وحده لأن لقبي كلقبك.

« وأحسبك لن تتذكرني. وقد كنت قبل عامين في المستشفى الذي أنت فيه تحت رعاية طبيب آخر، ومات طفلي يوم ولده. وفي اليوم نفسه زارني طبيبي ليراني، ولما هم بالانصراف قال: « على فكرة، هنا طبيب اسمه كاسمك،

وقد لاحظ اسمك على اللوحة وسألني عنك ، وقال إنه يود أن يراك فقد تكونين من قريباته . فقلت له إن طفلك مات ، وإني لا أظن أنك ترغبين في رؤية أحد ، على أنه لا اعتراض لي على أن يراك » .

« وبعد قليل جئت، فوضعت كفك على ذراعي وجلست بجانب سريري لحظة، ولم تقل شيئاً يذكر ولكنه كان في عينيك وصوتك حنان ، فسرعان ما شعرت أني أحسن. وقد لاحظت وأنت جالس عندي أنك تبدو متعباً وأن الغضون التي في وجهك عميقة.



ولم أرك بعد ذلك أبداً، ولكن الممرضات قلن لي إنك لاتكاد تبرح المستشفى ليلا أو نهاراً.

« وفي عصر هذا اليوم كنت ضيفة في بيت صيني جميل هنا في بكين ، وحول الحديقة سور عال ، وعلى أحد الجوانب لوح من النحاس طوله نحو قدمين تحف به أزهار بيض وحمر متعانقة ، فرجوت من بعضهم أن يترجم لي ما على اللوح من كتابة صينية فقال :

متع نفسك فقد تأخرت أكثر مما تظن

« فشرعت أفكر في ذلك ، وكنت قد زهدت في الحمل مرة أخرى لأني كنت لا أزال حزينة على طفلي الذي فقدته، ولكن عزمي استقر في تلك اللحظة على أن لا أنتظر أكثر مما انتظرت ، إذ من يدري ؟ لعل الوقت تأخر أكثر مما أظن أنا أيضاً .

« ولما كنت أفكر في طفلي فقد فكرت فيك وفي تعبك وفي تلك الغضون التي في وجهك ، وفي لحظة العطف التي أوليتنيها حين كنت أحوج ما أكون إليها. ولست أدري ما عمرك ؟ ولكني واثقة أنه في مثل سن أبي . وأنا أعلم أن الدقائق القليلة التي قضيتها معي ، لا قيمة لها عندك بالطبع ، ولكنها كانت عظيمة القيمة لامرأة كانت في غاية البؤس .

«ولهذا أجترىء على الظن بأن أجازيك معروفاً بمعروف ، وعسى أن يكون الوقت فيما يتعلق بك ، قد تأخر أكثر مما تظن . وأرجو أن تسامحني ، ولكن حين ينتهي

عملك يوم تتلقى رسالتى ، أرجو أن تقعد وحدك هادئاً وتفكر فى هذا » .

[مرجريت]

وأنا فى العادة يستغرقنى النوم إذا لم يزعجنى التلفون ، ولكنى فى تلك الليلة استيقظت عدة مرات وقد تصورت ذلك اللوح النحاسى فى الحديقة الصينية . وقد حدثت نفسى بأنى رجل سخيف تقلقه رسالة من امرأة لا يستطيع أن يتذكرها . ونحيت الموضوع كله عن ذهنى ، غير أنى ألفيتنى — قبل أن أفطن إلى ذلك — أقول لنفسى مرة أخرى: « قد يكون الوقت تأخر أكثر مما تظن . فلماذا لا تصنع شيئاً ؟ »

وقصدت فى صباح اليوم التالى إلى مكتبى وقلت للقوم إنى سأقوم برحلة تستغرق ثلاثة شهور .

ومن التجارب المفيدة لأى امرىء يظن أنه ذو شأن ولا غنى عنه فى عمله ، أن يتركه بضعة شهور . ففى المرة الأولى التى قمت فيها برحلة طويلة منذ بضع سنوات قبل أن أتلقى هذه الرسالة ، كبر فى وهمى أن كل شىء سينهار ، فلما عدت وجدت أن عدد المرضى لم يزد ولم ينقص ، وأن كل مريض شفى بسرعة أو بأسرع مما كان يشفى فى عهدى ، وأن معظم مرضاى لم يعرفوا أنى غبت عنهم. وإنه لما يذلّ النفس أن يجد المرء أن مكانه يسد سداً تاماً وبسرعة ، ولكنه درس نافع.

واتصلت بالتلفون بكولونيل متقاعد اسمه سورتى كان أوثق أصدقائى صلة بى ، ودعوته إلى مكتبى ، فلما جاء قلت له إنى أريد منه أن يعود إلى بيته ويعدّ حقيبته ، ويرافقنى إلى أمريكا الجنوبية . فقال إن هذا كان بوده ، ولكن هناك أشياء كثيرة تحتاج إلى تعهده لها فى الشهور القليلة المقبلة ، فمن المستحيل عليه أن يغيب أسبوعاً .

فناولت عليه الرسالة ، فهز رأسه وقال : « لا أستطيع أن أذهب . بالطبع أعنى ذلك ، ولكنى ما زلت منذ أسابيع أنتظر أن أعقد صفقة . وإنى لآسف يا صديقى ، ولكن ربما استطعت يوماً ما .. يوماً ما .. » وكان يتكلم ببطء شديد . « ما هذا الذى

عالج الدكتور فردريك لوميس طب الولادة وأمراض النساء خلال إحدى وعشرين سنة ، ويوم نفض من يديه أدوات الطب ، حمل القلم ، فألف كتاب : « عيادة الطبيب » (وقد نشر المختار منه فصل : « لمن الحكم » ، فى أكتوبر ١٩٤٤ ص ٦٤) وكتاب : « الرابطة التى بيننا » (وقد نشر المختار منه فصل : « عملية على غير استعداد » فى فبراير ١٩٤٤ ص ٣٩) وأنشأ مقالات كثيرة فذة فيما تنطوى عليه من فهم للنفس الإنسانية وأسرارها ، ولا ريب فى أن قراء المختار يذكرون ولا ينسون فصل « وفاء كامل » (المختار يونيو ١٩٤٦ ص ٦٤)

قالته تلك المرأة ؟ الوقت تأخر أكثر مما تظن ؟ حسن . . »

وأمسك برهة ، ولم يتكلم أحـد منا ، وكنت أكاد أرى كفتي الميزان تضطربان ، وهو يضع في إحـداها مطالب الحاضر ، وفي الأخرى ما بقي لكل منا في الحياة من أعوام قليلة شيئاً ما ، على نحو ما حدث لي في الليلة الماضية .

وأخيراً تكلم : « لقد صبرت ثلاثة شهور على هؤلاء الناس ليستقرّ رأيهم على شيء ، ولن أنتظر أكثر مما انتظرت، وعليهم هم الآن أن ينتظروني . متى تريد أن تسافر ؟ »

وذهبنا إلى أمريكا الجنوبيـة ، وقضينا أيامنا في البحر على سفينة مريحة ، وأحسسنا أن أعباءنا تنحط عن كواهلنا مع الأميال التي نقطعها ، وأن أبداننا المتعبة تبنيها الرياح التي تهب على المحيط الهادى من الصين ، ثم ألفينا أنفسنا في إحدى المدن الكبيرة بأمريكا الجنوبية . وكان من حسن الحظ أن احتفى بنا أحد كبار القوم في البـلاد ، وهو رجل أنشأ مصانع عظيمة للصلب ، تتسع وتنمو بسرعة .

وفي خلال هذه الزيارة سأله شوربي : هل يلعب الجولف ؟ فقال الرجل : « نعم يا سنيور ألعبه قليلا ، وبودي أن أكثر من لعبه ، وزوجتي تستجمّ في الولايات المتحدة مع الأولاد ، وبودي أنْ ألحق بها وعندي هنا خيول جميـلة أتمنى أن أركبها ولكني لا أستطيع أن أفعل شيئاً من هذا كله لكثرة أعمالي ، وقد بلغت الخامسة والخمسين ، وبعد خمس سـنوات أخرى سأكف عن العمل . وصحيح أني قلت مثل هـذا قبل خمس سنوات ، ولكني لم أكن أدرك يومئذ مبلغ اتساع نطاق العمل . ونحن نبني الآن مصنعاً جديداً ونصنع صلباً لا عهد لأمريكا الجنوبيـة به ، فلست أستطيع أن أدع العمل ولو بعد الظهر لألعب الجولف . وأحسب أن ساعي مكتبي أكثر مني فراغاً » .

فقلت : « هل تعرف يا سنيور ماذا جاء بي إلى أمريكا الجنوبية ؟ »

فقال : « لأنك كنت قليل العمـل ، فلديك من الوقت والمال ما يسمح بذلك » .

قلت : « كلا ! فقد كان عملي كثيراً » ولم يكن عنـدي من الوقت أو المـال فوق الكفاية ، ونحن جالسان هنا في شرفتك الجميلة، لأنه حدث قبل بضعة أسابيع أن فتاة لا أستطيع أن أعرفها إذا رأيتها نظرت إلى لوح نحاسي على سور حديقـة صينية في مدينة بكين في قلب الصين » .

ورويت له القصة ، فاسـتعاد ، كما فعله شوربي ، عبارة : « متع نفسك ، فإن الوقت

تأخر أكثر مما تظن »، فبدا بعد ذلك مشغول الفكر غير أنه ظل يؤدى واجب الضيافة بعناية ودقة .

وفى صباح اليوم التالى قابلته فى رواق الفندق، فقال : « انتظرنى لحظة يا دكتور . لقد اضطرب نومى أمس . أو ليس عجيباً أن يستطيع رجل تعرفه مصادفة أن يغير مجرى حياة حافلة بالأعمال . ولقد فكرت طويلا وكددت رأسى مذ لاقيتك أمس ، وأبرقت إلى زوجتى أقول إنى ذاهب إليها . وسأتشرف بزيارتك وأنا هناك » .

لقد أضيفت عدة سنوات إلى متوسط حياة الناس ، ولكن مصير كل فرد لا يزال بيد القدر . وقد عاش خير الناس لغيرهم على الأكثر . ويبدو أن هذا هو الوقت الملائم لتذكيرهم بأنه ستمدّ فى أعمارهم سنوات أخرى أكثر وأسعد ، ليسدوا الخير للغير ، إذا بدأوا يعملون شيئاً لأنفسهم — أن يرحلوا أو يفعلوا ما كانوا يتطلعون إليه من زمان طويل ، وأن يتيحوا لمن يحبونهم أن يروهم ينعمون ببعض الجزاء الذى استحقوه ، وأن يحاولوا بعض التأمل محلّ التنافس .

وقد ذهب « شورتى » الذى ذكرته فى هذه القصة ، والذى كان منذ بضعة أسابيع قوياً صحيحاً ، ذهب لينال جزاءه عند ربّه . وقضيت الساعات الأخيرة بجانب سريره ، وكان يقول ويكرر : « فريد، إنى سعيد لأننا ذهبنا إلى أمريكا الجنوبية معاً . وأحمد الله على أننا لم ننتظر أكثر مما ينبغى » .

أصدق أصدقائه

دفع الكلب باب المقهى ففتحه وتركه مفتوحا حتى دخل صاحبه الشاب ، ثم قاده إلى مقعد . فلما جلس فيه أقعى عند قدميه ، فنظر روّاد المقهى نظرة العطف إلى الشاب ، لظنهم أنه أعمى ، ثم دهشوا ساعة رأوه يفتح صحيفة الصباح ويلتفت إلى جاره ويقول : « يبدو أن الأخبار صارت أحسن » .

ولاحظ الشاب دهشة جاره فقال : « كنت أعمى ، وظل كلبى هذا يقودنى من مكان إلى مكان فى هذه المدينة . فلما ارتد إلىّ بصرى حاولت أن أستغنى عنه ، فصار يأبى أن يأكل ، وجعل يتماوت . فلذلك أحاول الآن أن أفطمه عن عمله القديم رويداً رويداً . وقد أصبح يكتفى الآن بأن يأتى بى إلى هذا المقهى لأشرب قهوة الصباح » .

[تشارلز مولر]

من أفواه الرجال أنفسهم أخذ الكاتب تفاصيل هذه المهمة الحربية الرائعة التي يقف لها الشعر ويقصر عنها الخيال .

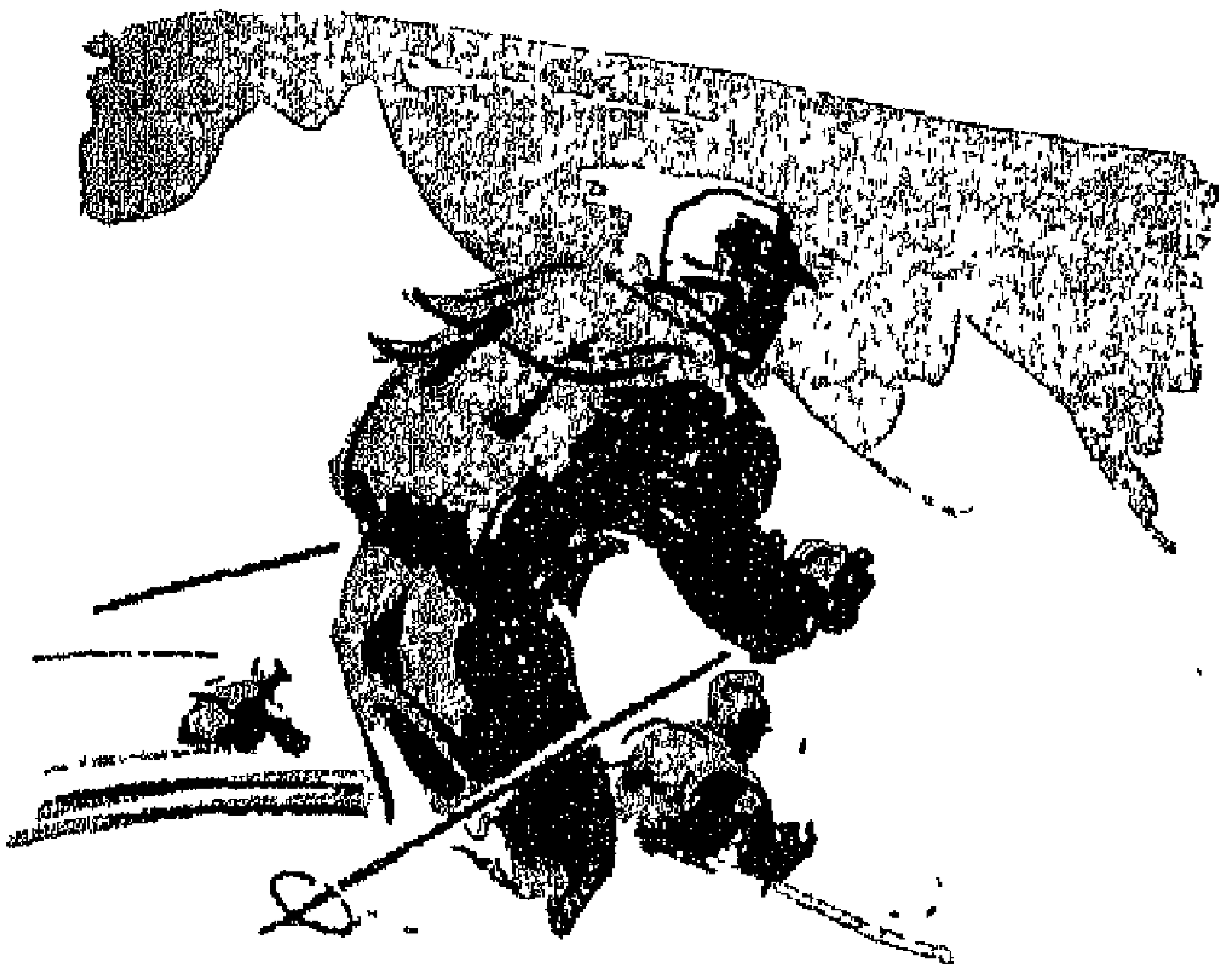
أحد عشر رجلاً وقنبلة النازي الذرية

فردريك سوندرن

مختصرة من صحيفة "مينابوليس تربيون"

في صباح يوم من شهر فبراير سنة ١٩٤٤ كانت السفينة « هايدرو » ، موقرة بحملها تشق عباب الأمواج المتلاطمة في بحيرة تنسيو النرويجية ، وإذا هدير انفجار يدمدم في جوفها ، فمالت السفينة وارتجت ، ثم وقفت ، وما هي إلا خمس دقائق حتى غرقت ، وغرق معها أمل هتلر بأن يكون أول إنسان يملك قنبلة ذرية . ومن وراء ذلك الانفجار تجد قصة عمل من أعجب الأعمال الحربية السرية التي تمت في الحرب وأروعها .

فمنذ شهر أبريل ١٩٤٠ تسامع العلماء أن معهد القيصر ولهلم في برلين يجري تجارب واسعة في تحطيم الذرة . وما كادت أمريكا وحلفاؤها تبدأ في إنفاذ مشروع القنبلة الذرية في سنة ١٩٤٢ حتى روى قسم المخابرات في وزارة الحرب الاقتصادية البريطانية خبراً يهز النفوس هزًّا : لقد أصدر الألمان أمراً إلى المصنع الكهربي الكيميائي نورسك هايدرو — وهو نرويجي



ويعد أكبر مصنع من نوعه في العالم — بأن يزيد مقدار ماينتجه من أوكسيد الدوتيريوم (الماء الثقيل) من ٣٠٠٠ رطل في السنة إلى ١٠٫٠٠٠ رطل . وهذا أمر لا يدل إلا على شيء واحد مخيف ، فقد كشف علماء الطبيعة من الحلفاء أن الماء الثقيل خير مادة « ملطّفة » تصلح في تحضير يورانيوم ٢٣٥ . ولما كان الحلفاء لا يملكون قدراً كافياً من الماء الثقيل ، ولما كان إعداده الدقيق يستغرق سنة ونصف سنة ، فقد قرر علماء الحلفاء أن يستبدلوا الجرافيت مكان الماء الثقيل في هذا العمل ، ووفقوا فيما أرادوا ، ولكن الخبر الذي نقله الإنجليز يدلُّ على أن معهد القيصر ولهلم قد قطع شوطاً كبيراً في تجاربه .

فقرّرت وزارة الحرب البريطانية أن تقدم مهمة شل المصنع النرويجي ــ نورسك هايدرو ــ وتدمير المخزون فيه من الماء الثقيل، على كل مهمة أخرى من مهام الحرب. وقررت هيئة أركان سلاح الطيران أن الهجوم بالقاذفات على هذا الهدف الدقيق فى مكان تحيط به الجبال الشوامخ ذوات الضروس والأنياب، ليس عملاً ممكناً بالطائرات التى كانت متاحة لهم يومئذ. فهذا عمل لا يتولاه إلا الفدائيون.

وكانت جماعة من رجال المقاومة الخفية فى النرويج قد استولت قبيل ذلك على سفينة من سفن السواحل تدعى «جالتيسوند»، وجازت بها حقول الألغام، وتجنبت مخاطر الغواصات فى البحر الشمالى حتى وصلت بها إلى أبردين فى أسكتلندة. وكان أحد الرجال خبيراً فى الصناعة الكهربية الكيمياوية، وكان قد نظم تنظيما دقيقاً مجدياً جماعات من أهل المقاومة الخفية فى النرويج.

فدعى أينار هذا إلى قيادة القوات الخاصة فى لندن. فهذا المهندس الذكى المفتول العضل، بارع ماهر فى الانزلاق، ورام بالنار سديد المرمى، وهما صفتان لهما شأن عظيم فى المهمة التى ستوكل إليه. وقد كان رابط الجأش لا يثيره مثير، وفى كل حركة من حركاته عزم لا يتزعزع، وأهم من ذلك كله أنه قد قضى معظم حياته على مقربة من مصنع نورسك هايدرو، وله شقيق وأصدقاء يتولون فى المصنع مناصب كبيرة.

لقى أينار فى قيادة القوات الخاصة الدكتور ليف ترونستاد، المهندس الذى وضع تصميم مصنع الماء الثقيل لشركة نورسك هايدرو، وهو الذى سار بإنتاج الماء الثقيل حتى صار واسع النطاق، وكان قبل الحرب صديقا حميما لطائفة كبيرة من علماء نواة الذرة من الألمان، فما يعرفه عن تقدم الألمان فى صنع القنبلة الذرية أتمّ وأدق مما يعرفه أى رجل سواه من غير الألمان. وفى أواخر سنة ١٩٤١ تولى رجال المقاومة الخفية النرويجية تهريب ترونستاد إلى السويد، ثم نقل بالطائرة إلى لندن.

وبعد حديث مع ترونستاد سئل أينار: «أتظن أن تعطيل مصنع نورسك هايدرو مستطاع بأسلوب من أساليب التخريب؟» فبسط الموقف بسطاً شافياً على دأب أهل إسكنداناوة، فالمصنع سبعة أدوار، متين البناء مشيّد بالصلب والأبرق، وهو قائم مع مصنع الطاقة المائية الكهربية على شفا هوّة عمقها ألف قدم، ويتولى حراسة المصنع وجميع مداخله ثلة من صفوة الجنود الألمان، والجبال من حواليه تكاد تكون ممتنعة على العابر، فتدميره عمل صعب حقاً.

قال : « ولكننا سنحاول بلا ريب » .

نقل أينار إلى مكان تدريب القوات الخاصة. ولما كان عاملا لاسلكياً من الهواة، فسرعان ما تعلم أن يدير محطة لاسلكية قوية ، تذيع وتلتقط ، وتستطيع أن تضعها في حقيبتك . وتعلم جميع الرموز اللازمة للتخاطب ، ودرب على القفز بالمظلة من طائرة . ثم ألقيت إليه أوامره الأخيرة ، فقد كان عليه أن يعود إلى النرويج ، ويجمع كل نتفة من أخبار نورسك هايدرو ويرسلها إلى لندن ، ثم عليه أن ينتظر وصول الجماعة التي تعززه .

وفي ليلة قمراء ألقى أينار من قاذفة بريطانية إلى الجبال الواقعة على عشرين ميلا من مسقط رأسه . فلملم نفسه وهو « يشعر بشعور غريب في بطنه » على حد قوله ، ثم سار منزلقاً على الثلج إلى بيته ، فأفطر مع أمه قبل أن يتنفس الصباح . قال : « وقد قلت لأهلي إنني كنت في رحلة انزلاق على الثلج ، وقد ظللت أياماً يستبد بي الريب ، ولكن من الواضح أن أحداً لم يعلم أنني اشتركت في رحلة جالتيسوند » .

واستعان أينار بأخيه على الظفر بعمل في تشييد السدّ الجديد الذي أقيم لزيادة المستقطر من الماء الثقيل . وقد عني أدق عناية بتنظيم أصدق أصدقائه ، حتى يستطيع أن يتلقى بواسطتهم أخبار المصنع . وكان يبرق الأخبار إلى مقر هيئة المخابرات البريطانية .

وقد روى أينار أن ما يصنع من أوكسيد الدوتيريوم (الماء الثقيل) يزداد ازدياداً مطرداً سريعاً ، وأن مقادير منه ترسل كل شهر إلى ألمانيا . فأمرت وزارة الحرب قيادة الأعمال المشتركة، أن تهيء هجوماً يشنه الفدائيون في الحال على نورسك هايدرو .

أما قيادة الأعمال الحربية المشتركة فقد واجهت يومئذ مهمة من أشق المهام التي وكلت إليها ، برغم ما لها من تجربة سابقة في أعمال حربية أدنى إلى الانتحار منها إلى الحرب . فهذه جبال مسنونة الأنياب ، تهب عليها تيارات عنيفة من رياح لا يعرف لها مهبٌّ أو موعد ، فتجعل النرويج أفظع بلد في أوربة يتعسر الهجوم عليه بجنود المظلات أو بالطائرات السابحات . ولكن معونة ترونستاد الذي أشرف على صنع نماذج دقيقة للهدف والمصانع القائمة في دائرته ، وتقارير أينار المحكمة ، هيأت لقيادة الأعمال المشتركة أن تنظم أمر المهمة المطلوبة وسميت « مهمة سوالو » أي السنونو .

وكانت الخطة أن يهبط أربعة من خيرة الرجال ، وكانوا جميعاً من أهل المنطقة، ولهم براعة في الانزلاق على الثلج ، فيعززون

أينار ، ويؤلفون لجنة لاستقبال الفدائيين البريطانيين حين يشنون هجومهم محمولين على أجنحة طائرة . وقد ذهبت القاذفة بهؤلاء الفدائيين مرتين إلى النرويج ، وتأهبوا للوثوب منها ولكنها عادت أدراجها بهم ، لأن الضباب كان كثيفاً لا يسهل أمر الوثوب . وأخيراً حشدوا فى طائرتهم على حين فجأة فى مساء يوم من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، وبعد بضع ساعات وثبوا منها فى جوف الليل . فلما رصدوا موقعهم فى الصباح التالى ألفوا أنفسهم على جانب جبل وعر ، يبعد أكثر من مئة ميل عن منطقة الهدف . وقد ظلوا يومين حتى جمعوا معداتهم التى ألقيت وراءهم فى أوعية معلقة بمظلات .

وفى خلال الأسبوعين التاليين قام الفدائيون من رجال « السنونو » برحلة من أروع رحلات الحرب ، فقد كانوا على ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وكانت حرارة الجو تحت الصفر ، فما كان فى وسع أحد منهم أن يحمل على ظهره كيساً من المعدات يزيد وزنه على ستين رطلا ، أى أن كل واحد منهم كان عليه أن يروح ويغدو مسافة معينة ثلاث مرات كل يوم لينقل معداته التى تزن ١٢٠ رطلا . وكانت جراية كل منهم كل يوم قطعة من الجبن ، وحفنة من العصيدة المجففة ، وحفنة من الدقيق ، وأربع قطع من البسكويت .

وأخيراً ، فى اليوم التاسع من نوفمبر ، تلقى الضباط الذين استبد بهم القلق فى مقر قيادة الأعمال المشتركة بإنجلترا ، تلك الإشارة الرمزية المتفق عليها من رجال « السنونو » . فقد كانوا يومئذ فى مكان قريب من نورسك هايدرو ، وقد اتصلوا بأينار ، وقد تأهبوا لكى يرشدوا بأشعة الراديو ومصابيح هبوط الطائرات ، فرقة التخريب التى ينتظرون وصولها على طائرة من الساحبات .

وفى ١٩ نوفمبر حلقت من مطار فى إنجلترا قاذفتان من طراز هاليفاكس ، وكانت كل منهما تقطر طائرة من الساحبات مثقلة بالجند . ولم تكد تنقضى ساعات حتى أبرق أحد الوكلاء من النرويج بأن القاذفتين والساحبتين قد سقطتا وتحطمتا وقتل كل من فيهما أو أسر .

ثم تلا ذلك نبأ أسوأ وقعاً . فقد مضى ضابط ألمانى من ضباط المخابرات العسكرية للبحث فى حطام الطائرات ، فوجد خريطة قد رسم فيها خط أحمر تحت اسم ڤيمورك ، وهو اسم البلدة التى يقوم فيها مصنع الماء الثقيل ، فهرع جوزيف تربوڤن حاكم النرويج الألمانى والجنرال فون فالكنهورست قائد القوات الألمانية ، إلى ڤيمورك ليفحصا

أسباب الدفاع عن المصنع بأنفسهما . وجعل رجال الحرس الألمان ينقبون فى الجيرة كلها ، واعتقلوا كل إنسان تقع عليه أقل شبهة فى أنه من الموالين للبريطانيين ، ولكنهم لم يقعوا على أحد من رجال « السنونو » .

أما فى لندن فقد جعلت قيادة الأعمال المشتركة تلح فى تأهبها لإعادة الكرة . وقد تخلت عن فكرة شن الهجوم بجنود تحملهم طائرات من السابحات ، وقررت أن تلقى بالمظلات ستة من رجال القوات النرويجية الخاصة فيتولوا عمل التخريب . ومضى الدكتور ترونستاد فى تدريبهم مستعيناً بالخرائط والنماذج . لقد أخذ الوقت يضيق ، فرجال « السنونو » لا يزالون معتصمين بالقمة الشاهقة ، فى أحوال مرهقة مخيفة ، فطعامهم قليل ، وبطاريات أجهزتهم اللاسلكية أخذت تفرغ ، وهم يعيشون فى كوخ يغطيه الثلج . وقد قال قائدهم فى رسالة : « كلهم ، غيرى أنا ، مصاب بالحمى وبآلام فى المعدة » . ولم يجدوا بدًّا من أن يأكلوا أعشاب الطحلب التى تأكلها الوعول . وكان أينار على بضعة أميال منهم فى طراد بينه وبين رجال الجستابو ، ولكنه كان يخرج مرة كل بضعة أيام من كوخه الصغير المنكّر ، فيتزلق على الثلج عند الغروب ، ويلقى المخبرين الذين يثق بهم قرب ڤيمورك .

وسرعان ما أبرق أينار نبأ مستغرباً مؤداه أن الألمان يعتقدون ، لسبب ما ، أن هدف الفدائيين لم يكن مصنع نورسك هايدرو ، بل السد الجديد الذى ينشأ على مقربة منه ، وأنهم عززوا حرس السد بمئة رجل ، وأن حرس المصنع لا يزيد على اثنى عشر رجلا .

فما أشرف ديسمبر على نهايته حتى كانت قيادة الأعمال المشتركة قد أتمت تدبيرها لمهمة جديدة سميت « مهمة جنرسايد » ، فألقت طائرة ستة من النرويجيين بالمظلات على الجمد الذى يغطى بحيرة سكرايكن ، وهى تبعد ٣٠ ميلا إلى الشمال من مخبأ رجال «السنونو» . ولم يكد النرويجيون يشرعون فى المسير حتى هبت عاصفة ثلجية عاتية لم يعرف لها مثيل منذ سنين ، فحجبت معالم الأرض . وقد ظل النرويجيون خمسة أيام يعانون البرد الفظيع والجوع فى كوخ صيد مهجور . وأخيراً همدت العاصفة واستأنف الرجال سيرهم . وساعة دنوا من مكان اللقاء ، لاحظوا على حين فجأة شبحين يتزلجان على الثلج على مسافة منهم . وانقضت دقائق تهدّ الأعصاب ، فكل صدام بينهم وبين عسس من الألمان يكون كالكارثة ، لأنه يعطل

المهمة . وهمّ أحـدهم فلبس فوق ثوبه العسكرى مئزراً كالذى يلبسه المتزحلقون على الثلج واتخذ لرأسه قبعة كقبعتهم، وانطلق إلى ملاقاة الغريبين ، فإذا وجدهم من الألمان زعم أنه من حراس الوعول يقوم بالتفتيش . أما رفاقه فقـد انبطحوا فى الثلج وجعلوا أصابعهم على زناد مسدساتهم، ولكن سرعان ما سمعوا فى صرير الريح ثلاث صيحات تدل على فرح اللقاء بين « جنرسايد » و « سنونو » .

ومن ثم سارت الحوادث سراعاً ، فقد اجتمع النرويجيون فى مخبأ رجال السنونو — وقد صاروا أحد عشر رجلا — للتدبير . وقد زودهم أينار بأحدث ما عنـده من تفاصيل عن أماكن رجال الحرس، ومواعيد تغييرهم ، وأى الأبواب موصـد ، وكيف أوصد . وكان يسع المهاجمين أن ينحدروا بضعة أميال فى غابة منحدرة يغطيها الثلج ، ثم ينزلوا وادياً عمقه ألف قدم ، ويعبروا نهراً عارماً متدفقاً ، ويتسلقوا حافة الوادى من الناحية الأخرى ، وهى جدار قائم من الصخر ، حتى يصـلوا إلى مصطبة سكة حديدية تفضى بهم إلى المصنع . فإذا أحس بهم أحد من الحراس ، أطلقت الأضواء من تلقاء نفسها . فيغمر المنطقة كلها ضياء باهر .

وفى الساعة الثامنة من يوم ٢٧ فبراير خرج تسعة من الرجال ، وكانوا محملين بمواد متفجرة شـديدة التفجر ، فكان انحدارهم فى الثلج الغادر تحت أقدامهم إلى مقر الوادى ، كأنه كابوس . وكان بعض الثلج قد أخذ يذوب على حين فجأة ، فملأ النهر بقطع من الجمد الطافى والماء المتدفّع . وبعد أن بحثوا بحث المحموم عن معبر ، وجدوا جسراً صغيراً من الجمد قد غمره الماء بعض الشىء ، ولكنه لا يزال يصلح للعبور . ثم شرعوا يتسلقون على صفحة الصخر من الجهة المقابلة . وظل رونى قائدهم ، يلقى نظره على ساعة معصمه وهم يتسلقون . فجدول العمل المتفق عليه لا يدع له مجالا كبيراً للتأخير . وكذلك ظلوا يتسلقون صفحة ذلك الصخر بوصة بوصة ، وكانوا يعلمون جميعاً أن أقل زلة فيهـا هلاكهم جميعاً .

وبعد جهد جاهد وصـلوا إلى القمة ، وزحفوا وهم يلهثون على مصطبة السكة الحديدية ، حتى صاروا على ٥٠٠ قدم من المصنع ، فسمعوا هدير الآلات . وجمعهم رونى وتهامسوا فيما بينهم ، حتى استوثق أن كلا منهم يعرف تماماً مهمته الملقاة على عاتقه، ثم قال : « لقد أزف الوقت » . فتقدم أحدهم وفى يده مقصٌّ حديدٌ حتى بلغ باب المصنع الذى اختاروه ليدخلوا منه ،

لأنه لم يكن موصداً إلا بسلسلة وقفل ، ثم سمعوا صوت انقطاع السلسلة . فجمد الباقون في أماكنهم ، ولكنهم لم يسمعوا صوتاً صادراً من داخل المصنع ، فعجلوا في الدخول ، ووقف خمسة منهم مسلحون بالبنادق السريعة حول الثكنة التي يقيم فيها الحراس الألمان الاثنا عشر ، فإذا أطلق صفير الإنذار رموا الجنود برصاصهم ساعة يخرجون من حجرهم.

كان الدكتور ترونستاد قد أحسن تدريب الجماعة ، فلم يستغرق المخربون الأربعة بزعامة رونى ، سوى بضع دقائق في الوصول إلى نفق حبال الأسلاك الذى أفضى بهم مباشرة إلى الحجرة المجاورة حيث الماء الثقيل المركز أعظم تركيز . وقد ضل اثنان من رجال رونى طريقهم في الظلام ، ولكنه استطاع مع رفيقه الآخر أن يتامس طريقه فى تيه الأنفاق .

وكان الحارس الذى فى أهم حجرات المصنع يجيل نظره ، فإذا هو يرى فوهتى مسدسين مسددين إليه ، فرفع ذراعيه دون أن ينبس بكلمة . وقد جاء فى تقرير النرويجيين : « بدا عليه أنه خائف ، ولكنه ظل هادئاً مطيعاً » . ومضى رونى مسرعاً إلى الخزانات والأنابيب والآلات ، وربط بها الألغام — كما درب أن يفعل على نماذجها فى إنجلترا — حتى يكون أذى التفجر أعظم ما يكون . ثم سمع انكسار زجاج ، فقد ركل أحدهم زجاج نافذة ، وقد أوشك رونى أن يطلق ناره حين تبين ، ولما يكد ، أحد مساعديه اللذين ضلا يتسلق داخلا من النافذة ، فأنجز بقية مهمته بيدين ترتعشان.

ومع ذلك لم تنعَبْ صفارة الإنذار التى كانوا يخشون نعيها بين ثانية وأخرى . ثم فحص رونى فتيل الألغام الذى يستغرق اشتعاله ثلاثين ثانية ، ثم أشعله . وأمر الحارس ، وكان نرويجياً ، أن يفرّ طلباً للنجاة . وما كادوا يصيرون على بعد عشرين ذراعاً خارج مدخل القبو ، حتى سمعوا صوت الانفجار دمدمة هادرة وراء الجدران الضخمة المبنية بالآجر ، كان انفجاراً قوياً هز الأرض تحت أقدامهم هزًّا .

ولم تكد صفارة الإنذار تنعب نعيبها والحراس الألمان النائمون يربطون أحزمة رصاصهم على خصورهم ، ويخرجون ليروا ماذا حدث ، حتى كان رونى ورجاله قد غابوا عن الأبصار فى نفس الطريق الخطر الذى حسبه الألمان سبيلا مستحيلا إلى المصنع . وفى خلال ذلك ، كان مقدار من أكسيد الدوتيريوم الثمين يبلغ ألف رطل ، قد تدفق من الخزانات المحطمة على الأرض وإلى مجارى المصنع .

ولم تكد تنقضى بضع ساعات ، حتى هُرِع الجنرال فون فالنكهورست إلى فيمورك

ثائراً متوعداً ، وألقى نظرةً على الخراب فقال : « إنها لأبرع ضربة ملعونة رأيتها فى حياتى » . ثم جعل يصدر الأوامر ، وإذا فرقة كاملة من الجيش الألمانى فيها اثنا عشر ألفاً قد أطبقت على المنطقة ، وذهبت الدوريات على المزاليق وطائرات الاستكشاف البطيئة تفتش الجبال ، وسُدَّت جميع الطرق والدروب ، وجعل رجال الحرس الألمانى يفتشون المنازل منزلا منزلا ، ولكنهم لم يقفوا للمغيرين على أثر .

أما رجال جنرسايد فقد أسرع خمسة منهم فى الانزلاق نحو حدود السويد فبلغوها سالمين بعد مشقات لاتصدق ، ومن هناك ركبوا الطائرات وعادوا إلى إنجلترا . أما السادس بونزو ، فأقام مع رجال السنونو الأربعة للعناية ببعض أعمال المقاومة الخفية ، وهم فى طراد دائم بينهم وبين رجال الجستابو. وأما أينار فقد أوى إلى عرينه فى الجبل ، حتى يستطيع أن يتابع إرسال الأنباء عن عاقبة التخريب ، ولكى يواصل مراقبته لمايتم فى مصنع نورسك هايدرو .

وفى أواخر سنة ١٩٤٣ ، أبرق أينار أن الخراب فى المصنع قد رُمِّم ، وأن المصنع قد أخذ يواصل إنتاج الماء الثقيل . فما كاد النبأ يصل إلى إنجلترا حتى خرجت قاذفات من السلاح الجوى الأمريكى فألقت قنابلها على محطة الطاقة التى تزود المصنع ، فعطلتها . فعز الألمان يومئذ أن ينقلوا جميع معدات الماء الثقيل فى مصنع نورسك هايدرو ، وما صنع منه وخزن ، إلى مخبأ تحت الأرض فى ألمانيا. فاستأذن أينار فى أن يغرق السفينة هايدرو التى تقل هذه الشحنة مجتازةً بحيرة تنسيو فى يوم ما ، فجاءه الإذن على عجل . فأمر أينار زميله بونزو الذى كان يعمل مع كتيبة من رجال المقاومة الخفية على بعد خمسين ميلا ، أن ينضم إليه ، واستعان بونزو بأوراق مزوّرة تدل على أنه من عمال نورسك هايدرو ، فركب السفينة قبل رحلتها لكى يتبين أحسن السبل لإغراقها حتى لايمكن إنقاذ مافيها بعد غرقه . وقبل أن تبحر فى تلك الرحلة وضعت فيها القنابل التى تنفجر فى وقت مضروب .

وبعد أيام صار آخر ما عند الألمان من أوكسيد الدوتيريوم فى قعر بحيرة تنسيو . وكان الألمان فى حاجة ملحة إلى سلاح يستطيعون أن يفجأوا به الحلفاء ، فعمد هتلر وجورنج إلى الاهتمام بأسلحة غير القنبلة الذرية ، ووقفوا البحث فى الطاقة الذرية .

فالحلفاء مدينون بدين عظيم لأحد عشر رجلا من بواسل أهل النرويج .

لا علاج لاعتلال شرايين القلب التاجية — ولكن هناك دلائل على أن الحيطة في الغذاء قد تعين على الوقاية منه .

عرضة للسكتة القلبية

جورج دوك

مقتبسة من مجلة "هاربرز"

أمرض في حياتي قط » ؛ قالها الجاويش « لم معتزاً ، وانطلق يعدو مرة ثانية في سباق الموانع الذي أعدّ لتدريب الجنود . فلما بلغ غايته غشي وجهه ذهول مشوب بالغضب ، فغمغم : « إنها القاضية » ، وانحنى ثم خرّ إلى الأرض ميتاً .

وظهر من التشريح أن سبب الوفاة هو « الانسداد المفاجيء في الشريان التاجي* » . وقد كان الرجل في الثالثة والثلاثين ، ساعة انقطع بغتة مدد الدم عن قلبه .

وتدل سجلات الوفيات في المستشفيات على أن علة الشرايين التاجية تودى بخمسة وعشرين في المئة من جميع الوفيات بين أصحاب الأعمال . وأكثر من تودى بهم رجال تتفاوت أعمارهم بين ٤٥ سنة و٦٥ سنة ، أما بين النساء فمعدل الوفاة بها أقلّ كثيراً منه بين الرجال .

وهذه علة لا يسبقها نذير في أول مقدمها ، ونوبتها الأولى هي القاضية في نحو خمسة في المئة من الحالات . وكل نوبة تالية تقضى على عدد مطرد الزيادة ممن تخطّوا النوبة الأولى أحياء . بيد أن ألوفاً من المرضى بهذه العلة يحيون اليوم حياة زاخرة بالنشاط ، لأنهم نجحوا — هم وأطباؤهم — في توقي النوبات التالية . والمشكلة الكبرى هي توقي النوبة الأولى أو تأجيلها إلى حين .

لقد كان الرأي السائد إلى وقت قريب في تعليل زيادة وفيات الرجال بعلة الشرايين التاجية على وفيات النساء ، هو ثقل ما يحمله الرجال من مكاره الأعمال وهمومها . ولكن ثمة رأي جديد في هذا التعليل انجلى عنه الفحص المجهري للشرايين التاجية في كثير من الناس من رجال ونساء ماتوا بشتى الأسباب في أعمار تتفاوت من بضع ساعات إلى سبعين سنة . فإذا عزّز التوسع في البحث هذا الرأي كان الكدح في طلب الرزق أقلّ أثراً في وفاة الرجال

---

* الشريانان التاجيان ، الأيمن والأيسر ، يمدان أنسجة القلب ذاتها بالدم ، ويكادان يحيطان به كأنهما تاج معقود .

بعلة الشرايين التاجية من عاملين آخرين مجتمعين هما : تركيب شرايينهم التاجيـة ، والطعام الذى يأكلون .

وبطانة الشرايين التاجية أشبه بالإطار الباطن فى عجـلة السيارة ، ونحيط بهذه البطانة أسطوانة من نسيج العضل المطاط هو بمنزلة العجلة نفسها . وهـذه البطانة فى الشرايين التاجية أسمك منها فى أى شريان آخر فى الجسم يماثلها فى الاتساع . والأغلب أنها فى الذكور أسمك منهـا فى الإناث حتى فى أول الميلاد ، وتزداد سمكا كلما تقدم العمر ، فتكون الزيادة فى الرجال أسرع منهـا فى النساء . وتكون هذه الزيادة فى جوف الشريان كأنها طبقة الصـدأ فى باطن أنبوب من الحديد ، وبذلك يقل شيئاً فشيئاً مقدار الدم الجارى فى الشريان إلى القلب .

وكثيراً مايستحث هذا التضخم فى بطانة الشرايين تجمُّعُ الشحم على سطح الغشاء . وقد تجلى من الأبحاث الحديثة أن العامل الجوهرى فى حدوث هذا النوع من آفات الشرايين هو ما نأكله ، أو ما ينقصنا أن نأكله من ألوان الطعام .

وسبب ذلك أن فى الدم مادة تشبه الشمع تسمى الكولسترول ، تتسرب خلال بطانة الشرايين التاجية الناعمة ، وتترسب فيهـا حبيبات. وهذه المادة أسهل تغلغلا فى الأغشية السميكة منها فى الأغشية الرقيقة ، فتؤلف ركاماً من الشحم تدق رؤيته على العين ، وتكبرهذه الرواسب فتحدث التهاباً فى باطن الغشاء ، يلتئم ويترك وراءه ندوباً تسمى الأورام الهلامية . وقد يدوم هـذا الفعل بضعة أشهر أو يمتد عشرات من السنين ، فيضيق رويداً رويداً مجرى الشريان الذى يحمل الدم إلى القلب .

فإذا تقدم المرض انفصلت يوماً ما قطعة من هذا النسيج المخشوشن فى بطانة الشريان، وتتكون مكانها علقة من الدم تملأ ما بقى من فراغ فى مجرى الشريان ، فينسدّ ، وقد يفضى ذلك إلى الموت فى الحال ، ما لم يقم فرع آخر من شـبكة الشرايين التاجية بوظيفة الشريان المسدود ، ومن ثم ينجو المريض من الموت وتسير الحيـاة سيرها ، لكن السيف يبقى مصلتاً على عنقه يهـدده بنوبة أخرى أخطر من الأولى .

وقد لاينفصل هذا الورم الهلامى، ولكن مجرى الشريان ينسد تدريجاً من نمو الركام الممتلىء بالكولسترول فى بطانة الشريان ، كما ينسد الأنبوب على زيادة الصدأ ، فيؤدى ضيقه إلى حبس الدم السارى إلى عضـلة القلب شيئاً فشيئاً . فإذا احتدّ المريض فجأة أو أرهق نفسه بعجل ، فقد ينتابه ألم مبرح من الذبحة الصدرية فى قلبه المنهوك .

إن للقلب شريانين تاجيين اثنين ليس إلا ، ولكن بينهما شبكة عجيبة من الأوعية الدموية المشتركة ، تصل ما بينهما إذا ضاق أحدهما أو كلاهما بتضخم البطانة ، وربما انسد أحد الشريانين انسداداً تاماً فلا يصحبه نذير يدل على حدوثه فى بعض الحالات . وقد يورث الذبحة الصدرية أو العلة المسماة بعسر المضم الحاد ، وهى حالة قد تكون فى حقيقتها انسداداً فى الشريان ربما انتهى بصاحبه بعد أمد قصير إلى الموت .

والكولسترول عنصر جوهرى من عناصر الدم يصنع فى الكبد ، ويمتص أيضاً من بعض الأطعمة التى تحتويه كشحوم الحيوان ، ومُحّ البيض ، والزبدة والقشدة واللبن ، وهى أهم الأطعمة التى يغتذى بها الرضّع والأطفال فى نموهم ، وجميع المصابين بنقص الغذاء من الكبار .

ولا يوجد الكولسترول فى الفاكهة والخضر والبقول والنقل . أما اللحم الأحمر والسمك فيحويان مقداراً قليلا منه ، ومقداراً عظيما من المواد الزلالية التى يبدو أنها تمنح الجسم قدرة على أن يستهلك مايزيد على حاجته من كولسترول الدم .

وقد تبين من تشريح جثث ألوف من الصينيين أن علة الشرايين التاجية نادرة بينهم ندرة تبعث على الدهشة . وقوام طعام الملايين فى الصين هو الأرز ، ثم الدُّخن (الذرة العويجة) وفول الصويا ، وكلاهما غنى بالمواد الزلالية . أما البيض واللبن وشحوم الحيوان ، فتكاد تكون ترفاً غير معهود فى الصين . ومستوى كولسترول الدم فى سواد الصينيين لا يزيد إلا قليلا على نصف ما فى أبدان الأمريكيين .

وقد هال أطباء الجيش الأمريكى ما وجدوه من ارتفاع معدل الوفاة بعلة الشرايين التاجية بين الجنود الأمريكيين (ولا سيما صغار السن) فى معسكرات التدريب ، حيث يزيد معدل ما يأكلونه من البيض واللبن والأطعمة ذات الشحم عن المعدل المعهود زمن السلم .

ووجد كذلك أن معدل الوفيات من غوائل الشريان التاجى يقل بين الجنود الإنجليز الذين يشربون الشاى أكثر مما يشربون اللبن ، ويأكلون من الخبز واللحم أكثر مما يأكلون من مثلجات اللبن والبيض ، لذلك يبدو أن ثمة علاقة وثيقة بين وفرة الكولسترول فى الطعام وارتفاع معدل الذين يموتون بعلة الشريان التاجى .

وقدرة الجسم على مقاومة هذه العلة قدرة موروثة مردّها إلى مقدار مايرثه المرء من سمك بطانة هذه الشرايين ، وحظ الناس منه يختلف اختلافاً كبيراً فى كل مراحل

العمر . بيد أن سرعة تضخم هذه البطانة وتخشُّنها هو أخطر سبب يهيء المرء لاعتلال الشرايين التاجية . وفى الوسع تقليل هذه السرعة فى كثير من الأحيان بتنظيم الطعام.

ويتباين الناس فى قدرة أبدانهم على تدبير أمر الكولسترول ، فكثير منهم لايتجاوز الكولسترول فى دمهم حدّه المأمون حتى لوعاشوا على طعام غنى به . أما البعض الآخر فيطغى الكولسترول فى دمهم طغياناً قاتلا، وإن كان طعامهم كله يكاد يكون خالياً منه .

ومن الخير لنا أن نتذكر أن مشكلة طعام البشر مشكلة معقدة ، وأن حاجاتهم من الطعام تختلف اختلافاً شديداً . وكلنا نعرف أسراً يعيش أهلها حتى يبلغوا أرذل العمر، وكل طعامهم مُـثْـقَـل بالقشدة والبيض والشحوم . وقد يكون مردّ طول عمرهم إلى توافق نادر الحدوث بين بطانة رقيقة فى الشرايين التاجية كانت لهم منذ ولدوا ، وطريقة موروثة لاستهلاك فضول الكولسترول ، ومدد وافٍ من المواد الزلالية فى الطعام الذى يأكلون.

أكثر البشر وسطٌ بين شدة المقاومة لمرض الشرايين التاجية، وبين سرعة القبول للمرض . ولعل خير طريق نسلكه هو أن نتجنب الإسراف فى أكل الاطعمة الغنية بالكولسترول، وأن نحاول القصد فى تناولها، كما نحاول القصد والاعتدال فى سواها من أسباب الحياة .

أما الحقيقة الجوهرية فلا ريب فيها ، فثمة خمسة ملايين إلى سبعة ملايين من البشر فى الولايات المتحدة ، تجاوزوا اليوم الخامسة والعشرين ، كتب عليهم أن يموتوا بعلة الشرايين التاجية . وجلهم — لا كلهم — يستطيعون أن يؤخروا أجل هذا القضاء إلى حين ، لو هم اتخذوا بعض الحيطة المعقولة فى الوقت المناسب . وليسأل كل منا نفسه هذه الأسئلة الثلاثة ، ويتخذ من الإجابة عليها هادياً فى سبيل الحياة :

هل مات أحد من أهلى بعلة الشرايين التاجية ؟ أيزيد وزنى زيادة بالغة على ماتعدّه شركات التأمين وزناً مأموناً لرجل فى مثل طولى ، وهو فى سن الخامسة والعشرين ؟ مارأى طبيبى الخاص فى قدر الكولسترول الذى فى دمى ، وهل هو أكبر من القدر المألوف بكثير ؟ (وهذا القدر يمكن تقديره باختبار بسيط جداً ، ويمكن تنظيم الطعام بحيث يهبط مقدار الكولسترول فيه، ويزداد مقدار المواد الزلالية) .

وقد يجد العلم يوماً ما حلاً آخر للغز الشرايين التاجية . فإلى أن يأتى ذلك اليوم ، يبدو أن خير درع تقينا شرّ ماورثه بعضنا فى هذه الشرايين، هى تدقيق المرء فى اختيار طعامه.

نصيحة حكيمة للأمهات ، من كاتبة مشهورة هى أم موفقة أيضاً .

عاملوا أطفالكم معاملة الكبار

كاثلين نوريس

مختصرة من مجلة "ليديز هوم جورنال"

شهدت مسرحية مضحكة ، فسمعت فيها هذا الحوار : قال الزوج: « إنك تُضْجرين أولادى» فردت الزوجة متحمسة : « نعم ، أو لا تراهم يضجروننى أيضاً » . فضج الجمهور بالضحك .

أما أنا فأكاد أدعو إلى فرض عقوبة الإعدام على كل أم جميلة ذكية ميسورة الحال يضيق صدرها بصحبة أولادها .

وأنا أعرف أمّاً كهذه تتشدّق بأنها تبذل كل مرتخص وغال فى سبيل أولادها، وهى أم لها ابنتان فى السابعة عشرة والخامسة عشرة وولد فى الثانية عشرة . وقد كانوا يوم عرفتهم منذ سبع سنوات ، أطفالا أهل بلادة ولا يرجى منهم خير ، وهم اليوم كما كانوا بالأمس، وسيظلون على ذلك ما عاشوا .

فقد ولدوا فى بيت ترف ، حيث أعدت لهم روضة جميلة حافلة بآنية الفضة والأغطية الفاخرة ، وكان يحف بهم الأطباء وعلماء التغذية والممرضات ، وقد قامت على رعايتهم مربيتان ولدتا فى أوربة واتخذتا ثوب المربية الذى يسبغ عليها سمة من السلطان والوقار، وأنا أستريب فى هؤلاء المربيات «المتميزات» اللواتى « ينحدرن من أسر كريمة » . نعم قد يكن من أسر كريمة ، بيد أنه يغلب أيضاً أن يكن نسلاً ضعيفاً فى تلك الأسر ، وأن تكون عقولهن ونفوسهن مصابة بعقد تجعلهن أقلّ الناس صلاحاً لتربية الصغار .

أما الأم فلا ترى صغارها سوى هنيهة وهى تتأهب للخروج إلى حفلة شاى أو لتلعب الورق مع صويحباتها ، فلا تتبين من أمر المربية سوى أناقة ملبسها ، بيد أن الصغار أعرف من أمهن بالنزوات الغريبة التى تستبدّ بمربيتهن .

ولأعد إلى صاحبتى بعد هذا الاستطراد . لما شب صغارها الثلاثة عن مرحلة التربية الأولى فى الروضة، جاءتهم بعشرات من الناس، لكى يتموا لهم تربيتهم — وهى تعلم أن معظم هؤلاء ضعاف العقل ، وما كنت تجد فى ذلك البيت أحداً من سكانه أو روّاده منصرفاً عن تولى تربية الصغار ، سوى

أبيهم وأمهم ، فالأب جادٌّ فى كسب مايلزم لهم من المال وهذه صورهم على مكتبه، وهذا حسبه. وأما الأم فتراها تهرع إلى تجميل وجهها وتصفيف شعرها ومخاطبة الناس بالتلفون لتحدثهم فيما ينبغى أن يصنع لأسنان صغارها وعيونهم وصحتهم وملابسهم ودروس اللغة الفرنسية والرقص والتنس والرياضة ، وهى تظن أن ذلك حسبها وكافيها .

فلما صارت ابنتها هارييت فى السادسة عشرة ، تدلهت بحب سائق سيارتهم البالغ ٤٦ سنة من العمر ، فاستبدَّ الأسف بنفس السائق استبداده بنفس الأم . ثم ظهر أن الفتاة ما فتئت منذ كانت طفلة تقبّل الرجل كما يفعل الصغار بمن يحوطهم من الكبار . أما ما أحست به الفتاة — يوم فضح سرَّها ويوم كشفت أمها رسائل غرامها التى تنضح بشهوة الشباب فضحكت منها وتلتها على صديقاتها حول مائدة الشاى — فلا يعرفه إلا ربُّ الفتيات الحييّات المبلبلات اللواتى أهملتهن أمهاتهنّ .

وهذه الأم مثالٌ للأمهات اللواتى يسرُّهن أن يعرضن صغارهن فى الملابس الأنيقة على زوار البيت مباهياتٍ بمنظرهم ، ولكن الصغار يأكلون مع المربية ، والمربية هى التى تجيب عن أسئلتهم وتوجه أفكارهم وتغرس فى نفوسهم أصول الرأى وقواعد الأخلاق .

أما صديقتى فكانت تترفع عن أن تنفق خمس دقائق فى حديث جدّ مع المربية التى اتخذتها لأولادها . وكانت تذكرها فى حديثها مع صويحباتها فتشير إليها إشارة الاحتقار وتصف عقلها بأنه «عقل عصفور» ، ومع ذلك فقد كانت هذه المربية المحتقرة هى التى تصوغ نفوس أولادها ، وهى نفوس كأنها صلصال ندىٌّ طرىٌّ بين يديها ، فكانت مغبة ذلك أن نشأ الأولاد أهل بلادة ولا يرجى منهم خيرٌ . ومهما بالغت ابنتاها فى التجمل والتصنع فلن ينفث ذلك فيهما روحاً من الخفة والمرَح وإرسال النفس على السجية ، فالذين قاموا على تربيتهما كانوا ضعاف العقول والنفوس ، وسيظل الأولاد ضعاف العقل والأدب والنفس ما عاشوا . وأعرف فتاة أخرى نشّئت على غرار هؤلاء وقد بلغت العشرين ولا تزال تحبُّ أن تلعب بعرائسها ودُماها .

ومغزى كلّ ذلك فى رأيى ، هو أن الصغار أناسىّ وينبغى أن يعاملوا معاملة الأناسىّ .

ونحن قد أقنعنا أنفسنا بأن الصغار يختلفون عنا وينبغى أن نعاملهم معاملة من هم دوننا ، فنصفعهم ونخدعهم، لالشيء سوى أنهم ليسوا لنا أكفاء طولا وعرضاً وقوة . والنساء العاقلات لا يصفعن أزواجهن ،

وإذا كنت ضيفاً على مائدتى ، واتفق لك أن كسرت صحفة من صحاف الطعام النفيسة ، فإننى لا أنفجر غضباً ، ولا أهددك ، ولا أعمد إلى الندب والعويل . ومع ذلك أرانا نبثُّ الخوف والجزع فى نفوس أبنائنا مرة بعد مرة ، بمثل هذه الثورة النفسية الجامحة التى لا يضبطها ضابط ، فإذا لم نغضب عليهم ضقنا بهم ذرعاً . وكم من طفل تتوثب نفسه رغبة فى السؤال والمعرفة ، فيسكته انتهار شديد من أحد أبويه : « اسكت ، دع عنك هذه الأسئلة ، فقد كدت تجننى » .

وينبغى لكل أم أن تركع بين يدى ربها وترفع يديها إلى السماء وتشكر الله الذى جعل ابنها أو ابنتها توجه إليها الأسئلة تترى ، فهذا دليل على أن ذلك العقل الصغير الحىّ قد بدأ يعمل ، وكل سؤال يسأله الصغير ، ينبغى أن يتلقى عنه جواباً صحيحاً — حتى لو كان السائل فى الثالثة من عمره . ولا تخشى أن تستعملى ألفاظاً لا يفهمونها ، أو أن تشيرى إلى أشياء مستسرّة عن أفهامهم — فهم يحبون ذلك . إنهم يحبون أن تعامليهم كأنهم أقرانك ، وينبغى أن تعامليهم كأنهم أصدقاؤك .

أفى وسع الأم أن تفعل هذا ؟ كلا ، ليست كل أم بقادرة عليه ، فسوف تمضى أمهات كثيرات فى عقاب صغارهنّ وتحقيرهم والاستبداد بهم ، والضيق بهذه النفوس الغضة المتفتحة كأكمام الزهر . بيد أن هناك أمهات كثيرات يطقن أن يفعلنَ ، فيظفرن بجزاء لا أجمل منه ولا أروع ، يوم يجدن فى أسرهن أفراداً قد توثقت بينهنّ وبينهم آصرة الصداقة والتعاطف والفهم والولاء .

ولربّ قائل يقول : أتربّين الأولاد بغير عقاب ؟ فأقول : نعم ، بل أقول إن معاقبة الصغار قد أصبحت من مخلفات العصور القديمة ، كمعاقبة المارقين بحرقهم أحياء .

لا تعاقب صغيراً ، بل أقنعهُ إن كان فى الثالثة ، بأن طلب الحلوى والتأخر فى النوم ، والكذب والعصيان ، كلها أمور سخيفة لا تجدى عليه شيئاً . ولن تجد فى الدنيا طفلاً لا يركبه الغضب والخزى والعناد ، إذا أخذته إلى حجرة وأوصدت بابها ثم حاولت أن تؤدّبه بالعصا أو السوط . ولن تجد فى الدنيا صغيراً فى الرابعة ، لا يستجيب استجابة العاقل إذا سمع أمه تقول :

« تلك السيدة المسكينة لها أولاد يصرون على مصّ قطعة من الحلوى قبيل طعام الغداء ، ألا ترى آيات المرض والغم بادية على وجوههم . وتلك الفتاة المسكينة لم تربَّ على أن تكون لطيفة مؤدبة . أليس هذا أمراً محزناً ؟ »

وهذه العبر المنتزعة من صميم الحياة تترك أثرها البالغ فى نفوس الصغار . والصغار يستطيعون أن يدركوا صلة السبب بالمسبّب

كما يفعل كبارهم . وهم طبعاً يخطئون وينسون ، ويكسرون أشياء فى البيت ، ويعمدون إلى العناد حين يجب أن يلينوا ، ويلينون حين يجب أن يقاوموا ، ولكننا نحن الكبار نفعل هذا أيضاً .

وأعرف أماً موفقة غاية التوفيق فى تربية صغارها ، وقد كانت تقرّظ الإيثار فى طفلها المتصف بالأثرة ، وتمدح ضبط النفس فى صغيرها المندفع المتهوّر ، وكانت تقول للطفل العفريت إنها معجبة بما يبدو منه من حسن سيطرته على عفرتته ، وتهنىء الفتاة الشاردة الفكر بما ترى فيها من اهتمام وعناية ، فكان هؤلاء الصغار يصدقون ما كانت الأم المحبة لهم تريدهم أن يصيروا إليه ، فصاروا إلى هذه الأخلاق على الزمن .

جرّبى أيتها الأم استعمال التفسير المعقول المشرب بالمودة والرفق ، جربى الصداقة ، انظرى إلى ذلك الوجه الصغير المضطرب وقولى لنفسك : « إنها ليست طفلة بل هى سيدة ، إنها ليست عِيالا علىّ بل هى صديقة لى . وينبغى علىّ أن لا أفرض عليها أن تسير على قاعدة لا أسير أنا عليها ، وينبغى لى أن أفسر لها القواعد المتبعة فى البيت ، وقواعد الصحة ، وقواعد الأخلاق . قد لا تكون فتاة كاملة ولكنها تريد من أمها أن تظنها كاملة كما تريد الأم أن تكون كاملة فى عين ابنتها »

والأم التى تفعل ذلك لا تلبث أن تلفى نفسها وهى تقول متلطفة مترفقة مع ابنتها : « ترى ماذا كنت تفعلين يا ابنتى لو كنت مكانى ؟ أنا لا أظن أن ضربك أخاك لأنه مزق ثوب العروس يجدى شيئاً ، أتظنين أنه يجدى ؟ وما رأيك لو تخيلنا ، أنا وأنت ، أن ثوب العروس لم يمزق ، وأننا سنخرج بعد الظهر لنشترى لها ثوباً جديداً » . ولو فعلت ذلك مع سيدة كبيرة لأجدى ما تفعلين ، وسوف يجدى فى أمر ابنتك الصغيرة أيضاً .

نمو الصغار

لا ينمو الصغار نموًّا مضطرداً فى جميع فصول السنة ، فزيادة الطول فى فصل الربيع تبلغ ضعف زيادته فى فصل الخريف على المعدّل ، وفى الربيع يزداد الطول ولا يزداد الوزن ، أما فى الخريف فيقل ازدياد الطول ويزداد الوزن .

[كلارنس ملز فى كتابه « أثر الجو فى الحياة »]

رأسٌ في متحف !

إديسون مارشال

مختصرة من مجلة "ستردای ريڤيو" الأدبية

قرأت منذ عشر سنوات قصة في بعض مختارات الأدب ، ولم تكن ذات « مغزى اجتماعی » ، بل كتبت لتكون مسلاة وحسب ، وما أروعها من مسلاة !

عاد إلى أمريكا طبيب طاعن في السن من غانة الجديدة يصحبه خادم من أهلها . وقد تأججت بين جوانحه نار الحماسة أن يحارب العصابات في مسقط رأسه مدينة ديترويت. وأظن أنه كان يدعى جيمس ويذربی ، ولم يكن خادمه الصبي موكى يرى سيده طبيباً ماهراً ، فإن روائع السحر التي كانت تتم على أيدي كهّان قبيلته كانت أروع وقعاً في نفسه ، ولكنه كان يجلّه لما يرى من مهابته ، ويوقّر مشيبه ، ويحبه حباً هادئاً رفيقاً . غير أنه لم يدرك معنى لهذه الحرب التي يشنها سيده على رجال العصابات .

ولم يكد يمضي وقت طويل حتى وقعت حادثة جعلته يدرك ذلك المعنى تمام الإدراك ، فقد تسلل أحد رجال العصابات ، وكان يعرف بين الأشرار باسم لوى ، إلى بيت ويذربي ، ثم سدد إليه من نافذة مفتوحة رصاصة أصابته بجرح بليغ .

كان موكى عندئذ جاثماً فوق شجرة ، وتلك كانت عادته : أن يتسلق الأشجار ليشاهد ما يحيط به ، فلم يتمكن من صدّ المعتدى ، ولكنه نظر إلى وجهه نظرة فاحصة .

فلما كان سيده في المستشفى انفسح له مجال البحث عن لوى . فإذا زنجي أنيق ضامر الجسم لطيف المعشر ، يندس بين الأشرار فلم يمض وقت طويل حتى عثر على لوى .

وذات ليلة وقف لوى يتولى حراسة السُّبل لعصابة كانت تسرق بيتا ، فلما فرغت العصابة لم تجد لوى في مكانه ، فذهب أحد أصدقائه يبحث عنه ، وإذا هو يصرخ صرخة راجفة من شدة الذعر ، ويقول : « هذا لوى ، ولكنه فقد رأسه ! »

ولاشك في أنهم فزعوا فزعاً شديداً لهذا الحادث الوحشي غير المعهود في صراع العصابات ، وأعني قطع رأس لوى . فكذلك

سفكت دماء غزيرة فى القتال الذى نشب بين عصابة لوى وخصومهم للأخذ بثأره .

عاد موكى إلى دار سيده يحمل غنيمته فى سلة ، وها هى الفرصة قد سنحت له لكى يظهر ما فى وسعه أن يفعل ، فصمم على أن يكون ذلك أكبر مأثرة له فى سبيل الدفاع عن شرفه وشرف سيده .

وبعد بضعة أشهر نظر فى الذى صنعت يداه ، فرضى عنه ولم يجد به سوى عيب بسيط ناشىء عن عجزه عن المحافظة على لون بشرة لوى المغبرة الشاحبة ، غير أنه بلغ النجاح فى تمثيل ملامحه العنيفة الصارمة .

ثم حمل معجزته معه إلى المستشفى وقدمها إلى سيده ، فشكره شكراً فاتراً وإن كان ينم عن الإخلاص ، فاغتبط الزنجى الضئيل الجسم . وقد دلت قلة احتفال ويذربى برأس عدوه المهداة إليه ، على أنه زعيم عظيم حقاً ، هكذا تصور موكى ، وفاته أن ويذربى لا يعرف شيئاً عن الذى اعتدى عليه ، وأن هذا الوجه الأسود غريب عنه ، بل لقد ظن ويذربى أنها هدية جاء بها موكى معه من موطنه فى غانة الجديدة .

ولما استرد ويذربى عافيته وعاد إلى بيته أهدى الرأس إلى متحف المدينة حيث علق فى صدر المتحف ، وبعد بضعة أيام لاذ بالمتحف فرد من عصابة لوى هرباً من أحد خصوم عصابة أخرى ، فألقى نظره على الرأس الجديد المعروض ، فاتسعت عيناه الضيقتان من فرط الدهشة وانسحب من فوره .

ولاحظ أمين المتحف فى الأسبوع التالى أن عدداً وافراً من الرجال ذوى الجباه الضيقة والوجوه الشاحبة والملابس الزاهية ، يدخلون المتحف ثم يحملقون فى التحفة الجديدة ، فتبدو على وجوههم أمارات الفزع ثم يتسللون إلى الخارج . ولم يكن يدرى أن أشرار ديترويت سيبدون هذا الاهتمام البالغ بتحفة تمثل سلالة من البشر تقطن غانة الجديدة .

وذات يوم أقبل أكبر رجال العصابات فى المدينة وجاذبه أطراف الحديث . ثم سأله : «من أين جئتم بهذا الرأس؟» فأجابه الأمين : « لقد أهداه إلى المتحف الطبيب ويذربى الذى عاش زمناً طويلا فى الغابات ، وأظنه قد جاء به من هناك » . فغمغم الرجل .

قال الأمين : «إن ويذربى رجل عجيب ، وأظن أنه لابد للمرء أن يكون كمثله حتى يسعه أن يعيش فى قلب الغابات . إنه يطوى جوانحه على شىء أكبر مما يبدو لعينيك » .

فقال الرجل : « هو ذاك ! »

ومن يومئذ عاش ويذربى آمناً ، وعاش معه موكى سعيداً بخدمته . وسرى بين رجال العصابات : إنه رجل داهية ، فدعوه وشأنه !

معلم زنجي عاد إلى قومه بعد طلب العلم ، فأخذ بيدهم فى طريق التحرر من رق الأرض المستأجرة ذات المحصول الواحد .

مُرشد يمهِّد لهم طريق الحرِّية

ا . ك . أرمسترنج

مختصرة من
مجلة "ذي پروجرسيڤ"



فى سنة ١٩١٤ وفد على بلدة فورت ڤالى ، فى ولاية جورجيا ، زنجى ضئيل الجسم مفتول العضل يدعى أوتيس صمويل أونيل وكان مزهواً بتعيينه مفتشاً زراعيا للمقاطعة ، فكان من أوائل الزنوج الذين عينوا لهذه الوظيفة .

وكان ستون فى المئة من سكان المقاطعة زنوجاً ، فعلم أونيل ما هو خليق أن يجده فيها: فلاحون يستأجرون الأرض ويتقاسمون محصولها مع أصحابها ، يزرعون القطن على الأكثر ، ولا ينالون لقاء عملهم طوال العام إلا قسطاً من المحصول لا يكاد يقيم الأود والاكتفاء بزرع محصول واحد ، جعل الفاقة مخيمة على ذلك الإقليم ، فلا تكاد ترى أسرة من الزنوج تسكن فى بيت طُلى خشبه ، وقليل منهم من يجنى طعامه من زرع يديه ، أما اللحم الجيد فهو طعام ، مقصور على البيض.

وليس فى المنطقة ما تألفه عادة فى حياة الجماعة من معاشرة ومشاركة .

وكثيراً ما كان أونيل يسأل الفلاحين الزنوج : ويعيد عليهم السؤال ، « ألا تستطيعون أن تزيدوا ما تربونه من الدواجن ؟ ألا تستطيعون أن تربوا بعض ذوات اللحم ، وأن تتخذوا حدائق صغيرة تزرعونها ؟ » فكان جواب غير واحد منهم : « أظننا نستطيع — لو بينت لنا كيف ينبغى أن نصنع » .

وقد قضى هذا الخبير الزراعى اثنتين وثلاثين سنة يبين لهم كيف يصنعون ، فترى اليوم فى « منطقة أوتيس أونيل » بيوتاً طليت أخشابها ، وطرقاً ممهدة ، وماشية ممتازة ، وحظائر تزخر بذوات اللحم ، وتسمع الفتية يتحدثون عن الجماعات التى أنشأوها لتحسين تربية العجول ، وتسمع

الفتيات يتناقشن فى المباريات التى أقيمت للفراخ وللدجاج البَيوض . ثم تجد الزنوج قد تحرروا من رقّ الفاقة الذى فرضه عليهم الاكتفاء بمحصول واحد .

فى سنة ١٩١٤ كان هؤلاء الزنوج يجنون ٨٠ فى المئة من دخلهم التافه من القطن ، أما اليوم فترى دخلهم قد زاد أربعة أضعاف — وصار عشرة فى المئة منه وحسب من القطن . ويوم بدأ أونيل جهاده لم يكن فى أسر الزنوج المقيمة فى الريف من يملك بيوتاً سوى ٨ فى المئة ، أما اليوم فتجد ٦٠ فى المئة منهم يملكون بيوتهم أو يملكون أرضاً تصلح للزراعة .

والخطة التى جرى عليها أونيل تقوم مثلا على التعاون الوثيق المجدى بين أسر الزنوج وجيرانهم من البيض . وقد قال لى سوان المفتش الزراعى لحقول البيض : « إن أونيل موقّر عند جميع الناس فى جورجيا ، أبيضهم وأسودهم على السواء . إنه أعظم الزنوج مقاماً فى جنوب الولايات المتحدة كله » .

كان أبو أونيل وأمه جميعاً عبدين رقيقين ، وولد أوتيس فى مزرعة شوجارهيل فى ولاية جورجيا ، وتعلم فى مدرسة صغيرة للزنوج ، ثم ذهب إلى مدرسة للمعلمين ومدرسة للصناعة . وقرأ عما يبذله المربى الزنجى بوكر وشنطن فى معهد تسكيجى لكى يعين الشبان الزنوج على أن يصلحوا أمورهم بأيديهم ، فعزم أوتيس أن يذهب إلى ذلك المعهد .

وصل معهد تسكيجى خالى الوفاض لا يملك شروى نقير ، فقيل له : « فى وسعك أن تنام على دكة فى مكتب الأستاذ كارفر* » . فكان ذلك من آيات التوفيق النادرة ، فقد صار كارفر معلمهُ ومرشده وملهمهُ ، وصار أوتيس يكنس مكتب الأستاذ ، ويقضى له حاجاته ، ثم يجلس الساعة بعد الساعة فى المعمل الصغير شاخصاً ببصره إلى الأستاذ يبحث عن منافع جديدة يستخرجها من حبة الفول السودانى المحتقرة ، أو عن ثروة جديدة فى محاصيل الحقل الأخرى .

ويوم أوفى أوتيس على نهاية دراسته قال لكارفر : « أريد أن أصنع شيئاً لبنى جلدتى » ، فحدق الدكتور هنيهة فى الشاب السقيم ، ثم قال : « إنك على هذا لقادرٌ يا أوتيس . عد إلى قومك وعلمهم كيف يخرجون من الأرض ما يكفل لهم العيش الرغيد » .

جاهد أونيل فى السنوات الأولى من

* « المراعى الخضر حيث تكون » ، ترجمة جورج وشنطن كارفر . المختار ، أكتوبر ١٩٤٣ ص ٤٧

تقلده عمل المفتش الزراعى ، فجعل يتنقل راحلا من مزرعة إلى مزرعة ، فينام ويأكل حيث يجد القِرَى. وكانت دودة لوز القطن قد غزت المنطقــة ، وهددت زراعه بيضاً وسوداً بالخراب ، فجمع أونيل المزارعين الزنوج فى أبنية المدارس وقال: «احمدوا الله على مجىء دودة اللوز ! ففى وسعنا الآن أن نزرع شيئاً سوى القطن . فلننوّع محاصيلنا، ولنجعل الاستكفاء بما ننتجه هدفنا » .

ويومئذ وضع أونيل طبيب المزارع برنامجاً جعل غرضه أن يستقل كل فلاح فى بيته ، وأقام البرنامج على مبادىء أربعة : « اشتر مزرعة تكون ملكا لك وحسّنها على الدوام. ابحث عن خير محصول يجود فيها . رَبِّ الدواجن والأنعام . ازرع كل ما تأكل »، ثم يختم البيان بقوله : « اكدح فلكل كادح نصيب » .

كان قليل من الزرّاع الزنوج فى منطقة أونيل، يرون أن فى وسعهم أن يصيروا ملاكا . فوجد أونيل أرضاً بوراً مهملة يستطيعون أن يشتروها ، ودبر لهم أمر القروض ، وألهب حماستهم ، ثم بين للملاك الجدد كيف يداولون المحاصيل على أرضهم ، وكيف يستعملون خير سماد يصلح لها .

وكان جل اعتماده على تعاون الجماعة ، وعلى ضرب المثل الصالح المستخرج مما تم فعلا . وقد عاونه رجال الخدمــة العامة فى الولاية معاونة صادقة . وكانت الهيئات الأولى التى نظمها جماعات من الفتيان أطلق عليها « أندية الأنعام والذرة » .

وكان برنامج أونيل يشمل زراعة الذرة فى رقعة من الأرض ، فلم تأت السنة التالية حتى صار عنــد أكثرهم أنعام من ذوات اللحم ، وحتى اتسعت رقعة الأرض التى تزرع فيها الذرة .

وقد جعل أونيل منطقتهُ جماعات جماعات ، وعين فى كل جماعة فلاحاً ليكون مرشــداً لإخوانه . وترى اليــوم هؤلاء المرشدين ، وعددهم ٣٦ ، يملكون بيوتهم ، ويستعملون الآلات الحديثة فى مزارعهم ، ويعدون خبراء فى استغلال الأرض على خير وجه وأجداه .

وقد تبين أونيل فى بدء جهاده أن قليلا من أسر الفلاحين يعنون بإعــداد اللحم لحفظه . أما الذين يفعلون، فكانوا يأكلونه قبل مأتى الربيع ، لما شاع بينهم من أن اللحم المحفوظ يفسد إن حفظ حتى شهر مايو . وكان أونيل يعلم أن سبب الفساد هو النقص فى إعداد اللحم قبل حفظه . فجعل يعلمهم الأصول بالمشاهدة ، فصار الفلاحون وزوجاتهم يفدون عليه من كل فج ليشاهدوا كيف يملح المفتش اللحم ، وكيف يدخنه

حتى يبقى بمنجاة من الفساد طول العام .

وأوحى أونيل إلى طائفة من الأسر ذوات الإقدام أن تعرض البيض واللحم المحفوظ والفاكهة المعبأة فى العلب ، على شرفات بيوتها أصيل يوم السبت من كل أسبوع . وكان الجيران يدعون ليشاهدوا ذلك ، فيبين لهم أونيل كيف السبيل إلى إنتاج مثل هذه المحاصيل الجيدة، ورب البيت يُزهى بما يقول .

وقد أفضى هذا إلى أول معرض للحم والبيض نظمه المفتش فى مدرسة فورت ڤالى سنة ١٩١٦ . وشغف أحد رجال الصحافة بالفكرة ، فقصد المعرض وألقى خطبة ، وتبرع بجائزة قدرها عشرة ريالات . وقصد المعرض أيضاً رجل يدعى أميكا ، كان قد استأجر رقعة صغيرة من الأرض فى تلك الجيرة وعرض قطعة من اللحم كان قد أعدها ، فقال : « لم أظفر بجائزة ، ولكننى رأيت ببصيرتى عظم هذا العمل » . وهو اليوم من كبار أهل الزراعة ، يملك بيته وأرضاً مساحتها ٦١١ فداناً .

وفى سنة ١٩٢٦ عينت مسز مرجريت تومر مرشدة لربات البيوت فى المنطقة ، فبذلت عونها لهن وللشباب حتى يحققوا برنامج استقلال كل بيت بموارده . وقد نمت الفراخ التى وزعتها فصارت أسراباً كبيرة من الدواجن، تعد خير أسراب الولاية. وكانت براعتها فى تعبئة الفاكهة فى العلب تضارع براعة أونيل فى إعداد اللحم للحفظ ، فذاع ذكر المعارض التى يعرضانها على أعين الفلاحين . وقد صار عدد الفتيان والفتيات من الزنوج فى أندية الفلاحة التى أسساها ٢٢٩٦ فتى وفتاة .

ولئن كان أوتيس أونيل رجلا ضئيل الجسم فإنه يفيض نشاطاً وبشراً. والاجتماعات التى يعقدها فى المدارس يتوافد عليها الكبار والصغار، وهو يتبع محاضراته بزيارة الأسر المتحفظة التى تحجم عن الخروج على التقاليد . وقد يزور رجلا وزوجته يسكنان فى بيت لم تطلَ أخشابه ، فيأخذهما فى سيارته ويمر بهما على بيت أحد المرشدين من الفلاحين ، ويسألهما: « أظنكم تحبّون جميعاً هذا اللون من الطلاء على بيوتكم » . ولكى يثير فيهما حمية التنافس يقول: « يقول الشيخ جونز إنه سيبذّكما هذا العام فى محصول الفول السودانى. أترضيان بهذا ؟ » وهذا يفضى إلى التنافس فى أمرين : تحسين البيوت وزيادة الإنتاج . وتقف الجماعة ترقب ما تسفر عنه المنافسة .

وكان أونيل إذا ما وجد شيئاً من الفراغ يعود إلى معهد تسكيجى للدراسة فى الصيف، حتى نال درجته العلمية فى سنة ١٩٣٧ . وقد سأله أساتذة المعهد أن يبقى بها أستاذاً

خلفاً للدكتور كارفر ، ولكن أونيل رأى أنه يستطيع أن يسدى خدمة أعظم فى الجامعة التى أنشأها فى الهواء الطلق ، وقال ضاحكاً : « إننى رجل فى وسعكم أن تصفوه بأنه دكتور فى تربية الأنعام أو الخنازير » .

وحث أونيل الفلاحين فى أثناء الحرب على أن يغتنموا فرصة الرخاء ليوفـّوا ما عليهم من ديون ، فكان يقول لهم : « إن الدين يعيد الزنجى عبداً رقيقاً » ، ثم يشرح لهم أن الدين الذى يقصده ليس القروض التى تؤخذ على البيوت والعقار وتسدد أقساطها تسديداً منظماً . وقد ظفر نورمن تايلر بقرض على مزرعته قدره ٣٥٥٠ ريالا ، فوضع له أونيل خطة تمكنه من أن يوفى القرض فى عشر سنوات بدلا من ٤٠ سنة ، وهى المدة المألوفة ، فكان يدفع الأقساط مما يكسبه من محاصيله المنوعة .

أما شارلى وايترز فقد كان من المزارعين الشركاء قبل أن يعينه أونيل على شراء أول قطعة من الأرض ، وهو يملك اليوم ١٧٠ فداناً ، وقد باع فى الأشهر الثلاثة الأولى من هذه السنة خنازير بمبلغ ٩٣٠ ريالا .

وثمة اثنتا عشرة مقاطعة فى ولاية جورجيا قد سارت على غرار أونيل ، فهى تنظم معارض زراعية لأسر الزنوج كل سنة . وقد اقتبست سبع ولايات جنوبية طريقة فورت ڤالى فى تنظيم معارض اللحم والحبوب . وقد وفد على أونيل ومقاطعته عشرات من مفتشى الزراعة من بيض وسود ، ليدرسوا الأساليب الموفقة التى جرى عليها هـذا الرجل الداعية إلى توفير الحياة الرغيـدة عن طريق الإقدام والعمل الرشيد .

وقد سألت أونيل عن سر هذه العلاقات الطيبـة بين البيض والزنوج فقال : « لم أطلب أبداً لقومى شيئاً لا يستحقونه ، فلذلك ترى أصدقاءنا من البيض يوافقوننا . والقول بأن كل البيض فى جنوب الولايات المتحدة يريدون أن يديموا على الزنوج جهلهم وفاقتهم ، ليس قولا صادقاً . وقد كشف رجال التجارة والزراعة من البيض أن رفع مستوى العيش بين أسر الزنوج يوسـع آفات السوق لجميع البضائع ويزيد رخاء الجميع . وقد دعوت إلى هذا الرأى جهدى . والناس الذين يتعاونون على القيام بمهمة عظيمة ، لن يجدوا فسحة من الوقت ليكونوا بعضهم حرباً على بعض » .

قال الأصمعى لأعرابى معـه شـاء :

لمن هذه الشاء ؟ فقال : هى لله عندى .

الشخصيات التي لا تنسى :

رجلٌ يصنعُ الرِّجال

روبرت ترسترام كوفن

أبى رجلا أتمنىّ لكل فتى أباً مثله .

كان محيطاً بكل شيء ، فني وسعه أن ينحت للغلام الصغير قارباً يلعب به ، وأن يبنى قارباً للفتى الكبير يجدّف فيه ، وكان فى وسعه أن يتولى نصب شراع السفينة ، وأن يصطاد الإوَزّ البرىّ ، وأن يضمِّر جواداً أو يستبدل به خيراً منه . وكان يحسن حكاية القصص ، ورسم الصور ، والغناء ، بل كان يحسن أيضاً عمل الدريس وزراعة البطاطس . وكان يجيد بناء البيوت وتعهد الأرض ، وتنشئة أطفال أشداء القوى . كان سيد نفسه فى عمله ، وكان يجمع بين كثير من أعماله فى ساعة واحدة. وكان كأصغر أبنائه شباباً وفتوّةً .

كان أبى جميل المحيا مربوعاً مُدْمَج الخلق وثيق التركيب ، وكان طوله ست أقدام إلا قليلا ، وكان يؤثر من كل شيء أضخمه . وكان وسيماً حسن الملامح لأنه قضى أيامه وهو يستقبل بوجهه وهج الشمس ووا كف الأمطار ، فصار أسمر اللون ملوّح البشرة . وله عينان زرقاوان بعيدتا الغور ، ولكنهما برّاقتان متلألئتان من ركوب البحر والتعرض لهوائه ، ومن تحديد بصره إلى البعيد من شِعابه وشواطئه الملفوفة فى الضباب . وكان له شاربان يفتل طرفيهما فتلاً يخيّل إليك أنه مبتسم دائماً . وكذلك كان ، فقلما تراه إلا مبتسماً .

إن أول ذكراه أنى رأيته يبنى لنا بيتنا ، وقد جلّلت نشارة الخشب شعره وهو واقف ينشر بعض الألواح ، ويغنى بصوت جهورى غلب صوت النشر .

كان رجلا عصاميًّا ، وقد بدأ يعمل منذ درج على الأرض ، وشغله العمل شغلاً قطعه عن دخول المدرسة ، فكان يقرأ ليلا بعد أن يفرغ من عمل يومه الطويل فى محلج القطن ، فكان يحصّل ما ينفعه من العلم وهو راقد على بطنه أمام الموقد فى المطبخ . ولم ينقطع عن القراءة قط بعد أن بلغ مبالغ الرجال .

وكان واسع المعرفة حريصاً عليها ، فكان يشترى أربع صحف أو خمساً ، وصارت عنده مكتبة كبيرة تعجب أن يكون مثلها

لرجل سماك — فيها ٢٠٠٠ مجلد ، وكان حسن العلم بالجغرافيـة والفلك والملاحـة والسياسة والزراعة . أما التاريخ فكان أحبها إليه ، وكان شـديد الكلف بسير عظماء الرجال . وكان يقرأ لى شكسبير منذ كنت فى السادسة ، فإذا بلغ فى القراءة دور ملك ، انطلق على سَنَنه كأنه هو الملك.

بيد أنه تعلم أكثر ما تعلمه من مزاولة الأعمال المختلفة خارج البيت، كصيد السمك وحرث الأرض والنجارة وبنـاء السفن — لا يبالى أيّ ذلك كان ، ما دام يرى أنه مستطيع أن يقضى حاجته ويفعل ما يبتغيه بيديه الغليظتين الجاسيتين . كان رائداً يحرث البرارى ويستعمرها ، وينبت نباتها ، ويملؤها بنسله . فإذا زحف عليه جـيرانه فدنوا من أرضـه لم يعدمْ أرضاً جـديدة يستعمرها ، فيجتث شجرها ويعيد بناء داره ثانية . وكان كلفه ببناء دار جميلة يستنفد منه جهداً جاهداً .

وقد كانت جزيرة سبروس فى خليج كاسكو مثلا لما كان يصنع . فقد رحل إليها هو ووالدتى ليعيشا هناك يوم لم يكن فى أولادهما إلا من يحبو أو يدرُج ، ولم يكن لهما جيران فى أكثر الأيام إلا القطط أو البوم . وقد ساق والدى ثيرانه ومشى بها أربعة أميال على خليج غطاه الثلج ، فأنشأ دكانين فى المدينة ، وبنى بيديه زوارقه ومخازن غلته ، واستصلح قطعة من الأرض لزراعة الذرة والفول ، وتولى بنفسه صيد السمك ، وصنع مئات من الشباك لصيد الإرْبيان (الجمبرى) . كانت المعيشة ضنكا ، ولـكنه أطاقها وحمل عبئها . وكانت أمى تقضى الليالى والأيام والأسابيع ذوات العدد وحيدة لا أليف لهـا إلا أطفال يأخـذهم السعال ، ولا أنيس إلا ضوءٌ من مصباح منارة بينها وبينه أميالٌ من بَحر موحش .

فلما حان ميعاد هجرة أبى إلى بقعة جديدة، يمم شطر السور الذى بناه بالحجر حول المرعى وأخرج منه كنزه المخبوء ، وكانت جَرّة فيهـا ٢٠٠٠ ريال من الفضة ، كانت ذخيرة من أرباح خمس سنوات قضاها فى جزيرة سبروس ، جمعها من كدّ يديه ومن حديدة محراثه ومن شباك صيده .

ثم هاجرنا إلى الجزيرة الثانيـة حيث سقطت أولى أسنان طفولتى . فأنشأ والدى هناك بيتاً بناه من الأخشاب التى حملها اليمّ إلى الشاطىء . وكانت الجزيرة عرضة للرياح الهوج ، فاضطر إلى أن يثبت سقف البيت المعقود بسلاسل مضروبة فى الأرض ، فإذا اشتد عصف الريح خرج فى عباءته ليصلح هذه السلاسل . ويومئذ تعلمت كيف أتسلق على صخور جزيرة بُنْد .

فلما اشتد زمهرير البرد وعصف الرياح ، وتعسر العيش على وجه تلك الجزيرة ، دفع أبى بيت الخشب ونحن فيه حتى استقر على ظهر سفينته ، وأرسى بنا فى جزيرة قريبة من الأرض اليابسة . كانت جزيرة موحشة ، فكنا نسمع عواء الوَشَق المفترس ونحن عائدون فى القارب ليلا من المدرسة . فإذا نزل الشتاء ، كان علينا أن نعود إلى بيتنا سيراً على أقدامنا قاطعين الخليج المتجمد ، وكان كل منا يحمل قضيباً طويلا من خشب الصنوبر لنتوكأ عليه فى مسيرنا خلال الثلوج ، وأمامنا دليل منا يشق لنا الثلوج بفأسه .

إن أروعَ شىء فى الحياة هو أن تحادث رجلا من بُناة التاريخ وتماشيه وتصحبه فى الركوب وتشاركه فى العمل . وقد اشترك أبى فى الحرب الأهلية الأمريكية ، وحمل صديقاً له من المعركة قد بترت ساقه وبدا بياض عظمها من سراويله . وكان يطارح أبراهام لنكولن النوادر وهو فى فراش المستشفى ، وحمل إلى مسقط رأسه ووزنه لا يزيد على ٩٠ رطلا ، ولكنه خدع أطباءه ، واختار لنفسه زوجة وأنشأ أسرة .

وكان يحب أن ينشأ أولاده رجالا لهم هيئة ومكانة فى الناس ، وكنا يومئذ عشرة أولاد ، فتلقينا دروسنا فى إحدى المدارس ولكنه علّم كل واحد منا حرفة يستطيع أن يزاولها ، فكان منا من يتولى بناء الزوارق ، وآخر يتولى النجارة ، وكنت أنا البنّاء أتولى المداخن وبناء الجدران .

وكان أبى يكدح كدحاً لا يدانيه فيه أحد من رجاله المستأجرين ، وكان يراقبهم ومِذْراه مغروسة فى التبن ، وفأسه على سطح مخزن الغلال . وكان كثيراً ما يتمثل بقول ابن فرنكلين الفيلسوف الأثير عنده : «إذا سرّك أن تتم عملا فاذهب إليه بنفسك ، وإلا فأرسل رسولا » . وكان أقذع ما يهجو به رجلا أن يقول عنه إنه « خادمُ عينٍ » ، وهو الذى لا يعمل إلا ما دمت عليه قائماً وعينك عليه .

وكان له كلفٌ شديد بالطعام الطيب ، وكان هو نفسه طباخاً ماهراً ، وكان مايطبخه أشهى طعام عندنا لا نكاد نبقى منه شيئاً . وكان يؤثر أن يأكل دائماً فى الهواء الطلق .

وكان أحب شىء إلى أبى أن يستكثر من الأصدقاء ، فكان يتعلم منهم أكثر مما يتعلم من كتبه . كان من أصدقائه محافظ الناحية ونوابها وطائفة من رجالات القانون والطب ، بل كان من أصدقائه أيضاً سماكون وفلاحون لا عهد لهم بشىء إلا بأسماكهم وغلالهم . وكان يقف فى متجره فلا يعدم المشترى أن يحمل مع بضاعته نصيباً من حكمته وفلسفته . وكان فى وسعه أن يقضى

الليل ساهراً يتكلم ، ولا يخونه أن يجد من جيد الكلام مايقول ، وإن كان عن الصعاليك والأوغاد ، وكان حديثه ينبض نبضاً بالحياة .

عرف أبى منذ البدء أنى أشد أبنائه حباً للقراءة ، فأعطانى مفتاح مكتبته ، ثم وهبها لى أخيراً . وكان يبيح لى أن أظل أياماً أقرأ ، ويتولى هو عنى نصيبى من العمل ، بيد أنى تعلمت مما يقص علينا أكثر مما تعلمت من الكتب ، فعرفت منه أشياء كثيرة من تاريخ الدنيا والرجال ، وقد علمنى كيف أشيم حالة الجو من رؤوس إبر الصنوبر ومن ساريات الغمام ، وأن أقدر السنين من مقاطع شجر البلوط ، وعلمنى ناموس المد والجزر ، وقيافة آثار الطير على الثلوج .

وتخصص والدى فى أخريات أيامه فى زراعة اللفت وتجارته ، فكان يجنى من أرضه ٣٠ طناً من اللفت مستعيناً بسماد لايعرف سره إلا هو ، وأخفى أمره حتى حال بين جيرانه وبين أن يعرفوا هذا السر ، وهو طين يألفه محار البحر ، كان يحمله من الخليج عند الجزر فى الشتاء ، ويبسطه على أرض حقله الذى تغطيه الثلوج . وكنت أنا أعالج بيدى كل رأس من اللفت خمس مرات أو ستاً : أنقله من مكانه للزرع ، وأحرث أرضه ، وأسقيه ، وأنتزعه من الأرض ، وأقطع رؤوسه ، وأعين فى التجديف بأوساق اللفت إلى حيث السوق . وكان أبى يصر على غسلها قبل ذلك ، فكان هذا ضرباً من إتقانه لعمله ، وهو سر نجاحه فى الزراعة .

كان ذلك سر أبى ، فقد جعل حسن التدبير والمغامرة والكدح مسلاة تخفّ على القلب ، فتراه غارقاً فى العمل ليلا ونهاراً . وجعل أكبر همه أن ننشأ نحن الصغار محبين لذلك أيضاً ، وقد عشنا إلى هذا اليوم ونحن لا نكاد نعرف متى انتهى وقت اللعب ومتى بدأت ساعات العمل .

وقد علم أبناءه الحياة ، بأن جعلنا نحياها بأنفسنا ، وبأن نحياها معه ، فكان يتيح لنا أن نناوله المسامير وهو يعقد سقف البيت ، ويجعلنا نعاونه فى جذب شباك الصيد ، وفى جعل التبن أكواماً ، وفى مطاردة الطيور التى يصطادها ، وكان يستبقينا أيقاظاً زُلَفاً من الليل ، ويوقظنا فى بكور الفجر .

ولما بلغ منه السن وأحس دنوّ الكبر ، صار ينفض يديه من العمل مدة تتيح له أن يجوب أمريكا إلى أقطارها الأربعة ، فطاف بأرجائها كلها ورآها وهى تنمو وتزدهر . لقد كان هو أحد بناة أمريكا هذه ، فقد كان فلاحاً وبحاراً وصانع سفن ، وسماكا ، وقارئاً ، ومن سَراة الريف ، وصياداً ، ومفكراً ، ومؤمناً بالحياة ، ومحبًّا للحياة — رجلاً يستصلح الأرض ويصنع الرجال .

مَن المدين ؟

كاترين فوربز

قصة مختصرة من صحيفة "تورنتو ستار" الأسبوعية

هايد هذا الإعلان : « غرفة للإيجار » معلقاً في النافذة فدخل ، فمضيت به أنا ووالدتي إلى الغرفة ليراها . وكأن والدتي أهملت أن تسأله أن يدفع الأجر مقدماً ، أو أن يذكر رجلا معروفاً يمكن الرجوع إليه ، لأنها لم تعهد من قبل تأجير الغرف .

فقال المستر هايد بلهجة المثقف الرقيق : « أرى الغرفة ترضيني ، سأبعث بحقائبي في المساء ، وبكتبي أيضاً » .

وصار المستر هايد كأنه أحدنا . نعم ، كان يغدو ويروح كأن عمله غير منتظم المواعيد ، ولكنه كان رقيق الحديث مع الصغار ، وكان إذا مرّ بوالدتي في البهو ينحني لها انحناء السيد الكريم .

وأحبه والدي أيضاً ، فقد أتيح لهايد أن يذهب مرة إلى النرويج موطن أبي ، فكان في وسعه أن يتحدث معهُ عن مباهج صيد السمك هناك .

بيد أن العمة جنى لم تمِلْ بقلبها إليه . وكانت تملك منزلاً تؤجر غرفاً فيه ، فصارت تسأل : « متى ينوى أن يوفى أجر غرفته ؟ »

فكانت أمي تجيبها : « يشقُّ عليّ أن أسأل ، ولكنه سيفعل قريباً » .

ولكن عمتي كانت تسخر مما تقوله أمي ، وتقول إنها رأت أناساً على شاكلته من قبل ، وخير لوالدتي أن تنسى المعطف الذي تنوي أن تشتريه من إيجار الغرفة .

فوقع ذلك وقعاً أليماً في نفوسنا نحن الصغار . ألم تؤجر والدتي الغرفة لكي تنال قليلا من المال يعينها على شراء معطف للشتاء ؟ أما والدتي فكانت تبتسم حين ترى أمارات الهمّ على وجوهنا ، ثم تعنّفنا بقولها : « ما هذا الكلام ؟ » ثم تمضي تعدُّ القهوة لعمتي حتى تكفَّها عن الثرثرة .

فلما أقبل فصل الشتاء ، ركب الهمُّ أمي لأن حجرة هايد باردة في الليل ، فحملت أبي على أن يدعوه ليشاركنا الجلوس في المطبخ الدافىء ، فكنت أجلس مع إخوتي تحت مصباح كبير نعدُّ دروسنا ، وكان أبي وهايد يدخنان الغليون قرب الموقد ، وكانت والدتي تعدُّ الجبن للفطور .

وكان هايد يرشد أخي نلز في أمور درسه ، ويعينه في الحين بعد الحين في

اللاتينية . فزاد اهتمام نانز بدروسه ، وعلت درجاته ، وتوقف عن التوسل إلى أبي حتى يعفيه من الذهاب إلى المدرسة ليعمل عملاً يجدى عليه قليلا من المال .

وكنا إذا فرغنا من دروسنا ، وجلست أمى فى كرسيّها الهزاز تخيط ، تلتفت إلى هايد فيحدثنا عن أسـفاره ومغامراته . ما أوسـع علمه ! فكأنك ترى التاريخ والجغرافية قد نفخت فيهما حياة فجاءا يدبّان فى الغرفة دبيباً . وكان هايد قد درس فى أكسفورد وشدّ رحالهُ مطوّفاً فى أرجاء الأرض .

ثم بدأ يقرأ ديكنز فى إحدى الليالى . فلم نلبث حتى ألفيناه يقرأ علينا كل ليلة بعد أن ننجز دروسنا . فكان يأتى حاملا أحد كتبه ويقرأ بصوت عال ، فتفتحت أمامنا آفاق عوالم عجيبة .

وبعد أن قرأ كتابين من مؤلفات ديكنز ، قرأ لنا شيكسبير ، وكان صوته يبدو لنا كصوت ممثل عظيم .

فلما دار الفلك دورتهُ وعادت شهور الدفء ، صرنا نحن الصغار نمتنع عن التوسل إلى والدينا ليأذنا لنا فى الخروج للعب مع أترابنا ، وأظن أن أمى فرحت بذلك ، فقد كانت تكره أن ترانا هائمين نذرع الشوارع والطرقات .

وخير من هـذا كله أن أخى نانز هجر ناصية الشارع حيث يلتقى بلداته ، فلما هجم لداته على مخزن ديلون واعتقلتهم الشرطة ، كان نانز فى البيت معنا لأنه كان متلهفاً أن يسمع الفصل الأخير فى رواية ديكنز : داڤيد كوبرفيلد .

وكان هايد قد قطع شوطاً بعيداً فى تلاوة رواية أيفنهو ، يوم تلقى رسالة ، فقال لأمى : « ينبغى أن أرحل . سأترك كتبى لنانز والصغار . وهذا شيكٌ بكل ما علىّ ، وأرجو أن تتقبلى يا سيدتى شكرى الصادق على حسن ضيافتك » .

وقد أحزننا أن نراه يرحل ، ولكن ذكر كتبه استخفنا فرحاً ، فحملناها إلى المطبخ . ما كان أكثرها ! فقرأنا بعض عنواناتها : قصة المدينتين ، أليفر تويست ، حلم ليلة فى منتصف الصيف ، هامليت ...

فترفقت أمى فى نفض الغبار عنها ثم قالت : « ما أكثر ما نستطيع أن نتعلمه منها ! وفى وسع نانز أن يقرأ علينا كلّ مساء ، كما كان هايد يفعل » .

فزُهِىَ نانز بما سمع .

وعرضت أمى الشيك على العمّة جنى ، وقالت: « أرأيت ، سأظفر بالمعطف أيضاً » .

ومما يؤسف لهُ أن العمّة جنى كانت لا تزال فى بيتنا ساعة جاء المستر كروبر ،

صاحب المطعم والمخبز فى شارعنا ، وكان يتميز غيظاً .

فصاح : « هـذا الرجل هايد لصٌّ . انظرى إلى الشيك الذى أعطانيه . لاقيمة لهُ . وقد قال لى رجال المصرف إنه صرف مثل هذه الشيكات فى جميع أرجاء جيرتنا » فهزّت العمّة جنى رأسها كالمنتصر فكأنها تقول : « ألم أنبئك بحقيقته ؟ » . وقال المستر كروبر : « ولا ريب فى أن هـذا الرجل مدين لـكم بمبلغ غير يسير من المال » .

وأجالت أمى نظرها فينا حتى استقرّ على نلز ، وقالت : « امض يا نلز فى قراءة أيفنهو » .

ثم سارت إلى الموقد ، وألقت بالشيك فى النار وأجابت المستر كروبر : « لا ، لم يكن مديناً لنا بشىء » .

واحدة بواحدة

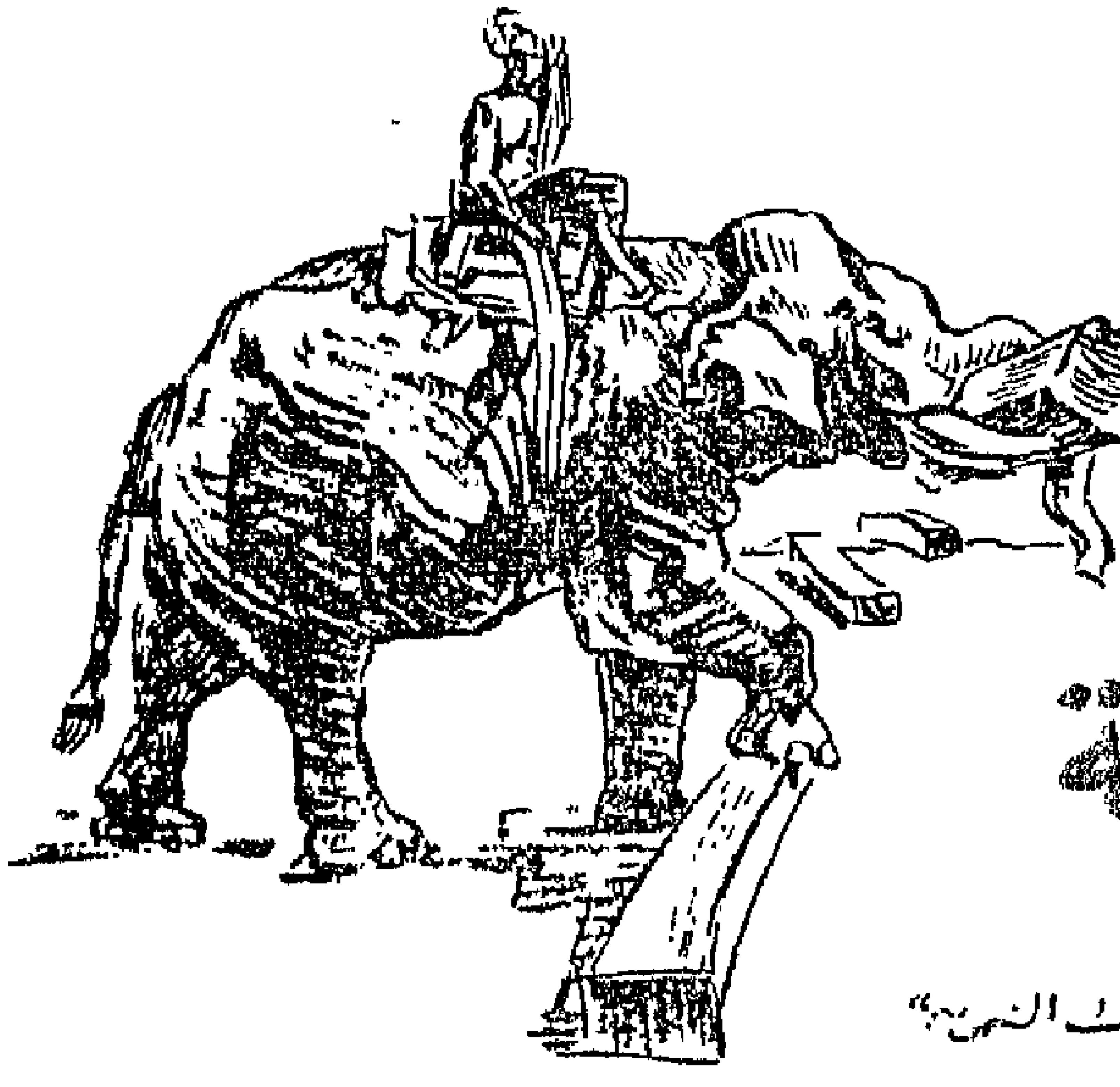
كان بين صيادى ساحل مين رجل يكسب مالاً لا بأس به كلّ صيف مما يصيدهُ من حيوان البحر بزورقه الصغير ، وكانت له شهرة ذائعة لما يلفقه من نوادر عجيبة . فجاءته فى أحد الأيام أرملة بدينة من أهل المدينة وجعلت تتبختر أمامه فى ثياب أهل الحضر وفى دلال نسائه ، ثم رفعت صوتها حتى غلب صفير الريح وقالت : « يقولون لى يا كبتن إنك أعظم كذاب على ساحل مين » .

فرفع الرجل قبعته الرثّه التى طحنتها الرياح ، وانحنى فى زورقه وبالغ ما استطاع وقال : « أنت يا سيدتى أجمل امرأة وقعت عليها عينى » . [زولما ستيل]

كان من الكتاب المسرحيين المزهوّين ، فلما دنا موعد افتتاح مسرحيته الجديدة أرسل إلى محافظ المدينة تذكرتين لحضور الحفلة ، ومعهما رسالة قال فيها : إن للمحافظ أن يصحب معه صديقاً « إن كان له صديق » .

فأعاد المحافظ التذكرتين مع رسالة توخّى فيها غاية الأدب وقال : إن ارتباطه السابق بموعد آخر يحول دون حضوره حفلة الافتتاح ، ولـكنه يرضى أن يشترى تذكرتين للحفلة الثانية « إن كانت ثمة حفلة ثانية ! » [جونى ما كنتاير]

حيوان رقيق الحاشية رزين العقـل ، يتولى أشق عمل فى مقاطع الأخشاب فى الهنـد .



طبائع الفيلة العاملة

الماجور أ. و. سميث ● مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

قضيت سنوات أعمل فى شركة لقطع أخشاب السّاج فى غابات برما وسيام ، فكان نقلها من المقطع إلى الأنهار الجارية يقتضينا أن نستخدم أكثر من ٢٫٥٠٠ فيل يبلغ ثمنها نحو ٣٫٧٥٠٫٠٠٠ ريال ، فليس عجيباً ، أن تصبح معرفتنا بها ضرباً من العلم الشائق .

ولا تظنن أن هذه الفيلة تعيش فى أسر ومذلة بل هى عزيزة مكرمة ، وقد جعلتها العناية التى تحاط بها ، أصح أبداناً وأجمل منظراً من أخواتها ساكنات الغاب .

والفيل فى الغابة يقضى مابين ١٨ ساعة إلى ٢٠ ساعة فى اليوم وهو يأكل ، لكى يستطيع أن يزود هـذه الضخامة المفرطة بالطعام الأخضر . ومن عادته أن يمشى وهو يأكل متقماً من أوراق الشجر ، وهو ينام غراراً ، ساعة أوساعتين فى كل غفوة .

وفيل الأخشاب لايعمل سوى ثلاث ساعات أوأربع فى اليوم ، وذلك عند مطلع الفجر ، وعمله لا يتجاوز أربعـة أيام فى الأسبوع ، ويعفى من العمل فى زمن القيظ . بيد أن هذا القدر الضئيل من الجهد يضنى قواه فيُغاث كل يوم بما يردّ عليه قوته من الملح والتمر الهندى الذى يحبه حباً جماً ، وهو يقـاد كل يوم إلى حيث يستحم ، ثم يدلك جسمه بالغليظ من لحاء الأشجار وقشر جوز الهند ، ويباح له فى وقت راحته واستجمامه أن يجوب الغابات حيث يشاء ، وفى عنقـه سلسلة ضخمة يجرّها تترك على الأرض أثراً يسهل اقتفاؤه ، ويعلق فى عنقه جرس يكون عادة من الخشب ، ولكن إذا كان الفيـل مخشى الخطر استبدلوا به آخر من المعـدن لتكون صلصلته المتميزة نذيراً عند الخطر .

ومراحل حياة الفـيل شبيهة بمراحل حياة البشر . فالصغير يكلف بالعمل الخفيف وهو فى السادسة عشرة من عمره ، فإذا بلغ

الخامسة والعشرين بلغ تمام قوته على العمل . والأنثى تحمل جنينها وهى فى الثامنة عشرة ، وهى عندئذ صغيرة . والفيلة تعفى من العمل إذا بلغت الخامسة والستين ، وقلما تعيش بعد الخامسة والسبعين .

والفيل الهندى يبلغ ارتفاع بدنه ما بين ثمانى أقدام إلى تسع، ويبلغ وزنه نحو خمسة أطنان. وللذكر في الغالب أنياب ، بيد أن ذلك ليس عاماً ، والذكور التى لا أنياب لها هى أجملها أبداناً حين تبلغ تمامها ، وتسمى «الآلفة». ويقول الفيّالون من أهل الهند وبرما أن الفيل الآلف يستطيع أن يقهر الفيل ذا الناب بأن يولج خرطومه تحت أحد نابى خصمه وفوق الناب الآخر ، ثم يستجمع قوته ، فإما أن يصرعه وإما أن يقصف أحد النابين . وسواء أصحّ ذلك أم لم يصحّ ، فالمشاهد هو أن الفيل الذى لاناب له هو غالباً قائد قطعان الفيلة .

والفيلة عادة مفطورة على رقة الطباع ، وإن كنت تجد بينها أحياناً فيلا عارماً مشاكساً ، والذى يجعله كذلك فى الغالب جرح قديم يهيج به ، أو وجع فى الناب ، وهو أشبه الأشياء بوجع الأضراس إذا اشتد.

وذكور الفيلة تصاب أحياناً بحالة تسمى « هياجاً » ، وهذا الهياج لا علاقة له بالغُلْمة الجنسية ، بل مردّه إلى إفراز غزير فى بعض غدد الرأس. فإذا اعترى الفيل «هياج» صار لزاماً أن يربط ويطعم باليد حتى تنجلى غاشية الهياج . ولو ترك طليقاً لكان خطراً مخوفاً . وكان عندنا فيل من خير فيلتنا العاملة فاعتراه الهياج وانفلت على وجهه زائغاً حتى أعجزتنا الحيل فى ردّه . فحاولنا أن نطعمه الأفيون والحشيش فخلطنا الأرز غير المقشور بقطع منهما فكان ينقى هذه المخدرات وينبذها ويأكل الأرز خالصاً . فحاولنا أن نرميه بالأنشوطة فأعجزنا وأخيراً ثار ثائره فانقض على قرية ودمرها وقتل رجلين من أهلها .

فانبرى له أحد رجالنا ، وظل أسبوعين يقتفى أثره . ودنا ذات ليلة من أجمة لفّاء ، فخرج عليه هذا الفيل يَبْرُق ناباه ، فوقف هنيهة ساكناً لا يحدث صوتاً ، ثم إذا به يرفع رأسه ويشيل بخرطومه ويلويه حتى صار كالكرة ، ثم هجم على الرجل بسرعة لا يصدقها من لا عهد له بالفيلة ، فبادر الرجل وأسرع إلى بندقيته ، وكانت محشوة برصاصتين من الرصاص النفاذ .

فلو تعجل في الإطلاق كان أقرب إلى إخطاء مرماه ، فإن دُماغ الفيل أصغر من أن يكون هدفاً سهلا ، وإصابة الدماغ هى وحدها الكفيلة بصرعه وصدّه . والفيل إذا كان رافعاً رأسه ولاوياً خرطومه عليه كان ذلك أمنع له وأحصن ، وأصبح تسديد

الضربة أحوج إلى الدقة وحسن التقدير .

ثم هجم الفيل عليه ثقيل الوطأة تهتز الأرض تحت مواطئه ، فلما صار على بعد ٥٠ ياردة أطلق الرجل بندقيته ، فذهبت الطلقة سدى ، ثم أطلق الأخرى وهو على بعد ٢٠ ياردة ، فهوى الفيل وانكب وزحف على يديه وهو يحفر الأرض بنابيه ، فأثار سرادقاً من الغبار ، ولم يكد يكف عن الحركة حتى كان على بعد قدم أو قدمين من مكان عدوه .

والفيلة أقل حيوان الغاب حدة فى البصر والسمع والشم ، فما من شيء يحمل الفيل على شدة الحذر ، إذ كان لا يخشى شيئاً إلا ما قد يكون من هجوم النمر على صغيره وافتراسه .

وقد كان عندنا فيل فأضلّ صغيره ، وقدرنا أنه انضم إلى بعض قطعان الفيلة الوحشية . وبعد أيام أخبرنى أحد قائفى الأثر من أهل برما أنه قد رأى هذا القطيع يرعى على بعد ميل منا ، واقترح على أن نخرج لنبحث عن ضالتنا بين فيلة هذا القطيع ، فاعتصمت بصخرة ظليلة فى بطن وادٍ عميق ، فكنت أسمع وطء الفيلة قريباً منى ، وأراها أحياناً وهى على مسافة ١٠٠ ياردة ، ورأيت قائف الأثر يدخل بين الفيلة ، ويتوسمها واحداً واحداً ، وكانت عدتها ٢٦ فيلا ، وكان لابد له من أن ينظر في أدبارها باحثاً عن وَسْم الشركة عليه . ولم يقنع بذلك ، فانقلب إلى مهب الريح وساق القطيع كله إلى حيث كنت ، فمرت بى حتى كان بعضها على مسافة عشر أقدام من مكانى ، ووقف بعضها قليلا ليبترد بالماء ، ولكنها جميعاً مضت ولم تساورها ريبة فى وجودى .

وغريزة تعاطف القطيع قوية في الفيلة ، حتى أنها كانت سبباً في تدمير أكبر جانب من محطة على سكة حديد برما . وذلك أن شركة ألمانية تتجر في الحيوان اشترت منا فيلا صغيراً ، فوضعوه فى عربة ، فلما جنّ الليل خزنت العربة فى بعض التحاويل . ولما كان هذا الصغير لا عهد له بمثل هذه المعاملة ، فقد بدأ يصرخ صراخاً كاد يشق قلبه ، فجمع صراخُه كل الفيلة في هذه الناحية ، فبدأت تكسّر العربة ، فلما أطلقت سراح الصغير ، انقلبت إلى المحطة تدمرها تدميراً

وأكثر فيلة الأخشاب قد ولدت فى مقاطع الخشب ، وربما كان بعضها نسل أبوين رفيقين في المقطع ، ولكن الأغلب أن تجد للأنثى رفيقاً يطرقها من الفيلة الوحشية . ولعله من الصعب أحياناً أن تعرف متى يقترن فيل وفيلة ويتسافدان ، فإن سِفادها لا يسبقه هياج ، وليس للفيلة زمن معروف للتسافد . وقد ترى فيلا وفيلة قد تصادقا ثم تنقلب صداقتهما إلى مخادنة ، فيأبى أحدهما أن يعمل إلا ومعه خِدْنه ورفيقه ، فربما مضت

الأسابيع أو الأشهر حتى يتم بينهما التسافد .

ومدة حمل الفيلة تتراوح بين ١٨ شهراً و ٢٢ شهراً ، بيد أنه من الصعب أن تتبين الأنثى أحامل هي أم غير حامل ، فإن الفيلة رحيبة ما بين الضاوع ، حتى يعجز المتأمل عن معرفة حملها وهي في أواخر أيامه ، وقد نرى أنثى فيل قد جاءت تمشى بيننا ومن ورائها وليد لم يمض على ولادته إلا قليل ، ولم يكن أحد منا قد شك في أنها حامل .

ووليد الفيلة ينزل من بطن أمه ساعياً لساعته ، ويكون خرطومه ضئيلا قصيراً ، فيرضع أمه بفمه لاويا خرطومه إلى خلف . والفيل على نقيض مايتوهم الناس لايشرب بخرطومه ، بل يحمل الماء بخرطومه ثم يلويه ويرسل الماء منه إلى فمه .

ولأهل الهند في صيد الفيلة أساليب : منها (الكِدّة) وهى حظيرة ذات أسوار واسعة المدخل ثم تضيق وتضيق حتى تصير كعنق الزجاجة، فيساق القطيع إليها ، أو ربما جاءها من نفسه ووقع في شراكها . وبعض الفيلة يصاد بطريقة أخرى قوامها الشجاعة والمهارة والصبر ، فيفتلون من أعواد الخيزران حبلا يبلغ طوله نحو ٤٠٠ قدم وله أنشوطة في طرفه ، فيضع الصائد عينه على قطيع من الفيلة ، ويصطفى من بينها فيلاً صغيراً ، ولا يزال به حتى يفصله عن القطيع

ولابد لذلك من طول الصبر حتى يتفق له أن يجد هذا الفيل وحيداً يرعى ويأكل .

وعندئذ يبدأ عمل الصائد ، فيميت الصوت حتى لايشعر به الفيل ، ثم يجهد جهده حتى يضع الأنشوطة حول إحدى رجليه حين يرفعها عن الأرض . ولاتحسبن أن الفيل بذلك قد صار صيداً في يد الصياد ، وأن أنشوطة تطوق ساقه قد قهرته ، بل يأتي بعدئذ أن يحدثوا خلفه ضجة هائلة فينفلت على وجهه يجرّ وراءه حبلا من الخيزران طوله ٤٠٠ قدم ، ولا يزال هذا الصوت يفزعه والحبل من ورائه يتعلق بالأشجار حتى يضنيه ويعييه ، فربما قضى على هذه الحالة نحو ٢٠ ساعة وهو يعدو بسرعة ١٠ أميال في الساعة ، ويكون لزاماً على الصائد أن يتبعه حيثما مضى ، ثمّ يأخذه ويقيده ساعة يتحلل به الإعياء والتعب .

والفيل مهما اختلفت أساليب صيده يظل عاماً كاملا غير صالح للعمل ، وربما أدركه الموت من جراء ضعف القلب الذى أورثه إياه مالقى من جهد حين اصطيد . فإذا جاء الوقت الذى يصبح فيه صالحاً للعمل ، أمكن تدريبه في ثلاثة أسابيع ، ويبدأ تدريبه بسياسته وإطعامه حتى يألف سائسه ومطعمه من البشر . وتبدأ سياسته عادة بأن يلمس بدنه بأعواد طويلة من الخيزران . وأخيراً

يتيسر لهم أن يضعوه فى قفص من الخشب المتين معقود عليه قبة من قضبان الحديد يبلغ ارتفاعها فوق ظهره نحو أربع أقدام، ثم يشرع رجل من الفيّالين يتدلّى من السقف على ظهره، ثم يأخذ يتحرك حتى يألف الفيل هذه الحركة أيضاً وفى خلال ذلك يخرجون به محملا ببعض الأحمال الخفيفة وحول عنقه حبل غليظ مقروناً به إلى فيل أو فيلين من الفيلة المدربة المعروفة باسم « كونكى » ، أى الأساتذة. فإذا كان لا بد من عقاب، فيتولى عقابه فيل من الكونكى وذلك إما بأن يضربه بخرطومه أو بأن ينطحه فى جنبه. والكونكى هى فى العادة إناث ضخام الجثث هادئة الطباع، تزاول العمل راضية عما تعمل.

واتخاذ فيلة صغار تدلل وترفّه محرّم كل التحريم، إذ تصير عارمة شديدة الخطر. ويباح لها فى زمن صباها أن تلاعب الناس، ولكن لعبها لا يلبث أن يخرج عن حد المزاح والعبث، فإنها لا تكاد تحس بقوة أبدانها وقدرتها على البطش بالإنسان، حتى تصير خطراً داهماً على سوّاسها.

وعمل الفيلة في العادة هو جر كتل أخشاب الساج من مقاطع الخشب إلى الأنهار أو إلى طرق عربات النقل، وقد يتفق أحياناً أن لا يكون ثمة طريق ممهد ينحدر إلى النهر، فعندئذ يصنعون من الخشب منحدَراً تدحرج عليه. ومن العجيب أن الفيلة سريعة التعلم لفن دحرجة الأخشاب، وقد يسرك أن ترى فيلاً عند رأس المنحدر حُلّت سلاسله المربوطة فى كتل الخشب، فإذا هو يرفعها ويناولها للفيّال الراكب على ظهره، ثم لا يزال يسوى الخشبة حتى تستوى على مجرى المنحدر. ثم يستجمع قوته ويدفعها بنابيه وخرطومه، وربما ركلها أيضاً بإحدى يديه، ثم تراه واقفاً يرقبها وهى تنحدر، فإذا رضى واطمأن أسرع عائداً إلى أخرى ينقلها.

وكتل الخشب تنقل أحياناً إلى النهر على عربات تجرها الثيران، فتتولى تحميل العربات فيلة مدربة على هذا العمل. والفيل المدرب يستطيع أن يرفع كتلة من الخشب على نابيه، ويضعها على العربة بغير معين، ولا يزال يزحزحها قليلا قليلا حتى تستوى فى مكانها.

وإذا تراكم الخشب فى بطن النهر، أرسلوا الفيلة لتخليص بعضها من بعض، فإذا هى تنزل إلى الماء وتغوص فيه إلى المنكبين، وتدفع الأخشاب المتراكمة بأنيابها وجباهها أو تجرها بخراطيمها حتى تخلص بعضها من بعض ويحملها تيار الماء.

والفيلة هى عند أصحابها كالخيل عند أصحابها فقد جربوها فعرفوا أنها حيوانات مفطورة على رقة الحاشية ورزانة العقل.

أنا عمياء

أليس برتس

مختصرة من "بدأتُ ثانية"

يوماً مشرقاً من أيام الربيع ، وكنت عائدة من الغابات أحمل ملء ذراعى أزهاراً ناضرة ، وفوق مروج القمح سماء صافية زرقاء ، فكانت أشجار البرقوق فى حديقتى كأنها قطع من سحب بيضاء كثيفة معلقة على عيدان ، وكان حوض السوسن أشد صفرة من قرص الشمس ، وكان الجمال الذى ينبض بالحياة حيثما نظرت، ينعش نفسى.

جثوت على ركبتى لأنتزع الحشائش من حوض الزنبق ، ومضى الزمن دون أن أشعر ، ولما هممت بالوقوف لم تقوَ ساقاى على حملى . لم أشعر بألم ، ولكن ركبتى لم تتحركا كما ينبغى .

شاور زوجى الدكتور آرثر برتس بعض الأطباء ، فأشاروا بعد الفحص بإجراء جراحة « بسيطة » . وبعد أربعة أشهر تطور المرض تطوراً لم يكن متوقعاً كاد يودى بحياتى . فلما ثاب إلىّ رشدى، كان أول ماخطر ببالى أنى فى غرفة مظلمة، ثم صارحنى الطبيب بالحقيقة : لقد أصبحت عمياء .

رقدت كأنى جثة هامدة ، إنه لكابوس جاثم. ولكن لا ، لقد كانت حقيقة لايشوبها ريب ، وسأظل كذلك ما عشت .

فتشددت وقد استبدّ بى الذعر ، ثم تحرك فى نفسى شىء ، فجعلت أدعو الله دعوة خالصة أسأله شيئاً واحداً ، وأخذت أكرر هذا الدعاء : « اللهم ألهمنى الشجاعة » .

فلما غادرت المستشفى نقلت إلى بيت قضيت فيه الأشهر القليلة الباقية طريحة الفراش ، وكان زوجى يحرص على أن يأتى ساعة الغداء لكى يخفف عنى ملل حياتى الرتيبة . فكان يقرأ لى قبل أن يغادرنى بصوت مرتفع قصة من مجلة . فإذا كان بعد العشاء قرأ أخباراً من الصحف أو نبذة من كتاب . أما فى سائر الأوقات الأخرى فلم يكن لى عمل سوى أن أرقد وأفكر . وقد دفعتنى هذه العزلة وهذا النأى عن العالم إلى دراسة طريقة برايل لقراءة العميان، فكانت القراءة فى الأشهر الأولى تستغرق ساعات طوالاً من زمنى . وقد وجدت لكتب العمى مزية نافعة : إذ يكون فى وسع المرء أن يقرأها وهو تحت الغطاء فى الليالى،

الباردة . وبعد زمن كنت أستمتع أيضاً « بالكتاب الناطق » ، وهو أسطوانات مسجلة للكتب والقصص القديمة والحديثة .

كان على أن أتعلم دروساً كثيرة فى حياتى الجديدة ، فلما تماثلت قليلا انتقلت من ضجعة السرير إلى الاستواء على كرسى . فكان يخيل إلى أن الفضاء فسيح بحيث كنت أخشى أن أهوى فيه ، ولم أتمكن من التغلب على ذلك الخوف إلا بعد عامين . وتعلمت كيف أخطو خطوات قصيرة ، وأن أدفع قدمى بحيث تحتك بالأرض حتى لا أصطدم بالأثاث فى مسيرى ، وكان يسرنى أن ينزل بنا الضيوف للعشاء عندنا ، غير أن تناول الحساء الذى كنت فى أول الأمر أريقه خارج القدح ، واستعمال الشوك والأكواب، كان أمراً عسيراً . ثم مضت الأيام حتى تيسر لى أن أشترك فى الحديث وأن أستعمل يدى فى وقت معاً .

وكان زوجى يحمل هماً بالغاً من جراء محنتى ، فكنت أذكر له طرفاً مما أقاسيه دون أن أشير إلى المشقات التى أصادفها ، لأقنعه بأنى حين استعدت قوتى استعدت معها أيضاً مقدرتى على العمل .

وتصرمت سنتان قضيتهما بين القراءة ، والحديث إلى الأصدقاء ، والتفكير فى إعداد وجبات الطعام . ثم أحضر آرثر ذات يوم مجموعة من أزهار البرقوق والسوسن ونسقها فى الزهريات، ثم قادنى إليها لأمسها بيدى . وإنى لأعتز بهذه الذكرى .

ومر صباح ثم آخر ، فأيقظتنى الوصيفة قائلة لى إن زوجى راقد على أريكة غرفة الجلوس ، وإنها تظن أنه متوعك ، ثم ساقتنى إليه ، فجلست دون أن أفوه بكلمة خوفاً من أن أزعجه من نومه ، فاستدعت الوصيفة عامل المصعد فدخل على وقال لى بصوت هادىء : « لاتخافى يامسز برتس » .

فالتفت إليه وسألته : « هل مات ؟ »

فأجابتنى الوصيفة قائلة : « أجل يا مسز برتس » .

انتقلت إلى بيت أصغر حتى يكفينى الدخل القليل الذى تدره على أملاك زوجى ، وآثرت أن أعيش وحيدة ، وأن أتولى خدمة نفسى ، على أن أعيش فى نزل بين غرباء . كانت حياتى خالية من بواعث السرور ، ولكن كان على أن أملأ قلبى شجاعة حتى أعيش ، فجمعت خيوط حياتى السابقة لأنسج منها حياتى الجديدة .

لقيت فى أول الأمر بعض المتاعب . وبعد جهد استغرق زمناً ، انتهيت إلى طريقة سهلة تيسر لى قضاء حاجاتى ، فكنت حين أستيقظ أضع القدر اللازم من البن والماء فى إناء على موقد كهربائى ، وهو لمثلى أسلم

عاقبة من الغاز . ثم أشعل لفافة وأفكر فى تدبير شئون سائر يومى إلى أن تفوح رائحة القهوة فأرفعها ، ثم أشرع أسخن الخبز على الموقد ، فما أكاد أفرغ من وضع الزبد على قطعة الخبز الأولى وأقضم شيئاً منها ، حتى تكون القطعة الثانية قد أخذت قسطها واحتاجت إلى أن تقلب على الوجه الآخر . فما أفرغ من أكل القطعة الأولى حتى تكون الثانية قد نضجت كلها . وبعد أن أنتهى من فطورى ، أدخل فأستحم ثم أرتدى ثيابى ثم أغسل الأطباق. فإذا شرعت أنفض الغبار عن الأثاث جعلت أحرك يسراى برفق أمام الخرقة حتى أعرف مكان الأشياء الصغيرة وأتجنب طرحها على الأرض . وقد نبذت الأشياء القابلة للكسر واستبدلتها بأخرى من المعدن والخشب .

كان أكثر طعامى من المأكولات المحفوظة فى العلب، فكان الصبى الذى يوزعها يتفضل علىّ بأن يذكر ما فى كل علبة منها حين يناولنيها ، فأضعها على الرف بترتيب حروف الهجاء . وبعد أن أتغدى أرتدى ثيابى بعد الظهر ، ثم أعد الشاى لمن عسى أن ينزل علىّ من الأصدقاء ، وكنت أعرف الوقت بساعة العميان . وقد يسرتُ على نفسى اختيار الثياب بالاقتصار على بضعة ألوان مختلفة النسيج ، حتى يسهل علىّ أن أميز كل واحد منها باللمس . وكانت طريقتى فى حفظ الملابس هى أن أعرف مثلا أن الوشاح الرمادى من الصوف ، والوشاح الأسود من المخمل وكل ما أملكه ينبغى أن يكون دائماً فى موضعه الخاص. ولم أنل ما نلته من سهولة العثور على الأشياء التى أبغيها إلا بعد ساعات من التفكير والتدبر ، فنحن العميان ، خلافاً للاعتقاد الشائع ، لا نأتى بالمعجزات وليست لنا « حاسة سادسة » .

وسرعان ما تعودت الخروج مع بعض الأصدقاء إلى الحوانيت والمآدب . غير أنى أدركت أنى سأكون عرضة للإثقال عليهم، لذلك اتفقت مع سائق سيارة رقيق الإحساس يقف على مقربة من بيتى، فخرجت معه ذات يوم أطوف بالسوق بمفردى لأول مرة ، فقادنى إلى الدكان وهدانى إلى مدخله، ثم سرت مع أحد رجال الدكان ، وهكذا بدأت أعظم مغامرة لى فى سنوات عماى . وبعد فترة قصيرة صرتُ أخرج بمفردى إلى المطاعم ومنتديات الموسيقى والأوبرا ، وكانت كل محاولة جديدة تزيدنى شجاعة وشعوراً بالحرية . ولعل الناس حين رأونى أول مرة أتعشى وحدى فى المطعم رأونى سيدة وقوراً يكلل الشيب هامتها ، ولكننى كنت فى قرارة نفسى فتاة فى السادسة من عمرها فى يدها علبة حلوى !

كان ما لقيته وما قاسيته سبباً في صرف اهتمامي إلى من أدركهم العمى وهم في ميعة الشباب ، فقد علمت ماذا فقدوا من متاع الحياة ، وأي حياة يستقبلون . فعزمت على أن أعين المبتلى على بلواه ، فبدأت أحادث ممرضات معاهد أمراض العيون عن مشاكل من أصابهم العمى ، وذكرت لهن بعض الآراء في طريقة بعث الرجاء في نفس الأعمى الوحيد المفرد، وذكرت لهن بعض الملاحظات النافعة في هداية العمى وقيادتهم . فينبغي مثلا أن تحادث الأعمى قبل أن تلمسه حتى لا يأخذه من الذعر ما يأخذ البصير إذا لمسته يد مفاجئة في جوف الظلام . وبينت لهن أن من أجدى الأشياء وأعظمها أن يعلّموا الذي فقد بصره أن ينفي عن نفسه الخجل من كلمة « أعمى » ، فإن ترددها واستعمالها تذهب عنه شعور الخزي وترفع الحرج عمن يدانيه أو يعاشره .

وقد أدركت أن ادعاء الغنى عن معونة الناس هو العقبة في سبيل التفاهم بين العمى وسائر إخوانهم ، والعمى هم الملومون حين يتحرّجون من ذكر ما يحتاجون إليه من معونة .

وليس للأعمى محيص من عدم الرؤية ، بيد أن ذلك خليق أن يعلمه كيف يواجه الحقائق سافرة ، وأن يتندّر على نفسه ، وأن يقدر الناس حق قدرهم . وأنا حين تعلمت كيف أصبر على بلوى العمى ومضايقه، اكتشفت لذة السعادة في الأشياء القليلة الشأن ، فلم تعد الأزهار عندى أزهاراً وحسب ، بل ذكرى بساتين كان في وسعى يوماً ما أن أتملّى برؤيتها .

وسرّ النجاح في هذه المغامرة هو حسن التقرب إلى الناس بقلب سليم : فإذا ما قلتُ: « أنا عمياء فهل لك أن تساعدني ؟ » فإن ما أجده في أصوات الناس من الرقة يجعل حياتي تتوهج بالود والمحبة . ومن نظر إلى الدنيا نظرة الأعمى لم ير فيها أثراً للخبث أو الجشع أو الخسّة .

الحكمة من أفواه الصغار

أخذت أم تعظ ابنها الصغير مبيّنة له أننا إنما وجدنا في هذه الدنيا لكي نعين غيرنا من الناس ، ففكر الولد قليلا ثم سألها في لهجة الجادّ المهموم :
« وما الغرض من وجود غيرنا من الناس ؟ »

دلت تجربة أهل السويد على أن المصانع التى تشيد فى جوف الأرض قد تكون أروح للعمال ، وأوفر فى النفقات ، وأعون على الإنتاج من مثيلاتها فوق سطح الأرض .

أهل الكهف فى العصر الحديث

رالف ولاس

مختصرة من صحيفة "ذى وشنطن پوست"

يطوى جوف الأرض فى السويد على مصانع فيها آلاف من العمال ، قد حفرت فى بطون الجبال لتكون مأوى وملاذاً ، وذلك حين لاح لهم خطر الغزو الألمانى ، فإذا بأصحاب هذه المصانع يتبينون لشدة دهشتهم أنها خطة صالحة مجدية أيضاً . وقد أكد لى أخيراً نفر من رجال الصناعة فى السويد أنهم إذا أسسوا مصنعاً جديداً فسينشئونه تحت الأرض ، لابدافع الخوف ، بل لأن هذه الخطة تعين على الاقتصاد فى النفقات وعلى إتقان العمل .

فمصاريف الصيانة قليلة، إذ ليس للمصنع جدران تدهن من الخارج ، ولا سقف يتعهد بالترميم ، ولا نوافذ تتطلب التنظيف والإصلاح ، وتتوفر الراحة للعمال إذ لايحتاج المصنع إلى تدفئة ، اللهم إلا إذا اشتد البرد شدة غير مألوفة ، لأن حرارة باطن الأرض ثابتة لاتتغير ، وإذا شب حريق سهل إطفاؤه قبل أن يستفحل ضرره ، وذلك بمجرد إغلاق منافذ الهواء . وقال لى أحد أصحاب المصانع :

«إن نفقات الحفر تجعل تكاليف إنشاء مصنع تحت الأرض أكبر بنسبة ١٥ فى المئة من تكاليف مصنع مماثل له فى الحجم يقام فوق سطح الأرض،ولكن القصد فى نفقات التدفئة والصيانة فى ٣٠ عاماً يجعله أرخص بنسبة ١٠ فى المئة » ، وقد زرت فى قلب السويد مصنع شركة (بولندر مونكتيل) المنشأ تحت الأرض ، وفى هذه الشركة ٣ آلاف عامل،وهى تصنع محركات زراعية من طراز ديزل ومما يدار بالبنزين ، هذا إلى ما تنتجه من أدوات صناعية أخرى . وقد نزلنا من السيارة أمام دار ريفية قائم على سفح تل ، فخيل إلينا أننا فى منطقة

زراعية ، ولكن أسوار الدار انشقت كباب كبير فتح على مصراعيـه ، فتبينت أعيننا من ورائه نفقاً عريضاً مرتفعاً بحيث تمر منه أكبر سيارات النقل ، ولا يسير هذا النفق في اتجاه مستقيم بل ينثنى وينعرج حتى يصد الهواء عن الاندفاع فيه إذا ما سقطت قنبلة بالقرب من مدخله. وقد أقيم على هذا المدخل، زيادة في الحيطة، باب مزدوج من الصلب الصفيق يسهل إغلاقه في غمضة عين ، حماية للمصنع من الغازات الخانقة .

وفركت عيني دهشة حينما دخلت المصنع . فمن فوقنا طبقة من الصخر سمكها ما بين ٤٠ أو ٨٠ قدماً ، ومع ذلك رأيت أمامى حجرات واسعة تمتد في باطن التل ، وبعضها يزيد طوله عن صف من المنازل في شارع بأكمله ، ورأيت جموع العمال عاكفة على المخارط، تتحرك فوق رؤوسهم رافعات مدلاة من السقف ، ثم هناك محرك طائرة يختبر ، ومع ذلك لم أسمع ضجة بل شيئاً كالهمس ، لأن جدران المصنع قد بطنت بمواد تميت الصوت .

وقد حفر موضع المصـنع كله بنسف الجلاميـد بالألغام ، ثم تم إعداده للعمل في أقل من سنتين. والمصنع بمنأى عن تسرب الماء إليه ، وتضبط أجهزة تكييف الهواء درجة الحرارة والرطوبة فيه، وهناك أجهزة أخرى صغيرة يسهل نقلها من مكان إلى مكان تنبعث منها تيارات من هواء ساخن تدور في المصنع في الأيام القليلة التي تحتاج فيها إلى زيادة التدفئة، أما السقف فقد نحت نسفاً على هيئة قبو من طراز غوطي ، وهو متين قوى، بحيث لا يحتاج إلى أعمدة تدعمه ، وفي أعلاه نافذتان يدخل منهما الهــواء ويسهل إغلاقهما في غمضة عين بمجرد الضغط على زر صغير . ويعتقد مهندسو المصنع أنه لو وضـع على هاتين النافذتين ألواح من الرصاص الواقى لحجبت عنه الإشـعاع إذا ما انفجرت بالقرب منه قنبلة ذرية .

وقد قال أحد موظفى الشركة :

« إن أجهزة تنقية الهـواء في داخل المصنع تتيـح للعمال أن يبقوا فيه ٢٤ ساعة مع إغلاق جميع النوافذ ، إذا وقع هجوم بالغازات السامة أو القنابل الذرية ، وقد ثبت بالتجربة أيضاً أننا نستطيع إجلاء العمال جميعاً عن المصنع في بحر دقيقتين إذا ما شب فيه حريق ، وإذا أغلقت النوافذ استنفدت النار ما في جو المصـنع من الأوكسيجين بحيث تخمد حتماً من تلقاء نفسها فيما بين ٥ دقائق و ٨ دقائق ، أي قبل أن يستفحل خطر الحريق ويصيب المصنع منه ضرر بليغ » .

ولما حادثت العمال وجدتهم مجمعين على تفضيل العمل في الكهوف وقالوا لى : « إن

الهواء فيها صاف دائماً، ودرجة الحرارة ثابتة، ولا تؤذينا تيارات الهواء » . وأضاف أحدهم قائلا : « كنت أصاب بنزلات البرد فى كل شتاء ، أما الآن فلم تصبنى قط » . وقال لى أحد رؤساء العمال إن التجارب العلمية أثبتت أن عيون العمال ترتاح فى مصانع الكهوف لأنها لا تتأذى بوهج الشمس .

وقد وجدت مثل هذا الارتياح إلى العمل فى مصانع الكهوف بين عمال مصنع شركة «أجا» فى استكهلم ، وهو مقام أيضاً تحت الأرض ، وقد نسف مكانه وتم إعداده فى سنة واحدة ، وتتوفر فيه كافة وسائل الراحة للعمال : من المصابيح ذات الأشعة فوق البنفسجية إلى المرافق الصحية التى صنعت من صلب لا يصدأ . وتصنع شركة « أجا » أجهزة قياس البعد ومناظر الغواصات وغير ذلك من أجهزة الإبصار .

وليس كبر حجم المصنع مهما بلغ بعائق عن إنشائه تحت الأرض. وقد تحدثت أخيراً إلى مهندسى شركة «برنز ورو» فى نيويورك وهم يضعون تصميماً لإنشاء سبعة مصانع تحت الأرض للحكومة الصينية ، وسيعهد ببنائها إلى شركة وستنجهاوس ، وسيكون محرك بعض هذه المصانع من قوة ٨ آلاف وات ، أى ما يكفى لإنارة مدينة تضم ٢٥ ألفاً من السكان . واتقاء للقنابل ، جعلت مداخن المصنع تصعد داخل الصخر متعرجة ، كما جعلت فتحتها فوق سطح الأرض على هيئة المعابد الصينية ، ومثل هذه المحركات العظيمة تجعل المصنع يكفى نفسه بنفسه ، ولا يحتاج إلى شىء يأتيه من الخارج .

وكانت ألمانيا قبل نهاية الحرب ، قد أنشأت عدة مصانع فى جوف الأرض ، فلو أن ألمانيا كانت قد وضعت قبل ذلك خطة محكمة لنقل مصانعها إلى جوف الأرض ، فلربما قويت على الاستمرار فى القتال إلى يومنا هذا .

وقد ألف الجيش والأسطول فى الولايات المتحدة لجنة مشتركة لفحص الكهوف الطبيعية فى بلادها ، وذلك من أجل الانتفاع بها فى تخزين الذخيرة والعتاد الحربى . واجتمعت اللجنة ورجال الصناعة للمباحثة فى إمكان نقل المصانع الحربية إلى جوف الأرض، ولكنها لا تنظر إلى هذا الأمر إلا باعتباره ضرباً من الحيطة ، لا يلجأ إليه إلا فى وقت اليأس والشدة ، ولكننا لا نجد مثل هذه النظرة المتزمتة فى التجارب السويدية التى تسعى إلى إثبات أن إقامة المصانع فى جوف الأرض يعين على الاقتصاد فى النفقات ، وعلى إتقان العمل فى وقت الحرب والسلم على السواء .



نظرة إلى السماء

آرثر ولاس بيتش

مختصرة من مجلة "ذى نيويورك تيمس"

سنوات خلت ، وقفت على ربوة من الأرض أجاذب الحديث صديقاً لى من المزارعين ، فيومئذ عرفت أول ما عرفت أن السماء خلقت لشىء سوى معرفة الأنواء والأجواء ، وكان صديقى هذا أشبه بالفلاسفة ، فقال لى يومئذ : « سوف تظل قسوة الغاب ووحشيته مسيطرة على أفكار البشر وأعمالهم حتى يتيسر لهم أن يجعلوا للسماء نصيباً من السيطرة على تفكيرهم » .

إن أكثرنا إذا خرج إلى عمله فقلما يلقى بنظرة إلى السماء . وقد راقبت جموع أهل المدن وهى تسعى إلى أرزاقها ، وطوائف أهل القرى سائرة فى الشوارع ، فما وقع بصرى إلا نادراً على عين شاخصة إلى السماء . ومع ذلك فنظرة واحدة كفيلة بأن تدخل فى حوزتنا كل رحاب السماء ، وينبغى لكل امرىء منا أن يتعلم كيف ينظر إلى السموات العُلى ، لا ليكون كل همه أن يعرف حال الجو وينتهى إلى رأى فيه هو فى الأغلب رأى باطل ، بل ليستمتع به ، ويفوز براحة العقل وسكينة القلب ، وهما نعمتان من نعم النظرة إلى هذه السموات .

فأين ينبغى للمرء أن ينظر إلى السماء ؟ وكيف ؟ أما « أين » ، فهو أمرٌ سهلٌ ، فللسموات التى تمتد على السهول المترامية الأطراف أهلٌ من عُبّادها ، وساكن الجبل لا يزال لسانه يردد تمجيد تلك الأعماق التى تذهب متسامية فوق قمم الجبال التى يقطنها ، والأعرابى الذى يجوب المنطقة الاستوائية لا يزال يذكر بزوغ الفجر كأنه بارقة لها قصف ورعود ، وسقوطَ الليل وهو يتوقد روعة وجمالا ، وأحب شىء إلىّ أنا حين أكون فى مسقط رأسى فى شمال أمريكا أن أرى السماء عند مغيب الشمس وأنا أنظر إليها من خلال أفنان الصنوبر النامى على رأس الجبل . ومثله فى الفتنة أن أراها عند إسفار الفجر وأنا أنظر إليها من حديقة التفاح فى زمن التنوير . ولا يعدم امرؤ من

الناس ما يفتنه فى السهول الناضرة المتراحبة التى يطبق عليها الأفق فيما بين السحر إلى أن يسدل الليل ستوره — حتى أولئك الذين يهزأون بالتبكير فى اليقظة ، والذين لم يروا قط إسفارَ الفجر .

أما « كيف » ننظر ، فعسى أن تكون أعظم شأناً ، فإنه لابد لها من دقة فى البصيرة ، ومن فطرة فى حسن الإدراك والتأويل . فالسماء المغبرة مثلاً فى يوم مطير أو يوم ذى ضباب لا تورث المرء الذى يحسن النظر إلى السموات كآبة ولا غماً ، فهذا اليوم يقتضيك شيئاً من الشعور بالراحة والرضى ، فإذا أخطأتهما كنت خليقاً أن تجد الكآبة تشملك أنت والأرض التى حولك .

والسماء المبرقة المرعدة العاصفة هى أيضاً إحدى روائع الدنيا ، وليس من شأنها أن تملأ القلب رعباً بل جلالا وإعظاماً ، فإذا انجلت تركت الأرض غسيلة صافية نابضة بالحياة ، ومن أجمل ما تتملّى به العين رؤية السماء الساجية الساكنة الشهباء اللون ، التى تنذر بإقبال عاصفة الثلج . وهناك ضروب أخرى من روائع السماء تكشف للعين الحساسة عن معانيها ، وإذا تفاوت إدراكنا لهذه المعانى أو اختلف ، فذلك شىء لا خطر له : وخيرها أعجبها إليك . ومن ذلك تعلم أن « كيف تنظر » تختلف باختلاف الناظرين . والثقب الذى ننظر منه إلى هذا العالم هو تلك النافذة الصغيرة التى تتطلع منها عقولنا نحن — وهى على صغرها واسعة وكافية للنظر . والتأمل فى خلق السموات على اختلاف الفصول يزيد عقولنا سعة ، ويملأ أيامنا حلاوة . وفى وسع كل امرىء منا أن يحمل معه إلى مكتبه أو محل عمله ابتسامة سمائه فى أيام الربيع ، وأن يستعيد فى ساعات حيرته ذكرى الجمال الساجى في ساعة المغيب ، وأن يرى فى ساعة يأسه من الناس ومن جشعهم وأحقادهم شعاعاً مبشراً بالأمل والرجاء تهديه إليه ذكرى الروعة التى استشعرها عند تبلج الفجر ، وأن يتلفت إلى الماضى فيسمع سجع طائر عابر فى ساعة الغسق من يوم كئيب النواحى ، وأن يحس فى ساعات الخيبة والهزيمة نبض العزة المظفرة يدب في نفسه ممثلا فى سماء أيام الخريف . وعسى أن يكون أعظم من ذلك كله ، ما تفيضه السماء من جمال وحبور على ساعات أيامنا التى تتابع مملة متشابهة .

إن الأرض التى تكتنفنا تتغير معالمها على الأيام ، أما السماء فلا يلحقها التغير . وليس من العسير على أى امرىء أن يجد فيها أنيساً ينفى الوحشة عن قلبه : ففوق أقرب بستان ، وفوق أقرب شارع ، ووراء أقرب نافذة يجد المرء قبة السماء المرفوعة .

هجوم عنيف على الديدان الثعبانية التى تتلف المحاصيل ، قد يفضى إلى زيادة مقادير الطعام فى أرجاء الأرض .

العلم يشن حرب الكيمياء على آفات الزراعة

بقلم كلارك

مختصرة من مجلة "سينس نيوز لتر"

الدكتور روبرت م . سولتر : « إن أنواع المواد الجديدة لتدخين التربة تبشر بأن تصير نعمة من أعظم النعم على الزراعة منذ صنعت الأسمدة » . والدكتور سولتر رئيس قسم حفظ النبات فى وزارة الزراعة الأمريكية ، وهو قسم يزن رجاله القول ولا يلقونه على عواهنه .

فإذا أحسن الانتفاع بهذه المواد الكيميائية الجديدة ، صار فى الوسع زرع مليونى فدان من الأرض فى جنوب الولايات المتحدة ، كانت حتى اليوم أرضاً لا ينتفع بها الزراع . فبعض المحاصيل الربيحة التى لا تزرع فى نفس الأرض إلا مرة فى السنتين أو الثلاث سنوات ، يمكن أن تزرع اليوم فى نفس الأرض سنة بعد سنة . ولصغار الزراع أن يتوقعوا زيادة فى محاصيلهم تتفاوت من ٢٠ فى المئة إلى ٢٠٠ فى المئة ، أما الألوف من أصحاب الحدائق الذين يعجزهم أن ينبتوا فيها شيئاً من الخضر ، فسيجدون أن الأرض والخضرة والماء ستواتيهم على ما يشتهون .

وقد تعلم الفلاحون الآخذون بأسباب العلم ، منذ زمن بعيد ، أن يحموا دوالیهم وأشجار الفاكهة فى بساتينهم من أذى الحشرات والآفات التى تهجم عليها فوق سطح الأرض ، ولكنهم ما فتئوا الفريق الخاسر فى الحرب التى شنوها على ملايين الملايين من الآفات التى تترصد زروعهم تحت الأرض . وأشد هذه الآفات فتكا هى الديدان الثعبانية — نماتودا ، وهى ديدان كالخيوط لا يزيد طولها على جزء من ١٦ جزءاً من البوصة ، تتسرب فى الأرض . وتعرف عند الفلاحين بأسماء شتى . ومهما تختلف أنواعاً وأسماء فإن الفلاحين لم يعرفوا قبل اليوم أن يكافحوها كفاحاً له أثر .

وإحدى هذه الديدان تحدث مرضاً فى الجذور يقال له ورم الجذور ، فتتكون فى الجذور أورام تضمرها حتى تصير عاجزة عن امتصاص الغذاء من التربة ، وهو مرض

يصيب ١٥٠٠ نوع من النبات ، منها فصيلتا الطماطم والكرنب . وثمة نوع آخر يدعى ديدان الموالح يحدث ضعفاً وانحطاطاً متدرجاً في محصول البرتقال والليمون الهندى ، ويقتضى أن تقتلع الأشجار من البساتين مرة كل ١٤ سنة أو ١٥ ، ثم تغرس أشجار جديدة . أما ديدان المروج فتغتذى على الذرة والفول السوداني والطباق . وهى تهتدى إلى أحسن ما في النبات من غذاء وفيتامين ، فتتسرب تحت قشرة البطاطس فتفسد قلبها . أما باعة الأزهار والذين يربون فسائلها ، فيصبون عليها جام نقمتهم لأنها تهجم على النباتات التى تتخذ للزينة فتهلكها .

وهذه الديدان ، هى المصيبة التى تنزل بزارع الأرز في آسية ، وبزارع بنجر السكر في أوربة ، وبأصحاب مزارع المطاط في جاوة ، وبزارع الشاى في الهند ، وبزارع البطاطس في إنجلترا وإرلندة والدنمرك . وقد وجدت في أغوار المحيط ، وعلى قنن الجبال ، وداخل منطقة الدائرة القطبية الشمالية .

وقد بلغت آفة الديدان الثعبانية في جزائر هوائى سنة ١٩٤٠ مبلغاً من الخطر هدد بالقضاء على صناعة الأناناس التى تجنى منها الجزائر ثلث دخلها . فدعا زراع الأناناس رجلا ليعينهم في محنتهم ، وكان هذا الرجل عالماً من علماء الحشرات يدعى ولتر كارتر ، فقد سبق له أن أنقذ صناعة الأناناس من الهلاك بغير معين ، يوم اكتشف سبب ما يجتاح النبات من دوِىّ وذبول ، ثم اكتشف له علاجاً .

قال كارتر : « أما اليوم فإننا نعرف المجرم ونستطيع أن نراه » ، فجعل يبحث عن مادة لتدخين الأرض ، في وسعها أن تقتل هذه الأحياء المؤذية . فوجد أن غاز الدمع يقتلها ، ولكنه غالى الثمن ، والانتفاع به ليس من الأمور الميسرة ، فطلب من الشركات الكيميائية أن ترسل إليه نماذج من النفايات التى تنبذها حين تحضر ما تحضره من المواد ، وجرب عشرات منها فلم يجد فيها ما يبشر بالنجاح سوى مادة واحدة جاءته من شركة شل الكيميائية في كاليفورنيا ، وكانت هذه المادة من المواد التى تتكون عند تحضير مادة « أليل كلوريد » من أجل استعمالها في صناعة اللدائن (العجائن الكيميائية) . فحفر كارتر في الأرض حفراً صغيرة تبعد إحداها عن الأخرى ١٥ بوصة ، وصب في كل منها ملء ملعقة من هذا السائل الأدكن ، فتسرب وانتشر في خلال التراب ، كما تنتشر القهوة في قطعة من السكر ، فقتل كل دودة هناك .

فاغتبط كارتر بما تم له ، وأطلق على المادة اسم « د . د » ، وهما الحرفان الأولان من اسمى المركبين اللذين تتألف منهما — دايكلوروبروپاين ودايكلوروپروبين .

في السنتين التاليتين امتحن كارتر مادة « د . د » في ٨٤٠ رقعة في ١٤ مزرعة من مزارع الأناناس ، موزعة في طول الجزائر وعرضها . وكانت الرقعة التي عولجت تربتها بهذه المادة تحاذي الرقعة التي لم تعالج تربتها بها ، وكان الناظر إلى الرقعتين في أشهر بعينها يراهما متماثلتين تماماً ، فإذا جاء زمن الحصاد رأيت في الرقعة التي لم تعالج تربتها نباتاً ضامراً سقيما ، ورأيت في الرقعة التي عولجت تربتها ، نباتاً زاخر النموّ ، له أوراق خضر عريضة ، وثمار ضخمة ذهبية اللون من ثمار الأناناس . ثم وجد كارتر أيضاً أن رقعة الأرض التي عولجت تربتها يمكن أن تزرع ثانية في الموسم ذاته .

فأمرت شركة الأناناس بشراء كل ماتستطيع أن تظفر به من مادة « د . د » ، فبلغ ١٢٥ طناً ، ثم « حقنت » به أرضاً مساحتها ١٢٥٠ فداناً . وقد كانت غلة الحقول في هذه الأرض تتفاوت بين ١٢ طناً من ثمار الأناناس و ٣٠ طناً ، فصار متوسط غلتها اليوم ٤٠ طناً ، وزاد المال الذي يجنيه الفلاح من كل فدان ستين جنيهاً أو أكثر . فإذا قدرت أن مساحة الأرض التي تزرع أناناساً في هوائي تبلغ ٥٠ ألف فدان ، علمت أن دخل أهلها سيزداد زيادة كبيرة .

فلما سمع أصحاب بساتين الخضر في كاليفورنيا بهذا الخبر هللوا له ، فالديدان الثعبانية كانت تنزل أذى بليغاً بالنبات في ٦٥ في المئة من الأرض الصالحة للزراعة . وامتحنت هذه المادة الجديدة في حقول تشتد فيها الآفات بمنطقة مرسيد . فزرع في رقع لم تعالج تربتها نبات الفاصوليا ، فمات النبات ولم يغل شيئاً . أما الرقع التي عولجت بمادة د . د فقد كانت غلتها كبيرة . وأما دوالي الطماطم في الرقع التي لم تعالج ، فكانت تثمر خمس ثمار أو ستاً صغيرة ضامرة ، ثم تموت . ولكن الرقع التي عولجت بمادة د . د بلغت غلتها مقدار بوشل من الطماطم في كل فدان .

وكان في ڤنتورا مزارع يجني من الفدان ٨١٦ رطلاً من البطاطا الصالحة للبيع ، فعالج أرضه بهذه المادة فزاد محصول الفدان حتى صار ١٣٨٦٠ رطلاً . ووجدوا في مقاطعة أخرى ٨٥٫٠٠٠ فدان تعجّ تربتها بالديدان فعولجت بمادة د . د فزاد محصولها من الخس ثمانية أضعاف . وقد زادت محاصيل الفاصوليا والقرع والجزر والبطاطس

والبنجر فى كل الولاية زيادة كبيرة، وصارت أجود مما كانت .

وكانت حقول البنجر مصابة بهذه الديدان، فاضطر المزارعون أن يقسموا أراضيهم ثلاثة أقسام ، وأن يزرعوا قسما واحداً منها وحسب كل سنة ، تاركين القسمين الآخرين بلا زراعة ، وفى هذا تعطيل كبير لرأس المال — وهو الأرض . فعنيت بالأمر شركة سكر فى بلدة ميدڤيل بولاية يوتاه ، فأخذت قطعة من الأرض كانت فى العادة تتركها غير مزروعة ، ثم عالجتها بمادة د . د وزرعتها ، فسرها أن تجد أن محصول البنجر فى هذه الأرض « المريضة » قد زاد من ٧١ر٣ من الطن إلى ٧ر١٧ من الطن للفدان الواحد .

وبعض هذه الديدان يستطيب نبات الطباق ، والطباق الذي يزرع فى الظل ، هو أغلى أصناف الطباق فى العالم — وبعض السبب فى ذلك أن هذه الديدان الصغيرة تضطر أصحاب المزارع أن يبسطوا قماشاً رقيقاً فوق حقول برمتها لم تزرع فى السنة السابقة ، وذلك لكى يوقُّوه شر الديدان . وقد عنى زراع الطباق فى فلوريدا فى الربيع الماضى بمعالجة الأرض بمادة د . د ثم أعادوا زرعها فبلغت منهم الدهشة ساعة رأوا المحصول الذى جنوه منها يفوق محصول الأرض البكر .

أما أشجار الخوخ (الدرّاقن) فلا تنمو فى ألوف من الأفدنة فى جنوب الولايات المتحدة ، لأنها تعج بالديدان الثعبانية ، فعنى بالأمر الدكتور جوتهولد ستاينر كبير علماء الديدان فى قسم حفظ النبات ، واتخذ بستان خوخ فى ولاية جورجيا للتجربة ، فوجد أن ثمار الشجر الذى عولجت أرضه بمادة د . د ، صارت عشرة أضعاف ثمار الأشجار التى لم تدخن أرضه بها .

وما زال فلاحو أوربة يعانون أذى دودة شديدة البأس تعرف باسم الدودة الثعبانية الذهبية ، وكان الفلاحون فى بعض المناطق لا يستطيعون أن يجنوا من أرضهم سوى محصول واحد نافع من البطاطس كل خمس سنوات أو ست . وعمدت الحكومة فى السويد وشمال إرلندة إلى حظر الزراعة فى الأرض المصابة حتى تمنع انتشار الآفة . أما فى ألمانيا فقد سنت الحكومة قانوناً يوجب تقسيم الأرض وزرع بعضها سنة بعد سنة ، وأعطت زمام تنفيذه لرجال الشرطة . ومنع استيراد البطاطس من المناطق المصابة .

وفى سنة ١٩٤١ شكا شارلز جلوايلر ، أحد سكان ضاحية لونج أيلند فى نيويورك ، قلة محصول البطاطس فى أرضه إلى مفتش الزراعة فى منطقته. فأجرى المفتش الاختبار ، فثبت أن الدودة الثعبانية الذهبية المخوفة قد وصلت إلى أمريكا . فأخذ القلق من وزارة

الزراعة كل مأخذ، ودرست حالة الولايات الشمالية التسع عشرة، حيث تزرع البطاطس، فثبت أن هذه الآفة لا تزال محصورة فى أرض مساحتها ١٥٠٠ فدان فى لونج أيلند، ضرب عليها نطاق من الحجر الصحى حتى تتم إبادة الدود. وما تم حتى اليوم من نتائج فى كفاح هذه الديدان، حافل بالبشرى لزراع البطاطس فى أوربة. فقد ثبت أن مادة د. د محدية فى ٩٩٫٩ فى المئة، وزادت محاصيل البطاطس فى الأرض التى عولجت بها، أكثر من ٧٥ فى المئة.

وصاحب الحديقة الصغيرة يستطيع أن يعالج أرضاً مساحتها ٢٠٠٠ قدم مربعة بمقدار من هذه المادة، لا يزيد ثمنه على خمسة ريالات، ولا يحتاج من المعدات إلى أكثر من عصاً وملعقة. فيحفر الحفرة ويصب فيها مادة د. د، وعليه أن يحرص حتى لا تندلق على يديه وثيابه، شأنها فى ذلك شأن سائر المواد الكيميائية. ولما كانت هذه المادة سامة للنبات الحى، فعليه أن ينتظر أسبوعين قبل أن يزرع أرضه، حتى تتاح للأبخرة فرصة الخروج من التراب.

أما أصحاب المزارع الكبيرة، فقد صنعوا آلات تجرها جرارات، وهى مزودة بأجهزة تمكنها من أن تصب السائل قليلا قليلا فى أنابيب دقيقة ممتدة إلى تحت وراء قضبان فى المحراث تحدث الحفر. وفى كاليفورنيا اليوم متعهدان يتوليان تبخير الأرض لمن يشاء، لقاء أربعين ريالا للفدان الواحد، وحسب الأرض أن تبخر مرة كل ثلاث سنوات أو أربع.

وصنع هذه المادة سهل، وما يصنع منها الآن يبلغ ١٠٫٠٠٠ طن فى السنة، وقد بدأ الذين يصنعونها فى إصدارها إلى بورتوريكو وجنوب إفريقية وزيلندة الجديدة وإنجلترا. وثمة شركتان — شركة داو الكيميائية، وشركة إنيس سبايدن — وقد صنعتا مواد صالحة لتبخير الأرض تنافس مادة د. د، وإذا ما زاد الإنتاج وهبطت الأسعار صار فى وسع الفلاحين فى كل مكان أن ينتفعوا بها انتفاعاً يجدى. وقد وعد أصحاب المصانع التى تصنعها بأن تكون هذه المواد معروضة للبيع فى كل بلد يحتاج إليها فى الربيع القادم.

أما والحاجة ماسة إلى إنتاج أكبر مقدار من مواد الطعام فى السنوات المقبلة، فقد صار حتماً على الناس أن ينتفعوا بكل أرض تصلح للزراعة أجدى انتفاع. والمواد الجديدة التى تصلح لتدخين التربة، خليقة أن تضاعف ما يجنى الآن من معظم الخضر وبعض الفاكهة فى الأرض التى نزلت بها آفة الديدان الثعبانية. وهذا من شأنه أن يعيد على أهل الأرض رغد العيش ووفرة الرخاء



أسرة لا أنساها

كاترين فوربس

رحلت وأنا فى الثانيـة عشرة من عمرى للاصطياف فى مزرعة عمّ لى بكاليفورنيا ، وظللت ضجرة بهذه الضيافة إلى أن لقيت سميثى .

وكان سميثى يتيم فى مزرعة مجاورة ، ولم ألقَ قبله صبياً مثله اجتمعت له صفات الرجولة والجدّ. ذلك لأنه ، كما قالت لى عمتى، فقد أبويه قبل أن يبلغ الثامنة ، فتكفل عم له أعزب بتربيته ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

ومما قاله عمى إن صبيان المزارع تجعلهم مشقةُ العمل يبدون أكبر سناً مما هم، حتى وهم فى الثانية عشرة من عمرهم .

وقد وجدت عنتاً فى مصادقته ، إذ سرعان ما تبينت أنه يمنحنى ظهره كلما انصرفت إلى شىء من لهو الصبيان وألعابهم. وكان من عادة سميثى — وهذا طبع يغيظ — أن يختفى فجأة إذا ما حرج صدره أو تملكه السأم . وسمعت من عمتى أنه سمى حين ولد « لويد » ، ولكنه يأبى أن يعترف بهذا الاسم ويصرّ على أن ينادى باسم سميثى وإلا انصرف ولم يجب .

ثم بيعت بالمراسلة مزرعة مجاورة لنا لرجل يسمى فراندسن يقيم فى الولايات الشرقية ، فتوقعت ألواناً من البهجة فى حياتنا حين علمت أن هذا الرجل وزوجه من ممثلى المسارح . أما سميثى فلم يأبه لهذا النبأ ، ولكنه سار معى حينما خرجت ذات يوم كأننى أمشى وذهبت أستكشف الطريق المؤدى إلى مزرعة فراندسن . ولم نكد نبلغ منتصف الطريق حتى طلع علينا فجأة فراندسن وزوجته واستقبلنا الاثنان بتحية ملؤها الفرح والترحيب منا ، وغلبت الدهشة صديقى سميثى ، حتى إنه لم يقوَ على الهرب .

وقدّرت أن الرجل وزوجه كليهما في الخمسين تقريباً . أما الزوجة فامرأة بهية الطلعة ، ناعمة البشرة ذات شعر أشقر جميل قد لمعت فيه فلَتات من الشيب . وأما الرجل فأقصر من زوجته وإن كان يشدّ قامته ليجعلها مستقيمة كل الاستقامة ، وله عينان رماديتان ضيقتان تلمعان بالرقة والحنان .

وقالا لنا إننا اول من زارهم ، وسألانا أن نتحول من حرارة الشمس إلى ظل بيتهما الرطيب . ولم يسبق لنا ، أنا وسميثى ، أن زرنا أحداً فى مثل سنهما ، فلم نعتد الجلوس فى حجر استقبال مزينة بالرماح والأقنعة ، وعلى جدرانها صور فوتغرافية ممهورة بتوقيع أصحابها من رجال وسيدات فى ملابس المسرح ، ولا أن يقدم لنا الشاى من وعاء سمعنا أنه يسمى « الساموفار » .

وأكثر من هذا كله ، أننا لم نعتد أن يعاملنا من هم فى مثل سنهم كأننا أتراب لهم يجدون في مجالستهم بهجة وسروراً . وقص علينا الزوجان نوادر عن نيويورك ، وتجاربهما حينما كانا يمثلان فى مسرح متنقل ، بل فتحا لنا قلبهما وحدثانا عن مشاريعهما فى المستقبل ، وعن أحلامهما التى يؤمنان بأنها ستتحقق بعد أن قد قعدا عن العمل واستقر بهما المقام .

أما جورج فسيصبح مزارعا (فقد أذن لنا بأن نقتصر على أن نناديهما باسم جورج وليزا . ألسنا أول أصدقائهم ؟) وقد أعدّ جورج عدته لحرفته الجديدة ، وجمع كل منشورات وزارة الزراعة . ثم قالا لنا ، وكان هذا أكبر ما أثار اهتمامنا ، إنهما يبحثان عن طفل ليتبنياه . وقالت ليزا : « أريد بنتاً ذات عينين زرقاوين » .

وتهلل وجه جورج بشراً وقال : « لقد قدمنا الطلب منذ شهور ، وحينما مررنا بسان فرنسسكو أتممنا آخر الإجراءات » .

وقالت ليزا : « وسنقول لها دائماً إننا اخترناها هى نفسها على التخصيص » ، ثم جاءا لنا بما لديهم من كتب عن تربية الأطفال ، وقالا إنهما الآن ينتظران مجىء الطفلة ساعة تحضر الموظفة المكلفة بدراسة حالهم .

وطالت جلستنا ساعات ، فإنى لم أشعر قط بأنى ضيف جليلة القدر تلقى كل هذا الترحيب بها . وقد أخذت أثرثر كما أريد ، لا ينهنى أحد إلى أن وقت عودتى إلى الدار قد حان ، أو أن أمى تفتقدنى . ولما حاولت ليزا أن تحمل سميثى أيضاً على الكلام وسألته عن اسمه ، تملكنى الزهو لنجاحى فى الحياة الاجتماعية ، وقلت لها متعجلة إن اسمه « لويد سميث » . وقالت ليزا إن لويد اسم جميل ، وتوقعتُ أن يقع حادث ، ولكن لم يزد سميثى

على أن أدار عينيه كما يفعل مُهرنا الصغير .

ولما وقفنا نريد الانصراف سألنا جورج وليزا أن نعود لزيارتهما مراراً ، نعم مراراً ، وقبلت ليزا خدّى .

وأصبحت بعد ذلك لا أطيق الصبر عن أسرة فراندسن ، فقد سحرتنى ، إذ كانت تطلق على ما عندها من متاع وحيوان أسماء أبطال المسرحيات ، وتزعم أنها تفعل ذلك لما بينهما من شبه . وكنت إذا جلست إليهما على عتبة دارهما أخذا يرويان لى وقائع مسرحيات بأكملها ، بل كانا يمثلانها لى ، وكنت فى بعض الأحيان ألمح شبح سميثى وهو واقف فى الحديقة ينصت هو أيضاً .

ولما مات كلبنا العجوز ولم يحزن عليه أحد غيرى حملت جثته إلى أسرة فراندسن ، فإذا بسميثى يقابلنى فجأة فى منتصف الطريق ويحمله عنى ، ثم يساعد جورج فى حفر قبر كريم عند جذع شجرة فى حديقة فراندسن ، وأصاخ سميثى بسمعه إلى جورج وهو يؤبن الكلب بأبلغ خطبة سمعتها فى حياتى إذ قال :

« لا تخش منذ اليوم وَقْدة الشمس ولا لذعة أعاصير الشتاء » .

ومرت الأيام وأنا يائسة من حمل ليزا على أن تدرك أن سميثى ليس بالطفل الصغير ، إذ كانت حين تصنع الخبز ترسل إليه أرغفة صغيرة مزوقة ، وإذا صنعت كعكا جعلت من بينها كعكة صغيرة لسميثى ، وكنت أطيعها وأحمل هداياها إليه فيضعها فى جيبه وهو صامت .

فلما جاءت الموظفة يوم السبت لتفحص حالة أسرة فراندسن خرجت إلى حديقتهم حتى أتركهم وشأنهم ، فوجدت سميثى هناك أيضاً ، واختار كل منا شجرة وأسند ظهره إليها ولبثنا ننتظر . ولم أقلق لأن أسرة فراندسن أسرة سريّة بيّنة السَّراء ، وقلت لزميلى : « ومن خصالها أيضاً أنهما لا يقومان بعمل ما إلا باحتفال وفخامة .. فما أكرمهما . أليس كذلك ياسميثى ؟ »

فهمهم سميثى ولم يزد ، ولكنى لاحظت حينما مرت بنا سيارة الموظفة أنه اندفع مثلى إلى البيت ، فلم نكد ندخله حتى أدركنا أن حادثا أليماً قد حلّ بأهله .

كانت ليزا جالسة ساكنة فى مقعد كأنما فارقها الشباب والمرح ، وأخذ جورج يربت على كتفها وهو يقول لنا :

« لقد بلغ منا الكبر ، وكل من زاد عمره على خمس وأربعين لا يباح له أن يتبنى أطفالا صغاراً » .

فثار غضبى وقلت : « كان ينبغى لهم أن يعلموا ذلك من قبل ، فقد قدمنا طلباً فيه كل البيانات » .

فأحنى جورج رأسه وقال : « إن حياة أهل المسرح تمضى سراعاً ، سنة هنا وسنة هناك . والحق أننى أنا وليزا نسينا كم بلغنا من العمر . وقد أنبئنا اليوم بحقيقة عمرنا ، إن الموظفة التى جاءتنا سليمة القلب ، ولكن هذا الشرط شرط مستحدث جديد » .

وقالت ليزا وهى تتجلد : « إننى أدرك أن هذا الشرط قد وضع لمصلحة الطفل حتى ... حتى لا ينشأ بين أبوين عجوزين » ثم اندفعت تبكى .

وشعرت فجأة بأننى لست إلا صبية لاخبرة لها ولا معرفة ، وحرت ماذا أقول لأصدقائى وكيف أسرّى عنهم . ولم يسعفنى سميثى ، بل تسلل من الدار دون أن ينبث بكلمة .

فلما سمعنا بعد قليل دقًّا على الباب طارت بى الأمانى وحسبت أن الموظفة عادت أدراجها ، ولكن القادم لم يكن إلا سميثى ، وقد ارتدى أبهى حلة عنده ، وإن قصرت سراويله وبدا شكله مضحكا ، ثم التفت إلىّ بوجه مقطب غضوب ووضع على الأرض ثلاث حُزم ملفوفة فى ورق الجـرائد وصنارتين ، وقال بلهجة الواثق المطمئن وهو واقف بالباب : « لقد ألف الناس أن يتبنوا أطفالا ، فلماذا لا يحدث العكس ولو مرة واحدة ؟» ثم بدأ صوته يرتفع قليلا وقال : « إننى أنا الذى أختاركم . لقد استأذنت عمى فقبل ، لأنه يريد أن يهاجر إلى المدينة . وعلى هذا ، فإذا قبلتما ، فإنى . . . »

فاجتازت ليزا الحجرة جريا ومس وجهها المبتل بالدموع وجه سميثى وتمتمت : « لويد ! لويد ! » وكانت أكبر خشيتى أن تهم بتقبيله . وودت لو أن إنسانا أغلق الباب علينا وأظن أن جورج قد فهم ما جال بخاطرى إذ رأيته قد أخذ يصافح سميثى مصافحة الرجل للرجل ويقول له : « بل مرحباً بك مرحباً » وبدا على سميثى أنه يبذل جهداً عظيما ، ثم إذا به يسأل جورج : « أليس فى جعبتكم شىء من رسوم الاحتفال بهـذه المناسبة . ألا يحسن بك مثلا أن تحملنى لتدخل بى الدار ؟ » ففتحت فمى أقول : « ولكن هذا احتفال لا يقام إلا للأ ... » ، ولكنى لم أتم كلامى .

ولا أظن أن فتاة فى الثانية عشرة يبلغ من إدراكها أن تتأثر بمثل هذه المشاهد ، ولكنى أعلم أن قلبي قد خفق فى ذلك اليوم ولم تسعفنى الدموع ، وأخذت أغالب غصة غلبتنى وأنا أراقب جورج فراندسن وهو منحن يرفع فوق ظهره ذلك الصبى الطويل وقد تدلت قدماه على جنبيه كيفما اتفق . وحمل جورج سميثى برفق وحذر ، واجتاز به عتبة الباب ودخل المنزل ، وسمعت جورج يقول : « ثم ماذا يا بنىّ ... ؟ »



سان مارينو
ديمقراطية مصغرة عريقة

ارفنج والاس

مختصرة من مجلة "كوزموبوليتان"

على نحو ١٢٠ ميلاً إلى الشمال من رومة، وجد بعض جنود الحلفاء، يوم كانوا يشقون طريقهم فى الحرب من أواسط إيطاليا إلى شمالها، سلسلة من اللافتات كتب عليها: «قف، هذا بلد محايد!» وكانت هذه اللافتات تحدق بقاعدة جبل ذى قُنَن ثلاث.

وكان على مقربة من إحدى هذه اللافتات حارس مسلح ببندقية عتيقة، وكان يرتدى ثوباً غريباً يصلح للمسارح الغنائية الهزلية ويتكلم رطانة عجيبة، ولكن بدا للجنود مما تبينوه فى رطانته من جُمل إيطالية ركيكة كأنه يقول: «لا تتعدوا هذه الحدود! فسنقاتل دفاعاً عن حريتنا»

وقد أوضح جندى مثقف سرّ ذلك فقال: «لقد بلغنا سان مارينو»

ولكن الجنود الآخرين لم يفهموا معنى ما قال، فأفاض فى القول:

«أنا من هواة طوابع البريد. وكلنا نعرف سان مارينو، فهى أقدم جمهوريات العالم وأصغرها، ولا تزيد مساحتها على ٣٨ ميلا مربعاً، وهى واقعة على جبل تيتانو على جانب البحر الأدرياتيكي من سلسلة جبال الأبنين. ومهمتها الأولى أن تصنع طوابع بريد تبيعها للمولعين بجمعها».

فالجنود الحلفاء الذين عثروا على سان مارينو، شاهدوا غريبة من ألطف غرائب الأرض. والمرء لا يجد فى سان مارينو شيئاً يزعج كمثل ورق النقد، أو ضرائب الدخل أو الدين القومى. أما الضريبة المفروضة على العقار فلا تزيد على ثلث ريال فى السنة تجبى من كلّ بيت ذى ست غرف، وليس فيها أضواء لضبط حركة المرور ولا تذاكر يعطيها رجال الشرطة لمن يخالف قواعد الحركة، لأن سيارات الدولة كلها لا تزيد على سيارة واحدة. ولا يرى فيها ساعات كبيرة أو صغيرة جعل الوقت على مينائها اثنتى عشرة ساعة، بل يرى جميع الساعات مقسمة إلى أربعة أرباع. وفيها أجهزة راديو لالتقاط الإذاعات.

ولكن ليس فيهـا محطات إذاعة ، وفيها طوابع للبريد الجوى ولـكن ليس فيهـا طائرات . وفيها أيضاً تمثال لبطل من أهلها لم يُقم له لـكى يخـلد فتوحاته ، بل لأنه أبى ما عرضه عليـه نابليون من زيادة فى مساحة أرض بلاده .

بيد أن سان مارينو ليست مجموعة من الغرائب وحسب ، بل هى معرض مصغر فى أوربة التى مزقتها أهواء السياسة ، تعرض فيه بضاعة ديمقراطية مضى عليها ستة عشر قرناً تقريباً .

ويطلقون على الهيئة التى تحكم الجمهورية اسم «المجلس الـكبير» ، وهو شبيه بمجلس النواب ، وعدد أعضائه ستون رجلا . وحق النيابة قاصر على الذكور ، ومن انتخب منهم عضواً فى المجلس الـكبير بقى فيه ستة أشهر ، وله أن يعاد انتخابه . وفرض واجب على جميع الذكور أن يقترعوا فى الانتخاب لـكى يكون الانتخاب معبراً عن رأى الجماعة التى يبلغ عددها ١٤٫٥٤٥ نفس . ولما كان ٨٠ فى المئة من الرجال أميين ، ترى الدولة تعين الأميين منهم ، فتقف بنات المدارس بملابسهن البيض قرب صناديق الانتخاب ويسدين يداً إلى الناخبين ، فيدوّنّ لهم ما يطلبون تدوينه فى أوراق الانتخاب المطبوعة . وقد قال أحد أهل سان مارينو فى سذاجة فاتنة : « إن الفتـاة الصغيرة أطهر شىء على وجه الأرض ، ولن تخدع رجلا يأتمنها » .

ويعين المجلس الـكبير اثنى عشر رجلا من أعضائه ، فيؤلفون مجلس أعيان أو مجلس شيوخ . وعلى أن المجلس الـكبير لا يشغل نفسه إلا بالموافقة على قانون فى الحين بعـد الحين ، أو بإصدار العفو عن مجرم ، ترى مجلس الشيوخ يرشح اثنى عشر رجلا من كبار القوم لأسمى منصبين فى الجمهورية — منصب حاكمى الجمهورية أو الوصيّين عليها.

ومنصب الحاكم أو الوصى يقلّ الزحام عليه . فمدته ســتة أشهر ، ومرتبه خمسة ريالات فى الشهر ، فإذا أبى أحدهم أن يقبل الترشيح فرضت عليه غرامة كبيرة . ومتى رشح المرشحون لهذين المنصـبين خفض عددهم بالاقتراع إلى ستة . ثم تجعل الأسماء الستة ثلاثة أزواج ، ويتولى قسيس وضعها فى إناء من الفضـة ، ثم يجتمع حفل عام ويعهـد إلى صبى أعمى بسحب اسمين — فيصير صاحباها حاكمى سان مارينو الجديدين ، ويتوليان الحكم شركة بينهما .

أما سائر كبار الموظفين ، فإن أهل سان مارينو يطلبونهم من خارج حدود بلادهم ، لأن التصاهر بين الأسر يكثر التحيّز والعصبية . فلذلك ترى جمهورية سان مارينو تستورد من الخارج قوة الشرطة المؤلفة من

١٢ رجلا وقاضيها المدنى الوحيد ، وفسيسها وأطباءها الثلاثة . وتدفع الدولة مرتبات الأطباء ، ويعالجون جميع السكان مجاناً .

أسس هـذه الجمهورية رجل يدعى مارينوس ، كان من أهل دلماسيا ويشتغل بقطع الحجارة، وقد جُعل قديساً بعد وفاته فى سنة ٣٦٠ ميلادية . وقد كانت كلماته الأخيرة : « إنى أفارقكم يا قومى أحراراً لايستعبدكم إنسان » .

ويوم كان نابليون بونابرت يقسم شبه الجزيرة الإيطالية بين أقربائه عثر على سان مارينو ، فأتوه بجماعة من أهلها لتقص عليه تاريخ الجمهورية ، ففتن بما سمع ، فلم يكتف بأن أذن ببقائها كما هى ، بل عرض عليها أن يزيد مساحتها. وتذكر حاكمها يومئذ وصية مارينوس : «لانريد شبراً واحداً من أرض غيرنا ، ولا ننزل عن شبر واحد من أرضنا » ، فرفض ماعرض عليه .

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى ، ظلت سان مارينو على الحياد، ولكن أهلها اكتتبوا بسبعة آلاف ريال لجرحى الحرب ، وبعثوا إلى الميدان الغربى بوحدات طبية وفى أواسط الحرب تطوع خمسة عشر منهم فى الجيش الإيطـالى . فأسر النمسويون ثلاثة منهم فسخطت سان مارينو ، فأعلنت الحرب .

وفى السنوات العشر السابقة للحرب العالمية الثانية ، ضاق موسولينى ذرعاً بهذه الرقعة الصغيرة من الأرض التى ترمز إلى الحرية فى عقر داره. ولو غزاها موسولينى لما أجدى عليه غزوها شيئاً يعوضه من سوء السمعة التى يثيرها هـذا الغزو ، فعمد إلى الوعيد والرشوة حتى حملها على أن تضيف حزباً فاشيًّا إلى أحزابها السياسية . ويوم قصدت حكومتها إلى رومة فى طلب شرطتها وقاضيها دبّر موسولينى الأمر حتى يكون هؤلاء الموظفون الكبار من الفاشيين . فأذعنت سان مارينو لهذا الضغط حرصاً على البقاء .

فلما احتفل أهلها فى سنة ١٩٣٧ بعيد الاستقلال الأمريكى — ٤ يوليو — كما جرت عادتهم ، طلبوا من السفير الأمريكى فى رومة ، وليم فيلبس، أن يشهد الاحتفال. وكان القرار أن يختم الاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال بطل ، فتوقع الفاشيون أن يكون تمثال عظيم من عظماء رومة ، ولكنهم وجدوا تمثالا لأبراهام لنكولن .

واسم لنكولن هو أشهر اسم أجنبى بين أهل سان مارينو . ففى مستهل الحرب الأهلية الأمريكية ، خلع أهل سان مارينو على الرئيس لنكولن لقب «مواطن فخرى» فى جمهوريتهم ، وقد ردّ عليهم لنكولن بتاريخ ٧ مايو ١٨٦١ فقال :

« إن أرضكم صغيرة ، ولكن دولتكم

من أجلّ الدول جلالا فى التاريخ ، فقد أقامت الدليل الحافل بآيات التشجيع لأصدقاء الإنسانية، على أن الحكومة القائمة على المبادىء الجمهورية ، يمكن أن تدبر شئونها تدبيراً يجعلها آمنة راسخة القواعد »

وفى سبتمبر ١٩٤٠ قام الحاكمان اللذان عينهما الحزب الفاشى ، فأرغما جمهورية سان مارينو على أن تعلن الحرب على بريطانيا. وبعد شهر وفد على السفارة الأمريكية فى رومة وافد غريب ومعه رسالة ، وتوسل أن ترسل هذه الرسالة إلى ونستون تشرشل، وقد كانت عريضة سرية وقعها ألوف من أهل سان مارينو ، وقد جاء فيها :

« لقد أرغمتنا يد موسولينى الحديدية أن نعلن الحرب على الحلفاء، والقول بأننا يد مع المحور قول باطل . فلتحى الحرية »

وقد عادت سان مارينو الآن ، قادرة أن تقف نشاطها الكامل على طوابع البريد. إن أهلها يربون المواشى، ويعتصرون النبيذ من العنب ويقطعون الأحجار ، ولكن الدخل الذى تجنيه من طوابع البريد هو الذى يوازن ميزانيتها القومية ، ويوفى نفقة بنك التعاون المتبادل الذى يساعد الفقراء ، والمخزن التعاونى حيث يباع النبيذ بتكاليفه وحسب ، وأيضاً نفقة المخبز العام حيث تخبز الحكومة الخبز وتبيعه بسعر الجملة ، ونفقة مخزن للحبوب يبيع الدقيق بأقساط طويلة الأجل ، ومرتب الطبيب العام ، ويبطرى الحكومة . وتنهض الحكومة أيضاً بنفقات مدرسة ثانوية ، وبنفقات جامعة سان مارينو الصغيرة .

ومع ذلك ترى سان مارينو برغم طوابعها بلداً فقيراً . ومنذ ثمان وسبعين سنة أراد فريق من كبار أهل المقامرة فى العالم أن ينشئوا فيها نادياً للميسر يكلف مليون ريال وينافس كازينو مونت كارلو . ورأى فئة من أهلها أن هذا المشروع قد يكفل للحكومة مالاً يعينها على رفع مستوى المعيشة. ولكن أحد الحاكمين قال : « إن الذكر الحسن فى الدول الحرة لا يصونه الرخاء المادى ، وإنما يصونه جماع الفضائل العظيمة التى يتخلق بها جمهوريون أعزة أشراف يعرفون كيف يصرفون وجوههم عن الثراء »

وعُرض الأمر للاقتراع عليه ، فرفض مشروع نادى الميسر بأغلبية ساحقة .

ولا تزال سان مارينو اليوم كما نت من قديم الزمن تؤثر أن تظل على فقرها عزيزة الجانب شريفة النفس .

عبرة الجورب القديم

فيكي باوم

يوم كنت في الخامسة من عمري جربت أن أتعلم السباحة ، فانقطع الحبل الذي أمسكت به حتى أظل عائمة في الماء ، فشلّ الخوف أوصالي ، فغرقت إلى قعر البركة ، فانتشلوني ولكنني ظللت سنين كثيرة أحس كلما حاولت أن أسبح ، أن قلبي يخفق وأوصالي تتقلص ونفسي ينقطع .

وكان الناس يصيحون بي : « استرخي قليلا ، دعي بدنك يطفو في الماء » ، ولكن أحداً من هؤلاء الناس لم يبين لي كيف أسترخي ، فلم أتعلم السباحة .

ويوم كنت في التاسعة صرت أعزف على القيثار ، وكنت أحسن العزف حتى وقفت على المسرح في حفلة موسيقية ، فإذا هيبة الناس قد أخذت عليّ مذاهبي ، فجمدت أصابعي ، وصارت القيثارة بين يدي قاسية النغم بليدة الرنين ، وظلّ معلمي من وراء الستار ، يومىء إليّ بيديه ، ويهمس : « دعي أصابعك مسترخية . استرخي » ولكنني كنت أجهل كيف أسترخي .

وفي نحو ذلك الزمن كان هناك رجل شيخ ضئيل الجسم يلبس ثياباً قديمة رثة مضحكة التفصيل ، وكان يذهب إلى الحديقة العامة حيث يلعب الصغار ، فيطعم العصافير وكان من دأبه أن يجلس ساعات متوالية على المقعد يراقبنا ونحن نلعب ، ويتندر معنا ويروي لنا النكات التي نحبها ، ويقذف إلينا كرتنا برشاقة عجيبة حين تبعد عنا ، وقد طلب إلينا أن نسميه « عم بيتر » . فلما عرفنا أنه كان في زمانه مهرجاً مشهوراً ، زادت روعته في عيوننا وصرنا نحتشد من حوله متلهفين على مرضاته .

وعثرت يوماً فسقطت ، فلما ضمني عم بيتر بين ذراعيه ورفعني عن الأرض كان الدم يسيل من ركبتي وانصدع رسغ يدي .

فقال : « لقد أصبت بأذى لأنك

فيكي باوم نسوية الأصل أمريكية الجنسية من أشهر كاتبات القصة ، وقد ذاع صيت رواياتها « جراند أوتيل » التي عرضت في السينما « وأوتيل برلين ١٩٤٣ » و « الغابة الباكية » وهي قصة المطاط منذ عرف إلى أن صنع صنعاً وتعددت وجوه الانتفاع به . والإشارة في العنوان إلى الشجر الذي يسيل منه لبن المطاط الطبيعي .

لا تعرفين كيف تسقطين . وهـذا أول ماينبغي أن تتعاميه في الحياة — أن تسقطي دون أن يلحقك أذى . سواء سقطت عن كرسي ، أو عن جـواد ، أو عن ذروة النجاح . ويوم كنت في مثل سنك ، كنت قد سـقطت عشرات المرات ، حتى لكأن كل عظمة من عظامي قد صدعت أو كسرت ، ثم تعلمت أن أسقط دون أن تنكسر عظمة من عظامي . فدعيني أعلمك يابنيتي »

وفي ذلك الصيف علمني الحيل الأولى التي يتعلمها الأولاد الذين يلعبون في « السرك » ألعاب البهلوان ، كالقعود على الأرض منفرج الساقين وكالانقلاب على الرأس .

وفي وسعك أنت أن تلعب هذه الألعاب إذا عرفت كيف تسترخي . ولـكن عم بيتر لم يصح بي : « استرخي » كما كان الناس يفعلون ، بل علمني كيف أسترخي .

قال : « تصوري أنك لست سوى جورب قديم هالك متهافت بعضه على بعض ، أفهمت ما أقول ؟ ومتى كنت جورباً قديماً ، صار في وسعك أن تسقطي دون أن تحسي ألم السقوط ، والجوارب القديمة لاتؤذَى ولا تكسر ، وهذا هو السر كل السر . فلنلعب الآن لعبة الجورب القديم ، لاتقاومي . هذا بدنك رخوٌ كله متهافت ، لا تدَعي عضلة من عضلاتك مشدودة » . ثم رفعني عن الأرض ثم أفلتني لأقع عليها ، فلم أصب بألم أو أذى . فتعلمت درسي الأول .

وقد كان ذلك الدرس من أبلغ الدروس التي تعلمتها في حياتي . وقد أخـذتُ عقلي وشعوري فيما تلا من حياتي بنفس النظـام الذي دربني عليه عم بيتر .

ومعظم الناس يحاول أن يسترخي في فترة الراحة ، ولـكنني عرفت بالتجربة أن خير ماتعمل يتم لك عمله وأنت مسترخٍ ، فإذا استعصى عليَّ أمر وأنا أكتب قصة ، أو إذا نسيت شيئاً ، أحيل نفسي بالتفكير إلى جورب قديم ، فيستقيم لي كل ما أريد . وإذا ما واجهت مشقة أو اشتدت علي محنة ما ، كالقيام برحلة مرهقـة أو فقد عزيز ، أو الشعور بخطر أو ألم — رأيتني أطبق نظام « الجورب القديم » على نفسي فأجدني قادرة على احتمال ما تأتيني به صروف الأيام .

ويوم كنت في الخامسة عشرة حمـلوا أمي إلى مستشفى لـكي تعالج بجراحة ، وكان أمل الأطباء في نجاح العلاج ضعيفاً ، فلبثت أنتظر انتهاء الجراحة منقبضة متلهفـة ، وكان بدني يرتعش ، وكانت يداي باردتين خدرتين ، وكان كل عصب في بدني كالوتر المشـدود يؤلمني . ثم تذكرت عم بيتر ، وكدت أسمع صوته يغريني بأن أحيل جسمي إلى جورب قديم . فبدأت أسترخي ،

وأفرغت من نفسى كل ما فيها من مخافة . وساعة بدأت أسترخى أخذ الدفء يدب فى يدىَّ ، وزال عنى شلل الخوف ، وانثالت على عقلى الخواطر الجديدة ، كأنها أقبلت لتملأ فراغه . فطلبت من الممرضة أن تأتينى بورق وقلم ، وأنشأت أكتب أقصوصة .

وظللت أكتب ، غير شاعرة بالزمان والمكان ، حتى عادوا بأمى من حجرة الجراحة . لقد جزت المحنة ، فجلست قرب سريرها وهى لا تزال فاقدة الوعى ، ومضيت فى الكتابة ، وعلى كثرة ما كتبت لا أذكر أن الكتابة انقادت إلى طيّعة ميسرة كما انقادت إلىَّ فى تلك الساعات الفظيعة .

وقد ظفرت قصتى فيما بعد بالجائزة الأولى فى مباراة ذات شأن ، فكانت الخطوة الأولى فى حياتى الأدبية .

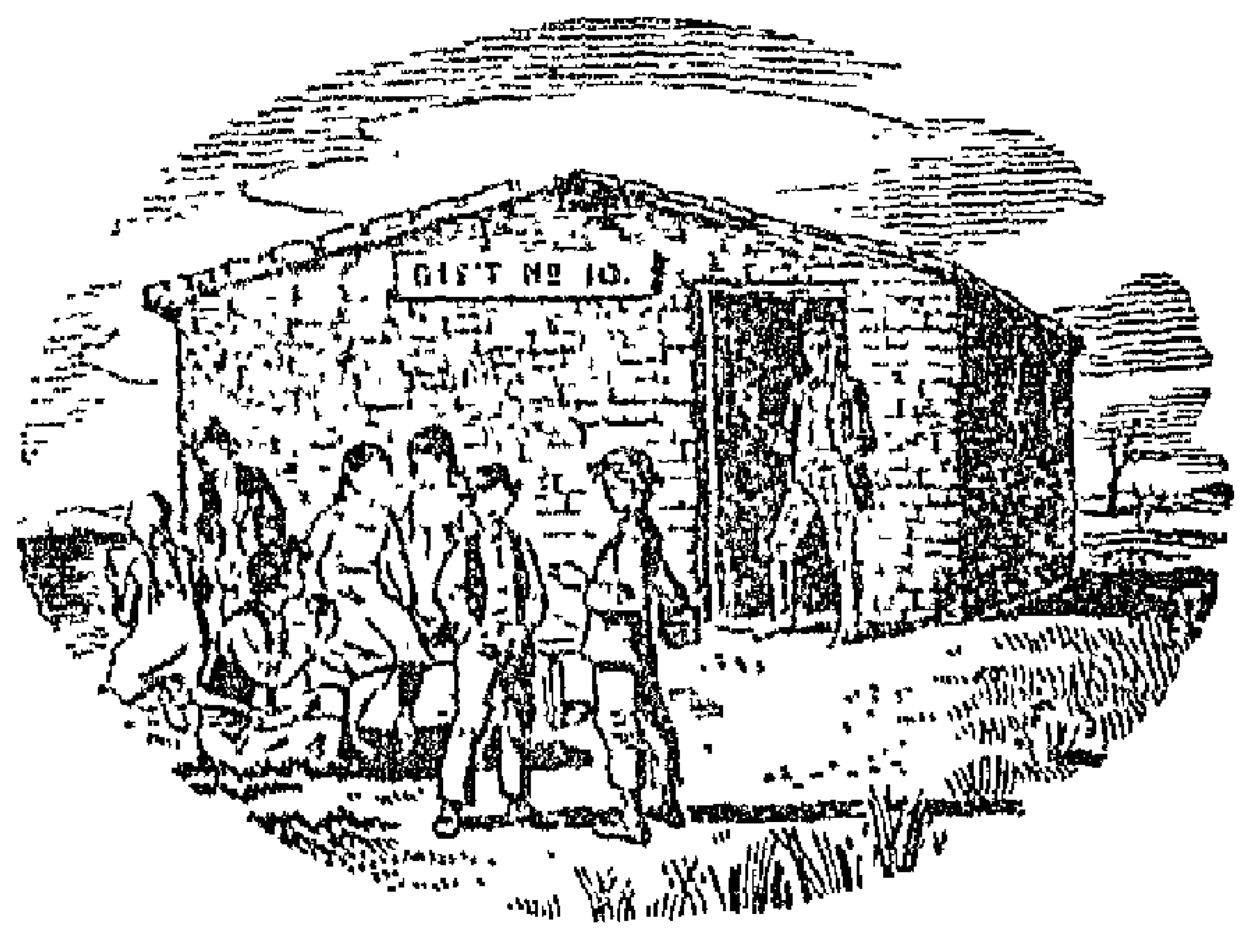
والاسترخاء التام ليس ملاذ الخلاص فى أزمات الحياة وحسب ، بل نحن نحتاج إليه كل يوم . فإذا كان يسرُّك أن تجد موقعاً حسناً فى قلب أحد من الناس ، فاسترخ . وكل أهل الأثرة والأنانية ، لا يعرفون ما الاسترخاء ، وبذلك يثقلون على قلوب الناس . وإذا وضعت نفسك موضع الجورب القديم سهل عليك أن تستجيب لأفراح الناس وأتراحهم ، فيحبونك من أجل ذلك . وإذا ما ذهبت تطلب عملا ، أو إذا استقبلت ضيوفاً فى دارك ، أو إذا قعدت مقعد السائق فى سيارتك ، أو إذا هممت بتعليم ابنك فأرجوك أن تسترخى — كن جورباً قديماً واسترخ . ونحن نعجز عن أن نحسن شيئاً إذا كان العضل منقبضاً والعصب كالوتر المشدود — سَلْ أهل الرقص والغناء والفن والرياضة والملاكمة والطيران والإبداع فى أى ناحية من نواحى الحياة ، ينبئوك بما للاسترخاء من قيمة عظيمة .

وفى وسعك أن تدرِّب نفسك على أن تسترخى . والخطوة الأولى هى أن تبسط سلطانك على نفسك وأن تتبين كل انقباض فى بدنك ، وأن تكون قادراً على أن تحل العضل المنقبض من عقاله على الفور . البس مَنَامتك واستلق ، وأرخ كل عضو من أعضائك . ثم ابحث عن العضلات الصغيرة التى لا تزال متوترة . فإذا ما أرخيتها رأيت نَفَسك قد صار بطيئاً ، وأن بدنك قد صار فراغاً ، فتحس أن أعصابك قد سكنت . فإذا ما رضت نفسك على ذلك ، صار فى وسعك أن تسترخى فى كل وقت وفى كل مكان .

وأنا أرى أن أسلوب الجورب القديم يهوّن على كل امرىء كل مهمة شاقة يواجهها . وأستطيع أن أتصور نفسى فى النزع الأخير ، مسترخية ساكنة النفس ، فأقول : « لست سوى جورب قديم يارّباه ، فاقبضنى إليك » .

منذ ستين عاماً ، زهد برنارد فى الثروة والراحة ليعلم الريفيين ، وهو الآن فى الثالثة والثمانين ولا يزال يعمل ويحب العمل .

معلّم عظيم



رالف ولاس

مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

إذا كان التوفيق الدائم يعد ثروة ، فإن هوارد برنارد ، من أبناء لاكروس بولاية كنساس، يعد عظيم الثراء . وقد كان منذ أكثر من ستين عاماً مضت راعى بقر مفلساً فى سهول كنساس التى تعبث بها الرياح ، وهو اليوم فى الثالثة والثمانين ولايزال غير ذى مال ، ولكنه يعد من أعاظم رجال التربية فى تاريخ مدارس أمريكا الريفية .

وقد جعلته ابتكاراته في التعليم أشبه بإديسون ، فوضع مناهج للزراعة العلمية حين كان معظم الزراع يسخرون من هذه الفكرة ، وأصر على التربية البدنية للبنات حين كانت النساء لاتفكر فى رياضة أشق من شغل الإبرة ، وشجع التدريب العسكرى قبل أن يوجد نظامه فى المدارس بنحو ربع قرن ، وأسس مكتبة من أولى المكتبات للمدرسة الريفية ، ثم توج أعماله فى ١٩٠٦ حين أنفق كل قرش من ميراث جاءه على غير انتظار لبناء ما يعد تمهيداً للمدرسة الحديثة الموحّدة ، فازدهر يومئذ لأول مرة ، مركز تعليمى للجماعة فى سهوب الغرب الأمريكى الموحشة .

وقد وصف الثقات ابتكارات برنارد بأنها من أهم أعمال التربية الريفية ، ولكنى أشعر أن هذا الوصف لما منح تلاميذه ، يقصر كل القصور عن إيفائه حقه — فقد منحهم نفسه . وكان هوارد برنارد رجلاً رقيق القلب عظيم الغيرة ولكن فى سبيل غيره ، فأولى الغنى والراحة ظهره عامداً ، ليعلم رعاة البقر الأميين وأطفال الرواد فى مقابل مرتب لم يجاوز قط ٦٧ ريالا ونصف ريال فى الشهر . مرتب ؟ إنما كان ذلك صندوق ادخار للأطفال الذين يعلمهم، فما من مدرسة ريفية تولاها برنارد وفاتها أن يكون لها أرغن اشتراه لها من مدّخره اليسير ، أو مبنى جديد يضم إلى القديم يقيمه هو بيديه،

أو أحدث الكتب وصحف المدن الكبيرة فى حافظات أنيقة ، وعلى رفوف جميلة .

ولد هوارد بمدينة نيويورك فى عام ١٨٦٣ وكان أبوه سمساراً غنياً يجبى المال ، وكانت أسرته كلها مفتونة بالتربية ، فأحد أعمامه ، ظل زمناً طويلا رئيساً لجامعة كولومبيا ، وإليه يرجع الفضل الأكبر فى تأسيس كلية برنارد للبنات ، وله عم آخر ، كان أول مدير للتربية في الولايات المتحدة وقد أعان على تقرير المنهج للمدارس الأمريكية جميعاً .

وكان هوارد فتى خجولا كثير القراءة ، تولى المؤدبون أمره أولا ، ثم أرسل إلى المدارس الخاصة الفخمة ، وزار فى أوليات العقد الثانى من عمره معرض فيلادلفيا المئوى حيث شاهد وهو مبتهج معروضات تصور الحيـــاة فى أقاليم الغرب ، فآلى فى التو والساعة ليذهبن إلى كنساس .

وفى عام ١٨٨٤ تسلل خارجا من البيت ببضعة ريالات ادخرها من مصروفه ، وانضم فى إلينوى إلى جماعة فى مركبة روّاد ولكنه ضل عنهم قرب سنت لويس إذ ذهب يتمشى منحرفاً عن الطريق ، وغلبه النوم ، فخلفوه فواصل السير وحده ، وتمزق حذاؤه ، ولكنه احتفظ بالكتب سليمة فى جعبته .

وأخيراً حصل على عمل فى رعى البقر قرب لاكروس على الحقول المترامية فى الجانب الغربى من ولاية كنساس ، وكان أجره ثمانية ريالات فى الشهر ، وألفى الفتيان الرعاة الذين كان يلقاهم ظماء إلى المعرفة والتعليم ، فأنشأ أولى مدارسه .

وكانت السماء سقفَ المدرسة ، ومقاعدها ومكاتبها الحشائش التى ترعاها الأبقار ، فكان الرعاة المكدودون والأطفال المدهشون يجتمعون ظهراً ليتعلموا القراءة والكتابة من أول رجل متعلم صادفوه . وكان هوارد صغير الجسم — طوله خمس أقدام وثلاث بوصات ، ووزنه ١١٠ أرطال — ولكنه كان يسيطر على زملائه الجُفاة بفضل شغفه هو بالتعلم . وكانت الكتب المدرسية هى المؤلفات المشهورة التى حملها معه فى جعبته ، وكان الطلبة يكتبون دروسهم على ورق اللف الذى يستعمله البقالون .

واستمرت هذه المدرسة العجيبة عامين ، ثم جاء الإعصار الثلجى الكبير فى ١٨٨٦ فلم يبق لمن كان يعمل له هوارد سوى ١٢ من ١٢٨ رأس من الماشية ، وذهب مال الكثيرين وحاق بهم الخراب ، فرحلوا عن كنساس إلى غير رجعة ، واستطاع هوارد أن يدبر من المال مايكفى لتذكرة إياب .

ولما عاد إلى أهله أصر على رأيه ، وعجز أبواه عن إغرائه بالمال والرفاهية فى نيويورك ليبقى ، فإن هؤلاء الأطفال أبناء الرواد يجب أن

يتعلموا ، وبعد أشهر عاد إلى لاكروس واجتاز امتحان المقاطعة بأسمى درجة نالها طالب ، ونال إجازة التدريس .

وكانت أولى مدارسه كوخاً حقيراً كان الماء يقطر من سقفه إذا أمطرت السماء ، وكان التلاميذ ، حتى الكبار منهم ، لايكادون يقرأون أو يكتبون. وعرض مفتش مدارس بزهو ، على هوارد مسألة فى الحساب عجز مدرسو المنطقة عن حلها ، فألقى هوارد عليها نظرة دهش — فلا المفتشون ولا المعلمون أصابوا من التعليم ما يعرفهم أن هذه المسألة « الحسابية » من الجبر !

وفى السنوات القليلة التالية صار هوارد أعجب مدرس شهدته كنساس ، فقد كان فى بعض الأحيان لايأكل إلا ثلاث مرات في الأسبوع ليدخر ما يكفى للاشتراك لتلاميذه فى جريدة نيويورك سن ، ومجلتي بوبيولار سينس ، وناشونال جيوجرافيك وغيرها . وكثيراً ما كان فى وقت الإجازات يرحل على قدميه ، وينام فى أكوام الدريس ويستجدى الطعام ، مسافة ٣٠٠ ميل إلى توبيكا ليحصل على كتب فى أساليب التعلم الحديثة .

وكان فى الصيف فى أوقات الفراغ من عمله فى الحقول ، يصلح المكاتب المحطمة ، ويوسع فصول مدرسته لكثرة التلاميذ . وفى حينما يعلم يظهر أرغن جديد ، وتعلم تلاميذه أن يغنوا ألحان الأطفال وأناشيد بارح وأغانى جوقات الأوبرا . ولم تكن إجازة تمضى بغير أن يقيم حفلة مدرسية يوزع فيها مرطبات يأتى بها من القليل الذى يدخره . ولم يلاحظ أحد ، على مايبدو ، أن برنارد فى فصول الشتاء كان يمشى على الثلج فى حذاءين رقيقين ملفوفين فى هلاهيل . فما كان لهمال حتى يشترى به حذاء ثقيلا .

وكانت مجالس إدارة المدارس الإقليمية المختلفة تضحك وهى خجلة فى سرها من برنارد الشاب ، وكيف أنه يقبل أن يتولى مدرسة بمرتب ضئيل سخيف ، ولكن برنارد كان يريد أن يبين لكل إقليم كيف ينبغى أن تكون المدرسة . وكان فى آخر كل فترة مدرسية يلقى دروساً فى مدارس المعلمين بالولاية ، فكان يعلمهم الأساليب الحديثة ، ويبث فى نفوس الطلبة الرغبة فى بذل جهود جديدة . حدثنى مفتش مقاطعة قال : « الواقع أنى أخذت عن برنارد من الرياضيات فى مدرسة المعلمين أكثر مما تلقيت فى الجامعة » .

وكان برنارد يقصد كل شهر إلى بنك لاكروس ويطلب دائماً طلباً واحداً لايتغير : « سلفة » مقدارها ١٦ ريالاً ترد عندما يقبض مرتب الشهر التالى . فظل عشرين عاماً مديناً للبنك بستة عشر ريالا . ولكنه

هذا الاعتماد الدائر كان دائماً ينفق — دون أن يعلم أحد — فى مساعدة غيره : كأن يؤدى أجر الغرفة وثمن الطعام لمدرس مكروب فى معهد المعلمين ، أو ليهدى دائرة معارف أطفال جديدة لمدرسته الإقليمية .

وكان برنارد لايتحدث أبداً عن متاعبه، ولا أخبر أحداً بالسبب الذى جعله يلبس حذاء من اللبد صيفاً وشتاء ، وكان طبيب القرية هو وحده الذي يعرف أن الجمد أصاب قدمى برنارد وأنه آذاها بالمشى إلى توبيكا ليجىء بكتاب فى الفلك رأى أن أطفاله يحتاجون إليه .

وبعد أن قضى عشرين عاماً وهو يعلم صارت له فلسفة فى مساوىء التعليم الريفى فى أمريكا . فالمعلمون يظلون غير صالحين لأنهم يأخذون أجوراً دون الكفاية ، والمدرسة ذات الغرفة الواحدة لاتستطيع أن تزود منطقة زراعية موحشة بالتسهيلات الثقافية والرياضية . ولما لم تكن هناك مدارس ثانوية فإن البنين والبنات من أبناء الزراع إما أن لايتلقوا تعلما ثانويا ، وإما أن يذهبوا إلى أقرب بلدة أو مدينة ، وهناك يحدث كثيراً أن يقطع مابينهم وبين الحقول إلى الأبد . والعلاج كما رآه برنارد ، هو أن يجمع عدد من المراكز معاً فى مدرسة كبيرة واحدة .

وبدا الأمر لهذا المعلم المتحمس الضاوى الذى قارب الكهولة ، كأنه حلم مستحيل ، فإن التفكير الحديث فى أمور التربية لم يتقدم كثيراً ، ولا مال هناك لمثل هذا المشروع ، وإذا برسالة تجىء من نيويورك تقول له إنه ورث نحو ١٨٠٠٠ ريال !

فخيل إلى برنارد أن دعاءه قد استجيب ، فاشترى على مسافة ١٨ ميلا إلى الشمال الغربى من لاكروس عشرة فدادين من الأرض ، وكلف مهندساً أن يضع رسماً لمدرسة لم تر هذه المنطقة الموحشة من الغرب نظيرها من قبل — بناء ضخم أبيض ذا طبقتين ، تكون فى أدناها حجرات القسمين الأولى والمتوسط ، وفى أعلاها حجرات المدرسة الثانوية وردهة الاجتماع والمحاضرات. وأعد برنارد ست مركبات نقل تجرها الخيل لتقل التلاميذ من المدرسة إلى البيت ، ومنه إلى المدرسة . وجهز المكان بتلفون — أعجوبة الريف — للاتصال بلاكروس عند الطوارىء ، ومهد فضاء للألعاب الرياضية ، وأقيم فيه مدرج لثلاثمئة شخص . وزود البناء بنظام للتدفئة ، وبيانو ضخم ، ومسرح وغرف لثياب التمثيل ، وإضاءة كافية — وتلك كانت معجزة يومئذ — من مصابيح بنزين جديدة براقة استوردها برنارد .

ولكن برنامج التعليم الذى وضعه برنارد

لمدرسته الجديدة التي سماها «أنترنو» — أي «فيما بيننا» — هو الذي أحدث الضجة في تلك النواحي، وراح الآباء يحدقون في البرنامج الذي يشتمل على التربية الوطنية، وإمساك الدفاتر، وعلم وظائف الأعضاء، والعلوم المنزلية، والموسيقى. واستخدم برنارد ضابطاً سابقاً في الجيش للإشراف على الألعاب الرياضية والتدريب العسكري، وألف فرقة من البنات للعبة كرة السلة.

وكان على برنارد وهو يدرس الزراعة العلمية أن يحسن التدبير والحيلة، لأن اعتراض الآباء كان عاماً على مثل هذه «البدع»، فأفرد فداناً للزراعة بعد الفراغ من المدرسة، و«أذن» للبنين والبنات أن يجربوا زرع خضر ومحاصيل جديدة، وهناك تعلموا أحدث التطورات في الزراعة.

وجعل مرتبات المعلمين أعلى ما في الولاية كلها — وكان بعضهم يتقاضى ضعفي المرتب المقرر عامة. وكانت هيئة التدريس مؤلفة من سبعة، يضاف إليهم حارس وستة سائقون. وفي العام الأول لم يدخل القسم الثانوي سوى تلميذ واحد — فتاة، ولكن عشرة التحقوا بالقسم في العام التالي، فضلا عن ستين تلميذاً آخرين، واضطرت المدرسة المجاورة ذات الحجرة الواحدة أن تغلق بابها، وتقبل برنارد تلاميذها وهو مغتبط.

وجعل برنارد مدرسته مركزاً اجتماعياً وثقافياً لما حولها، وكان الوعاظ يفدون كل أحد وجمعية الأخلاق تعقد كل أسبوع. وفي الصيف تقام حفلات اجتماعية تعزف فيها الموسيقى وتقدم المثلوجات، وفي الشتاء عشاء المحار. حدثتني سيدة متزوجة في القرية قالت: «كان هذا قبل عهد الراديو والسيارات التي تحملك إلى المدن، فصارت «أنترنو» أضوأ نقطة في حياتنا، وعلمتنا أن حياة الريف يمكن أن تكون مسلاة».

وأقبل رجال التربية من كل فج في أمريكا ليزوروا مدرسة برنارد ويدرسوا أساليبه، فكان من آثار عمله التعجيل بإقامة المدارس الموحدة، فبعد إنشاء مدرسة أنترنو بأربع سنوات، سنّت ولاية كنساس أول قانون لإنشاء هذه المدارس. وبعد سنة — في ١٩١٢ — نفد دخل برنارد، وأغلقت المدرسة ولكنها حققت الغاية منها: إنشاء هذا الطراز من المدارس. وكان برنارد في التاسعة والأربعين من عمره، وقد نهكه التعليم نحو ثلاثين عاماً، فصار أمين مكتبة في مدرسة لاكروس الثانوية.

وبعد ربع قرن كامل نال برنارد الاعتراف العام بفضله، فأغلقت مدارس البلاد احتفالا بيومه، وعزفت الموسيقى، وكان استعراض وكانت خطب، ووقف

برنارد أمام دار كتب جديدة جميلة بُنيت في المدينة ينحنى فى حياء، حين هتف أصدقاؤه — ومئات منهم تلاميذ سابقون له — وقد وضعت لوحة من الحجر على الباب حفرت عليها هذه العبارة البسيطة : « مكتبة برنارد ١٩٣٧ » .

وقد زرت برنارد منذ عهد قريب ، فألفيته فى الثالثة والثمانين يعمل أميناً لكل من مكتبة المدينة ومكتبة المدرسة ، ولا يزال كما كان نشاطاً وخفة ، ويبدو للناظر بضآلة جسمه وحذائه ، وهو من اللبد ، وباعتدال قامته وبياض لحيته ، وبأنفه الذى يشبه أنف الصقر وبجبينه العالى، فكأنه مزيج من والت ويتمان الشاعر الأمريكى ذى اللحية العريضة وبرنارد شو . وقد أثبت أنه خبير بالمكتبات نخبرته بالتعليم . وفى عصر كل خميس يحتشد الصبيان والبنات إلى سن العاشرة متلهفين حول خزانة كتب مغلقة فيها من ١٥ إلى ٢٠ كتاباً جديداً — وكلما استعار طفل فى أثناء الأسبوع كتاباً ، فإن بطاقة باسمه توضع فى وعاء ، وفى يوم الخميس يجرى السحب ، فيختار الفائز الكتاب الذى يؤثره من خزانة الجوائز . فهو نوع من يانصيب للصغار — فى مكتبة ! وثمن هذه الكتب كالعادة من جيب برنارد .

ومكتبة لاكروس ، وآلاف المدارس الموحدة الحديثة المنتشرة فى أرجاء البلاد كلها مفاخر لرجل لن تجد أتم منه استعداداً للتضحية الشخصية ليفوز أطفال البلاد التى استوطنها بتعليم أصح، وليكونوا رجالاً ونساء أعقل وأصحّ تقديراً . ولا شك أن أمريكا مدينة لبرناردبدين هو درس عميق فى الإيثار والشجاعة فى الابتكار وفى إتقان العمل .

التدخين والإبصار فى الليل

«حسبك أن تدخن سيجارتين لكى تضعف قدرتك على الإبصار فى الليل» .

هذا هو رأى الدكتور تشارلز شيرد أحد أطباء معهد مايو الطبى . فنيكوتين الطباق يقبض جدران أوعية الدم فيقلّ ورود الدم إلى شبكية العين ، فتعجز العين عن المطابقة اللازمة للرؤية فى الضوء الضعيف إلا بعد زمن يزيد عن الزمن العادى ربع ساعة إلى نصف ساعة . ومن أجل ذلك ينصحون الطيارين فى كتب التدريب ، بالامتناع عن التدخين قبل الطيران فى الليل .

[مجلة « سينس دايجست »]

أقوال تؤثر

« يقضى الرجل ربع قرن حتى يتعلم كيف يكون زوجاً صالحاً. فمن العجب العجاب أن تطيق المرأة صبراً حتى يتم ذلك » .

[كلارنس بدنجتون كلاند ، روائى]

« إذا تقصيت حياة الأمريكى الموفق من رجال الأعمال ، وجدته قد ولد فى الريف فجعل يجهد حتى يتمكن من العيش فى المدينة ، فلما صار فيها ظل يجهد حتى يستطيع أن يعود إلى سكنى الريف » .

[دون ماركوس ، مؤلف]

« لم ألق فى حياتى رجلاً معافىً يساوره همٌّ أو قلق على صحته فى الدنيا ، ولا رجلا صالحاً يستبد به قلق على حسن ثوابه فى الآخرة » .

[ج . ب . س . هولدين ، عالم]

« حين نعطى خريج الجامعة شهادة ، فإنما نقدم له دِثاراً يغطى به عُرْيه العقلى » .

[روبرت هنشنز ، رئيس جامعة شيكاغو]

« يخلق بالناس فى الحين بعد الحين ، أن يضعوا علامة الاستفهام أمام ما دأبوا على التسليم به من آراء فى شئون الحياة — فى الحب والدين والسياسة والتجارة » .

[برتراندرسل ، فيلسوف]

« الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يضحك ويبكى ، لأنه الحيوان الوحيد الذى يروعه ما يراه من فرقٍ بين الأشياء كما هى ، وبينها كما ينبغى أن تكون » .

[وليم هازلت ، ناقد]

وهى وطن العرب

كرميت روزفلت • مختصرة من مجلة "هاربرز"

ينبغى للأمة الأمريكية أن تواجه حقيقتين كالحتين فى علاجها مشكلة فلسطين التى تنذر بشر مستطير. أما الأولى فهى أن المذهب الصهيونى هو فى نظر كثير من اليهود المبدأ الأصيل فى حياتهم، يقاتلون فى سبيله ويموتون، وهو فى نظر كثيرين منهم لم يزالوا فى أوربة معقد رجائهم الوحيد. أما الثانية، وهى أقل ذيوعاً من الأولى، فهى أن للعرب حقوقاً فى فلسطين، وأن برنامج الصهيونيين يهدد هذه الحقوق، وأن العرب أيضاً سوف يقاتلون ويموتون فى سبيل حقوقهم.

وقد يعود أحدهم فى الحين بعد الحين من زيارة قصيرة للقدس، فيروى أن عداء العرب للصهيونية قاصر على الأغنياء من ملاك الأرض، وأما الشعب فلا يحفل بالأمر، ويقول إن إنشاء دولة يهودية أمر مستطاع دون معارضة تذكر. أما أنا فإن تجربتى فى فلسطين قد أفضت بى إلى رأى مناقض لهذا الرأى كل المناقضة.

ولأضرب لك مثلا. فى يوم من أيام سنة ١٩٤٤ نزلت أنا وصديق أمريكى يتكلم العربية، بقرية عربية صغيرة على بحر الجليل، فدعانا شيخ القرية لنشرب القهوة فى داره الصغيرة المؤلفة من حجرة واحدة تنصب عليها أشعة الشمس. فلما تبادلنا التحية وشربنا القهوة، جعل مضيفنا يسألنا عن سياسة أمريكا، قال: أصحيح أن أمريكا

* كرميت روزفلت حفيد تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة ١٩٠١ — ١٩٠٩، وقد بدأ يعنى بمسألة فلسطين يوم كان فى القاهرة فى سنة ١٩٤٣ فى عمل لوزارة الخارجية. وقد طوف فى أثناء الحرب فى المملكة العربية السعودية، ومملكة شرق الأردن الهاشمية وسورية ولبنان وفلسطين، وكان قبل ذلك يدرس التاريخ فى جامعة هارفرد ومعهد العلوم فى كاليفورنيا.

تبذل المعونة لليهود حتى ينتزعوا فلسطين من العرب ؟ وبأى حق يقول شعب فى بلد ما لشعب فى بلد آخر ، إنه ينبغى له أن ينزل عن أرضه لجماعة من الأغراب ؟ ولم يكن الشيخ رجلاً مثقفاً ، ولكنه كان قوى الحجة ، ثابت العقيدة ساعة قال لنا إنه وإخوانه من سكان القرية يؤثرون أن يقاتلوا حتى يفنوا على بكرة أبيهم ، ولا يبيحون لأكثرية أجنبية أن تغلبهم على وطنهم .

وكانت قريته مجاورة لقرية قامت فيها مزارع يهودية اشتراكية جميلة ، فقلنا إن جيرانه قد وقعوا من نفوسنا موقعاً حسناً ، من حيث هم مزارعون محسنون ، ومن حيث هم قوم مخلصون . فكان صريحاً فى اعترافه بأن اليهود قد علموا أهل قريته كيف يحسنون الرى ، وأعاروهم الأدوات للزراعة ، وأسدوا إليهم أيادى كثيرة ، فهو معجب بهم من حيث هم ناس من الناس . ولكنه قال إن فى فلسطين يهوداً يحتقرون العرب ويسيئون إليهم . ولم تسكن نفسه ولا اطمأن إلى ما يقطعه الصهيونيون من عهود على أنفسهم بأن يضمنوا للعرب المساواة فى الحقوق ، فالمسألة فى نظره بسيطة لا تحتمل الشك : إذا تم لليهود ما يريدون ، صارت فلسطين أرضاً يهودية ، لا أرضاً عربية .

وفى مساء ذلك اليوم تحدثنا فى القدس مع رجل كان « ضابط اتصال » فى مزرعة يهودية اشتراكية فى أيام الشدة والعنف التى سبقت نشوب الحرب الأخيرة ، فسألناه عن نجاح اليهود فى تعزيز صلات الصداقة بينهم وبين جيرانهم من العرب ، فقال إنهم نجحوا بعض النجاح . ففى أيام الثورة قبل الحرب لم يعتد أحد من العرب على أحد من أهل تلك المزرعة ، فقد كان شكرهم صادقاً لما نالوه منهم من معونة ومشورة ، بل كانوا أحياناً يحذرون اليهود من هجوم يدبره العرب عليهم فى منطقة أخرى .

ولكن ذلك كان أمراً خاصاً بين جماعتين ولا شأن له فى رد العرب عن غرضهم العام — أن يحتفظوا بفلسطين بلداً عربياً . ولكى يوفقوا بين شعورهم الرقيق ، وواجبهم الوطنى ، كما يرون ذلك الواجب ، تراهم يغيرون على جماعة أخرى من اليهود ، حيث لا يجدون بينهم وبين اليهود صلات خاصة تمنعهم من ذلك . وقد قال لنا صاحبنا هذا إنه لا يشك فى أنهم سوف يفعلون ذلك مرة أخرى .

وقد كان الإرهاب فى فلسطين منذ سنة ١٩٣٩ من صنع المتطرفين اليهود ، ولكنه لم يكن كذلك فى الماضى ، ولا يحق لنا أن نفرض بقاءه على ذلك فى المستقبل . وعلى أن الكفاح اليوم قائم بين البريطانى واليهودى ، فليس

فى وسع أحد أن يتكهن باليوم الذى يحسُّ العربى بأن عليه أن يهبّ إلى انتضاء الُحسام.

وليس فى فلسطين اليوم سوى موضوع واحد للحديث: النزاع بين العرب واليهود. وليس بين الذين يراقبون الحالة عن كثب سوى نفر قليل من المتفائلين . ولابد للمرء من أن يكون بعيداً عن مشهد هذا النزاع حتى يسعه أن يتصور أن العرب يقبلون أن يخضعوا لفرض دولة يهودية على فلسطين . وتقرير لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية يقول صراحة ، إن زعماء العرب يمثلون رأى أتباعهم . واللهجة الغالبة على التقرير تتبدّى فيها نذر الإرهاب وسفك الدماء .

فما يورث الحسرة فى هذه الأحوال أن ترى نسبة كبيرة من اليهود المعذبين فى أوربة يؤثرون الرحلة إلى فلسطين ، فإذا لم يتم الاتفاق مع العرب فلن يجدوا فى فلسطين حلاً لتفريج مشكلتهم المريرة . وإن أمل المهاجرين فى الظفر بالسلام والأمن فى بلد تمزقه حرب أهلية مردُّها إلى وجودهم فيه ، لهو أمل ضعيف حقاً .

ومع ذلك أرى أن هناك طريقة تمكنهم من الظفر بهذا الملاذ مقابل تضحية ، وهذه التضحية هى النزول نزولا باتاً عن فكرة إقامة دولة يهودية فى فلسطين، والاتفاق على خفض عدد المهاجرين فى المستقبل إلى عدد معقول (بعد إدخال عدد معين منهم مثل مئة ألف). ولن تجد لهم حلا لا يقتضى منهم تضحية أعظم من هذه التضحية .

إن مشكلة فلسطين المفجعة ، محجبة فى غلائل من الوعود المتناقضة ، حتى لترى أى حل تقترحه فيه إجحاف بكثيرين ممن قبلوا تلك الدعوة قبول المطمئن إليها . ومما يؤسف له أن الذين بذلوا هذه الوعود لم يكن لهم حق أدبى ، أو حق مستمد من الواقع ، فى أن يبذلوها .

ولكى تفهم هذه المسألة على وجهها فاجعل مثل البريطانيين والعرب ، مثل الأمريكيين وأهل الفلبين ، وافرض أن الولايات المتحدة قد تعهدت بأن تساعد أهل الفلبين على بلوغ الاستقلال الذاتى ، ثم انقلبت إلى شعب واقع تحت ظلم اليابان ، كان منذ قرون كثيرة يسكن جزائر الفلبين وهو اليوم غريب عنها ، ووعدته بأن تتيح له أن ينشىء دولة فى هذه الجزائر . فأهل الفلبين لن يسلموا بحق الولايات المتحدة أن تقطع لذلك الشعب عهداً كهذا العهد ، ويقاومون سعيها إلى تحقيقه أشد مقاومة . ولاريب عندى فى أن الرأى العام الأمريكى سوف يؤيدهم فيما يفعلون .

ومن أشق الأمور أن تجد رداً على قوله

العربي حين يقول: « إنكم أيها الأمريكيون تتحدثون عن حماية حقوق الأقليات. أفيعني هذا أن الأكثرية ينبغي أن تداس ، وأن تجعل أقلية برغمهـــا وفي عقر دارها ؟ وتتحدثون عن حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وعن الانتخابات الحرة ، وعن الديمقراطية ، فلمَ لا تدعون فلسطين تجرى انتخاباً حراً لتقرير مستقبلها على الطريقة الديمقراطية ؟ ثم أليس من المستغرب ، برغم استبشاعكم لاضطهاد النازى لليهود ورغبتكم المعلنة في مساعدتهم ، أليس من المستغرب أن تمتنعوا أنتم وكندا وأستراليا ودول أمريكا الجنوبية، برغم سعة أراضيكم ، عن قبول نصيبكم الحق من هؤلاء المهاجرين ، بدلا من أن تطالبوا بلداً واحداً صغيراً بأن يحمل العبء كله ؟ »

وقد روت لجنة التحقيق : « إن فلسطين وحدها لا تستطيع أن تتسع لهجرة جميع الضحايا اليهود » وأن « ما اطلعنا عليه من الحقائق عن بلاد أخرى سوى فلسطين لا يدع لليهود أملا في معونتهم معونة تذكر في الظفر بمأوى يأوون إليه » . وهذا الأخير داع إلى ســوء الظنّ بعدل الأمم الغربية ورحمتها .

إن تبعة اضطهاد اليهود الذى أفضى إلى هذه الهجرة لا تقع على العرب . وهم يقيمون الحجة على أنهُ لا ينبغى لهم أن يحملوا وزر غيرهم بأن يفتحوا بلادهم لمئات الألوف من اليهود المضطهدين في أوربة ، ويقولون إنهم سوف يضطلعون بنصيبهم إذا فعلت البلاد الأخرى التى تفوق بلادهم سعة كما يفعلون . أما أن تسألهم أن يحملوا العبء كله ، فامتهان لمعنى العدل ، والعطف على شعب مظلوم لا يسوّغ ظلم شعب آخر . نعم إنه من العار أن تحنث بوعد قطعته ، ولـكن أقبح منه أن تمضى مطبق العينين في تنفيذ وعد جائر . وليس من العدل أن ترغم أكثر السكان في بلد ما على أن تقبل هجرة واسعة النطاق إلى بلدها تترك الأكثرية فيها أقلية .

وقد أشرت إشارة موجزة إلى حقوق العرب ، لأن هذه الحقوق لم تنل ما يخلق بها من ذيوع في هذه البلاد (أمريكا) . بيد أن قضية اليهود قوية ، وحقوق اليهود في أن يجدوا ملاذاً ، وبيوتاً يسكنونها في سلام وكرامة ، أمر لا يختلف فيه . فينبغى تحقيقها بعمل دولى ، ونحن جميعاً نحمل نصيبنا من اللوم فيما أصابهم من عذاب ، ومن التبعة في تدبير حل لمشكلتهم . فالمسألة هى : ما هو نصيب فلسطين في هذا الحل ؟

تجد في وعد بلفور ، وصك الانتداب

الصادر من عصبة الأمم ، وعوداً واسعة فى موضوع مقام اليهود فى فلسطين . ومع أن الوثيقتين لاتقيدان العرب بشىء ، فليس الذنب فى هذه الوعود ذنب اليهود . فالصهيونيون ليس لهم حقوق شرعية فى فلسطين ، بل آمال مشروعة إذا صح هذا التعبير .

ولكنك تجدهم اليوم يشتدون فى طلب شىء أكثر مما وعدوا به . وقد جاء فى تقرير لجنة التحقيق : « إن المطالبة بقيام دولة يهودية يتعدّى حدود وعد بلفور وانتداب عصبة الأمم ، وقد تنصّل منهُ صراحة رئيس الوكالة اليهودية فى ١٩٣٢ » . وطلب إقامة دولة يهودية هو الذى يثير أشد الخوف والبغضاء فى قلوب الشعوب العربية . فالنزول عن ذلك المطمح ــ وهو التضحية التى أراها لازمة من أجل خير اليهود فى فلسطين وأوربة ــ لا ينتقص مما كان يحق لليهود أن يؤملوه ، بل هو عودة إلى الخطة الأصلية .

أما الخطوة التالية ــ قبول تحديد الهجرة فى المستقبل تحديداً شديداً بعد أن تتمّ هجرة الحالة الطارئة ــ فتكون رجوعاً حقيقيًّا عما يحق لهم أن يؤمّلوه . ولكن المسألة ليست بذات شأن من ناحية الحقيقة والواقع ، للأسباب التالية :

عند المفاوضة لتقرير عدد المهاجرين الذين يقبلون لمواجهة حالة الطوارىء ، لابد للولايات المتحدة ولبلاد الدومنيون البريطانية من أن توافق على دخول نسبة معقولة من المهاجرين إلى بلادها ، والإنسانية تقضى بذلك أيضاً . فإذا تم الاتفاق على أن العدد الذى يصلح لفلسطين هو ١٠٠ ألف ــ وهى بلد لا تزيد مساحته على ولاية ڤرمونت ــ كان من المعقول أن يكون نصيب الولايات المتحدة وبلاد الدومنيون ضعف ذلك العدد أو ثلاثة أضعافه إذا اقتضى الأمر . ومهما يكن فالاتفاق الأخير ينبغى أن يكفل مساكن لليهود الذين يرغبون الآن أن يهجروا أوربة .

وبعد أن يدبّر الأمر للذين يريدون المهاجرة الآن ، يغلب على الرأى أن لا يبلغ طلب الهجرة على فلسطين مبلغاً كبيراً ، بل هناك عدد يذكر من اليهود فى فلسطين يريدون أن يهجروها إلى أمريكا الجنوبية ومواطنهم فى أوربة ، أو إلى الولايات المتحدة. ولجنة التحقيق تشير إلى طلب قدمه يهود يقيمون فى فلسطين الآن إلى حكومة النمسا ، يطلبون الإذن فى العودة إليها . وقد تقدم مطالب أخرى من هذا القبيل فى السنوات المقبلة .

وينبغى أن نتدبر أيضاً قدرة فلسطين على استيعاب السكان ، فالزيادة الطبيعية بين

العرب كانت كبيرة وسوف تستمر" ، ولكن المشروعات التى من قبيل مشروع « وادى الأردن» تستطيع أن تتيح زيادة مذكورة فى عدد السكان اليهود .

وإذا صرفنا النظر عن اليهود ، أفيقبل العرب هذه المقترحات؟ إنى أظن أن موافقتهم محتملة، على أن تكون جزءاً من الخطة التالية:

حين تتم موافقتهم ، يمهد السبيل على الفور لفلسطين حتى تصير دولة مستقلة عضواً فى الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة . وتكون دولة أكثريتها عربية ، لكن حقوق الأقلية اليهودية فيها تكون مضمونة ضماناً وافياً من قبل الأمم المتحدة ، وتكون لهم حكومة محلية مستقلة، ومشاركة صحيحة كاملة فى حكومة الدولة .

وينبغى أن يحوّل زمام الإدارة فى البلاد إلى العرب واليهود على أسرع وجه مستطاع، على أن تمنح الاستقلال التام متى قررت لجنة من هيئة الأمم المتحدة ، يكون بين أعضائها ممثل واحد على الأقل لدولة عربية ، أن الحكومة قادرة على صون الأمن العام .

وأعتقد أن العرب يرضون عندئذ بعدد وافر لمواجهة حالة الهجرة الطارئة إذا حدد تحديداً ثابتاً لارجعة فيه ، لأن هذا يتيح لهم أن يحققوا مأربين : الاستقلال وضمان بقائهم أكثرية فى بلادهم .

أما اليهود فيظفرون بمعظم ما وعدوا به فى تصريح بلفور وانتداب عصبة الأمم ، وبأكثر مما عرض عليهم فى كتابين أبيضين أصدرتهما الحكومة البريطانية : وأظن أن معظم اليهود يرضون بأن ينزلوا عن فكرة الدولة اليهودية ويقبلوا قيود الهجرة فى مقابل بيوت تتاح للمشردين فى أوربة — على شرط أن يؤيد الرأى العام فى بريطانيا والولايات هذه المقترحات، ويأبى أن ينظر بعد فى أى توسع فى الوعود السابقة. وكثيرون من اليهود، ولاسيما يهود فلسطين، مافتئوا يدعون إلى عمل على هذه الأسس منذ زمن بعيد .

وهذا المشروع لا يرضى أحد الفريقين رضىً كاملا ، ولكن لا بدّ من أن يصنع شىء ، فالجمود يفضى إلى الفوضى فى مخيمات المهاجرين فى أوربة ، وفى فلسطين ، ثم فى معظم الشرق الأوسط . وتأييد برنامج الصهيونيين فى حاله القائمة مفض ولا بدّ إلى مأساة كمأساة يهود أوربة فى العهد الأخير ، ولن نصل إلى حل مجدٍ مطابق لروح العدل والديمقراطية عندنا ، إلا إذا تدبرنا حقوق العرب كما تدبرنا حقوق اليهود .

لمحات من حياة العظماء

كان الموسيقار توسكانيني مديراً لدار الأوبرا «لاسكالا» في ميلان، عرض يوم مؤلف موسيقي غير موهوب مخطوط أوبرا ألفها لمباراة كان توسكانيني أحد المحكمين فيها، وطلب أن يعرض مخطوطه على توسكانيني ليرى رأيه فيها. فتم ما طلب ورفضها المحكمون. وانقضت عشر سنوات، والتقى الرجلان في نيويورك، فقال المؤلف: «ما مضى مضى يا أستاذ، ولكنني أود أن أعرف لِمَ رفضت الأوبرا التي ألفتها؟» فقال توسكانيني: «لم تعجبني». فقال: «ولكنني واثق أنك لم تطلع عليها، ولو كنت اطلعت عليها لأعجبتك». فقال توسكانيني: «دعك من السخف، أذكرها، ولا خير فيها. اسمع» وجلس توسكانيني إلى البيان وعزف عدة ألحان من أوبرا رفضها منذ عشر سنوات، وظل يقول وهو يعزف: «لا، لا تصلح، لا خير فيها، إنها أحقر من أن تنقد».

لما وصل فولتير إلى إنجلترا سنة ١٧٢٧ وجد السخط على الفرنسيين عامًّا، فتوجّس شرًّا من السير في شوارع لندن. وذات يوم احتشد حوله جمهور غاضب يصيح: «اقتلوه. اشنقوا الفرنسي» فتمهل فولتير ثم واجه الجمهور وقال: «أيها الإنجليز! إنكم تريدون أن تقتلوني لأني فرنسي! أما يكفيني عقاباً أني لست إنجليزياً؟» ، فهتفوا لهُ وسار بسلام حتى بلغ إلى داره.

تلقى الشاعر الإيطالي دانتزيو رسالة يوم كان يقطن باريس، وكان العنوان عليها هذه الكلمات: «إلى شاعر إيطاليا الأعظم» ، فأبى أن يتسلَّمها وقال: إنهُ ليس شاعر إيطاليا الأعظم، بل أعظم شعراء العالم!

كان برنارد شو يستمتع بالسباحة في بركة في جنوب إفريقية، وكان على مقربة منه فتيان لا يعرفون الكاتب الكبير، فتحدوا أحدهم أن «يغطِّس الشيخ» فيعطوه خمسة قروش إن فعل. فقبل، فلما دنا منه خانته عزيمته، فالتفت شو فرآه فسأله عما بهِ، فذكر له متلعثماً أمر تلك الدسيسة، فقال شو وهو متجهِّم: اصبر قليلاً حتى آخذ نفساً عميقاً ثم افعل ما بدا لك يا بنيّ. ففعل ثم رجع أدراجه مظفَّراً وأخذ المال من أصحابهِ.

الخوف والهم وضعف الأعصاب الموروث ، هي الأصل في نصف مايقاسيه الناس من «وجع المعدة»

الأعصاب وسوء الهضم

ولتر س . ألفاريز

مختصرة من مجلة "هايجيا"

إذا ما بدأ الرجل ، أو المرأة ، يعاني سوء الهضم ، فما هو السبب الأغلب يا ترى؟ أينجلي الفحص عن وجود مرض ، أم يردّ الطبيب الأمر إلى الأعصاب أو الهموم أو العجلة في التهام الطعام ؟ والواقع أن أكثر ذلك تبعٌ لعمر المصاب ، وهل هو ذكر أو أنثى . فالشباب ، والإناث منهم خاصة ، أدنى إلى الإصابة بسوء الهضم العصبي من الكبار ، أما الكهول الذين بدأوا يحسون وجعاً في البطن منذ عهد قريب ، فيغلب أن يكون مردُّ شكاتهم إلى علة عضوية .

وأخشى ماينبغي أن يُخشى هو سوء الهضم الذي يباغت كبار السن المتباهين دائماً بأن لهم « معداً من حديد » ، فمن الجلي في هذه الحال أن شيئاً قد اختلّ ، ولعله ورم أخذ ينمو ، أو حصاة في المرارة ، أو وهن أخذ يدب في القلب . وكل امرىء جاوز الكهولة ممتعاً بالصحة والعافية ، ثم بدأ يكابد سوء الهضم أو وجع البطن ، ينبغي له أن يبادر إلى فحص نفسه فحصاً دقيقاً ، وأن يشمل الفحص تصوير المعدة والأمعاء بالأشعة .

إن جهاز الهضم مزوَّد بشبكة من الأعصاب تربط أجزاءه بعضها ببعض ، وتربطها كلها بالدماغ . وقد كان لهذا الارتباط بالدماغ نفع في عهد سابق ، أما اليوم فقد أصبح من أكبر أسباب التعب . فيوم كانت حياة الإنسان وهو يسكن الغابات تقتضيه أن يكون أسرع من الوحوش في تسلق الأشجار ليتقي غوائلها ، كانت أعصابه تعينه على الفرار بأن تقف كل نشاط غير لازم في جهاز الهضم ، وبأن تصبّ في دمه عقاقير قوية (كالأدرنالين) تعينه على صراع الوحش أو الفرار منه . أما اليوم وقد صار الإنسان يكافح من أجل الحياة في أدغال النظام الاقتصادي ، لا الأدغال الحافلة بوحوش

والترس . ألفاريز دكتور في الطب وأحد أطباء معهد مايو ، ومؤلف كتاب في « سوء الهضم » ويعد في طليعة الذين تخصصوا بأمريكا في أمراض المعدة ، وقد كتب هذا المقال إجابة لطلب خاص من مجلة هايجيا .

الطبيعة ، فترى الأفعال العصبية القديمة لا تزال تقف فعل الهضم ، كما كانت تفعل ، والعقاقير القوية لا تزال تسيل إلى دمه من غددها . ولما كان المرء لا يستنفدها فى نشاط عضله للعدو أو القتال ، تراها تبقى فى دمه تهيج أمعاءه الغلاظ وتشعره بالغثيان .

وتدخُّل الأعصاب ، على هذا النحو ، فى أفعال الهضم الطبيعية ، هو الذى يجعل عدداً لا يُحصى من الناس يشكون «تعب المعدة» . ويرى الطبيب ، حتى فى حالات المصابين بعلة عضوية ، أنْ لا مفرَّ لهُ من أن يذود عن المصاب اضطراب النفس حتى يستطيع أن يأخذ بيده فى طريق البرء .

فهذا رجلٌ يشعر بألم فى فم المعدة قبيل الظهر أو فى الأصيل ، فيخلص منهُ بأكل مضغة من الطعام ، أو أخذ قرص قلوىّ . فهو مصاب على الأرجح بقرحة فى الاثنى عشرى (الجزء الأول من الأمعاء الدّقاق الذى يلى المعدة)، وهى علة عضوية . ولكن يغلب أن يكون كلُّ اهتياج حادّ فى القرحة ناشئاً عن هم أو كرب . ويصر الطبيب فى علاج هذه العلة على ثلاثة أشياء*: الراحة ، تجنب ثورة النفس ، أكل أطعمة لطيفة يسهل هضمها مرة كل ساعتين . وقد تندمل القرحة الوسط بهذا العلاج ، فإذا لم تتهيأ المريض سكينة العقل والنفس ، فالغالب أن يصاب بقرحة جديدة .

ويصحب التهاب المرارة سوء هضم وانتفاخ ومغص متردّد ممضّ . ومع أن هذا المرض عضوى ، فإن أكثر أوجاعه تعقب هياج الأعصاب وبوادر الغضب ، ولعل هذه البوادر هى التى تحدث انقباضاً فى القنوات التى تحمل الصفراء إلى الأمعاء . وعلى أن أكثر المصابين بحصاة فى المرارة يستفيدون من تنظيم الغذاء ، فإن كثيراً منهم لا بدّ له من الجراحة عاجلا أو آجلا ، فما ثمة وسيلة سواها لتفتيت هذا الحصى ، وبقاؤهُ حيث هو نذير بالخطر على الدوام .

وثمة سبب عضوى آخر يورث سوء الهضم هو سرطان المعدة ، وأعراضه مختلفة ، ولكن الرجل الذى ظل سليماً معافىً خمسين سنة ، إذا بدأ يشكو سوء الهضم ، ونقص الوزن ، ووهن القوى ، فيجب أن يفحص للتو فحصاً دقيقاً ، لأن السرطان كثيراً ما يستجيب للعلاج فى بواكيره ، غير أن أوساط الناس يهملونه حتى يستعصى على العلاج .

وكثيراً ما تكون لسوء الهضم العضوى أسباب خارجة عن نطاق جهاز الهضم . ولأضرب لك مثلا ذلك الرجل فى العقد

---

* « أساليب جديدة فى علاج علل قديمة» المختار يونيو ١٩٤٦ ص ٢٧

السادس من عمره ، يأكل أكلة وافرة ، ثم لا يكاد يمشي قليلاً حتى يصيبه وخز مؤلم تحت ثديه الأيسر ، فيستشير متخصصاً في أمراض المعدة ، وقناً أن ما أصابه إنما نشأ من سوء الهضم ، وكان الأحرى به أن يستشير متخصصاً في القلب ، لأن هذا الألم ناشيء في الغالب عن انقباض في الشرايين التاجية * التي تمد عضلة القلب بالدم .

وفي ٥٠ في المئة من حالات سوء الهضم لا يجد الطبيب خللا في جهاز الهضم ، ويواجه في هذه الأحوال نوعاً من سوء الهضم يرجع إلى تقصير الأعضاء في القيام بوظائفها ، فترى اضطراب الأعضاء الشديد يحدث للمريض شقاء لا حد له . وأكثر أسباب سوء الهضم العصبي شيوعاً هي : التعب ، والهم ، ورقة الحس ، والأرق . وهذا النوع من سوء الهضم الناشيء عن غير علة عضوية يعزى إليها ، كثير الشيوع ولا خوف منه قط على الذين يصابون به . ولو أدرك مرضى الأعصاب هذه الحقائق الهامة لوفروا على أنفسهم كثيراً من الهموم والنفقات . وعليهم أن يروضوا أنفسهم على تصديق الطبيب البارع إذا أكد لهم بعد الفحص الدقيق أن الذي بهم ليس خللا مخوف الخطر .

* « عرضة للسكتة القلبية : المختار » يناير ١٩٤٧ ص ١٤ .

وإذا قيل لامرأة حليفة للهموم : إن مرارتها خالية من الحصى ، فكثيراً ما تأبى أن تصدق أن آلامها قد تنشأ عن غير مرض عضوي تعانيه ، بل تكره أن تفكر في الأشهر الطوال التي ينبغي أن تروض فيها نفسها على السكينة وتذود عن قلبها الهموم ، حتى تصيب نصيباً من الصحة والسلامة .

على أني لا أزعم أن المريضة بأعصابها تتوهم الكرب توهماً ، كلا ، فإن هذا الكرب حقيقة واقعة ، ولعله يكون أقسى من الكرب الناشيء عن قرحة في المعدة . وكثيراً ما تعود بي الذاكرة إلى امرأتين دخلتا عيادتي معاً — أم وابنتها — فأما الأم ، وكانت عجوزاً لطيفة مصابة بسرطان في المعدة ، فقد قالت إنها لا تشكو من شيء ، وأنها ليست في حاجة إلى علاج ، وأن كل ما يهمها هو أمر ابنتها التي تقيء كل شيء تأكله منذ ثلاثة أسابيع ، ولا تدري ما بها . وما كان بها شيء سوى الخوف ، فقد مرضت منذ سمعت بمرض أمها . وكذلك وجدت أمامي امرأتين : إحداهما مصابة بأخبث مرض عضوي فإذا هي لا تشكو منه ، وأخرى صحيحة الأعضاء ولكنها تشكو من علة موجعة تحتاج إلى الاستشفاء .

وقد يدرك كثير من الناس أن الخوف الشديد يفسد وظائف الهضم ، ولكنهم لا يدركون أن القلق المزمن كثيراً ما يكون

مصدراً للسقم. فالقلق على حياة طفل مريض، أو الكمد من طباع زوج معوجّ السيرة، أو الهم الدائم بمشاكل عمل مهدد بالإفلاس — كلها قد تؤثر تأثيراً سيئاً فى الهضم . وفى ذلك يقول مودسلى الطبيب النفسانى العظيم: « إن الحزن الذى لا يجد له متنفّساً فى العين ودموعها، قد يضطر أعضاء أخرى للبكاء » .

والحاجة إلى المال أحد الأسباب الجوهرية لسوء الهضم العصبي ، وإنى لأرى كل يوم مرضى لا دواء لهم إلا قليل من المال يفرّج عنهم الضيق . فمن العبث أن نصف لهؤلاء الأطعمة والمسكنات ! إنهم إذا لم يحصلوا على حاجتهم من المال لحل مشاكلهم المالية المعقدة ، فقد قضى عليهم أن يحيوا إلى آخر العمر فرائس لآلام الصداع المبرح ، وسوء الهضم العصبي المضنى .

وقد يكون وهن الأعصاب المؤدى إلى اضطراب المعدة ، موروثاً أو مكتسباً . وكثيراً ما نجد الرجل المختل العقل، أو المدمن الخمر أو المضطرب المزاج ، يورث ذريته اضطراباً فى الجهاز العصبي ، فيكون سبباً فى إحداث العقبات التى تعوق ملايين من العاطلين والمرضى وخائرى الأعصاب ، عن طريق العافية وعن مناهج التقدم فى الحياة . وهذا الميراث البغيض هو السبب فى كثير مما نسميه نحن الأطباء « ضعف البنيـة » ، أو العجز عن احتمال متاعب الحياة . ومثل هذا الضعف إن كان بلاء على الغنى ذى الثروة، فهو أشد بلاء على عاملة فى متجر، أو مدرّسة أو كاتبة على الآلة الكاتبة كتب عليها أن تعمل أو تموت جوعاً . وكثيراً ما يذهبنَ إلى الجرّاح يائسات، يؤودهن هذا الحمل الطويل الأمد من الألم والقنوط ، يسألنه أن يجرى لهن أية جراحة عسى أن يكون فيها الشفاء ، فمن سوء حظهن أنهن ينشدنَ المحال — جراحةً تخلق لهن شخصية جديدة !!

على أن مصاب هؤلاء الضعفاء مع ذلك لا يدعو إلى القنوط ، فإن تشارلس داروين مثلا ، كان من الضعف بحيث لا يستطيع أن يعمل فى اليوم أكثر من ثلاث ساعات . وكان كل هياج تافه ولو من زيارة الأصدقاء، يلجئه إلى الفراش مصاباً بالرعدة والقيء العصبي ، وكانت حياته مع ذلك آية على أن تسليم العاجز بعجزه ، وعمله فى حدود طاقته وقواه يهيئان له حياة سعيدة نافعة .

وكثير من المرضى بسوء الهضم الذى ينشأ من اختلال وظائف الأعضاء ، يستطيعون أن يبرأوا منه إذا عرفوا أنهم لا يقدرون على ما يقدر عليه أندادهم الأقوياء ، وإذا واجهوا هذه الحقيقة بشجاعة . وعليهم أن يكفوا قبل كل شيء عن السعى إلى الخلاص

السريع من آلامهم بطريق الجراحة ، وأن يروضوا أنفسهم على أخذها بنظام دقيق فى معالجة النفس . وإذا كانوا قد ظلوا سنوات يستنفدون شطراً من صحتهم وقواهم بالسهر ، ويبعثرون قواهم هباء ، فعليهم أن يبدأوا حياة هادئة حتى يستطيعوا أن يردّوا إليها بعض ماأضاعوه واستنفدوه .

فالذين أضعفوا أعصابهم بالإرهاق لن ينالوا العافية إلا إذا استسلموا للراحة التامة شهراً ، ثم عادوا إلى أعمالهم يعملون نصف اليوم، ويستريحون نصفه، حتى يستردوا تمام قواهم . وأما النساء فلن يبرأن من سوء الهضم العصبي حتى يقضين أوائل النهار فى الفراش هادئات عدة أسابيع ، فمع الراحة والاسترخاء تعود الأعصاب إلى هدوئها ، ويقل اضطرابها . وما أكثر ما أقول ذلك لسيدة مريضة فتقول: « الراحة! إنى لم أفعل شيئاً سواها منذ عدة شهور ، ومع ذلك لم أشعر بتحسّن » . والغالب أن تكون مخطئة ، فقد تكون فعلا منصرفة عن العمل ، ولكنها لا تكاد تكون فى راحة ، فعقلها يمضى طوال يومها وهزيعاً من الليل يركض مذعوراً من خوف إلى خوف : الخوف من أن مرضها الحقّ لم يكتشف ، أو الخوف من السرطان أو الخوف من أن زوجها الذى تأخر عن موعد عشائه بضع دقائق قد وقع له حادث.

وأكثر المخاوف التى تورث سوء الهضم العصبي سخيف ، والمريض الحصيف يدرك ذلك. وقد يعسر نضال هذه المخاوف فى البدء ، ولكنها تقهر بالتدريج فيستعيد المريض عافيته. وفى خلال هذا التقويم النفسى بالتربية ، يستفيد المرضى شيئاً كثيراً من معونة الطبيب الذكى العطوف ، ولكن النجاح كله موقوف على عزم المريض أن يخلق نفسه خلقاً جديداً.

نكوص !

فى أثناء تجربة القنبلة الذرية فى بيكينى دار الحديث على الأسلحة التى يحتمل أن تستعمل فى الحرب القادمة ، وهل تكون القنابل الذرّية أو الجراثيم أو الصواريخ .

فقال ضابط شابٌ من ضباط الجيش : «لست أعرف أى الأسلحة يستعملها الناس فى الحرب القادمة ، ولكننى واثق بأنّ أسلحتهم فى الحرب التى تلى الحرب القادمة لن تكون شيئاً سوى الرّماح » .

[جون لايتن]

يقول محررو مجلة ردبوك : « هذه مقالة من أخطر ما نشرناه من المقالات شأناً »

القنبلة الذرّية بين الوهم والحقيقة

ولتر ليبمان

مختصرة من مجلة "ردبوك"

لقد ظلّ الرئيس ترومان ورجال وزارة الخارجية والجيش والبحرية يبدئون ويعيدون في تأييد الأسباب الداعية إلى أن تظل الولايات المتحدة قوة عسكرية ، بيد أن الكونجرس والشعب لم يقتنعوا بها اقتناعاً كافياً .

وضعت الحرب أوزارها ومضى عام ، فإذا القوة الحربية التي أعانت على الظفر في الحرب قد خرجت من يد الولايات المتحدة ، ولم يتهيأ لها بعد من الخطط أو الأموال أو الرجال مايعينها على إعداد قوة حربية لما بعد الحرب . فما علة ذلك ؟ يقول بعضهم : هى الملل من الحرب ، ويقول آخرون هى الانتخابات ومشاغلها . أما أنا فأظن أنها القنبلة الذرية ، فوجودها هو السبب الجوهرى الذى حمل الشعب الأمريكى على أن لايقطع برأى فى تحديد نوع الجيش أو الأسطول أو القوة الجوية التي ينبغي أن يعدها ويستبقيها .

وقد قيل للشعب إنه سيكون لدى أمريكا من القنابل الذرية بعد بضع سنوات ماهو أشد فتكا مما ألقى على مدن اليابان ، وأن هذه القنابل سيكون فى مقدورها أن تمحو أكبر المدن فى أية بلاد على وجه الأرض ، وأن النصر معقود للقنبلة الذرية بعد بضع ساعات من هجوم مفاجىء .

فإذا صح هذا ، فما جدوى إرغام الشبان على إنفاق سنة من عمرهم فى جيش لن نحتاج إليه أبداً ؟ ألن تنتهى الحرب الذرية قبل أن يعبأ الجيش؟هكذا يسأل الناس أنفسهم .

وقيل للناس إن القنابل الذرية جعلت الأساطيل شيئاً غير طائل ، وقيل لهم أيضاً إنه لاحاجة إلى نقل القنابل بالطائرات ، ففى الوسع تركيبها فى صاروخ،وأنه ستصنع قريباً صواريخ يمكن أن تنطلق مسافة ٣٠٠٠ ميل مسددة إلى أى هدف .

فإذا كان هذا صحيحاً فلن يكون الجيش وحده ، بل الأسطول والقوة الجوية أيضاً ،

شيئاً غير طائل. فسيدير رحى الحرب الذرية في المستقبل حفنة من العلماء والمهندسين والفنيين والميكانيكيين يجذبون عتلات ويضغطون أزراراً .

وهـذه صورة مفزعة حقـاً ، ولكنها ساحرة أيضاً . فهذه حرب لاتقتضي جهاداً عاماً ولاتصميماً ولاتدريباً ولاقوة حربية بل تتطلب مالاً ومعرفة هندسية فحسب . وكل ماعلينا ، إذا شئنا أن نعيش آمنين كل الأمن وأن نخرج ظافرين من أى نزاع دولى ، هو أن نكون السابقين إلى استخدام أفتاك الأسلحة الذرية . . . إلى ضغط الأزرار .

فهل يمكن أن تكون هذه الصورة لحرب المستقبل صورة صحيحة ؟ ونحن إذا تدبرناها قليلاً لم نلبث أن نرى أنها صورة لايمكن أن تتحقق . وحسبنا حقيقة عظيمة واحدة هى : أن الحرب الذرية التي تنشب بالضغط على زر" ماتزال في مرحلة التـدبير والتصميم والتجريب . وصنع صواريخ ذرية قادرة على تدمير كافة المدن الكبيرة في أية بلاد أمر يتطلب وقتاً ، وهذا شيء لا يمكن أن يجادل فيه أحد .

ولعل بعض الأمم الأخرى تجـد فسحة من الوقت لصنعها ، ولنقل إننا نعنى روسيا . ولنزعم أن أمريكا لاتستطيع أن تعـامل الروس إلا إذا أقنعتهم بأنهـا قادرة على أن تهزمهم في حرب، وأنهالاتنثنى عن أن تفعل ذلك.ولنحتفظ بهدوئنا التام فنسائل أنفسنا. أفي حوزة أمريكا الآن من الأسلحة الذرية ماترغم بها اتحاد السوفيت على التسليم بدون قيد ولاشرط ؟ والجواب معروف لايتطرق إليه شك ، فليس لديها مثل هذه الأسلحة . وأمريكا تعرف ذلك، والروس أيضاً يعرفون.

فلابد إذن من أن ينقضى بعض الوقت إلى أن تستطيع الولايات المتحدة أن تستعد لشن حرب ذرية على الاتحاد السوفيتى ، فماذا عسى أن يفعل الروس في السنوات التي تسبق استعدادنا ؟ سيبذلون غاية جهدهم ولاريب في صنع قنابل ذرية، وفي الاستعداد للقائنا بمثل مانلقاهم به . بيد أنهم لن يقتصروا على ذلك .

إن للروس قوة حربية ليست لنا الآن . هى معين لا يكاد ينضب من الجنود المشاة ، يستطيعون تجنيده في حرب ذرية في الدفاع والهجوم على السواء .

ومن دأب الروس أن يدرأوا عن أنفسهم سطوة الأسلحة المتفوقة بالتقهقر، وبأن ينهكوا العدو بكثرة الجموع وبالمسافات المتباعدة في ساحة الحرب . وكذلك فعلوا في درء قوة نابليون وهتلر فارتدوا إلى روسيا الشرقية. ومن البين أنهم سيلقون القـذيفة الذرية بالارتداد ، لا إلى شرق روسيا فحسب ، بل إلى غرب أوربة أيضاً .

ولا ننس أن المشاة الروس يرابطون على حدود النرويج والسويد وفنلندة والدنمرك وعلى نهر الإلب فى وسط ألمانيا ، وعلى الدانوب فى النمسا ، وأن محالفتهم ليوغوسلافيا قد أباحت لهم السهول الممتدة المفضية إلى إيطاليا ، فما هو الشيء الطبيعي الذى يفعله الروس إذا اعتقدوا أن مراكزهم الصناعية ستدمر فى بضعة أيام ؟ إنهم سيجتاحون مدن أوربة بجموع مشاتهم الهائلة .

والقنبلة الذرية سلاح لا يغنى فى صدّ هذه الحركة العسكرية . فالقنابل الذرية لا تغنى فى أمر مشاة منتشرين فى طول البلاد وعرضها . وإذا احتل الروس باريس وأنفرس ورومة ، فلن نستطيع إقصاءهم عنها بمحو هذه المدن وإبادة مئات الألوف من الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين . وأمريكا لن تستطيع أن تفعل هذا ، ولن ترضى أن تفعله .

فإذا قيل إن المشاة الروس إذا حاولوا اجتياح أوربة فسوف يلقون مقاومة فى طريقهم ، فأول ما ينبغي أن نتذكره هو أن كثيراً من غير الشيوعيين ، لا الشيوعيين وحدهم ، سوف يؤثرون عندئذ محالفة الروس على محاربتهم . وعلى كل حال فإن الأوربيين الذين يقاومون الروس سيجعلون غرب أوربة ميداناً هائلا للقتال ، وإن الدمار الذى يحل بها عندئذ سيكون مماثلا للذى حدث لوارسو وبرلين فى هذه الحرب وستدور معركة أوربة على الأرض . ولن تكون هذه الأرض أرضاً روسية .. بل الأرض الأوربية — أرض الحضارة الغربية التى نريد أن نحافظ على مواطنها ومصانعها ومدارسها وجامعاتها ومتاحفها ومعاملها ومعابدها .

فإذا احتل الروس غرب أوربة ، كان علينا أن نختار إحدى اثنتين : إما الوقوع فى مأزق يجعل الروس سادة القارة الأوربية وإن دمرت مدنهم ، وإما غزو أوربة من البحر مرة أخرى ، وهو ما يحتاج إلى مشاة أمريكيين يطردون المشاة الروس . وهذا شيء يمكننا على الأرجح أن نفعله بعد استعداد يستغرق سنوات ، إذا رضيت أمريكا أن تضحى بما يتطلبه هذا الغزو . ويالها من تضحية !

إن موطن الضعف فى القنبلة الذرية من حيث هى سلاح حربى هو أنها ليست سوى وسيلة لإبادة المدنيين ، فلا يمكن استخدامها إلا فى حرب شاملة ، لا فى أغراض محدودة كصد جيش قوى عن احتلال بلاد صديقة . وكيف تستخدم فى الصين أو فى برما أو أندونيسيا ؟

وهى أداة سياسية لا غناء فيها ، لأنها قوة باطشة لا يمكن تخفيف بطشها ، فلا تصلح أن تقوم مقام فصيلة من البحارة ، أو سفينة

حربية أو سرب من الطائرات ، مما تستخدمه السياسة للترهيب فى المناطق المضطربة، فعلينا أن نستشعر الحذر من وهم شنيع هو أنه يمكن أن نعتمد على القنبلة الذرية فى كفالة الأمن أو أى نوع خاص من النفوذ السياسى الدائم للولايات المتحدة فى الشئون الدولية . فأمريكا والقنبلة الذرية كالقابض على ذيل الأسد ، استبقاؤه أمر عسير ، وإفلاته أمر مخوف. فماذا عسانا نفعل بهذا الشيء الملعون؟

ينبغي أن نستخدم هذه القنبلة فى الغرض الوحيد الذى تصلح له: ينبغي أن لا تعد سلاحاً حربياً، بل أداة لتربية البشر تربية سياسية . وينبغي أن تكون القنبلة الذرية والصواريخ الذرية المتوقع صنعها ، دليلا يدل على حقيقة كامنة فى كل سلاح يصلح للحرب الشاملة ، وذلك أنه لا يمكن أن يوجه إلا إلى سكان مدنيين قد يكون بعض جيش العدوّ بين ظهرانيهم ، لا الجيش كله .

ومعظم المدنيين هم على الأقل أبرياء ، بل الأغلب أن يكونوا أصدقاء أو حلفاء إلا فى النادر. ولما كانت شعوب الأرض قد اختلطت حتى أصبحت كأنها أمة واحدة ، فقد أصبح استعمال الصواريخ الذرية فى حرب شاملة لامعنى له إلا أنه نكبة شاملة .

وينبغي لأمريكا أن لاتستغل احتكارها المؤقت للقنبلة الذرية لكى تدعم به خططها السياسية فى هذا النزاع الدولى أو ذاك ، بل ينبغي أن تستغله فى دعم مشروع الهيئة العالمية ونظامها. فالأهوال التى تنطوى عليها القنبلة الذرية تقيم الحجة القاطعة على أن فى المبادىء التى أقرها ميثاق الأمم المتحدة أساساً يمكن أن يتخذ ، بل ينبغى أن يتخذ ، بل لابدّ من أن يتخذ ، لجعل العالم دولة واحدة خاضعة لقانون عالمى واحد .

روِّح عن نفسك

من الناس من تراه دائماً متوفزاً متوتر الأعصاب سريعاً إلى الغضب والسخط ، ويذهب علماء وظائف الأعضاء إلى أن أحد البواعث على ذلك هو مزاولة هؤلاء الناس لحياتهم وعملهم بوجوه جَهْمة وعضلات منقبضة، فيهيؤهم ذلك للتفزّز من كل صوت مهما كان خافتاً، وللغضب من كل صغيرة تمسّهم مهما هانت. وتراهم يعللون ذلك بأن أعصابهم مرهقة، والحقيقة أن عضلاتهم من قمة الرأس إلى أخمص القدم هى المتوترة المتفززة . فإذا ما استرخت جميع عضلاتك وصارت على راحتها ، صارت أعصابك وصارت نفسك كلها مطمئنة راضية . [مجلة « يور لايف »]

هذه طبائع البشر

قلت لخادمتي الزنجية : « إنني شديدة القلق على صحة والدتي » فقالت : « دعي الهم عنك ياسيدتي . إن جميع الناس ركب على سفر إلى القبر ، فإذا سمحت للقلق أن يستبد بك ، فكأنك تحثين بالسوط جواد المركبة التي تحملك » . [بولي بنيت]

راعني مارأيته في إحدى مركبات الترام في شيكاغو من أدب المفتش الذي يقطع التذاكر ومن حسن رعايته للركاب ، فلما قل الزحام كلمته في ذلك فقال :

« منذ خمس سنوات قرأت في صحيفة أن أحدهم أوصى بمبلغ من المال لرجل ، لأنه كان جم الأدب رقيق الحاشية . فقلت لنفسي : « ومثل هذا خليق أن يتم لك » . فشرعت أحسن معاملة الركاب ، فصرت قرير العين بذلك ، ولا يهمني الآن أأوصى لي أحدهم أم لم يوص بمليون ريال » . [ر . وبر]

لم أكد أنزل من القطار مع زوجتي ، حتى أدركنا الفراش وهو يلهث ، ومعه حقيبة زوجتي فقد نسيتها في المركبة . فلما عرضنا عليه منحة أبي ، ولكنه قال : « لست أريد أن أتدخل فيما ليس يخصني ياسيدتي ، ولكنني أحب أن أعرف مبلغ المال الذي في حقيبتك » .

ففتحت زوجتي حقيبتها ، وأفضت إليه بما أراد ، فأخرج من جيبه دفتراً صغيراً ودون المبلغ في آخر نهر طويل من الأرقام ثم التفت إلينا وقال : « إنني أحسب المبالغ التي أخسرها من جراء أمانتي » .

[ج . وطسون جارمان]

كانت خادمة زنجية تأتي إلى شقتي كل يوم ، تنفض غبارها وترتب أثاثها ، ودأبت على ذلك أربعة أسابيع ، ثم أعلنت فجأة أنها مضطرة أن تتخلف عني زمناً ، قالت : « إن زوجي بلا عمل الآن ، وحين يكون زوجي بلا عمل أمتنع أنا عن العمل أيضاً » .

فقلت كمن يؤنبها : « ولكنك يا لولو أشد حاجة الى المال حين يكون زوجك بلا عمل » .

فقالت : « طبعاً ، سنحتاج إلى المال ولكن حاجة زوجي إلى كرامته أعظم . ذلك بأنني إذا دأبت على العمل حين يتعطل ، يفضي به ذلك إلى الكآبة ، فإذا اكتأب أخذ يعاقر الخمر ، فإذا عاقرها شرع يغازل فتاة أخرى ، ولن أسمح له أن يغازل أحداً مادمت زوجته . ولكن لا تجزعي ياسيدتي ، فسأعود إليك قريباً فإن زوجي لا يطيق أن يبقى بلا عمل مادمت أنا في البيت » . [كاثرين برود]

صورة من الجلد الخارق المستكن فى بنيان الإنسان

أسبوعان من الهول على بساط من الجمد

س. ب. وال

مختصرة من مجلة "ماكلينز"

قال لى قائد الطائرة الضابط داڤيد جودليت : « إذا أردت أن تعرف كيف كانت حالنا فى الأيام السبعة الأولى ، فخذ اثنين من أعزّ أصدقائك واهبط معهما فى قرارة أسطوانة من الصلب ، ثم اجعل حرارة جوها ٤٠ درجة تحت الصفر ، وليكن طعامكم طول اليوم نصف كعكة مما تأكل الكلاب ، وماؤكم ماتلعقونه من الثلج الذى تخلفه أنفاسكم على جدران الأسطوانة .

وأضاف الطيار آرثر ويفر وهو جالس بالقرب من أنابيب التدفئة : « ... وأنكم أيضاً لا تدرون أين أنتم ، ولا متى خلاصكم ، وهذا أشق ما عانيناه فى محنتنا » .

وخبر ذلك أن جودليت وويفر وزميلاً لهما اسمه ناش كانوا يقودون قاذفة قنابل إلى إنجلترا ، فاضطروا إلى الهبوط على سطح نهر من الجليد بالقرب من ساحل جرينلند، ولبثوا متمسكين بأهداب الحياة ١٤ يوماً فى جو نزلت فيه الحرارة إلى درجة ٤٠ تحت الصفر .

وكنت أتحدث إلى جودليت وويفر فى فندق بمدينة تورنتو ، فألفيتهما شابين فى ميعة الصبا ، قد بلغ منهما الهزال كل مبلغ ، أما ناش فكان فى إجازة ، ولكن كأنّ شخصه ظل ماثلا معنا أثناء الحديث . إذ أن تلك المحنة قد مرت بثلاثتهم معاً ، وهو أمر هيهات أن ينساه ويفر وجودليت.

وكان جو الحجرة دافئاً ، ومع ذلك ظل ويفر متشحاً بمعطفه الثقيل وهو يحتضن أنابيب التدفئة وقال : « لقد مضى شهران منذ نجونا من سطح الجليد ، غير أن الدفء لايزال عاجزاً عن الدبيب فى أوصالى » .

وقد حدث لهم بعد أن غادروا نيوفوندلند بساعتين أن استقبلهم ضباب كثيف ثم صمت جهاز الراديو ، وحاول جودليت أن يعلو فوق السحاب ولكن الثلج تراكم على الطائرة وعجزت عن التصعيد فظلوا ست ساعات يطيرون على غير هدى على ارتفاع ١٥ ألف قدم . وقال جودليت :

« لم يبق من الوقود إلا ما يكفينا نصف ساعة ، فأدركت أن لامفر من أن أبدأ النزول . فاخترقنا سحباً كثيفة ونحن نتساءل طول الوقت أترانا سنصطدم بجبل ؟ وقد رفّه عنا ناش بفكاهته ، فقد جعل — ونحن نهوى — يقلد صبيان المصاعد فى المحال التجارية حين ينادون أثناء نزول المصعد على أنواع البضائع التى تباع فى كل طابق . ولما حسب أن المصعد قد وصل إلى الطابق الأسفل كنا قد خرجنا من الضباب ، واستطعت أن أتبين أننا نطير على بعد ١٥ ميلا من البحر ، ورأيت على حذاء الشاطىء سلسلة من جبال مسنونة القُنن كخوافى زجاجة تهشمت عنقها ، وكنا نطير فوق سهل تغطيه الثلوج ينحدر من تلك الجبال إلى ساحل البحر .

« وأخذت أدور بالطائرة على ارتفاع ٥٠٠ قدم ، فقد كان من الصعب أن أتخير بقعة للهبوط ، إذ كانت نشق السهل أخاديد عميقة متقاطعة ، وأخيراً جعلت الطائرة تهبط على بطنها ، وعجلاتها مرفوعة » .

وعندئذ وصل ويفر الحديث وقال : « إنه يهوّن عليك هذا الأمر ، فلا تنس أن النزول بسرعة ١١٠ أميال على ثلج متراكم يحتاج إلى مهارة فائقة ، ولما نزلنا سالمين صرخت أنا وناش : « ما أبرعه ! » ثم تلففناه وهو ينزل من مقعد القيادة وجعلنا نربت على كتفه بعنف من شدة الفرح .

« وخرج جودليت يستكشف ما حوله ، فإذا به يغوص فى الثلج إلى وسطه ، فرفعناه إلى الطائرة وأغلقنا بابها ، ومالت الشمس إلى المغيب ، وسمعنا الرياح تحصب وابلاً من الثلج على الطائرة ، ونظرت إلى مقياس الحرارة فوجدتها ٣٧ تحت الصفر .

« ورأينا أن نصيب شيئاً مما أخذناه معنا عند قيامنا من الشطائر والقهوة ، فوجدنا القهوة قد تجمدت ، ووجدنا الشطائر كالحجارة ، فجلسنا نلعقها بألسنتنا عساها تلين للمضغ قليلا .

« ثم جعلنا ندخن ونشعل سيجارة من أخرى ، وكان معنا مقدار كبير منها ، إذ كنا نحمل ٥ آلاف سيجارة لإهدائها إلى أصدقاء لنا فى إنجلترا ، ولكن لم يكن معنا إلا علبة ثقاب واحدة وقدّاحة .

« وأخذ كل منا ، بين الحين والحين ، يهوى بقبضة يده على ظهر زميله ، ويدق بقدميه أرض الطائرة وجدرانها ، ومع هذا شعرنا بالبرد كأنه يتسلل إلى أحشائنا ، وصعد جودليت إلى مقر القائد ونظر إلى الجهاز المبين عن سرعة الريح ، فوجدها ٦٢ ميلا فى الساعة ، وخيل إلينا أن الرياح تنفذ من صلب جدران الطائرة .

«ولا أعتقد أننا كنا نعيش يوماً واحداً ، لولا أن اهتدى ناش إلى فكرة تمزيق المظلات الواقيــة إلى شرائط لففناها حول أجسادنا وأقدامنا . وحين انتصف الليل هبطت الحرارة إلى ٤١ درجة تحت الصفر ، وركبتنا رعشــة البرد ، فرأينا أن نزحف إلى ذيل الطائرة حتى يرقد أحدنا فوق الآخر ، فرقد ناش وأنا من فوقه ، وجودليت من فوقي ، وتدثرنا بقماش المظلات ، وقد وجدنا شيئاً من الدفء المنبعث من أجسادنا ، ولــكن رعشتنا لم تنقطع ، ولبثنا على ذلك طول الليل ونحن نتناوب مكان أوسطنا إذ كان هذا أدفأ موضع .

« ولم نكف عن الحديث إلى أن طلع الصباح . تحدثنا عن كل شيء دار بخلدنا ، وصح عزمنا على أن نحدد لأنفسنا حصة من الـكعك في اليوم لا نتجاوزها ، إذ كان هذا الـكعك هو كل ما لدينا من طعــام ، فبلغ نصيب أحدنا كعكة لا غير في اليوم الواحد ، ولم يكن حجم هذا الـكعك يزيد عن نصف بوصة مربعة ، ومذاقه كنشارة الخشب ، وإن كان المفروض أنه غنيّ بالفيتامين .

« ثم شرعنا نتحدث عن غاندى وكم يستطيع المرء أن يظل صائماً ، وشدّ هذا الحديث من أزرنا ، إذ كنا نعلم عن غاندى أنه رجل طاعن في السن ضامر الجســد ، فإذا أطاق الصيام ٥٠ يوماً أو ٦٠ يوماً ، فلن نعجز نحن عن مجاراته . ولم يشأ أحد منا أن يشير إلى أن غاندى لم يكن يعاني ما نعانيه نحن من شدة البرد .

« وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي بذلنا كل حيلة لنفتح باب الطائرة ، ونظرنا فوجدنا الزوبعة الثلجية لا تزال على شــدتها ، ولــكن الحرارة ارتفعت إلى ٣٣ تحت الصفر .

« وأحسب أن جوعنا في الليــلة التالية كان أشــد جوع قاسيناه في الأيام التالية ، فتذكرنا مآدب الأعيــاد ونحن أطفال ، وكيف كنا نترك في الصّحاف بقية من طعامنا ، فأقسمنا تلك الليلة على أن لا نرتكب مثل هذه الحماقة مرة أخرى في حياتنا .

وكنا ونحن نتحدث لا ننقطع عن التدخين والحركة خشية أن تجمد أقدامنا وتتمشى فيها الأكلة .

وظللنا على هــذه الحال ثلاثة أيام . وفي الساعة الحادية عشرة من الليلة الثالثة كفّت الطائرة عن الاهتزاز ، فأدركنا أن الرياح قد هدأت . وأطبق الثلج على باب الطائرة ، ولــكننا فتحناه عنوة ووثبنا إلى الأرض . وأخذ ناش يستعمل جهاز الرصــد بدقة وعناية ، فتبين أننا في داخل المنطقة القطبية ، وعلى بعد ١٥ ميلا من المحيط الأطلسي

و ١١٠ أميال من أقرب مكان معروف على خرائطنا .

« وكانت أذهاننا قد أصابها كلال البرد هى الأخرى ، ومع ذلك لم يركبنا الذعر ، وأخذنا نتحدث عن طريقة الوصول إلى ذلك المكان .

«فرأينا أن ننفخ قارب النجاة ونجره فوق الثلج حتى نبلغ البحر ، ثم ندفعه بالمجاديف إلى أن نقطع مسافة ١٠٠ ميل و١٠ أميال ، ولكن السير على الثلج يحتاج إلى ربط أقدامنا على زحافات عريضة ، فوجدنا بين متاعنا أغطية صناديق من الخشب ، فعكفنا عليها طول الليل مستعينين بعدية جودليت . ولما أشرق الصباح كنا قد أتممنا صنع خمس زحافات متينة ، وصنعنا السادسة من خشب مقعد الطيار ، ثم جمعنا البوصلة ، ومسدس الإشارة وثلاث أجهزة يستعملها رجال السفن لطلب النجدة ، وأخذنا أيضاً صندوق الكعك .

« ولم نكد نبدأ السير حتى هاجت الرياح واغبرّ الجو وهبّت علينا زوبعة من الثلج ، فلحقنا منها كرب عظيم وعدنا أدراجنا .

وجلست تلك الليلة أعبث بجهاز الراديو حتى استقام حاله ، وتمكنت من التقاط إذاعة لمطار كندى وصلت إلىّ ضعيفة خافتة ، فقطعتها بإرسال إشارة الاستغاثة وبينت موقعنا ، فوصلنى ردّ علمت منه أنهم سمعوا إشارتنا ، وذلك فى اللحظة التى نفدت فيها شحنة الكهرباء من جهازنا .

« وتصلبت يداى من البرد حتى صرت فى آخر الرسالة أدق على الجهاز بمعصمى ، ولكن وصول الرد إلينا شد من عزائمنا . ومكثنا نهارين وليلتين ونحن نتحدث ونسخن ونقضم الكعك ، وكنا قد خفضنا الحصة إلى ربع كعكة فى اليوم » .

«ولم تهدأ ثائرة الرياح ولاعنفوان البرد، وتكونت على جدران الطائرة من الداخل طبقة من الجمد ارتفاعها ٣ بوصات، وتملكنا شعور بأن هذا الجمد يطبق علينا ، وأن ليس لنا حيلة فى منعه إلا إذا امتنعنا عن التنفس .

« والتهبت شفاهنا ودَمِيت من مصّ الثلج والجليد ، ولم ينطفىء لنا عطش على طول المصّ واللعق ، ولم تذق عيوننا النوم منذ غادرنا نيوفوندلند ، ومع ذلك لم نكن نشعر بالتعب أو بالجوع .

« وصحا الجو فى صباح اليوم السادس ، وفتحنا أسطوانة غاز الكربون ونفخنا به قارب النجاة ، ثم أتلفنا منظار القذف وأحرقنا كل ما معنا من أوراق وانتفعنا بلهبها فى تسخين فنجان من القهوة . ثم بدأنا سيرنا ، ولكن القارب لم ينزلق على الثلج

بسهولة ، وكنا كلما سرنا ٥٠ قدماً ضاقت أنفاسنا ، فلم نقطع فى ساعتين إلا ربع ميل ، ثم بدأ الثلج يتساقط من جديد ، فعلمنا أننا لن نقوى على السير طويلاً ، فانقلبنا على أعقابنا وعدنا إلى الطائرة واحتمينا بها .

« وفى عصر اليوم التالى طرأ على الجو تغير عجيب ، إذ ارتفعت الحرارة ٣٠ درجة وبدأ المطر ينهمر ، فلما نزلنا من الطائرة حسبنا أنفسنا فى إحدى المناطق الاستوائية ، إذ ذاب الثلج وصار كالطين اللزج ، وأصبح المشى أشد صعوبة مما كان ، ولكننا تابعنا السير حتى أدركنا الليل .

« وفى تلك الليلة جمدت علينا ثيابنا وأحذيتنا حتى أصبحت أشبه بدروع الحديد ، ثم أقمنا القارب على جانبه وأسندناه بالمجاديف وجثونا وراءه إلى أن انجلت عنا ليلة طالت ١٧ ساعة .

« فلما تنفس الصبح بدأنا نسير إلى الشاطىء ، فاقتضانا ذلك أن ندور مسافة ميل كامل من أجل أن نتفادى أول أخدود لقيناه . ثم إذا بنا نسمع أزيز طائرة ، فسارعنا إلى أجهزة الإشارة ، فلم يسعفنا إلا جهاز واحد منها ، ولكنه كان كافياً ، إذ هبطت الطائرة وأخذت تحلق فوق رؤوسنا ، ثم قذفت إلينا بمظلات صغيرة تحوى طعاماً ومعاطف ثقيلة وأكياساً للنوم وزجاجة خمر وزحافات للسير على الثلج . وحبلاً طوله ١٠٠ قدم ، ورسالة فيها تعليمات موجهة إلينا .

« فارتدينا ثياباً جافة وفتحنا أوعية الطعام وكان فيها أنصبة مقدرة لكل وجبة نصيب . فشرعنا نأكل وجبة الفطور ، ثم لم نتريث حتى أتينا أيضاً على وجبة الغداء ، ووجبة العشاء .

« ونصحتنا الرسالة بأن نربط أنفسنا بالحبل معاً ، وأن نتجه إلى الشاطىء فى طريق نجعله مستقيماً ما استطعنا ، وأضافت الرسالة أن أحد قوارب العسس سيلتقطنا عند الشاطىء . أما نحن فقد اندسسنا فى أكياس النوم ، وران الكرى على عيوننا لأول مرة منذ تسعة أيام ، ولكننا استيقظنا بعد ساعة واحدة وقد ساءت حالنا . وفى تلك الليلة تبللت ثيابنا وأكياس النوم بماء المطر وذوب الجليد ، ثم تجمدت علينا ولم نقو على النوم من شدة البرد . فوقفنا ليلة أخرى طولها ١٧ ساعة ونحن نحمل أكياس النوم فوق رؤوسنا لتحمينا المطر ، ولم نجسر على التقدم خطوة واحدة حذراً من الوقوع فى الأخاديد .

« وفى اليوم التالى أطبق على الأرض ضباب كثيف حجب كل ما عليها ، فاضطررنا إلى البقاء فى مكاننا ، وقضينا اليوم ونحن

بذلك أقدامنا المتورمة ، من قرص البرد ، وأصبح المشى بزحافات الثلج ضرباً من العذاب الأليم ، فدلكناها بشىء من الخمر فوجدنا مبياً من الراحة . ثم ارتفع الضباب فى منتصف الساعة الثالثة فى عصر اليوم التالى، وبدأنا نسير متثاقلين على الثلج ، وكان قد بلغ منا الضعف كل مبلغ ، فرمينا عن كواهلنا أكياس النوم .

« وهبطت الحرارة فى تلك الليلة ، وجلسنا متلاصقين وكل منا يحيط الآخر بذراعيه ، وكانت هفوة منا لأننا انقلبنا بعد ساعة واحدة إلى كتلة واحدة متماسكة متجمدة ، فاضطررنا إلى بذل جهد كبير ليخلص كل امرىء منا نفسه من صاحبه . وأغلب ظنى أننى بدأت تلك الليلة أسأل نفسى لأول مرة : ترى هل نقوى على السير إلى غايتنا ؟ فإن الثلوج المتراكمة على قنن الجبال بدأت تتحرك ، وأخذ يطرق سمعنا بين الساعة والساعة دوىّ عظيم يتجاوب صداه فى مخارم الجبال .

« وطلع النهار فإذا الجو صحو ، وأخذنا نجدّ السير ، ولكن الأخاديد أخذت تتكاثر كلما قاربنا الشاطىء ، وكنا وقتئذ قد أصبحنا من الكلال كالآلات المسيرة فى حركتها وأعمالها ، إذا وجدنا أنفسنا فجأة على حافة أخدود — وبعضها يبلغ عمقه ألف قدم — لم نشعر بأقل ذعر ، بل تنثنى عنه مسخّرين وندور حوله .

« وفى منتصف الساعة الرابعة من عصر اليوم التالى أبصرنا شيئاً كأنه قارب بمجدافين فى وسط الماء المتجمد . إذن هذه سفينتنا ! فنسينا أقدامنا المتورمة وعطشنا وإعياءنا . وبذلنا كل جهد بقى فينا فى قطع الميلين الباقيين أمامنا لبلوغ الشاطىء .

« وبلغنا حافة نهر الجليد قبل أن ينسدل الظلام بلحظات معدودة ، فوجدنا أنفسنا على حافة هاوية من الثلج والبحر تحتنا على مسافة ٢٥٠ قدماً . وأردنا الاستعانة بقداحة جودليت لإشعال معاطفنا الثقيلة ، ولكنها كانت مبتلة فلم تسرِ فيها النار .

« وفى الساعة السابعة أطلقت السفينة صواريخها وسلطت مصباحها الكشاف القوى على الشاطىء ، فأخذنا نثب ونصرخ كالمجانين كلما مر بنا شعاع المصباح ، ولكنه لم يستقر علينا مرة واحدة .

« ولما بزغ الفجر رأينا طائرة ترتفع من مهبطها بجوار السفينة ، فأخذنا نصرخ ونلوح لها ولكن الطيار لم يرنا ، وسرعان ما عاد بها إلى جوار السفينة .

« واقترب الليل فرأينا السفينة تتحرك وتتجه إلى البحر ، فلم نبس بكلمة بل وقفنا نرقبها إلى أن غيّبها الظلام ، فعددنا أنفسنا

حينئذ من الهـالكين ، إذ لم تبق فينا قوة تعيننا على العودة إلى الطائرة ، ولم نجهل أننا لن نستطيع تحمل برد ٤٠ تحت الصفر ، إذا قضينا ليلة واحدة فى هذا العراء .

« وبعد ساعة من حلول الليل قال جودليت لعل المعاطف قد جفت بحيث يسهل إشعالها ، فأخذنا نمزقها وكاد ينضب الوقود فى القداحة ، وأخذنا نجربها مراراً حتى أفلحنا فى قدح الزناد ، فلما اشتعل فتيلها سرت النار فى المعاطف وارتفع لهيبها .

« وما كادت ألسنة اللهيب ترتفع حتى رأينا صواريخ جمة تطلق من السفينة دفعة واحدة ، وأخذ مصباحها يومض برسالة رمزية تقول لنا : تراجعوا عن حافة نهر الجليد ، واتجهوا إلى الجنوب حتى يقابلكم رجال بعثة الإنقاذ .

« فتعالى هتافنا ، وأخذ كل منا يضرب ظهر زميله من الفرح ، وشعرنا بأن الغُمة قد انقشعت ، وسطع القمر زاهياً فى السماء ، فعدنا القهقرى وتخطينا منطقة الأخاديد ، ثم اتجهنا إلى حيث ينحدر نهر الجليد .

« فالتقطنا رجال بعثة الإنقاذ بعد ذلك بست ساعات وأخذونا إلى السفينة ، وعاملنا رجالها برفق كأننا أطفال . وقال لنا ربانها إنه حين رأى النار كان قد فقد الأمل فى إنقاذنا .

« وكنت أظن أن مسلكنا معهم طول الوقت كان لا يختلف كثيراً عن مسالك عامة خلق الله ، ولكن طبيب الباخرة أخبرنى فيما بعد أننا كنا فى تلك الحالة من الذهول ، بين سلامة العقل والجنون ، وأن محنتنا لو طالت ليلة أخرى لكانت قد أودت بعقولنا .

« وكان أكثر ما اهتم له أننا لم نتم إلا ساعتين فى ١٤ يوماً ، فأعطانا مخدراً لننام ، ومع ذلك لم أستطع — وأنا فى فراشى الوثير — أن أستغرق فى النوم أكثر من ساعة واحدة فى كل مرة . وكنت إذا فتحت عينىّ وجدت ناش وجودليت يقظين أيضاً وهما يدخنان ويتحدثان كما كانا يفعلان فى الطائرة .

« وهذا هو حالنا منذ ذلك الوقت فأنا وجودليت لا نستطيع النوم إلا ساعة واحدة فى كل مرة . ولا أدرى كيف حال ناش ولكنى أراهن على أنه يستيقظ فى منتصف الليل وهو يرتعش من البرد والذعر ، خشية أن يكون قد عاد إلى نهر الجليد مرة أخرى » . فسألتهما أى شىء أعانهما على التجلد لهذه المكاره كلها ، فلم يسعفنى أحد منهما بجواب سريع ، ولكن ويفر قال :

« كان جودليت قد خلف وراءه زوجته وابنته الصغيرة ، وكان ناش مشغول البال بأمه وهى وحيدة فى وينيبج ، وكنت أنا قد خلفت ورائى زوجتى ، فهل فهمت ما أعنى؟ كانت لنا وشائج عزيزة نريد العيش من أجلها » .

باب الكتب

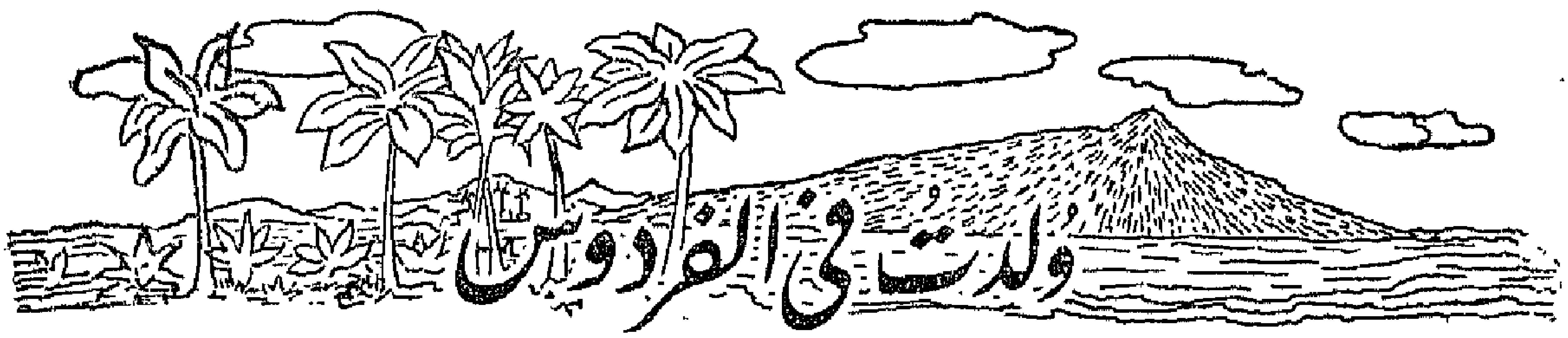
ولدتُ في الفردوس



ملخص كتاب بقلم

أرمين فون تمبسكي

إن المغامرة الرائعة لنشأة الإنسان فى مزرعة عظيمة ومرعى كبير فى هاواى ، قد زادتها روعة قدوة والد باسل علم أبناءه أن يحيوا حياة حافلة خطرة . وتقول مجلة « نيويورك تيمس » : فى كتاب « ولدتُ فى الفردوس » نرى الجزر وما تثيره من الرغبة السّمحة المائجة القوية المحبّة للحياة ، كأنما تغنى وتشدو بلحن فاتن من فردوس ماضٍ . والمرء يضع الكتاب وهو يشعر كأن باباً قد فتح له على عالم ساحر لم يألفه » .



ولدت في الفردوس



كانت أول كلمة تعلمتها هي «ألوها» ــ أي «حبي لك!» ــ صادرة من قلب عامر وَدود كريم . وتالله ما كان أروع ميراثنا نحن الأطفال الذين ولدوا في هاواي من آباء بيض ! فقد كان يحف بنا مالا آخر له من الأرض ، وكانت الموسيقى والأصوات المرحة لاتنفك تصافح أسماعنا ، ونبض الحياة يسرى فى الماء والأرض والهواء ، وأرَج أزهار الزنجبيل والجوافة يفعم الجو . وكانت خيوط المطر المنهمر الفضية ، ونور الشمس الباهت على الأرض والبحر ، والأزهار التي تتفتح عنها أكمامها ما بين قرمزى وأزرق وبنفسجى ــ بل كانت الأرض التى ندبُّ عليها تختلج فيها نبضات الحياة ، من الحمم التى تغلى وتجرى فى عروقها .

وكان زملائى خليطاً : آه سن ، الطباخ الصينى الذي كان له وجه كوجه المومياء ، والذى كان لصيحاته دوى الطبل ، فكان لهذا يبدو كالساحر . ومربيتى اليابانية التى كانت تدفىء كفها فى ثوبها دائماً قبل أن تلمسنى ، والتى كان المرء يشم منها رائحة البخور والشاى المغلى الخفيف . ومكالى الراعى الشيخ ــ من أهل هاواى ــ وكان إذا ركب جواده حملنى معه على وسادة فى طوافه ، فيعلمنى أساطير قومه ولغة الطبيعة الهامسة . وكان معنا أيضاً سيدات جميلات ، وزراع وملوك وأمراء ومشاهير ، وكان يغص بهم بيتنا في أواخر الأسابيع فيرقصون ويغنون طول السبت ليلا ، ويخرجون فجر الأحد ليصيدوا الثيران الوحشية ــ هؤلاء هم الناس الذين أحببتهم ، والذين جعلوا الأعوام والأيام حافلة بأكثر مما يتسنى وصفه .

وكانت المزرعة التى نعيش فيها ، وهى ٦٠٫٠٠٠ فدان ، تسمى باسم البركان العظيم الذي تنبسط فوقه ، وهو هاليكالا ، أى بيت الشمس ، وكان على عرش هذه المملكة أبى ــ لويس فون تمبسكى .

وهناك أناس يبدون كأنما يسيرون فى الحياة وعليهم ضوء خفى يجلوهم للناس . وكان لويس فون تمبسكى الذى يجرى فى عروقه الدم البولندى والدم الأسكتلندى ، من هؤلاء الناس . فقد كان أسلوبه فى الكلام ، ومظهره وسَمْته وهو يدخل الغرفة ــ كل ذلك ينطبع على لوح الذاكرة . وكانت عيناه

المرحتان اللتان يومض فيهما الاغتباط بالحياة ، وإشراق ابتسامته ، وخفته وسرعته إذ يثب على ظهر جواد ، أو ينحنى ليلاطف كلباً — كان ذلك كله يفرده بين الناس .

لما بلغ أبى الثامنة عشرة ، بدأ يجوب العالم طالباً للمغامرة ، وانتهى على مقربة من هاواى إذ وجد فى جزيرة ماوى أرضاً أحبها حباً جماً على الفور . وسرعان ما أثبت اقتداره فى أعمال التجارة ، ثم عرضت عليه إحدى الشركات إدارة مزرعة هاليكالافقبل ، وأثبت قدرته بأن أدارها على أساس رابح . ولما تزوج إيمى وودهاوس بنت السفير البريطانى إلى بلاط هاواى ، ذهب بها إلى مزرعة هاليكالا ليعيشا هناك . وقد علقت به فتنة هذه الأرض فصرفته عن بقية بقاع الدنيا ، فمنحها حبه وقوته ، ووهب هذه الأرض التى وكلت إلى عنايته ، حياته أيضاً — فقد وجد جنته . وفيها ولدتُ .

وكنت دائماً أستيقظ فى البكور عندما ترفع المواشى فى مراعيها رؤوسها لتحيي النور الدائم الروعة الذى يولد من الظلام . وأظل إلى أن تقبل تانسو ، أصغى إلى صوت البن وهو يُطحن ، وإلى اندفاق الماء فى حمام أبى ، وإلى قرقعة السياط ، وإلى حوافر الخيل المنطلقة ، وإلى نُتَف من أغانٍ يشدو بها الرجال وهم ماضون إلى عملهم فى مزرعة كبيرة . وكان أبى يخرج فى العادة قبل أن أفرغ من الفطور ، فإذا أخره شيء ازداد اليوم بهجة بفضل مرحه وقوته وحدة فؤاده . وكان أهل هاواى ينظرون إليه نظرتهم إلى رئيس ، ولكنهم كانوا ينادونه باسمه الأول ، ويدعوه اليابانيون « المستر لويس » ، وما كان أحد منهم يسميه المستر فون تمبسكى ، فما كان يعوزه لقب يكسبه الاحترام .

وكنت كل صباح حين أدخل المطبخ مع تانسو ، أرانى أنضح اغتباطاً وبشراً . وأجعل عينى ، وأنا أتناول الخبز واللبن ، على آه سن وهو يروح ويجىء ويرفع الأغطية عن المواعين الفائرة وفيها اللحم المملح والديكة . وكانت مواعين أخرى أصغر منها ، فيها كل شرقية تفوح منها روائح مغرية ، وكان الفرن الكبير يطلق رائحة الخبز الطازج .

وكان أربعون نفراً يطعمون من المطبخ . فقبل أن يسكت ناقوس الإفطار كان الرجال يقبلون — رجال فى كعوب أحذيتهم مهامير ، وعلى أرجلهم سكاكين مربوطة ، وفى قبعاتهم أزهار : رجال يملأون المكان بالكلام المدهْوَر فى الأشداق والضحكات العالية ، فيأخذون أكواماً من أطباق البيض

السميكة ويملأونها طعاماً سخناً، ويتناولون فناجين ضخمة من القهوة،ويخرجون بذلك كله إلى أرض الحديقة .

وكنت أترقب مكالى بلهفة ، وأنطلق لأقابله فيحملنى على ظهره ، ويطوق عنق بما يعده لى كل صباح ، فتصبح الساعات البهيجة التى نقضيها معاً ، حقيقة ماثلة أبداً.

وحدث ذات صباح أن عصيت أمى ، فنهتنى أن أخرج مع مكالى إلا بعد الإفطار، ولم يجدنى الصراخ والبكاء والتمرغ والرفس، وحملتنى تاتسو وأنا متهافتة منهوكة القوى إلى الفراش ، وكانت تمشى فى الغرفة فى هدوء وخفة ، فخطر لى أنها قد تنصرف إذا أنا تناومت، فأتسلل خارجةوأدرك مكالى .

وشعرت بفيض حبها لى وهى تغطينى . ولكنى لم أفتح عينى ، فلما سمعتها تخرج ارتديت ثيابى بسرعة وسرت منحنية بجانب سور الحديقة ، وذهبت أعدو فى الطريق وقد امتلأ صدرى بأرج الصباح ونسيم الحرية ، وكان مكالى يهم بامتطاء الجواد لمضى إلى المرعى الساحر الذى ترتع فيه وترعى الخيول الأصيلة ، وكانت لنظرة الدهشة والتأنيب الرقيقة التى ألقاها علىّ، مثل وقع العصا، ولكنى ألقيت بنفسي عليه .

فقال بلغة هاواى يوبخنى : «يالك من طفلة شيطانة !»، ولكن صوته كان واشياً بالحب.

فقلت وأنا ألهث: «سأضرب على كل حال لأنى هربت ، فخذنى لأرى الأمهار » .

وكثرت الغضون التى جعّدها الابتسام عند مؤخر عينيه فعرفت أنى فزت ، وصنع لى من بعض ثيابه وسادة أجلسنى عليها ، ومضينا على مهل ، وكانت السعادة التامة تنضح منى، فاسترخيت مستندة إلى القميص الأزرق الحائل الذى يرتديه هذا الرجل الذى أحبه .

وترجلنا على ذروة تل وقعدنا على الأرض الدافئة العطرة، وشعرت بعينى مكالى الحكيم العطوف تنظران إلى ، فزايلنى ما كان فى نفسى من الغيظ والشعور بالخيبة والعجز فى الصباح ، واشتهيت فى سرى أن أجزيه على السرور الذى كنت دائماً أنعم به وأنا معه، واقترحت أن أحدثه بكل ماأشم وأرى وأسمع ، وكان ذلك نوعاً من اللهو لى ، علي أنى أدركت فيما بعد أن تدريبه الدقيق لحواسى جعلنى واسعة المعرفة بالأرض وطبيعتها، وقريبة من القوى الخفية فى الطبيعة . ونظر إلى وجهى الملوث وعينى المنتفختين ثم هز رأسه فى حنان .

وقال برقة : «لافائدة اليوم يا بنيتى ، فإن الناس يخونهم ذكاؤهم وهم محزونون ، فخير أن نذهب إلى الخيل » .

فركبنا وأنا كالذاهلة ، وكنت أصغى إلى

صوت الأرض ، وهو صوت ضخم مؤلف من أصوات خافتة : حمائم تهدل فى أعشاشها فوق الأشجار الخضر ، وطيور تصفر وتزقزق ، وحفيف الأغصان . وتأدّى إلينا من ناحية الأرض المطمئنة تحتنا صهيل عذب من مهر جاوبته حمحمة فرس .

فسألنى مكالى بلغة هاواى : « أين هما ؟ »

وتكرر الصهيل ، فدلتنى أذنى المدربة على ناحيته فأشرت إلى الأجمة الثالثة من الأشجار فى الوادى ، فالتمعت عينا مكالى وهز رأسه راضياً ، وعدت الفرس بنا عدواً خفيفاً سهلا ، فصرنا إلى حيث كانت عشرون مهرة متخذة للنسل مجتمعة ، فقال مكالى : « كلا ، كوكيت ليست هنا . يجب أن نمضى لنرى » .

وكانت كوكيت مهرة أبى الأصيلة ، وكانت توشك أن تنتج ، وأخيراً وجدناها بين طائفة من شجر الجوافة ، وجانباها يضطربان ، وكتفاها تتصببان عرقاً ، فأسرع مكالى فترجل ، وكلمها وهو يفحصها .

وقال بعد دقيقة : « إن ولدها قد بدأ يخرج ، وهو بكرها ، ولا وقت للرجوع بك إلى البيت ثم العودة إليها . وأحياناً تجزع المهرة وتفزع عند الوضع الأول » وبدا عليه الأسف : « فتروح تعدو ، وقد تفقد ولدها ، فسأبقى معها . ولكن ربما غضبت المسز لويس لأن بنتها الصغيرة رأت مهرة تضع حملها ، أما أهل هاواى فلا يعبأون شيئاً بهذا ، وصغارهم يشهدون الولادة . إنها عاداتهم ، ولكن الإنجليز لهم رأى آخر » .

وحسمت كوكيت الموقف ، فبدأت تترنح من ناحية إلى ناحية ، وكان مكالى يعرف ماذا يصنع على وجه الدقة ، وكان لا يفتأ ينظر إلى ناحيتى ، ويتكلم مسروراً : « كوكيت بخير . . . الوضع ميسّر . . . » ويهز رأسه راضياً على نحو يجعل المشهد يبدو كأنه شىء مألوف .

ولما صار النتاج على الحشائش مبللاً ولا حراك به ، لحست أمه وجهه حتى فتح عينيه ، وبعد قليل نهض على أقدامه فى ضعف فلمست أنفه بأنفها ، وكانت أرجله لا تكاد تحمله ، ولكنه جميل ، فنظر إليها ثم بدأ ينشد طعامه .

فسرت فى بدنى هزة سرور وسألت : « هل أستطيع أن ألمسه ؟ »

فأشار مكالى برأسه أنْ نعم ، فوضعت كفى على كفله البليل فرفس رفسة ضعيفة ، فأشرق وجه مكالى ، ثم غاض السرور من وجهه وقال : « يحسن أن نعود الآن ، فقد لا تسمح المسز لويس بأن تركبى معى مرة أخرى » ، وأركبنى الفرس ثم وثب ورائى ، وفطنت تدريجاً إلى المأزق الذى هو فيه .

فقلت : « لن أخبر أمى » .

فقال مؤنباً : « لا أحب هذا الكذب يابنيتى . خير من هذا أن نبتهل إلى الله العلى الكبير، وإلى إلهنا « أكوا » العظيم أن يجعلا المسز لويس تفهم وتعذر ولا تحرمنى منك » .

ولما عدنا ، ترجل مكالى وكأنه رجل هرم متعب لم يبق له فى الحياة مأرب ، فأدركت أنى المسئولة عما هو فيه بهربى ، وأقبل أبى خارجاً من البيت ، وانتزعنى وضمنى إليه ، وكلمه مكالى ووجهه يرجف ، وكان أبى يصغى ويفكر .

وقال : « أول ولد ! سأضطر إلى ضربك علقة . فإن أمك كالمجنونة ، والمزرعة كلها على قدم وساق ، والعمل واقف لأننا كنا نبحث عنك » .

ووضع يده على كتف مكالى ليطمئن ، فستر الرجل عينيه لحظة ، ثم لثم يد أبى ورفعها إلى جبينه ، فتحير الدمع فى عينى أبى ، وقال وكأن فى حلقه شيئاً : « امض إلى عملك يا شيخ ! »

ولكنه لما حملنى إلى مكتبه صار وجهه مكتئباً صارماً ، وألحت على حلق الغصص ، وراح أبى يبين لى فى أناة وصبر ما ارتكبته ، حتى وضح الأمر فى عينى :

« إن الهرب ليس كل ما ارتكبت يابنيتى ، فقد غششت تاتسو وتناومت لتنصرف . وتاتسو تحبك وتثق بك ، وقد خنتها ، وأوقفتها مع أمك فى موقف المخطئة ، ولولا أن مكالى قابلنى قبل غيرى ، لصار موقفه حرجاً . والآن هل فهمت لماذا ينبغى أن أضربك ؟ »

فأحسست أنى غارقة فى لجج من الإجرام وقلت وأنا أكاد أختنق : « نعم . فأرجو أن تضربنى بسرعة فنتهى » .



وقبل أن أبلغ الخامسة بزمان طويل ، كنت أستطيع أن أركب حصاناً عارى الظهر وأنا مطمئنة . فلما بلغت الخامسة أهدى مكالى إلىّ فى عيد ميلادى سرجاً ، وكنت أراقبه وهو ينجر الخشب ويسويه ، وأساعده فى تهيئة الجلد ، فلما نزع آخر قطعة رقيقة من الجلد عن الخشب ، نظرنا إلى عملنا فى صمت .

وقال : « انتهينا » .

فكان هذا إيذاناً بنهاية أمر ، وبداية أمر — فقد اجتزت مرحلة الحداثة إلى مرحلة الطفولة ، وسأركب الآن حصانى إلى جانبه . وأراد أبى أن يحتفل بمنزلتى الجديدة فقال لى إن فى وسعى أن أذهب معه لنسوق العجول إلى الشاطىء لتشحن إلى هونولولو .

وكان ذلك يبدأ دائماً فى الساعة الأولى

صباحاً اغتناماً لابتراد الجو فى الظلام ، فلما بلغنا بعد ظهر ذلك اليوم الحظيرة الكبيرة المسورة بجدار من الحجر فى ناحية ما كينا ، كانت ساقاى قد تصلبتا، وركبتاى فى ألم مبرح من حسك الصبير الذى كان يخزها، إذ أذهب أعدو بالجواد لأحول دون مايهم به القطيع من الإجفال . وقد أدركت للمرة الأولى أن أبى وأعوانه كثيراً ما كانوا يخاطرون بأرواحهم حين يغادرون عالمى المطمئن كل صباح .

وقال أبى : « تعالوا نسبح ريثما يعد العشاء» ، وهيأ لى مكالى شيئاً كالوسادة من شملته الحمراء ، فأحسست أنى كبرت وأنى أشبه هؤلاء السمر الملوحين الذاهبين إلى الماء ، ولما صاروا فيه ضربوه بأكفهم ، فكانت لهذا أصداء مديدة جوفاء .

فسألت : « لماذا يصنعون هذا ؟ »

فقال أبى : «ليس هنا شعاب من الصخر، وهذه الأصوات تطرد قروش البحر » .

فأحجمت مترددة ، فجلس أبى إلى جانبى وقال: «يابنيتى ، إذا كنت تبغين أن تكون حياتك ملأى حافلة ، فإن عليك أن تغامرى أحياناً ، على أن قروش البحر فى هذا الماء معروفة بجبنها » .

فشعرت كأن فى أحشائى طائراً مذعوراً يضرب بجناحيه ، وسمّر الخوف قدمى فى الرمل ، وألقى علىّ أبى نظرة غريبة وغطس فى الماء ، فأغمضت عينى ودخلت فى الماء ، وسرعان ما كنت أسبح بين أبى ومكالى ، وما لبث جمال البحر الناعم أن محا كل خاطر آخر .

وفى تلك الليلة ، ونحن جلوس حول النار ، أخرج « بيلى » الأكورديون ، وأخرج كاها ليواى طنبوره ، وراحوا جميعاً يغنون إحدى أغانى الرعاة القديمة، وكان فيها من حركة التبختر وهزة الرقص ما يمثل حياتنا الرحيبة الرخية . ولم أكن أريد النوم ، غير أنى لما فتحت عينى مرة أخرى كان الفجر الفضىّ المتلألىء قد غمر السماء ، وكان بيلى يعد القهوة ، وهو كى يخب بجواده لينظر هل ظهرت السفينة أو لم تظهر .

وإذا بالصباح الصافى كالمرآة تشقه صيحة قوية من الغياض ، فانطلق القطيع يعدو إلى البحر ، فخففنا إلى جيادنا ، ورفعنى مكالى إلى سرج جوادى، ووثب إلى ظهر جواده . وذهبنا نركض على الشاطىء ، وكان رجالنا الذين يمتطون جيادهم بغير سروج يخوضون الماء وراء الماشية ، وكانت أوامر أبى تسك السمع كأنها طلقات البنادق .

وكانت الماشية تسبح متجهة إلى جزيرة حمراء بعيدة، وكان كل مانراه منها رؤوسها. واختفى رأس ثم آخر ، وشرع الرجال وهم

يخوضون الماء بجيادهم يضربون الماء بأكفهم. قروش البحر! وصار الصباح وَغَى أهوال، وفزع القطيع، وصار يدور ويتصادم، ويحاول بعضه أن يركب بعضاً، والرجال يصيحون ويضربون الماء، والخيل تخوض وتجاهد. وخيـــل إلىّ أن أبى ومكالى سيمزقان إرباً إربا، وأردت أن أصرخ، ولكن عضلات حلقى كانت كالمشلولة.

وأخيراً استطاع الرجال وهم يصيحون ويسخطون، أن يردوا القطيع المُغَمغم إلى الساحل، ثم استاقوه إلى الحظيرة، وأقبل الثور الشارد الذى بدأ الإجفال يترنح وفى جنبه جرح فاغر ينزف دماً، وهو لايفتأ ينظر إليه كالمذهول، واندفع أبى وهولو ماليا إلى الماء مرة أخرى لينقذوا خمسة ثيران تسبح قرب الشاطىء، وغطس أحدها تحت المـــاء حين وصل إليه أبى، ولكنهما أنقذا الآخرين، فصعدتُ إلى الشاطىء بسلام.

وكنت أنتفض فوق سرجى، وأحس أن عظامى أصبحت كالهلام، وكان أبى يبدو لى كأنه لايعرف من أنا، وكانت وجوه الرجال جميعاً ناطقة بالإعياء والشعور بالخطر، وشعرت كأنى فى عزلة، وبكيت كالجرو، فأقبل علىّ أبى، وحملنى عن سرجى إلى سرجه، فارتد إلىّ شعورى به وبغيره.

وقال: « هدّئ روعك ».

فعلقت بأبى، وبلعت ريقى، وكان لايكلمنى أبداً كما يكلم طفلا، ويعاملنى كأنى كبيرة، فيغرينى هذا بأن أتشجع مثله.

« لماذا أجفل القطيع؟ »

« أضجره الانتظار، وسقطت جوزة من جوز الهند فى الحظيرة، فوثب من فوق السور وأجفل ».

« وماذا جرى للثور الأسمر؟ »

« ذبحوه وأراحوه من عذابه ».

وصاح هولوماليا وأشار بيده، ونظرنا فإذا السفينة قد ظهرت، فجمع أبى رجاله وقد اتخذ هيئة الجد، وكلمهم بلغة هاواى، فقذف بيلى بشىء على الماء، فحدث انفجار.

وقال أبى على سبيل التفسير: « ديناميت لطرد قروش البحر، وهو عمل غير جائز قانوناً، ولكن له مايسوغه الآن ».

وألقت السفينة مراسيها على مسافة نصف ميل من الشاطىء، وجرت الأمور مجراها مرة أخرى، وأنزل زورق مسطح أقبل على الشاطىء، وربط أبى ثوراً وانطلق به إلى الماء، وكان هوكى يركض إلى جانب الثور، واندفعوا إلى المـــاء بسرعة وسبحوا إلى الزورق، ورمى أبى بالحبل إلى رجل فى الزورق، ودار والتقط منه حبلا جديداً، وعاد إلى البر. وكان الرجال يعملون اثنين

اثنين بنظام ودقة ، وسبحت ثمانية ثيران على كل جانب من جانبي الزورق وهي مربوطة من قرونها ، فلما بلغ الزورق السفينة رُفعت الثيران إليها .

ورفع الزورق بآخر حمولة إلى جانب السفينة ، وانطلقت صفارتها ، وأرسل الرجال المكدودون خيولهم ، وأطفأوا ظمأهم من جوز الهند الأخضر ، ودنا مني مكالي وقال : « أتحبين أن نخوض الماء بحصان ؟ تعالى أردفك على فرسي » .

ففكرت في قروش البحر ، وترددت بين الخوف والرغبة . وإنه لمنظر بديع ، حين تتلقى الخيل الأمواج بصدورها وتسبح ذيولها وراءها كالمراوح ، ثم تذكرت ماقاله أبي من أن على من يبتغي حياة حافلة أن يغامر بعض المغامرة .

فقلت أخيراً : « نعم » .

فأومضت عين مكالي وقال : « يالك من فتاة ! » وأردفني خلفه .

وحدث ذات يوم ، بعد عيد ميلادي التاسع بقليل ، أن جمح جواد مكالي به فاصطدم بعمود البوابة ، وبعد بضعة أسابيع ورمت رجله وآذته ، فأمره أبي بالراحة شهراً وكان له ، كمعظم رجالنا من أهل هاواي ، قطعة أرض خاصة به يزرعها أعضاء أسرته ، وكنا كل بضعة أيام نركب إليه لنراه ، ولكن ساقه ازدادت سوءاً ولم تتحسن .

وأقبل ابن مكالي ذات صباح ، وهو في الخامسة عشرة ، وطلب من أبي أن يأذن لي في الذهاب إلى مكالي على الفور . فلما بلغنا بيته ، ألفينا هذا الرجل الهرم المحبوب قاعداً على الأرض وظهره إلى الحائط ، وقد حفر الألم أخاديد عميقة حول فمه ، وكانت ساقه ممدودة أمامه وهي ملفوفة في أوراق الشجر .

ورآني فشرع يبكي في صمت ، فأسرعت إليه ، وقد غمرتني كالفيضان ذكرى السنوات التي قضيناها معاً ، وكل ما تقاسمناه ، وما تعلمت منه ، وصار الكلام عبثاً ، فبكيت بكاء شديداً وسألته : « أتراك ستموت يامكالي ؟ »

فأشار إلى رجله ، وقال : « نعم » وراح يلثم يدي ، ويقول بصوت خفيض بلغة هاواي : « يابنيتي التي حملتها على وسادة قبل أن تدرج وتتعلم المشي ، والتي كانت تريح رأسها الذهبي الشعر على صدري ، والتي علمتها الركوب والسباحة ... »

فطوقته بذراعي ، ولصقت به ، وبدا كأنما أفاده هذا روحاً . وكان يعلم ، كما أعلم ، أنه ينزل من قلبي مكاناً لن ينزله أحد سواه ، وتبعتني عيناه الحزينتان ونحن نمضي ببطء إلى الباب .

وقال: « مى كى ألوها پو أولى »

وما كانت به حاجة أن يقول لى شيئاً ، فإن حبى له ، كحبه لى ، لن يغيض له معين ، وتناول أبى يدى ، واحتبس صوتى فى حلقى ولكنى استطعت أن أقول: «مى كى ألوها پو أولى » بصوت مرتجف .

وأقبل أهل هاواى من كل حَدْب فى الجزيرة ليسيروا فى جنازة مكالى ، فقد كان على هدوئه إنساناً عظيماً . وقد بكته أمى حتى انتفخ وجهها ، فإنها لما جاءت إلى ماوى وهى عروس ، كان مكالى هو الذى زين بيتها الأول الصغير بالزهر وجمله لاستقبالها .

وقبل أن تسير الجنازة بقليل دعانى أبى إلى مكتبه وقال : « أريد أن تعامى أنه ليس فى الموت شىء فظيع ، وكثيراً ما يكون فرجاً وراحة، وقد مات مكالى بأوجع أنواع السرطان وأسرعها . وينبغى أن يسرك أن أوجاعه قد انتهت وأنه شفى منها ، وهذا شبيه بقتل حصان هرم كسيح لإعفائه من الآلام . لقد كان موت مكالى راحة له » .

ووقفت بجانب أبى على القبر المفتوح ، فامتلأ قلبى غصصاً ، واحتجت أن أسند جبينى إلى ذراع أبى ليكف بدنى عن الانتفاض. ومازالت ذاكرتى تتمثل بعد كل هذه السنين كل صغيرة وكبيرة مما حدث فى ذلك اليوم : الغلمان اليابانيـــون ، ورجال المشاتل وهم واقفون وعلى وجوههم ما يشبه سيما الغضب إذ يحاولون كظم شعورهم ، واليابانيات بأسنانهن المسودة وذلك حداد عندهن ، ونساء هاواى مرسلات الشعور وهن يندبن ويغنين بأصوات كأنها أصداء الأرغن ، والثيران الستة القوية وقد لف الزهر حول قرونها ، وأبى يحيط بذراعه الأخرى ابن مكالى اليتيم الذى أوصاه مكالى به وسأله أن يكفله . ولما شرع هالومالى وبيلى وغيرهما من الشيوخ ، ينزلون النعش بحبال ملفوف عليها الزهر تحدرت الدموع من مآقيهم على خدودهم ، فأومأ إلىّ أبى أن أدع ذراعه ليسند بها أمى التى كانت تبكى وتعول كأى امرأة من نساء هاواى . فخليتها له مطيعة ، وارتددت إلى الخلف وقعدت على الأرض ، وقلت لنفسى إنه لاينبغى لى أن أعتقد أنى لن أرى مكالى مرة أخرى . وكما يحدث أحياناً فى أوقات المحنـــة ، تذكرت أغنية قصيرة مرحة من أغانى هاواى كان مكالى قد علمنيها ، فلما أدرتها على لسانى مرة بعد مرة خيل إلى أنى أنا ومكالى راكبان معاً ، والنسيم على وجوهنا والأزاهير على قبعاتنا .



بعد ذلك بأيام قلائل مر بنا ثلاثة من كبراء الإنجليز فى طريقهم إلى أستراليا ليتولوا

بها وظائف رسمية ، وأقاموا عندنا أسبوعاً فى المزرعة .

فارتاحت أمى وانطلقت على سجيّتها، فإن هؤلاء من قومها ، وهم يتكلمون لغتها ويفكرون كما تفكر ، وقد أثنوا على الشاى الذى قدمته لهم ،واستطابوا الشطائر المصنوعة من الخردل والجرجير ، وهى غاية فى الرقة ، وأتوا على ماقى الأطباق من الكعك المحشو بالبرقوق .

وبينما كانت أمى معهم تحادثهم عن إنجلترا، كنت أنا أرقب خدم البيت وهم يعدون المائدة للعشاء ، وقد أفاضت مفارش الدمقس والأدوات الفضية الثقيلة والبلورية المتلألئة على المائدة الطويلة ،مسحة من الأبهة والفخامة القديمتين . وبعد أن وضعت آخر قطعة من الفضة فى مكانها ، زينت ظهور الكراسى بأزهار القرنفل المخملية .

وكان ذلك ليلة السبت ، والمزرعة على قدم وساق كالعادة ، وقد ازدادت الحركة بقدوم الضيوف الكبار . ووقفت أنا وشقيقتاى أينا وجوين فى الحديقة ننظر إلى الضيوف وهم يجتمعون استعداداً للعشاء ، وكان الضيوف يرتدون ثياب السهرة ، وأمى فى ثوب جديد ، وأبى فى ثوب أبيض .

ولم أر أمى قط سعيدة كما كانت فى تلك الليلة . فقد عادت إلى الجوّ الإنجليزى الذى كانت تتلهف إليه ، وكانت تحب أبى ، وتحب هاواى ، ولكنها لم تندمج قط فى هاواى اندماجاً تاماً ، أما الآن فقد ارتدّت هاواى وغابت فى الليل الأرجوانى، واعتلت إنجلترا عرشها مرة أخرى — لحم البقر المشوى، والثياب الرسمية، وأضواء الشموع، والأصوات الخافتة ، والأوانى الفضية تنقل بإحكام على الصحاف الصينية وعليها شعار الدربى — لقد كان اغتباط أبى من أجلها مما يطيب للمرء أن يرى دلائله .

ولكن باباً صغيراً فتح فجأة ، واندفعت داخلة منه امرأة مذعورة سمراء عارية الجسم وشعرها الأسود منتفش ، وارتمت بين ذراعى أبى .

« لويس ، لويس ، أنقذنى ! »

وحاولت ليهو — امرأة موكو — وهى تبكى وتنشج أن تضع نفسها على حجر أبى ، وكان جسمها الأسمر البدين يبدو عارياً جداً ومخجلا بإزاء غطاء المائدة الأبيض .

وامتقع وجه أمى فصار كالطباشير ، وتجمد شاربا الكبتن بيلى على شفته، وانطبقت شفتا الفيكونت أشلى، وسقطت نظارة السير هيو عن عينيه ، فقد قضى على حفلة العشاء قضاء مبرماً .

وصاح أبى : «ماذاحدث؟ » وستر بفوطته الكبيرة مايمكن ستره من بدن ليهو الجسيم.

فقالت لهو وهى تصرخ وتدسّ رأسها فى نحْر أبى : «موكو يوشك أن يقتلنى . كنت أرقص رقصة البولا مع هوكى ، لا لشىء سوى التسلى ، فأقبل موكو ومزق ثيابى ليجلدنى، فغضب هوكى والتقط حبل الصيد» ، وتغيرت لهجتها وهى تقول: «أوه يحسن أن تذهب بسرعة يالويس ، ومن يدرى ؟ لعل هوكى قد قنص موكو بحباله فيقتله . أسرع ، وأنا أخاف أن أرجع ، فأغلق علىّ باب مكتبك إلى الغد » .

فأنزلها أبى عن حجره ، وخلع سترته ، وغطاها بها وأخرجها من الغرفة ، ولكن حفلة العشاء قضى عليها . فقد انتصرت هاواى الوثنية الجامحة المسرفة على إنجلترا .

وتسورت الجدار الحجرى بضعف ، ورأيت أبى ينطلق إلى المخيم الغاص بالصاخبين من أهل هاواى، وبالبرتغاليين واليابانيين الذين كانوا يتنقلون على غير هدى كأنهم أنعام ضالة . ثم رأيت جيب قميص أبيض يبدو منطلقاً به صاحبه من البوابة ويختفى بين الجمهور — الكبتن بيلى ، وبعد أربع دقائق أو خمس رجع هو وأبى .

وقال أبى : « لم يكن من السهل التغلب على هوكى، فقد كان سكراناً طافحاً ، ولكن هذا قد تكرر أكثر مما يجوز ، وسأطرده غداً، فإنه هو السبب فى إفساد حفلة إيمى» .

وندت عن الكبتن بيلى ضحكة قصيرة وقال : « ولكنى أقسم أن هذا الحادث كان ممتعاً ، ولن أنسى أبداً هذه المرأة السمراء العارية وهى تقتحم المكان علينا كأنها قنبلة متفجرة . لقد كان هذا وحده يستحق الرحلة كلها من إنجلترا إلى هنا »

وفى صباح اليوم التالى كان هوكى واقفاً على عتبة المكتب وعليه آيات التوبة كعادته دائماً ، فقال له أبى بلهجة صارمة: «إنك مطرود طرداً نهائياً ، فقد أزعجت ضيوفى ، وسببت لإيمى اضطراباً عصبياً، وذلك ضارٌّ بها لأنها حامل» .

وأدرك هوكى أن هذه هى النهاية، فسحّت عيناه بالدموع على خديه وأمسك بيد أبى ، وانطلق يتحدث بلغة هاواى فى حماسة .

قال إنه إذا أمكن أن يكون خادماً للطفل الذى سيولد فإنه يكف عن الشراب إلى الأبد ، وإن رغبته فى الشراب دون رغبته فى التشرف بأن يوكل إليه أحد أبناء أبى ، وإنه يودّ أن يكون مكالى الثانى .

ففكر أبى قليلا ثم قال : « إنى لم أكن من الملائكة فى شبابى يا هوكى، فإذا أقلعت عن الخمر فإنى أستبقيك ، وبعد أن يولد الطفل أنظر هل تكون خادمه الموكل به أو لا » .

وفى اليوم الذى ولدت فيه لورنا اجتمع الخدم وزوجاتهم فى الحديقة ، وكان هوكى بينهم ووجهه ناطق بالأمل والقلق وهو

ينتظر أن يعرف ما استقر عليه رأى ابى ، وكان الرجال الآخرون يعابثونه ، فصارت عيناه السوداوان كالجمر .

وقال يرد عليهم : « لا بأس ، اضحكوا . لقد مضى عليّ أحد عشر أسبوعاً لم أذق فيها خمراً ، ولا شك أن لويس لاحظ ذلك » .

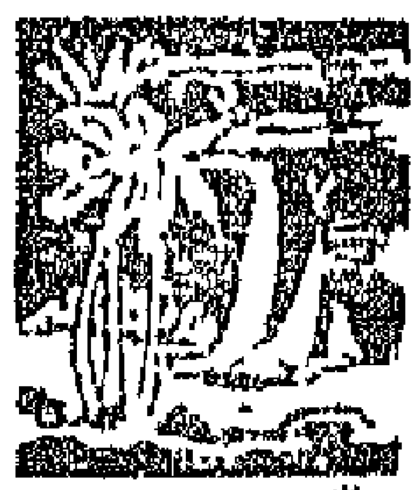
ولكن هوكى لم تبد عليه هذه الثقة حين خرج أبى إليهم وقال لهم وهو مبتهج : « إن إيمي بخير ، وغداً بعد انتهاء العمل تستطيعون أن تدخلوا جميعاً عليها لتروها وتروا الطفل . ولما كنت يا هوكى خادم لورنا ففى وسعك أن تراها فى الصباح » .

فاندفع هوكى وارتمى على أبى وطوقه بذراعيه : « شكراً لك يا سيدى ، شكراً . إن سعادتى أكبر من أن أحتملها » .

وفى الفجر كان ينتظر ومعه طاقة من القرنفل الأبيض ليعلقها على مهد لورنا . وكان يجيء كل صباح ليراها وهو مغتبط ، وسرعان ما صار وجهها يشرق حين يبدو لها ، ولما بلغ عمرها ثلاثة أشهر حملها وأركبها للمرة الأولى على وسادة أمام سرجه .

ويظهر أن أبى كان ذا موهبة تساعده على معرفة القيمة الحقيقية لكل رجل . فبعد عامين أراد « إيولى » الذى يساعد على تدريب الأمهار ، وكان رجلا خفيفاً إلا أنه يصعب الركون إليه ، أن يتولى خدمة الطفل الذى كان فى طريقه إلى الدنيا ، فقال له أبى إنه يقبل إذا استطاع إيولى أن يصلح أمره ويستقيم حاله .

وكانت المزرعة كلها ترجو أن يكون الطفل ولداً ، وفى الساعة الثامنة من ليلة الأحد ولد أخونا إيرول ، فكاد اليابانيون وأهل هاواى يجنون من الفرح ، وصارت الدنيا لا تسع إيولى . وبعد أن هدأت الضجة راح الخدم يعزفون ويغنون تحت نافذة أمى ، وابنها . وصارت الحياة تامة النعمة .



وكيف تستطيع الألفاظ أن تعبر عما كان فى تلك الحياة الرضية السمحة من مدّ وجزر عظيمين ، حفلت بهما عشرات من السنين النضيرة التى ولّت وليس لها نظير فى التاريخ ؟ لقد كانت الضيافة لا تنتهى ، لأنا كنا نستقبل ونضيف كل مشهور يزور الجزر ، وقلما كان « عش العُزّاب » — دار الضيافة الرحيب — يخلو من الرجال آخر الأسبوع ، من شبان ظرفاء من أبناء الأسر الكبيرة ، وماليين وصيارفة هم مهما بلغ من ضآلة شأنهم يزيدون فى بهجة الشعوب .

وكان أمراء هاواي وأميراتها أيضا إذا طافوا بالجزر ينزلون عندنا ، وحينئذ كانت

رقصة « البولاس » العظيمة التقليدية القديمة العهد تدور في حديقتنا، فنحس ونحن جلوس وراء المغنين وأجسام الراقصين اللينة المتثنية، أن الطبول تنطق بأقدم لغة وأعنفها داعيةً أرواح السلف أن تؤوب إلى الأرض.

وكانت حفلات عيد الميلاد تحيي طول الليل وتمحي فيها كل فروق العنصر والجنس والسن والمقام، وترص الهدايا التي يتبادلها كل رجل وامرأة وطفل في المزرعة، ويبلغ طول أكداسها عدة ياردات حول شجرة عظيمة مضاءة بالشموع، ويعزف الخدم، ويقبل أصحاب الأرض وزراع القصب من مسافة أميال إلى البيت ليساهموا في السرور والمرح، ويرقص الخدم مع السيدات البيض الحسان، ويحاول الزراع الوقورون أن يخاصروا الوطنيات البدينات المتهافتات.

وكانت هناك رحلات إلى وايكيكي، وكانت يومئذ شاطئاً هادئاً جميلا تملكه أسر من البيض الوجهاء وأعضاء من البيت الملكي في هاواي، اتخذوه للسباحة فيه. وكانت هناك أيضاً رحلات بنت ساعتها إلى بركان مونالو حين يثور. وكان كل أهل هاواي يتنزهون في أقرب موضع مأمون من الشلال الناري الذي يبلغ عرضه ميلين والذي تتدفق الحمم منه إلى البحر، فتقذف شؤبوباً من البخار يرتفع إلى ١٨٫٠٠٠ قدم، وتترك ماء البحر يغلي إلى مسافة أميال من الشاطىء. وهو منظر رائع ساحر عميق الأثر في النفس ليس له مثيل في غير هاواي. وكان هناك الاهتياج النفسي الذي يخطف الأنفاس، والخطر من قنص الثيران الوحشية بالحبال في الغابات فوق مرتقى هاليا كالا، وكانت هناك رحلات صيد نضرب فيها مخيمنا فوق فوهة هاليا كالا الخامدة، وكنا إذ نجلس حول النار في الليل، ويقص علينا الشيوخ من أهل هاواي أساطيرهم القديمة، يخيل إلينا أن الماضي قريب منا جداً.

ولكن العام الذي تلا ميلاد إيرول دار بتغيير محزن في صورة حياتنا الواسعة الرحيبة، ذلك أن لورنا التي كانت الصحةَ مجسدة، أصيبت بالربو وكنت قد بلغت الثانية عشرة، فاقترحت أن أتولى أمرها في الليل، ولكن أمي كانت تشك في إمكان الاعتماد عليّ، غير أن الإعياء اضطرها إلى تجربتي.

وكانت أمي تنام في البداية في الغرفة معي أنا ولورنا، ولكني مهما بلغ من دؤوبي في النهار، كنت لا أكاد أسمع أول نشيج من أختي الصغيرة حتى أثب إلى قدمي، وأسقيها الأدوية التي وصفت عبثاً لها، فلما أثبتت كفايتي صارت أمي تنام وتركت لي الأمر كله.

غير أن أمي كانت تنهار تحت عيني،

ويذويها القلق لا على لورنا وحدها بل خوفاً على إيرول من العدوى أيضاً ، وكان لا يسمح للطفلين بالخروج من البيت إذا كانت هناك نسمة تتحرك ، وإذا نقلا من غرفة إلى أخرى ، وضعت البطاطين أمام كل باب لمنع تيارات الهواء ، وصار إيرول سقيما متغير اللون من التدليل والترفيه ، واكتأب أهل البيت جميعاً ، وكاد ينقطع سيل الزوار المرحين فى أواخر الأسابيع ، لأن أمى كانت منهوكة القوى وفى شاغل من صحة الطفلين، فلا رغبة لها فى الاستمتاع بالأضياف .

ورأيت ، كما رأى أبى ، ماأصاب الطفلين وبيتنا ، ولكنا كنا أعجز من أن يدخل فى وسعنا شيء ، وقد تشجع أبى فقال لأمى إن بقاء الطفلين ملفوفين طول الوقت وبعيدين من الشمس والهواء النقى لا يساعدها على المقاومة ، ولكن فزعها من التيارات صار ضرباً من الخبل ، فبقيا نحو سنتين لا يسمح لهما بالركوب أو باللعب مع الحيوانات مخافة أن تحدث لهما الحركة أزمات ربو . واكتفى بتلهيتهما فى هدوء بالألاعيب والكتب ، وحرما كل الحرمان نصيبهما من ضوء الشمس وركوب الخيل ، ومن السباحة ومرافقة الخدم .

وكانت لورنا فى سن تساعدها على أن تتذكر أن الحياة لم تكن كلها دائماً فترات مملة تتخللها أزمات اختناق ، وكانت تحب الحيوانات ، فكانت تتوسل كل يوم من أيام السنتين اللتين كانت فيهما حبيسة ، أن ترى كوليا وهو جواد ابن أربعة أعوام قعدت على ظهره حين كان مهراً صغيراً ، أفلا تستطيع أن تخرج ، وتقعد على ظهره ساكنة هادئة ؟ وأخيراً أشارت أمى على أبى أن يجيء بالحصان كوليا إلى الحديقة لتراه لورنا من النافذة . فلما جاء أبى بهذا الجواد الضليع اللامع ، نسيت لورنا ما وعدت به من أن لا تتأثر أو تهتاج ، وراحت ترفس وتصرخ لتذهب ، حتى اضطرم وجهها ، فكان من أثر ذلك أن انتابتها أزمة ربو حادة . فكان هذا ختام الأمر .

وجاءت النهاية فجأة وعلى غير انتظار . ذلك أن الأسرة كلها ومعظم رجال المزرعة ماعدا أبى وأنا ، أصيبوا بالأنفلونزا ، وقضينا أسبوعاً نقوم بالتمريض أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم ، وما كادت أمى تقف على قدميها حتى تحولت الأنفلونزا عند لورنا إلى التهاب رئوى .

وكانت لورنا وهى تهذى تلح بلا انقطاع فى طلب الجواد كوليا والخادم هوكى ، فما انقضت ستة أيام حتى كانت أمى قد انهدّت وثقلت ، وبعد ذلك بيومين اجتازت لورنا الأزمة وتماثلت للشفاء ، ولكن أمى لم تشف.



وصار كل شيء أجوف فارغاً . وقد راعتنى المصيبة التى حلت بأبى ، أكثر مما ثقلت على نفسى وطأة فجيعتى ، لأن موت أمى ألقى على كاهله عبء أسرة من خمسة ، اثنـان منهم صغيران مريضان ، وقد عيننى « ملازمه الأول » وقال إن على أن أدافع عن الحصن معه .

ولما كان رجل عمل ، فإنه بعد بضعة أيام من تشييع جنازة أمى ، دعا الأسرة إلى جلسة فى مكتبه . وكان الأقارب والأصدقاء الذين زحموا البيت عشرة أيام ، قد انصرفوا ، ولم يبق معنا إلا لورين ثيرستون ، أو كاكينا كما كان يسمى بلغة هاواى ، وكان هو وأبى فى شبابهما قد ركبا معا وقنصا الحيوانات الوحشية بالجبال ، والآن ترك كاكينا أسرته وعمله فى المحاماة وجريدته ، ليكون مع أبى ويعينه على إعادة تنظيم بيته وتسيير أموره .

وكان عقل أبى ركيناً ومستقيماً حتى فى المـأساة ، وقد وكل إلىّ إدارة البيت على قدر مايدخل فى طاقتى ، واستبقى المربيـة لتعليمنا ، وولى إينا أمر لورنا فى النهار وفى الليل أيضاً إذا لم تكن هناك أزمة ربو. فإذا حدث هذا فإن على أن أتدخل، وجعلت جوين تساعدنا فى أى باب . ولكنى أصبحت آخر الأمر أمًّا ، ومضيفة ، وربّة للبيت .

وبعد أن بسط أبى خطته بالتفصيل ، صرف الآخرين واستبقانى ، وتناول يدى ، فهمّ كاكينا بالخروج ، ولكن أبى أشار إليه أن يبقى وقال له : « إنك داخل فى الشوط الثانى ياصاحبى » .

وتناول غليونه ، وحشاهُ وقال : « هذا ختام ، وكل الأوراق على المـائدة » وألقى إلى كاكينا نظرة ثم أمال وجهه إلىّ وقال : « سأحدثك كأنكِ رجل يابنيتى » .

وصارت نظرته غريبة ، وكأنها إلى شيء بعيد ، ولما أشعل الطباق كانت يده ترعش قليلا وقال : « لقد حاولت ما استطعت أن أكون زوجاً وأباً طيباً ، ولكنى لست بقديس ، وبغير إيمى ، قد أتحطم وأهوى بكم جميعاً معي » .

وكانت عين كاكينا لاتتحول عن وجه أبى ، فقال : « إنى أعرف طبيعتك يافون ، وأنا أراهنك على أنك لن تتحطم ، وقد تكبو بضع كبوات ، ولكنك ستؤدى واجبك كاملا تامـاً فى تنشئة أطفالك ، وإلا فأنا لست أعرف الرجال » .

فبـدا وجه أبى متهضّماً ، ثم ارتد إليه مدّ القوة الذى كان قد انحسر عنه إلى حين ، فقال بعنف هادىء : « أما والله لن أخذلك ! ولكنى لن أقتحم عقبات ، أو اجتاز جسورا قبل أن أبلغها ، بل سنمضى قدماً خطوة

خطوة . والمشكلة الأولى هى الأطفال . فهل نظل ندللهم ونبقيهم داخل البيت ، أو نجازف فنغير حياتهم تغييراً تاماً ونخرجهم إلى الحقول ، وننظر ماذا يحدث ؟ يخيل إلى أن لورنا وإيرول إذا أطلقا وعجزا عن الاحتمال ، لن يكونا أسوأ حالا مما هما الآن إذ يعيشان هذه العيشة » .

فقلت بلهفة : « دعنا نخلع عنهما ثيابهما الصوفية ، ونسرّح شعرهما ونرسله ، وليستحما بالماء البارد كل صباح ، وليركبا مع خادميهما ، وسترى أن هذا سوف يجعلهما صحيحين شديدين كشدة الرجال » .

فضحك كاكينا ، وبدا السرور فى عينى أبى الحزينتين .

وسألنى : « هل تشاطريننى التبعة عن هذا النهج ؟ إذا لم يستطع الطفلان أن يقاوما ويحتملا » وتردد قليلا ثم مضى يقول : « وحتى إذا احتملا فإن الناس سينتقدوننا ، وسيقولون فينا : مسكينة إيمى ! ما كادت تولى حتى طرحوا أساليبها جانباً . أنت الآن ساعدى الأيمن ، وقد تبوئين بالإخفاق والخسران إذا نحن مضينا فى هذا النهج » .

ففكرت فى الليالى السود التى قضتها لورنا ، والأيام المملة فى غرف مقفلة ، وحدثت نفسى أنه إذا كان المرء لا يستطيع أن ينعم بالسرور والجمال فى طريقه فما خير الحياة ؟ وحاولت أن أعرب عن هذا لأبى .

فوافق وقال : « اتفقنا . وسنبدأ من جديد ، وإنى لأشعر أن الطفلين قادران على الاحتمال فإنهما من أرومة متينة » .

فقلت مقترحة : « فلنبدأ الآن . إن لورنا لا تزال فى فراشها ، وهى ضعيفة كالفرّوج الصغير ، ولكننا نستطيع أن ندخل كوليا إليها لننعشها » .

فابتسم أبى للمرة الأولى منذ عدة أيام وقال : « قولى لها إن ضيفاً سيزورها ، وسأذهب أنا وكاكينا لنجىء بالحصان » .

وبينما كانت إينا تمشط شعر لورنا وتسرحه وتربطه برباط جديد ، طفت أنا ببقية من فى البيت ليساهموا فى هذه المسلاة . وبعد دقائق قليلة دبت حوافر كوليا فى الشرفة واجتازتها ، ثم أدخل الجواد رأسه الجميل من فرجة الباب . فأشرق وجه لورنا ، وصاحت « كوليا ! » ودفعت ذراعيها إليه . وأمسك أبى وهوكى بعذارىْ اللّجام على الخدين ودخلا بالجواد على حذر ، فجعل يتشمم مرتاباً رائحة الأثاث ، ثم صافحت أنفه ريح لورنا فكفكف منخراه عن الاضطراب ، ومضى به أبى وهوكى إلى جانب السرير .

فاحتضنت لورنا حنكه الناعم الملمس ، وجعلت تخرج أصواتاً واشية بحبها له ، وتنشق

عبير جلده النظيف ، فمذ كانا ابنىْ سـنة ، مى على رجلين وهو على أربع ، نشأ بينهما ذلك الحب العجيب الذى يوثق ما بين الناس والحيوان . وما من محب حقيقى للخيل إلا وقد مرت به فى وقت ما ، أعجوبة الاهتداء إلى حصان على أتم ما يكون موافقة له وانسجاماً معـه ، وقد جعلت لورنا تمر بأصابعها المعروقة التى تشبه الأعواد ، على رأس كوليا الجميل ، وهو يتنفس مغتبطاً .

وأعانت أبى جهودنا المتبادلة على تعهـد الطفلين ، على اجتياز المصاعب الأولى التى أورثه إياها حزنه ، وكانت إصابة لورنا بالالتهـاب الرئوى قد شفتها من الربو على الأقل ، ولكنها كانت وهنانة جداً ، ولكن زيارات كوليا لها فى كل يوم، وخروجها إلى الحديقة كل صباح ، نفت عن الحياة ما كان ينغصها من الاختناق والحرمان من كل ما تحب ، وكانت تقعـد على سجادة تحت الشجر ، والهواء يصافح وجهها والشمس تنفذ من جلدها ، وخادمها هوكى ساهر عليها ، وصديقها كوليا على أرجـله الأربع يرعى الحشيش على مقربة منها .

أما إيرول فكنا معه أقل ترفقاً . فقد قصصنا له شعره ، ونضونا عنـه ما كان محشوًّا فيه من الثياب ، فصار يمشى مختالا فى سراويل قصيرة وقمصان على طراز قمصان الصبيان اليابانيين . وكنا نغمره بالماء البارد كل صباح وهو يصرخ ويصيح ، وبعد أن يتناول فطوره ، يركبه إيولى خادمه معه إلى الظهر ، وفى العصر نحطه على ظهر فرس عجوز بغير لجام ، ترعى فى الحديقة كما تشاء ، وكان ربما ندّت عنه صرخة فيعـدو إليه بعضهم ليرفعه عن الحشيش ويرده إلى مكانه من السرج . ولا شك أن صديقات أمى استهجنّ أساليبنا ، ولكن الغلام لوّحته الشمس وصار أقوى وأشد .

وبعد أن استعادت لورنا صحتها وقدرت على الركوب ، اضطرت مربيتنا لوفاة بعض أهلها أن تعود إلى سان فرنسسكو ، فعقد أبى مجلساً من أهل الأسرة وقال لنا إنه بعد أن فكر فى الأمر انتهى إلى أن سنة تقضيها نحن البنات الكبيرات بغير تعلم ، لن تضيرنا شيئاً إذا نحن أنفقنا الوقت فيما ينفع .

ومضى يقول: «إن لى حاجة إليكن معى ، وما دمنا فى البيت فأنا انتظر منكن أن تتعهدنه وتتعلمن تدبير شئونه ، وإذا استدعى العمل أن أذهب إلى وايوباى فسآخذكن جميعاً معى . وفى المسـاء بعد أن ينام الطفلان ، سأقرألكن وأضيف إلى ماتعلمتن ماأستطيع ، فإذا تعهدتن لى بأن تنتفعن أعظم انتفـاع من إطلاقكن فى المرعى إلى حين —» .

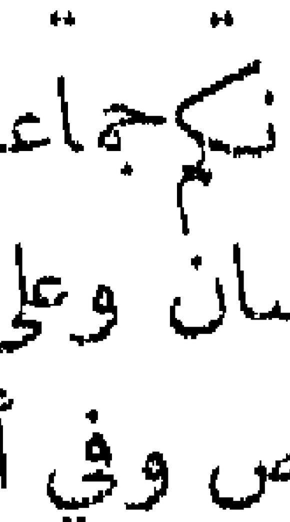
نتعهد !! تصور أن نذهب إلى كل مكان

معــه ، وأن نأخذ الطفلين معا ، وتتعلم التدبير المنزلى من خدم نحبهم ! يالهــا من مسلاة محبّبة ! وبعد أن سكنت عاصفة الطرب التى استخفتنا قعدنا على درجات سلم المكتب لنضع الخطط ونستمتع باغتباطنا .

وشعرت بجلال هذه اللحظة، فقد قُذِف بنا على ضرب جديد فى الحياة ، وبدأ عهــد جديد ، فقد كانت حياة الصغار منا مصوغة على الأكثر على مثال نشأة أمى الإنجليزية ، أما الآن فإن الأسرة كلها ستخوض حيـاة الرجال على مثال أبى، وقد تبينت من اختلاج وجه أبى النحيــل ، أنه يتساءل : أتراه يستطيع أن يقود السفينة إلى مرفأ أمين ؟

وفتحت بوابة الحديقة، ودنا منا كاكيناعلى مهل ، وكان قد جاء على غير انتظار ليقضى معنا يوماً ، ثم وقف على كثب منا ، وبعد أن أدار عينيه فينا لحظة أطلقها ضحكة غريبة :

« إنكم جماعة كالمستوحشين، حتى الطفلان الجالسان وعلى رأسيهما قبعتان كبيرتان من الخوص وفي أقدامهما المهاميز . هــذا هو الصقر المستفرد وصغاره متهيئون للتحليق ! »



وبعد ستة أعوام من الحياة فى الهواء الطلق ، عاد إيرول ولورنا إلى الصحة التــامة وصارا مولعين بركوب الخيل ، وكبرت جوين وإينا وصــارتا فتاتين تعتمدان على النفس . واستقر عزمى على ما تطلعت إليه من أن أصبح كاتبة ، وكنت أقضى ساعات عديدة كل يوم جالسة إلى مكتب، وإذا بالتحول الثانى الكبير يحدث فى حيــاتنا ، وقد بدأ ذلك بأن أعلن أبى إلينا أننا جميعاً مدعوون إلى قضاء شهر فى مزرعة باركر لجمع الثيران وسوقها إلى الشاطىء وحملها إلى السفن .

فصحنا من الفرح فإنها من أعظم مزارع العالم وأضخمها ، وتبلغ مساحتها نحو مليون فدان ، ويعمل فيها ويقبض أجورهم منهـا رجال كان آباؤهم وأجدادهم يعملون هنـاك من قبلهم ، فكان ذهابنا إليها حظاً سعيداً نادراً . وذهبنا إلى مزرعة باركر بحراً ، وبلغنا كوايهاى فى ساعة متأخرة من الليل .

ولمــا خرجنا فى صباح اليوم التالى على الجياد من الأشجار المحيطة بالبيت ، بدت لنا الأرض متقاذفة ، وكأنها محيط لانهاية له من النبات المائج ، إلى حيث يذهب فى الهــواء بركانا مونا كيا ومونالوا ، ويحجبـان ثلثى صفحــة السماء . وفى الوادى المتموج كان قطيع من الماشية يسير وكأنه نهر أحمر طام، وكان صوتهـا أقوى ما سمعت فى حياتى .

ومرّ بنــا الرجل الذى يقود القطيع يركض ، وكان يبدو كأنه جزء من الأرض فهو شــديد عنيف ، حرّ ، يمتطى السرج

وساقاه ممدودتان مستقيمتان على طريقة أهل هاواى ، وهى جلسة جميـلة متزنة رائعة . وكان يتفجّر من جوانبـه نشاط ساحر كثيراً ما يمتاز به من اختلطت أنسابهم . ورأى أبى فصاح : « ألوها يا لويس ! »

فسألت : « من يكون هذا ؟ »

فقال أبى : « هـذا ليهو ليهو لندسى . أما أكبر رجال الأسرة فهـو جونى وهو رئيس عمال ، وهناك غيره اثنا عشر رئيساً آخرون » .

وقضينا أسبوعاً أونحوه ، وقد استولت الحياة فى المزرعة على نفوسنا وصرفتنا عن كل ماعداها ، ثم أقبل رئيس العمال ذات ليلة وقال لأبى : « سأصعد غداً فى جبـل مونا كيا وراء صغار الخيل ، ويسرنى أن تجىء أنت وبنوك ، فإن ذلك سيكون مسلاة عظيمة ، وسنركب كالشياطين »

فقال أبى : « فى نيتى أن أذهب غداً إلى ما كاهالو ياجونى ، ولكن خذ الأولاد معك فإنهم يستطيعون أن يجاروك » ، وضرب ردفه بجمع يده ،وهى عادة أصبحت مألوفة .

فشعرت بأن قلبى يعتصر ، ذلك أن حصان أبى سقط به قبل عامين فى حفرة عميقة من الحمم الباردة ، وهو يطارد ثوراً وحشياً على جبل هاليا كالا ، فتعلق أبى بسرجه وقد كسرت ذراعه والترقوة ، وهيضت الحرقفة وأبت على مايظهر أن تشـفى . أفتراه يريد الآن أن يقول إنه أصبح لايقوى على الركض العنيف ومطاردة الخيل إلى سفوح الجبال؟

وساورنى شعور بأن تغييراً يوشك أن يحدث ، وأن أبى يعلم شيئاً لايرى أن يفضى به إلينا .

ولما طلعت الشمس فى صباح اليوم التالى كنا على جبل مونا كيا ، وهناك على قمة المرعى وقفنا اثنين اثنين ، على فترات ، وشرعنا ندفع الخيل إلى النزول ، وزادت السرعة شيئاً فشيئا ، وصارت خيلنا تجاهد لتبارى الأمهار الصغار ، وراحت حوافرها تدب فى الأرض المطمئنة فيدوّى صوتها ، وارتدّت فى هذا الصباح أصداء الصيحات وقرقعة السياط ، وبدا الجبل كله كأنما امتلأ بالظهور اللامعة الخاطفة ، ودفعت بجملتها بعد مداورات شتى إلى الحظائر وهى تصهل وترفس . فكان صباحاً رائعاً .

وارتددنا إلى البيت ، فاقترح ليهو ليهو مباراة بحبال القنص ، فراح كل اثنين يركضان فى السهل وآخران يتبعانهما ومعهما الحبال يديرانها فى الهواء ، فأشاع وقع الحوافر ، وحسيس الحبال الدائرة فى الهواء إحساسات غريبة فى نفسى .

وقلت لأبى فى تلك الليلة وأنا أحدثه عن فروسية ليهو ليهو التى لا مثيل لها : «إنه ليس

إلا عاملا ، ولكن صورته تعلق بنفسى وتخامرنى » .

فقال أبى على سبيل الإيضاح : « إن بعض الناس يلهبون الخيال . ولهو لهو هذا يحرك النفس ــ حتى نفوس الرجال . وإنك لسبُخْشَعة منى . فقد كنت أسمع الضحك فى الظلام فتنازعنى نفسى أن أتبع الصوت . وأرى هذا أمراً فوق طاقتك ، فضعى لنفسك لجاماً » .

وكنت أريد أن أرتب ما فى نفسى وأتبينه ، فسلكت خير طريق أعرفه ، وحدثت أبى فى هذا . ولقد ركبت وتحكت مع لهو لهو ، وأهدى إلىّ أزهاراً ، وغنانى ، وأعارنى جياده ، كما فعل كثيرون غيره من العمال ، ولكن الأمر فى هــذه المرة كان تجربة يخفق لها القلب .

ولم يقل أبى شـيئاً إلى أن أفضيت بما عندى ، ثم قال : « لولا أنك ولدت فى هذه الجزيرة لعدت بك إلى البيت غداً ، ولكن إذا كنت تريدين أن تكونى كاتبة ، وأن تكتبى شيئاً حيًّا ، فإنه ينبغى أن تجربى كل أنواع التجاريب ، غير أن عليك أن تتذكرى أن الغاية الحقيقية فى معركة الحياة ، ليست هى أن تفوزى بمظاهر التقدير ، بل أن تحتفظى بها لامعة وضيئة . وأنا أريد لك أن تمضى على سنناك وأن تهجمى حيث يخاف الملائكة أن يخطوا ، ولكن عليك فى الوقت نفسه أن تفى لمثالك العليا ــ كائنة ما كانت » وتناول يدى وشد عليها وقال : « ابقى كما أنت ، وضّاءة مشرقة » .

فقلت وأنا أشهق : « مهلا ! إن الأمر ليس أمر لهو لهو ؟ ولكنك أوحيت إلىّ أخيراً فكرة كتاب حقيقى . فقد كنت أتعثر وأنا أكتب عما أحس أنه من الأشـياء المحركة للنفس ، ولم أدرك قط أن هاواى أرض عذراء لم يمسّ كنوزها أحد إلا القليل الذى نبشته أيدى الغرباء منها » .

فالتمعت عينا أبى ، وقال : « امضى فى هذا ، فإن العالم الخارجى لا يحلم بهاواى التى نحبها ، ولا يعرف عن هذه الجزر إلا آلات العزف ومسابح الشاطىء » .



وأسفت وسررت حين عــدنا إلى ماوى . ولكنى أحسست ونحن نطوف بالاسطبلات والحظائر أن أبى يتكلم بتحفظ . وفى اليوم التالى بعد الإفطار قال لنا : « أيها الأطفال ، إن عندى لكم أخباراً هى أكبر من أن نخوض فيها تحت سقف ، فأعدوا خيلكم » .

وركبنا فى صمت وقلق ، وكانت الحشائش التى استوردها من جميع أنحــاء العالم تمس أرحل الخيل ، ومئات الآلاف من الأشجار

التى غرسها تذهب فى الهـواء تحت عين الشمس .

ولما ارتقينا فى الجبل إلى حيث نرى من تحتنا أرض المزرعة مبسـوطة كالمصورات البارزة ، ترجل وقعدنا جميعاً على الحشيش الدافىء الجميل ، وقال أخيراً : « يحسن بى أيها الصغار أن أفضى إليكم بكل شىء دفعـة واحدة ، فتنفسوا نفساً عميقاً وارفعـوا رؤوسـكم ! بعد أول العام الجديد ستنتقل إدارة المزرعة إلى سام بولدوين » .

فغمرنا الفزع والجزع ، واندفعنا إلى أبى واستطاع أن يلمنا جميعاً بين ذراعيه ، ولم يحاول أن يتكلم إلا بعد أن خف ما عرانا من الحزن .

وسألته : « منذ كم تعرف هذا ؟ »

« منذ أربعة شهور . وهذا هو السبب فى أنى أردت أن تذهبوا إلى مزرعة باركر ، فما كنت أريد أن تبقوا فى البيت أثناء التصفية الأخيرة ، وقد صدمنى فى البداية أن أعرف أنى سقيم لا أقدر على إدارة هذه المزرعة بعد اليوم ، ويرى آل بولدوين أن ساقى المهيضة قد تتحسن إذا لم أكثر من الركوب ، وسيظل مرتبى كما هو ، وسيوكل إلىّ أمر الخيـل الأصيلة ، وسنشيد بيتاً جديداً فى مرعى نتاج الخيـل ، وسينتقل بولدوين إلى هذا البيت القديم .

« وأنا أعتمد عليكم فى مساعدتى على جعل حياتنا الجديدة حافلة كالقديمة ، فإن الحياة مغامرة جليلة حتى حين يسـوء فيها الحظ — ولهذا أرجوا أن لا تكرّوا الطرف وتأسـفوا على انقضاء الأيام القديمـة ، واحشـدوا كل ما تستطيعون فى كل يوم جديد . وستجدون بعد قليل أن هذه الأيام الجديدة قد صارت هى أيام المستقبل القديمة الحميدة ، وفى أثناء ذلك ارفعوا رؤوسـكم فلا تهزمكم الدنيا .

« وسـيكون من التجارب النافعة لكم أن تتعلموا أن الحياة ليست هى التى لها القيمة ، وإنما الذى له قيمة هو الروح التى تحيون بها ، وسيقلّ عملى فيتسـع وقتى لكم . أفهمتم ما أعنى ؟ إن السعادة أن يصوغ المرء نفسه وعقله طبقاً لما تقتضيه الأحوال المحيطة به » .

فتذكرت أن مكالى قال لى مثل هـذا ولكن بألفاظ أخرى . ووضعت أبى فى الميزان ، فألفيتـه يضيف إلى الحياة الحب والضحك ويجعل لها غاية ، ويغريك بأن تمضى قدماً لترى ما يجىء المنعطف التالى فى طريقك . ونفض أبى الرماد من غليونه وسألنا : « هل تعاونوننى على جعل كل يوم أحفل وأغنى من اليوم السابق ؟ »

إنه يسأل ! « اتفقنا . أنظروا إلى الأمام ، وارفعوا الرؤوس ، فإننا على طريقنا ! »

وبينما كان البيت الجديد يبنى ، بعث آل بولدوين بأبى وأنا معه فى رحلة دامت سبعة أشهر على نفقة المزرعة ، فزرنا الولايات المتحدة وطوّفنا بها ، ورحلنا إلى ألاسكا وكندا ، وتحسنت حرقفة أبى بفضل الراحة من الركوب .

وعدنا ثانية ، فتوثقت الوشائج بين أبى وبين أخوتى وبينى ، وكان الصغار يركبون بعد الإفطار مباشرة إلى المدرسة ، ويقصد أبى إلى الاسطبلات للاشراف على الخيل ، وأقعد أنا للكتابة . وفى أواخر الأسبوع يعج المكان بالناس حتى صار البيت الجديد أحفل بالضيوف من القديم ، ولكن أبى صار يتعبه ركوب جواد كبير فاضطر أخيراً إلى ركوب مهر ، وكنا نريح له ساقه بحمالة مدلاة من السرج . وكانت تمر أوقات يعود فيها كما كان ، كله بشر وابتهاج ، ولكنه كان على الأكثر كالمدّ الذى طال فبدأ ينحسر فى بطء .

ولم يقل أحد من إخوتى ولا أنا شيئاً ، ولكننا كنا نعلم ، وتواطأنا على أن نجعل الحياة مرحة غاصة فياضة كما كانت دائماً ، وعلى أن نجعله يشعر أنه فى فورة الحياة كل لحظة ، وأنه يحيي حياة قوية مندفعة ، لأنه ما من حياة أخرى توافق رجلا مثله .

وكنت، وأنا أعمل وأصلى وأدعو الله : «اللهم أغدق عليه رحمتك فقد أغدقها علينا، واشفه وردّه إلى العافية يامن لا يعجزه شىء، فإن لم يكن بدّ من قضائك فيه فاقبضه إليك وهو فى العنفوان قبل أن يقعده الوهن » .

ودعانى طبيب الأسرة يوماً إلى مكتبه وحدى ، وكان قد صور حرقفة أبى بأشعة إكس وسألنى : « ما مبلغ شجاعتك ؟ »

« لا أدرى . وسأتبين » .

« ياعزيزتى إن أباك لا يمكن أن يبرأ ، وسيزداد سوءاً ، فإن نصف تجويف الحوض متدرّن ، وهذا ما يجب أن يكتم عنه لإطالة حياته ، ولن يرى هذه الصور لأنى سأبدلها وقد شدخ التجويف من جراء تلك السقطة، وأدى تعب الركوب ساعات إلى بقاء العظم ملتهباً » .

« أما لو قضى نحبه حالا ... »

« لاسبيل إلى ذلك » .

« كم يبقى ..؟ »

« يمكن أن يبقى سنوات ، ومن المحتمل أن تسوء الحالة بسرعة » .

« وسيكون متألماً طول الوقت ، ويزداد عجزاً عن فعل ما يجب ؟ »

فهز الطبيب رأسه موافقاً .

وكانت هذه صدمة من أشد الصدمات فى حياتى ، ولكنى كنت كأنى أسمع صوت

أبي يقول: « تشدّدي » وكنت أدرك أن عليّ أن لا أخذل أحب الناس إلى، على ظهر هذه الأرض.

وسارت الحياة في طريقها، وكان أبي يركب مرتين فى الأسبوع إلى المستشفى ليعالج بالأشعة فوق البنفسجية التى قال الطبيب إنها قد نفعته، وكان البيت يكتظ دائماً بالضيوف فى آخر الأسبوع. وجاءت فرقة من مروضى الجياد من الولايات المتحدة فأنزلها أبى معنا، وصار إخوتى يركبون معها فى معارضها، وأبى مبتهج كالطفل، وفازت لورنا بمعظم الثناء، وسررنا جميعاً حتى الضيوف.

وزحف الخريف بأيامه الجميلة التى تخطف الأنفاس، وذهب طبيب الأسرة فى رحلة إلى الساحل وحل محله طبيب روسى شاب، وبعد يوم من زيارة أبى للمستشفى دعانى إليه، وكان يرتدى خير أحذيته وسراويله، وكانت عيناه تومضان، فقال: « أسرجوا لى الجواد بلبيوى، فسنركب للنزهة مرة أخرى ».

وكان ركوب هذا الجواد مشقة، فذهبنا أنا وإخوتى إلى الإسطبل ونحن نشعر بفراغ واكتئاب، ودار فى نفوسنا أن أبانا عرف أنه لن يشفى، ولهذا يريد أن يخرج مع الأسرة فى نزهة على ظهور الخيل مرة قبل أن يقعده المرض، ولكنه لم يخطر لى قط أن الطبيب الجديد صارح أبى بحقيقة حالته.

وامتطينا خير جياده، وراحت الكلاب تعدو أمامنا، وأصعدنا فى الجبال ثم ارتددنا بأقصى سرعة إلى البيت، منحدرين على المهابط الوعرة، ناهبين الأرض المستوية، وأبى فى الطليعة، وكنت أرى ظهره المتصلب، فأعرف أنه مهما يكن ما يكابد من الألم فإنه سعيد بأن يحس الهواء يصافح أذنيه، والجواد الكريم يعدو تحته.

ووقفنا مرة فى الطريق، وأدار أبى عينه فى أرض المزرعة المترامية، وكانت نظرته شاردة، ولكن لا من الحزن بل من الاغتباط الشديد، واحتجت إلى كل ما أوتيت من قوة الإرادة حتى لا أخور. وكان يبدو لى أن أبى يتبوأ عرشه القديم، وأن الزمن والجزيرة يشاطرانه سروره، فلا يجوز لنا أن نفسد عليه ذلك بالبكاء. وبينما كنا نواصل الركض هابطين خيّل إلىّ أن أبى يستعيد حياته الماضية حين كان يركب ويصيد الثيران، وكانت الدموع تلذع عينى وتؤلمنى كأنها دماء منفجرة، ولكنّ وراءها اغتباطاً بأنه يستعيد ذلك كله حقيقة لا تخيلاً.

ولما عدنا إلى البيت كان وجهه مربداً مكموداً من الألم، والعرق يتصبب منه، ولكنه قال « ألم يكن هذا ممتعاً ؟ » وبدا لحظة كأنه جبار من جبابرة الأساطير. وفى

تلك الليلة أحطنا بالنار وراح أبى يقص علينا ذكرياته ويبسطها أمامنا كأنها حصاد وفير لماضيه الحافل .

وقد أذكرتنى هـــذه النزهة فيما بعد بحادثة قديمة ، حين أصيب الجواد تريدوند — خير جياد هولوماليا — إصابة قاتلة فى أثناء صيد الثيران الوحشية بالجبال ، فقال أبى يومئذ: « لاتحزن ياهولوماليا. لقدقضى تريدوند نحبـــه وهو فى عنفوان نشوته ، أما المأساة فهى أن تبقى حياً بعد أن منيت بالعجز ، وأن تحس أن الحياة تتخطاك فى مرها ، وأن تشعر أن قبضتك تتراخى . أما أن تثب من هنا إلى هناك والحياة ما زالت أغنية جميلة ، فهذه هى النعمة » .

وجاءت النهاية بسرعة وفجأة . وكان أبى قد أرسلنا فى مهمات تستغرق ساعة أو ساعتين ، فلما رجعت وجدت الخادم « أداجى » ينتحب عند البوابة ، ويتكلم بما لايفهم ، فاندفعت داخلة إلى غرفة أبى

ألفيتــه منحنياً على مكتبه وعلى صدر قميصه ثقبان مسودان من رصاصتين وحولهما إطار من الدم ، وكان المسدس الذى أراح كثيراً من الحيوانات وأطلقها من إسار الشيخوخة أوالمرض ، ملقى على الأرض .

وكان على المكتب رقعـــة فيها عبارة وجيزة : « أنا محطم ، مقطـوع النفس ، ومخنوق . ولست إلا حصاناً آخـر هرماً أريح قبل أن تنقلب الحياة لعنة بدلاً من أن تكون نعمة . وأنتم يا أبنائى تفهمون »

وكان المطر يهطل فوق السقوف ، ويسحّ بقوة على الجزيرة ، ويملأ الليـل بمثل أصـوات الهدير الهائل ، وكأنما فى هـذا المطر المدرار قوة من قوى الطبيعة لاتعرف ضابطاً ولا كابحاً ، أو كأنما هناك حشـد من الجلال . وكان بيتنا الذى كانت تتجاوب فيـه أصوات الرجال والمهاميز ، ساكناً لاحس فيه ، فقد مات أبى ، ونزل « مطر الرؤساء تحيّة له » ،فإن أساطير هاواى تقول إنه لاينزل مثل هـذا المطر السحاح الذى يطبّق الأرض إلا حين يموت واحد من الأسرة المالكة ، دلالة على أن الآلهة تحيّى العضو الجـديد الذى ينضم إلى صفوفها . وكان يخيل إلىّ أن شبحاً شارداً مبتهجاً ، قوياً عنيفاً يمشى فى الظـلام المدلهمّ ، وقد تحرر روح أبى المرح البـاسل الذى ظل مقيداً خمس سنوات إلى بدن محطم ، فراحت الجزيرة والحديقـــة المغمورتان تنشدان أنشودة النصر ، فكيف أحزن ؟ لقـد فتح ذراعيه ووثب باختيـاره فوق الهاوية بين هنا وهناك ، كما كان يثب بجواده

دون أن يخشى أن لا يبلغ الناحية الأخرى .

واستجابت مشاعرى المتوترة إلى ما يهيب بها ويحركها من هذا الطوفان، لأفهم الرسالة المتكررة مرة بعد مرة ، رسالة الصوت القوى المنبعث من السماء .

وتجلى الأمر . فهذا الفردوس الذى نعمنا به على الأرض لابد أن يذهب مع الرجل الذى أوجده ، ولكن راية البهجة والشهامة التى رفعها أبى لا يجوز أن تطوى، إذ نمضى نحن أفراخه إلى المصاير المقدورة لنا .

سعة الحيلة

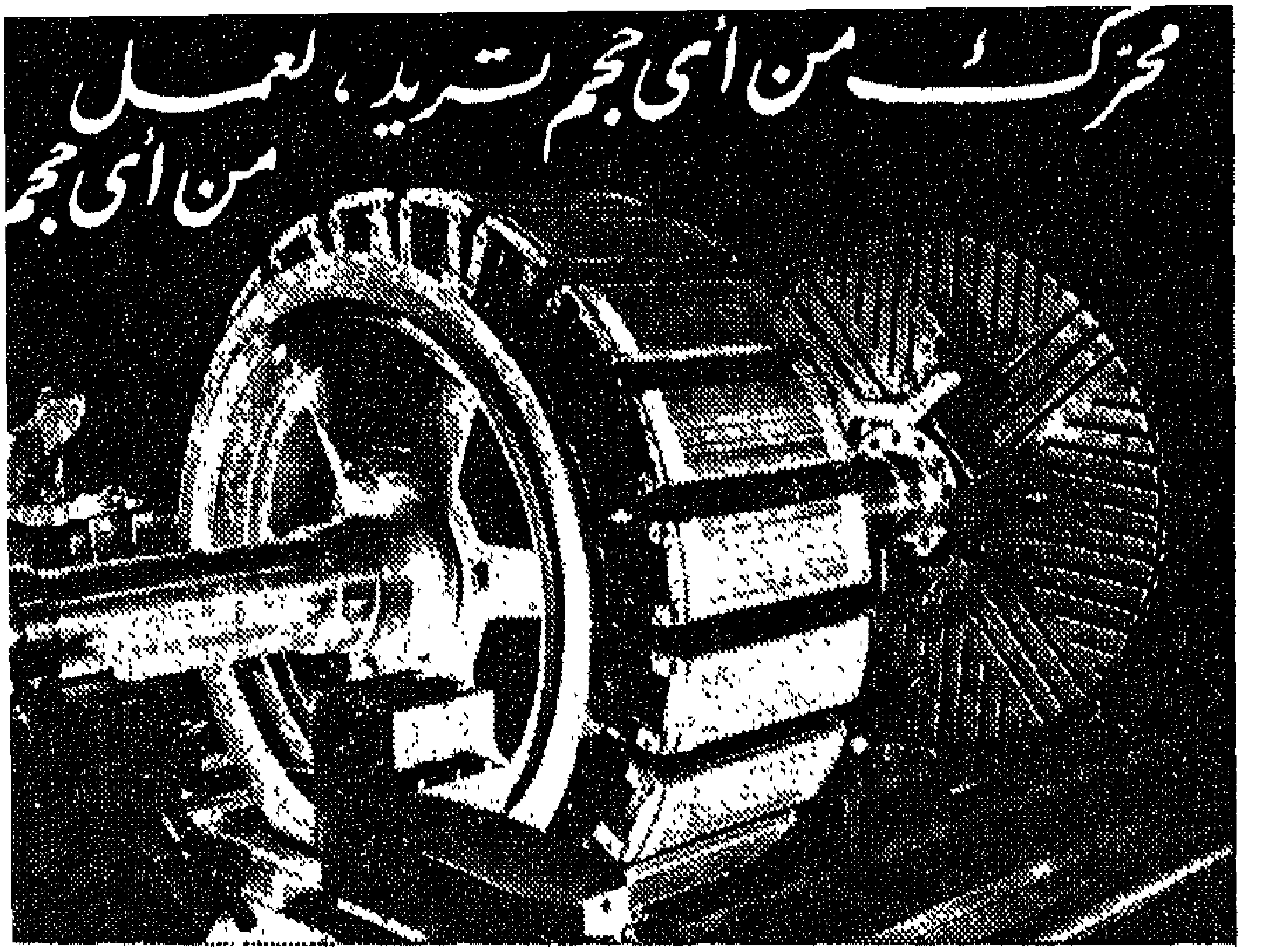
نظرت إلى الطريق أمامى فأدهشنى أن أرى ما حسبتهُ جثة كلب ميت . فوقفت سيارتى ، وإذا صفير عال يقرع أذنىّ ، وإذا الكلب ينهض متثاقلا وينتفض ، ثم رأيت فتى فى الثانية عشرة يتقدم إلىّ من وراء شجرة ويقول : « هى حيلة تكاد تنجح دائماً فأظفر بصاحب سيارة ينقلنى بها مسافة ما »

[جون بريتماير]

كان أحد الباعة المتجولين ماضياً بسيارته فى طريق موحش ، فرأى فتاة حسناء تسير على قدميها ، فسرَّهُ أن يقف سيَّارته ويدعوها إلى الركوب معه ، فينقلها إلى المدينة . وقام فى ذهنه أنها قد تقبل دعوته إلى العشاء معه . ولكنها لم تكد تجلس فى مقعدها من السيارة حتى قالت : « هل لك أن تقف قليلاً لنحمل أمى معنا ، هى تلك السيدة التى أمامنا » . [جوردن هلاند]

كنا على الطريق التى تجوز سفوح التلال فى كاليفورنيا الجنوبية ، فعجبنا لرجل رأيناه يعدو أمامنا ، فخطر ببالنا أنه فى حاجة إلى المعونة ، فوقفنا سيارتنا لكى ندعوه إلى ركوبها . فلما دخلها تغيَّرت حالهُ ولم يبدُ عليه أنهُ منطلق فى حاجة ملحَّة . فسأله زوجى : « أذاهب أنت فى طلب طبيب ؟ »

فقال الرجل : « لا . أنا ذاهب إلى مخزن « الزوايا الأربع » ، فزوجتى تريد بعض المطرّيات لوجهها ، وقد وجدت أننى إذا عدوت وقف من يرانى من أصحاب السيارات ودعانى إلى الركوب » . [مسز إ . هـ . جيلوم]



محرك ضخم قوة ١٠٠٠٠ حصان يسيّر مصنعا بأسره لصنع ألواح المعادن .. ومحرك صغير يسيّر آلة مفردة بسيطة من آلات الصناعة !.. إن هذا ليعطيك فكرة عن المجموعة الهائلة من المعدات التى تقدمها مؤسسة «أليس شالمرز» فى ميدان واحد من ميادين الصناعة !

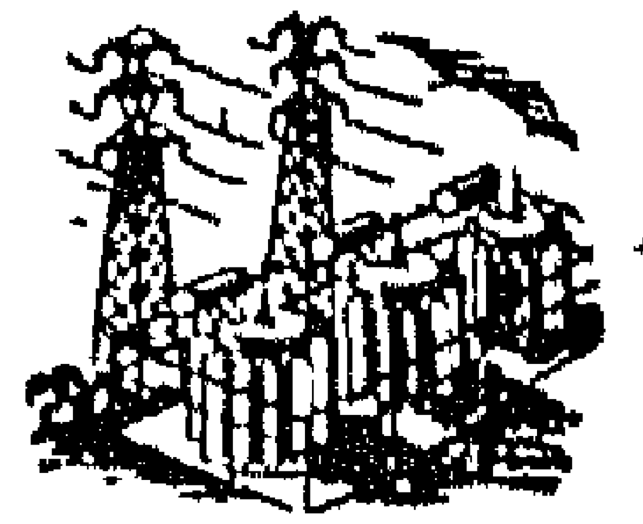
على أن مهارة « أليس شالمرز » وخبرتها تشملان كل صناعة من الصناعات الرئيسية . فنحن أكبر منتجى العالم لمعدات طحن الغلال .. كما نصنع التربينات المائية التى تحول طاقة المياه إلى كهرباء ... والمضخات التى تضبط المياه لرى الأراضى أو استعمال المدن ... ومجموعة عظيمة من الآلات لإنتاج ملابس أفضل ، وأغذية أفضل ، ومدّ طرق أفضل ، وتيسير نقل أفضل .

أطلب اليوم من «أليس شالمرز» الحل العملى لأية مشكلة تهمك لها صلة بالآلات . إننا ننتج أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية فى العالم .

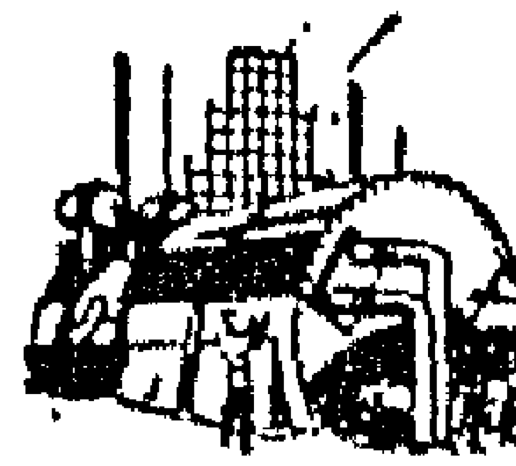
ALLIS (AC) CHALMERS

MILWAUKEE 1 WISCONSIN U S A

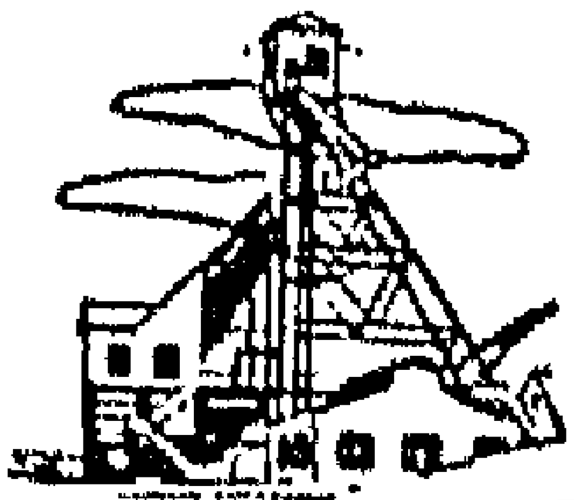
المنتجات للصناعة



معدات كهربائية



توربينات مائية وبخارية



آلات للاسمنت والتعدين



مضخات



آلات لطحن الدقيق

الوكلاء فى الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ٤١ شارع صفية زغلول بالاسكندرية . ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة ـــ العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٩/٢٨٣ شارع المستنصر ببغداد ـــ ١٠/١٢٤ شارع الملك فيصل بالبصرة ـــ المملكة العربية السعودية : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جده ـــ إيران وأفغانستان : أمريكان إيسترن لمتد ، عمارة مصر ناصية شارعى شهريزا وروزفلت ، طهران . وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » فى مختلف البلاد القريبة والبعيدة .

ترقب في مختار فبراير سنة ١٩٤٧

لو كنت في الحادية والعشرين

لو قدّر لك أن تبدأ حياتك بدءاً جديداً فماذا تفعل لتسير في الطريق الذي يفضى بك إلى النجاح ، ولتجد العمل الذي يلائمك؟ هذا عالم ذو شهرة عالمية يبين لك الأشياء الثلاثة التي يتخذها أساساً لهذا المسعى ، ويقيم لك الدليل على أن القاعدة الفاصلة في الأمر ليست العمل وحسب بل ما تصنعه أنت بالعمل الذي تتولاه .

درس من فنان

حلقة أخرى من سلسلة « انتفع بتجاربي » وقد كتبها الكاتب النمسوى الذائع الصيت — ستيفان زفايج ، وروى فيها ماحدث له مع رودان المثال الفرنسى العظيم ، فكانت العبرة التي استخرجها مما حدث له ، كالمرشد الذي أرشده سواء السبيل في حياته الأدبية .

الوراثة معقد رجاء العالم

منحت جائزة نوبل الطبية منذ أسابيع لعالم يدعى هرمان مولر ، أنفق عشرين سنة في دراسة عوامل الوراثة ، وهذا مقال يوجز لك أحدث ماتم كشفه في شئون الوراثة — وراثة المرض ووراثة النبوغ ووراثة الجنون ووراثة لون الشعر أو العينين وكيف ينتفع بهذه الحقائق الجديدة في إصلاح الاجتماع وإصلاح النسل أيضاً .

إيمان عالم بالله

شاع الرأى بأن العلم ينافى الدين ، وأن العلماء أدنى إلى الالحاد ، وهذا عالم متمكن يقول إن كل كشف علمى جديد يزيد آيات الخالق المبدع قوة وجلاء ، ويعرض لك سبعة أسباب علمية تحمله على الاقتناع بوجود الله .

من صميم الحياة

كانت مقتنعة بأن ابنها لم يكن القاتل — ولكنها لم تكن تملك برهاناً على ذلك ، ولا مالاً للبحث عن البرهان . هذه قصة حقيقية عن أم ظلت سنين تمسح أرض الحجر في المكاتب حتى استطاعت أن تعرض مكافأة قدرها ٥٠٠٠ ريال لمن يقدم لها الدليل — وإذ المعجزة تحدث عن طريق إعلان صغير في الإعلانات المبوبة .

لماذا تسير السيارات سيراً منتظماً بواسطة زيوت موبيلويل

زيوت موبيلويل الممتازة تزيد في نظافة المحركات وتقلل نسبة الرواسب التي تسبب ضياع القوة المحركة والوقود.



إنك تحصل بواسطة هذه الزيوت الفاخرة على حماية أجدى لسيارتك وتصبح قيادتها أسرع وأسهل كما يقل استهلاكها من البنزين. وتستند شهرة زيوت موبيلويل الى ٨٠ عاماً من الأبحاث والخبرة. وان معاملنا الجبارة للأبحاث الكيمائية ولتكرير الزيوت ومنتجاتنا الفاخرة ونظامنا للتوزيع في جميع أنحاء العالم وخدماتنا الفنية - كل هذه العوامل مجتمعة كفيلة بأن تضع شركة سوكوني - ڤاكوم في طليعة منتجي المواد البترولية في العالم !!

سوكوني - ڤاكوم

سوكوني - ڤاكوم

جارجويل
زيوت وشحومات

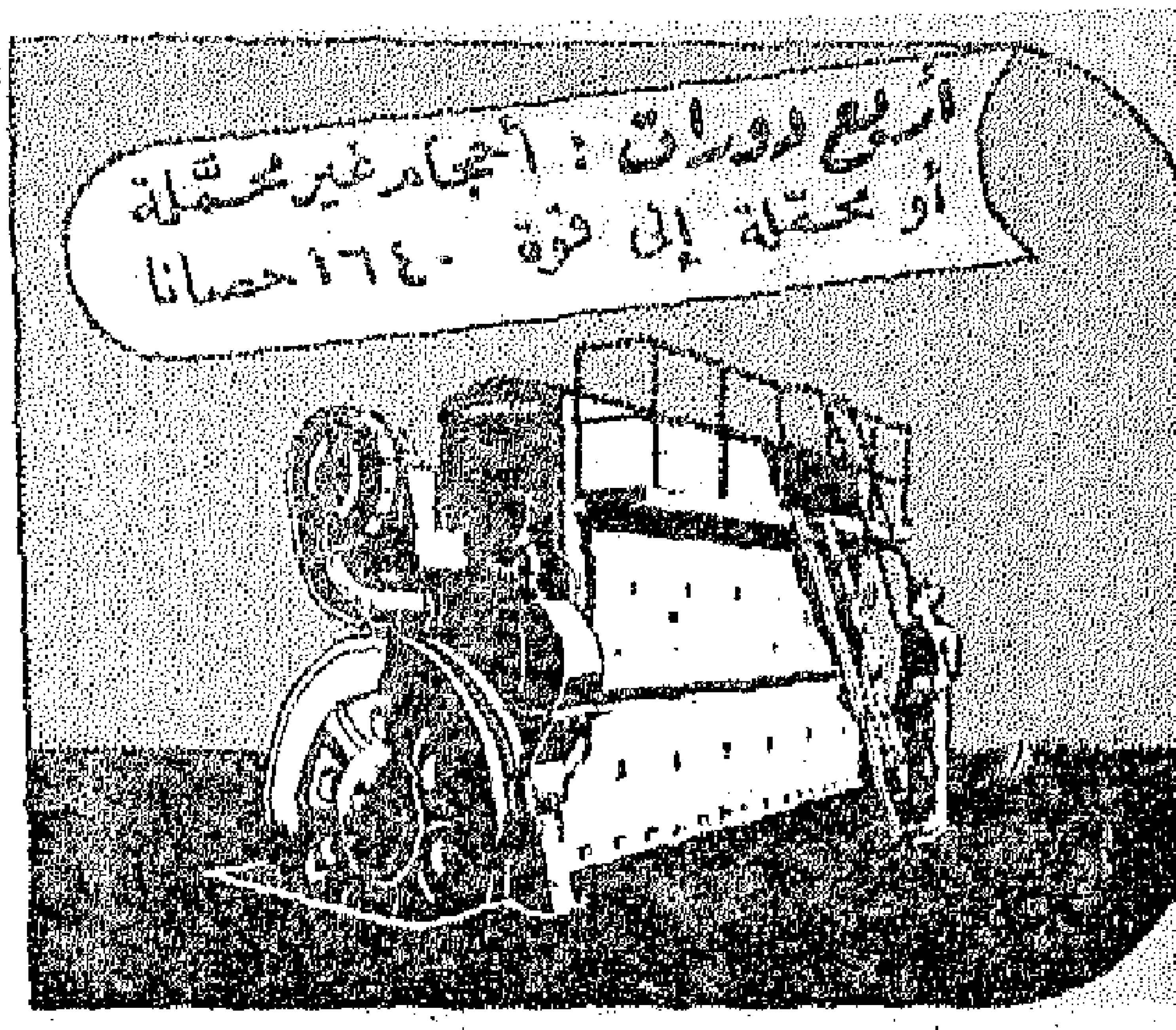
CR .4954

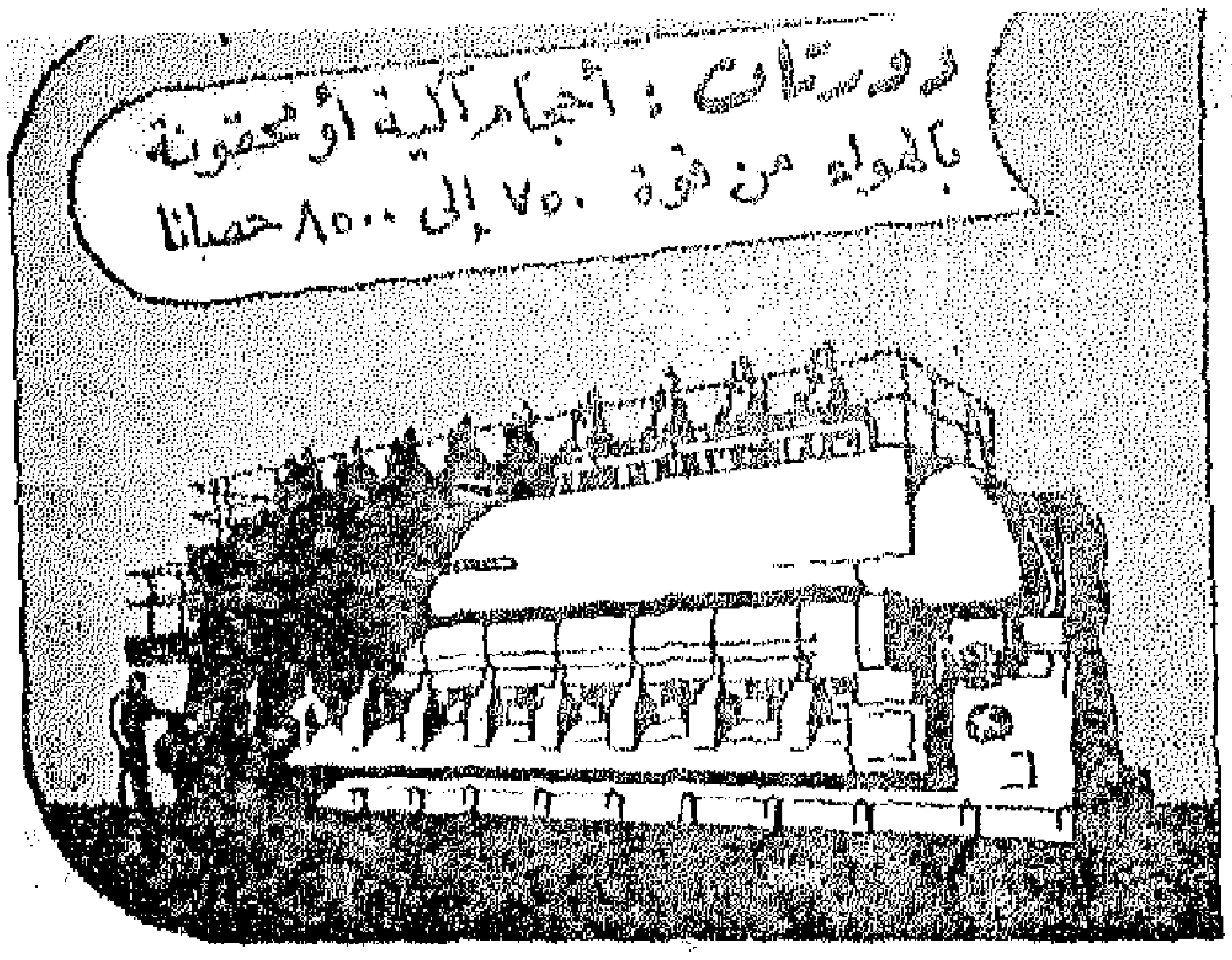

Coca-Cola
Coca-Cola
تذكر!
إذا أردت شيئاً
لذيذاً مرطباً
اشرب
كوكا كولا
مثلجة


معجون الأسنان لسترين
ينظف لك أسنانك
ويجعل فمك أطيب طعماً،
أيضاً!
LISTERINE
TOOTH PASTE
معجون الأسنان Listerine مركب من ١٤ عنصراً ، وهـذه العناصر قد أحكم انتخابها وجعلت مقاديرها دقيقة التوازن حتى تهيء للأسنان أقصى حد من اللمعان والنظافة دون أن تلحق بميناء الأسنان أدنى ضرر . إن معجون Listerine يترك فمك أكثر نضارة وأشد نظافة وأطيب طعماً . جربه اليوم !
E.26


من مصانع « كاسونز »
بمانشستر (إنجلترا) خرجت
أحدث الروائع فى أنواع
«أحمر الشفاه» البريطانية فى
خمسة ألوان جديدة . وقد
روعى فى صنعها أن تكون
ممتازة فى مادتها ولونها ،
فهى تحتل اليوم مكان الصدارة
فى صالونات التجميل فى
جميع أنحاء العالم .
Cussons أحمر شفاه
73 GROSVENOR ST. LONDON W. 1. ENGL







نوردبرج ديزل محركات تؤدي عملها أداء اقتصاديا

سواء بوقود الزيت أو الغاز

كن على ثقة من أنك ستظفر بأكبر فائدة من وقودك بتركيب قوة « نوردبرج ديزل » ومهما تفاوتت أنواعه من الثقيل إلى الغير الجيد ، إلى الغاز الطبيعي ، فستجد إحدى آلات « نوردبرج ديزل » صالحة للانتفاع بهذا الوقود أتم انتفاع ، مع توليد القوة اللازمة بنفقات بخسة قاما تجاري .

ويسرُّ ممثلينا أن يزوّدوك بما تريده من التفاصيل عن هذه الآلات الاقتصادية التي يعتمد عليها

في القطر المصري والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن ، فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

شركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة
٤١ شارع صفية زغلول ، بالإسكندرية
٢١ شارع سليمان باشا ، القاهرة

العراق : **الشركة العراقية للملاحة ليمتد**
٢٨٢/٩ شارع المنصور ، بغداد
وشارع الملك فيصل ، البصرة

الحجاز : **أمريكان إيسترن كوربوريشن** ، جده

إيران : **أمريكان إيسترن** ، ش . م . إ ، ٩٢٦ شارع شاه ، طهران ، وشاه نادي البحرية الأمريكية سابقاً ، خورامشاهر

NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

NORDBERG ماكينات ديزل


Kodak



الأولى إلى باريس
الأولى إلى الوطن
إن طيرانك بطائرة « كونستيليشن » بين باريس وسائر عواصم العالم يتيح لك : سرعة أعظم — فلا تجاريها طائرة سفر في سرعتها . وراحة أتم - فإذا ارتفعت في الأطباق العالية أصبت يسراً وراحة وأنت في جوفها الذي ضبط فيه الهواء حتى تصير كأنك في جو عادي . وأمناً أعظم — فقوة محركاتها أكبر من قوة محركات أية طائرة نقل أخرى . احجز مكانك بواسطة مكتب سفر ، أو مكتب خط جوي كبير، واستوثق من أن تذكرتك كتب عليها : « كونستيليشن » — فليس ثمة سوى طائرة واحدة بين الطائرات، هي في منزلة الزعيم .
Lockheed Constellation
تمتع بطائرة لوكهيد كونستليشن أولى الطائرات العالمية
في السرعة والراحة والأمن



الحرارة تصنع الثلج

فى ثلاجة معجزة



إن ثلاجة « سرفيل » تولد توليداً مستمراً ، البرد الذى يحفظ الطعام ، ومكعبات الثلج ... وذلك بغير آلات معقدة .

« إن نظام سرفيل » للتبريد والتجميد ، يختلف اختلافاً أصيلاً عن غيره ، فترى فيه لهباً صغيراً يولد المادة المبردة التى تنتج البرد والثلج . وهذه المعجزة العلمية تتيح التبريد على أفضل مثال ... بغير آلات متحركة معقدة ، تبليها الحركة . ونتيجة ذلك أن ثلاجة « سرفيل » المشهورة تظل هادئة لا صوت لها .. ومدى حياتها أطول ... ونفقة صيانتها أقل .

ولما كانت هذه الثلاجة المعجزة تعمل بالغاز الصناعى أو الكروسين ، أو الغاز المعبأ فى خزانات ، فأنت ترى أن الأسرة فى أى مكان تستطيع أن تظفر بشراب مثلج وفاكهة لذيذة مبردة ، وبصيانة طعامها دائماً من الفساد .

وتجد اليوم أكثر من ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ثلاجة « سرفيل » لينتفع بها الناس فى جميع أرجاء الأرض والتقدم الحديث فى توزيع الوقود سيمكن عدداً أكبر من البيوت والمخازن والمستشفيات أن تظفر بثلاجات « سرفيل » التى تعمل بالكيروسين أو الغاز المعبأ .

الثلاجة المعجزة

سرفيل Servel

International Division, 51, East 42nd Street, New York City 17. N.Y., U.S.A.

منتجات الصلب
لأجل السكك الحديدية

BETHLEHEM STEEL

إن شركة « بثلهيم ستيل » تجهز السكك الحديدية بمجموعة من المنتجات الأساسية، وجميعها لا غنى عنها في أعمال السكك الحديدية الحديثة السريعة. ونرى بين أهم هذه المنتجات، العجلات والمحاور ومركبات الشحن، والأشياء الخاصة بخطوط السكك الحديدية، وألواح الفزانات.

وشركة « بثلهيم ستيل » — إحدى كبريات الشركات التي تنتج الصلب في العالم — تقدم أيضاً منتجات من قبيل الأسلاك، والمواسير والألواح، والصفائح، والصلب اللازم لأدوات السكك الحديدية، والصلب الخاص ببناء الطرق وغيرها.

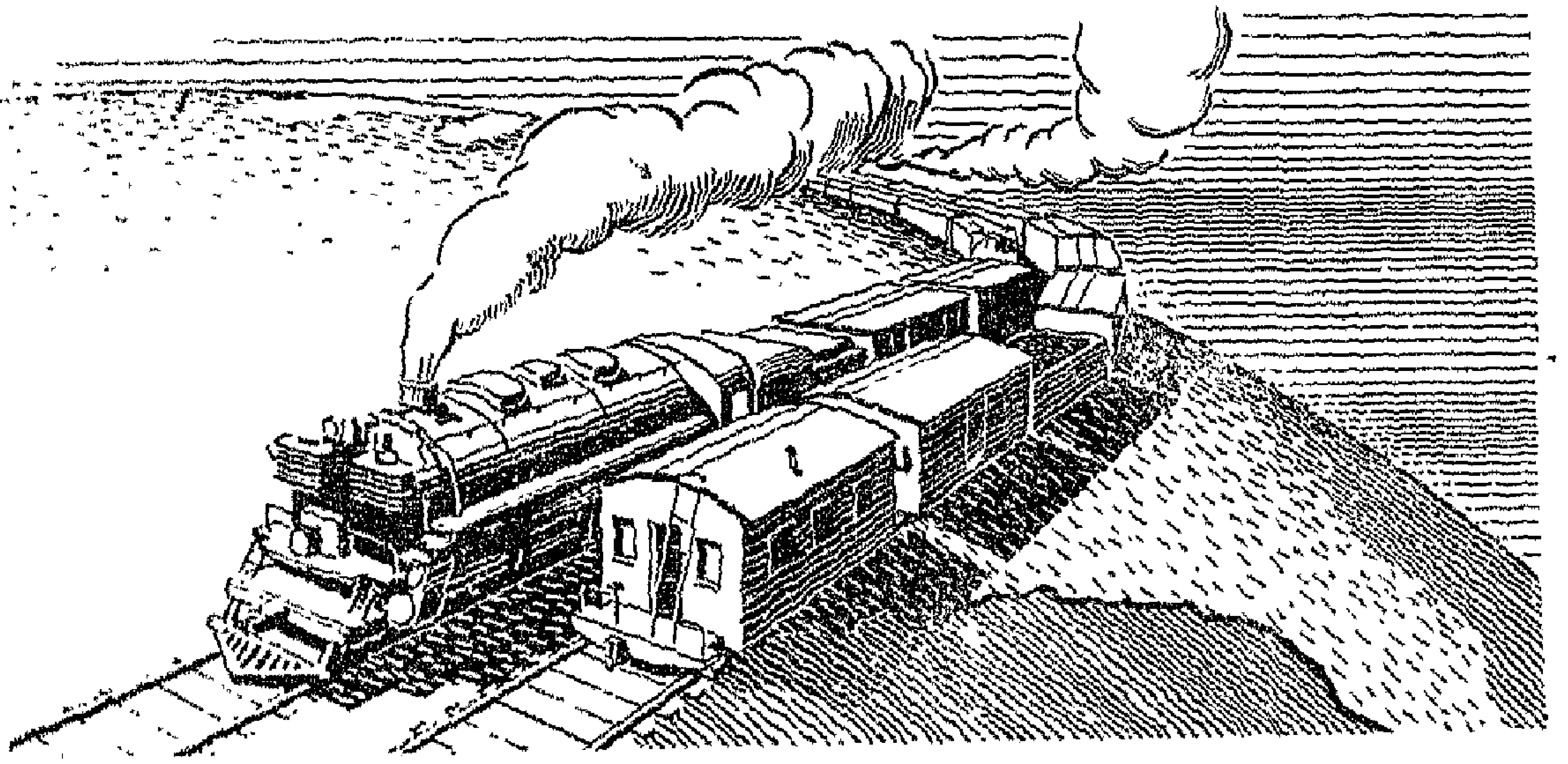
إن مصنع « سباروز بوينت » العظيم التابع لشركة « بثلهيم »، هو مصنع الصلب الوحيد في الولايات المتحدة، المشيد على حافة ماء المد. فالرسائل المعدة للإصدار تنقل رأساً من المصنع إلى السفينة فتقل بذلك الأضرار المحتملة التي تصيب المنتجات من جراء تكرار مرات الشحن.

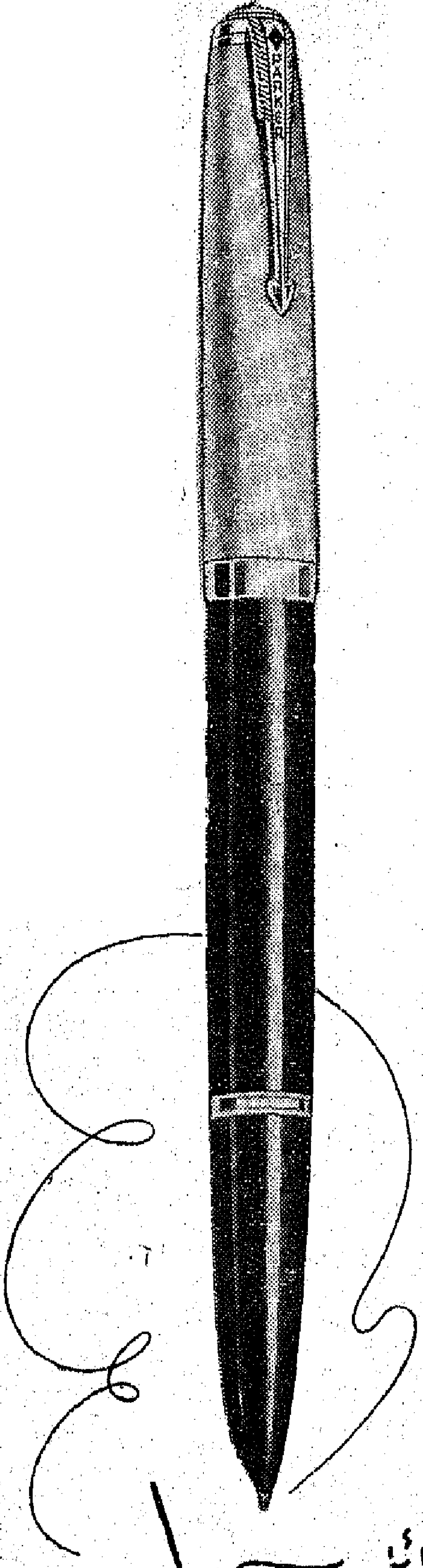
Bethlehem Steel Export Corporation

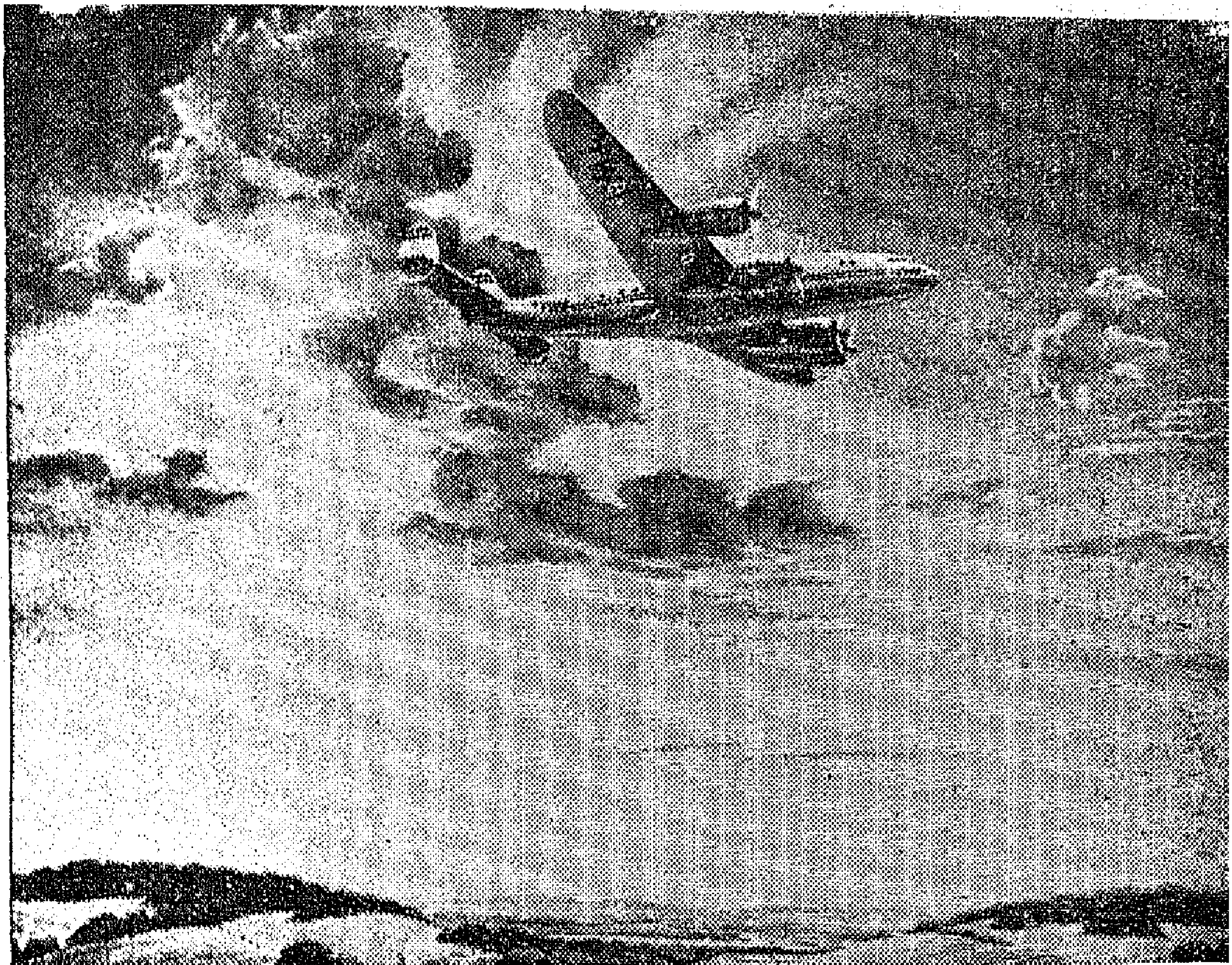
25 Broadway, New York, U.S.A.

الوكلاء . في القطر المصري: **شركة الدلتا التجارية ، ش . م . م** . في العراق: **ستانلي شعشوعة** . في فلسطين: **رفائيل ملتز** . في سوريا ولبنان: **مشيل صناوي وولده**

83-5S





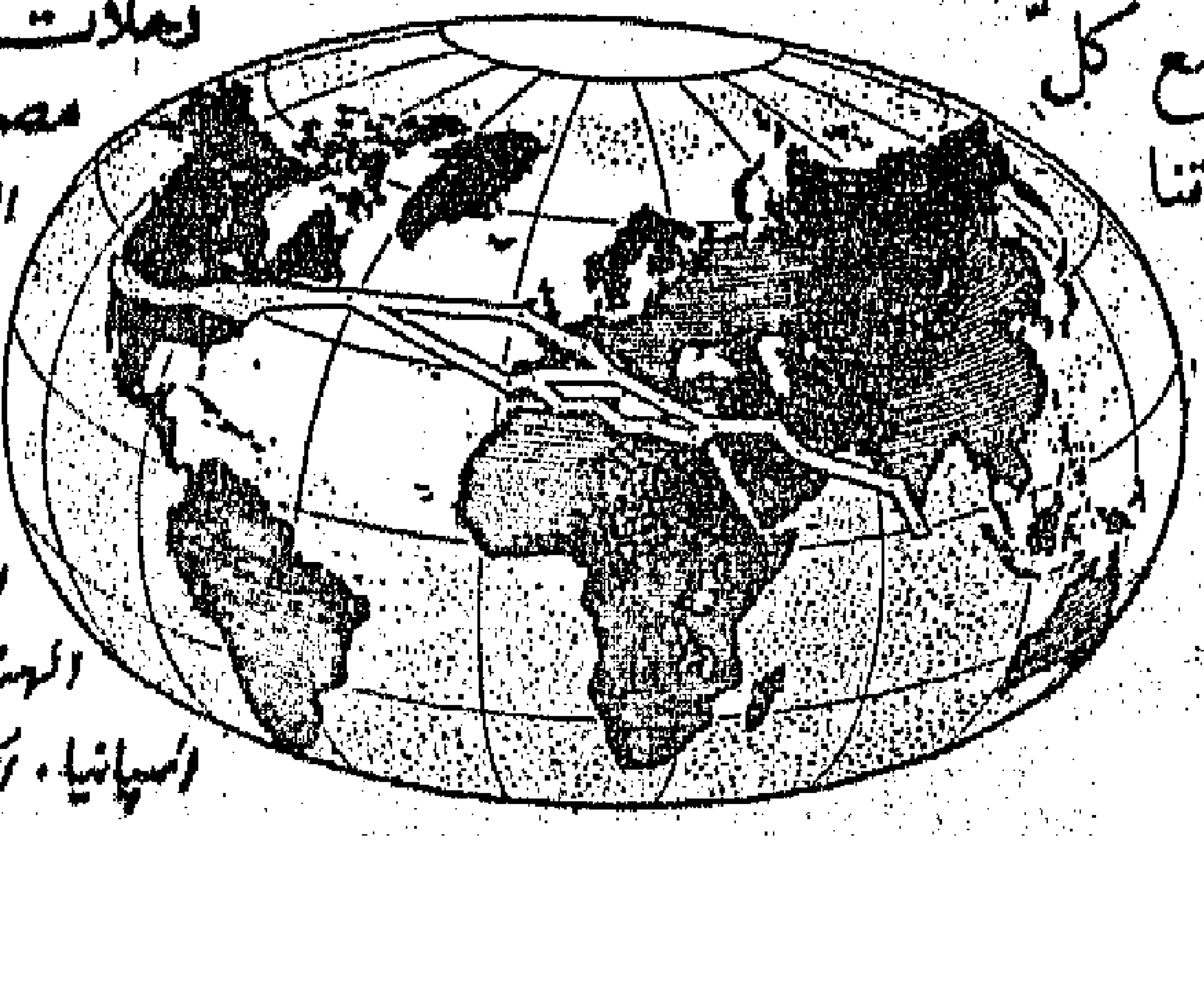


صداقة فى أعلا مستوى

إن شركة .T.W.A ، بإنشائها خطوطا جوية عالمية حول الأرض ، تسدى يداً إلى توثيق أواصر الصداقة بين الشعوب فى ٢٣ بلداً متباعداً فى أوربة وآسية وإفريقية وأمريكا الشمالية

وقد ساهمنا فى توثيق أخوّة التفاهم العالمية ، علايين من الأميال فى الطيران بين الأمم ، وكسبنا أصدقاء جدداً مع كل ميل قطعه طائراتنا

رحلات مباشرة مصرح بها بين :
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلنده . فرنسا . سويسرا
ايطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان
الهند . سيلان . البرتغال
اسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا



TWA
TRANS WORLD AIRLINE

[تتمة مقالة الغلاف]

مع أسرتى ، وهو أن مجلة المختار هى الوسيلة النافعة لتهذيب الناس فى البلاد العربية ورفع مستوى ثقافتهم ، فهى لهم كالجامعات والمعاهد العالية لخاصة طلاب العلم .

محمد جلال محمد : صحفى ، الفار مركز الزقازيق — المختار مدرسة عالمية جامعة ، توفر عليك المال والوقت والجهد ، تهديك إلى العيش الحرّ الكريم ، وتفهمك الحياة الناهضة المتحفزة ، لا تعترف باليأس ، ولا تقرّك على أنّ هناك ما يسمى مستحيلا . وأنا لا أسمح لأحد أن يقرأ نسختى حتى أحتفظ بها نظيفة ، وحتى أدفع غيرى لشرائها .

صبحى المحمصانى : مستشار محكمة الاستئناف فى بيروت ، الجمهورية اللبنانية — أودّ أن أشير إلى ناحيتين خاصتين من نواحى المختار : إحداهما النظرة العالمية التى تطلع قرّاءها على آفاق واسعةٍ أبعد من محيطهم الضيق الذى يعيشون فيه . والثانية هى روح التفاؤل والابتهاج التى تتجلى فيما تعالجهُ من الموضوعات . فهى وإن كانت تدعو إلى مبادىء الطموح والاندفاع ، لكنها تعنى أيضاً بما يعتور هذه المبادىء من عقبات ، وبما تنبغى معرفتهُ لأجل مكافحتها أو تقبُّلها عن رضى وثقة واطمئنان . فإذا مال الزمان ، وبرز وجهه الكالح العبوس ، وظهرت على ضحاياهُ آثار الوهن النفسى أو الضعف الجثمانى التى تطفىء جذوة الأمل فى القلوب ، كما هى فى نوائب المرض واليأس والتشاؤم ، فعندئذ تكون الحاجة أشدّ ما تكون إلى ما يجدهُ القارىء فى المختار من علاج علمى ومعنوى ، وإلى هذه الأشعة التى تنير ظلمات النفوس وتبدّد غيوم الحياة .

AL MUKHTAR min Reader's Digest—Vol. 7, No. 41, JANUARY 1947.

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ، وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

مطبعة مصر

لِمَ يؤثرون المختار

السيدة نجلاء حرم سليم صعب : من طلائع النهضة النسائية وحركة الإصلاح في لبنان — إننا ننتظر المختار في بيتنا ، فإذا أقبل علينا أقبلنا عليه نقرأ ما فيه ونجوب بلاد الأرض في حواشيه ، ونقلب مختلف الآراء ، ونشرف في فصوله على مختلف الموضوعات ، وهي على تباينها مختارة لما يعني الناس أمره ويلذ لهم الاطلاع عليه . وأفضل ما في قراءته أننا في البيت نتداول ما فيه ، وينبه بعضنا بعضاً إلى أبحاثه وما ورد فيها من طرائف وفوائد ، كأنما هو ينبه الفكر فضلاً عن أنه يغذيه ... وقد أصبحنا نفتقد المختار إذا تأخر عنا ، كأنه في سهرتنا شيخ الجلسة ... وخير ما أحمده في طريقته أنه يقتطف دون أن ينتقي انتقاء الهوى ، بل انتقاء من يريد أن يعطي مثلاً صحيحاً عن تيارات الروح والفكر واتجاهات الاقتصاد والسياسة ، ويصورها تصويراً ينعكس عن دنيا الواقع ، وفي دنيا الواقع روعة لا تحتاج إلى خيال .

الدكتور ابراهيم عاكف الألوسي : وزير المعارف سابقاً في العراق ، عضو مجلس النواب العراقي ، أحد ممثلي العراق في مجلس الجامعة العربية — كنت في رحلة تفتيش فوصلت إلى بلدة في شمال العراق تدعى تلعفر ، يبلغ عدد سكانها نحو عشرة آلاف ، فدخلت حجرة أقيمت هناك ، وقد ركبت فيها مضخة ترفع الماء لينتفع الناس به في الري والشرب ، وكان عليها عامل يتولاها ، فرأيت المختار على مقربة منه ، فعجبت وقلت له دهشاً : « المختار ! » فقال : « نعم إنها مجلة نفيسة وأنا مداوم على مطالعتها منذ صدرت ، وقد احتفظت بجميع أعدادها » . فسرني ما رأيت وما سمعت من العامل ، لأنه عزز رأيي الذي انتهيت إليه بعد مطالعتها

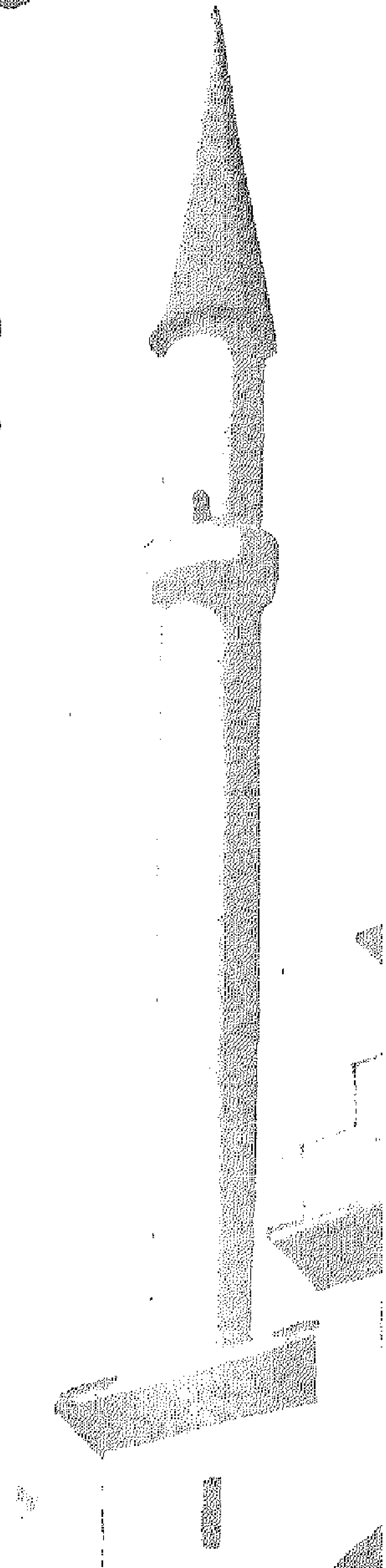
[التتمة على الصفحة السابقة]

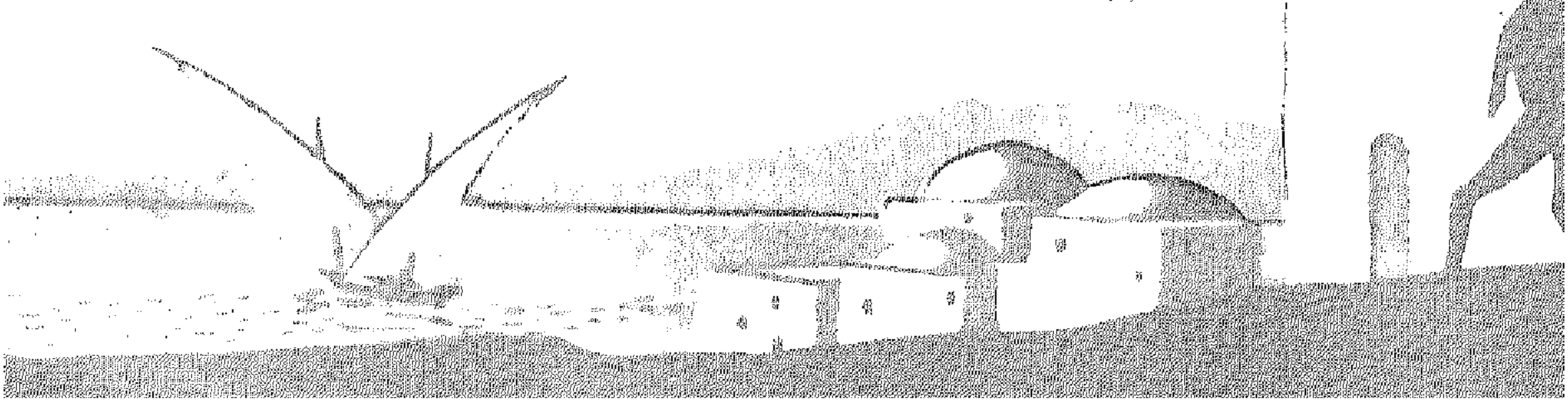


ابريل ١٩٤٧

المختار من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة





بعض ما تقرأ في عدد مارس ١٩٤٧

آلاف مؤلفة من الأسرار : قاذفة تستطيع أن تطير من ألمانيا إلى نيويورك في ٤٠ دقيقة ؛ بلازمة الدم ، لم تؤخذ من الدم بل صنعت بالتركيب الكيميائي ؛ خبز يبقى ثمانية أشهر طازجاً صالحاً للأكل — هذه ثلاثة من آلاف الأسرار العلمية والصناعية والحربية التي أخذت من ألمانيا بعد هزيمتها ، وهي تباح تباعاً اليوم لكل من يريد ، لقاء بضعة ريالات .

من صميم الحياة : وقف الرجل — وهو كاتب مشهور — على متن السفينة وهي تقلع ، وإذا هو يستشعر دعوة ملحة من «لندا» حبيبته ... تناديه أن يعود إليها لساعته قبل فوات الأوان . هذه قصة حقيقية مؤثرة يرويها فلتون أورسلر فتقيم الدليل على حقيقة تبادل الشعور عن بعد (التلبثي) — متى كان الحبّ الصادق يربط بين قلب رجل وقلب امرأة .

الشخصيات التي لا تنسى: ظلّ أعمى مشلولاً عشرين سنة كاملة — بيد أنه ظلّ قادراً على تزويد أصدقائه والمعجبين به بكلّ ما يملأ حياتهم وأفكارهم روعة وغبطة . والسيدة آن مورو لندبرج تروي قصة هذا الرجل الذي كان مؤلفاً مسرحياً مرموقاً فنزلت به الكارثة فانتصر عليها .

كيف تختار زوجك : ماهي الطرق الخليقة أن تفضي بك إلى الزواج الموفّق ؟ وما هي العناصر الخلقية والاجتماعية التي تسير بك إلى المتاعب في البيت أو إلى الطلاق ؟ عشرون سؤالا أعدّها عالم نفسيّ مشهور ، تستطيع أن تمتحن نفسك بالإجابة عنها وترتيب نتائجها.

في وقدة شمس البحر الأحمر ، (باب الكتب) : كان المرفأ مزدحماً بالسفن الغارقة ، ولم يكن بين الرجال من يملك مطرقة أو آلة لشدّ الألاووظ ، وكانت الحرارة ٦٥ درجة سنتجراد في الظل ، ولكن الكوماندر إزبرج أعاد مرفأ مصوّع ، على البحر الأحمر ، قاعدة بحرية صالحة في بضعة أيام ، فكان عمله من حوادث الحرب الحاسمة في الشرق الأوسط . قصة رائعة تتعانق فيها الشجاعة النادرة والاحتيال العجيب والابتكار على قهر الصعاب وتذليل العقبات .

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 7, No. 42, FEBRUARY, 1947

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى في سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ، وفي سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

مطبعة مصر

السنة الرابعة — المختار من ريدرز دايجست — المجلد ٧ العدد ٤٢
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
فبراير ١٩٤٧

انظر إلى العمل الذى تختاره هذه النظرة الجديدة

"لو ردّنى الله شاباً..."

دكتور وليم وستنى
فى حديث مع هربرت كاى
مختصرة من "أمريكان مجازين"

لو ردّنى الله إلى الحادية والعشرين ، وقام فى نفسى أن أدرس الطب ، لما بادرت إلى الجامعة بل لعملت خادماً فى أحد المستشفيات لا أستنكف عن شىء فى تمريض المرضى ، وأظل بينهم أنظر وأسمع . فإذا بقيت على ذلك سنة أو سنتين فعسى يومئذ أن أعرف أى فروع الطب أحق بدراستى ، فلربما انتهيت إلى أن أوثر التخصص فى الهرمونات على التخصص فى الجراحة ، أو ربما آثرت أن أصير صيدلياً أو من صناع آلات الجراحة — أى كنت أنظر إلى أين يقودنى عملى هذا .

لقد آتانى الله خصلة من خصال القردة تجعلنى أحب أن أتحسس وأشم وأتذوّق كل ما يثير فى قلبى الشغف والفضول ، ثم أختبره جزءاً جزءاً . وليس ذلك طبيعة فى كل أحد ، ولكن ينبغى للباحث العلمى أن يكون كذلك.

ولو شاء الله وردّنى إلى الحادية والعشرين غير مفطور على إيثار العلم ، لما ازدريت عملا ولو كان مثلا بيع الصحون متنقلا من منزل إلى منزل . فمثل هذا البائع المتجول يتاح له من العلم بطبائع البشر أكثر مما أتيح لمثلى أن يتعلمه بين جدران معمل علمى ، ويزيد أنه يكسب مالا ويستفيد ما يسليه . وعسى

أن يعرف أشياء جديدة عما يشتهيه الناس ، تعين الباحث والمهندس أو صاحب المصنع ، فليس الشأن كل الشأن للعمل بل لما تصنع فيه .

وقد سمعت منذ قريب بضابط كبير شاب سُرِّح من الجيش ، فساءه أن يعهد إليه صاحب العمل الذى كان يعمل معه سابقاً بعمله القديم — وهو تصميم ظروف الرسائل. نعم لقد بلغ أن يكون ضابطاً كبيراً فى سلاح الطيران وهو فى ميعة صباه، ولكن تصميم الظروف ليس عملا يعاب . وعسى أن يزاوله فتى متوقد الذهن فيبتعثه إلى اختراع جديد . ترى أهذه الظروف التى نستعملها مصنوعة على ما ينبغى أن تكون ، أم ترانا نراها كذلك تكون لأن عيوننا ألفت أن نراها كذلك ؟ لست أدرى . ثم يأتى الصمغ وأسلوب ختمها وطريقة كتابة العنوان ، ففى كل ذلك للفكر متسع .

والكتابة على الآلة الكاتبة مثلا عمل لا بأس به ، فالمرء خليق أن يتعلم شيئاً من كل شىء ينسخه أو يملى عليه . ولست أدرى أكان فى كتاب الاختزال أحد خطر له أن يستحدث طريقة جديدة لوضع شريط الآلة الكاتبة ؟ أو من فكر فى هذا الشريط أهو شىء لا غنى عنه ؟ أم لعله يكون أفضل أن يكون فى الآلة أسطوانة تحبّر من محبرة لها مفتاح أو صمام ؟ لست أدرى ، ولكنه شىء يستحق تفكير رجل قدير فى الآلة الكاتبة . وأنا نفسى أمقت تغيير أشرطة الآلة الكاتبة.

وكل ما أريد أن أقوله هو أن بعض الناس قد حجب إلهام الغاو فى طِماحهم . واعلم أن إحدى الوسائل التى تتيح للمرء أن يعرف بها ماذا يريد أن يعمل فى الحياة هى أن يجرّب كل عمل ، فإذا كره العمل فى محطة بنزين مثلا فليجرب العمل فى مخزن أو فى مكتب أو دكان أو مزرعة ، فإذا فعل لم يقتصر ما يجنيه على معرفته العمل الذى يلائمه ، بل يجنى فيما يجنى قدراً عظيما من المعارف النافعة .

أعرف شاباً كان يتردد فى اختيار صناعة السفن أو كتابة الحسابات، فلما جاء يستنصحنى أشرت عليه أن يجلس إلى مكتبه ويكتب مقالتين — إحداهما فى فضيلة العمل فى صناعة السفن ، والأخرى فى فضيلة العمل فى كتابة الحسابات ، ثم يكتب أيضا مقالتين أخريين عن مساوىء العمل فى كلتيهما ، ثم يدرس ما كتب . والمرء لا يدرك حقيقة ما يجول فى نفسه حتى يشغل نفسه بالتعبير عنه .

يخيل إلى كثير من الناس أن المرء لا يستفيد علماً إلا وهو دون العشرين ، ويتلقى الصغار هذا الرأى عن كبارهم ، فإذا سُرحوا من الجندية فما بعد الثانية والعشرين

من أعمارهم ، خيل إليهم أنهم بلغوا من كبر السن مبلغاً يقعد بهم عن طلب علم شريف كعلم الطب مثلا .

وقد درست أنا الطب وقد نيّفتُ على السبعين ، ولم أكن أرمى من وراء دراسته إلى نيل شهادة ، بل لأستعين به فى تجربة « جهاز الحمى » الذى اخترعناه فى معاملنا ، يراد استعمال حرارته فى شفاء ضروب معينة من الأمراض أو تخفيف وطأتها .

ومنذ سنتين بدأت أزاول صناعة اللحام بالكهرباء حتى أتقنتها ، وفعلت ذلك بغية أن أهتدى إلى طريقة تمنع تطاير الشرر من المعادن. ولست أذكر هذا فخراً ومباهاة، بل ما أردت إلا أن أدلّ الشبان على أن السن مهما علت بهم لاتحول بينهم وبين طلب العلم. وإن أحدنا وهو فى ذروة نشاطه لايكاد ينتفع إلا بجزء يسير من عقله .

إن الذى نصنعه من الأشياء يزداد يوماً بعد يوم ، وكلما زادَ زاد العاملون وزاد المشترون، وكثر العمل . وفى الدنيا اليوم من الفرص لكل عامل ما لم تر مثله من قبل ، وهى لاتزال تزداد ، وأنا أظن أنها لاتنتهى .

ومهما جهد البشر فلن يخرجوا من الطعام أكثر مما يحتاجون إليه ، فالفرص المتاحة للشبان فى الزراعة لايحصيها العد ، ولن يجدوا الزراعة مضنية لهم بعد ظهور الآلات الزراعية المستحدثة . ولو ردنى الله إلى الحادية والعشرين لكنت خليقاً أن افكر فى أن أتتلمذ لأحد المزارعين . أليس حسناً أن تختار لنفسك أستاذاً مجيداً فتكسب مالا وتستفيد علماً ؟

وكلما علت بى السن ازددت يقيناً بأن خير البرّ أنفعه للناس، ولو خيرت فى حياتى ثانية لحرصت على تدبر ثلاثة أشياء: ماجدوى العمل الذى أزاوله على الناس.؟ ما مقدار المتعة التى أنالها منه ؟ أترى دخلى منه يكفى كل حاجتى ؟ وذلك حسبى .

أعرف شاباً يطوف بأرجاء البلاد ويبيع الناس أقفاصاً للطيور يصنعها بيديه ، وعندى الآن ١٤ قفصاً أو ١٥ قفصاً من صنعه . وعندى طيور من طيور الصَّعْو ، فأنا أضع لها هذه الأقفاص فى أماكن مختلفة وعلى ارتفاع مختلف ، لأنظر أين تؤثر أن تبنى أعشاشها . ولم أهتد إلى شىء يذكر، إلا أنى رأيتها تكره أن تكون أقفاصها قريبة من شجرة تيسر للقطط والسناجيب أن تقفز منها إلى سطوحها . وهذا الشاب يقضى أمتع وقت وأحسنه يقابل من أماثل الناس رجالا يحبون الطيور ، فهو يستفيد مالا ، وينال متعة ، ويقدم الخير للناس وللطير . فلا تحتقرن عملا وإن هان أو قل فى هذه الدنيا الحافلة بسوانح الفرص .

حواء الخالدة

صنع رمبرانت المصوّر الهولندى العظيم صورة زوجته بعد أن انقضت سبع سنوات على زواجهما ، فندّد به بعضهم على ما صنع ، فوقف رمبرانت فى جمع من الجنود وأهل المدينة ، ثم قال لهم : « كان فى أرض أزْ رجل أنعم الله عليه بكل شيء يتمناهُ قلب الرجل ، وأهمها جميعاً أنه كان يحبُّ زوجته حبًّا صادقاً » .

فقاطعه صوت : « لا بد لذلك من سرّ » .

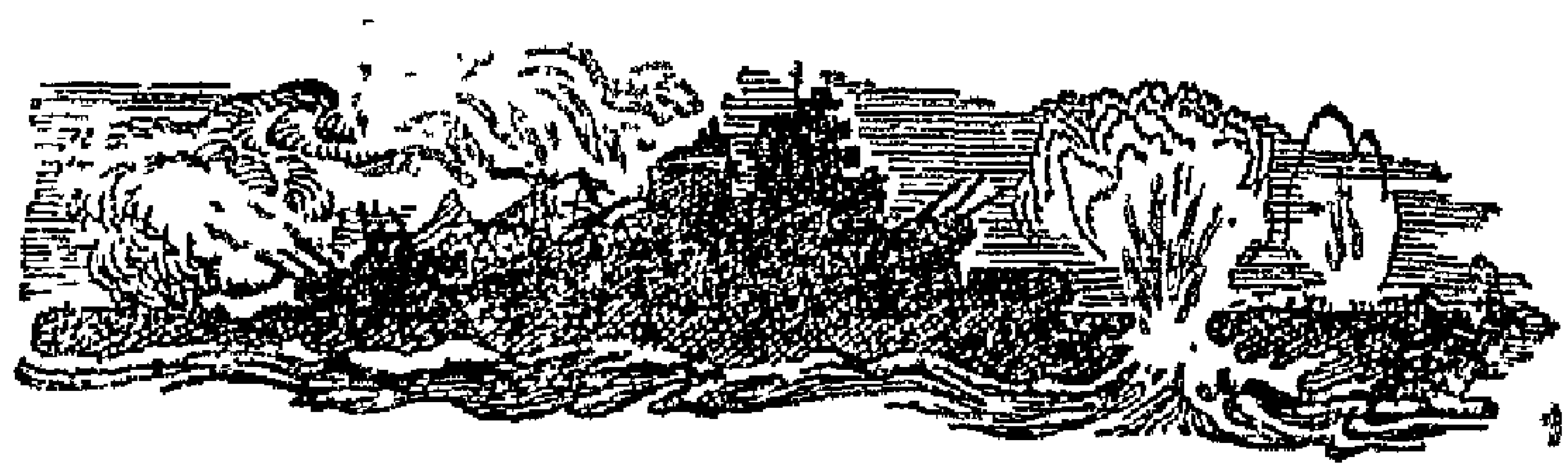
فقال رمبرانت : « نعم ، لقد كان سره أنه كان يدرك ما لا تدركون – ذلك أنه إذا ما وهبتك امرأة نفسها فقد ملكتَ جميع النساء ، من كلّ عمر وكلّ جنس وكلّ أرض . وأهمُّ من ذلك أن تصبح وقد حُزْتَ القمر والنجوم وجميع المعجزات والأساطير — النساء السمر اللواتى يلهبن الحس بدلالهن ، والنساء الشقر الفاترات اللواتى يغوينك ثم يتهاربن منك ، والدمثات اللواتى يخدمنك ، والغيد الرقيقات اللواتى يعذبنك ، والأمهات اللـواتى يحملنك ويرضعنك – جميع النساء اللواتى خلقهن الله وأنبتهن على خـيرات الأرض الزاخرة ، يجتمعن لك فى حبّ امرأة واحدة » .

فقال الصوت : « وكيف يكون ذلك ؟ »

قال رمبرانت : « ترفق فى إلقاء رداء أرجوانىّ على عِطْفها فإذا هى ملكة ؛ أرحْ رأسك الأشعث على صـدرها فإذا هى غانية تنتظرك لكى تخلبك لبك ؛ جرّدها من ثيابها وانزع نقابها عن وجهها فإذا هى عروس الفنان الملهمة الخفرة تحاول أن تستر عورتها بيديها المرتعدتين .

« انظر إليها كأنما تنظر إلى ألف امرأة غريبـة — ولكن لا يذهبْ بك الظن إلى أنها قد دخلت فى سلطانك ، لأن أسرارها لا تنفد ، فمهما جهدتَ فلن تحيط بها جميعاً » . [من فلم « رامبرانت » تمثيل تشارلز لوتون]

مصرع بارجة



إدوين مولر
مختصرة من مجلة "هاربرز"

تبين الخبراء البحريون أن إغراق البارجة بسمارك ، مفخرة الأسطول الألماني ، كان امتحاناً جليل الخطر لأصول فنهم . فقد عكفوا عشرين عاماً على بناء مختلف السفن الحربية وتدريب الرجال على منازلة أمثالها ، فكان إغراق بسمارك أول تجربة صادقة للصراع الذي يدور بين البوارج الحديثة وبين آخر طراز من السفن الحربية والطائرات ، وتعلموا أيضاً كيف تكون روح البحارة في ساعة الخطب ، وأي العوامل يحفظ عليهم ثباتهم وشجاعتهم ، وأيها يزعزع أعصابهم .

وقد بذلت السلطات البحرية في كافة الأمم كل ما وسعها من جهد وحيلة لجمع كل ما تستطيع الظفر به من معلومات عن هذا الحادث . وقد أصبح اليوم في الإمكان أن نروي المأساة التي شهدتها تلك البارجة العظيمة في أيامها المشئومة الأخيرة . وجميع الأخبار والوقائع التالية حقائق ثابتة .

في ليلة ٢٢ مايو سنة ١٩٤١ غادرت البارجة بسمارك — ومعها الطراد البرنس أويجن — شاطئ النرويج ، واتجهت إلى الممر العريض بين جريلند وأيسلند ، وفي فجر يوم ٢٤ مايو رأت بسمارك عدوها ، فقد لاح لها طراد القتال هود العتيق الشهير ، وهو أكبر السفن الحربية البريطانية ، ثم لاحت لها بارجة أخرى هي « برنس أوف ويلز » .

وبدأ هود القتال ، فردت بسمارك بإطلاق مدافع أبراجها كلها ، ثم سددت نيرانها إلى « برنس أوف ويلز » فأصيبت وعجزت عن الاستمرار في المعركة الدائرة ، فخلا الميدان للمبارزة بين اثنتين : بسمارك وهود .

وأطلقت بسمارك مدافعها لثالث مرة ، فانبعثت سحابة من الدخان الأسود من مقدمة هود ومالت على جنبها ، ثم تمزقت نصفين ، وغرق مؤخرها من فوره ، أما مقدمها فقد ظل طافياً دقائق معدودة ، ثم غاص رويداً رويداً وابتلعه اليم .

لم يلبث الخبر أن ذاع في أرجاء بسمارك ، وتعالى الهتاف واشتد ، وإذا السطح الذي

كان خالياً أثناء المعركة قد احتشد فيه الضباط والبحارة وهم ينشدون الأناشيد ويعانق بعضهم بعضاً .

لم يلحق بسمارك إلا ضررٌ يسيرٌ في مقابل تدمير أكبر سفينة بريطانية . لقد أصيبت ، ولكن الأذى كان طفيفاً ، وجرح عدد قليل من بحارتها .

وكان عيداً دام يومين ، وجمع أمير البحر لويتجنز رجاله على السطح ، وألقى عليهم كدأبه خطبة فوّارة يمجد فيها هذا النصر ، ودوّى الهتاف والتصفيق واختلط بهدير الأمواج . ومما زاد الحفل بهجة أن كان ذلك اليوم هو يوم ميلاد أمير البحر الثاني والخمسون .

وحمل الراديو إليهم تهنئة هتلر ، وإنعامه على ضابط المدفعية شنيدر بوسام الصليب الحديدي . وجاءت بعد ذلك إنعاماته على على رجال البارجة تترى .

وكان أكثر رجال البارجة دؤوباً هم مصورو السنما التابعون لمكتب جوبلز ، فبعد أن سجلت عدساتهم أطوار منازلة هود ، انصرفوا إلى تصوير مناظر الاحتفال حتى يتاح لبرلين أن تشهد سريعاً على الشاشة البيضاء خاتمة السيطرة البريطانية على البحار .

وكان أغلب البحارة شباناً في ميعة الصبا ، وضمت البارجة أيضاً ٥٠٠ تلميذ بحرى في الحلقة الثانية من العمر ، فكان هذا اليوم المجيد مؤيِّداً لثقتهم المطمئنة بالنصر الموعود ، فهم في مثل هذه السنّ لا يكادون يذكرون شيئاً عن العالم قبل هتلر ، بل مثلهم كمثل أعضاء فرق شبان هتلر ، قد عمل فيهم إيحاء لا ينقطع ساعة من نهار ، حتى رسخ في نفوسهم إيمان أعمى بسيادة الجنس الألماني ، وأنه « يحكم اليوم ألمانيا وسيحكم العالم كله غداً » ، وما كانوا يدركون إلا شيئاً واحداً هو أن الألمان قومٌ لا يقهرون .

وكذلك بارجتهم هذه أيضاً ، فهي بارجة لا تقهر . ولا ريب في أنها كانت أقوى من أية سفينة بحرية أخرجتها المصانع حتى ذلك اليوم ، وظلت حمولتها سراً لا يعلمه أحد إلا رجال القيادة العليا الألمانية . ومن المؤكد أنها كانت تزيد عن ٣٥ ألف طن ، وهو الحد الأقصى الذي قيدتها به المعاهدات . وبعض الناس يقدر حمولتها بخمسين ألف طن ، ويقال إن سرعتها في رحلتها التجريبية بلغت ٣٣ عقدة ، فهي أسرع من كافة البوارج البريطانية والأمريكية .

كانت بسمارك لا يختلف شكل سطحها عن سائر البوارج ، أما ما تحت السطح فكان فذاً لا مثيل له ، فقد كان لها تحت خط الماء خمس دروع مُظاهَرة ، وقيل لبحارتها إنها تستطيع إنزال الهزيمة بأية سفينة بريطانية ، بل بأية

جماعة من السفن التي قد تتألب عليها ، أنها في أمان من الغرق ، فآمن البحارة بصدق هذا القول .

ولكن كان فيها نفر من ذوي السنّ والتجربة لم يؤمنوا بهذا القول ، كالضابط لندمان الذي يعلم أن السفن الألمانية قد تغرق كغيرها من السفن ، وهو ضابط قدير هادئ الطبع من قدماء رجال البحرية الألمانية لم يفتنه التشيع لحزب بعينه .

أما رئيسه نائب أمير البحر جونتر لويتجنز فكان من غلاة النازيين ، وكان رجلا نحيلا ضعيف البنية ، فستر نقصه بقسوة النظرات وعُنْف الطباع . وهو من هؤلاء الزعماء القادرين على تحريك عواطف أتباعهم وإيقاد جذوة الحماسة في قلوبهم ، ولكن البحارة كانوا يجهلون أنه يعاني بعد كل فورةٍ أزمةً شديدة من الضيق والقنوط .

وكانت الروح المعنوية قويةً بين البحارة بالرغم من شدة ازدحام البارجة بهم ، إذ كان فيها سوى بحّارتها وسوى التلاميذ البحريين مئات من بحارة ألحقوا بها ، فأصبح فيها ما يقرب من ٢٤٠٠ رجل ، مع أن الأماكن المخصصة لبحارة البارجة أنفسهم كانت غير كافية ، فقد أخليت بعض الأماكن التي يشغلها البحارة عادة حتى ينتفع بها في زيادة تحصين البارجة . وخصص مقدم البارجة لنوم البحارة في فرش معلقة تقاربت حتى تلامست ، وازدحم صغار الضباط في المؤخرة ، فكان ينام كل أربعة منهم في حجرة ضيقة ، أما حجرة الطعام فمظلمة مكتومة الهواء ، ولكن نفوس الجميع ارتضت أن تضحى بالراحة من أجل مناعة البارجة كما رضى الشعب الألماني بأن يضحى بالزبد في سبيل صنع المدافع .

وكثر الحدس والتخمين بين البحارة عن وجهة البارجة ، وظن أغلبهم أنها خرجت للإغارة على السفن التجارية البريطانية ، فقد أصاب لويتجنز نجاحاً كبيراً في هذا العمل أيام كان يتولى قيادة شارنهورست وجنايزناو . وظنوا أن زيادة عدد البحارة دليلٌ على صواب هذا الرأي ، فلعلهم أعدوا لقيادة السفن التي ستقع في الأسر . وسمع آخرون أن بسمارك متجهة إلى جزر الأزور لتستولى عليها ، ورأى آخرون أنها سوف تيمم شطر المحيط الهادئ لتنضم إلى الأسطول الياباني ، ولكنه كان رأياً بعيد الاحتمال ، إذ توزَّع عليهم ملابس تصلح للمناطق الحارة .

أما الآن فقد وضح الغرض ، فقد خرجت بسمارك لتحطم هود .

ولا بد لنشوة النصر ، وإن طالت ، من نهاية . فجاءت النكسة في اليوم التالي ، إذ

انقلبت البرنس أويجن عائدة إلى الوطن ، وتلبدت السحب ، واشتد البرد وتساقط الثلج والبَرد والمطر الغزير، وانتشر الضباب ولم يكن لكثير من رجال بسمارك عهد بوحشة المحيطات السحيقة ، فشعروا بأنهم في وحدة ، وأنهم بعيدون عن وطنهم .

وسرعان ما أدركوا أنهم مطاردون ، إذ طرق سمعهم في صباح يوم ٢٦ مايو عند الطرف الجنوبي لجرينلند هدير طائرة ، ثم حلقت فوقهم من خلال فرجة في السحب طائرة بريطانية من طراز كاتلينا ، فانطلقت جميع مدافعها المضادة للطائرات وأقامت سداً من الرصاص ، فاختفت الطائرة ، ولكن لم تلبث أن بدأت طائرة أخرى ترصدهم . وشعر البحارة كأن هناك سواعد قوية تمتد لتطبق عليهم .

ثم انتشرت في البارجة إشاعة مقلقة ، فقد شب خصام بين لويتجنز ولندمان ، وسمع صوت أمير البحر وهو يصرخ غاضباً من وراء أبواب حجرته المغلقة ، فقد نبه لندمان إلى أن البريطانيين سيحشدون لمقاتلتهم كل سفينة لديهم ، وأنه لن يهدأ لهم بال حتى يظفروا بفريستهم ، ونصح أمير البحر بأن يحوّل وجه البارجة فوراً إلى أرض الوطن .

واعترض أمير البحر ساخطاً على هذا الرأي ، وأذاع على البحارة أنه سوف يقودهم إلى نصر بعد نصر ، فهتفوا له وانتعشت نفوسهم، ولكنهم أخذوا يرقبون الأفق آملين أن يروا الإمدادات قادمة إليهم .

أما الذي وافاهم في اليوم التالي فكان شيئاً خلاف هذه النجدة المرتقبة ، إذ سُمع صوت كطنين سرب من النحل ، ثم حلق فوق رؤوسهم سرب من الطائرات ، إنها طائرات الأسطول البريطاني من طراز سوردفيش قد ظفرت بقنيصتها . وتهاوت الطائرات واحدة بعد أخرى، حتى إذا ما اقتربت إحداها من سطح البحر أطلقت طربيدها ثم تنفتل مصعّدة في الجو . وأصاب طربيد وسط البارجة، فثار عمود من الماء حتى جاوز قمة صاريها ، وترنحت بسمارك من جنب إلى جنب . وتبين لفرقة الإنقاذ أن أحد الدروع قد انخرق وامتلأ الفراغ الذي يليه ماء .

ولم يكن الضرر فادحاً ، ولكنه ترك أسوأ الأثر في نفس أمير البحر ، ولعله كان قد سمع في ذلك الوقت من الراديو أنباء مقلقة عن مجموعة من السفن البريطانية قد تحركت لمحاصرته .

ومثل هذه الأنباء ، إذا اجتمعت هي وإصابة البارجة ، كفيلة بأن ترد رجلا في مثل مزاجه من ذروة النشوة إلى قرارة اليأس .

فجمع رجاله وخطبهم على غير عهدهم بخطبه ، إذ قال لهم إن بسمارك ستكره على

خوض معركة ، وإنه يأمل أن توافيه نجدة من الغواصات والطائرات لصد الهجوم البريطانى ، فإذا لم تأت فإن بسمارك ستجر معها إلى قاع البحر أكثر من سفينة واحدة من سفن الأعداء .

ثم قال : « أيها الرجال ! اذكروا أيمانكم وكونوا أوفياء لهتلر حتى الموت » .

فانقضت هذه الخطبة على قلوب الشبان من البحارة انقضاض الصاعقة ، فقد قيل لهم من قبل إنهم لا يهزمون ، وإن سفينتهم لا يمكن أن تغرق ، فإذا بهم يسمعون فجأة من يدعوهم إلى حياض الموت .

كانت تلك هفوة من أمير البحر ، فأذيعت على البحارة رسالة تقول إن النجدة فى طريقها إليهم ، وإن سرباً من الغواصات يقترب منهم ، وإن الطائرات آتية ، وسيرون بعد قليل مثنى طائرة تحلق فوقهم .

وأكبر الظن أن هذه الرسالة كانت من نسج الخيال ، ولكن البحارة صدقوها فانتعشت نفوسهم ، وظلوا طول يومهم يتطلعون إلى نواحى الأفق .

وكانت بسمارك قد اتجهت بعد إغراق هود إلى الجنوب الغربى ثم إلى الجنوب ، ولكنها الآن ، أى بعد ثلاثة أيام من المعركة ، حولت وجهتها نحو فينستر آملة أن تصل إلى الشاطىء الفرنسى لتجد فيه مرفأ آمناً .

ولكن الظلام لم يكد يرخى سدوله فى تلك الليلة حتى أقبل سرب من الطائرات البريطانية وهاجم البارجة فجأة وأصابها ثلاث مرات ، ولكن التلف الناجم من الطربيد الأول والثانى كان هينا ، أما الثالث فقد أصاب الدفة وأمالها ، وأخذت السفينة تدور حول نفسها .

ودب فى البارجة نشاط كمثل الجنون ، وقيل لهم إن من يستطيع إصلاح الدفة فجزاؤه أن ينال وسام الصليب الحديدى ، وأبطلت الآلات المحركة ، وتدلى من البارجة غواص بذل غاية جهده فى إصلاح الدفة ، ولكن ما كادت البارجة تعاود سيرها حتى أخذت تدور ثانية حول نفسها .

وانقطع عند ذاك حبل النظام فى البارجة ، وتعالى الصراخ وساد الهرج والمرج . وفى أثناء هذه الفوضى أذيعت رسالة لاسلكية من هتلر جاء فيها : « إن أفكارنا كلها متجهة إلى رفقائنا المنتصرين » .

وبذل الجميع جهد اليائس لتقويم سير البارجة بدفع آلاتها وجرها ، ولكنها أخذت تجر نفسها كمشى الأعرج ، وتترنح ترنح السكران الثمل .

وبعد ساعة من منتصف الليل انقضت من خلل الظلام مجموعة من المدمرات البريطانية وأحاطت ببسمارك إحاطة كلاب

الصيد بالفريسة المثخنة بالجراح ، وأخذت تسدد إليها طرابيدها بين الحين والحين ، فأصيبت دروع أخرى وامتلأ ما بينها بالماء ، وزاد عدد المصابين من البحارة .

وحاولت القيادة أن تشدّ من عزائم البحارة ، فأدارت عليهم رسالة تؤكد لهم أنْ ستأتيهم في فجر الغد نجدة من سفن الجرّ ومعها ثمانون طائرة .

وقد صدق بعض البحارة هذا الخبر ، ولكن لويتجنز لم يصدق ، وأراد أن يضرب مثلا رائعاً فأرسل إلى هتلر برقية يقول فيها : « سنقاتل إلى آخر قذيفة ، فليحى هتلر رئيس الأسطول » .

ثم انهارت أعصابه بعد ذلك ، وسمع له صراخ كصراخ المجانين من وراء باب حجرته وهو يقول : « افعلوا ما بدا لكم ، أما أنا فقد غلبت على أمرى » .

وطلع النهار والسماء ملبدة بالغيوم ، والرياح قارسة تهوى كالسياط على الأمواج فتتوجها بالزبد ، ولاح على الأفق أكبر قطع الأسطول البريطانى ، البارجتان رودنى وجورج الخامس ، وأطلقتا مدافعهما من عيار ١٦ بوصة من بعد ١١ ميلا ، ثم اقتربتا حتى انتصفت هذه المسافة . وقذيفة المدفع من عيار ١٦ بوصة والتى زنتها ٢١٠٠ رطل تنطلق بسرعة نصف ميل فى الدقيقة ، فكلما أصابت بسمارك قذيفة ترنحت تحت الضربة ، ولكنها ظلت برهة تردّ الهجوم بمثله وتطلق القذيفة إثر القذيفة .

ثم جاءتها الضربة القاضية حينما أصابت إحدى القذائف الجهاز الرئيسى لتسديد المدافع ، وشلت بذلك مقدرة بسمارك على القتال وإن ظل بحارتها يستعينون بأجهزة التسديد المستقلة فى كل برج ويطلقون بها مدافعها ، ولكن رمايتهم كانت طائشة غير محكمة .

واقتربت رودنى وجورج الخامس حتى أصبحتا على بعد ميلين ، وسددتا الرماية بإحكام ، فلم تسقط لهما قذيفة واحدة دون الهدف ، ومال الصارى وقد اخترقه الرصاص وتشابك حطامه كالغصون المتشاجرة ، إلى أن أصابته قذيفة اقتلعته من جذوره ، فهوى على سطح البارجة . واستعرت ألسنة النيران من المدخنة ، ومال أحد الأبراج وأصبحت مدافعه موجهة إلى السماء . ولم يحدث لسفينة من قبل أن أصيبت بمثل هذا التلف البالغ وظلت طافية على سطح الماء .

وعندئذ فقد البحارة رباطة جأشهم ، وتمرد رجال بعض الأبراج وتركوها هاربين ، وتردد ضابطهم لحظة ثم حذا حذوهم . وحدث فى برج آخر أن عصى الأوامر رجال فقتلهم ضباطهم رمياً بالرصاص .

وسرعان ما بدأت السفينة تميل على جانبها ،

وتدفق الماء من ثقوب القذائف ومن ثغرات ما تمزق من دروع البارجة ، وطغى الماء على السفينة سطحاً بعد سطح وهو يهدر ويزخر في اندفاعه إلى الممرات والحجرات . وكانت أبواب بعض أقسام البارجة مقفلة ، فارتفع الماء فيها إلى السقف فمات أهلها غرقاً . وجاهد آخرون للوصول إلى السطح الأعلى فاكتظت بهم السلالم المؤدية إليه .

صار السطح الأعلى جحيماً لا يطاق ، فقد كثرت ثغراته، ونزع الانفجار ما على البحارة من ثياب ، وتعالى صراخ الجرحى من شيب وشبان، وتناثرت جثث القتلى في كل جانب .

جُنّ جنون من بقي فيه من البحارة وحاولوا أن ينزلوا إلى باطن السفينة، ولكنهم وجدوا السلالم مكتظة بالصاعدين الهاربين من طغيان الماء ، فقاتل بعضهم بعضاً وتساقطت جماعات منهم وهم يتصارعون .

وكانت السفينة عندئذ قد رقدت بجنبها على الماء ، وراح البحارة : فريق يجاهد في البحر بين الأمواج ، وفريقٌ يتسلق جانب السفينة الأسود اللامع ، ثم ارتفع مقدمها قليلا ، وهوت المؤخرة ثم البارجة كلها في قرارة المحيط .

واقتربت السفن البريطانية تسعى لإنقاذ البحارة ، وتشبث مئة منهم تقريبا بالحبال المدلاة فجذبوهم ورفعوهم . ثم جاءت الأنباء بأن الغواصات الألمانية تقترب ، فتحركت السفن البريطانية حتى لا تؤخذ على غرة وهي جاثمة في البحر بلا حراك ، وخلفت وراءها مئات من الألمان وهم لا يزالون يغالبون الأمواج على غير طائل .

ونطقت وجوه الناجين بالذهول والإعياء كأنما عانوا أمرّ العذاب أشهراً طويلة ، وظلوا أياماً عديدة والذهول غالب عليهم برغم ما وجدوه من راحة وفراش وثير وطعام طيب. وكانوا قلما يتكلمون أو يتحادثون معاً ، فكأنهم أرواح شاردة ، ذلك بأنهم كانوا في همّ أشد من ألم الكارثة التي عصفت بأجسادهم، فقد تحطم إيمانهم الذي كان قوام حياتهم كلها — إيمانهم بأنهم قوم لا يهزمون .

مسألة غير ذات خطر

منذ عهد قريب لقي رجلٌ مضطرب هالك الأعصاب عالماً كبيراً من علماء الفلك فسأله : «أمن الممكن أن تدمّر القنبلة الذرية كرة الأرض ؟ »

فهزّ العالم كتفه مستخفاً وقال : « فليكن ، فإن الأرض ليست من كبريات الكواكب السيارة ! »

[أسوسييتد برس]

كلما توثقت صلاتك بقطتك ازددت بها معرفة وملأت قلبك غبطة

ليس لأحد عليها سلطان

مرجريت كوبر جاى
مقتطفات من كتاب "كيف تعاشر القطط"

تأبى القطط أن تخضع لسلطان أحد، فهى إذا أجمعت رأيها على نيل شىء قصدته لا تلوى على شىء، فإذا أخفقت تلبثت حتى تسنح الفرصة فتعاود الكرة عليه. وهذا التصميم بغيض إلى الذين لا يقر لهم قرار إلا أن يجدوا فيمن يحيط بهم من يؤمرونه فيطيع، وهم يزعمون أن القطط خبيثة ماكرة. ما كرة! كلا فالقطط أصرح المخلوقات قاطبة، ومن أجل ذلك فهى لا تعرف الشر، وعقابها غير مشمر ولا مجدٍ. وإذا استيقنت القطة أنك لن تقتلها، فلن يردها رادٌّ وإن عظم.

وقد ظل البشر يحاولون منذ ٤٠٠٠ سنة أن يروضوا القطط فما غيروا شيئاً من خصائصها، حتى إنهم عجزوا أن يستولدوا منها قططاً ضخمة الأجسام، أو قططاً ضئيلة الأبدان، أو قططاً مسترخية الآذان. والقطط التى كانت تعيش فى أرض مصر منذ ٤٠٠٠ سنة تشبه القطط التى عندنا اليوم كل الشبه.



أما الخصائص التى تميز سلالات القطط، كالعيون الزرق والشعر الطويل والذيل الأبتر، فما هى إلا فروق اقتضتها طبيعة اعتزالها عن السلالة الأصلية حتى صارت أنواعاً متميزة. وهذه الخصائص المميزة عرضة للتغير والارتداد إلى الأصل، فالغلبة دائماً لهذا الأصل وهو القطة المألوفة عندنا. زاوج إن شئت بين قطة فارسية وذكر من القطط المألوفة، تنسل لك فى الغالب قططاً مألوفة، وربما خرج منها واحدة أو اثنتان كأمهما فى غزارة الشعر الناعم. أو زاوج بين قطة سيامية وأخرى فارسية، فلن يخرج منهما خليط

يجمع بين خصائص النوعين ، بل يخرج منهما قطط عادية مألوفة ، فإذا الخصائص المتأصلة على مرّ الأجيال المتطاولة قد انمحت فى لمحة عين . أفليس بعيداً بعد هذا أن نجد فى القطط قططاً عتيقة أصيلة كالجياد العتاق ذوات الأنساب ؟

لايستطيع أحدٌ من البشر أن يعرف ماذا يدور فى نفس القطة ، بيد أنها فى تعريفنا بما تريده أمهر منا فى إدراك مايجول بين جوانحها . وحياة القطة غير محشوة بالألفاظ كحياة البشر ، بل استطاعت أن تجعل الإشارة فناً يفهم معانيه كل ذى عينين. فهز الشارب يدل على الازدراء الخالص ، وفى تحريك ذيلها من الرقة مايعبر عن معانٍ كثيرة من المودة والحب . أما منظرها وقد انتفشت وتهيأت للقتال فمن أبشع المناظر وأدلها على التوحش. راقب قطة يوماً واحداً تستيقن حق اليقين هذا العجز القبيح الذى نوغل فيه بثرثرتنا التى لا تنتهى .

وحواسُّ القطط أرهف وأدق من حواسنا ، فهى أقدر منا على الرؤية فى الضوء الخابى ، وهى مع ذلك جيدة النظر فى ضوء النهار الغامر ، ولكنها لاترى فى الظلام الدامس كما يظن الناس .

وعامة العلماء تعتقد أن فى القطط عمى الألوان ، لأن تركيب عيونها يقتضى ذلك . بيد أنى جربت بنفسى تجربة،فاشتريت بعض أصباغ النباتات مما لا أجد أنا له رائحة ولاطعماً ، ثم صبغت قطعة من اللحم بلون أخضر ناضر ، ووضعت هذه القطعة فى صحن القطط ومعها لحم آخر غير مصبوغ ، وجاءت قططى الثلاث فتشممت القطعة الخضراء وخركتها بمخالبها ثم تركتها،فصبغت لحماً باللون الأزرق ففعلت كما فعلت بالأول . فقلت لعلها عرفت الصبغة بالرائحة ، فوضعت فى اللحم صبغة حمراء بحيث تتعذر رؤيتها ، فأكلت قطعة اللحم هذه . فخلطت الصبغة الخضراء ببعض البقول فأكلتها ، ثم لوثت لها الماء بلون أزرق ، فنظرت إليه ملياً ثم أبت أن تشربه .

والقطط أحدُّ سمعاً من البشر ، فهى تسمع نأمة الفيران الخفية ، وحسّ الحيات فى دبيبها ، وآلافاً من الأصوات الخفية التى لا تتبينها آذاننا مهما جهدنا . وقد وجدت أن القطط التى عندى تميز وقع أقدام من تحب من الناس وهم لا يزالون فى أول السلم وبينى وبينهم خمسة أدوار ، ونحن نعيش فى قلب مدينة صاخبة الحركة،وإذا بى أراها تنطلق عدواً إلى الباب لتستقبلهم ولا علم لى بأن أحداً آتٍ لزيارتى .

واعتماد القطط على حدة سمعها قد ورط كثيراً منها فى مآزق ضنكة أيام الحرب ، فإن

كثيراً من السفن تحمل معها قططاً تخلصها من الفئران ، وكان يباح لهذه القطط منذ قديم الأزمان أن تنزل إلى الموانىء فتطوّف ما تطوّف حتى إذا سمعت صفير السفينة للإقلاع عادت لوقتها . وجاءت الحرب فحرّم هذا الصفير ، وبذلك حبست عشرات من القطط في الموانىء التي نزلت ترود في جوانبها.

وليس في الحيوانات ذوات الثدى ما يبدو عليه الارتياح لشمّ الروائح الذكية سوى البشر والقرود والقطط . ولما كنت في الريف كانت عندى قطتان ، فكانتا تخرجان مع الصباح إلى الحديقة وتطوفان بها تتشممان شذاها العطر ، وكانت إحداهما إذا بلغت حوض البنفسج انبطحت على بطنها وأخذت تستنشق عطره حتى يُدار بها، وأما الأخرى فكانت تؤثر رائحة الورد . وكان من لعبهما أن تضربا عنق الزهرة فيتمايل يمنة ويسرة ، ومع ذلك فلم تسقط زهرة قط من جراء هذا اللعب . وكانت عندى قطة ، فكان من عادتها أن تعمد إلى الزهرية فتستل منها زهرة وتحملها معها إلى مرقدها .

والقطط إذا رأت غريباً وقفت وتشممت ، فإمّا صادقته وإمّا انصرفت عنه تبعاً لما تهديها إليه أنوفها . ولن تجد قطة تألفك وتحبك إلا أن تحمد رائحتك وتأنس بها .

أما شوارب القطط فهى تحس بها الأشياء الغريبة عنها لتعرف كنهها، وباطل ما يزعمون من أن شوارب القطط خلقت لتدل على قياس بدن القطة ، فهى تقيس بها سعة المكان حتى تدخل آمنة وتخرج آمنة. ولو كان ذلك كذلك لما رأينا قطة احتبست قط في جحر أو أنبوبة من أنابيب المياه . والقطة إذا وقعت على شىء غريب تشممته ثم مدت أطراف شواربها إليه تحسس صفحته، ومرّت على جوانبه جميعاً مترفقة فاحصة إياه أدق فحص .

وبهذه الوسيلة يتسنى للقطط أن تعرف أكثر مما تعرفه بالنظر أو الشمّ أو السمع . ونحن البشر نحاول هذا الضرب من الإدراك عن طريق اللمس بأيدينا ، فيتاح لنا أن نزداد معرفة بالشىء الغريب عنا بعد لمسه ، سواء أكان جوهرة أم تفاحة أم طفلا .

والقطط يبدى بعضها لبعض عن مكنون حبه بتدانى الوجوه من الوجوه واحتكاكها، مع تماسح الشوارب بعضها ببعض . والقطط تدنو من كل من يلقاها بالمودة وتحك بدنها به ، إذا ظنت عنده طعاماً أو دفئاً تستدفىء فيه ، بيد أنها لا تمسح أحداً بشواربها إلا إذا كانت تكنّ له أصدق الحبّ .

وقد مارست القطط الدّعابة حتى بلغت فيها مبلغ التهريج ، بيد أنها لا تجعل نفسها أضحوكة قط، بل دأبها أن تتخذ سواها هدفاً

للضحك . وكانت عندى قطة كان يسرّها أن تكمن تحت إحدى الموائد حتى تمر بها قطة أخرى غافلة لا يريبها شيء ، فتنقضّ وتضربها ضربة رابية على عجزها ثم ترتد إلى مخبئها ، فيسوء ذلك القطة الأخرى فلا تدعها حتى تضربها ضرباً مبرحاً ، ولكنها لا تعبأ بذلك شيئاً — فقد أصابت من لذة لهوها ما أرادت.

والقطة إذا اختالت لتلفت الأنظار، فهى تتوقع منك أن تعجب بها لا أن تهزأ منها. وعندى قطة كانت تحبّ أن تطوق عنقها بقلادة معقودة ، وكلما كانت القلادة أكبر كان أحب إليها ، وتحب أيضاً أن تمشى مختالة على رأسها قبعة صغيرة ذات زهور — ولا تزال تفعل ذلك ما لم يسخر منها أحد ، فما تكاد تلمح بصيصاً من الضحك المكتم حتى تمزق زينتها هذه وتطرحها ، وتنطلق ذاهبة زامحة بإحدى قدميها إظهاراً لامتعاضها مما لقيت .

وقد استيقظت ذات صباح فإذا بى أرى خير أثوابى ملقى على الأرض ، فرفعته فإذا تحته ركامٌ من أوراق صحيفة ممزقة ، ومن تحت ذلك فأرٌ كبيرٌ ميت موضوعٌ على صحيفة أخرى لم تمزق . فجثمت قطتى جانباً رقبنى وأنا أستخرج الفأر ، وفى هيئتها خيلاء ظاهرة كخيلاء الساحر المحنك فى السخرية .

وأنا أتخذ فى بيتى قططاً لأنى أحب صحبتها، وهى تألف العيشة معى لأنها تحب صحبتى . ولو لم يكن ذلك كذلك لهجرتنى وتركت دارى ، فالقطط ليس لأحد عليها سلطان .

كل فتاة بأبيها معجبة

عمد المصوّر الهزلىّ ه . ت . وبستر إلى تسلية نفسه فى أحد الأيام فأخذ يرسل برقيات إلى عشرين من معارفه اختار أسماءهم كيفما اتفق ، وكانت كلّ برقية تحوى كلمة واحدة : « أهنئك » . ولم يكن منهم أحد قد صنع شيئاً يستحقّ التهنئة ، ولكن كل واحد منهم قبل التهنئة كأنها جاءت فى وقتها وردّ على وبستر شاكراً ، فكلٌّ منهم قد صنع شيئاً يعدّه هو جديراً بأن يتلقى عليه برقية تهنئة !

[فرد س . كيلى]

سبعة أسباب
لإيمان عالم بالله

أ. كريسي موريسون
الرئيس السابق لأكاديمية العلوم في نيويورك

مقتبسة من كتاب « الإنسان ليس وحيداً »

« الإنسان ليس وحيداً » كتاب صغير يتحدث فيه مؤلفه عن أدق مشاكل الكون وأعوصها بأسلوب يجعلك تقرأ الكتاب كأنه قصة مغامرة في دنيا حافلة بالعجائب .

البشر لا يزالون في فجر عصر العلم ، وكلما ازداد ضياء العلم سطوعاً جلا لنا شيئاً فشيئاً صنعة خالق مبدع . ففي السنوات التسعين التي مضت منذ عهد داروين، تمت للعلماء مكتشفات هائلة، وبذلك صار التواضع الذي هو شيمة العلماء ، والإيمان القائم على العلم ، يدنوان بنا رويداً رويداً من معرفة الله .

أما أنا فأحصي سبعة أسباب لإيماني هذا .

الأول نستطيع بناموس رياضي لا يتبدل أن نقيم الدليل على أن العقل الذي وضع نظام الكون ونفذه عقل مهندس حكيم .

خذ عشرة قروش وارقمها من واحد إلى عشرة ، ثم ضعها في جيبك ، واخلطها ما استطعت . ثم حاول أن تخرجها من جيبك دون أن تنظر ، بحسب ترتيب أرقامها : الأول أولا والثاني ثانياً وهكذا ، على أن تعيد كل قرش تخرجه إلى جيبك بعد إخراجه ثم تخلطها جميعاً وتخرج القرش الذي يليه . ونحن نعلم أن الاحتمال الرياضي لإخراج القرش الأول أولا هو واحد من عشرة ، ولإخراج القرشين الأول والثاني بهذا الترتيب ، هو واحد من مئة ، وأن الاحتمال الرياضي لإخراج القروش الثلاثة الأولى على التوالي هو واحد من ألف وهكذا . فالاحتمال الرياضي لإخراج القروش العشرة تباعاً من واحد إلى عشرة، يبلغ رقماً لا يصدق ، هو : واحد من عشرة ملايين .

وعلى هذا النمط من التفكير ، نستطيع أن نقول إن الأحوال الدقيقة اللازمة للحياة على الأرض ، تبلغ من الكثرة مبلغاً يجعل تواليها المحكم بالمصادفة أمراً مستحيلا .

فالأرض تدور على محورها بسرعة ألف ميل في الساعة ، فلو كانت سرعة دورانها مئة ميل في الساعة لكان طول النهار والليل عشرة أضعاف طولها الآن ، ولاستطاعت وقدة الشمس أن تحرق نباتنا في النهار الطويل ، ولتجمد في الليل الطويل كل نبت بقي بعد ذلك حيًّا .

ثم إن الشمس التي هي مصدر حياتنا ، تبلغ حرارتها عند سطحها ٦٧٠٠ درجة مئوية ، وقد بلغ بعد أرضنا عنها المبلغ الكافي اللازم لجعل تلك « النار الخالدة » كافية لنا ، لا تزيد ولا تنقص عمَّا نحتاج إليه . ولو كان إشعاع الشمس نصف ما هو عليه لضربنا الجمد ، ولو زاد خمسين في المئة عمَّا هو الآن ، لأنضجت جلودنا الحرارة .

وميل محور الأرض البالغ ٢٣ درجة هو الذي يحدث فصول السنة ، فلو لم يكن ميلُهُ هو ما هو ، لتحركت الأبخرة المتصاعدة من سطوح المحيطات نحو الشمال ونحو الجنوب ، ولتكونت منها قارات من الجمد . ولو كان بعد قمرنا ٥٠ ألف ميل بدلا من ٢٣٨٦ ألف ميل ، لبلغ المد والجزر مبلغاً هائلا يكفي أن يغمر القارات جميعاً بالماء مرتين كل يوم ، ولتفتتت الجبال منذ آماد طويلة . ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي الآن بعشر أقدام ، لما وجدنا في الجوِّ أكسجيناً ، وبغير الأكسجين يموت كل حيّ من الحيوان على الأرض . ولو كان المحيط أعمق مما هو الآن ببضع أقدام ، لامتصّ كل الأكسجين وثاني أكسيد الكربون ، ولتعذر نموُّ النبات . ولو كان جوُّ الأرض أرقَّ مما هو ، لتهاوى بعض النيازك على شتى أنحاء الأرض فتضرمت النيران فيها ، بدلا من أن تحترق وتذوب في الجوّ ، وهو ما يحدث الآن .

فهذه الأمثلة وكثير غيرها تحملني على القول بأن احتمال ظهور الحياة على الأرض مصادفة لا يبلغ واحداً من ملايين .

الثاني إن سعة حيلة الحياة في تحقيق أغراضها يدل على تدبير عقل منبث في خلالها جميعاً .

لم يستطع إنسان ما أن يدرك كنه هذه الحياة : فهي لا وزن لها ولا طول ولا عرض ولا كثافة ، ولكنها تنطوي على قوة . فالجذر النامي مثلا يشقُّ الصخر شقاً ، وقد تغلبت الحياة على الماء واليابسة والجوّ ، وسيطرت على العناصر فرضت عليها أن تنحل ثم أن تعيد تركيب مؤلفاتها .

والحياة مثّال يخلق أشكال جميع الأحياء ، وفنّان يرسم كل ورقة على كل شجرة ويلون كل زهرة . والحياة موسيقيٌّ قد علمت كل طائر أن يغرد تغاريد الحبّ ، وألهمت

الحشرات أن تدعو بعضها بعضاً بموسيقى أصواتها العجاجة . والحياة هى الكيميائى الأكبر، تمنح الثمار والأفاويه طعمها ومذاقها، والورد عطرهُ ، وتحوّل الماءَ والحمض الكربونيك إلى سكر وخشب ، وتطلق الأكسجين حتى تستطيع الحيوانات أن تتنفس نسمات الحياة .

نظرةً إلى نقطة لا تكاد ترى من البروتوبلاسمة (المادة الحية) ، شفافةً كالهلام، قادرة على الحركة، تستمد الطاقة من الشمس . فهذه الخلية الوحيدة ، هذه القطرة الصغيرة الشفافة التى تبدو كأنها نطفة دقيقة من ضباب، تنطوى ثناياها على جرثومة الحياة ، وتقدر أن تنفث هذه الحياة فى كل شىء حىّ ، كبيراً كان أو صغيراً . وقدرة هذه النطفة هى أعظم من نباتنا وحيواننا وبشرنا ، لأن الحياة نبتت منها . فالطبيعة لم تخلق الحياة ، أما الصخور التى صهرتها النار ، وأما البحر الذى لا ملح فيه ، فلم يكن فى وسعهما أن يهيئا الأحوال اللازمة لظهور الحياة .

فمن الذى أوجدها فى الأرض ؟

الثالث إن حكمة الحيوان تنطق بلسان لا ترد حجته ، بأن لها خالقاً كريماً بث الغريزة فى حيوانات صغيرة كانت ، لولا هذه الغريزة ، أحياء عاجزة .

إن سمك السلمون الصغير ، يقضى سنوات فى البحر ، ثم يعود إلى نهره ، ويشق طريقه فى النهر على نفس الجانب الذى يصب فيه الجدول الذى ولد فيه . فمن يرجعه إلى مسقط رأسه بمثل هذه الدقة العجيبة ؟ وإذا نقلته إلى جدول آخر غير جدوله أدرك من فوره أنه ضل طريقه ، فيكافح لكى يعود إلى مجرى النهر الكبير ، ثم ينقلب مواجهاً تيارهُ ويمضى حتى ينتهى إلى غايته على أدق وجه .

أما لغز ثعبان البحر — الأنكليس — فأعسر حلا . فهذه الحيوانات العجيبة ترحل عند بلوغ رشدها، من جميع البرك والأنهار فى كل مكان ، وتعبر مئات وألوفاً من الأميال فى المحيط متجهة إلى الأغوار التى على مقربة من جزائر برمودا ، حيث تلد ثم تموت . أما صغارها التى لا تملك وسيلة تمكنها من أن تعرف شيئاً سوى أنها فى فضاء هائل من الماء ، فتزمع الرحلة سالكة طريقاً ليس يفضى بها إلى الشواطىء التى نزحت منها آباؤها وحسب ، بل تسير أيضاً من تلك السواحل إلى الأنهر والبحيرات والبرك الصغيرة — وكذلك ترى ثعابين البحر موجودة دائماً فى كل ماء . ولست ترى أحداً قد صاد ثعبان بحر أمريكيًّا فى مياه أوربة ، ولا صاد ثعبان بحر أوربيًّا فى أمريكا ، فقد جعلت الطبيعة بلوغ ثعبان

البحر الأوربى ، أبطأ بمقدار سنة كاملة أو أكثر ، لأن رحلته من مكان مولده أطول . فمن أين أتى هذا الحافز الذى يوجه ثعبان البحر ويرشده .

والزنبور يقهر الجُدْجُد، ثم يحفر حفرة صغيرة فى الأرض ، ويلدغ الجدجد حيث ينبغى له أن يلدغه حتى لا يموت ، بل لكى يفقد وعيه ويظل حيًّا يصلح للأكل، فكأنه لحم محفوظ . ثم تضع أنثى الزنابير بيضها فى المكان الصالح حتى إذا انفلقت عن صغار الزنابير استطاعت أن تأكل من الجدجد دون أن تميته : فإن لحم الجدجدالميت يقتلها، ثم تطير الأم وتموت ، فلا تقع عينها على صغارها أبداً . ولا بدّ أن تكون أنثى الزنابير قد أتمت كل هذا على أوفى وجه وأدقه ، منذ المرة الأولى ، وفى كل مرة ، ولو لم تفعل ذلك لما كان فى الدنيا زنابير . ولا يسعنا أن نعلل هذه الأساليب الغامضة بالتكيف والملاءمة ، بل هى هبة ممنوحة .

الرابع فى الإنسان شىء أكثر من غريزة الحيوان — ذلك هو قدرة العقل .

ليس فى آثار الحيوان ما يدلّ على أن أحداً منها استطاع أن يعد إلى العشرة أو أن يفهم معنى عشرة . وإذا تصورت أن الغريزة لحن واحد على مزمار ، لحن جميل ولكنه محدود ، فإن دماغ البشر يحوى جميع الألحان التى تخرجها جميع آلات الموسيقى فى فرقة كاملة . ولا حاجة بنا إلى التوسع فى هذه المسألة ، فبفضل العقل البشرى نستطيع أن نتأمل فى الرأى القائل بأننا بلغنا ما بلغنا ، لأننا تلقينا قبساً من ذلك العقل الشامل .

الخامس إن تدبير أمر الأحياء جميعاً يتجلى فى ظاهرات ندركها اليوم ، ولكن تشارلز داروين كان لا يدركها — مثل عجائب عوامل الوراثة .

وهذه العوامل تبلغ من الصغر مبلغاً لا تدركه العبارة ، فلو جمعت العوامل التى يرجع إليها جميع البشر الأحياء فى العالم اليوم ووضعتها فى مكان واحد ، لكانت أقل من جوزة صغيرة . بيد أن هذه العوامل التى لا تكشفها عدسة المجهر وصاحباتها الصِّبْغيات (الكروموسومات) ، مستقرة فى كل خلية حية ، وإليها مردّ أسرار الخواصّ التى يتصف بها جميع البشر والحيوان والنبات . فاعجبْ لخواص ألفى مليون من البشر تحشد فى مكان صغير لا يزيد على حجم الجوزة . غير أن الحقائق شىء لا مراء فيه ، فكيف إذن — كيف تستطيع عوامل الوراثة أن تدخر فى مكان

دقيق الصغر ، ووراثة حشود من أسلاف البشر ، وتحفظ على كلّ فرد خصائص نفسه .

هنا يبدأ التطور حقًّا — في الخلية ، في الوحدة التي تنطوي على عوامل الوراثة وتحملها . أما كيف تستطيع بضعة ملايين من الذرات منطوية في عامل من عوامل الوراثة التي لا يتبينها المجهر ، أن تسيطر على جملة الحياة على ظهر الأرض ، فمثل على الحكمة الخفية والتدبير الدقيق المحكم الذي لا يمكن أن ينبثق إلا من عقل خالق مبدع ، وليس ثمة فرض آخر يصلح لتعليل ذلك .

السادس إن ما نراه في الطبيعة من أساليب التدبير يقسرنا على أن نرى أن حكمة لا حدود لها هي وحدها القادرة على أن تنفذ الغيب وتدبر الأمر بمثل هذه القدرة والرشد .

منذ سنين كثيرة زرع نوع من نبات الصبر في أستراليا ليكون حاجزاً واقياً لبعض المزارع ، ولم يكن لهـذا النبات في أستراليا حشرات معادية له ، فسرعان ما جعل ينمو نموًّا زاخراً ، وظلّ نموّه الزاخر مطرداً على وجه يثير القلق حتى شمل من الأرض رقعة مساحتها كمساحة إنجلترا ، وزحم الناس في المدن والقرى ، ودمر مزارعهم . فأخذ علماء الحشرات يبحثون في وسيلة لمدافعته ، فطوّفوا منقبين في أرجاء الأرض ، فوقعوا أخيراً على حشرة لا تعيش إلا على الصبر ولا تأكل شيئاً غيره ، وهي وافرة النسل ، ولا أعداء لها في أستراليا . وسرعان ما تغلب الحيوان على النبات ، وترى آفة الصبر اليوم قد خفّت وطأتها ، وقل أيضاً عدد هذه الحشرات ، فلم يبق منها سوى ما يكفي للحد من نمو الصبر وحفظه في حدود مقبولة .

وأنت ترى مثل هذه القيود والتدابير ، في أنحاء الخلق أينما قلبت نظرك . فلمَ لم تتمكن الحشرات الوافرة النسل من أن تسيطر على الأرض ؟ لأنه ليس لها رئات كرئات الإنسان ، بل هي تتنفس بوساطة أنابيب ، فإذا ما كبر حجم الحشرة ، ترى أن أنابيب التنفس لا تبلغ حجماً يناسب حجم الحشرة الكبيرة . فلذلك لا تجد في تاريخ الحياة على الأرض حشرة ضخمة . وهذا القيد الذي حد من حجم الحشرات هو الذي حال دون سيطرتها على الأرض ، ولولا ذلك لعجز البشر عن الحياة على ظهر هذه البسيطة . تخيل ما يكون لو كان هناك زنبور بلغ في ضخامته مبلغ الأسد !

السابع إن قدرة الإنسان على أن يتصور فكرة وجود الله ، هي نفسها برهان فذ .

إن تصـور وجود « الله » ينبثق من قدرة علوية في الإنسان ، لا يشاركه فيها سائر الأحياء — هي قدرة التخيل . وبها

يستطيع الإنسان دون غيره من الأحياء ، أن يجد الدليل على أشياء لا يراها . وإن الآفاق التي تفتحها هـذه القدرة أمام عينيه لهي آفاق لا حدود لها . والحقُّ أن تخيل الإنسان ، إذا ما دنا من مراتب الكمال وصار حقيقة روحية ، استطاع أن يتبين به من خلال دلائل النظام والقصد في الكون ، تلك الحقيقة العظيمة : أن قدرة السماء في كل مكان وكل شيء ، وأن الله في كل مكان وعند كل شيء ، ولكنه أدنى ما يكون إلينا في قلوبنا . إن قول صاحب المزامير ، لهو قول صحيح من ناحية العلم ومن ناحية التخيل جميعاً : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » .

الجواب المفحم

كان والد لويد جورج بائعاً متجولا يحمّل ما يبيع على عربة حمراء يجرُّها حمار . وفي سنة ١٩١٧ كان لويد جورج — وقد صار رئيس الوزارة — يطوف في البلاد يخطب أهلها ، وإذا رجل يتصدّى له ويقول : « ومن تكون ؟ ابن بائع متجول . وقد كنت أعرف أباك يوم كان يطوف بالبلاد ومعه حمار مربوط إلى عربة حمراء » . فردّ لويد جورج : « لا شك أنك عرفته . وأنا أذكر الحمار والعربة الحمراء أيضاً . وقد احتفظت بالعربة إكراماً لذكر أبي » ، ثم أشار بإصبعه إلى الرجل الذي تصدّى له وقال : « ولكنني لم أعرف قبل اليوم ماذا كان مصير الحمار » .

[فريد موريل]

كان هنري وارد بيتشر خطيباً مفوّهاً حاضر البديهة ، وكان ذات ليلة يلقي خطبة حماسية فوقف أحدهم يعترضه وجعل يصيح كما يصيح الديك ، وكانت المحاكاة محكمة أتمّ إحكام ، فضحك فريق من الحاضرين ، وخشي أصحاب الخطيب أن يكون ما حدث قد بدّد سحر الخطبة . أما الخطيب فتوقف واستمع لصياح الديك حتى خفت ثم مدّ يده إلى جيبه وأخرج ساعته ونظر فيها نظرة الدهش وقال: « هل تنفّس الصباح ؟ هذه ساعتي تقول إنها العاشرة مساء . ولكن لا ريب في خطأها . فإن غرائز الحيوانات لن تخطىء » .

[هاري هيبنر]

إجازة كلها فائدة للصغار

كارل دتسر

مختصرة من صحيفة "كريستيان سينس مونيتور"

في يوم من أيام الصيف وقف البائع بباب دار في بلدة بارشمنت الصغيرة ، ثم قرعه وخلع قبعته وبقي ينتظر ، ففتحته له ربة البيت فحيّاها وقال لها بأدب : « صباح الخير يامسز سميث . لقد لاحظت أنك في حاجة إلى ستارين من السلك لنافذتين في بيتك ، وفي وسع « شركة الفتيان لصناعة الأثاث » أن تصنعهما لك ، وأن تطليهما وجهين من الطلاء ، وأن تركبهما مقابل ريالين لكل ستار . نعم ياسيدتي ، نحن نضمن مطابقتهما التامة للنافذتين ، فإن « شركة الفتيان لصناعة الأثاث » تضمن كلّ أثاث تصنعه » .

فرضيت مسز سميث أن تأمر بصنع الستارين ، ثم باعها البائع عمودين يمدّ عليهما حبل الثياب المغسولة ، وكرسياً للشرفة . ولكنه لما زار البيت التالي لم يوفق كما وفق في بيت مسز سميث ، بيد أنه لم تكد تنقضي عليه ساعة واحدة منذ بدأ عمله ذلك الصباح ، حتى باع أيضاً قفصاً للطير ولوحاً لكيّ الملابس . فلما عاد إلى مكتبه نحو الظهر ، عاد بأحد عشر طلباً مسجلة في دفتره .

وقد اشتغل هو وبائع زميل له أربع ساعات في ذلك اليوم ، فجنى كلٌّ منهما ١٩ قرشاً من عمله . هذان فتيان في الرابعة عشرة من العمر ، يقضيان إجازة الصيف على وجهٍ مجدٍ ، فهما يفيدان من التجربة ويكسبان من المال ويظفران بقدر من اللهو والتسلية ، ما لا يصيب مثله معظم الفتيان الذين في مثل عمرهما . ولو عدت إلى مصنع « شركة الفتيان لصناعة الأثاث » لوجدت عشرين فتى آخرين ، تتفاوت أعمارهم من ١٢ سنة إلى ١٤ سنة ، يصنعون المصنوعات الرائجة . فهم يتعلمون هناك كيف يستعملون أدوات الصناعة ، وكيف يتفهمون رسوم المهندسين ، وكيف يحسبون حساب النفقات ويديرون عملهم إدارة موفقة .

وأهم من ذلك أنهم ينفقون أيام إجازتهم فيما يجدى بدلا من أن يتسكعوا في الطرق ، فهم يستكشفون في عملهم ما يقتضيه كسب الريال من العمل الشاق ، ويدركون قيمة الوقت وجدوى التعاون .

وفي هذه الإجازة نفسها ، اجتمع أشقاؤهم الذين هم أكبر منهم ، ونظموا هيئة أطلقوا

عليها اسم « شركة أعمال المنزل » ومضوا هم أيضاً يكسبون بعض المال من أعمال أشق من أعمال إخوانهم الصغار . وقد تولوا خلال إجازة الصيف غسل ٢٢٢ سيّارة ، وقطع النجيل فى ٣٢٨ مرجاً ، وأصلحوا الحواجز ونقلوا الحطب واستأصلوا الحشائش من الحدائق وحرثوا أرضها . وكان رئيسهم فتى فى السادسة عشرة ، فجعل همّه أن يدبر لهم ما يعملون ، وكان مديرهم العام يتولى شراء الأدوات التى يحتاجون إليها ، وينظم لهم جداول العمل ويوزع عليهم الأجور . أما سائر فتيان العصبة فكانوا يخرجون كل يوم يحملون المكانس والمجارف والمناجل وخرق التنظيف والصقل ، فيعملون خمس ساعات فى اليوم ، ويعودون إلى مقرهم بعد الظهر ، ليتلقوا التعليمات ليومهم التالى .

وكانت فتيات بلدة بارشمنت اللواتى تتفاوت أعمارهنّ بين ١٤ سنة و ١٨ سنة ، يدرن « مخبزاً » ، وقد صنعن وبعن ألوفاً من الفطائر وقطع الكعك والبسكويت ، وكن يعددن مرةً كلّ أسبوع كل الطعام لمأدبةٍ تقام فى أحد الأندية ، وينظمن حفلات يوزعن فيها المثلوجات التى صنعنها بأيديهن .

وبلدة بارشمنت بلدة صغيرة مهندمة نظيفة الدور يبلغ عدد سكانها ألف نسمة ، وقد نشأت هذه البلدة حول شركة لصناعة الورق الفاخر . ومنذ عشر سنوات سمع جاكوب كندلبرجر ، مؤسس الشركة ورئيس مجلس إدارتها ، بأن عصابات من الفتيان يتسكعون فى الشوارع ، فيرتكبون أحياناً ضروباً من الشرّ والأذى . فدعا نفراً منهم وقال : « ماقولكم فى قليل من المال تكسبونه ؟ » فرحبوا بما قال ، فقال لهم : « حسناً عودوا غداً » . وأرسل من ساعته يستدعى ناظر المدرسة ، فباحثه فى الأمر ووضعا خطة كانت فى أول أمرها تشمل الأولاد الكبار دون الصغار . وعين كندلبرجر ناظر المدرسة مديراً للمشروع وأعطاه مرتب شهرين ، وأمره أن يجعل همه أن يظل الأولاد منشغلين بأعمال تدرُّ عليهم بعض المال وتعلمهم شيئاً نافعاً .

قال كندلبرجر للناظر : « دعهم ينشئوا هيئتهم بأنفسهم ، ويحملوا تبعة كل شىء فيها ، ويضعوا قواعد نظامهم . ولا تلق أنت عليهم النصائح ، ولا تدللهم ، فلن نمنحهم شيئاً بغير مقابل ، فعليهم أن يكدحوا فى سبيله كل قرش ينالونه » .

وقد مضت سنوات منذ أنشئت « شركة أعمال المنزل » ، فوفقت فيما تعمل . والأولاد هم الذين يختارون رئيسها وسائر موظفيها ، ويضعون جداول العمل ، ويتولون ضبط دفاتر الحساب ، ويوزعون الأرباح وفقاً

لساعات العمل التي قضاها كل منهم. ولا يسمح لأحد منهم أن يطلب عملا لنفسه خاصة، أو أن يقبل لنفسه عملا يعرض عليه ، فإذا عرض عليه عمل أحاله إلى المكتب ، فيتولى المشرف على جداول العمل تعيين أصلح فتى للقيام به .

فإذا شكا أحد الناس من أن العمل لم يتم على أوفى وجه ، ذهبت لجنـة من الفتيان للاستقصاء، ثم تسمع دفاع الفتى المتهم بالتقصير، فإذا حكمت بأنه مذنب ، فرضت عليـه أن يعيد ما عمل مرة أخرى ، أو تأبى أن تدفع له أجره وترد المال إلى رب البيت ، صاحب الشكوى . أما إذا حكمت بأن العمل قد أنجز ولا عيب فيه ، فإنها تعيد المـال إلى صاحب الشكوى على كل حال (فالزبون دائماً على حق) ، فإذا عاد صاحب ذلك العنوان يطلب منها أن تعمل له شيئـاً اعتذرت له بكثرة العمل وضيق الوقت .

وقد بلغ معدل ما كسبه كل منهم خلال إجازة صيف واحد ، أحد عشر جنيهاً . وقد قدر دخل الفتى الذي دأب على العمل خمس ساعات في اليوم خمسة أيام في الأسبوع خلال ثمانية أسابيع ، فبلغ تسعة عشر جنيهاً .

ولم تكد تنقضي سنتان على إنشاء شركة « أعمال المنزل » حتى ذهب الأولاد الصغار إلى كندلبرجر وطلبـوا عملا ، فأنشئت « شركة الفتيان لصناعة الأثاث » ، ومافتئت تدار إدارة موفقة حازمة منذ ذلك الحين ، وأعضاؤها ينفقون أربعة أيام في الأسبوع يصنعون أشياء أو يبيعون ما يصنعه إخوانهم . وقد اتخذوا ورشة التدريب في مدرسة البلدة مصنعاً لهم ، وعينوا معلماً خبيراً لتدريبهم . أما المواد التي يصنعون منها ما يصنعون فهي الحطب الذي تطرحـــه شركة الورق ، فيشترونه منها بسعر السوق . وهم يصنعون أقفاصاً للطير ومقاعد وسلالم وكراسي وبيوتاً للكلاب وعلباً للأحذية ومشـاجب لتعليق الثياب وستائر السلك للأبواب والنوافذ . وقد بلغ صافي دخل الجماعة في صيف واحد مئة جنيه وتسعة جنيهات . وكان نصيب الفتى الذي لم يعمل ســوى بعض الوقت جنيهين ونصف جنيه ، أما الفتى الذي دأب على العمل فكان نصيبه أربعة عشر جنيها .

وأمين صندوق الجماعة فتى في الثالثة عشرة من العمر ، وقد سئل عن معدل أجر العمل في الساعة ، فنظر نظرة جد في دفاتره وقال: « بلغ المعدل ســتة قروش وسبعة مليمات ونصف مليم » . فهذه التجربة التي أتيحت له في إجازة الصيف صرفت ذهنه إلى الاهتمام بدراسة المحاسبة . ومن زملاء هذا الفتى من يريد أن يصير بائعاً أو مهندساً أو غير ذلك .

ولم يكد الصغار يشرعون في العمل ، حتى ذهبت الفتيات إلى مكتب شركة الورق

فأنشأت لهن « شركة الخبز »، وعينت سيدة مدربة للإشراف والتوجيه . وقد تولت هذه الفتيات فى صيف واحد ، إعداد ثمانين غداء كل أسبوع ، وقد اشترين بأنفسهن مواد الطعام اللازمة وطبخنها وقدمنها ثم غسلن الصحون . وقد صنعن وخبزن ٣٠٠٠ قطعة من الكعك والحلوى ، وأقمن حفلتين وزعن فيهما المثلجات ، فبلغ دخلهن فيهما مئة ريال ، وبلغ نصيب كل منهن فى آخر الإجازة ٢١ ريالا ، يضاف إليها ما تدربن عليه من أساليب الطبخ وإعداد المائدة إعداداً لطيفاً ، وحفظ المطبخ نظيفاً مرتباً ، وحُسن الانتفاع ببقايا اللحم والطعام . وقد تعلمن جميعاً أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، بل لا بد من الكدح فى طلب المال .

ويكاد كل فتى وفتاة فى بلدة بارشمنت يكون عضواً فى إحدى هذه الشركات الثلاث ، أما الذين شبُّوا عن الطوق فقد صار عدد وافر منهم موظفين فى مصانع الورق . وكندلبرجر منوه ببراعتهم وسعة حيلتهم وحسن تحملهم للتبعات . فالفتيان الذين أحسنوا بيع أقفاص الطير وعمد حبال الغسيل ، يحسنون بيع الورق . وأما الذين أحسنوا العمل فى المصنع فتراهم اليوم قد صاروا ميكانيكيين حاذقين .

قال كندلبرجر : « وكل هيئة فى كل بلدة تستطيع أن تبدأ حركة كمثل هذه الحركة — سواء أكانت شركة صناعية أم نادياً للرياضة أم فرقة للكشافة » ، ثم أضاف « ولكن ينبغى أن تحرص على شيئين : أولهما نظم شركة ، وليكن دفع المال إلى الشركة لا إلى الفرد من أعضائها ، وهذا يعلم الصغير مبادىء العمل التجارى . الثانى هيىء لهم مرشداً ومستشاراً — رجلا يحسن إرشاد الصغار على أن يدعهم وشأنهم فى إدارة جماعتهم . فإذا فعلت فلن تخفق » .

سئل صينى بعد مأتم : « لِمَ تضعون الطعام على القبر — أتتوقعون أن يبعث الميت فيأكل ؟ » ففكر الصينى هنيهة وقال : « لِمَ تضعون أزهاراً على الميت — أتظنون أنه سيبعث فيشمها ؟ » [مسز آرثر سميث]

أربعة أشهر في بيت معمور

هارلان جاكوبس

مختصرة من مجلة "هاربرز"

[هارلان جاكوبس ليس هو الاسم الحقيقي لكاتب هذه المقالة ، بل هو اسم مستعار لرجل له منصب ممتاز في إحدى الجامعات الأمريكية ، ويشهد محررو مجلة هاربرز بأن هذه القصة رواية صادقة لتجربة مرت بكاتبها .]

قضيت أربعة أشهر في بيت معمور ، أو أقل مايقال إنه بيت كان يأتيني بالدليل بعد الدليل على أنه كذلك .

كان منزلا صغيراً منفرداً عند شاطىء ولاية مساشوستس ، بُني منذ تسع سنوات مضت ، بيد أنه بقي خالياً لم يسكنه أحد قط حتى نزلنا فيه لنصطاف . فكنت أنا وهيلين أول من قضى فيه سحابة يوم أو سواد ليلة .

في أول ليلة عجّلت هيلين وآوت إلى فراشها ، وبقيت أنا يقظان عاكفاً على بعض الكتابة . كان في الطابق الأعلى غرفتان واسعتان للنوم ، بينهما ردهة رحبة . نامت هيلين في إحدى الغرفتين ، وبقيت أنا أكتب في الغرفة الأخرى . وكانت ليلة دافئة ، ومن أجل ذلك تركنا الأبواب مفتوحة ، وكنت حريصاً ، ولاريب ، على أن لاأحدث حساً ما استطعت ، ولكن لم يمض قليل حتى شعرت أن هيلين قد استيقظت من نومها ، ثم قالت : « أهو أنت الذي كان يحدث هذا النقر ؟ »

فقلت : « ربما . أهذا الذي تعنين ؟ » وهززت منضدة الكتابة بضع هزّات .

قالت : « كلا ! كلا ! لم يكن كهذا الصوت البتة ، فالذي سمعته كان نقراً يخيل إلى أنه آتٍ من قبل مدخل البيت المرصوف ، كأن أحد ينقر البلاط بعصاه . ألم تسمع أنت ؟ »

فجعلت أغدو وأروح في غرفتها وأحدثها ببعض مايكون في الأحلام ، ولكن في غير طائل ، ومع ذلك فلم نحمل الأمر محمل الجدّ ، ولم تمض دقائق حتى نسيناه .

وجاءت الليلة التالية وكنا في غرفة الجلوس في أسفل الدار ، فما قاربت الساعة العاشرة حتى تأدّى إلى سمعنا نقر آت من ناحية المدخل المرصوف — على نحو عشر أقدام من حيث كنت أجلس وسمعنا نحو اثنتي عشرة نقرة بين كل اثنتين منهما قريباً من ثانية ، وكانت كأنها وقع عصاً على البلاط ، فصاحت بي هيلين : « هذا الذي سمعته بالأمس » ، وكنت عندئذ قد بادرت إلى

مصباح كشاف اختطفته من على كُطنُف الموقد ، وانطلقت قصد الباب ، فما كدت أفتحه حتى سكن النقر ، وبعد لحظة كنت خارج المنزل أُدير المصباح فى أرجاء المكان ولكنى لم أر أحداً — لا أثر من إنسان أو حيوان أو شىء يشق سكون هذا الليل.

وظل هذا يتكرر بنفس الطريقة مرات طول الصيف ، ولقد سمعناه خمسين مرة على الأقل، كان مأتاه ليلاً وفى الساعة العاشرة على الأغلب. ولا حاجة بى إلى تفصيل ما كان يحدث كل مرة فقد كان هُوَ هو .

ولاشك فى أننا بذلنا كل ما وسعنا حتى نعرف سر ذلك ، ففحصنا المدخل المرصوف بلاطة بلاطة مرة بعد مرة فى وضح النهار ، وظللت أكثر من عشر ليال حريصاً على أن أتخذ مجلسى على مقربة من الباب عند دنو الساعة العاشرة ، ولكن مايكاد النقر يحدث فأنطلق خارجاً إليه حتى يسكت غير تارك أثراً ينمُّ عليه. وأخيراً نفضنا أيدينامن تتبع هذا ، فقد اعترتنا أمور أدهى منه وأغمض .

ينبغى قبل أن أعرض لذكر هذه الأمور أن أذكر عجائب أخرى كثيرة أقل منها شأناً، لأننى حريص على أن أسوق الحوادث بترتيبها . وهذه الحوادث الثلاث التالية قد وقعت لى أنا وحدى ، جاءت فى ثلاث ليال متوالية فى الأسبوع الثانى من سكنانا هذا البيت ، وكان حدوث كل واحدة منها بعد دقيقة أو اثنتين من نومى فى فراشي .

لم أكد أضع رأسى على الوسادة حتى طرق سمعى صوت أشبه بصوت علبة ثقاب هوت على الأرض ، فلو أقسمت بالله أنها علبة ثقاب لما أثمت ، بيد أنى سمعت صوت شىء سقط . ولما لم يكن ثمة سبب لسقوطها، فقد نهضت من فراشى وأضأت المصباح متعجباً مما كان .

لم أجد على الأرض شيئاً ، فنفضت الغرفة كلها بحثاً — تحت الكراسى ، وتحت الصوان ، وفى المقصورة . لم أر شيئاً قط . وإذن فليس ذلك شيئاً قد هوى أو وقع .

أما فى الليلة الثانية فقد سمعت حفيفه أوراق صحيفة يعصف بها الهواء مابين جانبى الغرفة ، فكان أيضاً صوتاً أظهر من أن يخطئه السمع ، ولكن لم تكن فى الغرفة صحيفة ، ولا كان فيها نسمة من هواء تحرك شيئاً مثلها ، فلم أدهش حين بادرت إلى التفتيش فلم أجد شيئاً من الصحف فى غرفتى أو فى أى مكان آخر من هذا الطابق .

وأما الليلة الثالثة فجاءتنى بصوت أعنف وأوضح ، فلم أكد أستقر فى فراشى أيضاً حتى كأن كرة قد سقطت على الأرض وأخذت تتدحرج حتى صدمت الحائط ثم سكنت .

فما كذّبت أن وثبت من فراشى وأضــأت النور ، ولكنى لم أر شيئاً على وجه الأرض ، ولا وجدت ما يدل على اختلال فى نظام الغرفة أو فيما سواها من الغرف .

وأكبر الظن أنه يهجس الآن فى نفس القارىء أن يقول : « إنها الجرذان! » ، فما من أحد ممن سمع قصتى إلا جرى على لسانه ذكر الفئران أو الجرذان عاجلاً أو آجلاً . ولكنى أبيح لنفسى أن أؤكد له أنى طويل الخبرة بالجرذان وببنات أبيها وبنات أعمامها وعماتها وخالاتها ، وكل ما أرجوه أن ينتظر القارىء حتى يسمع ما هو أدهى وأعظم .

وإنى لأذكر لك ظاهرة ليست بذات شأن ، وإن كانت كثيرة الحـدوث ، قد سمعناها مئات من المرات فى ذلك الصيف أنا وهيلين ، إما معاً وإما منفردين ، وقد كنا نسمعها ليلاً أو نهاراً فى أية ساعة ، وفى كل غرفة ، بل من عند كل حائط وحاجز ، كانت حاضرة فى كل مكان حتى سميناها تندّراً : « طقطقة الوجود »

وقد حان أن أذكر شـيئاً أشدّ فزعاً ورعباً ، فإذا هجس فى خاطرك أنه وقع أقدام يمشى فى البيت فما أخطأ ظنك ، فقد أخذنا نسمع وقع الأقدام فى كل ناحية من هـذا البيت الصغير ، وبدأ ذلك فى الأسبوع الثالث من مُقامنا فيه ، وظللنا نسمعها فى الحـين بعد الحين طول أيام إقامتنا ، فكنا نسمعها فى ليلة بعينها أو يوم بعينه ثلاث مرات أو أربعاً ، وربما مرّ أسبوع بتمامه لا نسمعها البتـة . ومهما يكن فقد سمعنا فيما أظن أكثر من أربعين مرة فى ذلك الصيف .

كان وقع الأقدام واضحاً لا يرتاب فيــه . ولا يذهبن بك الخيال إلى أنى إنما أعنى وطئاً خفياً مكتوماً فى ناحية بعيدة من أنحاء البيت ، كلا بل هو وطء ظاهر كوطء إنسان فى قدميه حذاء يغدو ويروح على أرض الغرفة التى فوق رؤوسنا ، أو على أرض الغرفة التى تحتنا إذا كنا فى الطابق الأسـفل . وكان وطئاً بيناً كوطء رجل فى تمام رجولته . لم يكن قط وطئـاً مكتوماً ، وما يسمعه عاقل مدرك فيساوره أدنى شك فى أن هذا وطء رجل يمشى فى نواحى البيت .

وسأسوق لك الدليل الصادق فى حادثة من جملة حوادث أستطيع أن أرويها لك . ذلك أنه كان فى هذه الناحية امرأة (سمها مارى سميث) ، ونشأت بيننا وبينها مودّة دانية حتى ربما رأيناها تدخل علينا دون أن تكلف نفسها عناء الاستئذان . وذات يوم كانت هيلين وحدها تعمل فى الطابق الأعلى ، فسمعت وقع خطوات تدخل البيت وتمشى فى أرجائه ، فظنت أنما هى مارى فنادتها ، ولكن ما من مجيب . فانطلقت نازلة ، فانقطع

عندئذ صوت وقع الأقدام ، فما بلغت الطابق الأسفل حتى وجدته خالياً .

وحين حدث هـذا كان عهدنا قد طال بذلك «الشىء» الذى سميناه «عفريتنا» ، ولذلك لم تدهش هيلين أن تجد الغرفة التى سمعت منها وقع الأقدام خالية — لقد ألفت حدوث ذلك مرات كثيرة من قبل. فما زادت على أن غمغمت ببضع كلمات عن العفريت القـديم وألاعيبه المعهودة ، ثم عادت إلى ما كانت تعمل ، ولـكن ما هو إلا أن سمعت وطء هـذا « الشىء » داخلا ومتجولا فى الغرفة السفلى كما فعل من قبل ، فتسللت عنـدئذ هيلين وهى تسترق الخطى ، فإذا الوطء قد انقطع أيضاً وإذا الغرفة خاوية ، وكرّت هيلين راجعة إلى الطابق الأعلى ثانية بعد أن نفضت أرجاء الفناء بعينها باحثة .

وما كادت تواصل عملها حتى سمعت الوطء ثانية ، وإذا أقدام سائر يجتاز عتبـة الدار ويطوف فى الطابق الأسفل ، بيد أنها بقيت فى هذه المرة حيث هى، فما فى الدبيب والنزول فائدة تُرجى — لقد بلونا ذلك جميعاً عدة مرات من قبل ، فلم تلق إلى هذا «الشىء» بالا ، ولـكن ماهو إلا لحظـة حتى سمعت من يقول :

« ألا تزالين منهمكة فى العمل ؟ »

إنه صوت مارى سميث بنبراته العـذبة المتهللة . فعندئذ عرفت هيلين أنها لا تكاد تجد فرقاً بين وقع أقدام ذلك « الشىء » ووقع أقدام مارى سميث .

أما أعظم ذلك وأهوله ، فقد كان دوياً يسمع واضحاً من مسافة ميل تقريباً ، وسميناه « تقوُّض البِيان الضخم » إذ لم نجد صوتاً أشبه به من هذا .

كان ذلك فى منتصف الصيف تقريباً ، فقد كنا ليلة فى غرفة الجلوس فسمعنا من قبل الجراج هَدّة صـوت كاد يصم آذاننا ويزلزل البيت زلزالا . كان كالذى تسمعه إذا خارت قوائم بيان ضخم فخر ساقطاً على الأرض ، ولـكن لم يكن فى البيت كله شىء من الأثاث يظن به أنه يحدث مثل هـذه الضجة إذا هوى ، ولـكننا لم نضع الوقت فى التسـاؤل عن سر هذه الهدّة القاصفـة ، وهرولنا مسرعين إلى المخزن لنرى ما هذه الـكارثة ، وأغلب الظن أننا بلغناه بعد ثلاث ثوان من سماع تلك الهدة .

لم نر فيه شيئاً يريب قلّ أو كثر، وكنا قد وضعنا فيه كتبنا ، فلم نر كتاباً واحداً سقط من فوق رفه ، بل كانت كأتمّ ما تكون . فطفنا بالبيت كله ودرنا حوله، فإذا كل شىء فى مكانه ، وأعجزنا أن نجد سبباً أو طرفاً من سبب لهذه الهدة القاصفة التى سمعناها .

وقد حدث هذا نفسه مرتين أو ثلاثاً —

وبعد قليل سوف تتبين العلة المحتملة لـكل هــذا .

لم يكن يزورنا طول مدة الصيف سوى ماري سميث ، فقد كان العمل يستغرق كل وقتنـا . حتى إذا جاء شهر سبتمبر جاء ثلاثة من أصدقائنا ليقضوا معنا إجازة الأسبوع ، هم محامىّ الذى كان يعدّ لى صيغة عقد معقد ، ومعه زوجته وابنته ، وهى فى السنة الثانية من الجامعة . وكان هذا الصديق المحامى أشد من أعرف شكاً وعناداً ، أما زوجته وابنته فأبعد شىء عنهما الخوف واضطراب الأعصاب. بيد أنى آثرت أن أحذر صديقى وأنذره ، فجعلت أصبُّ على سمعه شطراً عظيما من هذه القصة التى رويتها لك ، فما جنيت شيئاً سوى تعب اللسان ، ولقى قصـــتى بالاستخفاف والازدراء . وكان تعقيب هذا الصديق الذى لا يؤمن بشىء سوى العقل : « أما أنا فأسأل الله أن أسمع شيئاً من عجائب خليلك العفريت » .

وفى تلك الليلة خرج النساء جميعاً ليشهدن مسرحيــة يمثلها بعض الهواة ، وبقيت أنا وصديقى فى البيت نجاهد فى وضع صيغة العقد ، فلم نلبث أن استغرقتنا الأرقام المعقدة ، وإذا بطقطقة خافتة آتية من قبل الجدار الذى يلى رأس صديقى . فقال متعجباً : « صاحبتك طقطقة الوجود ! »

قلت : « نعم » .

قال وهو ينظر إلى الجدار : « إنه قرقعة من خشب بدأ يجف ، ولا ريب »

فانصرفت إلى الأرقام وقلت لنفسى : « مهما يحدث فلن ألقي إليه بالا ، وسأمضى فى القراءة ــ وأدعه يفعل به ما يشاء »

وما هو إلا نحو عشرين دقيقة حتى سُمع فوق رؤوسنا وقع الأقدام الذى عهدناه ، وتمالكت نفسي بأقصى ما وسعنى ومضيت أقرأ ، ولم أرفع عينى حتى رأيت صــديقى يهبّ قائماً من كرسيه ويقول : « ويحك ، ماهذا ؟ »

قلت : « لاشىء سوى العفريت » .

قال : « أى عفريت ويلك ! إنه رجل يمشى فوقنا ، هلم معى » .

وماهــو إلا لحظة حتى كنا فى الطابق الأعلى ، ولكننا لم نر شيئاً ولاريب، وامتلأ قلبي سروراً وأنا أرى هذا الصديق العنيد يبحث عن شىء أنا أعلم أنه غــير واجده . وقد نفض الغرف عاليهــا وسافلها ، وفتش المقاصير وتحسسها ، وركب ســور الشرفة العليـــا ووقف على أمشاط أرجله وأدار مصباحه الكشاف فى نواحى السطح ، حتى بلغ منه اليأس وأقرّ بالعجز .

لم نعمل بعد ذلك شيئاً فى تلك الليلة ، وبقينا نتحدث عن ذلك الشىء حتى جاءت النساء فانصرفنا إلى حديث غيره . وقال لى

محذّراً : « أوثر أن لا تعرف زوجتى وابنتى شيئاً » ، وما هو إلاّ أن قمنا فأوينا إلى مضاجعنا .

كان البيت صغيراً ، فأصر ضيوفنا الثلاثة على أن يناموا معاً فى غرفة واحدة ، الغرفة القريبة من السلم ، فنام الرجل وامرأته على السرير ، ونامت الفتاة على دكة قرب الجدار ، واستولت هيلين على غرفة نومى ، واضطجعت أنا على أريكة فى الطابق الأسفل . ولم يمض قليل حتى سمعت حسّ ضيوفى الثلاثة قد هبوا من نومهم وجاسوا فى الغرفة قليلاً ، وسمعت أيضاً همسهم المكتم ، وانفضت الليلة بعدئذ فى سكون وهدوء .

ولما أصبح الصباح دلتنى النظرة الأولى على أن ضيوفى قد باتوا بشر ليلة .

« ماهذه الهدة العاصفة التى سمعناها ليلة أمس ؟ »

« هدّة ! أية هدّة ؟ »

« تلك الهدة المخيفة التى جاءت حين أوينا إلى مضاجعنا — كأن سقف الحراج قد خرّ وانهار » نظرت إلى هيلين نظرة ملؤها كلامٌ وقلت لها : « أسمعت شيئا ؟ »

قالت : « كلا ماسمعت صوتاً »

قلت : « ولا أنا أيضاً ، حدثونا ماذا سمعتم ؟ »

أخذوا يحدثوننا ، فوصفوا صوت « تقوّض البيان الضخم » أدق وصف ، وكما سمعناه فى ثلاث مرات من قبل ، ولم نسمعه فى هذه المرة الرابعة لعلة لاندرك كنهها . ولو جهدت أن أصف ذلك الصوت لما استطعت أن أقول فى وصفه ماقالوا ، وقد اعترفوا لنا بأنه بلغ من ارتياعهم أن هبّوا من منامهم ، وأخذ الأبوان ابنتهما إلى فراشهما وجعلاها بينهما .

هذه خاتمة قصتى .

وما من أحد سمعها إلا أكثر من ذكر صرير الألواح فى البيوت المصنوعة من الخشب ومن ذكر الفئران وأفعالها . بيد أننا نزلنا البيوت المصنوعة من الخشب ، قديمها وحديثها ، فنحن نعرف أصوات الخشب على اختلافها . ولقد سمعنا مراراً صرير الخشب فى هذا البيت ، ولكن لم نكن لنخلط بينه وبين الأصوات التى وصفتها فى هذه القصة . ولقد عشنا فى بيوت تكثر فيها الفئران ، ونحن نعرف ماذا تفعل الفئران وما أصواتها ، وكان منها فى هذا البيت نفسه عدد جمّ فوضعنا له المصايد وقضينا عليه فى الأسبوع الأول من مقامنا . وقبل كل شىء ، فاعلم أن الفئران لاتدحرج كرة ولا تقوّض بياناً ضخماً ، كما وصفت لك ، ولذلك لا نكاد نسمع قول من يذكر صرير الخشب وصوت الفئران حتى نجاهد أنفسنا لنبتسم ابتسامة ضعيفة .

ويجدر بى أن أذكر أيضاً أننى أنا وزوجتى لسنا ممن يشرح صدره للعفاريت والأشباح ، فنحن قوم من أوساط خلق الله بلغنا سن الكهولة ، ولم نكن قط ممن يؤمن أشفّ إيمان بطروق العفاريت والأشباح .

ولست أعلم عن « عفريتنا » ذاك حتى اليوم شيئاً أكثر مما أعلمه عما وراء الفلك .

نعم إنى لأحب أن أعلم ، بيد أنى أشك فى إمكان ذلك أعظم شك . وأنا لا أومن بالعفاريت ، وإن كنت أعرف حق المعرفة أننا لم نقف على دليل قاطع ينفى وجودها فى الكون . والذى أعلمه هو أنه كان فى ذلك البيت « كائن » مطلق السراح - ويسرُّنى لو أستطيع أن أعرف ماهو .

عسى أن يرتد إلى الأعمى بصره

مرجريت ستراب فتاة فى الثامنة والعشرين من عمرها ، وقد جندت للحرب وألحقت بالأسطول ، ومنذ شهر واحد جلست ذات مساء فى دارها تقرأ مجلة ، ثم التفتت إلى أمها وقالت : « كنت أقرأ فى مجلة ريدرز دايجست (المختار سبتمبر ١٩٤٦ ص٧) عن جراحة ترقيع القرنية ، وهى التى تتيح الانتفاع بعين واحد من الناس فتنقل بُضعة منها إلى عين من يحتاج إليها . أفلا ترين أنه يجمل بى أن أوصى بعينى حتى ينتفع بهما بعد وفاتى ؟ ويومئذ يستطيع رجل أقام طول حياته فى الظلام ، أن يرى آيات الله وعجائب الطبيعة ، وكذلك يتاح لى أن أظلّ حيّة حتى بعد أن أموت » .

فقالت أمها : « أجل يا عزيزتى . يبدو لى أن هذا مستحسن . ولعلك تجدين من يدلك على السبيل إلى هبة عينيك ، بيد أنك صبية فى ميعة شبابها ولا تزال لك فى الحياة فسحة ممتدة » .

ولم يكد ينقضى أسبوعان حتى سقطت مرجريت عن صهوة جوادها وأصيبت بأذى بالغ ، فنقلت على عجل إلى المستشفى ولكن المنية عاجلتها بعد ستة أيام .

وتذكرت أمها ما كانت ابنتها قد قالته عن عينيها ورغبتها فى أن يُنتفع بهما فى ردّ البصر على إنسان من الناس . وفى ذلك اليوم وضع طرد صغير على طائرة ، فلما بلغت الطائرة نيويورك سلم الطرد إلى مستشفى العين والأذن فى تلك المدينة . واليوم ، بعد شهر واحد منذ بدأت هذه القصة ، نجد رجلا كان يعيش فى عالم الظلام قد صار قادراً على أن يرى « آيات الله وعجائب الطبيعة » بعينى مرجريت ستراب . [جورج أوكونور ، فى إذاعة]

زوج مشكور يقدم طاقة زهر

زوجتي نعمة

لكاتب متنكر

مختصرة من مجلة "بترهومز آند جاردنز"

تدل إحصاءات الطلاق على أن الزواج قاس على الحب ، وكثير جداً من الزواج الذى لم ينته بالطلاق ، يحتمل على أنه نوع من الأسر ، وهذا مصير نجوت منه بفضل بعض صفات معينة فى زوجتى .

ذلك أن هيلين دائمة البشر ، ومازلت أعود إلى البيت وإليها كل يوم منذ عشر سنوات ، ولكنى ماعدت مرة قط وأنا أخشى أن أرى وجهاً متجهماً أو مكتئباً أو فاتراً ، فأنا دائماً أشبه بعاشق عائد من الحرب ، منّى بكادح فى سبيل الرزق يؤوب من المدينة .

وإذا انكسر قلبى أنعشته حرارتها ، وإذا كان يومها شاقاً فإن سخطها يمتزج به المرح إذ تروى لى كيف كان « مزعجاً » . وقد وضعت ثلاث مرات ، وأجريت لها جراحتان كبيرتان ، فكانت فى كل حال تجعل الأمر يبدو كأنى أنا الذي أعانى ذلك ، فعلها أن تشجعنى وتطمئننى . وما غام وجهها المشرق قط إلا من الحزن .

وفيها مرونة ،فهى لاتزال تنتعش بسرعة، وعندها أن هناك دائماً غداً يرجى .

وفى هيلين ولاء ، وأنا رجلها وهى أعظم ولاء لى منى لنفسى ، وهى مشجعتى والتى تتولى الدعاية لى ، ومهما يكثر تعثرى وتهافتى فإن رأيها فى قدرتى يظل ثابتاً – على الأقل فى الظاهر .

وهى تعتقد أن بنينا الثلاثة من خير الأطفال فى الدنيا وأجدرهم بحسن المستقبل ، وتجعل بالها إلى كل علامة ولو ضئيلة على جودة الصحة أو الحذق ، أو رقة القلب ، وتبدى اغتباطها بذلك فى غير خجل . وهى شديدة عليهم ولكن غايتها هى أن تبرز مافيهم من مزايا ، فهم يستمدون من اطمئنانها ثقتهم بأنفسهم .

وهيلين مسرفة ، لافى المال بل على نفسها، وليس مما يوافق طبيعتها أن تتولى أمراً وتدعه

ناقصاً ، فإذا عالجت مسألة فإنها تعالجها بروح قولها الذى لا تفتأ تكرره : « هذه المسألة اللعينة يجب أن تحل حلاً صحيحاً » .

وهيلين تتسامح ، ولم تحاول قط أن تخلقنى خلقاً جديداً، ولما كانت تعتز بشخصيتها فإنها تتقبل شخصيتى بقبول حسن .

ومن أجل هذا لانتشاكس ولا تتعتَّب ، ولا تزعجنى بأسئلة كهذه : « لماذا لا تفعل هذا ؟ » أو « لماذا بالله تريد أن تفعل كيت وكيت ؟ » ، ولا تحاول أن تسيطر على فى عملى وتسيرنى فيه ، أو تصف لى ملاهىّ ، أو تختار لى أصدقائى، أو تقود السيارة وهى على المقعد الخلفى .

وهى لا تتدخل فيما لايعنيها أو تتجسس ، وإذا رأتنى زاهداً فى الكلام فإنها لا تحاول جرّى إليه ، فإن فى وسعها أن تنتظر . وليست من الزوجات المطالبات بتقديم تقرير يومى عن المكان الذى كان فيه أزواجهم، ولماذا، ومتى ، ومع من كانوا . وهى أحسن الناس إصغاء ، ولكنها من أزهد الناس فى التساؤل والبحث ، وهى لاتفتح بريدى ، ولا تصر على قراءة الرسائل التى أكتبها ، ولا تدس يدها فى جيوبى وتأخذ مافيها .

حتى المال لا تزعجنى من أجله ، وليس السبب أنه وفير ، ولكنى لست مطالباً ببيان ما أنفقت فيه القروش ، ولاهى مطالبة بهذا ، فأنا أعطيها قدراً من المال كل أسبوع وأحتفظ لنفسى بقدر آخر ، فتؤدى هى كل نفقات البيت والثياب والسيارة ، وتفعل ماتشاء بما بقى ، وأنا أؤدى أقساط التأمين والضرائب وتكاليف العلاج ، وما زاد أنفقه أو أدخره كما أشاء . وأنا أعلم أن هذا الترتيب الذى جرينا عليه عفواً ، لا يتفق وخير مايشير به النصحاء ، ولكنه يلائمنا .

وليست هيلين بآية من آيات الكمال ، فإن لها خصالها وخصائصها ، وقد يكون بعضها مزعجاً ، ولكنى لاأرى أن أقمع هذه الخصائص ، لأنها هى التى تكسبها شخصيتها الخاصة . وهى تمقت الذباب والبعوض ، وتراها وهى فى بيوت الناس تثب لتقضى عليه . ولها ولوع بالتعميم الأعرج ، مثال ذلك : إذا أمطرت السماء ثلاث مرات فى شهر سبتمبر ، فهى تقول إنها « هطلت باستمرار طول الشهر » . وتكره إعداد الحقائب صغارها وكبارها ، وترتيب أدراج الخزانة ، فالأمر فى هذه فوضى . وهى تحب أن تمضغ اللبان .

وهى مسلية لأنها هى نفسها متسلية ، والحياة تسرها وتروعها ، فتتلقى ما يولده هذا من الإحساسات ، ويبدو دائماً كأن فى نفسها إبريقاً فائراً بهمسات الدهشة والضحك. وفى وسعك أن تتبين أن عقلها يبدى

ملاحظات لنفسه حتى حين تصمت . ولها أسلوب فى الإصغاء إلى مايقصه الغير فى الأمور العادية ، فيخيل إليك أنها تصغى لروايات شهود عيان عن الهجوم على بيرل هاربر .

ولما كان اهتمامها بالغاً بما يدور حولها ، فإنها لا تستطيع أن تجعل بالها إلى نفسها . وقد خلت من ذلك الشعور بالذات الذى يورث كثيراً من النساء الاضطراب ، فتراهن يسوين شعرهن على عيون الناس ، ولا يزلن معنيات بثيابهن ، والنظر فى مراياهن الصغيرة ، وصبغ شفاههن . ذلك أن مسرحية العيش ، والضحك ، والألم ، والنظر ، والإحساس ، والتذكر ، والاهتداء ، والخلق والإنشاء ، والحب — كل هذا يستغرقها . والزواج فى نظرها لا يضجر ، وقد يتطلب جهداً كبيراً ولكن هذه المسألة اللعينة يجب أن تحل على الوجه الصحيح !

ولكنها ، وهى تجاهد لجعل الزواج موفقاً ، أبعد ما يمكن أن تكون عن ذلك الضرب المستوحش من النساء اللواتى يُهلكن بعولتهن وبنيهن من فرط لهفتهن على الاستيلاء عليهم . فأنا لست سجينها ، وهى ليست سجّانى .

وماذا كانت النتيجة ؟

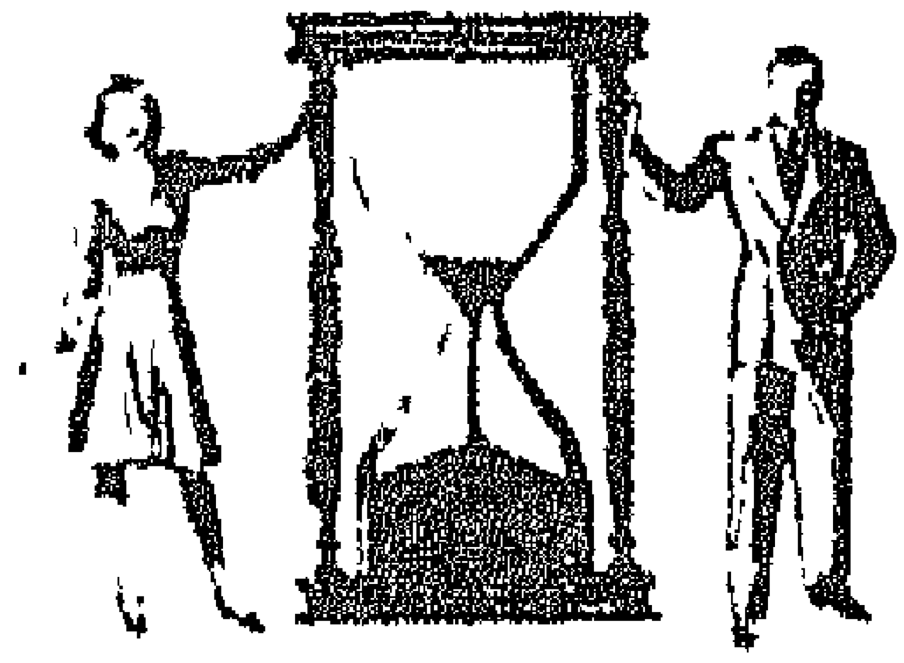
النتيجة العجيبة ياسيداتى ، سخرية ما كرة حلوة ! فإن هيلين باتقائها أن تحدّ من حريتى أو تغير أساوب حياتى ، قد ضمنت أن أكون عبدها المخلص ، لأنها لم تستثر بالنقار أو التقييد أو التعذيب شيطان السخط العنيد الذى يدفع الإنسان إلى الرفس والمقاومة ، ليثبت استقلاله وليمتحن قوة كيانه . فأنا لا أحب أن أخرج من هذا السجن الذى لاقضبان له . ووثاقى فيه : المروءة ، والشكر ، والولاء ، والثقة . أما الخوف فلا وجود له أبداً .

OO·OO··OO·OO

جلست فى مكتب مصنع صغير ولكنه كخلية النحل أتحدث إلى صاحبه الشاب ، وكان على مكتبه صورة رجل مطبق الشفتين صارمهما ، ضيق العينين حادهما ، وكانت فى إطار بسيط ، فسألته « هذا أبوك ؟ » فقال الشاب : « كلا ، ولكنه الرجل الذى أنا مدين له بنجاحى » . فرفعت حاجبى ، فضحك وقال : « هذا أنذل رجل أعرفه ، وكنت أعمل له ، ولهذا أحتفظ بصورته لتذكرنى بأنى إذا ارتكبت أخطاء أو كسلت وتهاونت ، فسأعود إلى العمل له ، وقد يدهشك أن تعلم إلى أى حد يستحثنى هذا وينشطنى » .

[جون توماس إروين فى مجلة كورونت]

كلمات يُهتَدى بها



"العمر أقصر من أن يحتمل الإسفاف"

أندريه موروا

مختصرة من مجلة "ذس ويك"

هذه إحدى الكلمات التى أتمثل بها ، وهى أحبها إلىّ ، وقائلها هو دزرائيلي ، وقد نفّست عنى فى كثير من ساعات المحن الأليمة . ونحن كثيراً ما نتهاون فندع نفوسنا تضطرب من جراء أشياء تافهة كان ينبغى أن نحتقرها وننساها . فربما أسدى أحدنا إلى رَجُل معونة فكفرها ولم يشكرها ... وربما ظن بامرأة أنها له صديقة فإذا هى تغتابه وتذكره بالسوء ... أو ربما رأى أحدنا أنه مستحق لجزاء حسن ، فإذا به يحرم ما يستحق ، وإذا الذى لقيه من خيبة الأمل قد استبد به استبداداً يثبطه عن عمله ويُطير عن عينيه الكرى . ولكن أليست هذه حماقة ؟ فنحن إنما خلقنا على هذه الأرض لنقضى فيها أعواماً تطول أو تقصر ، فإذا بنا نستهلك ساعات لا تعوّض فى الأسى والحزن على أشياء لا نلبث قليلا حتى ننساها وينساها الناس . وإذن فينبغى لنا أن نصرف أيام حياتنا إلى كل شىء له قيمة من عمل أو شعور ، وإلى أفكار سامية وعواطف صادقة وأعمالٍ باقية — فإن العمر أقصر من أن يحتمل الإسفاف .

المجرب العظيم

فرانسيز بركنز
وزيرة العمل فى رئاسة فرنكلين روزفلت

مختصرة من مجلة "كوليرز"

ما يعرفه فرنكلين روزفلت عن أصول الاقتصاد المجرّدة شيئاً قليلا ، وكان ينظر فى جميع المشكلات الاقتصادية فيردّها إلى أبسط صورها التى يتمثلها فى حياة الناس . فلما كان حاكما لولاية نيويورك وبدأ يعنى بمشكلة الأزمة الاقتصادية ، استمع إلى مناقشات نظرية كثيرة فى شئون الاقتصاد ، ولكن لم يشعر أنه أدرك حقيقة الرأى النظرى إلا يوم رأى قرب بيته مصنعاً يصنع قمصان الصوف ، ويتيح عملا لمئة وخمسين من الناس . فتحدّث روزفلت مع صاحب المصنع الذى بلغ منه اليأس ، وتحدث مع العمال الذين أفزعتهم الأزمة وشتتت عقولهم . وكذلك وقف على المشكلة من ناحيتها الاقتصادية وناحيتها الإنسانية فى وقت واحد ، فصار إذا ما عرضت خطة من الخطط سأل نفسه : كيف تطبق تلك الخطة على مصنع قمصان الصوف ؟ فيعرف أهى خطة صالحة مجدية أو لا .

كان هذا المصنع يصنع قبل الأزمة قمصاناً جيدة من الصوف للسيدات ، فكان القميص يباع بتسعة ريالات أو عشرة ريالات ، وكان المصنع فى قرية صغيرة ، وكان العمال ينالون أجوراً حسنة تمهد لهم أن يعيشوا عيشة يُسْر فى جماعتهم ، وكان العمل ثابتاً أو يكاد يكون ثابتاً ، لأن سوق هذه القمصان كانت سوقاً غير مضطربة .

ثم جاءت الأزمة ، فبدأ تجار الجملة يقلّلون ما يطلبونه منها ، وصار لزاماً على صاحب المصنع أن يكف عن العمل فى الفترات بين إنجاز مطالب التجار ، فيتعطل نحو نصف عماله عن العمل . وكان العمال أصدقاءه ، فتوسلوا إليه أن يصنع شيئاً من أجلهم ، فلما اشتد به اليأس ذهب إلى المدينة ، وقابل تجار الجملة والسماسرة فوجدهم مضطربين كاضطرابه ، فلا بد لهم من أن يبيعوا إذا أرادوا أن يظلوا تجاراً .

وأخيراً وجد سمساراً فقال : « عندنا طلب بخمسة آلاف قميص صوف نشترى القميص الواحد منها بريالين . أتستطيع أن تقبل هذا الطلب ؟

فصعق صاحب المصنع من الدهشة وقال :

« أنت أعلم منى بأن هـذا السعر لايكاد يقرب من التكاليف » .

فقال السمسار : « أنا أعلم ذلك،ويؤلمنى أن أقولها ، ولـكن خفض أجور عمالك تخفيضاً كبيراً ، وزد ساعات العمـل ، واستعمل صوفاً غير جيد ، فيصير فى وسعك أن تصنعها بهذا السعر » .

فعاد صاحب المصنع إلى قريتـه ، ودعا عمـاله إلى اجتماع وعرض عليهم الرأى . وقال إنه مستعد للنزول عن كل ربح ، وأنهم إذا قبلوا فأمامهم عمل يستغرق بضعة أسابيع بأجور يستنكف أن يجرى ذكرها على لسانه ، وطلب منهم أن يعملوا حساب الأجـور التى ينالونها إذا بيع القميص بريالين . وروى لهم أن السمسار قال له إن هناك متجرين آخرين يشتريان مثل هـذه القمصان إن هو استطاع أن يصنعها ويبيع الواحد منها بريالين . فقال العمال إنهم يقبلون ما عرض عليهم ، لأنه لامناص لهم من عمل يعملونه .

فلما رأى روزفلت ذلك المصنع كان العمال منصرفين إلى صنع هـذه القمصان بأجور لاتزيد عن خمسة ريالات فى الأسبوع ، وأما صاحب المصنع فكان لايجنى شيئاً من الفائدة على رأس المـال . فأدرك روزفلت يومئذ على أوضح صورة وأجلاها شدة اليأس التى قد تستبد بالناس . وما تراه فى برنامجه يوم صار رئيسا للولايات المتحدة من بصيرة نافذة وعطف جميل ، يرجع أعظم فضله إلى تلك الصورة الجامعة التى قامت فى ذهنه بعد التجربة التى مرت به فى ذلك المصنع . فقد صارت المشكلة البارزة التى تواجهه أن يعود بالأجور إلى المستوى الذى يمكن الناس من أن يشتروا بعض ما يحتاجون إليه ، وأن يرد الأسعار إلى المستوى الذى يمـكن الصانع والتاجر من أن يجنى بعض الربح من ماله ومجهوده .

وقد كان روزفلت لا يستنكف أن يجرّب التجارب ـــ فى السياسة والاقتصاد جميعاً ، ولـكنه لم يكن رجلا متطرفاً . وقد سأله أحد الصحفيين مرة : « أشيوعى أنت يامستر روزفلت ؟ »

فقال : « لا » .

فقال الصحفى : « أفرأسمالىٌّ أنت ؟ »

فقال : « لا » .

فقال الصحفى : « أفاشتراكى أنت ؟ »

فقال : « لا » .

فقال الصحفى الشاب: «إذن فما هى أصول فلسفتك ؟ »

فقال روزفلت مدهوشاً : «فلسفة؟ أنا رجل أومن بالله ثم بالديمقراطية ـــ وكفى » .

وهذه الـكلمات تعبر فيما أرى عن مدى

تطرف روزفلت فى شئون السياسة والاقتصاد.

وقد كان لايؤمن بأن خير نظام هو النظام الذى تلغى فيه أصول الملكية الفردية لأسباب الإنتاج حتى تحل محلها ملكية الشعب أو الحكومة لتلك الأسباب . وقد كان روزفلت يسلّم بقيام الحالة الراهنة فى النظام الاقتصادى الأمريكى كتسليمه بوجود أسرته . وقد كان يرى أن هذا النظام ينبغى أن يكون مشرباً بالإنسانية والإنصاف ، وأنه ينبغى أن يدخل عليه من التعديل ما يدفع عن الناس ألم الفاقة والإهمال .

وكان يعتقد أن الأعمال التجارية خليقة أن تكون فناً جميلا ، وأن فى وسع الناس أن يمارسوها على قواعد الأخلاق . وكان يرى أن هذا هو المحك ، فينبغى أن يتوخى رجال الأعمال فى صناعتهم وتجارتهم خير الجماعة فيما يتوخونه . وكان يأبى أن يسلم بأن الغرض الوحيد من الصناعة والتجارة هو أن تكسب المال كسباً مطرداً . وكان يرى أن أهل الصناعة والتجارة ينبغى أن يصنعوا البضائع ويوزعوها على وجه يكفل لهم دخلا يكفيهم أن يعيشوا عيشة ميسرة ، ويوفروا من المال مايثمرونه فى أعمال أخرى منتجة .

لم يكن روزفلت يتوهّم أن برنامج « التوزيع الجديد » طلع على أمريكا بدواء شافٍ لعللها الاقتصادية ، وكان يدرك أن قوانينه إنما كانت وسائل توسَّل بها لفترة عابرة . وقد قال مرة فى اجتماع عقدته الوزارة عن اقتراح عرض عليها لزيادة ماينفق على المنشآت العامة : « لابد لنا من ذلك ، وينبغى أن نصنع الآن ما فى طاقتنا ، فكأنك تضع كل شىء تملكه فى ثقب فى سدّ لتمنع الفيضان . ينبغى أن نصنع الآن مافى طاقتنا فقد كاد الوقت يسبقنا » . وقال مرة أخرى: « ينبغى لنا أن نصنع خير ما فى وسعنا أن نصنعه الآن ، فإذا لم نوفق فيه عدَّلناه عند تطبيقه » .

وقد طغا على تفكير روزفلت فى أثناء وصفه لبرنامج التوزيع الجديد شعوره بأنك لن تجد رأياً حاسما لا يتبدّل فيما يقضى به العقل البشرى من قضاء . وإذن فعلى المرء أن يقدم على العمل الذى يبدو له اليوم عملا صالحا ، مادام يدخل فى وسعه أن يعدله غداً إذا تبين أنه عمل قد أخطأه التوفيق » .

ليست الشيخوخة سوى عادة كريهة لا يجد الرجل العامل وقتاً لاعتيادها .

[أندريه موروا]

من صميم الحياة



شجاعة صامتة

لما ذهبت تيرى كولانجيلو الحسناء السوداء العينين إلى جريدة شيكاغو ديلى تايمز منذ ثلاثة أعوام لتتدرب فيها على استقاء الأخبار ، كان مما أوصاها به كارين والش محرر القسم الداخلى ، قوله : « اقرئى كل حرف فى التايمز كل يوم » .

ففعلت . وفى عصر اليوم العاشر من أكتوبر ١٩٤٤ وقعت على قصة العام بمدينة شيكاغو مختزلة فى ثلاثة سطور بالحرف الدقيق فى باب الإعلانات المبوبة ، فأحاطت الإعلان الوجيز بخط أسود ووضعته على مكتب والش :

« ٥٠٠٠ ريال مكافأة لمن يرشد إلى قتلة الضابط لندى فى ٩ من أكتوبر ١٩٣٢ تليفون ١٧٥٨ بين الساعة ١٢و٧ مساء »

وقالت : « قد يكون وراءه قصة » .

فوافق والش ودعا إليه المخبر ماك جواير الذى كان فيما مضى مخبراً سرياً ، والذى استطاع أن يكشف للتايمز عن أسرار جرائم عويصة . وقال له والش : « ابحث وبين لى ما هى هذه الحكاية ؟ »

فانطلق ماك جواير يعمل ، وما لبث أن عاد يقول : « هذا إعلان من امرأة تدعى تيللى ماجيك ، وقد أدين ابنها جو فى مقتل هذا الشرطى منذ أحد عشر عاما ، وهو الآن فى سجن جوليت وقد حكم عليه بالسجن ٩٩ عاما »

فقال والش : « ابحث عن المصدر الذى جاءت منه المرأة بخمسة آلاف ريال ، فقد تكون هناك قصة مثيرة » .

وقد صح ظنه ، وما هى إلا أسابيع قليلة حتى كانت شيكاغو كلها تلغط بها .

لما قصد المخبر ماك جواير إلى منزل تيللى فى عصر ذلك اليوم من أكتوبر ، وجدها فى مطبخ بيتها الصغير الزرى فى ذلك الحى الكثير الدخان الواقع خلف زرائب الماشية فى شيكاغو ،

فقال لها : « أنا مندوب التايمز ، وقد جئت من أجل إعلانك » .

كانت امرأة قصيرة نحيلة متينة العضلات، وقد جرت خطوط من البياض فى شعرها الفاحم ، وقد استبانت السن فى بروز عظام وجهها السلافى ، وفى انحناء ظهرها من العمل الشاق ولا شك .

فقالت له اجلس ، وجلست إلى مائدة المطبخ أمامه ، وشرعت تتكلم ببطء باحثة عن الألفاظ الإنجليزية .

وقالت: «جو فتى طيب، لم يقتل أحداً» .

فسألها ماك جواير هل عندها أى دليل، فقالت إنه لادليل عندها غير ماأبى المحلفون أن يأخذوا به فى المحاكمة. وهذا هوالسبب فى نشر إعلانها ــ لتهتدى إلى من قتل الشرطى لندى، وبهذا تثبت أن ابنها جو لم يكن مجرماً ، وهى مستعدة أن تدفع خمسة آلاف ريال فى سبيل إظهار الحق .

فسألها ماك جواير: « وكيف جمعت هذا المال ؟ »

فقالت تيللى : «من مسح البلاط فى مبنى مكاتب بالمدينة ، أفعل ذلك ليلا منذ أحد عشر عاما ــ منذ ذهب ابنى جو » .

وقالت إن زوجها يعمل فى الزرائب ، وكثيرا ما يتبطل ، فأيقنت أنها لا تستطيع أن تعتمد على ما يقبض من أجور لابتياع الحقيقة التى تطلق سراح جو ، ولهذا قبلت العمل الوحيد الذى استطاعت أن تجده . وهى تعمل ثمانى ساعات فى الليل ، وست ليالٍ فى الأسبوع ، على يديها وركبتيها ، وتمسح البلاط فى هذا المبنى ، وما زالت تواصل المسح منذ أحد عشر عاماً ، أى ٣٥٠٠ ليلة مضنية ــ على فدادين من الرخام، وفى أوقيانوسات من الماء المرغى المزبد . وكانت أعواماً كلها آلام ظهر وأوجاع رأس، غير أن شجاعتها لم تخنها قط . وقد احتاجت إلى مسح كثير مرهق بمعدل ثمانية قروش ونصف للساعة ليتسنى لها أن تدخر ٥٠٠٠ ريال ، ولكن المال صار فى يدها الآن .

فسألها ماك جواير : « هل ردّ أحد على إعلانك ؟ »

فهزت تيللى رأسها وقالت إنها جربته من قبل نشر إعلان بمكافأة قدرها ٣٥٠٠ ريال فلم يرد عليها أحد ، وأنها وجدت أن العدل خليق أن يكون ترفاً غالياً .

وعاد ماك جواير إلى مكتبه وقص على والش ماوقف عليه ، وقال : إن هذا خليق أن يكون موضوعاً حسناً للجريدة، فوافقه والش ، ولكن القصة مازالت ناقصة .

وسأل: «أتظن أن الفتى كان بريئاً حقا؟».

فقال ماك جواير: «هذا ما أتساءل عنه ــ أما المرأة العجوز فإنها واثقة أنه برىء » ــ

فقال والش : « يحسن أن تتحرى هذا الأمر ، وإذا كان الشاب قد ظلم فلنعمل على إطلاق سراحه » .

وظل ماك جواير ومعه مخبر آخر من الجريدة اسمه ماك فول ينقبان عن البينات المطوية ، ويبحثان فى المدينة وبين الناس عن شهود فى هذه الجريمة التى نسيت منذ زمان طويل ، وكان عليهما أن يتغلبا على مناورات السياسيين الذين لا يريدون إحياء ماطوى من هذه القصة .

وفى أثناء ذلك كانت تيللى تواصل المسح ، وفى كل أسبوع تودع البنك ١٦ ريالا و ٨ قروش . وبينما كانت هى تمسح كان ماك جواير وماك فول يبحثان عن الحقائق والتايمز تنشرها .

بدأت هذه القصة الأليمة فى عصر اليوم التاسع من ديسمبر ١٩٣٢ ، وكان الحى الأجنبي الواقع خلف المخازن غاصا بالحانات وكانت إحداها فى سوث أشلاند أفنيو، تديرها شقراء نصَف شعثاء اسمها ڤيرا . وفى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين من عصر ذلك اليوم دخل الشرطى وليم د. لندى بعد انتهاء عمله ، هذه الحانة التى تدار بغير ترخيص ، وطلب كأساً ، فقدمتها له ڤيرا . وكان هناك زبون آخر فى هذه الحانة المنعزلة القذرة ، فدخل لندى مع هذا الزبون فى حديث عن ڤيرا وحماقتها ، إذ تضع عدة آلاف من الريالات فى صندوق عندها ، وكل من فى الحى يعرفون أن هذا المال هنا . وسيجىء يوم ...

وفى هذه اللحظة دخل الغرفة رجلان طويلان وفى أيديهما المسدسات ، فارتاعا إذ وجدا فيها شرطياً . وكان لندى يرتدى معطفه، فمن الصعب أن تصل يده إلى مسدسه . وبينما كان يدس يده ليخرجه أطلق الرجلان عليه الرصاص وفرا وتركاه فى النزع ..

حدث هذا فى العام السابق لافتتاح معرض شيكاغو العالمى ، وثقل على المحافظ أنطون سرماك سوء سمعة المدينة فأمر بتطهيرها . فانطلق رجال الأمن يفتشون الحى الواقع خلف الزرائب فى عصر ذلك اليوم ، وغصت الشوارع بالمخبرين السريين يبحثون عن الأشقياء المعروفين، ويستجوبون كل الشهود .

وفى ذلك اليوم كان جو بن تيللى — وهو عامل عند ميكانيكى — فى بيته على مسافة ميل من حانة ڤيرا السرية . ولم يذهب إلى عمله لأن زوجته هيلين جاءها المخاض، فقام أولا بأعمال البيت بدلا منها . وفى الساعة الثالثة جاء ينقل الفحم إلى حيث

يخزنه . وقد شهد ثلاثة من الجيران بهذا في المحاكمة .

ولكن جو وزوجته ارتكبا غلطة واحدة ، وكانا لا يعلمان شيئا عن حادثة القتل وعن بحث الشرطة . فلما أقبل عليهما في تلك الليلة أحد المعارف القدماء ، وقال إنه واقع في « ورطة » سمحا له بقضاء الليلة عندهما ، وزادا فأخبرا الجيران أن الرجل بات عندهما — فأخبر بعض الجيران الشرطة .

وكان جو لا تنطبق عليه أوصاف القاتلين ، فقد كان أدق جسما وأنحف ، وشهد اثنان أبصرا القاتلين الهاربين بأنهما واثقان أنه لم يكن أحدهما ، وشهدت ڤيرا أيضاً بأنه ليس أحدهما ، ولكنها بعد حديث خاص مع الشرطة غيرت أقوالها وقالت إن جو أحد القاتلين . وكانت هي الوحيدة التي شهدت بذلك في المحكمة .

فلم يقتنع القاضي الذي نظر القضية ، واستدعى كل واحد من الشهود مرة أخرى واستجوبه ، وتبين مالك جوايز أن القاضي بعد الحكم على جو قال لأسرته إنه مقتنع بأن ظلماً صارخاً قد ارتكب . وقد أقلقه ذلك ، فاعتزم أن يصلح الخطأ ، ولكنه مات قبل أن تتاح فرصة لإعادة النظر في القضية . فنسيت شيكاغو أمر جو ، وكانت زوجة جو تحمل طفلها وتزور جو في سجنه ، وكانت تيللي تزوره أيضا ، وحاولت تيللي أن تحيي الأمل في نفس جو ، فقالت له إن كل شيء سيكون على ما يرام متى ادخرت ما يكفي من المال . وكان جو يعمل في السجن ، ويتعلم إمساك الدفاتر والاختزال .

وبعد خمسة أعوام أقبلت زوجة جو عليه لتزوره وكانت وحدها وقالت له : « إني أعلم أنك بريء ، ولكنك لن تبرح هذا المكان أبداً ، وابننا يحتاج إلى أب له في البيت ، وقد طلب مني بعضهم أن أتزوجه ، ولهذا سأستصدر حكما بالطلاق » .

ولم ترض تيللي عن هذا ، فقد كان حسب جو ما يعاني ، ولم يكن ينقصه أن تزيد هيلين حياته مشقة ، غير أن تيللي لم تقل شيئا ، واكتفت بأن تواصل مسح البلاط .

وعكف مخبرو التايمز على محاضر المحكمة ، وراجعوا سيرة كل الشهود وفحصوا أخلاقهم ، ووجدوا وثائق عامة اعتقدوا أن الشرطة ورجال مكتب المدعي العام بالولاية يحاولون إخفاءها ، واتصلوا بأعضاء هيئة المحلفين الذين أدانوا جو . فقرر أربعة منهم كتابة ، وبعد حلف اليمين ، أنهم ما كانوا ليدينوا جو لو أن البينات الجديدة التي ظهرت كانت عرضت أثناء المحاكمة . وكان جيران جو قد ساءهم أن المدعي المتلهف على إدانة

المتهم قد طرح شهادتهم جانبا ، فكانوا من جراء هذا مستعدين أن يقولوا الحق مرة أخرى كما عرفوه .

واستعانت التايمز بليونارد كيلر مخترع الجهاز الذى يفضح الكذب ليحمل جهازه إلى السجن ويختبر جو . فعاد كيلر يقرر : « إن الرجل يقول الحق » .

ثم وكلت التـايمز محاميـاً درس كل الحقائق التى جمعها المخبرون بعد جهدوعناء ، وكانت هـذه الحقائق مقنعة ، حتى أن مكتب العفو بالولاية قام بتحقيق شامل ثم أوصى الحاكم بإطلاق سراح جو فوراً .

وفى ١٥ من أغسطس ١٩٤٥ خرج جو من بوابة سجن جوليت ، وكانت تيللى إلى جانب السور الحجرى العالى فطوقته بذراعيها ، ولم تذرف دمعاً ، أليس جو قد صار حراً ؟

وحمل ماك جواير جو وتيللى فى سيارة إلى شيكاغو ، وأقيمت فى تلك الليلة حفلة صغيرة للأسرة فى مطبخ البيت . وكانت تيللى قد أعدت كل مايحب جو ، فجلس إلى رأس المائدة ، ووقفت هى إلى جانبه تملأ له طبقه ، فقد انتهى كل شىء الآن وصلح الحال — وصار ابنها حراً مرة أخرى .

وأبت التايمز ماقدمته لها تيللى من مدخرها — خمسة آلاف ريال — فهى محتفظة بها لجو ، فقد يحتاج إليها يوما ما ، كما تقول . على أن جو غير محتاج إليها الآن ، فإنه يشغل وظيفة حسنة ، ويقوم بعمل السكرتير لرجل من رجال الصناعة ، وقد بدأ حياة جديدة .

وهذا حسْبُ تيللى التى لاتدرى أن تلك الأعوام الطويلة التى قضتها راسخة الإيمان ببراءة ولدها باذلة كل جهد مضن ، إنما هى ملحمة رائعة للشجاعة الوضّاءة الصامتة .

جاءت الطباخة الجديدة فإذا هى فى نظرى لقية ، فاتفقنا على الأجر وساعات العمل وأيام الإجازة . ثم قلت لها : « إن زوجى لا يتأخر عن مواعيد الطعام » . ثم أضفت كالمعتذرة : « ولكنه قد يفاجئنا أحياناً بدعوة ضيوف إلى العشاء دون إنذار ، فيحسن فيما أظن أن تكونى دائماً متأهبة لمثل هذه الحالة الطارئة » .

فأحنت رأسها موافقة وقالت : « أمرك يا سيدتى ، سأبقى حقيبتى معدّة للرحيل » .

[كرستين نيسون]

« إن أمريكا لا تسأل الأمم شيئاً تكره هى أن تعطى مثله »

هيئة عالمية على الطاقة الذرية أو كارثة عالمية

مقتطفات من خطبة برنارد باروخ

برنارد م . باروخ مستشار الشعب الأمريكى ورؤسائه فى حربين عالميتين ، هو ممثل الولايات المتحدة فى لجنة الطاقة الذرية بهيئة الأمم المتحدة . وقد منح منذ عهد قريب الجائزة السنوية التى تمنحها « دار الحرية » فى مدينة نيويورك ، فألقى خطبة صريحة بليغة اقتطفنا منها هذه الفقرات .

أمريكا مستعدة لتحريم القنبلة الذرية وإتلافها — أن تجعلها أداة حياة لا أداة هلاك — إذا أطبقت أمم العالم على ميثاق يكفل الأمان من الحرب الذرية ، ولكن ينبغى أن يكون ميثاقاً صادقاً نافذاً . لا مجرد إعراب عن نية صالحة تعوزها كل وسائل الإمضاء والتحقيق .

ولقد قدمت أمريكا اقتراحها هذا فى ١٤ يونيه سنة ١٩٤٦ ، وانقضت بضعة أسابيع فإذا السفير جروميكو يعلن أن روسيا غير قابلة له ، لا جملة ولا تفصيلا .

وحجة الروس هو أن التفتيش انتهاك للسيادة القومية ، ولو كان هذا حقاً فهو خير من كارثة تشمل العالم كله ، وإن أمريكا لراضية أن تقبل التفتيش ، وهى عارفة أنها سوف تبقى زمناً وهى أكثر الأمم تعرضاً لهذا التفتيش .

ولقد أعجزنى أن أفهم السر الذى من أجله يسبغ الناس على السيادة القومية ، كل هذه الرهبة والتقديس ! وأرى أن بعض الشئون الدولية تقتضى وجود موظفين من أمة بعينها فى أرض أمة أخرى ، من ذلك شئون الجمارك والبريد وغيرهما . وأرى أن كل معاهدة تتحيَّف شيئاً من السيادة القومية المطلقة ، بيد أنى أرى الأمم تعقد أمثال تلك المعاهدات مختارة وناظرة إلى المصلحة المشتركة .

وأساليب إحداث الطاقة الذرية ، سواء أريدت للحرب أو للسلم ، أساليب واحدة لاتكاد تفترق إلا عند مقربة من النهاية . فإذا أردت استخراج الطاقة الذرية لمنافع السلم فقد قطعت ثلاثة أرباع الطريق المفضية إلى السلاح الفتاك . والفيصل الحاسم بينهما هو

نية مستخرجيها ، إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشرٌ . أفلا يهدينـا ذلك إلى أن التفتيش والهيمنة أمرٌ لابد من المصير إليـه ؟ وقد أجمعت تقارير اللجنة العلمية والفنية على أن مثل هذه الهيمنة أمر ممكن .

وإنى لأقول لكم بلسان رجل حنكته التجارب : إن خطة أمريكا لاتهضّم شيئاً من كرامة أية أمة أو من سلامتها ، بل هى خطوة واسعة نخطوها نحو السلم العالمى . ومن أراد شيئاً لم يعـــدم إلى إدراكه سبيلا .

وهذه الخطة لاتزال هى خطتنا — فيها الكرم والعدل ، وأمريكا لاتسأل الأمم شيئاً تكره هى أن تعطى مثله ، بل ينبغى لكل منا أن يشارك بنصيبه .

لن أكون إلا خائناً للأمانة التى أحملها إذا أنا نصحت بنبذ سلاح من أمضى أسلحة أمريكا — وهو القنبلة الذرية . فكيف يجوز لإنسان أن يطلب تدمير القنابل الموجودة إذا لم يحرم الاستمرار فى صنع غيرها تحريماً باتاً ؟ ولماذا تطالَب أمريكا وحدها بأن تضحى فى سبيل إرادة الخير العالمى ، فإذا أريد أن نتساوى فى التضحية ، فليكن لكل أمة نصيب فى التضحية .

وأنا أعتقد اعتقاداً راسخاً أن مقترحات أمريكا لا تهدف إلى إبطال سلاح واحد من أسلحة الحرب وكفى ، بل إلى إبطال الحرب نفسها .

فاجتناب الحروب هو الغاية الصالحة التى تسعى إليها ، فعنـدئذ وحسب تكف الأمم عن التنافس فى صنع الأسلحة السرية المخيفة — كالذرية والبيولوجية والبكتريولوجية والغازية وغيرها . فإذا وفقنا إلى طريقة مرضية ، للهيمنة على الأسلحة الذرية ، كان لنا أن نؤمل خيراً فى تحريم استعمال الأسلحة التى تحدث التدمير الشامل .

إننا نسير اليوم على سـياسة كلها أثرة بيّنة ، ولكن عهد السّلم إذا جاء بعد أجل متطاول ، فسيشمل الأمم جميعاً . ومن أجل إدراك هذه الغاية تريد أمريكا أن تكون فى طليعة المجاهدين لنيلها ، وسوف تكون .

والآن وقد آذنت شمس حياتى بمغيب ، أحب أن أؤكد بأنى مؤمن ببلادى وأمىّ أمريكا — هذه الأم التى لا يفنى صبرها ولا يُبْطىء جزاؤها ولا يسرع بها غضبها ، هذه الأم الجريئة الحرة العادلة العامر قلبها بالحبّ .

فلكى نشـــدّ أزرها ، ترانا نعارض الدكتاتورية من أهــل اليمين أو من أهل اليسار ، ونعارض الطغيان ، ونعارض النظام الجامع ، ونعارض الاستبداد سواء كان من الأمم أو الأفراد . ونحن مستعدون لكل تغيير تمليه الحكمة ، ونحن نصرف كل جهودنا

إلى نشدان السعادة، أى إلى تحسين معيشة البشر . وأنا أعلم أن بعض خصائص الشعب الأمريكى بطيئة فى نمائها إلى غاية النُّضج ، بيد أنها تنمو ولا جرم . وإنى لأختال فخراً بفضائل الشعب الأمريكى ، وأومن بأنه يتعقّب أخطاءه بالتصحيح والإصلاح .

ولست أعرف وسيلة تكفل لنا توسيع آفاقنا سوى المحافظة على حرية العمل ، ولكن لا بد من أن تقترن بها المحافظة على إتاحة الفرصة الكاملة فى شئون السياسة والدين والاجتماع والاقتصاد .

ولست أعرف نهجاً يؤدى إلى المحافظة على هذه الحقوق أفضل من الديمقراطية — ديمقراطيـــة متغلغلة لا تقف ، منتشرة لا تنقبض ، ديمقراطية تكفل لنا ما عبّر عنه الشـاعر بقوله : إنه لحقٌّ سرمدى خفى كالأنفاس التى نتنفسها — أن يُباح لنا العيش بلا إذن من بشر ، تحت سلطان القانون .

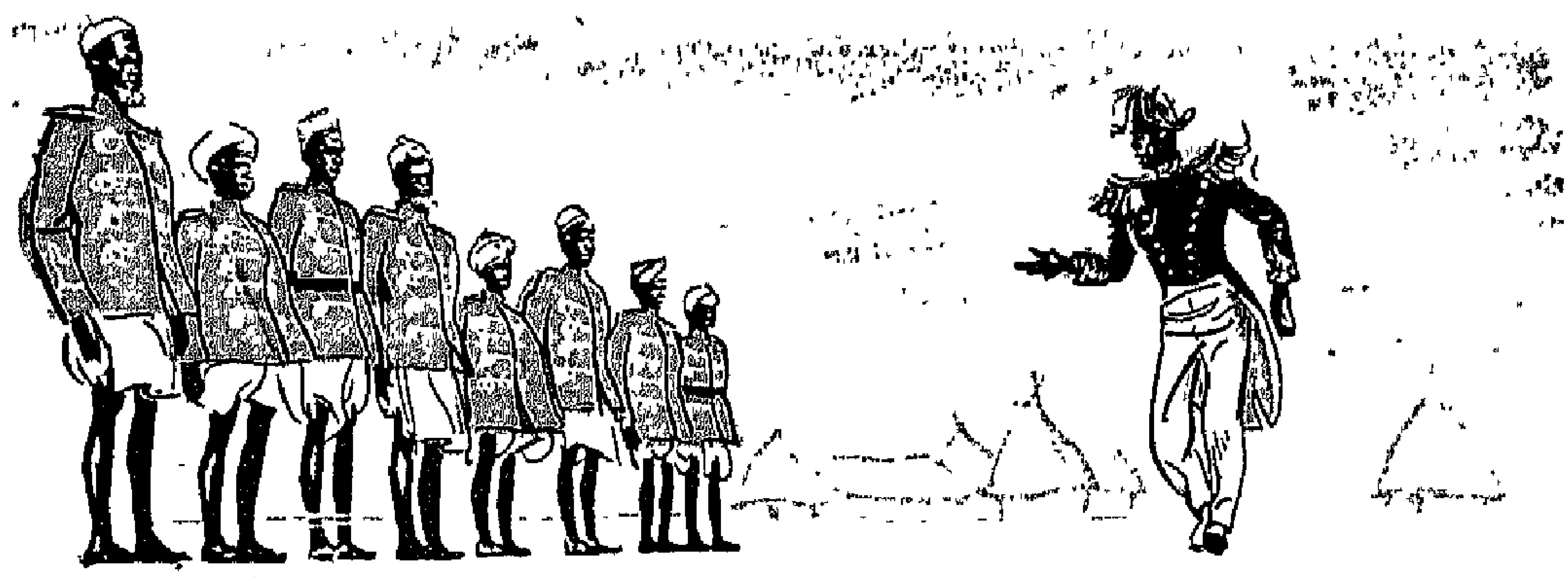
المستقبل لشباب اليوم

يتساءل الشباب العائدون من الحرب عن مستقبل بلادهم ومستقبلهم أيضاً ، فماذا تراهم سيصنعون بعد ٢٧ عاماً منذ الآن ؟

وفى وسع الـ ١٤٣ الذين هم الآن فى القمة يديرون خمسين من أكبر مرافق البلاد الصناعية والتجارية ، أن يساعدوا على جواب هذا السؤال . فمنذ سبعة وعشرين عاماً مضت ، عاد معظمهم من الحرب أيضاً ، وكانوا جميعاً ، بعد الحرب أو قبلها ، قد بدأوا حياتهم العملية عند أولى درجات السلم . فبدأ أحدهم العمل بريال ونصف فى الأسبوع ، وأحد عشر آخرون بأقل من خمسة ريالات فى الأسبوع ، وبدأ ثلاثة وأربعون بأقل من عشرة ريالات فى الأسبوع ، و ٨١ كانوا يتقاضون بين ١٠ ريالات و ٢٥ ريالا فى الأسبوع ، وكان سبعة فقط يتقاضون ٢٥ ريالا .

فمتوسط الأجر الأول لهم جميعاً كان ١٣ ريالا ونصف ريال فى الأسبوع .

فمن الذى سيتولى أكبر أعمال الأمة الصناعية والتجارية فى ١٩٧٣ ؟ نفس هذا الضرب من الرجال . وسيكونون — كهؤلاء الآن — زعماء أوتوا من الشجاعة والطموح والابتكار ما يعينهم على الارتقاء فى السلم درجة بعد درجة .



ساحر فى أدغال إفريقية

بريان أوبريان

في سنة ١٩٢٠ كنت موظفاً فى شركة فرنسية تمدّ أسباب التجارة بين القبائل فى جوف إفريقية الفرنسية الاستوائية وثغور الساحل الغربى ، فقابلت « مستر هيفورد » أول مرة . وقد كنت أجوس فى منطقة غابات خشب الجنة فى أرض الكميرون الجنوبية ، فأسلك الدروب الضيقة فى الأدغال ، وكان معى ١٢٠ حمالاً مثقلين بالملح والقماش المطبوع والمُدى والصنانير وغيرها . وكنت أرجو أن أقايض عليها بالأبنوس وزيت النخيل والمطاط والعاج ؛ فمنذ سنوات لم تطأ هذه الأرض قدم رجل من البيض .

وقرعت طبول الإشارة فعلم أهل الغابات أنى أقصد « إيكين » ، قرية صغيرة من قرى قبيلة البولو تبعد ١٥٠ ميلا عن الساحل وتقع على نهر كامبو على مسافة درجتين إلى الشمال من خط الاستواء .

فلما دنوت من القرية لاحظت أن الدرب خال من الحشائش ، وأن على جداول الماء جسوراً حسنة من الخشب ، وأن القرى ليست كما عهدت أكواخاً حقيرة قذرة بل صفوفاً متوازية من أكواخ مهندمة من النخيل بينها ميادين فسيحة . وقد رأيت حدائق واسعة من البطاطا والذرة وغيرها ، ورأيت خارج قرية « إيكين » مزرعة صغيرة من الكاكاو ، ودهشت ساعة سمعت مترجمى يقول لى : « الكاكاو ملك الرجل الإنجليزى ، هو يعيش فى إيكين » .

فلما دخلت القرية رأيت ساحة نظيفة

تشرف عليها دار الندوة ، وهى مجلسٌ لا جدران له يختلف إليه شيوخ القرية للمشورة أو للسمر . ورأيت بقربه رجلا نحيلا طويلاً عليه ثوب قديم أبيض من ملابس الرياضة ، وفى قدميه حذاء من قماش صفيق مُطلى بالبياض ، وكان يخفى وجهه ظل قبعة بيضاء كالخوذة ، فرفع خوذته وانحنى .

« يسرنى أن أرحب بك » ، قالها وقد أخذ يعتدل فبدا له وجهٌ أسود كالفحم ولحية غبراء ، وشعر كث أبيض ، ثم قال : « يسرنا أن نرى إنجليزياً بعد هذه السنوات الطوال ، فأنا مستر هيفورد ، من أبناء الساحل الذهبى ، وأنا إنجليزىٌّ أيضاً » .

فصافحته مدهوشاً ، ترى ماذا يصنع شيخ من أهل الساحل الذهبى فى هذه القرية النائية ؟ وإذا عيناه تتألقان باللاهفة التى تخالط أدب المضيف الحريص على أن تكون راضياً عما ترى فى داره ، ثم قال : « أرجو أن تطول أيامك معنا ، وأن تأذن لى أن أصحبك وأكون صديقاً لك » . فكان لى صديقاً صدوقاً طوال السنة التى قضيتها على النهر ، ولولا إرشاده السديد لتعذر علىّ أن أتجر مع الوثنيين النافرين من أهل المنطقة .

وقد أمر البولو غداة وصولى أن يمهدوا رقعة من الأرض على شاطىء النهر ، وأن يبنوا لى كوخاً من لحاء الشجر وأعواد النخيل يكون ذا ثلاث غرف تطل على شرفة ، وأبى أن يستوفى ثمنه ، وقال بأنفة : « عفواً ياسيدى ، لا نقبل ثمناً . هذا حق الجوار » .

كانت داره تشرف على رقعة طويلة مكشوفة تمتدُّ إلى شاطىء النهر ، وكانت هناك مخازن ومناشر لتجفيف ثمر الكاكاو ، ومرسى للزوارق ، وكانت أرض شرفته وحجرة الاستقبال مفروشة بمشمع بال ، وعلى الجدران صور من مجلات قديمة . ورأيت على مائدة محفورة من خشب المجنة مصباح جاز مزخرف ، وكان البيت آية فى النظافة ، ويتولى أمره ثلاثة من فتيان البولو .

وكان شيخ القرية يقابل هيفورد كل صباح على درج شرفته ، ثم يسيران معاً إلى القرية ، حيث يتعهد هيفورد الأكواخ الصغيرة النظيفة ، ويقترح ما يقترح ويطرى جمال الحدائق ، ويصدر ما يراه من أمر إلى جماعة البولو التى تشتغل فى مزرعة الكاكاو الخاصة به . وكان فى كلّ جولة يعطى الأطفال أكياساً صغيرة من الملح ، فتكون عندهم أغلى من الحلوى . فإذا ماجاء دار الندوة ، رأيت الفرح يستخفُّ السُّمار إذا ماوقف يبادلهم النوادر والنكات ، فكأنه سيّد من سادة العصور القديمة يتجول فى أرضه شاملاً أهلها بعطفه .

وقد جاءنى بطباخ وحرص على أن أزوّد

بخير ماعندالبولو من زاد : السمك والبيض والبطاطا والذرة والفلفل ، وكانت عناقيد الموز والأناناس تتدلى من سقف الشرفة .

وكان هيفورد يزورنى كل مساء بعـد العشاء ، فأراه لابساً سراويل أبيض خرج لساعته من يد الغاسل ، وسترة قديمة من المخمل كانت قرمزية فيما مضى ، وطربوشاً أسود له زر من الفضة يتدلى عنـد أذنه . وكان إذاجلس جعل يداعب كأساً من الكونياك بأنامل ضخمة المفاصل ويدخن مستمتعـاً غليوناً كنت قد أهديته إليـه ، ويسألنى متلهفاً أسئلة كثيرة عن سائر العالم .

وقد صحبنى فى رحلاتى الأولى إلى القرى النائية وراقب مراقبة دقيقة أعمال التجارة ، وكان يرشـد شيوخ القرى إلى قيمة السلع التى أعرضها عليهم . وكان غاية فى الإنصاف، وكان أهل البلاد يثقون به ثقة عمياء ، وقد علمت أن نفوذه ممتد فى أرض مسـاحتها مئات من الأميال المربعة ، فما كانت قرية تختار شيخها بغير مشورته ، ولا كانت تتم مقايضة بين القرى بغير موافقته . وكان أهل القرى يتجشمون السفر أياما لكى يعرضوا عليه أمورهم ، وكانوا يتقبلون أحكامه بثقة تؤثر فى النفس ، وكان سلطانه أعظم من سلطان الشيوخ الذين يعجبون به ويوقرونه. وقد قال لى : « إنهم ينظرون إلىّ كأننى أبوهم ، فينبغى أن عاملهم كأنهم أبنائى » .

وقد أدركت ذات يوم بعض السر فى سلطانه : كان هيفورد ساحراً .

توالت الزوارق إلى مرساه من أعلى النهر وأسفله منذ أسفر الفجر ، وجلس النـاس متربعـين كالتماثيل أمام داره وقد ركزوا رماحهم بجوارهم فى الأرض الحمراء التى جففتها الشمس ، وكان قد دعانى لأجلس على شرفته فأشاهد مادعاه « فصْل الخطاب » .

وبعد أن دقت الطبول دقات متتالية فتح باب هيفورد وخرج منهُ صبيّان ، فوضع أحدهما إبريق شاى من الخزف وكوباً من الزجاج على مائدة وضعت على درج الشرفة ، ووقف الآخر قربه يهزُّ مروحة كبيرة من ورق النخيل . ثم ظهر هيفورد لابساً ثوباً أسود من القطن وقد رسمت عليه بالأحمر بروج الشمس ، وكان على رأسه قبعة عالية ، وعلى عينيه نظارات من الحديد ليس فيها عدسات . فنكس الأهالى رؤوسهم وهمهموا بتحية البولو : « مابولو » .

فردَّ هيفورد على التحية بصوت جهورى فقال : « مابولانى » ، ثم سكب ماءً من الإبريق فى الكأس وشربهُ ، ثم نظر إلىَّ شزراً ، وأمال الإبريق مرةً أخرى وإذا سائل أحمر ينسكب منهُ ، فشربه ، والناس من حوله يصيحون صيحة الإعجاب والإجلال .

وأومأ إلى جماعة لم يستقرّ لها قرار فى طليعة القوم : فتاة فى السادسة عشرة ، نحيلة هيفاء مزهوّة بفتنتها ، وزوجها الشاب البدين ، وأبوها ، وهو رجلٌ ما كرٌ فى أنفه قطعة من العظم . وقد همس فى أذنى الرجل الذى تولى الترجمة لى بأن الفتاة كانت قد بيعت زوجة للشاب ، وفقاً لعادات القبيلة ، وأنها منذ زواجها فرت مع خليلها .

وسأل هيفورد : « أين الآخر ؟ »

فردّت الفتاة ردًّا كلهُ دلالٌ ووقاحة : « ذهب يصطاد فى الغاب » .

وصاح الزوج : إنه لا يريد هذه المرأة ، ثم إنه عاجز عن أن يوفينى ثمنها » .

وابتسمت الفتاة لهيفورد وهزت رِدْفها هزة مغرية ، وقالت : إن زوجها كان يضربها ويرغمها على العمل ، فلما بلغ منها اليأس فرت مع الرجل الذى تودد إليها .

وصاح زوجها : « إنها فرت مع رجال آخرين » .

وقف هيفورد ووضع كفه غير حافل على أذن الصبى الذى يحمل المروحة ، فإذا فيها بيضة ، فلما دوّت صيحة الإعجاب ألقى البيضة عند قدمى الفتاة وانحنى يحدق ، فى مُحّها « صفارها » فوثبت الفتاة متراجعة وجعلت تصيح جزعاً حين أشار إليها بعصاه البيضاء ودمدم فى وجهها : « أنت امرأة سَوْء » .

وانفتل أمام وجهها كالبرق الخاطف ، وإذا فى يديه سحلية تتلوى وقال : « إن فيك شيطاناً يدفعك إلى الفرار . ينبغى لك أن تَقَرِّى فى دار زوجك ، فإن لم تفعلى عاد هذا الشيطان إلى قلبك »

فندّت من الجمهور زفرة « إى كى » .

ثم مضى هيفورد يعنفها : « فإذا هجرت زوجك مرة أخرى فله أن يضربك بعصا لا تزيد ثخانتها عن إبهامه » ثم التفت إلى الأب « إذا هجرت ابنتك زوجها فعليك أن تردّ إليه ماله . وكذلك ينبغى لكما كليكما أن تراقباها ، وهذا فصل الخطاب » .

ومضى الثلاثة فى سبيلهم

أما القضية الثانية فكانت قضية امرأة كانت عنزتها قد أكلت الفول من حديقة جارها ، فحكم هيفورد على المتهمة بأن توفى صاحب الدعوى قطعة من لحم العنزة متى ذبحت . وشكت امرأة عجوز أن أهل قريتها قد وضعوها فى كوخ قديم لتموت فيه لأنها صارت عاجزة عن العمل ، فابتسم هيفورد لها من عليائه وقال : « لك يا أماه مكان فى كنف دارى ، ونار تصطلينها ، وطعام سائغ لفمك » . ثم ألقى نظرة على القوم وقال : « أين شيخ قرية هذه المرأة ؟ » ، فتقدم شاب وثيق التركيب وعبس فى وجهها .

فأمره هيفورد : « عليك أن تأتى بعشر

رؤوس من البطاطا كل سبعة أيام ، وعلى رجالك أن يبنوا لها كوخاً فى أرضى ، ولن تتجر مع قريتك حتى تنجزوا ما أمرت به » .

وقد أنفق هيفورد ذلك اليوم كله يقضى فى مشكلات أهل الغابات ، فكان ذا مهابة وعدل ودعابة فى قضائه ، وكان يمزج كل حكم من أحكامه بخدعة من خدع المشعوذين ، وقد قال لى بعد ذلك كالمعتذر : « هى خدع لاضرر منها ، ولكنها تعين هؤلاء المتوحشين المساكين على أن يطيعوا ما أقضى به » .

وقد لممت شتات قصته رويداً من أحاديثى الطويلة معه ليلة بعد ليلة ، ومن أخبار جمعتها من شيوخ الناحية . ولد هيفورد من أسرة ذات يسار من أهل مستعمرة الشاطىء الذهبى ، فى أحد ثغورها ، وطلب العلم فى مدرسة للمرسلين ، ثم عمل فى مزارع الكاكاو التى يملكها أبوه . وقد اصطلحت معرفته اللغة الإنجليزية ، وقدرته على القراءة والكتابة والحساب ، وإحسانه شئون الزراعة ، على جعله مديراً نافعاً ، فلما اندلعت الثورة فى سنة ١٩٠٠ على أعمال حاكم أبيض جاهل ظالم ، طرح عنه سراويله وحذاءه ، وارتدى عباءة المحارب ولبس درعه .

وقد أخمدت نار الثورة وقدّم الذين اشتركوا فيها للمحاكمة ، ولكن هيفورد نجا ، وشق طريقهُ برغم المصاعب والمخاطر إلى الغابات العظيمة التى تغطى جنوب الكميرون ، فكان لا يكف عن السير فى القرى الصغيرة ، إلا ريثما يأكل ويشرب ، ثم يواصل سيره . وأخيراً وصل إلى قرية إيكين ، وهى خير ملجأ لرجل مطارَد . وقبيلة « البولو » مؤلفة من قوم صغار الأبدان ، فزهاهم أن يجدوا هذا الغريب العملاق وافداً عليهم . قال : « وقد بنوا لى بيتاً وجاءونى بطعام وكرمونى كأنى رجل نبيل ، فلذلك ينبغى أن أظل دائماً فى نظرهم رجلا نبيلا» . وقد تعلم لغتهم واستقر فى بلادهم على النهر .

وتذكر شوارع الثغر الذى ولد فيه ، وكيف كانت نظيفة ينزح منها الماء ، فأقنع رجال البولو بأن يحفروا المصارف لنزح الماء حتى لا يركد ولا يتولد فيه البعوض ، وعلمهم أن يبنوا آباراً يطمرون فيها القاذورات ، وأنّ عزل العجزة والضعاف وتركهم حتى يموتوا جوعاً إثم وعبث ، فأمر : « اجعلوهم يكنسوا ساحات القرية فيمنعوا الغبار أن يدخل آنية الطبخ ، وتنقذوا بذلك حياة صغاركم » .

فصارت القرى مهندمة نظيفة ، وقل المرض ، وسر الشيوخ والعجائز أن يكونوا ذوى نفع فدأبوا على العمل . وكانت الدروب الضيقة الملتوية تتخذ شراكاً لصد الأعداء من الحيوان والبشر ، فكشفوها ووسعوها . وكانت

الحدائق صغيرة لا يعنى بها فلا تكاد تنتج ما يقيم الأود ، فوسعت رقعتها ونزحت مياهها واستؤصلت حشائشها ، فإذا ما تنتجه يفيض عن الحاجة ، فيخزن لينتفع به يوم تمس الحاجة إليه .

بيد أن الأهالى كانوا فى حاجة إلى المدى والمجارف وقماش القطن والصنانير والملح ، فجعلهم هيفورد يجمعون المطاط البرى الذى يجمد إذا خلط بالجير فيصنع كرات كبيرة ، ودفعهم إلى صيد الفيلة ومقايضة سائر القرى على لحمها بالأبنوس. ثم خرج برجاله مثقلين بالأبنوس والعاج والمطاط لمبادلتها بالسلع الضرورية على ساحل غينية الإسبانية . قال هيفورد: « أما أنا فقد عدت بملابس البيض والأحذية ومائدة وجاز ومصباح جيد أطالع على ضوئه ».

وقد أخبرنى أن عمله فى أول الأمر كان محفوفاً بأعظم المشقة والخطر ، فالقتال بين القرى متواتر ، وتقديم القرابين من البشر سنة متبعة . وقد بين لى أن ذلك لم يكن ذنب الأهلين ولكنه كان ذنب السحرة الذين حرصوا على إبقاء الأهالى فى سورة من الرهبة والتهويل .

« وقد كرهنى السحرة لأنى كنت أبذل معونتى للأهلين . وقد قطع أحدهم شوارب الفهد ووضعها فى طعامى عسى أن آكلها فتمزق أحشائى ، ولكننى لم أذق طعم شىء لم أعده بيدى فنجوت مما كادوه لى . وقد حدث مرة وأنا أسير فى درب ضيق أن مرق على مقربة منى سهم مسموم ، فأدركت أنه ينبغى لى أن أتغلب على هؤلاء السحرة ، فإن لم أفعل قضوا على .

« وكنت ذات يوم أتولى أعمال تجارتى فى غينية الإسبانية ، فرأيت فى دفتر بيع بالبريد صورة جهاز يصنع السحر . فأعطيت التاجر كل سلعى وسألته أن يكتب إلى أمريكا فيطلب لى صندوق السحر . وبعد أشهر تلقيت خبراً بأن « السحر » فى انتظارى ، فرحلت وحدى لآخذه ، وصرت أتمرن فى سواد الليل حتى غدوت قادراً أن أصنع أشياء من الهواء الخاوى أو أجعل ما فى يدى يختفى كأنه لم يكن . فلما أحسست أننى قد أحكمته تحديت سحرة القرى ». وقد أبرقت عيناه ببريق الخبث على ضوء النار فى دارى وهو يقول لى هذا .

« وكان السحرة يلبسون قبعات مصنوعة من جلد البشر ، ومعاطف طويلة من العشب الجاف ، وكانت الروائح الكريهة تفوح من أكياس الأدوية وما تحويه من بضاعة الشر . ووقف أهل القرى فى الظلال بين الأكواخ ، فقد كانوا يريدوننى أن أخزى السحرة على أعين الناس . ولكنهم كانوا يخشون أن

يغلبنى السحرة ، ثم ينقلبوا فينكلوا بهم .

« وضعت راحتى على فم أقرب السحرة إلى ، وأخرجت بيضة كسرتها بيدى ورفعت أمام عينيه فرُّوجاً حياً ، ثم صحت بالناس : أرأيتم ؟ إن سحره يجلب الموت ، وأما سحرى فيجلب الحياة . ودفعت فى الهواء حلقات منفصلة من المعدن ، فلما التقطتها كانت سلسلة متماسكة ،فقلت: « اكسروها » فعجزوا عن كسرها . وهمَّ أحد السحرة فأ كل جمرات داخنة ، أما أنا فملأت فمى جازاً من مصباحى وأمسكت بيدى عوداً مشتعلا أمام فمى وصرت أنفخ لهباً متصلا على هذا الساحر حتى شبت النار فى معطفه،فعدا وهو يشتعل إلى النهر » .

وختم هيفورد حديثه فقال : « أما الآن فأنا الساحر ، ولكن سحرى فى الحقيقة ليس سوى خدع لاتؤذى » .

وقبل أن أبرح القرية ، أردت أن أوزع الهدايا ، وكان بين السلع التى أخذتها معى سترات قرمزية قد اشتريتها من مخلفات الجيش ، فأشار هيفورد على : « خير لك أن تخص الشيوخ بها ، فيعلو مقامهم فى عيون أهل قراهم » . فدعونا الشيوخ وخلعنا عليهم هذه السترات القرمزية ، فوقفوا كالرماح فى ساحة دارى ، وقد زُرّت السترات الحمر على صدورهم المفتولة العضل ، وكانت النساء الواقفات عند حافة الساحة تهمهم بعبارات الإعجاب .

بيد أنى ادخرت لهيفورد شيئاً أفاجئه به: معطف أمير البحر وقد وشيت كتفاه بالذهب وزين سائره بجدائل الذهب ، فأخذه منى بيدين مرتعشتين ولبسه ، فكاد يكون على قدّه ،وحاول أن يخفى عبراته ، ثم تهادى جيئة وذهاباً أمام صف الشيوخ .

وقال: « إنكم تلبسون الآن سترات رجال كانوا زعماء عظماء لما تحلوا به من شجاعة وحكمة، فينبغى لكم أن تنهجوا نهج الشجاعة والحكمة مع أهل قراكم »

وقد بدا المشهد آية مسلية : صف الشيوخ وسراويلاتهم متجمعة تحت ستراتهم الحمر المهندمة وعلى وجوههم المتفصّدة بالعرق ابتسامة الارتياح ، وهيفورد فى سترة أمير البحر يتحرك ذيلاها فيضربان ساقيه وتتراقص خيوط الذهب على كتفيها ، وهو يروح ويجىء أمامهم يخطبهم فيما يجب عليهم حتى يكرّموا السترات التى يلبسونها .

ولكننى لم أر المشهد آية مسلية ، فهذا الشيخ العظيم قد أحال قبيلة البولو قوماً يعيشون فى رضى وسلام ، وقد قضى ١٨ عاما وهو أ كبر من معلم وقاض ، فإن « خدعه التى لاتؤذى » كانت السحر الساحر القوىّ .

سوف يدهشك ما تلقى نفسك قادراً عليه إذا :

جعلت الحياة مغامرة

ستيوارت تشيس

مختصرة من مجلة " ذى روتيريان "

مهما تواجهنى حادثة جديدة يبدو لى لأول وهلة أنها ستورثنى صداعاً أوما هو شر منه ، أقول لنفسى: خلها مغامرة! وهذه فرصة لتوسيع أفق التجربة ، فامض وعالج هذا الذى لم يسبق لك به عهد !

كان علىّ منذ سنوات ، أن أخطب جمعاً كبيراً من معامى المدارس في مياووكى ، ولم أكن واجهت مثل هذا الجمع من قبل ، وكان يخيل إلى أن الوجوه المرفوعة إلىّ تمتد إلى الأفق ، ولما لم يكن ثم سبيل إلى التراجع ، فقد احتجت أن أتشدد وأتماسك، فتنفست نفساً طويلاً وذكرت نفسى فى صراحة بأن هذا شىء جديد ميسّر ، وأن مثل هذه الفرصة لاتتاح لكل أحد ، وأنت يابنى تعرف ماتنوى أن تقول ، وهكذا تقدمت بجأش رابط إلى المكروفون وقد صح عزمى على الاستمتاع بهذا الشعور الجديد الرائع . وقد استمتعت به فعلا !

جرب اتخاذ هذا الموقف حين يكون عليك أن تواجه جمعا من الناس لاتريد أن تواجهه ، وقرر أن تستمد قوة جديدة من الموقف ، وأنت خليق أن تجد أنه على الرغم من الدقائق الأولى القليلة المحرجة ، يوجد شعور جديد بالثقة والقوة .

ولن أنسى بسرعة ذلك الصباح فى إبان الحرب حين تولينا محطة المراقبة الجوية المحلية فى الساعة السادسة صباحاً ، ودرجة الحرارة عشرون تحت الصفر ، والرياح تعصف ، فما شعرت قط بمثل ماشعرت به حينئذ من البرد والألم ، وقلما رضيت عن نفسى كما رضيت يومئذ بعد أن انتهينا من الأمر ، لأنى مضيت فيه وقمت به . وفى مرة أخرى كنت كبير مراقبى الغارات ، فأحسست فى البداية أنى كالمغفل ، وكثيراً ما كنت أشعر بأن بدنى فى غاية الاضطراب، وكذلك عقلى أحياناً . فقد كان هناك تصنّع أو تمثيل كثير، ولكن ألفيتنى فى النهاية أقرب إلى جيرانى ، وأفدت من الخبرة ببلدتى فوق ما أفدت فى السنوات الاثنتى عشرة السابقة ، وأرتنا هذه التجربة ما تستطيع جماعة من الناس أن

تقوم به فى باب التعاون ومساعدة النفس ، وذابت الغيرة والخصومات والعداوات القديمة فى العمل فى سبيل غاية مشتركة .

وكلما ازداد مايكتسب المرء من التجارب صار اتصاله المباشر بالعالم أوثق وأرحب ، وحياته أحفل وأعمق معنى ، وصار هو أقدر على معالجة الحياة فى عالمه . أما إذا أحجمنا عن تجربة أمر جديد ، فإننا لاننمو أو نكبر قط ، ونحرم أيضاً كثيراً من المتعة . ولهذا أقول خذ ما يجىء وحاول أن تستفيد منه مزية . حاول أن توسع فهمك بأن تصنع أنت الشىء بنفسك ، ولا تفر من شىء . ولاتتلق تجربتك من طريق السنما والراديو.

منذ بضع سنوات شاهدت جمعية العاملين ساحة التنس عندى ، واقترحت أن أتولى تدريب فرقة ممن تبلغ أسنانهم الثانية عشرة على اللعب ، وقالوا لى بلطف إن واجبى هو هـذا . فهالنى الأمر فى البـداية ، وأشفقت أن يفسـد هؤلاء الصغار أرض الساحة ، وأن لا يعبأوا شيئاً بما أقول . وتساءلت فيما بينى وبين نفسى : كيف نعلم الصغار اللعب ؟

واستقر عزمى على أن أعلمهم أولا آداب التنس — وهى شديدة الاختلاف عن آداب الألعـاب الأخرى . ويقضى قانون التنس بأن يكون خصمك دائماً مصيباً ، وأنه يجب أن يهنأ باستمرار بصوابه . ولم أكن فكرت فى هذا من قبل ، فصرت وأنا المعلم ، أتعلم حتى قبل أن أشرع فى التعليم ، وظللت أتعلم. فلم تفسـد ولم تخرب أرض الساحة ، بل تعهدها التلاميذ بعناية وحذق ، وصاروا يعنون أشد عناية بما أقول ، ولم يبتسموا حين قلت: « هذه هى الطريقة المثلى لإرسال الكرة » ، وقذفت بها فوقعت فى الشبكة !

وحاول أن تتغلب على خوفك من المجهول وقد تغلبت على فزع خفيف كان يساورنى من الثعابين بأن درست أولا خصائصها فى الكتب ، ثم راقبتها فى حدائق الحيوان، وأخيراً بأن تركت ثعباناً أليفاً طوله ست أقدام يزحف على جسدى كله على مرأى من حفل فى حجرة ، لأتشجع وأثبت . وقد تغير رأيى فى الثعابين ، وتحررت تحرراً تاماً من خوف شديد لا سند له من العقل .

وأعرف سيدة بلغ من افتتانها بأحفادها أن لجت بها الرغبة فى درس نفسية الطفل درساً علمياً وافياً ، فقرأت كثيراً من الكتب والمقالات ، ولكنها لم تنلها ما تبغى . وكان فى مدرسة قريبة فصل للمتخرجين يدرس فيه منهج لهم خليق أن يكون أنفع ، فهل تلتحق به ؟ لقد كانت الفكرة مفزعة لها . هل تجتاز امتحان الدخول ؟ وهل يسخر منها الطلبة ؟ وهل يتثاءب الأساتذة ؟ وهل

فى وسعها أن تؤدى الواجبات المدرسية فى البيت بعد ثلاثين عاماً ؟

ولكن عزمها استقر على أن تقدم وتغامر، فاجتازت امتحان الدخول بسهولة ، وأعجب بها الطلبة ، ووجدت أن الواجبات المدرسية فى البيت لذيذة ومنعشة ، واغتبط الأساتذة إذ رأوا طالبة تعرف بدقة ماتبغي أن تتعلم . وهى الآن تستعد لتلقى مناهج أخرى بعد أن يخف ضغط الطلبة العائدين من الجيش .

ولعل أغرب مغامراتى كانت حين أصيب صديق حميم لى بانهيار أعصابه، فلجأت أسرته إلىّ لأشرف على أعماله وشئونه ، وكان الهبوط والكساد قد جعلها فى حالة سيئة . وكان هــذا أثقل ماتوليت ـــ فمن محامين ومصارف ومحـــاكم ورحلات إلى ولاية تكساس ، إلى بيوع وعقود ناقصة ، وضياع وقت بلاحساب أو حدّ، ومتاعب بلاتعويض أو مكافأة .

على أنى فزت بمكافأة من نوع آخر من هــذه التجربة الجديدة ، فقد تعلمت شيئاً كثيراً عن آبار الزيت ، وكيف تجتذب رجال المصارف وتظفر بموافقتهم ، ولماذا ينبغى أن يعد كل امرىء وصيته . وقدقابلت شخصيات عجيبة ، واكتسبت صديقين دائمين على الأقل ، وانفتحت أمامى ناحية جديدة كل الجدة من الحياة الأمريكية .

وقد ألف تشيكوف فى حياة أناس من أوساط الناس ، أقاصيص من خير ما أخرج الناس فى كل زمان . ومن ذا الذى يستطيع أن يعرف سلفاً أين تختبىء التجربة ، والمتعة والأسرار ؟

وعلى ذكر ذلك أقول : إذا أردت أن تحول حديثاً مع رجل مملّ إلى حوار منعش ممتع ، فابحث عما يعنى به ويهتم له وشجعه على الكلام فيه ، وأنا إذا وجدت نفسى مع رجل فاتر مضجر في وقت العشاء ، على ظهر سفينة أو فى مركبة بولمان ، لا أزال أبحث وأتقصى حتى أهتدى إلى ما يعنى به ـ كلاب الصيد ، أو شعر تشوسر ، أو علم النفس، أو الطائرات الصاروخية ـ ثم أدعه يتدفّق وحينئذ أستمع .

إن الجنس البشرى فى هذا العصر الذرى يجتاز امتحاناً ، فإذا أريد للإنسان أن ينجح لا أن يخفق إخفاقاً محزناً ، فإن عليه أن يجرب ، وأن يتدبر ، ويفكر ويبتكر مواقف جديدة ، أشــدّ مما فعل من قبل . ولابد لملايين البشر من أن يتناولوا الأمور بعقول واسعة مستعدة للتجريب، إذا أريد لجنسنا أن يهتدى إلى الطريق المفضى به إلى البقاء . وإن هذا لتحدّ عظيم. نعم ، ولكنه مغامرة عظيمة تنتظرنا أيضا !

فتعالوا بنا ، ولنخرج إليها ، ولنواجهها !

أيقاوم اليابانيون دعاية السوفيت بعد أن ذاقوا طعم الديمقراطية تحت ظل حكم ماك آرثر ؟

التراب الأحمر فى

اليابان

جيمس موناهان

مختصرة من مجلة " ذى نيشيو ليدر "

أصبحت اليابان فى السنة الثانية من عهد احتلال الحلفاء معتركا لمذاهب السياسة والاجتماع . وقد كانت روسيا السوفيتية مصدر التحدى الذى وجه إلى ما تبذله أمريكا من مساع لتنشئة الديمقراطية فى اليابان . ومايسفر عنه هذا النزاع ، خليق بأن يفصل فى هل تصير اليابان « حصناً من حصون السلم أو تنوراً تستطير منه شرارة الحرب » ، على حد تعبير الجنرال ماك آرثر .

ولن يفصل فى ذلك سوى أهل اليابان . ويرى بعض متتبعى الحالة هناك أن الديمقراطية اليابانية الناشئة ليست الآن كفؤاً لذلك . ويرى غيرهم ، من أمريكيين ويابانيين ، أن جذور الديمقراطية فى اليابان ، على حداثة عهدها ، جذور قوية ممتدة فى أرض بلغت مبلغاً وافياً من الخصب .

وقد أتم ماك آرثر فى السنة الأولى من عهد الاحتلال ، ما يكاد يكون معجزة . فقد دمرت البقية الباقية من اليابان العسكرية ، وسرح ستة ملايين من الجند دون أن يقع حادث يذكر ، وأقصى موقدو الحرب وأنصارهم عن جميع أبواب الحكم ، ومزقت أوصال الاقتصاد الحربى ، وعهد إلى لجنة التعويض من الحلفاء بالتصرف فى أشلائه الضخمة . وقد بدأوا فى الوقت نفسه إنعاش تجارة اليابان الخارجية كما كانت زمن السلم ، وجُعل استكفاء اليابان بنفسها غرضاً لها ، وأخذ اليابانيون ينظرون إلى المستقبل نظرة أمل ورجاء . وعلى ما يستبدُّ بأنفسهم من سخط على الطغمة العسكرية القديمة وكل ما يلوذ بها ، وبرغم الجوع والفاقة ، ترى نفوسهم اليوم قد ألهبتها صورة مثل جديد من المثل العليا . فقد كانت الديمقراطية شيئاً لا يفهمونه سوى بعض الفهم ، ولكنها اليوم تمهد لهم سبيل السلام والحرية .

ويقول ماك آرثر : إن هذه الثورة الروحية بين اليابانيين « لا عهد بمثلها فى تاريخ الاجتماع

فى العالم » . فإذا لقيت تشجيعاً وأتيحت لها فرصة النمو ، كان فى وسعها على رأيه أن تصبح أرسخ بنياناً من الأساس الذى قام عليه فيما مضى إيمانهم الباطل .

واليابان الجديدة صنع ماك آرثر على الأكثر ، فهو القائد الأعلى للدول المتحالفة ، ولكنه اطّرح كلّ رأى معهود فى أصول الحكم العسكرى ، وأنشأ مقر قيادته فى طوكيو ، وجعلها حينئذ توجّه وتشرف ، وأمر اليابانيين أن يتولوا بأيديهم إصلاح أمرهم . وقد كان أول توجيه أصدره منح الشعب اليابانى « وثيقة حقوق » تضمن له حرية العبادة والصحافة والكلام والاجتماع ، وحقوق تنظيم العمال والأحزاب السياسية . وقد أمر بوضع دستور جديد ، وطالب بحق الانتخاب للنساء ، وطلب إجراء انتخاب عام عاجل لبرلمان جديد ، وأمر بإجراء إصلاح شامل فى نظام التربية ، ووعد بتوزيع الأرض على الفلاح المستأجر المضطهد ، وأمر بحل « سيباتسو » على الفور ، وهى شركات الأسر التى تهيمن على ثروة اليابان ، وقد قالت صحيفة نيويورك تايمز فى الربيع الماضى: « إن اليابان هى الأمل المشرق المرجوّ خيره من بين جميع حكومات الحلفاء العسكرية فى البلاد المغلوبة أو المحرّرة » .

ومع ذلك فأنت ترى اليوم أن النزاع الذى جعل أوربة بعد الحرب كابوساً يقض المضاجع ، قد أخذ يعصف باليابان . وقرب قيام يابان ديمقراطية مستقلة قوية ، قد أثار عداء روسيا السوفيتية . وكذلك ترى أن اليابان قبل أن تتمكن من تعزيز الديمقراطية فيها ، قد باتت تتنازعها قوتان فى اتجاهين متقابلين ، وكلتا القوتين تعدها بتحقيق مثل الحرية ، فصارت مضطربة متحيرة .

وقد تريث بعد التسليم الزعماء الذين لهم إلمام بأساليب الديمقراطية ، قبل أن يخرجوا من ظلمات الانهيار الذى ألم بالنظام الجامع ، فتقدم إلى الميدان فريق آخر من الزعماء كان قد أُعِدّ لاغتنام الفرص . وما أفرج عن المعتقلين السياسيين حتى نشطت الجماعة الآخذة بالنظريات الشيوعية وعلى رأسها كيويشى طوكودا . وبعد أشهر أعيدت إلى اليابان من الصين جماعة ينان الشيوعية وعلى رأسها سانزونوزاكا الذى دُرِّب فى موسكو ، فأفضى ذلك إلى قبض الشيوعيين على زمام حركة العمال والإذاعة والصحافة .

فما وافى شهر يناير ١٩٤٦ حتى كانت أوسع الصحف انتشاراً فى طوكيو وأوزاكا ، وبعض صحف الأقاليم الصغيرة ، قد انحازت انحيازاً بيناً إلى اليسار ، أما الصحف التى لم تجهر بميلها إلى الشيوعية فقد أيدت قضايا الشيوعيين . وقد عمد موظفو الصحف

اليومية الثلاث الكبرى فى طوكيو، إلى طرد أصحابها وكبار محرريها بحجة أنهم من «مجرمى الحرب» ، وتولوا الهيمنة على سياستها. وقد ظل العمال يلجأون إلى هذا السلاح بدلا من الإضراب المعهود إلى أن حرمته الحكومة .

وقد استولى أهل اليسار على جمعية الناشرين القوية، وسيطروا على توزيع الورق، فصار لهم سلطان الموت أو الحياة على كل صحيفة وكل مجلة تقريباً فى اليابان ، فإذا وجدوا أن سياسة أحد المحررين لا تميل ميلاً كافياً إلى اليسار ، وصموه بأنه « رجعى » أو « مجرم حرب » ، ومنعت عنه حصته من الورق ، ونبتت فى الوقت نفسه مجلات جديدة كما ينبت الفطر بين عشية وضحاها ، وكان معظمها مروجاً لمذهب ماركس ولينين.

وقد تردّدت قيادة ماك آرثر فى أول الأمر فى أن تتدخل فى أمر يلوح أنه يمس حرية الصحافة ، والحقيقة أن بعض الذين يعطفون على الشيوعيين من أصحاب المناصب الكبيرة فى القيادة الأمريكية، كانوا يشجعون فى الخفاء أهل اليسار من اليابانيين . فلما عرضت حقيقة الحال على ماك آرثر، عهد بتوزيع الورق إلى جماعة من أهل الثقة ، وأعيد بعض الأمريكيين إلى بلادهم ، وتلقى القائمون بنشر الصحف والمجلات فى اليابان تحذيراً صارماً فى واجبات الصحافة الحرّة وتبعاتها .

ولكن مضت شهورٌ حتى تمكن رجال القيادة من ردع المسيئين من المشتغلين بالإذاعة، فلما فعلوا كان رجال شركة الإذاعة اليابانية ، وهى شبيهة بالرسمية ، قد ملأوا أمواج الأثير بحملات عنيفة على الرأسمالية ، وبإذاعات بالغوا فيها فى تصوير الصراع بين العمال وأصحاب الأعمال ومديريها، بل شرعوا يذيعون سلسلة من المحاضرات عن حياة كارل ماركس ، حتى صار اليابانيون (الذين يؤدون الأجور التى تتيح لهم فرصة الاستماع) يشكون من أنهم لا يكادون يفتحون أجهزتهم حتى يسمعوا دعاية شيوعية، ولكنّ الرقابة على ما يذاع قد أخذت تشتدّ منذ يوليو ١٩٤٦ . وعلى أن المعقبين على الأخبار لا يزالون يقرّعون الحكومة و «الرجعيين» ، فإنّ برامج الإذاعة صارت أدنى إلى التوازن فى عناصرها .

فلما دعا ماك آرثر إلى إجراء انتخاب عام فى أوائل ١٩٤٦ ، سرى الذعر بين أهل الجناح الأيسر ، فكان ذلك باعثاً على الدهشة لما لهم من سيطرة على الرأى العام ، وقد رفعوا عقيرتهم بأن « الأساليب الديمقراطية لا تزال غريبة على اليابانيين » ، فكان قولا متهافتاً ، لأن أية حكومة جديدة يسفر عنها انتخاب حُرٌّ خليقة أن تكون أفضل من البرلمان الذى لم يزل قائماً منذ زمن الحرب ،

ومن الوزارات المرتجلة التى توالت بعد التسليم.

ولكن ماك آرثر أصر على رأيه ، فالانتخاب العام واشتراك النساء فيه كان قاعدة وأصلاً فى خطته، وخير طريقة لتعريف اليابانيين بالديمقراطية ،هى فى رأيه أن تدعهم يمارسون أساليبها .

وقد سبق الانتخاب الذى تمّ فى ١٠ إبريل سنة ١٩٤٦ نشاط سياسى لم يسبق له مثيل فى تاريخ اليابان ، فذهب اليابانيون إلى أقصى حدٍ فى ممارسة حقوق التنظيم السياسى والاجتماع العام وحرية الخطابة والصحافة ، وكان عدد الناخبين الذين اشتركوا فى الانتخاب أعظم عدد سجل فى انتخاب عام عند اليابانيين . وقد أسفر الانتخاب عن فوز الحزبين المحافظين ، فقد ظفر بمئتين وثلاثة وثلاثين مقعداً ، وظفر الاشتراكيون الديمقراطيون بأربعة وتسعين مقعداً ،وظفر حزب التعاون (وهو اشتراكىٌّ معتدل) بسبعة عشر مقعداً ، وظفرت طائفة من الأحزاب الصغيرة بخمسة وثلاثين مقعداً ، ونال المستقلون ثلاثة وثمانين مقعداً ، وأما الشيوعيون فقد ظفروا بخمسة مقاعد .

وعلى أثر الانتخاب أخذت طائفة من الصحف تميل عن اليسار المتطرف ، فقلقت روسيا السوفيتية مما رأت وعزمت على وقفه . ومن ثم أخذ رجال الصحافة والإذاعة ، وخطباء الشوارع يضربون على نغمة واحدة : « إن الديمقراطية من الضرب الأمريكى لا تصلح إلا للرأسماليين ومُلاك الأراضى وأصحاب المصارف ، وأما الديمقراطية السوفيتية فهى للفلاح والعامل والعامة فى كل مكان » ، وكذلك نشبت الحرب بين مذاهب السياسة والاجتماع .

وإنك لترى الشعب اليابانى اليوم يعانى ضغطاً قوياً من ناحية اليسار ، وقلما يعنى أحد بأن يخفى أن موسكو هى مصدر هذا الضغط . وهو ضغط لا ينفك له أثر فى ناحيتين: ضغط صريح فى مجلس الحلفاء فى طوكيو ، وضغط خفىٌّ على الرأى العام من شأنه أن يبلبل عقول جماهير اليابانيين ويحرك كوامن سخطها .

أما من ناحية السياسة العليا، فترى لحكومة السوفيت بعثة سياسية تمثلها ، وهى بعثة تحرص على آداب الدبلوماسيين ولكنها ضخمة يبلغ عدد الموظفين فيها خمسمئة، وعلى رأسها الجنرال كوزما دريفيانكو ، على حين ترى أن عدد الموظفين فى البعثة التى تمثل جامعة الأمم البريطانية لا يزيد على اثنين وثلاثين . وليس للروس عمل يؤدونه فى احتلال اليابان ، ويكاد عمل دريفيانكو ينحصر فى تسديد سهام النقد السوفيتى إلى خطط ماك آرثر فى الاجتماعات التى يعقدها

المجلس مرتين كل أسبوع ، وهى سهام يتولى توقيها وردها جورج آتشيسون مندوب ماك آرثر فى المجلس .

وأما الناحية الأخرى ، فإنك تجد أساليب السوفيت أوقع فى النفس وأجدى . فمحطة الإذاعة الروسية القصيرة الأمواج القائمة فى سيبيريا ، توجه كل يوم إلى اليابان نقداً شديداً لماك آرثر ووابلا من الشتائم للحكومة . وعدد الذين يملكون أجهزة استقبال تستطيع أن تلتقط الأمواج القصيرة أقل من خمسمئة فى اليابان ، ولكن الطرق ممهدة لنقل هذه الدعاية إلى أذهان اليابانيين ، فلا ينقضى يوم أو يومان حتى ترى أصداءها تتردد فى صحف اليسار اليابانية .

ودراسة دعاية السوفيت لاتدع مجالا للريب فى أغراضها ، فكل شىء لا يصدر عن الجناح الأيسر يوصم بأنه «رجعى» . وهذا الدستور الجديد ــ الذى يقرر تقريراً واضحاً سيادة الشعب ، وأن البرلمان المنتخب انتخاباً حراً هو السلطة السياسية العليا فى البلاد ــ تراه قد وصف بأنه ميثاق زائف محشو بالمعانى المستترة .

ويقال للشعب إن حكومته « الرجعية » المتواطئة مع الملاك قد عطلت مشروع إصلاح توزيع الأراضى ، والحقيقة أن التدابير اللازمة لاستئصال النظام الإقطاعى الخاص بالزراع المستأجرين ، قد قطعت شوطاً كبيراً ، وهى تدابير تمكن ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ من الزراع المستأجرين ، لأول مرة فى التاريخ ، من الحصول على الأرض بثمن قليل وشروط هينة ، وعلى جناح السرعة .

وكانت التهم التى تكال للحكومة بأنها تحمى « زايباتسو » أو « عصبة المال » ، وتتنكب طريق الإصلاح الاقتصادى ، تذاع فى الفترة التى شهدت تصفية « شركات الأسر » الضخمة ، وعرض مشروع قانون على البرلمان بفرض ضريبة على رؤوس الأموال تصادر بمقتضاها ٩٠ فى المئة من ثروات الأفراد ، ونظر مشروع آخر يقضى بإلغاء غرامات الحرب المستحقة للمصارف والصناعة الخاصة والتى تبلغ ألف مليون ريال .

وفى طوكيو مجلة لا نعرف الموارد التى تمدها بالمال ، واسمها « الثقافة السوفيتية » ، وهى أصرح قولا من معظم المنشورات الشيوعية . وهى تؤكد لقرائها أنك « لن تجد بطالة فى روسيا » ، وأن الأسعار فى روسيا رخيصة والبضائع وفيرة ، ولكيلا يفوت الجياع العاطلين من اليابانيين معنى هذه الأقوال ، ترى المجلة قد وضحت مغزاها فى مقال افتتاحى جاء فيه : « إن تعمير اليابان لن يتم بالاقتصاد الحر أو النظام

الرأسمالى ، فيبنغى لليابان أن تتطلع إلى ثمرة التجربة السوفيتية » .

وتجد فى مدينة طوكيو ومدينة كيوتو العريقة فى الثقافة ، مدارس زاخرة يديرها الحزب الشيوعى ، ورجالها ممن تعلموا فى موسكو ويناف وتخصصوا فى تدريب عمال الحزب ومنظميه . ومنهاج هذه المدارس حافل بدروس الدعاية والتنظيم السياسى والتغلغل الخفى .

ويتساءل كثير من اليابانيين : لِمَ لا يضع الأمريكيون حداً لهذه المساعى ؟ أما الجواب فهو أن النظام الديمقراطى لا يمنع المعارضة المتطرفة التى تناهض النظام القائم من حق الجهر برأيها ولا من النقد وتهييج الخواطر ولو شوهت الحقائق ، وعلى كل امرىء أن يميز الحق من الباطل . أما أن تخنق الصحافة ، وتغلق المدارس ، وتضطهد الشيوعيين ، فتلك طريقة الحكم الجامع اليابانى و « الديمقراطية » السوفيتية .

وماك آرثر عارف بما يتم ، بيد أنه لم يزل على اقتناعه بأن الديمقراطية الصحيحة ستجتاز العاصفة بسلام . وقد أمر معاونيه أن يخففوا جهدهم من الرد على الدعاية بمثلها ، وأن يجعلوا همهم إقامة الدليل على نفع الديمقراطية فى حياة الناس . وهو لا يخشى أحزاب اليسار التى ليست شيوعية ، ولم يحجم فى بعض الأحيان عن أن يحيد عن السنّة الأمريكية المتبعة ، كالبحث فى تحويل المناجم ملكاً للأمة إذا رأى أن ذلك ينفع اليابان ، ولكنه كشف لليابانيين عن خوفه من «أن يعثر شعب طال زمن خضوعه لفلسفة متطرفة فى المحافظة ، فيقع فريسة سهلة لأولئك الذين يحاولون أن يخضعوه لفلسفة اليسار المتطرف » .

فى الصيف الماضى أجرت صحف أساهى استفتاءً دلّ على أن أحزاب المحافظين قد فقدت كثيراً من منزلتها منذ تمّ الانتخاب العام ، ولكن ما خسرته نال أكثره الاشتراكيون الديمقراطيون ، وأما الشيوعيون فلم ينالوا منه سوى شىء قليل . وقد أبى الاشتراكيون حتى الآن كل دعوة وجهها إليهم الشيوعيون لإنشاء «جبهة ديمقراطية» ، وهم فى نظر عدد من أهل الرأى الحزب المرجو للسير باليابان فى الطريق الوسط المفضى إلى برّ الأمان .

وهناك دلائل تدل على أن اليابانيين سيهتكون القناع عن أباطيل « الديمقراطية السوفيتية » ويتجنبون اليسار المتطرف . ولعل ذكريات المحن فى ظل طغيان سابق ، تنقذ اليابان من العبودية فى ظل طغيان آخر .

درس من فنان

ستيفان زفايج

مختصرة من مجلة "كاثوليك ورلد"

كنت وأنا فى الخامسة والعشرين من عمرى فى باريس ، أدرس وأعالج الكتابة ، وكثر ثناء الناس على ما أنشر من فصول الأدب ، وكنت أنا نفسى معجباً ببعضها . بيد أنى كنت أشعر فى قرارة نفسى أنه كان فى وسعى أن أكتب خيراً مما كتبت ، غير أنى لم أكن أستطيع أن أتبين مكان الضعف فيها .

ثم جاء رجل عظيم فألقى علىّ درساً عظيماً : كان من الأحداث التى تبدو للمرء قليلة الخطر ، ولكنها تنتهى إلى أن تكون تحولا حاسماً فى حياته كلها .

كنت ليلة فى دار فرهيرن الأديب البلجيكى الذائع الصيت ، فسمعت مصوراً طاعناً فى السن يرثى لفن صناعة التماثيل وما صار إليه من انحطاط . ولما كنت يومئذ شابًّا متحفزاً للنضال ، فقد عارضته الرأى معارضة عنيفة ، وقلت : أفليس فى الناس ، وفى هذه المدينة خاصة ، مثّالٌ يضارع ميخائيل أنجلو ؟ وهذا رودان المثال الفرنسى ، أفلا تظن أن تماثيله « المفكر » و « بلزاك » سوف يبقيان على الدهر بقاء المرمر الذى صنعا منه .

فلما سكنت فورة حديثى ربّت فرهيرن على كتفى مداعباً وقال : « سوف أذهب غداً لأزور رودان ، فتعال معى ، فكل امرىء يحب رجلا كحبك ، فمن حقه أن يزوره ويلقاه » .

فاستخفنى الفرح ، ولكن ما كاد فرهيرن يقدمنى فى اليوم التالى إلى رودان حتى احتبس لسانى فلم أنطق . فلما انطلق الصديقان القديمان يتجاذبان أطراف الحديث رأيتنى بينهما كالمتطفل الثقيل عليهما .

ولكن أعظم الناس شأناً هم أرق الناس قلوباً ، فحين انفتلنا لننصرف ، التفت إلى رودان وقال : « أظنك تحبُّ أن ترى تمثالا أو تمثالين من صنع يدىّ ، ولكن أخشى أن لا يكون عندى منها شىء . فتعال يوم الأحد لنتغدى معاً فى دارى بقرية مودون » .

وبلغت داره الريفية الحسنة البسيطة ، وقُدم إلينا طعامٌ حسنٌ بسيطٌ . وسرعان ما اصطلحت نظرات عينيه الوادعتين ورقة

حاشيته على نفي الدهشة والحيرة على نفسي .

فلما دخلنا غرفة عمله ، وهي بناء ساذج له نوافذ رحيبة ، رأيت تماثيل تم صنعها ، ومئات من قطع صغيرة مصنوعة من الصلصال لم تتم — ذراع ، أو يد ، أو إصبع ، أو مفصل إصبع ، ورأيت تماثيل بدأ في صنعها ثم هجرها ، ومناضد عليها أكوام من الرسوم . إنه مكان يوحي إليك بأن صاحبه قد أنفق العمر في عمل دائب وتطلع لا يهدأ .

لبس رودان مئزراً من الكتان ، فإذا هو في عيني رجل من العمال . ثم وقف أمام قاعدة لتمثال ، وقال لي وهو يميط مُلاءة ندّية عن بدن امرأة أبدع صوغه من الصلصال :

« هذا آخر ما صنعتُ ، وأظنه قد أشرف على التمام » .

وإذا هذا الشيخ الوثيق التركيب العريض المنكبين الذي اشتعل الشيب في لحيته ، يرتدّ خطوة لينعم النظر إلى صنع يده ويقول :

« أجل ، أظنه قد تمّ تمامه » .

وما هي إلا نظرة فاحصة حتى غمغم يقول : « هنا ، على منحنى المنكب شيء من الجمود . هل تأذن ؟ »

ثم تناول شفرة مصنوعة من الخشب ومر بها مراً رفيقاً على الصلصال الناعم ، حتى صقل المنكب وتلألأت عليه نضرة اللحم الحيّ . وإذا عنفوان الحياة يدب في يديه القويتين ولمعت عيناه وهو يقول : « وهنا . . . ثم هنا . . . » وعاد يغير شيئاً هنا وشيئاً هناك . ثم ارتد خطوة ، وبعد قليل أدار قاعدة التمثال وهو يحمحم بصوت أجش ، وبرقت مقلتاه فرحاً ، ثم انعقد ما بين حاجبيه كدراً ، وأخذ قطعاً صغيرة من الصلصال وجعل يعجنها بأصابعه ، ويضع بعضها على التمثال ويزيل بعضاً منها بشفرته .

وظل على ذلك نصف ساعة ، ثم ساعة . . ومضى لم يكلمني قط كلمة ، فقد ذهل عن كل شيء إلا عن طيف الصورة الرائعة التي يريد أن يصوغها . كان فناناً قد استغرقه فنه .

وأخيراً تنفس الصعداء مرتاحاً ، وألقى شفرته جانباً ، ولف الملاءة الندّية حول التمثال بيد رفيقه كأنه عاشق يضع المعطف على كتفي حبيبته . ثم دار لينصرف ، وعاد كما كان ذلك الشيخ الضخم الوثيق التركيب .

وما كاد يبلغ الباب حتى وقعت عينه عليّ ، فحدّق فيّ واجماً . لم يتذكر وجودي إلا عندئذ ، فانتفضت نفسه أسفاً لما كان من جفائه ، وقال : « سامحني يا ابن أخي ، لقد أنسيتك كل النسيان . وأنت تعلم . . . » فأخذت يده بين يدي وشددت عليها شاكراً له . ولعله أدرك طرفاً مما كنت أشعر به ،

فقد رأيته يبتسم ، ووضع يده حول منكبي ونحن فى طريقنا إلى خارج الغرفة .

ويومئذ تعلمت شيئاً أعظم من كل ما تعلمته فى المدارس . فمنـذ ذلك اليوم عرفت كيف ينبغى للمرء أن يصنع الشىء الذى يريد صنعه ، إذا سرّه أن يكون عمله متقناً حقيقاً بالتقدير .

لم تثر كوامن نفسى قط كما ثارت حين عرفت أن الإنسان قد يستغرقه عمله حتى ينسى الزمان والمكان والعالم الذى حوله . وفى تلك الساعة أدركتُ سرّ الفنون جميعاً، وسرّ الأعمال المجيدة التى قام بها البشر — حصر الذهن ، وحشد المرء كل قواه لإنجاز العمل الذى بين يديه صغيراً كان أو كبيراً ، وقدرة المرء على أن يلمّ شعث إرادته ويوجهها إلى إتمام شىء واحد .

وعندئذ أدركت ما كان ينقصنى فى إجادة عملى — تلك الحماسة التى تمكن المرء من أن ينسى كل شىء سوى طلب الكمال . فينبغى للمرء إذن أن يكون قادراً على أن يفنى فيما يعمل . فذلك هو سرّ النجاح ، كما أعلم الآن ، ولا سرّ سواه .

اللبـاقة براعـة تكسـبك الظفر
فى الجدال دون أن تكسبك عدوًّا .
[هوارد نيوتن]

المتصابية

لبست سيدة أمريكية بدينـة ثوباً أحمر فاقعاً وتختمت بالماس وذهبت إلى فنان اشتهر بابتكار الأزياء لملابس النساء وسألته : « مستر ورث ، أىُّ الألوان أفضل لى ؟ » فصعّد الرجل نظره فيها وصوّب ثم قال : « سيدتى العزيزة ، لما خلق الله الطائر الطنّان والفراشة جعل أثوابهما ناضرةً زاهية ، بيد أنه لما خلق الفيل جعل لونه أغبر كالثرى » . [كتاب « شخصية الملابس »]

قال أبو عبيدة : أجريت الخيل فطلع منها فرس سابق للخيل فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح ، فقال له رجل بجانبه : يا فتى ، هذا الفرس فرسك ؟ فقال : لا ، ولكن اللجام لى . [عيون الأخبار]

بيفن: حياته وسياسته

ألن ميكى

ليس في ميدان السياسة البريطانية رجال يضارع تشرشل في تنوع المواهب وقوة التأثير في الناس سوى إرنست بيفن، ذلك الرجل العصامى الضخم الجثة القوى الشكيمة، الذى كان رئيساً لاتحاد بعض نقابات العمال فأصبح وزيراً لخارجية بريطانيا، والذى يردّ إليه الفضل، إن صدقاً وإن كذباً، في توجيه سياسة وزارة أتلى، لا في الشئون الخارجية وحدها بل في الشئون الداخلية أيضاً.



أقوى الرجال نفوذاً
في وزارة العمال البريطانية

وتتداول الألسنة نكتةً قد يكون فيها شيء من المبالغة ولكنها تدل على الرأى السائد بين الشعب، فيقال: «إن أتلى يلقب برئيس الوزراء، وموريسون يظن أنه رئيس الوزراء، أما بيفن فهو رئيس الوزراء».

وقد واجه حزب العمال، حينما تولى الحكم، ما يُسمى بمعركة بريطانيا الثانية إذ كانت تتهيأ لمعركة أخرى لا بدله من الغلبة فيها حتى تخرج البلاد سالمة من محنتها. وحزب العمال عظيم الثقة بقدرته في معالجة الشئون البريطانية الداخلية، ولديه فئة من رجال الحكم القادرين الذين برهنوا على كفايتهم في وزارة تشرشل الائتلافية، أما في الشئون الخارجية فقليل من رجاله من تمرّس بتصريفها. وكان أتلى يريد لبيفن أن يتولى وزارة المالية، وهو المنصب الذى كان بيفن نفسه يتطلع إليه، إذ قال مرة لبعض أصدقائه: «لو أتيح لى أن أتولى وزارة المالية خمس سنوات، لأحدثت من التغيير في هذه البلاد ما لا يتسنى لأحد بعدى أن يردّه إلى هيئته الأولى».

دخل أتلى قصر بكنجهام لينال موافقة ملك بريطانيا على تعيين المرشحين للوزارة، فلما خرج أعلن أن بيفن هو وزير خارجية بريطانيا الجديد.

ألن ميكى: هو محرر ريدرز دايجست الطواف، وقد عهد إليه أن يكتب عن شئون بريطانيا التى عاش فيها سنوات عديدة.

ويقول المطلعون إنه حينما عُرفت أسماء المرشحين للوزارة تآزر تشرشل والملك جورج السادس على إقناع أتلى بأن بريطانيا العظمى فى حاجة إلى مساوم شديد المراس، حتى تتم على يديه تلك الصفقات التى ستسمى معاهدات السلم، وأن أصلح أعضاء الحزب لهذا المنصب هو بيفن. وبالرغم من أن تشرشل يعدّ ظفر العمال فى الانتخابات إهانة له هو نفسه، وكارثة نزلت بوطنه، إلا أنه كان مؤمناً بأنه يستطيع أن يعتمد على زميله فى وزارة الحرب فى اتباع المناهج التى مهدها هو للسياسة الخارجية.

فالمناهج الجديدة التى يسلكها بيفن لاتختلف شيئاً عن مناهج تشرشل وإيدن، حتى لقد بدأ التذمر يشيع بين أهل اليسار من أعضاء مجلس العموم بعد أن فرحوا بتعيين بيفن ورأوا ذلك بشيراً بتوجيه علاقات بريطانيا العظمى بالعالم وجهة جديدة مطابقة للمبادىء الاشتراكية. ولما وقف بيفن ليلقى أول خطبه فى مجلس العموم وجد نفسه يقابل بالتصفيق من مقاعد المحافظين، وبالصمت والوجوم من زملائه العمال.

فصاح بهم مغضباً: «لقد قيل لى إنه إذا صفقت المعارضة لكلامى فهذا دليل على أننى وقعت فى خطأ. إن الناس كافة يتوقعون منى أن أغير سياستنا الخارجية، ولكن هؤلاء ينسون أن الحقائق لاتتغير».

فمن الحقائق الأولى، فى نظر تشرشل وبيفن على السواء، صدّ كل خطر يهدّد المواصلات بين بريطانيا وممتلكاتها وأجزاء إمبراطوريتها. فبيفن، كتشرشل، مقتنع بأن الاتحاد السوفيتى يحاول «قطع شريان الإمبراطورية البريطانية».

وقد دهش البريطانيون لما اختير بيفن لوزارة الخارجية، فقد ظلت عامة الشعب إلى سنة ١٩٤٠ تتصوّره رجلاً مشاغباً لا يُرَى إلا مهدّداً بإضراب أو متزعماً لإضراب.

وكان الفقر الذى عاناه بيفن فى مطلع العمر هو الذى نهج له مسلكه فى الحياة العامة. كانت أمه قابلة القرية، وكان أبوه — وقد مات فى سنة ١٨٨١ قبل ولادة بيفن بأشهر قلائل — من عمال الزراعة فى قرية ونسفورد بمقاطعة سومرست، وماتت أمه وهو فى السادسة، ولما بلغ الحادية عشرة أخرج من المدرسة وألحق بخدمة بعض الجيران من المزارعين ليتمرّن على الزراعة، فكان يعمل من الفجر إلى الغَسق كل أيام الأسبوع لقاء أجر قدره نصف شلن فى الأسبوع.

وبعد سنتين تشاجر الرجلان، بيفن

ومستأجره ، فحزم كل ماتملكه يداه فى منديل أحمر ويمم شطر بريستول حيث كان يقيم أحد أخويه ، وتنقل فى السنتين التاليتين فى أعمال مختلفة تتخللها فترات من البطالة ، فكان صبى مطعم ، ومساعد بائع فى متجر ، وسائق عربة لتوزيع زجاجات شراب الزنجبيل . أما فى يوم الأحد فكان يحضر الدروس التى يلقيها أنصار الاشتراكية على الشبان .

كانت بريستول فى ذلك العهد واقعة فى براثن أزمة شديدة ، فثلاثة أرباع عمال الموانىء متعطلون ، وهبط أجر العامل الماهر حتى صار قرشين فى الساعة ، فألف بيفن وبعض أصحابه لجنة سمّوها « لجنة حق العمل » وتولى هو منصب السكرتير بلا أجر.

وفى ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٠٨ ، قاد بيفن صفوف العمال العاطلين إلى كنيسة المدينة ووقف بهم عندها وأوصاهم بالهدوء ، فلما أخذ القسيس يلقى عظته كان وقوفهم صمتهم شاهداً ناطقاً على تحكم الفقر فى بريستول . فثارت نخوة المصلين، وطالب رجال الكنيسة ببذل الجهد فى علاج هذه النازلة ، ووضع بيفن خطة عامة لتخفيف أزمة البطالة . وقرر شيوخ المدينة إنشاء بحيرة سماها العمال ، تعبيراً عن شكرهم، « بحيرة بيفن »، ولا تزال تعرف بذلك إلى اليوم .

وفى سنة ١٩٢٢ جمع مندوبو أربع عشرة هيئة كبيرة من هيئات اتحاد عمال النقل، أن تندمج هذه الهيئات جميعاً وتصير اتحاداً واحداً جديداً ، واختارت بيفن سكرتيراً عاماً . وهذه الهيئة هى اليوم أكبر اتحاد للعمال ، إذ تضم ٤٥ اتحاداً كان كل منها مستقلا عن الآخر ، وبلغ عدد أعضائها ١٫١٠٠٫٠٠٠ . وكان من مهارة بيفن فى وضع خطة الاندماج أن مرت على هذه الهيئة، وهى ثابتة لا تتغير، خمس وعشرون سنة كلها كفاح وجهاد .

حين سئل تشرشل لماذا ضم بيفن إلى وزارته أجاب بأنه يرى أن بيفن هو أقدر رجل فى عالم الصناعة البريطانية . وكان هناك سبب أعظم من هذا قضى بضم بيفن إلى الوزارة الائتلافية بعد سقوط تشمبرلن ، ذلك بأنه هو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يجند طوائف العمال لمواجهة الأخطار الداهمة التى تستتبعها الحرب الشاملة .

فلما صار وزير العمل أصبحت له السيطرة المطلقة على ٢٥ مليوناً من الرجال والنساء ، وهى سيطرة لم توكل إلى شخص من قبل فى بريطانيا منذ أيام كرومويل، فأهدر بيفن كثيراً من حقوق اتحادات العمال بعد أن جاهد كثيراً فى الظفر بها ، كحق العمل ٤٠ ساعة فى الأسبوع ، وحق الإضراب .

وفُرِضَ على كل عامل التزام عمل معين إلا إذا شاء بيفن أن يوجهه وجهة أخرى ، وقيل لأصحاب المصانع إن الأرباح ستظل محددة ، وإنهم لن يكونوا أحراراً فى استخدام العمال وفصلهم ، وإن الأجور ستبقى ثابتة . فأصبح من المعترف به ، يوم انتهت الحرب ، أن نصيب بيفن فى تحقيق النصر يكاد يضارع نصيب تشرشل .

ولم يزل بيفن ، منذ كان يراقب السفن داخلة خارجة فى بريستول ، يراعى فى أعماله مبادىء التعاون الدولى ، وكثيراً ما حضّ عمال الاتحاد على الاهتمام بمشاكل العمال فى الميدان الدولى . وقد طالب فى مكتب العمل الدولى بجنيف فرض مهلة قدرها خمس سنوات لتنفيذ القوانين التى تكفل سلامة عمال الموانىء فى العالم أجمع .

أما فى شئون بريطانيا ، فهو الذى حمل حزب العمال على ترك سياسة الملاينة ، واتخاذ الحزم فى أمر النازية والفاشية وتهديدهما المتفاقم ، وقد عدّ بيفن نفسه فى حرب بينه وبين موسولينى وهتلر منذ اللحظة التى قضى فيها هذان الحاكمان بأمرهما على حقوق العمال فى بلديهما .

وقد عمد تشرشل قبل الحرب بسنتين ، وكان وقتئذ خصماً لتشمبرلن وأنصاره من المحافظين من أجل إهمالهم لتسليح بريطانيا ، إلى تنظيم سلسلة من اجتماعات تتم كل شهر ليست لها صفة رسمية ، بل يجتمعون على غداء أو عشاء فى فندق سافوى بلندن . وكان يحضرها سير نورمان أنجيل ، وسير والتر سترين ، مدير مؤتمرات اتحاد نقابات العمال ، وكان بيفن يحضرها أيضاً ويتكتم نبأها حتى لا يسىء رفقاؤه العمال فهم صداقته الجديدة لهذا السياسى المحافظ الذى صارعه بيفن أشد صراع فى أيام الإضراب العام سنة ١٩٢٦ . وفى هذه الاجتماعات راد التفاهم بين تشرشل وبيفن ، ودلّ اهتمام تشرشل ببيفن على بعد نظره ، إذ كان مؤمناً بأن الحرب توشك أن تشب نارها ، وأحسّ فى قرارة نفسه أن القدر سيختاره ليحمل عبئها ولكنه يريد يوم يحمل هذا العبء أن يجد النصرة من عمال الاتحادات ومن رئيسهم .

ومع أن بيفن كان من أقدم أصدقاء الثورة الروسية ، إلا أنه خضع بعد ذلك لتأثير عاملين اصطلحا على تغيير وجهة نظره : أولهما أنه كان من عمال الاتحادات ، فأحنقته تلك القيود التى تحدّ من حرية الفرد كما فرضها نظام لينين وستالين . أما الثانى ، وهو أمسّهما بخاصة نفسه ، فهو كرهه الشديد للشيوعيين البريطانيين ، لأنهم يبذلون كل جهد للتسلل إلى اتحادات العمال وتقويض سلطانه عليها .

وقد قال بيفن مرة فى زمن الحرب : « ليست وظيفتى أن أعمل لنصرة الاشتراكية بل لترويض النظام الرأسمالى » . وفى هذا القول نصيب من الصدق ، فإنه يؤثر ديمقراطية مستندة إلى نظام رأسمالى مستنير ، على نظام اشتراكى صرف . ويتوقف مستقبل العمال ، فى رأيه ، على « تعاون يتم بين العمال وبين طبقة مستنيرة من أصحاب المصانع ، لكى يكفل للعمال فوراً مستوى كريماً فى المعيشة لايزال يرتفع على الأيام ، ولكى يأتى يوم يتم فيه القضاء ، بلا عجلة ولا عنف مؤلم ، على الحافز الذى يجعل جنى الأرباح كل هم رجال الصناعة » .

وبيفن على ضخامته وبدانته حديد متوقد الذهن . ومن العجب أن تجد رجلا مثله واسع المعرفة قد نال ما نال بتعلم نفسه بنفسه ، وهو مع ذلك يرتكب الأخطاء الفاحشة فى الإنجليزية ثم يسخر بأخطائه . ولما نزل أرض روسيا سأله أحد الصحفيين : « أتحسن الكلام بالروسية ؟ » فنظر إليه بيفن متعجباً وقال : « ويحك يافتى ، والله ما أحسن أتكلم الإنجليزية ! »

وبيفن يؤثر البساطة فى معيشته ويحرص كل الحرص على الخلوة ، فلا يقابل إلا قليلا من الصحفيين . ولم يزد دخله ، إلى أن صار وزيراً ، على ألف جنيه فى السنة يضاف إليها مبلغ مخصص لبعض نفقاته ولسيارة وسائقها ، أما مرتبه الآن فى الوزارة فهو أربعة آلاف جنيه ، وله أيضاً بيت يسكنه إذا شاء مجاناً وسيارة فخمة ، ولكنه لا يزال يقطن هو وزوجته فى شقتهما القديمة فى حى كنسجتون بلندن .

وقال بيفن مرة : « إن غايتى من سياستى الخارجية ، أن يصير فى وسعى أن أدخل محطة فيكتوريا فأشترى تذكرة فأسافر إلى حيث أشاء دون حاجة إلى جواز سفر » . ولكن هذه مبالغة فى تبسيط سياسته الخارجية .

ويحمل بيفن تبعة جسيمة ، ألا وهى إيجاد التناسق بين قوى بريطانيا العظمى بعد الحرب وبين الحقائق العالمية الجديدة ، وعلى رأسها حقيقة لاسبيل إلى إنكارها وإن تألم لها بيفن ، وذلك أن بريطانيا التى كانت على رأس الدول قاطبة فى قوتها الصناعية وقوتها البحرية ، قد أخذت منذ خمس وستين سنة (أى منذ ولد بيفن) تتدهور حتى هبطت إلى منزلة أدنى من منزلة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وهو لايغفل لحظة عن أن بلاده الصغيرة الرقعة المزدحمة بالسكان معرضة للهلاك إذا مانشبت فى المستقبل حرب ذرية . ولذلك أصبح همه الأول أن يضع نظاماً يكفل استتباب الأمن

والسلم ، وهو يرى أن هيئة الأمم المتحدة لا تزال إلى اليوم هشة الكيان ، وإن كان هو نفسه أكثر السياسيين جهاداً فى أن ينفخ فيها روح الحياة .

وأشد خطر على السلم — فى رأى بيفن — هو تصميم روسيا على أن تتخذ ما أحرزته من نصر فى الحرب أداة لتوسيع رقعة أرضها ونشر مذهبها الشيوعى . ويريد بيفن أن يتولى بنفسه الإشراف على تصفية الإمبراطورية البريطانية عن رضى واختيار وبخطوات بطيئة، ولكنه يخشى إذا ما انسحبت بريطانيا من الشرق الأدنى والشرق الأقصى والهند ، أن تخلف وراءها فراغاً يسارع الروس أو العناصر الخاضعة لنفوذهم إلى ملئه . وهو يرى أن روسيا متأهبة لحمل تلك «الأمانة» التى سماها الشاعر البريطانى كبلنج « عبء الرجل الأبيض » .

وقد رمى بيفن منذ أول الأمر إلى أن ينال تأييد الولايات المتحدة فى معارضة مطامع روسيا الاستعمارية دون أن ترتبط الدولتان بتحالف رسمى ، ويعتقد بيفن أن توفيقه فى نيل هذا التأييد بعد سنة واحدة من توليه هو أكبر ظفر حازه فى حياته السياسية . ولما خطب برنز فى نهاية مؤتمر الصلح بباريس ، وصلته من وزارة الخارجية البريطانية رسالة سرية مهمة فلما فضها وجد فيها : « أهنئك ياصديقى ، وهذا شعورى أنا أيضاً — بيفن » .

وكثيراً مايقول بيفن إن الحرب القادمة ستنشن على الفقر والجهل وعلى الأسباب التى تدفع الشعوب إلى الحروب . ومن آرائه التى جاهر بها مراراً أن معاهدات الصلح ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، ينبغى أن تقوم على كفالة الرخاء الاجتماعى لا على التدابير العتيقة التى تمثلها سياسة القوة والضرورات الحربية . وقد حمله نفاذ بصره فى الحين بعد الحين على أن يدعو إلى تطبيق نظام جامعة الأمم البريطانية فى الميدان الدولى ، فكان أول سياسى من ساسة الأمم الكبيرة قام يدعو إلى إنشاء جمعية عالمية وبرلمان عالمى تختار الشعوب ممثليها فيه ، وتتنازل له كافة الدول عن قسط من سيادتها العزيزة عليها .

ومع أن بيفن لايزال يجاهر بالدعوة إلى اتباع هذه المبادىء ، إلا أنه يسلم فى حديثه مع خاصة أصحابه ، بأن ضغط روسيا على العالم هو أقوى دافع يميل به عن نهج مبادئه السامية ، ويضطره إلى اتباع سياسة القوة التى كان يتبعها أسلافه من رجال الحكم فى بريطانيا .

التشخيص فن جميل

هنري مورتون روبنسن

« إياكم والتسرع فى التشخيص » هذا تحذير يلقيه كل طبيب كبير على تلاميذه . ولما كان الطبيب الحديث يعلم أن الأمراض الخطرة تتنكر فى أقنعة ختالة قد تضلل أحكم الحكماء ، فهو يحرص أشد الحرص على أن يراجع تشخيصه على نتائج التحليل . بيد أن كل طبيب قد سره يوماً ما أن يهتدى إلى علامة خفية أو عرض هاد يعينه على تشخيص إحدى العلل لأول وهلة . ولا بد من سعة المعرفة فى نواحى الطب ، ومن الملاحظة الدقيقة النافذة ، ومن البصيرة الصافية اللماحة لكل طبيب يمارس الفن الجميل المعروف بالتشخيص — كما يتجلى لك من القصص التالية :

دخل رجل كهل عيادة الدكتور فرانك بلنجز فى يوم قائظ وهو يقول : « أدركنى يادكتور فقد كاد سعال التدخين يخرجنى عن طورى » . وكان الشق الأيسر من وجهه يتفصد عرقاً ، أما الأيمن فمن العجب أنه كان جافاً كصفحة الصخر ، ولاحظ الدكتور أيضاً أن عينه اليمنى كانت غائرة شيئاً قليلا .

وهذه الملاحظة الخاطفة جعلت الدكتور يقرر أن الرجل مصاب بسرطان فى الرئة اليمنى . كان استنتاجه هذا حلقات مترابطة من فن التشخيص ، فهو يعلم أن السرطان إذا كان فى قمة الرئة قد يمتد أحياناً إلى قريب من العقد اللمفاوية فى العنق . ثم إن ذلك يحدث ضغطاً (أو يورث شللاً) فى بعض الأعصاب المهيمنة على العين وعلى ما فى الوجه من غدد العرق . وكان السعال المبحوح الذى لا يختلف عن سعال التدخين ، عوناً للدكتور فى التشخيص الذى عززته الأشعة فيما بعد .

امرأة فى أوائل العقد الرابع من عمرها تنظر نظرة القانط فى العينين النافذتين اللتين ينظر بهما إليها أحد الأطباء الممتازين ، وكانت شفتاها وأظافرها ضاربة إلى الزرقة ، وتكتنف عينيها غضون من التجاعيد الدقيقة . وكانت

شكاتها صداعاً واصباً آذاها فى رزقها من الخياطة أذى بليغاً .

فسألها الدكتور سؤالاً سديداً: «أتكثرين من تعاطى مساحيق الصداع ؟ »

قالت : « أجل يادكتور ، ثلاث مرات أو أربعاً فى اليوم ، وهى كثيراً ما تريحنى » .

فقال : « ربما كانت لك فيها راحة ، ولكن انظرى » . وأومأ إلى أظافرها الزرق « لقد أورثتك شرّ تسمم بالأسيتانيليد »

فلما أقلعت عن تعاطى المساحيق ، أخذت تزول شيئاً فشيئاً تلك الزرقة التى جاءت من كثرة الأستيانيليد فى الدم . وكان اعتلال بصرها هو الذى أحدث التجاعيد حول عينيها ، وهو سرّ صداعها ، فلما اتخذت لعينيها نظارة موافقة لها، صلح بصرها وذهب عنها الصداع .

ذهب شاب مهزول إلى الدكتور ميرون سيسيت يشكو له إعياءً مطرداً أخذ يعوقه عن تأدية عمله الكتابى فى محل الألبان . كان ضغط دمه منخفضاً انخفاضاً مخوفاً ، وقد تغشت ظاهر يده زرقة خفيفة .

فسأله الطبيب : « متى شعرت بهذا الضعف والتعب ؟ »

قال : « منذ فارقت عملى فى محل البقالة » .

ففكر الدكتور قليلا ثم قال : « أ كنت فى ذلك المحل تأكل قدراً كبيراً من الطعام المملح العامر بالتوابل ؟ »

فقال : « لم أكن أشبع من الفلفل المخلل والرنجة المملحة وأشباهها . ولشد ما أفتقد تلك المخللات فى محلّ الألبان الذى قدره الله لى »

قال الدكتور : « أيها الفتى أنت مصاب بمرض يعرف باسم « مرض أديسون » ، وأول أعراضه هو الإعياء مع هبوط فى ضغط الدم . فإنك لما كنت فى محل البقالة كان الذى يحفظ ضغط دمك مرتفعاً هو ذلك القدر الكبير الذى تلتهمه من الطعام المملح المطيَّب بالتوابل ، وبذلك أيضاً أخفيت أهم الأعراض الدالة على مرضك . أما الآن حين بدّلت مكان عملك ، فقد انحسر القناع عن مرضك ، وبدت حقيقة مرضك سافرة للعيان » .

ومرض أديسون ينشأ من اضطراب فى الغدة الكظرية ، وقد ظل المصابون به إلى عهد قريب مكتوباً عليهم أن يموتوا من جرائه موتاً بطيئاً ، بيد أن هذا الفتى قد استردّ قوته بعد أن عولج بالكورتين المستخرج من غلاف الغدة الكظرية ، وهو يعيش اليوم فى أتم عافية .

بلغ الدكتور برتون تشانس أن إحدى

مريضاته ، وهى سيدة من عقائل البلد ، قد أخذت تسرف على نفسها فى الشراب ، حتى رآها الناس مراراً تترنح فى الطريق . فلما جاءت ودخلت غرفة الكشف جعلت تمايل بين الكراسى والموائد ، وقد كان الدكتور يعلم أنها امرأة لا تسرف فى طعام ولا شراب ، فارتاب فى سر هذا التمايل وظنه يرجع إلى ضعف فى البصر ، ولكن لم تكد تجلس حتى انحنت والتقطت نسيلة من خيط لا تكاد العين تتبينها .

كانت هذه النظرة النافذة المسدّدة إلى أمام ، دليلاً هدى الدكتور إلى تشخيص مرضها ، فقد ردّ سبب ترنحها إلى آفة تحول بينها وبين تحويل نظرها إلى أحد الجانبين ، وتجلى من الفحص أن هناك ورماً يضغط على أعصاب البصر عند طرفها الخارج من المخ ، فتولى أحد جراحى الأعصاب استئصال هذا الورم ، فاستردت السيدة تمام بصرها وحسن سمعتها .

دخلت امرأة ثرية عانس سريعة الغضب عيادة طبيب من أطباء أمراض الجلد ، وشكت إليه ماتلقى من إكزيما شديدة فى يدها اليسرى ، وقالت له : « لقد رأيت عشرات من الأطباء وكلهم قال لى : إن القمح واللحم والدجاج وكل ما أشتهيه يجعلنى مستهدفة للاكزيما . ولقد حرمت على نفسى أكثر الطعام حتى كدت أموت جوعاً » .

فقال لها الطبيب مترفقاً : « لا أظن أن مردّ علتك إلى الطعام ، ولو كان ذلك كذلك لأصابت الإكزيما يديك جميعاً ، وأغلب الظن أنك تمسين بيسراك شيئاً لا تمسينه بيمناك ، أتعرفين ماعسى أن يكون ؟ »

فقالت محتدة : « كلا لست أدرى » .

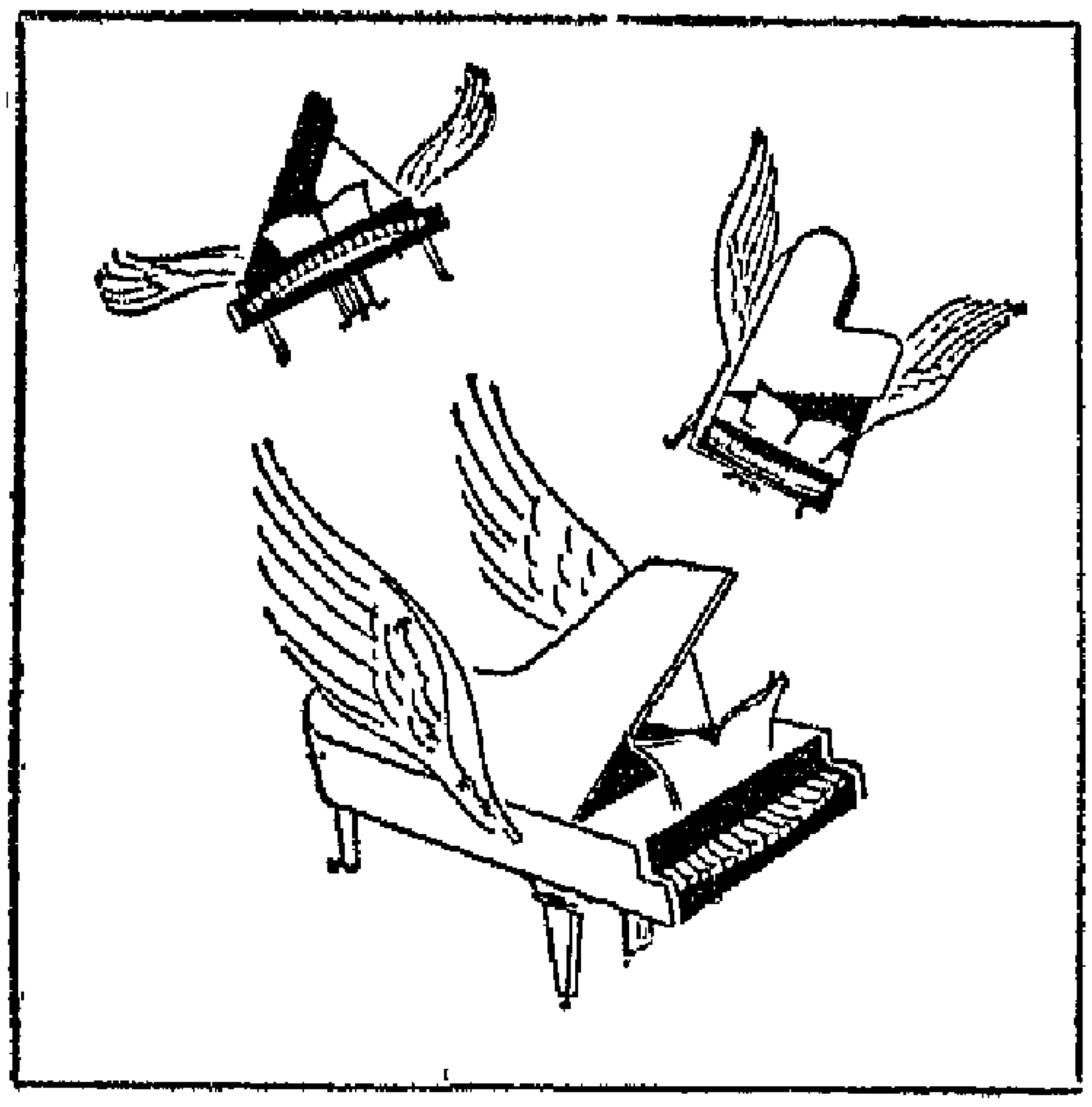
وبعد قليل قرأ الدكتور فى إحدى الصحف أن هذه المرأة قد ظفرت بجائزة لما عرضته من بعض أنواع الزهور الجميلة ، فزارها فى بيتها ورآها تتعهد زهورها وفى يمناها إناء الماء ، أما يسراها فكانت تتولى بها إزالة الأوراق الميتة من زهورها التى نالت بها الجائزة .

لم ينبس الدكتور بكلمة بل كتب لها على إحدى تذاكره ما نصه : « قفاز من القطن يلبس فى اليد اليسرى عند سقى الأزهار » .

ومضت أيام فتلقى الدكتور شيكا بقدر جزيل من المال ، ومعه ورقة فيها ما نصه : « إنك لست طبيباً ، بل أنت بوليس سرى » .

اللغز الخالد الذى تنطوى عليه نفوس الأطفال

فى دنيا الصغار



ج . سپ . ماك إيڤوى

لما كنت فى ريِّق شبابى وميعة صباى ، كان لى ولد يأبى أن يكلف نفسه مؤونة التمرن على عزف البيان ، فأخذته بالشدة قائلا له : « إما أن تتمرن ، وإلا فلا مدرس بعد اليوم »، فرأى أن ماقلته إنصاف ومعقول ، وقنع به . فشب وكبر ولم يتعلم البيان ، فلم يزل من يومئذ على ذلك نادماً . وأنا أيضاً قد ندمت .

ولى اليوم بنت فى السابعة من عمرها تأبى هى أيضاً أن تتمرن على البيان ، ولكنى أصبحتُ اليوم أحكم من أن أخيِّرها بين اثنتين : إما نعم وإما لا . ذلك بأنى قرأت عدداً لا يحصى من الكتب والمقالات عن نفسية الطفل ، وحُبِّب إلى رأى عالم خبير يرى أن الأطفال لا يتعلمون بالأمر ولكن بالقدوة . وملخص قوله : « أتح لصغارك أن يروا أمثلة رائعة ممن أدركوا غاية النجاح ، فسيدهشك الأثر الذى يبقى من ذلك فى نفوسهم الحساسة كألواح التصوير » .

وكان صديق يهودى منوهن ، عازف الكمان لمشهور ، قد عزم على أن يقيم حفلة فى هافانا حيث نقيم ، فقلت لزوجتى : « أيسرّك أن ندعوه لينزل فى ضيافتنا ومعه كمانه ، فقد يكون ذلك مقطع التحول فى حياة ابنتنا بات ، بل فى حياة بجى أيضاً ، فهى كأختها تأبى أن تتمرن » . ودعوت منوهن فقبل دعوتى مرتاحاً ، واستأذن فى أن يتمرن على عزفه قبل الحفلة بدلا من أن يتعشى معنا . فرحبت بما أراد كأنى غير محتفل ، وإن كان قلبى يجيش بالفرح والغبطة . فلما جاء سرنا به إلى الحجرة التى تجاور غرفة الصغار ، وكنا قد حرصنا على استبقائهم فى الدار . أما منوهن فقد اختلى فى غرفته ومضى يتمرن طول وقت العشاء على عزف ألحان الموسيقى برامز . وجعلت أرقب الصغار وقوفاً عند بابه أو على الشرفة يصغون إليه بآذان مرهفة .

وامتلأ قلبى زهواً بما لقيت خطتى من

نجاح ، فصعدت إليهما لأبلغ الغاية فيما أردت فسألتهما : « أأعجبكما ما تسمعان ؟ » فقالت ابنتي بات وهي في السابعة : «من الرجل؟» فقلت لها إنه منوهن أحد نوابغ عازفي الكمان في العالم ، وسيعزف الليلة في أكبر مسرح في هافانا .

فسألت بجي وهي في السادسة : « وما هذا الذي يصنعه في غرفته ؟»

قلت متصنعاً قلة المبالاة : « إنه يتمرّن على عزف القطع التي سيعزفها الليلة » .

فقالت بات غير مصدقة : « أتريد أن تقول إنه يفعل ذلك لأنه لايعرفها ؟ »

فغاظني قولها قليلا ، فقلت : « بلا ريب إنه يعرفها ، ولكن الفنان العظيم ينبغي أن لا يرضى بما دون الكمال ، ومن أجل ذلك ترينه مجداً في التمرين » .

فقالت بات بعد تفكير : «فهمت» .

وبقيت أترقب في اليوم التالي وأنا على ثقة من نجاح خطتي ، ولكني لم أسمع أحداً يتمرن ، فتزعزعت ثقتي شيئاً قليلا، بيد أني لم أنبس ببنت شفة ، بل صبرت حتى جاء اليوم الذي يليه ، فلم أسمع أحداً يتمرن ، فعللت نفسي بأن ذلك سيكون رويداً رويداً، فعقول الصغار كألواح التصوير، ألم يقل ذلك صاحبنا العالم الخبير . غداً سأرى بات قد أخذت تتمرن .

وبعد أسبوع دخلت عليها فقلت لها كالغاضب : « لم أسمع صوت البيان في هذه الدار منذ أيام ، فلِمَ ؟ »

فقالت : « عسى أن يكون السبب أني لم أكن أتمرن » .

فقلت: « بلاريب. ولِمَ لم تتمرني؟ لم؟لم؟ » ولعل صوتي كان يشي بنفاد الصبر ،فإذا هي تقول لي: « اسمع ياأبتاه .كنت أفكر في أمر المستر منوهن،فقلت لنفسي: إذا كان لامفر له من أن يتمرن بعد هذه السنوات الطوال ، فما الفائدة ؟ فصممت على أن أدع التمرين» .

فماذا تشيرون علي بأن أفعل الآن ؟

---

* كتب الحجّاج إلى المهلّب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب إليه المهلّب: « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » .

* قال بزرجمهر : « إذا اشتبه عليك أمران فلم تدر في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه » .

الوراثة معقد رجاء العالم

بروس بليفن

مختصرة من مجلة "ذى نيو ريپبليك"

عالم حافل بالعجائب التي كشفها العلماء فى دراسة الوراثة ، وعززت الرجاء فى وجود سلالة من البشر المتفوقين .

تقدم العلماء تقدماً عجيباً فى السنوات الأخيرة نحو حل لغز من أعظم الألغاز العلمية فتنةً — ألا وهو أصل الحياة ونشأتها والحق أن التقدم الحديث فى علوم الوراثة والتطور يبشر بسعادة البشر فى المستقبل .

ومما ييسر عليك أن تفهم هذه العظائم العلمية وتدرك مغازيها، أن نوجز لك أساليب الولادة والنمو — تلك الأفعال الأصيلة التى تتشابه فى جميع الأحياء .

إن جسم الإنسان مؤلف من خلايا دقيقة تحتوى كل منها فى نواتها على ٤٨ جسما صغيراً يعرف باسم الصِّبْغى" (كروموسوم). وفى كل صبغى" دقائق مجهرية يطلق عليها اسم « عوامل الوراثة » ، وفى هذه الدقائق يستكن لغز الحياة نفسها . والخلايا الوحيدة فى أجسام البشر التى لا تحتوى كل واحدة منها على ٤٨ صبغياً هى نطف الذكر و بويضات الأنثى ، ففى كل منها ٢٤ صبغياً لاغير . فإذا ما اتحدت نطفة الذكر ببويضة الأنثى لتوليد جسم حى جديد ، وجدتَ نصف الصبغيات فى خلايا الجنين قد جاءته من الأم ، وجاء النصف الآخر من الأب .

وكذلك نرى أن الصفات الوراثية التى تؤثر فى الذرية ترجع إلى الأبوين كليهما . خذ مثلا عوامل الوراثة الخاصة بلون العين، فما يأخذ الجنين من أبويه من هذه العوامل يعين ما يكون عليه لون عينيه في قابل أيامه. وقد كشف طرف من أساليب الوراثة من ٧٥ سنة أو أكثر قليلا ، يوم وجد الراهب النمسوى مندل ما أطلق عليه الصفات « الغالبة » والصفات « الكامنة » . وقد زاوج مندل فى تجربته المشهورة بين نبات البسلة الحمراء الخالصة و نبات البسلة البيضاء، وكان اللون الأحمر صفة «غالبة» والأبيض صفة «كامنة» ، فكان لون كل الزهر فى الجيل الأول الذى خلفه هذا الزواج هو اللون الأحمر، ولكن هذا الزهر الأحمر كان يحمل فى ثنايا كيانه عوامل الوراثة الخاصة باللون الأبيض ، فذرية هذا الجيل لن يكون زهرها كله أحمر خالصاً .

كيف ينشأ الوليد من بيضة ملقَّحة صغيرة لا تكاد ترى حتى يصير رجلا يبلغ وزنه ٢٠٠ رطل ؟ إنه ينمو بانشطار الخلايا ، وكذلك ينمو كل حى آخر . فكل صبغى فى كل خلية ينشطر شطرين ، فيذهب أحد الشطرين إلى طرف الخلية ، ويذهب الشطر الآخر إلى طرفها الآخر . ثم تضيق الخلية من عند وسطها رويداً رويداً حتى تصير كأنها كرتان متصلتان، وفى كل من الكرتين ٤٨ صبغياً . ثم تنفصل الكرتان إحداهما عن الأخرى ، فتصيران خليتين فى كل منهما من الصبغيات وعوامل الوراثة مثلما كان منها فى الخلية الأصيلة ، ويتكرر هذا الفعل ، فتصير الخليتان أربع خلايا ، والأربع تصير ثمانى ، وهكذا حتى تتولد ألوف الملايين من الخلايا .

وليس كل عمل عوامل الوراثة أن تحدد لون العينين والشعر وغيرها وحسب ، بل تجد كأنها تشترك معاً فى وضع خطة لنمو الجسم . وإنه لمما يذهل العقل أن يتخيل هذه العوامل جاهدة على مر الشهور والسنين فى تكوين كل عضو فى أداة الجسم المعقدة. وهى تستعين بالغدد الصم، استعانة مباشرة أو غير مباشرة، على إنماء الأعضاء فى مواعيدها طبقاً لجدول محكم حتى تبلغ غاية قدرتها ، إلى أن يبلغ الجسم مرحلة المراهقة . ويومئذ يبدأ الشعر ينمو على عارضى الذكر ، ويأتى انقطاع الطمث فى المرأة فى منتصف العمر . وقد يبلغ من أثر عوامل الوراثة أن تعين لك قبل أن تولد مدى حياتك — إذا استثنيت الحوادث العارضة — لأن التعمير يتحدر فى أسر دون غيرها ، وكل ما يكون من شأنه أن يتحدر فى أصلاب أسر، فهو على الأكثر شىء تسيطر عليه عوامل الوراثة .

وقليلا ما يحدث فى عالم الطبيعة أن تتغير عوامل الوراثة فى جسم ما ، أو تدمَّر بتأثير الحرارة الشديدة أو البرد الشديد أو الشيخوخة ، وذلك يورث اختلافاً فى خواص النسل المتحدر من ذلك الجسم. ومنذ سنوات كشف أحدهم أن إطلاق الأشعة السينية يفضى أحياناً إلى تغيير عوامل الوراثة أو تدميرها . وكذلك تمَّ للعلم أن يستعمل استعمالا عظيما فعل التغير فى الأحياء .

وذباب الفاكهة (دروسوفيلا) هو من الحيوانات التى يؤثرها العلماء لتجربة هذه التجارب ، وهو ذباب يتكاثر فى معامل البحث ويخلف مئات من الذباب الصغير فى ١٢ يوماً ، فترى أهل البحث يجدونه ذا نفع عجيب فى دراسة الوراثة . وقد تمكن العلماء من أن يعينوا فى صبغيات هذا الذباب أماكن عوامل الوراثة التى ترجع إليها خواص بعينها ، كمثل لون العين وحجم

الأجنحة وغيرها . وقد تبيـنوا أماكن خمسمئة من هذه العوامل فى ذباب الفاكهة هذا .

وفى وسع العلماء اليوم أن يعرفوا مايحدث لذباب الفاكهة قبل وقوعه إذا هم عرضوه لقذائف الأشعة السينية . وربما قضت الأشعة على نصف الذباب ، ولكنك ترى بين الذباب الذى يبقى حياً ، ذباباً يخلف نسلا ، وتجد نسبة معينة من النسل قد أثر فيها التغيير الطارىء على عوامل الوراثة فصارت ذات أجنحة صغيرة ، أو عيون بيض أو غير ذلك من الخصائص الشاذة . وهذه الخصائص التى يولدها العلماء فى معامل البحث ، تورث توريثاً تاماً جيلاً بعد جيل ، مالم تتأثر بعد ذلك بتغيير فجائى يطرأ على أحـد عوامل الوراثة . ولنضرب مثلا بحيوان مألوف من الحيوانات التى تتخذ للتجارب. إن فى وسعك أن تقطع ذيول الفئران فى ألف جيل متعاقبة من الفئران، فإذا ولد الجيل الأول بعد الألف كانت له ذيول . ولكن دمر عوامل الوراثة التى تولد الذيل فى ذكر وأنثى من الفئران ، فإذا نسلهما يكون بلا ذيل إلى الأبد ، إذا أنت أصّلته بزواج الأقارب الأدنين، وتخيرت الأفراد التى بغير ذيل ثم زاوجت بينها . وكذلك ترى أن العلماء ربما بدأوا يشاهدون بأم العين كيف يتم عمل الوراثة .

وأعود فأقرر أنه من الخطأ أن تظن أن عاملا واحداً من عوامل الوراثة ينهض بوظيفة خاصة بغـير معين . والرأى عند العلماء اليوم هو أن كلّ عامل من عوامل الوراثة يؤثر فى كل عامل آخر ، وأن كل صبغىّ يحتوى جميع عوامل الوراثة ، وأن هناك ٤٨ صبغياً فى كل خلية من خلايا الجسم، ماعدا بويضة الأنثى ونطفة الذكر

وبعض عوامل الوراثة تكون «مترابطة» وتورث جملة واحدة . فترى فى بعض الأسر من الناس أن لوناً معيناً من ألوان الشعر يصحبه دائماً خلو الفم من ثنيّة أو أكثر من ثنية . فإذا مادرسنا وراثة أسرة ما ، صار فى وسعنا أن نقول إنه إذا ما ولد لأبوين بعينهما ولد له شعر من لون معين ، فإن فم الولد سيخلو على الأرجح من ثنية أو ثنيتين .

وهذه حقيقة خليقة بأن تصير ذات شأن عظيم فبعض الأمراض الوراثية المخوفة — لمثل مرض الرعدة العصبية الوراثيـة التى تسبب الجنون فى الخامسة والثـلاثين أو الأربعين من العمر — لا تظهر حتى يبلغ المرء مرحلة القـدرة على إخلاف الذرية ، فيورّث أولاده هذه العلة ، على غير علم منه . فإذا كان فى الوسـع أن تكتشف عوامل الوراثة «المترابطة» التى تنتقل مع المرض ، صار فى قدرة العلماء أن يتبينوا هذه العلة

الخفية فى صدر الشباب ، فتقول الجماعة للمرء المصاب أن الأبوة محرمة عليه. وكذلك نرى أن المعارف التى تخرج تباعاً من معامل البحث تعيننا على أن نقضى فى بضعة أجيال على مثل هذه الأمراض التى لاشفاء منها . ثم إن ما كشفته معامل البحث فى أمور الوراثة قد أحدث انقلاباً خطيراً فى آرائنا عن بعض نواحى الحياة، وإليك طائفة قليلة منها :

الأول : يخلق بنا اليوم أن ننصرف عن المناقشة التى دارت فى شأن البيئة والوراثة ، وأيهما أعظم شأناً ، فالعلماء يعرفون الآن أن لهما كلهما قيمة عظيمة . وقد كشفوا أن الأحياء لاترث خصائص بعينها كثل وراثتها ميلا إلى خلق هذه الخصائص ، على شريطة أن تكون البيئة ملائمة. فإذا ماأخذت نوعاً معيناً من الأرانب ذوات الشعر الأبيض ، وعرضتها زمناً كافياً لحرارة خفيفة، نبت لها شعر أسود . وفى وسعك أن تحول بعض الزهر من وردى إلى أزرق بإضافة أملاح الحديد إلى التربة . ونبات الذرة الطويل لايبلغ سوى ربع طوله المعهود إذا ما زرع متلاصقاً بعضه ببعض ، غير أن نسل هذه الأحياء التى تغيرت خصائصها بتغير البيئة ، يرتدّ أبيض الشعر ، وردى الزهر ، طويل الساق — إذا عاش فى بيئته المعهودة .

إلا أن وجوه التغيير التى حدثت فيها ، كانت تكون مستحيلة ما لم يكن فى هذه الحيوانات والنباتات عوامل وراثية تجعل هذا التغيير ممكناً . فليست كل الأرانب مما يتغير لون شعرها، وثمة سلالات من الذرة ضئيلة الحجم لاتكبر مهما باعدت بين منابتها، ومن الأزهار ما يحتفظ بلونه حين يغذى بأملاح الحديد .

ومجمل القول هو أن البيئة تستطيع أن تحدث فينا تغيراً — ولكن على أساس الميول الموروثة المستكنة فى أبداننا . ومثل البيئة كمثل المادة الكيميائية التى يستعملها المصور فى تحميض صورته : إنها لا تختلق شيئاً من لاشىء، ولكنها تستطيع أن تظهر وتبرز الشىء الذى على الفلم أو اللوحة السلبية. ومن مآسى الحياة أننا كثيراً ما نطرح اللوحة السلبية دون أن نطلع أبداً على الصورة الجميلة المستكنة فيها .

الثانى : إن جميع خصائصك وإن كانت تتحدر إليك من أبويك ، فإنك لا ترث الصفات والخصائص منهما وحسب ، فأنت وأبويك ترثون من كنز العوامل الوراثية العام الذى لم يزل حياً متصلا منذ قرون لايحصيها العدّ ، وهو أقرب الأشياء إلى أن يوصف بالخلود فى هذه الحياة الدنيا .

الثالث : لايكاد ينتقل شىء ما من جيل إلى جيل ، إلا بما تنقله عوامل الوراثة ،

وفى هذا قضاء على كثير من الأوهام . ومن السخف أن تظن مثلا أن الحامل إذا ما أفزعتها حية ، فإنها تلد طفلا فيه شبه من الحية ، أو أنها إذا دأبت على سماع الموسيقى وحضور حفلاتها ،فإن طفلها يولد موسيقياً.

الرابعة : ينبغى لنا أن ننبذ القول بأن هناك أسراً بجملتها عرضة لاستمرار الانحطاط والانحلال ، ورجال العلم اليوم يستريبون فى الآراء المستخرجة من دراسة بعض الأسر المنحطة التى عنى بها علماء الاجتماع واتخذوها أساساً لبعض آرائهم. وليس ثمة ريب فى أن بعض أبناء هذه الأسر كان فيهم « عوامل وراثية معتلة» ، ولكن علماء الاجتماع أخطأوا خطأً كبيراً يوم أهملوا العناية بعوامل البيئة. تُرى أى خير يرجى فى طفل وإن كان سليما ، لو هو نشأ فى بيت معظم أهله أهل عربدة وسرقة ودعارة ؟ وعلماء الوراثة اليوم يعنون بإقامة الفيصل الفارق بين الشرور التى تنقلها عوامل الوراثة ، والشرور التى ترجع إلى فساد البيئة .

الخامس : أغلب الرأى أن إدمان الخمر لا يورث ، ففى وسع المرء أن يرث جهازاً عصبياً مضطرباً لا يستقر على حال من القلق فيهيئه للإفراط فى الشرب ، ولإدمان العقاقير أو ما يضارعهما من وجوه الضعف ، بيد أن البيئة نفسها لها أثر عظيم .

وقد تبين العلماء أن بعض الأمراض التى كانت تعد أمراضاً وراثية ، ليست وراثية على الإطلاق ، أو هى وراثية بعض الشىء ، فالوراثة عامل فى الحمى الروماتزمية التى تصيب الأطفال، وفى بعض ضروب السرطان النادرة وفى عمى الألوان، وفى كثير من اضطرابات العين ، وفى الصلع وبعض أنواع ضعف العقل والجنون . وعسى أن تطمئن قلوبنا حين نعلم أن الأمراض العشرة أو نحوها ، والتى تعد أخطر الأمراض ، للبيئة فيها أثر أعظم من أثر الوراثة .

وهذه المكتشفات العلمية الحديثة قد غيرت رأينا فى علم إصلاح النسل ، فنحن نعرف الآن كيف تتم التغيرات الفجائية عن طريق تدمير عوامل الوراثة أو حدوث تغيير فيها . ولما كان معظم التغيير فى عوامل الوراثة يتم بشىء ينفصل عنها ، فهى تفضى إلى ولادة حى محدود الكفايات فى بعض النواحى ، وإذن فهو على الغالب أقل قدرة وصلاحاً للبيئة التى يعيش فيها .

ومتى تم هذا الفعل فى الطبيعة ، كان شيئاً لا يؤبه له كثيراً، لأن الانتخاب الطبيعى — أى بقاء الأنسب، يعيد الأمر إلى نصابه ، فالتغيرات الفجائية التى لا تكفل مزيةً ما للجسم الحى ، تزول على الزمن ، وأما الصالحة فتعين الجسم الحى على البقاء ، وتنتقل

خصائصه النافعة إلى الأجيال التي تليه . بيد أنه من بواعث الأسف أن الحضارة الحديثة ، قد عكست هذا الفعل بما تتولاه من حماية غير الصالح كحماية الصالح وإطالة حياته ، وبإتاحتها الفرصة لكل من لا يصلح تقريباً أن ينجب ويخلف ذرية . فترى اليوم فريقاً من كبار علماء الوراثة الذين يعتقدون أن هذا يفضى فى آخر الأمر إلى انحطاط البشر ، يدعون إلى تعقيم الذين يثبت أنهم مصابون بالجنون وضعف العقل الوراثيين ، ويوصون بأن يمتنع الذين يتصفون بخصائص وراثية غير مستحبّة ، عن إنجاب النسل .

وقد تمكن العلماء من أن يبلغوا ببعض الحيوانات والنباتات مرتبة الكمال عن طريق التناسل والانتخاب ، فلذلك ترى من الناس ممن لايطيق صبراً ، يسألون : لمَ لايجرى مثل ذلك على البشر ، وليس ثمة شك في أنه لو وسعنا أن نطبق مبادئ علم الوراثة على البشر ، لرفعنا مستوى أوساط الشعب إلى أعلى مستوى أدركه أمتن الناس بنية وأشدهم عافية . ولكن من ذا الذى يحمل على عاتقه تبعة الحكم ، فيفرق بين الخصائص الصالحة والخصائص الضارة بالمجتمع فى المستقبل ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يحكم اليوم ما تكون عليه الجماعة البشرية فى المستقبل ؟ أتستدعى عدداً وافراً من الناس مجردين من الذكاء اللماح ، مقبلين على الكدح خاضعين لكل نظام يفرض عليهم ؟ أم تستدعى شعوباً تعيش فى ظل سلام عامّ ، وتقوم الآلات على خدمتهم والوفاء بحاجاتهم ؟

ولعلّ العقبة التالية أصعب تذليلا . إن أكثر الناس يعيشون اليوم فى بيئات غير صالحة حتى يشقّ علينا أن نعرف مايستكنّ فى نفوسهم من قدرة . وقد كشف لنا البحث العلمى أن فى الناس ألوفاً من العباقرة * قد غمرتهم الفاقة والجهل ، فلم تتم لهم فرصة لإقامة الدليل على قدرتهم . فالمهمة الأولى الواقعة علينا هى أن نحطم القيود التى تعوق نمو المواهب أتمّ نمو ، فإن لم نفعل فكل سعى نبذله للإصلاح يكون مثله كمثل الذى يحاول أن ينحت تمثالا رائعاً فى ظلام دامس .

وعلى ذلك ترى علماء الوراثة ، مستندين إلى العلم الثابت ، يرسمون للمستقبل صورة مجيدة ، فيقولون إن تحسين البيئة والوراثة فى وقت واحد ، يفضى بعد بضعة أجيال إلى القضاء على معظم مصائب البشر . ولا نعدو الحق إذا قلنا إن فى قدرتنا أن نولد سلالة من المتفوقين ، وأن يتم لنا ذلك فى خلال قرنين . ولن يجد البشر غاية أروع من هذه الغاية يرمون إليها بأبصارهم وآمالهم .

---

* « العبقرية سرّها وتنميتها » المختار مايو ١٩٤٦ ص ٢٤

اضحك يضحك لك العالم

مختارات من كتاب بنيت سيرف

أنفى صاحب الدار نظرة جامدة على الرجل الذى جاءه يطلب أن يستأجر شقة عنده وقال : « ينبغى لى أن أذكرك ، بأنى لا أستطيع أن أحتمل الأولاد أو الكلاب أو القطط أو الببغاوات ، ولا العزف على البيان ولا الراديو . أفهمت ؟ »
فقال الرجل متلطفاً مذعناً لأمر الله : « نعم ياسيدى فهمت ، ولكننى أظن أنه ينبغى لك أن تعلم أن لقلمى صريراً خافتاً ! »

تلقى جندى أمريكى من جيش الاحتلال فى ألمانيا برقية من صاحبته فى أمريكا تستحق أن تظفر بجائزة فى مباراة «أقصر الأقاصيص» وهذا نصها : « لم أطق صبراً فتزوجت أباك. لك حبى وسلامى — أمك » .

اعترض رجل من شذاذ الطرق أحد أعضاء نادٍ من أندية الوجهاء فى نيويورك ، حين همّ بأن يركب سيارته الفخمة ، وقال متوسلاً ضارعاً : « أعطنى قرشاً ياسيدى فإنى أكاد أموت جوعاً » ، فأعطاه الوجيه ماسأل ، ولكنه لم يملك نفسه أن يقول : « أخشى أن تعجز عن شراء طعام يذكر بقرش فى هذه الأيام » ، فقال الصعلوك : « لست أريده للطعام ، فقد مضت ثمانية أيام لم أذق طعاماً ، بل أريده لأزن نفسى » .

قال ولد فى العاشرة لأبيه : « كيف تنشب الحروب ؟ » فقال الرجل : « اسمع يابنى ، لنفرض أن أمريكا خاصمت إنجلترا — » ، فقاطعته زوجته قائلة : « ليس بين أمريكا وإنجلترا خصام » ، فقال الرجل ممتعضاً : « ومن قال إن بينهما خصاماً ؟ لقد كنت أفرض فرضاً » ، فقالت : « عجباً والله . إنك تبث فى ذهن هذا الصغير كل ضرب من التفكير الخطأ السخيف » فقال أبى : « لا عجب ، فإنه إذا لم يصغ إلا لك لم يظفر منك برأى البتة » ، فلما احتدم الجدال بين الأبوين وكاد يفضى إلى التقاذف ، قال الفتى : « شكراً يا أماه ، شكراً يا أبتاه . لست فى حاجة بعد اليوم إلى سؤال أحدكما عن الحرب كيف تنشب » .



[طائفة من الأوهام شائعة بين الناس ، برغم مناقضتها للحقيقة]

مهلاً ... فهذا باطل

برجن إيفانز

مختصرة من مجلة "نيويورك تايمز"

من أبناء البشر صغار ربّتهم الحيوانات .

ما زال الناس يصدقون هذا القول منذ قديم الزمان ، ولا تزال الأقاصيص المبنية عليه تطلع علينا في الحين بعد الحين . ففي سنة ١٩٤٠ ذاعت الأنباء عن فتى يدعى لوكاس قيل إن قرداً ربّاه ، وظلت تتناقلها الألسنة حتى ثبت من سجلات الشرطة أنه كان سجيناً في جنوب إفريقية في الوقت الذى زعم أن القرد كان يحوطه ويربيه .

ثم طلعت علينا قصة آمالا وكمالا ، وهما فتاتان قيل إن ذئباً رباهما في مندابور ، وقيل إن لهما أنياباً كبيرة ، وإن عيونهما تشعّ نوراً مخوفاً ، وإنهما تصيحان في الساعة العاشرة والساعة الأولى بعد الظهر والساعة الثالثة تماماً لا تتقدمان ثانية ولا تتأخران ، وإنهما فيما عدا ذلك تفعلان مايظنّ أن الذئاب تفعله ، ولكنها في الحقيقة لاتفعله .

وكذلك ترى رواة هذه العجائب يفضحون أنفسهم بذكر تفاصيل يظنون أنها تؤيد أقوالهم . وقد طلعت علينا في السنة الماضية قصة الفتى الغزال في شرق الأردن ، يأكل الدريس الجاف ويعدو كأنه الريح في هبوبها . لقد كان حسب هذا الفتى الغزال أن يهضم السلولوس (وهى المادة الخشبية في النبات) لأن أحداً غيره من البشر لم يهضمه قط ، حتى يظفر بشهرة عريضة . ولكنه يعدو بسرعة ٥٠ ميلاً أيضاً !

ابيضّ شعره بين عشية وضحاها .

كثيراً ما نسمع هذا القول يقال عن رجل مرّت به محنة قاسية ، ولكن لون الشعر رهن بما تتغذّى به بصيلاته . فإذا كان الخوف أو الحزن مديداً ، كان لذلك أثره في صحة المرء ، وهذا خليق أن يؤثر على الزمن في لون شعره ، ولكن ذلك لا يتمّ بين عشية وضحاها .

إن للحيـوانات « غرائز » عجيبـة — قدرة غريبة ليس للإنسان مثلها وتكاد تكون من خوارق الطبيعـة .

تدل أدق البحوث العلمية الحديثـة على أن للحيوان من القدرة ما للإنسان ، ولا فرق بينهما إلا فرق كمّ لا فرق نوع . فقدرة الكلاب مثلا على تقدير خلق المرء ، ليس على الأرجح سـوى قدرتها أن ترى اضطراب أعصابه وأن تشمّ رائحة عرقه . وأما ذلك الحسّ الخفىّ الذى « يوجهها » والذى يقال فيه إنه يرشدها إلى مأواها فتقطع إليه مسافة طويلة فى أرض هى غريبة عنها ، فلم يقم عليه دليل علمىّ حتى اليوم . ولعلك ترى فى الصحف الكبيرة كلّ يوم إعلانات عن كلاب ضاعت ، فعجزت عن العودة إلى بيت صاحبها من الحىّ الذى فى جواره .

مكان القلب فى الجهة اليسرى من الصدر .

هذا خطأ ربما كان مرجعه إلى أن خفقان القلب فى الجهة اليسرى أوضح ، وحقيقة الأمر أنه فى الوسط . ومن غرائب ما أفضى إليه هذا الوهم ، أن نصف الذين يحاولون الانتحار بإطلاق الرصاص على القلب أو طعنه بمدية، يخطئون غرضهم لأنهم لا يعرفون أين مكان القلب .

صاعقة البرق لا تنقض مرّتين فى مكان واحد .

إن انقضاض الصاعقة مرتين فى مكان واحد أغلب فى ميزان الترجيح . وسبب ذلك أن البرق يطلب مواد موصلة للكهرباء ، لا يتجاوز مجموع سطحها جزءاً يسيراً جداً من سطح الأرض . فإذا انقضّت الصاعقة مرة على شىء فذلك دليل على أنه موصل ، وإذن فاحتمال انقضاض الصاعقة عليه مرة أخرى أكبر من احتمال انقضاضها على ما حوله من قضاء الله . ولقد انقضت صاعقة ستين مرة على الصارية المنصوبة على قمة ناطحة السحاب — إمبير ستيت بلدنج .

النســاء أصغر أدمغــة من الرجال ، و « موهبتهن الميكانيكية » أضعف ، و « انهيـــار نفوسهن » أيسر .

إن حجم أدمغة النساء إذا قيس إلى أبدانهن ، أكبر قليلا من أدمغة الرجال . وقد دلت التجربة التى تمت فى الحرب على أنه إذا أتيحت الفرصة للنساء ساوين الرجال فى قدرتهنّ على القيام بالأعمال الميكانيكية ، إذا استثنيت الأعمال التى تقتضى قوة بدنية عظيمة .

ويلوح أن النساء أقدر على احتمال الإجهاد من الرجال ، وفى وسعهنّ أن يعملن أعمالا دقيقة مجهدة رتيبة فلا تورثهنّ من التفزز

ما تورث الرجال . وأنت ترى فى جميع أقطار الأرض أن معدّل الذين ينتحرون من الرجال ثلاثة أضعاف اللواتى ينتحرن أو أكثر . وترى قرح المعدة واللعثمة ، وهما من الإصابات التى ترتد إلى أصل عصبيّ ، هى فى الرجال أربعة أضعافها فى النساء . وعدد الذين تودى بهم أمراض الأعصاب من الرجال أكثر من عدد النساء . وعدد الذين فى بيمارستاناتنا من الرجال أكثر من عدد النساء .

الأطفـــال الذين يتبـدّى ذكاؤهم فى الصغر ، يخبو ذكاؤهم فى الكبر .

وهذا وهم تميل إليه قلوب الآباء الذين يتأخر نضج أبنائهم . والحقيقة هى أن الأطفال الذين يبكر تكشُّف ذكائهم يصيرون رجالا أفضل من أوساط الرجال . وعلى أن الكتّاب يفخمون ذكر عبقرى كالسير والتر سكوت الذى كان فى صغره فتى بليد العقل ، فإن العباقرة من أمثال شلى وأينشتين وموزار ، هم أدل على الحقيقة لما تبدى فيهم فى صغرهم من دلائل مواهبهم العظيمة . وقد أسفر البحث فى حياة ألفين أو أكثر من العباقرة على أن الذين بكروا فى صغرهم إلى التألق ، كانوا أطول أعماراً من أوساط معاصريهم ، وكانوا أيضاً أتمّ عافية .

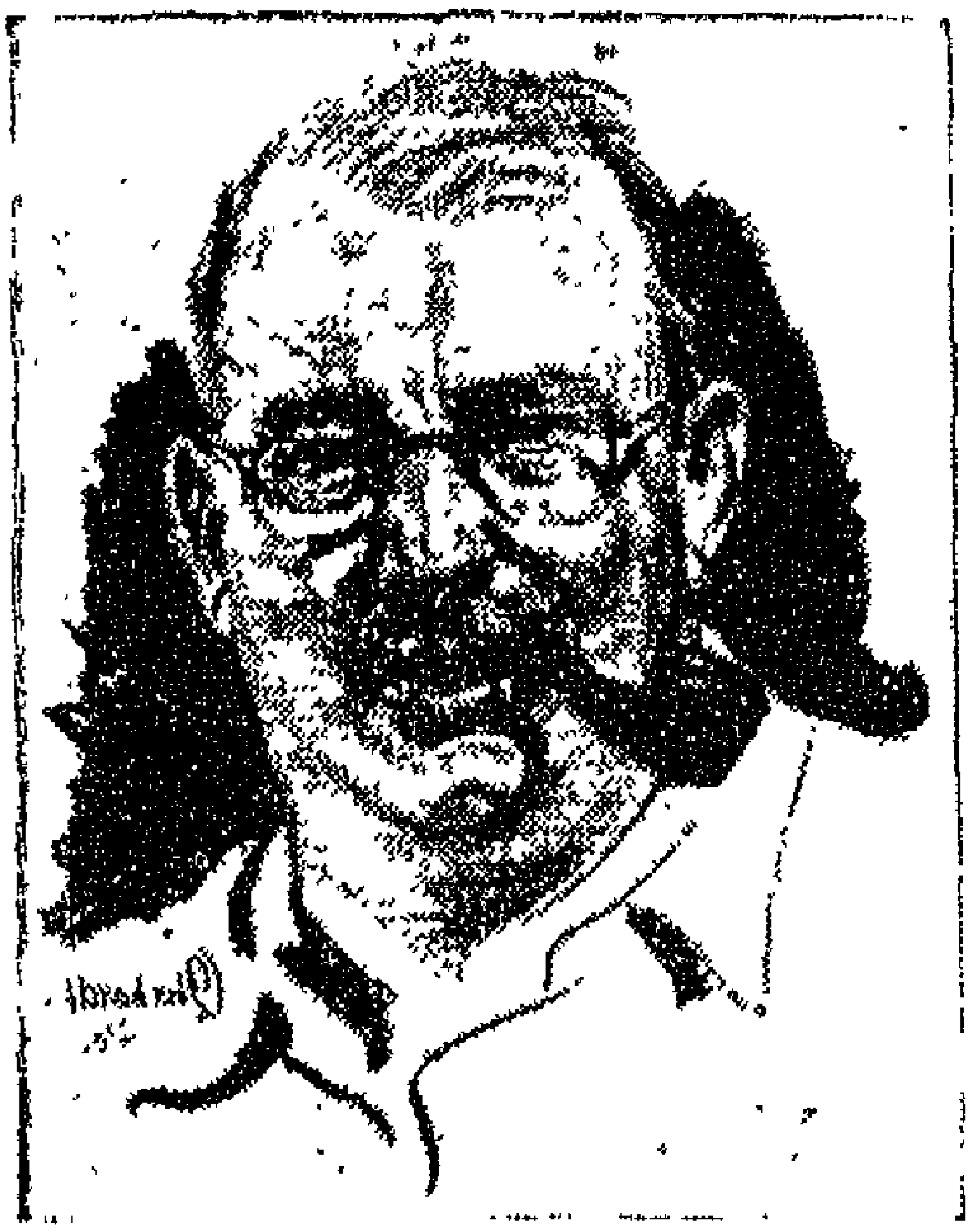
أكثر العظماء من أبناء الفقراء ؟!

إن أوساط الناس يحبون أن يظنوا أن أكثر العظماء نبتوا من بين العامة ، فيعزز ذلك ثقتهم بأن ذلك كان فى وسعهم لو هم أرادوه ، فلنحص عدة العظماء لنرى أين نبتوا . وقد عنى البريطانيون بإحصاء الرجال الممتازين منهم إحصاء وافياً ، ففى المعجم الذى وضعوه عن تراجم رجالهم ٣٠ ألف ترجمة من تراجم العظماء . وقد اهتم الباحثان فردريك أدمز ودز وألين أيرلند بدراستها ، فانتهيا إلى أن الطبقات العاملة ، حاذقة وغير حاذقة ، لم تنبت سوى ١٢ فى المئة من هؤلاء الرجال . أما الطبقات العاليـة كأصحاب الأرض وأصحاب المهن ورجال الحكومة ، فقد كان نصيبها ٨٨ فى المئة . ووجدا أيضاً أن عدد العظماء الذين نبتوا فى طبقات المجتمع الدنيا آخذ فى النقصان نقصاً مطرداً منذ القرن الماضي ، حتى لنرى اليوم أنه قلما يظهر أحد من العظماء من الأسر الخاملة الذكر .

حياة بول ده كروف قصة رائعة ملهمة كأروع القصص التى كتبهـا بقلمه .

مُناضل عَن حق البشر فى الحياة

البرت ك . ميزل



منذ خمسة وعشرين سنة أصدر مدير المعهد العالمى المشهور باسم معهد روكفلر للبحث الطبي ، أمراً بفصل عالم بكتريولوجى من أوفر رجاله إنتاجاً وأرجاهم مستقبلاً ، وكان ذلك العالم فى الثانية والثلاثين من عمره ، فارع الطول رَحْب الصدر، لاتفارق شفتيه ابتسامة تشيع البشر فيمن حوله ، ويخيل إليك أنها تتلألأ فى نواحى رأسه الهولندى الضخم . وقد فصله المدير وهو آسف متردد ، فقدكان يعقد على بول دى كروف أوسع الآمال .

لم يكد بول ده كروف يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وهى كثل سن الرضاع فى سير معظم العلماء ، حتى عين مساعد أستاذ فى جامعة مشيجن ، فكان أصغر مساعد أستاذ فيها ، وتولى تدريس علم الجراثيم فى مدرستها الطبية ، فلما كان فى السادسة والعشرين ظفر برتبة الدكتوراه فى ذلك العلم. وقد قام وهو فى معهد روكفلر ببحث عظيم الشأن أثبت فيه أن الميكروبات تستحيل فجأة من ميكروبات مميتة إلى ميكروبات لا تميت — وهو كشف لا يزال ينزل من علم الجراثيم منزلة الحدّ الفاصل بين المعلوم والمجهول .

بيد أن هذا العبقرى الشاب الزاخر الشباب ، قد ارتكب خطأ لاتغتفره له فئة لها أسلوب معين فى التفكير ، فقد تجرّأ على أن ينتقد جماعة من أصحاب المكانة فى صناعة الطب ، وفى مجلة عامة ، فلابد من طرده . وحاول رئيسه أن يلطف وقع الصدمة

عليه ، فعرض عليه أن يسعى له فى منصب من مناصب البحث العامى فى معهد آخر ، إذا هو وعد أن يستقيم ، وأن يكف عن شن الحرب على أهل صناعته .

فشكر بول ده كروف لرئيسه ماقال وأبى ماعرض عليه ، ثم قال له بحزم وعزم إنه لن يستقيم — على مايريدونه منه على الأقل — حتى تواريه أطباق الثرى .

وكذلك خسر العالم شاباً من ألمع الشباب بين رجال البحث الطبى ، وغنم مناضلا من أعظم المناضلين عن الحقيقة ، وعن حق كل إنسان فى أن يتاح له طب صحيح ، بل خير رعاية طبية ممكنة .

وما فتىء بول ده كروف منذ ربع قرن يسعى إلى هــذه الأهداف ، ويوقد نار الحرب التى يصفها بأنها « الحرب التى لم يشن البشر حرباً أنبل منها — الحرب على الموت » ، فيشنها حرباً حقاً وجهاداً متجدداً لتعريف الناس وأطبائهم بمناقب « الطب الصحيح » فى هذا العصر ، عصر العلم .

وده كروف رجل قوى موفور العافية ، مرح يحب معاشرة الناس ، ويفيض بدنه الذى يزن ١٠٠ كيلو جرام أو تزيد بنشاط وثاب قل أن يوجد له مثيل فى غير ساحة الرياضة . وهو يصحو مبكراً فى داره المشرفة على بحيرة مشيجن ، وقد يقضى ساعات متجولاً بين كثبان الرمل ، تصحبه زوجتــه وزميلته ومعهما كلبه الضخم ، أو تراه غارقاً مستمتعاً بمياه البحــيرة الباردة . وهو يقف ساعات كثيرة كلَّ يوم على الحرب التى لا يفتــأ يشنها ، فهو يبغض المرض والموت كأنهما له عدوّان لدودان ، بل هو أشد بغضاً لقصور الناس عن الاستعانة بكل الأسلحة التى بين أيديهم فى قتال هذين العدوين .

وقد استعان بول ده كروف ، بقلمه البليغ فأخرج قصــة النضال ضد المرض من أبنية المعامل وظلام المكتبات ، حتى نفذت إلى عقول ملايين من الناس وقلوبهم . وقد راج كتابه العظيم الأول « صيّادو الميكروبات » رواجاً قليل النظــير ، فبيع منه أكثر من مليون نسخة فى ١٨ لغة . ولا تزال مطالعة هذا الكتاب فى مئات من المدارس الثانوية والكليات ، فرضاً مفروضاً على طلبة العلوم . وإنك لتجد بين الأطباء ورجال البحث من الشباب ، كثيرين يرجعون الفضــل فى توجيههم نحو الطب إلى نسخة بالية من هذا الكتاب الذى سرد لك قصصاً بسيطاً رائعاً عن الذين نقلوا الطب من السحر والخرافة حتى صار علماً ، من العلوم الحديثة .

وقد أصدر ده كروف ثمانية كتب أخرى بعد كتاب «صيادى الميكروبات» ، وكتب

نحو ١٥٠ مقالة نشرت فى الصحف . بيد أن الكتابة عما يشاهده لم تكن سوى بعض الحرب التى يشنها ، فقد تبين خلال بحثه عن العلماء الناشئين واستطلاع سيرهم ، أن قلة المال كانت تعرقل عملهم فى كثير من الأحيان، وأن مكتشفات باهرة كانت مهملة كل الإهمال أو أنها لاتنــال حقها من التحقيق إلا بعد لأى وإبطاء ، فكان يكف عن الكتابة مرة بعد مرة ، ويرفع لواء النضــال ، ويجوب البلاد يؤلب الأصدقاء ويجنــد الناس لتأييد المشروعات الطبية العلمية . وقد أنفق قسطاً غير يسير من دخله الوافر فى المخاطبات التلفونية البعيدة المدى ، وفى أجور الانتقال بالطائرات ، وفى نفقات الفنادق والبرقيات ، وفى سعيه إلى أن يستحث الناس إلى العمل عسى أن يسفر عمل يتم اليوم عن إنقاذ أرواح غاليــة ، بدلا من أن يرجأ جدواه إلى الغد البعيد .

وهــــذا الجانب المجهول ، من سيرة ده كروف قصة فيها من الروعة والإلهام ماتجده في أية قصة خطتها يداه .

وخير مثل هو قصة الدكتور « سباїز » أكبر ثقاة التغذية فى العالم باعتراف أقرانه . زاره ده كروف أيام ذاع صيت عمــله فى الانتفاع بالحمض النيكوتينيك فى قهر البلاجرا، وقد عجب ذلك العالم ساعة رأى أن ضيفه قد جاءه يحمل مجموعة كبيرة من الصحائف قد سجل فيها تحليلا دقيقــاً لجميع الرسائل الطبية فى موضوع مرض البلاجرا الناشىء من نقص الغذاء . وقد أقام ده كروف أياماً يستقصى فيها من العالم البحاثة كل صغــيرة وكل كبيرة ، حتى محص كل دقيقة فى رسالته .

فلما تبين ده كروف العوائق التى تعوق سبايز فى عمله لشدة حاجته إلى المال ، تركه والسخط حَشْوجوانحه، وماهى إلاأسابيع حتى قاد الدكتور سبايز إلى مكتب باسـيل أوكونور ، رئيس المؤسسة القومية لشلل الأطفال الوبائى ، وكان ده كروف سكرتيراً للجنتها العامة الاستشارية ، وقد أسند إليه هذا المنصب بعد أن ظفر بإقنــاع فرنكان روزفلت فى سنة ١٩٣٤ بأن المال الذى يجمع لهذه المؤسسة ينبغى أن لا يقصر إنفاقه على المصابين بشلل الأطفال ، بل ينبغى أن يشمل أيضاً البحث العلمى فى هـــذا المرض . وها هو ذا الآن يرعد ويـبرق ، فأقنعت حجته رجال المؤسسة بإنشاء لجنة تؤيد البحوث القائمة عن الصلة بين أمراض نقص الغذاء ، والأمراض المعدية ، ومنها شلل الأطفال ، فأرصدت اللجنة لبحث سـبايز مالاً قدره ٣٨ ألف ريال فى العام الأول .

وفى نهاية العام اشـتدت المعارضة بين

رجال المؤسسة ، وأعلن النقاد أن سبايز قد أخفق فى إثبات وجود صلة بين نقص الغذاء وشلل الأطفال . فاشـــتدت خيبة أمل ده كروف واستقال من اللجنة الاستشارية وجاراه الدكتور ر . ر . وليمز أول رجل صنع بالتركيب الكيميائى فيتامين ب ، وأيضاً الدكتور س . ج . كنج مركب فيتامين ج.

وواصل ده كروف الكفاح ، فلم تكد تنقضى بضعة أشهر حتى كان الرئيس المتطوع — بغير مرتب — للجنة تعرف باسم لجنة سبايز للبحث الطبي السريرى . وقد جعل مهمة لجنته أن تؤيد أبحاث سبايز البعيد الهدف ، وقد أيدتها أحسن تأييد . وقد زادت ميزانية اللجنة ضعفين حتى يومنا هذا .

إن ثقة ده كروف فى سبايز ، تلك الثقة التى لم تتزعزع ، أثمرت ثمرها فى أقل من خمس سنوات . ففى سنة ١٩٤٦ هلل العالم الطبي للعالم سبايز لما أسفر عنه بحثه من إقامة الدليل على أن الحمض الفوليك المركب يمهد السبيل للسيطرة على طائفة متدانية من أمراض فقر الدم .

وقد اشتهر ده كروف فى مدينة دترويت ، عاصمة صناعة السيارات ، بأنه الرجل الذى أمسك أذن المدينــة وظل يعركها ويفتلها حتى صرخت المدينــة كلها من الألم ثم قضى سنوات فى عمل ناصب حتى تصير دترويت طليعة المدن الأمريكية فى كفاح السل .

وقد بدأ كل ذلك سنة ١٩٣٤ يوم بين الدكتور هنرى فوجان مدير صحة دترويت لبول ده كروف أن المدينــة تنفق كل عام ١٫٤٠٠٫٠٠٠ ريال على من فى مستشفياتها من المصابين بالسل ، وأنه يعتقد أنه لو أنفق كل عام ٢٠٠٫٠٠٠ ريال لكشف المرض فى بواكيره بدلا من الانتظار حتى يتغلغل ، لوفرت على مر الزمن ملايين من الريالات تنفق فى المستشفيات ، وأعواماً لاتحصى فى الشقاء والعذاب .

فلما تثبت ده كروف من هــذه الحقائق كتب مقالا فى عدد مايو ١٩٣٥ من مجلة « كنترى جنتلمان » . ومضت أشهر وكل شىء على ما كان عليه ، فاستعرت نار الغيظ فى صدر ده كروف مناضــل الموت ، فلجأ إلى الدكتور إ . ج . أوبريان جراح الصدر الأول فى مستشفى هرمان كيفر ، وإلى غيره من رجال الصحة .

ويذكر أوبريان تلك الأيام فيقــول : «حبسنا ده كروف فى جناحه الخاص بالفندق ثلاثة أيام كاملة ، وكان يضرب المائدة بجمع يده ، ويصف مرض الســـل بأنه مرض لاداعى لوجوده ، ويلحف فى طلبه منا أن نصنع شيئاً ، ولكن قبل أن يغادرنا وضعنا

مشروع حملة لنجمع من المدينة ذلك المبلغ ، مبلغ ٢٠٠٫٠٠٠ ريال . وقد عاد ده كروف إلى دترويت مراراً ، وفى كل مرة كانت الجماعة التى تجتمع فى جناحه بالفندق تزداد ازدياداً مطرداً .

« ثم شرعنا نعمل، وقد كتب بول مقالات كثيرة، فنشرت على الصفحة الأولى بعنوانات ضخام فى صحيفة « دترويت نيوز » ، وكتب أيضاً قطعاً للإذاعة ضمنها ما ترتعد له الفرائص حتى صار الناس لا يكادون يفتحون الراديو حتى يسمعوا عبارة « سعال الموت » .

« فلما مثلنا أمام عمدة المدينة ومجلسه ، كان الشعب قد صار شديد التأييد للمشروع ، فلم يجد المجلس بداً من الموافقة على المال اللازم له. وانضم أكثر من ٥٠٠ طبيب لقسم الصحة، فكشفنا فى السنة الأولى ٩٠٠ حالة من حالات السل الخفيف وعالجنا أصحابها . ونحن اليوم نفحص جميع المدرسين بالأشعة ، وأيضاً جميع الذين يتداولون الأطعمة وعددهم ٦٠ ألفاً ، وتتولى شركة كرايسلر فحص جميع موظفيها مرة فى السنة على الأقل .

« وقد إشترك كثير من الناس فى هذه الحملة ، بيد أن نجاحها كان مستحيلا — هنا وفى سائر المدن التى تلتها — لو لم يفعل ده كروف ما يستثير نخوتها ويشعرها بالخزى، ويوقظ ضميرها حتى تكافح السل كفاحاً صادقاً غير قانعة بعدّه مرضاً بغيضاً » .

والقوة الدافعة التى تحرك هذا الرجل الذى قضى سنين يطوف فى أرجاء البلاد ، هو إيمانه العميق بأن الشعب لا يبذل كل ما ينبغى له أن يبذله فى كفاح المرض والجوع والموت . وقد صرفه هذا الجهاد فى الحين بعد الحين عن كتابة المقالات الطبية، إلى استقصاء المباحث الجديدة التى تجدى على الطب .

وقد وصف تشارلز كيترنج، مدير البحث العلمى فى شركة جنرال موتورز ، ما يصنعه ده كروف وصفاً موجزاً فقال : « إن بول يذرع دنيا العلم منقباً عن كنوزها ، فإذا وجد أحدها ، سواء أكان فكرة صالحة أورجلا نافعاً أو كليهما، رأيته لا يني عن الشد والدفع والتدبير، حتى تجتمع عناصر النجاح: الرجل ، والفكرة ، والمال ، والمكان الذى يصلح للعمل . أجل إنه لم يوفق فى جميع مشروعاته ، ولكن من العجب أن تجد طائفة كبيرة من مكتشفات بول الصغيرة قد انتهى بها الأمر فصارت مشروعات قومية عظيمة » .

وأحد هذه المشروعات . مشروع العلاج المركز لمرض الزهرى بالعقاقير والإحماء ، وقد تولاه وحسنه الدكتور والتر سمسون

وزملاؤه ، وهـو مشروع كان ده كروف أول من دعا إليـه ، وكان كيترنج أول من ارتضاه ودبر له المال . ومنها اشتراكه مع مكافحى البلاجرا مثل الدكتور ده كلاين سنين عديدة ، ومنها أيضاً ماأبقاه إلى يومنا هذامستشاراً لمصلحةالصحة فى ولاية مشيجن ولقسم الصحة فى مدينة شيكاغو. وقد شُغل شهوراً متوالية فى السنة الماضية مساهماً فى إنشاء المؤسسة القوميـة للبحث فى الرَّثْية (التهاب المفاصل) .

بيد أن ده كروف كثيراً مايلجأ إلى آلته الكاتبة يصكها بإصبعين ثائرتين ، فيكتب مقالا يدفع مشروعاً من مشروعاته العامة قدُماً ، وكذلك أتاح للأطبـاء والمشتغلين بالبحث تأييد ملايين من الناس الذين كانت أرواحهم فى راحة المقادير ، فإذا إلحاحهم هو أكبر باعث إلى سرعة الأخذ بالمكتشفات الجديدة فى كفاح الموت .

ومما يدل على طريقة ده كروف فى حشد كل سلاح متاح لتنفيذ مشروع ما ، اهتمامه بمركز رعاية الأمهات فى شيكاغو . وإليك القصة كما ترويهـا الدكتورة بياتريس تكر رئيسة المعهد اليوم :

« فى يوم مـن أيام ١٩٣٤ طلب منى الدكتور ده لى ، رئيس مستشفى الولادة فى شيكاغو ، أن أساعد بول ده كروف فى إعداد مقالات عن مركز رعاية الأمهات ، وهو العيادة الخارجية الكبيرة التى أسسها الدكتور ده لى لتوليد الأمهات الفقيرات فى منازلهن . فقبلت دون أن يدور فى خلدى أن دنيانا الهادئة المطمئنة سوف يزلزلها زلزال. وقد جاء ده كروف إلى المركز ليتبين كيف نجحنا فى خفض معدل وفيات الأمهات إلى أدنى معدل فى الولايات المتحدة فى المؤسسات التى تماثل مركزنا . وقد قضى ثلاثة أشهر كاملة معنـا ، يزور معنا بيوت الحوامل ، ويحادث الأطباء والممرضات والمرضى .

« وقد كان همى ، شأن جميع الأطباء الولدين ، أن يكون عملى بالغاً غاية الإتقان الفنى فى صناعتى ، فتعلمت من بول فى تلك الأشهر الثلاثة كثيراً مما لم أفكر فيه من قبل، فقـد كان واسع أفق النظر ، وكان دائب البحث عن الأسباب الأصيلة لوفيات الأمهات والمواليد ، وقد كشف عن ذلك فى عنوان المقالات التى كتبها لمجلة «ليديز هوم جورنال» فجعله : « لِمَ تموت الأمهات ؟ »

« فلما نشرت المقالة الأولى قوبلت بعاصفة فى دوائر شيكاغو الطبيـة ، فجُنَّ جنونى ، وذهبت إلى الدكتـور ده لى وقلت له :

« لِمَ فعلت بنا هذه الفعلة ؟ »

« فكاتم الأستاذ الجليل ضحكه وقال :

«إنك تعيشين عيش الاطمئنان، وأنت الآن على أبواب النمو الكامل» ، ولمعت عيناه السوداوان وقال : «لقد لبثت أعمل منذ ٢٠ سنة : تموت أمٌّ من كل ١٥٠ أماً يضعن أطفالهن أحياء ، وثلاثة أرباع اللواتى يمتن يمكن إنقاذهن ، ومهمة ده كروف مهمة خطيرة : أن يكوّن رأياً عاماً مستنيراً يطالب بالرعاية الطبية الصالحة» .

وقد امتدت عاصفة النقد التى أثارتها مقالات ده كروف فى شيكاغو إلى سواها ، وهبّ الأطباء من جميع أنحاء البلاد يهاجمونه فى المجلات الطبية، ويبينون الأسباب والمعاذير لمعدل الوفيات بين الأمهات ، ويلقون الريبة على إحصاءاته ، ويتهمونه بأنه «يجرّح رجال الطب فى أمريكا» .

ولكن الزمان وضغط الرأى العام قد أثبتا قيمة الأقوال اللاذعة التى نشرها ده كروف . ومنذ سنة ١٩٣٤ — يوم بدأ يثير النساء إلى المطالبة برعاية طبية أصلح — عمدت هيئات الأطباء ومصالح الصحة إلى إرصاد ملايين من الريالات وبذل جهود لا تحدّ ، من أجل إصلاح الأخطاء التى ندد بها، وقد أسفر ذلك عن هبوط كبير فى معدل وفيات الأمهات خلال العقد الأخير من السنين . ففى سنة ١٩٣٤ كان المعدل ٩٫٥ فى الألف فإذا هو فى ١٩٤٤ قد صار ٢٫٣ فى الألف فى البلاد عامة ، أما فى شيكاغو فقد هبط فى المدة نفسها من ٤٫٣ فى الألف إلى ١٫٦ فى الألف !

وده كروف هو آخر من يدعى أن الفضل إليه يعود فى هذا التغيير العجيب الذى ينقذ ألوفاً من الأمهات والمواليد كل سنة ، فإن قسطاً كبيراً منه يرجع إلى العقاقير الجديدة ، وإلى تقدم المستشفيات وازدياد العيادات والأطباء الذين ينتفعون بالأساليب الجديدة . ولكن ده كروف هو الذى كشف الحقيقة للرأى العام ، وهزّ المحافظين هزاً فنفضوا عنهم سرابيل الرضى والاطمئنان .

وقد كتب ده كروف قرابة اثنتى عشر مقالة عن مشكلة الوفيات بين الأمهات ، ولكن الدكتورة تكر روت لى قصة لميكتبها، قالت : «تولى بول مركزنا وهو أشبه بالميت المقضىّ عليه ، فقضى أشهراً يقرع الطبول ويستجدى الأكف ويحرك عناية الناس بالموضوع حتى اجتمع لنا المال الذى يجنبنا الأزمات» .

والدكتورة تكر تتكلم بلسان جماعة كبيرة من المشتغلين بشئون الطب حين تقول : «أنا أعتقد ، كما كان الدكتور ده لى يعتقد ، أن ما صنعه ده كروف لتكوين رأى عام يطالب بالرعاية الطبية الصالحة، وقد جعله صاحب اليد البيضاء على رفع مستوى العناية الطبية فى أمريكا» .

هذه طبائع البشر

« لماذا لاتستريح يابنى ؟ » قالها ذات مساء أحبُّ الرعاة إلىَّ فى مزرعة بولاية أريزونا .

فقلت : « ولكننى مستريح يا عماه » .

فقال : « لا ، إنك تغالط نفسك ، فتفعل كما يفعل جميع أهل المدن ، فأراك تهرع لتمتطى جواداً لتذهب فى نزهة ، ثم تمضى به خبباً طوال الطريق . وقد رأيتك لساعتى تهرع حتى تقعد فى ذلك المقعد ، ولن تلبث دقائق حتى تثب كأن نحلة قد لسعتك ، وهذا يذكرنى برجل رأيته مرة فى نيويورك » .

فقلت : « وكيف كان ذلك ؟ »

فقال : « رأيته يخرج من أحد قطرات النفق كأن الشيطان يطارده ، ثم يعدو على الرصيف ويصعد السلالم وثباً ، فخيل إلىَّ أن هناك أمراً خطيراً ، فعدوت وراءه ، فرأيته يعبر الشارع عدواً مخالفاً إشارة المرور ، ويدخل الحديقة العامة ويهوى على المقعد ويضع ساقاً فوق ساق كأن الزمن قد سبقه ، ثم أتعلم ماذا صنع ؟ بدأ يقرأ الصحف الهزلية ! [فرانك ماكنزى]

كنت جالساً فى ردهة فندق ، فجلس إلى جنبى رجل تقدمت به السن وقال : « أحسُّ كأننى اليوم فى الخامسة والسبعين » .

فقلت كمن يرثى لحاله : « آسف » .

فقال الشيخ مشرق الوجه : « لا ، لاتأسف لأننى فى الخامسة والثمانين » .

[ميكل لونى]

كنت أسوق سيارتى فى منطقة قرب رأس هاتيراس كلها رمل خادع ، فغرزت عجلات سيارتى فيه على بضع أقدام من حافة البحر ، وكان المدُّ آخذاً فى الارتفاع ، وليس أمامى على مرمى البصر سوى الرمل والماء والسماء — وبقايا بضع سيارات محطمة . فخرجت وجعلت أدفع السيارة بكل قوتى ، وإذا رجل مغضن الوجه قد تراءى لى من وراء كثيب ، فصحت به : « ألك أن تمدَّ إلى يد المساعدة ؟ » . فدنا ثم جلس على حاجز الاصطدام فى مقدم السيارة جلسة مريحة وأشعل سيجارة وقال : « أظنُّ أن حاجتك إلى الفكر أعظم من حاجتك إلى اليد ، إن دفع السيارة لن يجديك شيئاً ، فهنا ينبغى أن تكون واسع الحيلة » .

فقلت وأنا ألهث : « واسع الحيلة ؟ »

فقال : « نعم ، ينبغى لك أن تتحلّى بشيمة الصبر » وتركنى أجاهد وحدى حتى لامست الأمواج عجلات سيارتى ، ثم وقف وقال : « ادخل سيارتك الآن وجرِّب » .

فجربت — فانطلقت السيارة كأنها على أرض مرصوفة .

فقال: «إن الماء يلبد حبات الرمل فيسهل سير السيارة عليه ، فهنا لا غنى لك عن سعة الحيلة ، والصبر أهمها » . [نات جونز]

أعلن جدّى على مائدة العشـاء أنه قد ضيّع خمسين ريالا من شيك كان قد صرفه فى الصباح ، فصاحت به جدتى معنفة مؤنبة . فلما خمدت ثورتها وصارت دمدمة مطردة عن سوء عاداته وأخلاقه ، خرجتُ مع جدى إلى الشرفة ، والتفت إلى فرأى شحوب وجهى فقال : «لا تدعى الهم يأكلك يا كيتى ، فمن أسهل السهل علىّ أن أجد المال المضيع بعد أربعـة أيام أو خمسة ، وليس ما قلته كذباً صريحاً . وخلال ذلك سترين جدتك قد بلغت منها الحماسـة كل مبلغ ، فتنظف البيت تنظيفاً هو فى حاجة إليه ، ولا أكاد أجد المال المضيع حتى تكون فرصة العرض العظيم فى المخزن الكبير قد مرّت ، فقد عقدت نيتها على أن تشترى معطفاً لا تحتاج إليه . ينبغى للرجل يا بنيتى أن يسـتعين بعقله ، فاللسان سلاح لا يجدى مع المرأة . [مسز جورج شور]

كان لنا جار وكانت له زريبة يربّى فيها دجاجاً كثيراً ، وكان الدجاج يعبر أرضه إلى أرضنا ، فيزعجنا حين نعمل فى الحديقة ، فنبهناه إلى ذلك فلم يحفل بنا شـيئاً . وبعد أن ضقت ذرعاً بطرد دجاجه مرة بعد مرة خلال ثلاث سنوات ، حزمت أمرى على أن أستسلم إلى ما ليس منه بدّ .

فأخذت فى جيب مئزرى حفنة من الحبوب ، وصرت أنثرها على الأرض وأنا أعمل فى الحديقة ، فصار الدجاج يلاحقنى ، وينقد هـذه الحبوب ، ثم وضعت قفصاً فى أحد أركانها ، فما لبث الدجاج حتى تبين وجوده ، وبعـد يومين جوزيت ببيضة فى القفص . وقد شاع الإقبال بين الدجاج على هذا القفص ، حتى لقد رأيت بعضها ينتظر دوره ليبيض ، فإذا حان موعد دجاجة أن تبيض سمعتها تصوّت لتعلن عن رغبتها ، فلم يكن فى وسـع جارنا إلاّ أن يعرف كل ما حدث .

وإذا صاحبنا يحقق أمنيـة ظللت ثلاث سـنوات أتمناها عليه ، فأقام حاجزاً يمنع الدجاج من أن يعبر أرضـه إلى أرضى ، ولكننى شـعرت بأنى خسرت خسارتين : صداقة الدجاج ، وبيضها — فقد أصبت نحو خمسين بيضة منها . [هارى س . بيتش]

عيون عجيبة من اللدائن

وليم لافار

مختصرة من صحيفة "بلتيمور صنداي صن"

كان لأزمة العيون الزجاجية في زمن الحرب ، ولخيال طبيب من أطباء الأسنان ، كل الفضل في صنع عين صناعية عجيبة — هي أجل نعمة أتيحت لألوف من العور .

يكن لمن يفقد إحدى عينيه ، إلى عهد قريب ، سوى إحدى اثنتين كلتاهما شر : فإما أن يضع على عينه غمامة سوداء ، وإما أن يختار من صندوق العيون الزجاجية أشبه عين بعينه السليمة . بيد أن خير العيون الزجاجية مشاكلة للعيون الطبيعية ، لم تكن تخدع أحداً ، لأنها ثابتة لا تكاد تتحرك .

ولكن البحرية الأمريكية قد توصلت اليوم إلى صناعة عين من اللدائن (العجائن الكيميائية) لا عهد للناس بمثلها من قبل ، وهي تصنع على القياس ، وتتحرك حركة طبيعية ، ولا يكاد الرائي يفرق بينهما وبين العين الطبيعية .

يرجع أصل هذا الاكتشاف الجديد إلى الأزمة التي جرتها الحرب ، فقد كانت العيون الزجاجية تصنع في ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا منذ أجيال ، وكان على الجيش والأسطول أن يرسلوا العور من رجالها إلى أطباء العيون المدنيين أو إلى مستوردي العيون الزجاجية . وما وافت سنة ١٩٤٤ حتى قل رصيد هذه العيون ، واضطر الجيش إلى الاعتماد على عمل عدد قليل من رسامي العيون الصناعية ، والتفكير في عمل عيون من اللدائن تغني عن عيون الزجاج .

ولكن الدكتور فيلبس مورفي ، طبيب الأسنان ، وأحد ضباط أسطول الولايات المتحدة ، سلك سبيلا آخر ، وقال لنفسه : « ليس في البشر إنسانان تتشابه عيونهما ، فيجب إذن أن تصنع العيون على الطلب » . وأخذ الدكتور مورفي يحصي عيوب العيون الزجاجية المألوفة ، تلك العيوب التي رآها سواه شراً لا بد منه . فهي صدفة من الزجاج مفرغة مقعرة من مؤخرها ، وكثيراً ما تنفجر هذه الأصداف الرقيقة من جراء اختلاف الحرارة المفاجئ ، ويؤدي انفجارها إلى عواقب أليمة ، يضاف إلى ذلك أنها لا تكاد تتحرك .

أبى مورفي أن يسلم بأن جمود العين الصناعية أمر لا مفر منه . وكثيراً ما رأى رجالاً أصيبت عيونهم يجربون استعمال هذه

العين ، ثم لا يلبثون أن ينبذوها ساخطين ، ليلبسوا غمامة سوداء .

وتعاون مورفى هو ومتخصص آخر من رجال البحرية هو الملازم ليون شاسبرج الذى كان رئيساً لقسم التصـوير الطبى فى المدرسة البحرية الطبية ، وأخذا يقضيان لياليهما بعد الفراغ من عملهما فى عمل عيون من اللدائن، حتى استطاعا بعد شهور أن يصنعا بأيديهما من أحد أنواع اللدائن* عيناً على قياس العين الطبيعية ، وترسم مقلتها باليد بحيث تشبه كل الشبه العين السليمة من عينى من يستعملها . وأهم من هذا أنها تتحرك فى يسر مع أختها الصحيحة .

ولهذه العين الجديدة مزايا أخر . فقد كانت العيون الزجاجية لا يكاد ينقضى عليها عام حتى تحدث فيها خدوش بفعل سوائل العين . ومثل هـذه العيون الثابتة تظل تحتك ببقية العين المستأصلة التى تتحرك من ورائها ، فإذا طال لبسها فكثيراً ما كانت تؤدى إلى التهاب خطير .

ثم جاء فريق من أطباء الأسنان وأطباء العيون بالبحرية فهذّبوا أسـلوب مورفى فى صناعة هذه العيون ، فصاروا يصنعون قالباً لمحجر العين الضريرة وعضلاتها بنفس الطريقة التى تصنع بها قوالب الأسنان ، ثم يصنعون على هذا القالب قالباً مفرغاً ، ثم يصبون فيه اللدائن السائلة ، فإذا هى عين كالعين المستأصلة . ولكى يضفوا على العين صفات العين الحية تحت الضوء المتغير ، تراهم يعالجونها بمادة متألقة تجعل الضوء ينعكس منها كما ينعكس من العيون الطبيعية .

ثم يأتى عمل الفنان الطبى الذى يرسم على ورق رقيق جيد صورة الحدقة وإنسانها حتى تماثل العين السليمة فى شكلها ولونها كل المماثلة ، ثم يقص هـذا الرسم ويدخله فى تجويف يسير معدٍّ له فى العين المصنوعة ، ثم يغطى الورقة بغشاء من اللدائن السائلة ، فتثبت الورقة فى مكانها ، ثم يرسم على سطح العين المصنوعة بلون أحمر لا يزول ، شبكة من أوعيـة الدم تحيط بالحدقة ، وتطلى اللدائن بظل رقيق من الزرقة والصفرة بحيث يشبه كل الشبه بياض العين السليمة ، ثم تطلى العين كلها بغشاء صاف من اللدائن السائلة ، ثم تصقل بأدوات الصقل المستعملة فى صناعة الأسنان . فإذا ما وضعت فى محجر العين المستأصلة كانت كأنها قطعة منه، تتحرك علوا وسفلا ، ومن جانب إلى جانب بحركة العضلات التى تلاصق مؤخرها كل الملاصقة، وتوافق حركتها حركة العين السليمة .

ولكى يبلغ التقليد غايته ، يعطى المصاب عيناً ثانية واسعة الإنسان يلبسها فى الليل .

(*) Acrylic Plastic

وقد قام الدليل منذ عهد قريب على نفع التجارب التي تمت على يد رجال الأسطول. فقد كان كل مصاب في عينه يسأل حين يلبس العين الزجاجية القديمة : « أيهما كنت تفضل : أن تفقد إحدى عينيك أو إحدى يديك ؟ » . فينظر إلى نفسه في المرآة ثم يقول : « كنت أفضل أن أفقد إحدى يديّ » . ثم ألقي السؤال نفسه بعد أسبوع على هؤلاء المصابين الذين صنعت لكل منهم عين من النوع الجديد ، فكان جواب أكثرهم : « فقدان العين أفضل ! » .

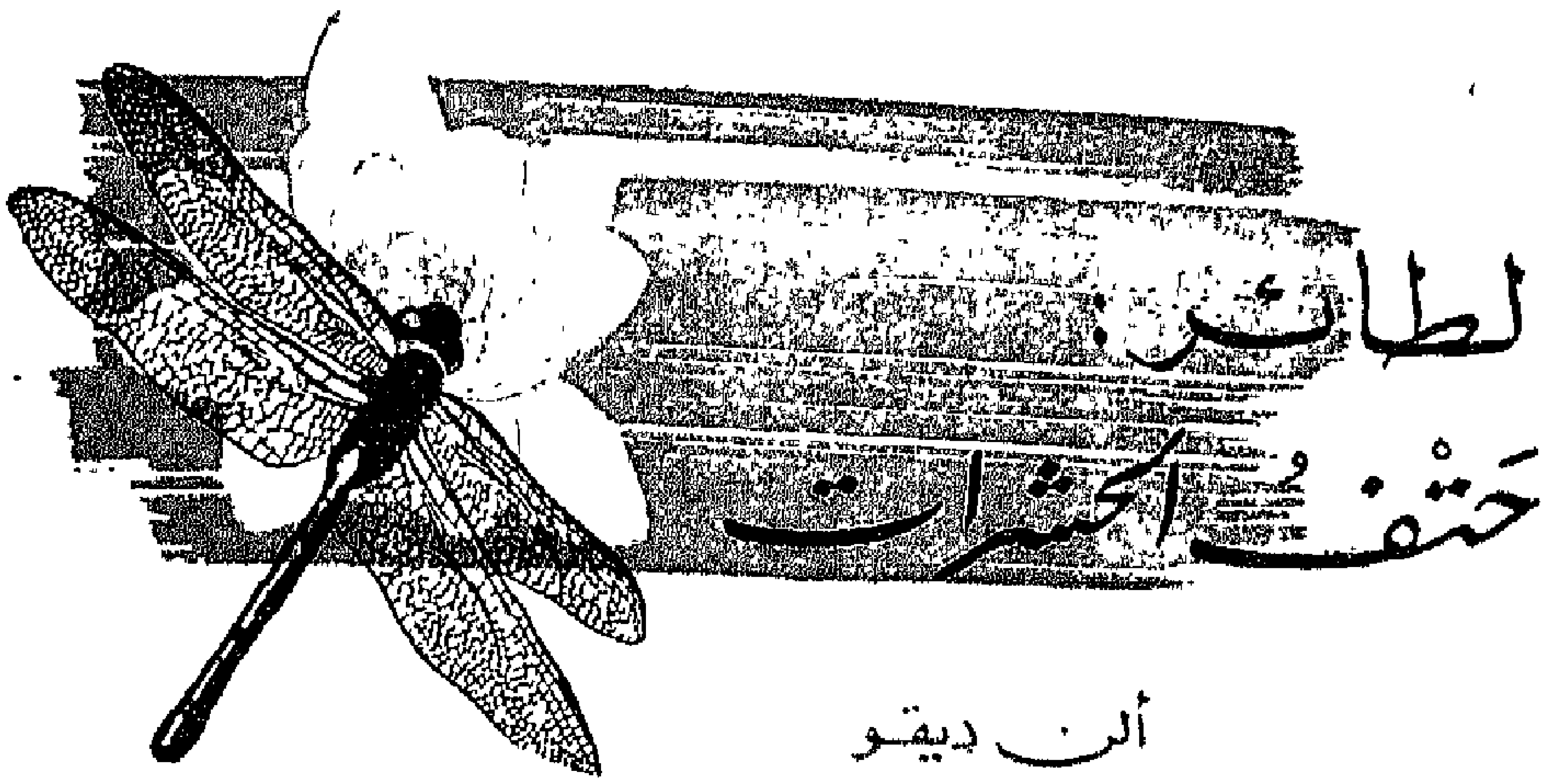
والعين الجديدة ليست رخيصة ، ولكن ألوفاً سوف يرحبون بها لأنها لا تنكسر ، ولأنها لا تتآكل ولا تحول ألوانها ، وأكبر من ذلك أنها تشبه العين الحية وتتحرك كحركتها.

ومما يسرّ أولئك الذين سهروا الليالي في تجربة صنع هذه العين بمركز البحرية الطبي ، أن يرددوا قصة رجل زار طبيباً يشكو له ألماً في عينيه ، ولعله تعمد متخابثاً أن لا يقول لطبيبه أيّ عينيه يشكو ، وبعد أن فحص الطبيب العين الزائفة فحصاً طويلا مرهقاً ، نطق بهذا التشخيص : « يؤسفني أن أقول لك يا صديقي إنك مصاب بآفة متغلغلة في باطن العين ! »

البديهة الحاضرة

ذهب مصور إلى السيدة الوجيهة مدام شومان هينك وطلب منها أن تتفضل فتتيح له فرصة لرسم صورتها ؛ فتردّدت معتذرة بشتى الأعذار ، فقال لها : « أضمن لك يا سيدتي أن أصنع صورة تنصفك » فابتسمت وقالت : « ليس الإنصاف هو ما نطلبه من ريشتك يا سيدي بل الرحمة » . [أليفر برودي]

كان كلفن كولدج رئيس الولايات المتحدة الأسبق مشهوراً بالصمت وإيثار الكلام القليل ، فدنت منه فتاة في أحد الأيام وحاولت أن تشغله في حديث فقالت إن أباها قد راهنها على أنها لن تظفر من الرئيس بجملة تزيد على ثلاث كلمات ، وقد كانت تتوقع أن تستدرجه إلى الإفاضة ، فإذا الرئيس يقول : « ربح أبوك » . [وليم هارت]



التنين الطائر : حتف الحشرات

ألن ديفو

مختصرة من مجلة "ذي أميركان ميركيوري"

إنه يوجد في البقاع القصية المنيعة من جزر الهند الشرقية وحش يمكن أن يسمى تِنِّيناً مع شيء قليل من المبالغة، وربما كان ذلك صحيحاً. ولكن فيم عناء السفر إلى هذه الأرض القصية حتى ترى التنين، وحسبك أن تذهب إلى أقرب بركة أو جدول حتى تراه عياناً.

ولن تجد في الأساطير المغرقة في الخيال تِنِّيناً أشد ظمأً إلى الدم، ولا أبلغ شذوذاً في بعض طباعه من اليعسوب الذي يسمى «التنين الطائر».

وهذه الحشرة الضخمة البشعة المنظر، السريعة النحيلة، ذات الأجنحة الشفافة والبدن المستطيل كأنه خنجر، لا تخطئها عينك في الريف وهي تمرق أو تنقض عند البرك ومجاري الماء. ويبلغ من سرعتها الخارقة وتصميمها العجيب في مروقها وانقضاضها أن تدخل الرعب على قلب الناظر الذي لا عهد له بها.

> لعلك لن تجد في الأدغال القصية تنيناً أظمأ إلى الدم وأعجب طباعاً من هذا التنين الطائر.

واليعسوب الطائر بشع مخوف المنظر، وهو أشد بشاعة إذا رأيته واقفاً على فصن عند مجاري الماء، فرأيت إبرته المفرطة الطول (وهذه الإبرة هي معدته)، ورأيت أجنحته العجيبة المعرّقة المنشورة ممتدة على كلا جانبيه، ورأيت ذلك الفم الضخم، وذلك الرأس بما فيه من عيون ضخمة وهو يدور متطلعاً على عنق كأنه قناة دقيقة. ومع ذلك فهذا الحيوان البشع الذي يهول رائيه، لا يلحق بالإنسان أذى البتة، بل هو له صديق، لأنه يفتك بالبعوض فتكاً ذريعاً.

واليعاسيب على خلاف أكثر الحشرات، لا تجد في مراحل نموها مرحلة متوسطة بين مرحلة اليرقة ومرحلة البلوغ التام،

بل هى حين تخرج من بيضها تخرج ساعية منهيئة لما خلقت له .

واليعسوب حين يخرج من بيضته يسمى « السُّرْفة » ، ويعيش عندئذ تحت الماء : فيدبُّ حَذِراً فى الوحل الثخين المتجمع فى قرار البرك ، ويتسلق متثاقلا على جذوع النباتات النامية فى الماء ، فإذا اشتد برد الشتاء لجأ إلى مكان هادىء فى الطين ليستكنّ فيه مدة البرد القارس . وهو منذ كان يرقة قد اجتمعت له كل خصائص التنين المخيفة ، فحنكه الأسفل مركب على مفصل ، وهو حنك ضخم ضخامة مفرطة ، وفى طرفه أسنان قاطعة حادة . وفى وسع اليعسوب الصغير أن يلوى حنكه الضخم إلى الوراء حتى يغطى وجهه كله كأنه قناع ، فينطلق مقنعاً بهذا القناع الذى يُرَى فيه كأنه صورة مصغرة لكلب من كلاب البولدج — ويدبُّ سارياً فى قرار الجدول أو البركة .

وهو عندئذ ظامىء إلى الدم كأظمأ تنين إلى الدم ، فتراه يقف وقفة ثم يدب متسللا فيلقى حنكه الضخم المخوف ويطوى طرفه الذى فيه أسنانه على يرقة خنفساء ، ثم يرد حنكه إلى جوفه ويبتلع ما افترس . ثم يضع قناعه على وجهه كما كان ويمضى فى طريقه ، ثم ينشر الحنك كرّة أخرى ويطويه فإذا فيه ذبابة . ويفعل ذلك مرة ثالثة فإذا فيه حلزون صغير . وما هى إلا دقائق حتى يطوى هذا الحنك البشع على يرقة من يرقات البعوض . وكذلك تقضى سُرْفة اليعسوب أيامها قبل أن تبلغ رشدها ، آكلة ملتهمة كأشد المخلوقات الضارية التى تعيش فى ظلام الوحل المتراكم فى البرك فتكاً وضراوةً . وهى كالتنين الظامىء إلى الدم لا ترعى حُرْمة ولا ذِماماً ، فلا تحجم إذا أتيح لها أن تلتهم مِنْ بنات جنسها مالا يضارعها خفة ومهارةً .

فإذا جاء الربيع (وأحيانا فى غيره من الفصول أيضاً) زحفت سُرْفة اليعسوب متسلقة على بعض أعشاب الماء لآخر مرة . ثم ترتفع شيئاً قليلا فوق صفحة الماء ، فينسلخ عنها إهاب السرفة ، فتخرج ذاهبة تجفف أجنحتها القوية المعرقة، وبدنها اللامع المستطيل كالإبرة الدالّ على بلوغ الرشد .

واليعسوب أسرع طيراناً من السنونو . وله قدرة عجيبة على الوقوف فجأة عن الطيران وعلى النهوض فجأة من مجثمه ، وعلى الميل والانحراف فجأة وهو فى طيرانه . وهو يتخذ لنفسه ميداناً يطوف فى نواحيه لطلب الصيد، متنقلا من شجرة إلى غصن ، ومن صخرة دافئة إلى ركام من عشب . وهو دقيق فى نظامه . وله مواعيد معينة لا يحيد عنها فى تطوافه طلباً للفتك والافتراس .

وقوائم اليعسوب كلها عند صدره ، وهى غير صالحة للمشى بل هى عنده بمنزلة السلة . فهو يجمع ما يصطاده فى طيرانه ويلقى به فى هـذه السلة المعقودة ، ويستبقيه حيث هو حتى يأتى ميعـاد التهامه بين فكيه الـكبيرين .

وابن عرس على شـدة ظمأه إلى الدم لا يكاد يضارع اليعسوب فى شدة ضرواته . وليس عندنا إحصاء شامل للقدر الذى يفترسه اليعسوب ، بيد أن عالماً اسمه « بوتنملر » صاد يعسوباً فأطعمه فى ساعتين ٤٢ ذبابة فلم يشبع . وقد رأى غيره من العلماء أنك إذا ثنيت بدن اليعسوب حتى يصير طرفه فى فمه ، لم يلبث أن يقضم من بدنه ويظل يقضم منه إلى حيث تبلغ أسنانه .

ولعلك لن تجد فى الأدغال القصية تنيناً أظمأ إلى الدم وأعجب طباعاً من هذا التنين الطائر — اليعسوب .

فى شارعنا يبدأ السلام

مس آن جريس سوير امرأة عجوز تقيم فى شارع إلجن بمدينة شيكاغو وقد ظلت مدة سنين تشاهد الصغار يلعبون فى الشارع ، فيقلدون رجال الشرطة والمجرمين ، ثم الفدائيين . وقد رأت جيـلا منهم قد شبَّ وجند وذهب إلى القتال ، فالألعاب التى كانوا يمارسونها صارت فى حياتهم حقيقة واقعة .

ثم رأت ذات يوم فتى يمرق فى حديقتها ويسدد إلى مطارديه ما كان يعده مدفعاً مضاداً للطائرات ، فنادته . فلما اجتمع الفتيان حولها حدثتهم عن الحرب والمدافع وإهراق دماء الناس بلا رحمة . ثم حدثتهم بلسان متحمس عن السلام والمغامرات العظيمة التى يتيحها لهم . وظلت تحدثهم حتى أقنعتهم بأن يطرحوا بنادقهم ويتخذوا مكانها ما يشاؤون من أدوات الرياضة التى أعدَّتها لهم .

وفى اليوم التالى كُتبت رقعة ووقعتها هى وجميـع الفتيان ، وكان نصها : « فى شارعنا يبدأ السلام ، والخير لعالمنـا أن يكون بغير مدافع ، وأن يكون محفوفاً بالرقة والإنصاف . الإمضاء : نادى الصبيان للسلام فى شارع إلجن » . ثم ختمت الحفلة بنار ألقى فيها الفتيان كل الذخيرة التى لم تستعمل .

والتفتت مس سوير إلى هـذه العصبة من الفتيان الذين كانوا فدائيين ، فشعرت بالزهو وقالت كأنها تحدث نفسها : « فى شارعنا يبدأ السلام » .

الابتكار فى الأعمال

خرجت على عجل من الفندق الذى نزلت فيه بعد أن وفيت أجر الإقامة ، فدهشت ساعة رأيت حاجز الزجاج فى مقدم سيارتى نظيفاً صافياً بعد أن تركته فى الليلة السابقة ملطخاً بالوحل ، ووجدت بطاقة كتب عليها : « نُظف هذا الحاجز — تبرعاً من محطة « بنزين الخليج » الواقعة عند منحنى الطريق » .

فنسيت أننى على عجل ، وذهبت بسيارتى إلى تلك المحطة لأتزود منها بما أحتاج إليه ، فبين لى مديرها أن محطته ليست على الطريق العام ، ولذلك ينبغى له أن يستدرج الزبائن إليها ، فيذهب هو ومساعده فى الصباح الباكر كلّ يوم ، وينظفان السيارات المرابطة أمام الفنادق القريبة . فزاد ما يبيعانه فى الشهر الأول من ٣٠٠٠ جالون إلى ٥٠٠٠ جالون من البنزين ، أما أصحاب السيارات الذين كانوا لا يحتاجون إلى شراء شىء من محطته ، فكانوا يمرون به ليوفّوه حقه من الشكر ، ويعدوه بأن يتزودوا منه بما يحتاجون إليه فى الرحلة التالية .

[هربرت إ . ودرف]

عهد إلى جورج وسويل أحد مديرى شركة للاعلان أن يجرى بحثاً فى ولايات أمريكا الشمالية الشرقية ، فوجد أنه لا يستطيع أن يتمه فى الموعد المضروب ، وأن الزمن الباقى له بضع ساعات وحسب ، فلم يثن ذلك من عزيمته ، فطلب جماعة من حمام الزاجل ليستعين بها .

وعهد إلى سعاة شركة البرق « وسترن يونيون » بتسليم مئة من هذا الحمام إلى مئة من كبار رجال الأعمال فى منطقة حول مدينة بوسطن نصف قطرها ٩٠ ميلاً . وكان قد علق بأرجل الحمام كشف الأسئلة التى يريد توجيهها إلى هؤلاء الرجال . فلما رأى رجال الأعمال ما رأوا من براعة وسويل أكبوا من فورهم على الإجابة على الأسئلة ، ثم وضعوها فى العلب الصغيرة المعلقة بأرجل الحمام وأطلقوا الحمام فعاد إلى صاحبه ، وأتم وسويل بحثه فى أقصر زمن .

[مجلة « تايد »]

ألف الناس أن يروا ذرة أحد الفلاحين تظفر بالجائزة الكبرى فى معرض الولاية سنة بعد سنة ، فلما سئل لِمَ يشاطر جيرانه من الفلاحين خير بذوره قال : « المسألة فى نظرى مسألة اتقاء للأذى ، فالريح تحمل حبوب اللقاح ، وتنقلها من حقل إلى حقل ، فإذا كانت

ذرة جيرانى رديئة فإن تلقيح بعض ذرتى بلقاح ذرتهم يضعف ذرتى سنة بعد سنة ، فلذلك أحرص على أن يزرعوا أفضل حبوب الذرة ».

[مجلة « هذا الشهر »]

أنشأ جوزيف بيسكوتى وزوجته عملا موفقاً من خاطر خطر لهما . فهما يعدّان الخضر الغضة للبيع ، فيغسلانها ويزنانها ثم يضعانها فى أكياس من الورق الشفاف (السلوفان) ، ويرسلانها صباح كل يوم إلى الدكاكين . وقد نما عملهما حتى صارا يستعينان بأربعين إلى ثمانين عاملا فى زمن وفرة الخضر ، ويرسلان كل أسبوع إلى السوق ملء سيارات كثيرة من هذه الخضر المعدّة إما للطبخ فوراً ، وإما لأكلها غضة بغير ضرورة إلى غسل أو إعداد .

وقد بدأ هـذا العمل سنة ١٩٤٣ ، فكان الزوجان يعدّان السبانخ ويضعانه فى علب من الورق المقوى يغطيانها برقائق من الورق الشفاف . وفى السنة التالية زاد عدد الخضر التى يعدّانها على هـذه الطريقة ، وفضّلا أن يستعيضا بعلب الورق المقوى أكياساً من الورق الشفاف الذى لا يبتل ولا ينفذ فيه الماء .

وقد وجدا أن أكثر الطلب على السبانخ والخضر التى تُراد « للسلطة » . وخضر « السلطة » هى الكرفس والجزر والكرنب الأبيض والأحمر وغيرها ، فتغسل وتقطع قطعاً حتى تكون معدّة لتناولها . وفى فصل البنجر والجزر يعنيان بغسلهما ولفهما ، أما فى فصل البسلة فإنهما يفصّصان حبوبها ويغسلانها ثم يضعانها فى الأكياس . ومما يصنعانه أيضا خليط من قطع الخضر المعدّة لتصنع حساء .

وهذه الأكياس تباع فى دكاكين التجزئة وتعرض فيها ٤٨ ساعة ، وكل مالم يبع منها بعد ذلك يطرح ، لأن الغرض هو أن يكون ما يباع غضا ناضراً .

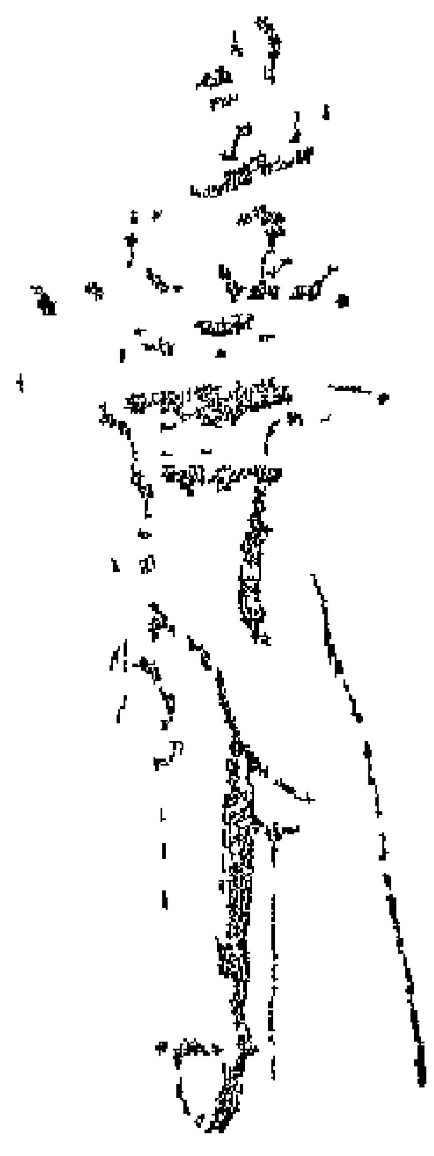
[كتاب : عملك الخاص]

إحسان بإحسان

كنت أطوف فى حى الفقراء فى نيويورك فاعترضنى رجل ظننته شحاذاً ثملا ، فهممت بأن أهز رأسى وأتجاوزه ، فأدركت أنه ليس ثملا ولكنه أعمى ، فدهشت أن أراه هناك ينافس غيره فى حى الفقراء فقلت : « أليس أجدى عليك أن تكون فى شارع من أحياء الوجهاء ! » .

ولن أنسى جوابه ، قال : « نعم ، إن دخلى هناك ربما زاد على دخلى هنا ، ولكننى أوثر أن أبقى هنا . فحين يرى الفقراء رجلا أسوأ منهم حالا ، يحسون بشىء من الفرج ، وإذن فأنا أعرف أنى لا آخذ مال الناس وحسب ، بل أرد عليهم شيئاً فى مقابله » .

[وليم شاملبس]



آثرت الحرية

مختصرة من كتاب
فكتور كرافشنكو

في اليوم التاسع عشر من أغسطس ١٩٤٣ قدم فكتور كرافشنكو إلى وشنطن عضواً في لجنة المشتريات السوفيتية ، وبعد ثمانية شهور تخلى عن عمله ، وقطع صلته بالحزب الشيوعي ، ونزل عن جنسيته السوفيتية . والحوادث التي حملته على هذا العمل الحاسم هي موضوع كتاب « آثرت الحرية » الذي كان ومازال من أوسع الكتب رواجاً منذ صدر .

وقد نشر المختار (أغسطس ١٩٤٦ صفحة ١٠٦) ملخصاً أول للكتاب ، يتناول حياة القلق والشك التي يعانيها الموظف السوفيتي في الخارج . وفي هذا المختصر الثاني يرسم كرافشنكو صورة للحياة بين طبقة الموظفين العليا ، كما تبدو من مَرْقب قريب من قصر الكرملين] .

أثرت الحرية

دعيت ذات يوم إلى مكتب الرفيق أندريه أوتكين نائب رئيس السوفنار كوم — مجلس وزراء الشعب — فى الجمهورية الروسية الاشتراكية فى اتحاد السوفيت ، فقال : « إننا محتاجون إلى مهندس من أعضاء الحزب ليرأس قسم هندسة التسليح للحرب ، وأظن أنك تصلح لهذا العمل » .

وكنت يومئذ كبير مهندسى البرومتريست ، وهو اتحاد صناعى يشرف على تسعة مصانع تشتغل بالإنتاج الحربى ، وهى وظيفة تبعاتها أقل بكثير مما دعيت إليه . فقلت : لست واثقاً من قدرتى على أن أتولى عملا مهماً كهذا .

فقال : « وأنا أرى أنك ستقوم بالعمل على وجه مرضٍ جداً ، فإنك ذو خبرة ، وقد كنا نراقب عملك فى الاتحاد » .

« إذا كان هذا رأيك ، فإنه ينبغى طبعاً أن أقبل » .

وهكذا حدث فى آخر مايو ١٩٤٢ ، فبعد بحث شامل قامت به هيئة البوليس السرى ، (النكفيدا) . وبعد تأييد اللجنة المركزية للحزب ، اتخذت مكتبى بجوار مكتب أوتكين ، وقد بقيت فى هذه الوظيفة نحو عام ، كنت فى خلاله مندمجاً فى دائرة الحكام الداخلية ، ومخولا أن أحمل رمز السلطة السحرى ، البطاقة الحمراء الخاصة ذات الحروف المذهبة . فكنت بذلك من أعضاء الحكومة .

وللروسيين كلمة يعبرون بها عن ذلك هى فلاست أى « السلطان » ، ومعناها السلطة العليا ، ولكنها تعنى ما هو أكبر من ذلك : ستالين ، والمكتب السياسى للحزب ، والبوليس السرى ، وحاشية ستالين بألقاب أو بغير ألقاب . على أن هذه الكلمة تملأ نفس المواطن العادى رهبة ونفوراً ، لأنها تصور له المسافة المترامية التى تفصل هذه الطبقة القوية المختارة عن جماهير الناس .

وقد كنت فى مجلس وزراء الشعب أتبوأ مكاناً قريباً من ذروة السلطة ، حيث يسير أعلى الحكام فى فلك آخر من الحياة الإنسانية ، ويشعرون أنهم معفون من التقيد بالأخلاق والمشاعر العادية التى ينبذونها لأنها « نزعات برجوازية » و « مبادىء حرة متعفنة » .

وكان على رأس مجلسنا كونستانتين بامفيلوف ، وهو رجل بلغ قربه من الحاشية المقربة أنه لما مات دفن فى جدار الكرملين بالميدان الأحمر . وكانت خمس مصالح قوية تتبع مساعده الأول أندريه أوتكين ، وأنا أتولى إحداها ، فليس بينى وبين القمة سوى

خطوتين . وكانت مصلحتى مقسمة إلى عدة أقسام فنية ، يديرها الذين يساعدوننى .

وقد كنت أدرك طبعاً أن فترة ارتقائى الوجيزة خطرة ، فقد رفعنى هوى بعضهم ، وفى الوسع أن ترمى بى إصبع ناعمة من أصابع من هم فوقى ، وهؤلاء يستطيع رؤساؤهم أن يلقوا بهم إلى الأعماق بغير إنذار . وكثيراً ما كنت أرى بامفياوف أو أوتكين يرتجف فى حضرة رئيس من رؤساء البوليس السرى أو بعض المقربين من حاشية الرئيس الأعلى ، وكنت أسمعهما يشتمان بألفاظ قذرة كأنهما بعض الخدم الذين ارتكبوا إثماً ، ولاغرو فإن التوازن فى ظل الدكتاتورية يتم تمامه فى ميزان دقيق تضطرب كفتاه بالسلطة المطلقة والخوف الذى لاحد له .

وكان القليلون منا الذين يمثلون الفلاست ، أو السلطان فى مجلس الوكلاء — وهم نحو ثلاثين رجلا — معزولين عمن هم دونهم من الموظفين والمستخدمين بوسائل شتى . فقد كان لنا طابقنا الخاص وهو ساكن سكون المعبد ، ويحرسه رجال من البوليس السرى من طبقة الضباط ، ولمكاتبنا الرحيبة أبواب مزدوجة لتحول دون استراق السمع . وكانت تقدم لنا ألوان من الطعام الجيد للإفطار والعشاء فى مكاتبنا مجاناً ، ولنا حجرة طعام خاصة للوجبات الأخرى بأثمان تافهة ، ومن أنفس امتيازاتنا حق دخول مستشفى الكرملين والانتفاع بصيدليته يوم كان الجمهور لا يجد سبيلا إلى الأطباء والأدوية .

وقد أكون فى حياتى الخاصة شيئاً لاقيمة له ، ولكنى فى مكتبى كنت محمياً كأنى كنز وطنى عظيم . فما من غريب يستطيع أن يزورنى بغير إذن صريح منى ، فأكتب جوازاً للزائر وأختمه بخاتمى الخاص ، وقبل أن يسلم إليه الجواز يطلب منى رقباء البوابة تأييداً للاذن بالتلفون ، ولكى يستوثق الرقباء من أن مخاطبهم ليس رجلا محتالا ، كان ينبغى أن أطمئنهم بكلمة سر لا يعرفها إلا أنا والبوليس السرى . ومتى تلقى الزائر الجواز ، فإن شخصيته تفحص أربع مرات على أربع مراحل قبل أن يصل إلى غرفة الاستقبال عندى .

ولم يكن لأحد دونى فى المنصب أن يصدر جوازاً مهما بلغ من عظمة الشأن ، فإذا احتاج أحد مساعدى إلى بعض الغرباء فإن عليه أن يبسط لى الأمر ، فإذا رأيت أن الزيارة ضرورية اتخذت التدابير اللازمة .

وكانت هيئتنا أيضاً ، مثل الكرملين واللجنة المركزية للحزب ، يحميها فوق ذلك نظام معروف باسم « رقعة الشطرنج » .

ففي أوقات غير منتظمة كان الحرس من رجال البوليس السرى يغيّرون بإشارة من نقطة الرقابة المركزية ، كما تنقل قطع الشطرنج ، فينقلون فجأة بغـير تنبيه ، ويجرى تنقيلهم على نحو معقـد ، فما من حارس يستطيع أن يعرف أين يكون فى وقت معين ، وهكذا يستحيل أن يتواطأ أربعـة أو خمسة من الحراس على إدخال زائر غير مرخص له .

على أن الرمز الحقيقى لمنصبى العالى الجديد لم يكن هذه اليقظة فى الحراسـة ولا حق فى إصدار الإذن ، وإنما كان شيئاً عادياً فى الظاهر ولكن له دلالة أو قيمة خاصة فى حياة ذوى المناصب الرفيعـة ، وهو خزانة أعرف أنا وحدى أرقام قفلها — لم أكن وحدى فى الحقيقة فى ذلك ، فقد كان رجال البوليس السرى يشاطروننى هذا السر، غير أن الرؤساء لايكلون مثل هذه الخزانات إلا لذوى المنـاصب الكبيرة . ولم يكن ثم إلا خزانة واحدة ، هى خزانة ستالين ، يجهل البوليس السرى أرقام قفلها .

حتى أوتكين وبامفيلوف حين يزوران مكتبى ، ينظـران إلى الخزانة متطلعين ، ويتساءلان فى سرهما عما عسانى قد دونته فى الملفات عن أوامرهما وتعليماتهما الشفوية ، وذلك لأنه لما كانت الخزانة هى أرض الصيد المحببة إلى البوليس السرى،فإن أنجع وسيلة للوشاية بالرؤساء دون أن يخاطر المرء بكتابة تقرير صريح إلى البوليس ، هى أن يدون المرء الحقائق «لنفسه» ويخبئها فى خزانتــه الخاصة .

ولن أنسى أول يوم لى فى منصبى الجديد ، فقد وصلت فى الساعة العاشرة صباحاً ، وكان السكرتيرون والمســاعدون فى أماكنهم ، وكانت الأوراق التى تتطلب أن أنظر فيها مرتبة بعناية على مكتبى الذى تطل عليه صورة كبيرة لستالين . وما كدت أجلس إلى مكتبى حتى دق التلفون ، وكان المتكلم ضابطاً من البوليس السرى يسأل هل آذن له فى المثول أمامى ، وكانت هذه أول مرة يطلب فيها إذنى بالزيارة ممثل لهــذه الهيئة المخيفــة ، وكانت تعلياته وشروحه للإجراءات مظهراً لهذا التلطف الذى لم يسبق له مثيل .

وفى الساعة الحادية عشرة أقبلت خادمة بالفطور : بيضتين وشيء من اللحم وزبد ، وقدح من الشاى ، وكعكات وخبز أبيض ، وكان هذا كله فيما عدا البيض والشاى من فضل قانون الإعارة والتأجير الأمريكى .

وكانت الخادمة فى العقد الرابع من عمرها ، وثيابهـا حسنة ، ولكن شيئاً فى وجهها المتهضّم صدّنى عن الطعام ، فتركت بيضة ، وبعض اللحم وكسرات من الخبز

وقطعة من السكر ، كأنما كان هـذا فوق ما أستطيع التهامه. ولما قرعت الجرس دخلت سكرتيرتى وحملت الصحاف ، ثم جاءت بعد ذلك بأوراق لتوقيعها ، فوقفت بجانب المكتب لحظة وهى غير مستقرة .

وقالت: «يخجلنى أن أقول ذلك ، ولكنى اجترأت على أكل ما تخلف من فطورك . فأرجو أن تصفح عنى . إن من الصعب أن يمسك الإنسان رمقه » .

فقلت : « يسرنى أنك فعلت ذلك ، ولكنى أقول بصراحة أنى كنت أفكر فى أن الخادمة ... »

فقاطعتنى قائلة: «ولكنى أنا وليزا متفاهمتان، فيوماً آخذ أنا المتخلف ، ويوماً آخر تأخذه هى . الجوع فظيع، وهو أقوى من الحياء» .

ومنذ ذلك اليوم طول الشهور التى قضيتها فى هذا المنصب، كنت لا آكل إلا نصف فطورى ، وأترك الباقى لليزا وسكرتيرتى ، وعلمت أن ليزا كانت تحمل نصيبها إلى البيت لتطعم طفليها الصغيرين .

ولما كان منصبي قريباً من القمة ، فقد سمعت كثيراً مما يصح أن يوصف بأنه أخبار عليا . وفى حيثما تكون الصحافة تحت الرقابة التامة تكون مثل هذه الأخبار الشفوية ، ــ ولاسيما إذا كانت لها صبغة غير مشروعة ــ ذات قيمة كبيرة .

فالخلاف بين زعيمين فى القمة ، وصعود نجم موظف وأفول نجم آخر ، وملاحظة لاذعة يبديها « الرئيس » نفسه ــ هذه كانت مواد الأسرار التى نتبادلها بلهفة .

وقد تيسر لى أن أعرف أن كاجانوفتش وأندرييف ــ وكلاهما من أعضاء المكتب السياسى، متعاديان وكل منهما يدسُّ لصاحبه ليفوز بالحظوة عند ستالين ، وأن ميكويان ومولوتوف يتنافسان على المحل الأول عنده ــ أى ستالين ، وأن مخليس رئيس الدائرة السياسية للجيش الأحمر أقصى فى هدوء عن منصبه لأنه وهو يهودى قد صار هدفاً صالحاً للدعاية النازية بين الجهلة من الجنود ، وأن فاسيلى ــ أحب أبناء ستالين إليه ــ لا يزال يقع فى متاعب يجرها عليه الشراب والبنات والطيش فى قيادة السيارات .

على أن ستالين نفسه كان أشد موضوعات اللغط إنعاشاً للنفوس ، فقد كانت كل كلمة من كلماته تجترُّ وتحلل، وكانت محابُّه ومباغضه ، وصحته وعاداته وعيوبه ، تثير من الاهتمام بين رجال حاشيته فوق ما يثيره سير الحرب أو مصير الثورة العالمية .

وقد علمت أن ستالين مولع بالشطرنج والبليارد ، وأنه ماهر حاذق فيهما ، وعلمت كذلك أنه يؤثر القوقازيين أى أهل جورجيا وأرمينيا على الروسيين ، وأن هؤلاء

القوقازيين، وإن كانوا جزءاً ضئيلا من جملة أهل الاتحاد السوفيتى، منتشرون فى جميع نواحى النظام القائم.

وكنا جميعاً نعلم أن ستالين يحب الأمثال، فبعد أن عقد ميثاقه مع هتلر قيل إنه قطع الحديث فى المجلس السياسى بمثل من أمثاله التى يحبها: «لست أضمن طعم هذا الصنف، ولكنه سيكون حاراً!»، وكان أحياناً إذا أطال بعضهم فى الكلام، يقترح بلطف: «اقلب الأوزة وإلا جاوزت بها حد الإنضاج»، أو يرى المتكلم يكثر من التمهيد قبل الدخول فى الموضوع فيقول: «إناث تخور كالبقرة جاءها المخاض، ولكن أين العجل؟»

ويعتقد أصفياء ستالين اعتقاداً راسخاً أنه يؤمن بالخرافات، وأنه غير أحياناً خططه لأن «العلامات» لا تؤذن بالتوفيق. ولعله الوحيد بين الدكتاتورين والساسة الناجحين الذى يعد «ذئباً مستفرداً»، وأنه حريص على العزلة، يحجب نفسه فترات طويلة للتفكير وحده. وعسى أن يكون الوحيد بين زعماء الكرملين الذى يندر أن يغتابه أحد، على حين تلهج الألسنة بغير انقطاع عن الزعماء الآخرين والراقصات والممثلات وحفلات الشراب وما إليها.

ويتفق الذين عرفوه منذ زمن طويل معرفة وثيقة على أنه منتقم، ولم يعهد فيه قط أنه نسى أو اغتفر مساءة، وقد أحاط نفسه برجال من نفس هذا المعدن — رجال أقوياء الشكيمة، ليس فيهم رقة أو تسامح. على أن سوء ظن ستالين بالذين يحفون به كالمرض، لا يسمح له بأن يستثنى حتى الذين يرضى عنهم فى أى وقت معين. ولا يكاد يكون هناك شك فى أنه يعدّ كل واحد منهم متآمراً عليه أو متربصاً.

وكان علينا فى طبقة الموظفين التى انتمى إليها، من التبعات فوق مالنا من السلطة. فقد كنا فى وظائف أعلى من أن تسمح لنا بالراحة، كصغار الموظفين والمستخدمين العاديين، ولكن وظائفنا فى هذا اليوم لم تكن من السمو بحيث تجيز لنا أن نلقى العبء واللوم على كواهل غيرنا.

على أن أثقل ماعانيناه كان قلة النوم، وكان الأسبوع الذى استطعت فيه أن أنام خمس ساعات فى اليوم، فلتة. وكان معظم رجال المكتب والمتخصصين يعملون عادة من الساعة التاسعة إلى الساعة الخامسة، أما يوم عملى فكان يستمر من العاشرة أو الحادية عشرة إلى الثالثة أو الرابعة من صباح اليوم التالى، وكثيراً ما كان يجاوز ذلك. وكان يندر أن أختلس بضع ساعات من

المساء أقضيها فى البيت مع زوجتى . وكنت فى بعض الأحيان أجازف فأنام ساعة أو ساعتين نوماً مضطرباً على أريكة فى مكتبى ، والباب موصد وجهاز التلفون بجانب أذنى حتى لا يتبين أحد أنى نائم .

وكان نظام العمل فى الطبقة العليا من الموظفين فى موسكو غريباً ، لأنه يجرى على النسق الخاص الذى اقتضته عادات رجل واحد . وكان ستالين يبدأ يومه عادة حوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً ، ويظل يعمل حتى الرابعة أو الخامسة مساء ، ثم ينام إلى العاشرة أو الحادية عشرة مساء ، ويستأنف العمل إلى الثالثة أو الرابعة صباحاً أو إلى ما بعدها . وكانت جلسة العمل ليلاً هى أهم الاثنتين .

فالعمل فى العاصمة منظم تبعاً لساعة ستالين الشاذة . فكان الموظفون الأعلون ينشطون للعمل حين يصل « الرئيس » إلى مكتبه (كما كنا جميعاً نسميه فى أحاديثنا) ولا يفترون إلا حين يعود إلى بيته . وكانت بقية البلاد ، لدوام اتصالها التلفونى بمقر الرياسة وشعورها الدقيق بحالاته ، تجرى أيضاً على هذا المنوال . ولهذا كان الواقع أن المد والجزر فى حياة الحكومة فى روسيا كلها خاضعين لهذا التأثير .

ففى مصلحتنا مثلا ، كان بامفيلوف وأوتكين يحرصان على أن يكونا فى مكتبيهما قبل أن يصل ستالين إلى مكتبه ، ويبقيان إلى أن يغادره . أما أنا فكنت حريصاً على أن أبدأ عملى قبل أن يجىء رؤسائى المباشرون ، كما كان مساعدىّ يحضرون قبلى . ولم أنصرف قط بغير إذن صريح ، وقبل أن يفرغ رؤسائى من عملهم ليلاً ، ولهذا كنت أقضى فى العمل ١٧ أو ١٨ ساعة. وكان أوتكين وبامفيلوف لا يشكون فى أنى حاضر إلى جانب التلفون حين يحتاجان إلى مخاطبتى ، كما كان ستالين أو مولوتوف لا يشك فى أن بامفيلوف يباشر عمله فى مكتبه حين يخطر له أن يطلبه تلفونياً .

وكانت مصلحتنا ، باعتبار أنها أداة التنفيذ والإشراف للجنة الدفاع المهيمنة، مسئولة عن جانب ضخم من الإنتاج الحربى كله . وكان بعض هذه المهمة الهائلة موكولا إلى القسم الذى أتولاه ، فكانت مئات من الأوامر والقرارات والشكاوى والتهديدات تصل إلى مكتبى بإمضاء ستالين وألصق أعوانه به ، وكنت على اتصال مستمر بكل مصلحة ، وبالمصانع والمكاتب الصناعية الخاصة ، والمصالح الأقليمية فى طول البلاد وعرضها ، فكانت حياتى سعياً محموماً لتهيئة المواد والوقود والعمال ، ولزيادة الإنتاج فى فترات معينة من الوقت .

وقد تبينت من أول الأمر تقريباً مبلغ النقص المحزن فى المـواد اللازمة للحرب ، وذلك فى مؤتمر عقـده ألكسى كاسيجين أحد أعوان ستالين الأقوياء ، وكان موعد انعقـاد المؤتمر الساعة الأولى بعد منتصف الليل بالكرملين،فلما دخلنا حجرة كاسيجين ساد الصمت والسكون،واختفت الابتسامات، ولبس كل واحد قناعه الرسمى .

وهـذه الحجرة البيضاوية فسيحة عالية السقف . ويجلس كاسيجين ، الذى يرتدى ثياباً مصنوعة خارج روسـيا ، إلى رأس المائدة الطويلة ، ووجهه صارم وعليه دلائل التعب والسهر ، ونحييه فيرد بهزة من رأسه ويأمرنا أن نجلس ويقول : « فليقدم رئيس الجفيوك تقريره » .

« والجفيـــوك » اسم مختصر لمصلحة المارشال فوروبيوف وهى تتولى التجهيزات العسكرية ، ولم يفتنا أن المارشال لم يخاطب باسمه ولقبه : كاسيجين إذن غير راضٍ .

ويتكلم المارشال فوروبيوف خمس عشرة دقيقة مستنداً إلى حزمة من المذكرات ، ويسرد أرقاماً وأرقاماً أخرى أكثر ، والصورة كلها حالكة قاطعة بنقص المواد : لا زوارق بحارية ، ولاجسور معدة من قبل لعبور الأنهار ، ولا ألغـام لتعويق زحف العدو ، ولا مصانع متنقـلة للإصلاح ، بل لافؤوس ولا مجارف للمشـــاة ، (وينظر كاسيجين إلى الإضبامة التى أمامه ويبدى الملل والضجر) ، ويمضى المارشال فى بيانه ولكن شعوره لايلبث أن يتفجر من تحت قناعه العسكرى الصلب ، فيصيح :

« إن الناس يموتون بالآلاف فى جبهة القتال فى هذه اللحظة ! فلماذا لا نستطيع أن نزودهم على الأقل بألزم مايلزم لهم؟ لقد أمر الرفيق ستالين بنفسه ثمـانى مرات بالمصابيح ولكنها لا تزال تنقص الجبهة . إنى أناشدكم أيها الرفقاء الذين تقفون على رأس الصناعة باسم الجنـدى البسيط الذى يقاتل فى الميدان » .

فيسأله كاسيجين: « أى نوع من المصابيح تشير إليه ؟ » فيرفع كولونيل مصباحاً ساذجاً له إطار من المعدن وجوانب من الزجاج ، هو النوع المطلوب بدلا من بطاريات الإشارة. فيسأل كاسيجين بغضب : « ولِمَ لا نستطيع أن نصنع حتى هذه التوافه ؟ »

ويتفق أنى على علم بهذه المسألة ، فأقول أن إنتاج المصابيح قد أبطأ لأنه ليس عندنا رقائق معدنية، ولا آلات لتكييفها، ولا زجاج من النوع أو الحجم المطلوب .

فيدق كاسيجين المائدة بقبضة يده ويقول: « يجب أن ينتهى هذا الجمود الإجرامى ! ويجب أن تصنع المصابيح ! ويجب أن يكون

الإنتاج الحربى كما أمر الرفيق ستالين ! سوسنين — هات تقريرك ! »

ويتكلم وزير مواد البناء — وهو رجل طويل كئيب الوجه — بلهجة مملة واشية باليأس ، فإن مهمته عسيرة . ذلك بأن الآلات فى كراسنو يارسك فى حالة سيئة ومحطة توليد الكهرباء معطلة ، ولا يوجد العمال الصالحون .

ويستمر المؤتمر ساعة بعد ساعة ، وكل تقرير يقدمه وزير يزيد اليأس ، و « عنق الزجاجة » فى المواد والآلات ووسائل النقل تبدو كأنها تعددت فصارت كأنها غابة مضلة من « أعناق الزجاجات » لاسبيل إلى اختراقها، ويكف كاسيجين عن السؤال ، ويصرخ بالأوامر ، ويعين الأرقام والتواريخ دون أن يستشير أحداً . ونحن نعلم ، وكاسيجين يعلم ، أن وجوه النقص حقيقية ، وأنه ما من أحد منا يستطيع أن يأتى بالمعجزات .

وفى أثناء المؤتمر يدق التلفون ، فتتغير هيئة كاسيجين كلها فجأة ، وينقلب رقيقاً خانعاً، ومن البديهى أنه يعرف ممن التلفون. « نعم ، يايوسف فيساريونوفتش . . . طبعاً سنعمل هذا ! » . ستالين ! وتسرى فى أبداننا الرهبة ، ونجلس جميعاً صامتين جامدين كالتماثيل ، حتى يعيد كاسيجين السماعة بعناية ، ويحتاج إلى خمس دقائق ليستعيد مظهر الغضب ويستأنف لهجة الأمر والشتم .

وتبلغ الساعة منتصف الخامسة صباحاً قبل أن يطلق سراحنا ، وقد صيح بنا وشُتمنا شتماً قبيحاً ، ولعل العبارات البذيئة الشائعة فى كل مكان بين الطبقات العليا فى النظام السوفيتى هى أبرز مايذكر بأصله الذى يرجع إلى الطبقات العاملة . وقد خرج كل واحد مثقلا بأوامر بطلب موادّ أرقامها تدير الرأس . ونحن جميعاً نعلم أن هذا مستحيل، وأن الأرقام قد رفعت عمداً لتعتصر آخر قطرة من مجهود الصناعة .

وقد شهدت عشرات من هذه المؤتمرات فى الكرملين ، عقدها غير واحد من مندوبى ستالين ، وكانت الإجراءات ومظاهر الغضب والمطالب ، والتهديدات لاتختلف .

وقد عرفت بفضل جهودى اليائسة لتنظيم الإنتاج الذى تصنعه أبسط الأدوات ، قيمة مايتدفق من الأسلحة والمواد والآلات من أمريكا بمقتضى قانون الإعارة والتأجير فى إدراك النصر ، وذلك لأننا كنا نواجه نقصاً فى كل ناحية .

وسأذكر دائماً تلك الليلة التى أقبل علىّ

فيها جنرال فى الجيش الأحمر وجلس فى مكتبي يتوسل إلىّ ، والدموع تنهمر من عينيه ، أن أزوده بآلات يقطع بها الأسلاك الشائكة ، وقد قال إن آلافاً من جنودنا يقطعون ويذبحون بغير موجب من جراء حاجتهم إلى هذه الآلات البسيطة، وقد طلبت فى حضرته الوزراء فى موسكو ومديرى المصانع خارجها ، ولكن مافائدة الهياج والتهديد والصياح ، مادامت المصانع ليس فيها الصلب اللازم أو الأدوات أو الآلات ؟

وكان البحث عن أحذية الخيل مدعاة لعقد مؤتمرات لا آخر لها ، ومخاطبات تلفونية مستمرة ، ومتاعب وآلام شتى . وقد احتجنا مرة أن نستولى على آلاف من بوصلات المدارس ووزعناها بشح على الجبهات المختلفة ، وكان الأمر الذى أصدره ستالين بتوقيعه يطلب ٥٠٫٠٠٠ بوصلة لميادين الحرب ولكن الصلب المغطس لم يكن إليه سبيل .

وكانت الأوامر التى أتلقاها من فوق كثيراً ما تكون هستيرية اللهجة ، وكان الأمر الصادر بتوقيع ستالين أو أحد أمنائه ، بطلب قطعة جوهرية من قطع الدبابات أو جهاز للطائرات لاغنى عنه ، لا يجىء إلا ومعه إنذار بعقاب لا رحمة فيه .

« إن الإشراف على تنفيذ هذا الأمر مفروض على وزير الشعب فى شئون الهيمنة الرفيق بوبوف ، وكل من يرتكب مخالفة هذا الأمر كائناً من كان ، يعد مسئولا (وهذا معناه العزل والمحاكمة أمام محكمة عسكرية) ويجب أن يبلغ أمره إلىّ » .

وهذا هو أسلوب ستالين المعهود ، وكل موظف يقلده فى علاقته بمن هم دونه ، وهى لغة الخوف والتخويف بغير تزويق أو تمويه ، والمقصود بها هو تذكيرنا صراحة بمعسكرات الاعتقال وفرق الإعدام . ومع أن الخطاب قد يكون موجهاً إلى زعماء أقوياء تقشعر أبدان الروسيين لذكر أسمائهم ، إلا أن ستالين ومعاونيه الأدنين لم يكن يفوتهم قط أن يهددوا بالاعتقال والعقاب .

ولم يسبق قط أن كددت هذا الكدّ ، أو عملت وأنا أشعر شعوراً مستغرقاً كهذا بالإخفاق . وسرعان ماصار لونى متغيراً وعيناى ملتهبتين ، ومسّ الحمى يأخذنى ، وذلك مايحدثه التعب الدائم .

وكان كل من حولى من الرجال والنساء يكدون مثل كدى ، ولا شك أنه كان بينهم من يمقتون الاستبداد السوفيتى كما أمقته ، غير أن آراءنا السياسية لم تضعف من إخلاصنا لقضية النصر . فقد كانت بلادنا فى خطر — فكل ماعدا ذلك لاقيمة له ، ولم يكن أحد منا يحتاج إلى حافز آخر إلى العمل ، فالتهديد إسراف لاموجب له فيما يتعلق بنا .

وكان مجلسنا كله من بامفيلوف إلى أصغر كاتب موكل بحفظ الملفات ، يجرفه عباب طام من الوطنية المنبعثة من أعمق أعماق التاريخ الروسى والأرض الروسية . أما وكلاء الدعاية الصغار التابعون لأداة ستالين فى الداخل والخارج ، الذين يحاولون أن يعللوا هذه الفورة بأنها ظاهرة شيوعية، فإنهم يظلمون روسيا ظلماً قبيحاً ، لأنهم يحاولون أن يفسروا قوة متأصلة لا يحدها زمان تفسيراً قائماً على الآراء الحزبية التافهة . فما كانت المعجزة إلا معجزة روسية لا سوفيتية، ولا دخل فيها لكارل ماركس ولا ستالين .

وكانت الشهور التى قضيتها فى هذا المجاس هى التى دارت فيها أقسى معارك الحرب وأشدها مرارة ، وأعنى بها الموقعة المستيئسة فى سبيل ستالنجراد ، وكان الجمهور الروسى أقل معرفة بمجرى هذه المعركة المتطاولة من بقية العالم . ولكننا نحن بفضل مراكزنا فى الحكومة لم يكن يسعنا إلا أن نعرف كيف جرت الدماء أنهاراً ، وماذا اتخذ من التدابير القاسية لدرء عواقبها .

وكان التجنيد يجرى منذ زمان طويل على نحو لا نظير له فى أية دولة أخرى ، وكانت أعمار رجالنا المقاتلين تتراوح بين السادسة عشرة والسادسة والخمسين ، وانقطع التظاهر بالفحص الطبى ، والإعفاء من الخدمة من أجل من لا عائل لهم غير المجند ، بأمر سرى صدر عن ستالين نفسه ، وكان آلاف من قدماء المحاربين يُرَدُّون إلى جبهة القتال قبل أن تندمل جراحهم ، وكان الصبيان والبنات ممن لا يتجاوزون سن التعليم وأمهات الأطفال الصغار ، بل نساء المزارع التى خلت من رجالها ، هؤلاء جميعاً كانوا يحشدون للعمل فى المصانع .

وفى هذه الأزمة المستحكمة فى موارد القادرين من رجال ونساء ، كان تسخير الملايين من السجناء السياسيين عاملاً ذا شأن عظيم — بل أهم عامل — في إنقاذ الاقتصاد الحربى السوفيتى ، وهذه حقيقة يجب أن تُواجه مهما يكن ما تنطوى عليه مما لا يخف على النفس . وأنا أعلم مما رأيته فى نطاق واسع أن معظم الصناعات الحربية استخدمت فرقاً من الأرقاء ، وأن المعوَّل الأول أو الأوحد فى معظم المصانع كان على هذه السخرة ، فالذين يلغطون فى الخارج عن النصر الروسى وأنه دليل على « نجاح النظام السوفيتى » قد يكونون أقرب إلى الصواب إذا مجدوا نجاح نظام السخرة الذى جرت عليه الدولة فى نطاق واسع .

وبزيادة اعتماد الصناعة على الجيوش الجرارة من السجناء المسترقين ، تضخمت

صفوفهم إلى حد لم يسبق له مثيـل بسبب الاعتقالات التى اقتضتها الحرب ، وقد كان التقدير المسلم به فى الدوائر الرسميـة لهذا الجيش من العمال عشرين مليوناً . وقد استرقّ النازيون أبناء البلاد المغزوّة واستخدموهم فى صناعاتهم الحربية . أما الكرملين فاسترق أمته . ومن السهل أن يتصور المرء الأحوال الفظيعة التى كان يعيش فيها السجناء يوم كان الجوع قاسـياً فى البلاد ، وكان البوليس السرى يعدهم ممن لاداعى للحرص عليهم ، فهو لا يسأل عما يصيبهم أو عن الوفيات بينهم .

وقد طال فى مجلسنا بحث مسـألة إخلاء معسكرات الاعتقال ، على حين كان الألمانيون يتقدمون ، فقد كان نقل هذه الجماعات المسترقة أهم من نقل المواطنين الأحرار ، لأن لاستخدامهم فى العمل قيمة اقتصادية تستحق الحرص عليها . وأهم من ذلك أن هؤلاء السجناء لم يكن من المنتظر أن يحبوا النظام السوفيتى ، فهم قد يصبحون عوناً للألمان . وفضلا عن ذلك فإن هؤلاء السجناء إذا وقعوا فى الأسر فإن العالم الخارجى قد يقف منهم على بعض الأسرار الفظيعة عن مدى نظام الاستعباد السوفيتى وعن تطبيقه .

وقد وقف بعضنا فى المجلس على حوادث قتل فيها السجناء بالجملة لما تبين أن من العسير نقلهم وقد حدث هذا فى منسك ، وسمولنسك وكييف ، وخاركوف ، ودنيبرو بتروفسك ، وزباروجى .

وكنت فى إلحاحى على المصالح أن تسرع فى الإنتاج ، أجد دائماً معوقاً فى نقص الأيدى العاملة ، وكثيراً ما طالب بامفيلوف رئيسَ البوليس السرى بالأيدى العاملة لتزويد هذا المصنع الرئيسى أو ذاك ، وكان أحياناً يرفع الأمر إلى مولوتوف مبـــاشرة أو إلى بيريا رئيس البوليس السرى الأعلى .

ولا أزال أذكر بوضوح حديثاً أمرت به مع أحـد كبار رجال « الجولاج » (الإدارة المركزية لمعسكرات السخرة) ، وكان مطلوباً منه أن يقدم بضع مئات من السـجناء لعمل مستعجل ، وكان الضغط الواقع علينا فظيعاً من أجل هذه المهمة ، فدعوت موظف الجولاج من أجـل ذلك لحسم الأمر .

فقاطعنى قائلا : « أيها الرفيق كرافشنكو ، كن رجـلا عاقلاً ، فإن مصلحتك ليست الوحيدة التى تصيح مطالبة بالعمال . فهذه لجنة الدفاع تطالب بهم ، والرفيق ميكويان يسوّد عيشنا ، وفوروشيلوف يطلب عمالا لتمهيد الطرق ، ومن الطبيعي أن يظن كل واحد أن مهمتـــه أعظم المهمات وأولاها بالتقديم . فماذا نصنع ؟ الواقع أننا لم ننجز إلى الآن خططنا الخاصة بالاعتقالات .

ولا يزال الطلب أكبر من العرض » .

ولم يكن بطبيعة الحال يعنى أن الاعتقالات تدبر فعلا لمواجهة مطالب العمل ، وإنما كان يشكو فقط ، بالأسلوب السوفيتى ، من أن الملايين فى جيوش السخرة لاتكفى لإجابة الطلبات جميعاً ، غير أن ما فى عبارته من القسوة لا يزال يجرى الرعشة فى بدنى .

ولا تزال رحلة قمت بها من أجل عملى منقوشة نقشاً أليماً على لوح ذكراتى . وليس فى مقدور أحد إلا أن يكون شاعراً من طبقة دانتى ، أن يرسم بالألفاظ صورة لذلك المصنع السرى المخبوء تحت الأرض ، وهو تابع لوزارة التموين ، وأكثر من يعملون فيه من المسخرين .

وهو واقع فى منطقة غابات كثيفة فى إقليم موسكو ، ولا بد من إذن خاص لركوب القطار الذى يحملنا إليه . وقد فحص ضباط البوليس السرى أوراقنا عدة مرات ، وكان القطار يسير ببطء ، وكنا نرى من النوافذ مرة بعد مرة طوائف كبيرة من السجناء — فما من أحد يعجز عن أن يتبين حال هؤلاء البؤساء — وهم يقطعون الأشجار ويكومونها ويجرونها إلى الخطوط الحديدية ، وأخيراً وقفنا عند نهاية الخط الجديد .

وكان هناك مصنع للذخائر يقوم فى رقعة من الفضاء ، وفيما وراءه فى الغابة توجد المداخل الضيقة الخفية إلى الحجرات فى جوف الأرض ، وقد موّهت بعناية ودقة ، حيث أقيمت المصانع الكبيرة التى يعمل فيها آلاف من السجناء والعمال الأحرار ، فيحشون القنابل اليدوية ، والقنابل ، والألغام وغيرها من صنوف الذخائر بالمفرقعات . والمنطقة كلها التى تضم هذا العالم السفلى محوطة بالأسلاك الشائكة ، ويقوم على حراستها رجال مسلحون من البوليس السرى ، ومعهم كلاب ضارية مدربة على المهمة الموكولة إليها .

وكنت قد جئت ومعى رفيق لتسوية خلاف بين هذا المصنع السرى ومصنع آخر يزوده ببعض المواد اللازمة له ، وبعد أن عقدنا اجتماعاً فى الليل مع الموظفين أعطيت غرفة فى فندق المصنع . وفى صباح اليوم التالى بكرت فى القيام ، وكان المطر يهطل والبرد قارساً ، وبعد الساعة السادسة بقليل رأيت فرقة من نحو ٤٠٠ رجل وامرأة يمشون عشرة عشرة تحت حراسة قوية إلى المصانع السرية .

وقد ألفت على الأيام مناظر هؤلاء العبيد البؤساء ، فى الأورال وفى سيبريا ، ولكن الفظاعة هنا بلغت فيما بدا لى مبلغاً شيطانيًّا ، فإن هذه الوجوه المتهضمة المصفرة التى ليس فيها قطرة من الدم ، لم تكن إلا أقنعة

للموت، ولم يكن أصحابها إلا جثثاً على أقدامها.

وكان بينهم رجال ونساء قد يكونون فى الخمسين أو أكثر ، ولكن كان فيهم شبان فى العشرين وحوالها ، وكانوا يسيرون صامتين منكسرين كأنهم دمى ، ولا يتلفتون يمنة أو يسرة ، وكان كثيرون منهم يلبسون نعالا من المطاط مربوطة بالخيوط إلى أقدامهم ، وكان آخرون يلفون أقدامهم بالخرق ، وبعضهم فى ثياب ريفية ، وعلى بعض النساء معاطف من الجلد ممزقة ، ورأيت هنا وههنا مابقى من الملابس الأجنبية الجيدة .

وبينما كان هذا الموكب المحزن يسير بجانب البناء الذى أطل منه عليه، سقطت امرأة فجأة على الأرض ، فجرها اثنان من الحراس ، ولم يولها أحد من السجناء أقل التفات ، فقد نضب فى نفوسهم معين العطف والشعور الإنسانى .

وكانت فرق أخرى كهذه تسير إلى الجحيم المدفون فى جوف الأرض مقبلة من جهات أخرى آتية من معسكرات البوليس السرى المخبوءة فى هذه الغابات ، على أميال عديدة على الأرجح . وفى المساء رأيت طابوراً أطول يدلف فى المطر والوحل للعمل ليلاً .

ولم يسمح لى بالنزول تحت الأرض ، على أنى لم تكن لى رغبة فى هذا ، ولكنى وقفت من الموظفين الذين كنت على اتصال بهم فى اليومين اللذين أقمتهما على ما يكفى لتصور مبلغ البؤس واحتقار الحياة الإنسانية. فإن هذه المصانع المخبوءة سيئة التهوية ، وقد أنشئت دون اكتراث لصحة العمال ، فيكفى أن يقضى المرء بضعة أسابيع فيها ليتسمم ، وكانت نسبة الوفيات عالية ، وكان الآدميون يؤتى بهم ويقذفون باستمرار كما يؤتى بالخامات.

وكان مدير هذه المصانع شيوعياً شتيم الوجه يحمل على صدره صفاً من النياشين ، فلما سألته عن عماله نظر إلى مستغرباً كأنما سألته عن صحة جماعة من البغال مقضى عليها بالإعدام .

وقال: «من سوء الحظ أنه ليس بين هؤلاء المخلوقات كثيرون من العمال الحاذقين ، فهم يسببون لى متاعب كثيرة . وقد سألتنى عن هؤلاء السجناء أهم سياسيون أم مجرمون ، وهذا أمر لا يعنينى لأنه من شأن البوليس السرى الذى يزودنى بالأيدى العاملة . وكل ما أعرفه أنهم أعداء للأمة » .

وكان هذا الكابوس ماثلا دائماً أمام عينى وأنا أفاوض القوم فى أمر العمال إجابة لطلب الوزارات المختلفة ، أما ما مُوِّه به هـذا من الأضاليل عن كرامة العمل والخدمة المسددة للاشتراكية الجامعة ، وكون « زعماء طبقة العمال » هم الذين يقومون بهذا ، فقد جعل الصورة أبشع . فمن البديهى

أن « ديمقراطيتى المتعفنة » كانت أعمق من أن ينفع فيها دواء .

ولما كنت رئيساً لقسم فى المجلس ، فقد استطعت أن أدخل عدة مخازن ، ومصانع للأحذية والثياب مخصصة لأهل السلطان . وفى هذه الحال قابلت صفوة رجال الحزب ، ورجال الحكومة والبوليس والكرملين ، ونساءهم أحياناً ، وسائقيهم وخدمهم .

ولم يكن واحد فى الألف من الروسيين يخطر على باله أن مثل هذه المخازن الغاصة موجودة ، وكان من بين مشترياتنا أشياء امحت ذكراها من أذهان الجمهور . وكانت جرايتى الشهرية تشمل لحم الخنزير ، والمواد المحفوظة ، والزبدة ، والسكر ، والدقيق ، ولحم الخنزير المملح — وكل ذلك مجاوب من الولايات المتحدة — ومن روسيا السمك والطيور ، والخضر والفودكا ، والنبيذ والسجاير . وإذا كنا برغم حصولنا على هذه الألطاف ، نقضى أياماً كثيرة تجوع فيها زوجتى ، فما ظنك بحال الرجل العادى ؟

وقد اختفى تقريباً كل ما لا غنى عنه كالخبز والصابون والكبريت ومصابيح الكهرباء وأدوات المائدة والمطبخ ، وحتى فى قلب موسكو كان التيار الكهربائى لا يجرى فى الدور الكبيرة إلا ساعتين أو ثلاث ساعات فى الليل ، أما الذين يتعذر عليهم الحصول على الجاز ، وهم الجمهور الأكبر ، فكانوا يقضون الليل فى الظلام .

وفى هذا الشتاء من عام ١٩٤٢–١٩٤٣ أحرق الناس أثاثهم ، وكتبهم ، وأوراق الموسيقى العزيزة ، وكل شىء يمكن أن يفيدهم الدفء بضع دقائق . وكانوا ينزعون خشب الأرض والأعواد من السقوف ، ليدفأ أطفالهم فلا يموتوا برداً . وقد أقمنا أنا وزوجتى إيرينا موقداً حسناً من الحديد فى بيتنا ، وحصلت بفضل الحكومة على بعض حطب الوقود ، وكنا أحياناً نهب جيراننا شيئاً منه وإن كان هذا محظوراً .

وقضت علىّ واجباتى أن أزور عدداً كبيراً من المصانع قصر فيها الإنتاج عن المطلوب ، فوجدت أن نقص الطعام كان فى كل حال من الأسباب الرئيسية . وأوفدنى بامفيلوف مرة إلى بلدة سولنشوجورسك على مسافة غير بعيدة من موسكو لتفتيش مصنعين . وكان طحن القمح قد تعطل من جراء الحاجة إلى المناخل التى تحتاج إلى أسلاك دقيقة جداً لا يمكن صنعها فى هذين المصنعين ، وكان المديران مستعدين للمعاونة ، وقال لى أحدهما : « إن رجالنا مستعدون للعمل ، ولكنه لن تكون لهم قدرة على الاستمرار فيه مالم يحصلوا على الأقل على الجراية العادية فى المدن الأخرى » .

فسألته وأنا متعجب « ولماذا لا يأخذون نفس الجراية ؟ »

« لأننا فى منطقة زراعية، فينبغي أن نحصل على مؤننا من الريف. ولكن هذا فرض بحت فالواقع أن الفلاحين أنفسهم يتضوّرون، ولعلك رأيتهم فى الطريق » .

وقد رأيتهم فعلا ، فقد جئت بالسيارة واجتزت هذه المنطقة الريفية التى دار فيها القتال وخربت ، ورأيت الفلاحين غائرى العيون متضورين .

ولما عدت إلى مكتبى وضعت مشروعا مفصلا للانتفاع بهذين المصنعين ، ولما كاد الليل ينتصف استقبلنى بامفيلوف وقرأ المشروع بحضور أوتكين ، وكان يهز رأسه الأصلع اللامع ويقول: « حسن.. حسن.. بديع ! » ثم غام وجهه فجأة :

« ماهذا ؟ خمسمئة جرام من الخبز فى اليـوم للعامل وأسرته ؟ »

فقلت بلهفة : « نعم، وهذا ضرورى، فإن هؤلاء الناس جياع ولا شك » .

فقال بامفيلوف بلهجة الأمر : « احذف هذا من المشروع » . فلما ألححت ألقى إلىّ نظرة غضب صريح :

«اسمع يا كرافشنكو ! هل أنت بلشفى أو من دعاة الخدمة الاجتماعية ؟ إن الروح الإنسانية رائد غير صالح عند وضع قرارات الدولة . فتعلم من الرفيق ستالين ــ أحبب الشعب ولكن ضح بحاجاته عند الضرورة ! »

فلم يدهشنى أن لا ينتج المصنعان نصف الأسلاك المطلوبة، وإن كانا مزودين بالخامات الكافية .

وكانت مسألة أسلاك التلفون للميدان من المتاعب التى تورث الصداع الدائم ، لأن قلة التلفونات كانت تكلفنا أرواحا كثيرة فى الجبهة ، وأخيراً درست هذه المسألة ليلاً فى اجتماع طويل بالكرملين برياسة سابوروف أحد مندوبى ستالين . ولما لم يكن هناك صفائح معدنية ، تقرر بعد جدال طويل أن تصنع البكرات من الخشب على الرغم من الاعتراضات الشديدة من العسكريين . وصدرت التعليمات الدقيقة بتوقيع ستالين نفسه .

وبعد نحو شهر اجتمع بمكتبى جميع الوزراء المختصين ليقدموا تقاريرهم عن النتائج . وكانت النتيجة أن المصانع كلها مقصرة فى إنتاج هذا البديل الذى تقرر فى الكرملين أن يصنع من الخشب .

ولهـذا زرت مصنع خشب مقام على مشارف موسكو لأرى بنفسى لماذا لا تسلم البكرات المطلوبة ، فقال المدير إنه ليس عنده الكفاية من العمال الحاذقين ، ولم أر إلا عدداً قليلا يعمل فى هذه الناحية . ودخلت جانباً

آخر من المصنع كان الإنتاج فيه على قدم وساق فسألت: « وما هذا الذى يجرى هنا؟ »

وقد تلهب غضبى مما رأيت ، فقد كان نحو ١٥٠ مشتغلين بصنع الأثاث : الأرائك، والمكاتب، وحوامل المرايا للزينة والكراسى الكبيرة ، وكلها من خير أنواع الخشب المجنة.

« تقول إنه ليس عندك عمال حاذقون ؟ ولكنى أراك تبدد مجهودهم فيما هو من مواد الترف . وهذه جريمة ، وأنا أنذرك بأنى سأقيم الدنيا وأقعدها » .

فلم يبد على المدير أنه انزعج ، وهز كتفيه وأرانى دفاتر تدل على أن هذه الأثاثات صدر الأمر بصنعها من رؤساء الحزب ومن كبار رجال الحكومة والجيش الأحمر. فعدت مسرعاً وأنا ما زلت محنقاً ، وانطلقت إلى مكتب أوتكين ، وشرعت أبسط له الأمر ، فكاد لا يصدق ما يسمع ، وأعرب عن سخطه .

ولكنى لما أخبرته بمن ينتج لهم المصنع هذه المواد المدنية ، تغير وجهه على الفور ، وقال متمتماً : « أهو ذاك ؟ نعم ... إن هذه لمعضلة ! أحسب راحة زعمائنا تقدّم على غيرها فى الحرب » .

وفكر طويلا فى الأمر والمصنع يواصل إنتاج الأثاث ، والجيش الأحمر يناشدنا أن تزوده ببكرات التلفون وأطراف البنادق وما مائل ذلك .

ولكن إذا كنا قد عانينا مصاعب فيما يتعلق بتلفونات الميدان ، وأجزاء الدبابات والأسلحة والطائرات فقد عوضنا ذلك على الأقل فى ناحية واحدة . ذلك أنى كنت فى إحدى الليالى عاكفاً على كوم من التقارير ، فدعانى أوتكين إلى مكتبه وهناك وجدته منهمكا فيما بدا لى فى أول الأمر أنه لعبة عجيبة ، فقد كان على مكتبه وعلى الكراسى من حوله قطع من الورق القوى مكسوة بقماش مذهب ومفضض .

وقال بلهجة المسرور ، على سبيل الشرح : « أشرطة للأكتاف . أليست جميلة ؟ » أشرطة للأكتاف سيعاد استعمالها بعد أن كانت تعدّ من قبل رمزاً بغيضاً للعسكرية القيصرية ! وكان هذا القرار الذى لم يذع قد وضعه المكتب السياسى ، وكان إنتاج هذه الأشرطة قد سار فى طريقه ، وسيحمل أوتكين هذه النماذج إلى ستالين الذى سيقدمها بنفسه . وسألت أوتكين ألا يعد الكثيرون هذه الخطوة ارتداداً إلى الأساليب القيصرية الروسية ، فضحك :

« ما أسخفها فكرة ! إن القلوب تحت هذه الأكتاف المذهبة ستظل قلوباً سوفيتية صادقة » . وسكت ثم قال ببطء على سبيل التأكيد : « وفضلا عن هذا ، فإنه إذا عد بعض الناس هذا رجوعاً إلى الأساليب

القيصرية ، فإن هذا قد تكون له فائدة من الوجهة السياسية ، لأنه سيكسبنا أصدقاء فى بعض الدوائر المهمة » .

إن الأجانب الذين يحاولون أن يفهموا سياسات ستالين أو « العقل السوفييتى » بأن يدرسوا صحف السوفيت وأعمال الكرملين المعلنة ، لايخرجون عادة إلا بملء سيارة نقل من الهراء ، فما من واحد فى الألف من هؤلاء قد فطن إلى الرأى البلشفى فى أن تكون هناك « حقيقتان » — واحدة للجمهور وللعالم أجمع ، والأخرى للصفوة من رجال الحزب وللقابضين على زمامه . ففى الوقت الذى تنشر فيه دعاية خاصة ، أو يجرى عمل من الأعمال علانية ، قد تصدر التعليمات إلى رجال الحزب بأن يهملوا هذا بل حتى بأن يعتقدوا مايناقضه .

وفى أثناء الحرب رؤى أنه من الضرورى « التراجع عن مذهب لينين » فى الظاهر لا فى الجوهر ، فقد كان الأمر يستدعى تهدئة « العناصر الرجعية » فى الداخل وفى شرقى أوربة ، بالتظاهر بإعادة تقرير الدين ، ويتطلب استغلال القيم المعنوية للوطنية العتيقة إلى أقصى مدى ، ويستوجب أخيراً تألف الحلفاء الرأسماليين بحل الشيوعية الدولية .

وقد تقبل العالم الخارجى ومعظم شعبنا كل هذا باغتباط ، من حيث هو دليل على أن زعماء السوفيت قد غيروا مابقلوبهم . بل لقد كان هناك « خبراء » أعلنوا أن الاتحاد السوفيتى يتخلى عن الدكتاتورية ويقترب من الرأسمالية ، وزعموا أنهم تبينوا أن أساليب الحياة الديمقراطية ، وأساليب الحياة السوفيتية الجامعة تتدانى لتتلاقى فى موضع ما ، فى الوسط .

ولو أن واحداً من هؤلاء الخبراء شهد جلسة من جلسات الحزب الأسبوعية السرية لكبار الموظفين ، لتلقى صدمة ! فقد كان « التراجع عن مذهب لينين » فيما يتعلق بنا ليس أكثر من مناورة عابرة ، ولم يكن التفاهم مع رجال الدين إلا تساهلا لامفر منه على مافيه من غضاضة . ولما كان نظامنا فى هذه اللحظة من لحظات العمل مضطرا إلى التساهل ، فقد نوشدنا أن نقوى ولاءنا للشيوعية وإيماننا بانتصارها آخر الأمر .

وما من شيوعى قد لُقّن مبادئها تلقينا جيداً كان يشعر أن الحزب « يكذب » حين يذيع الأخذ بسياسة ويضمر غيرها ، فإن ضميره لايعد ذلك إلا شبيها بما يفعله القائد فى الميدان حين يخدع العدو . وإلى أن تصبح الأرض كلها وقد تحولت إلى اتحاد سوفيتى واحد ، يكون على هيئة أركان الحرب العامة للثورة — أى زعمائنا فى الكرملين — أن تقوم بالمناورات ، فتهاجم

مرة ، وتتربص مرة ، وتتراجع أخرى ، وتستغل فى كل حال ما بين الأمم الرأسمالية من الخلاف والتناقض . أما رجال الأخلاق من البورجوازية الذين يلغطون بالسياسة ذات الوجهين وبالغدر ، فهم فى نظر الرجل البلشفى « الواقعى » لا أكثر من سخفاء تخلفوا من زمن مات .

ولم يكن فى أعمال الحزب أثر « للتغييرات العميقة » التى ظن أنها أدخلت على النظام السوفيتى . وإذا استثنينا مناقشة مسائل الحرب ، فإن اجتماعات الحزب كانت فى جوهرها كاجتماعاته قبل الحرب .

ففى العاشرة مساء كنا نقبل على اجتماعنا الأسبوعى . وضيفنا الليلة هو يودين رئيس وكالات النشر الذى أصبح الآن يمثل قسم الدعاية فى اللجنة المركزية للحزب . وهو يحدثنا عن شئون العالم ، ولكن ما يقوله ليس مجرد آراء بالمعنى الذى يفهمه أهل الغرب ، بل هو يمثل عقائد ومواقف مقررة من قبل لا نجرؤ على الانحراف عنها بل لا يخطر لشيوعى مخلص أن ينحرف عنها . وسيتكلم يودين بلسان ستالين .

وينهض الرفيق يودين للكلام ، فنرهف السمع ، ونحاول أن نلتقى ما يقول بكل جارحة من جوارحنا ، ويقول يودين إن مدا هائلا من الإيمان بنظامنا السوفيتى يرتفع بين الجماهير فى إنجلترا وأمريكا ، ثم يقتبس من أقوال ج . ب . برستلى ، وهارولد لاسكى وغيرهما ، وليس فى مقدور تشرشل وروزفلت وأضرابهما ، ولا فى مقدور الاشتراكيين وأتباع العمال أن يصدوا هذا المد . أما الصراع القائم بين تشرشل والعمال المعارضين ، فليس أكثر فى رأى يودين من ملاكمة تمثيلية ، ويصرح بأن « الفريقين يحبون روسيا قدر حبنا نحن لهتلر » .

فتستحث هذه الوخزة الأيدى على التصفيق ، وكل وخزة للعمال وغيرهم من « الديمقراطيين » المزيفين تقع موقعاً حسناً فى اجتماعات الحزب .

ويواصل يودين كلامه فيقول : « أيها الرفاق . إن شركتنا العسكرية مع الأمم الرأسمالية لا ينبغى أن تورثنا أوهاماً ، فعلينا أن نستمسك بالأصول ، فإن عالمى الرأسمالية والشيوعية لا يستطيعان أن يعيشا إلى الأبد جنباً إلى جنب . أيهما يغلب الآخر ، لاتزال هذه كما كانت — المسألة الكبرى .

« وما دام العالم الرأسمالى محدقاً بنا فنحن فى خطر أيها الرفاق . فلا تنسوا هذا أبداً ، ولا تقعوا فى غلطة التفكير على قاعدة الإعارة والتأجير . وإنها لصفقة ندفع فيها ثمناً غالياً من تضحياتنا بالدماء السوفيتية والأرض

السوفيتية . ولا تبالغوا فى أمر « الصداقة » الجديدة غير الطبيعية . وتذكروا دائماً أننا نحن أعضاء الحزب جنود لينين وستالين ، وأننا نعرف كيف نقدر حقيقة الرأسمالية ».

وينتهى يودين فننهض جميعاً وننشد نشيد « الشيوعية الدولية » وبعد أن تنتعش نفوسنا بهذه الآراء والمبادىء ، نرجع إلى مكاتبنا المختلفة . أما رجالات الدولة أمثال يودين وبامفيلوف ، فيذهبون إلى القصف التماساً لشىء من الترفيه ، فيلتهمون لطائف الإعارة والتأجير الأمريكية . وبينما تراهم يواصلون البحث فى موضوع الاجتماع ، يستمتعون سلفاً بانهيار العالم الرأسمالى .

لما ألغيت الدولية الشوعية فى الظاهر فى مايو ١٩٤٣ ، كنت قد تركت عملى فى المجلس ، ولكن البيانات التى ألقيت فى الاجتماعات الخاصة للشيوعيين الكبار كانت متفقة مع ما قاله لنا يودين وأمثاله . وقد أفهمونا أن هذه الهيئة العالمية إنما حلت شكلا لا حقيقة ، وأنه صار الواجب الآن ، وقد اضطرت الشيوعية الدولية أن تعمل سراً ، تعزيز رجالها وكيانها ، « إن قوات ثورتنا فى العالم كله ، أيها الرفاق تستعد للصراع — وللنصر ».

ويوم أعلن هذا الحل المزعوم للشيوعية الدولية ، فدخل بذلك السرور على قلوب الحلفاء الرأسماليين الساذجين ، اتفق لى أن زرت مخزن « الكتاب الدولى » ، وهى هيئة تنشر دعاية باللغات الأجنبية ، فرأيت أكداساً من الكتب الحديثة الطبع والموضوعة طبق مبادىء الحزب ، معدة للتوزيع فى البلاد التى كان الجيش الأحمر يوشك أن يدخلها . فالشيوعية الدولية قد ذهبت شكلا ، أما الواقع فهو أن اللجنة المركزية للحزب كانت تجدّ وتستعد حتى يتم غزو أوربة بالجنود والآراء فى وقت واحد . وكان رجال الشيوعية الدولية التى « ألغيت » يعاد تنظيمهم بسرعة محمومة ، استعداداً للمهمات العظيمة التى تنتظرهم فى ألمانيا والنمسا وفرنسا وبولندة والمجر وإيطاليا وكل البلدان الأخرى .

فى طريقها إلى الشرق الأوسط



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العـــالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرق مستحضرات الزينة للرجال .

وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط .

ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمــة دون أن يتهيج الجلد .

أكوا ثلثا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعــد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

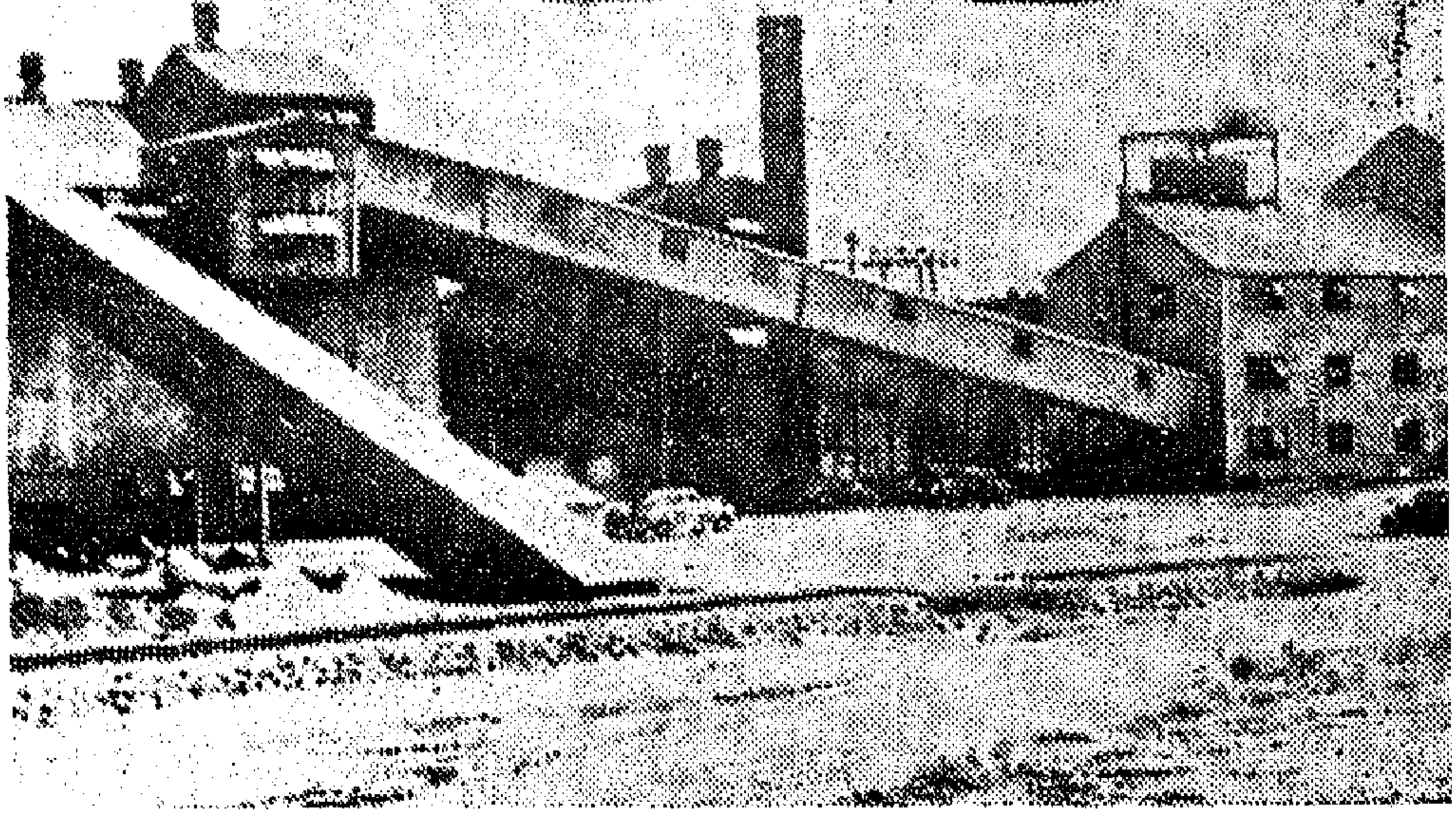
قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

بمنتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سـنة

تستطيع أن تساعدك على زيادة الإنتاج في منجمك ...



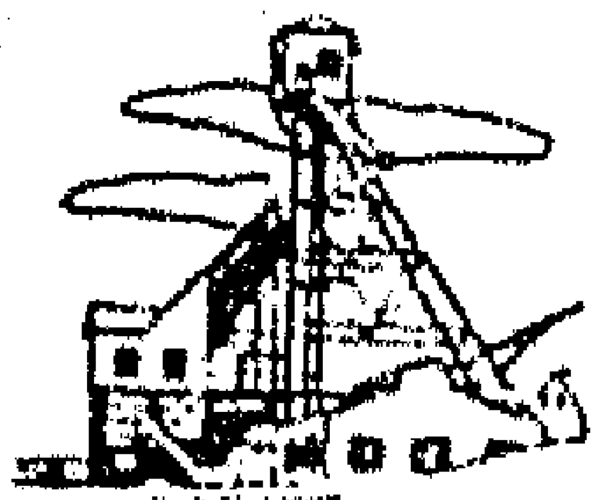
أكثر من ١٦٠٠ من المنتجات للصناعة



معدات كهربائية



توربينات مائية وبخارية



آلات للاسمنت والتعدين



مضخات



آلات لطحن الدقيق

جير لمواد البناء ! معادن للآلات ومعدات المنازل ! كيميائيات للأدوية والمركبات المصنوعة ! هذه كلها معناها تجارة أفضل . . وبيوت أفضل . . . وصحة أفضل . . . وعيش أفضل لكل فرد !

إن مؤسسة « أليس شالمرز » تنتج اليوم أكبر مجموعة من معدات المناجم في العالم لتهيء للصناعات المنجمية إنتاج مواد أجود صنفاً ، وأوفر مقداراً ، وأقل كلفة . إننا نصنع آلات تحطيم الصخور والمطاحن لأي نوع من خامات المعادن . . . كما نصنع مجموعات واسعة من المناخل ، والمضخات والمحركات وسيور V . . . والآلات الرافعة والنقالات لإنجاز أعمال المناجم على وجه السرعة !

آلات — للمناجم ، والأغذية ، والمنسوجات ، والقوة الكهربائية ! . . إن مؤسسة « إليس شالمرز » تخدم كل صناعة أساسية — بإنتاجها أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية في العالم — لتهيء للشعوب إنتاجاً أوفر وحياة أرغد ! ..

ALLIS (AC) CHALMERS

MILWAUKEE 1 WISCONSIN U.S A

الوكلاء في الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصري والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية ، ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد ٩/٣٨٢ شارع المستنصر ببغداد — ١٢٤/١٠ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جدة — إيران وأفغانستان : أمريكان إيسترن ليمتد ، عمارة ميصر ناصية شارعي شهرضا وروزفلت ، طهران . وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » في مختلف البلاد القريبة والبعيدة .



فى جميع أعمال تمهيد الأرض وجرف التراب والبناء لن تجد آلة أقرب للانتفاع بها فى كل غرض من الجاروف « بُلجريدر » ، فإن سلاحها يتحرك علواً وسفلا ومن جانب إلى جانب فيقطع ما أمامه . . . . . . وجرارة «إنترنشونال كراولر» تمدك بكل القوة اللازمة للعمل الميسر السريع القليل النفقة ، فى أشق الأعمال وأصعبها . إن قوة « إنترنشونال الصناعية » قد وفرت مالا كثيراً ووقتاً طويلا فى كل ضرب من ضروب مشروعات البناء . فنقترح عليك أن تقابل أقرب وكيل من وكلائنا إليك . . . فيبين لك كيف تستطيع أنت أن تنتفع بإحدى « جرارات كراولر » .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building Chicago 1, U.S.A.

INTERNATIONAL HARVESTER


AUTO-LITE
AUTO-LITE
الإسم الذى يعده ٨ ملايين راكب ، رمزاً لأداء جديد فى السيارات
إن أصحاب السيارات المزودة بمعدات « أوتو - لايت » الكهربائية يجدون عوناً ميسراً لهم للمحافظة على هذه المعدات فى أتم حالة
إن قطع غيار « أوتو - لايت » متاحة فى جميع أنحاء العالم ، وهذا معناه أنك تستطيع أن تزود سيارتك من جديد بمزايا « أوتو - لايت » الفائقة وبمحطات « أوتو - لايت » لأن رجال « أوتو - لايت » لا يستخدمون إلا قطع « أوتو - لايت » الأصلية لإصلاح معدات السيارات وصيانتها .
فتوجه إذن إلى محطة « أوتو - لايت » كلما احتاجت سيارتك إلى إصلاحات كهربائية .
إبحث إذن عن اسم « أوتو - لايت » كلما احتاجت سيارتك إلى إصلاحات كهربائية .
THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division
Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.
AUTO-LITE
أجهزة للقيام بالإضاءة والأشغال



القدرة على تزويد ما يطلبه زبائن بوش ولومب

بين المصاعب الكثيرة التى سببتها الحرب ، كان من بواعث التشجيع التى لمسناها وقدرناها حقَّ قدرها ، حسن إدراك زبائن « بوش ولومب » لهذه المصاعب وحسن صبرهم عليها . ونحن طبعاً نشعر الآن ، أن حسن تقديركم ، يؤهلكم للظفر بما تريدون على وجه السرعة .

وقد احتفظت شركة « بوش ولومب » بالمبانى والمعدات التى أنشئت لأغراض الحرب ، وما تم من أساليب التحسين والإتقان فى أثناء الحرب ، يساعدنا الآن على زيادة ما نصنعهُ من منتجات « بوش ولومب » المتفوقة فى جودتها . والبحث الصادق من أجل الإجادة فى المستقبل لا ينقطع .

ولا تزال هناك بعض المصاعب . فقلة الحاذقين فى قسم الفحص الدقيق ــ مثلا ــ قد يؤخر

الفحص الدقيق لكل قطعة على حدة هو أحد الأسباب لجودة ما يصنعه « بوش ولومب »

الإنتاج فى أقسام أخرى . على حين ترى الناس الذين يعرفون مزايا منتجات « بوش ولومب » الجيدة ، قد ازدادوا ، فازداد عدد الذين يطلبون هذه المنتجات . وقد أعدت شركة « بوش ولومب » عدتها هذه السنة لتصدر من منتجاتها أكثر مما أصدرته فى أية سنة قبل الحرب . ولكننا لن نسمح للعجلة فى أن تنتقص من مزايا الجودة التى عهدت فى منتجات « بوش ولومب » .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

OPTICAL COMPANY

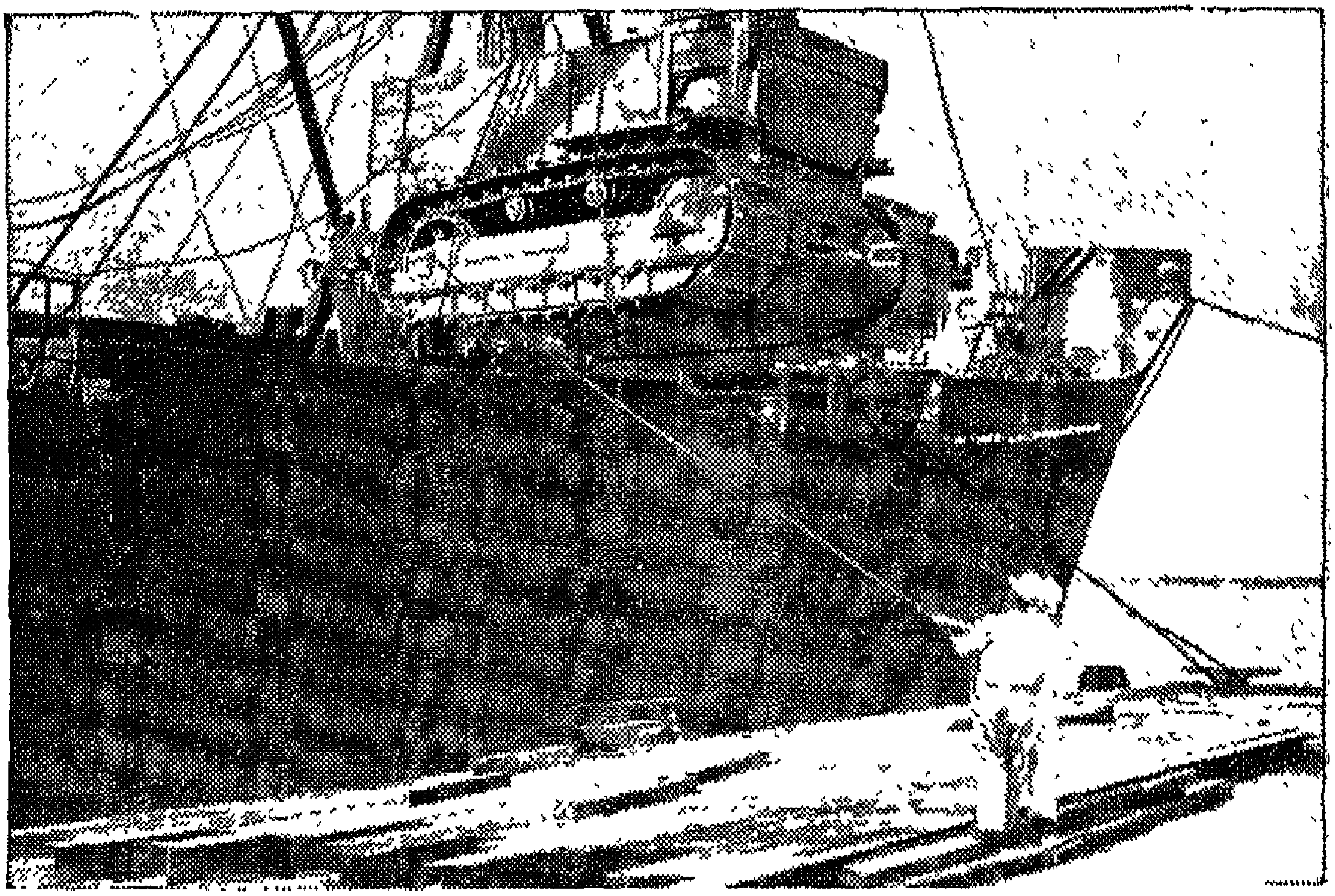
روشستر
الولايات المتحدة الأمريكية

تأسست سنة
١٨٥٣



هاهو ذا المطاط الطبيعي
قد زاد
لزيادة المسافات التي يقطعها
إطار چنرال
شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت
اكرون ، اوهايو ، الولايات المتحدة
تلغرافيا : چنتيروكو اكرون اوهايو
مصانع في الولايات المتحدة ، وكندا ، ومكسيكو ، وفنزويلا ، وشيلي ، والبرتغال
© The General Tire & Rubber Co
AKRON, OHIO
The GENERAL TIRE
يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء

وسائل التقدم



نعم ، وسائل تجعل الصحارى ناضرة مزدهرة عن طريق أساليب الرىّ الحديثة ... تكشف أرضاً جديدة للزراعة ... تفتح مناجم جديدة ... توثق مابين جماعات الناس بمد طرق صلبة ناعمة ، تقرّب إليك العالم التجارى بواسطة مطارات أكبر.

هذه هى بعض كنوز الثروة التى تتعهدها وتنميها لشعوب الشرق الأوسط ، وسائل « كاتربيلر » القوية المتعددة المنافع ـ مثل جرارات « كاتربيلر ديزل » ، ومحركات « كاتربيلر » ومعدات « كاتربيلر » لتمهيد الأرض ونقل التراب .

فلكى توسع نطاق هذا النشاط ، وتزيده سرعة من أجل منفعتك أنت وتقدم بلادنا ، ترى أعداداً تطرد زيادة من محركات « كاتربيلر ديزل » تصنع وتشحن .

CATERPILLAR TRACTOR Co., PEORIA, ILL., U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب

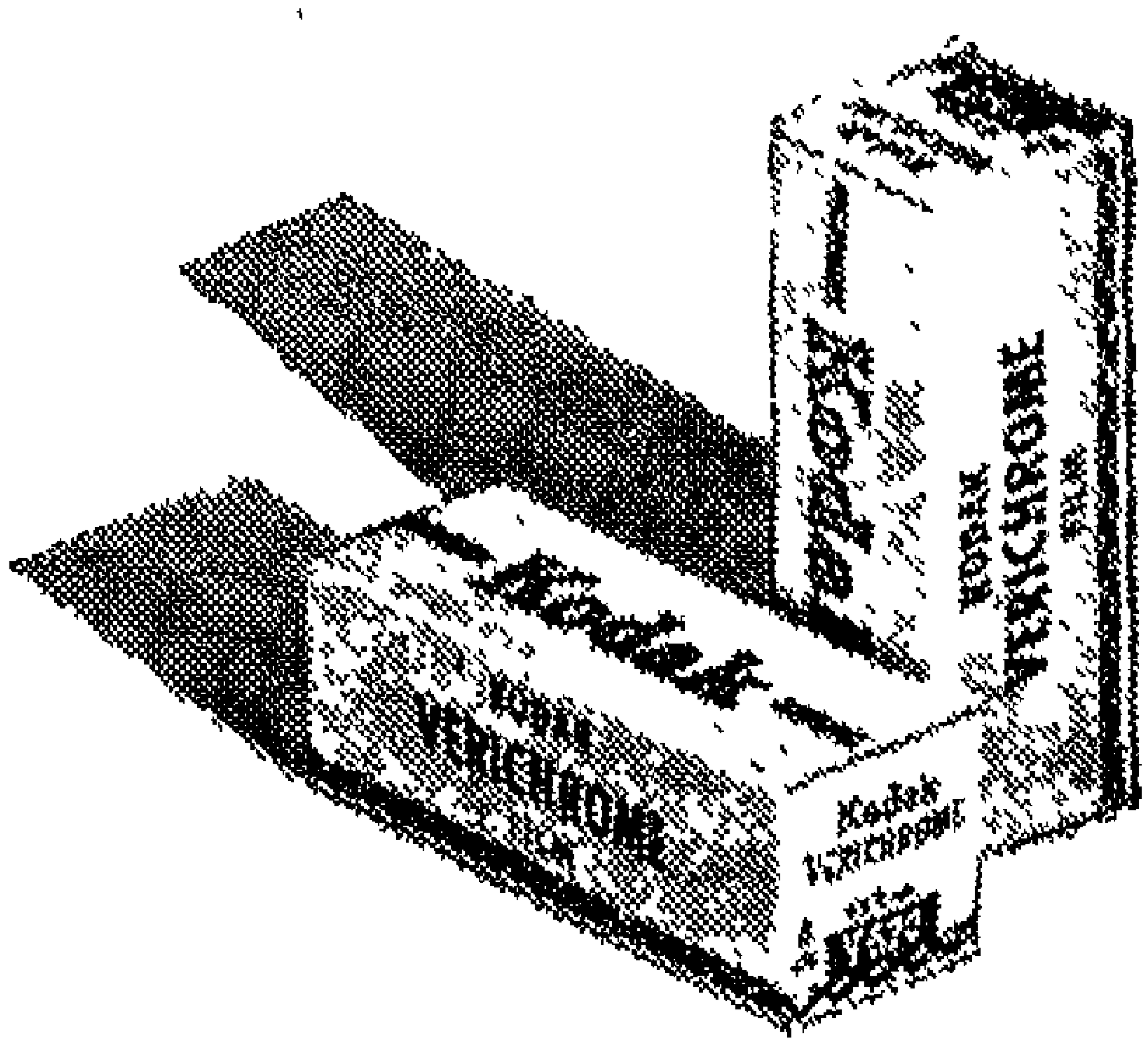

Kodak

... باللغــة العــربية هى "غابــة"

... باللغــة الإنجليزية هى "a forest"

... باللغــة النرويجية هى "en skog"

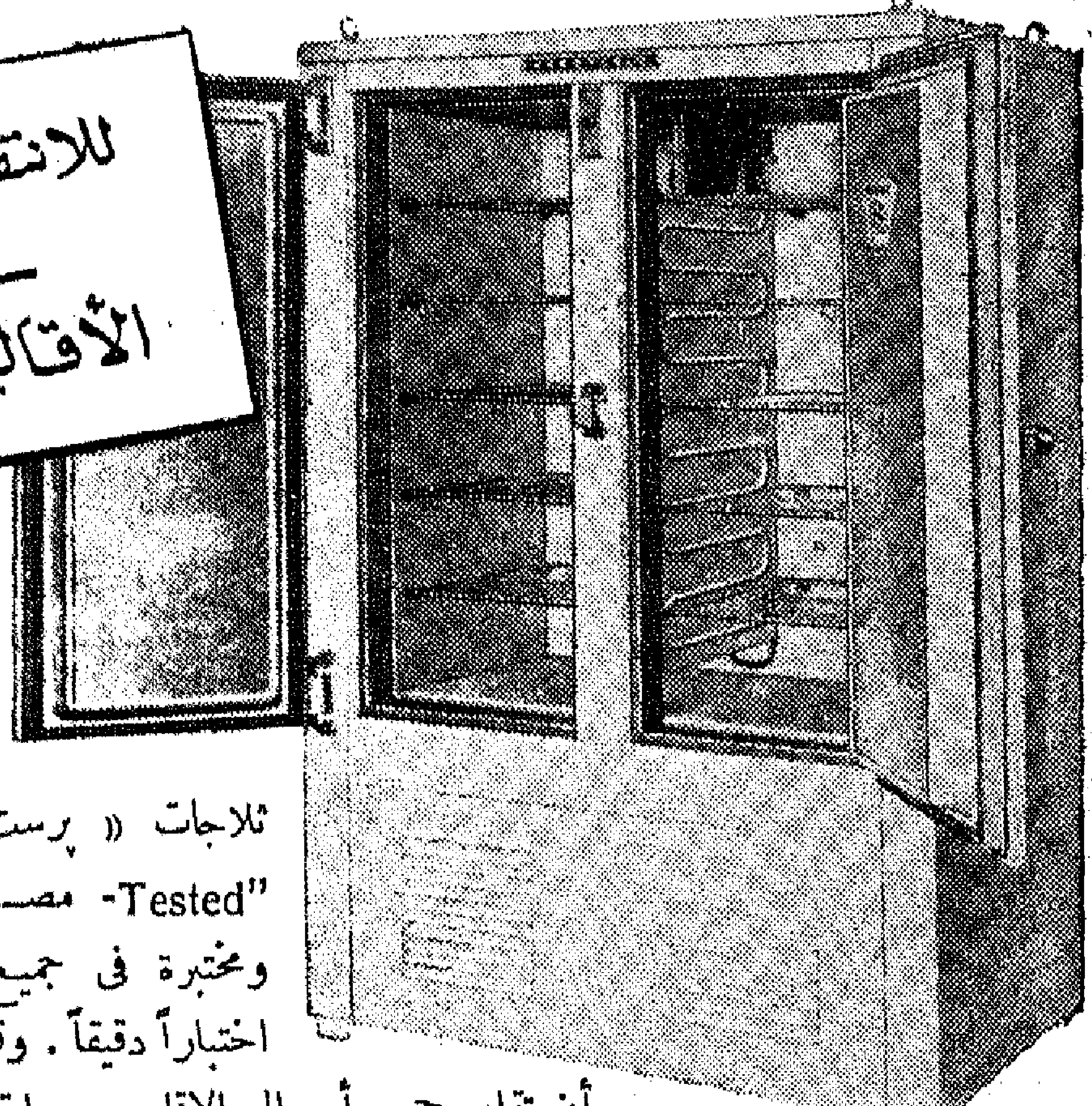
ولـكنك تجد فى جميع لغات الأرض كلمة واحــدة تدلّ على كلّ مايلزم لالتقاط الصور ، من أفلام ، وآلات تصوير ، ومعدات وأدوات هى كلمة : *Kodak**



Kodak* ، ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٩ سنة شركات « كوداك » والشركات المنتمية إليها ، و « كوداك » لهـا هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين . تيسر لـكل إنسان أن يظفر بمنتجات « كوداك » فى أنحاء الأرض .

EASTMAN KODAK COMPANY ROCHESTER, N. Y., U. S. A.

صممت خصيصاً
واختبرت خصيصاً . . .



للانتفاع بها
في
الأقاليم الحارة

ثلاجات « برست كولد » "Tropic -Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكون بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

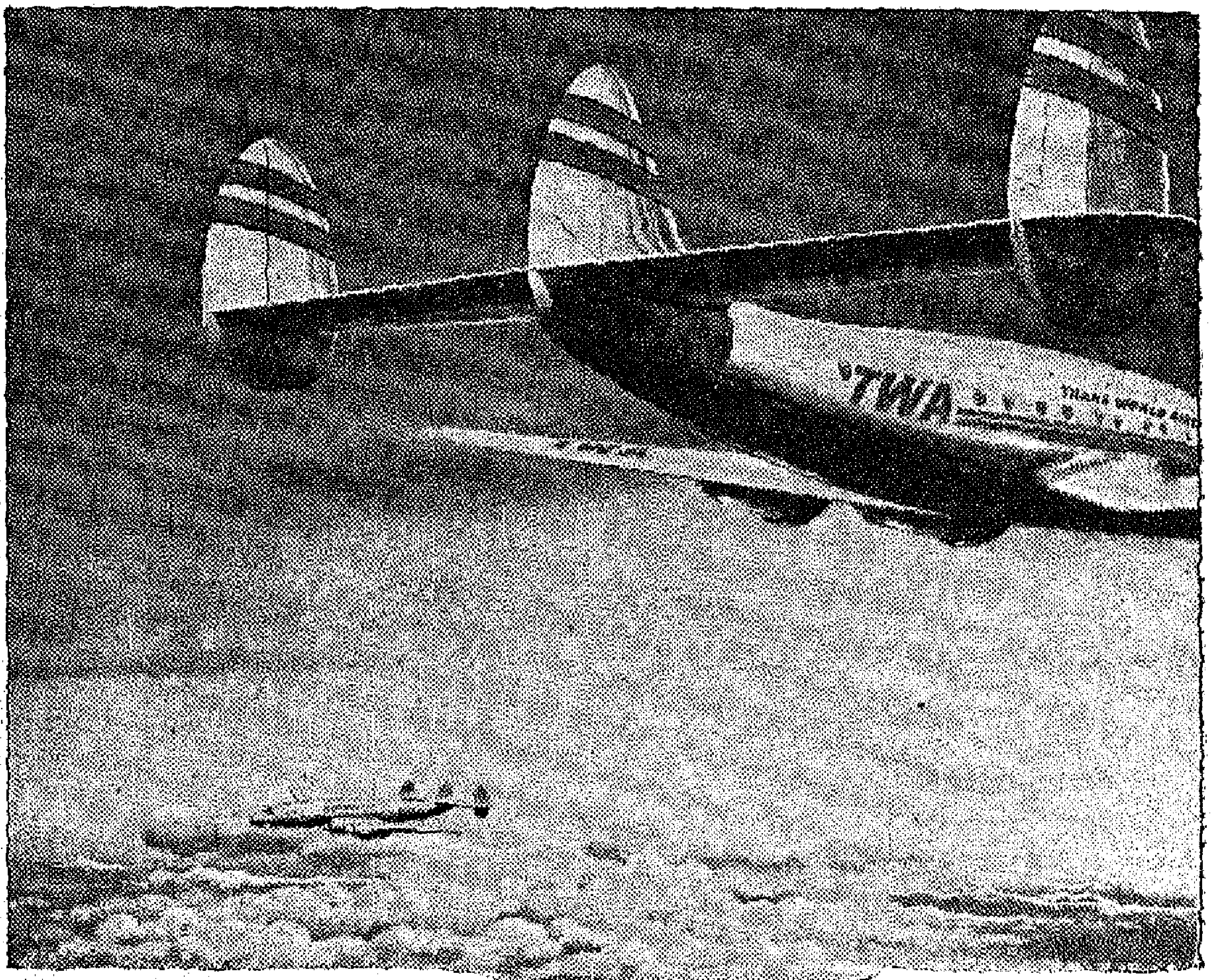
PRESTCOLD
للتبريد

BRITISH MADE
PRESSED STEEL Co. Ltd.
OXFORD ENGLAND

الوكلاء فى القطر المصرى : شركة E.A.S.T. ١ شارع الملكة نازلى بالقاهرة . فى السودان : كولانلى هانكى وشركاه ليمتد ص ب ٢١ الخرطوم . فى فلسطين : شركة انجينيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب . فى سوريا : أفريكان آند إيسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب . فى العراق : شركة الأفريقية والشرقية (شرق الأدنى) المحدودة ص ب ١٧ بغداد .

شركة الصّلب المضغوط ليمتد

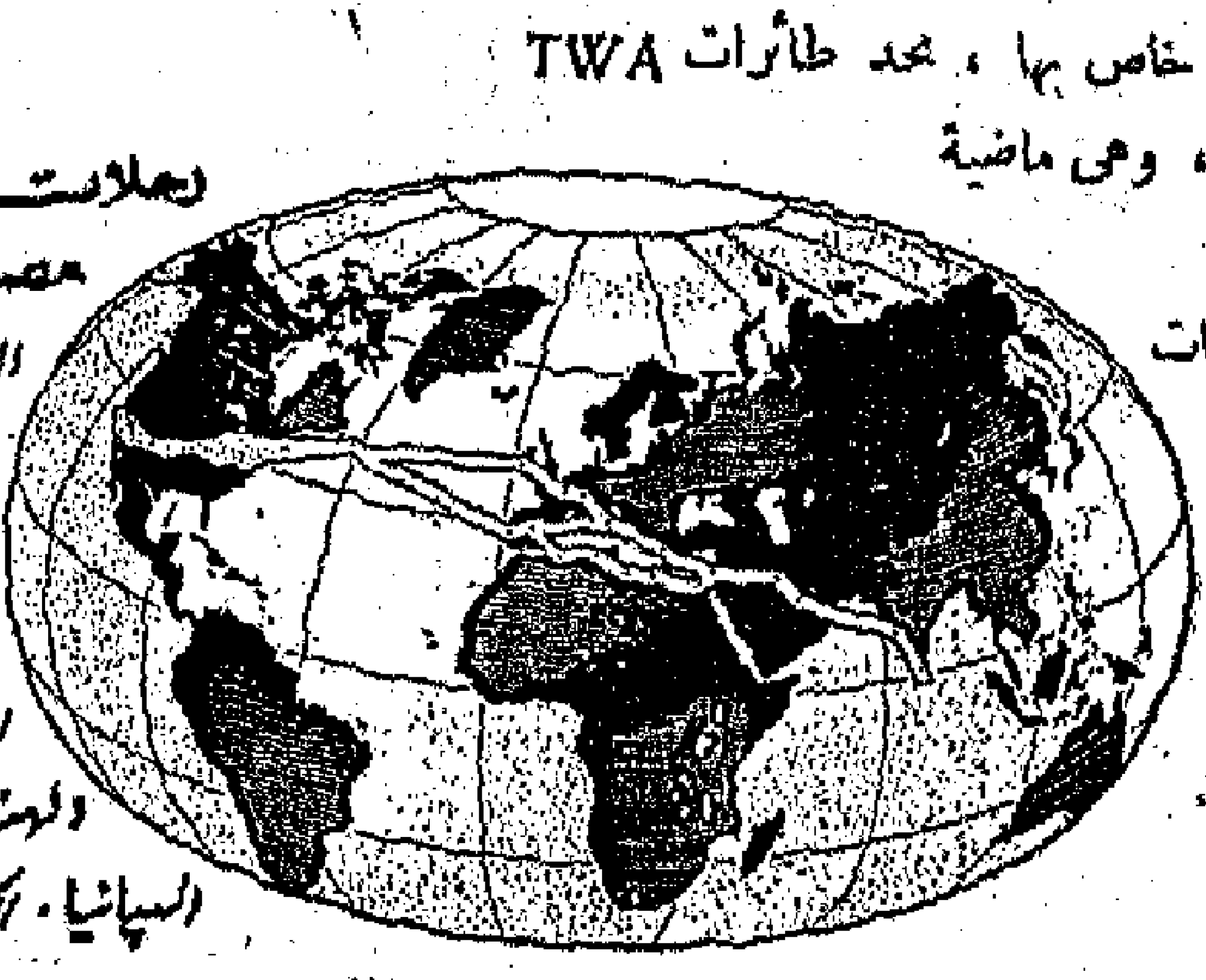
THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND



في عالم خاص بها

فوق بساط مستقيم من الغمام ، وفي عالم خاص بها ، تجد طائرات TWA
الفخمة تتبادل التحيات اللاسلكية ، وهي ماضية
في اتجاهات متقابلة إلى أقصى بقاع الأرض . وقد
صار هــذا حادثاً مألوفاً فوق المحيطات
والقارات – شركة TWA تضيف كل
شهر ٥٠٠٠٫٠٠٠ ميل إلى مالها
من تجربة حافلة في الطيران
خلال ٢٠ ســنة كاملة

رحلات مباشرة
مصرح بها بين :
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلنده . فرنسا . سويسرا
إيطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان
الهند . سيلان . البرتغال
اسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا



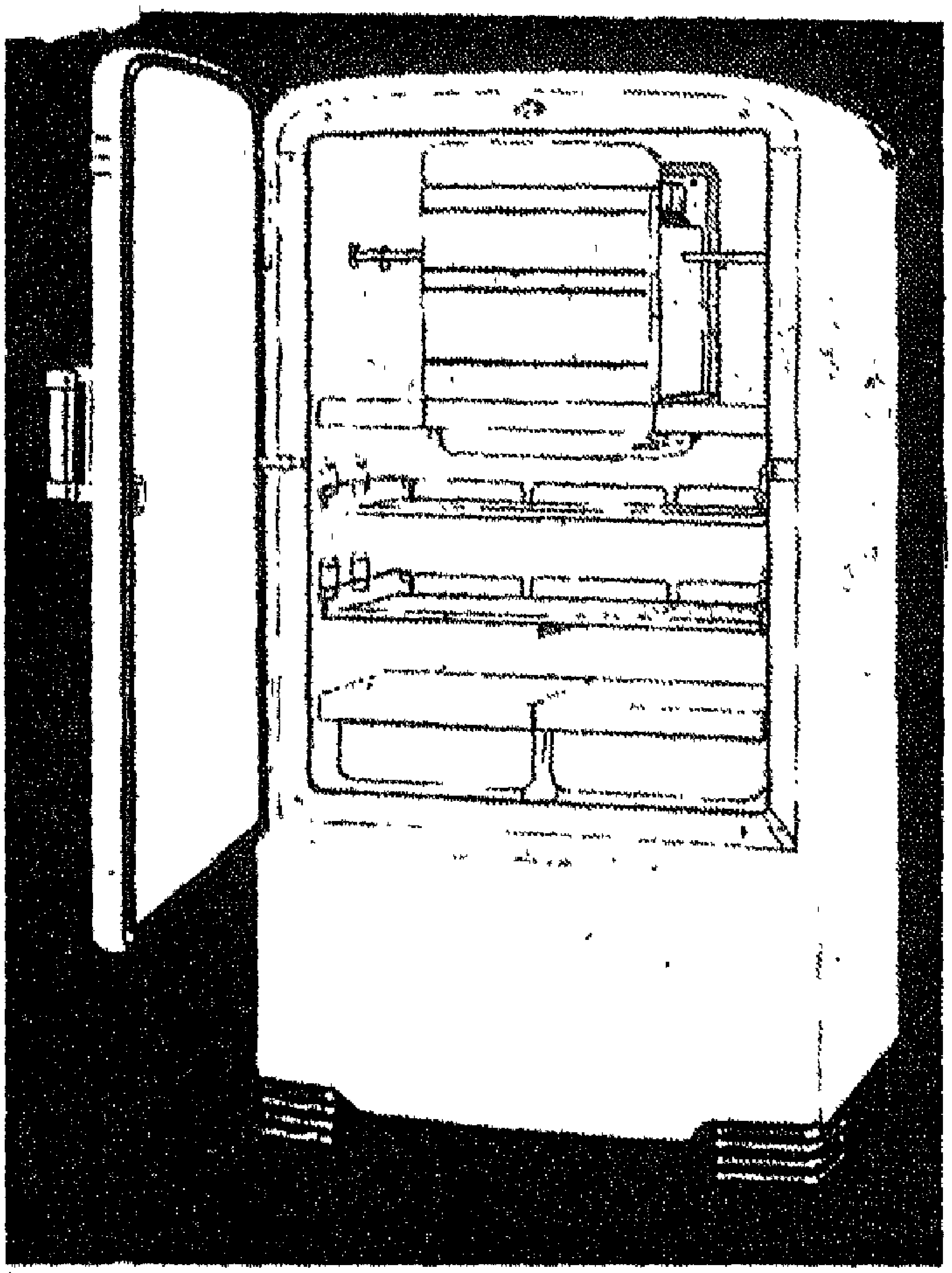
TWA – الخطوط الجوية العالمية
الخطوط المتصلة بها ... "نورث وست إرلاينز"

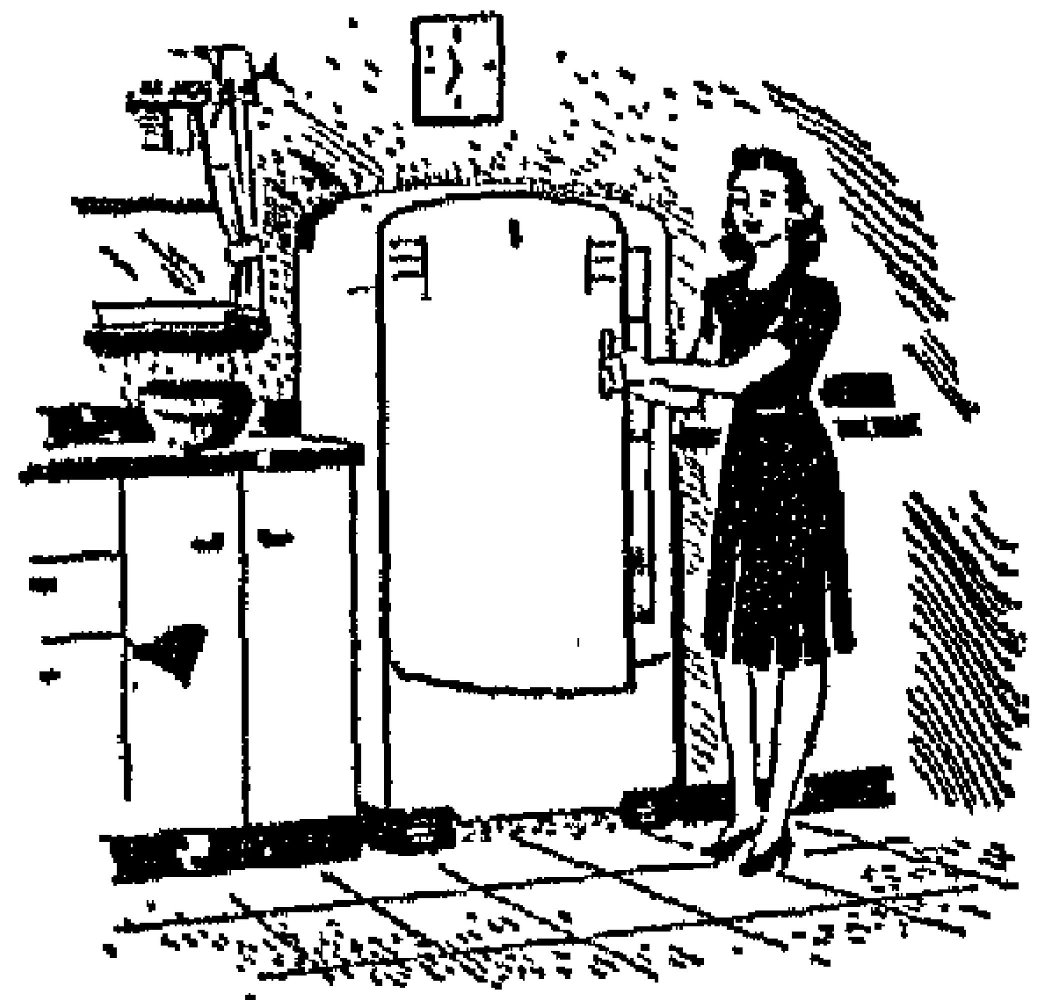
TWA
TRANS WORLD AIRLINE


شحنة من الفتنة
من مصانع «كاسونز» بمانشستر (إنجلترا) خرجت أحدث الروائع فى أنواع «أحمر الشفاه» البريطانية فى خمسة ألوان جديدة . وقد روعى فى صنعها أن تكون ممتازة فى مادتها ولونها ، فهى تحتل اليوم مكان الصدارة فى صالونات التجميل فى جميع أنحاء العالم .
Cussons احمر شفاه
73 GROSVENOR ST. LONDON W. I. ENGL


ثبت تفضيل الناس لها
في كل الدنيا
شموع احتراق
شامبيون
التي يعتمد عليها
CHAMPION
كلُّ استقصاء كبير تمّ خلال السنوات العشر الأخيرة ، قد أثبت إثباتاً قاطعاً ، أن شموع احتراق « شامبيون » ، تحتلُّ المكانة البارزة في منازل الزعامة . فالعلم المتخصص . . . والوسائل الفنية التي لا تحدّ . . . والتجارب الهندسية ، قد اجتمعت لتخلق منتجات تستطيع حقًا أن تعتمد عليها .
وإذن ، فسواء كنت تملك سيارة أو كاميوناً ، أو سيارة ركاب ، أو جرّارة . . . فدع شموع احتراق «شامبيون» أن تمكنك على أن يبلغ محركك أقصى حدّ من الأداء . فتركيب شموع «شامبيون» يُجدي عليك ولا ريب .
CHAMPION SPARK PLUG COMPANY
Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.
CHAMPION
CHAMPION

هذه الثلاجة
تقوم بعملها أيـ





وهى تعمل
بالغاز الأبيض
بالغاز الطبيعى
بالغاز الصناعى
بالغاز المعبأ فى زجاجات

تصنع قدراً عظيماً من
مكعبات الثلج
وافضلها واعجب
تجمد بغير أجزاء متحركة

سواء كنت تعيش فى المدينة ، أو فى مزرعة بعيدة عن الأسلاك التى تنقل الكهرباء ، فى وسعك أن تستمتع بأفضل وسائل التبريد الحديثة — « سرفيل » وذلك لأن يهيأ حفيراً — من غاز أو جاز — يحرك هذه الثلاجة التى تختلف عما سواها ، ولما كانت لا تضم أجزاء متجزلة فى جهاز التبريد الذى يحتميه فيها فإنها تبقى بغير حوث ، وتكون حياتهما أحول ، وأنت تجد اليوم أكثر من مليونى أسرة فى القارتين الأمريكيتين سيتمتعون بثلاجات « سرفيل » .

الثلاجة التى تختلف عما سواها

Servel سرفيل


اشرب
كوكا كولا
مثلجة
DRINK
Coca-Cola
ICE COLD
اشرب
كوكا كولا
مرحبا!
إذا أردت
شرابا لذيذا
مرطبا...
فاطلب
كوكا كولا

عقلية بعض . وهذه المعرفة وهذا الفهم هما اللذان يقيمان التضامن بين الناس مقام التنافس والتنابذ ، ويمهدان لطمأنينة السلام في العالم .

فيليب مري ، رئيس اتحاد عمال الصناعة ، أمريكا : لقد أسدت مجلة ريدرز دايجست فيما لا يزيد على ربع قرن يداً عظيمة نافعة بأن أتاحت لملايين من القراء في هذه البلاد وغيرها أدباً باقياً لا تبلى جدته . وقد حرصت على أن تبسط للناس مجمل الآراء في المسائل التي تشغل أهل العصر ، فأدت بذلك إلى تعزيز الحياة الديمقراطية الصحيحة .

أ . ج . كرونن ، الروائي الإنجليزي : أسأل الله أن تظلوا أبداً قادرين على إتاحة التعليم والتسلية لأبناء عالم حر موحد الهدف .

الجنرال جورج مارشال ، وزير خارجية أمريكا : استطاعت مجلة ريدرز-دايجست أن تبتدع أسلوباً نافعاً تقدم به إلى عامة النـاس مقالات ممتعة نافعة ، فأعانت ملايين من القراء على فهم العصر الذي نعيش فيه فهماً أدق وأوفى .

ميخائيل نعيمة ، الكاتب الأديب ، لبنان : أما تشعر ، وأنت تقلب صفحات هذه المجلة المتزنة ، بأن حياة العالم الفكرية والقلبية والعملية تنساب من سطورها جداول وأنهاراً بين يديك ؟ فلا أنت بالغريب عن أحد في العالم ، ولا شيء في العالم بغريب عنك ، بل أنت واحد من أسرة كبيرة تدعى الإنسانية ؟

الدكتور ج . لوث ليبمان ، مؤلف كتاب « سكينة النفس » : لما ظهر ملخص كتابي « سكينة النفس » في مجلة ريدرز دايجست تلقيت رسائل كثيرة من مئات من القراء لم تكن لتبلغهم دعوتي التي تضمنها هـذا الكتاب لولا هذا النشر . ولم أزل معجباً بما يشيع في صفحات هذه المجلة من التفاؤل المجدي المنتج ، ومن نشدان للحقائق الإنسانية السامية .

ربع قرن

تحتفل مجلة ريدرز دايجست في هذا الشهر بمرور خمسة وعشرين عاماً على بدء صدورها في فبراير ١٩٢٢ ، وكانت يومئذ نشرة محدودة لفئة من الأصحاب والأصدقاء ، تنشر باللغة الإنجليزية ، فإذا هي اليوم مجلة عالمية تنقل خلاصة الأفكار والآراء لملايين من الناس في كل مكان ، يقرأونها بثماني لغات مختلفة ، فهي تتولى بذلك عقد الصلة بين هذه الملايين المتباعدة الديار المختلفة الألسنة ، وتجمع بينهم بأسباب من ثقافة عالمية تقرّب بين قلوبهم وآمالهم ومآربهم في إنشاء عالم جديد يعمر هذه البسيطة بالتفاهم والتقارب والمودة .

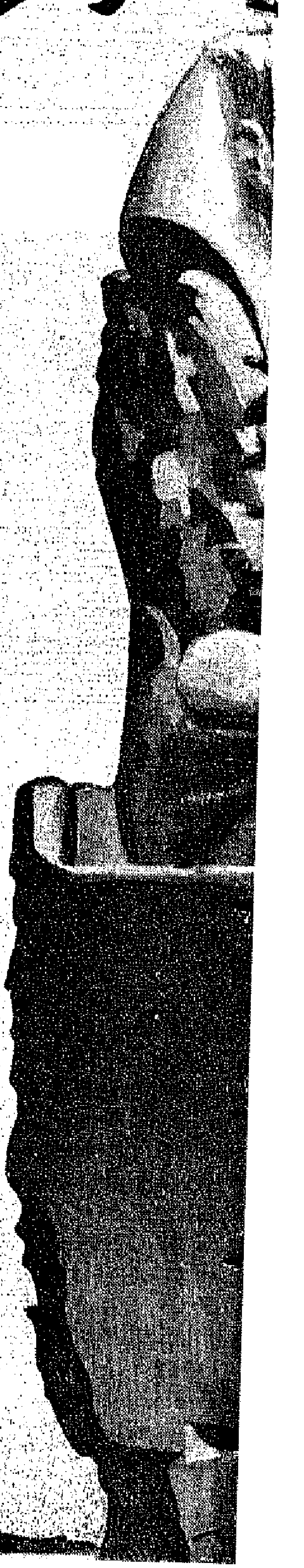
روبرت . م . هتشنز ، مدير جامعة شيكاغو : لقد أقامت ريدرز دايجست الدليل على أن جماهير الناس في هذه الأمة وفي أمم أخرى كثيرة تستطيع أن تجد لذة في قراءة الموضوعات العميقة المطبوعة بطابع الجد . ولقد أصبحت هذه المجلة في مدى ربع قرن قوة عظيمة من قوى التثقيف والتربية .

الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، رئيس مجلس الشيوخ ، مصر : مجلة المختار وسيلة من الوسائل القوية لمعرفة الناس بعضهم بعضاً ، ولفهمهم بعضهم

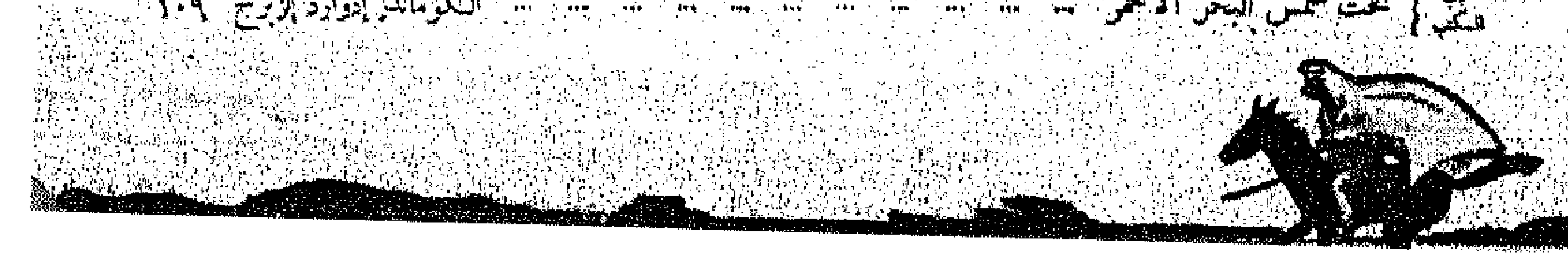
[البقية على الصفحة السابقة]

المختار

مارس ١٩٤٧



فى كل مقالة لذة دائمة



بعض ما تقرأ في عدد أبريل سنة ١٩٤٧

قضيت أياماً مع غاندي — لا يزال غاندي أعظم قوة تؤثر في حياة الهند ، فحين عرض مشروع وفد الحكومة البريطانية لاستقلال الهند ، لم يدر على الألسن : هل يقبل الهنود هذا المشروع ؟ بل : هل يرضى به غاندي ؟ وفي هذا المقال صورة غاندي الرجل ، والسياسي ، والمصلح ، والصحفي ، والمهاتما .

سلاح مهمل ضد السل — قصة اللقاح ضد السل ، الذي صنع أولاً في أوربة ، فإذا هو اليوم سلاح واق بعد طول إهمال ، قد ينقذ ألوفاً من هذا الداء الوبيل .

موزار : عبقرية في طفل — الموسيقي الذي كانت جوانحه تنطوي على أتم عبقرية موسيقية فطر عليها إنسان ، وكيف كان حتماً على صاحب هذه الروح المرهفة العلوية أن يناضل الظلم والمرض والدين والفاقة ، طوال حياته .

حكمة الجسد — وصف القدرة الخفية المدخرة في جسد الإنسان ، فتعينه في كفاح المرض ، وإصلاح ما يفسده المرض من أعضائه . فإذا شئت أن تضاعف ثقتك بالحياة فتأمل : حكمة الجسد .

كبرياء (من صميم الحياة) — قصة وقعت لأديب وشاعر مشهور ، فهذه كاتمة سره الحسناء ترده ربع قرن إلى عهد الشباب ، وهذا خطيبها الموسر الوسيم يخالف تقاليد الأسرة ، ساعة يرى كبرياء خطيبته تأبى عليها أن تستبدل بالمال والجاه حنان جدة أضفى عليها الدهر .

شيخوخة بهيجة (الشخصيات التي لا تنسى) — وهذا أديب شاعر آخر ، ترتد إليه البهجة والشجاعة وحماسة الشاعر حين يلقى ذات يوم شيخاً أقعدته علة المفاصل ، ولكنها لم تمنعه من أن يجعل الحياة فناً ممتعاً .

سطو رسمي (باب الكتب) — قصة عجيبة كتبها رجل كان « يسطو » باسم الحكومة ، فيفتح الأقفال والخزائن ويصور الوثائق المختومة ، ويعيش عيشة رجل خارج القانون — لكي يسدي خدمة إلى قومه .

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 8, No. 43, MARS, 1947

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوي في سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفي سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

السنة الرابعة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٨
العدد ٤٣

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

مارس ١٩٤٧

إن شدة النزاع التي تبدو من الجانب الروسي في خارج روسيا،
مقياس يدل على قدر المتاعب التي يلقاها الكرملين في بلاده.

لا راحة للروس المجهدين

جون فيشر • مختصرة من مجلة "هاربرز"

عانى الشعب الروسي في السنوات الثلاثين الماضية ضنكا شديداً، وسيظل يعاني من الضنك ما يعدّ في نظر الأمم الغربية ضنكا مريراً. ذلك لأن الفئة القليلة المسيطرة على بلاده تؤمن بأن حرباً ثالثة قادمة لاريب فيها، وأن لاسبيل لبقاء الاتحاد السوفيتي إلا ببذل التضحيات والجهود المضنية.

وقد أنبأ ستالين مواطنيه في ٩ فبراير سنة ١٩٤٦ أنهم سيعكفون ن فورهم على تنفيذ سلسلة من برامج السنوات الخمس، غرضها الأول إنشاء صناعة ثقيلة (أو بكلمة أخرى صناعة حربية) تضارع أمثالها في بقية العالم. وقال محذراً إنه إذا لم يتحقق هذا الغرض فلن يشعر الاتحاد السوفيتي بأنه في مأمن من هجوم آخر يشنه عليه أعداؤه الرأسماليون.



ولم يدرك الروس سوء ما أنبئوا به إلا يوم ١٥ مارس، حينما نشرت حكومتهم التفاصيل القاصمة للظهر عن المشروع الأول الجديد من مشروعات السنوات الخمس، إذ قضت بإعادة تعمير كافة الصناعات التي خربتها الحرب، ثم زيادة إنتاجها بنسبة ٥٠٪ عما كانت عليه قبل

الحرب . وقضت أيضاً بإنشاء صناعة للصلب سيبلغ إنتاجها ٦٠ مليون طن فى السـنة ، وهو ما يفوق إنتاج الولايات المتحدة فى زمن السلم. وسيقتضى هذا أن يؤسس فى السنوات الخمس القادمة ٣١٥ فرناً و ١٠٤ من المصانع لبسط ألواح الحـديد . ويتضمن البرنامج أيضاً وجوب إصـلاح ما لحق بشـبكة المواصلات من تخريب على يد الألمـان ، فسيعاد مدّ تسعة آلاف ميل من السكك الحديدية ، وبناء ١٨٠٠ قنطرة ، وإنشاء سكك حديدية جديدة يبلغ طولها ٤٣٣٨ ميلا ، وإعداد ٧٥٠٠ قاطرة و ٤٧٢ ألف عربة شحن .

ولا بد من الزيادة والتوسع فى سائر الصناعات المهمة ، كإنتاج الآلات والفحم والتربينات ومعـامل التكرير والمواد الـكيميائية .

ولم يرد فى هذه المشروعات ذكر للطاقة الذرية ، ولـكن المتكلمين بلسان الحكومة الروسية قد صرحوا مراراً بأنهم يتوقعون التوسع فى أبحاثها هى أيضاً فى أقرب وقت ممكن. وليس هناك ريب فى أن أبحاث العلماء الروس قد كشفت عن سرّ تحطيم الذرة من الوجهة النظرية ، ولـكن إنشاء مصانعها سيستوعب خير ما لدى روسيا من عمال مهرة فى مدة تتراوح بين خمس سنوات وثمانى سنوات ، وسيستنفد ذلك جزءاً كبيراً من المواد والآلات الهامة التى لا تستغنى عنها الصناعات الأخرى ، كالصمامات والمضخات وثمين المعادن المخلوطة ، والأجهزة الـكهربائية.

وأخيراً يصبح الجيش الأحمر مزوّداً بأحدث السلاح ، ويقتضى هذا أشياء : منها مثلا إنشاء صناعة جديدة للطائرات ، إذ لم يكن لدى الجيش الأحمر شىء من قاذفات القنابل البعيدة المدى من الطراز الحديث . أما ما لديه من طائرات القتال فقد طال عليه القدم فأصبح عتيقاً منبوذاً .

وتتجمع من هذه العوامل حقيقة شوهاء الوجه ، وهى أنه لن يخصص من مقدرة الإنتاج إلا قدر ضئيل لسد حاجة الشعب إلى بضائع الاستهلاك ، وسيمر على الروس زمن طويل وهم فى مسغبة شديدة .

ويدرك الروس هذا ولا يرتاحون له . ولـكنهم يقبلونه لإيمانهم بحكمة زعمائهم إيماناً راسخاً ، ومع ذلك فلا يزعم أحد ، اللهم إلا الغلاة من أعضاء الحزب ، أنها حالة تتقبلها النفس ببهجة وحماسة .

فالشعب الروسى يعيش منذ سنة ١٩١٤ فى فزع الحرب أو الاستعداد لها ، وقد تمت على يديه فى السنوات الست المـاضية خاصة ، جهود وتضحيات خارقة ، ولا يزال لزاماً

على أهل غرب روسيا ، وهى المنقطة التى كان فيها مقر عملى ، أن يبذلوا مثل هذه الجهود الخارقة من أجل أن يقوَوْا على الحياة ، هذا إلى جانب ما يقع على عاتقهم من أعباء البرامج الجديدة لنشر الصناعة فى بلادهم .

ولأضرب مثلا على ذلك بماريا تريتا كوڤا التى كانت حين قابلتها قد أتمت بناء مسكن لها : إنها تبلغ من العمر ٦٣ سنة ، وقد شيدت مسكنها بيديها ، وكل أدواتها مجراف وفأس ومسطرة . أما المواد فصلصال استخرجته من فناء الدار وخلطته بقش وصنعت منه لبناتٍ ، وحمل عربة من أجذالَ الخشب التقطتها من أكوام الأنقاض فى شوارع مدينتها .

وإنه لمسكن حسن ، إذا قسته بما عند أهل أوكرانيا اليوم ، ويقوم هذا البيت وسط خرائب كانت قديماً موقع أهم ضاحية صناعية لمدينة دنيبروبتروفسك .

وقد حرق الألمان أثناء تراجعهم مساكن القرية ، فاضطرت ماريا ، كما يفعل سائر جيرانها ، إلى الالتجاء إلى كهف فى باطن الأرض سنة كاملة وهى لا تنفك تعمل فى إقامة الجدران على أساس كوخها المحترق . والمسكن الجديد مكوّن من حجرتين مساحة كل منهما ١٢ قدماً مربعة ، وله مدخل مسقوف تتخذه مخزناً لخشب الوقود والأدوات وحظيرة لأنعامها وحيوانها . أما أرض المسكن فمن الطين المكبوس ، وكل أثاثه فرن من القرميد وخزانة ثياب من الخشب من صنع يديها ، ومقعد وسرير من الحديد استنقذته ماريا من تحت أكوام الرماد فى مستشفى القرية الذى أكلته النيران . وهى تعيش فيه مع ابن لها سرّح من الجيش يوم أتمت هى بناء الدار ، وتعيش معها أيضاً بنت لها عادت حديثاً من مصنع حربى فيما وراء جبال الأورال .

وأسرة تريتا كوڤا أحسن حالا من كثير من سكان المدن فى أوكرانيا . ففى كييف ، وهى أقل المدن الكبيرة دماراً ، لا يظفر الفرد لمسكنه إلا بحيز مساحته ستة أمتار مربعة ، فما يكون له سوى رقعة طولها عشر أقدام وعرضها ست ، فيها ينام ويطبخ ويأكل ويخزن كل ما تملكه يداه . أما فى مدينة خاركوف فنصيب الفرد أقل من ذلك ، ومع هذا فقد تعوز كثيراً منهم مثل هذه المساحة ، لتدفق المهاجرين العائدين .

فإذا أردت أن تصوّر لنفسك كيف تعيش الأسرة الأوكرانية ، فاعمد إلى أصغر حجرة من مسكنك وانقل إليها زوجك وأطفالك ، ثم املأها بفراشك وثيابك وما لا تستغنى عنه من متاعك ، واقتلع جهاز التدفئة وأنابيبه الدائرة ، وضع بدله فرناً من

القرميد قلما ترتفع معه حرارة الحجرة إلى ما فوق الصفر ، ثم اخلع صنبور الماء الساخن فى الحمام ورُضْ نفسك على أن تشاركك فيه أسرة أخرى من جيرتك ، ثم استضف أرملة من أقربائك فتجيء ومعها أربعة من أولادها الصغار ، فإذا ضقت ذرعاً بهذا الزحام فاعلم أنك لا تزال أحسن حالا من كثير من الروس . وكثيراً ما شاهدت فى أوكرانيا أربع أسر تعيش فى حجرة واحدة .

ومبلغ علمى أن قلة المساكن تثير من المتاعب مالا تثيره أية مشكلة أخرى ، والسلطة المسئولة لا تخفى قلقها لذلك . والرأى الذى انتهيت إليه هو أن قلة المساكن ونقص الأطعمة قد تكون من أهم الأسباب التى تجعل الكرملين يأبى أن يسارع إلى إعادة جنوده من البلاد المحتلة .

وقد قال لى صديق من كبار المسئولين فى الحزب : « إذا عاد هؤلاء الجنود إلى أوطانهم فلن يطيقوا صبراً . فقد مضت عليهم سنوات خمس وهم ينامون فى الوحل والثلوج ، فهم لن يستمعوا إلينا ونحن نطنب لهم فى شرح برامج إنشاء المساكن فى السنة القادمة . وسيقولون لنا : « لقد أنقذناكم من النازيين، فاعطونا اليوم مأوى نعيش فيه » ومن شأن الجند جميعاً أن يتذمروا إذا قيل لهم انتظروا ، وقد ينتهى بعضهم إلى اليأس » .

ولا شك أن ذلك الفتى الذى قابلته أنا ومترجمتى ونحن نتنزه ذات مساء فى طرقات كييف كان أحد هؤلاء اليائسين ، فقد استوقفناه لنسأله عن طريقنا فسار معنا قليلا لأننا ــ كما قال ــ قد ننبئه عن سير الأحوال فى البلاد الأخرى ، ولأنه يتوق أيضاً إلى الإفضاء لإنسان بدخيلة نفسه .

وقد تبين لى أن هذا الفتى من الجنود المسرّحين ، ومع ذلك فقد وجدته كبقية قرنائه لا يزال مرتدياً البزة العسكرية بعد أن نزعت علاماتها ، وهو مشقوق الحذاء عارى الرأس ، وقال إنه يأنف من العمل لأنه لا يوفق فى كييف إلى عمل يدر عليه شيئاً أكثر من ثمن الخبز . وهو يعيش شريداً لا مأوى له ، وقل لنا : « هأنا أنام حيثما وجدت لرأسى مكاناً ، فأنام ليلة فى حجرة الانتظار بمحطة السكة الحديدية ، وليلة فى ضيافة صديق ربما بت عنده على الأرض ، وهناك آلاف غيرى فى المدينة ليس حالهم بخير من حالى » .

ولعل هؤلاء الجنود الهائمين على وجوههم هم سبب انتشار موجة من الإجرام فى روسيا، حتى اقتضى الأمر استدعاء فرقة كاملة من

الفرسان إلى موسكو فى الشتاء الماضى لمساعدة رجال الشرطة فى القضاء على تفشى جرائم السرقة . ولا تذكر الصحف هذه الحوادث، إذ أن السرقات لا تعتبر عندها من الأنباء المثيرة للاهتمام ، شأنها فى ذلك شأن الحوادث التافهـة الأخرى كالحـرائق ومصادمات السيارات والطلاق والزواج .

ويثير الجوع أيضاً تذمراً كثـيراً فى أوكرانيا . نعم ، لم يمت أحـد جوعاً أثناء إقامتى هناك ، ولـكن الطعام كان ضئيلا ، قليل التنوع ، غير شهى .

ولـكى أصور لك حال ربات الدور فى روسيا أقول : لو كنت يا سـيدتى واحدة منهن ، لـكان لزاماً عليك أن تبكرى فى شراء حاجاتك من السوق حتى يتسنى لك أن تظفرى ببعض الطعام قبل أن ينفد المعروض منه ، وحتى لا يخصم شىء من أجرتك عقاباً لك على تأخرك عن موعد العمل ، ذلك أن أغلب نساء روسيا يعملن إذ قلما يكفى أجر الزوج لنفقة الأسرة . (يتراوح أجر العـامل فى أوكرانيا بين ٣٠٠ و ٣٥٠ روبلا فى الشهر ، وهو مايعادل ٣٠ أو ٣٥ ريالا ، وتهدف برامج السنوات الخمس إلى إبلاغ هذا الأجر فى سنة ١٩٥٠ إلى ٥٠٠ روبلا) . وليس عمل النساء بالهين دائماً ، بل الأغلب أنهن يعملن فى تشييد الأبنية أو تعبيـد الطرق . وأول زمرة رأيتها من النساء العاملات ، كانت تعمل فى رفع أكوام الثلوج المتجمدة على طرقات موسكو ، وكانت درجة الحرارة أقل من الصفر كثيراً ، ومع ذلك فقد كن يكسرن الجليد بأعمدة من الحديد ويرفعن كتل الثلج إلى عربات النقل بأيديهن العارية .

ولن يحيرك يا سـيدتى أمر تدبير طعام الأسرة متجولة بين المتاجر للظفر به ، لأنك لا تستطيعين شراء حصتك المفروضـة لك من الطعام إلا من المتجر الذى سجلت فيه بطاقتك . والبضائع فى هـذا المتجر وغيره واحدة ، هذا فيما خلا تلك المتاجر المخصصة للطبقات الممتازة ، كضباط الجيش والعلماء والأطباء والنساء الحوامل وكبار الموظفين ، فهم يستطيعون الحصول على بضائع أكثر تنوعاً .

وفى واجهة المتجر صورة لستالين تحوطها قطع من اللحم والجبن — وكلها قوالب من الجبس ، لأن هذه الأطعمة قد نفدت منذ زمن بعيد . وفى داخل المتجر رفوف مملوءة بأرغفة من خبز الشعير الأسود زنة كل منها رطلان ويباع بقرشين ، وبجانبها أرغفة قليلة من خبز القمح الـكامل تباع بضعف ثمن الأولى . أما غير ذلك من الرفوف

خالية اللهم إلا من بضعة أكياس صغيرة من شاى القوقاز ، وعلب أمريكية متنوعة من الطعام واللبن المحفوظ . وكل شيء سوى الشاى مجلوب من هيئة الإغاثة والتعمير التى تشتريها من فائض مخازن الجيش الأمريكى . ويباع فى المتجر أيضاً حساء الكرنب وزبد الفول السودانى ، وهى أيضاً مجلوبة من الجيش الأمريكى .

وفى وسعك الحصول على ما يقرب من رغيف ونصف فى اليوم الواحد ، أى ما يزن ٨٠٠ جرام إذا كنت من العمال الموكول إليهم أعمال شاقة كبناء القناطر ، ويُعطى زوجك ٦٠٠ جرام إذا كان كاتب حسابات فى إحدى مصالح الحكومة ، إذ أن عمله يعد من الأعمال الهينة . ويتاح لك أيضاً شراء رطل ونصف من اللحم فى الأسبوع ورطل من الزبد أو الدهن ، ولكن هذه قد نفدت من المتجر منذ زمن بعيد ، ولذلك فأنت تشترين بدلها علبة من اللبن المحفوظ . وأخيراً لك أن تشترى بضع أوقيات من زبد الفول السودانى ، وربع رطل من حساء الكرنب يصب لك فى وعائك .

وسيقتصر عشاؤك فى تلك الليلة على الخبز الأسود وحساء الكرنب كالعهد فيما مضى من الأيام ، فإذا كنت جائعة أو متشهية لتنويع طعامك ، عرّجت فى عودتك على السوق القامة فى العراء آملة أن تظفرى بشيء علاوة على حصتك .

ويقف فى هـــذه السوق صفوف من القرويات وراء مناضد من الخشب ، وأمام كل منهن شيء من مختلف ألوان الطعام ، وهو ما فاض لديهم من منتجات حدائقهن الصغيرة المخصصة لعمال المزارع المشتركة، فكل طعام تستخلصه الأسرة من هــذه الحدائق تكون حرة فى أكله أو بيعه أو المقايضة به ، كما يحدث فى النظام الرأسمالى . وتحرص كل قروية مدبرة على أن توفر شيئاً تأتى به إلى السوق مرة أو مرتين فى الأسبوع ، فتأتى مرة مثلا بأربع بيضات ، أو بقطعة من اللحم القــدد ، أو بزجاجة من زجاجات الفودكا ملأى باللبن الحامض.

ويباع كل ماتأتى به بثمن غال ، إذ أن الأسعار غير محددة. وهذه السوق علنية مباحة ولكنها تعتبر من الوجهة الاقتصادية سوقاً سوداء بالمعنى المعروف ، فهى تمتص الفائض من مقدرة الشراء ، وتمهد السبيل لتصريف البضائع التى لا يجدى إدراجها فى التســعيرة لندرتها . وإذا استثنيت الوارد من هيئــة الإغاثة والتعمير ، فهذه السوق هى التى تمد سكان المدن بما يلزمهم من لحم ودهن . وهناك أيضاً مخازن تجارية تتولاها الحكومة وتبيع فيها أطيب الأطعمة ، كالكافيار ولحم

السرطان المحفوظ فى العلب ، ولكن أثمانها فوق متناول أوساط الناس . ولا تجد القرويات مشقة فى بيع عُشْر رطل من اللحم المقدد بعشرين روبلا أو الدجاجة الصغيرة بخمسين روبلا ، وهو ما يقارب ٥ ريالات .

ولكن الروس لايتلهفون على الشراء والبيع بالروبل، بل على المقايضة . فالقرويات أشد احتياجاً إلى الثياب ، وأغلب البائعات يرتدين ثياباً ظلت على أجسادهن طول الحرب فأصبحت رثة مرقعة. وتحضر السوق كثيرات من فتيات القوقاز وقد شددن على أبدانهن معاطف من قماش غليظ حتى لايبدو ما تحتها من قميص رث من القطن ، وفى أرجلهن خفان من لحاء الشجر ، فإذا وسعك التخلى عن صدرية قديمة من الصوف أو لِفاع من الحرير الصناعى مما أرسله لك أحد أقربائك من الجند من ألمانيا ، فإنك تستطيعين المقايضة عليه بملء قفص كامل من الطعام ، أى بما يوازى ٢٠٠ روبل نقداً . ولعل هذا ما كان يدور فى خلد امرأة عجوز حينما وصفت لى هذه السوق بأنها « أرض لمعجزات » ، وقالت : « أنا أكسب ٣٠٠ روبل فى الشهر ، ولكن أسرتى لاتستطيع أن تقيم أَوَدَها بأقل من ضعف هذا المبلغ » . فهى تسد هذا العجز مؤقتاً ببيع شىء من ثيابها بين الحين والحين ، وأضافت تقول : « لقد ضاقت أنفسنا ذرعاً بهذه المتاعب » . وهذا قول تردد فى سمعى مراراً .

ورجال الكرملين على علم بما يخالج الشعب من ملل وتذمر ولهف على بضائع الاستهلاك ، ولكن هذا التذمر لم يصل من الوجهة السياسية إلى درجة الخطر . نعم ، إن الأصوات فى روسيا أشد ارتفاعاً بالشكوى ، ولكنها لاتختلف فى جوهرها عن أصوات الشكوى فى سائر البلدان التى ضاق أهلها ذرعاً بنقص بضائع الاستهلاك ، فليس هذا هو التذمر الذى ينذر بالثورة .

بيد أن ذلك يدل أيضاً على انتشار روح من التراخى وقعود الهمة من شأنه أن يعرقل النشاط الفائق الذى لابد من بذله لتنفيذ البرنامج الجديد للسنوات الخمس ، فإذا لم يكفكف هذا الشعور ، فقد ينقلب إلى مقاومة سلبية مكتومة ، وهى السلاح الذى تعودت الشعوب السلافية الزراعية أن تلجأ إليه ، والذى كاد يهدم مشروعات البلشفيك فى سنة ١٩٢٠ ثم سنة ١٩٣٣ . وأكبر مشكلة تواجهها الحكومة السوفيتية هى كيف تحمل الجواد المتعب على أن يظل عشر سنين أخر يجرّ لها العربة ، وليس له من طعام سوى النزر اليسير من الشعير .

فإذا لم يُحمل الشعب الروسى حملاً على الاعتقاد بأن الحرب حقيقة وشيكة الوقوع ، فمن الصعب حمله على التخلى عن مباهج الحياة من أجل إقامة صناعة حربية ضخمة للدفاع . ومن أجل هـذا لا يكف لسان السوفيت عن ترديد هذه الكلمات للشعب وهى : إن الولايات المتحدة ـ وهى الأمة الوحيدة التى تستطيع مجالدة روسيا ـ قد أصبحت مصدر خطر كبير ، لأنها تشبعت بروح حربية . ولهذا كثرت فى الصحف الروسية الاتهامات المألوفة بأن « الرجعيين » فى أمريكا يسعون إلى تحسين وسائل الانتفاع بالطاقة الذرية ، لا لخير البشر بل لاستعباد بقية الشعوب .

وتحاول الحكومة أن تفتن ألباب الناس بالقليل الذى لديها من بضائع الاستهلاك . ومما يدل على قيمة البضائع التى تأخذها من هيئة الإغاثة والتعمير أو تنتزعها من البلاد المحتلة ، أنها تبـذل جهداً عظيما من أجل الظفر بها ، فهى قد منحت هيئة الإغاثة والتعمير امتيازاً لم يسبق له مثيل، فقبلت أن يتجوّل نفر من المراقبين الأجانب فى أرجاء روسيا الغربية للإشراف على توزيع بضائع الهيئة ، وذلك لأن الحكومة الروسية أدركت أنها بهذا وحـده تستطيع الظفر بما تطلبه منها. أما فى البلاد المحتلة فقد رضيت بأن تضحى بسمعتها السياسية من أجل الظفر « بتعويضات » ، وتعنى كلمة « تعويضات » كل بضاعة يستطيع الروس انتزاعها من يد الأعـداء ، فقد تكون مصنع مثلجات أو دراجات أو راديو أو آلات خياطة ، وقد تكون ماشـية ووسائد محشوة بريش الإوَزّ . وكانت هذه الأشياء وكثير غيرها تتدفق على أوكرانيا أثنـاء إقامتى فيها ولا تزال عربات الترام فى أوديسا تحمل لافتات بأسمـاء شوارع فى مدن رومانيا . ومن العسير إقناع أسرة رومانية أو نمساوية بمزايا الشيوعية فى الوقت الذى ينهب فيه الجنود الروس متاعها . ولـكن ليس هذا كله ظلماً ، فحتى لو جرد الجيش الأحمر ألمـانيا وتوابعها من كل شيء تملكه ، فإنه لا يعوض روسـيا ما أحرقه الألمان فيها أو سرقوه منها .

وتبذل الدعاية الروسية فى الوقت نفسه جهداً كبيراً لإقناع الشعب بأنه أحسن حالا من شعوب الدول الرأسمالية ، وتؤكد له أن الرخاء آتٍ عن قريب . ولـكنها دعاية ليست بناجحة دائماً .

مثال ذلك أننى لم أعثر قط فى الصحف الروسية على أية إشارة إلى أن هيئة الإغاثة والتعمير قد أمدت روسيا بما قيمته ٢٥٠ مليون ريال من الطعام والثياب والمهمات ،

والظاهر أن الحكومة لا تميل إلى الاعتراف أنها فى حاجة إلى معونة أجنبية حتى تطعم شعبها ، ومع هذا فإن أهالى أوكرانيا يعلمون حين يرون الرقوم على البضائع من أين يأتيهم طعامهم .

إن سياسة فرض الشقاء والتضحيات على الشعب الروسى لكى يتحملها فى السنوات القادمة ، سيكون لها أثران خطيران على بقية العالم . فأول ذلك أنها ستجعل من المستحيل إقامة نظام ديمقراطي فى روسيا فى وقت قريب . هذا ، والشعب الروسى لايدَ له فى وضع هذه السياسة، بل هو كغيره من الشعوب ، لن يرضى بها لحظة لو أصغت حكومته إلى رغباته . فهى سياسة لا تقوم إلا على يد دكتاتور تعضده قوة من رجال البوليس السرى والدعاية .

والأثر الثانى هو : أن يظل الشعب الروسى بمعزل عن بقية العالم . فلو أدرك قسم صغير من الشعب حقيقة الحال فى نواحى الدنيا ، لفقدت دعاية الحكومة سلطانها، وقد ينقلب التذمر إلى ثورة جامحة .

فإذا تسنى لبقية الشعوب أن تتفحص أمور روسيا عن قرب ، لفقدت الشيوعية فيها أهم سلاح ، وهو ادعاؤها بأن الاتحاد السوفيتى هو جنة الطبقة العاملة ، ولذلك فرض على مراسلى الصحف أن لا يغادروا فنادقهم ، وأن تخضع رسائلهم لرقابة دقيقة ، وأن لا يقابلهم زائر إلا بعلم السلطات الروسية .

ومعنى هذا أن الستار المضروب بين روسيا وبقية العالم ، وما ينطوى عليه من الشكوك والريب ، سيظل قائماً مدة طويلة . وليس هذا الستار نزوة من نزوات المزاج السلافى يمكن أن تبدد بالمحاضرات عن مزايا حرية القول والتفاهم المتبادل، بل إنه عنصر أساسى فى السياسة السوفيتية .

فيحسن بنا إذن أن نقلع عن دهشتنا المتفجعة ونعمد إلى أن نتعلم كيف يجب أن نعامل روسيا فى مثل هذه الأحوال . وسنكون بمنجاة من كثير من خيبة الآمال ، إذا نحن أدركنا أن سياسة التفاهم المتبادل فى السنين العشر القادمة بين عامة أهل روسيا وغيرهم من الشعوب ، أمر لا يسع الكرملين أن يرضى به .

ما دامت المرأة تبدو أصغر من ابنتها بعشر سنوات ، فإن ذلك حسبها حتى تكون راضية عن نفسها .

[أسكار وايلد]

خيرُ أيَّام حياتنا

الدكتور هاري إمرسون فوزديك

كتب جون كيرنز ، وهو أسكتلندى مشهور ، إلى معلمه السابق مرة يقول : « لا أدرى ما نوع الحياة أو أنواع الحياة التى قُدِّرت لى ، ولكنى أعلم هذا : وهو أنى سأحمل طابعك إلى آخر أيامى » .

ولا يحتاج المرء إلى علم الغيب حتى يدرك ماوراء ذلك الثناء — شاب حفزته تعاليم معلمه أن يجعل من نفسه شيئاً مذكوراً ، فاستحال شخصاً آخر بفضل تلك اليقظة الروحية التى تسبق خير أيام الحياة فى عمر الإنسان .

وهنالك اليوم ملايين من الآباء يحرصون على مراقبة ظهور علامات هذا التحول فى أبنائهم وبناتهم ، وهم يؤملون أن يوقظ شىء أو إنسان مواهبهم النائمة ويجعل لهم فى الحياة وجهة وغرضاً . وهو شىء خفى ولا يمكن أن يناله المرء عنوةً أو قسراً ، وله أصول راسخة فى تركيب الإنسان ذات أثر فى نضج الجسم ، ولكنَّ لها أصولا روحانيـة أيضاً تأتى فى حينها كالريح التى « تهب حيث تميل » . وقد وقع كيتس يوماً ما على قصيدة « ملكة الجان » لسبنسر فقرأها ، فانقلب من شاب يافع إلى رجل صاحب عزيمة وغرض قد وجد فى الشعر ضالته . ونحن جميعاً يقع لنا شىء مثل هذا قبيل بلوغنا خير أيام الحياة .

وما أعجب الآثار التى تأتى فى بعض الأحيان من نتيجة هذه التجارب! نزل لندن منذ جيل مضى شاب هندى حسن البزّة ، فأكبّ على الرقص ولعب القيثار ، وكان ناجحاً مرموقاً فى حياة لندن الاجتماعية . ثم وقع له شىء سمِّه ما تشاء : تحوّل دينى ، أو تعمق فى الروحانية ، أو شعور بالعمل على عون بنى جلدته — إنه شىء عجيب وقع له ؛ فإذا ذلك الشاب الذى كان يغشى المجتمعات والأندية قد استحال فكان غاندى الزاهد المتصوف الذى يمسك بيديه الهزيلتين مصاير الهند .

وليس ثمة فى الحياة الإنسانية ما هو أهم من أمثال هذه التجارب . وقد وقع روبرت ا . بيرى بمحض الاتفاق على كتيب عند بائع كتب ، وقرأ عن هضبة الجمد المترامية الأطراف

فى جرينلنـــدة . ولم يستعمل هو لفظ « التحوّل » فى التعبيرعن تجربته ، ولكنه فى الحقيقة « تحوّل » . فمنذ قرأ هذه الرسالة صرف همه إلى الشمال ووقف عليه أيام حياته كلها حتى قدر له أن يبلغ القطب الشمالى .

والحوافز التى تفضى إلى هـذه التجربة كثيرة مختلفة. فالعشق مثلا قد يفضى إليها، والفرصة المواتية قد تفضى إليها ، كما وقع للطبيب الشاب الذى قصد لبرادور للرياضة فى رحلة بحرية،فزار هناك قرابة ٩٠٠مريض لم يكونوا ليروا طبيباً طوال حياتهم لو لم يقم هو بهذه الرحلة. إن تلك الحاجة إلى طبيب، وهـذه الفرصة الطارئة ، حفزته وأثارت حميته ، وكان من أثرها خير الأيام فى حياة طبيب مشهور هو سير ولفرد جرنفل .

بيد أن العشــق ، والفرصة المواتية ، والمشقة التى تتحدّى العزائم ،وتأثير الرجال ذوى الشخصية المؤثرة،ليست أبقى ولا أقوى القوى التى تفضى بالمرء إلى هذه التجربة ، بل أقوى القوى وأبقاها هو الانقــلاب الروحانى الحادث من الإيمان بعقيدة أو دين جديد .

إن روبرت لويس ستيفنسون مثلا كان ثائراً على الدين، وكان ينعته وينعت ما يضفيه على أهله من الوقار والاحترام بأنه «أخطر تخدير لقوى الإنسان » ، ونعت نفسه بأنه «شاب لا يؤمن بوجودالله» ثم وقع له شىء، وبدأعلى حدقول تشسترتون«تخامره الشكوك الأولى فى صحـة الشك فى الله » . وسرعان ما كتب : « إن هذا العالم عجيب حقاً ، ولكن هناك إلهاً ظاهراً لمن يريد أن يبحث عنه » . وكتب فى إبان مرضه الذى اقتضاه أن يعيش بعيداً فى جزر الجنوب عن« إيمانه المتين كالحديد». وقال وهو يصف يقظتـه وتفتح روحه التى هيأت له خير أيام حياته على الرغم من إصابته بالسلّ: « لقد استقمت على الطريق كالسفينة التى أحسن الربان قيادتها ، وقد تولى الأمر كله ، ذلك المرشد الذى لاتدركه الأبصار — وهو الله » .

إن مثل هذه اليقظة الروحانيــة تقع فى الشباب غالباً ، بيد أنها تقع أحياناً فى السن العالية،وتستتبع انقلاباً عجيبا لايكاد يصدّق، لما كان يعرفه الناس عن هذا الرجل أو هذه المرأة من قبل. وأعرف أنا رجلا من كبار رجال الدين كان فى سالف أيامه أبرع المقـامرين المحترفين غير منازع فى مدينـة نيويورك ، ولا شك أن خير أيام حيـاته بدأت بيقظة روحانية كانت تبدو له ولأصدقائه من قبل مستحيلة لا تصدق .

واحتمال وقوع هذه التجربة فى عالم ما بعد الحرب أمر عظيم الشأن والخطر ، فإذا لم يكن قـــد كتب علينا أن نلقى بأيدينا إلى

التهلكة ، فلا بد من أن تقوم بيننا يقظة روحانية تحيلنا من الشك الساخر إلى الإيمان، ومن اليأس إلى الأمل، ومن الحقد والانتقام إلى المحبة والوئام، ومن الأثرة إلى البرّ بالجماعة. ولن تنقذنا مما نعانيه أية مؤسسة سياسية عالمية، وإن لم يكن لنا عنها غنى . وما من شيء سوى اليقظة الروحانية ، تتيح لنا الزعماء العظماء والوعى العام الذى يحبوهم بالتأييد . وهذا شيء يبدأ دائماً فى الفرد. وإن احتمال حدوث هذا الأمر الذى تؤيده شواهد من علم النفس والتاريخ والدين ، يهيب بكل منا أن يبذل من ذات نفسه أعظم ما يطيق .

أعظم مفلس فى الدنيا هو الرجل الذى فقد حماسته . فلو فقد كل شيء سوى الحماسة ، لاستطاع أن يسلك طريق النجاح ثانية . [هـ . و . أرنولد]

غرائب الطباع !

وصل الشاعر روبرت برنز ذات يوم إلى رصيف ميناء جرينوك ، فإذا تاجر غنىٌّ قد سقط فى الماء وكاد يغرق ، فهبّ إلى إنقاذه بحار ذو نجدة ، فلما تمّ ذلك وضع التاجر يده فى جيبه وأخرج قطعة نقد بخمسة قروش ونفح بها منقذهُ، وإذا الحشد المجتمع من حوله يصيح سخطاً وتحقيراً لهذا الشحّ ، فتقدم برنز وقال: « دعوهُ وشأنه ، فهو أعرف الناس بقيمة حياته » [مجلة : «جولدن بوك»]

كان من عادة نابليون أن يجيل نظرهُ النافذ فى أسماء الضباط المرشحين للترقية إلى مصاف القوّاد ، ثم يكتب أمام أسماء الضباط الذين يصطفيهم للترقية : هل هذا الضابط (أو ذاك) من أهل اليمن وحسن الطالع ؟

[أكسيل منتى فى « سان ميشيل »]

كان جورج إيستمان وسيسيل رودز من كبار أهل الأعمال . فالأول أمريكى صنع آلة « كوداك » التى عمت أرجاء الأرض، والثانى بريطانى مهّد لإنشاء اتحاد جنوب إفريقية . بيد أن الأول قال على فراش الموت : « قد تمّ عملى فلِمَ الانتظار» ، وأما الثانى فقال: « ما أكثر ما ينبغى أن أصنعهُ ، وما أقلّ ما صنعت » . .

[صحيفة « بوسطن ترانسكربت »]

لن يتسنى لك أن تعرف مقدرة المرء — دون أن تتيح له فرصة

جيمس ف. لنكولن
مدير شركة لنكولن الكهربائية
مختصرة من " نظام لنكولن الحافز"

معظم ما أصابته الصناعة من تقدم إنه يرجع إلى ارتقاء الآلات أكثر مما يرجع إلى تقدم الرجال والنساء من حيث هم ناس من الناس ، فنحن نقبل على الآراء الجديدة فى العلم ، فلِمَ لا نقبل على الآراء الجديدة فى الإنسان وما فيه من قوى كامنة ؟

و « الإدارة الحافزة » هى رأى من هذه الآراء ، وخطة غرضها أن تجعل الصناعة أنفع للناس وأجدى عليهم . وقد نجحت هذه الخطة فى شركتنا نجاحاً باهراً ، فارتفع معدّل الأجر فى السنة للعامل فى مصانع لنكولن من ٢١٠٠ ريال إلى ٥٨٠٠ ريال منذ سنة ١٩٢٩ ، فصار أعلى عمال الصناعة أجراً فى العالم كله . فلما اطردت الزيادة فى قدرة كل عامل على الإنتاج ، نقصت ساعات العمل اللازم لصنع سلعنا ، حتى بلغ النقص ٨٠ فى المئة أو أكثر ، وهبط ثمنها من ١٥٠٠ ريال إلى ٢٠٠ ريال.

أتكون الإدارة التى تحفز العمال هى الخطوة التالية ؟

وهذه الحقائق لا تدلّ على أن عمل عمالنا قد بلغ من السرعة أربعة أضعاف ما كان عليه أو خمسة أضعافه ، بل أغلب الرأى أن ما يبذلونه اليوم من مجهود أقل مما كانوا يبذلون . فالإدارة الحافزة ليست نظاماً يتعجل العامل فى الإنتاج ، وإنما هى حفز جميع العمال إلى التفكير وحسن التصور حتى يتقنوا ما يصنعون .

وفى صناعتنا يكثر المنافسون لنا ، ونحن نصنع معدات للحام الكهربائى ، وليس فيما نصنعه منها أو فى أساليب إنتاجه شىء غير معهود يميز شركتنا عن منافساتها ، غير أن المعجزة العظيمة قد تمت فى تهذيب العامل نفسه . والمرء إذا لم يجد ما يتحدى قدرته ، فلن يعلم أنه ذو قدرة . وقد أفرغ العالم النفسى العظيم وليم جيمس هذا المعنى فى قوله: « يعيش المرء من الناس منطوياً داخل حدود قدرته ، وهو يملك من القوى

ما لا ينتفع به فى العادة » . فإذا حلّت بالناس أزمة رأيت معظمهم تنطلق منه قدرة كان يجهل وجودها فيه . فإذا تمت له الغلبة عليها رأيته قد كبر فى عين نفسه ،فيصير ذلك نمواً ثابتاً لا يزول .

ومجمل رأينا أن ننشّئ العامل بتعريضه للأزمة ، وحفزه إلى العمل . وقد تكون الأزمة عملاً يبدو للمرء فوق قدرته، ولكنه عمل يستطيع المرء أن ينهض به إذا بذل فيه جهده . وأقوى الحوافز إلحاحاً على الناس هو الرغبة فى أن يعلو قدر المرء فى عينيه وفى عيون الناس . وزيادة الكسب الذى يناله العامل جزاءً على إحسان العمل وإتقانه يعزز هذا الشعور ، وكذلك رفع العامل فى مراتب العمل وزيادة التبعات الملقاة على كاهله ، فهو يريد أن يحسّ أنه فردٌ فى جماعة متكاتفة وأن مجهوده لا غنى عنـه ، وأن له من الجهود ما يميزه بين العمال .

وقد نجحت خطتنا فى حفز همم العمال ، باتباع قواعد يتسنى تطبيقها فى أعمال أخرى.

١ — ضع نظاماً للأجور يجد فيـه العامل تحدياً لقدرته ، وجزاءً وفاقاً لكل ما يعمله بعقله ويديه .

٢ — اجعل « الجدارة » أساساً لترقية العمال ، وولّ على جميع الأعمـال الكبيرة رجالا من رجال شركتك . وليرسخ فى نفوس العمال أن خير عامل فيهم إنمـا ينال الترقية لأنه خيرهم حقاً .

٣ — اعهد إلى جميع العمال بأعمـال تكون فوق طاقتهم فى بعض الأحيان على الأقل.

٤ — استوثق من إلمـام العمال جميعاً بقواعد الخطة وتفاصيلها ، ومن إدراكهم مايعملون ولم يعملونه، ومبلغ إتقانهم العمل.

٥ — احرص على أن يساهم الرجال فى نجاح الشركة ، فإذا تضاعف الربح فينبغى أن يوزع معظم الزيادة على الرجال الذين ضاعفوا الربح — العمال والمهندسـين والمستهلكين ورجال الإدارة . فصاحب الأسهم قلما يصنع شيئاً يذكر لزيادة الربح ، فنصيبه من زيادة الربح ينبغى أن يكون يسيراً.

بيد أنه ينبغى أن تحرص حتى لا ينصرف همّ الرجال إلى الربح ، فثمة فرق بين أن يسأل الرجل نفسه: «ما مبلغ ما أكسب؟» وبين أن يسألهـا : « كيف أستطيع أن أصنع ما أصنع حتى يكون أحسن وأرخص وأنفع ؟ » وهو فرق جوهرى حاسم .

وإذا ماشرعت فى تطبيق «النظام الحافز» ، رأيت رجال الإدارة ورجال الإنتاج يعملون يداً واحدة لإدراك غرض واحد — سلعة تطرد إتقاناً بسعر يطرد هبوطاً . وقد تمّ لنا هـــذا فى شركتنا من طريق مجلس استشارى يضم ممثلين لأقسام الشركة ينتخبهم

العمال كل سنة ، وممثلاً ينتخبه رؤساء العمال، والمشرف على كل قسم ، ورئيس الشركة الذى يتولى رئاسة المجلس .

وهـذا المجلس يفصل فى كل شأن من شئون الشركة . وما أداه من الأعمال قد بلغ مبلغاً عظيماً ، وهو يشمل ساعات العمل وأجور العمل بالتجزئة ، وعقود التأمين ، والإجازات، والمعاشات، والمكافآت فى آخر السنة ، ومشروعات التوفير وشراء أسهم الشركة . وتجد اليوم نحو نصف العمال من حملة الأسهم ، وجميع أسهم الشركة تقريباً يملكها عمالنا العاملون منهم والمتقاعدون .

ولابد للإدارة من أن تكون حريصة على الأمانة فى جميع الشئون . وإذا أردت أن يكون العامل شريكا لك بجهوده فاجعله شريكا لك فى الاطلاع على أمور الشركة.

ولنفرض على سبيل المثال أن طلباً قد قدم بزيادة الأجر ، فالجواب القديم المتبع فى هذه الحال هو : إن الشركة لو زادت الأجور لأفضى بها ذلك إلى الإفلاس . وهذا قول كثيراً ما يكون كذباً ، بيد أن المطالبة بزيادة الأجر تتيح للمدير فرصة لكى يبين للعامل أتم بيان ، ما ينبغى له ولسائر العمال أن يفعلوه لكى يظفروا بالزيادة . ومن شأن هـذا البيان أن يزود كل رجل بنظرة جديدة ينظر بها إلى ما يستطيعه ، وإلى ما يحمل على عاتقه من تبعات .

لقد جربت البشرية خلال ألفى سنة نظم الرقّ والإقطاع والعمل الحرّ على التتابع ، وقد كان الإقطاع والعمل الحر خطوة نحو حرية العامل وتقدُّمه ، فمبدأ « الإدارة الحافزة » هو الخطوة المنطقية التالية إلى أمام.

الصحفى والعنكبوت

حين كان مارك توين رئيساً لتحرير صحيفة ، تلقى ذات يوم رسالة من أحد المشتركين يقول فيها إنه وجد عنكبوتاً فى صحيفته ، فهمُّه أن يعرف هل ذلك من حسن الطالع أو سوء الطالع . فردّ عليه توين بما يلى : « أن تجد عنكبوتاً فى صحيفتك لا هو طالع يُمْن ولا هو طالع نحس . فكل هم العنكبوت أن تقرأ الصحيفة حتى ترى أىّ تاجر ذلك الذى أهمل أن يعلن عن تجارته فيها ، فتذهب إلى دكانه وتنسج بيتها على بابه ، ثم تعيش فيه آمنة مطمئنة » . [ولتر ونشل]

كيف يشعر المرء فى أيام المجاعات ؟
رواية رجل تجوع لكى يظفر العلماء بجواب هذا السؤال.

تجوّعت فى سبيل العلم

كنيث تستل

مختصرة من
صحيفة "مينا بوليس صنداى تريبيون"

ما أكاد أقرأ أن ملايين من البشر يموتون جوعاً حتى أعلم علماً ليس بالظن مبلغ ما يلقون من عذاب فى الجسم والعقل . فقد كنت رجلا من ستة وثلاثين رجلا تطوعوا فى سنة ١٩٤٥ لممارسة الجوع القاتل ستة أشهر فى جامعة منيسوتا ، لتجربة ما يحل بالرجل الذى تبلغ منه المسغبة فى أيام المجاعات .

بدأ ذلك فى ١٢ فبراير ١٩٤٥ ، فأخذوا يقدمون إلينا طعاماً كطعام الناس فى البلاد التى تجتاحها المجاعات ، وهو طعام متشابه من البطاطس المسلوقة واللفت والكرنب والحبوب والمكرونة والخبز ، وربما قدموا لنا أحياناً نحو أوقيتين من اللبن وقليلا من المربى أو الهلام ، ولا يزيد نصيبنا من السكر على ملء ملعقة صغيرة فى اليوم .

كان وزنى عند بدء التجربة ١٨١ رطلا ، أى أنه يزيد على متوسط وزن أمثالى بنحو ٢٠ رطلا ، فلما فقدت هذه الزيادة فى وزنى رأيتنى أشد قوة وأكثر نشاطاً . وبينما كنت أنا أستنفد ما فى بدنى من الشحم ، كان الآخرون يستنفدون قوة عضلاتهم ، وبدأوا يفقدون الصبر وضبط النفس .

وذات يوم فرغت من غدائى ، فأخذت الورقة التى لُفّت فيها الشطائر وقذفت بها إلى السلة فوقعت دونها ، فرفعتها وحاولت ذلك مرة أخرى ، فقال لى أحد رفقائى :

« لقد بقى لك ولا ريب قسط من النشاط تحب أن تبدّده ! » وكانوا جميعاً يرقبوننى ساخطين متذمرين . فلما صار وزنى أقل من ١٥٠ رطلا ، بدأت أشعر كشعورهم إذا وقع بصرى على أحد أرى فى حركته قسطاً من الخفة والنشاط .

وبدأت تغتالنا ضروب من الجنون ، أكثرها فيما يتعلق بالطعام . فأخذ بعضنا يجمع كتب الطبخ ويتتبع طرائق طهى الأطعمة ، وأخذ آخر يحلم بشراء أجهزة الطهى الكهربائية ، وجعل آخر يدرس أساليب حفظ الطعام بالتبريد . أما أنا فقد عافت نفسى أمثال هذه اللوثة الملحّة بأمر

الطعام ، فجمعت لنفسى نحو ثلاثين كتاباً فى علم السياسة والفلسفة والتاريخ ، ولكنى لم أعنِّ نفسى بتصفحها . كنت كالآخرين قد استبدّت بى شهوة جامحة إلى حيازة شىء ما ليكون عوضاً عما أنا فيه من عجز عن إصابة ما أريد من طعام . وكنت أحرص على هذه الكتب حرص الشحيح ، فلا أزال أعدّها، وأمسح جلدها بكفى وهى على الرف ، وأضمها ضمًّا إلى صدرى .

ولما بلغ منا الجوعُ صرنا نجد أشد العنت فى ضبط نفوسنا الهائجة ، وأخذنا نتململ ونشكو ونضجُّ ، وبدأ يشق علينا أن نزاول أى عمل ، فإذا شرعنا فيه ضقنا ذرعاً بكل ما يقطعنا عنه . فأورثنا ذلك أوجاعاً نتوهمها ، وأصابنا مسٌّ من الجنون .

وأحسست أنا أن جلد قصبة ساقى قد خدرت . وهو وجع متوهم بحت لا أصل له ، يجعل المرء يحس أن على جلده طبقات مركومة من مطاط رقيق . ولم يكن ذلك مما يعوقنى عن الحركة ، ولكنه ملأ قلبى هماً وغماً . ورأيت كثيراً من أصحابنا قد بلغ الورم فى ركبهم وكعوبهم ، فيما لا يتعدى نصف ساعة ، نحو ثلاثة أضعاف حجمها الطبيعى . وأخذ الإغماء ينتاب بعضهم أيضاً .

ضعف نشاطنا وقل من الأشياء ما نوليه اهتمامنا ، أما حصر الذهن فكان أمراً مستحيلا . وإذا دخلنا المكتبة جلسنا والكتب أمامنا ، وظللنا نحلم أيقاظاً بالأيام الخوالى الحافلة بألوان الطعام .

وكنا نشعر دائماً بالبرد يدبُّ فى أوصالنا حتى أننا لم نكن نحسّ حرارةً أيام تبلغ درجة الحرارة ٣٢ سنتجراد ، وكنا ننامُ دائماً وعلى كلّ منا بطانيتان ثقيلتان .

وصرنا نضيق ذرعاً بأشياء لم يكن أحدنا يلقى إليها بالاً قط ، وأصبح سمعنا مرهفاً حتى صار يخيل إلينا أن فى صوت كل امرىء منا نغمة متميزة تعلق بجو الغرفة ، فلا نزال جميعاً نتذمر زاعمين أنه لا يكفّ عن اللغط ، وأننا لا نجد من هذا اللغط مهرباً .

وبلغت منا حدّة الطباع مبلغاً عظيما ، حتى أننى غاضبت رجلا كان ألصق أصحابى بنفسى ، واسمه جورج . وخبر ذلك أن رجال التجربة رأوا أن وزنى لم يستمر فى النقصان كما يحبون ، فحرمونى قطعتين من قطع الخبز الست التى كانت حصتى من الطعام كل يوم ، وكنت أعلم أنها سترد علىّ يوما ما . وذات ليلة خرجت أريد المكتبة كى أحاول بعض القراءة ، فتعمدت أن أمر بالناحية التى فيها لوحة النشرات دون أن ألقى نظرة على بيان توزيع الجراية المعلق عليها . ثم أخذت أعلل نفسى بما أرجوه من ردّ القطعتين علىّ ، فأقول لنفسى : « بعد قليل سأعود إليها

وألقى نظرة على البيان — أما الآن فلا » .

ثم أقبل جورج وألقى على اللوحة نظرة وقال لى : « ياعزيزى ، لقد ردّوا عليك جرايتك كاملة » ، فجن جنونى وقلت له إننى كنت أوثر أن أقف على ذلك بنفسى . ولم تهدأ ثائرتى إلا بعد أيام .

لم تكد تنقضى ثلاثة أشهر من مدة هذا التجويع ، حتى صار الكلام عن الفتيات والصديقات أمراً تافهاً لا بال له ، وانقطع حديثنا عنهن ساعة نأوى إلى مضاجعنا ، فقد صار أكثرنا يؤثر أن يتجنب ذكر كل إنسان فيه فضل من نشاط وقوة . لقد أصبحنا أشباه الموتى ، وصرنا نحرص حين نمشى مخافة العثرات .

فلما أشرف شهر مايو على نهايته ، رفهوا عنا بوجبات من الطعام تبدو طيبة حتى فى أيامنا هذه ، فقد جاءونا فى العشاء بشريحتين رقيقتين من لحم الدجاج ، والبطاطس المدهوك ، وبشىء من المرق والذرة . أما أعجب العجب فكان فطيرة من الشكولاتة عليها بعض المثلجات . وقد انهارت نفوس أكثرنا حين رأوا هـــذا الطعام ، فاعتمدوا على المائدة يبكون .

وفى النصف الأخير من مدّة التجربة كانت قوى نفوسنا على مثل الصراط ، وشقّ علينا أن نظل نذكر الغرض الذى أجريت من أجله هــذه التجربه . وقد قلّ وزنى حتى صار ١٢٥ رطلا . وكنا جميعاً نحس أن أرجلنــا وأقدامنا قد اغتالها الجوعُ كما اغتال بطوننا وأفواهنا . لقد صارت أبداننا يأكل بعضها بعضاً .

ولم يكن رجال التجربة يحثّونا على العمل ، فقد كانوا يريدون أن يعرفوا ماذا نفعل نحن بدافع من قبل أنفسنا ، فرأوا أنه ليس فينا دافع يدفعنا إلى عمل ، حتى أن الجماعة التى عهد إليها أن تتولى شئون منزلنا أهملت كنس غرف النوم . وقد قال لى أحدهم إنه يرى بعينيه التراب مترا كما تحت الأسرّة وهو يعلم أن عليه أن يأخذ مكنسة ليكنسه ، فكان كلما مرّ بغرف النوم أحسّ بعظم تقصيره ، ولــكنه يظلّ يؤجل العمل يوما بعد يوم .

كان يخيل إلىّ عند بدء التجربة أنى إذا دعيتُ إلى مأدبة فسأرفض أن أصيب من ألوان الطعام ، أما الآن فقد أتمنى أن أجده فأنالَ منه غير آثم ، بل كنت أتمنى أن أقتل أولئك الأطباء الذين يتولون الهيمنة على طعامنــا .

ولما شارفت التجربة نهايتها صرنا هيا كل بشر ، وصار شعرنا يابساً حائل اللون ، وأخذ الصلع يدبّ فى بعضنا ، وأحاطت بأصداغنا وآذاننا وأعناقنا فجوات غائرة ، وتقشر جلدنا . ولما كانت الكراسى صلبة صلابة لا تحتمل ،

فقد صرنا نطوى الملاءات لنجلس عليها أو نتكىء . وضمرت قلوبنا بنسبة عشرة فى المئة وكذلك أوردتنا وشراييننا . ولم يبق فى بياض مقل العيون أثر يُرى من العروق، بل صارت المقل بيضاً شفافة كالخزف الصينى. ولم نكن نُدير عيوننا لكى ننظر إلى الأشياء فقد كان ذلك جهداً أىّ جهد ، بل كانت نظرتنا نظرة محدّدة ثابتة إلى شىء واحد بعينه كتلك النظرة الساهمة التى تراها فى صور الجياع الذين أضرّت بهم المجاعات .

وكان علينا طول أيام هذه التجربة أن نسير ٢٦ ميلا فى الأسبوع . وكان بعض سيرنا على فترات كل فترة منها نصف ساعة ، فكنا نقف على سير متحرك سرعته ثلاثة أميال ونصف فى الساعة ، فنحرك أرجلنا كأننا نسير ونحن وقوف . وكان بعض سيرنا أيضاً عدواً على سير مماثل سرعته سبعة أميال فى الساعة . فكان هذا الضرب من الجهد عذاباً مبرّحاً نلقاه من كثرة تردّدنا بين أن ننظر إلى الساعة أو أن نمنع العين عن النظر إليها . وفى الشهرين الأخيرين لم يزل يخامرنى الشكّ فى قدرتى على السير نصف ساعة دون أن أتهالك إعياء . أما فى ساعة العدو فكنا نسقط من الكلال بعد ٦٠ ثانية.

وفى اليوم الأخير للتجربة استطاع رجل منا أن يستمرّ فى هذا العدو ١٥ ثانية ثم سقط ، وأغمى على آخر بعد أن مشى ٢٠ دقيقة وظل ١٥ دقيقة يبكى لأنه عجز عن أن يتم المسير نصف ساعة .

وفى اليوم الأول الذى عدنا فيه إلى المألوف من الطعام ، شعرنا بفتور وهبوط. وقد كانت الزيادة التى قدموها إلينا وهى ٤٠٠ سُعر (وحدة حرارية) لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً . وقد كنا على يقين من أننا نستطيع أن نأكل ثلاثة أضعاف ما قدم إلينا ، بيد أن الذى كان هو أن معدنا تقلصت ، وأن سائل الهضم الذى فى المعدة قد استنفد كلهُ . وظللنا على التدرج فى زيادة الطعام عشرة أيام حتى بدأنا نشعر بشىء من الراحة والفرج .

فلما أخذ نشاطنا يرتدّ إلينا انتابنا مثل الذى كان ينتابنا فى أوائل التجويع . فزال عنا بالتدريج تبلد الحسّ ، وصرنا نستطيع أن نبين عن سخطنا وغضبنا مرة أخرى ، ثم أن نضبط هذا السخط ، وأخذنا نزاول بعض الأعمال الهينة لكى نكسب شيئاً من المال ، وصرنا نذكر النساء عندما نأوى إلى مضاجعنا . وقد قال بعض أصحابنا مرة : « عندما أسمعكم ترحبون بى الآن ، أراكم تخاطبوننى كأنكم تخاطبون فتاة لا جماداً من الجماد » .

ولما قضينا فى استرداد عافيتنا مدة ١٢

أسبوعاً ثارت شهوتنا إلى الطعام ، حتى إن رقيب الطعام كان إذا سألنا ظهراً : « أفيكم من يريد مزيداً من طعام ؟ » أخذنا نكوّم الطعام فى صحافنا غير مبالين . وقد كانت المقادير التى نلتهمها من البسكويت والزّبد والعسل مما لا يصدقه العقل .

أما العشاء فكان سُعاراً فى الأكل ، وما كدنا نفرغ منه حتى أقمنا حفلة كنا نتناجى بإقامتها منذ أسابيع ، فأكلنا ما شئنا من عنب ومثلجات وفطائر وشطائر . واستمر سمرنا حتى مطلع الفجر، وفى الساعة الثانية صباحاً أصبت فطوراً حافلا ختمته بالموز والفطير الحلو .

ولم أستردّ القوة التى فقدتها إلا بعد أشهر، وكنت مهما أكثرت من الطعام لا أحسّ بالشبع ، وكانت البلبلة التى أصيبت بها عواطفى قد تركتنى أحسّ بأنى إنسان غير الذى كنت أظنه فى نفسى ، ولست أدرى ما أنا على وجه التحقيق .

كنا نعلم علم اليقين متى تنتهى أيام هذا التجويع ، وأن لفيفاً من الأطباء يرقبوننا بعيون لا تنامُ إبقاءً على حياتنا ، أما أولئك الملايين من البشر الذين يتضوّرون جوعا من جراء المجاعات ، فليس لهم فى الحياة أملٌ ولا حافظٌ كالذى كان لنا . وكلّ امرىءٍ ينجو حياً من جوع متطاول مهلك، فقد كتب عليه أن لا ينسى ما لقى ، وأن لا يعودَ كما كانَ قبل الذى حاق به .

OO·OO··OO·OO

تصريح المحرر

منذ سنوات كثيرة دأب برنارد شو على السخرية من كل شىء أمريكى ونقده نقداً لاذعاً . فهبّت صحف كثيرة إلى رد مطاعنه ، ماعدا صحيفة واحدة فقد حافظ محررها على سكونه إلى أن جاء يوم فسافر برنارد شو إلى ميامى ، وسبق سفره ضجة كبيرة فى الصحف عن رحلته إلى أمريكا . وإذا صحيفة هذا المحرر تنشر نبأ وصول مسز برنارد شو ، ثم بياناً مفصّلا عن حركاتها وسكناتها — فقد شهدت هذه المأدبة ، وحضرت تلك الحفلة ، وأفضت بهذا التصريح . وأضاف المحرر فى ذيل المقال المسهب عبارة بدت كأنها خاطر ألمّ بكاتبها بعد فراغه من كتابة المقال فإذا هو :

« وقد صحب مسز برنارد شو زوجها جورج برنارد شو ، أحد الكتاب » .

[صحيفة « كرستيان سينس مونيتور »]

الرأى أولاً .. ثم العمل

جون . ر . تونس

مختصرة من مجلة "رڤيو أوف رڤيوز"

قصة وقعت . تقدم سبعون طالباً **إليك** لوظيفة بائع فى شركة تصنع مواقد جاز ، بيد أن أحدهم أدرك أن تقديم الطلب المألوف ذاكراً فيه عمره وما له من تجربة سابقة ، مصيره إلى الملفات حيث يتكدس الغبار عليه . فبدلا من أن يحاول إقناع أصحاب العمل بتعيينه ، جرّب أن يقنعهم بنفع الآراء التى يراها .

فعمد أولا إلى دراسة ما تصنعه الشركة دراسة دقيقة ، وبعد أن وقف على جميع الدقائق ، زار ثلاثة من أصحابه كانوا قد أقاموا فى منازلهم مواقد تلك الشركة ، فسألهم رأيهم فيها ، وأسباب إعجابهم بها أو استيائهم منها . ثم استجوب ستة أصدقاء آخرين كانوا ينتفعون بمواقد تصنعها شركة أخرى منافسة للأولى . ثم ذهب إلى خمسة آخرين لا يزالون يعتمدون على وقود الفحم ، ثم بسط ماانتهى إليه بحثه فى تقرير بيّن فيه أنه تولى هذا البحث ، لكى يقنع نفسه بأن ما تصنعه الشركة هو أفضل موقد معروض فى السوق ، فيسعه يومئذ أن يوصى بشرائه بغير تحفظ . فعُرض هذا التقرير على كل مدير فى أقسام الشركة ، فأجمعوا على تعيين كاتبه .

فهذا رجل واحد بين سبعين رجلا ، هداه خياله إلى النهج الذى ينبغى له أن ينهجه حتى يظفر بالعمل !

وقد قال لى مدير الموظفين فى متجر كبير من متاجر نيويورك : يندر أن تجد واحدة فى المئة من اللواتى يفدنَ علىّ فى طلب العمل قد جاءت برأى جديد ، بيد أن الفتاة التى تهتدى إلى رأى جديد ، فهى التى تظفر بالعمل ـ الفتاة التى يبلغ من ذكائها واهتمامها أن تنفق بعض الوقت فى المتجر متفرجة مراقبة ، قبل أن تأتينى لتطلب عملا ، فيسعها يومئذ أن تتقدم برأى يفيدنا فى إتقان أسباب خدمة الناس ، وقد تقول : « لقد راقبت الكتبة والزبائن فى قسم الجوهرات أمس ، وأظننى أحسن بيع الجوهرات » ، بل إن معظمهن لا يعنّى نفسه بهذا .

وهذه فتاة من أواسط الولايات المتحدة

تقدمت إلى متجر فى نيويورك بالشىء الذى يكفل لها ما تريد . كانت هــذه الفتاة قد توفرت على دراسة الفن فى الجامعة ، فعنيت بدراسة أقسام الفنون فى جميع المتاجر الكبيرة المتنافسة فى نيويورك ، ثم كتبت رسالة إلى أحدها عرضت فيها خير الآراء التى هدتها إليها دراستها ، فلم يلبث المدير أن عينها .

وينبغى للرأى أن يكون ذا صلة وثيقة بالعمل الذى تريده ، وينبغى أن يكون منصبًّا على ناحية بعينها ، وأن يكون نافعاً يمكن تحقيقه . فلو ثبت أن رأيك لا قيمة له ، فإن إبداءه يميزك عن جمهور الذين يطلبون العمل ، كما امتاز ذلك الرجل الذى تقدم لشركة مواقد الجاز . وقد قال لى مدير الموظفين فى أحد مصارف نيويورك : «الرجل ذو الرأى ينعش نفسك ، وينطوى على قدرة تبلغه النجاح » .

وقد عرضت هــذا الموضوع على مدير شركة كبيرة للنشر فقـال : « الآراء ! الأفـكار ! قلما تجد يا صاحبى بين طلاب العمل عندنا من يعرف شيئاً عن النشر . إنهم جميعاً يتطلعون إلى كرسى المحرر ، وهم لا يدركون أن هناك أقساماً أخرى ذات خطر فى عمل النشر » .

فإذا ما عمــدت إلى البحث عن آراء تتقدم بها إلى صاحب عمل ، فاجعل همك الأول أن تدرس العمل الذى يستهويك . اقرأ كل ما يتيسر لك عنه ، وادرس ما فيه من مشكلات ، ثم ادرس الشركة الخاصة التى تريد أن تعمل فيها ، وقابل بينها وبين الشركات التى تنافسها ، وناقش باعة هذه الشركات جميعاً ، ولا تدنُ من مدير الموظفين فيها قبل أن تتسلح بمعرفة أصول العمل ، وقبل أن تصـير قادراً على إقامة الدليـل على أن الشركة تنتفع بانضمامك إليها . فطلب العمل امتحان للآراء ، وويل للخاسر فى هذا الامتحان .

ومن خير ما تستعين به فى اسـتطلاع الآراء ، المجلات التى خصصت للصناعات والتجارات المختلفة ، وقد تقع فيها على ذكر كتب تخرج منها بحقائق قد يكون الرجل الذى بيده تعيينك جاهلا بها . ومهما يكن من أمر فإنه ، يدهش ويعجب حين يرى طالب العمل ملماً بالعمل الذى يريد أن يتولاه .

وكيفما قلبنا النظر فما حولنـا ، وجدنا منشآت يجرى فيهـا العمل على القواعد والأساليب المعهودة ، فحاول أن تبتكر أساليب تختلف عنها . وقد ذهبت سيدة إلى شركة سفن وعرضت عليها أن يعينوا فتيات بدلا من الرجال يتولين عمل الندل فى أبهاء الطعام فى السفن ، فكان ذلك رأياً غير معهود ، فسخروا منها ، ولكنها جعلت

تلح عليهم حتى أذنوا لها أن تجرّب ذلك فى سفينة واحدة . فكان النجاح فوق ما توقعت هى — وجرت الشركة على رأيها فى جميع سفنها ، وصارت هى مديرة فى تلك الشركة .

وقد ذهبت إلى مدير الموظفين فى شركة كبيرة وقلت : « ترى ماذا نفعل لو اشتدت حاجتك غداً إلى طلب عمل ؟ » فقال : « أدرس تجارة القطن . ففى هذا الشارع شركة تصنع صنفاً ممتازاً من نسيج القطن ، وقد وجدته أصلح ما يكون لمسح عدسات نظارتى ، ولكننى أجد نفسى مضطراً أن أشترى قطعة كبيرة من هذا القماش ، ثم أن أقطعها قطعاً صغيرة بيدى . فلو اضطررت غداً إلى طلب عمل ، لدبرت أمرى حتى أصير قادراً على أن أعرض قطعاً صغيرة من هذا القماش تصلح لتنظيف عدسات النظارات ، ولبيّنت لأحد رجال الأعمال كيف نستطيع أن نذيع خبر هذه القطع ، وكيف تباع . ولست أشك فى أن ذلك يمهد لى نيل العمل الذى أريد » .

ولا ريب عندى فى أنه لو فعل لأصاب النجاح . فكل رجل يستطيع أن يبين لأحد أصحاب الأعمال كيف يستطيع أن يحسن عمله ، يظفر منه بما هو أهل له من الاحترام والتقدير لما يقول ، سواء أأفضى إلى أن ينفذ ذلك الرأى فى آخر الأمر أم لم يفض . وثمة شىء واحد ينبغى أن لا تغفل عنه : إن صاحب العمل لا يهمه أمرك أنت ، وليست مهمته فى الحياة أن يوزّع الأعمال على الناس ، بل أن يعمل عملا موفقاً يكسبه مالا . فإذا بينت له كيف يسعه أن يفعل ذلك فقد ظفرت بعمل تريده .

وإليك أمراً آخر ذا خطر : احذر من أن تفرض ، يوم تظفر بعمل ، أن حاجتك إلى الآراء المبتكرة قد انقضت ، بل حاجتك إلى حصر اهتمامك بها كحاجة الذى يتخرج من الجامعة إلى مواصلة دراساته ومطالعاته حتى لا ينقطع تزوّده من العلم . فالموظف صاحب الرأى مميز عن سائر الموظفين ، كما يتميز صاحب الرأى من بين سائر طلاب الوظيفة .

ويغلب أن يكون خير الآراء هو أبسطها . وقد رأى أحد الكتبة فى شركة تدير مخازن لبيع القهوة والبن ، أن مايباع قد أخذ يهبط هبوطاً مطرداً ، فذهب إلى المدير وعرض عليه رأياً سخر المدير منه فى أول الأمر ، ولكن الكاتب ألحّ ، فما وافى يوم الاثنين حتى كان هو ومساعدوه قد عقدوا حول سبابة اليد اليمنى عقدة من شريط أحمر ، فصار الزبائن يسألون : ما هذه العقد الحمر ، فكان الردّ : « آه ،

كدت أنسى ، فقد عقدتها حتى أتذكر أن أقول لك إننا أعددنا لكم عرضاً خاصاً من البن هذا الأسبوع» . فلما كان مساء السبت ظهر أن ذلك المتجر قد باع ١٥٠٠ رطل من البن بدلا من ٥٠٠ رطل ألف أن يبيعها فى الأسابيع الأخيرة .

ويندر أن ترى رجلا من أصحاب الآراء معطلا عن العمل . فقد عرفت فى الجامعة شاباً ظل يعمل فى أيام الطلب ليظفر بالمال اللازم لنفقاته ، وكان عمله غسل الصحون ، فلما تخرج ظل ثلاثة أشهر يذرع شوارع نيويورك باحثاً عن عمل يعمله . فرأيته ذات يوم فروى لى مابه ، فسألته عن العمل الذى يجيده ، فقال ساخراً : غسل الصحون .

فقلت : إذن ابتكر رأياً جديداً فى غسل الصحون ثم انطلق به تظفر بعمل .

ففعل . فقد كان فى أيام العمل الممل فى الجامعة قد ابتكر أسلوباً يهوّن عليه تنظيف الصحون والآنية تنظيفاً متقناً سريعاً ، فجعل يحاول أن يقنع أصحاب الفنادق والمطاعم بتجربة أسلوبه ، فوجد الفنادق الكبيرة مزوّدة بأدوات الغسل الكهربائية فلا حاجة بها إليه وإلى رأيه الجديد . فمضى فى طريقه حتى بلغ مطعماً يونانياً فى حى الأعمال التجارية ، فوجده يكتظ بالزبائن وقت الظهر فتتكدس الصحاف فى المطعم ، فقال لصاحبه : فى وسعى أن أوفر عليك مالا . فعنى الرجل بالرأى الذى عرض عليه ، وأذن لصاحب الرأى أن يجرب رأيه .

وما لبث الفتى حتى أحدث بعض التعديل فى نظام المطبخ ، فانتقل إلى بهو الأكل فحسن مظهره ، وصار الذين يقبلون عليه أغنى وأفضل حالا من روّاده السابقين . ولم تكد تنقضى سنة حتى صار مطعماً ذا شهرة ويدرّ على صاحبه ربحاً . وليس همّ الفتى اليوم أن يعرض ما يعنّ له من رأى ، بل يجرب الرأى بعد الرأى دون استئذان ، فقد صار أحد صاحبى المطعم .

ثم هناك قصة الفتى الذى كان كاتب شحن فى مكتب شركة للسكة الحديدية فاستغنوا عنه ، فتذكر شركة كبيرة تصنع الصلب ، كانت تجأر بالشكوى إلى إدارة السكة الحديدية لما تراه من فروق فى وزن قطع الحديد التى تشحنها وارتفاع أجور نقلها . فعن له خاطر ، فذهب يبحث فى المصنع التى تفرغ فيه القوالب ، فتبين ماتوقع أن يرى ، وهو أن القوالب التى يفرغ فيها الحديد ، قد تأكلت على الزمن فاتسعت، فازداد مقدار الحديد اللازم لصنع القطع . وهذا هو سر الفرق بين وزن القطع كما ينبغى أن يكون، والوزن الذى تحاسبهم عليه السكة الحديدية وتتقاضى عنه أجراً مرتفعاً . فبوّب ماتجمع

عنده من الحقائق ، وذهب إلى مدير إدارة البيع ، وبين له كيف يستطيع أن يوفر على الشركة ألوفاً من الريالات كل سنة من أجور الشحن وثمن الحديد المستعمل ، ثم طلب عملاً فى الشركة فلم يجد له فيها مكاناً ، ولكنهم أوجدوا له منصباً جديداً .

واحرص على شىء واحد: بادر ما استطعت إلى تقليب النظر والاستعانة بالخيال حتى تتراءى لك أساليب تعين على صنع الأشياء صنعاً أدق أو أحكم أو أرخص . درّب نفسك فى المدرسة أو الجامعة على مراقبة الناس والأساليب التى يتبعونها فى أعمالهم ، ففى طاقتك ، إذا راقبت سائق سيارة ركاب أو عاملا فى محطة لتعبئة البنزين ، أن تبتكر وسيلة ما لجعل ذلك العمل الخاص أيسر أو أدق . وقد قال لى مدير الموظفين فى شركة عالمية : إن واحداً فى المئة أو أقل ، من الألوف الذين تقدموا إليه يطلبون عملاً يعنى بالآراء التى لا بد منها لتحسين العمل .

فسألته : « ما نسبة الذين يظفرون بالعمل من الذين يتقدمون بآراء جديدة ؟ »

فقال : « جميعهم تقريبا ، فالشاب صاحب الرأى الجديد نادر بين طلاب العمل ، حتى أننا لنحرص أشد حرص على الفتى ذى الرأى ، فلا ندعه يفلت ، حتى ولو كان رأيه لا ينفعنا حين يعرضه علينا » .

ولقد كانت « الشخصية » عنصراً له أعظم الشأن فى الظفر بعمل ، وستظل كذلك . ولكن أصحاب الأعمال يطلبون سوى الشخصية شيئاً آخر ، فيسألون طالب العمل ما عنده من رأى ، وهل عنىّ نفسه بدرس تجارتهم أو صناعتهم وما فيها من مشكلات . ففى كل عمل من الأعمال فراغ ينبغى أن يسدّ ، والشباب من أهل الكفاية والنفع الذين يصلحون لسده قلة نادرة . وكل صاحب عمل يقول إن عنده كشفاً بمئات الأسماء ، ولكنه يمتنع عن تعيينهم لأنه لا يرى فى الطلبات التى قدموها أقل دليل على أنهم يدركون قيمة الرأى فى العمل .

أتريد أن تظفر بعمل ؟ التمس بادىء ذى بدء فكرة جديدة ، ثم اطلب العمل .

ليس سر الحياة أن تعمل ما تحب ، بل أن تحب ما تعمل .

[ذخيرة الأمثال العالمية]

إذا خانك أحدهم مرةً ، فالذنب ذنبه ، فإذا خانك مرتين فالذنب ذنبك .

[مثل رومانى]

روائع البحث عن الآثار القديمة

أرثر ويجول

المفتش العام سابقاً في مصلحة الآثار المصرية

مختصرة من مجلة " ورلدز ورك "

كنت أتوقع يوم قصدت مصر أول مرة أن أحفر حفرة في الرمل فأعثر في قعرها على بابٍ فأجوزه إلى حضرة ملوكٍ وملكات طواهم النسيان .

كان القسم الأول من عملي أشقّ ما عهدته في حياتي كلها وأبعثها على الضنى ، فقد سار بي الأستاذ الذي يشرف على البحث إلى رقعة غير ممهدة من الأرض اختلطت قطع الخزف بترابها ، فألفيت مئات من العمال المصريين يحفرون فيها حفراً كبيرة . وكانت مهمتي في الأسابيع التالية أن أصنع خريطة ، وأن أرسم عليها مواقع الأشتات المختلطة التي يجدونها ، وعمق المكان الذي وجدت فيه . ثم إذا آذنت الشمس بالمغيب كان عليّ أن أقدر عمل كل عامل حتى يستطيع الأستاذ أن يعطيه أجرهُ على أساس ما عمل .

وكانت الحفر إذا زاد عمقها صارت بليلة رطبة ، فيمضي الرجال في الحفر حتى يصير التراب بين أيديهم كأنه الطين السائل . وفي يوم مباركٍ أعلن الأستاذ أن بحثنا في تلك الرقعة قد تمّ — وأننا قد رفعنا من تلك البقعة المقدسة بقايا هيكل أوزيريس حتى بلغنا في حفرنا مستوى الطبقات التي ترجع إلى العصر السابق للتاريخ ، وأننا قد استوثقنا من حقائق خطيرة الشأن عن تخطيط المستعمرة الأولى هناك .

وكانت الحيرة لا تزال آخذة مني كل مأخذ ساعة قادوني إلى رقعة رملية جرداء جففتها الشمس ، وأمرت أن أعهد إلى الرجال بأن يحفروا حفرة كبيرة . وكذلك قضيت أسابيع كثيرة أجلس كل يوم على صخرة وأراقب سحب الغبار تثور وترتفع في أوار الشمس . ثم نقلت إلى موقع مقبرة . وكان أول مدفن دخلته نقرة في جوف الأرض عقد سقفها بالطوب ، فانهار على أمّ رأسي ، فاستنقذوني مما طمرت تحته من الرمل والأنقاض بعد أن قطعت الأمل من رؤية نور الشمس مرة أخرى .

كانت هذه المصائب وغيرها ، صفحات قصتي في الشطر الأول الذي توليت فيه البحث عن الآثار القديمة ، بيد أنه كان من حسن حظي أن عينت بعد زمن مفتشاً عاماً

لمصلحة الآثار فى الحكومة المصرية ، وكان مقر عملى فى الأقصر — طيبة القديمة . وكانت مهمتى أن أنوب عن الحكومة فى تفتيش كل كشف أثرىّ جديد ذى شأن . وكانت أعمال الحفر قائمة على قدم وساق فى كل شتاء فى وادى الملوك ، حيث وجد قبر توت عنخ أمون بعد زمن . وكان الغنى الأمريكى ثيودور ديفس ينفق من ماله على هذا البحث ويشرف عليه .

والتنقيب فى هذا الوادى مافتىء منذ سنين أهم مايتجه إليه هم المنقبين . فالمنقب هناك يبدأ عمله مستنداً إلى طائفة من الحقائق الثابتة ، فقد كان الوادى أرضاً دفن فيها الملوك منذ أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة (حول ١٥٢٠ ق . م) إلى آخر الأسرة العشرين (حول ١٠٩٠ ق . م) . وعدد الفراعنة الذين تولوا حكم مصر بين هذين التاريخين معروف ، وكذلك مدافنهم التى فى هذا الوادى . ومعظم هذه المدافن قد نهب فى العصور القديمة ، وهى الآن مفتوحة. وكنا نعلم فى عهدى علم اليقين عدد مدافن الفراعنة التى لم تزل مخبوءة فى جوف الأرض ، وقد كشفت جميع هذه المدافن فى عهدى ، إذا استثنينا مدفن توت عنخ أمون .

والكشف فى الوادى يجىء على حين فجأة. فلم تكد تنقضى أيام منذ عينت مفتشاً عاماً ، وكان سلفى لا يزال مقيما فى مقر التفتيش ، حتى كشف مدخل أحد المدافن على غير انتظار . فهذا سُلم منقور فى الصخر يفضى إلى باب مغلق بجدار من الحجر ، وكان فى أعلى الباب ثقب كبير يتيح لنا أن نلمح الرُّواق المنحدر إلى جوف الظلام ، فرأينا ولم نكد ، باباً مسدوداً آخر فى طرف الرواق ، فلما فتحنا الباب الأول وبلغنا الباب الثانى وجدنا فى أعلاه ثقباً ، فأولجنا فيه مصابيح كهربائية ، فرأينا على ضوئها حجرة صغيرة مكتظة إلى سقفها برياش فاخر مذهب يتوقد بمثل لعاب الشمس .

وقد توليت حراسة المدفن فى تلك الليلة، فوقفت عند مدخله وبندقيتى فى يدى ، ونفسى تجيش بروعة لم أستشعر مثلها فى حياتى. وكنت شاباً يومئذ ، فأحسست كأن عبء التبعة الواقعة علىّ يكاد يخنقنى .

فلما اجتمعت جماعتنا فى صباح اليوم التالى،أزلنا الحجارة التى تسدّ الباب ودخلنا. وكان همنا الأول أن ننظر فى الكتابة المنقوشة على جانب النعش حتى نعرف صاحب المدفن الذى كشفناه ، فقرأنا اسم الأمير يودا وزوجته الأميرة تويو وهما من أصحاب الشأن والشهرة فى التاريخ ، فهما أبوا الملكة تى العظيمة ، زوجة أمينوفيس الثالث (١٤٠٦ — ١٣٧٠ ق . م) .

وقد تبينّا من فورنا أن لصوصاً قد دخلوا القبر قبلنا ، لأن أغطية النعشين كانت قد رفعت ، واللفائف قد فكت عن وجهى الجثتين لكى يسلبوهما عقود الذهب . وقد قام الدليـل هناك على أن السرقة تمت بعد الدفن ، وربما كان الذين تولوا الدفن هم الذين اقترفوا السرقة .

وعلى روعة الرياش العجيب الذى يحيط بالنعشين ، فقد استغرقت فى النظر إلى وجه الأمير . هاهو ذا مستلق أمامنا ، شيخ نائم وشعره الأبيض مردود عن جبهته ، وعيناه مغمضتان ، وأنفه الذى يشبه منقار الصقر ، والبسمة اللطيفة على ثغره — حتى خيل إلىّ أن أنفاس الحياة لا تزال تتردّدُ فى رئتيه ، وعلى ذقنه بقايا شعر نابت يدل على أن شدة المرض حالت دون قيام الحلاق على تزيينـه فى يومه الأخير ، وعلى أن المحنطين لم يعبأوا بتزيينه بعد الوفاة .

رفعت مصباحى فوق وجهه الجميل الهرم ، وإذا ارتعاد يدى قد جعل ظل أهـدابه يتحرك ، فأجفلت وأنا أكاد أظن أنه يوشك أن يفتح عينيه ، فقد كان فوق طاقة العقل أن ينتبه فى تلك اللحظة إلى أن هذا الأمير قد مات قبل أن تسمع الدنيا اسم اليونان ورومة ، بل قبل ظهور موسى الذى خرج ببنى إسرائيل من مصر .

ولم أجد فى وجه الأمـيرة ماوجدته فى وجه زوجها من الروعة ، ولكنها كانت هى أيضاً فى حالة سنمة . وقد رأيت فى شعرها المرسل وفى ملامح الهم البادية على وجهها ، سمة من الحياة تعبر الهوة الفاصلة بين العصور . ولقد كان الشبه بينها وبين سـيدة أعرفها شبهاً عجيباً .

وكانت الأشياء المدفونة فى هذه الحجرة أشـتاتاً منوعة ، ففى زاوية عربة الأمير ، وبقربها سريران مريحان وعليهما حشيتان وثيرتان من الخيوط المتشابكة . وكان هناك كرسيان أو ثلاثة كراسى ، وكان أحد الكراسى ، كما تبينا من الكتابة المنقوشة ، هدية إلى الأمير من بنات الملكة ى والملك أمينوفيس . وربما هجس فى نفس الرائى أن البنات أحببن جدهن حبـاً صادقاً فأردن أن يعطينه شـيئاً ينتفع به فى العالم الثانى . وكانت الصـناديق والخزانات والموائد والوسائد الناعمة والزهريات والآنية والأحذية مكدسة كلها أكداساً فى جوانب الحجرة ، وكان على إحدى الموائد إناء من الألبستر يحتوى مابدا لنا عسلا كثيفاً ، وهو لايزال طرياً لزجاً ، فإذا هو زيت الخروع .

ولن يسع المرء أن يبالغ فى روعة مايحسّه عنـدما يرى كشفاً كمثل هذا الكشف ، وإذا المستر ديفس يزفر زفرة رابية ويغمى

عليه ، فلما ثاب إلى وعيه أعربت عن أسفي لما أصابه فقال : « لا بأس ، فقد دفعت مالا كثيراً لأظفر بمثل هذا الإحساس » .

وفي السنة التالية كشفنا مدفناً آخر على نمط هذا ، فكان مدفن الملكة تى نفسها . ولكن جثمانها كان قد أزيل ووضع محله جثمان ابنها : الفرعون أخناتون . وكان النعش بالغ الروعة والجمال، مرصعاً بالحجارة الكريمة المثبتة في الذهب ، وكانت المومياء ملفوفة برقائق من الذهب الخالص .

وانقضى فصلان من فصول الحفر، فعثرنا على مدفن الفرعون حرمحب الذى كان مدفناً فاخراً ولكنه نهب في العصور القديمة. وقد وجدنا بقرب مدخل هذا المدفن حجرة منقورة في الصخر، دفن فيها كلب الفرعون وقرده الأثيران عنده ، وكانا قد حنطا ، ولكن اللصوص الذين نهبوا القبر في العصور القديمة جردوهما من لفائف التحنيط ، ثم وضعوهما من قبيل الهزل متقابلين يمس أنف الكلب أنف صاحبه القرد، وقد وقف المستر ديفس يحدق في هذين الصديقين المتصاحبان منذ القدم وقال : « لقد مضت ثلاثة آلاف سنة قبل أن تقع عين أحد من الناس على هذه السخرية » .

وكذلك سار بحثنا شتاء بعد شتاء، ولكن المستر ديفس مات بعد زمن ، فحل لورد كرنارفون محله واستعان بالمستر هوارد كارتر ، وهو من الباحثين المجربين، وبعد سنوات من البحث الذى لا طائل تحته ، كشف مدخل توت عنخ أمون الذى كان يحوى أعظم مجموعة وأفخرها من الآثار القديمة التى كشفت في مصر ، ومدفن كل فرعون كان يحوى مجموعة تضارعها فخامة وقيمة ، ولكن مدفن توت عنخ أمون كان المدفن الوحيد الذى لم تمسسه يد قدماء اللصوص .

وأنت ترى في حجرة الجواهر في دار الآثار في القاهرة مجموعة منها نفيسة لا تقدر بثمن ، ومعظمها قد وجد في حفريات تولاها الباحثون ، بيد أن طائفة غير يسيرة منها وجدت اتفاقاً وعفواً ، فثمة مجموعة من الجواهر وآنية الذهب والفضة وجدها أحد المصريين وهو ماض على ظهر حماره، فقد كبا الحمار فسقط راكبه فإذا رأسه في كوم من التراب المتخلخل ، فذهل ساعة نهض فإذا في إحدى يديه سوار من ذهب وفي الأخرى إناء من فضة .

وفي خلال السنوات الأولى التى قضيتها في مصر، كنت كثيراً ما ألتقى بالدكتور جرنفل والدكتور هنت ، وهما من علماء جامعة أكسفورد ، وقد ظفرا بشهرة يستحقانها .

وقد وجد هذان العالمـان أن التوابيت التى ترجع إلى عهد الإغريق مصنوعة من ضرب من الورق المقوى المؤلف من الأوراق التى تنبذ ، فنزعا هذه الأوراق بعضها عن بعض ، ثم وصلا أجزاءها بعضها ببعض ، وأنعما على العالم بمجلد فى إثر مجلد من الرسائل الخاصة ومن الوثائق ومن القطع الأدبية ذات الشأن .

وكنت حين أمسك أحد الآثار القديمة المكشوفة يستبد بى شعور بالعجب من غضارتها وجِدّتها وأذكر أنى رأيت مرة جديلة شعر قد موّجت ثم عقصت وقد كانت تلك الجديلة لملكة من الملكات الأولى فى مصر منذ خمسة آلاف سنة ، ولكن الجديلة لا تزال متموجة كما كانت ساعة رفعت عنها القيان أناملهن الماهرة .

أتصدق هذا ؟

إن الذين يحبون الكلاب قوم قد استبد بهم شعور النقص والضعف ، فكلٌّ منهم يريد أن يكون شيئاً ذا شأن ، ومن اليسير أن تكون شيئاً ذا شأن فى نظر كلب . [صحيفة « بوسطن ترانسكربت »]

أظنّ أن هكسلى هو الذى قال إنه لو تم لستة من القردة أن تنقر كما يتفق لها على مفاتيح ست من الآلات الكاتبة ملايين الملايين من السنين ، لاستطاعت على الدهر أن تكتب جميع الكتب التى فى مكتبة المتحف البريطانى. [جيمس جينز]

أقدر من العجول

دعى العلم المشهور وليم ر . وب إلى المحاضرة فى إحدى الجامعات عن « منزلة الآداب فى التعليم » . وكان الرجل الذى تقدّمهُ يرى أنه لا ينبغى أن تكون المنزلة الأولى فى التعليم للآداب بل للتربية العملية النافعة قال : « إن ما نحتاج إليه هو مناهج عملية . فالشىء الذى أريد ابنى أن يعرفه هو أن يحلب البقرة مثلا » .

فلما جاء دور وب قال : « هذا رأى عظيم . أما أنا فأريد لابنى أن يكون قادراً أن يحلب بقرة ، بيد أنى أريده أيضاً أن يكون قادراً أن يصنع أشياء أخرى لا تكون العجول أقدر منه على حسن صنعها » . [الدكتور رمسن بيرو]

نِقْمة آمون رَع

إدجار ولاس

مختصرة من مجلة "ماك كولنز"

وقف الترجمان المهيب الطلعة يرقب تلك الفئة القليلة من أولئك الأوربيين ذوى القبعات الذين يتولون أمر الحفر عن قبر توت عنخ آمون ، ثم التفت إلى رفيقه، وهو مراسل صحيفة إنجليزية ، وقال له : « سوف يجدون فيه الذهب والموت » .

فأجفل المراسل وسأله لم ذلك ؟

فقال الترجمان : « لأن أولئك الأرباب القدماء لايزالون أحياء . وهذا الرجل » — وأومأ بإصبعه إلى القبر إيماءة المزدرى : « كان هذا الرجل كافراً بالأرباب القدامى، ولم يقلع عن غيّه ويهتدِ إلا بعد فوات الوقت. وقد أغضب كبير الأرباب آمون رع » .

وقد قصّ بعضهم على اللورد كرنارفون هذه القصة ، فلم يسخر منها ، إذ كان رجلا حكيماً رزيناً ، بل قال له من فوره جاداً فى لهجته : « ربما كان ذلك حقاً » .

والحقيقة العجيبة هى أن كل مومياء تزعم الأساطير أنها مومياء « منحوسة » ، فهى مومياء رجل حارب الأرباب المكرمين. لقد دفن توت عنخ آمون باحتفال رائع تام الشعائر ، ولكنهم لم يرسموا صورة رَعْ الملوّنة بالأصفر على مقدم القارب الذى يضم جثمانه الملفف بالأكفان ، ولم يرسموا على الألواح صور أربابهم : تم ، وشو ، وتفنوت، وسبْ ، ومت ، وأوزيريس ، وإيزيس ، وسوتى ، ونفتيس ، ولم يدهنوها بزيت الصنوبر ، فلم تدخل الرحمة فى هذا الكهف الموصد حيث وسّد جثمان الملك الشاب ، بل هو فى قلق عظيم. فمع أن توت عنخ آمون كان قد عجل لكى يردّ الأرباب المهجورة إلى محراب عبادتها ، وغير اسمه الذى سماه به آباؤه لكى يبلغ مرضاتها ، إلا أن الأرباب القدامى الجاثمين على سور الجحيم لم يكونوا راضين عنه ، وصبُّوا عليه غضبهم فاستقرّ فى الحجرة المظلمة التى وضع فيها الهيكل المحنط لهذا الكافر .

وسوف يأتى على الناس يوم يعرفون فيه أن للفكر قواماً كقوام المادة ، وأن الحب والبغض شيئان محسوسان كأشعة الشمس ، ويومئذ نعرف أن القصص التى ننبذها لأنها أساطير أو وساوس رجال من الصوفية البله

المتوهين ، أشـياء لها أصل ثابت قائم على الحقائق المعقولة . نعم ، قد يكون غير صحيح أن المقت يطبق على وادى الملوك إطباق السحاب على الأرض ، أو أنه يتمثل شبحاً منتقباً لا يُرى فيذود كل دخيل يريد أن يقتحم على أسرار الموتى — ولكنه موجود حاضر ، مؤثر فى الحوادث ، باق على الزمن .

وينظر بعض عقلاء العلماء إلى الحفر عن الآثار نظرة استنكار ، وأمثال هؤلاء القوم لا يؤمنون بالأشباح ، ولكنهم لا ينكرون احتمال وجود بعض الظواهر النفسانية .

فى الناس رجال ونساء مجلبة للنحس — وهل يشك فى ذلك أحد ؟ ومن الناس من يدخل البيت أو المكتب حاملاً طائر شؤم أو يمن . فهذا « المجهول » الذى يوجد تلك الظاهرة سرٌ من الأسرار لم يكشف عنه اللثام بعد .

وفى قبر توت عنخ آمون استكن أعتى « مجهول » — هو الموت .

كان يعاون اللورد كرنارفون ، هوارد كارتر ، وكاتم سره دك بثل ، والأثرى الفرنسى م . بنيديت الذى كان أميناً فى دار الآثار فى القاهرة ، و م . بازانوفا — فلم يبق منهم حياً سوى رجل واحد ، مات بعد زمن طويل .

ولما فتح القبر دخله أيضاً رجلان من عليه القوم هما : الكولونل أوبرى هربرت أخو كرنارفون لأمه ، والآخر إيفلين هوايت ، فما كاد أوبرى هربرت يلج الغار الذى فيه القبر حتى أخذته رعدة وكف عن السير وكره أن يمضى فى مسيره ، وقال : « كنت أتمنى أن يكون كرنارفون لم يعثر على هذا القبر ، وسوف يحل بأسرتنا شرٌ مخوف » . فلم تكد تنقضى السنة حتى كان قد مات .

فلما أزيل الباب ولج القبر كرنارفون وعلى ثغره ابتسامة وسخرية ، فقال الكاتب الأثرى آرثر وجول : « ليته لم يضحك — سـوف يقضى نحبه قبل أن تنقضى ستة أسابيع » . وجاء شئ فلسع كرنارفون على خده ، فأدركته المنية ولما يُرفع الستر عن سائر تحف هذا القبر .

أما إيفلين هوايت العالم بالآثار المصرية القديمة ، فقد انقلب رجلا آخر بعد أن تم فتح القبر ، حتى صار كأنه إنسانٌ قد لزمه شبحٌ خفىٌ مفزع لا يتركه ، فلم تمض سنة حتى انتحر . وكتب فى الرسالة التى خلفها لأهله : « لقد أدركتنى اللعنة الماحقة » .

واستقدمت الحكومة المصرية السير أرشيبولد دجلاس ريد المتخصص فى الأشعة ، ليأخذ صورة المومياء بالأشعة السينية . فلم تمض السنة حتى فاضت نفسه .

وهذا الأستاذ لافلير من جامعة ماكجيل

كان أول عالم أمريكي تولى دراسة « غرفة الموت » ، فلم يفارق الأقصر حياً .

فانظر إلى شبان وشيب ، ورجال في عنفوان العمر — رجال لا تتردد شركات التأمين لحظة في قبول التأمين على حياتهم ، يموتون ميتة غامضة مفجعة . ولم ينج من رؤساء العمل سوى هوارد كارتر . وماتكاد تجد عاملا دخل هذا القبر إلا وقد طواه الردى في غلائله السود .

وقد زار القبر سبعة من الكتاب الفرنسيين وصحفي واحد ، فورد حياض الموت ستة منهم في بحر سنتين . ولما أماطوا اللثام عن وجه توت عنخ آمون وجدوا عليه علامة — كانت أشبه شيء وأقربه إلى العلامة التي بقيت ظاهرة على وجه اللورد كرنارفون بعد مماته .

ويوم فتحوا القبر خرجت منه ناشر ، وهي الحية المقدسة عند قدماء المصريين ، ويممت شطر دار هوارد كارتر وفتكت بأعز شيء لديه ، وهو كنار كان يحمله كارتر معه حيثما نزل . والناشر أندر الحيات وجوداً في مصر .

وقد زار القبر وولف جويل ، فما انقضت سنة حتى وافاه الحمام . وأخرج جاي جولد من القبر وهو منهوك عليل ، ولم يلبث أن قضى . فلا تكاد تجد رجلا زار هذا القبر إلا أصابته نائبة من النوائب .

وإن أشد الناس ارتياباً وشكا ليقر بأن ثمة شيئاً غير الاتفاق والمصادفة ، في الحوادث التي تعقب الدنو من أنفه قطعة من القطع التي استخرجت من هذا القبر ، حتى إن القطع التي أودعت في دار الآثار المصريه ظلت « تعمل عملها » ، فالخدم الذين كانوا يتعهدون هذه المعروضات قد أصابهم المرض أو أدركهم الموت لغير علة معلومة .

ولقد كان العالم المشهور الدكتور ماردوس يعتقد أن فتح قبر توت عنخ آمون سوف يحمل في طياته نذير الموت . وهو الذي قال: « لقد كان في أيدي المصريين القدماء ، منذ ٧٠٠٠ سنة ، سر غامض ييسر لهم أن يحوطوا موميات موتاهم بقوة من القوى الجبارة ليس لنا بها أدنى علم » .

السعادة عطر ، لن تستطيع أن تفيضه على الناس دون أن تعلق بك قطرات منه .

[إمرسون]

تحصّن من الأنفلونزا

لويس ماتوكس ميلر
مختصرة من مجلة "هايجيا"

في وسعك أن تقلل احتمال إصابتك بالأنفلونزا إلى أدنى حدّ حتى ولو تفشى المرض فصار وباءً عاماً ، فقد صنع لقاح جديد يقي من الأنفلونزا في ٧٥ في المئة من الحالات ، وهو متاح للناس مهيأ لكي ينتفع به الطبيب في تحصينك وتحصين أهلك . ويعتقد أكثر الثقاة أن حقنة واحدة منه تكفي لتحصين الجسم طول فصل الشتاء ، وثمنه خمسة وعشرون قرشاً .

وقد عمدت طائفة من الشركات الكبيرة إلى تحصين موظفيها بهذه الحقنة الواقية ، ويرى مديروها أن نفقة الحقن قليلة إذا قيست بما يخسرونه من أيام العمل في الشتاء الذي يتفشى فيه وباؤها . ويقول رجال الصحة العامة إن هذا التلقيح حقيق بالتقدير والعناية في تحصين أطفال المدارس وعمال المصانع والمتاجر .

كان الكفاح ضد فيروس الأنفلونزا مديداً باعثاً على اليأس ، فلما نشبت الحرب هدّم مشروع كفاح الأنفلونزا على مشروعات أخرى كثيرة في دوائر البحث الطبي .

وكان ثلاثة من الباحثين الإنجليز قد عزلوا الفيروس الذي يسبب ضرب « ا » من ضروب الأنفلونزا ، وذلك في سنة ١٩٣٣ ، فما انقضت ست سنوات حتى صنع علماء أمريكا لقاحاً للتجربة يبشر بإحداث بعض المناعة ضد ذلك الضرب الشائع من الأنفلونزا ، ولكنه كان غير مجدٍ ضد سواه من ضروب الأنفلونزا التي لم تزل مجهولة الجوهر .

ثم تمكن رائدان من روّاد مكافحة الأنفلونزا ، هما الدكتور توماس فرنسيس والدكتور ت . ب . ماجيل ، من عزل فيروس الضرب « ب » من ضروب الأنفلونزا . وقد تمّ ذلك لكل منهما على حدة ، ثم ابتكرا طريقة تتيح لهما أن يدمجا الفيروسين في لقاح واق واحد . وكانت الخطوة التالية أن يقوم الدليل على نفع هذا اللقاح ، فتولت سلطات الجيش الأمريكي تجارب واسعة شملت ١٢٫٥٠٠ من الجنود في شتاء ١٩٤٣ — ١٩٤٤ ، وكان وباء الأنفلونزا على أشده ، فأجدى اللقاح جدواه .

فكفلت هذه التجربة اقتناع الجيش بنفعه ، فلما كان خريف ١٩٤٥ أمر كبير الأطباء بتلقيح جميع رجال الجيش المقيمين في الولايات المتحدة . فلما جاء الشتاء وفد معه وباء الأنفلونزا من الضرب « ب »

وكان يقيم في جامعة مشيجن وجوارها

٦٠٠ من الجنـد و ١١٠٠ من البحارة ، فحقن الفريق الأول ولم يحقن الفريق الثانى ، فبلغت إصابات الأنفلونزا بين البحارة قرابة ١٠ فى المئة ، أما الإصابات بين الجند فلم تزد على واحد فى المئة سوى شىء قليل .

فكل امرىء يعـلم أنه عرضة للإصابة بالأنفلونزا ينبغى له أن يحقن بهـذا اللقاح مرة كل سنة . ويقول الخبراء إنه متى بلغ عدد المحصنين به من الناس مبلغاً كافياً ، فقد تصبح الأنفلونزا المتفشية كالوباء فى خبر كان .

همومِ الآباء !

لى صاحبان كلاهما كاتب مشهور : وليم شبرد وفلويد جيبنز ، فلما كانا فى شبابهما كان جيبنز مخبراً فى صحيفة يتولى شبرد تحرير أخبارها ، وكان الاشتغال بالصحافة قد فتن جيبنز وظن أنه صائر إلى النجاح ، فلذلك ذهل يومَ ناداه شبرد وقال : « أنت شر مخبر فى العالم . فاخرج من هنا وانصرف عن الصحافة فلا خير فيك » . فخرج جيبنز ووجد من فوره عملا فى صحيفة أخرى ، ولكنه لم يلتق بشبرد حتى صارا كلاهما من أذيع الكتاب صيتاً . فقد اتفق لهما أن كانا يحاضران فى نفس المدينة ، فإذا هما بعد الفراغ من المحاضرة فى القطار نفسه . فقال شبرد : « أتذكر يوم طردتك ؟ » فصاح جيبنز : « أذكر؟ وما زلت أتوق إلى لقياك منذ عشرين سنة ! » فقال شبرد : « إذن، دعنى أروى لك سبب طردك :فقدوفد على فى المكتب زائر كريم وقال لى : عندكم هنا مخبر شاب ، أفلا تسدى إلىّ خدمة ؟ اطرده . فقلت للرجل : ومن أنت ؟ فقال أنا صحفىٌّ ، ولست أريد أن يصير هذا الشاب صحفياً . وأنا أبوه . »

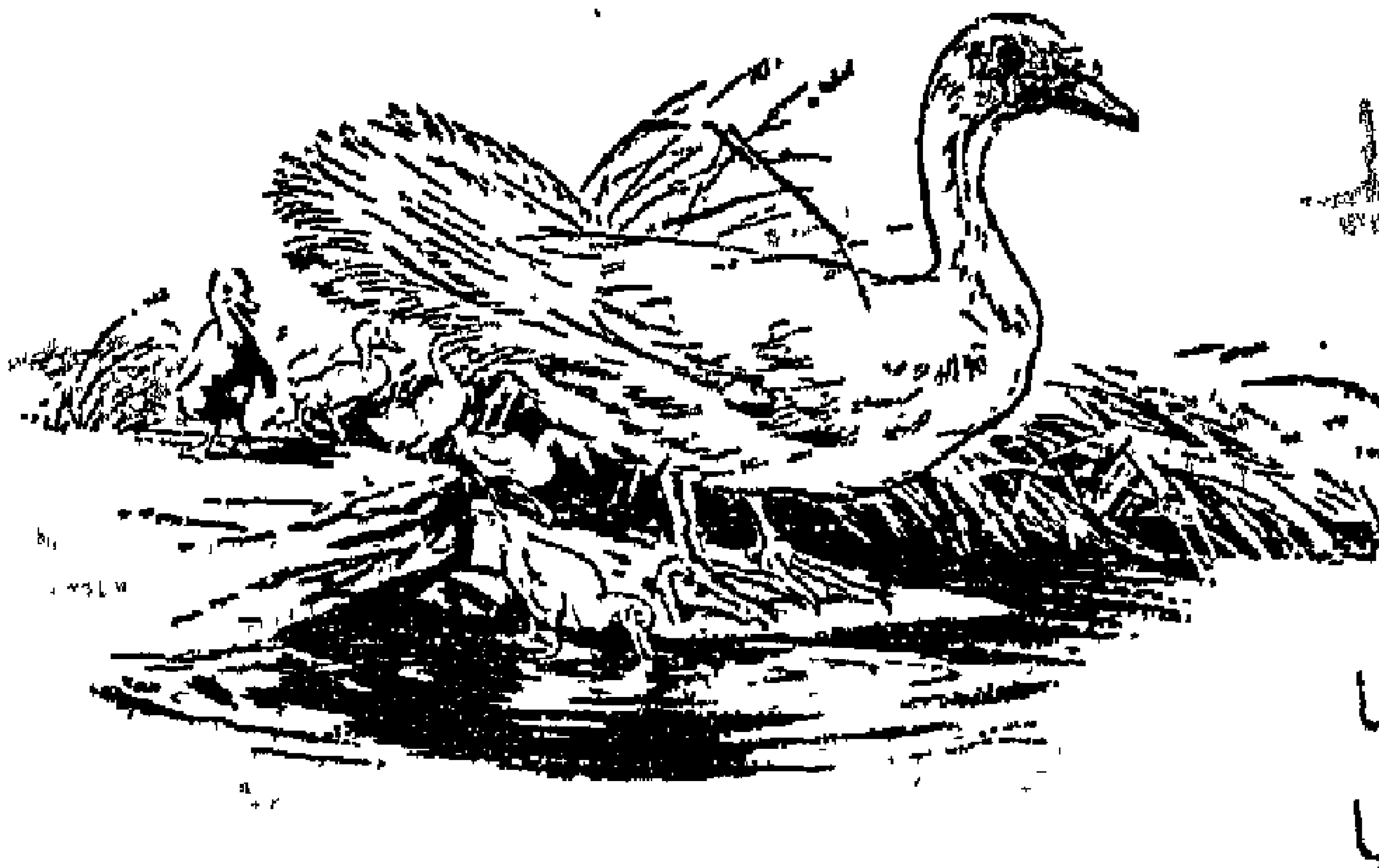
كان اسم الفتاتين مارى وأبجيل . وكانت مارى أكبرها وقد خطبت لشاب له مستقبل زاهر يدعى رتشرد وكان أبواها يحبانه . وأما أبجيل فقد خطبها شاب يدعى جون ، ولكن أبويها كانا يتنكران له لأنه من أسرة غير معروفة . ثم تزوجت الفتاتان فى حفلة واحدة وكانت مارى يوم الحفلة مزهوّة برجلها ، وأما أبجيل فقـد أحست أن أبويها ينظران إليها غير راضيين . بيد أن التاريخ يذكر أن زوج أبجيل كان جون أدمز ، فهى المرأة الوحيدة فى تاريخ أمريكا ، التى كانت زوجة لرئيس الولايات المتحدة وأماً لرئيس آخر .

ومع ذلك فقد ساور الهم أباها كما ساور أبا جيبنز ، فقد أراد الأبوان كلاهما أن ينقذ ولده من أن يرتكب خطأ كان فى رأيه الذى حنكته الأيام ، خطأ جسيما . [بروس بارتون]

لا أزال أحب البط

ت . ماك كين داونز

مختصرة من مجلة «أتلانتيك منثلي»



كنت في صغري مولعاً بتربية البطّ ، وما زلت بعد هذه السنين الطوال أحبها وتملأ قلبي حبوراً . فلما عدتُ إلى وطني بعد هذه الحرب عاجزاً عن مزاولة الأعمال قلتُ لنفسي : لماذا لا أعود فأربي البطّ ؟

وأكثر البطّ الذي يُربى كثير الضجيج مجلبة لسخط الجيران، وتربيته متعبة مشغلةٌ لما يتطلبه من محاضن ومفارخ . بيد أن بطي الذي كان عندي في صغري كان من البط السكوفي، وهو يتنادى بألحان عذبة مردّدة فلا يجلب سخط الجيران . ومن مزايا هذه البط أنها كثيرة الفراخ ، حسنة الرعاية لصغارها ، تسرح في طلب طعامها ، وبذلك لاتحتاج إلا إلى قليل من الحبوب أو الطعام المصنوع لها خاصة ، فضلا عن أنها ضخام الأبدان ، لحم صدورها وافرٌ، ولحم أجنحتها طيب المذاق . فحزمتُ أمري واشتريت سرباً من البط السكوفي .

كان لا بدّ لي قبل أن أطلق سَراحها أن أدبر ما يجعلها عاجزة عن الفرار ، فإنها طيورٌ شديدة الطيران . فسألت امرأتي أن تعاونني على قصّ أجنحتها ، ولكن امرأتي فتاة من بنات المدن لاعهد لها بتربية الحيوان ، وهي أيضاً رقيقة مرهفة الحسّ ، فقالت لي إنها لن تُلقي يداً في تعذيب هذه الطيور التي لاتدفع عن نفسها . فأخذت أحتال في أن أبين لها أن قصّ بعض قوادم الريش الطوال المعينة على الطيران، إنما يمنع الطائر عن اعتداله في طيرانه ، وليس فيه من الإيلام أكثر مما في قص المرء شعره . فلم تقتنع كل الاقتناع ، ولكنها رضيت أن تمسك لي البط حتى أقص قوادمه، وعندئذ أخذها العجب لما رأت من قوة أبدانها ، بل إنها حين أخذت بين يديها بطة ذكراً لم تستطع أن تمسكه ، فاضطرت أن تأخذ هي مني المقص وتوليت أنا إمساكهُ ، فقد كان بطةً شديد الأسْر .

فما كدنا نطلق سراحَ البطّ حتى بسعى يدلف إلى غدير الماء ، وكنا لا نزال في زمن الشتاء ، وعلى الماء طبقة رقيقة من الجمد ، ففتحت لها فيه ثغرة حتى تستطيع أن تشرب، بيد أن هذه الطيور التي لم يمض على جلبها من المنطقة الاستوائية في جنوب أمريكا سوى بضع سنين ، غطست من فورها في الماء القارس المتجمع في أول بركة وقعت عليها

عيونها . ولم تلبث أن تنفَّشت وانتفضت ، وضربت المـاء بأجنحتها ، وجعلت تغطس وتدور فى الغدير تحت الماء حتى ذاب الثلج وانشق عنها .

ولما كانت حديثة العهد بمكانها ، فقـد صرتُ أغلق عليها بيتها ليـلا حتى تهتدى وتتعلم أين مكان طعامها. ومنذ تعوّدت ذلك لم تبت ليلة قط تحت سقيفتها، فكان آخر شيء أراهُ كلّ ليلة حين أفتح نافذة غرفتى هو جماعة الطيور البيض نائمة على حافة الغدير ، قائمة على سـاق واحدة ، لاوية رؤوسها إلى خلف، قد أراحتها على الريش الناعم المتكاثف على أعطافهـا . وكان يبدو عليها أنها وادعة مرتاحة تحت المطر والثلج والرياح .

وكان أول ما فعله البط أن دبر أمره حتى استتبت شرائع جماعته ، وشريعة صغار البط هى فض النزاع بالقتال . بيد أنى لم أر قتالا يدور بين البط الذى اتخذته ، ولست أدرى كيف دبروا أمرهم حتى استتب نظامهم على هذا الوجه . وكان قائد البط هو أصغرهم وأقلهم ، مع ذلك أراه يستطيع ، بل أراه يعضّ أية بطة عضة قاسية، فلا أرى المعضوضَ يحاول أن يثأر أو يدفع عن نفسه . وكان مكتوباً على أضعف البط أن يخضع لاستبداد البط جميعه كما يخضع لاستبداد البطة الذكر. وربما كان للقوة والعافية شأن فى هذا الأمر. والبط المسكوفى يمتاز ببقعة خالية من الريش فى وجهه ، لونها أحمرُ زاهٍ . وتدل شدة الحمرة على ما تتمتع به البطة من قوة ، ومعنى ذلك أن كل بطة تحمل الآية الدالة على قوتها . فسيدة البط هى أزهاها حمرة وجه .

وإذا جاء الطعام حرّم البطة الذكر على سائر البط أن يصيب منه شيئاً حتى ينطفىء سعارُ جوعه. وكان هذا يجعل امرأتى تتميز من الغيظ، فقد كانت أنثى متعصبة للأنوثة. فإذا فرغ البطة الذكر من طعامه جاءت سيدة البطّ بعده فأكلت وحدها بلا مشارك .

ومن البين أن سيدة البط هى أول من صبا إليها البطة الذكر بحبه . فهى أول من تضع من البط بيضها ، وأوّل من ينفلق بيضها عن صغارها . أما سائر إناث البط اللواتى هن أدنى منها مرتبة ، فلا تحاول أن تثور على المنزلة الخسيسة التى هى فيها ، فتلك قسمتها وقضاء الله السابق فيها، فالثورة عليه عبث لا يجدى وفسقٌ عن أمر الله .

وسِفاد البط يتم غالباً وهن فى المـاء ، وإناث البطّ تطفو طفوّاً ظاهراً على الماء ، بيـد أن ثقل البطة الذكر كافٍ فى إغراقها كل الإغراق تحت الماء . وقد تأدّت إلىّ مرة صرخات عاليـة من امرأتى تستنجد بى : «أقبل ! فهذا الذكر يحاول أن يغرق إحدى الإناث. أدركها» ،ولكنى استطعت أن أقنعها

بأن لا خوف على الأنثى، فبضربة أو ضربتين من كفيها المفرطحتين فى جوف الماء سوف تخرج سالمة طافية . ولا تزال امرأتى تعدّ هذا الخلق من ذكر البطّ خلقاً منكراً ، ولكن إناث البط لا تكاد تلقى بالاً إليه .

ولما أخذ النهار يطول وأخذت الشمس تزداد حرارة ، بدأ زمن البيض . ويومئذ وجدت سيدة البط الأثيرة عُشاً من القش فى مكان منعزل ، فلما بدأت تبيض بقيت فيه طول أيامها بلا انقطاع ، فوضعت سبع عشرة بيضة فى ١٧ يوما على التتابع . فلما فرغت من وضع بيضها جميعاً ظلت تقضى وقتاً طويلا واقفة فوقه لا جاثمة عليه ، ومن يومئذ تبدل صوتها فصار فيه صريرٌ خفىٌّ يَنهى عنها سائر البط ، ويستجيب له زوجها حين تدعوه . ولكنها إذا فزعت هجرت عشها من فورها وتركت بيضها بارداً لا يجد ما يدفئه .

ثم يأتى يومٌ فتراها جاثمةً على البيض فجأة منبطحة بكلّ بدنها ، ناشرةً ريشها على مدّه ما استطاعت ، فهى لن تفارق بعد اليوم عشها إذا دنا منها ما يفزعها ، بل ترسل صرخة تحذير وتنقر وتعض كل يد تمتد إلى مكانها . لقد تغيرت وتبدل حالها ، فلو وضعت لها حجارة مكان البيض لجثمت عليها وحضنتها ، فهى لا تعبأ بهذا البيض شيئاً ، ولو سقطت من العش بيضة لتركتها تسقط غير حافلة بها .

وكذلك تبدأ خمسة أسابيع كلها ملل تقضيها حبيسة فى مكان واحد . ولا بد لها عندئذ من أن تتململ وتتحرك قليلا ولا ريب . وهذه الحركات التى تأتى فى الغالب عفواً تهيئ للبيض شيئاً من الحركة حتى يكون فى وضع ينال فيه جميع البيض من الدفء ما يحتاج إليه حتى ينضج للإفراخ . وترى البطة عندئذ فى أكثر وقتها كأنها فى حلم بين النائمة والمستيقظة .

نعم ، إنه لا غنى لها عن أن تخرج أحياناً فى طلب طعامها ، وقد كنت أوفر لها كل ما تحتاج إليه من زاد ، فمن أجل ذلك لم تكن تغيب عن عشها سوى بضع دقائق ، ولكنها كانت تخرج مرة على الأقل كل يوم للرياضة ، فتراها عندئذ قد انطلقت ناكسة الرأس حثيثة العدو مُيَمّمة شطر الغدير . فإذا بلغته رمت بنفسها فيه وأخذت تغطس وتعوم حتى تأخذ لنفسها أعظم نصيب من الاستمتاع . ومن أعجب ما تراه عينك عندئذ ذلك الشحوب البالغ الذى يكسو لحم وجهها العارى من الريش حين تغادر عشها ، ثم تلك الحمرة القانية التى ارتدت إليه سريعاً بعد دقائق من الرياضة العنيفة .

وفى أيام حضانة البيض يصبح ريشها أقل مناعة على نفاذ الماء فيه ، فمن أجل ذلك تراها إذا أخذت تعوم بدأ الماء يثقلها رويداً رويداً وترى الذى يغطس من بدنها فى الماء يزداد

شيئاً فشيئاً ، وأخيراً لا يكاد يطفو من بدنها فوق الماء إلا رأسها وعنقها. فالآن إما أن تخرج من الماء ناجية بنفسها وإلا فهو الغرق. فتراها بعدئذ واقفة على حافة الغدير تنفض الماء عن ريشها حتى يجف ، ولكن مقداراً غير يسير من الماء يبقى عالقاً بريشها فتعود به إلى عشها فيكون لبيضها عوضاً مما تبخر منه .

وبعد خمسة أسابيع كاملة يأتي اليوم المشهود ، فإذا الذي تحس به تحتها ليس بيضاً مدوّراً صلباً بل أجساداً صغيرة ناعمة عليها الزغب تتحرك من تحتها . فإذا كانت يومئذ متروكة بلا وقاء ولا حراسة ، فالساعات القليلة التي تلي انفلاق البيض هي أخطر وقت في زمن الحضانة ، فإن البطة في زمن حضانتها لا تنبعث منها رائحة ، وهي تحرص كل الحرص على أن يكون كل ما حول عشها نظيفاً نقياً من كل قذر . ولكن هذا البيض المتفلق يحتوي على أغشية ورقائق كانت غذاء ووقاء للفرخ قبل انفلاق البيضة عنه ، فهي تقودها خارجة بها من العش الذي سيبقى منذ الآن ينفث رائحة خليقة أن تجتذب إليها ثعلباً أو نمساً يجوس في طلب الفريسة .

ولا يكاد يجف ريش الفراخ وتجتمع لها الطاقة على اللحاق بأمها، حتى ترى الأم تقودها خارجة بها من العش الذي سيبقى منذ اليوم خالياً مهجوراً . إنه لمنظر رائع أن ترى هذه البطة الناصعة البياض تتهادى سائرة على مهل، وذيلها العريض الطويل مبسوط على مده، ليقي صغارها من وقدة الشمس ومن كل عين ناظرة إليها من عل ، وأن ترى هذا الحشد الحاشد من الفراخ الزُّغب تمشي راجفة متعثرة في بساط العشب، وكلها تحاول غاية جهدها أن تستظل في كنف هذا الذيل العريض الوافر وتسير عامدة مصممة إلى الغدير ، وتنغمس في مائه غير جافلة ولا مترددة ، وتظل تتواثب هنا وهنا لتصيد بعض الحشرات الطائرة . وتخال الأم عندئذ كأنها بارجة ضخمة متهادية يحرسها ويحف بها سربٌ من المدمرات الصغيرة ذاهبة جائية لا تخضع لأمر أو نظام .

وفي تلك الليلة حين كانت إناث البط تعد العُدّة للمبيت على شاطىء الغدير ، رأيت ريشها ورْداً لامعاً في أشعة المغيب ، وعندئذ سرحت بأفكاري إلى يوم أرى هذه الصغار قد كبرت واستوت . نعم لا مهرب من أن يموت بعضها ، ولكن أكثرها سوف يبقى . وقد عاهدت الله أن يكون غير هذا الجيل عرضة للذبح والطبخ والنار المنضجة، أما هذا الجيل الأول فلا ، ثم لا . وسأسِمها بوَسْم لا يزول ولا يحول حتى لا تمتد إليها يدٌ خاطئة . وسأحرص ما استطعت على أن تقضي أيامها ناعمة إلى أن يوافيها أجلها ، لا تَرَاع ولا تذعَر .

قصة جهاد الدكتور نلز لارسن في جزائر هوائي :
« أسمى ما بلغه الطب في الريف من تقدم »

"أطفال المزرعة بخير"

بليك كلارك
مختصرة من مجلة "هايجيا"



« لست أخشى أن يقضى الطفل نحبه يا دكتور ، فقد أصبح أطفال المزارع جميعاً بخير » .

هذه كلمات شابة في المخاض تثنى بها على الدكتور نلز بول لارسن ، وهو طبيب أمريكي ولد في السويد ، وما فتىء منذ عشرين سنة يكافح الموت الذي يغتال الأطفال في جزائر هوائي. وقد استطاع بجهده الذي لا ينقطع ، أن يتيح لزوجات العمال في مزارع السكر من الرعاية الطبية المحكمة ما لا يتاح مثله لأغنى النساء في بعض المدن . وقد كان العام الماضي هو خامس أربعة أعوام متوالية سجل فيها رجال الصحة في هذه المزارع أقل معدل لوفيات الأطفال الرضع في العالم كله – ١٨ وفاة بين كل ألف طفل في العام الأول من عمرهم . وأقرب معدل إليه كان معدل ولاية كونكتيكت الأمريكية حيث بلغ ٢٩٫٦ في الألف .

من الأمثال السائرة في إسكندناوة مثل مؤداه أن السويدي كشجرة الصنوبر – مظهره جاف قاس ، ولكن قلبه يزخر بالحنان . ونلز لارسن آية حية على صدق هذا القول . فقد ذهب إلى هنولولو منذ ربع قرن أو نحوه ليتولى إدارة مستشفى كوين ، وكان زاخر النشاط مبدعاً ،فسره أن ينتفع بكل دقيقة من فراغه . فطاف في نواحي جبال هوائي ، فسجل محاسنها في رسوم بارعة، وقضى ساعات كثيرة يغوص في أعماق البحر وبيده آلة التصوير ، فصور مشاهد عجيبة . وكان يحب النزهة مع زوجته وولديه على شواطىء الجزيرة ، ففي هوائي سوى الجهاد أشياء لا تحصى تستأثر باهتمام المرء .

بيد أن قلبه فاض رحمة حين اطلع

على أحوال العمال فى هوائى ، ففى كل عام يموت ٤٥ فى كل مئة ألف منهم بمرض البريبرى وحده، وهو مرض يمكن توقّيه . أما نزلات المعدة والأمعاء ، وهى مما يمكن توقيه أيضاً ،فكانت تحصد منهم أضعاف ذلك ، وقد مات نحو ٦٠٠ طفل دون الثانية من عمرهم بالإسهال الناشىء من سوء الغذاء أو سوء التدبير الصحى . وكانت كلُّ أمّ فى المزرعة الوسط ، تتوقع هلاك كثير من أولادها ، وكان السل يصيب العمال الذين قل غذاؤهم بمعدل ٨٠٠ فى كل مئة ألف كل سنة ، ويودى بمئة وستين من المصابين. وهذه حالة لا تطاق فى نظر الطبيب الشاب ، وهوائى بلد من أصح بلاد العالم .

دُعى لارسن ليخطب فى الاجتماع الذى تعقده جمعية زرّاع القصب كل سنة ، وكان أعضاؤها الأغنياء المحافظون يتوقعون أن يستمعوا إلى بحث فى تقدم الطب الحديث ، فذهلوا ساعة رأوا الخطيب الأشقر الوثيق التركيب يتكلم وفى عينه بريق الغضب ، فيصف سوء الحال فى بعض مزارعهم ،وقد ختم كلامه بنداءٍ بليغ يدعوهم أن ينشئوا مركزاً صحيًّا للمزارع ، قال : « قد أثبت العلماء فى محطات التجارب أن تحسين المحاصيل يجدى عليكم ، فدعونى أبين لكم أن تحسين صحة الناس وأحوالهم يجدى عليكم أيضاً » .

فوقف أحد أعضاء الجمعية وقال بصفاقة : « ليس من شأننا أن نتولى أمر الصحة العامة . والعمل الذى نزاولهُ فيهِ تنافسٌ قوىٌّ ، فلا يسعنا أن ننفق على مشروعات لا تثمر » .

فسأله لارسن : « ما عدد أعواد القصب التى يستطيع العامل المريض أن يقطعها ؟ وهل فى وسع رجل مهموم على زوجته وطفله أن يحسن عمله فى الحقل ؟ » ،وحثّ الزراع على أن يتيحوا للعمال خطة لتحسين الصحة تستغرق سنة ونصف سنة . قال : « فإذا لم تفض الخطة إلى خفض نفقة محصول القصب ، أهملت الخطة كلها » ، فقبلوا جميعاً على هذا الأساس .

وكذلك كان . وفى سنة ١٩٢٩ تولى لارسن فى مزرعة إيوا ، على مسيرة عشرين ميلا من هنولولو ، عملا ضخماً دون أن ينصرف عن عمله فى المستشفى .

فأكب على فحص سجلات وفيات الأطفال والأمهات فحصاً دقيقاً ، فراعته كثرة الوفيات التى تبين أن مردّها إلى تواتر الحمل ، وليس لذلك سوى علاج واحد — زيادة المدة بين ولادة وولادة . وهذا رأى ينطوى على خطر فى جماعة شديدة التمسك بفرائض الدين .

وانبرت له طائفة قوية من الناس تقول : « إن منع الحمل تحدٍّ لمشيئة الله » .

فردّ لارسن : « أفى وسعنا أن نظن أنّ الله جلّ جلاله يحبس رحمته عن عباده فيرضى لامرأة تكاد تهلك من تواتر الولادة، أن تلد طفلا ضعيفاً كل سنة بدلا من أن تلد طفلا صحيحاً معافى كل سنتين » .

وذهب لارسن يعلم عمال القصب أساليب الأبوّة الرشيدة ، وصارت الحوامل من زوجات العمّال تلقى من الرعاية الطبية ماتلقاه زوجات المديرين . وكانت الحامل تنقل بالسيارة كل شهر إلى المركز الصحى لفحصها وتعليمها . وحث النساء جميعاً على أن يلدن فى مستشفى المزرعة لا فى الأكواخ الزريّة غير الصحية . وقد تولى الأطباء والممرضات المدرّبات توليد ٩٠ فى المئة منهن فى السنة الأولى بدلا من القوابل الجاهلات.

وأعد رجال المركز الصحى طعاماً محكم التركيب يوافق حاجة كل طفل ، ووضعوه فى زجاجات معقمة ، وكانوا يسلمون الأم كلّ يوم ما يكفى حاجة وليدها فى بحر ٢٤ ساعة . فإذا أتم الرضيع حوله الأول ، ضمّ إلى هذا الطعام حساء تكثر فيه المواد التى تولد الحرارة والفيتامينات والأملاح المعدنية .

وطفق لارسن وهو يحث الأمهات على زيادة الانتفاع باللبن وما يصنع منه ، يفاجىء معامل الألبان فى هنولولو بزيارته ، فيلفى الأحوال الصحية فيها تهول النفوس — فبدأ معركة جديدة . وقد عمدت إحدى الصحف إلى نشر خبر حملته ، فجعلت عنوانه : «لبن هنولولو يفتك بالأطفال » ، وأيدته فى مقال افتتاحى شديد اللهجة ، فوفق فى النهاية إلى سن قانونٍ يصلح مافسد ، وتولى تنفيذه مفتشون من أهل المعرفة والقدرة .

وعلى أن لارسن كان يدعو الناس إلى أكل طعام كامل العناصر وقاية لهم من المرض، فقد ظل العمال من اليابانيين والفلبينيين يجلسون إلى قصاع ممتلئة بالأرز الأبيض المقشور ، ويهملون الثمار والخضر . وقد تبين لارسن أن إيثار الأرز مرجعه الأول إلى أنه أرخص طعام متاح لهم ، فالأسرة الوسط المؤلفة من ستة أشخاص ، يبلغ دخلها كل يوم ٦٥ قرشاً — فكان دخلا لا يكفيها للحصول على طعام صحى .

فراح لارسن يستعين بالرسوم الملونة حتى يبين للعمال لِمَ تحتاج أبدانهم إلى أصناف من الطعام تحميهم من المرض ، وأقنع مدير مخزن المزرعة بأن يبيع العمال تلك الأصناف بغير ربح ، وغرست أشجار الموز والمانجو والكمثرى والجوافة فى أفنية بيوتهم ، وأغريت الأسر بأن تزرع الخضر فى حدائقها، وأنشئت مزرعة للفسائل يأخذون منها خير أنواعها بأقل من تكاليفها .

وقد أعطى كل تلميذ فى المدرسة كتاباً فيه صور هزلية ملوّنة تمثل أشخاصاً أصيبوا بوجع الأسنان أو وجع البطن حين أكلوا الطعام الذى لا يلائمهم ، فإذا ما أكلوا الطعام الحافل بالمواد الزلالية الواقية ، رأيتهم — فى صور الكتاب — يتوثبون قوة ومرحاً .

وغرست حديقة فى أرض المدرسة ، وجنيت الخضر الغضّة فأكلت فى « السلطة » أو طبخت طاجناً لذيذاً . وصارت المدرسة تقدم لتلاميذها طعاماً صحياً فى الغداء مقابل ١٢ مليماً .

فلم تكد تنقضى ١٧ شهراً منذ بدأت التجربة ، حتى قال نلز لارسن لمديرى المزرعة ، مزهوًّا بما تم : إن معدل وفيات الأطفال فى مزرعة إيوا قد هبط من ١٧٤٫٤ إلى ٧٢ ، ثم إن المواليد وإن قل عددهم ، فقد زاد عدد من بقى منهم حيًّا معافًى .

ثم أخرج رسماً بيانياً يبين ماتمّ لجماعة مختارة من العمال أعطيت من الأطعمة الواقية ضعف المقدار الذى كانت تصيبه من قبل : فقد نقصت أيام تعطلهم عن العمل بسبب المرض إلى نصف أيام التعطل بين سائر العمال للسبب نفسه . وختم لارسن حديثه فقال : «إن الخطة الصحية القويمة ليست هبة توهب بغير ثمن ولا مضيعة لمال صاحب المزرعة ، فالعامل يوفى نفقاتها بزيادة أيام عمله كل شهر» .

وتوافد الأطباء والممرضات من كل فج فى هوائى على مركز إيوا الصحى ليشاهدوا عيادات العناية بالحوامل ورعاية الأطفال والمشتل والحدائق ، وليدرسوا الرسوم البيانية الخاصة بالإحصاء والأغذية . فلما عادوا إلى مزارعهم جعلت روح إيوا تنتشر فى الجزائر انتشاراً سريعاً .

وأنت ترى اليوم ٦٤ مستوصفاً و ٢٤ مستشفى تسدى الخدمة الصحية لأربع وثلاثين مزرعة . وثمة ٣٨ طبيباً و٨٦ ممرضة وقفوا عنايتهم على المزارع ، ويتعاون معهم الأطباء الأحرار ، فيحوطون أهل هذه المزارع برعاية طبية تفوق نظائرها فى معظم الجماعات التى تقطن الريف . ويزور المزارع مرة كل شهر أطباء متخصصون فى أمراض الحلق والعين والأذن والأنف ، فيعالجون العمال الذين أفردهم أطباء المزارع للعلاج . ويزورها أيضاً بانتظام متخصصون فى الأمراض المعدية وأمراض العظام والطب النفسى . ويتنقل بين القرى جهاز للأشعة السينية فى حملة واسعة النطاق لمكافحة السل ، وقد نقص عدد الذين أصيبوا به من عمال المزارع إلى النصف منذ ١٩٣٥ .

وأصحاب المزارع يجنون ربحاً طيباً من المال الذى ينفقونه كل سنة على صحة كل عامل

— وهو ١٧ ريالا . وأصبح التخلف عن العمل لا يزيد على ٥ فى المئـة ، وبلغ عدد العمال الذين لم يكونوا فى حاجة إلى العلاج ١٫٧٥ فى المئة فى السنة الماضية ، وبلغ عدد الذين ذهبوا إلى المستشـفى مرة واحدة ٢١٫٧ فى المئة ، والذين ذهبوا إليه مرتين ١٫٣ فى المئة .

وقد أشرف نلز لارسن على التقاعد بعد حياة زاخرة بالعمل ، بيد أنه يرجو أن يرى قبل أن يتقاعد ، خطة هوائى الصحية قد صارت خطة عامة فى المحيط الهادئ وبلاد الشرق . وما تم له فى حياته مَثَل رائع على مايدخل فى وسع رجل واحد صادق العزيمة أن يفعله . ومنذ عهد قريب اجتمعت جمعية أطباء مزارع السكر وأعلنت للناس : « إن الفضل فى إنشاء أرقى طراز من الرعاية الصحية فى الريف وتنسيق أعماله ، إنما يعود إلى الدكتور نلز لارسن » .

بين النقمة والرحمة

دهب صحفى شاب إلى برناردشو وطلب منه أن يجيب على بعض أسئلة يوجهها إليه ، فرضى شو بذلك مشترطاً أن تكون الأسئلة « معقولة » . فلما اطلع عليها أعدّ ردوده فملأت صحيفتين كاملتين من كتاب ، ثم طلب من الصحفى أن يذكر له قيمة المكافأة عن هذه الأجوبة ، ففوجىء الصحفى بهذا الطلب واعتذر بأنه لا يستطيع أن يعرض عليه مكافأة ما ، فسخط شو سخطاً شديداً وندّد بوقاحة الذين ينتظرون منه أن ينعم على الناس بألف من كلماته الثمينة بغير جزاء . ثم قطب ما بين حاجبيه وسأل الشاب : « كم مرتبك ؟ » فرد الشاب قائلاً : « خمسة جنيهات فى الأسبوع » .

فقال شو : « خمسة جنيهات ؟ ! هذه نذالة . اذهب إلى رئيسك وقل له إن هذا الحديث مباح له بغير جزاء منه ، إذا زاد مرتبك جنيهين فى الأسبوع » . فذهب الصحفى وعاد فى اليوم الثانى فقال إن رئيسه لم يرضَ أن يزيد مرتبه أكثر من جنيه واحد فى الأسبوع . فضحك شو وقال : « زيادة قليلة ، ولكنها خير من لاشىء » وأعطاه الأجوبة .

[صحيفة « هرالدتريبون »]

صابون جديد « لارغوة له » يجعل الماء أقدر على إذابة الأقذار ، وييسر عمل أهل البيت .

طريقة جديدة لإزالة القذر

هارلند مانشستر

مختصرة من مجلة " الإعلان والبيع "

في كثير من المطابخ ترى مناشف الصحون معلقة لا تستعمل ، على حين ترى أكواب الزجاج وآنية الخزف تجفّ فإذا هي لامعة ليس عليها أثر من ماء . وتنظر في أحواض الحمّامات فلا تلقى عليها حلقات من بقايا الأوضار ، وهذه بقع القذر على السجاجيد والأثاث والخشب تزول لوقتها ، وكل ذلك بفضل مواد جديدة للتنظيف ، هي « صابون لارغوة له » أو هي « صابون لاصابون فيه » لأنها خالية من الشحوم والزيوت التي تعد أهمّ أجزاء الصابون المألوف.

وهذه المواد التي تزيل الأقذار تكون سوائل ومساحيق وجوامد ، وتحمل أسماء تجارية متعددة .وقد قل الصابون في الحرب، فأتيحت فرصة عظيمة لتجربتها على أيدى ربات البيوت ، وما ثبت من مزاياها يضمن بقاءها ودوام الانتفاع بها .

و « المنظّف » مادة تضيفها كالصابون إلى الماء لكي يعينه على إزالة القذر والزيت . ويتمّ فعل « المنظّف » بقضائه على التنافر بين الماء والقذر الدهنى ، حتى يستطيع الماء أن يذيب القذر ويحتفظ بدقائقه معلقة في الماء ، فيغسل مع الماء الذى ذاب فيه .

و « المنظف » يجعل الماء أقدر على إحداث البلل . وإذا كنت تظن أن للماء قدرة عظيمة على إحداث البلل فاسكب قليلا منه على سطح مصقول وانظر كيف يتجمع الماء قطيرات قطيرات ، لما بين جزيئاته من تماسك عند السطح . ثم أضف قطرات قليلة من مادة « منظفة » ، فلا تلبث حتى ترى الماء قد انتشر غشاء رقيقاً فينفذ إلى أدق الشقوق والثقوب .

وبعض « المنظفات » الجديدة أفضل جداً من الصابون المألوف في غسل المنسوجات الرقيقة المصنوعة من الصوف أو الحرير أو الألياف الصناعية . وهي خالية من المواد القلوية ، ولاتترك في القماش بقية من صابون، وبعضها كفيل بأن يغسل في خمس دقائق ما يستغرق غسله بالصابون ثلث ساعة . وهي لاتترك آثاراً وخطوطاً كما يفعل الصابون ، فتصلح خاصةً لغسل زجاج النوافذ والسيارات وغيرها من السطوح الناعمة اللامعة .

والمنظفات الخالية من الصابون ، خليقة أن تظفر بإقبال الذين يعيشون في أرض

ماؤها عَسِرٌ فى إحداث رغوة الصابون ، فالشحم فى الصابون المألوف يتحد بالجير أو المغنسيوم فى الماء العسر ، فتتركب أكدار لا تذوب . أما الصابون الجديد الخالى من الصابون ، فيذيب هذه المعادن .

وأول مانشأت المنظفات الحديثة فى الحرب العالميـة الأولى ، يوم بحث الكيميائيون الألمان عن بديل من الصابون بعد أن قلت الشحوم اللازمة لصنعه . فلما وضعت الحرب أوزارها وجدت مصانع النسيج أن هـذه المنظفات خير من الصابون أو القلويات القوية الكاوية ، فى كثير من أعمال تنظيف المنسوجات ، فجعلوا ينتفعون بها فى بَلّ القماش حتى يتيسر له أن يمتص الأصباغ امتصاصاً سريعاً متساوياً . أما الناس فلم يسمعوا بذكر المنظفات الجديدة إلا يوم ظهرت فى منظفات الشعر التى لا رغوة لها (شامبو) .

بيد أن فئة قليلة من الناس أدركت منافع هذه المركبات الجديدة ، فبحثت مصانع المواد الكيميائية عن أحسن الطرق لعرضها على الجماهير عرضاً رائعاً مشوقاً . وقد وجدوا أنه إذا صُبّ قليل من « المنظف الجديد » فى بركة ماء تعوم فيها بطة ، فإن البطة تغرق . ذلك بأن المادة المنظفة تخترق مايغشى ريش البط من غشاء زيتى يرد الماء عن ريشها ، وكان الزيت يحفظ خلال هذا الريش قدراً من الهواء يكفل للبطة قدرتها على العوم .

وقد عرضت هذه المواد عرضاً باهراً فى نيويورك سنة ١٩٣٦ ليلة افتتحت المسرحية التى ألفتها كليربوث لوس ، وكان عنوانها : «النساء» ، وكان من أشخاصها سيدة تجلس فى حوض الحمام اثنتى عشرة دقيقة تحيط بها رغوة الصابون ، ولم يكن بدٌّ من أن تظلّ الرغوة ظاهرة طوال تلك الفترة ، فإن لم تفعل هوت الرواية إلى حضيض الإخفاق . وكان الصابون المألوف عاجزاً عن تحقيق ذلك ، فاستعانوا بإحدى هذه المواد فولدت أطباقاً من الفقاقيع الدائمة ، وسرعان ما حسَّن « حمام الفقاقيع » وبيع لربات البيوت .

فلما نشبت الحرب العالمية الثانية ، احتاجت القوات المسلحة إلى صابون يصلح للاستعمال فى الماء العسر والماء اليَسَر ، والعذب والملح ، والسخن والبارد على السواء ، للغسل والحلاقة وغسل الثياب وتنظيف ملابس الجند وعدتهم من البقع الدهنية ــ فلم يجدوا سوى المنظفات الجديدة لسد هذه الحاجة ، فمزجت بالصابون حتى تصير قطعـة يسهل الانتفاع بها فى جميع هذه الأغراض .

وترى اليـوم مصانع المواد الكيميائية والصابون تروج ترويجاً حثيثاً للانتفاع بهذه المنظفات فى ألف غرض وغرض . فشركة تصنع مسحوق « درفت » للغسيل وشامبو

« درين » للشعر ، وشركة أخرى تصنع «ڤل» و «هالو» للغرضين نفسهما . وهذه المستحضرات تصنع من مواد كحولية مشتقة من زيت جوز الهند ، ولكن القليل من هذه الزيوت والشحوم النادرة تنتج مقداراً من المنظفات الجديدة أكبر من مقدار الصابون المألوف ، لو قصر الانتفاع بها على صنعه .

وبعض المنظفات الجديدة مشتق من النفط ، وقد صنعت إحدى شركات الأصباغ الكيميائية مادة « ناكونول » التى دخلت فى صنع قطعة من الصابون انتفع بها رجال الجيش والأسطول فى التنظيف ، وهى تصنع مسحوق «سوبرل» النافع فى أعمال التنظيف فى البيت . وينبغى للمستهلكين أن يعلموا أن هذه الضروب من المنظفات غير الصابونية المعروضة للبيع ، ليست جميعاً مما يصلح للأغراض العامة ، ففى بعضها قلويات كاوية ، ونفعها خاصٌّ محدود فى أشياء كغسل السطوح المطلية .

وبعض المنظفات المركبة بالأساليب الكيميائية له رغوة كثيفة ناعمة ، وبعضها كمادة « ستيروكس » تنظف بغير رغوة ، فهى لذلك تصلح لتنظيف الآلات التى تعرقل الرغوةُ حركتها الميكانيكية .

وللمنظفات الجديدة منافع طبية ، فقد استعملت فى الحرب لغسل وَضَر الزيت عن جراح البحارة إذا ما تعذر الانتفاع بالصابون . ويشير الأطباء على النساء باستعماله إذا كان صابون الغسل القاسى يضرُّ بأيديهن .

إلا أنه لا ينتظر أن تحل هذه المنظفات الجديدة محل الصابون ، فهو منظف عامٌّ ميسر ، وأصلح لغسل ثياب القطن من معظم المنظفات الجديدة المعروضة للبيع الآن . وما يصنع منها الآن يبلغ مئة مليون رطل فى السنة ، فهو قليل إذا قيس بملايين الأرطال من الصابون المألوف . بيد أن مصانع المنظفات الجديدة بدأت تتسع ، وستضاعف ما تصنعه منها خلال سنة . وهذه المنظفات لم تكد تبدأ حياتها ، فرجال العلم والكيمياء يعرفون ألفى مادة كيميائية منظفة ، وهم مجدون اليوم فى بحثهم عن مواد أحسن وأرخص لإزالة القذر .

لا تتزوج طمعاً فى المال ، فاقتراضه أهون . [مثل أسكتلندى]

فنان الحياة

أنت موروز الندبيج

عرفته سنة وأكثر قليلا ، وإن كنت قد سمعت به قبل ذلك بزمن طويل . وقد انطلق إدوارد شلدون فى الحياة وهو شاب كالشهاب فى سرعته، فبدأ حياته فى نهاية القرن الماضى محبوًّا بكل ما يقدره العالم ويعتز به : حسن الهيئة ، والعقل ، والمواهب ، والمكانة ، وألف رواية مسرحية أحرزت نجاحاً باهراً وهو لايزال طالباً في جامعة هارفرد . وقبل أن يبلغ الثلاثين تجلت عبقريته فى سلسلة من الروايات قد تعدّ اليوم قديمة ، ولكنها حين مثلت ، راعت ، وأدهشت ، وسحرت جمهور المسارح .

وقد كان يبدو أنه مقسوم له أن يكون ذا مستقبل باهر حين أصيب فى أخريات العقد الثالث من عمره بضرب من النقرس أليم لا ينفك يتفاقم ، فظلع أولا ثم أقعد ، وصار يحمل على كرسى ذى عجلتين ، وأخيراً تخشّب وأصبح رَهْن الحبس فى فراشه بقية عمره. وكأنما لم يكن هذا البلاء فوق ما تحتمله طاقة إنسان واحد ، فكفّ بصره أيضاً فى أخريات العقد الرابع من عمره .

فلم يبق لإدوارد شلدون الآن سوى أذنيه يتلقى بهما شيئا من أنباء دنيا الناس، وإلا صوته الذى يصل ما بينهما . وفى أخريات حياته حين رأيته لأول مرة كان هناك خطر من أن يفقد هذا السبب الأخير من الاتصال ، لأن جهاز التنفس أصيب بعلة جعلت من العسير عليه أن يكون صوته فوق الهمس . وقد كان أصدقاؤه يدعون الله أن لا يفقد صوته أيضاً قبل مماته، ولكن إدوارد شلدون كان قد وطّن نفسه على مواجهة هذا الاحتمال ، فقد تهيأ لتعلم رموز مورس ولاستخدام ما بقى له من القدرة فى السيطرة على إحدى ذراعيه ، لكى يعبر عما فى نفسه بعلامات وإشارات برقية . ومن حسن الحظ أنه لم تكتب عليه هذه المحنة الأخيرة ، فظل إلى النهاية يتكلم بصوت ضعيف بعض الشىء .

وكان يرقد على فراشه بلا حراك فى غرفة بنيويورك ، فيسمع قدراً هائلاً من كتب الأدب يُقرأ عليه ، ومن الصحف اليومية أيضاً من كل لون سياسى . وكان يستقبل أصدقاءه، وكثيرون منهم مشهورون فى عالم

المسرح الذى نفض يده منه ، فكان يلقى بنفسه فى عباب حياتهم وتآليفهم ومشاكلهم. وكان المؤلفون يقرأون عليه رواياتهم ، والممثلون يباحثونه فى أدوارهم ، فينقد وينقح روايات غيره ، ويعاون فى تأليفها ، وقلما كان ينال جانباً من الفضل فى الجهد الجسيم الذى يقوم به وهكذا توهجت مطامحه التى جعلت سيرته شعلة ساطعة ، وفاضت على حياة أصدقائه فأضاءتها.

وأتذكر أنى كنت ذات يوم راقدة على سريرى فى المستشفى بعد الوضع ، وكنا فى زمن الخريف والشمس تتدفق على الغرفة من النافذة ، بيد أن أوراق الشجر التى مسها الصقيع فى الليل كانت صفراء ساكنة على أغصانها فى ذلك الجوّ الذهبى المتوهج . فدخلت علىّ الممرضة ببرقية من إدوارد شلدون يقول فيها : « هذا صباح جميل ، وأنا واثق أنك أنت وابنتك سعيدتان » .

فأفعمت نفسى سروراً بما كان من مشاطرته إياى فى إحساسى هذه المشاطرة السحرية الخاطفة .

ثم خطر لى فجأة ، وقد صدمنى الخاطر حتى كدت أبكى : « ولكن كيف يعرف أن الصباح جميل ؟ إن الرجل الذى بعث بهذه البرقية أعمى لم يبصر شجرة منذ عشرين عاماً » .

وأنا أتذكر كل التذكر أول مرة رأيته فيها ، وكنت أشعر بشىء من التهيب وأنا فى المصعد إلى مسكنه ، وأسأل نفسى فى اضطراب : أترى سيفتح الله علىّ بالكلام المناسب ؟ وكيف أقدر أن أكلم رجلا كهذا ؟ وقابلتنى ممرضة ، وقادتنى إلى غرفة طويلة تؤدى إلى السطح وعلى جانبيها النوافذ وفى ناحية الغرفة — قبالة النافذتين — منضدة عظيمة ، عليها أكداس من الكتب ترتفع إلى سبع أقدام أو ثمان — كتب جديدة كان « يقرأها » وفى آخر الغرفة سرير عال أشبه بالنعش ، فوقه مظلة كالتى تكون فوق العرش . وكان الرجل الراقد تحت هذه المظلة المصنوعة من المخمل ، قد تغطى بشملة فارسية مطرّزة تطريزاً دقيقا بألوان مختلفة من الأحمر والبنى ، ولم يكن يبدو منه سوى رأسه وكتفيه ، وكان فى ثياب مونقة ، كأنما رقد ليستريح بضع دقائق ليس إلا ، وكانت عيناه معصوبتين ، فحيانى حين دخلت بهمسة خافتة .

ومضت بى الممرضة إلى الكرسى المريح والمنضدة الصغيرة الموضوعة إلى جانب السرير ، حيث كان الشاى أو الغداء يقدم دائماً لضيوفه وإن كان هو لا يشارك فيه . على أن إدوارد شلدون بادرنى قبل أن أجلس بكلمات أنست إليها نفسى فأعانتنى

على تخطى تلك الهوة من التهيب التى تفصل بين اثنين يلتقيان لأول مرة .

ثم قال مشـيراً إلى كتاب لى قرأه : « خبريني يا مسز لندبرج : هل استطعت أن تظفرى بتلك الكسرة من الخبز الفرنسى وتلك القطعة من الجبن اللتين كنت تفكرين فيهما وأنت طائرة فوق جبال الألب ؟ »

فضحكت ، فقد مدّ إلىّ سبباً من المودّة كان لا غنى عنه حتى اجتزت تلك الهوة التى بيننا . وظللنا نتحدث طول فترة العصر .

والمرء كما قلت ، يزوره متهيّباً أول مرة لما سمعه عنه، أو لأنه سئل أن يذهب إليه ، أو لأنه يزوره من باب العطف ، ولكنه بعد ذلك يزوره من أجل نفسه ليقضى حاجة فى قلبـه ، ويكلمه كما يكلم صديقاً قديماً فى كل موضوع : فى الحياة وفى الأدب ، والسياسة أو الأخلاق ، أى لكى يعرف كيف يحيي حياة صالحة . وفى إحـدى المرات دارت بيننا مناقشة طويلة أوحت بها عبارة بسكال عن الرجال « أهل الاعتدال » ، فتشابهنا فى العطف على الرجل الذى يقف فى « الوسط » : ذلك الرجل المعتدل الذى لا ينظم فى سلك هذه الطائفة المتطرفة أو تلك ، والذى لا يعنف قط فى حكمه أو يسرف فى مدحه ، ويتواضع فى تقدير رأيه ، ولا يحكم على الدنيا ولا على معظم زملائه الآدميين ، بالحسن المحض أو بالقبح المحض ، بل بين بين . فاجترأت على القول بأن الموقف المثالى فى تقدير الإنسان الناقد هو « الحكم بالحسن المحض أو القبح المحض فيما يتعلق به هو نفسه ، وبالتوسط بينهما فيما يتعلق ببقية العالم » .

فقال شلدون مصححاً بسرعة : « كلا ، بل يجب أن تتوسطى بين الحسن والقبح فيما يتعلق بنفسك أيضاً ــ يجب أن تتسامحى مع نفسك كذلك . وهذا أصعب شيء » .

وكان سخياً جداً بالنصـيحة والتشجيع والحثّ والنقد . على أنه كان يسمح لك أن تبذل له أيضاً مما عندك (وهذا أحذق ضرب من الجود) ، وكان يعرف كيف يتلقى ما تبذله بسماحة تجعل المنحة أثمن . وكان من أبعث الأشياء على السرور أن تحمل إليه شيئاً ــ كتباً وجدتها ، أو قطعاً من الشعر ، أو نبذاً من الفلسفة ، أو كتاباً عن صوفى من القرن السابع عشر ، أو ديوان شعر حديث ، أو آراء فى الحياة أبداها جندى قابله المرء فى القطار ، أو ما سمعه من طفل فى سيارة مدرسية . وكان يتلقى كل هـذا بشغف ولهفة ، وكان ترحيبه الصادق يفيض جمالا على كل ما يحمل المرء إليه ، وما أكثر ما يلقى المرء نقيض هذا من الناس ، ويرى كيف تذْوى الهبات تحت عين متلقّيها الفاحصة . والمرء أشبه بطفل يكرّ راجعاً عن الشاطىء بجوهرة

وقع عليها عند انحسار المدّ ، فإذا بها تنقلب حجراً في كف من تُهْدَى إليه . أما إدوارد شلدون فكل شيء تهديه إليه كان يكتسب جمالا من حسن تقديره . فإذا نظرت من خلال هذه الأعماق الصافية ، فإن أصداف البحر تصبح لآلىء ، والحجارة تبدو كالجواهر .

كلا ، ما كان ينبغي أن يقلقني أنه ليس عندي ما أقوله لهذا الرجل . وقد كان المرء دائماً يتكلم معه أكثر مما ينبغي ، ويمكث عنده أكثر مما يجب ، ثم كان ينصرف وقد نشطت نفسه وانتعشت ، وانكشفت لعقله مئة طريق جديدة ، مع اليقين الهادىء بأن في الوقت متسعاً عظيماً للسير فيها جميعاً . وكانت الدنيا تنفتح أبوابها من جدران غرفته الأربعة القائمة كالسدود .

ولم يكن قط يذكر عجزه أو يشير إليه أية إشارة ، وكان شديد الحرص على أن يبثّ في الأذهان ويقرر فيها أنه كأي إنسان آخر . وكان السحر الذي يفيضه على حجرة نومه من القوة بحيث تكف عن التفكير في أنه مريض مُثْبَت . وكان يخيل إليك — كما قال صبي صغير بعد أن زاره لأول مرة — إنه « أمير تحيط به هالة من السحر » . وكان يتكلم عن « قراءة » الكتب « ورؤية » الناس بكلام من قرأ ومن رأى ، وهو شيء مستحيل عليه مادياً . ولكنه لم يكن يتكلم هكذا عن غرور ، بل ليعفي أصدقاءه في اعتقادي من الشعور الملحّ بما يعاني من المصاعب . وكان مثل هذا الشعور خليقاً أن يكون حجازاً بينه وبينهم — أو جسراً . وكلاهما كان حقيقاً أن يكون بغيضاً إليه ، وكان قميناً أن يمقت الظن بأن الناس يزورونه من أجل آفته أو برغم آفته ، وما كان أحد من الناس يفعل ذلك .

ولو أنك سألتهم لماذا يزورونه ، وما هي القوة الدافعة التي تجتذبهم إليه ، لقال كثيرون منهم فيما أعتقد ما معناه : « إنه يفهمني . وليس ثمّ من يفهمني مثله » . وهذا صحيح ، ففي كل شيء في متناول إدراكه كانت له قوى لطيفة . ولم يقتصر الأمر على أنه أحدّ سمعه وأرهفه إلى درجة نادرة (فكثيراً ما كان يعرف طول قامة الزائر من الارتفاع الذي ينحدر منه صوته) ، بل كان يبدو كأنه أنمى مدارك أخرى لا يعرفها الإنسان العادي المواهب . وما تكاد تدخل عليه حتى يدرك ظاهر أمرك وباطنه ، وكان يراك كلاًّ كاملا ، وتشعر وأنت عنده أنك كلٌّ كامل . وقد تحققت له كلمة فيدروس الروماني : « لقد اتفق ظاهر الإنسان وباطنه »

وليس معنى هذا أنه لم يكن يعبأ بالظاهر ، كلاّ ، فإنه لم يكن يستخف بالعالم المادي ، وكان

يدرك ما فيه من مفاتن وجمال، وكان يغتبط بما يسمع من أوصاف فصوله المتغــيرة ، فكان شديد الحفاوة بأنباء الزهر والنبات وتغيرألوانه ونوّاره في زمن الخريف أو الشتاء أو الربيع . وقد كتبت إليه مرة رسالة أصف فيها يوماً من أيام الربيع في الريف، فأبرق إليّ يقول : « يسرّني أنك تستطيعين أن ترقدى في ظل شجرة » !

وإذا كان قد استطاع أن يحتفظ بشعوره بجمال العالم الذى يحيط به ، فإنه لم يغفل عما فيه من قبح وتعقيد ومتاعب . وإذا ذهب إليه المرء ببعض مشاكله وحــدثه بها أو لم يحدثه ، فإنه ينصرف عنه وقد حُلّ أكثرها أو على الأصح تحللت في حضرته . فما كان من الضرورى دائماً أن تذكرها ، وكان الأرجح أن تنزل هــذه المشاكل بين يديه إلى منزلتها الحقيقية . وقد يبدد متاعبك الكاذبة بإحــدى دعاباته القارصــة ، أما المشاكل والمتاعب الحقيقية ، فإنه ما كان يقلل من شأنها قط، وإن كانت دون ما يعانيه هو بمراحل . وكان لدقة إدراكه يتبين موضع الألم في نفسك ، ثم كأنه يجسه جسّ الطبيب ويقول لك : « هنا موضع الألم » ثم يصف العلاج بحكمة وإحكام . وكان يستطيع أن يكون صارماً أيضاً في نصحه ، فكان يقول لى أحياناً : « هذا فعل ضميرك التزمتّ مرة أخرى ! إن الضمير شىء حسن إذا كان يحفزك إلى العمل ، ولكنه فظيع إذا صرفك عن عملك الحقيقى . وهو كالقلق ، والقلق شىء بديع إذا حرّك النفس ودفعها إلى عمل شىء ، ولكنه إذا لم يفعل ذلك ، أكل النفس أكلاً . ولقد كانت حماسة المتشددين في الدين هى أروع صفاتهم » .

كلا ، لقد كان يرى ظاهر الرجل العامل في مظاهر نشاطه .

وقد قال بعضهم مرة : « ولكنه يرانا أجمل مما نحن جداً . ولنفرض أن عينيه فتحتا فأبصرنا كما نحن ــ أما كان خليقاً أن يخيب ظنه ؟ »

ولست أعتقد هذا ، فقد كان قادراً على أن يرى الإنسان الباطن من خلال الإنسان الظاهر ، وكان فهمه للإنسان الباطن هو آية الآيات، وهو مبعث الشكران له ، وكما قال سانت أكسوبرى في أحد كتبه : « العين عمياء، فالمرء لا يستطيع أن يبصر إلا بالقلب » . وكان إدوارد شلدون يبصر بقلبه ، وكان يرى الناس بعين الحب ، حتى أولئك الذين هو بهم حديث عهد مثلى . فكان لهذا يراهم لا كما هم فحسب ، بل كما يحاولون أن يكونوا، وكما أريد لهم أن يكونوا أيضاً ، فصار عند الكثيرين ذا رأى مؤثر في حياتهم .

وصاحب الرأى المؤثر يعكس لك حياتك كما تعكسها المرآة . نعم ، ولكنها حياتك كما تبدو وهى فى نظام واتساق ، بل فى جمال . وهو بهذه القدرة يبلغ منزلة الفنان المبدع ، ويؤدى وظيفة الفنان كما حللها الشاعر أو دين ، فيهتدى « إلى النظام الكامن فى الفوضى الظاهرة » فى حياتك ، ويكشف عن الجمال الموجود وإن كان غير مرئى . وليس هذا من الخداع ، ولكنه من الاهتداء والكشف ، وهو أيضاً عمل من أعمال الإبداع . وقد اضطر أن ينفض يده من الإبداع الفنى فى أشخاص المسرحيات ، فصار يفعل ذلك بالأحياء . والعمل البديع الذى خلفه وراءه وكان المسرح أداته وواسطته ، تمّ واكتمل حين اتخذ الحياة نفسها أداته .

وفى آخر مرة زرته فيها ، قرأت له من كتاب « المقطوعات الأربع » للشاعر ت . س . إليوت ، وما زلت أسمع همسته الضعيفة : « اقرئى هذا مرة ثانية » ، وأظن أنى قرأت قصيدة إليوت « إيست كوكر » ثلاث مرات ، وهى تدور حول الأبد والحياة الأبدية .

وفى هذا الجو تركته واعدة كعادتى بأن أعود إليه قريباً ، ولكنه لم يقدر لى أن أراه مرة أخرى .

والذين عرفوه — حتى أنا التى لم تعرفه إلا فترة وجيزة — خامرتهم عواطف شتى حين سمعوا بموته الهادىء المفاجىء . فكان هناك أولا ذلك الألم الطبيعى الذى يستبدّ بالمرء حين يفقد صديقاً ورفيقاً مثله (فقد أصبح حتماً علينا منذ اليوم أن نقوم مقامه فنتولى بأنفسنا تجديد أنفسنا) . ثم أخذنا العجب لشخصية رجل عرفناه ، فلما استأثر الله به أضاءت صورته وتجلّت كأبين ما تكون . ثم غزانا الشعور بما ألقى على كواهلنا من تبعة معرفة مثل هذا الرجل — أما التبعة العامة فأنْ نعرّف الناس به ، وأن ندْخل كل من نستطيع من الناس فى الجو الذى كان يحي فيه . وأما التبعة الخاصة فهى أشقهما ، لأنها تقتضى كل من عرفه أن يظل يعيش فى جو تلك الغرفة التى عاش هو فيها ، وهذا معناه أن نحيي فى ذلك الجو الذى لا يعرف زمناً ، والذى كان شلدون يخلقه حوله . وذلك يتطلب ما يكاد يكون مستحيلاً : أى أن يعيش المرء منا فى اللحظة العابرة وكأنها الأبد .

أما شلدن نفسه فما يساورنا شك فى أنه كاد يجعل اللحظة العابرة فى حياته كأنها الأبد . لقد فنى الجسد وبقيت الروح ، وحقق شلدون كلمة الشاعر إليوت :

« موتى هو بدء حياتى »

أتفهم طبيعة ولدك ؟

جريس آدمز

مختصرة من مجلة " سكريبنز "

إنه الطفل من أوساط الأطفال مخلوق تستبدُّ به الأثرة ، عنيدٌ ، نسّاءٌ ، قاس ، لا يخضع لمنطق ، وهو أيضاً كريه الدعابة فاسد الذوق. والطفل العادى يكون هو ما هو ، لا لأنهم أساءوا تربيته ، أو قمعوا مواهبهُ وشعورهُ بيد من حديد ، بل لأنه طفلٌ عادىٌّ وحسب. وقد يبلغ من مشابهة معظمنا له مبلغاً لا يسرّنا أن نقره أو نعترف به . ولولا التجارب التى غيرتنا على مرّ السنين لكنا أدنى شبهاً إليه . فحماية الطفل فى سنواته الأولى ، وتنحيته عن التجارب التى تصهره وتؤدبه ، إنما تمدُّ زمن خصائص الطفولة حتى يتجاوز الحد الطبيعى الذى تبدأ عندهُ فى التبدُّل إلى أن تصير خصائص أشدّ مطابقة لحياة الكبار .

بيد أن الطفل العادىّ متصف بفضائل توازى خصائصه الأخرى ، وإحداها أنهُ أقدر مخلوق حىٍّ على التعلم . ومن أقوى الدوافع المحرّكة له رغبتهُ فى محاكاة الكبار. فالمسألة التى ينبغى لنا أن نفصل فيها هى : من خير معلم للطفل — أهى التجارب الطارئة عليه والبيئة التى يعيش فيها وأصحابه من الأطفال ذوى الأفكار المبلبلة، أم الكبار من أهل الحكمة وذوى السلطان ؟

ولو سُئل الطفل نفسه لما ساورنى شك فى أنهُ يجيب بأنه يؤثر الكبار . أما الكبار الذين لهم عندهُ أعلى منزلة ، فهم أهل الثقة والحزم الشاعرين بقدرتهم وسلطانهم فى هذا العالم — الشرطى والمدرّسة الصارمة، والأب الحازم المغيظ . يدلك على ذلك ما تتبينه حين ترى صغاراً مستغرقين فى ألعاب المحاكاة التى يؤثرونها . فطبيعة الطفل الصادقة تتوق إلى أن يحفّ بها كبارٌ من أهل القوة والسلطان. وأنت إذا بحثت عن رغبة أصيلة يستوى فيها جميع الصغار وجدت أنها الرغبة فى الشعور بالاستقرار والأمان .

ومن التجارب التى تحمل كل طفل عادىّ على أن يرتعد ويصيح خوفاً ، شعورهُ بأنه فى خطر — كأن يسقط ، أو أن تحمله يدان ضعيفتان فيحسّ بضعفهما عن حمله ،

ظلت جريس أدمز مساعدة لطبيب نفسى سبع سنوات وتخصصت فى حل معضلات الصغار من أبناء الأغنياء، وقد ألفت كتاب: « علم النفس أهو علم أم خرافة » .

فإذا ما شبّ الصغار رأيتهم يستشعرون الخوف نفسهُ حين يجدون أنفسهم وحدهم بغير معين في بيئة لم يألفوها . أو بين جماعة من الأغراب ، والطفل يستشعر مثل هذا الكرب إذا ألفى نفسه بغير عوْن عقلي أو أدبي ، كأن يواجه حالة لا يُجديه في علاجها ما تعلمه من قواعد أو ما تعوّدهُ من عادات .

والأطفال يتشبثون أشد التشبث بما ألفوه . فالطفل الذي ألف قصة تروى لهُ على نحو بعينه يثور على راويها ، إذا ما انحرف عن الرواية التي ألِفها بمقدار كلمة واحدة . فإذا ما شبّ وصار قادراً أن يلعب مع لِداته ، تراهُ يأبى عليهم إلا أن يتبعوا كلّ قاعدة من قواعد اللعب مهما كانت سخيفة . وفي وسعك أن تحمله على أن يعمل عملا بغيضاً إليه ، وأن يستشعر اللذة في عمله ، إذا خلعت على العمل ثوب الفخامة والتعقيد .

وليس بغريب أن ترى طفلا يسألك أغرب الأسئلة ، بيد أنه يسألك هذه الأسئلة العجيبة ، لا لأنه ظامئ إلى معرفة كلّ جديد ، بل لأنه يودّ أن تؤيد ما يراهُ بعينيه أو يسمعه بأذنيه . فإذا ما سأل : « لماذا كانت المباني عالية » ؟ أو : « لماذا كان الثلج بارداً » أو : « لماذا كان الليل مظلماً دائماً » — فهو لا يفعل ذلك لأنه يريد تعليلا علمياً معقولا ، ولا هو يستزيدك حقائق عنها لا يعرفها ، ولكنهُ على الأكثر يتوسل إليك أن تجعله يطمئنّ إلى أن ما لاحظه بنفسه صدقٌ وحقٌّ . وحقيقة الأمر أنه إنما يقصد بهذه الأسئلة ما يلي : « أنا أرى هذه المباني عالية ، أفلا تراها أنت كذلك ؟ » و « هل يبلغ الثلج دائماً هذا المبلغ من شدّة البرد ؟ » و « حقاً إن السماء تظلم كلّ ليلة ، أليس ذلك كذلك ؟ » . وأبعث الأجوبة على رضاه ، كما تعلم المربيات والأمهات ، هو أن تقول له : « لأنها كذلك . إن المباني عالية لأنها عالية » ، وهكذا . فهذا الجواب خليق أن يعزّز شعوره بالطمأنينة العقلية ، لأنه يشعره بالثقة بأن ما يراهُ من رأى في هذا العالم مطابق لآراء الكبار الذين هم أعلم منهُ وأحكم .

والطفل مخلوق صغير تحيره الدنيا فيجدّ في سعيه إلى استكشاف كنهها ، وكيف ينبغي له أن يكون موقفه حيالها ، فهو أقلّ شغفاً بالحرية منهُ بالطمأنينة . وقليل من أطفالنا اليوم من تراهُ معرضاً لخطر القمع الشديد القاسي . والآباء الذين قرأوا عن عُقد النفس وخطر القمع ، حتى صاروا يخشون أن يؤدبوا أطفالهم ويخضعوهم للنظام ، إنما يسلبون الطفل شيئاً هو عنده أهم من الحرية وأنفس — إنهم يسلبونهُ شعور الطمأنينة الذي ينالهُ من اعتقاده أنه يعرف كيف يواجه كلّ حالة تطرأ عليه ، وكيف يلبس لها لبوسها .

آلافٌ مؤلَّفةٌ مِن الأسرار

س. لستر ووكر

مختصرة من مجلة "هاربرز"

كتب أحدهم منذ عهد قريب إلى قيادة سلاح الطيران الأمريكي يقول إنه علم أن أمريكا قد ظفرت بمجموعة من الأسرار الحربية الألمانية، وأن طائفة كبيرة منها معروضة للبيع، وطلب أن يرسلوا إليه كل ما عندهم عن المحرّكات النفاثة الألمانية. فردَّ عليه قسم وثائق الطيران في القيادة: يؤسفنا أن نرد طلبك ــ فزنة هذه الوثائق تبلغ خمسين طنًّا.

> في وسع من يريد أن يظفر الآن بهذه الأسرار الحربية النازية لقاء بضعة ريالات. والانتفاع بها يوفر سنوات من عناء البحث في شئون الصناعة والحرب.

وهذه الأطنان الخمسون ليست سوى جزءٍ يسير من الأخبار التي جمعت فبلغت مبلغاً ضخماً. وأنت ترى المختصين يفرزون مواد تزن عشرات الألوف من الأطنان، تكاد تشمل جميع أسرار ألمانيا النازية في العلم والصناعة والحرب، وهذه الأطنان تضم مليوناً من الأشياء التي تنبغي دراستها.

في سنة ١٩٤٤ أنشأ المجلس المشترك لرؤساء أركان الحرب طائفة من الجماعات المدنية العسكرية لتسير في أثر الجيوش الغازية، فتدخل ألمانيا وتجمع الحقائق الجوهرية للانتفاع بها في حرب اليابان في أول فرصة. وقد تمَّ على أيدي هذه الجماعات آيات عجيبة من الذكاء والجلد. وقد سمعت جماعة مؤلفة من رجلين إشاعة مؤداها أن الوثائق التي عهد إليها أن تجدها قد تكون مخبأة في جبل، فراد الرجلان تلك المنطقة بسيارة جيب، فعثرا ذات يوم على درب في غابة وقد علق على مدخله إنذار وتحذير من الألغام، فلم يثنهما ذلك عن اقتحام الطريق شبراً شبراً، فمرّا بسلام. ثم وجدا عند مدخل مخبأ مبني بالأبرق في سفح أكمة، إنذاراً آخر: «فتح المخبأ يحدث انفجاراً».

ويقول أحدهما: «فاقترعنا بقطعة من النقد على من يتولى فتحه، فربط الخاسر حبل السيارة بباب المخبأ وحبس أنفاسه وداس على كباس البنزين».

فنزع الباب من مفاصله ولكن لم يحدث انفجار، فوجدا ملفات الأسرار في المخبأ.

وقد أودع المكتب الألمانى لوثائق المخترعات بعض المخترعات السرية المسجلة فى جوف منجم فى هيرنجن عمقه ١٦٠٠ قدم، ثم كدس عليها أسطوانات ممتلئة بالأكسجين السائل . فلما وجدت هذه الوثائق لم تكن قراءتها متعذرة ، ولكنها كانت بالية يخشى عليها من التفتت ساعة يخرجونها من جوف المنجم إلى سطح الأرض . فأنزلوا إلى القرار جماعة ليصوروا هذه الوثائق حيث هى على فلم دقيق .

وقد أخذ بعض الوثائق من كهف هملر الخاص فى جبل فى هالين ، ومع أن جانب الجبل كان قد نسف فوق مدخل الكهف فانهال صخره وترابه عليه ، فقد عثر عليه الباحثون .

ولا يزال هذا البحث جاريا فى أوربة على قدم وساق ، وتتولاه جماعة عددها أربعمئة أو خمسمئة نفس . فترى فى مدينة هوخست مئة من الذين يختصرون فحوى الوثائق ، يسعون سعياً شديداً حتى يظلوا سابقين لأربعين آلة من آلات التصوير التى تصور كل شهر ما يزيد على ١٠٠,٠٠٠ قدم من الفلم الدقيق .

ومن الأسرار التى وقفوا عليها ، جهاز للأشعة تحت الحمراء صنعه الألمان للرؤية فى الليل ، والمولد الكهربائى الصغير الذى يدير ذلك الجهاز . فكان فى وسع قواد السيارات الألمانية أن يطلقوا العنان لسياراتهم فى الظلام الدامس ، وأن يروا الأجسام التى تبعد عنهم مئتى متر كأنهم فى رائعة النهار . وأما الدبابات المزودة بهذه الأجهزة فكانت تتبين الأهداف على بعد ميلين ، فإذا استعمل القناص الألمانى أحدها لكشف العدو، وزوده بمولد كهربائى يرفع قوة التيار الذى يسرى فى مصباح كشاف مألوف ، استطاع أن يُردى عدوه فى سواد الليل البهيم . وقد قال لى مرشدى : «وقد انتفع الأمريكيون بهذا السر فى معركة جزيرة أوكيناوى ، فذهل اليابانيون » .

وقد كشفت آلة لنسج الريون (الحرير الصناعى) تزيد الإنتاج ١٥٠ فى المئة بالقياس إلى سعة الأرض التى ركبت عليها آلات النسج ، وأما المنسج فيصنع جوارب لا تنسل . وثمة اكتشاف آخر هو أن تموج ألياف الريون بإضافة روتين السمك إليها ، فتصير كالصوف مظهراً ودفئاً ومقاومة للبلى .

ولعل أعظم طائفة من أسرار الصناعة كان ما وجدوه فى الشركة الألمانية العظيمة « إ . ج . فاربن إندسترى » وهى شركة لا يقتصر ما تصنعه على المواد الكيميائية والعقاقير والأصباغ وحسب ، بل تصنع أيضاً منتجات فلزية ، وتصنع المطاط الصناعى واللدائن . وقد قال أحد الأمريكيين من المشتغلين بصناعة الأصباغ : « إن هذه الأسرار تشتمل على

تركيب خمسين ألف صبغ أو أكثر ، وعلى أساليب صنعها . وكثير من هذه الأصباغ أجود وأثبت من أصباغنا ، وألوان طائفة كبيرة منها مما عجزنا نحن عن صنعه من قبل » .

إن تعقيم اللبن بالأشعة فوق البنفسجية قد منى بالإخفاق فى غير ألمانيا من بلاد الله، أما الألمان فقد اهتدوا إلى الوسيلة لتحقيقه باستعمال أنابيب مضيئة عظيمة الطول ، وإلى تعزيزه بڤيتامين « د » فى الوقت نفسه . وقد تم لهم أيضاً ما كان يعد مُنية كل رجل يصنع الزبد : آلة تصنع الزبد صنعاً مستمراً. واستحدثوا طرقاً جديدة لحفظ الطعام وتبريده ، وبلغوا فى إتقانها مبلغاً مكن الغواصات من أن ترحل من ألمانيا إلى المحيط الهادى وتقيم فيه شهرين تعمل ماتعمل ثم تعود إلى ألمانيا دون أن تحتاج إلى التزوُّد بالطعام . خذ مثلا على ذلك رغيفاً من الخبز الطازج خرج لساعته من الفرن ، فغُمس فى مادة من اللدائن ، ثم جفف ثم غمس ثانية ، ثم سخن نصف ساعة على حرارة ١٤٠ سنتجراد — فلو فضضت غلافه بعد ثمانية أشهر لوجدته صالحاً للأكل .

وقد قال أحد أطباء الجيش الأمريكى : « من الأسرار فى هذه المجموعة التى انتزعت من الألمان ،مايعدُّه الطب الأمريكى مراحل انقلاب — كالأسلوب فى الألمانى علاج الذين يتعرضون للبرد زمناً طويلاً ، وهذا التعرض مميتٌ فى الغالب » .

فى أثناء البحث الذى أفضى إلى هذا الاكتشاف ، أميط اللثام عن أن المجربين النازيين عرّضوا للبرد سبعة من معتقلى داخاو حتى جمدوا فماتوا ، ولكن هذا الأسلوب الألمانى غيَّر معظم الآراء الطبية فى هذا الموضوع . ففى كل تجربة كللت بالنجاح من هذه التجارب المخيفة ، كان الرجل الذى يجمده البرد يغمس على الفور فى ماء ساخن . وهذه هى الطريقة التى أخذ بها الطب اليوم بوجه عام .

وقد كشف أهل البحث الطبى من الألمان طريقة لصنع بلاسمة الدم بالتركيب الكيميائى للتجارة ، وهى كفيلة بأن تبقى على الإنسان رمَقه حتى يسعف بالعلاج فى مستشفى . وقد وفق الألمان دون غيرهم إلى صنع مقادير كبيرة من الأدرينيكروم (وهو نتيجة أكسدة الأدرينالين) فانتفعوا به انتفاعاً موفقاً فى مكافحة ضغط الدم العالى .

وليس ثمة ماهو أعظم أثراً فى المستقبل من الأسرار التى كشفها الألمان عن قوة القذائف الصاروخية والقذائف الموجَّهة . وقد صرح خبراء سلاح الطيران الأمريكى

بأن النازى كانوا فى ذلك الميدان سابقين لأمريكا بعشر سنوات .

فيوم انتهت الحرب كان عند الألمان ١٣٨ ضرباً من القذائف الموجَّهة تصنع فى المصانع أو تدرس فى معامل البحث ، وهى تنتفع بكل وسيلة معروفة من وسائل السيطرة عن بعد والتفجير عن بعد. فقذيفتهم المرقومة «ا — ٤ صاروخ» كانت فى طريقها إلى الإنتاج الوافر يوم وضعت الحرب أوزارها ، وكانت زنتها ٢٤ ألف رطل ، وتقطع ٢٣٠ ميلا ، وترتفع ٦٠ ميلا فى الفضاء ويبلغ أقصى سرعتها ٣٧٣٥ ميلا فى الساعة ، وكانت تسدَّد بالراديو ، أو تستعين بأجهزة من نوع الدوَّامة (جيرسكوب) فتسدِّد نفسها إلى الهدف . ولما كانت سرعتها أعظم من سرعة الصوت ، فما كان أحد يسمع صوتها قبل أن تنقضّ . أما «الصاروخ ا — ٩» الذى كان فى دور الإعداد ، فكان أضخم منها — زنته ٢٩ ألف رطل — وكان مداه ٣٠٠٠ ميل وكانت سرعته التى لا تصدق ٥٨٧٠ ميلا فى الساعة .

وقد بدأ الألمان يصنعون قاذفة بعيدة المدى تحركها الصواريخ ، ولكنهم لم يتمّوها لأن الحرب انتهت بأسرع مما كانوا يتوقعون. ولو تم صنع هذه القاذفة لكانت قادرة أن تطير من ألمانيا إلى نيويورك فى أربعين دقيقة ! وقد صممت ليقودها طيار جالس فى حجرة يماثل ضغط الهواء فيها ضغط الهواء قرب سطح الأرض ، ولتركب متن الهواء على ١٥٤ ميلا فوق سطح البحر . وكان الألمان يأملون أن يدمِّروا أية مدينة على سطح الأرض فى بضعة أيام متى تمّ لهم صنع مئةٍ من هذه القاذفات .

لم تكد تنقضى عشرة أيام على تسليم اليابان حتى أمر الرئيس ترومان بأن تنشر الأسرار الحربية التى انتزعت من الألمان ، وأن تنشر أيضاً الأسرار الحربية الأمريكية العلمية والصناعية التى فى يد مجالس الحرب الأمريكية اللهم إلا القليل منها . وسوف يستغرق إعداد هذه المواد للانتفاع العام بها سنوات كثيرة . وقد عمد مكتب الخدمات الفنية إلى نشر بيان أسبوعى يدل على ما صار متاحاً منها ، ويمكن الظفر بهذا البيان مقابل اشتراك معين.

وقد بلغ الطلب من رجال العلم والهندسة والصناعة والتجارة مبلغاً عظيماً ، ومعدل ما يطلب كل يوم بلغ ألف مادة . فشركة بندكس تطلب اختراعاً لتغيير الأسطوانات، ومطاحن بلزبرى تطلب أساليب الألمان فى إنتاج الدقيق والخبز ، وشركة كندل تطلب المركّبات التى تطرد الحشرات . أما الهيئة التى لا يشبع لها نهم فهى هيئة

« أمتورج » ـــ هيئة التجارة الخارجية للاتحاد السوفيتى ، فقد أرسـل الروس فى شهر مايو طلباً واحداً قيمته ٥٥٩٤ ريالا ونصف ريال ـ ثمن ألفى تقرير من تقارير الأسرار الحربية . ويكادون يشترون دون استثناء كل تقرير ينشر .

وقد اطلع أحد رجال الصناعة الأمريكية على التقرير الكامل عن صناعة الألياف الصناعية فى ألمانيا فقال :

« إن قيمة هذا التقرير فى نظر شركتى تعدل ٢٠ مليون ريال ، لو أتيح لها أن تستأثر به دون غيرها » .

ولكن كل امرىء يستطيع اليوم إذا أراد ، أن يظفر بهذا التقرير وغيره من الأخبار التى كانت أسراراً مكتمة ، لقاء بضعة ريالات . فجميع الأسرار الحربية تصبح ، ساعة تنشر ، ملكا مشاعاً لكل طالب من أىّ أمة كان .

****

هم الفنانه

هذه قصة حدثت يوم الزلزال الكبير فى مدينة سان فرنسسكو منذ نحو أربعين سنة ، فقد استبدّ الذعر بنزّال فندق سان فرنسيس ، الذى هزه الزلزال فجعل يميد كأنه صارى سفينة فى بحر مضطرب ، فأخذوا يفرّون ، وإذا برجل يهرول نازلا على السلم الكبير ، وقد تجلّى الرعب فى عينيه الواسعتين وعلى جبهته ، ولكنه ظل مع ذلك يدمدم : دو ، رى ، مى ، فا ، صول ... ثم يعيدها .

وهرعت سيّدة إلى كاتب التسجيل وصاحت به : « انظر إلى هـذا الرجل ـــ لقد جُنّ ، فخير لك أن تأمر بنقله إلى المستشفى على عجل » .

فرد الكاتب عليها : « ياسيدتى العزيزة، هذا الرجل هو المغنى العظيم كاروزو، وكلُّ مابه أنه لا يزال يمتحن صوته خشية أن يفقده فى هذه الكارثة التى ألمت بنا» .

للضوء ضغط !

لو كان فى الوسع أن تسخن قذيفة مدفع حتى تصير حرارتها كحرارة جوف الشمس ـــ ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ درجة ، لكان ضغط الضوء الذى تشعُّـه كافياً لطرح أى رجل على الأرض متى صار على ٥٠ ميلاً منها .

[روبرت ريلى فى كتابه « صدق أو لاتصدق »]

وصفة عالم نفساني لإكسير الشباب

يستطيع عقلك أن يحفظ عليك شبابك

جورج لوتون

مختصرة من
"ذي أميريكان مجازين"

إنه الخوف من الشيخوخة يستطيع أن يستولى عليك فى أى سن تقريباً. ولما كنت عالماً نفسانياً مختصاً بمسائل الشيوخ، فإنى وجدت أن عدداً كبيراً ممن يستشيرونني لا يزالون فى العقد الرابع من عمرهم، وهم رجال ونساء يقلقهم شبح الشيخوخة المقترب، ويودّون أن يعرفوا كيف يردّونه. والذى أقوله لهم يمكن أن يقرأه وينتفع به أى واحد فيما بين السابعة عشرة والسبعين من العمر، إذا سرّه أن يظل شاباً.

على أنه قد يحسن، قبل أن أفضى إليك برأيى، أن نعرّف بعض الألفاظ. فالسن لا تقاس بعدد السنين التى عشتها، والزمن بحساب حياة الأبدان غير الزمن بحساب الساعة. وكلما تكدست الأعوام، أبطأ حساب الأبدان، وكلما علت سنك، أبطأت شيخوختك. وبدنك لا يتغير فيما بين الثلاثين والأربعين بقدر ما يتغير فيما بين الخامسة والعشرين والثلاثين، ولا فيما بين الخامسة والخمسين والخامسة والسبعين كما يتغير فيما بين الأربعين والخامسة والخمسين.

وسبب آخر يجعل التقويم غير ذى دلالة صحيحة على السن، ذلك أن أجزاء مختلفة منك تشيخ بسرعة متفاوتة، فلعل عينيك بدأتا تهرمان فى العاشرة، وسمعك يثقل حوالى العشرين، وعسى أن تكون قوة عقلك وقدرتك على الاستجابة للمؤثرات، أو قوى تناسلك، قد جاوزت ذروتها فى نحو الثلاثين.

غير أن عقلك لا يزال فى شبابه وماضياً فى النمو وأنت فى الخمسين، وهو لا يبلغ ذروته إلا بعد عشر سنوات أخرى. ومن الستين فصاعداً تأخذ قدرة عقلك فى الهبوط ببطء شديد إلى سن الثمانين.

وفى الثمانين من العمر تستطيع أن تكون

منتجاً من الوجهة العقلية كما كنت في الثلاثين، ومن حقك أن تكون أوفر معرفة وعلماً. وكثيراً ما يعاني الكبار بعض الضعف في الذاكرة، ولكن الخيال المنشئ لا يهرم. وفضلا عن ذلك فإننا مع ارتفاع السن تنمو بصيرتنا ويتسع نطاق إحاطتنا بالأمور، وتزداد قوى الإدراك والتقدير. وبفضل ذخيرتنا من التجارب تعظم مقدرتنا على تدبير الحلول للمسائل العويصة، وباختصار نستفيد الحكمة، وهذا هو السبب في أن الطبيب الهرم، ورجل القانون المحنك، والصانع المجرب يستطيعون عادة أن يثبتوا أمام منافسيهم الذين هم أصغر منهم وأنشط.

ولا تخطئ فتخلط بين قلة نضج العاطفة وبين الشباب الصحيح، فإن الشاب حقاً هو الناضج. أما الذين يأبون — من الرجال والنساء — أن تنضج عواطفهم، فإن هؤلاء هم عادة أول من يهرمون. والسبب في أن بعض الناس حين يكبرون، يرتدون إلى طفولة ثانيــة، هو أنهم لم يشبُّوا قط بالمعنى الصحيح عن طفولتهم الأولى، وليس تكلُّفك أن تبدو أصيح جداً مما أنت إلا دليلا محققا على أنك لم تنل حظك من نمو العاطفة.

ووصفتي للاحتفاظ بالشباب بسيطة: احصر خواطرك فيما بقي منك شابًّا نامياً، عقلك. أبق عقلك متنبهاً تظل شاباً أبداً. وهذه أيام حافلة بما يحرك النفوس، فوجه عنايتك إلى العالم المحيط بك، واحرص على أن تتعلم كل يوم شيئاً واحداً جديداً على الأقل.

وأهم من ذلك أن لا «تستقرّ». وقد ألف العلماء النفسانيون أن يروا ضربين متناقضين من الشخصية يظهران في منتصف العقد الرابع من العمر. فبعض الرجال والنساء، وإن كانوا مهتمّين بأسرهم وأعمالهم، لا يفتأون يوسعون نطاق اهتمامهم فيتتبعون الصحف والمجلات، ويشغلون أنفسهم بالهوايات المنتجة، مفضلين منها ما يحتاج إلى أيديهم فضلا عن عقولهم.

وثم ضرب آخر من الناس يشرع في الخامسة والثلاثين، في السير على نهج ممل ولكنه مريح، فهو يقوم بعمله يوما بعد يوم، ويرجع إلى بيته، ويتعشى، ويلقى نظرة على صفحة الألعاب الرياضية أو نبذ الفكاهة، ويستمع قليلا إلى الراديو، ثم يأوي إلى فراشه، وتقوم زوجته بشئون البيت، وتتعهد الأطفال، وتصغي إلى الروايات الرخيصة، وتقرأ أحياناً قصة غرامية، وتذهب إلى النادي للتسلي.

فأما الذين هم من الضرب الأول فيزدادون شباباً على ارتفاع السن، وأما الرجال

والنساء من الضرب الثانى فهؤلاء قد بلغوا شفا الهاوية ، فإذا لم يغيّروا ما بهم ، فإنهم يهرمون وهم فى الخامسة والأربعين .

وبغض النظر عن سنك ، فإن الفرصة التى تجعل حياتك أمتع لم تفتك بعد . أعرف سيدة استطاعت فى الخمسين من عمرها ، ومن غير أن تكون لها تجربة سابقة ، أن تصبح رسامة بارزة . وأعرف مهندساً كهربائياً متقاعداً صار فناناً خبيراً بصناعة الفخار عالى الأجر . ومن زبائنى امرأة فى السبعين توهم أبناؤها أنها ينبغى أن تضع نفسها على الرفّ ، بيد أنها صارت تدير مدرسة ناجحة للطبخ تعلم فيها الزوجات .

ونحّ عن ذهنك الظن بأنك فى أى سن أكبر من أن ترجع إلى المدرسة : أعرف رجلا دخل كلية الطب وهو فى السبعين ، ونال إجازته مع درجة الشرف ، وأصبح طبيباً مشهوراً . ودخل رجل آخر مدرسة الحقوق فى الحادية والسبعين ، وهو الآن محام نشيط . وعادت امرأة فى كاليفورنيا — فى الحادية والتسعين من عمرها — إلى المدرسة لتتلقى منهجاً فى تاريخ أمريكا . وأعرف امرأة تعلمت التصوير فى السابعة والسبعين ، وأقامت معرضاً خاصاً بها فى الثمانين ، وهى الآن فى السادسة والثمانين ولا تزال ماضية فى عملها . فالوقت الذى يتيح لك أن تضيف كفاية جديدة ، إلى ما لك الآن من كفايات ، لا ينتهى أبداً .

ومن السهل — بغض النظر عن عدد السنين — أن يحتفظ بالشباب أولئك الذين يتطلعون إلى المستقبل ، وفى وسعك أن تفعل ذلك إذا عنيت بأن تجرب . فاحرص على أن يظل عقلك مستيقظاً ونشيطاً . وهذا هو إكسير الشباب الوحيد المضمون الأثر .

قوة الملاحظة

أراد أستاذ جامعة أن يبين لطلابه قيمة قوة الملاحظة ، فأعد ملء كأس من مزيج يحتوى على الجاز والخردل وزيت الخروع ، ثم غمس إصبعه فى هذا المزيج الكريه ولعقها بلسانه ، ثم أمر بأن تُدار الكأس على الطلاب وأن يفعل كلٌّ منهم ما فعله هو ، فبان الاشمئزاز فى وجوههم . فلما عادت الكأس إليه قال : « ياسادة ، أظنُّ أنكم لم تنتفعوا بما فُطرتم عليه منْ قوة الملاحظة . فالإصبع التى غمستها فى المزيج كانت غير الإصبع التى لعقتها » . [ولفرد جرنفل]

رأيتُ ملكَ الجحيم

هاريسون فورمان

مختصرة من مجلة "هاربرز"

ظللت سنوات وأقاصيص السحر في أرض التبت المحرمة تستهويني وتفتنني ، فلما انتهى عملي في بيع الطائرات الحربيـة للحكومة الصينية ، اعتزمت أن أمحص هذه الأقاصيص،وجهزت بعثة للتصوير السنمائي ، وسافرت بها إلى التركستان الشرقية الصينية ، ثم أفضينا إلى جبال التبت . وكنت قد اصطحبت معي شابين فقتلهما رجال العصابات ، ولكني وجدت لي صاحباً ودليلاً هو ساحر شيخ من أهل التبت اسمه « شيراب » . وقد عدّني من قرنائه في السحر ، لما رآه من براعتي الخارقة في طرد الأرواح الخبيثة عن الأبدان بالأملاح المسهلة وزيت الخروع والمراهم والمساحيق ، وأخذ يلقنني بعض أسرار فنون السحر في التبت .

تنكرت في زي ساحر من أهل التبت ودخلت الغابة المقدسـة في رادجا جومبا مع الشيخ شيراب ، فإذا أمارات الفزع تتجلى عليه ، فلو انكشف تنكري فلربما أقدم زملاؤه السحرة على قتلنا جميعاً .

فعاهدته قائلا: « إذا حاق بنا مكروه فثق بأنني سأقسم بأغلظ الأيمان على أني لم أرك قط من قبل » .

وبلغنا ، والشمس تميل إلى الغروب ، رقعة جرداء في الغابة حيث جلست حلقـة من السحرة يسودهم الصمت ، ولا يسمع لهم إلا همس بين الحين والحين ، وبذلنا ما استطعنا حتى لا نثير ريبتهم ، واتخذنا لنا مكاناً في الحلقة ، فما زادوا على أن ألقوا إلينا نظرة عاجلة ، فكدت أحسّ برفيقي وهو يتنفس الصعداء . وأخـذت أنعم النظر في أقرب السحرة إليّ عن يساري ، فرأيت له وجهاً دمياً قذراً ، وضفائر من شعر أسود معقودة على رأسـه كالثعابين ، وخيل إليّ أنها مباءة تألفها جميع صنوف الهوامّ . وكانت له عينان سوداوان كالفحم شاخصتان ثابتتان تنظران في جوف الفضاء نظرة المنوّم.

وهـذا الساحر هو وسائر إخوانه من

هاريسـون فورمان من الرواد الأميركين الذى جابو مجاهل آسية وكتبوا عنها .

أتباع « البونيـة » وهى مذهب وثنى كان سائداً فى التبت قبل البوذية . وعمل رجال الدين (اللاما) فى البوذية هو الوساطة بين البشر وآلهة الخير ، وأما عند البونية فعملهم هو استرضاء آلهة الشر وتسكين غضبها . وماسعيت إلى هؤلاء السحرة إلا لأشهد هذه الأرواح الشريرة وهى تتجسم على الأرض .

وأخذت رياح المغيب تعول بين أوراق الشجر كأنما تعلن قدوم الآلهة المخيفة التى يترقبها الحاضرون ، أما أنا فكنت لشكى وريبتى فيها واثقاً بأن قدومها لن يتحقق .

ثم انفلت من فرجة بين الأشجار رجل طوال مهيب الطلعة هو دروك شم الساحر الأكبر ، ودخل الساحة ورَقِيَ حجراً عالياً وتربّع فوقه ، واستقبلنا بوجه صامت ونظرة نافذة لا يفوتها شىء حيثما امتدت . ولاحظت أن فوق الحجر عن يمينه عظم فخذ بشرى وعلى يساره جمجمة إنسان .

وأطبق الغسق ومرّت لحظات خيم علينا فيها صمت عميق . وكأنما رأى السحرة إشارة — ولو أننى لم أر أنا شيئاً — فإذا بهم يبدأون فى التمايل إلى الأمام وإلى الخلف ، وهم يرتلون ثلاثاً بصوت أجش كلمة واحدة هى — يامنتا كا ! . يامنتا كا ! . يامنتا كا ! .

إذن فإن أول من يستحضرونه من آلهتهم هو الإله ياما ملك الجحيم .

وبعد أن ردّد الجمع تلك الكلمة ثالث مرة رفع الساحر الأكبر العظم البشرى إلى شفتيه ، فإذا هو بوقٌ انبعثت منه نغمة حزينة سرت فى أرجاء الغابة ، ثم رفع الجمجمة فإذا هى كأس شراب . وكان الشيخ شيراب قد بصّرنى من قبل بمغزى ما أراه من شعائر ، ففهمت معنى شرب الساحر من الجمجمة ، إذ إنهم ألفوا منذ قديم الزمان أن يقدموا قرباناً من البشر للآلهة ، فالسائل الذى شربه الساحر الأكبر لم يكن إلا دماً بشرياً .

ووضع الساحر الأكبر كأسه وعاد السحرة إلى ترتيلهم :

— يامنتا كا ! . يامنتا كا ! . يامنتا كا ! .

وطأطأ الجميع رؤوسهم وحذوتُ حذوهم وإن أخذت أراقبهم بطرف عينى وأنا منتبه أريد أن أكتشف حيلهم ، وأسائل نفسى : ترى كيف يبدأونها ؟ فإذا كنت غير مؤمن بالجن والشياطين ، فأنا أضعف إيماناً بأنهم يظهرون للناس . وعقدت العزم على أن أقوم طوال هذه الشعائر بدور العالم الباحث عن الحق . ونفخ الساحر الأكبر مرة أخرى فى البوق وشرب من الكأس ، وزاد تمايل السحرة وهم يرتلون :

— يامنتا كا ! . يامنتا كا ! . يامنتا كا ! .

وأسرعوا فى تمايلهم درجة بعد درجة ، وأخذت أنا أيضاً أتمايل وأرتل معهم ،

فأحسست بأن شيئاً قد تغلغل فى جســدى وخالط دمى . ولست أدرى كنه هذا الشىء، ولكنى أحسست بوجوده فىّ ، وأصبحت أقل بعداً من الشك والريبة ، وأكثر قرباً من السحرة الذين زعمتُ أنى واحد منهم. فلما أحسست ذلك غضبت ، إذ كنت أرفض أن أترك نفسى تستجيب للتنـويم ، فأرى أشياء يحكم عقلى بأنها لا يمكن أن تحدث .

ولم أجهـل أننى قد أستجيب للتنويم ، وكان تفسير كل ما يحدث فى الغابة المقدسة مردُّه — فى اعتقادى — إلى هذا التنويم. ولكن من أى نوع هو ؟ هل هو تنويم الجماعات ؟ أترانا نرى نحن جميعاً أشـياء تتمثل فى ذهن رجل آخر ؟ أم هو الإيحاء الذاتى فيرى كل منا ما يجول بذهنه هو وحده؟

وبدأ ينبعث من أفواه الحاضرين صوت أجش وهمهمة خافتة رتيبة فقلت لنفسى: «ليت شعرى أتراهم يعرفون طريقة أمثل من هذه الهمهمة تمهيداً لتنويم أحد من الناس ؟ ولكن من يدرينى لعل تمنُّع الشيخ شيراب عن مصاحبتى إلى الغابة لم يكن حيلة وخداعاً ، ولعل السحرة لا يبغون تنويمى حتى أخرج إلى النـاس فأروى لهم الأعاجيب عن بلاد التبت » .

واستمر الترتيـــل الرتيب ، وبقيت الرؤوس مطأطئة ، فشعرت بجسمى يدبّ فيه الخدر، ولكن هيهات لهم أن يخدعونى ، فكل ما حدث حتى ذلك الوقت إن هو إلا مقدمات التنويم، فهو تنويم ساذج بسيط.

ثم تبين لى أننى غير منصف ، فكيف أمنى النفس بالوقوف على شعائر سحرهم ، وأنا صارف عنها بصرى وسمعى وإحساسى؟ أفليس من الجائز استحضار الجن إذا كانت هناك جن ؟ ومن أكون أنا حتى أسمح لنفسى بالشك فى أقوال أهل التبت ؟

فتنبهت ، وتلفت حولى متحيراً ، فلم يبق لى سبيل إلى أن أنكر أن شيئاً عجيباً لم أعهد مثله فى حياتى قد حلّ بالغابة المقدســة ، وأحسست أن هذا الشىء العجيب قد تملك جسدى كأننى أصبحت فى قبضـة أيدٍ خفية على رغم منى . فجاهدت أن أتملص من قبضة هذا الإحساس ، ولم يمدّنى علمى فى تفسير تلك الظاهرة .

ونظرت إلى الساحر الأكبر وهو على الصخرة ـ إنه رجل مقدّس مَرْهوبٌ ، وأدركت أنه يجاهد للسيطرة علىّ وعلى باقى الحاضرين ، وَهَبَّتْ إرادتى تمانعـــه ، وتملكنى شعور واضح بهذه المعركة الناشبة بيننا ، وكأن أرواحنا قد فارقت أجسادنا وانتقلت إلى وسط الساحة واشتبكت معه فى صراع ذَوداً عن اختيارها وإرادتها .

وركزت تفكيرى فى صدّ سلطان هذا

الساحر الأكبر، وبذلت فى ذلك غاية جهدى، ولكن أفكارى أخذت تشرد شيئاً فشيئاً إذ علت همهمة المرتلين حولى ، وسرى إيقاعها الرتيب فى عروقى ، وفى عقلى ، وفى روحى :

يامنتاكا ! . يامنتاكا ! . يامنتاكا ! .

ثم أخذ السحرة يتمايلون على مهل ذات اليمين وذات اليسار ، وترتيلهم يرتفع درجة بعد درجة ، وجعلت أتذكر كل ما قاله لى الشيخ شيراب عن المشهد الذى سوف أراه . نعم ، سأبصر ياما ملك الجحيم وحاشيته وأتباعه من الجن والشياطين . وجعلت أرقب الرقعة التى ينتظر أن تظهر فيها الشياطين ، كما يزعم السحرة ، وأنا أحاول أن أرى أشياء يحكم عقلى بأنها غير موجودة.

ولا أعلم ماذا كانت عدسة التصوير خليقة أن ترى ، لو أردت أن أسجل بها مايحدث أمامى ، ولكن الذى أعلمه هو شيء ظننت أنى رأيته . نعم ، رأيت ياما ملك الجحيم وهو يتضح أمامى شيئاً فشيئاً . ولم يكن مجيئه من بين الأشجار ، فهو ليس إنساناً متنكراً من أهل التبت . نعم لم يكن شيئاً موجوداً ، وكانت الساحة خالية منذ لحظة ، ثم إذا به يظهر شيئاً فشيئاً حتى صار ماثلا أمام عينىّ.

ولقد رآه جميع السحرة فى وقت واحد ، فازدادت همهمة ترتيلهم حدّة فوق حدّة . ولم يكن ما تراه عيناى أضغاث أحلام ، فها أنذا أرى من وراء الساحر الأكبر أشجار الغابة الباسقة وأرى السحرة أيضاً ، وأرقبهم عن عمد لأختبر يقظتى . وخصصت بانتباهى الشيخ شيراب وهو جالس إلى جانبى وقد تلوّت على رأسه كالثعابين جدائل شعره الأسود التى يبلغ طولها ١٤ قدماً . ولكن ها هو ياما يلبى نداءنا ويظهر أمامنا ووجدت نفسى أرتل ، ككل ساحر آخر فى الحلقة ، بإيمان وبأعمق صوت أستطيعه : ياماتتاكا !

وكان أول مارأيت منه هو عيناه الشاخصتان الجاحظتان ، وما هو إلا أن رأيتهما كأنهما عينا رجل ربْعة لا بالطويل ولا بالقصير تحدقان فينا بنظرة ملؤها الشرّ وحب الأذى . وتجمع حول العينين ضباب عجيب أخذ يتحول ويتشكل شيئاً فشيئاً ، فإذا هى أذرع ياما التى بلغت عدتها أربعاً وثلاثين ذراعاً وأربعا وثلاثين يداً ، تمسك كل يد منها بآلة من آلات الدمار .

وبدأت رأسه أم الرؤوس تتشكل حول العينين ، ثم تشكلت بقية الرؤوس حتى بلغ عددها تسعاً ، يلفّها جميعاً لهيب أزرق شفاف لا تنفك ألسنته تتراقص حولها وتتواثب . ثم تجسمت الأكتاف ، يتدلى

من كل كتف عنقـود من جماجم بشرية تصطك لأقل هزة اصطكاكا مخيفاً .

وأخذت أرتعش وحوّلت نظرى عنه ، فلما أعدته إلى الساحة ثانية توقعت أن يكون ياما قد اختفى ، ولكنى رأيته أمامى يحدق فىّ بعينيه الجاحظتين ، وتبدت لى حينئذ شفتاه فإذاهما غليظتان تتفجر منهما الشهوة ، وكانت أسنانه كأنياب وحش لا عهد للأرض بأمثاله .

ولم يكن ياما إلا مقدمة الركب ، إذ تبعته بقية الشياطين ممن هم أقل منه مرتبـة ، وتبينت شيطان الشهوة — ويطلق عليه الشيخ شيراب اسم « نجووه نوخ » — وهو شيطان يتلوى ويعبر تثنّيه عن حركات الذكور والإناث فى فورة الشهوة ونزواتها . وأخذ يرقص أمامنا ، فإذا عناق الحب يبدو لأعيننا فى منظر كريه فاجر مخيف . ثم جاء بعده شيطان الجوع وقد بدت ضلوعه من تحت جلده ، وتبعه شيطان الغضب ، وهو خلق لا قوام له ، وله وجه دميم ممسوخ من شـدة الغضب ، وله جثة تتلوى ولا تثبت على حال كأنه أحد تلك الثعابين المعقودة على رؤوس السحرة . وظهرت أنواع أخرى من الجن والشياطين ثم إذا ملك الجحيم ياما يبدأ رقصة مخيفة كأنها خير ختام لهـــذا الاحتفال العجيب ، وهى أشد رقصاته بشاعة ونكراً ، فقد أخذت عناقيد الجماجم المدلاة من أكتافه تهتز وتتقارع ، وأتى بحركات يقلدفيها ساخراً مختلف آلام البشر . وخلت حينئذ أن أبخرة الموت تفعم خياشيمى .

وسألت نفسى : « ماذا عسى أن يحدث لو عجز هؤلاء السحرة عن كف شر تلك الشياطين بعد أن أتوا بها ؟ » جعلتنى هذه الفكرة وحدها أتصبب عرقاً من رأسى إلى أخمص قدمى ، إذ أصبحت أعتقد أن ياما وأتباعه حقيقةمماثلة لحقيقة وجودى، وأيقنت أن ياما إذا أفلت من قبضة السحرة ، فإن الهلاك سيحيق بالتبت كلها .

وفجأة أحسست أن زملائى السحرة قد اضطربوا وتوترت أعصابهم لهـذا الخاطر نفسه ، فقد أخذت الشياطين تحاول الفكاك من أسر القوة الخفية التى تخضعهم ، وجمع السحرة عزمهم معاً لمصارعة الشياطين . وكنت لا أزال أقول إن هذا الذى أبصرته ما هو إلا من قبيل تنويم الجماعات أوالإيحاء الذاتى ، ولكنى وجدت نفسى مع هـذا أجاهد أيضاً لأضم عزمى إلى عزم السحرة حتى تقوى على صدّ طغيان هؤلاء الشياطين وكدت أهم برفع يدىّ لكى أصد الشياطين ، وأدفعها ، لولا أننى أيقنت أنهما لا تغنيان فى ذلك شيئاً ، وإنما هى روحى وحدها التى تقوى على ياما ملك الجحيم وأشياعه . وبالرغم

من كل ما زعمته عن نفسى من قبل ، لم أكن حينئذ إلا كواحـد من السحرة ، لافرق بينى وبينهم ، فكلنا على قلب رجل واحد فى قتال هذه الشياطين . أترانا نحوز النصر فى هذه المعركة ؟ وخيل إلى أن دهراً طويلا قد انقضى قبل أن يتضح لى جواب هذا السؤال ، فلما اتضح شعرت بهزة فرح تدبُّ فى كيانى .

وبدأ ياما يضمحل شيئاً فشيئاً ، وخلت أن قد مر دهر حتى اختفى ياما عن ناظرى كل الاختفاء ، ثم تبعه « نجووه نوخ » وشيطان الجوع ، وشيطان الغضب، ثم لحقتهم بقية الشياطين على مضض ، وخلفوا وراءهم جمعاً من السحرة يواجه الساحر الأكبر دروخ شيم المتربع فوق الصخرة ، وتملكنى الشعور بأن جمعنا لوكان ينقصه رجل واحد، لهان على ياما أن يتغلب علينا .

وتجنبت النظر إلى الآخرين ، إذ كنت أرتعد ، وظللت جالساً مخدر الجسم من هول مارأيت ، إلى أن قام السحرة ودخلوا الغابة واختفوا فى ظلام الليل واحداً إثر واحد كما جاؤوا . ولم يبق معى إلا الشيخ شيراب فسألى بصوت مضطرب «مارأيك الآن؟» فأجبته : « ياصديقى ، إننى لا أدرى . أظن أننى رأيت ياما وأشياعه ، فأنا فى هذه اللحظة واثق أننى رأيتهم بعينى فوجدتهم كما وصفتهم أنت لى ، ولكنى لا أدرى ماذا يكون رأيى غداً » .

ولا تزال تلازمنى إلى اليوم ذكرى تلك الأطياف التى رأيتها فى الغابة المقدسة . ولست أؤمن بوجودها ، ولكنها تبدت لعينى حينما كنت تحت سلطان هذا الجمع المتمايل من السحرة ، وما زلت أقول إنه كان فى غبش تلك الغابة « شىء عجزت عن تفسيره وأنا اليوم أشد عجزاً » .

جواب لاذع

كان فى نادى الممثلين فى نيويورك رجل يُعد من أثقل الثقلاء ، فلقى فى أحد الأيام أوليفر هرفرد الممثل فقال : « لقد أُهِنت يا أوليفر أعظم إهانة ، فقد مررت لساعتى أمام تلك الجماعة الجالسة هناك ، فطرق سمعى قول أحدهم إنهُ ينزل عن خمسين ريالا لى ، لو رضيت أن أستقيل من النادى » ، فقال هرفرد : « لاتقبل مبلغاً دون مئة ريال ، وستظفر به لامحالة » .

[نيويورك تايمز]

أواثق أنت من أنك تحب ؟

مختصرة من مجلة " لوك "

كيف تعرف أنك تحب ؟ وهل اخترت أليفك الملائم لك ؟ يقول أهل الرأى إن ازدياد نسبة الطلاق بعد الحرب زيادة مخيفة تدل دلالة واضحة على ازديادها فى السنوات العشر القادمة . ومع ذلك فعندنا الآن خبير فى مسائل الزواج يستطيع أن يعرف معرفة دقيقة كيف تكون حياة شخصين بعد الزواج ، وذلك بأن يستعين باختبار الشخصية ودراستها وتحليلها .

وهذا المستشار هو الدكتور كليفورد أدمز مدير مكتب الاستشارات الزوجية بمستوصف التعلم النفسانى التابع لكلية ولاية بنسلفانيا . وقد جهد الدكتور أدمز أن يساعد بنفسه أكثر من ٣٠٠٠ زوج من الشبان والشابات ويجنبهم الأخطاء التى تعصف بحياة كثير من الناس وتودى بزواجهم . ويقترح المستوصف القواعد الآتية لمن يزمعون الزواج : يجب أن تكون خصالهما متشابهة، وأن يكونا من بيئة واحدة، ودينهما واحداً ، وأن يستلطف كل منهما أصدقاء صاحبه ، وأن يكون ميلهما إلى أنواع متشابهة من الرياضة ، وأن يهتم كل منهما بعمل رفيقه ، وأن يتزوج الحيىّ من الرجال امرأة حييّة مثله ، وأن يتزوّج الحسن العشرة بامرأة مثله .

وهو يحذر الناس من الزواج المختلط بين المختلفين فى الدين والبيئة والعنصر ، فإن نسبة الإخفاق فيه كبيرة .

وقد صنّف الدكتور أدمز فى كتابه « كيف تختار رفيقاً » قائمة الأسئلة الآتية التى يستطيع بها شخصان أن يقررا مقدار اتفاقهما فى المشارب والأهواء ، وما يرجى لزواجهما من طول البقاء .

١ : أأنتما سواء فى القدرة على حسن المعاشرة ؟ ... ... نعم ، لا

٢ : أأنتما من أصحاب الجد والمثل العليا أم أنتما من المتساهلين الذين يقنعون بالممكن ؟ ... ... نعم ، لا

٣ : هل يجد (أو تجد هى) رضى النفس فى عمله (أو عملها) ؟ ... نعم ، لا

٤ : هل هو (أو هى) فوق العشرين أو أقل

من الأربعين ؟ وهل كان متزوجاً فانفصل بالطلاق ؟ ... ... نعم ، لا

٥ : هل يعده (أو يعدّها) المعارف والأصدقاء شخصاً يعتمد عليه ، لا يلتمس المعاذير أو يلجأ إلى الكذب الخبيث ؟ نعم ، لا

٦ : هل كنتما تتقابلان بانتظام مدة سنتين أو أكثر ؟ ... ... نعم ، لا

٧ : هل كانت مقابلاتكما خلواً من الشجار والمنازعات نسبيًّا ؟ ... ... نعم ، لا

٨ : هل يؤمن كل منكما بالمعتقدات الدينية نفسها تقريباً ؟ ... ... نعم ، لا

٩ : هل يوافق آباؤكما على هذا الزواج ؟ ... ... نعم ، لا

١٠ : أأنتما سواء فى الحرص على مراعاة شعائر الدين ؟ ... ... نعم ، لا

١١ : هل هو (أو هى) فى صحة جيدة ؟ ... ... نعم ، لا

١٢ : أأنتما فى حسن التودّد إلى الناس سواء ؟ ... ... نعم ، لا

١٣ : هل كانت حياته (أو حياتها) خلواً من النزاع مع الوالدين ، وهل ربيا على النظام فى غير هوادة وبلا شدة ؟ ... ... نعم ، لا

١٤ : هل كان أبواه (أو أبواها) سعيدين فى الزواج ؟ ... ... نعم ، لا

١٥ : هل هو (أو هى) برىء من الغيرة والتشكك ؟ ... ... نعم ، لا

١٦ : هل هو (أو هى) ذو خلق هادئ رصين ، وبخاصة إذا كنت ممن يستخفّهم الغضب بسرعة ؟ ... نعم ، لا

١٧ : هل تنظران إلى المسألة الجنسية نظرة صحيحة عادية ؟ ... ... نعم ، لا

١٨ : هل هو (أو هى) شخص معتدل لا يميل إلى إدمان الخمر أو غيرها من أنواع الإدمان ؟ ... ... نعم ، لا

١٩ : هل تشتركان معاً اشتراكا متقارباً فى التوسط بين الحرص والتهور ؟ ... نعم ، لا

٢٠ : هل تودّان أن يكون لكما أطفال ؟ ... ... نعم ، لا

إذا أجبتما بنعم ستة عشر سؤالا أو أكثر من الأسئلة المتقدمة ، فإن حبكما قائم على أساس مكين . وإذا أجاب كل منكما بنعم على سبعة عشر سؤالا أو أكثر واتفقتما فى الإجابة بنعم على خمسة عشر سؤالا بالذات ، فإن زواجكما سيكون زواجاً موفقاً .

تتبارى وفود الأمم إلى القارة الجنوبية المتجمدة ، بيد أن رحلات روادها الأوائل لا تزال رائعة على الزمن .

مغامرة فى القطب الجنوبى

رسل أوين

مختصرة من كتاب "المحيط المتجمد الجنوبى"

فى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩١٦ وقف على ساحل جزيرة جرداء تكسوها الثلوج فى المحيط المتجمد الجنوبى ، رجال من الإنجليز عدتهم ٢٨ رجلاً وهم يرتجفون برداً ويتهالكون يأساً ، وكانت إنجلترا مسقط رأسهم مشتبكة يومئذ فى قتال منذ قرابة سنتين ، ولكن قليل منهم مَنْ كان يصرف باله إلى ذلك المعترك البعيد ، فهم أنفسهم يخوضون غمار حرب من ضرب آخر ، إذ كانوا أعضاء بعثة أوفدت لارتياد القطب — رجال خدرت أطرافهم وركبهم الوهن والمرض ، وهم يصاولون الغوائل التى رمتهم بها ١٨٠٠ ميل قطعوها فى مفاوز الثلج وحشود الجمد السابح ، وثلاجات عاتية أطبقت كالشياطين على سفينتهم فحطمتها وأغرقتها منذ خمسة شهور مضت .

وكانوا منذ أيام قلائل قد ارتحلوا فى ثلاثة زوارق بقيت لديهم طلباً للنجاة من محبسهم الذى طال على ذلك الجمد المتحرك ، وقادهم رئيسهم إلى جزيرة الفيل الواقعة جنوب شرق رأس هورن ، وكان لابد لهم يومئذ من أن يغادروا أيضاً هذا المثوى الموحش ، فقد هبت الأعاصير على سواحله المكشوفة للرياح ، ونزلت كالسياط على خيامهم فمزقتها شر ممزق ، وقلت مؤونتهم من لحم طائر البطريق وأعشاب البحر . ولما أمضهم الجوع والبرد ، تلفتوا — كدأبهم فيما مضى من أيام محنتهم المنكرة — إلى الرجل الذى لولا شجاعته وثباته لما كُتب لهم البقاء . نعم ، تلفتوا إلى شاكلتون .

وإرنست شاكلتون رجل طويل عريض المنكبين ، مسنون الوجه ، على عينيه حواجب غزيرة الشعر ، يحسبه الرائى صخرة جاثمة من تلك الصخور التى يعتصم بها الناس حين تتبدد الآمال . ولكن شاكلتون أصبح صخرة نالت منها الأعاصير ، فهذه جبهة قد تخددتها الغضون ، ووجه شاحب ، وهذه مناكب طالما حملت عبء النوازل ، فإذا بها قد تقوست حتى صار كأنه شيخ مهدم . ولقد كان لهذه الرحلة العتية عنده معنى أخطر مما يظنه

أحدٌ من رجاله . فإنه ينظر إلى علاقته بهم نظرة ملؤها الجد الصارم ، فهؤلاء رجال قد وثقوا به ، فأمنوه على أنفسهم ، فهو مسئول عنهم ، وإنه ليحسّ بذلك إحساساً تاماً . وكانوا يسمونه « الفتى الحريص » وهو لقب عرف به منذ كان يعمل فى الأسطول التجارى البريطانى ، ولكن وجهه لم ينطق قط بما يدل على التردّد ، بل إنه اليوم أشد عزماً ومضاء .

وكاشف شاكلتون رفقاءه بخطته وقال لهم : « ينبغى لنا أن نصل إلى مكان يتاح لنا أن نجد فيه سفينة » ، والقيام برحلة طويلة فى زورق صغير مخاطرة لا يرتجى نجاحها ، ولكنه طلب من رجاله أن يتطوع لها من يشاء منهم ، فلم يبق فيهم أحد إلا لبى نداءه ، فاهتزت نفس شاكلتون أيما اهتزاز ولم يسعهُ إلا أن يتمتم : « شكراً لكم أيها الرجال » .

ووقع الاختيار على خمسة رجال للقيام برحلة طولها ألف ميل فى أشد بحار العالم هياجاً ، وفى قارب لا يزيد طوله على ٢٢ قدماً حتى يبلغوا به جورجيا الجنوبية . أما هؤلاء الرجال فهم : ورسلى ربان سفينتهم التى تحطمت ، وتوم كرين ، وتيمونى ماكرثى ، وماك نيش النجار ، وفنسنت رئيس البحارة ، وبدأوا بترميم زورقهم الصغير الخفيف المسمى « جيمس كرد » ، ثم قووا جوانب جوفه بصارية أخذت من زورق آخر ، ثم تأهبوا للإقلاع بعد هذه المهمة الشاقة .

وقد سقط رجلان من الزورق عند إنزاله إلى البحر ، ثم خرمت إحدى الصخور جانبه فسدوا الثقب بسدادة من حديد . وأخيراً تيسر لهم نقل مؤونتهم إلى الزورق وأقلعوا به ، فبدأت رحلة لعلها أعظم ما عرفت البحار من رحلة خاض لججها العاتية زورق صغير .

وكان ركابه يعلمون أنهم فى ريب من أن يصلوا إلى الأرض المعمورة . أما المتخلفون من الرجال ، فكانوا يعلمون أن مصيرهم الهلاك إذا لم يبلغ الزورق غايته ، فجلسوا يتحدثون عن أمرهم إذا عاد إليهم الزورق بعد شهر .

وجلس شاكلتون أول ليلة وهم فى البحر إلى جانب ورسلى صاحب الدفة ، ووضع ذراعه على كتفه حتى يسرى دفء أحدهما إلى صاحبه . وتلاعبت الأمواج بالزورق ، وهبت عليهم رياح باردة ، واقتصر طعامهم على اللبن الساخن كل أربع ساعات مرة ، فإذا طلع النهار عدلوا عنه إلى حساء ساخن مركز دسم ، وأخذ الزورق يشق طريقه بجهد جهيد .

وهبت عاصفة أرجعته القهقرى حتى كاد يبلغ المكان الذى أقلع منه ، فكانت خيبة أمل بالغة ، وقال شاكلتون :

« لوحدث لى حادث ، وهؤلاء الرجال صابرون هناك ينتظرون عودتى ، لأحسست بأنى مجرم قاتل » .

ولكن الزورق مضى على سننه ، وكان الرجل منهم لايستطيع أن يجتاز باطن الزورق إلا بعد أن يزحف على أكداس الأثقال وأوعية المؤونة. وأما الراحة الوحيدة التى يجدها بعد هذا التعب، فهى كيس مبتل يدس فيه جسده المنهوك لينام . وأصبح الرقاد طلباً للنوم لايقل عذاباً عن مشقة الهبوب من النوم ، وكان الرجال جميعاً يؤثرون البقاء على سطح الزورق ، وهم يتناوبون فى نزح المياه التى تتسرب إليه .

وكتب شاكلتون فيما بعد : « كانت تبدو لنا كل موجة قادمة علينا كأنها جبل شاهق ، وإذا بالزورق يرتفع فجأة وتتدافعه الأعاصير . وحيثما تلفتنا رأينا أميالاً مترامية ممتدة ، وسلسلة لا تنتهى من تلال وأودية شهب الألوان. وكان رشاش الماء يبلنا بلا كل ثلاث دقائق أو أربع ، ثم تنحط علينا الأمواج فنحس كأنما نمر تحت شلال من الماء . ثم قبل أن تنهد علينا الموجة التالية ، لا نعدم أمواجاً أخرى صغيرة تعلو الزورق وتبلل ثيابنا ، وظللنا على ذلك ليلاً ونهاراً . وكان البرد قارساً » .

وخدرت سيقانهم وأقدامهم، وتجمد الماء على القلوع فأزاله الرجال ثلاث مرات ، وكثيراً ما أوشك بعضهم على السقوط فى البحر ، إذ لم يكن لهم ما يتعلقون به سوى شقوق يشقونها فى الجمد المتجمع ويتشبثون بها بأصابعهم المتصلبة ، والقبض على الثلج عذاب لا يطيقه الرجل أكثر من أربع دقائق ، فكان نكالا مبرحاً ، ولكن كان لابد لهم من ذلك لئلا يغرق الزورق تحت ثقل الثلج . وألقوا بمجدافين فى البحر تخفيفاً عن الزورق ، كما ألقيت أكياس مصنوعة من جلد الوعول ، كان صوفها المتطاير عذاباً لهم ، فقد كانوا يلتقطونه من الحساء واللبن ، بل لقد تغلغل فى المضخة ، وأصاب عيونهم وأنوفهم ، حتى أصبحت الشعرة المبتلة شيئاً بغيضاً إلى نفوسهم .

وتقرحت أيديهم وأقدامهم وأخذت تدمى بغير انقطاع من جراء اضطرارهم إلى الزحف فوق الأثقال المتراكمة فى باطن الزورق . فذات ليلة فرغ ورسلى من نوبته فى قيادة الدفة ، فحاول أن يقيم ظهره فلم يستطع ، فحملوه إلى باطن الزورق وبسطوا له جسمه وأخذوا يدلكونه حتى دبت فيه الحياة ، ثم دسوه فى كيس النوم . وقد أطبق عليهم زمهرير أشد من السعير عذاباً ، ولكن لم يكن لهم مفر من مواصلة الرحلة .

ثم مرت بهم لحظة ملؤها الخطر ، وكان

شاكلتون يتولى حينئذ أمر الدفة ، فهاج البحر وانهمر الثلج واكفهر الجو ، ورأى شاكلتون شيئاً حسبه رقعة من سماء صافية ، قال : « فهتفت بالرجال إن السحب ستنقشع ، ثم أدركت أن ما أبصرته ليس إلا زبد أضخم موجة رأيتها فى حياتى ، وصحت : « بالله عليكم تشبثوا بالزورق ، فهى مسرعة إلينا » ثم مرت فترة ترقب خلتها طالت ساعات ، فحملت زورقنا وطوحت به كأنه هو عود فى بحر خضم ، ولكن الزورق ظل طافياً ولا أدرى لماذا ، وأخذ يغالب ضغط الموجة الهائلة ويترنح لصدمتها ، وشرعنا ننزح الماء بنشاط امرىء يجاهد للنجاة من الهلاك ، وقضينا عشر دقائق ونحن فى شك من سلامتنا ، وأخيراً أحسسنا كأن الحياة دبت من جديد فى زورقنا »

ولم تفارق البشاشة شاكلتون برغم آلام عرق النسا ، وفتح آخر مزادة ماء كانت لديهم ، فوجد ماءها ملحاً يزيدهم عطشاً إذا شربوه . وكان ورسلى لا يستطيع أن يقف حتى يتبين لهم موقفهم بآلة الرصد إلا إذا أعانه رجلان حتى لا يقع من الزورق ، وتسنى له ذات ليلة بالرغم من الضباب الدائم الذى حجب الشمس ، أن يتبين أحد المواقع فإذا به جورجيا الجنوبية !

وهب فى تلك الليلة إعصار مخيف قذف بالزورق نحو الشاطىء ، واشتد عطشهم من جراء الماء الملح الذى كانوا يتجرعونه على مضض وتشققت منه شفاههم ، وتعالى رذاذ الأمواج فوق الزورق ، وأخذت الرياح تزمجر بمثل هدير الطائرات ، واتجه سير الزورق شطر جزيرة صغيرة والأمواج تدفعه بلا هوادة ، وحاروا فى أمرهم : أينزلون على الساحل أم يدورون حول الجزيرة لعلهم يجدون فيه مرفأ هادئاً ؟ وقال ورسلى : « سوف يرسو زورقنا على الساحل » فأجابه شاكلتون : « لابد من أن يرسو مهما يكن من شىء » .

واقترح شاكلتون فى اليوم التالى أن يرسو الزورق على الساحل ، وأن يجتاز ركابه الجزيرة حتى يبلغوا محطة صيد الحوت فى الجانب الآخر . وما كان ليدخل فى علم بشر ماذا تضمر هذه الثلاجات وجبال جورجيا الجنوبية التى تغطيها الثلوج ، ولكن شاكلتون أصر على تجربة ذلك الطريق ، إذ لو دار الزورق حول الجزيرة وتحطم على صخورها لمات الرجال المخلفون فى جزيرة الفيل . فنزلوا على الساحل ووجدوا كهفاً ، وصادوا صغار طائر البطريق وذبحوها ، وبلغ الجوع بالرجال حتى أكلوا أيضاً عظامها . ثم وجدوا بالقرب منهم جدولا كان مذاقه فى حلوقهم كالشهد . وهيأوا لأنفسهم فراشاً

بتغطية الصخور بورق الشجر والأعشاب ، وتسنى لهم لأول مرة منذ أسبوعين ، أن يصيبوا شيئاً من الراحة والنوم .

وفى يوم ١٩ مايو سنة ١٩١٦ صحا الجوّ وتلألأ القمر ، وبدأ شاكلتون وكرين وورسلى رحلتهم لاجتياز الجزيرة ، وخلفوا وراءهم ثلاثة من رفاقهم لعجزهم عن متابعة السير ، وحمل الراحلون معهم مؤونة ثلاثة أيام، وموقد بترول ، وبوصلة ، وكرونومترا و٩٠ قدماً من الحبال ، ومعولاً للاستعانة به فى تهيئة مواضع لأقدامهم فى الثلج ، وثبتوا مسامير فى نعالهم ليسهل عليهم تسلق الثلوج . وقاد ورسلى أصحابه مسترشداً بالبوصلة ، وربطوا أنفسهم معا بالحبال، وقد ساروا فى دروب فإذا هى مسدودة ، وانتهى بهم المطاف إلى الرجوع إلى ساحل البحر ، ولكنهم أعادوا الكرة . ووقفوا ذات مرة يتمايلون على حافة هوة حفرتها فى الثلوج تلك الرياح العاوية ، وكان عمقها ٢٠٠ قدم وعرضها مثل ذلك أيضاً ، فتراجعوا عنها ، وأخذ كل رجل منهم ينظر إلى زميله ، فلم يخفَ عليهم ماذا كان يحدث لهم لو هبّ عليهم إعصار مفاجىء ، إذن لقذف بهم إلى قرار الهوة . وانتهى بهم السير إلى نتوء بارز شاهق ، حتى إن الرجل منهم كان إذا استوى عليه تسنى له أن يجلس عليه ويدلى رجليه من كلا جانبيه . وقطع عليهم الضباب والظلام طريق العودة ، فإذا لم يتابعوا السير جمدت أبدانهم من شدة البرد ، وإذا أرادوا تهيئة درَج فى الثلج للنزول على المنحدر فذلك عمل بطىء لا ترتجى منه فائدة، فقال شاكلتون بعد هنيهة : « إنها مخاطرة عظيمة ، ولكن علينا أن نقدم عليها ، فلننزلق على هذا المنحدر » .

والانزلاق إلى مثل تلك الهوة فى الظلام شىء لا يُعلم مصيره ، فقد تعترض الطريق صخرة يكون فيها الهلاك محققاً . فقال ورسلى : « فليكن ما تقول » ، وردد كرين نفس الكلمة .

وقال ورسلى فيما بعد يذكر ماحدث لهم : « لَفّ كل منا نصيبه من الحبل حتى صار كوسادة تصلح للانزلاق ، وجلس شاكلتون على درجة محفورة فى الثلج وأحطت عنقه بيدَى من خلف ، وفعل كرين معى مثل ذلك حتى أصبحنا كأننا جسد واحد ، ثم اندفع شاكلتون وهوى .

«وانطلقنا فى الفضاء كالرصاصة المقذوفة، ومرت برهة قفّ فيها شعر رأسى ، ثم أحسست فجأة بانتعاش يملأ نفسى وأدركت أننى أبتسم ، ووجدت لذلك نشوة هائلة ، وكنا ننحدر على سفح الهوة بسرعة ميل فى الدقيقة، وأخذت أصيح من فرط النشوة،

ووجدت زميلىّ يصيحان أيضاً ، وبدا لنا أن انزلاقنا مأمون الغبة ، وهزأنا بالمخاوف التى تفضى إلى تحطمنا على الصخور .

« وأخذت سرعة انحدارنا تقل شيئاً فشيئاً حتى هبطنا على فراش وثير من الثلج عند سفح الجبل ، فوقفنا وأخذ كل منا يصافح أخاه .

« وقال شاكلتون بهدوء : « إنها لمتعة أن نجرب هذا الانزلاق مراراً » ، ولحسن الحظ كانت مخاطرتنا هذه المرة مجدية » .

ولما وصل ثلاثتهم إلى محطة صيد الحوت بعد أن اجتازوا جورجيا الجنوبية فى ٣٦ ساعة ، كان قد بلغ الشَعَثُ منهم مبلغاً حتى أنكرهم رئيس المحطة ، وهو الذى كان قد احتفى بهم منذ سنتين ، فقد شاب شعر شاكلتون . ولما عاد ورسلى إلى مرسى الزورق لإنقاذ زملائه الثلاثة لم يعرفوه هم أيضاً ، إذ أصبح رجلاً آخر بعد أن استحم وحلق لحيته وارتدى ثياباً تليق به .

وقد وجدوا الرجال المخلفين فى جزيرة الفيل فى عافية ، اللهم إلا واحداً منهم بُتِرت أصابعه ، وقد عاش هؤلاء الرجال أربعة أشهر ونصف محتمين بقاربين مقلوبين ، تهب عليهم الأعاصير وتقذفهم بالثلوج من قمم الجبال . وهكذا انتهت آخر رحلة طويلة قام بها شاكلتون ، وقد مات وهو على وشك القيام برحلة أخرى . وإن مغامراته الجريئة فى البر والبحر لتذكرنا بالوصف الذى عرف به « إن أردت للقيادة رجلاً عالماً فعليك بسكوت ، وإن أردت لها رجلاً نشيطاً قديراً فعليك بأمندنسن ، أما إذا وقعت فى مأزق لا مخرج منه فاسجد لربك واسأله أن يُرسل إليك شاكلتون » .

كلمات العظماء الأخيرة

بيرون : « الآن ينبغى أن أنام » .

كيتس : « أحسُّ أن الأزهار قد أخذت تنمو وتتفتح أكمامها على جثمانى » .

ثورو : « أفارق العالم غير آسف » .

رابليه : « أسدلوا الستار ، فقد تمت المهزلة »

بتهوڤن (وقد كان أصمَّ فى سنواته الأخيرة ، وألف ألحاناً كثيرة عجز عن سماعها) : « سوف أسمع فى الآخرة » .

ثيودرو روزفلت : « أرجوكم أن تطفئوا الأنوار » .

أسرار

اليسنور رايس • مختصرة من مجلة " يور لايف "

كان لصديقتى إيمى مكانة فى قلبى ، فلما أنبأتنى بما بينها وبين زوجها من شقاق همَّنى الأمر حتى فاتحت صديقتى سو فى شأنه . وسو أهل للثقة ، فهى لا تصرف وقتها فى القيل والقال ، وقلت لها : « لقد أسرَّته إلىَّ ثقة بى ، فاكتميه » . فقالت : « بلا ريب ، ولك أن تطمئنى إلىَّ » .

ولقيت إيمى بعد أسبوعين وذراعها فى ذراع زوجها ، كأنهما تصافيا ، فحييتهما ، فذهلت حين رأيتهما لا يعبآن بتحيتى كأن لم يعرفانى قط ، فأمسكت ذراعها وقلت : « لا أعلم سرَّ هذا الجفاء ، ولكننى لن أدعكما تشيحان عنى دون أن أعرف السبب » .

فثارت ثورة إيمى وقالت : « أسررتُ إليك بما بينى وبين زوجى ولم أنبىء به أحداً سواك من الناس ، فرحت تذيعين الخبر يمينا وشمالا ، ولولا حسن الطالع لقضيت على زواجنا قضاء مبرماً » .

إننى لم أخبر أحداً سوى صديقتى سو ، وعرفت أنها لم تذع الخبر ، ولكنها حدَّثت به زوجها لا غير . قالت : « إننى أفضى إلى زوجى بكل شىء ، ألا ترين أن النساء جميعاً يفضين إلى أزواجهن بكلّ شىء ؟ »

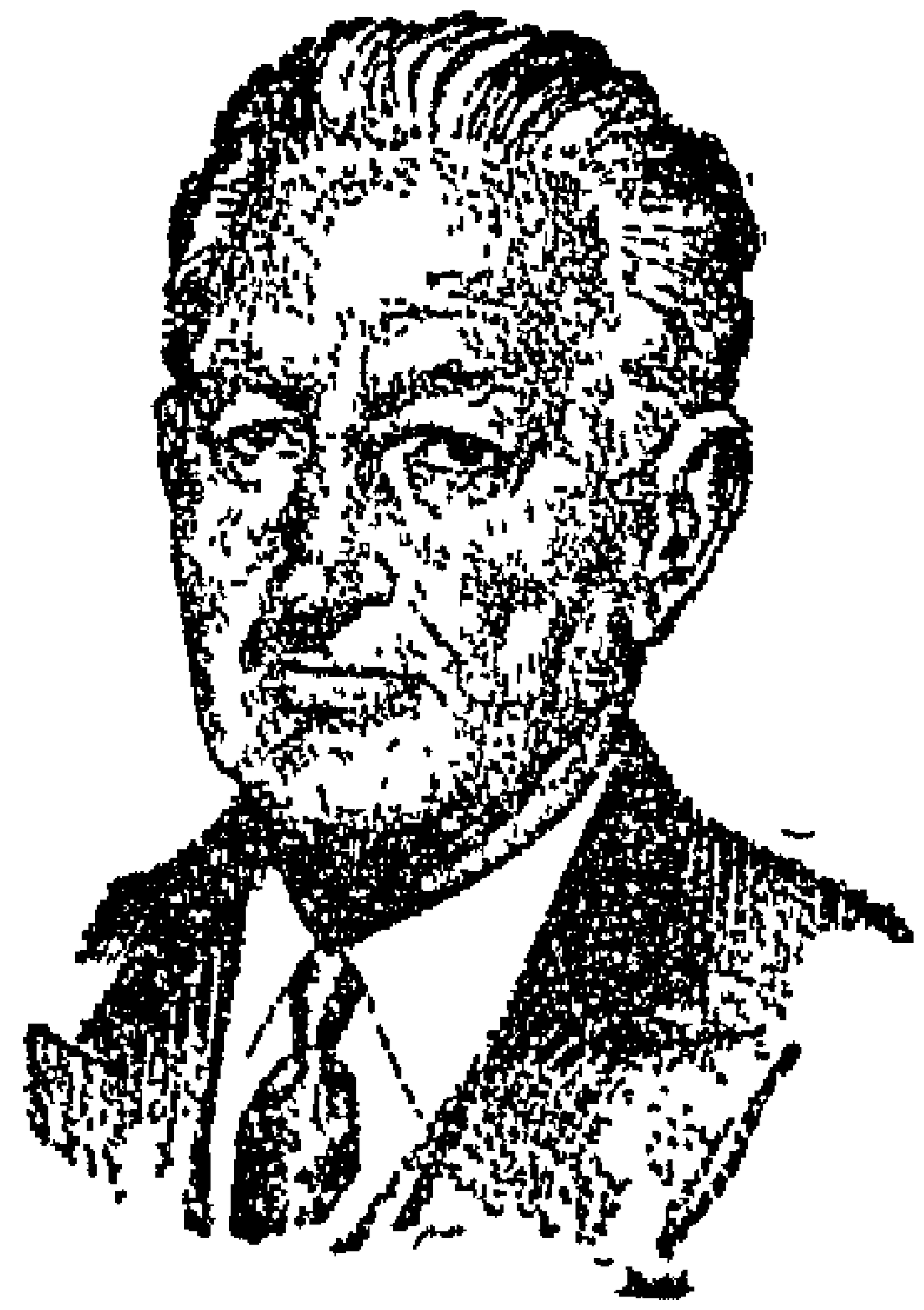
فعزمت أن أتقصىَّ الحقيقة فما وجدت مشقة ، ومن العجب أن أحداً لم يذع بالسرّ ، ولكن كلا منهم كتمه على طريقته فى كتمان الأسرار ، غير أن كلا منهم اهتم بقصة إيمى حبًّا لها ولزوجها ، فتحدَّث سرًّا مع صديق لهُ يثق به .

فقد روى زوج سو الخبر لشريكه ، فرواهُ هذا لزوجته ، فروته لأعز صديقاتها ، فروته هذه لزوجها الذى يعمل فى مكتب دان زوج إيمى . وذات صباح ربَّت هذا الرجل على كتف دان وواساهُ فيما سمعهُ عن متاعبه.

فتعلمت درساً كلفنى ثمناً فادحاً . فقد خسرت صديقتين ، وكان ما حدث خليقاً أن يدمر سعادتهما . ومثل هذا كثير ، وهو يتم دون أن يقصد المرء أن يسىء إلى غيره .

وحين أسمع اليوم أحداً يقول : « هذا سرٌّ مكتوم ، فلا تذكريه لأحد » أغير الموضوع . وقد كنت أحب القيل والقال ، ولكننى أعرف الآن أن الطريقة الوحيدة لكتمان السرّ ، سرّك وسرّ غيرك ، هى أن لا تفشيهُ لأحدٍ من الناس . ولا تستثن .

مجاهد في سبيل الحكم الطاهر



كارل دتمر
مختصرة من مجلة "ذي بروجرسيف"

شنّ حرباً على الرشوة وفساد الحكم فرفعه الناس من خمول الذكر إلى منصب الحاكم في ثلاث سنوات .

في اليوم الأول من هذه السنة تقلّد « كيم سيجلر » زمام الحكم في ولاية مشيجن الأمريكية . والحاكم الجديد رجلٌ في الثانية والخمسين من عمره ، كان محامياً في مدينة صغيرة ، فذاع صيته بأنه امرؤ يغضب للحقّ غضبة مزلزلة ، وأن جام غضبه ينصبّ على موظفي الولاية المرتشين ، وعلى الرجال الذين يرشونهم ، فترى أشرار أهل الولاية تأخذهم رعدة عندما يذكر اسمه ، وترى خيارهم يغتبطون بما يرون ويسمعون .

ففي ثلاث سنوات مشهودة سار الغضب للحقّ بهذا الرجل من خمول الذكر إلى أعلى منصب في الولاية ، وقد تمكن خلال هذه المدة من أن يظفر بإدانة خمسين من المرتشين من أعضاء الحزبين الجمهوري والديمقراطي ، فحكم عليهم بالسجن ، وكأن هذا النهج الخلقي القوى قد فتن أعين الناس ، فإذا الناخبون في نوفمبر الماضي ينتخبونه حاكما للولاية عن الحزب الجمهوري ، على الرغم من أن سيجلر كان قد ظفر منذ عام أو أقلّ باستصدار حكم على زعيم ذلك الحزب نفسه في الولاية ، فألقى في غياهب السجن . وأغرب من هذا أن الناخبين في مناطق الريف ، الذين لا يميلون في الغالب إلى أهل الأناقة من مرشحي السياسة ، هبّوا إلى تأييده بأكثرية بلغت ٨٠ في المئة ، وكانت الأكثرية التي نالها في الولاية كلها ٣٥٠ ألف صوت ، وهي أكثرية لم تعهد فيها من قبل .

ومن بين الرجال الذين ذهبوا ضحية سخط سيجلر وغضبته للحق والحكم الصالح ، وكيل سابق للحاكم ، واثنا عشر عضواً من أعضاء مجلس شيوخ الولاية ، وأحد عشر عضواً في مجلس نوابها ، وطائفة أخرى من

رجال النيابة والشرطة والدعاة المأجورين ، وأهل السياسة . فهؤلاء الرجال وأنصارهم كانوا جماعة قوية تألبت وهبت إلى مقاومة سيجلر في انتخاب نوفمبر الماضي فقاومهم بغير هيئة منظمة تؤازره ، أو خطة سياسية يغرى بها الناخبين سوى وعده لهم بتطهير أداة الحكم في الولاية . ولم يكن له مال يعتمد عليه في حملة الانتخاب سوى ما كسبه بعرق الجبين في المحاماة ، فلما سئل من أين له المال اللازم قال إن مكتبه يدر عليه ٣٠ ألف ريال في السنة ، فلن يضن بها في سبيل قضية نبيلة .

وسخط سيجلر كالألعاب النارية يبهر الناظرين، ففي خطبه العامة وأحاديثه الخاصة يعمد إلى الألفاظ القوية اللاذعة . وقد خطب في جماعة من كبار القوم في إحدى ضواحي ديترويت ، فأشار إلى « مزبلة الحكم في العاصمة» وإلى « خدام الناس الذين يبيعون نفوسهم الخسيسة بالمال » ، فغص القوم بريقهم أولا ثم انطلقوا يهتفون بالموافقة على ما يقول. ثم ألقى الخطبة نفسها في تلك الليلة دون أن يبدل حرفاً واحداً فيها في جماعة من العمال، فسرهم ما سمعوا أيضاً .

بدأ أهل الولاية يتسامعون بذكر « كيم سيجلر » سنة ١٩٤٣ ، فقد مضت سنوات

والريبة تساور النفوس بأن في حكومة الولاية فساداً كبيراً . وقد بدأ التحقيق في نواحي هذا الفساد غير مرة ، ولكنه كان تحقيقاً فاتراً ، فكان ينتهي إلى حفظه أو إلى ذر الرماد في العيون . فلما عين سيجلر نائباً عاماً للجنة المحلفين في إحدى مقاطعات الولاية ، لم يتوقع أحد من الناس أن يسفر تحقيقه عن شيء ، فقد كانت جماعة المحققين القديمة تنشط إلى كشف الأدلة التي تشين صغار المشتغلين بالسياسة ، ولكنهم يغضون النظر عن كبارهم .

فلم يكد سيجلر يتولى منصبه الجديد حتى عزل هؤلاء المحققين جميعاً ، وأحل محلهم جماعة من شباب الشرطة في الولاية ، فلم يعسر على هؤلاء أن يجدوا القاذورات التي ينبغي لهم أن يطهروا الولاية منها ، فكثير منها كان بادياً للعيان أو تستره غلالة رقيقة . فجعل النائب الجديد يستصدر الأوامر من المحكمة بإحضار الناس إلى التحقيق ، فعمد بعض رجال السياسة الذين أدهشهم ما رأوا إلى تحذير سيجلر ، ونهوه عن أن يتمادى .

فأثار هذا التحذير غضبه وأجج نار سخطه .

وقد مر أمام لجنة المحلفين موكب من الرجال الذين استبد بهم الذعر ، وما لبث

أحد أعضاء مجلس الشيوخ فى الولاية حتى اعترف بأنه تلقى رُشى صغيرة — ثم أضاف أن غيره من زملائه قد تلقوا رُشى أكبر . ثم اعترف شيخ آخر ، ثم تبعته طائفة من النواب فاعترفوا بمثل اعترافه .

وقد بين مدير سابق لجامعة الولاية ، أنه كان وسيط الرشوة فى سنِّ طائفة من القوانين . ثم تقدم صاحب صحيفة ذات مكانة تصدر فى مدينة صغيرة ، فقال إنه لم يأخذ الرشى وحسب بل دفع الرشى أيضاً . ثم جاء كبير مجلس الشيوخ ، وهو رجل فى الخامسة والسبعين رفيع المكانة بين القوم ، فاعترف بآثامه ، ثم انتحر .

وما لبث التحقيق أن شمل كثيرين من النصابين والمرابين إلى رؤساء الشركات ، وسكرتير الجمعية الطبية فى الولاية ، والممثل لجماعة أطباء العظام، وأنصارهم والدعاة لهم . وقد تمكن سيجلر فى بحر سنتين ، من أن يدين واحداً وأربعين منهم ، وتقدم اثناعشر رجلاً آخر من المرتشين إلى هيئة المحلفين واعترفوا بما جنت أيديهم . ووجهت التهمة إلى ثمانية عشر آخرين ، فأقاموا ينتظرون تقديمهم للمحاكمة ، يوم انصرف سيجلر إلى أهمّ قضاياه .

فقد اتهم الزعيم السياسىّ فى الولاية بتآمره مع عصابة من عصابات الخمور ، وكان شاهده الأكبر ، رجلاً من أعضاء مجلس الشيوخ فى الولاية يدعى وارن هوبر الذى اعترف بأنه أخذ رشى ، ولكن هوبر خطف قبل موعد شهادته بأسبوعين ، ثم قتل بالرصاص ، وتركت جثته فى سيارة شبت فيها النار .

فتولى سيجلر بنفسه البحث عن المجرمين ، فكشف ثلاثة من رجال العصابات فى دترويت ، وأقام الدليل على أنهم تآمروا على قتل هوبر ، فأدينوا وحكم عليهم بالسجن مدة طويلة .

أما وقد قضى على الشاهد الأول الذى كان سيجلر يعتمد عليه ، فقد ألفت المحكمة نفسها مضطرة أن تحفظ القضية لعدم قيام الدليل . فهبّ خصوم سيجلر إلى مهاجمته ، وعينت لجنة من أعضاء مجلس الشيوخ فجعلت تحقق مع سيجلر ، فاتهمته بأنه بدد مال دافعى الضرائب ، وطلبت أن تطلع على سجلات هيئة المحكمين ، بما فيها الأدلة المتخذة أساساً للأحكام المنتظرة ، فتأبّى سيجلر عن إجابة هذا الطلب ، ولكن اللجنة استصدرت أمراً من المحكمة ، وظفرت بالسجلات ، ومالبث سيجلر حتى فُصل .

وقرر زيجلر أنه قد قام بنصيبه من الجهاد بعد ٢٨ شهراً من الحرب على الرشوة والفساد ، فإذا كان أهل مشيجن لا يريدونه

أن ينجز المهمة ، فلن يحدث من أجل ذلك أزمة ، فقد بلغ منه التعب ، وهو يرغب فى العودة إلى المحاماة . وشرع يعد حقائبه للسفر ، فإذا صحفيان من دترويت يدخلان عليه ، وكانا من الصحفيين الذين عهد إليهم تتبع أخبار التحقيق، فوقفا على أشياء كثيرة لم يتمكنا من نشرها ، وقد منح أحدهما جائزة بوليتسر الصحفية من أجل الرسائل التى كتبها عن هذه الفضيحة .

فسألوه : « إلى أين أيها الرجل ؟ »

فقال سيجلر : « سأعود إلى بيتى ، فقد نفضت يدى من هذا الأمر » .

فجادلاه: « لا ، لن تعود ، وكيف تنفض يدك ، ولما تُنجز إلا شطراً من مهمتك »

فقال: «ليس فى وسعى أن أصنع شيئاً»

فقالا : « بل تستطيع ، فى وسعك أن تكون حاكم مشيجن التالى، ويومئذ تستطيع أن تأخذ السُبل على هؤلاء المجرمين ، ويسرنا أن نعينك حتى تظفر بالمنصب » .

وقد ظل سيجلر يومين وهو يتردد محاولاً أن يحزم رأيه ، وكانت الرسائل والبرقيات تتوالى عليه من جميع أرجاء الولاية تحثه على مواصلة النضال ، فعزم أن يخوض معركة الانتخاب .

ولم يكن له من معين فى أول الأمر سوى المخبرين وفتاة اتخذها سكرتيرة وأخيها الصغير ، أما المشتغلون بالسياسة من الحزبين فقد تجاهلوه ولم يعبأوا به .

وكان أهل مشيجن يجهلون أصله ونشأته حتى فى يوم الانتخاب — فلم يدروا أنه ولد فى مزرعة فى ولاية أخرى، وأنه قضى حداثته فى كوخ حقير ، أو أنه صار أفّاقاً بين أيام المدرسة الثانوية وأيام الدراسة فى الجامعة ، فجعل يطوف هنا وهناك ويكسب رزقه اليسير من طريق الملاكمة . وكان سيجلر لايدرى مالهذه النشأة من وقع فى نفوس الناخبين ، فأهمل الإشارة إليها فى الدعوة إلى انتخابه .

وقد درس سيجلر القانون فى مدرسة دترويت ، فكان يدرس فى النهار ويشتغل فى مصنع فورد فى الليل ، وبدأ يمارس المحاماة فى قرية لايزيد سكانها على خمسة آلاف نفس ، وانتخب ثلاث مرات مدعياً للمقاطعة عن الحزب الديمقراطى ، ولم يخسر سوى قضية واحدة فى ست سنوات . فلما صار وندل ولكى رئيسَ الحزب الجمهورى انصرف سيجلر عن الديمقراطيين إلى الجمهوريين ، ورشح نفسه لمجلس الشيوخ ، ولمنصب النائب العام ، فهزم هزيمة منكرة فى الحالين .

فلما تقدم لمنصب الحاكم ، أعلن أنه من أتباع الحزب الجمهورى، وظفر بالترشيح عن

الحزب متغلباً على ثلاثة من المنافسين المشهورين. ومن ثمَّ بدأ النضال مع مرشح الحزب الديمقراطىّ ، وهو حاكمٌ سابق للولاية ، طاهر اليدين يفعل مايقول ، وظنَّ زعماء الحزب الديمقراطى أنهم يستطيعون أن ينتفعوا بما أثر عن سيجلر من سخط على فساد الحكم ، فأقنعوا مرشحهم بأن يعلن : « لست ساخطاً على أحد » ، فكان رد سيجلر : « أما أنا فسخطى لاحدود له ، أنا ساخط على المجرمين الذين يتولون مناصب الحكم ، وعلى الأشرار ورؤساء العصابات الذين يظنون أن الولاية ملك يمينهم »

وجعل يطوّف فى الولاية طولا وعرضاً يحدث الناخبين ، عند ملتقى الطرقات وفى ميادين المحاكم ، ويعقد اجتماعات صغيرة بدلاً من الحفلات الكبيرة التى تلقى فيها الخطب الرنانة. وكان يقول لمن يلقاهم من الناس : « أود أن أسمع آراءكم عن حكومة الولاية وقد جئتكم لكى أجيب عمّا تريدون أن توجهوه إلىّ من الأسئلة » .

وبهذا الأسلوب الساحر نال مودتهم ، فكان إذا مادار الحديث على الأشرار القائمين فى مناصب الحكم ، لا يُعفِى من لسانه أحداً يستحق الملامة ، ثم يسدد نظره إلى عيون الناس من حوله ويقول : « الذنب ذنبكم ، فلو عنينا جميعاً — أنا وأنتم — بما يجب علينا ، لما انتهت الأمور إلى هذه العاقبة الوخيمة »

وصارت الاجتماعات التى يعقدها كأنها اجتماعات دينية ، وكثيراً ماحدث بعد الفراغ من حديثه أن تقدم رجال ونساء من أوساط الناس ، وألقوا بدريهماتهم ، حتى يستعين بها سيجلر على توفية نفقات الانتخاب ، وأما سيجلر فلم يطلب منهم مالاً ، فقد كان حسبه أن يحدثهم عن الحكومة الصالحة .

وهو الآن فى كرسى الحاكم ، وسوف يلقى فى سجن مشيجن بطائفة أخرى من المرتشين والمجرمين والأشرار ، وفى وسع أهل الولاية أن يثقوا بأن « كيم سيجلر » متى سمع بقصة جديدة عن فساد الحكم والرشوة ، فإن نار غضبه سوف تتضرم لتأكل كل شرّير مفسد .

مُلَّ المقامُ ، فكم أعاشرُ أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها !
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعَدَوْا مصالحها وهُم أُجراؤها

[أبو العلاء المعرى]

ربما ندم من تزوج ، أما من لم يتزوج فلا مناص له من الندم .

[مثل تشيكوسلوفاكى]

كيف يداوى الحيوان أمراضه وأوجاعه ؟

أمنا الطبيعة أعلم ...

أرشيبولد رتلدج

مختصرة من مجلة "فرچينيا كوارترلى"

لما كنت في الريف كنت مولعاً بتربية طائفة من الحيوانات الوحشية وتأليفها ، فكان من بينها خِشْف، هو ولد ظبية من الظباء البيض الأذناب . وذات يوم مَرَّ بجانب حاجز من الأسلاك الشائكة فأحدثت في جنبه جرحاً رغيباً ، فأخذته من فورى وغسلت الجرح بالماء المعقم وضمدتهُ بالضمادات ، غير أن مريضى هذا نزع الضمادات وألقاها ، وجعل يلعق مكان الجرح مترفقاً لكى ينحّى عنه الشعر الذى كان يغطيه ، حتى تركه كله معرضاً للهواء وضوء الشمس . وظل هذا الخشف يتعهد جرحه بنفسه ، فلم يلبث أن بَرأ مما أصابه .

والظاهر أن الطيور والحيوانات تعلم حق العلم أىّ الأعشاب أقدر على إبراء كل مرض بعينه ، وقد اهتدى أسلافنا الأوائل وقدماء الهنود الحمر إلى معرفة أصول الطب بمراقبتهم الحيوانات وهى تسعى إلى النبات الذى تتداوى به من جرح أو حُمى أو سوء هضم ، وبملاحظتهم دُبّاً ينبش الأرض ليستخرج جذور نبات السرخس، وبمراعاتهم الديكة الرومية الوحشية فى زمن الأمطار وهى تُكرِه صغارها على أكل ورق نباتات التوابل ، وبرؤيتهم ذئباً لدغته حية وهو يمضغ جذور نبات الترياق (اللوف العطرى) مضغ الواثق بالشفاء .

وقد يأخذك العجب لسباع الطير آكلة الجيف كيف لاتعتريها العلل من هذا الطعام؟ ولاعجب ، فإن الطبيعة قد جعلت النسر أصلع الهامة لاريش عليها ، وجعلته يتشدد فى تنقية منقاره الضخم مما يعلق به . وفضلا عن ذلك ، أنى لاأعرف طائراً سوى النسر يحرص على أن يختار مكاناً عالياً ضاحياً للشمس ، فيجثم فوقه ناشراً جناحيه طلباً لتنقية ريشه من كل دَرَن ، فإن سيرته فى الحياة تقتضيه أشد الحرص على النظافة والتطهر ، وإنه لحريص عليهما .

وللطيور ، والحيوانات جميعاً مواقيت تستحم فيها ، لا لتنقى عن أبدانها ما علق بها من الطفيليات وحسب ، بل لترد عن نفسها أيضاً كل ما تخشاه من أسباب الأمراض . ولها فى استحمامها طرائق مختلفة — فهى

تستحم بالماء والشمس والطين والتراب . ومن عادة الذئب الأغبر أن يستحم بالمياه الكبريتية الدافئة فتخفف عنه بعض الأوجاع والآلام التي تصحب تقدمه في السن . ومن عادة السُّماني والطَّيْهوج المطوّق (نوع من رتبة الدجاج) والديك الرومي الوحشي، أن تستحم متمرغة في التراب لتتقي بذلك غوائل الهوامّ التي تعلق بأبدانها .

والطيور والحيوانات إذا أصابها جرح عمدت إلى عمل سريع سديد مُحكم ، فإذا انطبق عليها فخ أو أصابها شيء جعل إحدى قوائمها تنخلع وتتدلى من جراء كسر في العظم ، لم تتردد في بتر هذا العضو . وقد نصبت وأنا صغير فخاً من الحديد في حديقة، فلما طلع الصباح رأيت أرنبة رابضة بجوار الفخ الذي أطبق على أحد صغارها، وكانت تتولى بتر ساقه لكي تخلصه ، ومن يومئذ حرّمت على نفسي نصب فخاخ الحديد .

وأعجب من جراءة الحيوان على بتره بعض أعضائه بنفسه ، شدة عنايته بجروحه. فجُرَذ المِسك الأمريكي (وهو حيوان مائي) يغطي مثل هذا الجرح بصمغ نبات الشوكران المخدر ، وبذلك يردّ عنه الأوضار والجراثيم التي قد تكون كامنة في الماء الذي يسبح فيه . والدببة أيضاً تغطي جروحها بنبات التنوب الفضي أو بصمغ الشوكران، وربما دهنتها بشيء من الصلصال ، ولكن جرذ المسك لا يستعمل الصلصال فيما أعلم ، لأنه يعرف أن الماء يذيبه . أما السعلاة (قرد شبيه بالإنسان) والبعام (الشمبنزي) والغورليّ ، فإن أحدها إذا جرح اجتهد أن يحبس الدم بكفه ، ثم يحشو الجرح الفاغر ببعض ما يرقأ الدم من أوراق الشجر الذكي الرائحة .

والظاهر أن بعض الطيور تدرك ضرورة اتخاذ الجبيرة للجناح المهيض أو المكسور ، وقد رأيت أنا ديكاً رومياً مهيض الجناح قد اضطجع على هيئة بعينها وأدنى منقاره من العضو المكسور ليعدله به ، وظل يجهد جهده حتى يقيم جناحه ويردّه إلى الصورة الأولى التي ينبغي أن يتماسك عليها بعد البُرء . ولقد انجبر هذا الكسر تماماً، وإن بقي الجناح مائلاً بعض الميل عن مستوى الجناح الآخر . ويعرف أهل الغابات حق المعرفة أن دجاج الأرض إذا انكسرت ساقه يتخذ للعضو المصاب جبيرة من الصلصال ، وربما قواها أحياناً ببعض الجذور ذات الألياف .

وكان عندي سنجاب طائر حبيس في قفص كبير ، فذات ليلة علقت إحدى يديه في شق في القفص ، فجن جنونه وبذل جهده الجاهد في الخلاص فانكسرت يده ، فرأيته بقي

أياماً طوالا منبطحاً على الأرض باسطاً يده على هيئة واحدة لا يغيّرها . فهذا المخلوق المتوقد الذى لا يهدأ قد انقلب ساكناً عاكفاً على همه الأعظم فى مداواة ما أصابه ، وقد فعل ذلك بأن اعتصم بالهدوء التام وهو مستبشر خيراً فيما أظن .

وكل حيوان وحشى إذا أصيب فإنه يجعل أكبر همه التماس العزلة والخلوة التامة . ثم لا يقتصر أمره على شدة العناية بجرحه الظاهر، بل يلتمس العلاج لأحشائه أيضاً ، فقد يحاول القىء حتى يقىء ، والأغلب أن يعمد إلى تعاطى بعض النباتات المسهلة . وكل حيوان من فصيلة السنانير وفصيلة الكلاب يعمد إلى أكل بعض العشب الأخضر إذا أثقله مرض أو نال جسمه وجع ، أما الدببة الوحشية فتأكل ثمر العليق وبعض الجذور التى تعقب ليناً فى الأحشاء . وأما الحيوانات اللبونة ذوات الحافر والظلف والخف فقلما تحتاج إلى مسهل ، بل ربما احتاجت إلى ضده أى إلى دواء قابض، وهى تلتمسه فى لحاء الشجر وأفنانه الرطبة العامرة بالحامض التنياك .

والحيوان إذا اعترته الحمى ، فمن دأبه أن يتطلب لنفسه مكاناً ظليلاً طلق الهواء قريباً من الماء ، ويظل قاراً ساكنا ، ويأكل قليلا ويشرب كثيراً حتى يتماثل . فإذا أصابه برد أو شبهه ، تراه يلتمس أدفأ مكان يوفق إليه تحت وهج الشمس ، حتى يستوعب بدنه أكبر قدر ممكن من الحرارة .

والحيوانات والطيور تغير ألوان طعامها تبعاً لتغير الفصول التى تقتضيها أن تلائم بينها وبين حاجاتها ، فيتم لها ذلك بغريزة سديدة لا تخطىء . ففى جنوب أمريكا مثلاً ، حيث تكثر الأخاديد التى بقيت من أعمال استخراج الفسفات ، ترى الأيايل والوعول تقطع الأميال الطوال لكى تشرب من ماء هذه الأخاديد ، وهو ماء عامر بالجير الذى يقوى نموّ قرونها .

وجميع إناث الطيور تحتاج إلى الجير الذى يعين قشرة بيضها على التكون . ومن المألوف أن يرى المرء الطيور ، حتى التى تعيش منها فى النجود ، وقد آوت فى زمن سفادها إلى حيث يوجد محار البحر ، إذ لا بد لها من الجير ، وهى تعرف أين تجده .

وكل حيوان وحشى إذا هو مرض أو جرح لجأ إلى العلاج العتيق الذى هدته إليه الطبيعة : وهو العقاقير والهواء النقى ، والراحة التامة . وأنا إذا أخذنى العجب من قدرة هذه الحيوانات على علاج نفسها بنفسها، انصرف أكبر عجبى إلى عزيمتها التى لا تتزعزع وهى تتولى علاج نفسها بنفسها .

غرائبُ الاستشفاف

إرنست هنتر رايت

مختصرة من مجلة "هاربرز"

أفى وسع المرء أن « يقرأ » الفكر الذى يجول فى عقل امرىء آخر؟ أيستطيع أن « يرى » شيئاً محجوباً عن عينيه وسائر حواسه ؟ وهل « الاستشفاف » أو « الكشف » ، حقيقة أو وهم ؟*

ليس عندى دليل ولا رأى أريدك على الأخذ به ، وإنما أريد أن أعرض طائفة من الحقائق ، ولك أن ترى رأيك فيها . ولما كانت هذه الحقائق خليقة بأن تدهشك كما أدهشتنى ، فيجمل بى أن أقول إننى قد استوثقت من صحتها .

ما أكثر الذين يحدثوننا عن أحلام قد تحققت، ولكل امرىء تقريباً صديق يؤكد له أنه رأى رؤيا صادقة، واثنان أو ثلاثة يؤكدون بأن هاتفاً قد أنذرهم بقرب وقوع حوادث معينة فى أماكن بعيدة . وقد تمّ بحث شمل عشرة آلاف من صَفْوة الرجال والنساء ، فثبت أن ٢٥ فى المئة منهم اعترفوا بوقوع مثل هذه الحوادث لهم ، وأكثر الناس يضرب صفحاً عن أمثال هذه الروايات ، لأنها مخالفة لتجارب البشر ، فهى بعيدة الاحتمال ، ثمّ لأنه من النادر قيام الدليل على صحتها بالبرهان أو الاستقصاء .

بيد أن هناك أشياء يصحّ لنا أن نرويها لأن صحتها ثابتة ، ولأنها تختلف اختلافاً كبيراً عن الروايات التى لم يعززها الدليل ، وهى نتيجة طائفة كبيرة من تجارب بسيطة ، ولكنها علمية، وأدق وأحكم من كلّ ما سبقها .

قصدت إلى جامعة ديوك فجلست إلى مائدة وجلست بإزائى فتاة قامت بعمل لا أستطيع أن أعلله ، وكان فى وسط المائدة بيننا حاجز من خشب ، بلغ من الارتفاع والسعة مبلغاً يُعجز كلاًّ منا عن أن يرى صاحبه، وأمسكت بيدى رزمة فيها ٢٥ بطاقة خلطت بعضها ببعض ووضعتها على المائدة ووجوهها إلى أسفل ، وجعلت الفتاة تذكر العلامات التى على البطاقات من أعلاها إلى أسفلها ، وأنا أسجل ماتقول ، وكانت سرعتها تفوق سرعتى فى التسجيل . وقد أعدنا الكرة عشرين مرة، وكنت كل مرة أخلط البطاقات

---

* الاستشفاف : قراءة الأفكار Telepathy
الكشف : رؤية المحجوب Clairvoyance

خلطاً جديداً، أي أن الفتاة حاولت أن تذكر العلامات على ٥٠٠ بطاقة ، وقد تمّ كلّ ذلك في نصف ساعة . فلما حسبنا ما أصابت فيه وما أخطأت ، وجدنا أن نسبة الإصابة قد بلغت حدّ العجب. ولا يمكن تعليل إصابتها بالمصادفة إلا بنسبة واحد في ستمئة مليون .

بدأ جوزيف بانكس راين الأستاذ بجامعة ديوك هذه التجارب منذ خمس عشرة سنة ، عسى أن يعرف معرفة قاطعة أهناك شيء يسمّى استشفافاً أو كشفاً أو أي إدراك آخر خارج عن نطاق الحواس الخمس . وقد اتصلت تجاربه وسجل منها مئة ألف تجربة أو أكثر .

والتجارب المختلفة تتمّ برزم من البطاقات في كل منها ٢٥ بطاقة ، وعلى وجه كل بطاقة رسم من خمسة رسوم : دائرة أو مستطيل أو نجمة أو صليب أو طائفة من خطوط متماوجة ، وكان الأستاذ يطلب من كل من يتقدم للتجربة ، مهما تفاوتت أحوالهم ، طلباً واحداً : هو أن يذكر العلامة على كل منها بغير أن يراها أو يتصل بها بأية حاسة من حواسه . ولو تمّ الأمر مصادفة ، لكان معدل الإصابة واحداً في خمسة . وكان يريد أن يتبين هل هناك من يستطيع أن يكون معدل إصابته أكبر من معدل المصادفة ، وقد كان نصف التجارب خاصاً بالكشف ، والنصف الآخر خاصاً بالاستشفاف

فإذا أخذ المجرِّب البطاقات واحدة بعد واحدة ، ولم ينظر إليها حتى يذكر الوسيط نوع العلامة المرسومة عليها ، كان ذلك امتحاناً للكشف ، لأنّ العلامة المرسومة كانت غير معروفة لأحد على الإطلاق . أما إذا فكر المجرِّب في علامةٍ ما دون أن تكون هناك بطاقة بين يديه ، وطلب إلى الوسيط أن يعرف العلامة التي فكر فيها ، عُدّ ذلك امتحاناً للاستشفاف .

وقد أسفرت هذه التجارب عن عجب من العجب ، فقد كشفت نحو عشرين رجلاً وامرأة استطاعوا أن يصيبوا في ذكر علامات عدد كبير من البطاقات، وفي تجارب متعددة متفاوتة ، حتى ليستحيل أن تعدّ إصابتهم من قبيل المصادفة إلا بنسبة واحد إلى عدة بلايين . وقد بلغ نجاحهم في جملته مبلغاً يذهل العقل ، حتى لا نجد مندوحة عن التسليم بأحد أمرين : إما أن نؤمن بالكشف والاستشفاف ، وإما أن يكون كل ذلك هراء .

كان النجاح العجيب الأول هو نجاح لنزماير، أحد طلبة جامعة ديوك . ففي التجربة التي كانت تمهيداً لامتحانه ، أصاب في ذكر العلامات على ٢١ بطاقة من ٤٥ بطاقة.. ولو كان الأمر مصادفة لما أصاب إلا في تسع

بطاقات. وقد جلس للتجربة فى الأيام التالية، فذكر العلامات على ٦٠٠ بطاقة فأصاب فى ٢٣٨ منها ، ولوكانت مصادفة لما زاد احتمال إصابته على نسبة واحد فى مئة دشليون . وفى تجربة أخرى أجريت على لنزماير ذكر العلامات على ٢٥ بطاقة فأصاب فى ٢١ ، وقد أصاب فى ذكر ١٥ منها على التوالى .

وقد أجريت ١١٫٢٥٠ تجربة على هوبرت بيرس من طلبة الفقه ، وقدأجرى بعضها يوم كان مريضاً أومضطرب النفس ، فبلغ معدل إصابته فى التجارب جميعاً تسعاً فى خمس وعشرين . أما جورج زركل فقد أجريت عليه ٣٫٤٠٠ تجربة فكان معدل إصابته أحد عشر فى خمس وعشرين ، وكان معدلهما كلهما أعلى من المعدّل الذى يقرره حساب المصادفة . ولوكانت إصابتهما مصادفة وحسب ، لكانا خليقين أن يكونا دون المعدل أو فوقه .

ولم يكن للمسافة بين الوسيط ورزمة البطاقات أثر ما فى زيادة نجاحه أو تقليله فى أغلب الحالات ، فقد أجرى بيرس ٦٠٠ تجربة وقف فيها وراء ستار ، فكان معدل نجاحه ٩ فى ٢٥ ، وأجرى ٣٠٠ تجربة وهو فى بناية غير البناية التى تضم المجرّب والبطاقات فكان معدل إصابته ٩٫٩ فى ٢٥ ، وأجرت سارة أوبنى وماى ترنر ٢٠٠ تجربة على بعد ٢٥٠ ميلاً من البطاقات فكان معدّل إصابتهما ١٠٫١ فى ٢٥ .

واتفق مراراً أن بلغ معدل زركل ٢٢ فى ٢٥ ، وذكر مرة واحدة العلامة الصحيحة فى ٢٦ بطاقة متوالية من خمسين ، وذكر بيرس مرة واحدة العلامة الصحيحة فى ٢٥ بطاقة من رزمة تحتوى ٢٥ . ولو كان مرجع ذلك إلى المصادفة لما كان احتمال إصابته يزيد على واحد فى ٢٩٨٫٠٢٣٫٢٢٣٫٨٧٦٫٩٥٣٫١٢٥ . ولو عرض عليه هذا العدد الضخم من البطاقات وذكر علامة كل منها مرة كل نصف دقيقة ، فى عشر ساعات كل يوم من أيام السنة ، لاستغرق ذلك ٦٠٠ بليون سنة.

إن النتائج التى أسفرت عنها هذه التجارب التى عدتها ١٠٠ ألف ، تعدُّ دليلاً هائلاً . وقد بلغ من ثقة الدكتور راين وصحبه بأن الكشف والاستشفاف من الحقائق العلمية ، أنك تراهم قد انصرفوا زمناً عن إجراء تجارب أخرى غرضها إثبات هذا القول وحسب ، ولكنهم لايزالون معنيين بالبحث، لا لكى يثبتوا وجود هذه القوى العقلية ، بل ليدركوا كنهها ، وهل فى الوسع تربيتها، وإلى أى مدى ، وكيف تفعل فعلها ، وهو أهم ما فى الأمر .

فإذا سلمنا بالقدرة على الاستشفاف والكشف ، كما يسلم بهما الأستاذ راين ،

فماذا عسانا نقـول فى تعليلها ؟ أتبقى سراً محجوباً عن أفهامنا كالجاذبية والتماسك ، أم نستطيع أن نميط اللثام قليلاً عن كنهها ؟ ونحن لانزال فى ظلام دامس فلا نستطيع أن نقطع برأى، ولكن هناك أشياء نستطيع أن نذكرها حتى ينجلى الحق :

وأولها أن هذه القدرة تبدو حقاً خارجة عن نطاق الحواس ، وليس ثمة ما يدل على أنها حاسة سادسة ، وجميع الرجال والنساء الذين يتصفون بها مقتنعون بأنهم لا يستطيعون أن يعرفوا لها مركزاً فى أبدانهم ، كما يعرفون أن العينين مركز لحاسة البصر، فهم يجيبون بيدنهم جملة واحدة ، ولا نستطيع أن نعلل الكشف والاستشفاف بنظرية من نظريات الإشعاع ، فينبغى أن نعدّهما موهبتين عقليتين منفصلتين عن الحواسّ .

ويلوح أن هذه القوة ليست قوةً كامنة ، وهذا يقضى على ظنّ متقادم بأن أول ماينبغى لمن يحسن الكشف هـو أن يستغرق فى النوم ، أو أن ينام نوماً خفيفاً ، حتى يتسنى له أن « يرى » الأشياء كما تطوف بذهنه الخالى ، بل ينبغى للوسيط أن يكون يقظاً متنبهاً . وقد ظهر فى كلّ حالة من الحالات ، أن معدل الإصابة يقلّ إذا كان الوسـيط متوعكاً أومهموماً أومتعباً أوشارد الفكر. وفى حالات كثيرة كان الوسيط يعطى وهو فى وسط سلسلة من التجارب ، حبة فيها مادة مخدرة لكى يرى المجرِّبون كيف تؤثر فى معدل إصابته، ثم يعطى حبة فيها مادة منبِّهة للغرض نفسه . وكان الرجل لايعلم فى أغلب الأحيان ما تحتويه الحبـة التى تُقدم له ، أو ما ينتظر من تأثيرها فى قدرته .

وقد أفضى تعاطى المخدِّر فى كل مرة إلى هبوط معدّل النجاح ، وكان الهبوط على الأكثر إلى المعـدل الذى يقتضيه حساب المصادفة . أما المادة المنبِّهة فكانت ترفع المعدل مهما كان عالياً قبل أخذها .

ويلوح أن هذه الموهبة عمل من أعمال العقل فى نشاطه ، وهى ألطف وأخفى من معظم قوانا العقلية ، ولكنها موهبة طبيعية لاتزال فى أول عهد ظهورها فى النوع البشرى لا فى آخره . ولما كانت قدرة خارجة عن نطاق الحواس ، فهى أعلى مرتبة من قدرة الحواس نفسها ، ولذلك يغلب على الظن أنها تتأخر عنها فى مدارج التطور .

ويلوح أن الكشف والاستشفاف موهبة واحدة تتجـلى فى مظهرين مختلفين . وقد أثبتت التجارب حتى الآن أن كل من يتمتع بإحداها يتمتع بالأخرى أيضاً ، أما قوتهما فيه فتكون من مرتبة واحدة ، فمعدل إصابة وسيط فى تجارب الكشف الخالصة يعادل معدل إصابته فى تجارب الاستشفاف الخالصة.

فإذا صدق هذا فربما أفضى بنا إلى فرض جرىء . ففي عصور التاريخ جميعاً ، وفي جميع أقطار الأرض اليوم ، طوائف من خيرة الرجال والنساء وقعت لهم تجارب عقلية منوّعة عجزوا عن فهمها . فالروايات تتوالى على أن ما وقع لجان دارك وللحكيم الإيطالى سافو نارولا يقع مثله اليوم لعدد وافر من أوساط الناس ، فلا يجوز لنا أن نتغاضى عنه . وهذا الضرب من التجارب يطلق عليه وصف (باراسيكولوجى) أى التجارب النفسية التى نعجز عن تعليلها . وهذا هو الموضوع الذى اتخذه الأستاذ راين ميداناً لبحثه ، وإنه ليتوق هو ومعاونوه إلى أن يفحصوا هذا الضرب من التجارب ويمتحنوها بكل امتحان يقتضيه العلم . وهو يظن أنه قد أقام الدليل على أن كل امرىء يستطيع أن يستطلع بعض الاستطلاع ما يحفّ به دون أن يستعين بحواسه . وعنده ما يحمله على الاعتقاد بأن فى وسع كل إنسان أن يُبين عن قليل أو كثير من هذه المقدرة متى أُلمّ ببعض الأحوال الدقيقة التى تسمح بتكشفها ، إلا أنه قد حصر أكثر بحثه حتى اليوم فى رجال ونساء تتجلى فيهم هذه الموهبة ، وهذا صواب .

ومما يجدر بالذكر أن كلاًّ من الوسطاء الثمانية الذين تتجلى فيه قدرة الإدراك بغير الحواس ، هم من أسر فى كل منها فردٌ أو أكثر من الذين وقعت لهم هذه التجارب « الباراسيكولوجية » . وقد كان لأحدهم أمٌّ وخالٌ تهتف بهما الهواتف . وكان لآخر أب يَرَى بعض الرؤى الصادقة ، وقد رأى أبوه وأمه رؤيا فتمت كما رأياها . وكان لثالث أمٌّ لها قدرة غير عادية على الكشف ، وكانت تظن أنها مؤاخية « لأرواح » شتى . ولما كان الدكتور راين ، لم يعثر على وسيط ممتاز ليس له قريب وقعت له حوادث من هذا القبيل ، فيلوح أن هذه المواهب الغريبة تنحدر وراثة فى الأسر .

أما الفرض الجرىء فهو هذا : لما كان البحث قد عزل ظاهرتى الاستشفاف والكشف وهما أشيع الظواهر الباراسيكولوجية ، ودلّ على أنهما شىء واحد ، ولما كان الرجال والنساء اللذان تتجليان فيهم لهم من أهلهم الأدنين من هو عرضة للتجارب المختلفة التى من هذا القبيل ، فربما نجد فى هاتين الحقيقتين سرّ الألغاز العقلية الكثيرة التى ما فتئت تحيِّر الناس منذ قديم الزمان .

كيف تقولين: "تعال إلىّ"؟

أنستولى أبوت • مختصرة من صحيفة "بلتيمور صنداى صن"

روى لى أحد رجال المسرح أنه ألفى نفسه ذات يوم فى مأزق حرج ، فقد كان لأحد أصحابه فضل عليه ، فجاءته ابنة ذلك الرجل تطلب دوراً فى مسرحية جديدة يعدّها ، ولم يكن للفتاة تجربة سابقة فى التمثيل . فقال لها : « أعطيك الدور إذا وسعك أن تقولى كلمتين وحسب على وجه يرضينى » . فقالت : « أنا واثقة أنى أستطيع ، فما هما » .

فقال : « إن الكلمتين هما : تعالَ إلىّ » ، وينبغى لك أن تقوليهما ثلاث مرات . أما فى المرة الأولى فتصوّرى أنك فتاة سريعة الغضب ، وأنك مدلهة بحبّ شابّ ، وأنك فرغت لساعتك من شجار معه وأمرته أن يدعك وشأنك إلى الأبد . وها هو ذا قد سار إلى الباب مطأطئ الرأس ، فتامحين فى جيبه شكل مسدّس فتظنين أنه سوف ينتحر ، وإذا بك تتحققين فجأة أنه الدنيا كلها فى عينك ، فيستبد بك الذعر وتأنيب الضمير فتهتفين به : « تعال إلىّ » .

« ثم تصوّرى أنك أمّ ولك ولد صغير فى الرابعة من عمره ، وقد ألبسته ثوباً جديداً وأمرته أن ينتظر أمام البيت ، فعصاك وخرج إلى الشارع ، وإذا بسيارة نقل تظهر فتكاد تدهسه ، وها هو ذا ملقى فى الشارع ، وثوبه الجديد يعلوه الوحل ، فهزك الخوف والذعر ، ثم غمرك الفرح بأنه لا يزال حياً ، واستبدّ بك الغضب لأنه عصى أمرك — كل هذا أريد أن أسمعه منك حين تقولين : « تعال إلىّ » .

« وأخيراً تصوّرى أنك زوجة صاحب مصرف صغير فى قرية ، وأن المصرف قد أفلس ، وإذا على باب بيتك جمهور من الذين خسروا ودائعهم ، وهم غضاب يودون لو يمزقون زوجك إرباً إرباً ، ولكنه سبقهم فأطلق الرصاص على رأسه ، وها هو ذا مضرّج بدمه على الأرض ، ثم تفتحين الباب ، فأسمعينى كيف تقولين لقائد الجمهور الصاخب : « تعال إلىّ »

« أتستطعين أن تقولى هاتين الكلمتين ، كما وصفت ؟ »

فرفعت إليه الفتاة عينين براقتين وقالت : « لا ، لا أستطيع ذلك كله وحدى ، ولكننى أستطيع إذا توليت توجيهى . قل أنت الكلمتين كما ينبغى ، وأنا أتبعك ، أترضى ؟ »

فأعطاها الدور .

الملك السفّاح

في جزيرة هايتي

رتشرد تريك

مختصرة من مجلة "تشيمبرز"

صور من التاريخ

إنّ أطلال قلعة لافيريه الجاثمة على قمة جبال هايتي الشاهقة هي من المعالم التي ألفها المسافرون إلى جزر الهند الغربية، ولقد هلك ٣٠ ألف رجل في بناء هذا الأثر لتخليد ذكرى حاكم سفّاح لم تر الدنيا مثله، هو الملك الزنجي هنري كريستوف الأول.

وكان هنري من رقيق مزارع فرنسي في هايتي، فاشتغل بتهريب الخمور إلى أن ربح ما يكفيه لفكّ رقبته. وكان رجلا قوي البنية طويل القامة، ثم التحق بالجيش الفرنسي فنبه ذكره لفرط شجاعته، ورُقي وهو في الثانية والثلاثين من عمره إلى رتبة القائد، وعين حاكما على الولاية. ولما ثار الشعب لسخطه على حكم الفرنسيين، امتشق هنري سلاحه وحارب أصدقاءه السابقين، وأصبح بعد طردهم في سنة ١٨٠٧ رئيس حكومة هايتي وقائد جيشها الأعلى، فتحبب إلى الشعب بالطنطنة باسم الحرية، ولكنه كان يخفي الفتك والغفلة لكي يقضي على منافسيه واحداً بعد واحد. ثم زعم أنه من سلالة الفراعنة، وحمل أصدقاءه في سنة ١٨١١ على انتخابه ملكا لهايتي، واختار له لقب هنري الأول.

فلما علا أمرُه، استبدّ بالسلطان المطلق على رعاياه، وقرّر رأيه على أن يدخلهم في المدنية كما يفهمها هو، فسن القوانين، وفتح المدارس، ومهد الطرق، وأنشأ دوراً عامة في المناطق الآهلة بالسكان، وألف جيشاً منظماً للذود عن حياض المملكة ولتنفيذ القانون. ولما كان يخشى عودة الفرنسيين عمد إلى بناء قلعة لافيريه ليتوّج بها مملكته. كان لا مفر من حمل مواد البناء كلها صُعُداً في الجبال الشاهقة، فكان الرجال المساكين المكلفون بهذا العمل يموتون كالذباب من ضربة الشمس والحمى والإعياء. وقد أمر أن ينقل

يروى أنه حدثت ذات يوم بين هنرى كريستوف وسفير بريطانيا فى بلاطه ، مناقشة عن طاعة الجنود للأوامر وحفظ النظام ، فزعم الملك الزنجى أن جنوده لا يحجمون عن طاعة أوامره مهما كانت وأراد أن يثبت ذلك للسفير فقاده إلى سطح القلعة وصف نفراً من الجند وجعلهم يؤدون بعض الحركات العسكرية ، ثم أمرهم أن يسيروا نحو حافة السطح ولايتريثوا فتساقطوا واحداً بعد واحد فى هوة يبلغ عمقها ٣٠٠ متر . — هارى فرانك فى كتابه : « مطوِّف فى جزائر الهند الغربية »

إلى القلعــة ٣٦٥ مدفعاً . فرأى هنرى ذات يوم مئة رجل يجاهدون عبثاً فى تحريك مدفع ثقيل على منحدر شديد الانحدار ، فلما أعلنوا عجزهم وألقوا بالحبال، أمر جلالته بأن يقف الرجال صفاً ثم يرمى بالرصاص كل رابع أربعة من الرجال ، وأمر الباقون أن يعودوا إلى جر المدفع فعكفوا على جذبه وهم يتفصدون عرقاً فلم يفلحوا فى زحزحته، فأمر هنرى بأن يعدم كل ثالث ثلاثة من الرجال . وقال للباقين وهو يحذرهم : « فى المرة القادمة سيرمى بالرصاص كل ثانى اثنين» ، فأتم الباقون نقل المدفع إلى القلعة .

وكان هنرى لا يأمن الرجال البيض ، ولكنه اضطر إلى استخدام نفر من الضباط الألمان لوضع تصميم القلعة والإشراف على بنائها ، فلما سألوه أن يأذن لهم بالعودة إلى بلادهم للاستجمام من متاعب حرِّ هايتى ، وجهت إليهم التهمة بأنهم سرقوا أسرار القلعة لبيعها للأعداء ، وألقى بهم فى السجن فذاقوا فيه آلام الجوع أياماً طوالا،ثم قتلوا فى جوف الليل طعنا بالخناجر .

وأسوأ من مصيرهم مصير مهندس زنجى وضع تصميم قبو القلعــة وأشرف على بنائه ليكون مقرّ خزائن المملكة ،فلما فرغ من عمله ذهب إلى مولاه ليخبره بالبناء وهو تيّاه فخور ،فلقيه هنرى على أسوار القلعة الشاهقة وسأله : « أواثق أنت أن السر لا يعلمه إلا اثنان ، أنا وأنت ؟ » فأجابه. « كل الثقة ياصاحب الجلالة » فرد عليه هنرى بهدوء قائلا : « الآن اطمأن قلبى » ثم جرد سيفه وطعن به المهندس التعس، فهوى جسده من فوق الأسوار .

وكان هنرى يتولى بنفسه الإشراف على تطبيق القوانين ، فحرّم الكسل على رعاياه جميعاً ، وفرض على كل إنسان أن يعمل ١٤ ساعة فى اليوم ، وكان هو نفسه قدوة

لهم ، فكان يعمل ١٩ ساعة . وكان يعاقب المخالفين كما يشاء له هواه ، وكثيراً ماقطع الرأس من أجل هفوة هينة . فذات مرة أغفت عين رجل مسكين فى ساعات العمل وهو جالس فى مرمى مدافع القلعة، فكانت يقظته فى دنيا غير هذه الدنيا : فقد أمر الملك جنوده أن يوقظوه بقذيفة من المدفع . وفوجىء خادم فى قصره المسمى سان‌سوسى وهو يسرق سمكا مقدّداً، فطرح على أرض المطبخ وجلد على عين الملك حتى مات ، ثم انصرف هنرى إلى مائدة فطوره .

أراد الملك أن يخضع رعاياه المروّعين بهذه الفظائع، ولم ينج من شر سطوته امرأة ولا طفل ، فقد عاد مرة مخفقاً من غزوة غزاها ليستولى على ميناء بورت أوبرنس، فعلم يومئذ أن النساء ذهبن إلى الكنيسة يبتهلن إلى الله أن لا يرجعه إلى وطنه ، فأمر شرذمة من الصعاليك أن يجوسوا خلال الديار ليقتلوا كل من يلقونه من النساء . وقد قتل أحد الضباط فى مرضاة هذا الملك السفاح ، زوجه وأولاده بحد سيفه ،ومع ذلك لم ينج هذا الضابط من بطش الملك ، إذ مدّ إليه يده فى سورة الغضب واقتلع عينه .

وكان هنرى يستأصل جذور الفساد من مكاتب الحكومة بين الحين والحين ، فإذا هب النسيم أقلع من الشاطىء تحت سواد الليل زورق على ظهره شحنة من الآدميين، ثم يعود مع الصباح تدفعه هبات النسيم فارغاً تتبعه أسراب من سمك القرش طمعاً فى الشحنة التالية .

ربما كان هناك شىء من الخير فى عنف هذا الملك (الذى كان عبداً رقيقاً) وهو يقسر رعاياه الزنوج على ارتقاء سلم المدنية .وكانت له وسائل ساذجة ولكنها ذات أثر ، فقد أمر بأن تعرض على عماله مركبة من طراز فرنسى وأمرهم بأن يصنعوا مركبة مثلها فى بحر أسبوعين وإلا قتلهم . وفرض على رعاياه كثيراً من أمثال ذلك ، وقد حمله جبروته على أن ينكر أن فى الدنيا شيئاً يستطيع الرجل الأوروبى أن يصنعه ، فيعجز رعاياه الزنوج عن صنع مثله ، ومع ذلك لم يكن استبداده منبعثاً كله عن رغبته فى رقى الشعب . وكان إذا سار فى الطريق ركع الناس بين يديه عنوة ، فإذا جرؤ أحد فرفع بصره إليه بغير إذن منه،كان جزاؤه القتل . — هارى فرانك فى كتابه : « مطوّف فى جزائر الهند الغربية »

واستصلح هنرى أرض بلاده ، وزرع فيها البن وقصب السكر والكاكاو ، وأخذ يبيعها إلى التجار الأوربيين . وكان يشرف بنفسه على عقد الصفقات ، فتكدس الذهب فى خزائن قبو القلعة ، وأخذ يقيم المآدب الفاخرة فى قصر سان‌سوسى فيدخل مرتدياً معطفاً من الفرو الثمين مطرزاً بخيوط من الفضة ، فيخف لاستقباله أمير « الحلوى » وأمير « عصير الليمون » إلى آخر هــذه الألقاب التى اخترعها لأشراف بلاطه . وكان يطعم ضيوفه فى الأيام الجليلة الشأن أطايب المآكل فى صحاف من ذهب . وأفرد هنرى لمداولاته حجرة المكتبة التى صفت فيها كتب يعسر على صاحبها الأمىّ أن يقرأ منها حرفاً واحداً . وقد استقبل كثيراً من الأوربيين فوصفه بعضهم بأنه رجل خلاب ذو شخصية جذابة .

أما رعاياه فلم يكونوا يرون هذا الرأى . نعم لقد خضعوا لسلطانه زمناً ، بيد أن الصبر له حدٌّ محدود ، وقد واتتهم الفرصة حين أصيب بالشلل ، فدفعتهم المظالم الفادحة إلى الثورة . فلما علم هنرى أن الثوار يقتربون من القصر ، اعتصم بحجرته واستقر فى مقعده ، وأمسك فى كل يد مسدساً محشوًّا بقذائف من الذهب . فهذا الرجل الذى أدار كؤوس الردى على كثير من الناس ، لم يجبن حين رأى طلائع الضربة القاضـية التى ستنزل بسلطانه ، فأطلق أحد المسدسين على رأسه والآخر على قلبه وخرّ صريعاً ، وقد علا صراخ الثوار خارج القصر مطالبين برأسه.

آفاق جديدة فى التربية

تقتضى جامعة ويلرد للزنوج من طلابها أن يتعلموا فنون تنظيم البيت قبل أن تمنحهم شهاداتهم للتخرج ، فيشترك الطلاب مع الطالبات فى دراســة تصميم المنازل واختيار الطعام والملابس ، والعناية بالصغار . وعنيت كلية المعلمين فى جنوب أوكلاهوما بتدريب طلابها على إصلاح ما يلزم إصلاحه فى البيت ، مثل أجهزة الكهرباء وأنابيب الماء . وقد أنشأت جامعة ميامى لطلاب علم الحيوان فيها ، فصلا خاصاً لدراسة الأحياء المائية كما تعيش فى جوف البحر ، فيرتدى الطلاب الأثواب الخاصة التى تمكنهم من الغوص إلى قرار البحر ، حيث يراقبون من نافذة فى الكرة أشكال الأحياء وألوانها وسائر خواصّها .

الرجل الذى يمشى ، يملك الدنيا التى من حوله



الدنيا بالمشى لك

هال بورلند

مختصرة من مجلة "نيويورك تايمز"

نستطيع أن تقدر اهتمام الإنسان بعالمه وبزملائه من عاداته فى المشى . وأحسب أنه قد يستطاع بالدرس المنظم قياس سعة عقل الإنسان وسبر غوره بمعرفة رأيه فى المشى ؟ وهل يحب أن يتمشى ؟ وأين يتمشى ، وكيف ؟ ولماذا ؟

هل من الممكن أن يتمشى الإنسان دون أن يكون هناك حافز إلى التفكير ؟ إنى أشك فى ذلك ، فإنه يبدو لى أن مجرد الحركة تدفع العقل إلى العمل ، والهزة الحادثة من أضعف مشية تطلق الأفكار وتتيح لها أن يحتك بعضها ببعض ، وأن تمتزج ، وتستجد لنفسها ترتيباً وتناسباً . ويفسر العلماء بوظائف الأعضاء هذا بقولهم إن : الرياضة والهواء النقى يحسنان دورة الدم ، وينعشان الذهن بتزويده بقدر من الأكسجين أكبر . ولكنى أشك فى وفاء هذا التفسير ، لأنه ينزل المشى إلى مرتبة الرياضة المتعمدة ، ومن ذا الذى استنبط فكرة عظيمة ، أو فكرة باقية على الزمن بالقيام بحركات رياضية أمام شباك مفتوح ؟

إن نصف متعة المشى يستفاد من تغيير المناظر فى رفق . وقد لا يكون الانتقال إلا من شارع إلى شارع ، أو من رأس تل إلى آخر ، ولكنه تغيير ، وهو ينعش . وحتى إذا قطعت طريقاً بعينه يوماً بعد يوم ، فإنك تجد اختلافاً فيما ألفت أن تراه . وفى الريف لا تكون الريح والسحب ، والنور ، والنبات ، على حال واحدة أبداً ، وهناك تغير أيضاً فى شارع المدينة ، وفى واجهات الدكاكين ، وفى مداخل الأبنية ، وفيمن تلقى من الناس .

والذين يتمشون يصبحون كأنهم يملكون هذه الطرق والشوارع والحدائق والحقول .

وسأظل دائماً مالكاً لأجزاء معينة فى عدة مدن لأنى تمشيت فى شوارعها أنا الغريب فيها ، وألفت مناظرها ، وأصواتهـا ، وروائحها ، وعرفت ناسها حتى وإن كانوا هم لم يعرفونى ، ومع أنى اجتمعت بهؤلاء الناس فيما بعد ، وأرونى المدينة التى عرفتها ، فإن ما أملك منها لم يطرأ عليه أى تغيير ، لأنى استكشفت ما استكشفت بنفسى .

ونحن حين نتمشى يتسع لنـا الوقت للاستكشاف والتقدير ، ونرى الاشياء كاملة ، وتكون نظرتنا إلى العالم الذى حولنا دقيقة ، فنرى الاشجار كما نرى الغابة ، ونبصر الناس فرادى كما نبصرهم جماعات . وإذا كان مزاجنا معتدلا — والتمشى يفيدنا هذه الحالة حين نكون فى أشد الحاجة إليها — فإننا نستطيع أن نرى أنفسنا بجلاء أى جلاء ، فنسترد صحة تقديرنا لحقيقة أنفسنا .

وفى التمشى ، مهما كانت سرعتك فيه ، تمهل يخفف من حدّة التوتر . وهـذه مشيتك التى تعودتها ، فإذا كنت قد عينت لنفسك مسافة ، ففى وسـعك أن تقطعها بسرعة أو رويداً رويداً ، وإذا كنت قد عينت لنفسك وقتاً ، ففى وسعك أن تعجل أو تتلكأ ، والأمر إليك . والعالم أيضاً ملك يدك إلى حين . وبعض الناس يؤثرون أن يمشوا وحدهم فى خلوة مع خواطرهم ، وأنا أفضل رفيقاً يفهم الاقتصاد فى الكلام كفهمـه الاقتصاد فى النشاط . وأحسب أن الذين يفضلون أن يرافقوا كلباً ، قد سئموا المشى مع رجل يظل يثرثر بغير انقطاع ، ومثل هذا الثرثارة لا يعد فيمن يتمشون ، فإنما هو مغرور قائم على ساقين ، يخشى أن يدع ضخامة الدنيا تبدِى عن جرمه الضئيل .

والمشى يفيـدنا ذلك الشعور بالتناسب الذى نفتقر إليه جميعـاً فى بعض الأحيان ، فإنك وأنت فى سيارة أو طائرة ، تفقـد إحساسك بالزمان والأبعاد ، ولكنك وأنت تمشى على رجليك لا تلبث أن تعرف مبلغ ارتفاع التل ، ومبلغ طول الميل . ومتى قطعت نفس الطريق فى كل الفصول ، فإنك تعرف كيف أن التغير حادث لامراء فيـه ، وأنه يتم بالتدريج .

وفى وسعك أن تدرس كل العالم إذا كانت عيناك مفتوحتين ، وعقلك مستعداً أن يدرك . ولكن عليك أولا أن تتمشى ؛ فإن سعة المعرفة تتطلب عمق الفهم . وأعرف الناس بالدنيا أخبرهم بتلك الدنيا التى يجوبها بخطواته . وليست كل الجبال والأودية سواء ، ولكن إذا لم يعرف الإنسان جباله هو وأوديته هو ، فإنه غير محتمل أن يفهم تلك التى هى منه على مسافة ألف ميل ، بل إنى لكبير الشك فى أنه يفهم نفسه .

خرافة تشرشل والسمكة

مذكرات جاسوس فرنسي حربي
لمؤلفه "ريمي"
(جيلبرت رينو)

يروى أنه يوم كانت إنجلترا في يوليو ١٩٤٠ تواجه العدو وحدها ، أرسل هتلر إلى تشرشل يدعوه إلى مؤتمر سري في باريس ، وصل تشرشل بالطائرة فأرسل إلى قصر ونتنبلو حيث كان هتلر وموسوليني ينتظرانه جالسين إلى مائدة شاي قرب بركة السمك المشهورة .

فلم يضيِّع هتلر وقته في حديث لا طائل تحته بل قال : « هذا ما أريد أن أقوله لك ياتشرشل ، إن إنجلترا قد قضي عليها ، وقِّع هذه الوثيقة معترفاً بأن إنجلترا قد خسرت الحرب ، فتنعم أوربة كلها بالسلام غداً » .

فقال تشرشل هادئاً : « يؤسفني أنني لا أستطيع أن أوقع ، فأنا لا أوافق على أننا خسرنا الحرب » . فصاح هتلر وهو يقرع المائدة : « هذا هراء ألا ترى الدلائل الواضحة ؟ »

فرشف تشرشل الشاي وقال : « نعمد في إنجلترا إلى الرهان للبت في خلاف في الرأي أريد أن تراهنني فمن يخسر الرهان يسلم بأنه قد خسر الحرب » .

فسأل هتلر مستريباً : « وما هو الرهان ؟ »

فقال تشرشل : « أترى هذا السمك الكبير في البركة ؟ إذن ، فلنتراهن على أن أول من يستطيع أن يمسك سمكة منها دون أن يستعين بأساليب الصيد المألوفة يكون هو الذي كسب الحرب » .

فرد هتلر حاسماً : « قبلت الرهان » وأخرج من جيبه مسدساً وأطلقه على أقرب السمك إليه ولكن الماء حرف الرصاص ومضت السمك سابحة دون أن تصاب بأذى

فصاح هتلر بموسوليني : « موسو ، هذا دورك الآن ، وقد قيل لي أنك سباح بارع ، فإلى البركة إذن » . فخلع موسوليني ثيابه ووثب إلى البركة وعلى شدة ما حاول وما جهد كان السمك ينفلت من يده ، فلما بلغ من الجهد خرج من البركة فارغ اليدين .

فقال هتلر : « هذا دورك يا تشرشل ، فلنر ما تستطيع أن تفعل ! »

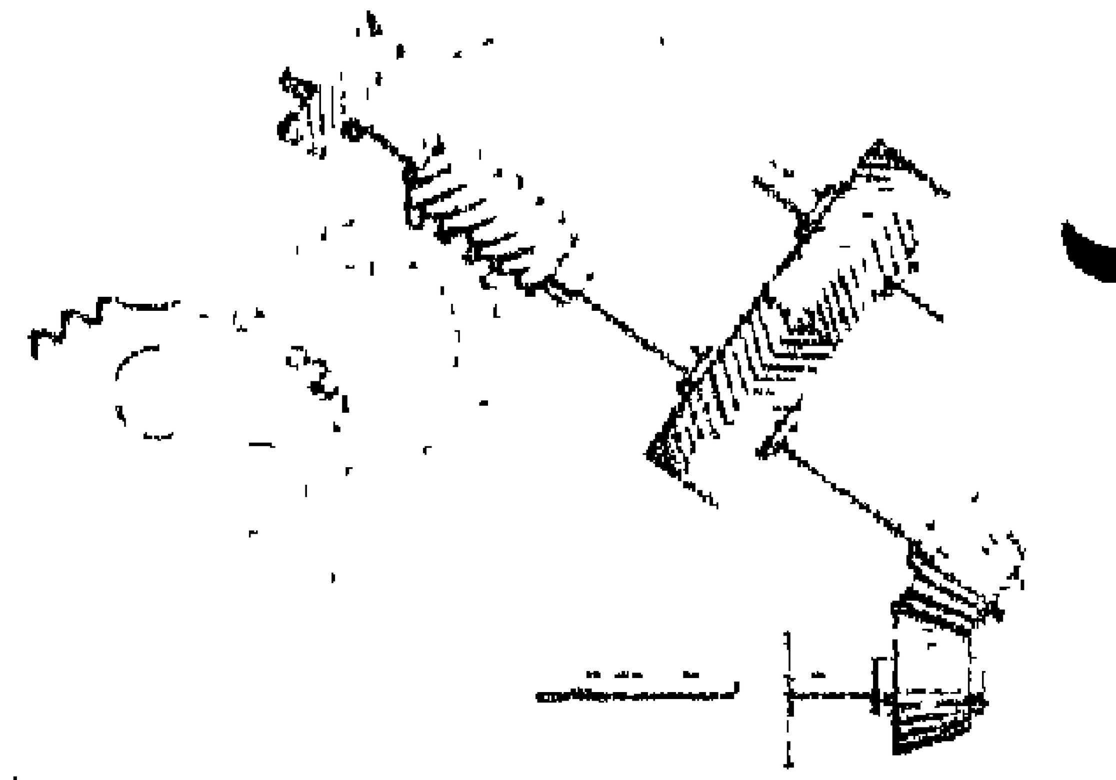
فدنا تشرشل من البركة وغمس في مائها ملعقة الشاي وأخرج قليلا من الماء ورمى به وراء ظهره ، ثم أعاد الكرة ثانية وثالثة .

وراقبه هتلر مشدوهاً وقال وقد عيل صبره : « ترى ما أنت فاعل ؟ »

فردّ تشرشل دون أن يكف عن نزح الماء : « إنه سيستغرق زمناً طويلا ولكننا سوف نكسب الحرب »

مازال المصنع الآلى يساور أصحاب المصانع والعمال منذ سنوات ، وعسى أن يكون تحقيقه وشيكا .

آلات بغير عمال



إ . و . ليفر و ج . ج . براون
مقتبسة من مجلة "فورتشن"

تصور مصنعاً فسيحاً نظيفاً ، ثم تصوّر أن أرضه التى ركبت فيها الآلات للإنتاج خالية من العمال ، ولست ترى سوى فئة قليلة من أهل الفنون الصناعية يروحون ويجيئون على شرفة تطلّ على الآلات ، ويراقبون اللوحات التى عليها أجهزة تسيطر على عملها . أما خامات الصناعة فيتوالى ورودها على سيور متحركة ، فتسير فى آلة إثر آلة حتى تخرج سلعاً تامة الصنع ملفوفة أو معدّة للبيع — من أجهزة الراديو إلى الثلاجات وأقلام الحبر والجرّارات أو ماتشاء .

هذا هو مصنع الغد ، وهو يختلف عن مصانع اليوم ، كمثل اختلاف المصنع الذى يولد القوة الكهربائية من الماء المتحدّر عن المصنع القديم لتوليد القوة المحركة من البخار .

وأنت إذا ما أنجزت تركيب المحرّك الذى يولد الكهرباء من الماء لم يبق عليك سوى أن تسيطر عليه ، وأن توزّع القوة التى يولدها . وكذلك مصنع الغد من ناحية المبدأ .

ولن تجد مكاناً ضار فيه الرجل العامل لقىّ مهملاً كأرض مصنع ركبت عليه آلات الإنتاج . وبين أيدى رجال الصناعة اليوم آلات أحدّ بصراً من العيون ، وأوثق حساباً من العقول ، وأدق تسجيلا من الذاكرة ، وأسرع عملاً وأجود إنجازاً من الأيدى ، فهى تستطيع أن تصنع كل مايصنعه العامل ، وهى تصنعه على وجه أسرع وأحسن ، وعملها لا ينقطع .

فنظام « الورود المستمر » ، جعل الإنتاج آلياً كل الآلى فى صناعات المواد الكيميائية والبترول والمطاط . وهذا مصنع المواد الذرية فى « أوك ريدج » تراه يدار من حجرة الهيمنة عليه ، المتصلة بما طوله عشرة أميال من لوحات الأدوات التى تحقق هذه الهيمنة ، ولا تجد من العمال

إريك و . ليفر ، باحث فى علم الطبيعة ، والدكتور ج . ج . براون عالم طبيعى وكاتب ، وقد كانا كلاهما من رجال البحث العلمى الحربى فى كندا زمن الحرب ، وهما الآن يجربان التجارب فى نواحى مختلفة من الإنتاج الآلى .

سوى عشرين رجلاً لكل ميل واحد .

والمصنع الآلىّ كلّ الآلى ، يحتاج إلى ثلاثة ضروب أساسية من الآلات، قد أصبحت جميعها حقائق لا يمارَى فيها . فأولا ينبغى أن تكون هناك آلات تعطيك الأخبار وتتلقّاها . وبين أيدينا اليوم عشرات من هذا الضرب من الآلات ، فنحن ننتفع اليوم بالعين الكهربائية — البطارية الضوئية الكهربائية — لتنوب عنا فى رؤية ماينبغى لنا أن نتحقق منه ؛ ومكروفونات وأجهزة لالتقاط أمواج الاهتزاز ، تتبين بها فروق الضغط ؛ وبطاقات مثقوبة تسجل المعلومات ثم تعيدها خبراً مفهوماً ؛ وعدادات مصنوعة من الأنابيب الكهربية تحسب حساباً دقيقاً لا تكاد تصدقه .

أما الضرب الثانى من الآلات الأساسية، فهو جهاز كهربى يتلقى الأخبار والأوامر ، ثم يدفع القوة المدبّرة إلى الآلات التى تصنع الأشياء المطلوبة . وهذا الضرب من الأجهزة تراه اليوم يستعمل على نطاق واسع .

والضرب الثالث هو آلات تتولى أعمال الصناعة المختلفة . ورجال الصناعة ينتفعون بها الآن فى أعمال شتى ، كمثل قطع المعادن وتشكيلها، وتجميع أجزاء سلع مختلفة وطلها . فثمة مثلا آلة آلية لصنع (الألاووظ) ، ترى لها ما يشبه الأصابع تدفع مواد الصناعة إلى مكانها من الآلة ، ولها جهاز آلىّ أيضاً يقبض على تلك المواد ، ثم لها أذرع تتحرك فتنقل آلة قد تمّ قطعها .

وقد استعان رجال الصناعة فى أكثر الأحيان بالآلات الآلية للقيام بأعمال خاصة . وهم ينوون أن يضموا عدداً من هذه الآلات ، كأنها حلقات فى سلسلة ، فتنجز على التوالى جميع الأعمال التى تلزم لصنع أجزاء سلعةٍ ما ، ثم لتجميع تلك الأجزاء وإعداد السلعة التامة . وإذا ما تم تمام هذه الآلة القادرة على الإنتاج الكامل ، رأيتها شديدة القبول لمطابقة الأحوال المتغيرة ، فى وسعك أن تحدث تبديلا فى ترتيب أجزائها ، فإذا هى قادرة أن تصنع لك سلعة غير الأولى .

ولكى نجعل الإنتاج الآلىّ متعدد المنافع، ننوى أن نصنع ما أطلقنا عليه آلة تجمع بين «الراحة والذراع» ، منتفعين بطائفة كثيرة من الأجهزة المستعملة اليوم للقبض على الأشياء . والقاعدة فى صنعها أن تكون ذراعاً ذات مفاصل ، وأن تركب على مائدة دوّارة ويجهز طرفها الطليق بمقبض — جهاز للقبض على الأشياء مؤلف من أصابع أو لاقط أو مغنطيس ، فإن ذلك يختلف باختلاف العمل الذى يطلب منها أن تؤديه . وفى قاعدتها آلات تدير الذراع من جهة إلى جهة، وتمدّها، وتحرّك مقبضها . وهذه الآلة قادرة

أن تؤدى جميع الحركات التى تؤديها ذراع العامل ، واليد نفسها يمكن أن تدور عند المعصم . وقد تمّ صنع نموذجها الأول .

افرض أنك تريد أن تصنع جزءاً بعينه من آلة — حلقة من نحاس لتمسك مكرفون سماعة التلفون . فلكى يتم لك ذلك يسجل توالى الأعمال الصناعية المختلفة اللازمة لصنعها وذلك بثقوب على لفـّة من الورق كلفة البيان الآلى ، ثم تستعين بجهاز الإخبار فى تحويل فحوى هذه الثقوب إلى ذبذبات كهربائية ، تنتقل إلى الآلة التى تجمع بين الراحة والذراع فإلى غيرها من الآلات التى تصنع الأشياء ، ثم تلقى حلقة النحاس على سير متحرك ، فتجتاز أجهزة صنعت لكى تفحصها فحصاً دقيقاً فتنبذ منها كل ما فيه عيب .

وسيضمُّ المصنع الآلىُّ وحدات كثيرة من آلات الإنتاج الآلى ، كالوحدة التى تقدم وصفها ، ويعهد إلى كل منها أن تصنع جزءاً بعينه ، ويكون بعضها متصلاً ببعض بواسطة لوحة مركزية للهيمنة عليها . ولنتابع مثلا سماعة التلفون فى أدوار صنعها : إن الآلة الأولى «الراحة والذراع» تلتقط فى أول خط التجميع وعاء من مادة الباكليت وتضعه فى ملقط يمسكه ويحركه إلى آلات متوالية من طراز « الراحة والذراع » فتضع فيه الحبل والأجزاء الأخرى ، ثم تجد عدداً من هذه الآلات نفسها ، ولكنها أصغر حجماً ، تتولى تثبيت هذه الأجزاء فى أماكنها بالمسامير . فإذا ما بلغت السماعة آخر الخط انفرج عنها الملقط ، فإذا هى تجرى على سير متحرك ، فتفحصها الآلات فحصاً دقيقاً ثم تلفها وتضعها فى علبة .

وكل نظام اقتصادى ينتفع بهذه الآلات الآلية ، سيختلف بلا ريب اختلافاً عظيماً عن النظام الحالى ، حتى لينبغى أن يعد نظاماً صناعياً جديداً . ولما كان فى وسع المصانع أن تمضى فى الإنتاج أربعاً وعشرين ساعة كل يوم ، فإنها تستطيع أن تخرج سلعاً أوفر وأرخص . وسوف تكون السلع أجود وأحسن ، لأن الآلات تستطيع أن تبلغ درجة أعظم من الدقة فى الصناعة .

والقدرة على ترتيب الآلات الأساسية على نمط جديد ، يمكن صاحب المصنع من أن يلبى ما يطرأ فجأة على السوق من حاجة جديدة . فإذا أراد أن يصنع سلعة غير التى دأب على صنعها ، عمد أهل الفنون الصناعية من رجاله إلى ترتيب وحدات الإنتاج على نمط جديد ، وعُدِّلت لوحات الهيمنة على وجه كفيل بتحريك الآلات الحركة المطلوبة ، ثم يبدأ الإنتاج ويستمرُّ . وقد يرى رجل يصنع المكانس الكهربائية فى مصنعه أن فى السوق نقصاً فى محركات أجهزة الجرامفون

الكهربائى لعجز الذين يصنعونها عن توريد العدد اللازم منها ، فيكون فى وسعه يومئذ أن يحدث تعديلا فى أجهزة مصنعه الآلى ، فيصنع خلال فترة قصيرة عدداً من تلك المحركات حتى تستوفى السوق حاجتها منها .

وقدرة المصانع الآليـــة على أن تصنع ضروباً شتى من السلع ، يضمن سرعة ورود السلع الجديدة إلى الســوق . وكل صانع مضطر اليوم إلى أن ينبذ معظم آلاته ، إذا أراد أن يتحول من صنع سلعة ما إلى صنع سلعة أخرى . وليس بينهم من يصنع اليوم جرامفونات تعطيك موسيقى سمفونية كاملة بغير انقطاع أو توقف ، ولكن صنعها من الوجهة الصناعية البحت أمر مستطاع ، غير أن المصانع جهزت بما ثمنه ملايين الريالات من آلات دأبت على صنع الأسطوانات المألوفة التى تستغرق كل منها أربع دقائق ، فنبذها عندئذ عسير على أصحابها .

وقد أخرجت الصناعة خلال الحرب فى ثلاث سنوات من السلع الجديدة التى تختلف اختلافاً بيناً عن مثيلاتها السابقة ، أكثر مما أخرجته فى السنوات الثلاثين الماضية ، ولكن المستهلك يتساءل عجباً ماذا كان مصير تلك الأجهزة الجـديدة العجيبة التى قرأ أخبارها . والحقيقـة أنه لن يتيسر لنا أن نظفر بسيارات جديدة حقاً ، وبقطارات جديدة حقاً ، وبثلاجات وبيوت جديدة حقاً إلاّ يوم ننشىء نظاماً طيعاً للإنتاج الآلى .

والمصنع الآلى خليق بأن يحدث أمواجاً من البطالة المؤقتة ، ولكن منافعها على الزمن لا يكاد يختلف فيها اثنان . وأهمها أن الاستبداد بالآلات خير من الاستبداد بالرجال ، بيد أن منافعها البعيدة لن تتحقق إلا إذا تم لنا أن نوفر العمل لجميع القادرين عليـه ، حتى يتاح للســوق أن تبيع أكبر مقدار ممكن . وارتقاء الإنتاج الآلى يقتضى جماعة كبيرة من الفنيين والعمال الحاذقين . فإذا انتفعنا بوسائل التعلم والتدريب ، وقللنا ساعات العمل فى الأسبوع ، واستعنا بأساليب أخرى ، كان فى وسـعنا أن نجـوز فترة الانتقال دون رجة تزعزع النظام الاجتماعى .

فإذا قام نظام للإنتاج كمثل هذا النظام قدرة ونفعاً ، كان العمل يومين أو ثلاثة أيام فى الأسـبوع أمراً ممكناً من الناحيـة الاقتصادية . وما يوفره من نفقات الإنتاج يمكن أن يزاد فى أجـور العاملين ، وأن يحذف من الأسعار التى يدفعها المستهلك . وإذن فلا بد من أن تتساوى كفتا الميزان على مستوى للعيش أعلى من المستوى السائد الآن . والآلات الجديدة تستطيع أن تطلق العامل إلى الأبد من قيود الضنى الجاثم كالكابوس على نفسه الحائرة .



مرة في العمر

فلتون أورسلر

هذه قصة لا يسهل عليك تصديقها ، إذا لم يكن قد وقع لك أنت نفسك ذلك الذى يبدو كالمعجزة ، حين يتخطى بك الحبُّ حوائل من الزمن وبعد الشُّقة . ولن أزيد على أن أسرُد لك حقائق ما وقع للندا واتكنز فى الساعة الثالثة من صباح يوم من أيام الشتاء سنة ١٩٢٧

كان بدء قصة لندا منذ شهور فى عصر يوم عاصف ، إذ خرجت تمشى فى ميدان وشنطن بنيويورك وأوراق الشجر الذابلة تتساقط من حولها ، وإذا بصندوق موسيقى يسيَّر على عجل قد يمم شطرها ، وكان يديره رجل عجوز تغضن وجهه ، وقد جثم على كتفه طير أخضر اللون . وكان يدير يد آلته الموسيقية المتهافتة وهو يتغنّى بأغنية قديمة أولها : « مرة فى العمر » .

فلما وقع بصره على لندا رفع قبعته وناداها ليغريها : « استطلعى حظّك ياسيدتى ! بخمسة مليمات فقط ! »

وبينا كانت لندا تفتح حقيبتها ، نزل الببغاء إلى درج مفتوح فى صندوق الموسيقى وأدخل فيه منقاره الأصفر وعاد بغلاف صغير أزرق اللون ، ولكن هبّة ريح أطارت الورقة الحافلة بالأسرار من يد لندا ودفعتها صعداً فى الجوّ ، وما هى إلا هنيهة حتى سقطت بين أغصان إحدى الأشجار .

وصاح صاحب الصندوق : « جربى حظك من جديد ياسيدتى ! »

وصاح صوت آخر وكان صوتاً متهدجاً عميقاً : « لا ، إياك أن تفعلى » وكانت هذه أول مرة تسمع لندا أو ترى فيها جون ، وهو شاب طويل القامة قوى البنية . وقد

سُحرت عيناه بمرأى شعر لندا الذهبى وعيونها الزُّرق وقبعتها الخضراء وريشتها الحمراء .

وتسلق جون وهو لا يبالى بقوانين المتنزهات ، حتى بلغ أغصان الشجرة ، واستردّ الغلاف ، ثم قفز إلى الأرض وقد انشق سراويله شقاً طويلاً عند الركبة .

فأخرجت لندا خيطاً وإبرة من حقيبتها وقالت :

« تعال بنا إلى حيث هذا المقعد ... »

فقال لها : « أرجو أن تقرئى حظك أولا ! »

فأخرجت لندا الوريقة الصغيرة التى فى الغلاف وكان فيها أربع كلمات مطبوعة طبعاً رديئاً :

« فليحب كلٌّ منكم أخاه »

لقد كانت هذه الكلمات ولاريب من قبيل المصادفات الغريبة ، ولكن هذه المقابلة العارضة تحت شمس الخريف وريحه ، وقعت فى نفس لندا وجون موقعاً جعلهما يحسبان أنهما قد ارتبطا بسر من أسرار الحياة ، كانت هذه الوريقة وتلك الأغنيةهما الطريق الوحيد المفضى إلى بلوغ خفاياه .

ومنذ ذلك اليوم اعتاد جون ولندا أن أن يخرجا معاً عصر كل يوم وذراعها إلى ذراعه ويتنزهان فى الطرقات الصاخبة حول ميدان وشنطن ، وجعل كل منهما يبث صاحبه جليّة خبره . قالت له لندا إنها تدرس الرسم الصناعى ، وأنها تعيش وحدها فى غرفة بالطابق الأول من بيت مبنى بالطوب الأحمر مطل على المتنزه ، وأن أمها أرملة تعيش فى وشنطن . أما جون فقد كان ، كما قال لها ، مؤلفاً ،وإن كان لم يبع بعد شيئاً من رواياته ، وكان يكسب مايفى بحاجته ويبعث إلى أهله بشىء من المال من عمله فى صحيفة تجارية .

فإذا اشتد البرد رأيتهما يجلسان إلى مدفأة لندا الصغيرة وفيها قطعة من الفحم تتأجج ، ويدبران معاً طرقاً جريئة للتغلب على غلاء المعيشة . ولم يمض وقت طويل على تفكيرهما فى الزواج حتى كانت أم لندا قد اتصلت به وخلتْ إليه تحدثه ، فقالت له :

« يعلم الله أنى لاأستطيع أن أمنعك من تزوّج لندا إذا أنت أصررت على أن تتزوجها من فورك ، ولكن لندا فى التاسعة عشرة من عمرها وحسب ، وهذه سنّ جد صغيرة ، وكل ما أرجوه هو أن تنتظر ،فإنى أريد أن تكون لندا على ثقة من شعورها نحوك . فإذا انتظرت إلى أن تبلغ الحادية والعشرين فإنى أزمع أن أجرى عليها ما يجعلها فى بحبوحة طول الحياة . أفترى الآن أنه من حقك أن تدعوها إلى حياة الفقر ، فى حين أنها إذا

انتظرت قليلاً عرفت ما فى قلبها وضمنت حياة آمنة مطمئنة ؟ وعنـدى لك أنت الآخر تدبير يرضيك » .

فنظر جون إلى تلك المرأة الحسنة البزة الواثقة بنفسها ، وتبددت أحلام سعادته .

وقال لنفسـه : « إنها تظن أننى لست كفؤاً للندا ، وترجو أن ينسينا الانتظار حبنا » ، ثم سألها بصوت مرتفع : « وماهو هذا التدبير ؟ »

فقالت : « فى مكتب زوجى القديم بلندن وظيفة حسنة خالية ، وتستطيع أنت ولندا أن تتكاتبا ما شئتما على أن لا يرى أحدكما صاحبه مدة سنتين ، أفهذا شىء كثير تطلبه أمٌ تحرص على سعادة بنتها ؟ »

أما لنـدا فكانت لا تقيم للمال وللحياة الآمنة المطمئنة وزناً ، ولكن جون قال لها إن أمها على صواب ، وأنها هى جدّ صغيرة .

ولم تيأس لنـدا من إقناعه حتى قبيل إبحاره بنصف ساعة ، فسألته ضارعة : « لِمَ لاتنزل من هذه السفينة ؟ ولِمَ لا تتزوجنى الساعة ؟ »

فرد عليها قائلاً : « افرضى أن الإخفاق لازمنى طول حياتى ، وافرضى أنه سيأتى يوم تسأمين فيه الفقر وتنحين علىّ باللائمة ... »

فأجابت : « لا أبالى ، لا أبالى البتـة ياجون » .

ورأت عينيه تطرفان لحظة ، ثم سمعا صيحة صوت أجش من أسفل السفينة يقول : « فلينزل إلى البر غير المسافرين ! »

ووقفت لندا وحدها على الرصيف ورُفع درج السـفينة وتراخت حبالها الضخمة ، وصفرت صفيراً قصيراً وتحركت ماضية وقد انطلقت من عقالها ، ثم ارتدت القهقرى إلى عرض النهر . ورأت لندا جون آخر مرة وهو يطل عليها ويلوّح بيده إليها من وراء سياج السفينة ، ثم ابتلعه الظلام وغاب عن بصرها .

ولما عادت إلى غرفتها استبد بها ذُعرٌ من وحدتها التى لا مراء فيها . نعم ، إن جون لا يحبها وإلا لما هجرها أبداً .

إن فراقهما امتهانٌ لتلك النعمة الإلهية التى لا تأتى إلا مرة فى العمر ، وإن الحب ليموت فى قلبها موتاً بطيئاً انتقاماً لنفسه من مثل هذه الخيانة . وندت من لندا صرخة قوية تخترق حجب الليل مترامية إلى عرض البحر الخضم .

وخلعت ملابسها ورقدت فى مضجعها ، وأخذ جرس بعيد يدق سـاعة بعد ساعة حتى غلبها النوم وألقى بها فى أحلام مزعجة ، فرأت سفينة جون قد نزل بها غضبٌ من الله ، وقُضى عليها أن تضل سبيلها ولا تجد مرفأ تأوى إليه . ثم نهضت لندا من مرقدها فجأة

وهى تنتفض وتصغى إلى صوت صفير يردد هذه الأغنية :

« مرة فى العمر واحدة ،
يجـــد المرء أليفـــه »

أهى فى يقظة أم لاتزال فى حلم ؟ وكان الصفير حقيقة مسموعة لاشك فيها ، فلبست خُفـَّيها وأسرعت إلى النافذة ، ورأت على الإفريز رجلا من رجال الشرطة فنادته قائلة: « أ كنت أنت الذى يصفر ؟ » فأجابها : « كلا ياسيدتى ، وإنى لآسف إذا كان صفير ذلك الرجل قد أزعجك ، فقد أمرته أن يكف عن الصفير » .

فصاحت لندا : « وأين ؟ أين هو ؟ » فاقترب الشرطى من النافذة وقال : « أمر غريب ! كنت إذا أدرت ظهرى لحظة أسمع صفيره ، فإذا دُرْت إليه لم أجده . ولست أدرى أين ذهب » .

وحياها الشرطى ومشى نحو الجانب الآخر من الشارع المؤدى إلى المتنزه . وأضاءت لندا جميع أنوار غرفتها . إن هذا شىء مروع ولا يمكن أن يحدث عفواً ! فلما سمعت الصفير ثانية تدثرت بثوب وفتحت الباب واندفعت إلى الشارع ، فرأته رأى العين !

إنى كلما فكرت فى قصة لندا وجون ازددت يقيناً بأن للمحبين فى حبهم الخالص العميق تلك الموهبة الخارقة : موهبة إدراك أحدهما ما يساور نفس صاحبه، وإلا فما الذى يمكن أن ينقل جون من موقفه بجانب سياج السفينة وهى فى سبيلها إلى البحر ؟

لقد استولى عليه حزن شديد كأنه مرض أطبق عليه . لم يكن ما يشعر به من ألم هو خفقات جُرح البين والفراق ، بل كان شعوراً بدافع نفسانى قوى ، شعور بالقلق يفيض به قلبه ويملؤه خوفاً لا يدرى كنهه .

وإذا أحس المرء بمثل هذا الشعور فقد استولى عليه سحر أقوى من العقل . فهذا الذى استقر عليه رأى جون من ضرورة العودة إلى لندا من فوره ومهما يكن من أمر ، لم يكن له سبب معقول ، ولم يكن لاندفاعه نازلاً على سلم السفينة المظلم إلى حيث القبطان أى حكمة . لقد أخذ بذراعى قائد السفينة وقال له وهو يكذب: «كان علىّ أن أحمل معى وثائق هامة إلى لندن ، ولكنى تركت حقيبة أوراقى فى المنزل » .

فصاح القبطان: «وماذا تريدنى أن أفعل؟ أأعود بالسفينة إلى مرفئها وأنتظرك ؟ »

فهدر جون: « لابد من أن أنزل من هذه السفينة » . فقال القبطان : « حسنٌ ، هنالك شىء واحد نستطيعه، فنحن على وشك إنزال المرشد ، ويمكنك أن تعود معه إلى نيويورك» .

كانت الساعة الثالثة صباحاً عندما انطلق جون يمشى فى الضوء الخابى فى ميدان وشنطن ميمماً شطر منزل لندا ، ثم وقف عند نافذتها وجعل يصفر هذا الصفير المتقطع. وما هو إلا أن ظهر رجل الشرطة ، فتظاهر جون بالسير، ولما أدار الشرطى ظهره قفز جون إلى مدخل قبو المنزل، ولما انصرف الشرطى صفر جون مرة أخرى ، وبدت لندا على الدرج المرمرى وهى تبحث عنه بعينين تفيضان إيمانا ومحبة .

ولما عادا إلى غرفة لندا وأوقدا النار فى المدفأة وصنعت له القهوة ، تذكرت شيئاً وقالت له : « إن أمى ستأتى من وشنطن فى فى الساعة السادسة » .

« وما عساها تقول ؟ »

فاستضحكت لندا وقالت: « إنك لا تعرف أمى . إنها ستصر حين تجدنا هنا معاً على أن تصوننى من ألسنة الفضيحة — أن تتزوجنى من فورك ، وبعد قليل ستصفح عنك » .

كانت لندا على صواب فيما يتعلق بإصرار أمها على زواجه بها ، ولكن ما توقعته من صفح لم يتحقق حتى نال جون الجائزة الأدبية عن . . . .

ولكن لا ! لقد كدت أفشى سره .

تكلموا تعرفوا ؛ فإن المرء مخبوء تحت لسانه .

[على بن أبى طالب]

لسعت نحلة أنف كلبنا الصغير ذات ليلة ، فما هو إلا قليل حتى ورم أنفه ورماً مؤلماً ، وكادت العينان تنطبقان ، وصار التنفس عسيراً عليه . فخفت أشد الخوف وهرعت إلى التلفون فخاطبت الطبيب البيطرى ، فقال :

« اغسلى أنفه المتورم بقليل من ماء الصودا الفاتر ، وسترينه فى الصباح على أحسن حال » .

فقلت وفى صوتى لهجة المتوسلة : « ولكن يادكتور ، أليس فى وسعى أن أصنع شيئاً أكثر مما وصفت . إنه متألم . أيصح أن أعطيه قرصاً من الأسبرين ؟»

فأجاب الدكتور : « نعم ، إن الأسبرين قد يخفف عنه . أعطيه قرصاً — وخذى أنت قرصين ! »

[اميلى هوكنز]

تحت شمس البحر الأحمر



مختصر كتاب
بقلم
الكوماندر إدوارد الزبرج

كتب فرنسيس لدلو محرر مجلة « بائع الكتب » يقول: « إني أزكي كتاب الكومندر إدوارد إلزبرج بوصفه قصة واقعية، ولكنها مع ذلك مؤثرة جداً . ففيها تشويق، وحوادث روائية وإلهام . وأحياناً تكون مسلية فتغريك بالقهقهة على ما فيها من صراحة الجد، وأحياناً تحرك النفس كالموسيقى العسكرية . وأعتقد أنها قد تأخذ مكانها بين الروائع من قصص الشجاعة في لقاء المصاعب الساحقة » .

تحت شمس  البحر الأحمر

ليلة ٧ ديسمبر ١٩٤١ كنت أستقل في القطار الذاهب إلى وشنطن ، وكنت في العام السابق قد استقلت من وظيفتي ، بعد نحو ثلاثين عاماً قضيتها في الأسطول النظامي ، والاحتياطي البحري . ولكنني الآن ، وقد بدأت الحرب ، رغبت في التطوع للخدمة العاملة .

ولما كنت قد تخطيت الخمسين بقليل ، فقد كنت في ذلك الفريق الذي لا تشتد الرغبة إليه ، إذا آثرنا التلطف في التعبير ، ولكن البحرية قررت أن كل ضابط سابق ذي خبرة بأعمال الإنقاذ والتعويم ، قد يكون نافعاً ، وذلك بغض النظر عن سنه . فهل أقبل أن أذهب إلى البحر الأحمر الذي يرقد في قراره أعظم مقدار من حطام السفن في العالم ، (ولا نستثني برل هاربر) ؟

وكانت مهمتي على وجه التحديد أن أنشيء قاعدة بحرية في مصوع بإريتريا ، على ثلثي المسافة من السويس إلى عدن في البحر الأحمر . ومصوع خير ميناء في البحر الأحمر ، ولعله الميناء الوحيد الصالح لأن يكون قاعدة بحرية لتعزيز مجهود البريطانيين في آخر خط من المعركة التي كانت دائرة يومئذ في ليبية لمنع جحافل روميل من الاستيلاء على الشرق الأوسط كله .

وكان الإيطاليون ، قبل أن يتخلوا عن مصوع للبريطانيين في الربيع الماضي ، قد نفذوا برنامجاً من التدمير المنظم على أوسع نطاق عرف في أية حرب . ففي الموانيء الثلاثة وعلى مقربة من مصوع ، أغرقت أربعون من السفن الحربية الألمانية والإيطالية ، وسفن الشحن والركاب ، وحوضان جافان عائمان من الصلب لا يعوضان ، وحطمت الآلات الثمينة في دور الصنعة البحرية بالمطارق الضخمة ، وقذفت الروافع الكهربائية في البحر ، وأخيراً أغرقت صفوف من السفن الكبيرة ، رصت بأقصى عناية ممكنة ، ومقدمة كل واحدة إلى مؤخرة الأخرى ، لتسد مدخل الميناء .

وكان تهديد روميل للأسكندرية في خريف ١٩٤١ قد جعل من الحتم الحصول على قاعدة بحرية أخرى تستند إليها القوات البريطانية في البحر الأبيض المتوسط ، فتولت الولايات المتحدة إصلاح ميناء مصوع بمقتضى قانون الإعارة والتأجير ، على أن يقوم المدنيون بالعمل تحت إشراف البحرية ، ولكن بعد

حادثة برل هاربر ، صارت وشنطن عاجزة عن تقديم الرجال والمهمات التى تعهدت وهى مطمئنة بتقديمها قبل ذلك بأسابيع قليلة ، ومع ذلك صدرت إلينا الأوامر نحن الموكلين بمشروع الشرق الأوسط ، بالذهاب كما كان مقرراً ومعنا مدنيون ، وكنا نعمل بإشراف الماجور جنرال رسل ماكسويل من رجال الجيش الأمريكى ، وبتوجيهه ، وكان يومئذ فى مصر ، وكان علينا أن نجمع ما نستطيع جمعه للعمل الذى عهد به إلينا .

ولم يكن ثم سفن للتعويم من سفن الأسطول ولا أجهزة ولا معدات لذلك ، ولا ضباط بحريون آخرون ، ولا مجندون . وقد استطعت أن أجمع خمسة ليس إلا من الغطاسين المدنيين — وإن كنت محتاجاً إلى ثلاثين أو أربعين على الأقل — واثنين لا أكثر ملحان لأعمال التعويم .

وفى طريقى إلى مصوع تحدثت مع الجنرال ماكسويل فى القاهرة ، ولم تكن قد أتيحت له فرصة لزيارة مصوع ، فعلمت أنى سأجد الحالة هناك سيئة ، وأن الجو فظيع كما يقال ، ولكن الموقف الحربى فى ليبية يسوء بسرعة ، فيجب أن أذهب إلى مصوع على الفور ، وأن أفعل كل ما يمكن ، دون أن أنتظر رجالى أو المهمات ، فإن الحاجة إلى ذلك ملحة .

وزاد همى ما أخبرنى به كبتن بريطانى من أن آخر قائد للأسطول البريطانى ذهب إلى مصوع ، انتهى أمره بعد شهر بأن دخل مستشفى عسكرياً لما أصابه من إعياء فى البدن والعقل .

وقال لى : « إن مصوع أشد مكان على وجه الأرض حرارة ، ويقال إنه ليس بعدها سوى الجحيم » .

وكانت أسمرة ، عاصمة إريتريا ، وهى فى موقع جميل على ارتفاع ٧٥٠٠ قدم فوق سطح البحر الأحمر ، أقصى ما يمكن أن يذهب إليه الإنسان طائراً . ومن هناك فى صباح اليوم الثلاثين من شهر مارس ، خرجت فى سيارة للجيش ، فانحدرنا فى جبل وعر إلى صحراء مستوية على مسافة ٣٠ ميلا من مصوع .

وما هى إلا دقائق حتى كنت أتصبب عرقاً وبدأت أفهم لماذا تعد مصوع معدومة النظير على الأرض ، فإن هذه الجبال العالية التى هبطت منها تجعل مصوع وساحلها الضيق كأنهما فى قدح ، والشمس المتلظية تمتص من البحر الأحمر المتلهب مقادير هائلة من البخار تصدها الجبال ، فتظل فوق القدح ، وتجعل مصوع على مدار العام من أشد بلاد العالم رطوبة وأشدها حرارة .

ودخلنا مصوع وانعطفنا إلى شبه جزيرة

« عبد القادر » حيث القاعدة البحرية الإيطالية القديمة التى أقصد إليها ، وترجلت من السيارة وقد شوانى الحر ، وبللنى العرق. وسرعان ما تبينت أن مما يزيد الحرارة سوءاً أن هنالك غباراً أصفر ناعماً يرتفع كالسحاب مع كل خطوة ، ولم يكن ثم شجر ولا ظل .

وزرت ضابطين أمريكيين آخرين كانا فى مصوع منذ حين ، فتلطفا واقترحا أن أستحم ، فقد كان عندهما حوض يتركان الماء فيه حتى يبرد ، على ما قالا .

فأسرعت ونضوت ثيابى المبتلة ، ووثبت إلى الحوض المملوء وكان يبدو بارداً ومغرياً ، ولكنه لم يكن كذلك ، بل كان ساخناً مزعجاً . ولم يكن ثمة شك فى أن ماء ساخناً كثيراً قد صب فيه ، فبحثت عن صنبور الماء البارد ، ولكنه لم يكن هنالك سوى صنبور واحد ليس عليه علامة ما ، فأدرته لحظة ، ثم أسرعت فسددته ، فقد كان ماؤه أحرّ من الذى فى الحوض .

فبدأت أفهم معنى ما قيل لى عرضاً عن الماء الذى « يبرد » فى الحوض ، فقد كان من الجلى أنه لا يوجد سوى نوع واحد من الماء يخرج من الصنبور فى مصوع — الماء الساخن . فإذا كنت لا تريد حماماً ساخناً — ومن ذا يريده ؟ — فإنك تملأ الحوض فى الصباح وتدعه طول النهار قبل أن تستحم فى المساء ، معتمداً على التبخر لتبريده قليلا .

وفى صباح اليوم التالى خرجت بالسيارة لفحص الموانىء ، فمررنا بالحى الوطنى فى مصوع — وهو عبارة عن أكواخ فظيعة المنظر ، ولوحات عديدة على مسافات متقاربة كتب عليها « الدخول محظور على جميع الجنود » . ووصلت إلى الميناء الجنوبى ، وكان فيه صف طويل من السفن الكبيرة ، وكان بعضها لا يبدو منه إلا الصوارى والمداخن ، والبعض مائل على جنبه ، والبعض مقلوب وقعره إلى فوق . وكانت هنالك سفينة ركاب ضخمة مقلوبة على جنبها ، وفى جانبها الأيسر ثغرة واسعة . وفيما وراء صف السفن المغرقة صوارٍ ومداخن منتشرة فى كل مكان .

فههنا ولا شك ميدان رجل الإنقاذ والتعويم ، وهو يجد فيه ما يشاء من أعمال التعويم — حطام سفن فى صفوف منتظمة ، وحطام سفن مفرقة كل واحدة منها على حدة ، وحطام سفن كبيرة وصغيرة مائلة على جوانبها أو مقلوبة — حطام فى كل مكان ، يكفى لتحطيم أى رجل ينظر إلى كل هذا الحطام لما يعرفه من قلة معداته ، وقلة رجاله ، وقسوة الأحوال التى يعمل فيها .

وكان أول ما فكرت فيه أن أعيد ورش الآلات المحطمة صالحة للعمل . وكان الإيطاليون قد حطموا كل محرك كهربائى لكل آلة بالمطارق الضخمة ، وتركوا الآلات

جميعاً غير صالحة لشيء ، فلا عجب إذا كان قد قيل فى وشنطن إنه لا بد من تزويد مصوع بطائفة كافية من الآلات الجديدة ، ليتسنى استخدامها مرة أخرى قاعدة بحرية.

وشرعت على الفور فى تعبئة قوة للعمل من الإيطاليين ، وأهل إريتريا ، والعرب ، وكل من أستطيع استخدامه بأجر . وكان من حسن الحظ أن عندى ستة من المشرفين المدنيين وهم من أتباع المقاول ، وقد عملوا معى جميعاً بأقصى جهد مستطاع .

وسرعان ما وجدت أنه وإن كان الإيطاليون قد دمروا كل محرك كهربائى لكل آلة ، إلا أن أعمال التخريب لم تكن على وتيرة منظمة ، فبعض المحركات كان طرفها هو المحطم ، والبعض حطم طرفها الآخر، والبعض حطم إطاره الرئيسى . وهذا هو السبيل لحل المشكلة : إذا استطعنا أن نفك كل المحركات المحطمة ، فإنى واثق أننا نستطيع أن نجد أجزاء سليمة كافية لتركيب عدد قليل من المحركات .

ولكنه لم يكن عندنا أدوات ، وإن كان قد صار عندنا بعض العمال . ومما لا يكاد يصدق أنه لم يكن ثمة فى مصوع أبسط الأدوات وأشيعها ، مثل المطارق والمفكات، فاضطررت أن أذهب إلى أسمرة لأحصل على أربع مطارق وبعض المفكات والمبارد .

وفى صباح اليوم التالى شرعنا فى العمل ، وراحت فرق من الإيطاليين تفك الآلات، وفرق من أهل إريتريا ترتب الأجزاء السليمة، ومضى أوستن بيرن الرئيس الميكانيكى يبحث بين هذه الأكوام عما يحتاج إليه ليصنع مخرطة جيدة وآلة لطرق ألواح الحديد بها .

وكان النجاح الرائع حليفنا ، ففى اليوم الثانى كانت الآلات التى يطلبها بيرن معدة ، وكان لانج وتايلور فى ورشة الكهرباء قد ركبا ستة محركات كهربائية. ومن غريب الأمر أنه ما كان هناك أشد اغتباطاً من ذلك الإيطالى الذى كلف العمل على هذه المخرطة الأولى — وهو أحد الإيطاليين الذين ساعدوا منذ عام على تدمير كل شيء . أما الآن فقد صار وجهه مشرقاً بادى الإعجاب بالذين أعادوا هذه الآلة المحطمة إلى العمل مرة أخرى .

وعلى الأيام صارت كل آلة تعاد إلى العمل تزيد قدرتنا على صنع أجزاء جديدة لغيرها ، وبلغت الحماسة فى الورش بين هذا الخليط من العمال درجة الحمى ، إذ يرون آلات جديدة تركب وتنتج . وبعد شهر ، وبغير أن نستعمل شيئاً لم يكن موجوداً فى مصوع أوحولها حين أتيناها ، أصبحت كل ورشة إيطالية مدمرة فى القاعدة البحرية تعمل بأقصى قوة قدرها لها الإيطاليون ،

بل بأكثر من ذلك فى بعض الحالات . وصارت قاعدة الإصلاح البحرية التابعة للولايات المتحدة فى مصوّع ، مستعدة للعمل فى الأسبوع الأول من مايو ١٩٤٢ ، على الرغم من أنّ الآلات الجديدة المطلوبة من أمريكا كانت لاتزال غير معبّأة للشحن .

وكانت هناك مسألة أخرى ملحة تواجهنى كلما نظرت إلى البحر الأحمر من نافذة غرفتى . ذلك أنه كان هناك فى الفرضة خارج المرفأ حوض جاف عائم من الصلب متوسط السعة ، لا يمسكه إلا أنجر واحد ، وكانت حكومة إيران قد اشترته قبل ست سنوات من إيطاليا . وقبل وصولى ببضعة أسابيع تبينت الأميرالية البريطانية أن الإيرانيين لم يدفعوا ثمنه ، فهم لا يعدون مالكيه بالمعنى الصحيح ، فاستولت عليه غنيمة من غنائم الحرب من إيطاليا ، وجرته مسافة ألفى ميل من الخليج الفارسى إلى مرساه الحالى ، وهو الآن فى الفرضة المكشوفة عرضة للغرق إذا أصيب بضربة قوية .

وكانت حاجة البريطانيين شديدة إلى هذا الحوض الجافّ إذا أريد لمصوع أن يكون لها أى نفع لهم ، ولكنه استحال إلى الآن جره إلى الميناء البحرى ، وهو المكان الوحيد الذى يمكن استخدامه فيه الآن . فخمس سفن مغرقة كانت تسد المدخل ، يضاف إلى هذا أن جزءاً من سلاسل المرسى للحوض الجاف فقد فى الرحلة الطويلة — فلم يعد للحوض سلسلة تكفى للرسو المأمون .

وحيال هذه المشاكل لم يستطع آخر ضابط بريطانى أن يصنع شيئاً ، وأضناه حرّ مصوع ، ومنظر كل هذا الحطام المتلف للأعصاب ، والخوف الذى يساوره ليلاً ونهاراً من أن يلحق هذا الحوض النفيس بالحطام الموجود ، فحُمل فى سفينة إلى المستشفى ، وأسند الأسطول البريطانى المهمة إلىّ .

وخرجت لأفحص الحطام الراقد عند المدخل . وكان من حسن الحظ أن إحدى السفن انقلبت وهى تغرق على جنبها ، ونأت بمؤخرتها عن مقدمة أقرب سفينة إليها . ولما اقتنعت بعد القياس الدقيق أنه يوجد مجازٌ كافٍ بين الحطامين لمرور الحوض بعناية شديدة ، ذهبت أبحث عن مرسى صالح .

وكان العامل الذى أرسل من القاعدة البحرية البريطانية فى الإسكندرية لجر الحوض الجاف إذا أمكن إدخاله فى المرفأ ، قد وصل إليه ، وكان قلقاً من جراء سلاسل المرسى المفقودة . ومن أين يجىء بها فى هذا المكان النائى عن حوض بورتسموث الإنجليزى على بحر المانش ؟

فقلت له لا تقلق ، فإن الحكمة السائرة تعطينا

الجواب : «ابحث تجد» . وبينما كنت أقوم برحلة تفتيش على الجانب الأقصى من الميناء عصر ذلك اليوم ، أخذت عيني بناء إيطاليًّا منعزلا وأمامه كتل ضخمة للمراسى من الأبرق (الأسمنت المسلح)، فمن البديهى أن هنا كان المستودع الإيطالى للمراسى وشبكة دفاع الغواصات . فدققت النظر فوجدت سلاسل ثقيلة من أنواع شتى مطمورة بعض الشيء فى الرمل أمام البناء . فما عنى الإيطاليون بأن يتلفوا هذه السلاسل الثقيلة ، وكان هـذا فى حرّ مصوع خليقاً أن يكون عملا فوق الطاقة ، وكذلك هيأ لنا الله المخرج على يد الإيطاليين أنفسهم .

وما لبث الحوض الجاف الإيرانى أن صار داخل الميناء بسلام، وثبت فى موضعه للعمل.

•

وكان الحر يزداد يوما بعد يوم ، فكنت استحمّ بعرقى طول الوقت ، فبدأ وزنى يقل بسرعة ، وكذلك زملائى الأمريكيون القلائل الذين يجاهدون معى للمضى فى العمل. وكنا قد دخلنا فى شهر مايو ، والعادة تقضى بالكف عن العمل فى شهور الصيف، غير أن روميل كان يشق طريقه شرقاً ويزداد تهديداً للاسكندرية ، وكان الموقف يتطلب أن أقذف بتقاليد مصوع مع الرياح . فلا بد من العمل فى الصيف ، وإلا فلا فائدة منه إذا كنا نريد أن يكون لمصوع أى تأثير فى سير الحرب .

وكانت العادة الأولى من عادات مصوع التى خالفناها هى العمل ثلاث ساعات فقط فى الصباح وساعتين فى المساء ، فغيرنا هذا وجعلنا ساعات العمل عشراً فى القاعدة البحرية مع الراحة ساعة عند الظهر . وكان لى رأى هو أن منح الرجل ست ساعات للراحة فى منتصف النهار ، مؤدّاه أن يقضى ست ساعات أخرى يشرب فيها كل ما تصل إليه يده من الخمر أو البيرة ليطفىء ظمأه فى الحر المحرق . وما من سبيل إلى المكابرة فى حقيقة الظمأ ، ولكن أجدى شيء فى إطفائه هو الماء وأقراص الملح .

وفى الثامن من شهر مايو ١٩٢٤ كانت قاعدة الإصلاح البحرية التابعة للولايات المتحدة فى مصوع مستعدة للعمل ، فغمر الحوض الإيرانى الجاف بالماء ليتلقى أول سفينة تحتاج إلى إصلاح، وكانت السفينة كوريتزا ، وهى باخرة يونانية مسلحة، قد جاءت فى الليلة السابقة من الإسكندرية، وكنت قد استأجرت مئتين من أهل إريتريا وشيوخهم للعمل فى السفن فى الحوض الجاف . فقسموا إلى فرق كل فرقة برياسة شيخها ، ووزعوا على الباخرة كوريتزا من مقدمتها إلى مؤخرتها لإزالة الأصداف الملتصقة ببطنها .

وكان البطن مغطى بالأصداف إلى عمق عدة بوصات ، وقد جمدت الطبقات القديمة حتى صارت كحجر الكلس على كرّ الأعوام، فعالجها عمال إريتريا بمجارف من الصلب صنعت لهذا الغرض فى ورشة الحدادة الجديدة. ولكن العمل كان يسير ببطء مخيب للأمل.

وفى بكرة الصباح التالى قصدت إلى الحوض الجاف مرة أخرى ، فعدت من التفتيش مكروباً ، فإنه مع هذا البطء يكون من حسن الحظ أن نفرغ من العمل فى أسبوع ، وكنت قد قدرت له ثلاثة أيام . وكانت السفينة التالية التى ستدخل الحوض قد رست فى مصوع انتظاراً للدخول ، ولن تلبث الثالثة حتى تغادر الإسكندرية اليوم فى أثرها ، ولن نلبث أن نرى فُرْضة مصوع غاصة بسفن معطلة تنتظر دخول الحوض .

ففكرت فى استخدام الترغيب بالمكافأة للإسراع فى العمل ، ولكن القانون كان يقيدنى ، فإن أجور العمال المحليين كانت محددة تحديداً صارماً بخمس وعشرين ليرة فى اليوم ، وعمالنا يتقاضون هذا الأجر . ثم خطر لى فجأة إمكان التهرب من هذا التحديد للأجور ، فأمرت المشرف أن يجمع لى الشيوخ .

وقلت للمترجم: « قل لهم إن الوقت الذى أسمح به لجرف بطن سفينة، ودهنها على هذا الحوض الجاف ، هو ثلاثة أيام ليس إلا . فإذا لم ينتهوا من العمل مســاء غد فهم مطرودون جميعاً — الشيوخ وغيرهم — ولكن إذا انتهوا منه مساء غد ، فسيعطون أجور ثلاثة أيام وأحتفظ بهم ، وإذا فرغوا منه صباح غد فإنهم يعطون أجور ثلاثة أيام، وإذا انتهوا من العمل فى السفينة الليلة فى يومين، فسيعطون أجور ثلاثة أيام كذلك ، وإذا فرغوا من العمل فى أية سفينة فى أقل من يومين ، فإنهم يأخذون أيضاً أجور ثلاثة أيام » .

وعقد اجتماع ملتهب تحت دَفَّاع السفينة كوريترا ، ثم تفرّق الشيوخ مسرعين إلى قبائلهم ، ودعا كلٌّ منهم أهل قبيلته ، وظل العمل معطلا نحو خمس دقائق أو عشر ، وإذا بى أسمع نحو مئتين من أهل إرتيريا يتصايحون جميعاً وهم يبجِّلون اقتراحاتى تلك.

ثم كروا إلى العمـل ، ولو أنى كنت لوحت بعصا سحرية لتغيير ما بهم ، لما كانت النتيجة أعجب .

فما جاء الظهر حتى كان بطن السفينـة كوريترا قد جرف ، وحلت الفرشة وعلب الدهان محل المجارف . ولو كان يخامرنى أى شك فى فائدة المكافأة فى الحث على الإنتاج ، لزال فى ذلك اليوم على ظهر الحوض الجاف الـكريه الرائحة المفعم بالأبخرة .

وفى الساعة السادسة مساء أخرجنا السفينة كوريتزا من الحوض الجاف، فمضت فى طريقها ، وذلك بعد ثمان وأربعين ساعة من دخولها أو أقل. وفى منتصف الليل تلقينا رسالة من القائد العام للأسطول البريطانى فى الإسكندرية تقول: «أحسنت يامصوع».

وما هو إلا أن عكف عمال إريتريا على العمل حتى أسرعوا فيه بدلا من أن يبطئوا. ففى الأيام المئة والعشرين التى أفردت للسفن التجارية فى الحوض فى ذلك الفصل ، ومنها شرّ شهور الصيف ، أدخلنا ثمانين سفينة — فبلغ المعدل أخيراً سفينة فى كل يوم ونصف يوم . وليس فى الدنيا حوض جاف بلغ هذا الرقم فى السلم أو الحرب على ما أعتقد .

وفى التاسع من مايو قدم من الولايات المتحدة الكبتن وليام ريد من المتخصصين فى أعمال التعويم، ومعه خمسة من الغطاسين وميكانيكى متخصص فى أعمال التعويم، وثمانية من الميكانيكيين وبعض السفن الصغيرة. وكنت أتلهف على الشروع فى التعويم ، فعهدت إليهم بأشق مهمة كانت الأميرالية البريطانية نفسها قد ذهبت رسمياً إلى استحالتها — وهى رفع الحوض الجاف الإيطالى الكبير ، وكان هــذا الحوض أنفس الغنائم الحربية بين ما أغرق فى مصوع .

وكان ترقيع الخروق السبعة الكبيرة التى أحدثها الإيطاليون فى هيكل الحوض حتى يتسنى نزح الماء منه ورفعه ، يتطلب خمسين غواصاً وعــدة مئات من الميكانيكيين ، وكثيراً من سفن الإنقاذ الحسنة المعدات ، للعمل مدة سـنة أو أكثر — أو كما جاء فى تقرير بريطانى أن العمل سيكون «طويلاً وعسيراً وغير ناجح على الأرجح »

على أنى اهتديت بعــد فحص التلف إلى طريقة لرفع هذا الحوض ، فبدلا من معالجة مهمة ستكون « طويلة وعسيرة وغير ناجحة على الأرجح » اعتزمت أن أجعلها «قصيرة وسهلة ومحققة النجاح». وكان لابد أن أجد وسيلة ، فما كان عندى لا الرجال ولا المعدّات للقيام بهذه المهمة على أى وجه آخر .

ويشبه الحوض الجاف العائم إذا نظرت إليه من طرفه حرف U ، ويمكن تشــبيه الجزء الأفقى فى قعره بطَــوْف مجوف هائل لا ينفذ منه الماء ، عمقه ١٥ قدماً وعرضه مئة قدم وطوله ستمئة قدم ، وقدرة هــذا القعر على الطفو عظيمة ، وكافية لرفع كل من السفينة والحوض الجاف نفسه .

أما الأجزاء العمــودية من حرف U فجداران ضخمان أجوفان من الصلب سمك كل منها ١٥ قدماً ، وارتفاعه ٣٥ قدماً ، والجداران قائمان على جانبى الحوض من أوله

إلى آخره . والغرض الأكبر منهما أن يكون الحوض الجاف ثابتاً ، حتى إذا غطس ليتلقى سفينة توطئة لرفعها ، لم يضطرب أو ينقلب فيقذف بالسفينة عن قاعدته .

وكانت فكرتى بإيجاز أن أرفع الحوض الجاف بوسيلة واحدة ، هى الهواء المضغوط فى جوف الجدارين . ولم يكن من شأن الخروق فى قاع الحوض أن تثير صعوبة ، لأن الهواء المضغوط إذا أدخل فى جوف الجدارين يستطيع أن يطرد الماء من هذه الخروق حتى يخرج مقداراً من الماء يكفى لجعل الحوض قادراً أن يطفو قليلا . وبعد ذلك ينبغى أن يشرع فى الارتفاع بفضل الجدارين المفعمين بالهواء . وقد دل الفحص على أن الجدارين الجانبيين مغموران بالماء ، وهو ما تحققت منه بأن غطست فى جهاز غواص لفحصهما . فكل ما كان علينا أن نفعله هو أن نجعل الجدارين السليمين محكمى السد لا ينفذ منهما الهواء ، وذلك بأن نسد كل الفتحات سواء أكانت فى الماء أم فوقه . وكان من حسن الحظ أن الحوض لم يغطس إلا فى ثمانى قامات من الماء ، فعند الجزر المنخفض ينكشف سطح الجدارين قليلا فيتهيأ لنا موضع قدم .

ولكى أخرج فكرتى إلى العمل ، كان على أن أضع على سطح كل من الجدارين مضخة هواء مضغوط ، وأن أصل الأجزاء الثمانية التى لا ينفذ منها الهواء ، فى كل جدار بهذه المضخة ، وأن أصل المضختين اليمنى واليسرى عبر ثغرة من البحر طولها ٨٠ قدماً بين الجدارين ، وأن أسد كل فتحة فى سطحى الجدارين وجوانبهما . وما جاء مساء اليوم الأول حتى كانت مضختا الهواء الطويلتان والوصلات قد أقيمت . وفى أثناء ذلك كان الغواصون قد سدوا فتحات الهواء فى الجزء الأعلى من الهيكل المغمور ، وسدوا كل الفتحات الأخرى التى وجدوها فى جوانب الجدران بسدادات من الخشب مستدقة الطرف .

وقد بدأت متاعبنا الحقيقية حين استخدمنا ضاغطات الهواء ، فقد وجدنا منافذ للهواء فى السطوح العليا فوق الماء ، فقل إعجابى بمهارة بناة سفن موسولينى .

فانصرف كل العمال والغطاسين والكهربائيين والنجارين وعمال الأنابيب لسد هذه المنافذ — ولم تكن هذه بالمهمة الممتعة ، فإن ألواح الصلب تحت أشعة شمس إريتريا الحارقة ، كانت تمتص من الحرارة ما يجعلها أحمى من أن تلمس باليد العادية ، حتى أهل إريتريا الذين ألفوا أن يمشوا حفاة طول حياتهم على رمال الصحراء ، كانوا لا يطيقون هذه الألواح الحامية وفى أقدامهم نعال سميكة تجعلها كأرجل الفيلة . وقد رأيتهم

يلفون على أقدامهم قطعاً من الخيش والأشرعة القديمة ، ويغمسونها فى الماء مراراً .

ولكنه كان علينا أن نسد المنافذ سواء أكان الصلب حاميا أم بارداً ، وكنا نقعد على مساند من الخيش أو الشراع المبلول حتى لا نحترق . فلما كان العصر سدوا من الثقوب ما تيسر أن يدخل بعض الهواء فى الحوض ، ولما دنونا من الغروب انحرفت الإبر على مقاييس الضغط عن علامة الصفر : وكل أوقية من الضغط معناها أن الماء فى جوف الحوض قد هبط نحو بوصتين .

وكان أشد ما يقلقنى هو هل تتحمل الضاغطات الحامية التى تعمل ساعة بعد ساعة تحت الشمس المتلظية وفى هذه الأحوال الفظيعة ، حتى تتم المهمة . ولكى نتعهدها ونراقب على الدوام عملها طول الليل ، قسمنا أنفسنا إلى فرق تعمل كل منها ثلاث ساعات ، تتولى كل منها السير على الجدارين الجانبيين وعلى الجسر المترنح بينهما — ومسافة ذلك أكثر من ثلث ميل — لدرس الضغط على مقاييس الهواء ، مع اتقاء الوقوع على الأجسام العارية لجماعة الإنقاذ المنطرحين كيفما اتفق على مراتبهم والراقدين فى غير راحة فى الليل الحار .

وسار العمل فى تلك الليلة وفى اليوم التالى دون أن يعطله شىء ، وفى الساعة الثامنة مساء ارتفع الضغط فى ناحيتنا فوق أربعة أرطال ، فقلق ريد لأن ألواح السطح انتفخت قليلا هنا وهنا بسبب ضغط الهواء الواقع عليها من تحتها فقلت له : « فلتنتفخ ! فما يسعنا أن نفعل شيئاً آخر » .

ومضينا فى مراقبة الضغط كما فعلنا فى الليلة السابقة ، وفى الساعة الأولى صباحاً نهضت لأقوم بنوبتى فى المراقبة ، فلما تقدمت على الجانب الأيسر وجدت ريد مقرفصاً فى الظلام مستثبتاً إلى الماء على جانب الجدار .

وهمس ريد كأنما خشى إذا رفع صوته أن يفسد الأمور : « انظر إليها — أترى صدفة المحار الكبيرة فوق خط الماء بقليل عند العلامة ؟ فمنذ نصف ساعة كانت فى الماء ، وهى الآن فوقه بمقدار بوصة . لقد بدأ الحوض يرتفع » .

فقعدت على السطح الحامى بجانب ريد ، وصوبت عينى إلى هذه العلامة المرتجلة . وبعد دقائق قليلة نسرع قلبى يدق ، فقد كانت هذه المحارة تبتعد ببطء على سطح الماء اللامع . لقد بدأ المستحيل يتم . وبعد يومين ونصف يوم ليس إلا ، ظهرت بوادر النجاح فى هذه المهمة « الطويلة العسيرة غير الناجحة » وأخذ الحوض الجاف يرتفع !

وبعد تسعة أيام طفا الحوض تماماً بسلام ، وكانت هذه أقصر مهمة إنقاذ عالجتها ،

فأحدث ذلك ضجة في الشرق الأوسط، وأدت إلى ترقيتي بناء على توصية الجنرال مكسويل إلى رتبة كبتن .

والآن وقد اقترب شهر يونيو وأخذت وقدة الحر التي لا تصدق تزداد تسعُّراً ، فقد بدأنا نحن الذين يعملون خارج البيوت نعاني مرضاً استوائياً لم يكن من الأمراض المخوفة التي لقحنا ضدها ، وإنما كان بثور الحر لا أكثر . وكنت دائماً أذهب في سخرية إلى أن البثور شيء تزيله عن بشرة الطفل الرقيقة بأن ترشها بمسحوق الطَّلْق (التلك) .

أما في مصوع فقد وجدنا أن بثور الحر ليس بالشيء الذي يسخر منه . فقد كان الجلد كله يلتهب ويظل ملتهباً فتصير البشرة كأنها نوع خشن من الجلد ، وكانت المساحيق والغسول والمراهم لا غناء لها في إزالة هذه الحكة الفظيعة — فقد كان العرق يمحو هذه الأشياء على الفور . وكانت الحال أسوأ فيما يتعلق بمن يعملون في الإنقاذ ولا سيما الغطاسين ، فإن الوحل والأقذار والأصداف تهيج البثور وتحدث هرشاً شديداً يكاد يطير العقل .

وفي أسبوعين فقدت إلى الأبد اثنين من فرقتي الصغيرة للإنقاذ وعددها ١٣ ، أما الآخرون ومعهم معظم الرجال الذين يعملون معي ، في البحر أو على البر ، فكانوا يقضون نحو رُبع وقتهم في المستشفى .

وكنت منذ وصولي إلى مصوع أودّ أن أقف على حقيقة الأمر في حرها . ففي الأسبوع الأول من يونيو أخذت معي مقياس حرارة إلى حيث كانت فرقة من عمال الترميم تعمل في الحوض الجاف، ورفعته بضع دقائق ، فسرعان ما أحاط بي عشرات من الأمريكيين وعمال جنوب إفريقية، وقد جذبتهم رؤيتهم للمقياس ، فقرأت فيه درجة ٦٥ سنتجراد

وكان هذا بالطبع في الشمس ، ولكن العمال كانوا في الشمس أيضاً .

ثم وضعت المقياس على ألواح الصلب في أرض الحوض الجاف ، فسجل درجة ٧٢½ سنتجراد .

فأفضت هذه التجربة الصغيرة على الفور إلى ضياع عدة ساعات من عمل العمال . فقد راح كل واحد يمسح بدنه ويبحث عن مكان ظليل ، وقد بدأ يشعر بأضعاف ما كان يجده من الحر قبل ذلك ، وجعلوا يتساءلون : أيستطيع أي إنسان أن يعيش بله أن يعمل في حر كهذا ؟

فلما أوفينا على شهري يوليه وأغسطس ازداد الحر ، ولكني لم أجرؤ مرة أخرى

على إخراج مقياس الحرارة لأعرف درجتها على وجه الدقة ، وقد كنا أقرب ما يمكن إلى حر نار الجحيم . ولو أنى عرفت حقاً أن الحرارة أشد مما كانت ، لكان من المشكوك فيـــه أن أقوى على احتمالها مع معرفتى باشتدادها .

وفى أثناء ذلك كنا نعالج تعويم سفينة أخرى هى الباخرة ليبنفلز ، وهى سفينة شحن ألمانية كبيرة أغرقت لسد الميناء . وكان من المحتم تطهير الميناء بأسرع ما يستطاع ، وكان سقوط طبرق فى ٢١ يونيه قد أورث الجنود المتحالفـة فى الشرق الأوسط غمًّا شديداً . فبدأ من القاهرة « خروج » على غير نظام ، وأغلقت القاعدة البحرية فى الإسكندرية بسرعة . فصار عندى الآن القاعدة البحرية الباقيـة والحوض الجاف الوحيد فى الشرق الأوسط .

وكنت قد قدرت أن تعويم الباخرة ليبنفلز عمل عادى من أعمال الإنقاذ ، فما لبثت أن تبينت أنه مامن عمل من أعمال التعويم فى مصوع يعد عادياً . ولم تنته متاعبنا أن رفعناها .

ففى الرطوبة القطيعة التى كانت مضخاتنا عرضة لها ، كانت المضخات تنهار مع المولدات الكهربائيـة . وبينما كنا نحاول أن نصلح المضخة كان الماء يعود فينفذ إلى عنبر السفينة فتميل ، ويؤدى ذلك إلى اندفاع الماء فى العنابر الأخرى إلى هذا الجانب . ولابد أن تعتدل السفينة ليتسنى إدخالها فى الحوض الجاف لإصلاحها .

وبعد أربع ليال وخمسة أيام من العمل المتواصل استطعنا أن نقيم الباخرة ليبنفلز ، فما زاد مَيْلها على ١٣ درجة إلى اليســار — وكنت من قبل أعد هذا سيئاً جداً — ثم جررناها إلى الحوض الجاف ، والعـلم الأمريكى يخفق مزهواًمن قمة ساريتها .

وعلى الرغم من الاحتجاجات العنيفة من المشرف على الحوض ، أمرت بإمالة الحوض إلى اليسار ، فكاد الجانب الأيسر يختفى تحت المـاء ، ولكن هذا الميل كان يشاكل ميل السفينة ليبنفلز ، ثم جررنا السفينة بسرعة إلى الحوض وأقمناها على القعر المائل قبل أن ترتدّ يمنة ، ونزحنا ماء الحوض — وكان إدخالها الحوض على هـذا النحو عملا خطراً .

وفى الثــانى من أغسطس تلقيت أمراً بالراديو بأن أقوم على الفـــور لشهود مؤتمر مع قيادة الأسـطول البريطانى فى الإسكندرية ، وهناك سرنى أن علمت أنى سأتلقى أخيراً مساعدة ضباط بحريين وعمال من دور الصنعة .

ووجدت فى القاهرة أن « الخروج » قد كف بعد أن عجز روميل عن اختراق خط العلمين ، غير أن الموقف البحرى فى البحر الأبيض المتوسط كان أسوأ مما كنت أتوقع . وأخبرنى الأميرال هاروود القائد العام للأسطول البريطانى وبطل الموقعة الشهيرة التى دارت عند نهر بلاتا فى ١٩٣٩ وقضى فيها على البارجة « جراف سبى » ، أن أسطوله مؤلف على وجه التحديد من أربعة طرادات خفيفة وحسب ، وأن ثلاثة منها معطوبة .

ولم يكن عنده بوارج يواجه بها البوارج الإيطالية الأربع أو الخمس ، فقد ضربت البارجة بارهام بالطربيد عند طبرق فغرقت وفقد من رجالها ٨٠٠ ، وأصيبت البارجتان « كوين إليزابث » و « ڤاليانت » بما عطلهما عن العمل ، وإن كان المحور لا يعرف ذلك .

كانت البارجتان واقفتين فى ميناء الإسكندرية ذات ليلة ، وإذا بزورق حراسة يلتقى برجلين فى ثياب الاستحمام قاعدين على شمندورة لشبكة ضد الغواصات ، فنقلا إلى البارجة « كوين إليزابث » ، واتضح أن الاثنين إيطاليان ، وكان هذا مبعث قلق . وبعد استجوابهما عبثاً ، أمر قائد البارجة بإنزالهما فى جوفها ووضعهما فوق القعر المزدوج — واحد فى الجانب الأيمن والآخر فى الجانب الأيسر — حتى إذا رغبا فى الكلام صعدوا بهما .

ثم بدأت حرب أعصاب ، ففى البارجة « كوين إليزابث » والبارجة « ڤاليانت » القريبة منها ، قامت فرق العمال بمد الحبال وحاولت أن تجرف بطن السفينتين لإزالة أى شىء يمكن أن يكون عالقاً بهيكلهما ، وبقى الأسيران صامتين .

وقبل الساعة الخامسة بربع ساعة فى الصباح انهارت أعصاب الرجلين وأبديا رغبة مفاجئة فى الكلام ، فحملا إلى السطح بسرعة ، فطلبا أن ينقلا من السفينة لأنهما كانا قد وضعا لغماً كبيراً تحتها ولغماً آخر مثله تحت البارجة ڤاليانت ، وكلاهما سينفجر بحسب التوقيت بعد خمس عشرة دقيقة .

فأرسل النبأ بالإشارات على الفور إلى البارجة ڤاليانت ، ودقت أجراس الخطر ونفخ فى الأبواق تدعو الجميع للعمل ، وأطلقت الصفارات تتلوها النداءات العالية : « اربطوا كل شىء تحت ! أغلقوا كل الأبواب الحاجزة للماء ! وإلى السطح جميعاً » .

وفى أقل من عشر دقائق كان جميع البحارة وعدتهم فوق الألف ، محشودين على السطح فى الظلام ، وبقى البحارة فى صمت أليم ينتظرون حتى صارت الساعة الخامسة ؛ أكان الأمر أكذوبة وخدعة أم حقيقة ؛

وإذا كان حقاً فماذا عسى أن يصنع بهم هذا اللغم ؟

ولم يكن الأمر خدعة ، ففي الساعة الخامسة حدث انفجار مهول رج البارجة « كوين إليزابث » وحمولتها ٣١٫٠٠٠ طن ، وبعد بضع ثوان حدث انفجار آخر تحت البارجة « ڤاليانت » وأصيبت كل منهما بخرق كبير فى جوفها ، وبدأتا تميلان ، ولكن لم يقتل أحد من رجالهما ، وشرع البحارة على الفور فى العمل للحد من التلف .

ولما طلع الفجر على الميناء كانت البارجتان لاتزالان عائمتين معتدلتين ، ولم يكن أحد ، إلا من عسى أن يكون قريباً جداً منهما ، يستطيع أن يعرف أنهما هبطتا فى الماء إلى ما دون الحد المألوف .

وكان الأمر يتطلب إصلاحاً كبيراً ، فقد تحطمت مراجل السفينتين فى جملة ما تحطم ، ولكنه كان من الضرورى أن يبقى العدو متوهما أن بريطانيا لايزال لها فى هذه البقعة بارجتان على الأقل قادرتان على العمل . ووجد ستة آخرون من الإيطاليين فى جهاز غواصين ، وبدا أن من الممكن أن يكون هؤلاء هم كل وكل إليهم هذا العمل البارع الخطر .

ورغبة فى إيهام المراقبين من الجو ، سارت الحياة فوق سطح السفينتين كالعادة — فكانت الفرق الموسيقية تعزف ، والبحارة يحشدون للتفتيش فى الساعات المألوفة ، والزوارق الصغيرة تروح وتجىء فى مهماتها العادية . ونجحت الخدعة ، والظاهر أن العدو لم يدر قط أنه كان موفقاً فى ضربته .

وقامت الأميرالية البريطانية بخدعة أخرى ، وكان لها بارجة قديمة فى عهد الحرب العالمية الأولى اسمها سنتوريون ، نزعت منها المدافع واتخذت هدفاً ، فجهزت بسرعة بمدافع من الخشب ودروع تبدو كالدروع الحقيقية ، وأرسلت إلى الإسكندرية ، وجعلت بعد ذلك تكثر من الطواف لتظهر العلم البريطانى فى شرقى البحر الأبيض المتوسط وليظل الإيطاليون محجمين عن الخروج — ولو اجترأ أى زورق مدافع على الدنو منها لاستطاع أن يغرقها بسهولة .

وكان الطراد ديدو معطوباً عطباً خطيراً من جراء قنابل كادت تحطمه . ولما كان البريطانيون لا يستطيعون إدخاله الحوض الجاف فى الإسكندرية الذى لا يكف العدو عن ضربه ، فقد اتخذت التدابير لإرساله إلى ديربن فى جنوب إفريقية على بعد ٥٠٠٠ ميل ، وكان هذا يقصى الطراد عن خط القتال أكثر من شهر أو شهرين تقريباً .

فلم أستطع أن أسيغ هذا . وصحيح أن الحوض الجاف الإيطالى الذى عومناه فى مصوع لم يعد إلى العمل ، وأن الحوض الجاف

الإيرانى كان كما قال المهندس البحرى للأسطول ، أصغر من أن يتسع للطراد ديدو . ولكنه بدا لى أن هناك طريقة لإصلاح الطراد فى مصوع — وبذلك يعود إلى الخدمة فى أقل من ربع الزمن الذى يستغرقه الذهاب إلى ديربن والإياب منها . فعرضت مشروعى على الأميرال هاروود ، وسرنى أنه تحمس له . ولما انصرفت هزّ يدى بحرارة وهو يودعنى ثم قال متوسلا : « أرجو يا إلزبرج أن تتوخى الحذر وأنت تعالج الطراد ، فإنه ربع أسطولى كله ! » .

ووصل الطراد ديدو إلى مصوع فى صباح اليوم التاسع عشر من أغسطس ، وكان الحوض الجاف قد ملىء ماء ليتلقاه .

وكان الذى أثار الشكوك أن الحوض يستطيع أن يحمل ستة آلاف طن ، وأن طوله لا يتسع لأكثر من ٤١٠ قدم، وتفريغ الطراد أكثر من ٧٥٠٠ طن ، وطوله ٥٣٠ قدماً .

فالأمر يبدو مستحيلا فى ظاهره ، ولكن الذى خطر لى هو أن التلف الذى أصاب الطراد واقع كله فى مؤخرته ، فلست أحتاج أن أرفع مقدمته من الماء على الإطلاق ، فالمقدمة تظل عائمة فى الماء وأنا أرفع المؤخرة لإصلاح العطب ، وبهذا أحل مشكلة وزنه وطوله الزائدين فى وقت واحد . وهذه هى الطريقة التى أدخلنا بها الطراد ديدو فى حوض أصغر من أن يصلح له .

وظهر أن العطب شديد ، ولكنى قدّرت أن تتم العمل فى ستة أيام .

وفى صباح اليوم السادس ركبت دروع الصلب فى مكانها ما عدا الدرع الأخيرة على الجانب الأيمن . وتقدم أحد رؤساء العمال إلى بنبإ لا يسرّ .

قال : « اللوح لا يصلح يا كبتن ، ولا بد من ردّه ليوضع فى المطرقة لثنيه ، فإنه ليس للطراد مفاصل » .

وكان من سوء الحظ أن ليس فى مصوع مطرقة آلية ، وقد فهمت ما أراده مقدم العمال بإشارته إلى « المفاصل » فى الطراد ، فإن مؤخرته كانت مستقيمة تقريباً إلى ما تحت خط الماء ببضع أقدام ، ثم يثنى اللوح على الهيكل ، وكان الطرف الأعلى من لوح الصلب الأخير يصل إلى نحو ست بوصات فوق خط الانثناء الأفقى ، وكان لا بد لتدريع السفينة من ثنى اللوح عليها .

وقد حاول العمال ثنى اللوح بالمطارق الكبيرة ، وخيل إلينا فترة أنه مقضى علينا بالإخفاق ، ثم أمرت أحد الرجال أن يدعو اثنين هما خير الحدادين عندنا — بيل كننجهام وهوريس أرمسترنج — وكانا فى مهة أخرى . وبعد ساعة ونصف ساعة كانت مطارقهما

الجبارة قد ثبتت لوح الصلب الثقيل بدقة على ما تحته . فنجونا بيومنا ، وسلمنا الطراد في الموعد المضروب ، واستحق كننجهام وأرمسترنج منى شكرى وحبي الدائمين .

وكان من نتيجة ما صنعناه للطراد ديدو، أن وكل إلينا الطرادان يوريالوس وكليوبترة وصدر الأمر للمكانيكيين البريطانيين الذين جاءوا مع الطراد ديدو أن يبقوا في مصوع في انتظار الطرادين الآخرين . فأطلق وجودهم بعض رجالى ، وأتاح لى فرصة للشروع في تعويم الحوض الجاف الإيطالي الأصغر ، وكان غائصاً تحت الماء .

وفى أحرج اللحظات التى مرت بنا ونحن نرفع هذا الحوض تعطل جهازنا الكبير لضغط الهواء فجأة ، فغطس الحوض الذى كان قد ارتفع قليلا لما غمر الماء جوفه .

وفى لحظة أو لحظتين صار الذين كانوا يعملون على الحوض عائمين فى الماء فى كل مكان ، وقد دعوت الله أن يكون الذين يعملون تحته مثلهم عائمين ، وكنت أعرف أن أرمسترنج ، وجونز ، ولارسن كانوا جميعاً في ذلك الجانب فى المؤخرة التى غمرها الماء تحت قدمى ، ولا بد أن طوفاناً من الماء قد أخذ يتدفق من المنفذ التحتى المؤدى إليها. وقد دل على ذلك فى تلك اللحظة عمود الماء النازل وفقاقيع الهواء الصاعدة .

فصار قلبي كالرصاص. ولم يكن ثم ما يجزم به المرء أن هؤلاء الثلاثة قد وقعوا فى فخ ، ولكن إذا كانوا قد وقعوا فإنه لا ينبغى أن يتركوا ليموتوا دون أن يبذل مجهود لإنقاذهم ، فقذفت بنفسى من فوق الأخشاب المنصوبة فى هذه الدوامة الفائرة من الماء ، فهى تدل على مكان المنفذ .

وكانت المسافة إلى هذا المنفذ تسع أقدام وما كدت أغطس حتى عدت لا أرى شيئاً سوى كتلة من الماء المزبد وفيه فقاقيع الهواء . وتحسست حتى وجدت باب المنفذ ، وكان مواربا ، وما لبثت أن لمست أصابعى شيئاً طرياً ــ هو ذراع بين الباب وإطاره . فأمسكت بالذراع بإحدى يدى لئلا تفلت منى حين يفتح الباب فيندفع الماء ، وجذبت باليد الأخرى الباب الحديدى بكل ما فيّ من قوة ، فارتد مفتوحاً .

وجذبت جسما مسترخياً من المنفذ ، وصعدت به من الماء إلى السطح ، وبعد لحظة كنت أنا وما أحمل فى زورقى ، أحاول التنفس ، وصوبت عينى إلى هوريس أرمسترنج الذى كان راقداً عند قدمى وقد غاب عن وعيه .

وقلت : « أسعفوه بسرعة ! » وعدت إلى الحوض ، وغطست مرتين فى هذا

العباب المائج من خلال الباب الذى بقى مفتوحاً وصعدت بالآخرين : لارسن وجونز .

وخف جرّاحنا ورجال مستشفى الجيش ليسعفوا الرجال الثلاثة، فأفاق جونز بسرعة، وبعد ساعة أفاق لارسن أيضاً. أما أرمسترنج فبقى غائباً عن رشـده ، فحمل فى زورق لمواصلة العمل على إنعاشه فى المستشفى .

وصرنا فى الساعة الخامسة ، وكان جهاز ضغط الهواء قد أصلح ، فاستأنفنا العمل لإعادة رفع الحوض الجاف . وبعد خمس ساعات طفا الجانب الأيمن من الحوض مرة أخرى ، فلما كان الصباح كنا قد انتصرنا .

ولكن الفجر لم يحمل إلى قلوبنا روعة النّصر ، فقد نعى إلينا هوريس أرمسترنج ، وتذكرت هوريس وهو يضرب بمطرقته الهائلة تحت مؤخرة الطراد ديدو، فبكيت .

وفى أخريات نوفمبر تلقيت أمراً بأن أغادر مصوع وأتقدم نفسى إلى مقر قيادة الجنرال أيزنهاور للقيام بأعمال إنقاذ مستعجلة فى جميع موانىء إفريقية الشمالية فلم أشعر بأسف .

وقد رفعنا منـذ شهر مارس أحواضاً عائمة ، وسفناً للمحور ، وآلة رافعة عائمة ضخمة ، ولا يمكن أن يكون هناك شك في قيمة ما أسدته مصوع لقضية الحلفاء .

والآن ابتعدت الحرب فجأة عن مصوع واستقر الحلفاء فى شمالى إفريقية ، وعادت طبرق إلى أيدى البريطانيـين ، وراح مونتجمرى يطارد روميل إلى طرابلس . فانتهى عهد مصوع .

وستقوم طائرتى فى الصباح من أسمرة ، وبعد أن ودعت أصحابى ركبت السيارة إلى أسمرة تحت نجوم السماء المظلمـة ، وتلفت فرأيت على مياه البحر الأحمر أضواء متلاحمة فى الميناء الغاصّ بالحطام الذى أنقذناه .

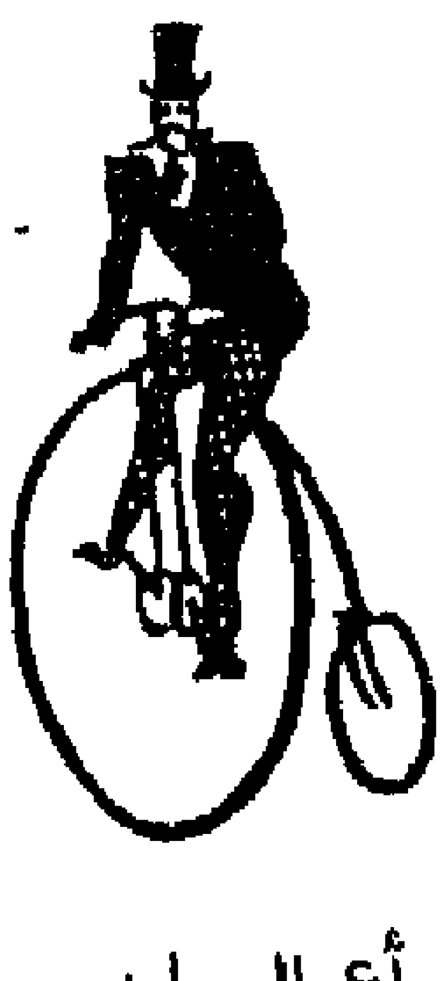
ومضينا نخطف فى الظلام وننهب الصحراء الحارة إلى الجبال ، وسرعان ما شرعنا فى الإصعاد ، فوضعت على كتفى معطفى الذى طال إهمالى له ، فإنى سأحتاج إليه الآن ، وقد يكون شمال إفريقية أشد إضناء من مصوع ، ولكنه على التحقيق سيكون أبرد .



« من الهواء الرقيق ، نزلت فكرة غيرت وجه الأرض . . . وأطباق الفضاء »

من الهواء الرقيق

أيُّ عالم عجيب يدور من حول كلمة «الهواء» ، فهو أكثر الأشياء مقداراً في هذا الكون ، وأعظم الأشياء حرية وانطلاقاً . أحبسه عن أي مخلوق حيّ يكن مصيره إلى الموت . وأنت تجد الناس يصفون بأكثر من لغة واحدة كل قول هراء بأنه « هواء فارغ » . والإنجليز يقولون «أعطاه الهواء» إذا عنوا رجلاً يتجنب رجلاً وينفر من صحبته . ولكن ثمة ناحية من موضوع الهواء ، نتخذها أمراً مسلماً به فلا نعيرها ما هي جديرة به تفكير أو عناية ، فأنبوب الهواء الممتلئ هواءً – وهو مشهور باسم عجلة المطاط – قد غيّر حقاً وجه الأرض ، بل غير السماء (إذا نظرنا إلى الطائرات ذات العجلات الضخمة التي لولا هذه العجلات لكانت عاجزة عن القيام في الجو ثم النزول على الأرض) . ومع ذلك فقد كان بدء كل ذلك في نحو منتصف القرن التاسع عشر ، يوم وُلد ابن لفلاح في قرية دريجهورن الصغيرة في مقاطعة إرشير بأسكتلندة .



فلما كان في الثانية والعشرين من عمره نزل جون بويد دنلوب — فقد كان هذا اسم الفتى — في مدينة بلفاست بإرلندة ، لكي ينشيء لنفسه مكانة فيها في طب البيطرة .

وقد كان ينفق معظم وقته يجوّل سالكاً طرق الريف في القيام بأعمال طبه ، فكان التجوال على هذه الطرق غير الممهدة يرجه رجاً عنيفاً . والعالم اليوم مدين بعجلة المطاط الممتلئة بالهواء إلى هذه الرجات التي احتملها دنلوب في زياراته البيطرية .

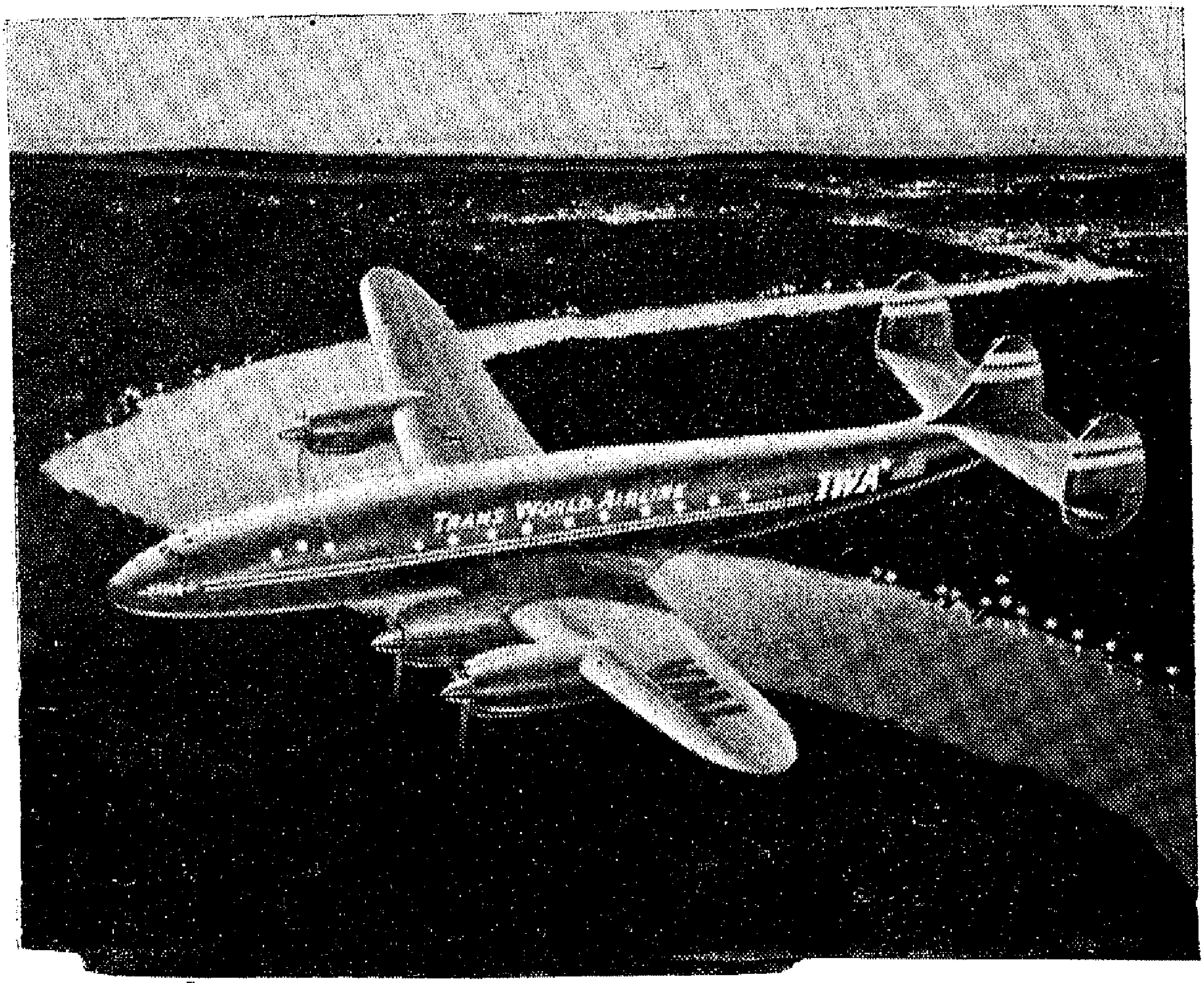
ذلك بأن دنلوب دأب على التفكير ، وهو يعاني هذه الرجات ، في الأساليب والطرائق التي تمكن الناس من السفر في راحة ، وكانت تجاربه متعددة ومتنوعة . وذات يوم وضع حول قرص من الخشب قطره نحو ١٦ بوصة ، أنبوباً مصنوعاً من قطعة من المطاط ، وفي طرفه منفذ دقيق يدخل الهواء منه ، فنفخ هذا الأنبوب بمنفخة كرة القدم ، وجرّب ما صنع في داره ، فرأى ما شجعه على المواصلة . وتلت ذلك تجارب أهم ، حتى كان شهر يوليو سنة ١٨٨٨ فسجل دنلوب اختراعه . وكانت الدراجة الأولى التي زوّدت بعجلات مطاط على أسلوب دنلوب قادرة أن تقطع براكبها ٣٠٠٠ ميل ، فلم تثقب عجلتها الأمامية ولا أزيلت عن مدارها ، وهي معروضة اليوم في المتحف الأسكتلندي الملكي بمدينة إدنبرة بأسكتلندة . وكذلك ولدت من «الهواء الرقيق» فكرة تطورت فغيرت في نصف قرن وجه الأرض وأطباق الفضاء .

من هذه الجذور الدقيقة نمت الشجرة الباسقة التي هي هيئة دنلوب ، المنتشرة أغصانها في جميع أرجاء الأرض : صناعة عظيمة تتيح عملاً مباشراً أو غير مباشر لملايين من الناس ، وتتيح نعمة لملايين آخرين ، هي نعمة السفر السريع المريح . ففي كل بلد من بلاد الله ترى من يستعمل إطار المطاط قادراً اليوم أن يشتري إطار دنلوب ذا الأصل العريق — الذي يرتد أصله إلى اختراع ج . ب . دنلوب منذ نصف قرن من الزمان





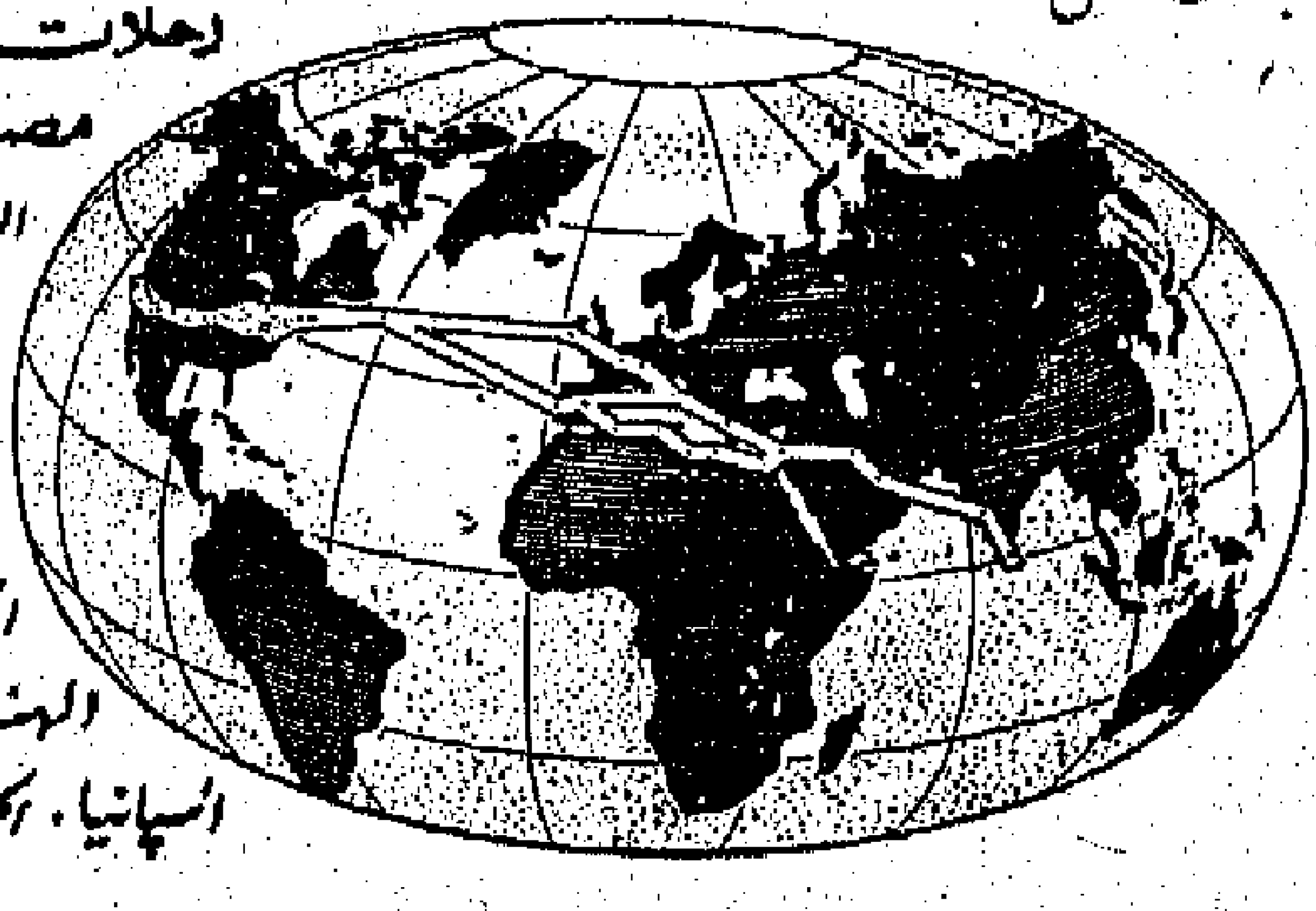
جارجويل
موبيلويل
"اف"
خفيف الثقل
زهيدة الثمن
كثيرة الوفر
C.R.4954
موبيلويل
سوكوني فاكوم



٢٠ سنة فى الطريق

إليك هذه الطائرة الجبارة من طائرات TWA «ستارلاينز» فقد فرغت لساعتها من عبور المحيط الأطلسى فى ساعات ، بيد أن الوصول إلى وجوه الإتقان والحذق التى جعلت مثل هذه الرحلة أمراً مألوفاً ، قد استغرق ٢٠ سنة من تجارب TWA وخبرتها فى الطيران — وهى تجارب تنمو وتتسع بمعدل ٥٠٠٠ر٠٠٠ ميل كل شهر .

TWA
TRANS WORLD AIRLINE.



رحلات مباشرة مصرح بها بين :
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلنده . فرنسا . سويسرا
إيطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان .
الهند . سيلان . البرتغال
اسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا

TWA — الخطوط الجوية العالمية
الخطوط المتصلة بها ... "ترانس ورلد إرلاينز"

.. حتى يفوق الكمال الذى تدركه غداً
الكمال الذى أدركته اليوم



بيد جرّاح !

إنها لمهمّة عظيمة ، ولكنها مهمة ثابتة دقيقة ، تلك التى يضطلع بها وينجزها ألوف من الرجال والنساء يوماً بعد يوم فى مصانع « سويفت » . ففى كثير من نواحيها العجيبة الغريبة ترى يد الإنسان تعمل بدقة الآلة التى لا تخطىء . وكذلك تجد أن يد الرجل الذى يسلخ الجلد ، ينبغى أن تتصف بالقوة والثبات اللذين فى « يد الجرّاح » حتى تستطيع أن تسلخ الجلد عن اللحم دون أن تحدث فيه أقل خدش أو رضّ هما خليقان لو حدثا أن يقضيا على كمال الحيوان .

هذا العمل الدقيق، هذه التفاصيل الدقيقة المحكمة التى يشق على المستهلك أن يتصورها — تضمن تلك الجودة ، جودة « سويفت » ، فهى نتيجة سعى لا ينقطع لبلوغ درجة التفوق والإتقان .

COMPAÑIA **Swift** INTERNACIONAL

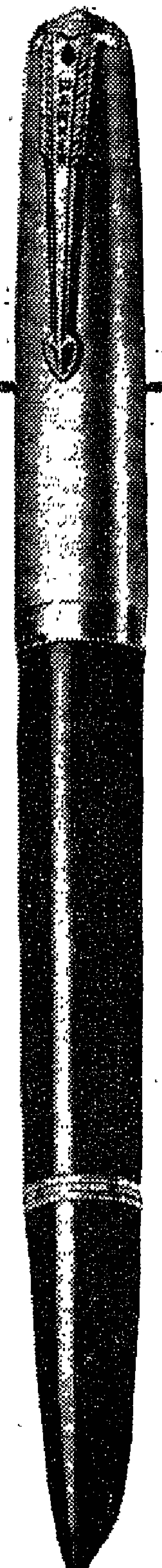
Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة "سويفت" الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً


أصحاب السيارات يفضلون
شموع احتراق
شامپيون
CHAMPION
لأنها شموع يعتمد عليها
إن رجال السيارات فى جميع أرجاء الأرض أصبحوا يعتمدون على شموع احتراق « شامبيون » ، فى سرعة قيام سياراتهم وأداء محركاتها المستمر ، وعملها القليل النفقة — فيظفرون بالرضى الحق الذى ينشده صاحب السيارة .
وقد دلت الاستفتاءات النزيهة عن الهوى التى تمت فى السنوات العشر الأخيرة على أن شموع احتراق « شامبيون » هى أسبق الشموع إلى رضى رجال السيارات وتفضيلهم لأنها شموع يعتمد عليها
CHAMPION SPARK PLUG COMPANY
Toledo, U.S.A. • Windsor, Can • Feltham, Eng
CHAMPION
PATENTED

"پارکر ٥١"



إن جمال قلم « پاركر ٥١ » ورشاقته
يعززهما ما يستعمل فى صنعه من مواد نفيسة .
فسنه مصنوعة من ذهب عيار ١٤ ...
وهى أتم تغليفاً منها فى أى قلم آخر ، فيصونها ذلك
ويحميها ، ورأس السن كرة دقيقة
ملساء أحكم صقلها الدقيق ، وهى مصنوعة
من الأوزميريديوم ، أعصى المعادن على التآكل .
وهذا هو القلم الوحيد الذى صمم
حتى يستعمل استعمالا مرضياً حبر « پاركر ٥١ »
الذى يجف وأنت تكتب .

شركة أقلام پاركر
جانزفيل ، ويسكونسن ، الولايات المتحدة

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis. U.S.A.

يكتب كتابة
جافة بمداد سائل!



إن شركة «فور هويل درايف أوتو كومبانى» المشهورة فى جميع أرجاء العالم، أنشئت فى سنة ١٩١٠، فهى أقدم وأكبر شركة قصرت اهتمامها على صنع سيارات نقل تشمل قوة الدفع فيها، العجلات الأربع، أو العجلات الست، وهى سيارات اشتهرت فى كل مكان بأدائها الذى يُعتمد عليه. وشركة «فور هويل درايف أوتو كومبانى» هى إحدى الشركات العالمية الكبرى التى تصنع سيارات للنقل الثقيل.

رسالة خطيرة الشأن

إلى أصحاب سيارات النقل FWD اليوم أو فى المستقبل، فى جميع أرجاء العالم

إن كثيراً من سيارات نقل FWD القوية المتينة التى صنعت للخدمة فى الحرب، قد صارت اليوم عمادَ الأهلين فى أعمالهم المدنية. فإلى أصحاب سيارات نقل FWD اليوم، وإلى الذين سيشترونها فى سائر بلاد الله توجّهُ شركة «فور هويل درايف أوتو كمبانى» هذه الرسالة الخطيرة الشأن.

إن المعلومات الفنية، وقطع الغيار الأصلية FWD اللازمة لهذه السيارات حتى تعمل، عملا نافعاً، ولصيانتها، تجدها متاحة لك عند شركة «فور هويل درايف أوتو كومبانى» أو عند موزّعيها فى جميع أرجاء الأرض... فتساعد كل صاحب سيارة منها على أن يظفر من هذه السيارات بأقصى درجات الانتفاع والخدمة الطويلة الأمد والاقتصاد.

وسيارات FWD التى لها قوة دافعة تحرك العجلات الأربع والعجلات الست، تتيح لك مزايا لا يسبقها سابق: أقصى قوة وقدرة على نقل الأحمال فى أوعر الطرق وأشد أحوال الجو إرهاقاً: سرعة أعظم على مسافة أطول يصحبها أمن أتمّ: أقلّ نفقة لوحدة النقل (طن واحد-ميل واحد) توزيع متعادل للقوة المحركة — ولوطأة الحمل المنقول على العجلات الأربع أو العجلات الست: خفض الإجهاد على المحاور، وتقليل تآكل الإطارات: خدمة طويلة الأمد.

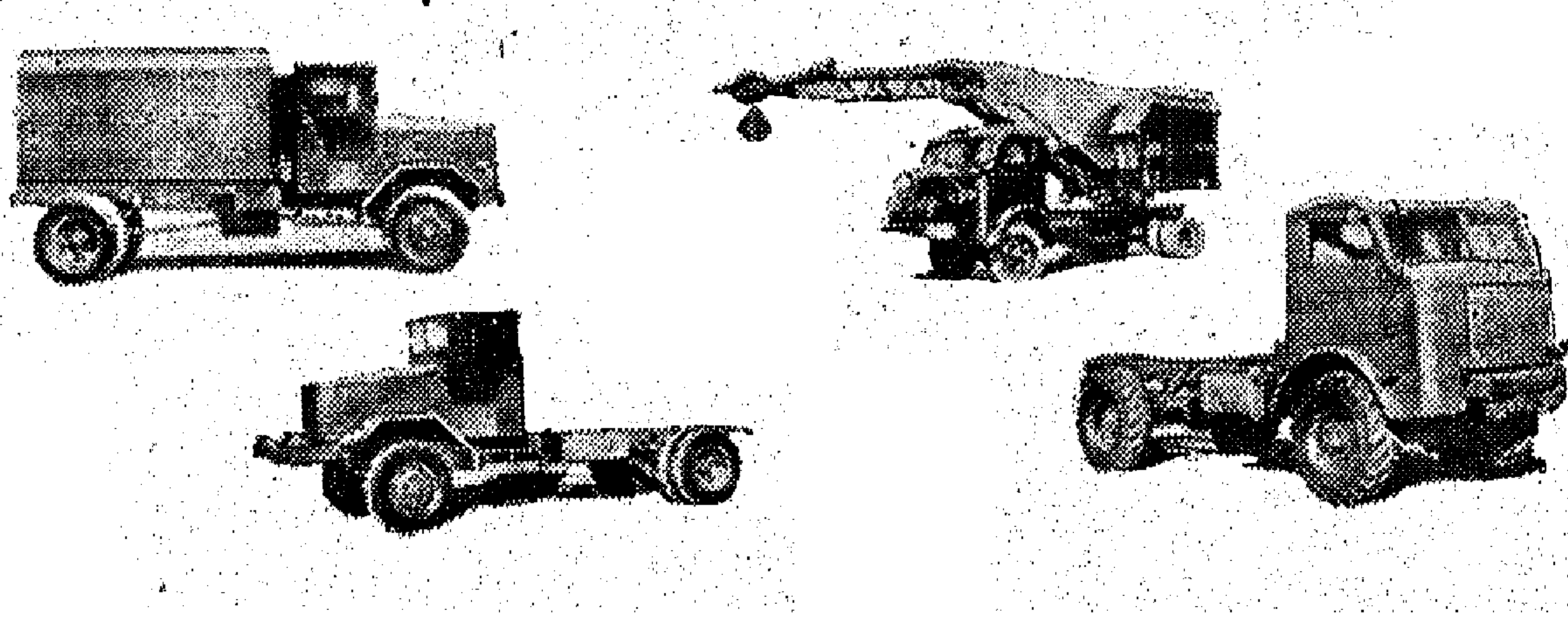
تطلب البيانات الكاملة، بالبريد أو بالبرق من:

THE FOUR WHEEL DRIVE AUTO COMPANY

CLINTONVILLE, WISCONSIN, U. S. A.

العنوان التلغرافى: **FWD CLINTONVILLE (Code: "Bentley's")**

إن سيارات FWD الحربية، يسهل تحويلها إلى المهام المدنية بنفقة قليلة، ويسهل تزويدها بهيا كل شتى وبالمعدات التابعة لها.




Kodak



سيارة "چيپ" تعمل
على غير الطرق الممهّدة ...
إن سيارة « چيپ » يونيفرسال تستطيع أن تسير فوق أرض
يتعذّر السير فيها على ضروب السيارات الأحرى . فقوة الدفع التى
تشمل العجلات الأربع تضمن لها الحركة فى الأرض الوعرة ، وقوة
الدفع التى تشمل عجلتين تجعلها صالحة للسير على الطرق الممهدة بالسرعة
المعهودة ، وللاقتصاد فى الوقود ، فهي مركبة لا عنى عنها فى نقل
الرجال والعدد والمؤن إلى مواقع كان الوصول إليها متعذراً ، لولاها .
Willy-Overland Export Corp., Toledo, U.S.A.
چيپ Jeep العالمية


شحنة من الفتنة
من مصانع « كاسونز »
بمانشستر (إنجلترا) خرجت
أحدث الروائع فى أنواع
«أحمر الشفاه» البريطانية فى
خمسة ألوان جديدة . وقد
روعى فى صنعها أن تكون
ممتازة فى مادتها ولونها ،
فهى تحتل اليوم مكان الصدارة
فى صالونات التجميل فى
جميع أنحاء العالم .
Cussons احمر شفاه
73 GROSVENOR ST. LONDON W. I. ENGLAND

التبريد الآلى للبيت أينما يكون

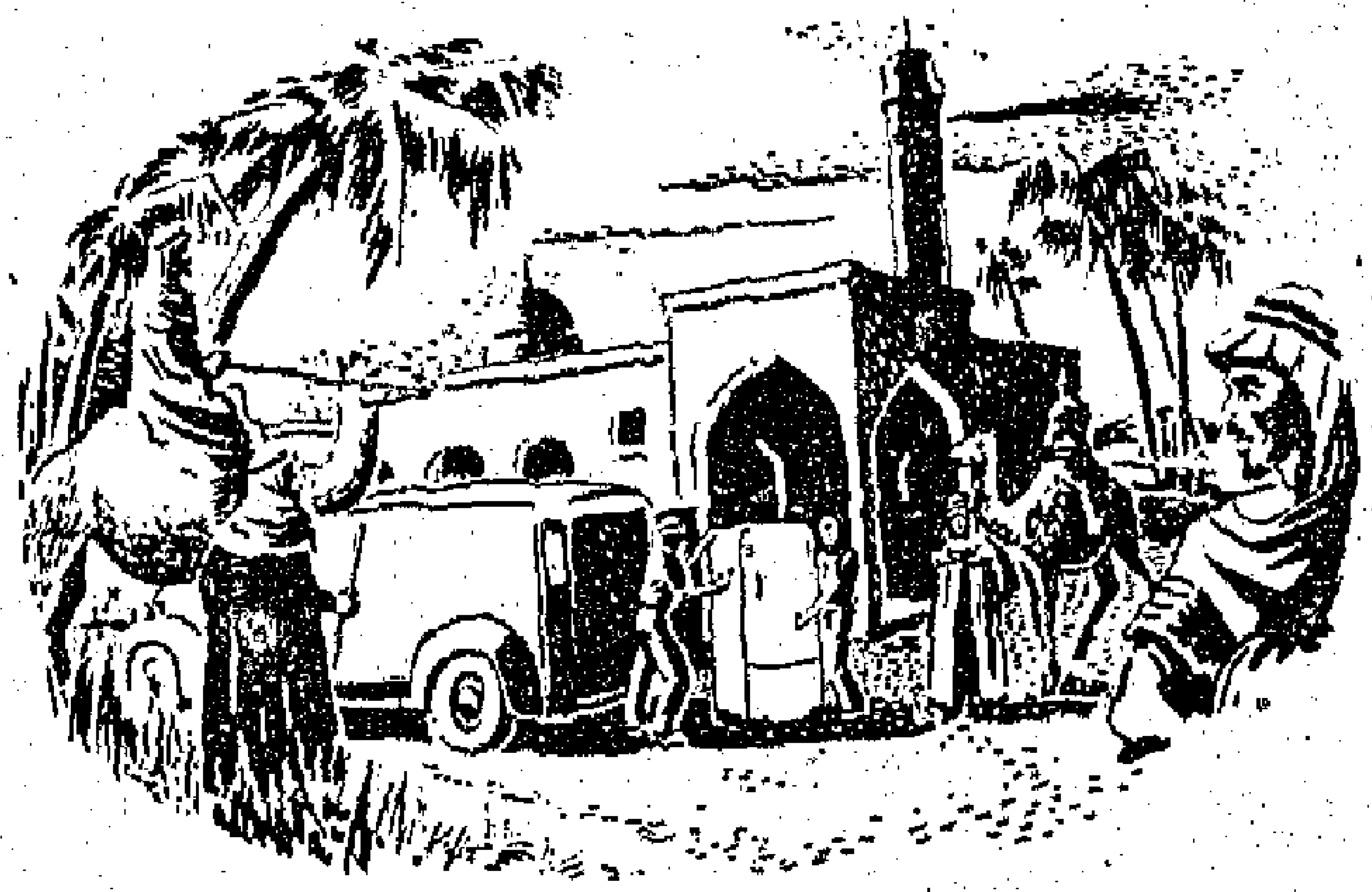
وهى تعمل :

بالجاز الأبيض

الغاز الطبيعى

الغاز الصناعى

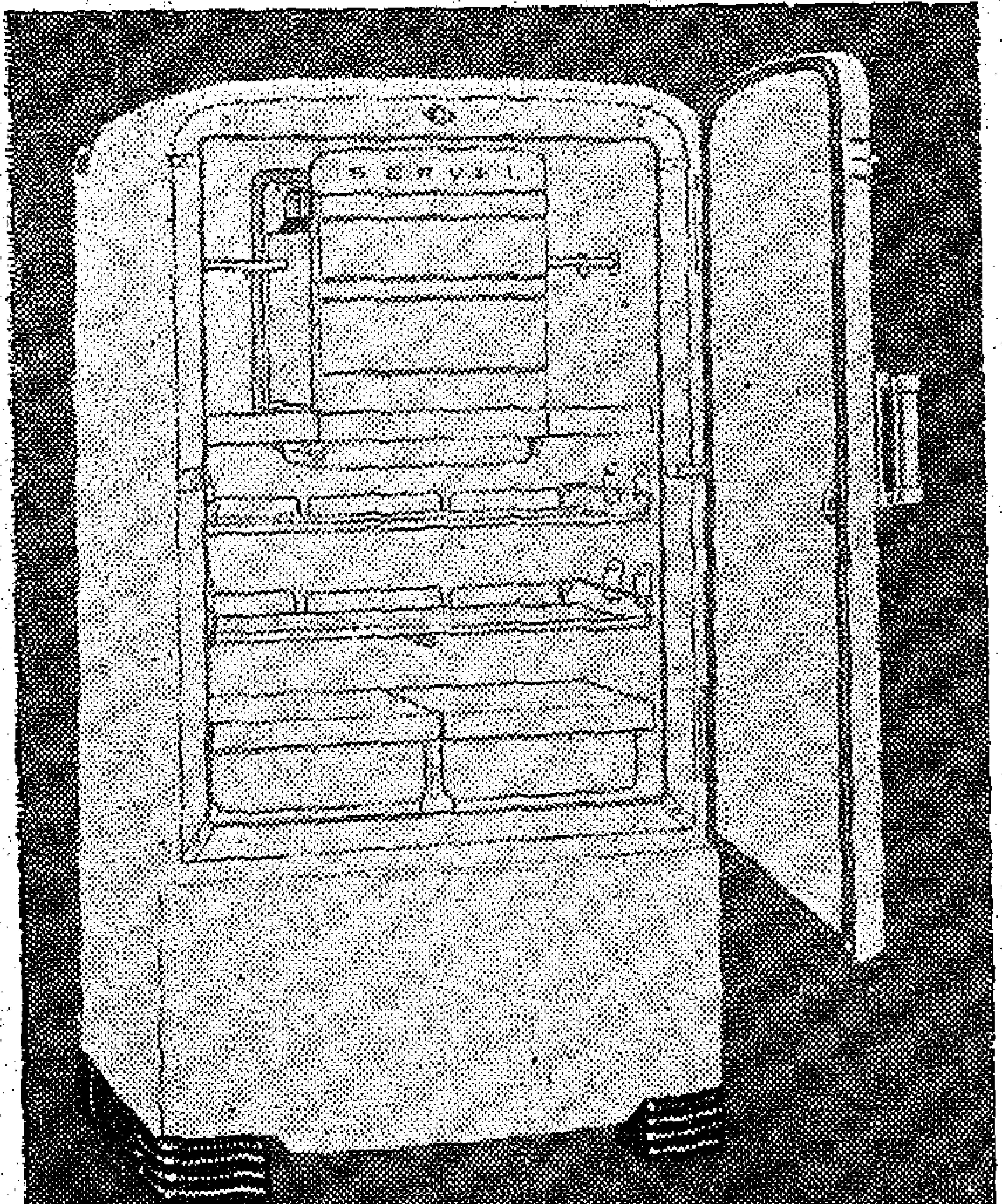
الغاز المعبأ



مقدار كبير من مكعبات الثلج

مكان رحب فى الداخل

تجمد بغير أجزاء متحركة



نعم ، فى وسعك أن تنعم بجميع مزايا التبريد الآلى ــ مقدار وافر من الثلج ، وتبريد مستمرّ لحفظ الطعام ــ سواء كنت تعيش فى مزرعة بعيدة نائية ، أو فى قلب مدينة كبيرة. ذلك بأن ثلاجة « سرڤيل » الشهيرة لا تحتاج إلا إلى مقدار يسير من لهب الغاز أو الجاز لكى تعمل عملها . وهى تختلف عن جميع الثلاجات الأخرى ، فليس فيها فى نظام التبريد أجزاء متحركة . فهى تظلّ ، كما تعلم المليونا أسرة التى تستمتع بثلاجة « سرڤيل » ، هادئة لا تحدث صوتاً ، وعمرها أطول .

« وسرڤيل » يقدم لك أيضاً أعلى آيات الجمال الحديث ، فى الخدمة المجدية والتيسير النافع . فأجهزة التندية الكبيرة التى تحتويها ، تحفظ لك الخضر والثمار غضة ناضرة أياماً كثيرة والمكان الرحب الخاص بخزن اللحم يحفظ فيه كلّ جودة اللحم الطازج . ثم فيها متسع كبيرة لقطع اللحم الكبيرة بعد تجميرها ، لأن رفوفها أو جحراتها يمكن تغيير سعتها وزيادة رحابتها وفقاً لحاجتك .

الثلاجة التى تختلف عما سواها

سرڤيل Servel

International Division, 51 East 42nd St., New York 17, N.Y., U S.A.


CALTEX
في خدمتك
لمنتجات بترولية أفضل
«كالتكس» خدمة مزدوجة ذات نفعين : منتجات بالغة الجودة — بنزين ، وجاز ، ومواد للتزييت ، ووقود الديزل ، وزيت الوقود — وأيضاً مصدر متيسر تستطيع الاعتماد عليه للظفر بما تريد ، وكلاهما قد أحكم إعداده لكي يعينك على أن تظفر بأداء نافع محكم التوقيت ، في سفنك أو مصانعك أو آلاتك.
SOCIÉTÉ CALIFORNIA TAXAS DES PETROLES, S.E.A.
9, Rue Fouad
Cairo, Egypt.
كالتكس لإنتاج البترول



Coca-Cola
Coca-Cola
تذكر!
إذا أردت شيئاً
لذيذاً مرطباً
اشرب
كوكا كولا
مثلجة

ويبلغ طول كل منهما قبل تهشيمه نحو تسع وستين قدماً وقد راعى المثال فى نحته تناسب الأعضاء . وربما عزى بقاء هذين الأثرين إلى أن القوم كانوا يؤلهون الفرعون « أمنحوتب الثالث » . فلا غرابة إذن فى أن تراهما جالسين على حافة الصحراء بربان طيبة تنهض مرة وتسقط أخرى . فقد شاهدا الإثيوبيين يدخلون البلاد ، ثم الفرس ، فالأشوريين فالفرس ثانية ، ثم الإغريق والرومان . وفى عام ٢٧ ق م حدث زلزال فكسر التمثال الشمالى نصفين . ومن المدهش أن كان هذا الحادث فاتحة عهد جديد فى شهرة هذا الأثر ، فإنه بعد انكساره كان المارة يسمعون فى الصباح المبكر عند طلوع الشمس صوتاً موسيقياً ينبعث من التمثال المكسور كأنه صوت عود . وقد انتشر خبر تلك الأعجوبة ، ومن ثم نسجت الخيال الأغريقى الشعرى الخرافات عن سبب هذا الحادث ، فتخيلوا أن الصوت المنبعث من التمثال هو « ممنون » بن « تيثونس » أخو الملك « بريم » ملك « طروادة » . وأمه « إيوس » إلهة شفق الفجر . وتقص الأسطورة أن « ممنون » هذا كان يساعد هو وجيش من « الإثيوبيين » أهالى « طروادة » ضد الإغريق ، وقد قتله أخيل البطل الإغريقى ، ولكن أمه « إيوس » انتشلت جثته من ساحة القتال ودعت الإله « زيوس » أن يمنحه الخلود . وقد كانت الدموع التى تنهمر من عينيها عليه هى قطرات الندى التى تتساقط كل صباح . وفى رواية أخرى أن « ممنون » هذا كان إثيوبى الأصل ، وأنه قبل سيره إلى « طروادة » أتى إلى مصر ومن ثم ذهب إلى « سوس » فى بابل . وعلى حسب هذه الرواية تكون الأصوات الموسيقية العذبة التى تسمع كل صباح عند مطلع الشمس من هذا التمثال ، هى صوت نبرات هذا البطل يرحب بوالدته ساعة تشرق فى السماء الوردية اللون عند مطلع الفجر . ولقد بلغت الشهرة التى نالها هذا التمثال مبلغاً عظيما حتى أن أباطرة الرومان أنفسهم أتوا لزيارته . ففى القرن الثانى بعد الميلاد أتى الإمبراطور « ستيمس سفرس » لزيارته أيضاً ، وسُرّ به كثيراً حتى أمر بإصلاحه ، غير أن هذا الإصلاح كان إيذاناً باختفاء ذلك الصوت العجيب ، فأصاب التمثال الخرس ، ومن ثم انفضّ من حوله الزوار المعجبون .

ولا أدل على مقدار شهرة هذا الصنم فى تلك الفترة التى كان فيها مقصد الزوار مما نجده من الكتابة التى تركها زائروه على أجزائه المختلفة

وإنى لأرجو لمجلة المختار حياة مديدة حافلة بالنفع لقراء العربية ، فقديماً قال أحد كتاب الفراعنة : « إن مؤلفاً واحداً لأعظم فائدة من لوحة قبر منحوتة ومن بناء قبرمثم ، لأن الكتاب سيكون لك بمثابة مقاصير وأهرام فى قلوب من ينطقون بعنوانه » .

سليم حسن

مطبعة مصر

تمثالا ممنون

سليم حسن بك

وكيل مصلحة الآثار المصرية ، وأستاذ فى جامعة فؤاد الأول سابقاً ، أول من نشر قصيدة بنتاؤور بجميع نصوصها ، ومؤلف « الأناشيد الدينية » و « تاريخ مصر الحديث » و « الأدب المصرى القديم »

يطيب لى أن أكتب كلمة موجزة عن تمثال ممنون الذى حُلِّى به غلاف مجلة المختار هذا الشهر . فقد أسدت هذه المجلة إلى قراء العربية خدمة جليلة ، فهى جامعة متنقلة لا يقصدها الطلاب بل هى التى تذهب إليهم حاملة إلى دورهم آيات الفكر الناضج ، والبحث الجليل ، والفن المبتكر ، والمتعة البريئة ، وكل ما يهيىء المرء للنجاح والسعادة فى الحياة .

أعود إلى تمثالى ممنون العملاقين ، فأقول إنهما الحارسان اللذان يشرفان بوجههما على سهل مدينة طيبة الفسيح ، ولهما أثر عجيب أخاذ سحر الناس منذ عشرين قرناً خلت . وتمثالا ممنون يمثلان فرعون مصر أمنحوتب الثالث (١٤١٠ — ١٣٦٤ م) . وقد أسبغ عليه التاريخ بحق لقب « الفاخر » لأن مصر بلغت فى عهده قمة مجدها ونالت حظاً عظيماً من السؤدد والثقافة والعلم . ولقد ترسم أمنحوتب خطى أسلافه فى تشييد المبانى الضخمة التى خلدت اسمه ، وقد كان أبهى بناء شيَّده هو معبده الجنازى فى طيبة الغربية للإله آمون ولعبادته هو نفسه . ولم يبق لنا من هذا الأثر العظيم سوى تمثالى ممنون اللذين نصبا على بابه ، ولوحة تصف لنا هذا المعبد . أما التمثالان فقد نحت كل منهما من قطعة واحدة من الحجر الرملى المستخرج من الجبل الأحمر الواقع على مقربة من مدينة « عين شمس » . ولذلك نجد الفرعون يفخر بنقلهما من هذا المكان إلى طيبة فيقول عن نفسه : إنه صاحب الآثار العظيمة التى نقلها بقوته من عين شمس الشمالية إلى عين شمس الجنوبية (أى طيبة) .



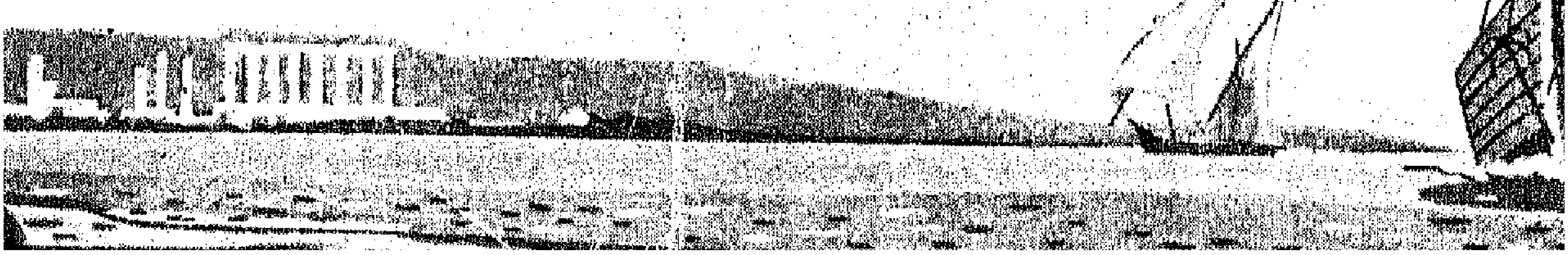
[البقية على الصفحة السابقة]

٣٥ فلسا

المختار من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

نيسان ١٩٤٧



بعض ماتقرأ فى عدد مايو ١٩٤٧

عــالم الأحياء : أحدث من يقيم الحجة على وجوب الإيمان بالله ، فهذا لوكونت ده نوى ، عالم الأحياء المشهور ، يتبين الإيمان الدينىّ وراءَ روائع التطوُّر العضوى فيفصله فى كتاب جديد خطير ، نختصره لك فى هذا الفصل .

الجناح الطائر : وصف طائرة جديدة لاعهد بمثلها ، قد تحدث انقلاباً فى عالم الطيران . وسيرة الرجل الذى تخيلها فصممها فصنعها على غير ما عهد من القواعد ، فهى أسرع من الطائرات المعهودة وأعلى تحليقاً وأقدر على حمل الأحمال ، وليس لها ذيلٌ ولا هيكل .

ولتعصف العاصفة : مختصر رواية رائعة حافلة بآيات الحبّ والبسالة وكفاح الطبيعة القاهرة ، وهى رواية جعلت مؤلفتها روز وايلدرلين فى طليعة كتاب الروايات فى هذا العصر ، وقد رحب بها النقاد يوم صدورها أيما ترحيب، فأعيد طبعها ثمانى مرات ، ولاتزال روايةً يعاد طبعها مرة كل سنة .

جيش من النمل : يزحف زحفاً قاهراً فيبث الرعب والهول بين النـاس والحيوانات فى أدغال أمريكا الجنوبية . فالصغار يفرون منه إلى التلال ومعهم ماتيسر لهم حمله من الدواجن، والأمهات تفر حاملات أطفالهن العراة ، والرجال ينحّون البقر عن طريقه — حتى قيض له من يقهره ! . .

الـــدم هو الحياة : فيتامين جديد يقوّى الدم ، ويتيح شفاعة من رجاءٍ لملايين من الناس أضنتهم بعض ضروب الأنيميا (فقر الدم) .

أفنان عبقرىٌّ أم مزيفٌ عبقرى ؟ : هــذه قصة كالقصص البوليسية المتخيلة ، قصة رجل بارع وخدعة طريفة . أما الرجل فهولندىٌّ عبقرىُّ التصوير ، وأما الخدعة فهى انخداع كبار أهل الفن بصور اجتمعت فيها مزايا الأئمة من المصورين القدماء ، حتى صار أساتذة الفن يشتبهون فى كثير من آيات التصوير فى المتاحف والمجموعات الخاصة ، ولا يزال الحكم بين أيدى المحكمين .

AL MUKHTAR min Reader's Digest - Vol. 8, No 44 APRIL, 1947

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة ولم ف . جليسى .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن مايعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ، وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شـلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

السنة الرابعة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٨ العدد ٤٤

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

أبريل ١٩٤٧

قضيت أياما مع غاندى

لويس فيشر

مختصرة من مجلة "الاتلانتيك الشهرية"



لا يزال المهاتما غاندى أعظم قوة تؤثر فى الهند

يصدر موهندس غاندى صحيفة أسبوعية صغيرة بالإنجليزية اسمها « هاريجان » ، فلما كان شهر مايو الماضى ، نشرت بعثة الوزارة البريطانية مشروعها الذى يمهد للهند أن تظفر بحكومة قومية. فلم يكن السؤال الذى تردّد على الألسن يومئذ : « هل يرضى الهنود بالمشروع البريطانى؟» بل كان: «هل يرضى به غاندى؟» ذلك بأن غاندى لايزال أعظم قوة فى الهند .

وقد استغرق غاندى فى « البحث الدقيق أربعة أيام » ، ثم كتب مقالاً موجزاً فى صحيفة هاريجان قال فيه : « لقد رسم أعضاء الوزارة أيسر طريق وأخصره فى هـذه الأحوال الراهنة، يفضى بنا إلى إنهاء الحكم البريطانى »

فعمدت كلّ صحيفة فى الهند إلى نقل هذا المقال ، وأرسل بالبرق إلى وشنطن، ونشرت فقرات وافية منه فى الصحف البريطانية وغيرها.

وقد نشرت صحيفة هاريجان بعد مقال غاندى الذى حلل فيه المشروع التاريخىّ الذى عرضته بريطانيا لتحرير الهند مقالا آخر وقعه غاندى وعنوانه « قلب بذرة المنجة » ، فأشاد فيه بما فى قلب بذرة المنجة من غذاء يصح أن يكون بدلا من الحبوب والعلف » .

هذا العدد من صحيفة هاريجان يدلّ أصدق دلالة على غاندى ، فهو رجل رحب الأفق متعدد النواحى ، لأنه يهتمّ بحياة الفرد وهى حياة رحبة متعددة النواحى. فتراه فى مقالة يعرّف ويحدّد استقلال الهند ، وفى الثانية يحثّ على خفض المقدار المقرّر من السكر لصنع الفطائر والحلوى ، وفى الثالثة يعالج موضوع الجريمة والإجرام، وفى الرابعة يبحث منافع الفول السودانى .

فالمهاتما غاندى لا يصرف كل همه إلى السياسة تعظيماً لها ، ولا يصرف

وجهه عن الفول السودانى استهانة به .

وقد قضيت أسبوعاً عند غاندى فى قرية هندية مستعرة الحرارة فى صيف سنة ١٩٤٢، ثم زرته منذ عهد قريب وقضيت معه ستة أيام.

ولعل أعجب شىء فى حياة غاندى أنه يقضى بين الناس أربعاً وعشرين ساعة كل يوم، ويلوح أن ذلك لا يغيره. وفراشه حشية مبسوطة فى فناء أرضه من الحجر فى عيادة الدكتور دنشاه مهتا للعلاج الطبيعى فى مدينة بونا ، وهذا الفناء المبلط غير مرتفع عن وجه الأرض ولا يفصله عما يحيط به سور أو حاجز ، وتجد طائفة من تلاميذه ينامون على مقربة من مضاجعهم . أما أنا فقد أعطيت حجرة داخل البيت وفراشاً وثيراً .

وكنت فى الساعة الرابعة صباحاً أسمع صوت المهاتما وتلاميذه وهم يصلون ، ثم يشرب غاندى عصير البرتقال أو المنجة، ويجيب بخط يده على الرسائل التى تلقاها . وهو اليوم فى السابعة والسبعين ولكن خطه واضح ثابت، وسمعه وبصره سليمان ، ويرجو أن يعمّر حتى يبلغ الخامسة والعشرين بعد المئة . وفى كل يوم تأتيه سيدة فتقرأ له أنباء العالم من نشرة شركة بريطانية للأنباء. وهذه السيدة هى راجكومارى أمريت كور ، سليلة أمير هندى مسيحى، وقد نزلت عن كل شىء فى الدنيا لتكون كاتمة سر غاندى فيما يطالعه باللغة الإنجليزية ، أما غاندى فلا يقرأ الصحف ولا يستمع إلى الإذاعة أبداً.

بيد أن الهند كلها تفد إليه فى ألوف من الرسائل ومئات من الزوار ، وهو يحدد موعد كل زيارة ، وساعته رخيصة مطلية بالنيكل ، تتدلى من حبل يشد به إزاره المصنوع من قطن نسج فى الهند . وهو دقيق كل الدقة في المحافظة على مواعيده وترى أظافر أصابع يديه وقدميه مطرفة أحسن تطريف ، وثوبه وهندامه غاية فى النظافة والنقاء. وهو يستمتع بكل ما يصنع ، ولا سيما الحديث والمشى والأكل والنوم .

وقد جريت على أن أمشى معه فى الساعة الخامسة والنصف كل صباح . وقد كان المطر ينهمر فى بعض الأيام، فقلت: «لا أظنك تنوى أن تمشى فى المطر ؟ » فرد : « بل سأمشى تعال معى، ولا تفعل كما يفعل الشيخ الهرم» .

وقد سافرت معه فى القطار من بونا إلى بومباى، وهى مسافة تستغرق ثلاث ساعات ونصف ساعة ، وكان معه حاشية مؤلفة من عشرة من كاتمى الأسرار، وطائفة من مريديه وطبيبه الخاص، فجلسوا فى مركبة خاصة فى الدرجة الثالثة ، زودت بمقاعد من خشب . وكان المطر ينهمر مدراراً ، وبدأ الماء يقطر من سقف العربة ، أما غاندى فكتب خلال الرحلة مقالا لصحيفة هاريجان،

ثم تحدّث مع الزعماء السياسيين الذين ركبوا القطار ليقابلوه ويحادثوه . وكانت الجماهير محتشدة برغم المطر المنهمر فى كل محطة وقف فيها القطار . وقد رأيت فى إحدى هذه المحطات جماعة من الفتيان قد بللهم المطر يصيحون : « غانديجى ! غانديجى ! » (جى تلحق بالاسم دلالة على الإجلال والتوقير) .

وهو يقضى يومه على حصير مفروش على أرض غرفته وينام نهاراً حيث هو . ويأكل الغضّ والمطبوخ من الخضر والتمر والرُّطب ، والكعك المطبوخ باللبن ، وبعض فطائر رقيقة ولا يأكل البيض ولا اللحم ولا السمك ، ولا يشرب قهوة ولا شاياً ولا خمراً .

ويقول طبيبه إن صحته ليست اليوم كما كانت منذ سنة مضت ، ومرجع ذلك على الأرجح إلى ثلاثة أشهر مضنية قضاها فى مفاوضة بعثة الوزارة البريطانية فى وقدة الحرّ القاتل فى مدينة دلهى الجديدة . وقد كان غاندى مدار البحث فى جميع الاجتماعات ، فالوزراء البريطانيون كانوا يتشاورون مع نهرو وپاتل وآزاد ، وكانت اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر تجتمع وتتداول ، ولكن القرار الأخير كان يصاغ إما فى ذهن غاندى ، وإما فى أحاديثه وهو جالس على أرض كوخه فى حىّ الكناسين .

وهذا الحىُّ القذر تسكنه جماعة المنبوذين ، وغاندى يريد أن يكفّ الهندوك عن إساءة معاملة المنبوذين ، وقد بدأ الهندوك يتخذون من المنبوذين خدماً وطهاة . وقد فرض غاندى على الهيا كل الهندية ، التى مافتئت منذ قرون موصدة فى وجه المنبوذين ، أن تفتح أبوابها لهم . وغاندى من سلالة الهندوك ، ولكنه يعدُّ نفسه والمنبوذين سواء ، حتى يحذو حذوه سائر الهنود .

ومعظم الهنود يطأطئون رؤوسهم حين يقابلون غاندى ، وتراه يربّت بيده على ظهورهم ويأمرهم أن يكفوا ، ثم يتربعون على الأرض أمامه ، فيبدأ الحديث . ولكل من فى الدار أن يدخل ويستمع ، وكثيراً ما دنوت من مدخل غرفته (وهو بغير باب) فرأيت عشرة أزواج من الأخفاف والأحذية عند العتبة ، فكنت أخلع نعلىّ وأنضم إلى الجمع على حصير من القش . بيد أن الحديث يدور فى الغالب بين غاندى والرجل الذى عين له موعد المقابلة .

ويقصده رؤساء وزارات الولايات الهندية من أعضاء حزب المؤتمر ليطلبوا نصحه وإرشاده ويقصده رجال التعليم ليمتحنوا آراءهم فى التربية بعرضها عليه ومناقشته فيها . وكلُّ صاحب مشروع جديد يسعى إلى الظفر بموافقة غاندى عليه ، وغير قليل من الذين يقصدونه أفراد يطلبون معونته فى حل مشكلاتهم الخاصة . وقد اتفق يوم كنت هناك ، أن جاء رجلٌ وزوجته من المنبوذين ، فقد شقيا فى زواجهما

فأتياه وجعلا يقصان عليه خبر متاعبهما . فقضى ساعات معهما . أما الفلاحون والعمال فيذهبون إليه لكى يعينهم على تحقيق مايطلبونه من وجوه الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى.

وقد راعنى ماتبينتهُ فيه من قدرة ونشاط ، فهو لايأوى إلى فراشه قبل العاشرة مساءً. وقد اتفق لى أحياناً أن مررتُ به وهو مستلق وقد تأهب للنوم، فكان يناديني ويقول لى إنَّ المزيد من الابتهال إلى الله كفيل بأن يجعل نومى أهنأ وأتمّ. وكان يتعذّر علىّ أن أستيقظ فى الفجر للاشتراك فى صلاة الصباح ، وقد تغيبت أحياناً عن اجتماع الصلاة فى المساء الذى كان يضمّ مئات أو ألوفاً من سكان المدينة .

ولباب دين غاندى هو الإيمان بالله ، ثم بنفسه على أنه مسيَّر بأمر الله ، وبأن الامتناع عن العنف هو سبيل الله إلى الحياة الآخرة ، وإلى السلام والسعادة فى الأرض .

وقد سألتهُ لِمَ لايدعو إلى الامتناع عن العنف فى الغرب ؟ فقال : « كيف يسعنى ذلك ، وأنا لم أظفر بإقناع الهند بعد . أنا رصاصة قد بلغت آخر مرماها »

وهو يعلم أن فى طباع الشباب من أبناء وطنه عنفاً وعجلة . ولو أبى البريطانيون أن يطرحوا أعنة السلطان من أيديهم مسالمين، لشبت نار آكلة فى الهند ، ولحصدت كلّ بقية باقية من سيطرة الأجانب .

وقف غاندى حياتهُ على استقلال وطنه ، بيد أنه لايريد أن يحقق ذلك الهدف بالعنف.- وهذا سبب خلافه اليوم مع الجناح الاشتراكى من حزب المؤتمر . ففى أيام العصيان المدنى الذى دعا إليه غاندى فى سنة ١٩٤٢ ، عمد الاشتراكيون إلى التخريب ، ونظموا جماعة للمقاومة الخفية ، وتوسلوا بالقوة لعرقلة أعمال الحكام، فجميع هذه الوسائل تحرمها شريعة الامتناع عن العنف التى أخذ بها غاندى.

وغاندى ينوى أن يتوسل بكل وسيلة دستورية للظفر بالاستقلال، أما الاشتراكيون فلاينثنون عن العنف فى مجالدة البريطانيين .

قال غاندى : « الاستقلال معناه إزالة السيطرة البريطانية والتحرُّر التام من الرأسماليين البريطانيين والهنود. ومعناه أيضاً التحرُّر من قوات الدفاع المسلحة. فالأمة التى يحكمها الجيش لن تكون أمة حرة » .

ومعظم أتباع غاندي يسايرونه فى الغرضين الأولين ، ولكنهم يتنكرون للثالث .

وقد أحسست فى زيارتى الأخيرة أنه أدنى إلى الكآبة مما كان يوم زرته فى سنة ١٩٤٢ فهو يخشى أن يؤخذ استقلال الهند قوة واقتداراً لأنه يخشى أن تصير القوة التى تأخذ الاستقلال هى القوة التى تستعمل للقضاء على حرية الهنود.

وقد كان غاندى مناهضاً لليابانيين وللنازيين، ولكنه كان أيضاً مناهضاً للحرب،

لأنه يظنّ أنّ الدول الظافرة عاجزة عن أن تقيم السلام إلا على أركان القوة المسلحة . وهو يرى الدكتاتورية خطراً يهدّد العالم ، ويعدّ نفسهُ على نقيض ستالين ، فهو يقدّس الوسيلة ، أما الشيوعيون فيذهبون إلى أن الهدف يسوغ أية وسيلة تفضى إليه .

والديمقراطية قائمة على احترام الوسيلة . وغاندى هو الديمقراطى الحق ، فهو يرضى بالانصراف عن غرضه إذا كانت الوسيلة إليه مدنسة .

وأنت ترى الدنيا كلها فى مرآة الهند يوم تجلس إلى غاندى تحدثه . وهو يرى أن التحدث مع السير ستافورد كريبس ، والحديث عن زراعة الفول السودانى يرميان إلى غرض واحد : خير ٤٠٠ مليون من الهنود . وقد أفنى غاندى نفسه فى هذا الحشد من الناس . وهذا هو السرّ فى أن غاندى أحبّ الناس جميعاً إلى الهنود ، وأعلى الناس كلمة ورأياً عندهم . فالهنود يعبدون رباً واحداً ، ولكنهم يعبدون أيضاً ارباباً كثراً وأصناما ، وقد رفعوا لغاندى أصناما تعبد فى بعض هياكل الهنود .

لقد بلغ الجوع والرثاثة والشقاء من بعض امم الشرق كلّ مبلغ ، حتى لتراها تفكر ببطنها وترى بعريها وتشعر ببؤسها . وهذه مئات الملايين تقف متهيبة أمام أهل القوة . ولكنها لاتهب قلبها إلا للذين فطموا النفس عن المآرب الخاصة ، ووقفوها على الخير العام . وغاندى هو الرمز الحىّ لهذا الفطام وهذا الوقف طول الحياة . وبين الهنود كثيرون يخالفونه : فكثيرون منهم من يأبى أن يأخذ بآرائه الطريفة فى العفة والمسالمة التامة والعلاج الطبيعى ، ولكنهم جميعاً يوقرون حكمته وغيرته الشديدة على الحق . فإذا ما ناقض نفسهُ بنفسه ، قال الغربى ، إن غاندى رجل متهافت الرأى ، أما الشرقى فيقول إن غاندى قد صدق نفسه .

والبريطانيون يدركون ما لغاندى من سلطان عظيم على الشعب الهندى ، فكان همهم الأول أن يستميلوهُ حتى يرضى عن خططهم ، أما غاندى نفسهُ فينكر أن له سلطاناً واسعاً ويقول : «ما أنا إلا عبدٌ لله» .

والرجل الذى يبلغ سبعاً وسبعين سنة من العمر ، هو شيخ معمّر فى بلد يدلّ الإحصاء الرسمىّ على ان معدّل العمر فيه لايزيد على سبع وعشرين . ويرى أعوان غاندى المقربون أن صحته القوية ونشاطهُ العظيم يرجعان إلى الانتظام فى عاداته ، والاهتمام الدائب ببدنه ، ورغبته القوية فى أن يحيى وأن يسدى الخير إلى الناس .

وقد قال لى رجل مالىّ من أهل بومباى : « إن أبواب السماء مفتحة لمقدم غاندى » — أما غاندى فيريدها أن تنتظر ، فهو يجاهد حتى يجعل هذه الأرض أدنى قليلا إلى السماء .

إذا شئت أن تضاعف ثقتك بالحياة فتأمل

حكمة الجسد

الدكتور رتشرد كابوت و رسل وكس

مختصرة من

كتاب "فن رعاية المريض"

رجل كهل نضر المحيّا مورّد الخدين من الرصيف إلى الطريق دون أن يتلفت، فصدمته سيّارة، ونقل إلى المستشفى فقضى نحبهُ في بحر ساعة فلما سئلت أرملتهُ قالت إنهُ لم يمرض في حياته قط، وإنه كان وافر النشاط في عقله وبدنه على السواء. ومع ذلك انجلى فحص الجثة عن (١) تدرُّن مندمل في الرئتين (٢) تليُّف في الكبد، فشقّ الدم لنفسه سبلا جديدة فوق الكبد وتحتها. (٣) علة مزمنة في الكليتين، ولكن ظلّ فيهما قدر من النسيج السليم يكفي لقيامهما بعملهما، برغم ما تلف منهما. (٤) تصلب في الشرايين وتضخم في القلب. وما من شك في أن الرجل كان مصاباً بارتفاع ضغط الدم منذ عهد طويل، بيد أنه لم يفطن لشيء من هذا، فقد كان رجلا معافى، وفي جوفه أربع علل كلٌّ منها كفيل بأن يورد صاحبهُ موارد الهلاك.

إذا أتلفت العاصفة دفة السفينة، فكثيراً ما تستبدل بها دفة أخرى تصنع لساعتها حتى تحلّ محلها. وقد كان جسم هذا الرجل عامراً بهذه الأبدال، فأصيبت أربعة من أعضائه التي لاغنى عنها، فاستحدث الجسم ما يعينها على تأدية عملها، بيد أن الرجل ظلّ حيًّا معافى.

قال الدكتور والتر كانن العالم الفسيولوجي: «لو أنك عرفت كثيراً من أسرار الجسم البشري العجيب، لعجبت كيف يمرض أحد من الناس». وكل طبيب يعرف أنه لو أتيحت الراحة والطعام الملائم وسكينة النفس لمرضاه، لعوفي ٩٠ في المئة منهم أو أكثر دون علاج. وكما أن السفينة تعتدل بعد أن تميل بها الريح، فكذلك الجسم يصلح بذاته ما تفسدهُ منهُ رياح الحياة في زمن الصحة، وعواصف المرض وهو مريض.

ولأعضاء الجسم قوة مدخرة تستمد منها عند الحاجة، فإذا ما مرض امرؤٌ بالسلّ أتلف المرض بضعة من الرئة المصابة، بيد أنه يجد في جسمه من نسيج الرئة أكثر كثيراً من حاجته، فيستطيع أن يعتمد على هذا الرصيد المدخر ويمضي قدُماً في حياته، كما فعل الدكتور ترودو العظيم، فقد أقام

٤٠ عاماً دائباً على العمل الناصب وليس لهُ سوى جزء من رئة واحدة ظلّ سليماً .

لقد دلت التجارب على أن من الممكن استئصال خمسى الكبد ، فإذا الثلاثة الباقية كفيلة بأداء عملها . وحين نرى جراحاً يقطع ويربط نحو ثلاثين وعاءً من أوعية الدم في جراحة يجريها نعسى أن نسأل: أين يذهب الدم الذى كان ينبغى أن يجرى فيها ؟ والجواب أن فى الجسم من الأوعية أكثر مما يحتاج إليه ، وفى أحشاء كلّ منا ما طولهُ سبعة أمتار ونصف متر من الأمعاء ، وقد نفقد متراً منها فلا يؤذينا ولا نكاد نحسُّ بفقده .

وقد يكون مرض القلب من آفة تصيب صماماً فيه فتشوّه شكله ، فيكون مثله كمثل باب حجرة مثبت لا ينفتح تماماً ولا يوصد تماماً . وما كانت الحياه لتستقيم على مثل هذه الآفة لولا أنها تحلّ بالصمام رويداً رويداً ، فيستطيع القلب أن يزيد سمك جدرانه شيئاً فشيئاً ، فتقوى عضلاته على دفع الأذى . وكذلك يكبر حجمه، وهو فى العادة كمثل قبضة اليد ، فيصير ضعفها أو أربعة أضعافها ، لأنه حتمٌ عليه أن يفعل .

وكيف يجرؤ جرّاح على استئصال كلية مريضة؟ لأنه إذا استأصلها أخذ حجم الأخرى يزداد حتى تصبح ضعف ما كانت ، فتعمل عمل الكليتين . وهى تعيد بناء جميع أجزاء الكلية ، وهو أشد تعقيداً وأكثر تبايناً من هندسة أى بناء مشيد . وهذه القدرة العبقرية هى ما يسمى : « حكمة الجسد » .

وثمة حصن آخر يدفع الأذى عن الجسم هو الراحة . فإذا التوى معصمك بادرت الطبيعة إلى تثبيته قبل أن تدعو الطبيب، فتجعله مؤلماً متصلباً يعييك أن تحرّكه ، وإذا برّح إعياء الجسم أو العاطفة بامرئٍ قالت الطبيعة : « خذ قسطاً من الراحة » . فيغشى عليه .

وإذا جرحت إصبعك شظية خشب ملوثة تقيّح الجرح ، وهذا شىء من أروع ما يحدث فى الجسم البشرى . ترى ما هذا الشىء المسمى قيحاً ؟ إنه جثث الكريّات البيض التى احتشدت لمكافحة المكروبات فاستشهدت فى النضال . وهى تنشىء بجثثها سوراً يذود المكروبات الباغية عن الدم فيمضى فى دورته . وكلُّ التهاب فى الزائدة الدودية قمين أن يهلك صاحبه ، لولا السور الذى تقيمه الطبيعة حول الزائدة ، فيحصر الالتهاب حتى يحسمه مبضع الجرّاح .

لقد أودع الله فى أجسادنا قدرة عظيمة شافية تعين على الصحة، وفطنة لا تنام لها عين، والأطباء يحاولون أن يقلدوها ويعينوها على عملها بالمبضع تارة وبالدواء أخرى . وهذه القدرة البارعة الجبّارة لا نفتأ تشدُّ من أزرنا فى كفاح العلل والأمراض .

أخلاق العظماء

تشانج پولوك

طريف ما أعرف من *مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"* الضباط الملازمين . وقد قال

من الحكايات ، حكاية مجند حديث عهد كان يكنس طريقاً فى إحدى الثكنات ، فمر به رجل فى بزة عسكرية ، فناداه المجند : « أيها الزميل ، أشعل لنا هذه اللفافة . هل تتكرم ؟ » ، ففعل وشكره .

فلما مضى وأبعد ، أقبل جندى آخر جاحظ العينين من الدهشة وقال له : « قاتلك الله ، هل تعرف من هو ؟ إنه الجنرال برشنج ! »

فبهت المجند وجرى ليلحق الجنرال وقال معتذراً : « آسف ياسيدى ، فلم يمض علىّ فى الجيش سوى بضع ساعات . والبزة العسكرية فى عينى سواء كلها . فأرجوك ياسيدى . . . . » .

فابتسم برشنج وربت على كتف الرجل وقال : « لا بأس عليك يابنى » ، ثم سكت وبرقت عيناه ثم قال : « ولكن اسمع نصيحتى يابنىّ ، ولا ترتكب هذه الغلطة مع أحد من الضباط الملازمين » .

وقد أعجبتنى هذه القصة لأنى حين أعود بالذاكرة إلى أيامى المواضى أجد أن أكثر ما لقيته من المتاعب إنما جاءنى من أشباه الضباط الملازمين . وقد قال الشاعر تنيسن إن ديوك أف ولنجتون كان « متصفاً بما لا يتصف به سوى عظماء الرجال ، فهو غاية فى الوداعة والبساطة » . وقد عرفت عدداً وافراً من العظماء وأشباه العظماء ، فكانت وداعتهم وبساطتهم جميعاً بلا استثناء على قدر نصيبهم من العظمة . أما صغار الناس فهم على النقيض ، كانت غيرتهم على منزلتهم ، وتيههم وغطرستهم على قدر نصيبهم من القلة والصغار .

فمن ذلك أنى أنا وامرأتى وجدنا منذ زمن طويل أنه إذا فسدت بعض الصلات فى محيط العمل ، فخير طريق إلى رأب صدعها هو أن نتصل رأساً بمدير الشركة . ومنذ أعوام حدث بيننا وبين أحد وكلاء شركة جنرال إلكتريك بعض سوء التفاهم ، ولم يجد معه طول اعتراضنا واستنكارنا ، فكتبنا إلى إدارة الشركة فى نيويورك . فلما لم يصلنا ردّ ، عدنا فكتبنا ثانية إلى رئيس هذا الفرع فى كليفلاند ، فلم يتم شىء . وأخيراً كتبنا مذكرة إلى أوين ينج ، وهو مدير الشركة وأحد أفذاذ الرجال فى أمريكا ، وفعلت ذلك تسلية وتجربة لا غضباً واستياء . فجاءنى

الرد فى صباح اليوم الثانى ، وكانت رسالته أرق رسالة تلقيتها فى حياتى ، ولم تلبث الرسائل أن تتابعت علىّ من مرءوسيه الذين طال صمتهم عن جوابى ، ولم نلبث أيضاً حتى زالت كل أسباب شكوانا .

وقد عرف أحدهم الكرامة أو عزة النفس فقال : « هى حالة تعترى الجسد لكى تخفى عيوب النفس » . وهذا التعريف بلا ريب ، لا يشمل العزة التى تنبع من أغوار النفس ، ولكن الناس ينتحلون عزة النفس ليخفوا وراءها شيئاً ما . فذات يوم كنت فى المسرح لتجربة إحدى رواياتى ، فجاء أحد خدم المسرح وكنت أعرفه منذ زمن طويل ونادانى باسمى « تشاننج » . فقال لى أحد أصحابنا الذين يعملون معنا : « لست أدرى كيف تبيح لهؤلاء « الخدم » و « السعاة » أن ينادوك باسمك الأول ! » فقلت له : « ولا أنا أدرى شيئاً ، سوى أنى أعرف عملى الذى أعمله » . فليس ينأى بجانبه عمن هم أصغر منه إلا الرجل الذى يخشى أن تنكشف سوءاته .

ولا يشك أحد فى أن التواضع لا يناقض الثقة بالنفس ، ولا يناقض معرفة المرء بقدرته ولا إدراكه لقيمة أعماله . وانهماك المرء فى حب عمله ليس يعنى ضرورة انهماك المرء فى حب نفسه . ولقد كنت فى ميعة شبابى أتولى الدعاية للممثلة ليليان رسل ، فسمعتها مرة تثنى على ما آتاها الله من جمال ، ولعل كلامها أزعجنى حتى بدا ذلك فى وجهى ؛ فإنها دارت إلىّ منصرفة عن مرآتها ، وابتسمت لى وقالت : « تقول فى نفسك هذا عُجْبٌ وخُيلاء ، ولكنك مخطىء . فقد مضت سنوات طوال والصحف تنشر صورى وتتحدث عن جمالى فى كل مكان ، فمن المحال أن أكون جاهلة بأن الله قد آتانى نصيباً من الجمال أكبر من نصيب سائر النساء الحسان . فالعجب والخيلاء أن أدعى أو أتظاهر بأنى لست أدرك حقيقة ما آتانى الله » .

وكانت هذه المرأة التى لم أر لها مثيلا فى رقتها ووداعتها ، على حق فيما قالت . فقد تلقت بالتسليم ما عرف الناس من جمالها ، وقدرته حق قدره ، ولم تزد على ذلك شيئاً . فالعُجْب قرين الرياء والتصنع . والملكة ملكة وإن لم تلبس فاخر الثياب ونفيس الحلى . ولما أخرج الكاتب المسرحى كلايد فتش إحدى رواياته على المسرح ، اتفقت كلمة النقاد على أن الرواية تنقصها مسحة « الإمارة والأمراء » . فقال لى فتش وهو يشكو ما لقى منهم : « كيف عرفوا ذلك ؟ لقد صحبت أنا عشرات من الأمراء ، فاسمع ما أقول لك : الأمراء كسائر الناس فى حركاتهم وشمائلهم ، وصغار الناس هم الذين يحاولون محاكاة

الأمراء فى شمائل يتوهمونهـــا لهم » .

وكنت مرة فى سفرة إلى أوربة ، فلقيت صاحب متجر أمريكى كبير ، فانصرف عنى ساعة علم أن لى صديقاً مسافراً فى الدرجة الثانية . وفى هذا الأسبوع نفسه لقيت فى باريس البارون هنرى دى روتشيلد ، وكان يعمل فى إخراج رواية لى ، وكان هنرى من أغنى أغنياء العالم ، وكان له قصر فخم يعيش فيه فى إحدى ضواحى باريس ، وكان من أصحابه أغنى أهل أوربة ، ولكنه كان رجلا من الناس على كثرة أمواله . فكان يزورنى فى فندقى الزرى ، ولما زار أمريكا نزل فى دارى المتواضعة وهو سعيد مرتاح النفس .

ولقد كانت نصيحــة كبلنج « صاحب الملوك ، ولكن لا تتخل عن أخلاق الشعب » ، وهى نصيحة غاليــة ينبغى أن يحرص عليها كل إنسان . وقد حضرت مرة حفلة جمعت كتاب المسرحيات فى لندن ، فتناقشت أنا وجارى فى رواية شهدناها جميعاً ، ولم تكن قد أعجبتنى ، وكذلك هو ، ولكنه لم يقل لى لماذا لم تعجبه . ورأيت كأنه كان مسروراً بأن يسمع منى رأيى فيها ، وما كان منه إلا أن يقول : « نعم بلا ريب ، لقد أصبت » أو « لم يخطر ذلك لى على بال » ثم ســألنى : « ألا تظن أن مؤلف المسرحية محق حين فعل كذا وكذا ؟ » وبدا عليه كأنه مشتاق إلى أن يسمع جوابى . ولم أعرف من الذى كنت أحدثه حتى انفض السامر كله ، وإذا الذى كنت أحــدثه هو آرثر ونج بينرو ، من أشهر كتاب المسرحيات الإنجليزية فى عصره .

ولقد آثرنى الله وأكرمنى بصداقة جرّاح من أعظم الجراحين هو رُس مكفرسن ، فلم يجر على لسانه قط ذكر عمل من أعماله الباهرة . ولقد أخذتنى الدهشة يوماً بعد موته حين حدثنى طبيب مشهور فقال : « كان رُس أقدر طبيب فى أمراض النساء فى أمريكا — إن لم يكن فى العالم كله » . وقد خرجت معه يوماً إلى عيادة كان قد قصدها ليجرى فيها جراحة ، وذلك أن امرأة بلعت إبرة فاستقرت فى مكان دقيق خطر . فرأيت رُس يعرض على الطلبــة صورة الأشعة ، ويبين لهم دقة المكان وعظم الخطر ، وذكر لهم ما ينبغى لتجنب الخطأ ، ثم شق اللحم بمبضعه وهو يقول : « الآن نصل إلى المكان المقصود ، وننزع الإبرة » ثم رفع يده وإذا الإبرة بين أصابعه ، فعجّ المكان بالتصفيق .

فلما خرجنا قلت له : « ألم يكن ذلك عجباً من العجب يارس ؟ »

فضحك وقال : « تسعة أعشار ما رأيت مصادفة وحظ . وأكره أن أقول لك أن

العجب أخذ مني كل مأخذ ساعة رأيت أني انتزعت تلك الإبرة الملعونة » . ولو كان الذي فعل ذلك طبيباً أقل منه ، لكان خليقاً أن يعجب به ، ولكنه يأنف أن يذكر أنه تعجب لما كان منه .

وثمة قوة أخرى لها أثر ، وذلك أن أصحاب المكانة في الناس لا يستطيعون أن يقترفوا شيئاً خسيساً أو معيباً ، فالممثلون الذائعو الصيت الذين عملت معهم كانوا جميعاً بلا استثناء غاية في الوداعة وكرم الصُّحبة . وكانت هناك ممثلة لا يكاد يعرفها أحد ، فعلقت ورقة تنهى كل من يعمل معها من زملائها أن يكلمها حتى تكون هي التي تكلمه أولا . وكانت هناك راقصة من راقصات الملاهي خرجت غاضبة من المسرح وتركته لأن حجرة ملابسها كانت زوية حقيرة . ولكن انظر إلى الممثلة العبقرية « سارة برنار » فقد دخلت أعتذر إليها عن ضيق الغرفة التي كانت لها في إحدى دور الأوبرا الصغيرة ، فضحكت وقالت لي : « وَيْحك ، أتظن أني لم أمثل قط في مكان أحقر من هذا المكان ؟ » . فالترفع عن الناس وعما يجري في الحياة ليس من العظمة ولا من شرف النفس.

والصغار التيّاهون على الناس لا يخدعون أحداً سوى أنفسهم ، فالوداعة ورقة الحاشية هما قوام العظمة . فمنذ قديم الزمن إلى يوم الناس هذا ترى جميع العظماء الذين تركوا أكبر الأثر في حياة الناس ، كانوا خِلواً من الادّعاء والزهو ، وكانوا أهل بساطة ووداعة وصراحة .

يندر أن تجد بين الرجال من أفضى إلى زوجته بنبأ عمل جديد عهد به إليه ، كما أفضى به فلاح أمريكي قال :

« صدقيني يا عزيزتي إذا أقسمت لك بأغلظ الأيمان ، أنني لم أسع إلى هذا التعيين ، بل إنني بذلت كلّ وسعي حتى أتجنبه ، وما كان سبب ذلك أنني لا أحب أن أبتعد عنك وحسب ، بل لأنني أشعر أنه أمانة عظيمة لا أطيق أن أحملها ، وأنني أجد معك من السعادة في شهر واحد أكثر مما أجدهُ مبتعداً عنك ، ولو كانت إقامتي سبعة أضعاف سبع سنوات » .

فهذا ما قاله جورج وشنطن لزوجته يوم أراد أن يطلعها على أنهُ عيّن قائداً عاماً للجيش الأمريكي الذي حارب الإنجليز وظفر بالاستقلال .

الشخصيات التي لا تنسى

شيخوخة بهيجة

روبرت هيلير



لم أزل منذ أيام خائر النفس مكتئباً ، وهذا شيء يعتاد المرء بعد أن ينجز عملا يعمله ، مهما بلغ من البساطة . فالرجل منّا يُضني نَفْسه لكي ينجز عملا يريده، فإذا فعل ظل يعجب لنفسه : أكان هذا العمل يستحق كل هذا الجهد ؟ ومرجع ذلك فيما أظن إلى أثر الإجهاد الذى لقيه .

كنتُ قد فرغتُ من تأليف كتابٍ لى ، ومضى يومئذ على صدوره بضعة أسابيع ، وكان كل شيء يجرى على خير وجْه — إلا فيما يخصُّنى أنا ، فقد فترتْ عنه نفسى وقلّ احتفالى به .

ومن عادتى فى أيام فتورى أنى أخرج أتمشى فأطيل المشى محاولاً أن أطرح كل شيء يثقل نفسى ، بيد أنى أخرج دائماً حاملا معى أعبائى وكآبتى حيثما سرتُ . وذات يوم مشرق رأيتنى قد بلغت ربوةً تطلّ على مرفأٍ من أعظم المرافىء ، فكان فى وسعى أن أمدّ عينى فأرى حوض السفن ، وأرى صوارى السفن التى أوشكت أن تقلع كأنها ظِلال مرسومةٌ على صفحة الأفق . إلا أن الذى بى من الهم جعلنى أضيق نفساً بكل هذا ، فأشحت عنه بوجهى وانطلقت إلى مكتبة لأشترى بعض الصحف . فلما قضيت حاجتى وخرجت ، رأيت رجلا شيخاً ضئيل البدن جالساً على كرسى خارج المكتبة.

كان متلفّعاً متدثراً اتقاء لهبّات الرياح الباردة ، إلا أنه كان عارى اليدين محمرّ مفاصل الأصابع . فرفع بصره إلىّ وحيّانى ، فرأيت فى عينيه الزرقاوين رغبة تردّها الهيبة والحياء . فأدركت من أسلوب حديثه كأنه يسألنى : أعندك متسع من الوقت تقضيه معى فى الثرثرة ؟ مُتّسع من الوقت ! عندى أوقات لا وقتاً واحداً .

فتجاذبنا أطراف الحديث ، ثم سألته : ألا يجد لذع البرد فى يديه بغير قفاز ؟

قال : « بلا ريب ولكن انظر » ثم أخرج كراسة وقاماً من تحت الشَّمْلة التى يغطى بها ركبتيه وقال : « إننى أقيد نُبَذاً من الكتابة بين الحين والحين ، فمن المتعب أن أظل اخلع قفازى وألبسه » .

فحملنى الفضول على النظر إلى الصفحة المكتوبة ، وكان الخط واضحاً جميلاً ، أما اللغة فكانت غريبة عنى .

فقال لى : « إنى أكتب باللغة البولندية، لقد ولدت فى بولندة ، ولكنى رحلت عن وطنى فى صدر شبابى ، ثم تزوجت ، ثم بقيت سنوات طوالا أتنقل من مكان إلى مكان ما استطعت » .

فخيِّل إلىّ فجأة أنى وقعت على كاتب عظيم مجهول ، فسألته : « وإذن فهذا الذى تكتبه هو قصة حياتك ؟ »

فرفع وجهه إلىّ وابتسم : « كلا ، هذا — » ونقر على الكتاب بقلمه « هذا قصة اليوم الذى أنا فيه . فلست أحفل بالماضى كما أحفل بالمكان الذى أنزله، وبالساعة التى أنا فيها » ثم رمى ببصره إلى ماوراء الرّبوة القائمة وقال : « اعلم أنى أوثر بحبى هذه اللحظة ، وهذا الضياء الغامر ، وهذا الحديث الذى بيننا ، وأقيدها كلها فى كتابى هذا . ثم لا أعود إلى قراءة ما أكتب مرة أخرى » .

فقلت متعجباً : « لا تعود إلى قراءته مرة أخرى ! » وملأنى الغرور بما أعرف من صناعة التأليف حتى ارتبتُ فى صحة ما يقول فقلت له : « وماذا تفعل به إذن ؟ أيقرؤه أهل أسرتك أو أصدقاؤك ؟ »

فهزّ رأسه وقال : « كلا ، إلا أن زوجتى تسترق النظر إليها حين تظن أنى غافل عنها » ثم ضحك وقال : « فأردت أن أداعبها مرّةً فكتبت فيما كتبت : (لقد أصبحت زوجتى بدينة مفرطة البدانة) ، وقد لهونا بهذا زمناً طويلا ، فقد تظاهرت هى بأنها لم تقرأ ما كتبت ، بيد أنها كانت مستاءة منى . فكان ذلك مسلاة ممتعة . وأخيراً أنبأتها بجلية الخبر ، وكثر مزاحنا فيه وتندُّرنا به » .

كان كلما أكثر من تعريفى بمذكراته ، ازددت معرفة بأنى فى حضرة رجل قدجعل حياته ضرباً من الفن . كان عاجزاً عن الحركة والتنقل من جراء تصلب المفاصل الذى أصاب ساقيه ، ولكنه كان يستطيع أن يرى وأن يسمع وأن يحس . وكان يكتب هذه المذكرات لكى ينمى قدرته على دقة الملاحظة . فهو يرقب الورد مثلاليعرف أين هو اليوم مما كان عليه بالأمس؟ وما الذى

اشترته السيدة كراوس مثلا فى هذا الصباح احتفالا بعودة ولدها ؟ فزوده تقييد هذه الملاحظات بحاسة دقيقة تدرك كنه الحوادث الطفيفة ، وأرهف قوى نفســه ، وأفهم اللحظة العابرة بالحياة . وقد عقب على ذلك بهــدوء فقال : « وهــذا التقييد أيضاً شهادة لى عند الله بأنى لم أغفل عن تدبر آياته فى خلقه » .

ولم يلبث أن جعل يسألنى عن نفسى ، فذكرت له اسمى فقيده فى كتابه ، ثم ذكرت له أنى من رجال القريض والقوافى . فقال لى وهو كالمدهوش : « أشاعر أنت ! » ثم جعل يصوّب نظره فىّ ويصعّـده من فرع رأسى إلى أخمص قدمى ، ثم قال : « الآن عرفت أنى أجلس بين يدى إنسان سعيد . فأنت الإنسان القادر على أن يميط اللثام عن سر كل جمال ، أما أمثالنا فلا يستمتعون إلا بما ظهر منه . فغاية جهدى أنا أن أعدّد أسماء الأشياء التى تبعث السرور فى النفس ، أما أنت فإنك تحوزها وتملكها » .

كيف يسعنى أن أعترف له بأنه هو — لا أنا — الذى يحى حياة شاعر ؟ لقد أحسست الآن فى حضرته بالضعة والهوان ، ولـكنه قد بوّأنى منزلة عارٌ علىّ أن أنزل نفسى منزلة أخسّ منها .

فبذلت أقصى ما وسعنى حتى أرهف كل ما تنطوى عليه نفسى من دقة الإحساس وحرارة التشــوق ، فجعلت أتحدث عن فلسفته فى الحياة كما فهمتها ، فأحسست كأنها تنفــذ إلى أعماق قلبى فتذيب ذلك الجمد المتراكم فيه منــذ سنوات خلت . وأنبأته بالحقائق التى كان على علم بها ، والتى أغفلتها أنا حتى نسيتها . فذكرت له كيف كان واجباً علينا أن نسترد قدرتنا على الفرح بالأشياء الصغيرة التى تعرضها لنا الحياة ، وأن نتجنب قلة المبالاة بما طال عهدنا به ، حتى تلك الأشياء المــألوفة المتكررة كمشرق الشمس وسجع الطير على الأغصان . وتكلمنا عن رغبة البشر الصادقة فى استتباب السلام ، وتحدثنا عن الأمل الذى خامر القلوب فى كل مكان ، وذلك أن البشر قد بدأوا يعودون إلى تقدير تلك المباهج الباقية التى تمتعنا بها الحياة الدنيا — تلك الأشــياء الصغيرة التى أنعم الله بها علينا ، والتى يمكن أن تحدث فى النفس المطمئنة رجّـة كرجة الماء الساجى فى بحيرة إذا رميت فيها بحجر .

وبقينا زمناً ونحن صامتان لاننطق ، وكان هو لا يزال يقلب هذا المجاز فى فكره ثم قال أخيراً :

« نعم ، ينبغى أن تكون البحيرة هادئة كل الهدوء ، كما يكون البحر المحيط بعد سكون العاصفة . والنفس الإنسانية شبيهة

بهذا . وليس يملك إنزال السكينة عليها إلا الله وحده سبحانه وتعالى » ، ثم سكت وبدأ يقول غير متلعثم : « ومن العجيب أنني في هذا الصباح كتبت في مذكراتي ... » ثم أخذ يقلب بإصبعه بضع صفحات وبدأ يقرأ بصوت خفيض : « إنه أجمل صباح خلقه الله . لقد أصغيت إصغاء الحريص ، فسمعت نور الشمس ونُوّار الزهر يحدثني بحديث كالوَحْي ، وخيل إلى أني أسمع مثل ذلك في ابتسامة السيدة كراوس وهي تنبئني بأن ابنها في طريقه عائداً إلى وطنه » .

ولقد رأيته يميل ليتكئ على كرسيه ويطوى كتابه المفتوح ، فأحببت أن يكون ذلك المنظر آخر عهدي به ، وذكرى باقية في نفسي . فلما هممت بتوديعه ، أقبل رجل كهل صبيح الوجه في بزة رجال الشرطة ، ومال على الشيخ وقبل جبينه ثم قال :

« رعاك الله يا أبتاه . أراك ظفرت بصديق جديد ! إن أبي خير من يعرف كيف يصطفي الأصدقاء » .

وأخذ الشيخ يعرف كلاً منا بصاحبه : « هذا ولدى فرانك . وهذا السيد شاعر يافرانك » .

فمد إلى فرانك يده وهو يقول : « يسرني أن أراك ياسيدى » ثم نظر إلى أبيه وقال : « لقد حان موعد رحيلك يا أبتاه » . ثم التفت إلى ثانية وقال : « لعلك تعلم أني إذا أردت أن أظفر بشيء من مباهج الحياة فلن أجد ذلك في مركز الشرطة ، ولكني إذا جالست أبي فالدقائق كلها مباهج » . ثم انحنى وحمل الشيخ بين يديه وقال : « هيا بنا . مساء الخير ياسيدى . أرجو أن تتفضل بزيارة أبي مرة أخرى ، فهو يحب الرُّفْقة » .

فلما كنت في طريقي إلى البيت خيل إلى أن الجو يزخر بألوان من جلال مبهم يعجز الشعر عن بيانه ، وجعلت أعبّ من الهواء أنفاساً عميقة ، ولم أغفل وأنا في نشوة الحبور عن النظر إلى القمر البازغ عن يميني ، وبدأت أحس كأن الربيع ينبوع ينفجر بين جنبي . وعندئذ انقشع ذلك الضباب الكثيف الذي كان مطبقاً على نفسي في الأسابيع الماضية ، وصفا عقلي صفاء هذه السماء الساكنة عند الغروب . فقلت لنفسي : « لقد لقيت اليوم إنساناً كريماً — إنساناً عظيماً ينبغي لكل امرئ أن يعرفه » .

وأسرعت إلى البيت وأنا في هذه النشوة ، وأخرجت مذكراتي وقلمي ، وجلست أكتب لك هذه الكلمات التي قرأتها .

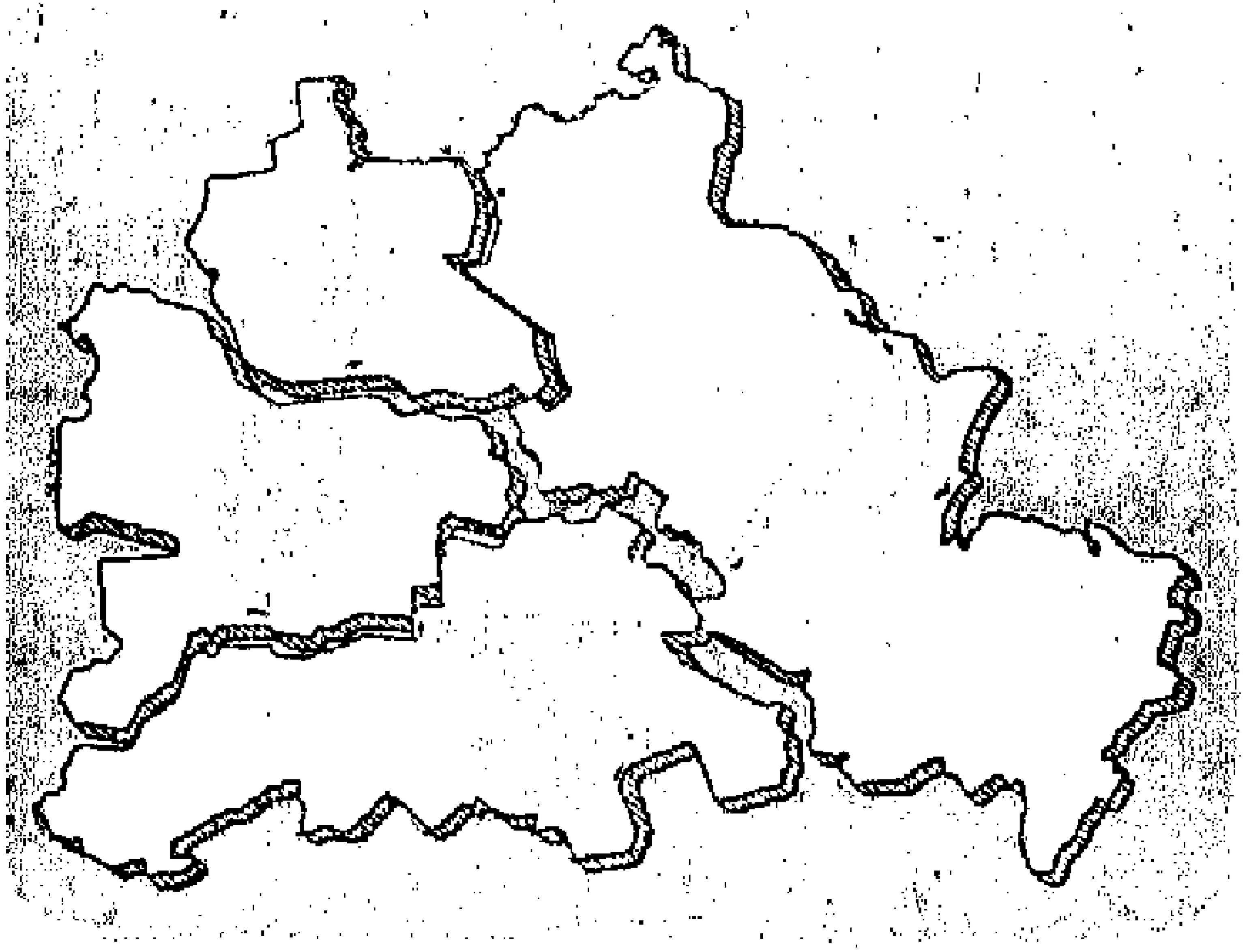
التعب فرصة سانحة منكّرة في ثياب العمل .

إن ما يقع فى العاصمة الألمانية فى الأشهر المقبلة ، خليق أن يكون بالغ الشأن فى مصير العالم .

فى جزيرة برلين

لويس فيشر

مختصرة من مجلة "الحديث الصريح"



مدينة برلين هى اليوم أشدُّ مدن العالم فتنة ، وقد تكون أهمَّها شأناً . فهذه عاصمة تضم ثلاثة ملايين من السكان ، وقد قسِّمت أربعة أقسام ، يحتلُّ كلَّ قسم منها جيش أمةٍ غير الأمم الثلاث الأخرى . هنا جزيرة يحيط الروس بها من كلّ جهة ، وفى هذه الجزيرة مقر الحكومة الوحيدة القائمة فى ألمانيا — لجنة مؤلفة من أربعة مديرين، يمثلون حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا . فى برلين نستطيع أن نتبيَّن : أفى وسع الغرب أن يتعاون مع الاتحاد السوفيتى فى سلام ووئام ؟

وأنت ترى الغرب يواجه الشرق فى مئة وخمس وعشرين لجنة أو أكثر ، تتولى تصريف شئون الحياة كلَّ يوم لشعب عدته ٦٥ مليوناً ، فتنظم شئون طعامه وماله ونقله وعماله وتجارته وتربيته ، وتعانى متاعب لا تحصى . ولنضرب لك مثلاً :

تدعى قيادة برلين إلى عقد اجتماع ، وأحد الموضوعات المطروحة للبحث هو موضوع لعبة « البيسبول » الأمريكية . ففى يوم الجمعة من كل أسبوع يتولى فريق من الجنود والضباط الأمريكيين تعليم الفتيان الألمان هذه اللعبة بعد الظهر . فإذا ما اجتمعت

منذ ربع قرن ولويس فيشر حريص على معرفة أحوال ألمانيا وروسيا. ففى سنة ١٩٢١ بدأ حياته الصحفية فى العاصمة الألمانية مكاتباً لجريدة إيفننج بوست التى تصدر فى نيويورك . وفى سنة ١٩٢٢ قام برحلته الأولى إلى روسيا ، ومنذ ذلك الحين حرص على دراسة أحوال الاتحاد السوفيتى والسياسة الأوربية، فنشر كتباً ومقالات كثيرة فيها تحليل دقيق طريف للحياة فى روسيا وألمانيا وقد راجت ترجمة حياته التى كتبها بنفسه وهى «الرجال والسياسة» رواجاً عظيما فى سنة ١٩٤١، ونشر كتابه «التحدى العظيم» فى الخريف الماضى.

القيادة ترى الجنرال كوتيكوف يحتج ، ويصف اللعبة بأنها « نشاط شبيه بالعسكرى » ويزعم أنه يفضى إلى « تنظيم الكتائب » .
فيبتسم الضابطان الأمريكى والبريطانى ، ثم يدعو الأمريكى زميله الروسى إلى لعبة « البيسبول » التالية .

وقد لبىّ الجنرال كوتيكوف الدعوة وشهد اللعبة ، ولكننى لا أدرى أقال إن اللعبة موجّهة ضدّ روسيا أم لم يقل . وتدل هذه الحادثة على سعة الهوّة بين تفكير الروس وتفكير الغرب .

وإليك حادثة أخرى أخطر شأناً : فقد دخل الروس مراراً منطقة الأمريكيين للقبض على ألمان ، وذات مرة كان الألمان الذين يريدونهم من القضاة . فلما اجتمع مجلس القيادة أعلن الجنرال كلاى الأمريكى وكيل الحاكم العسكرى ، أنه لن يسمح بتكرار هذا العمل ، وأنه ينوى أن يمنع فى المستقبل كل اعتقال بالقوة ، فيضع الدبابات وينصب المدافع فى الشوارع إذا اقتضى الأمر . فكفّ الروس ، ولكنهم حظروا دخول الصحف التى تصدر فى المناطق الأخرى الثلاث إلى منطقتهم . فلم يجد الاحتجاج ، فقرر الأمريكيون أن يحظروا دخول صحف المنطقة الروسية إلى منطقتهم ، ثم حذا البريطانيون حذوهم .

وقد سألت الموظفين الأمريكيين أن يذكروا ما عندهم من أمثلة على تساهل الروس فى نزاع ، فذكروا عدة أمثلة على ذلك فى شئون خاصة ببرلين ، ولكنهم عجزوا عن أن يذكروا مثلا واحداً يدل على تساهل الروس فى خلاف يتعلق بألمانيا كلها . وهذا مفهوم : ذلك بأن برلين ينبغى أن تدار شئونها كأنها وحدة متماسكة ، فإن لم يفعلوا قضى عليها . فأنابيب الماء ، وخطوط الكهرباء ، وسكك النفق ، لا يمكن أن تقطع عند حدود المناطق الأربع ، ففى وسعك أن تطوّف فى جميع مناطق برلين بغير قيد سواء أراكباً كنت أم ماشياً . وعلى نقيض ذلك ترى المنطقة الروسية خارج حدود برلين قد سدّت منافذها سدًّا محكما ، وإذا أراد البريطانيون أن ينقلوا المؤونة أو الناس من منطقة احتلالهم إلى برلين ، لم يجدوا بدًّا من أن يسلكوا طريقاً ضيقاً طوله ١٩٠ ميلاً لقطع منطقة الاحتلال الروسية . أما الأمريكيون والفرنسيون فعليهم أن يسلكوا طريقاً أطول من طريق البريطانيين . وفى وسع الروس أن يوصدوا هذه الطرق متى شاءوا .

وأوثق الأقوال عمّا يصنعهُ الروس فى ألمانيا ، وما يشعر به الألمان حيال ذلك ، يؤخذ من ألمان ينتقلون من منطقة

الاحتلال الروسية إلى برلين لقضاء أعمالٍ لهم ، أو من ألمان آخرين يهجرون المنطقة الروسية ليقيموا فى غيرها . وقد محصتُ كثيراً مما رووهُ .

وقد روى الدكتور كورت شوماخر خبر السناتور إيلرز من مدينة بريمن . وشوماخر زعيم من زعماء الديمقراطيين الاشتراكيين، وعسى أن يكون أقدر الساسة فى ألمانيا اليوم . وأما إيلرز فهو شيوعىٌّ صميم منذ سنة ١٩١٨ ، وقد انضمَّ منذ عهد قريب إلى الحزب الديمقراطى الاشتراكى ، وهو مناهضٌ للشيوعية . قال شوماخر : إن سيرة جنود الجيش الروسى حين استولوا على برلين زعزعت إيمان إيلرز بالشيوعية ، فقد جعل هؤلاء الجنود ينتهكون الأعراض وينهبون خبط عشواء . ومع ذلك لبث شيوعيًّا إلى أن أقيم معرض ليبزيج فى المنطقة الروسية منذ شهور مضت ، وقد عرض الروس فيه ضروباً لا تحصى من منتجات منطقتهم — وكانت كلها للإصدار إلى الاتحاد السوفيتى . فخلص إيلرز أخيراً إلى الرأى بأن البولشفيين يستغلون العمال الألمان لمنفعة روسيا .

وقد حدثنى فى برلين مهندسٌ ألمانى نابه الذكر يشغل منصباً كبيراً فى إدارة المنطقة الروسية ، فذكر لى ثلاث عشرة شركة كبيرة أنشأها الروس تستولى على ممتلكات الصناعات الألمانية ، وللروس فى كلّ شركة منها ٥١ فى المئة من الأسهم . وقال إن الروس يفككون آلات المصانع ويشحنونها إلى روسيا ، أو يشحنون منتجاتها . وهو يقدّر ما يرسل إلى روسيا بنحو ٧٠ فى المئة من منتجات الصناعة فى المنطقة الروسية .

وقد روى لى طلبة المدارس الثانوية أن صنائع السوفيت يدخلون عليهم فصولهم ليسجلوا بالاختزال مايقوله المعلمون والطلبة، ثم لا يلبث بعض هؤلاء المعلمين أن يختفوا .

وقد ارتبك الشيوعيون الألمان ارتباكاً شديداً من أجل الأساليب التى تتبعها الشرطة السرية الروسية ، وأعمال النهب والاستغلال الاقتصادى فى المنطقة الروسية

ففى شهر أغسطس سنة ١٩٤٦ روت صحيفة « التلغراف » التى تصدر فى برلين بترخيص من البريطانيين ، أن الشرطة الروسية خطفت عدداً من الفتيان تتفاوت أعمارهم بين ١٤ سنة و١٧ سنة ، فتوافد آباء الفتيان المعتقلين على محرّرى الصحف والمراسلين الأجانب وكبار أهل الدين فى مناطق برلين غير الروسية ، فكدسوا الأدلة على خطف فتيان قد يبلغ عددهم عدة آلاف.

وقد كان الشيوعيون الألمان يرجون حتى

أواسط سنة ١٩٤٦ أن يصيروا أقوى الأحزاب في ألمانيا كلها، فلما جرى الانتخاب في أكتوبر، صوّتت أغلبية ساحقة من سكان برلين ضد الشيوعيين، وانحازت إلى الديمقراطيين الاشتراكيين، وهم حزب اشتراكي.

وقد أغفل الروس وصنائعهم حقيقة واحدة، ذلك بأن البلاد الغربية لا تدرك حقيقة الروس إلا بالتنقيب عنها في بطون الكتب والمقالات والمحاضرات والتقارير المتضاربة المتناقضة، أما في شرق ألمانيا فالناس يرون حقيقة الروس سافرة، تذرع الشوارع في أحذية الجند، وتشترى ساعات المعاصم، وتحتك مناكبها بمنكبيك في قطرات النفق. وليس هذا مسلاة في نظر الألمان، فقد عاشوا اثنتي عشرة سنة في ظلّ الإرهاب النازى، فلا يسرّهم أن يستبدلوا الأحمر بالأسمر، فإن لم تصطلح آلام الجوع والأوبئة والبطالة على دفع الألمان إلى اليأس والتطرف، فالشيوعية في المناطق الغربية الثلاث سوف تظل قوة هينة لا يعبأ بها، أما في المنطقة الشرقية فلن تعيش إلا لأن الروس يظاهرونها ويؤيدونها.

وهذا تبدّل سياسى حاسم في مصير أوربة، فألمانيا التي حاق بها التخريب والتدمير لا تزال عاملاً يحسب له حساب في أوربة، ومناهضتها للشيوعية سوف تؤثر في مستقبل القارّة.

فمن أجل ذلك خاصة ترى الروس يوالون السعى للظفر بتأييد الألمان، ففى شهر أغسطس ١٩٤٦ قرر مجلس رقابة الحلفاء بالإجماع أن يتساوى الرجال والنساء والفتيان في الأجور إذا تساووا فيما يؤدونه من عمل. وعين المجلس يوم البدء في تنفيذ هذا الإصلاح، بيد أن المارشال سوكولوفسكى القائد الروسى الأعلى في ألمانيا، سبق زملاءه — الأمريكى والبريطانى والفرنسى — إلى نشر هذا القرار بالمساواة. وراح الدعاة الروس يؤكدون مبلغ حب المارشال والحكومة السوفيتية للعمال، فليس مما يحسن في نظر الشيوعيين أن يظهروا أن الحكومات الرأسمالية تعنى بتحسين حال العمال الألمان. وثمة حوادث كثيرة من هذا القبيل، هى على التنافس بين الدول الأربع الكبيرة أدلّ منها على الوفاق.

وليس في برلين أحد يتصوّر أن العلاقات بين روسيا والغرب في ألمانيا، يمكن أن تبقى على حالها المضطربة الراهنة. فألمانيا تسير في طريق الانهيار المادىّ والأدبى، وسبب ذلك انقسام الدول الأربع، والحدود الفاصلة بين المناطق الأربع، والقيود المصطنعة التي تكبل الإنتاج الألمانى اللازم

لألمانيا ولسائر الأمم . وأسوأ من هذا كله أن الدول الأربع تظل عاجزة عن العمل إذا لم تتفق جميعاً — وهى فى الغالب لاتتفق . وقد كان الاتفاق يتمّ من قبل بموافقة الدول الغربية على مطالب الروس ، ولكن الدول الغربية قد سئمت الآن هذه الخطة .

والولايات المتحدة مشروع من شأنه أن يفضى إلى حسم الأمر. وفحوى هذا المشروع ، كما أطلعنى عليه أصحابه ، أن تلغىَ حدود المناطق فى ألمانيا إلغاءً تاماً ، وتحتفظ كل دولة من الدول الأربع الممثلة بمراكز لجنودها فى منطقتها الحاضرة ، دون أن يكون ذلك عائقاً يعوق حركة انتقال الناس والبضائع والصحف والآراء من ناحية إلى ناحية ، وتقوم فى برلين إدارة مركزية سياسية واقتصادية تتولى أمر ألمانيا تحت هيمنة الدول الأربع الممثلة .

فإذا أبى الروس أن يوافقوا على هذا المشروع ، أفضى ذلك إلى قسمة ألمانيا بين الغرب والشرق ، وينتهى الأمر إلى ضم القسم الشرقى إلى الاتحاد السوفيتى — وإلى ازدياد الجفاء بين السلافيين والغرب ، على الأرجح ، فى جميع أرجاء الأرض .

ويعترض الروس على المشروع الأمريكى بأنه يكسب الحزب الاشتراكى أو الحزب الديمقراطى الاشتراكى المحظور إنشاؤه فى المنطقة الروسية ، صفة شرعية فى ألمانيا كلها ، فيفضى ذلك إلى قيام إدارة وطنية ألمانية تتجه نحو الغرب بدلا من أن تتجه نحو موسكو . ويومئذ يمتد النفوذ الغربى إلى حدود بولندة ، وهذا خليق أن يشجع حركة المقاومة البولندية للسيطرة الروسية فتزداد قوة على قوتها . ثم إن توحيد ألمانيا ينزع من أيدى روسيا استئثارها باستغلال منطقتها استغلالا اقتصادياً ، فعندئذٍ لاتستطيع أن تستوفى التعويض مما تنتجه هذه المنطقة .

ولكنك تجد ردًّا قوياً على هذه الاعتراضات هو : إن مشاركة روسيا فى شئون ألمانيا المتحدة يتيح لها نصيب الربع من إدارة ألمانيا كلها ، وهذه تشمل الرور الذى يزيد إنتاجه الصناعى على إنتاج روسيا . فإذا أضفت إلى هذه المنفعة أن روسيا ستنال التعويض من ألمانيا المتحدة ، فذلك كفيل فى رأى أصحاب المشروع بأن يعوض روسيا ما تخسره من استئثارها بمنطقتها الشرقية ، أو ربما زاد عليه .

أما إذا أجاب الحلفاء طلب فرنسا وفصلوا الرور عن ألمانيا ، فيومئذ تتضاءل مصلحة روسيا فى توحيد ألمانيا ، وهذا خليق أن يفضى إلى إدماج المنطقة الروسية فى الاتحاد السوفيتى .

إن اتفاق الإنجليز والأمريكيين

والفرنسيين من شأنه أن يواجه موسكو بضرورة الفصل فى الأمر . وسير الحوادث العالمية قد أحدث أزمة فى شئون روسيا الخارجية ، فقد سارت الأمور السياسية والدبلوماسية على هوى ستالين مدة سنة منذ اليوم الذى سلمت فيه ألمانيا ، أما اليوم فالحال غير الحال . والأحوال الجديدة تقتضى من حكام روسيا أن يتخذوا أخطر ما اتخذوهُ فى حياتهم من قرار . أفتراهم يسلمون بتوحيد ألمانيا ؟ أم تراهم يخوضون مع الغرب معركة سياسية حامية ، فيتشبثون بما فى أيديهم من ألمانيا وغيرها ، ويعلقون أملهم على أن تتمكن روسيا ، عاجلا أو آجلا ، من أن تستأنف سيرها إلى أمام ، نتيجة لحلول الكساد فى أمريكا كما يؤملون ، أو لفتور فى العلاقات الإنجليزية الأمريكية التى ما فتىء الروس يتوقعونه منذ سنة ١٩١٩ ، أو لاشتداد ساعد الشيوعيين فى اليونان وفرنسا وغيرها ؟

هذا هو المأزق الذى تعانيه موسكو . فتقلُّب سياسة روسيا الخارجية ، وترجُّحها بين الشدة واللين ، وتناوب البشر والعبوس على وجه مولوتوف ، أدلة بيّنة على أنه يشق على الروس أن يحزموا أمرهم ، ويفصلوا فى النهج الذى ينهجونهُ : إمّا مع الغرب وإمّا ضده ؟

وقد وافقت حكومة السوفيت على توحيد ألمانيا الاقتصادى يوم وقعت اتفاق بوتسدام فى شهر أغسطس ١٩٤٥ ، ثم أحبطت هذا التوحيد . فالمسألة الآن هى هذه : أيعد الروس مرة أخرى بتوحيد ألمانيا ؟ أيفون بوعدهم هذه المرة ؟ وماذا تراهم يريدون الدول الغربية أن تدفعه لهم ثمناً لوعد قد يفون به وقد لا يفون ؟

فإذا قرر ستالين أن يماشى الغرب ، كانت برلين أول من يشعر بأثر ذلك ، ووحِّدت ألمانيا وفقاً للمشروع الأمريكى . أما إذا جاء قرار ستالين مناهضاً للتعاون العالمى ، فستحسّ برلين بذلك أيضاً ، وتتمزّق يومئذ أوصال ألمانيا . ففى برلين ينبغى للبلاشفة أن يبينوا بأعمالهم : أيريدون التعاون أم التقاطع ؟

لا يزال الناس يتناقلون هذه النادرة المشهورة عن شارلى شابلن . فقد أرادت بلدة فى كاليفورنيا أن تروّج لحفلة تقيمها ، فأعلنت أنها تمنح جائزة كبيرة لمن يفوق غيره فى مباراة غرضها تقليد شارلى شابلن . فسمع شارلى بما كان ، فتنكر وحضر الحفلة ودخل المباراة ، فظفر بالجائزة الثانية .

« أمل جديد لبعض الأزواج الذين يشتهون الذرية ولا يوفقون »

علاجٌ للعقم

ف . د . راتكليف

مختصرة من مجلة "هايجيا"

ألوف من الأزواج على أن يكون **يتلهف** لهم ولد ، ولكنهم لايلدون ، وهم فى العرف الطبى عقْم . ولقد كان الرأى السائد إلى بضع سنوات خلت أن علاجهم عسير ، فترمى بهم الأوهام فى قبضة الدجالين والجهلاء . وقد جمعت شركات المستحضرات الطبية ملايين الجنيهات من بيع العقاقير المحضرة التى لاتغنى فى العقم شيئاً . وتجد الأزواج العقم الذين أتيحت لهم الرعاية الطبية الوافية قد ظلوا إلى سنة ١٩٢٠ لايوفق منهم إلى النسل أكثر من أسرة واحدة من كل عشر أسر . أما اليوم فكثير من البيوت التى حرمت نعمة الأولاد قد أشرق لها أمل مبشر بالخير ، فإن رجال البحث وأطباء الطليعة فى أمريكا استطاعوا أن يدكوا ما يحيط بحقائق التناسل البشرى من أسوار العقائد المتوارثة والجهل والحياء الزائف ، فكشفوا عن كثير من أسباب العقم ووسائل علاجه ، وقد لاقت عيادات العقم المنشأة فى أماكن كثيرة ، توفيقاً فى أكثر من نصف حالات العقم التى عولجت فيها .

فى كل شهر تخرج من مبيض المرأة البالغة السليمة بويضة واحدة فتجرى فى قناة فالوب (قناة تصل المبيض بالرحم) ، ويتم الحمل إذا ما اخترقت هذه البويضةَ ولقحتها نطفةٌ من الذكر تعبر الرحم سابحة إلى القناة ، ومن ثم تهبط البويضة الملقّحة إلى الرحم حيث ينمو الجنين .

وكل مايعوق تمام هذه الدورة أو يحول دونه يجوز أن يكون سبباً من أسباب العقم . وقد عرف من هذه الأسباب أكثر من ثلاثين ، وكان يكفى الطبيب قديماً أن يعثر على شذوذ ما ، فيعزو العقم إليه . وكان العلاج ، إن وجد علاج ، جراحياً فى العادة ، فإذا لم يتبعه الحمل قضى الأمر ، وإذا به ينجلى عن زوجين عاقرين ، أو عن بيت تهدّمت أركانه .

أما اليوم فإن طبيب الأسرة أصبح لا يحجم عن ذكر العقم بصراحة ، فيقول إنه علة بشرية

لا ينبغي أن يستحي المرء منها أكثر مما يستحي من زائدة دودية ملتهبة أو رجل مكسورة، ثم يحيل مرضاه إلى عيادات يجتمع فيها الأطباء والكيميائيون والمتخصصون في الغدد الصم والمساعدون الفنيون، فيحشدون براعتهم لحل الإشكال.

إن القصص التي يرويها الأزواج الذين يترددون كل أسبوع على عيادة العقم في مستشفى الولادة بنيويورك، تتشابه تشابهاً عجيباً: زواج تمر عليه السنون ولا ولد، وقد ينتهي الأمر أولا باضطراب حياة الزوجين، وتبدأ الزوجة تعاني من قلق نفسي منشؤه أن تظن أن العيب فيها هي.

فيبين لها الطبيب الذي يفحصها أن العقم يكون في المرأة والرجل، وأن الزوج يجب أن يفحص أيضاً. وقد يعارض كثير من النساء، ويتشبثن بأن الزوج بريء من العيب.

لقد كان المألوف من قديم أن يرد العقم إلى المرأة، وظل هذا الرأي سائداً إلى سنة ١٩١٦ حيث تجمع للدكتور وليم كاري، أحد أطباء الطليعة في نيويورك، أدلة نسفت ذلك الرأي نسفاً، فقد ظهر من أبحاثه أن ثلث حالات العقم مرجعها إلى الرجل. ومنذ قام كاري بهذا البحث النفيس توالت عشرات الأبحاث تعززه. ففي سلسلة من حالات العقم تولاها العلماء بالبحث، فحص الرجال بعد أن أجريت لزوجاتهم جراحات خطيرة، فوجدوا ٤٥ في المئة منهم مصابين بعلة أو أكثر. وفي جماعة أخرى من مئة عاقر، وجد أن مرد ٧٨ منها إلى علل في كلا الزوجين، وظهر أن السبب في ثماني حالات يرجع إلى الأزواج وحدهم.

وقد يحكم الطبيب المتخصص فوراً بوجود علة ما، كغدة ضامرة مثلا، تجعل التناسل محالا. وهذا الحكم القاسي يحسم الشك، فيلتمس كثير منهم أسباب السعادة بتبني الأطفال، ولكن الأغلب أن يكشف الأطباء عن أسباب عديدة تمنع الحمل، أكثرها يبرأ بالعلاج.

وأول خطوة في فحص الزوج هي فحص نطفته، فتحصى خلايا النطفة فيه تحت المجهر بطريقة عد خلايا الدم، فإذا كان مجموعها دون ٦٠،٠٠٠،٠٠٠ في القذفة الواحدة فأغلب الظن أن يكون الحمل بعيد الاحتمال، لأن القذفة الواحدة من الرجل السوي تحتوي على خمسة أضعاف هذا العدد أو ستة أضعافه. فيصف الطبيب الراحة والرياضة علاجا لهذا النقص، وقد يضيف إليهما الحقن بالمادة النخامية المشتقة من الغدة النخامية التي تهيمن على التناسل. وكثيرا ما تكون العواقب باهرة بمثل هذا العلاج، فقد يرتفع عدد خلايا

النطفة فى بضعة أشهر من ستة ملايين أو ثمانية إلى ٣٠٠ مليون !

ولما كان حتما على الخلية من خلايا النطفة أن تقطع طريقها سباحــة ، فإن الخطوة الثانية هى تقــدير سرعتها ، وتسبح الخلية السليمة بسرعة سنتمترين ونصف فى ثلاث ساعات ، وفى إمكان العين المدربة أن تحكم على سرعة الخلية تحت المجهر ، وهل هى طبيعية أو دون الطبيعية .

ويوجه لفحص صفات الخلية اهتمام خاص ، وثمة تشابه بين صفات هذه الخلايا فى نطفة تحت الفحص وصفات أشتات البشر الذين يقطنون مدينة ما ، فلكل نصيبه من الخلايا الصغار التى لم تبلغ أشــدها ، ومن الخلايا الصحيحة القوية ، ومن الخلايا التى هرمت . وتدل كثرة الخلايا التى لم يتم نموها من نطفة الرجل على عجز فى قوة التلقيح .

وفى بعض الأحيان قد لا توجد فى النطفة خلايا الذكورة على الإطلاق ، وفى هــذه الحالات يستطيع الطبيب أن يحدس السبب حدســاً يقارب اليقين : فالحبــل المنوى مسدود . ولديه طرق بارعة للوثوق من حدسه ، إذ يقطع نُتْفَــةً من نسيج الخصية بعد تخديرها ويفحصها تحت المجهر .

فإن وجد به خلايا منوية حية ، فمن الجلى أن تكون القناة المنوية الخارجة من هــذه الخصية مسدودة ، وتكون الخطوة التالية جراحة لم تتقن أساليب إجرائها إلا منــذ خمس عشرة سنة ، فيصل الجراح الحبل المنوى بعضه ببعض حول السدة بخيط من الفضة .

وفى الوقت الذى يتم فيــه فحص الزوج وعلاجه ، تعنى طائفة أخرى من الأطبــاء المتخصصين بالزوجة . وأهم سبب للعقم فى المرأة هو انسداد قناتى فالوب اللتين تجريان بين المبيضين والرحم ، وهما قناتان دقيقتان كالشعر . وثمة اختبار فذّ اخترعه الدكتور ا . س روبين يسّر تشخيص هذا الانسداد أيما تيسير : ينفخ الطبيب غاز ثانى أكسيد الكربون المضغوط فى القناة ، فإذا هبط مقياس الضغط فجأة كان هذا دليلا على نفاذ الغاز إلى تجويف البطن وسلامة القناة ، وإذا ثبت الضغط عنــد مستواه الأول دل على انسداد القناة .

وقد تحقن فى القناة سوائل معتمة الظل ، إذا وقعت عليها الأشعة السينية ، ثم تؤخذ صورتها بالأشعة ، فيدل الظل فى الصورة على موضع السد فى القناة . ويستعمل الغسيل والحرارة فى فتح القنوات المسدودة ، وتستعمل الجراحة فى النادر من الأحوال .

وثمة سبب لعقم الأنثى كثير الحدوث ، هو تجمع المخاط فى عنق الرحم وحيلولتــه

دون مرور الخلايا المنوية. وقد يغنى التحريك الرقيق أو إيلاج مرود من الزجاج فى توسيع الفتحة وتيسير نفض المخاط .

وقد يشك الطبيب فى قدرة المبيض على أن يبيض . ولما كان الحصول على البويضة الدقيقة — وهى لا تكاد ترى بالعين المجردة — عسيراً ، فلا بد من أن يعتمد الطبيب على اختبار المبيض عن طريق الاستدلال . فهو يعلم أن نظام خلايا المهبل يتغير أثناء البيض وتنخفض حرارة الجسم ، وتختلف مقادير الهرمونات الجنسية فى الدم ، فإذا قاس هذه التغيرات استطاع أن يقرر أتضع المرأة البويضة وضعاً طبيعياً فى وسط دورة الطمث أم لا تضعها .

على أن من المشاكل التى تعرض لهؤلاء الأطباء ما يبلغ من التعقيد مبلغاً عظيما ، إذ تتعدد أسباب العقم المستعصية فى كلا الزوجين . وكذلك كانت حال زوجين شابين من كاليفورنيا ، كان كلاهما يذوب لهفة على الولد ، وتجلى من الفحص أن الزوج يعانى من نقص مرضى فى معدل الأيض (حاصل عمليتى البناء والانتقاض فى الجسم) ومن ضعف شديد فى بدنه ، فوصف له الطبيب علاجا منتظماً بخلاصة الغدة الدرقية لترفع معدل الأيض ، وتعيد إلى الجسم النشاط ، وأحاله الطبيب أيضاً إلى معهد يمارس فيه الرياضة البدنية .

بيد أن أسباب العقم فى الزوجة كانت أكثر ، فإن قناتى فالوب كانتا مسدودتين . وكان الرحم نابياً عن موضعه بحيث يحتاج تقويمه إلى جراحة ، فاستغرق إصلاح هذا كله سنة ونصف سنة ، وحدث الحمل فى النهاية ، فكان سرور الزوجين عظيما .

وليس فى وسع الباحث أن يغالى فى خطر الصلة بين العافية والقدرة على النسل . وكثيراً ما نسمع عن زوجين قطعا الرجاء من أن يولد لهما ولد فتبنيا ولداً ، فما لبثا حتى أنجبا ولداً . وهذا شىء قد يستسر عن أفهام غير الأطباء من الناس ، ولكن الطبيب يستطيع أن يعلله تعليلا سهلا مقبولا ، فاهتمام الوالدين بعد التبنى بالرياضة واللعب مع ولدهما المتبنى ، خليق أن يردهما إلى العافية ، ويسرى عنهما بعض هموم العقل والنفس . وثمة لغز آخر كثيراً ما يعرض لهؤلاء الأطباء ، وذلك أن يفترق الزوجان العاقران بالطلاق ، فيبنى كل منهما بزوج جديد ، فينجبان . وتعليل ذلك هين ، فإن كلا الخليطين فى الزواج الأول كان دون مستوى الإنجاب ، فلما تزوج كل منهما زوجا قوى التلقيح بلغا ما أرادا .

إن انتهاء الحالات العسرة إلى مباشرة يعود على الطبيب بحمد لا يلقى مثله طبيب من مريض ، ويجلب للزوجين من السعادة ما كانا يخشيان أن لا يواتيهما أبداً . وقد سمى أحد

هؤلاء الأزواج السعداء ابنه باسم طبيب من الأطباء الذين عالجوه .

وقد نفى البحث كثيراً من الظنون القديمة : أن قدرة البشر على التناسل قد أخذت تتضاءل، وأن الفقراء أقدر عليه من الأغنياء . بيد أن التناسل لا تزال بعض غوامضه تيهاً تحار فيه العقول . والمعامل المجهزة أكمل تجهيز فى المستشفيات والجامعات تحاول جاهدة أن تكشف ما خفى من أسراره المجهولة

إن هذه الحملة الضخمة على مشكل عمّر عُمر الزمان، تنطوى على أمل بسام لمن حرموا نعمة الأولاد . وكثير ممن عقموا بالأمس ، قد يرزقون اليوم أولاداً ، وقد يكون الغد أكرم عليهم من اليوم . وقد كانت المغانم التى ظفر الناس بها حتى الآن من أبعث ما حدث فى الطب على الطمأنينة والرجاء .

كل ما أعرفهُ تعلمتهُ بعد الثلاثين من عمرى . [جورج كليمنصو]

الشيخ ينسى

كنت أنا وشقيقتى ذات مساءٍ نقرأ جَهْراً فقرات من رسائل تلقيناها من شابين تعرفنا إليهما منذ عهد قريب . فتظاهر أبى أنه مشغول بقراءة صحيفتــه ، ولكنهُ لم يطق صبراً على ذلك ، فإذا به ينفجر ويقول : « رباه ! أنقذنا من السخف » .

فما إن سمعتهُ أمى حتى طرحت من يديها قميصاً كانت تحيكه ، وترفقت فى الخروج من الغرفة وهى تشير إلينا أن نتبعها . فلما عدنا كان أبى لا يزال يتمتم شيئاً عن هذا الجيل من الشباب وآثامه ، فقلنا لهُ إن ما خفى عنهُ كان أعظم مما يعلم ، وشرعت شقيقتى تقرأ رسالة تقطر حبًّا وهياماً ، ولو قيست بها الرسائل التى قرأناها من قبل لكانت معتدلة بل جافية .

فصاح أبى : «لم أسمع فى حياتى سخفاً كمثل هذا السخف ، وأنا آمركما أن تمتنعا عن الإجابة على هذه الرسالة » . فتركناه يهرف قليلا ، ثم وضعنا الرسالة بين يديه ، فإذا تاريخها : أول يونيو ١٩١٥ ، وكانت مرسلة إلى أمى — من أبى .

[مسز دانيال بل]

دعاة إلى الوئام

المصلح الزنجي بوكر وشنطن

أ . ك . آرمسترنج



في أرض معهد تسكيجى بولاية ألاباما تمثال منصوب للمعلم الزنجي العظيم الذي أسس ذلك المعهد — بوكر وشنطن ، وقد نقشت على قاعدة التمثال الكلمة التالية :

« رفع ستار الجهل عن قومه ، ودلهم على أن طريق التقدم هو التربية والاجتهاد » .

وقد كان بوكر وشنطن أول رجل أقال زنوج أمريكا من عثارهم ، وعرّفهم أنهم يستطيعون أن يحطموا أغلال العبودية الاقتصادية بجهودهم ، وأن يظفروا باحترام جيرانهم البيض وبتعاونهم معهم . وما كان أحدٌ أدرى من بوكر وشنطن بما يعترض ذلك من مشقة .

ولد بوكر في ٥ إبريل سنة ١٨٥٦ في كوخ حقير في مزرعة بولاية فرجينيا . وكان طعامه في طفولته كسرة خبز يجدها هنا ، أو قطعة لحم يعثر عليها هنالك ، وكانت ثيابه قميصاً وسراويل وحسب ، ولم يسمع قط بزنجيّ واحد قادر على القراءة أو الكتابة .

فلما كان في التاسعة من عمره ، كانت الحرب الأهلية الأمريكية قد وضعت أوزارها وكان العبيد قد أعتقوا ، بيد أن حالهم لم يصلح منها سوى شيء يسير بعد إعتاقهم ، لأن تحريرهم ألقى عليهم تبعات جديدة كان النهوض بها يقتضي قسطاً من التعلم والتدريب ، وكانت الولايات الجنوبية التي نهكتها الحرب الأهلية عاجزة عن تدبير أمر التعليم لعبيدها المعتقين .

فهاجرت أمُّ بوكر وأولادها شمالا إلى ولاية فرجينيا الغربية ، وقطعوا معظم المسافة سيراً على الأقدام ، وهناك شرع بوكر يعمل فى مناجم الفحم ونشر الخشب وحرث الحقول. وكان فى الليل يتردّد على مدرسة ابتدائية مخصصة لأبناء الزنوج ، فلما سأله المعلم عن اسمه ، قال وفى نفسه طموح إلى أعلى المراتب: إن اسمه وشنطن ، اسم الرئيس الأول للجمهورية الأمريكيـة . وقد صار هـذا الزنجى ، كما كان سميّـهُ من قبله، هادياً لقومه.

وسمع ذات يوم رجلين من عمّـال المناجم يتحدثان عن مدرسـة للزنوج فى مدينة هامتون بولاية فرجينيا ، فقصدها وهو فى السابعة عشرة من عمره ، وليس فى جيبه سوى بضعة ريالات وفرها من عمله لتعينه على قطع خمسمئة ميل ، فأمره أحد المدرسين أن يكنس الحجرة . ومما يدلك على خلقه أنه كنسها خمس مرّات ونفض غبارها أربع مرات ، فقبل فى المدرسـة من فوره .

وقد اضطر أن يعمل عمل خادم فى المدرسة وعمل نُدُل على موائد الأكل ، لكى يكسب ثمن طعامه . وأراد أن يتعلم صناعة يتعيش بها فتعلم صناعة البناء . فلم يكد يتخرج حتى عـيِّن عضواً فى هيئة التعليم .

وكان فى مدينة تسكيجى بولاية ألاباما ، تاجر من البيض يدعى جورج كامبل ، وكان له صديق من العمال الزنوج الحاذقين يدعى لويس أدمز ، فخطر لهما أن ينشئا مدرسة لتعليم الزنوج . واستعان كامبل بصديق له فى مجلس الولاية التشريعى ، فظفر من الحكومة بألفى ريال ، فلما كتب إلى معهد هامتون يطلب « ناظراً » لمدرسته، أوصى المعهـد بتعيين بوكر وشـنطن . فلما وصل إلى تسكيجى تلفت حوله وسأله بلهفة : « أين المدرسة ؟ »

فقيل له إنها لم تنشأ بعد ، فلم يفتّ ذلك فى عضده بل قال إنه سيبنى مدرسة . ثم استأذن فى أن يتخذ من كنيسة للزنوج مدرسة يدرس فيها . ثم جعل يطوّف ليعقد أواصر الصداقة بينه وبين الناس ويدعو فتيان الزنوج إلى تسكيجى .

كان ما رآهُ وشنطن فى ريف ألاباما كفيلا بأن يثبط عزيمة من هو أقصر منه نظراً وأضعف عزماً ، فقـد كان معظم الزنوج يعملون فلا ينالون سوى أقل الأجور ، وكانت بيوتهم أكواخاً حقيرة ، وثيابهم من قماش خشن ينسج باليد ، وطعامهم لا يغنى من جـوع ، وكانت الأمراض متفشية بينهم .

وقرّ رأى الأستاذ وشنطن على أن تثقيف عقول القوم دون أن يعلمهم حرفاً وصناعات،

مضيعة للوقت ، فأطلق على مدرسته : « معهد تسكيجى للعاملين والصناعات » ، وأعلن أنه حتم على كل طالب وطالبة أن يعمل بيديه .

وقد افتتحت المدرسة يوم ٤ يوليو سنة ١٨٨١ ، فقصد المدرسة ثلاثون من الطلاب كان معظمهم من حقول القطن المجاورة ، وكان سقف المعهد يرشح ماء ، فكان على الطلاب فى أيام المطر أن يجلسوا تحت المظلات . ثم اقترض ٥٠٠ ريال من أصدقائه فى هامتون ، وابتاع مزرعة قرب المدينة ، ووضع فيها أساس البناء الأول فى المعهد .

ولم يكن لوشنطن مفر من أن يحارب بعض الآراء المتأصلة فى النفوس . فقد كان من الأمثلة الشائعة بين البيض يومئذ : « علم الزنجى يمتنع عن العمل » . وكان الرأى السائد بين الزنوج المتعلمين : « أن الغرض الوحيد من التعليم هو تمهيد الطريق للمرء حتى يعيش فى بحبوحة وراحة دون أن يعمل عملا شاقاً » . وجاءه وفد من الزنوج يعترضون على ما فى منهج المعهد من عمل يدوى ، فقال وشنطن : « إن فى حراثة الحقل من الكرامة مثل ما تجده فى نظم قصيدة . ومن الخير لبناتكم أن يعرفن كيف يهيئن المائدة ويدبرن شئون المنزل كمعرفتهن اللغة اللاتينية » .

واتفق مرة أن جاء إلى معهد تسكيجى مدرس زنجى متحمس من مدرسة فى الشمال ، وكان جاهلا بأساليب الفكر والحياة فى الجنوب ، فأغضب أحد تجار المدينة ، فزحف جمهور ثائر على المدرسة طالبين أن يلقى إليهم بذلك المعلم « الوقح » ، فاستقبلهم وشنطن رابط الجأش وقال :

« إن الجهل يثقل كاهلنا نحن الزنوج ، فلربما خالفنا القانون . أما أنتم يا أصدقاءنا البيض فتعرفون القانون ، فتخضعون له وتحترمونه ، فنحن نريد أن نتعلم منكم . أفترضون أن تجلبوا الخزى والعار على مدينة تسكيجى بعمل مخالف للقانون ؟ » ، فتفرق الجمع الثائر .

ومضى ناظر معهد تسكيجى قدماً فى دعوته سكان غابات الصنوبر والمزارع ، فجعل يخطب فى المعابد ، ويزور مئات البيوت ، ويترفق فى شرح حاجة قومه إلى الأيدى المدربة والعقول المدربة . فكان يقول : « ينبغى لأبنائنا أن يتعلموا بالعمل ، ولا ينبغى لنا أن نتطلع دائماً إلى البيض للظفر بمن يرشدنا ويتقدمنا ، بل علينا أن ننشىء زعماءنا من أنفسنا » .

نال وشنطن بإخلاصه وصفاء سريرته صداقة كثير من الناس ، وصار الزنوج يتقدمون بالهبات أو يتطوعون للعمل

فى المدرسة الناشئة ، ونفحه البيض من أهل تسكيجى بهبات مالية . فأنشأ فى السنوات الخمس الأولى مناهج لتعليم الطلاب البناء والنجارة والحدادة والزراعة ، ولتعليم الطالبات الطبخ والخياطة وتدبير المنزل . وكان مما يُزْهَى به وشنطن أنه لم يأبَ أن يقبل طالباً ما لأنه عاجز عن توفية نفقته . وكان كل طالب ينفق بضع ساعات فى الدراسة وساعاتٍ أخرى فى العمل . وقد صنعوا الأثاث لمبانى المدرسة ، والأسرّة من خشب الصنوبر ، والفرش من قماش القطن وحشوها بورق الصنوبر ، وصنعوا أيضاً الموائد والكراسى . وكان النظام دقيقاً لأن وشنطن كان يعتقد أن التربية يجب أن تربى الخلق الصالح ، فكان الطلاب يلقنون رقة الشمائل وحسن الحديث واحترام حقوق الناس . وكان الناظر يحذّر المدرّسين فيقول : « ينبغى أن لا نخفق ؛ لأننا إذا أخفقنا قال الناس إن الزنوج عاجزون عن تعليم أنفسهم بأنفسهم » .

تمكن وشنطن بفضل شجاعته وحكمته وصبره ، من أن يتوسل بالمعهد لتوثيق أواصر الفهم والتعاون بين البيض والزنوج. ولقد مرّ ذات يوم أمام قصر ڤارنر ، وكانت مسز ڤارنر لا تعرفه ، فنادته وطلبت منه أن يقطع لها بعض الحطب . فنزع الأستاذ سترته ، وأخذ الفأس وقطع الحطب ثم حمله إلى المطبخ ، فعرفته الخادمة فأنبأت سيدتها: « إنه الأستاذ وشنطن ! »

وفى صباح اليوم التالى ذهبت مسز ڤارنر إلى مكتبه وقالت : « جئت لأعتذر ، فلم أكن أدرى من أنت ساعة كلفتك أن تقطع الحطب » .

فقال وشنطن : « لا بأس يا سيدتى ، فأنا أحبُّ العمل ، ويسرُّنى أن أسدى معروفاً إلى أصدقائى » .

ومنذ ذلك اليوم صارت مسز ڤارنر صديقة المعهد ، وقد حملت معارفها من أهل الثراء على أن يهبوا المدرسة ألوفاً من الريالات .

فلما أقيم معرض ولايات القطن فى خريف سنة ١٨٩٥ خصص جناح فيه لمنتجات الزراع الزنوج ، ودعى الأستاذ وشنطن للخطابة ، فتولى حاكم الولاية تقديم الزعيم الزنجى إلى بضعة ألوف من البيض والزنوج كانوا مجتمعين فى بهو المعرض — ولعل هذا التقديم كان أول مرةٍ تولى فيها موظف كبيرٌ من البيض تقديم زنجى إلى جمهور من أهالى الجنوب .

وقف الخطيب الزنجىُّ الطويل الأنيق ، فأنصت إليه الناس كأن على رؤوسهم الطير ، فمضى فى خطبته البليغة ، شارحاً مشروعه

فى التربية ، داعياً إلى التعاون والتفاهم ، والتفت إلى علية القوم من البيض الجالسين على المنبر وقال : « لقد أثبتنا إخلاصنا لكم بما قمنا به من رعاية أبنائكم والعناية بمرضاكم من آبائكم وأمهاتكم ، وسوف نشدُّ أزركم فى المستقبل بوسائلنا القليلة ، فتندمج حياتنا الصناعية والتجارية والأهلية والدينية بحياتكم ، حتى تصير مصلحة القوميين مصلحة واحدة » .

فما فرغ الخطيب من خطبته حتى هبّ الحاكم يصافحُه ، ووقف الرجال والنساء يهتفون . وطبعت الخطبة فى نشراتٍ وصحف لا يحصى عددُها ، وبعث إليه الرئيس كليفلاند برسالة تهنئة صادقة ، وذاع ذكر بوكر وشنطن فى طول البلاد وعرضها ، وصار اللسان الناطق باسم قومه فى أمريكا .

وقد حضر بعد زمن حفلة فى شيكاغو كان الرئيس مكنلى ضيف الشرف فيها ، فألقى خطبة فى ١٦ ألفاً من الناس ، وكانت الاجتماعات التى يعقدها وشنطن فى الجنوب ، هى الحفلات الأولى التى اجتمع فيها البيض والزنوج . وكان يحث على توخى الصراحة فى بحث المشكلات التى تهمّ الفريقين . وقد قال مرة لجمهور من البيض فى خطبة : « ينبغى لكم أن تفهموا مشكلات المحرومين والبائسين حتى تتمكنوا من بذل العون لهم » ،

وكان جريئاً يوم قال : « إذا أردت أن تعرف كرم نفس الرجل فانظر إلى معاملته لأبناء جنس لم ينالوا من حظوظ الحياة مثل ما ناله أبناء جلدته » .

وكان يتوسل بالمودّة والمثابرة فى حث أصدقائه الأغنياء من رجال ونساء على « تثمير أموالهم فى مستقبل الزنوج » . ومن أوائل الذين قصدهم رجل يدعى كوليس هنتنجتون ، وكان من كبار أصحاب السكك الحديدية ، فضاق ذرعاً بزائره وقاطعهُ وقال : « هاك ريالين لمدرستك » ، ولكن الزنجى الرقيق لم يزل يلاطفه حتى وهب ٥٠٠٠٠ ريال ، ثم أضاف إليها مبلغاً آخر من المال كفل تشييد بناء باسمه فى المعهد .

ومن آيات ذكائه وحسن تقديره ، أنه كان يطلب إلى المحسنين أن يضمنوا تحقيق مشروعات مختلفة ، ولا يطلب منهم أن يهبوا المعهد مبالغ من المال . وقد أهدى أندرو كارنيجى إلى المعهد داراً للكتب ، ثم وهبه بعد زمن ٦٠٠٠٠٠ ريال دفعة واحدة .

وثقة وشنطن بنفسه وبدعوته لم تتزعزع قط . فكان إذا ما احتاج المعهد إلى بناء جديد يقول : « اشرعوا فى البناء ، وأنا أدبر لكم المال » .

وكان يلهب حماسة تلاميذه ويلهمهم بمشاركته إياهم فى العمل ، وببلاغته السهلة .

وكان يفرض على المدرسين أن يبعثوا إليه بالطلبة المتلكثين ، فيعنفهم أشد تعنيف ، ثم تنبسط أساريره فيقول لأحدهم : « تعال واشرح لى متاعبك » . فيذهبان معاً إلى الحقل أو إلى الدرس ، فيبين الأستاذ لتلميذه بأوفى بيان كيف يسعه أن ينجز عمله .

وفى سنة ١٨٩٦ أقنع وشنطن المجلس التشريعى فى ولاية ألاباما بإنشاء محطة التجارب الزراعية لمعهد تسكيجى « لتدريب الطلاب الزنوج على الزراعة العلمية » ، وتناهى إليه خبر التجارب الزراعية التى يقوم بها جورج وشنطن كارڤر ، وهو عبد رقيق أعتق ، فقال له : « أنت أنت الرجل الذى نريده مديراً لمحطتنا ، فابحث وأنبئنا بما نستطيع أن نزرعه فى صلصال الأقاليم الجنوبية » . وقد أقام كارڤر نصف قرن يبحث ويجرب ، فأسفر عمله عن مئات من المحصولات التى زادت ثروة الناس من الجنسين جميعاً .

وقد وسّع وشنطن نطاق معهده حتى شمل المزارع ، فكان هو والأستاذ كارڤر يحمّلان عربة بالأدوات ويخرجان بها إلى المزارع ويبيّنان للفلاحين كيف ينتفعون بها . وقد وهبهما المحسن الأمريكى موريس جسوب عربة يجرّها جوادان ، مزوّدة بكل ما يلزم لعرض أدوات الزراعة ، فذاع صيت عربة جسوب وعرفت باسم المدرسة « المتنقلة » .

وقد وسّع وشنطن أيضاً نطاق تعليم الزنوج فى أمريكا فيما وراء حدود المعهد الذى أنشأهُ ، فأقنع أولا أحد ملوك الزيت بتحسين المدارس فى مقاطعة ما كون التى كانت مدينة تسكيجى عاصمتها . فرضى هذا الرجل أن يهب ٦٠٠ ريال كل شهر فى السنة الأولى ، فارتاح إلى نتائج المشروع ، فوسّع مجال العمل حتى شمل عدداً من المقاطعات . ثم جاء وشنطن بتاجر غنىٍّ إلى ألاباما ، وطوّف به فى ريفها ، وقال لهُ : « كل ريال ينفق على مدارس الريف فى الجنوب ، يثمر ما قيمتهُ ريالات كثيرة من تقدم الزنوج » .

فرضى هذا التاجر أن ينفق المال على إنشاء عددٍ من المبانى الجديدة . وأصر وشنطن على أن تكتتب كل جماعة من الزنوج بالمال اللازم لشراء أرض المدرسة ، وأن يزيد رجال التعليم أيام الدراسة . فظفر كذلك بمؤازرة البيض والزنوج على السواء .

وكذلك أنشىء صندوق باسم هذا الرجل ، فمهد لإنشاء ٥٠٠٠ مدرسة ريفية للزنوج أو أكثر ، ويسر طلب العلم على نحو ثلاثة أرباع مليون من أبناء الزنوج منذ إنشائه .

وقد توالت آيات التكريم على بوكر وشنطن من كل قاصٍ ودانٍ ، وقد تبين فيه الرئيس تيودور روزفلت روحاً يأنس إليها ويألفها ، فصار الرجلان اللذان

يدعوان إلى حياة الجهاد صديقين حميمين .

وقد أفضت أسفار وشنطن المتصلة وخطبه العامة ، مضافة إلى أعباء عمله الكثير في المعهد ، إلى إجهاد قلبه . فألحت عليه زوجته وأعوانه لكي ينال نصيباً وافياً من الراحة ، ولكنه قال لهم : « لا ، فبين يدىّ عمل طويل لا بدّ من إنجازه ، والعمر قصير » . وفى نوفمبر ١٩١٥ مرض وهو فى نيويورك ، فحمل إلى مدرسته ، وما هى إلا ساعات قلائل حتى فاضت روحه .

وفى معهد تسكيجى اليوم ٣١٠ أستاذ وألف تلميذ ، وفيه ١٣٣ بناء تحيط بها أرض وحقول مساحتها ٣٥٥٠ فداناً . وقد أنشأ خريجو هذا المعهد سبع عشرة مدرسة للزنوج على غرار هذا المعهد .

وقد توالت اليوم آيات التكريم دلالة على علوّ منزلة وشنطن ، فقد ذكره « اتحاد التعليم الوطنى فى أمريكا » بين العشرة الذين أدّوا أكبر معونة للتعليم فى بلاد أمريكا .

وقد أنشىء صندوق لتشييد معهد فى مسقط رأسه ، وقد أصدرت وزارة المالية الأمريكية نقوداً خاصة من فئة نصف ريال معونة للمشروع .

وفى مايو ١٩٤٦ نصب لوشنطن تمثال فى « بهو الشرف » بجامعة نيويورك ، وقد بدت على جبين التمثال أخاديد شقتها أعوام من بذل الجهود وحمل التبعات ، وعلى ثغره ينبوع يتفجر بالدعابة مقرونة بالحزم والتصميم . أما شفتاه فيخيل إلى الناظر أنهما لا تزالان تنطقان وتسمعان الناس جميعاً ، أبيضهم وأسودهم ، ما اعتادوا أن يسمعوه فى أيام حياته : « إنه لا يضيرنا أنِ نفترق فى كل ظواهر الحياة الاجتماعية افتراق أصابع الراحتين ، ولكن لا بدّ لنا إذا حرصنا على الرقىّ والتقدم من أن نكون يداً واحدة » .

ولا يزال فى معهد تسكيجى نحو عشرة من أقران وشنطن وأصحابه ، وكلهم حريص على أن يذكر حسن مودّة ذلك الرجل ، وعظيمَ إيمانه ، ودقة نظامه . وقد لقيت الدكتور إيمت سكوت الذى ظلّ ١٩ عاماً وهو كاتم سرّه . فنظر إلىّ والدموع تترقرق فى عينيه ، وردّد كلمات وشنطن التى سمعها من جميع طلبة المعهد : « مهما بلغت بك خصاصة الفقر ، أو سواد اللون ، أو خمول الذكر ، فلا تنس أن الفرصة سانحة بين يديك ، وأنه كلما كثرت الصعاب التى لا بد من تخطيها كان النجاح أعظم وأتم » .

وهذه الكلمات البليغة البديعة الغَور ، تذكرنا بأن نجعل أكبر همّنا مصلحة الإنسانية لا منفعة الجنس ، فلا أجد أحداً كان أكبر عوناً لمثل هذه الكثرة من بنى الإنسان ، من هذا الرجل البارّ : بوكر وشنطن .

العين الكهربائية العجيبة – لها فى كل صناعة نصيب

هارلند مانشستر

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

منذ بضع سنوات شهد الناس عن كثب جهازاً عجيباً يجعل الأبواب تفتح من تلقاء نفسها. فقد رأوا عمودين من معدن بينهما خمس أقدام، وفى كل منهما نافذة صغيرة مستديرة، تنطلق منها شعاعة ضوء أفقية، فإذا ما اجتاز أحد ما بين العمودين وقطع الشعاعة فساعتئذ ينفتح الباب فى سكون، ثم يوصد على مهل بعد أن يمرّ.

وكان هذا العمل من أبسط الأعمال التى تتولاها «العين الكهربائية»، فشعاعة الضوء المنطلقة من مصباح مألوف، تقع على بطارية ضوئية كهربائية مرهفة الإحساس أشبه بمصباح صغير، ولكنها تحول كل انقطاع يقع فى الشعاعة إلى تذبذب فى الطاقة الكهربائية، وهذا التذبذب يحرّك محركا صغيراً كهربائياً يفتح الباب.

وقد أفضى الانتفاع بالعين الكهربائية فى عشرات من الأغراض إلى طائفة من أهم وجوه التقدم الصناعى والهندسى فى هذا العصر. فهى التى زودت أفلام السنما بصوتها الناطق، وإليها يرجع كلّ التقدم فى التلفزة (الرؤية عن بعد). وقد صنعت بحيث تقلد العين التى ترى، والأذن التى تسمع، والفم الذى ينطق، والأنف الذى يشمّ، والأعصاب التى تحسّ. وهى توجه السفن، وتقبض على اللصوص، وتصنف الثمار أصنافاً، وتتبين الدخان، وتعدّ أوراق النقد، وتضاهى بين الألوان، وهى تفعل ذلك على وجه السرعة وبغير أن تخطىء. أما فى المصانع فتراها تفحص البضائع التى تمّ صنعها فتنبذ منها ما كان فيه عيب. وقد بلغ من دقتها وإحكامها أنها تتبين فروق القياس التى تبلغ جزءاً من مئة ألف جزء من البوصة.

وقد انتفعت بها مصالح التنظيم، فقبل أن تقدم على إنفاق ملايين من الريالات على مدّ طريق جديد، تستعين بالعين الكهربائية على إحصاء حركة المرور، فتنصب هذه العيون على جوانب الطرق، فتحصى كل سيارة تجوزها وتسجل سرعتها أيضاً. وحساب السرعة يتمّ بتقدير الوقت الذى يمرّ بين انقطاع شعاعة منطلقة من إحدى هذه العيون، وانقطاع شعاعة منطلقة من عين

تلها على الطريق . ولو طلبت من هذه العيون أن تحصى لك السيارات الماضية من جهة دون الأخرى ، لكان لك ما تريد .

وقد أخذ أهل الهندسة ورجال المرور يجربون التجارب بهذه الأجهزة للانتفاع بها فى تيسير حركة السيارات وتقليل حوادث الاصطدام. ومنها جهاز يستطيع أن يضعف من تلقاء نفسه ضوء المصباحين اللذين فى مقدّم السيارة حين تدنو منها سيارة مقبلة عليها فى ظلام الليل . فنور مصباحيك يؤثر فى مصباحى السيارة المقبلة ، فيتحرك جهاز فيضعف نور السيارة المقبلة ، كما يضعف الجهاز الذى فيها ضوء مصباحيك .

وقد صنعت طائفة من هذه العيون الكهربائية لكى تتأثر بضوء النهار إذا هبط إلى درجة معينة . وقد وضعت فى المدارس والمصانع والمكاتب وعلى أعمدة النور فى الطرق، وربطت بنظام الإضاءة الكهربائية، فتضىء المصابيح من تلقاء ذاتها إذا قلّ ضوء النهار عن درجة معلومة . ولربما كان المعلم فى المدرسة مشغولا بعمل بين يديه ، فلا يتبين أن السماء قد غامت ، وأن الضوء فى حجر الدرس قد ضعف ، وأن التلاميذ أخذوا يُدنون عيونهم من كتبهم حتى يبصروا ما يقرأون أو يكتبون ، ولكنّ العين الكهربائية الساهرة المثبتة فى الجدار تدرك ما يفوت المعلم ، وتضىء مصابيح الحجرة متى ضعف ضوء النهار ، فإذا انقشع السحاب وعاد الضوء كافياً أطفأت المصابيح لساعتها. وهذا الجهاز نفسه يستعمل فى المطارات ، حيث ينبغى أن تضاء الأنوار اللازمة لهبوط الطائرات ، متى كان ضوء النهار غير كافٍ .

فإذا عصفت العاصفة ، وتلبدت السماء بالغيوم ، كان لا مفر لشركات النور من أن تكون متأهبة لزيادة التيار الكهربائى التى تنشأ من إضاءة الأنوار فى المكاتب والبيوت والمصانع . فلذلك نصبوا عيناً كهربائية على سطح المصنع الذى تولد فيه الطاقة الكهربائية، فتنبه المهندسين إلى ما تنذر به العاصفة من اكفهرار السماء ، قبل أن يزداد المستعمل من التيار ازدياداً مفاجئاً .

ولعل أروع عمل تتولاهُ العين الكهربائية هو قيامها بمهمة حارس فى الليل. فتستعمل الأشعة التى تحت الحمراء أو «النور الأسود»، وهى أشعة لا تبصرها عيون البشر، ولكنّ العين الكهربائية تتأثر بها. فيوضع فى جدار مدخل المصرف أو المخزن مصباح يطلق شعاعة من النور الأسود، ويوضع فى الجدار المقابل عين كهربائية ، وتسدّد الشعاعة إلى العين، فإذا مرّ جسم ما ــ جسم لص مثلا ــ بين المصباح والعين ، قطع الشعاعة ، فيقرع فى الحال جرس الإنذار . فإذا استعملت

عدداً من المرايا كان فى وسعك أن توجـه هذه الأشعة من الضوء الأسود فى كل جهة تريدها ، علواً وسفلا ، فيعجز أى متسلل عن أن يجوزها دون أن يكشف أمرهُ ، ولو زحف على بطنه زحفاً . وقد بالغوا فى إتقان هذه الوسيلة فربطوا بها آلة مصوِّرة تحدث صوتاً ، وجهازاً يضيء مصباحاً كشافاً ، وتخفى آلة التصوير فى مكان معين ، فإذا سمع اللص صوتها نظر إلى مصدر الصوت ، فيضيء المصباح الكشاف فترسم الآلة صورته . وقد أقيمت هـذه العيون فى المستشفيات لمراقبة الذين يمشون فى نومهم ، أو المصابين بأمراض عقلية ، فإذا نهض المريض من سريره قطع فى قيامه شعاعة نور أسود ، فيقرع جرس الإنذار فى حجرة المرضـة ، أو فى حجرة أحد أعضاء أسرته إن كان فى بيته .

وإذا استثنينا أمر النفقة ، رأينا أنه من اليسير أن تركب العيون الكهربائية فى البيوت فتؤدى أعمالا شتى ـــ كأن تنير مصباح مدخل البيت ساعة يدنو الزائر منه . بيد أن الانتفاع بهذه العيون عظيم النفقة إلا إذا استعملت فى قضاء أغراض كثيرة ، كما يكون فى المصانع . ففى مصانع الصلب التى تقطعه ألواحاً كبيرة تستطيع هذه العيون أن تقيس اللوح الطويل المتحرك أمامها قياسا دقيقاً ، ثم تأمر المقص الميكانيكى أن يقطعه حيث ينبغى أن يقطع ، فتكون القطع متساوية . فإذا حدث فى الآلة خلل يسير تبينت العين الكهربائيـة ذلك الخلل من فورها ، فتقف الآلة كلها وتحول دون تحطيم أجزاء منها تحطيما كثير التكاليف .

وليس بين الآلات الميكانيكية آلة تستطيع أن تحصى بسرعة العين الكهربائية . خـذ مثلا لفة كبيرة من القماش الرقيق طولهُ عدة أميال وعرضه ٤٠ بوصة ، والقماش يمرُّ مراً سريعاً بين أسـطوانتين ، فإذا ركبت على جانبى القماش عينين كهربائيتين استطاعتا أن تحصيا معاً كلَّ خيط يمرُّ من لحمة هذا القماش ، ولو كان عددها عشرة آلاف فى الثانية . فإذا تبينت إحداهما أن أحد جانبى القماش قد أخذ يسبق صاحبه فى السير ، أرسلت إشارة من تلقاء نفسها إلى جهاز يكفل تسوية القماش فى الحال ، فلا يفسد منهُ شيء .

ولما كانت العين الكهربائية تميز بين أمواج الضوء كما تميز بين الضوء والقتام ، صارت أعظم الآلات نفعاً فى ضبط ألوان الحبر والطلاء والأصباغ على اختلاف ضروبها . وفى وسعها أن تميز البيض الأبيض القشرة من البيض الذى يميل لون قشرته إلى السمرة ، وتفحص البرتقال فتنبذ منهُ ما كان أخضر غير ناضج . وأصحاب مصانع الجعة ومعاصر الزيت ، يضعون هذه العيون فى الأنابيب التى تجرى فيها جعتهم أو زيتهم ، فإذا تغير

لونها (وهو قد يدل على تغيير جودة الصنف) دلت العين على ذلك . وقد تركب فى مدخنة مصنع، فتقيس كثافة الدخان وتبين ذلك لرجال حجرة الآلات فيضبطون مقدار الوقود . وتركب فى السفن ومستودعات البضائع فتتبين الدخان وتنذر بوجوده، فتوقى الناس غوائل النار وخسارتها .

وقد قيل إن أجهزة العين الكهربائية تستطيع أن تحلّ محل مليون من العمال فى أعمال الإحصاء والتصنيف وحدها ، فيكون ذلك رأس مشكلة اجتماعية غير يسيرة . وقد كان المستودع الكبير للبضائع ، يستخدم عشرات أو مئات من الفتيات لتصنيف حبوب الفول بأيديهنّ ، ولكنهُ يستطيع اليوم أن يستغنى عنهنّ بهذا الجهاز الذى لا يغفل عن حبة فاسدة أو حصاة بين الحبوب، وقد تزوّد الميزان بشعاعة ضوء وعين كهربائية، فإذا امتلأت العلبة بالوزن المقرّر، وقفت العين الكهربائية تدفّق الحبوب من تلقاء نفسها . ثم تمرُّ العلب الممتلئة أمام عين أخرى فينبذ ما فيه عيب .

وقد تمّ اكتشاف مبدأ هذه الآلة العجيبة فى سنة ١٨٨٧ على يد العالم الطبيعى الألمانى هاينرش هرتز ، وكان ذلك اتفاقاً يوم كان يجرّب تجارب بالأمواج اللاسلكية . فقد كان يحاول أن يدفع تياراً كهربائياً بين قطبين لا يصلهما سلك ما، فوجد أن الأشعة التى فوق البنفسجية المنطلقة من قطعة من المغنسيوم المشتعل ، إذا ما وقعت على الفجوة بين القطبين، زاد مقدار التيار الكهربائى.

والذى وقف عليه هرتز يومئذ ، كان هذه الحقيقة : أن الضوء ، أياً كان ضربهُ ، إذا وقع على مادة فلزية أحدث اضطراباً فى التوازن الكهربائى بين ذرّاتها ، فتنطلق منها كهيربات . ولما كانت الكهيربات سالبة الشحنة ، فإنها تنجذب إلى القطب الموجب، وقد تمكّن العلماء على الزمن من الانتفاع بهذه المبادىء فى صنع ما يعرف بالبطارية الضوئية الكهربائية أو العين الكهربائية . وإذا توخينا اليسر والبساطة فى وصفها قلنا إنها مصباح من زجاج بطّن بعضهُ بعنصر البوتاسيوم ، وهو عنصر شديد الإحساس بالضوء. وثمة سلك يصل هذه البطانة ببطارية كهربائية، وسلك آخر ممدود من البطارية إلى عمود قائم فى وسط المصباح. ضع هذا المصباح فى الظلام لا يحدث فيه شىء، ولكن ألق عليه ضوء مصباح كشاف وإذا بالكهيربات تتواثب كالشياطين من سطح البوتاسيوم إلى العمود المركب فى وسط المصباح .

فإذا وصلت بالأسلاك مقياسا يقيس التيار الكهربائى ، تبينت أن هناك تياراً صغيراً ، وأن هذا التيار يزداد قوة وفقاً

لازدياد قوة الضـوء الواقع على المصباح .

بيد أن التيار الذى يمكن توليده بهذه الطريقة ظلّ حتى ١٩٢٤ لايزيد على جزء من عشرة ملايين جزء من القوة اللازمة للمصباح الكهربائى فى البيت . ويومئذ وجد العالِم إيفز ، أن فى الوسع تضخيم هذا التيار الضعيف ملايين من المرات بضم البطارية الضوئية الكهربائية إلى الأنبوب المفرغ الذى يجرى فيه التيار — وهو من صنع المخترع لى ده فورست . فأسفر ذلك عن إمكان الانتفاع بالبطارية الضوئية الكهربائية انتفاعاً تجارياً — وذلك فى نقل الصور على أسلاك التلفون .

وقد لفّت الصورة التى يراد إرسالها على أسطوانة ، وجعلت تدور فى علبة فلزية لا يخترقها الضوء ولا تتأثر به . وأقيم حيال الأسطوانة جهاز يحمل العين الكهربائية وينطلق منها شعاع دقيق من الضوء كأنه إبرة الجراموفون التى تمرّ على أسطوانته، وبوساطة هذا الشعاع الدقيق تستكشف العين تلك المنطقة الضيقة المضاءة من الصورة ، فيحدث تغير فى قوة تيارها الكهربى وضعفه، ويكون هذا التغير موافقاً لمواقع الظلّ والنور على الصورة . أما فى الجهاز المستقبل فيعكس الأمر ، ويحوّل التذبذب فى التيار إلى شعاع متذبذب يؤثر فى فلم من أفلام التصوير ، فيتأثر بالضوء ضعفاً وقوة وفقاً لذبذبة التيار ، وكذلك تجتمع الخطوط الدقيقة خطاً خطاً حتى تتم الصورة الأصلية .

وأتاحت العين الكهربائية لفلم السينما منطقة على جانبه تسجل عليها الأصوات المسايرة لصور الممثلين ، فحلت محل الأسطوانات التى استعملت فى أول عهد السينما الناطقة .

أما مستقبل العين الكهربائية والأجهزة التى تنتفع بها فرهن بخيال المخترعين . فثمة مثلا محطة تولد طاقة كهربائية من الماء المنحدر قد تتعهد كل أمورها عين كهربائية . وثمة لوحة بيانية تبين مقدار التيار الكهربائى المطلوب طوال اليوم والعين الكهربائية مسدّدة إلى اللوحة ، فتتبع المقادير المطلوبة ساعة بعد ساعة ، فتحرّك جهازاً يطلق من الماء المقدار الذى يكفل توليد الطاقة المطلوبة بالقدر اللازم . وقد ذكروا أن هناك عيناً كهربائية تستطيع رسماً هندسياً وتحوّل خطوطه إلى حركات تنفّذها أجهزة القطع وغيرها ثم تلقى جانباً كل جزء تم صنعه .

وليس ثمة ريب فى أن رجال الاختراع والصناعة سيصنعون آلات كثيرة تعمل من تلقاء نفسها ، كهذا الجهاز . وقد خرجت البطارية الضوئية الكهربائية من جوف الكهف الذى يحوى أسرار الذرّة ، لتفتح أبواباً لم تخطر على بال أحد ولا فى الأحلام.

ساعة فى مصرف

ستيفن ليكوك

من كتابه "نوادر أدبية"

عجزت كل العجز عن قهر ذلك الهلع الذى ينتابنى من المصارف ، فما أكاد أجتاز عتبة المصرف لأقضى بعض العمل حتى أنقلب مخبولاً قد رُفع عنه القلم .

وعلة ذلك الهلع أنى لقيت من أحد المصارف ، وأنا فى صدر شبابى ،ما ملأ قلبى رعباً ، ولا تزال ذكراه تعتادنى بآلامها حتى هذه الساعة . فقد زاد مرتبى حتى صار ٥٠ ريالاً فى الشهر ، فوجدت ،وحُقَّ لى، أن المصرف هو مكان مثل هذا المرتب . فاخترت أكبر مصرف وأعظمه شأناً فى المدينة ، وبعد تردّدٍ قليل رأيتنى أسير فى ساحته متثاقلاً متهيباً أتلفت كالخائف إلى الكتبة من حولى . ولم يكن لى بالمصارف عهد سابق ، ولكن كان قد استقر فى رأسى أن المرء الذى يريد أن يفتح حساباً فى المصرف لا بُدّ له من مراجعة مديره فى الأمر .

كنت أحس فى دخيلة نفسى بأنى مُقدمٌ على لحظة فاصلة فى تاريخ حياتى ، وزاد الطين بلة هذا الجو الذى أطبق عليه الصمت والكآبة ، فمضيت قاصداً باباً كتب عليه « كاتب حسابات » . كان هذا الكاتب مخلوقاً طويلاً بارد الطباع فى هيئة الشيطان، فما وقع عليه بصرى حتى اقشعر بدنى ، وسمعت صوتاً أجش يخرج من حلقى وأنا أقول له : «هل أستطيع أن أقابل المدير ؟ » ثم أردفت بكلّ وقار : « أقابله على انفراد » ، ولست أدرى لماذا قلت « على انفراد » .

فقال الكاتب : « بلا ريب » ، وما هو إلا أن استدعاه .

كان المدير إنساناً وقوراً هادىء الحركة فنظر إلىّ بأدب نظرة المتعجب .

فقلت : « أأنت المدير ؟ » ، وما كنت أرتاب فى ذلك علم الله .

قال : « نعم ، أنا هو » .

فقلت : « هل أستطيع أن ألقاك على انفراد ؟ » ولم أكن أريد أن أردف كلامى بهذه اللفظة « على انفراد » مرة أخرى ، ولكنى فعلت وتورّطت ، فلا مندوحة لى من الإصرار عليها .

فنظر المدير إلىّ نظرة فيها شىء من الارتياع ، ولا لومَ عليه إذا ظن أنى أطوى

ضلوعى على سرّ خطير أريد أن أفضى إليـه به .

فلم يلبث أن قال : «تفضل» ، ثم قادنى إلى غرفته الخاصـة فدخلنا وأغلق الباب بالمفتاح .

ثم قال : « نحن هنا فى مأمن من كل مقاطعة ، اجلس » .

فجلس وجلست ، وجعل كلّ منا ينظر فى وجه صاحبه ، ولـكن صوتى خاننى .

فعادَ يقول : « أنت أحد رجال الشرطة السرية فيما أظن؟ »

لقد استنتج هـذا من مسلكى الغامض الغريب ، فزاد ذلك فى حيرتى وارتباكى .

فقلت : «كلا . أتريد الحق ؟ إنى لست منهم ، بل ما جئت إلا لأفتح حساباً ، وقد عزمت على أن أودع كلّ مالِى فى هـذا المصرف » .

فسُرّى عن المدير وبان ذلك فى وجهه ، ولـكنه ظلّ وقوراً ساكناً ، فقد خيل إليه الآن أنى شابٌ يسّر الله له أسباباً من الغنى.

ثم قال المدير : « أظن أنه مبلغ كبير »

قلت بصـــوت خفيض : « نعم ، هو ماتقول» ، وكان المبلغ كله فى جيبى: «ويحسن بى أن أودع الآن ٥٦ ريالاً ، ثم أودع على رأس كل شهر ٥٠ ريالا » .

فهب المدير قائماً ، وفتح الباب ، ونادى كاتب الحسابات ، ثم قال له بصوت غريب:

« لقد جاء هـذا السيد يريد أن يفتح عندنا حساباً ، وسـيودع الآن ٥٦ ريالا ! مع السلامة ياسيدى » .

فنهضت من مجلسى ، وإذا بى أرى باباً من الحديد فى ناحية من الغرفة قد فُتِح فقلت :

« مع السلامة ياسيدى »، واجتزت الباب إلى الخزينة .

فلما خرجوا بى ، يممت شطر شباك كاتب الحسابات، ومددت إليه يدى برزمة الأوراق، وفعلت ذلك بسرعة وحدة كأننى حاوٍ من الحواة يصنع بعض حيله .

كان وجهى شاحباً كوجوه الموتى من شدة هذه المحنة المرهقة التى أمرّ بها .

ثم قلت له : « خذه فأودعه » ، وكانت نغمة صوتى توحى بأنى أقول له : « دعنا نفرغ من هـــذه البلوى المضنية بأسرع ما نستطيع » .

فأخذ منى المال ودفعه إلى كاتب آخر ، فأمرنى هذا أن أكتب مقدار المال على ورقة وأوقع بإمضائى فى سجل عنده . ولم أعد بعدئذ أحس بما كنت أصنع ، فقد غام المصرف فى عينى وماج مائجه .

ثم قلت بصـــوت أجوف مضطرب :

« أفرغنا من إيداع المال ؟ »

فقال الكاتب : « نعم » .

فقلت : « إذن فأنا أريد أن أكتب شيكا » .

وكانت نيتى أن أسحب من المال المودع ستة ريالات لقضاء حاجاتى ، وما هو إلا أن امتدت إلىّ يدٌ بدفتر شيكات من بين القضبان ، ثم إذا إنسان آخر قد أخذ يعرفنى كيف يكتب الشيك ، وخيل إلىّ أن الناس الذين حولى قد وقع فى نفوسهم أنى مليونير مخبول العقل.

فكتبت شيئاً لا أدرى ما هو على شيك ودفعته إلى الكاتب ،فنظر فيه ثم قال متعجباً : « ما هذا ؟ تريد أن تسترد المال كله ثانية ؟ »

فعرفت عندئذ أنى كتبت ستة وخمسين ريالا مكان ستة ريالات . لقد سبق السيف العذل ، وأيقنت أنى عاجز كل العجز عن تفسير عملى هذا . وإذا الكتبة جميعاً قد كفّوا وألقوا أقلامهم وأخذوا ينظرون إلىّ . فهجم على اليأس ، فتوكلت على الله وحزمت أمرى كما يتفق :

« نعم – أريد المال كله »

قال الكاتب : « أتريد أن تسحب مالك من المصرف ؟ »

قلت : « نعم — إلى آخر مليم ».

فقال متعجباً : « أعزمت على أن لا تودع بعد اليوم شيئاً ؟ » .

قلت : « كلا ، لن أودع ما حييت » .

وطافت برأسى فكرة حمقاء خيلت لى أنهم سوف يظنون أنى لقيت منهم شيئاً ساءنى وأنا أكتب الشيك ، فلذلك غيرت رأيى ، وبذلت جُهد الجاهد حتى أبدو فى عيونهم كأنى إنسان حديد الطبع مجنون الغضب ، ولكن ذهب كل جهدى سدًى .

واستعدّ الكاتب لدفع المال إلى . ثم قال : « كيف تريده ؟ »

قلت : « ماذا تقول ؟ »

قال : « كيف تريده ؟ »

قلت : « آه » فقد أدركت ماذا يعنى، ثم قلت له دون أن أفكر : « أريده أوراقاً من فئة خمسين ريالاً »

فأعطانى ورقة من فئة الخمسين وقال : « والبقية كيف تريدها ؟ »

قلت : « كما تريد » وأخذت المال وانطلقت خارجاً .

فلما انصفق الباب الكبير بعد خروجى ، خُيل إلى أنى أسمع صدَى الضحكات تتردد فى جوانب المصرف . ولست ألوم من كان فى المصرف ، ولكنى ظللت زمناً طويلا وأنا أتلوَّى من هول تلك الذكرى ، ومن هول ما نزل بى حين لقيت مدير المصرف .

واليوم أصبح ما بينى وبين المصارف عامراً بيد أنى لا أكاد أطأ عتبة المصرف بعد أن أقبض على زمام عقلى بيد من حديد .

كشفت شركة كبيرة أن فى نفس العامل سراً ، هو الطريق إلى الإنتاج الوفير والسلام فى المصانع .

ماذا يحفز العامل إلى العمل ؟

ستيوارت تشيس

هذا بحث لم يزل دائراً بين عمال المصانع منذ ست عشرة سنة ، وهو من أروع البحوث وأعظمها شأناً ، وقد تولته شركة « وسترن إلكتريك » فى مصنع لها قرب مدينة شيكاغو . ولو ظفر مديرو المصانع، كبيرها وصغيرها ، بما أسفر عنه هذا البحث فى فهم العلاقات بين العمال وأعمالهم ، لحدث انقلاب فى الصناعة لا يقوَّم بمال .

وقد قضى خبراء الكفاية فى الإنتاج الصناعى زمناً طويلاً وهم يحاولون أن يستطلعوا خير ما يفضى إلى أقصى الإنتاج كل يوم ، من عدد ساعات العمل وأساليبه ، والأحوال التى يتم فيها . وقد كشف الباحثون فى هذا المصنع شيئاً أعظم خطراً من ساعات العمل وأجوره وأحواله ، وهو شىء زاد الإنتاج دون أن يتأثر بأى تغيير طرأ على أحوال العمل .

وهذا الشىء الخفى منطو فى أعماق طبائع البشر ، لم يعثر عليه خبراء التعب والإجهاد ، وتجاوزه الرجال الذين يحاسبون العمال على الثوانى من ساعات العمل . وقد كان يهجس فى نفوس مديرى المصانع أن هناك شيئاً ، ولكنهم لم يعرفوا ما هو ، فحاولت شركة « وسترن إلكتريك » أن تستكشفه .

وعمال هذه الشركة ، عدتهم ٣٠ ألفاً من ستين أمة مختلفة ، وهى تصنع معدات لأجهزة التلفون ، وقد كان دأبها أن تساير التقدم الصناعى والاجتماعى ، فلها نظم لمنح المعاشات ، ومكافآت للعمال فى أيام المرض ، ولها مجلس يتولى تدبير كل مايضمن سلامة العامل ، وصناديق للتوفير ، وأندية للهو العمال ورياضتهم ، ومع ذلك كانت أسباب النزاع تمزق أحشاء هذه الشركة فى أيام الرخاء التى أعقبت نهاية الحرب العالمية الأولى .

وفى سنة ١٩٢٤ أقدمت هذه الشركة على دراسة تأثير الضوء فى العمل . وكان الرأى أن الإنتاج يزداد إذا كان الضوء أقوى وأبهى ، فاختار الباحثون جماعتين من العمال ، فكانت الجماعة الأولى تقوم بعملها فى ضوء ثابت من قدر معين ، وأما الثانية فكانت

تقوم بعملها فى ضوء أقوى ، فإذا إنتاجها قد زاد . وهذا ماكان الباحثون يتوقعونه .

ولكن إنتاج الجماعة الأولى ازداد أيضاً دون أن تزداد قوة الضوء عندهم مقدار شمعة واحدة ، فكان هذا أمراً يحير الألباب . بيد أنهم لم يلبثوا حتى وقعوا على نتائج أخرى أشد تحييراً للألباب، فقد جعلوا ضوء الجماعة الثانيــة أضعف من ضوء الجماعة الأولى ، فازداد إنتاجها ! وازداد أيضاً إنتاج الجماعة الأولى . رباه ماهذا الأمر العجيب !

وجعل الباحثون يتلمسون الجواب تلمساً، فصاروا يتولون بالبحث الدقيق ناحيــة بعد ناحيــة من أحوال العمل ، حتى صارت مهمتهم بحثاً علمياً دقيقاً ، وحتى صار يعاونهم فيه رجال من معهد الصناعة فى ماساشوستس وجامعة هارفرد ، ومؤسسة روكفلر ، ولما ينته بعد . وقد وضع كتاب فى وصف هذه البحوث جعل عنوانه « الإدارة والعامل » ، فوصفته مجلة « مشكلات الموظفين » فقالت: « إنه أتم بحث فى العلاقات الصناعية نشر حتى يومنا هذا » .

وقد جاء فى أثر تجربة الضوء مشروع ضخم عقد الباحثون عليه أملهم فى أن يعينهم على فهم سر المسألة الأصيلة — عدا بعض المسائل الصغيرة — مسألة : ماذا يحفز العامل إلى العمل ؟

فاختاروا جماعة من ست فتيات عاملات يتولين تجميع أجزاء جهــاز من أجهزة التلفون ، بل إنهم اختاروا فتاتين ، وطلبوا إليهما أن تختارا أربع فتيات من صويحباتهما فى العمل — وهذا أمر كان له أثر عظيم تكشفت عنه التجربة فيما بعد . وهذا الجهاز صغير الحجم مؤلف من أربعين جزءاً . وكانت مهمة الفتيات أن يأخذن هــــذه الأجزاء من طبق أمامهن ، ثم يركبنها ، وهو عمل يصح أن يتخذ مثالا لأعمال الصناعة فى عصر الآلات .

وقد جلست الفتيات الستُّ على مقعــد واحد طويل فى حجرة خاصــة ، وكانت أصابعهن الخفيفة لا تعرف السكون ، فلا تمر دقيقة أو نحوها حتى تكون الفتاة الواحدة قد أتمت جهازاً واحداً ، فتلقيــه فى وعاء خاص، فتتولى آلة صغيرة إحصاء مايتمُّ صنعه. وظلت هذه الآلة خمس سنوات تحصى بغير انقطاع ما يتمُّ صنعه ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ، وأسبوعاً بعد أسبوع .

وكان فى الحجرة رجل يمثل جماعة الباحثين ، وكانت مهمتــه أن يتبين ماقد يحدث من حادث يستوقف الاهتمام ، وكان عليه أن يكون للفتيات صديقهن ومستشارهن. فيبين لهن البواعث على التجربة ، وأساليبها، ويطلب منهن إبداء مايعنّ لهن من آراء

وملاحظات ، ويستمع إلى شكواهن .

وكان الرأى أن تنصرف الفتيات إلى العمل كما عهدنه فى سابق الأيام ، وأن تُحصى الأجهزة التى يصنعنها ، فتتم لجماعة البحث معرفة المقدار الأساسى الذى تستطيع الفتاة أن تصنعه من هذه الأجهزة ، ثم أن يدخلوا على العمل وجوهاً من التغيير ، وجهاً بعد وجه. فإذا أفضى التغيير الواحد إلى نقص عدد الأجهزة ، فهو تغيير فاسد ، أما إذا ما أفضى إلى زيادة عدد الأجهزة فهو تغيير صالح مجدٍ ، فيعمم فى جميع أقسام المصنع . وهذا شىء واضح لامراء فيه !

بيد أن الحيرة التى أخذت الباحثين ساعة اطلعوا على نتائج هذه التجربة ، فاقت حيرتهم ساعة اطلعوا على نتائج تجربة الضوء . وقد جعلوا يسألون أنفسهم لِمَ لا تفعل الفتيات الست ما ينتظر منهن أن يفعلن ؟ ومرت الأشهر والسنون ، فازداد الأمر غموضاً ، ولكن العلماء علماء ، فمضوا فى التجربة لا يلوون على شىء ، وهم يسجلون مايحدث تسجيلا دقيقاً ، سواء أأدركوا سره أم لم يدركوه .

وقد دامت هذه التجربة زمناً جعلوه على فترات ، كل فترة تتفاوت من أربعة أسابيع إلى اثنى عشر أسبوعاً .

ففى الفترتين الأوليين كانت أحوال العمل كما عهدت : ٤٨ ساعة فى الأسبوع ، ومنها أيام السبت . فكان يجرى العمل كل يوم ٨ ساعات متوالية بغير توقف ، وكانت الفتاة الواحدة تصنع ٢٤٠٠ جهاز فى الأسبوع .

أما الفترة الثالثة فقد جعل الأجر فيها على أساس عدد الأجهزة التى تصنعها الجماعة ، فزاد الإنتاج وهو شىء متوقع .

وفى الفترة الرابعة أتيح للفتيات أن يتوقفن مرتين عن العمل للراحة ، كل مرة خمس دقائق ، فزاد الإنتاج أيضاً .

وفى الخامسة زيدت مدة الراحة مرتين إلى عشر دقائق ، فزاد الإنتاج زيادة كبيرة .

وفى السادسة جعلت مرات الراحة ستاً ، وكل منها خمس دقائق، فقلّ الإنتاج قليلا . وقد شكت الفتيات أن تعدُّد أوقات الراحة يقطع عليهن انتظام العمل .

وفى السابعة جعلت أوقات الراحة مرتين، قدِّم فى إحداهما للفتيات بعض الطعام على حساب الشركة ، فزاد الإنتاج .

وفى الثامنة كانت أحوال العمل كمثلها فى السابعة ، غير أن الفتيات انصرفن فى الساعة الرابعة والنصف مساء بدلا من الخامسة ، فزاد الإنتاج زيادة كبيرة .

وفى التاسعة ، جعل زمن الانصراف فى الساعة الرابعة ، فظل الإنتاج كما هو فى الثامنة .

وفى العاشرة عادوا فجعلوا زمن الانصراف فى الساعة الخامسة . أفَتَّ ذلك فى عضد الفتيات لأنهن خسرن ساعة من ساعات النهار كنّ خليقات أن ينصرفن فيها إلى الراحة أو اللهو ، كلا — فقد زاد إنتاجهن زيادة عظيمة . فازدادت حيرة الباحثين ، وصارت الآراء التى بنوها على نتائج الفترات الأولى تتهاوى بين أيديهم . فثمة قوة خفية لم ينفذوا إليها تزيد الإنتاج . فجعلوا العمل فى الفترة الحادية عشرة خمسة أيام فى الأسبوع (عطلة فى يومى السبت والأحد) فظلّ مستوى الإنتاج كما كان فى العاشرة ، ومن ثمّ تأهبوا للامتحان الأعظم .

ففى الفترة الثانية عشرة ، حرموا الفتيات كل تحسين أدخل على أحوال العمل فى أثناء الفترات السابقة جميعاً ، وعادت الفتيات يعملن كما كن يعملن فى الفترة الثالثة — ٤٨ ساعة ، بغير وقت للراحة فى النهار وبغير طعام يقدّم لهنّ على حساب الشركة . ولو صحّ ما أخذ به رجال الإدارة فى المصانع ، لكان هذا الرجوع عن تحسين أحوال العمل خليقاً أن يسحق نفوس الفتيات ويقلّل ما ينتجنه من الأجهزة . ولكن بدلا من ذلك قفز الإنتاج إلى أعلى مستوى بلغه فى التجربة كلّها ، إذ بلغ ما أنتجته كلُّ فتاة ٣٠٠٠ جهاز فى الأسبوع .

فزادت حيرة الباحثين واشتدت دهشتهم ، فقد كانوا يظنون أنهم عادوا بالفتيات إلى « أحوال العمل المعهودة » ، ولكنهم تبينوا أن تلك الأحوال قد زالت إلى الأبد . فقد طرأ على التجربة عامل خفىٌّ غيَّر التجربة ذاتها ، وهذه الجماعة من الفتيات هى غير الجماعة التى بدأوا التجربة بها .

وهذا العامل الخفىّ لم يكن فى ناحية الإنتاج من عمل المصنع ، بل فى ناحيته الإنسانية ، فقد تغير نظر العاملات إلى عملهن . ذلك بأنه لما سعى رجال البحث إلى العاملات يسألونهن المعاونة والمعونة ، جعلوا العاملات يشعرنَ بأن لهن شأناً عظيما ، فتغيرت نظرتهن إلى العمل ، فبعد أن كانت كلُّ فتاة تعدُّ نفسها قطعةً من آلة كبيرة ، صارت تحسُّ أنها واحدة من جماعة متآلفة ، همُّها أن تعين الشركة على حلّ مشكلة . فهذا مكان يشعرن فيه بالاطمئنان والاستقرار ، وهذه جماعة يشعرنَ أنها جماعتهن ، وهذا عمل يدركن غرضه إدراكا بيِّناً ، فصار إنتاجهن أسرع وأحسن مما كان فى سابق أيامهنّ .

والمصنع يؤدى مهمتين خطيرتين : الأولى اقتصادية هى إنتاج البضائع ، والثانية اجتماعية هى أن يتيح لعماله وعاملاته ما يرضى نفوسهم . وقد انصرف معظم البحث الذى تولاه خبراء الإنتاج من قبل إلى المهمة الاقتصادية ، وقلّما

اهتموا بالمهمة الاجتماعية ، حتى كانت تجربة مصنع « وسترن إلكتريك » فأثبتت أنه لا يسعك أن تفصل إحدى المهمتين عن الأخرى . فإذا كانت المهمة الاجتماعية مضطربة ، فلن يجديك فى زيادة الإنتاج أن تتوسل بما فى نواحى الدنيا كلها من وسائل تزيد كفاية العامل فى عمله .

فلما تمّ هذا الكشف ، اتضحت نتائج التجربة السالفة فى الضوء . فقد أحسّ أعضاء الجماعتين فى تجربة الضوء أنّ لهم شأناً خطيراً ، فازداد إنتاجهما بصرف النظر عن قوة الضوء أو ضعفه .

وقد أسفرت تجربة الفتيات فى صنع أجهزة التلفون ، عن نتائج أخرى . فقد ثبت من البحث الطبي فى فترات معيّنة أن الفتيات لا يلحقهنّ إعياء تتجمع آثاره فى أبدانهن ، وأنهن كنّ يعملنَ غير مرهقات . فإذا أضناهن سير العمل على وتيرة واحدة مملة ، فاهتمام كل واحدة بجماعتها كان خليقاً أن يقضى على هذا الشعور . وقد قل تغيبهن ، بل صرن متلهفات على الحضور .

وكان لكل عاملة أسلوبها الخاص فى تجميع أجزاء الجهاز ، ولاتتهيّبُ أن تحدث بعض التعديل فى الأسلوب المألوف ، وعلى قدر ذكاء العاملة يزداد التعديل ، وهذا كفيل أن يجعلها تهتم بما تعمل . فمن الخير لخبراء الإنتاج أن يتجنبوا ما يقتل هذا الاهتمام .

وكانت جماعة الفتيات تروح وتجىء كما تشاء ، وتتحدث كما تشاء ، لاتقيّد حركاتهن وسكناتهن عينُ مشرف صارم ، فألفين أنفسهن يستمتعن بما يفعلن وجاهرن بذلك ، وقلن إنهن شعرن كأن ليس لهن رئيسٌ يهيمن عليهنّ .

بيد أن الشعور بالحرية كان مقترناً بالشعور بالتبعة ، فصرن يأخذن أنفسهنّ بنظام دقيق ، وصرن يعملن كأنهن جماعة واحدة ، فإذا تخلّفت إحداهنّ عن الإنتاج لتعبٍ أصابها ، ساعدتها صاحباتها على عملها . وعمدن إلى الاجتماع فى حفلات خارج المصنع ، وكنّ يختلفن فى الحين بعد الحين ، ولكنهن كنّ يشعرنَ فى قرارة نفوسهنّ أنهنّ أعضاء عصبة واحدة . فهذه آصرة كالآصرة بين أبناء القبيلة الواحدة ، قضت عليها الصناعة الحديثة أو كادت .

ولا يذهبنّ بك الظنُّ إلى أنّ الباحثين حكموا بعد هذه التجارب ، بأن ساعات العمل وأجورهُ ، وفترات الراحة ، وقوة الضوء أمور لاشأن لها فى الإنتاج ، ولكنهم وجدوا أنه إذا تمّ العمل فى أحوال مؤاتية دون إرهاق ، فشعور العامل أعظم شأناً من عدد ساعات العمل .

وقد أجريت تجارب أخرى دقيقة فعززت هذا الرأي: ليس شعور العامل أهمّ من عدد ساعات العمل وحسب ، بل هو في كثير من الأحيان أهم شأناً من الأجور . بل وجدوا أن اهتمام العامل بالنسبة بين أجره وأجور أصحابه من العمال ، أعظم من اهتمامه بأجره هو. والعامل يسخط سخطاً شديداً، ولو كان عالى الأجر ، إذا وجد عاملا أقل منه كفاية وأعلى منه أجراً، وسوف يتبين بعض مديرى المصانع أن العوامل الاقتصادية وحدها ليست أقوى العوامل أثراً في نفس العامل .

وأحسّ رجال البحث أنهم عثروا في نتائج هـذه التجربة على كنز فعزموا أن يجربوا تجربة ضخمة جريئة تشمل ٢١ ألف عامل ، وأن يسألوهم أن يصارحوهم بما يشكون منه وما رأيهم في عملهم ، وفى أحواله ، وفى رؤسائهم ، وفى الشركة نفسها .

وذهب الرجال يقابلون العمال ، والنساء يقابلن العاملات ، وكانوا يعتمدون في أول الأمر على أسئلة محضرة، فإذا انحرف العامل فى جوابه عن موضوع السؤال ردّوه إليه ، ولكنه لا يلبث حتى ينحرف ثانية وثالثة . وإذن فهناك فى نفسه شيء يريد أن يبوح به ، وقد يكون هذا الشيء تافهاً فى نظر الناس ، ولكنه شيء خطير في نظره هو . وهـذا هو ما يطلبه رجال البحث. فطرحت الأسئلة المحضرة ، وسمح لكل عامل أن يقول ما يريد: هذا المشرف كذا وكذا ، وتلك الفتاة فيها كيت وكيت . وقد تكون الشكوى من وفرة الدخان في حجرة ، أو من متاعب يلقاها فى البيت . ومهما يكن حديث العامل أو العاملة تافهاً فى ظاهره ، كان الإصغاء إليه والاهتمام به على أتمّ ما يكون .

فلما انطلقت نفوس العمال على هذا النحو ، شعروا براحة عجيبة . قال أحدهم : « خير راحة أن أزحزح هذا الثقل عن صدرى» ، وقال آخر: «هذا خير عمل صنعته الشركة» ، وقال ثالث : « ما كان يخطر لى أن أذهب إلى مكتب المدير فأبوح بما بحت به إليك» .

فلما نفّس العمال عن صدورهم ، حدث أمر غريب : صاروا يثنون على تحسينات جاءت من المصنع دون أن تصنع الشركة تحسيناً ما، ولقد صاروا يرون الطعام فى المطعم أفضل مما كان ، والرئيس أدمث أخلاقاً مما كان . وكان كل ذلك وهما من الأوهام ، فالتغير الذى تمّ إنما كان فى نظرتهم إلى العمل فيوم بثوا ما كان فى نفوسهم من شكوى متراكمة ، نظروا فرأوا الدنيا أحسن وأبهى.

ولعلّ أعجب ما أسفر عنه هذا التحول فى نظرة العمال إلى عملهم، أن العمال صاروا يشعرون بأن لهم آراء نفيسة فى إدارة الشركة وكيف ينبغى أن تكون . وكانت الشركة

تستمع إليهم ، فغدوا يحسّون بأن لهم فى الشركة منزلة ، فصاروا أصدقاء للشركة لاخصوماً لها .

وكان لهذه المقابلات أثر فى نفوس المشرفين على العمال ، فاهتمام الشركة بالتجربة أقنعهم بأنها تهتم بالعمال من حيث هم ناس من الناس وبعد أن اطلعوا على آراء العمال وملاحظاتهم صاروا يعاملونهم كأنهم رجال ونساء ، لامجرد وحدات للإنتاج كالآلات .

وترى اليوم شركة «وسترن إلكتريك» قد أنشأت نظاماً من المستشارين لعمالها ، وثمة مستشار واحد لكل ٣٠٠ عامل ، والحديث بين العامل ومستشاره يستغرق نحو ساعة ونصف ساعة ، وما يقال فيه سرٌّ مكتوم بينهما ، ومديرو الشركة لايطلعون إلا على الشكاوى ، وأما أسماء مقدميها فلا تعرف. ولا تفرض المقابلة على أحد ، ولكن قلَّ من يعترض عليها من العمال، فالصلة بين العامل ومستشاره ، كمثل الصلة بين المريض وطبيبه، فعلى المستشار أن يستكشف متاعب العمال وشكاواهم وما يفضى إلى نقص إنتاجهم أو فتور نفوسهم ، ثم يسعى جاهداً ليزيل ما يتبينه .

وأنت إذا نظرت إلى حقيقة نفس العامل ؛ وجدت دافعاً قويا يستحثه أن يكون فى بيئة يضرب فيها بجذوره، ويحس أنه من أبنائها، وأن له فيها عملا نافعاً ، وأن يدرك غرض هذا العمل ، ويشعر بأنه رجل ذو شأن فى إنجازه ، فإذا لم يفعل فترت عنه نفسه ، وتراكمت فيها الشكوى على الشكوى . وما الشعور بالضنى والتعب والملل ، سوى أثر من آثار هذه الخيبة التى تمنَى بها النفس ، وليست سبباً لها . وقد طال إهمال رجال الصناعة لمهمتها الاجتماعية ، فجنوا من ذلك إضراباً ، وضعفاً فى الإنتاج ، وتبذيراً فى قدرة العمال على العمل .

ولو تدبرت مآل هذا الرأى، لتركك التدبّر محيراً مشدوهاً من عِظَم ما يُرجَى منه .

على ألسنة الحيوان

قالوا : عيّر ثعلب لَبُؤة بأنها إنما تلد فى عمرها كله شبلا واحداً ، فقالت له : « نعم ! إلا أنه أسدٌ » .

قالوا : وقف جدىٌ على سطح، فمرّ به ذئبٌ، فأقبل الجدى على الذئب يشتمه، فقال له الذئب : « لست أنت الذى تشتمنى ، إنما يشتمنى الموضع الذى أنت فيه » .

موزار
عبقرية في طفل

دونالد كلروس پيتي



« آخر حفلة .. ! وسيعزف الطفل الذي لم يبلغ السابعة على البيان والكمان ، ويرافق السمفونيات على البيـــان ، وقد غطيت مفاتيحه فكأنما يرى المفاتيح . وسيعين الأصوات عن بعد سواء أكانت مفردة أم مركبة . ويرتجل الألحان على البيان والأرغن مارغب السامعون في ذلك . ثمن التذكرة نصف تيلر » .

العبارة التي نشرت في صحيفة ألمانية

بهذه في سنة ١٧٦٣ كان الإعلان عن ولفجانج أماديوس موزار الموسيقي العبقري الذي لم يعرف العالم مثله في روحه العالمية — كأنما كان فلتة تتشهى العيون رؤيتها ، وكان بين المستمعين صبي آخر في الرابعة عشرة هو جوته ، وقد كتب له الخلود أيضاً . وقد ظل بعد ذلك بسنين يتذكر تلك الصورة البعيدة الوضَّاءة لذلك الموسيقي الصغير المرح الوجه ، الذي كان يعدو إلى مقعده أمام البيان في بزة بديعة مضحكة من الحرير البنفسجي ، وشعر مستعار أبيض ، ومعـــه سيف صغير ، ثم يقبل بقلبه على عزف النغمات الأخاذة .

أوتي الغلام موزار ، منذ ولد ، حسًّا مطلقـــاً ، وموسيقية منزهة عن العيب ، وإدراكا طبيعياً للتناسق ، فجاء إلى هذه الدنيا بموهبة كاملة لا تعليل لها ، فبدأ وهو في الرابعة يتعلم العزف على الكلافير وهي آلة تشبه البيان الحديث ، وفي الخامسة أخذ كماناً وراح يصاحب أباه وصديقاً له في عزف ستة ألحان ثلاثية النغمات وهو ينظر إلى العلامات .

قرأ هذا الغلام العلامات الموسيقية وكتبها قبل أن يقرأ الحروف ويكتبها . وله أصوات يرجع عهدها إلى العام السادس من عمره ، وتستطيع أن تعرف من مستهلها أنها من موسيقي موزار لا غيره . وهي رشيقة محكمة ، وفيها حياة نابضة ودقة وشجاعة ، فهي نتاج منشيء فذ وروح عظيم .

وكانت أصابعه وعقله سواء في المواهب . ففي العاشرة أذهل هذا الصبي الهولنديين بأن عزف عزفاً رائعاً على أكبر أرغن وأعقده في العالم . وفي الرابعة عشرة ذهبوا به

ليسمع فرقة الترتيل فى الفاتيكان تغنى قطعة « الميزيرير » الطويلة الصعبـــة ، وكانوا يعدونها من الأسرار ، حتى لقد نهوا المغنين أن ينقلوا نسختها وإلا عوقبوا بالحرمان . فحفظ الفتى كل نغمة ، ولما عاد إلى البيت دوّن القطعة كلها من ذاكرته ، ولما سمعها مرة ثانية أمضّه أنه أخطأ فى ثلاثة مواضع. وبدلا من الحرمان أنعم عليه البابا برتبة فارس من فرسان المهماز الذهبى .

وكان والد هذه الأعجوبة، ليوبولد موزار، وهو عازف كمان من الطبقة الثانية ومعلم من الطبقة الأولى فى سالزبرج بالنمسا ، وكان يجل عبقرية فتاه ، ولكنه مع ذلك استغلها، فحمل الفتى وأخته — وهى عازفة بيان موهوبة — وذهب يطوّف بهما فى أوربة . وقد عزف الطفلان أمام حكام فرنسا وبريطانيا والأسرة الإمبراطورية فى النمســا ، حيث زلت بالفتى رجـله على بلاط القصر فورم جبينه ، ولاطفته فتاة أعانته على النهوض على قدميه فعرض عليها ،على سبيل الشكر ، أن يتزوجها حين يكبران ، ولكن القدر كان قد أعدّ مصيراً آخر لمارى أنطوانيت، فقد صارت زوجة لويس السادس عشر !

ولم تكن المركبات المكركرة والطرق الموحلة، والفنادق الزرية ، والساعات الطويلة الشاقة لتستنفد مرح الصبى أو تفتّر روحه . وكثيراً ما كان الســامعون لفرط طربهم يأبون أن يغادروا مقاعدهم ، فيمضى الصبى السّمح فى العزف وكأنما ضُرب عليه سحره ويبتكر صوتا بعد صوت ، وتنحدر النغمات واحدة بعـد الأخرى كأنها شآبيب الربيع ترقص قطراتها على الأزاهير، إلى أن يضطر أبوه إلى أن يأمره بالكف، فيغدق السادة والســيدات على الصبى الثنــاء والتصفيق والألطاف . وما من شىء من هذا استطاع أن يفقد الصبى ما فطر عليه من الرقة والدماثة.

على أن دخل هذه الرحلات كان يجىء دائما دون النفقات ، لأن المستمعين من علية القوم كانوا يدفعون عيناً — علب نشوق ومشابك أحذية وحلى زهيدة . وكان أبوه موزار يتقبل كل هــذا بانحناء ، ويحمل الطفلين ليكسبا عشاءهما بالعزف فى مكان آخر.

وكان الأب هو المعلم الوحيد للفتى ، فإن ابنه لم يذهب قط إلى مدرسة ولـكنه عكف مسروراً على كل ضروب العلم ، وكان علم الحساب يفتنه على وجه الخصوص ، فـكان يكتب الأرقام على الموائد والجدران مسحوراً بعلم يستطيع أن يؤدى الجواب الصحيح الوحيد الذى لا يعتوره نقص. وهذا سر قد يبين لنا كيف جاءت موسيقاه صحيحة كاملة مرضية للنفس أتم الرضى . غير أن موزار سعيد ،

ورقيق، وودود أيضاً، فهو محبب إلى القلوب كموسيقاه التى ترتاح النفوس إلى سماعها.

كان الناس فى زمان موزار يرون أن بعض أصواته « مسرفة فى الجدّة والتقدم والسبق »، أما فى آذاننا فإنه يخيل إلينا حين نسمع قطعة له أننا كنا نعرفها ونحبها طول حياتنا. والسبب فى هذا هو أن موزار كان له تأثير عميق فى موسيقى العصور التالية. وقد كان بيتهوفن دائم الدرس له، وأثنى عليه هايدن ثناء خالصاً بأن قلده، وأشرب شوبان روحه وكان مما قاله وهو فى سياق الموت: « اعزفوا موسيقى موزار لذكراى »، أما ڤاجنر المتكبر فقد أحنى له رأسه، وتستطيع أن ترد كثيراً من الروح المرحة فى موسيقى الفالز لشتراوس، وكثيراً من أغانى شوبير العظيمة، إلى ينبوع موزار الصافى.

وكانت الأغانى تنبثق من أطراف أصابعه انبثاقاً، وكان يجلس فى مركبة مرتجة وينقر بأصابعه على ركبته، وديباجة وجهه مشرقة حتى يتم صوغ الصوت فى رأسه، فيدوّنه على رقعة من الورق. وفى الرابعة عشرة من عمره أخرجت أحدث أوبرا له فى ميلان تحت إشرافه، وعزفتها أكبر فرقة فى أوربة. وفى الخامسة عشرة كان قد ألف أربع عشرة سمفونية وست أوبرات قصيرة.

وفيما بين الخامسة عشرة والحادية والعشرين غزا أصعب ميدان للتأليف الموسيقى من الوجهة الفنية، حيث يكون مجرد الخطو فيه مدعاة للمقارنة بينه وبين أساتذة الموسيقى السابقين، فأثبت عندئذ أنه أستاذ لهم جميعاً. وكانت مواهبه كأنها نجم جديد مندفع هاوٍ إلى الأرض يزداد كل عام إشراقاً ونوراً. وكان العدل يقتضى أن يولى أسمى منصب موسيقى يستطيع إمبراطور النمسا جوزيف الثانى أن يمنحه إياه، ولكنه لقى بدلا من ذلك إهمالاً وزراية من الإمبراطور الذى خشى مأجوروه الأنذال موهبة موزار العظيمة وغاروا منها، فراح منافسوه يحولون دون عزف آثاره وإخراجها، أو يرشون العازفين ليفسدوها، ولم يكن هناك حقوق للتأليف تحمى المؤلف، فمتى اشتهرت قطعة من الموسيقى فإن فى الوسع عزفها بغير قيد، بل أن تنسب إلى رجل آخر.

وكان الضمان الوحيد للمؤلف هو أن يلحقه بلاط أو رجل ثرى بخدمته، وقد نال موزار وظيفة كهذه مرتبها ٦٧ ريالا فى السنة! عند رئيس أساقفة سالزبرج، فكان يأكل مع الخدم، وكان الأسقف يعتقد أنه بإهانته يرغمه على القناعة بما نال، فاستقال واستقر فى ڤينا وصار فناناً حرًّا.

ولما مات الموسيقار الشهير كريستوف

فون جلوك ، خلفه موزار على وظيفته — «مؤلف البلاط» ، ولكن بما لا يكاد يجاوز نصف مرتب فون جلوك ، ومع ذلك حمدالله على هذا وسُرَّ به ، لأنه كان قد اندفع فتزوج وهو صغير ، ولأن الأطفال كانوا يجيئون تباعاً .

وكانت زوجته كونستانز ويبر ، إحدى فتيات أربع جميلات في أسرة كل من فيها مولع بالموسيقى . وكانت كونستانز بنتاً ضحوكا في الثالثة عشرة من عمرها حين رآها موزار أول مرة — أو على الأصح حين تخطاها بعينه إلى أختها ألويزيا التي كانت بنت خمس عشرة سنة ، وكان قوامها فاتنــاً وصوتها جميــلا ، ووعدته ألويزيا أن تنتظره حتى يذهب إلى باريس في طلب الثراء ، فلما عاد خائباً كانت هي قد أدركت مناها في دار الأوبرا . وقد سئلت بعد ذلك بزمان طويل لماذا انصرفت عن موزار ، فقالت معترفة : « خيل إليّ أنه رجل لن يكون له شأن » .

والتقطت كونستانز أشلاء قلبه المحطم ، فتزوجا على الرغم من غضب « أبيه » وعدم صفحه . وكانت « ستانزى » شقراء صغيرة حسنة الصوت ، وخير رفيقة للتنزه في غابات فيينا ، ولــكنه ينقصها قدرة الزوجــة على تدبير المنزل . وكان موزار يرى شجو هذه الفتاة المرحــة وقد نشبت فيها أظافر الفقر والحمل والوضع ، فراح يبذّر المال وينفقه على الألطاف الصغيرة ، ليردّ إلى محياها ابتسامة الجذل اللاهى الذى استهواه . وشر من ذلك أن صحتها كانت ضعيفــة ، وكانت ولادتها غليظة العذاب ، وقد مات خمسة من أولادها السبعة في حداثتهم .

وكانت متاعب موزار من الكثرة بحيث كانت حقيقة أن تغرى أى موسيقار آخر بتأليف الأصوات المحزنة ، ولــكنه لم يضمّن قط موسيقاه شيئاً من الأسى والنكد والمذلة التى لقيها في حياته . فــكان ، كلما ازدادت أحواله سوءاً ، يصب شجاعته في فنه ، ولم تكن شجاعته كئيبة بل مرحة كشدو الطير .

ولــكى يؤدى ما عليه للجزار ويصرف المحضر (الذى كان يزوره مراراً ويخرج بقطع شتى من الأثاث) ، راح موزار يقيم حفلة بعد حفلة ، وكان يؤلف قطعة جديدة لــكل واحدة ، وكثيراً ما كان ينتهى من وضعها في آخر لحظة ، وقد صاغ طائفة من أعظم ألحانه في بضعة أيام ليس إلا .

وكان من العسير على موزار أحيانا أن يجد في شتاء فيينا المشهورة برطوبتها ، ما يحتاج إليه من الدفء للعمل ، وقد زاره بعضهم مرة فألفاه هو وامرأته يرقصــان طرباً ، فالأمر كله فــكاهة ، ولــكن الحقيقة هى أن البرد كاد يقتلهما ، فانطلقا يتحركان بغير وعى ،

وقد أسرع صديقهما فخرج وجاءهما بوقود.

ولكن الصديق الذى يعدُّ العالم مدينا له بالفضل أكثر من غيره ، كان تاجراً اسمه بوشبرج، وكان لايفتأ يقرض موزار مبالغ صغيرة من المال كلما تقطعت به الأسباب . وإنا لنقرأ رسائل موزار التى يتوسل فيها إلى صديقه أن ينجده ، فيتلهب سخطنا إذ نتبين أن هذا العبقرى المشرق اضطر أن يهوى إلى وهدة ذل السؤال .

وفى براج — على الأقل — فهم الناس موزار فى حياته وهاموا به . ولما دعى إليها ليدير الأوبرا المرحة التى وضعها « زواج فيجارو »،وكانت قد قوبلت بفتور فى فيينا، وجد أنه ما من شىء يدندن به الناس فى الشوارع سوى فيجارو ، ووضع وهو هناك سمفونية براج الجميلة ، وما لبث أن عاد إلى براج ليؤلف أوبرا خاصة لهذه المدينة التى تعشق الموسيقى .

وقد كان ذلك من أطيب أوقات موزار وكونستانز حين رحلا فوق الجبال إلى عاصمة بوهيميا البهيجة ، حيث عكف موزار على وضع « دون جيوفانى » التى توصف بأنها « الأوبرا الكاملة » . وكان دابونتى الشاعر الذى نظم لها الشعر ، صعلوكا مرحاً يسكن على الجانب الآخر من الشارع الذى فيه بيت موزار ، وكان ربما أطل أحدهما من النافذة وصاح بالآخر يدعوه إلى المجىء وسماع بضع صفحات جديدة ، وربما أدخلا السرور على قلوب براج كلها ، إذ يراهما الناس يخطران معا فى الشارع ويغنيان للحانة من أجل زجاجة من النبيذ .

وكان المعجبون بموزار يحتفلون به ويولمون له فى كل مكان ، وبلغ من كثرة ذلك أن ضاق وقته . وفى اليوم السابق لعرض الأوبرا ، كان استهلالها لم يوضع بعد، وأضيئت الأنوار فى المسرح ، وحينئذ فقط أعطى رجال الفرقة العلامات المدونة فعزفوا ألحانها المثيرة دون تدريب سابق .

ولم يسبق قط أن تناولت الموسيقى موضوعاً فكاهياًعلى هذا النحو البارع الممتع ، على أن أوبرا « دون جيوفانى » مأساة أيضاً ، وقد تبدى فيها موزار كاتباًذا اقتدار شيطانى ومواهب مسرحية جليلة ، فطالت ساعات الموسيقى الثلاث حتى صارت ستًّا من كثرة التصفيق والاستعادة . وأنقذ الدخل صاحب المسرح من الإفلاس، ولكن المؤلف لم يأخذ إلا مبلغاً يسيراً كان متفقاً عليه .

وكان نجم حياته القصيرة يبدو كأنه يزداد سرعةوتوهجاً وهو منطلق إلى الظلام الأبدى. وتعدُّ سمفونياته التسع الأخيرة — التى لم يعزف بعضها فى حياته — جديرة بمثل المنزلة التى تبوأها سمفونيات بيتهوفن التسع .

وكثيراً ما يقول بعضهم عن موزار بلهجة الاستخفاف إنه ظريف ، لأنهم لا يعرفون إلا أغانيه الصغيرة التى يشدو بها الأطفال ، ولكنك لا تستطيع أن تستمع إلى موسيقاه كلها دون أن تفطن إلى مبلغ عمقه .

وفى العام الخامس والثلاثين من عمره ، وعلى الرغم من مرضه الشديد فى فيينا ، ألف الأوبرا المشهورة «الناى السحرى» ، وهى حافلة بالأغانى الرائعة ، وأخرجها مخرج على عجل فى مسرح مرتجل ، فذاع أمرها ، واحتشدت فيينا كلها تستمع إليها ، وأصاب المخرج من المال ما يسر له بناء مسرح جديد ، ولكن موزار كان قد ألح عليه المرض فلم يشهد إخراجها ، فكان ينظر إلى ساعته وهو طريح ويقول : « الآن يرفع الستار» ، « الآن يجتازون النار سالمين على صوت الناى السحرى »

وقبل ذلك ببضعة شهور زار موزار رجل غريب جهم الوجه خوله سيده ، على ما قال ، أن يكلف موزار بتأليف موسيقى لجنازة تصلح لأصوات الذكور والإناث إكراماً لزوجته ، وأبى الزائر أن يذكر اسم سيده ، والمعروف الآن أن هذا السيد هو الكونت فالسيج ، وأنه كان مولعاً بتكليف رجال الموسيقى أن يضعوا له الأصوات سراً ، ثم ينتحلها لتعرف بعد ذلك باسمه

وقد حالت موانع كثيرة بين موزار وتسليم القطعة ، وكان الرسول يجىء من حين إلى حين ليستعجل المؤلف ، وأصبح موزار يهذى فى مرضه ويتخيل أن هذا الرسول قادم من العالم الآخر ، وأن هذه الموسيقى ستعزف فى جنازته هو نفسه ، فحاول كالمحموم أن يتمها . وقد جاءت مخيفة فى قوتها وسبرها لأعمق أغوار الحزن والندم ، وتقصيها لأبعد آفاق اللهفة الإنسانية على الخلود ، وختامها إعراب عن الإيمان الصريح المكين . وحف به على سرير موته صفوة إخوانه ، فارتسمت على شفتيه أنغام النفخ فى الصور يوم القيامة ، كما صورها فى موسيقى الجنازة

واجتمع نفر من الأصدقاء فى جو مظلم مؤذن بعاصفة ليحضروا صلاة قصيرة على جثمان موزار ، ولما خرجوا يشيعونه إلى المقبرة أومض البرق وهطل المطر وعصفت الرياح ، فكروا راجعين ومضت المركبة بالنعش بلا رفيق . وفى حفرة بين عظام العيارين والمومسات ، سوى التراب على الهيكل الذى سكنته أعذب روح موسيقية ظهرت على وجه الأرض .

وانتصر موزار على الغبن والمرض والدين والموت نفسه ، فإن رده على كل ما كان زريًّا أو مروعاً لا يزال ينضح بنشوة الحياة.

هبات كريمة لا تكلفك مالا .

ليس لزاما أن تكون غنيا

كورين أبدجراف ولز

مختصرة من مجلة " دى روتيريان "

بعتقد كثير من الناس اعتقاداً راسخاً أن لاخيرَ إلا فيما يبذلونه من حُرّ أموالهم ، وذلك أشبه بالفكرة القديمة التى تقول إن الدواء إذا لم يكن كريه الطعم فهو دواء لاخير فيه . وأعلم الناس بحقيقة هذا الأمر هم الذين يحبون فعل الخيرات ولكنهم لايجدون ماينفقون. فهم يستغلون ما آتاهم الله من البراعة، فإذا هم يجدون أساليب غيرمألوفة تتيح لهم أن يَسْعدوا هم ويُسعِدوا سواهم.

نخُذْ الوقت مثلا : فقليل من وقتك تبذله قد يكون ثروة فى عيون بعض الناس. وقد كان لى صديقة اسمها « ب » ، فذهبت إلى إحدى جاراتها ، وكانت أماً أثقلتها أعباء البيت ، فقدمت إليها هدية ، وكانت الهدية أن تتولى عنها العمل بعد ظهر الثلاثاء من كل أسبوع مدة ٤٨ أسبوعاً ، فكانت تحلّ محل الأمّ التى لا تستطيع أن تستأجر من يعينها، والتى لاتجد فرصة للراحة والاستجمام. فكانت ترفو للصغار جواربهم ، وتحكى لهم الحكايات ، على حين تخرج الأم فتستمتع ما شاءت بتلك الساعات من كل أسبوع .

وهذا شيخ متقاعد أحزنه أن لايجد مالاً يهبه لأحد ملاعب الصغار فى قريته . فاقترحت عليه زوجته الذكية أن يقضى الصباح كله فى الملعب يعلم الصغار كيف يصنعون الطيارات والزوارق من الورق . فكانت معونته على نجاح الملعب كمعونة الواهبين من أموالهم .

والمهارة أيضاً هبة كريمة توهب. ولايكاد يخلو أحد منا من مقدرة أو مهارة تنمو على الإنفاق والبذل . فهذه امرأة نَصَف كانت حاذقة فى العمل بإبرتها ، وكانت تقيم فى مثوى (بنسيون) ينزله بعض الشبان ، وكانت تتولى تقديم الطعام لهم . فلما كان يوم عيد من الأعياد أهدت إلى كل شاب منهم بطاقة ذكرت فيها أنها فى بحر هذه السنة سوف تتولى له رفو ثيابه وجواربه وتثبيت أزرار ملابسه . فهذه الأمومة التى فاض بها قلبها ودفعتها إلى استخدام ما هى حاذقة فيه ، حوّل المثوى إلى بيت تسكن النفس إليه.

ورب بذل مألوف ينقلب بذلاً له أكبر شأن . فهذه امرأة فقيرة لم يكن لها مهارة

في شيء إلا في صنع الخبز، فإذا كان يوم السبت اختارت هذه المرأة أشهى رغيف وأطراه في فرنها، ومضت به لتتركه في منزل أصاب أهله مرض أو ضيق أو حاجة . وبذلك أفاضت على هذه الدنيا الموحشة شيئاً من السعادة .

وكان في ولايتنا خطٌّ حديدي بعيد عن العمران ، فاعتاد عمال القطارات التي تمرّ عليه أن يلقوا ببعض الصحف والمجلات إلى العمال الذين يتولون إضاءة أنوار الإشارة على طول الخط صيفاً وشتاء وفي وقدة الحرّ وزمهرير البرد . وكان سبب ذلك أن حديثاً جرى بين مفتش القطار وأحد المسافرين ، فقال له المسافر : إن ترك جريدة للعامل الشيخ الذي تعدّى الثمانين من عمره ، والذي يعيش في ذلك المكان وحيداً ، قد تدخل أعظم السرور على قلبه .

والشيء الذي يستحق عندك أنت أن ينبذ قد يكون لغيرك ذخيرة نفيسة. فهذا طبيبُ أسنان قد وجد أن لكل مايستغنى عنه من أدواته نفعاً لجماعة من الطلبة المولعين بالأعمال الميكانيكية ، فترى اليوم عشرة منهم ينتفعون بها أيما انتفاع في ورشة أقاموها .

وصاحب السيارة خليق بأن يجد في سيارته معيناً من الخير لاينضب . ففي السيارة مكان فسيح لايحتاج المرء إليه، وقلما يتنبه إلى قيمته عند من لاسيارة له أو من لايستطيع أن يسوق سيارة . فأدرك ذلك فتى غنيٌّ هو وامرأته فأخذا يخرجان بعد ظهر السبت فيأخذان في سيارتهما بعض الناقهين إلى نزهة في الريف . وتقول امرأته : « عند الأغنياء شيء سوى المال يستطيعون أن يبذلوه للناس، إذا هم تنبهوا وفتحوا أعينهم له » .

ويخطىء كثير من الناس فيظنّ أن أهل اليسار لا يقدّرون الهدايا الصغيرة حق قدرها. بيد أن أمثال هذه الهدايا إذا قدمت بإخلاص ومودة ، وبلا طمع في جزاء ، كان موقعها في نفوس الأغنياء أعظم منه في نفوس الفقراء ، فإن البذل الصادر من القلب هو أحد الأشياء التي يعجز المالُ عن شرائها .

وقد اعترف لي رجل شيخٌ شحيح بأنه لم يجد لهدية من الفرح كالذي وجده حين أهدى إليه ابن سائق سيارته طبقاً شهياً من السمك الغض . ولي صديقة تستطيع أن تشترى بمالها بستاناً من الأزاهير ، ولكنها تغتبط أعظم اغتباط بوردة جميلة يتركها لها كلّ صباح رجلٌ من خدمها يوم كانت فتاة صغيرة .

أجل إنه ليس لزاما أن تكون غنياً حتى تكون كريماً ، فأكثر الناس أغنياء بما يحوزون من أشياء تيسر لهم أن يكونوا كرماء. والفقير المدْقِع يستطيع أن يصنع من الإحسان مثل الذي يصنعه الأمير الماجد ، إذا كان قلبه منطوياً على الكرم الحقّ .

يشهد الذين وافتهم المنية والذين أشفقوا على الموت ثم نجوا ، بأن آخر لحظات الحياة خلو من تباريح الآلام .

ليس في الموت ما يخاف

لستر هوارد برى

مدير تحرير مجلة " بنسلفانيا الطبية "

سوف يبلغ الكتاب أجله يوماً فتموت ، فإذا كنت كمثلنا جميعاً ، فأكبر الظن أنك تخاف أن تموت ، لاعتقادك أن الموت كريه . فإن كان ذلك فأنت مخطيء .

فالموت ليس كريهاً ، والمرء منا يأخذه الموت أخذاً رفيقاً كما أخذته سنة النوم مئات من المرات . وحسبك أن تعلم أن الموت خلو من الألم . هكذا يقول الأطباء ، وهكذا يقول من شارفوا غمرات الموت ، وهكذا يقول الراحلون وهم في سكرات الموت ، وهكذا يقول من مات ثم ارتد حياً ، (وقد كان ذلك) .

وليس ذلك إنكاراً لما يسبق الموت من آلام ، كلا فإن الحشرجة البطيئة التي تصحب التهاب الرئة ، والفهقة الخانقة التي تكون في الغرق ، وكل الآلام التي تأتي مع الأمراض القاتلة والجروح المهلكة ، إنما هي شطر من الحياة لا من الموت . والجسم إذا ظل يجاهد متشبثاً بالحياة ، فقد تعتريه بعض الأوجاع المبرحة . والحق هو أن تلك العبارة المخوفة المألوفة التي طال سماعنا لها : « فلان يكابد غصص الموت » قد ملأت قلوب أكثرنا رعباً حتى اعتقد رأياً باطلا ، هو أن آخر أيامنا في الحياة الدنيا وأول عهدنا بالآخرة لا بد أن يكون كريهاً بشعاً .

ولتسمع شهادة طبيب إنجليزي من أقدر الأطباء ، هو السير جيمس جودهرت ، وقد حرص أيام كان في أحد المستشفيات الكبيرة على أن يشهد احتضار كل مريض غشيته سكرة الموت . وقد انتهى إلى رأى هذا مؤداه : « ليس في الموت ما يفزع من حضرته الوفاة . فإن الحجاب الفاصل بين الدنيا والآخرة لا يعدو أن يكون غمامة رقيقة يخترقها المرء وهو لا يكاد يشعر » .

وقد أيد هذا الرأى بعض الأطباء الممتازين ، كالسير بنيامين برودى ، والسير وليم أوسلر . ويقول الدكتور ألفرد وُستر الأستاذ بجامعة هارفرد سابقاً : « الموت سهل دائماً في آخره » . والسرطان مثلا من أشد الأمراض تبريحاً في آخر أيامه ، فاسمع ما يقوله

الدكتور هرسلى ، وهو من أشهر المتخصصين فى السرطان : « إن الموت نفسه لا يصحبه شيء من الألم أو من الأوجاع التى يحس بها المرء إحساساً صحيحاً » .

ومن أعظم الحقائق التى تسرّى عن المرء هى هذه الحقيقة : « إن الملمات التى يرهبها المرء أشد رهبة وهو يتوقعها ، تفقد دائماً أكثر هولها إذا نزلت » . وهذا حق أيضاً فى أمر الموت ، فهو إذا دنا ، دنا رفيقاً .

ومنذ خمس عشرة سنة حدث فى فندق بمدينة بوسطن أن كان رجل فيّاض العافية والبشر يلقى محاضرة فوقع مغشياً عليـه ، فلما ألحّ عليه نزْف أحشائه قالوا له إن أمله فى الحياة أوهن من بيت العنكبوت ، وكان ذلك الرجُل هو إرْفـنْ كُبْ من كبار الصحفيين والكتاب. فقال يذكر يومه ذلك : « وأخيراً عرفتُ أننى بلغتُ الحد الفاصل بين الموت والحياة ، وعندئذ بدأت قواى تخُورُ ، وكان ذلك شعوراً آتياً من طبيعة البدن ، فأحسست أنى أهوى هويًّا بطيئاً رفيقاً هيناً فى ظلمات قد أطبقت على . وكان فى هذه الظلمات شيء يُفَـرِّجُ عـنّى بل يُغرينى . فلو أنا أسلمت نفسى إليها جملة واحدة لاسترحتُ .. ولكنى سلمتُ أمرى لله غير مبالٍ بحياةٍ أو موتٍ .

« وأُطبقت علىّ الظلمات قبل أن يهجس فى نفسى هاجس يقول : « لو رضيت بالرحيل الآن فإنى لجبان إذن ، لأنى سوف أخلف ورائى أشـياء لم أنجزها بعد » . وجعلت أنتشـل نفسى من الغمرة رويداً رويداً وبجهد شديد . فقد كنت أجاهد فى سبيل البقاء .

« ومن الناس من يقشعر قلبه رُعْبـاً إذا ذكر الموت ، فإلى أمثـال هؤلاء أقول عن تجربة ، بعد أن خُضْتُ تخوم البرزخ القائم بين الموت والحياة ، إننا سوف نلقى الموت بلا رهبة ولا كرب ، وبلا ضجر ولا اشمئزاز ، وبلا عذاب يبرح بالجسم أو بالعقل . بل سنتبين حين نلقاه أنه تحوّل مصحوب بالراحة والأمن ، تحوّل سرمدى يتم على أرفق وجه وأرحمه » .

ويحدثنا بروس برتن ، وهو كاتب مشهور ، عن تجربة كهذه . فقد كان فى أحد المستشفيات رجل كهل مثقف ، برّح به التهاب الرئة وأظله الموت بظله ، حتى أشفى على الموت ومن حوله بعض الممرضات والأطباء ، وقد أمسكوا يديه كأنما يرجون أن يستنقذوه من مزالق الموت ، فلم يستطع أحد منهم أن يتبين أحىٌّ هو أم ميت . ثم انقشعت غمامة الموت ، وعاش الرجل .

فقال بروس برتن لهذا الرجل بعد زمن : « لقد قال الأطباء يومئذ إنك كنت على شفا

الهاوية ، فكيف كنت تجد نفسك ؟ وماذا ساور قلبك ؟ »

فقال : « لا شىء البتة ! فما كنت أبالى أمتُّ أم حييت . وكل ما وجدته هو أنى مُتْعبٌ أشد التعب ، فكنت أقول لنفسى : الآن أستطيع أن أنام » .

وهؤلاء الذين ذكرنا قد نجوا من الموت ليقصوا علينا مالقوا — فماذا وجد الذين ذهبوا فلم يعودوا ؟ وقد تولى جماعة من العلماء دراسة « الكلمات الأخيرة » التى نطق بها ١٢٢٩ إنساناً من أماثل الناس ، فكان فى كل ٦٠ كلمة ، كلمة واحدة يمكن أن يقال إنها تدلُّ على شعور بالخوف أو بالألم ، أما الكلمات الباقية ، وعدتها ٥٩ كلمة ، فكانت كلمات مختلفة متدرجة مابين قلة المبالاة إلى النشوة .

وقد ذكر الدكتور إدوارد هاموند كلارك فى كتابه « رؤًى » دراسة عجيبة للمشاعر التى تساور قلوب الذى جاء أجلهم . فمن ذلك أنه اتفق مع أحد مرضاه أن يذكر له ما يجده حين تغشاه سكرة الموت ، فاتفقا على أسلوب من الإشارات بالأصابع حتى يستطيع أن يجيب عن الأسئلة التى يلقيها عليه حين لا يطيق كلاماً بلسانه أو إيماء برأسه . فلما أخذته غشية الموت ظلّ يشير بأن « لا » على السؤال الذى لم يزل يكرره الدكتور وهو : « هل تحس بآلام مبرّحة ؟ »

ويقول الدكتور كارل : إن الموت لا ينزل دفعة واحدة ، فللموت مرحلتان : الموت العامّ أو موت المخلوق ، والموت الخاص أو موت الأعضاء . فالموت العام يأتى مع آخر خفقة من خفقات قلب الحى ، وعندئذ يبطل عمل الوظائف الرئيسية فى الجسم ، وتنطفىء شخصية الحى ، ولكن كل عضو من الأعضاء يموت وحده وعلى حياله . فالعقل يموت فى بضع دقائق ، وأما الكلية فربما عاشت بعد ذلك ساعة أو أكثر .

والدكتور كارل يسمى المرحلة الأولى : « موت الرَّجعة » وذلك لأن الحياة يمكن أن ترتجع أو تستردّ بالوسائل السريعة الناجعة إذا كانت الأعضاء الرئيسية سليمة لم يفتك بها مرض . أما المرحلة الثانية فهو يسميها « الموت البائن » أى الذى لا رَجْعة فيه . فهذا مثلا غريق قد انتشل من الماء وهو فى غيبوبة ، وهذا سائق سيارة وجد منكفئاً على عجلة القيادة وأبواب الجراج مغلقة عليه وآلة السيارة دائرة . فيأتى الدكتور فلا يحسُّ نبضاً ولا يتبينُ تنفساً ، فيرسل فى طلب نسَّامة (جهاز للتنفس) وتمضى الدقائق سراعاً ، فإذا الحياة قد عادت إليهما .

فبناء على رأى الدكتور كارل يكون هذا الحىُّ الصريع قد مات — مات موتاً حقيقياً فيما يتعلق بشعوره وبدنه فى جملته .

وبين الذين يستجيبون لدعوة النسّامة فيحيون ثانية، والذين يستعصي أمرهم فيبقون أمواتاً فرْق ، وذلك أن الأعضاء الرئيسية في الفريق الأول لم تتلف بعد .

وماذا يقول أولئك الذين استنقذوا من موت الغرق؟ تراهم يقولون دائماً إنهم لم يقاسوا تعباً مبرّحاً قطّ بعد المجاهدة الأولى في سبيل النجاة ، فإن ذلك الكرْب المطبق ينقشع وتأتي بعده راحة كغفوة النائم . وقد كتب أحد الذين نجوا بعد الغرق، وهو جرانت آلن الكاتب الإنجليزي المشهور فقال :

« لقد علمتُ واستقرّ في نفسي أني مارستُ الموت مرّة ، فكان لذلك أكبر الأثر في قلة مبالاتي به . والموت كالنّوْم خلوٌ من الألم . ولا يجد المرء في الموت ألماً تضيق به النفس ، بل الألم الذي يلقاه هو فيما يسبقه من مجاهدة ومن شعور بدنُوّه ، ومع ذلك فهذا الألم نفسه أقلّ مما يحس به المرء حين تكسر له ساقٌ أو يُخلعُ منهُ ضرسٌ . ولم أشعر بدبيب الخوف في نفسي » .

والعلم الصحيح يفسر لنا ما نلقاه عند ساعة الموت : فسبب ما نلقاه فيه هو أثر الانحلال الذي يدب في الأعضاء . وكل خفْقة تكون أضعف من التي سبقتها في قدرتها على دفع الدم في عروق البدن ، فإذا ما اطّرد ضعف ضغط الدم خامرت المخّ سكينة وراحة مرجعها إلى تخدير لطيف مَرَدّه إلى نضوب معين نشاط البدن . فإن تلك الموجة العارمة من النشاط البشري قد أخذت تنحسر كالجزْر مرتدّة إلى خضمّ الحياة العامة وانسربت إلى أعماق بعيدة عن عبابه الصاخب ! وعندئذ يسترخي بدن الحي ويستقبل أروَع أحداث الحياة بنفس مطمئنة —

كالمرء يستغشي ليغفوَ آملاً
سِنَةً تُريه لذائذَ الأحلامِ

كان دوماس الروائي الفرنسيّ على فراش الموت ، وكان خادمه الأمين في زاوية الغرفة ينتحب كالطفل ، فالتفت إليه دوماس بعينين نشر عليهما الموت غلالته وقال بصوت فيه حشرجة الموت : « لا تبك يا صاحبي ، فإذا احتجت إليك في الحياة الآخرة طلبتك » .

[كتاب « الفصاحة الحديثة »]

« ليس بين الصغار طفل فاسد لا يمكن إصلاحه »

غلام صعب المراس

فلتون أورسلر

في ليلة من ليالى الشتاء ، قرع جرس التلفون البعيد المدى فى قرية أمريكية ذاعت شهرتها فى جميع أرجاء الأرض باسم « مدينة الصبيان » فدار الحديث التالى :

« فلانجان ؟ أنا مدير الشرطة هوزى . أعندكم مكان لصبى آخر يأتيكم عاجلاً ؟ »

« أين هو الآن ؟ »

« فى السجن . إنه غلام فاسد شكس شديد المراس ، فقد سرق مصرفاً ، وسطا على ثلاثة متاجر مرهباً الناس بمسدس فى يده » .

« كم عمره ؟ »

« ثمانى سنوات ونصف » .

وإذا فلانجان الأزرق العينين ، النحيل الوجه يقول كالمستغرب : « ماذا ؟ »

فقال مدير البوليس : « لا تغرنّك حداثة سنه ، فهو ما وصفت لك وأكثر . أترضى أن تتولى أمره عنّا ؟ »

وقد مضت سنوات وفلانجان يتولى أمر الأحداث المهملين ، عن المجتمع المحيّر فى أمرهم ، وقد كانوا أحداثاً من شتى الأعمار والأجناس والمذاهب .

فقال : « إذا عجزت عن أن أصلح عوج غلام فى الثامنة بعد هذا الزمن الطويل ، فخير لى أن أنفض يدى من هذا العمل . جئنى به » .

وبعد ثلاثة أيام وصل مدير الشرطة هوزى وزوجته إلى مكتب فلانجان ، ومعهما السجين — صبىٌّ فى وجهه شحوب غير



نسى الناس اسم أبيه ، فهم لا ينادونه إلا باسم « إدى »

طبيعى ، وتحت إبطه صرّة . وقد وقف بحذاء المكتب ، فلم يكد رأسه يبدو فوق سطحه ، وكان أشعث الشعر تتهدل خُصل منه فوق وجهه النحيل ، وكانت عيناه الشهلاوان العابستان كأنهما مغمضتان تحت أهدابهما الطويلة السود ، وكان فى فمه لفافة أمالها على جانب منه ، وقال مدير الشرطة : « لاتلق بالا إلى هذه اللفافة ، فلم يكن لنا بدٌّ من أن نرشوه باللفائف » .

وألقت زوجة مدير الشرطة ظرفاً كبيراً على المكتب ، وقالت : « هذا تقرير عنه ، ومع ذلك فإنه لايحوى سوى نصف ماينبغى ، فهذا الصبي المجرم الذى لايصلح لشىء ، غير جدير بأية معونة . وأنا أرى أنه ليس بشراً . فوداعاً ياصاحبي، وأتمنى لك التوفيق،فلا أمل فى إصلاحه إلا بتوفيق من الله » .

وفلانجان رجل تنطوى جوانحه على حب الله وحب خلقه ، ولاسيما الأحداث منهم ، فصعّد بصره فى هذا الشيطان الخبيث وصوّبه، فخطر له أنه لم يَرَ فى حياته فتىً مثله اجتمع فيه مايضحك ومايبكى فى وقت واحد .

وأشار بيده إلى ضيفه الصغير أن يجلس ، وأخذ يقرأ التقرير ، فوجد أن الناس قد نسوا اسم أبيه ، فهو لا يُعرف بينهم إلا باسم « إدى » ، وقد ولد في حيٍّ من أحياء الفقراء والمساكين قرب الميناء ، وفقد أمه وأباه فى وباء من الأنفلونزا فشا بين الناس قبل أن يبلغ الرابعة من العمر ، فصاروا يتناقلونه من بيت إلى بيت فى ذلك الحىّ ، فعاش كأنه حيوان مشرّد .

وقد أرهفت الشدائد دهاءه وإرادته ، فما بلغ الثامنة حتى صار زعيم عصابة من الصبيان ، وكان عمر بعضهم ضعف عمره . وتدرب على أيدى المشردين الأقوياء فى جيرته ، فمالبث إدى حتى صار أسبق منهم إلى الجرائم الصغيرة التى يدبّر أمرها أحكم تدبير .

وقبل أن يلقى القبض عليه بستة أشهر تحداه عضو جديد فى عصابته ، قال : « إنك لاتصنع شيئاً بيديك، فأنت لست زعيماً » . فقال إدى :

« سوف ترى ، سأصنع شيئاً لن تجرؤ أنت على مثله ، سأسطو على مصرف » .

كان المصرف فى دار قديمة ، فلما كان ميعاد غداء الكتبة ، دخل إدى المصرف دون أن يراه أحد ، وعبر البهو إلى شباك صراف ، وقد اضطر لصغره أن يقف على أطراف أصابعه ومدّ يده القذرة فأخذ رزمة من أوراق النقد وأخفاها فى سترته ، ثم عاد إلى عصابته ، واقتسم هو وأعضاؤها ما أخذ وهو ٢٠٠ ريال ، ولكن ما صنع لم يقع وقعه المرجو فى نفوسهم ، فقد أخفى رجال المصرف نبأ السرقة ، فلم تطنطن بها الصحف .

وسخر منه أعضاء العصابة فقالوا : « إنما تريد أن تستغفلنا ، لقد وجدت هذا المال فى مكانٍ مّا » .

فما كان من إدى إلا أن اختفى عن أبصار أصحابه بضعة أيام ، وكان أحدهم قد باعه مسدساً ، فخرج إلى الحقول يتدرب على الرماية .

فلما فعل فعلته التالية ، حفلت الصحف بأخباره ؛ فقد دخل مطعماً فى ساعة يقل فيها رواده ، وسدد مسدسه إلى الصراف ، فأعطاه مادخل خزانته فى ذلك اليوم . وأتبع ذلك سطواً على دكان خياط فانتزع منه المال الذى فى جيبه ، ثم زار حانوت سيدة عجوز تبيع الحلوى .

فلما رأت العجوز فوهة المسدس صاحت به : « ألق مافى يدك قبل أن تؤدى نفسك » . وضربت المسدس بيدها فسقط ، وتشبثت بشعر الفتى حتى لايفلت ، فصارعها صراعاً عنيفاً ، فاستغاثت ، فحضر رجال الشرطة على استغاثتها ، وانتهت بإدى الحال إلى أن صار اليوم فى « مدينة الصبيان »

ألقى فلانجان التقرير من يديه ، وحدق فى هذا الغلام الفاسد الذى كتب عنه التقرير ، فرأى إدى فى الضوء الخابى جالساً لا يتحرك ناكس الرأس ، فتعذر على فلانجان أن يتبين ملامح وجهه العابس الجهم ، وإذا الفتى يخرج ورقة رقيقة من ورق اللفائف وجعبة فيها طباق ، ثم جعل يلفُّ لفافة بيد واحدة ، كما يصنع رعاة البقر فى أفلام السينما ، ثم أشعلها ، ونفخ الدخان على سطح المكتب الذى يفصله عن فلانجان .

وإذا بأهدابه الطويلة المطبقة ترتفع لحظة حتى يأخذ بنظرة مايصنعه الرجل الجالس أمامهُ .

فبدأ فلانجان : « مرحباً بك يا إدى فى هذه المدينة ، وأنت تعلم أن زمام إدارتها فى أيدى الفتيان من سكانها ، فمنهم المحافظ ومنهم أعضاء المجلس البلدى ، ومدير الشرطة » .

فدمدم إدى : « وأين السجن ؟ »

فقال فلانجان : « ليس عندنا سجن . فاذهب إلى الحمام الآن ، ثم نعشّ ، وفى غد تبدأ دراستك . ففى وسعنا ، أنا وأنت ، أن نصير صديقين حميمين — فالأمر بيدك أنت . ورجائى معقود على أن أفسح لك مكاناً فى قلبى يوماً مّا . فأنا واثق أنك فتى كريم النفس »

وإذا جواب الفتى ينطلق كالرصاصة فى كلمة واحدة بذيئة .

وفى نحو الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ، فتح مكتب فلانجان ودخل منه التلميذ الجديد مختالاً ، فقد قص شعره وسرّح

وصــار نقى اللون والإهاب ، ثم ألقى على مكتب الرئيس بمذكرة من أحد المعلمين جاء فيها : « عزيزى فلانجان، لقد سمعناك تقول ألف مرة أن ليس فى الدنيا ولد شرير ، فهل لك أن تقول لنا كيف تصف هــذا الفتى ؟ »

فيمم فلانجان شطر الفصل ، فألفى جوّه ينذرُ بالعاصفة . فوصف له المعلم كيف ظل إدى ساكناً فى مقعده نحو ساعة ، ثم إذا به قد نهض وجعل يختال بين صفى القاعد جيئة وذهاباً، ويتفوه بأبذأ الألفاظ، ويقذف إلى الأرض بكل ماتصل إليه يده من أشياء ، ثم تناول زجاجة حبر وقذفها فأصابت تمثال شيشرون .

وأعاد فلانجان إدى إلى مقعده، واعتذر للمدرس فقال :

« الخطأ خطأى، فإننى لم أنهه عن قذف المحابر ، وستجرى عليه قوانين « مدينــة الصبيان » كما تجرى على غيره منا ، ولكن ينبغى له أن يعرف أولا ماهى هذه القوانين ، وينبغى لنا أن لاننسى أن إدى فتى كريم النفس »

فصاح إدى : « كريم كلهيب النار ! »

وقد امتنع الفتى عن توثيق أواصر الودّ مع أحد من الفتيان أو المعلمين ، بيــد أنه حرص على أن يختص الأب فلانجان بأقذع أوصافه ، فقال عنه إنه — « أستاذ ملعون » .

وكان ينفق وقت فراغه وهو يجوس متلصصاً يبحث عن فرصة تتيح له أن يفرّ . وأقام مترفعاً عن مشاركة سائر الفتيان فى ألعاب الرياضة أو الــكرة ، وكان يتمتم فى وصفها « هى لعب الأطفال » ، ونفر من فرقة الموسيقى ومن العمل فى الحقل ، ولم يره أحد خلال الأشهر الستة الأولى يذرف دمعة أو يبتسم ابتسامة واحــدة . وسرعان ما صار سكان « مدينــة الصبيان » يتساءلون : « ترى هل لــقى فلانجان ندّه الذى لا يعنو لسلطانه ؟ »

وسأل فلانجان المدرّسات : « ترى أيتعلم هذا الفتى شيئاً فى الفصول ؟ » فقلن : « إنه أخذ يتعلم الحروف الأبجدية ، والحقيقة أنه يتعلم أكثر مما يظهر ، ولكن البغضاء تنهش قلبه » .

لم يكن إدى أول فتى عنيد الطبيعة رآه فلانجان فى حياته ، فقد عرف فتى رمى أباه الذى دأب على ضرب أمه فأرداه قتيلا . فتى قاتل ! نعم ، ولكنه كان قاتلا لأنه كان يحبُّ أمه ، فلما عرف فلانجان ذلك السرّ هان عليه أن يصلح أمر الفتى . وهذا إدى، ولا بدّ أن يكون فى حياته سرٌّ ، ولو عرف لسهل على فلانجان أن يصلح أمرهُ .

فحدث فلانجان نفسه : « لا بدّ لى من أن أضرب صفحاً عن القواعد المتبعة . سأحاول أن أغمر الفتى بالحب والحنان » .

وجعل الفتيان والمدرسون يراقبون خطة فلانجان الجديدة كأنها مباراة بين فريقين من اللاعبين ، وكان فلانجان الفريقَ الذى يؤثرونهُ ويتمنون لهُ التوفيق. وحين ينطلق فلانجان يستعيد ذكريات تلك الأسابيع والأشهر الحافلة بآيات التودُّد إلى الفتى . تراهُ يرتعد ، فما أكثر الأفلام السخيفة التى أخذ الفتى إليها ! وما أكثر الشطائر وقطع الحلوى وأكواب المثلوجات التى اشتراها لهذا الصبى العفريت !

ومع ذلك لم يبد على إدى أبداً أنه يستمتع بما آثرهُ به فلانجان أو خصه به ، وكانا إذا مضيا معاً مع الفجر فى أيام الصيف المعطرة برائحة الصنوبر والزهر ، يراه يسير متثاقلا إلى البحيرة التى يقصدانها لصيد السمك ، فلا يبدو على قسماته ما يشير إلى أنه مغتبط بما يصنع حين تعلق سمكة بشصِّه ، فقد ران على نفسه نفورٌ من كل شىء ، وصار ألوذ بالصمت مما كان .

وقد حدث مرة، قرب نهاية هذه التجربة الخائبة ، ما أشعر الرجل بأن الشقة بينه وبين الفتى قد ضاقت ، فقد بلغا شارعين متقاطعين فى مدينة مزدحمة ،وهمَّا بالعبور، وكان إدى غافلاً عن السيارات المتحركة ، فأقبلت عليه سيارة نقل ضخمة وكادت تدهمه لو لم ينقذه فلانجان ، فتألق نور الشكران لحظة قصيرة فى عينى الفتى ثم أطبقت الأهداب السود مرة أخرى ، ولم يفُهْ بكلمة .

فصار فلانجان ، الرجل الذى يؤمن بأن فى طبيعة البشر خيراً أصيلا ، يعتقد أن فى نفس هذا الفتى فساداً بعيداً عن مناله. وكان أمل الرجل فى إصلاح هذا الفتى قد ضعف حتى كاد يتلاشى ، يوم دخل عليه إدى فى مكتبه فى صباح مونق من فصل الربيع ، وأعلن فى جرأة أنه جاء لكى يحسم هذا الأمر مع فلانجان، وكانت عيناه الشهلاوان تتقدان حنقاً وسخطاً .

فقال : « مازلت تتوسل بكل حيلة لكى تستميلنى ، ولكن حِيَلك لم تنطل علىّ . ولو كنتَ حقاً تطلب لى الخير ، لكنتُ مع ذلك مغفلا لو انقدت لك، وقد كدت أنقاد، ولكننى جعلت أتفكر أمس فى كل ذلك ، واليوم عرفتُ السرَّ » .

كان فى لهجة إدى وقوله معنى الجدّ الصارم والرجولة ، فليس هذا القول قولَ فتى وقح يائس ، فتراءت للرجل شعاعة من رجاء ساعة رأى اختلاجة لطيفة على شفتى الفتى.

وقال إدى : « أنت رجل دجّال »

فقال فلانجان : « إما أن تقيم الدليل على ماتقول ، وإما أن تكفَّ » .

فقال إدى: «إذن خذ الدليل. لقد رفست إحدى المدرِّسات ، فماذا تقول عنى الآن ؟ »

فقال فلانجان : « لا أزال أرى أنك فتى كريم النفس! »

فقال إدى : « إن قولك هذا مصداق لقولى . فأنت لا تكفّ عن ترديد هذه الأكذوبة،وأنت تعلم أنها أكذوبة،أليس هذا دليلا على أنك رجل دجال ؟ »

فجعل الرجل يبتهل فى سرّه ويدعو الله أن يعينه : « هذا هو منطق الفتى، فكيف أردّ عليه ؟ كيف أستطيع أن أقيم له الدليل على ثقتى به . فإما أن أفعل ذلك الآن، وإما أن أعجز إلى الأبد . اللهم ألهمنى أن أقول الكلمة المناسبة » .

ثم تنحنح فلانجان وقال : « أنت يا إدى فتى ذكىّ، وتدرك حقّ الإدراك صحة القول متى قام الدليل عليه ، فمن هو الفتى الكريم النفس ؟ الفتى الكريم هو الفتى المطيع ، أليس ذلك كذلك ؟ »

« نعم . . . »

« هو الفتى الذى يصنع ما يطلبه منه معلموه ؟ »

« نعم . . . »

« كل ماصنعته حتى الآن يا إدى إنما كان دلك ليس إلا . وكلّ مافى الأمر أنك لم تلق سوى أفسد المعلمين ، وهم المتشردون والصعاليك ولكنك أطعتهم،لاريب فى ذلك. وقد صنعت كل عمل فاسد علموك أن تصنعه، فلو كنت تطيع المعلمين الصالحين الذين فى هذه المدينة ،كما كنت تطيع أولئك المعلمين، لكنت نخير الناس » .

هذه الكلمات البسيطة المنطوية على حق لانزاع فيه ، فعلت فى نفس إدى فعل السحر فصرفت عنه الشياطين وطهرت جوّ الحجرة، وإذا هذا اللغز الإنسانى المغلق قد ذُهل أولا ، ثم تألقت عيناهُ الشهلاوان ، فدنا من حافة المكتب حيث سقطت أشعة الشمس، وفى تلك اللحظة أيضاً كانت نفس فلانجان قد استجابت للانقلاب الطارىء على نفس الفتى ، ففتح ذراعيه ، فارتمى الفتى بينهما ثم ألقى وجهه على قلب الرجل وذرف دمعاً سخيناً.

كان ذلك منذ زمن بعيد ، وقد أقام إدى فى « مدينة الصبيان» عشر سنوات . فلما برحها كان فى الطليعة بين أبناء فصله، فانضم إلى « مشاة البحرية » وظفر على الشواطىء الدامية فى المحيط الهادىء بجزاء بسالته ، من ترقيته ثلاث مرّات .

وفلانجان يباهى به اليوم فيقول : « إن صدره مزدان بالأوسمة ، وليس ذلك غريباً، فقد كان شجاعا أىّ شجاع. ولكنه كان أيضاً رجلا يحبّ إخوانه . وهو اليوم شاب كريم الأخلاق ، ولكنه لايزال كما عهدته ، أصلب من عرفت عوداً وأشدّهم مراساً » .

ف ا ستغل تيتو كرم الدول الديمقراطية فى تقوية نظامه الجائر .

إخفاق فى يوغسلافيا

اريك بريدونف

مختصرة من مجلة " أميريكان ميركيورى "

عبأ المرشال تيتو جيشاً تعداده ٦٠٠,٠٠٠ جندى وزوّده بالأسلحة، وألف أيضاً قوة ضخمة من الشرطة السرية ، بغية إقامة حكومة فى يوغسلافيا على غرار حكومة روسيا السوفيتية . فمن أين أتى بالمعدّات التى لاغنى عنها ؟ لاشك فى أنه لم يأت بها من يوغسلافيا المخربة ، بل جاءته عن طريق لجنة الإغاثة والتعمير . والأدلة على ذلك بينة الوضوح ، وقد وقعت أنا نفسى على كثير منها .

فما مقدار المساعدة المادية التى قدمتها لجنة الإغاثة والتعمير إلى يوغسلافيا ؟ لقد صرح المرشال تيتو فى خطبة له فى مؤتمر الشبان الشيوعيين بمدينة زغرب فى يونيه سنة ١٩٤٦ فقال : « نعم ، لقد قدمت إلينا لجنة الاغاثة والتعمير بعض المعونة ، ولكن المعونة الأولى والجوهرية ، قد جاءتنا من حليفتنا العظيمة روسيا السوفيتية » .

ولم أهتد أنا ولا أحد من زملائى فى السفارة الأمريكية إلى دليل على هذه « المعونة الجوهرية » ، ولم نر سوى جيش من الجواسيس الروس والمندوبين السياسيين ، وجنود كانوا يتعيشون بما ينتهبونه من هذه الأرض المخربة ، ويشحنون إلى روسيا معظم ثروتها الاقتصادية .

كان الروس ينقلون المؤن والمعدات من كل مدينة ومزرعة ومصنع ، ثم يشحنون البضائع المصادرة فى الدانوب إلى البحر الأسود . وقد اعتاد حراس قوافل الصنادل أثناء إرسائهم ليلاً على مقربة من القرى أن يسطوا على أهلها وينهبوا ماشيتهم وأنعامهم ودجاجهم . وقد تلقت السفارة الأمريكية شكايات كثيرة عن حوادث النهب هذه ، ولم ترسل حكومة تيتو إلى روسيا فيما أعلم احتجاجاً واحداً ، بل كان نقيض ذلك، فقد

* كان بريدونف من رجال السفارة الأمريكية فى بلغراد ، وكان عمله فيها فحص الشئون الاقتصادية ودراستها .

قيل للناس إنهم مهما بذلوا فكل ما يبذلونه أقل مما تستحقه حليفتهم روسيا من جزاء .

ولما حُررت بلغراد من ربقة النازى لم يتسع وقت القوات الألمانية لإتلاف مقادير عظيمة من الأطعمة المخزونة ، تشتمل على ما يـ ٥٠ ألف مركبة من القمح ، وألفى مركبة من السكر . وقد وضع الروس أيديهم على هذه المقادير الوافرة ، ولم يتركوا شيئاً منها للأهالى . ثم كان من كرمهم أن ردوا إليهم ١٠ فى المئة من القمح ، وأحيط ذلك بدعاية هائلة تبين للشعب اليوغسلافى مبلغ كرم الجيش السوفيتى .

وأكبر من ذلك أن حكومة تيتو عقدت اتفاقات تجارية سرية بينها وبين روسيا السوفيتية ، فباعت لروسيا فى بحر العامين الماضيين جانباً كبيراً مما تنتجه يوغسلافيا من السكر والنبيذ واللحم والزجاج والقنب والجلود ، بأسعار يقول عنها العمال والفلاحون إنها دون تكاليف الإنتاج . وقد تبين لنا أن روسيا كانت تمد يوغوسلافيا فى مقابل ذلك بالثقاب والصابون والمواد الكيميائية والأسلحة ، وكان بعضها مما كانت ترسله أمريكا إلى روسيا بمقتضى قانون الإعارة والتأجير .

فهذه هى « المعونة الجوهرية » التى كان يقدمها الاتحاد السوفيتى إلى الشعب اليوغسلافى ، وهى المعونة التى قال عنها تيتو للشعب إنها تستوجب جزيل شكره .

ولنقارن بين نصيب لجنة الإغاثة والتعمير من معونة يوغسلافيا ، والمعونة التى قدمتها روسيا والتى لا تزيد عن بعثة بعض الموظفين إليها . ففى نهاية سنة ١٩٤٦ بلغ مجموع ما شحنته لجنة الإغاثة والتعمير إلى يوغسلافيا ٢,٠٠٠,٠٠٠ طن ، تبلغ قيمتها ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال .

وقد ذكر الكولونيل مهل سرجيشيك ، وهو روسى يتولى رئاسة اللجنة ، فى تقرير نشرته صحيفة بولتيكا (وهى صحيفة شيوعية كبيرة) فى ٢٠ إبريل سنة ١٩٤٦ أن لجنة الإغاثة والتعمير قد جلبت إلى يوغسلافيا حتى يوم ١٥ إبريل سنة ١٩٤٦ نحو ٩٧٩,٣٣٩ طن من الأغذية ، كان معظمها من القمح واللحم والسكر واللبن والشحم والزيوت .

ومعنى ذلك أن اللجنة أرسلت إلى يوغسلافيا من المؤن مقداراً إذا هو وزّع على كل رجل وامرأة وطفل ، كان نصيب كل منهم فى السنة ١٥٠ رطلا من الغذاء .

ويجب أن يضاف إلى ذلك ٥٨,٨٧٢ رطل من القطن والصوف والأقمشة والملابس ، أى نحو ٩ أرطال من المنسوجات لكل شخص ، أى ما يكفيه أن يتخذ منها سروالين وقميصاً وثلاث حلل كاملة و ٦ أزواج من الجوارب ، ومعطفا وستة مناديل .

وقد وصــل إلى يوغســـلافيا وقتئذ ٨,٥١٨ طناً من الأدوية كما ورد فى التقرير نفسه ، أى ما يكفى لإمداد كل شخص من خمسة عشر مليون نفس ، وهم سـكان يوغسلافيا ، بنحو رطل وربع رطل منها. ويجب أن لا ننسى أيضاً ٢٨ مليون جالون من البنزين ، وسـيارات النقل التى يزيد عـددها على ١٢٠٠٠ سيارة ، ومازنته ٧٥٠٠٠طن من الفحم ، ولا تنس الجرارات وآلات الزراعة والطواحين ومعدات المناجم والسكك الحديدية ، والمقدار العظيم من سائر السلع التى لا غنى عنها . فهذه الأشياء كلها هى التى أشار إليها تيتو محقراً بقوله : «بعض المساعدة من لجنة الإغاثة والتعمير» .

والحقيقة هى أن يوغســلافيا قد تلقت هبات من السلع يبلغ ثمنها أكثر من عشرة أضعاف ميزانيتها قبل الحرب ، أو ما يزيد عن مجموع دخلها القومى فى بحر ثلاثة أعوام . وهكذا نجت يوغسلافيا من الخراب الشامل على رغم ما أصابها من نهب الروس ، بفضل ما أمدتها به لجنة الإغاثة والتعمير من المؤن .

ولنشرح الآن كيف تمكن تيتو من تحويل ما جادت به الدول الديمقراطيـة إلى سلاح ماض عزز نظامه وقواه .

كان أهل يوغسلافيا يعانون فى الشتـاء والربيع من عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ قوارص الجوع والبرد ، وكانت السفن المشحونة بالغذاء والكساء والأدوية راسية فى الموانىء الإيطالية تنتظر إذن تيتو حتى تنقـل إلى يوغسلافيا هذه المؤن ، ولم يأذن تيتو إلا بعد أن ظفر بحق الإشراف على توزيعها ، وطلب أن يرأس اللجنة مندوب سوفيتى ، وبذلك أشرف على اللجنة الكولونيل سرجيشيك ، وهو رجل إدارى حازم ومن المخلصين لستالين .

كان أكثر موظفى اللجنة فى بادىء الأمر من الأمريكيين والبريطانيين ، وكان بينهم أيضاً نفر قليل من الشيوعيين أو من الموالين للشيوعية كانوا يعدون خيراتها ملكاً مباحاً للقوات الروسية .

ولم يكن هؤلاء الرجال يرفضـون قط طلباً لتيتو أو أحد أعوانه .

وكنا إذا رأينا فحص ما تحتاج إليه جماهير الناس من طعام وكساء ردّ سرجيشيك بابتسامة وقال : « مهما يكن من شىء فإن هؤلاء اليوغسلافيين المساكين قد ذاقوا بأساً شديداً ، فينبغى أن نقـدم لهم ما يشاءون بغير تردّد أو تحقيق » ، فكان من العبث أن نذكره بأن روسيا لم ترسل من هـذه المؤن كلها رطلا واحداً .

وقد استقال كثير من الموظفين المقتدرين المهذبين مقتا للعمل ، فسرعان ما كان

سرجيشيك يُحل محلهم موظفين من الروس، وكان الروس يشغلون المناصب الرئيسية فى نقل مؤن اللجنة وتوزيعها فى يوغسلافيا .

ولما جاء مستر هيربرت ليهمان الرئيس العام للجنة الإغاثة والتعمير ليزور يوغسلافيا زيارة استغرقت يومين ، وليتفقّد شئون اللجنة ، ذهبوا به إلى أماكن معينة وقدموه إلى فئة معينة من موظفى اللجنة ، كان يراد له أن لا يرى سواهم .

وقد رفضت حكومة تيتو ، فى السنة التى قضيتها فى يوغسلافيا ، أن تأذن لمفتشى اللجنة أن يعاينـوا مصانع النسيج التى أصلحت أو أعيد إنشاؤها بالمعدات التى قدمتها اللجنة. ولم يؤذن لهم أيضـاً أن يفحصوا منتجات هـذه المصانع التى كانت تنسج من قطن اللجنة وصوفها . ولم تكد المصانع تبدأ عملها حتى أخذ ضباط الجيش اليوغسلافى يخطرون بملابسهم الجديدة فى طرق بلغراد ، على حين كنت ترى سائر الناس فى أسمال بالية .

وليس ثمة شك فى أن الجيش وسلاح الطيران قد أعيدت تعبئتهما فى يوغسلافيا بإمدادات اللجنة ، أما الاثنتا عشرة ألف سيارة من سيارات النقل، وهى التى أرسلتها اللجنة ، فقد حولت عن الغرض المقصود منها (وهو تحسين النقل المدنى) ، واستغلت فى نقل جنود جيش تيتو ومهماته إلى أنحاء البلاد . وكانت أيضاً تستغل كثيراً فى نقل المدنيين ورجال الجيش فى المظاهرات التى كان يدبّر أمرها أنصار المرشال تيتو .

وكان تيتو وضباطه العظام يتنقلون فى سيارات فخمة ، وكان لديهم قدر عظيم من البنزين، وقدر كثير من الفحم يستدفئون به. وأنا أعلم أن معظم هـذه الأشـياء كانت تأتيهم من اللجنة . وقد كان وزير سلوفينيا الشيوعى جاراً لى ، فرأيت ٣٠ طنًّا من فحم اللجنة ، قد نقلت إلى داره فى سيارة نقل من سيارات اللجنة ، زودت ببنزين اللجنة .

وكانت الأدوية التى قدمتها اللجنة أو جمعية الصليب الأحمر إلى أهل يوغسـلافيا تتخذ وسيلة للاضطهاد السياسى ، فالمريض إذا لم يكن هواه مع الحزب ، رفضت عيادات الحكومة بغلظة أن تمنحه أى دواء .

ويعتقد كثير من الناس أن إمدادات لجنة الإغاثة والتعمير كانت تقدم بلا مقابل إلى أبناء الدول المخربة ، ولكن لم يحدث ذلك إلا نادراً ، فقد وافقت اللجنة على بيع هذه المؤن لأبناء البلاد . وكان المفروض أن تباشر الحكومات بيعها بأسعار تعادل تكاليف الإنتاج، وبهذه الوسيلة يدفع الشعب قيمة ما يحصل عليه ، وتظفر الحكومات المفلسـة بالأموال التى تستغلها فى استعادة نشاط الصناعة فى بلادها .

والذى حدث فى يوغسلافيا هو أن الشيوعيين تمكنوا من أن يفعلوا مايشاءون بإمدادات اللجنة ، ولم يكن فى استطاعة الناس أن ينالوا شيئاً منها إلا من أسواق الحكومة الخاضعة لهيمنتها ، فيشترونها بثمن يتراوح ما بين ثلاثة أضعاف ثمنها العادى إلى ثلاثين ضعفاً . وعلى هذا النحو كانوا يبيعون السلع التى ترسلها اللجنة بربح فاحش ، وظفرت حكومة تيتو بأموال كانت كافية لإعداد جيشه وتعزيزه ، حتى ضم إلى صفوفه ثُمنَ الرجال فى يوغسلافيا . وإنه لمن المتعذر على أغنى الدول أن تستبقى مثل هذا الجيش بدون عمل ، غير أن تيتو استطاع ذلك بفضل لجنة الإغاثة والتعمير .

وقد نهب تيتو أهل يوغسلافيا باستغلال حاجتهم إلى إمدادات اللجنة ، فقد أرغمهم على أن ينزلوا له عن ممتلكاتهم وحرياتهم ، حتى يظفروا بما يمسك أرماقهم من غذاء وكساء .

وخلال ذلك شن جيش تيتو ودعاته حملة عنيفة على الدول الديمقراطية ، ولما جأر الناس الجياع بالشكوى من غلاء أسعار الطعام واللباس والدواء قالت صحفه التى تهيمن عليها الحكومة :

« إنها الرأسمالية قاتلها الله ! أليس من الظلم أن يفرض علينا الأمريكيون الأثرياء أن ندفع هذه الأسعار الفاحشة ! »

لقد كان من غفلة الدول الديمقراطية أنها أتاحت لتيتو أن يستغل لجنة الإغاثة والتعمير وينتفع بمواردها فى إنشاء حكومته القائمة على أساس النظام الجامع .

ترى الحقَّ أحياناً غريباً يناضل لكى
يبرز ، وتجده أحياناً مُغْفِياً فى نكتة .

طلب أندرو كارنيجى الغنىُّ المحسن ، من شاب ذاهب ليتلقى العلمَ فى جامعة يينا بألمانيا أن يأتيه بتوقيع عالم الأحياء المشهور إرنست هيكل . فلما تلقى كارنيجى ما طلب ، قرأ البطاقة فإذا هى : « إرنست هيكل يشكر لأندرو كارنيجى المجهر الذى أهداه إلى معمل بحوثُ الأحياء فى جامعة يينا » . فطرب كارنيجى لما فى البطاقة من حسن الطلب وأرسل المجهر .

[معلمة الخطباء]

سلاح مهمل يكافح السل

ألبرت ك. ميزل

مختصرة من مجلة "لبيرتي"

« قصة لقاح لو استعمل من قبل لكان خليقاً أن يمد فى أجل كثير ممن قضوا بالسل ، ولقد ينقذ منذ اليوم ألوفاً من الناس من عدوى هذا المرض »

سلاح ماضٍ فى كفاح السل ولكنه مهمل منذ سنين ، وهو لا يشفى من السل وحسب، بل يقى منه أيضاً ، وقد يكفكف من غوائل هذا الطاعون الأبيض الذى يودى بعدة ألوف من الخلق ، ويعدى مئات الألوف من الناس فى كل عام .

وهو رخيص سهل الاستعمال ، والحقنة الوحيدة اللازمة من هذا اللقاح لا يكلف صنعها أكثر من بضعة قروش، وهو مأمون الأثر ، محمود العواقب فى الحاضر والمستقبل . ومع ذلك فإن هذه الدرع الواقية من السل قد أهملت فى الولايات المتحدة بحجة أنها « تعوزها التجارب الموثوق بها لإثبات نفعها » .

بيد أن الأدلة العلمية المحكمة قد انتهت إلى إثبات نفعه وجدواه .

تبدأ القصة فى سنة ١٩٠٨ يوم اكتشف العالمان الفرنسيان ألبرت كالميت ، وكاميل جيران أن من الممكن تحصين الماشية من السل بحقنها بمقدار ضئيل من مكروباته الضارية . ولكى يجعلا هذا الاكتشاف مأموناً فى تحصين البشر ، كان عليهما أن يكفكفا من ضراوة المكروب دون أن يضيعا قدرته على تنبيه الجسم إلى إحداث المناعة . وبعد تلطيف ضراوة المكروبات خلال ١٣ عاماً ، وفقاً فى النهاية إلى إيجاد فصيلة من مكروبات السل المستأنسة ، أطلقا عليها اسم لقاح كالميت وجيران .

قوبلت هذه الحقنة الجديدة فى أوربة بالتهليل ، ولقح بها فى فرنسا والدنمرك والسويد وسواها ألوف من المواليد الذين ولدتهم أمهات مصابات بالسل ، وكان الحقن فى بحر الأيام العشرة بعد يوم الولادة .

وتجلى أثره الباهر فى النرويج فى عهد الاحتلال النازى ، فإن مصلحة الصحة العامة التى كانت تستعمل لقاح كالميت وجيران فى تحصين الأطفال من السل منذ سنة ١٩٢٧ ، بدأت حملة للتحصين به حتى تدفع بها ما يتوقع من تفشى هذا المرض من أثر الضنك والفاقة ، فلم يزد معدل وفياته بين المحصنين على ١٨ فى المئة من الإصابات بين غير المحصنين .

وطعّم فى الدنمرك عــدد كبير من تلاميذ المدارس خلال الحرب . وثمة خطة لتعميم هذا التطعيم فى المدارس ،سوف يتمّ تنفيذها سنة١٩٤٨ . وقد وجد رجال القسم الطبى فى الجيش الأمريكى فى اليابان أنه ما وافت سنة ١٩٤٣ حتى كان ٥٫٥٥٨٫٠٠٠ من اليابانيين قد طعموا بهذا اللقاح .

واستعمل لقاح كالميت وجيران فى روسيا على نطاق واسع ، فطعم به أكثر من ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ شخص . أما حيث يكثر السل فى بعض البقاع ، فتعطى الحقنة الواقية لجميع المواليد دون استثناء. وقد أصبح لقاح كالميت وجيران يقابل الآن فى إنجلترا بترحيب كبير، حتى قررت وزارة الصحة فى النهاية أن تنشىء معملا لصنعه .

ولقد كان لقاح كالميت وجيران حريا أن يلقى نفس النجاح فى الولايات المتحدة ،لولا حادثة وقعت فى ليو بيك بألمانيا. ففى سنة ١٩٣٠ أعطى الأطباء ٢٥٠ مولوداً ما حسبوه لقاح كالميت وجيران ، فمات ٧٣ منهم فى بحر بضعة أشهر ، ودل التحقيق على أن الطعم المعطى كان ملوثاً بفصيلة من مكروبات السل شديدة الضراوة . فأدرك رجال الطب ،بعد أن ظهرت كل الأدلة القاطعــة ، أن لقاح كالميت وجيران كان بريئاً من دم هــذه الوفيات . فقد حقنوا بهذا اللقاح ملايين من الناس منذ ذلك اليوم ، فلم تُعْزَ وفاة واحدة للقاح كالميت وجيران .

بيد أن أطباء الولايات المتحدة ظلوا يتجنبونه خشية أن يتكرر حادث ليو بيك ، ولأنّ أطبــاء أوربة لم يثبتـوا بالتجارب المضبوطة كفاية اللقاح وتأثيره .

على أن قليلا من أصحاب العقول الجريئة فى الولايات المتحدة قد جربوا لقاح كالميت وجيران ، ولكن ما نشر من نتائج تجاربهم كان عرضــة للنقد على الدوام ، بحجة أن الضوابط ليست وافية تارة ، وأن مدى هذه التجارب قصير تارة أخرى .

فلما كانت سنة ١٩٣٥ بدأ الدكتور جوزيف د . آرنسون ، من معهد هنرى فيبس فى جامعة بنسلفانيا ، يمتحن اللقاح فى بحر ست سـنوات فى ٣٠٠٠ هندى أمريكى من سكان أربع مزارع من مزارع الغرب ، و١٢ قرية فى جنوب شرق ألاسكا كانت جميعها موبوءة بالسل ، واسـتعان بمدير الشئون الهندية ومصلحة الصحة فى الولايات المتحدة ، فبدأ بمزرعة بها فى منطقة الهنود بولاية أريزونا ، فأخذ يدعو الأطفال والشبان من الهنود إلى المدارس ، فينحّى من يجد فيه عرضاً من أعراض السل ،ويطعم الباقين بحقنة واحدة من اللقاح .

وظل آرنسون ومعاونوه يجوسون خلال

مناطق الهنود أربع سنوات ،طعموا خلالها ١٥٥٠ هندياً . وكان ثمة ١٤٥٧ هندياً آخرين خالين من السل ،فأوهموا أنهم حقنوا باللقاح، ولكنهم لم يحقنوا إلا بمحلول بسيط من الملح .

فهذه تجربة محكمة مضبوطة . فهاتان طائفتان من الهنود تعيشان جميعاً في الأكواخ القذرة ، وهما جميعاً عرضة لغوائل السل ، فلو كان لقاح كالميت وجيران عديم الجدوى لتساوت إصابات السل في كلتا الطائفتين .

وأخذ آرنسون ومساعدوه يترددون على تلك المناطق عاما بعد عام ، ويسجلون وفيات السل في كل منها ، فوجدا أنه مات ٢٨ نفساً ممن لم يحقنوا إلا بماء الملح ، على حين أن المطعمين لم يمت منهم بالسل سوى أربعة .

لقد عجز لقاح كالميت وجيران عن وقاية كل المطعمين، ولكن بعد أن تمت الدراسة تبين أن ٤٠ من ١٥٥٠ هندياً مطعماً أصيبوا بالسل، يقابلهم ١٨٥ إصابة في غير المطعمين.

وجاءت الحرب فوقفت تجارب آرنسون في المزارع ، ولكن نتائج تجاربه نشرت في شهر يونيه الماضي ، ونشرت معها في الوقت نفسه نتائج تجربة أخرى لهذا اللقاح، استغرقت خمس سنوات ، قام بها الدكتور ر . ج . فرجسن ، المدير العام لمكافحة السل في ولاية ساسكاتشوان بكندا . وقد أجرى فرجسن تجربته على ممرضات المستشفيات ومصحات السل ، وهن فتيات كن يوم استخدامهن خاليات من المرض، ولكنهن عرضة لعدواه على الدوام . فقسمهن أيضاً إلى طائفتين ، طعمت إحداها ولم تطعم الأخرى ، فكانت إصابات السل في الطائفة الأخيرة أربعة أضعافها في الأولى .

ومثل هذه التجارب في قوة الدلالة ، تجارب الدكتور جوزيف أ . بودوين من مصلحة الصحة العامة بمونتريال في كندا، فقد استعمل الدكتور بودوين في تجاربه أطفالا يعيشون تحت سقف واحد وفي حي فقير مع مسلولين يدل بصاقهم على وجود مكروبات المرض . وبدأ تجاربه منذ سنة ١٩٢٦ ، فطعم طائفة اختارها كما يتفق له من أطفال كل أسرة موبوءة بالسل، وأعفى طائفة من التطعيم .

ثم أخذ يراقب هؤلاء الأطفال على مر السنين ، فأيدت أرقامه النتائج الدقيقة التي حصل عليها آرنسن وفرجسن ، إذ بلغ معدل وفيات السل في الأطفال المطعمين ١٨٫٧ في الألف يقابله ٤٧٫٤ في الألف بين غير المطعمين .

وكان للمحصنين بلقاح كالميت وجيران مزية على غيرهم في عدد الإصابات ، ففي المدة

التى استغرقتها التجربة ، كان معدل إصابات السل فى الأولين ١٣٥ فى الألف مقابل ٢٣٧ فى الآخرين — أى ضعفه بالتقريب .

وليس معنى هذا أن نزعم أن لقاح كالميت وجيران عقار ساحر ، فإن الدكتور كندال إمرسون، من جمعية الدرن القومية بالولايات المتحدة، على رأس جماعة من العلماء يذهبون إلى أنه علاج قاصر ويقولون : « إن هذا اللقاح لا يبرىء من المرض ، بل إنه ليس واقياً منه فى جميع الأحوال ، بيد أنه قد يورث مناعة قوية من عدوى السل حيث يتعرض الناس لهذه العدوى » .

ويبدو أن سيل الأدلة المعززة للقاح كالميت وجيران قد اكتسح لحسن الحظ سد التشاؤم الذى حال دون تجربته الشاملة فى بعض البلاد . ففى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٦ عقدت مصلحة الصحة فى الولايات المتحدة مؤتمراً من ثقات الخبراء فى السل ، فأوصوا بعدة توصيات واسعة النطاق ، لو نفذت لأنشىء معمل مركزى لصنع لقاح كالميت وجيران ، يوزع بغير ثمن على الباحثين فى كافة الولايات ، ولأجريت تجارب شاملة على الهنود وموظفى مستشفيات الأمراض العقلية ونزلائها، وعلى طلبة الطب والممرضات وغيرهم من الطوائف المعرضة لعدوى السل . ولعل أهم هذه التوصيات عمل بحث خاص فى مدينة لا يقل تعدادها عن ١٠٠٫٠٠٠ فيطعم جميع سكانها دون استثناء .

وإذن فقد ينخفض المعدل السنوى لوفيات السل، بهذا السلاح القديم الذى ثبت مضاؤه، وقد ينجو به عشرات الألوف ، ولولاه لما نجا من مخالب الموت أحد منهم .

⸎⸎⸎⸎

فى وسعى أن أفهم رجلا يصوّب نظره إلى الأرض ثمَّ يكون ملحداً ، بيد أننى لا أستطيع أن أدرك كيف يصعّد نظره إلى السماء ثم ينكر وجود الله .
[أبراهام لنكولن]

⸎⸎⸎⸎

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وهب روكفلر مبلغاً وافراً من المال لينفق فى ترميم كاتدرائية ريمس فى فرنسا، وكان إدوار هريو وزيراً للمعارف ،فتقبل الهبة باسم الحكومة .وقد روى هريو أنه ورد فى رسالة الهبة من روكفلر هذه العبارة : « أنفق هذا المال فى الأجزاء التى لا تُرَى من البناء ، فسوف تجد كثيرين يتبرعون بالمال لترميم الأجزاء التى يراها الناس ! »

آراءٌ للمناقشة

يخيّل إليّ أن الناقد الذى لا يدرك عيوب الشىء الذى يستحليه ، إنما هو ناقد لم ينضج بعد . وهذا رأيي فى الحبّ أيضاً . وكل امرأةٍ نشأت بيني وبينها علاقة حب كنت أعرف عيوبها معرفة تامة . وكل محب لا يدرك عيوب من يحب هو فى رأيى ليس بمحبّ البتة ، وإنما هو فريسة وَهم . وأنا أزدرى ذلك الحبّ « الأعمى » ، وأرى أنْ لاحبَّ إلا مع البصيرة الصافية ، وأرى أيضاً أن لا بصيرة لمن لم يحبّ :

[هفلوك إليس]

خير ما يفعله الذين يأبون إلا المغالاة فى تقدير آرائهم ، أن يخلدوا إلى الأرض التى نشأوا فيها ، فالأسفار تجعل الآراء الراسخة تتهاوى وتتساقط فى غير مشقة . وقد بدأت أسـفارى وأنا أظنّ أنى أعرف كيف يُساس الناس ، وماذا ينبغى لهم أن يعتقدوا من الآراء . فلما عدت إلى بلادى وجدتنى خِلواً من هذه الأوهام التى كنت أعدّها حقائق ثابتة ، ولكننى اكتسبتُ أتمَّ ما يتاحُ للمرء من سعة العقل ورحابة الصدر . وأخلاق البشر تختلف اختلافاً لا يكاد ينتهى ، وكل خلُقٍ منها له حقٌّ فى البقاء مستقلا عن سواه . بيد أن تحت هـذا الاختلاف وحدة جامعة . ففى نفوس البشر ، مهما اختلفت أساليب حياتهم ، إحساسٌ بتقدير قيم الأشياء ، وهذه القيم تكاد تكون متشابهة فى أصولها عند جميع طوائف البشر . فالخير والجمال والحكمة لا تزال لها أشرف منزلة عند الناس فى كل زمن وفى كل مكان .

[ألدوس هكسلى]

قال عمر الخيام : « لم أتعلم من الحياة شيئاً قطُّ سوى العجب من تصاريفها » ، ونحن نعيش اليوم فى عصر حافل بالمعجزات ، فلو فقدنا القدرة على العجب مما يتعجب منه ، فيا حسرتا على ما فقـدنا . وقد كانت لى جدة ماتت فى التاسعة والتسعين من عمرها ، ولكن عجبها مما ترى كان متوقداً لا ينطفىء . وكانت تشـتدّ فى توبيخنا إذا رأت أن دهشتنا أقل من دهشتها لعجائب هذا العالم الذى نعيش فيـه . وأنا لا أزال أشكر لها ما علمتنى ، فإنى لا أزال إلى يومى هذا لا أرضى لنفسى أن تنطفىء جذوة العجب التى تتوهج بين جوانحى . وأنا لا تساورنى ريبة فى أن العجَب والتشوّف والحب هنّ الثلاث اللواتى يجدّدن شباب العقل .

[هارولد نيكاسن]

سويسرا تسدى المعونة إلى الجياع من أطفال أوربة

جورج رسيقى

مختصرة من صحيفة "كرستيان سنشرى"

تشرف على بحيرة جنيف بناية ضخمة مشيَّدة بالحجر الأبيض ، كانت فيما مضى من الأيام دار عصبة الأمم ، ولكنها اليوم خالية تخيم عليها الوحشة ، بيد أن مبدأ الإخاء الذى كان ملهم العصبة فيما سلف ، لا يزال حيًّا فى دار أصغر من دارها ، قائمة قبالتها فى الشارع نفسه .

فمن وراء أبواب هذه الدار يتردد صدى أصوات البِشْر المنطلقة طيلة النهار من صغار يلعبون . وقد ألفيت ، حين دخلت البهو الكبير منذ عهد قريب ، عشرات من الصغار الهزال الجياع جالسين إلى موائد طويلة يلتهمون طعاماً وفيراً من المكرونة . ورأيت على إحدى النوافذ الكلمة التالية بحروف كبيرة : « ألا ليت جميع أطفال العالم يمدّ بعضهم إلى بعض يد المعونة » .

هذه الدار هى مركز هنرى دونان* لإسعاف الأطفال . وهو مشروع من مشروعات جمعية الصليب الأحمر السويسرية ابتكرته جماعة من المتطوعين السويسريين ، وهم الذين يزوّدونه بالمال ويتولون العمل فيه. وقد شمل برعايته منذ سنة ١٩٤٢ مئة ألف من الأطفال أو أكثر جاءوا من اثنى عشر بلداً أوربيًّا . فكان القائمون على هذا العمل وأعوانهم ينقلون إلى سويسرا كل من أضرَّ بهم الجوع من أولاد وبنات تتفاوت أعمارهم بين الرابعة والرابعة عشرة ليقضوا فيها ثلاثة أشهر طلباً للعافية . فإذا حلوا فى الأماكن التى أُعِدَّت لاستقبالهم ، أرسلوا إلى أسر سويسرية يعيشون بين ظهرانيها . ولو أنك رأيت هؤلاء الصغار ساعة وصولهم ويوم تنتهى إقامتهم — بين أسمالهم البالية ووجوههم النحيلة السقيمة ساعة يصلون ، وبين ملابسهم الدفيئة ومظاهر الشبع والعافية على أبدانهم حين ينصرفون — لأثلج المنظر صدرك .

وقد بدأ إسعاف الأطفال فى شتاء ١٩٤٢ حين كان الاحتلال النازى آخذاً بخناق أوربة ، وكانت سويسرا من خطر الغزو فى اضطراب

---

* مؤسس جمعية الصليب الأحمر ، أنظر المختار ديسمبر ١٩٤٤ ص ٤٥ .

دائم تقريبـاً ، وكانت موارد الطعام فيها شحيحة . ومع ذلك لم تكفّ جماعة من السويسريين من ذوى التجربة فى إسعاف الأمم ، عن التفكير فى الذين هم أسوأ حالاً منهم . فلما أصدرت جماعة «إسعاف الأطفال» نداءها الأول ، تطوّع لخدمتها أناسٌ من جميع الطبقات ، وتدفق المال عليها ، وفتحت الأسر السويسرية بيوتها للمشردين الجياع .

يصل الأطفال إلى الأماكن التى أعِدّت لاستقبالهم ، فتنضى عنهم ثيابهم ، ويحرق ما يكون عليهم عادة من أسمال بالية ، ويقص شعرهم ، وتطهر أبدانهم الهزيلة . وبعض هؤلاء الصغار يفدون من بلادهم وقد قص شعرهم وقاية لهم من الحشرات ، فترى البنت كالولد ، لولا بقية مهلهلة من شريط رث عصبت به الأمهات رؤوس بناتهن .

وهذا الذى حدث لغلام فرنسى يدلك على مايتملّك هؤلاء الصغار من العجب حين ينقلون من بيئة فيها القذر والشقاء ، إلى أخرى فيها النظافة التى تسعدهم . فهذا الغلام الفرنسى همس فى أذن جاره ليلة وصوله : « أتظن حقاً أننا فى سويسرا ؟ » فجاءه الرد المقنع من صاحبه : « أفى ذلك شك ؟ ألا تراهم يغسلون أبداننا ولا يكفّون » .

وعماد هذه الهيئة هو الأسر السويسرية التى تطوعت لإيواء هؤلاء الأطفال والإنفاق على طعامهم وشرابهم من مالها الخاص . وأذكر سيدة هى أم أربعة أطفال ، ولكنها آوت حتى اليوم أربعة أطفال أجانب ، واحداً بعد واحد . وما فعلته ليس بالشىء النادر ، وهى تقول : « لا يغرب عن بالى أبداً أن مصيبة كهذه قد تنزل بأولادى — فيسعدنى أن أشعر يومئذ أن أحداً من الناس قد هبّ إلى رعايتهم » .

وفى مدينة تون التى يبلغ عدد سكانها عشرين ألفاً ، تجد ألفين قد طلبوا أن تتاح لهم فرصة لإيواء هؤلاء الأطفال . وقد آوى أحدهم اثنى عشر طفلا على التوالى من اثنى عشرة جنسية . وهو يقول: «كان ترويض بعض هؤلاء الأشقياء أمراً عسيراً ، بيد أنهم لم يكادوا يألفون حياة الأسرة وعيشها المنظم حتى باتوا خير لِدَات لابنى » .

وتبذل العناية الطبية لكل ولد بذلا منتظماً ، فيزور البيت فى كل شهر منـدوب للهيئة يتفقد حال الطفل ويسأله هل عنده شكوى يقدمها . وقد تقتضى الحال أحياناً أن ينقل طفـل شكس الطباع إلى مركز خاص ، فيتولى العناية به معاونون من أهل التجربة ، بيد أنك لا تجد بين جميع الأطفال الذين آوتهم أسر فى مدينة جنيف ، سوى طفلين اثنين قد طلبا أن يغيرا مكان إقامتهما .

وفى كثير من الأحيان يظلُّ الأطفال

يراسلون الأسر التى آوتهم زمناً طويلاً بعد عودتهم إلى بلادهم ، وآباؤهم يكتبون أيضاً فيقولون : « إنها لمعجزة عظيمة فى رأينا حين نعلم أن الإنسان مازال يعطف على أخيه الإنسان » . وأما السويسريون فتراهم يبعثون بطرود الطعام والثياب وبالمال إلى من كان ضيفاً عندهم ، فتتوثق بذلك أواصر الإنسانية وعرفان الجميل ، متخطية تلك الحدود القائمة بين البلدان .

وتدبير المال لهيئة إسعاف الأطفال مشكلة دائمة ، ففى سنة ١٩٤٥ وحدها أنفقت الهيئة ١٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك سويسرى (نحو ٦٠٠,٠٠٠ جنيه أو أكثر قليلا) . وكثير من هذا المال يجمع كلَّ أسبوع من أطفال المدارس ، ويجمع بعضه من مشروع « قصعة اللبن » ، فقد صنع صندوق صغير أبيض يشبه قصعة اللبن ، ووضع فى المطاعم والمخازن فتلقى فيه نقود المتبرعين ، ويأتى البعض الآخر من هبات أكبر .

وقد استطاعت الهيئة ، بما ظفرت به من تأييد ، أن تعالج كل حالة طرأت عليها . ففى نوفمبر ١٩٤٤ مثلا ، يوم تقدمت جيوش الحلفاء نحو حدود سويسرا ، تلقى المقرُّ العام للهيئة نبأ بالتلفون ، أن ١٣٠٠٠ طفل قد عزلوا بين جبهتى القتال ، وأنه لابد من مدِّ يد المعونة إليهم فى الحال ، وإلا قتل كثير منهم . فاستعانت الهيئة برجال المقاومة الخفية فى فرنسا ، ودبرت وسيلة لترحيلهم جميعاً فى ٤٨ ساعة . فهبت أربعون ألف أسرة سويسرية من فورها ، وعرضت عليهم ضيافتها ، ولم تمضِ بضعة أسابيع حتى نقل عشرة آلاف طفل من مدينة ميلهاوز .

كانت أنطوانيت الصغيرة الشقراء ممن أنقذ، وكانت متشبثة تشبث اليائس بعروسها الملطخة بالدم ، فقد قتلت أمها إلى جنبها فى أثناء التقاذف بنار المدافع . فلما سألتها المرأة التى نضت عنها ثوبها كيف ترى سويسرة ، أجابت: « إنها مدهشة . فقد خيل إلى أول ليلة رأيت فيها الأنوار تضىء وتنطفىء على جبل مظلم ، أنها نجوم السماء — ولكننى أعرف اليوم أنها أنوار البيوت فى سويسرا ، ذلك أننى لم أر أنواراً فى الليل من قبل » .

إن هؤلاء الأطفاء الذين ولدوا فى أثناء الحرب لم يستمتعوا بالطفولة كسائر الأطفال، فكثيرون منهم لم يروا ضروباً معيَّنة من الطعام، فينبغى لهم أن يتعلموا كيف يأكلون. ولما طلب إلى إحدى البنات أن تدخل حوض الحمام ، جعلت تصيح ظناً منها بأنها خليقة بأن تغرق ، بيد أن الأطفال إذا أخذوا بالحسنى والعطف ، فسرعان ما يألفون النظافة والنظام .

وليس فى وسع أحد لم ير جماعات الصغار

عائدة إلى أوطانها ، أن يصـدق أن ثلاثة أشهر قد أحدثت كل هذا الانقلاب ، فقد بلغ معـدّل الزيادة فى وزنهم ١١ رطلا . ولما تذكرت ماكان عليه الوافدون من سوء الحال عند وصولهم ، راعنى ما رأيته عند توديع قطار يقلهم ، من الخدود الموردّة والثياب الجديدة ، بل إن ثياب بعضهم كانت أثقل مما ينبغي .

وقد فسّر لى ذلك أحد المتطوعين فقال : « كل رجل يريد أن يكسو ابنه المتبنى ثوباً أفضل من ثوب جاره . فترى بعضهم مايكاد يأخذ الطفل بعد وصوله حتى ينطلق به إلى المخازن ليشترى له كل مايحتاج إليه . وقد رأيت أناسـاً ينفقون ٣٠٠ فرنك (نحو ١٩ جنيهاً) فى عصر يوم واحـد ليبتاعوا لطفل واحد ما يلزمه من ملابس جديدة . ومن النساء من تحرم صغارها ما يحتاجون إليه من أحذية، ويستعملن بطاقاتهن العزيزة فى شراء أحذية للغرباء . وهؤلاء الصغار يبدون أكثر ثياباً مما ينبغى ، لأنهم يحملون على ظهورهم (يلبسون) أكثر مما يسمح الجرك السويسرى بإخراجه من سـويسرا محمولا فى الحقائب » .

وقد أعدت قطارات خاصة لنقل هؤلاء الأطفال ، وكلٌّ قطار يضمُّ ٣٥ ممرضـة متطوعة ، ويحرسـه جنود سويسريون ، وينقل من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ طفل كل مرة . وهذه القطارات تجوب أوربة التى اجتاحتها الحرب، وتنقل إلى سويسرا الضعاف والجياع ، وتعيـد الأصحاء والمعافين إلى أوطانهم . وتبذل سلطات الاحتلال فى المناطق المختلفة لهيئة إسعاف الأطفال كل ما تستطيع من معونة، وقد قال أحد المتطوعين: « الأطفال هم خير جواز للسفر » .

وقد أوجز لى متطوع آخر الحالة كلها بقوله : « إن خير وسيلة لبناء أوربة جديدة هى أن نسدى العون لأبدان أبنائها ونفوسهم » .

ثم تحرك القطار ، فأطلت من كل نافذة رؤوس مستبشرة ناضرة تضحك وتصيح : إلى اللقاء ! إلى اللقاء !

لا تزال أفكارك كأصابع المثّال ، تصوغ قسَمات وجهك

[تشارلز رزنيكوف]

تحب المرأة فى الرجل أن يكون فى حاجة إلى أمٍّ ترعاه

[إثيل باريمور]

من صميم الحياة :

كبرياء

لويس أنترماير

منذ بضعة أعوام خلت ، اتخذت لى مكاناً فى الجبال أقمت فيه ، واستعنت بمرجريت هانس لأملى عليها مختارات من الشعر كنت عزمت على جمعها . وكانت مرجريت مِنْ أجمل مَنْ وقعت عليهن عينى ، وكانت ذهبية الشعر ، زرقاء العينين ساجية الطرف ، وكانت كأنها ملكة فى سَمتها وتماثلها ، وهذا شيء قلّ أن تجده فى بنات عصرها . وكانت تكره أن تتحدث عن نفسها ، بيد أنها كانت خفيفة الحركة قادرة على العمل .

وذات ليلة دعوت الشاب دان فيرنس للعشاء ، فإذا بى كنت الوسيط بينهما من حيث لا أدرى . وكانت أسرة فيرنس من وجوه البلدة ، وكان لأبيه شركة كبيرة ومنجم حديد ومصرف ، وكان دان فى الرابعة والعشرين من عمره ، عملاقاً عريض المنكبين أشكل العينين ، جَعْد الشعر ، وكنت عرفته فى جامعة مشيجن أيام استدعتنى لأقيم فيها زمناً ، وكان دان كسائر أهله محافظاً متزمتاً ، شديد الغيرة على آداب الأسرة ، يتحرّى ما هو خليق باسمها وشرفها .

تعشت معنا فى تلك الليلة مرجريت ، وما كادا يفرغان من الطعام حتى كانا قد وقعا فى الحب ، ومن يومئذ وهما يسبحان معاً ويتنزهان معاً ، وعلمها دان كيف تمتطى صهوات خيله العِتَاق .

وتغيرت مرجريت ، فأصبحت تسترسل فى حديثها وتنطلق فى ضحكها ، وكانت من قبل تحرص على أن يكون لباسها مما يُلبس ساعة العمل ، فصارت اليوم تضع على صدرها زهرة ، وتزين شعرها وتتأنق فى تصفيفه ، وتتحلى أحياناً ببعض الجواهر .

فرأيتها ذات يوم وعلى صدرها دبوس نفيس من الذهب على هيئة زهرة ، فخيل

قضى لويس أنترماير نحو عشرين سنة فى شركة لصناعة المجوهرات كان يملكها أبوه ، ولم يزل بها حتى صار وكيلا للرئيس ، ثم استقال فى ١٩٢٣ ليقف وقته على الكتابة والتأليف والمحاضرة فى الأدب . وقد جمع مختارات كثيرة ، وألف خمسة وعشرين كتاباً بين نثر وشعر .

إلى أنى ارتددت فجأة إلى الماضى فى سنة ١٩٠٥
ثم قلت لها : « هل تأذنين لى يا مرجريت
أن أرى الدبوس ؟ »

فأخذته وقلبت الزهرة فإذا على ظهرها
هذه الكلمات الثلاث : « روزى أوبرادى
الفاتنة » .

وقالت مرجريت : « هذا دبوس جدتى »

جدتها ! لقد أحسست كأنى عُمِّرت عمر
أبى الهول ، فإن هذا الدبوس من صنع يدى
يوم كنت جوهرياً فى صدر شبابى ، وقد
أهديته إلى سيدة موهوبة أطلقت عليها اسم
« روزى أوبرادى »

لم أكن قد جاوزت العشرين بعد ،
وكنت فتى مرهف الإحساس فياض الصبابة
أتغنى ببعض الشعر ، وأعزف على البيان ،
وأتأنق فى ملبسى ، وكنت أيضاً مغرماً
بالمسرح .

وكانت روزى أوبرادى إحدى كواكب
الغناء فى المسرح الهزلى - تغنى وترقص
وتقلد المغنين والراقصين ، ولم تتخذ لنفسها
اسماً تعرف به فى المسرح ، وكانت شديدة
الاعتزاز بأرومتها الإرلندية وبلهجة وطنها
التى تذكرك بحفيف أجنحة الطير بين أفنان
الشجر . وكانت سوداء الشعر تعقصه فوق
رأسها كأنه تاج ، وكانت لها بشرة بيضاء
ناعمة بضة ، وكانت زرقاء العينين ، وكانت
أكبر منى بأعوام قلائل ، ولكن كانت فيها
تلك المسحة الخالدة التى لا تبليها الأيام ، والتى
يمتاز بها جمال فاتنات الغيد . وهمت بحبها
هياماً شديداً حتى ألححت على عمى أن
يقدمنى إليها ، وكان عمى مساعداً لأحد
المشهورين من مخرجى المسارح ، فلما قدمنى
إليها ، وكانت على وشك الفراغ من ارتداء
ثيابها لتغادر المسرح ، قلت لها ، وأنا أتكلف
قلة المبالاة : « أتتكرمين بأن نتعشى معاً ؟ »

قالت : « ما أحبَّ ذلك إلىَّ ، ولكن ... »
وابتسمت ابتسامة وضاءة أرادت أن ترقق
بها جفاء الرفض . ولم أزل ألحف عليها ليلة
بعد ليلة حتى رضيت ، فذهبنا معاً إلى فندق
أستور الفخم ، وأحببت أن أظهر الكرم
فطلبت زجاجة من النبيذ ، فأبت أن تشرب
بيد أنها أكلت ما اشتهت من أطايب الطعام .

وكان من الجمال فى ذلك العصر أن تكون
المرأة رابية الثديين ثقيلة الأرداف ، فلم أدر
كيف استطاعت روزى أن تكون ممشوقة
نحيلة الخصر . وبعد هذا اللقاء الأول كثر
خروجنا معاً ، وكانت هى تعدّنى رفيقاً
وصديقاً ، وتضحك من مواثيق لها بأنى
أحبها حُباً لا يموت ، فكانت تعاملنى كأنى
أخوها الأصغر .

فلما أهديت إليها الدبوس ، جزتنى جزاء
ساخراً فأنبأتنى أنها امرأة متزوجة ، وأن

لها بنتاً صغيرة ، وأن زوجها يوشك أن يعود من إنجلترا . فجزعت جزعاً شديداً ، وتجلى لى غدر النساء وخداعهن . وآليت بالله أن انفض يدى من جميع بنات حواء إلى الأبد — أو ثلاثة أشهر أو أربعة على الأقل .

والآن هاهى حفيدة روزى أوبرادى ماثلة أمام عينى .

فسألتها : « ألا تزال جدتك بقيد الحياة يامرجريت؟» وعقدت العزم على أن لا أفضى إليها بتاريخ هذه الحلية، فإنه لعسير على الشباب أن ينظروا إلى أجدادهم إلا كما ينظرون إلى مومياء محنطة ، فأبت على كبريائى أن ألقى بنفسى فى غمار هذه الزمرة .

فقالت لى : « نعم ! وقد أهدتنى هذه الحليــة يوم نلت شهادتى . وأنا من أسرة مالها قليل ، فكانت جدتى لا تفتأ تعيننا ببعض مالها ، ولما مات جدى عادت إلى الحى الفقير الذى كانت تعيش فيه قديماً ، لتشمل بكرمها من بقى حياً من عجائز جيرانها » .

وبعد ذلك ببضعة أشهر عزمت على السفر إلى نيويورك لأقابل ناشر كتبى ، فإذا دان فيرنس وأمه قد عزما على السفر أيضـاً ، وكانت أمه قد رضيت بعد تمنع عن زواجه بمرجريت، فدعا دان مرجريت إلى مرافقتنا فى هذه السفرة .

فلما كانت ليلتنا الثانيــة فى نيويورك ، دعانا دان إلى ناد فخم من أندية الليل ، فلما حان الموعد خفِّضت الأضواء وأعلن قسم الحفلات أنه سيعرض الليلة برنامجاً طريفاً تشترك فيه نخبة من قدماء الممثلات ، وتلا علينا أسماءهن ، فكان فى آخرها روزى أوبرادى . فاسترقت النظر إلى مرجريت فإذا هى تمثال جامد شاحب ليس فى وجهها رائحة دم .

كانت الحفلة سخيفة كل السخف ، وكان من المحزن أن ترى هذه المخلوقات العتيقة وهى تجعل نفسها أضحوكة وسخرية فى أداء أدوار كانت لها فى أدائها شهرة وصيت .
وحان موعد ظهور روزى، فازداد شحوب مرجريت . فلما عزفوا لحن « روزى أوبرادى الفاتنة» خرجت روزى وهى ترقص فى هالة من النور الأزرق كشف عن قوام قد تضخم، ووجه قد تخدد، وشعر كان فاحماً فشاب ، ولم يبق لها من الشباب إلا وميض عينيها الزرقاوين .

قامت روزى ببعض أدوار تقلد الفنانين، وكان أبعثها على الضحك دور ساخر لتاريخ حياة راقصة ، كيف بدأت منذ سنة ١٨٩٠ حتى انتهت بها إلى الوقت الحاضر .

فلما فرغت قال دان متعجرفاً : « أحسنت العجوز » .

فقالت أمه : « ما أشبهها بغسالتنا ! من العار على امرأة فى مثل سنها أن تجعل نفسها أضحوكة » .

كان يتتاب وجه مرجريت تبدُّل عجيب ، وحين كانت روزى تمثل انهدت مرجريت فى مقعدها ، وإذا بها الآن تعتدل فجأة ، وإذا عيناها تبرقان ، ثم قالت بصوت ثابت النبرات :

« إن هذه المرأة التى جعلت نفسها أضحوكة هى جدتى. إنها امرأة كريمة ، نبيلة، فقد جادت بمالها كله فى مساعدة النـاس ، وأنا منهم . ولم أكن أعلم أنها ههنا الليلة ، أما وقد علمت فسأذهب إليها لأراها وأقول لها إنى أتيه بانتسابى إليها ، ولا يتكلف أحد منكم مؤونة مصاحبتى » .

واختلج صوتهـــا ، فنهضت وأخذت حقيبتها ، فكان ذلك وداعَ الأبد لدان ، ووداعاً لدنيا الغنى والأمن . فلما غابت عنا جلسنا ثلاثتنا صامتين ، ثم أشعل دان لفافة وأخذت أمه تدير كأسها بين أناملها ثم قالت :

« من الخير يادان أن تدفع الحساب وننصرف » .

فذهب ودفع الحساب ، وخرجت معهما عازماً على أن أعود لألقى روزى ومرجريت .

فلما صرنا فى الخارج نادى دان سيارة ، وذكر عنوان الفندق للسائق ، وأعان أمه على الركوب ثم انثنى إلى قائلاً : « أرجوك أن ترافق أمى إلى الفنـدق ، فإنى سأعود أدراجى لكى أقابل حماتى وجدة زوجتى إن شاء الله » .

أقوال تؤثر

ما من شىء يفسد الصداقة كالمغالاة فى وصف محاسن الصديق .

[ماريا مورافسكى]

صور لفظية

قالت سيدة لأخرى : لا وربى ، لم أروِ الحادثة لأحد ، فما كنت أعرف أنها سرٌّ يكتم .... التربية الحسنة تمكن المرءَ من أن يساوره القلق على سير الأمور فى جميع أقطار الأرض .... ترى الذين يبكرون فى الهبوب من النوم، مزهوين فى الصباح ، متعبين فى المساء . . . . إن ما تحتاج إليهِ هـذه الأمة هو مزيد من الكلام الحرِّ الذى يخلق بك أن تصغى إليهِ .

يزيدون الكواكب بهاءً

كانت الممثلة [illegible] مانشره من منزلتها ومنزلة صناعة السنما فى أعين الناس، ولا يزال ماصنعه معدوداً من أبرع الأمثلة على الإعلان المجدى.

يوم بت ديفس فى صحراء كاليفورنيا تمثل مشاهد أحد الأفلام ، روت شركات الأنباء أنها سقطت فوقعت على رقعة يكثر فيها نبات الصبر الشائك ، فقرأ ملايين من الناس فى الصحف أن تسعاً وأربعين شوكة من شوك الصبر قد أخرجت من بدن الممثلة «التى سوف تراها قريباً فى فلم شركة وارنر: جاءت العروس » . وقد اتفق مرة للممثلة كارول لومبارد قبيل مصرعها ، أن لقيت رجلا من مديرى شركات السنما ، فجعل يجأر بالشكوى من ضريبة الدخل ، فقالت له إنها يسرّها أن توفى الحكومة ضريبة الدخل مهما بلغت . فاتفق لرجل من رجال الإعلان أن سمع كلامها ، فنقله إلى شركة يونيتدبرس ، فإذا اسم كارول لومبارد على الصفحات الأولى من الصحف فى كل مكان فى أمريكا .

وهذان مثلان يدلان على ضربين مختلفين من الإعلان عن ممثلات هوليوود وممثليها . فقصة بت ديفس كانت ملفقة ، فالممثلة لم تسقط على الشوك . وأما كلمة كارول لومبارد فكانت عفوَ الخاطر ، فطنطن به رجل من أهل الإعلان أبرع طنطنة ، فرفع

وقد يعمد المعلن أحياناً إلى ضروب من الإعلان هى أدنى إلى الخبل منها إلى العقل، كما فعل أحدهم يوم صنع عروساً تشبه جنجر روجرز وألقاها فى مظلة من طائرة محلقة فى الفضاء ، لكى يعلن عن فلم « العروس البديعة » تمثيل جنجر ، بيد أن هذا الضرب من الإعلان قد أخذ يقل حتى كاد يزول .

وأمّا اليوم فأفضل طريقة هى أن تصوِّر الحقيقة تصويراً رائعاً يستوقف الأنظار ، كما فعل أحدهم يوم استخرج لممثلة أمريكية من الجنوب عقداً بمليون ريال من شركة لويد للتأمين ، أمَّنَ على لهجتها الجنوبية التى تحببها إلى الناس. وقد كان العقد حقيقة لاريب فيها — بيد أن مدته كانت أربعاً وعشرين ساعة ليس إلا . ثم هناك قصة مدير الإعلان فى إحدى الشركات ، الذى أتيح له أن يرى ثلاثة ممثلين يمتحنون أمام عدسة المصور مع الممثلة أندريا ليدز ، لكى تختار منهم الرجل الذى يوافقها فى قطعة

من الفلم تكثر فيها القبلات . وإذا الصحف تنشر فى اليوم التالى مقالا عن الممثلة التى قُبلت ٤٦٨ قبلة فى أربع ساعات ، فضربت بذلك رقماً قياسياً فى « حركة الشفاه »

ويوم عرض فلم «سجين زندة» فى نيويورك عمد أحد معلنى هوليوود إلى حيلة بارعة ، فقد علم أن فى كندا بلدة اسمها « زندة » وأن عدد سكانها اثنا عشر وحسب ، فنقلهم بطائرة خاصة إلى نيويورك، ونشرت الصحف دون أن تعدو الحقيقة فيما نشرت، أن «جميع سكان مدينـة زندة « جاءوا إلى نيويورك ليشهدوا عرضه الأول » .

حيل بسيطة ولكنها تستغلُّ فى الإعلان أبرع استغلال ، فقد كانت سونيا هينى تمثل مع تيرون باور فى فلم يدور على حب عظيم بينهما ، وإذا سونيا تلفى نفسها ذات صباح فى الجناح الخاص بها فى الدور السابع عشر من أحـد الفنادق ، مقطوعة الصلة بسائر العالم، لأن عمال المصاعد قد أضربوا . فدعا جاك كوبر أحد رجال الإعلان طائفة من مخبرى الصحف ليشـاهـدوا تيرون باور يصعد السلالم على قدميـه إلى جناح سونيا فى الدور السابع عشر وهو يحمل لها طبق الفطور ، فإذا الصحف تنشر وصفاً مفصلا رائعاً عن « إنقاذ سونيا هينى » .

والتوسـل بأساليب الربط بين الحبّ والإعلان ، صار أمراً مألوفاً فى هوليوود. فهـذه كلوديت كولبير تفرُّ مع الدكتور جويل برسمان فى الساعة الأولى والدقيقة الثلاثين بعد منتصف الليل، ولكنها تحرص — بإشارة ممن يتولى الترويج لها — على أن تخبر كاتبة أخبار المجتمع ونوادر القيل والقال فى طائفة من الصحف بما تنوى أن تفعل. وقد اهتمت الصحف بأخبار ديانا دربن وشيرلى تمبل يوم تزوجتا ، فوصفت الحفلتين كأنهما مؤتمران عظيمان من مؤتمرات الصلح . وعنى المعلن عن فيكتور ماتيور « الوسيم الوجه » بتصويره فى بحر سنـة ثمانين مرة فى مكان عام ، وفى صحبته كلَّ مرة فتاة شقراء ، ونشر الصور فى الصحف، فزاد عـدد الرسائل التى وصلته من المعجبين به زيادة كبيرة . ولم يغفل المعلن عن جيمس ستيوارت أن يذيع فى الصحف عن ٢٦٣ ميعاداً ضربها ستيوارت مع الغوانى قبل أن ينتظم فى سلك الجيش .

وفى هوليوود ٤٠٠ رجل من المتخصصين فى الإعلان تتفاوت مرتباتهم من ٥٠ ريالا فى الأسبوع للذين «تحت التدريب» ، إلى ١٠٠,٠٠٠ ريال لمديرى شركات الإعلان. وترى فى شركات السنما الكبيرة ، أن قسم الإعلان منظم كأنه دار صحيفة كبيرة . فهناك المخبرون والمحررون والمصورون

والرجال والسيدات الذين يتصلون بالمجلات والصحف وشركات الأنباء البرقية، والصحف التي تختص بشئون السنما والصحافة الأجنبية. وهناك كتاب توفروا على كتابة المقالات ، وآخرون يوزعون « الأخبار الخاصة » حتى تنشر حيث يريدونها أن تنشر . وهناك خبراء الأزياء ومديرو الرسم والتصوير .

ولما كانت الغواني الجميلات هنّ عماد الإعلان في هوليوود ، ترى رجال الإعلان يسهدون الليالي وهم يفكرون في حيل بارعة تحقق لهم هذا الغرض. وقد يختلف عرض فتنة النساء : من جماعة من النساء لبسن أضيق المشدّات ، وقد وقفن أمام مكان التمثيل ليعترضن على لبس المشدات في فلم « معاشق بل آمى » ، إلى غواني الملاهي في ملابس السباحة وقد وقفن في معهد « العلاقات بين الناس » حيث يتولى علماء النفس والاجتماع فحص مواهبهنّ .

وأنباء المكافآت والجوائز والقضايا والكوارث ورسائل التهديد والبحث الدائب عن فتاة لتمثيل دور بعينه ، كل ذلك حيل يعمدون إليها للظفر بإعلان بلا أجر ، لأنها تعد من الأخبار التي تهتم بها الصحف . فالبحث عن الممثلات اللواتي يصلحن لدور سكارلت أوهارا في فلم « ذهب مع الريح » ، أو برناديت في فلم « أنشودة برناديت » ، أو آمبر في فلم « آمبر إلى الأبد » ، أصبح مصدراً لأخبار تهتمّ بها الصحف في أرجاء الأرض . ويوم صوّر مشهد شبوب النار في مدينة أتلانتا في فلم « ذهب مع الريح » ، نشرت أخبار النار في طليعة أخبار الصحف ، ذلك لأن مدير الإعلان لم ينبىء أحداً من الصحفيين بما ينتظر أن يكون ، فلما بدأ تصوير المشهد كانت النار قد استعرت ، وبدا للناس أن حريقاً فظيعاً قد شبّ ، فهرع الصحفيون إلى المكان ، فوجدوا هناك كلّ ما يرومونه من نشرات أعدّت لهم ، وتلفونات تمكنهم من الاتصال بصحفهم .

ومن أبرع رجال الإعلان رسل بردويل ، وقد عُنيَ مرّة برسم سجادة شرقية ضخمة على شوارع مدينة كلفر إعلاناً عن افتتاح فلم « جنة الله » . وعمد مرة إلى دعوة كل ذكر وأنثى اسمهُ يونج ، ليحضروا افتتاح فلم جديد بطلته لوريتا يونج ، فحضر ألوف منهم . ويخيل إلى بردويل أحياناً أنه رجل من أهل الخير في هذه الدنيا ، وأنه مناضل عن نواحي الخير التي أهملها الناس . وقد قرأ منذ عهد غير بعيد أن جميع القطط قد كادت تنقرض من الفلبين في أثناء الحرب ، فخطر له أن ثمة خيراً يستطيع أن يصنعه ، فجاء بممثلة تدعى إيف آردن وجعلها تشرف على إعداد ملء سفينة كاملة من القطط حتى

ترسل إلى مانيلا عاصمة الفلبين. أما الحكومة فلم تروجه الخير في هذا العمل، وأما بردويل والممثلة فقد ظفرا بما كان يرجوه بردويل من شهرة ذائعة .

وقد كان احتشاد الناس حول الكواكب وملاحقتهم لهم من أجل الظفر بتوقيعاتهم ، وسيلة من أفضل الوسائل للظفر بإعلان مجاناً ، ولكن أهل الإعلان قد بالغوا فيها فصارت اليوم متعبة لهم أيّ متعبة . فجماهير المعجبين الذين يحتشدون من حول الممثلات يطير صوابهم، فتراهم يمزقون ثيابهن الثمينة، وكثيراً ماتراهم يطرحون الممثلة على الأرض ويجردونها من معظم ماترتدي . وقد ضاقت الممثلات ذرعا بهذا ، وصرن يخشين حقاً أن تؤذيهن الجماهير التي تحتشد من حولهن في المحطات والفنادق والمسارح، حتى لتراهن يتنكرن بلبس النظارات السود ، ويدخلن الفنادق أو يخرجن منها من غير أبوابها العامة، وليس ذلك منهنّ تظاهراً واجتلاباً للشهرة، ولكنه دفاعٌ عن النفس .

ويندر أن ترى كوكباً من كواكب السنما قد رضى عن أن يفضح بعض حيل الإعلان عنه مهما كانت الحيلة سخيفة ، فلذلك تجد هوليوود لاتزال تذكر بالخير وصول أولسن وجونسن إلى حفلة فلم : «الجحيم يتفجر» ، فقد خطر لأحد رجال الإعلان خاطرٌ يشق أن تصفه بأنه خاطر مبتكر ، فاتفق مع المهرِّجَيْن على أن يعمد كلٌّ منهما ساعة دخولهما إلى قذف صاحبه بقطع من الحلوى المائعة فتسجَّل صورهما على شريط ، ويخلد بذلك عملهما أبد الآبدين . فلما وصلا وأشار إليهما الرجل بالشروع في التقاذف ، التفتا كلاهما إليه، وقذفا وجهه بقطع الحلوى قذفاً مسدّداً تسديداً محكما .

إن قليلا من الثرثرة بين الحين والحين ، لأمر يستطيبه أحكم الحكماء .

من لوازع هوليوود

قالت زوجة ممثل مشهور للممثلة لوسيل بول إنها اشترت هدايا رأس السنة الجديدة في أكتوبر ، فصاحت بها الممثلة : «ولكن كيف تستطيعين أن تعرفي في أكتوبر من تكون صديقاتك في أول يناير ؟ ! »

طبيب الريف

دون ماركويس

أمال الدكتور ستيوارت بصره فى شارع القرية من خلال قتام العاصفة المزمجرة ، وجمع الشملة الملقاة على عطفيه ، وابتهل إلى الله أن يعفيه الليلة من دعوة لزيارة أحد مرضاه – ولاسيما سكان البطائح (المستنقعات) ، فالنهر الأخضر الذي يصب فى المسيسبي يجرى فى سهل فسيح ، وهو اليوم عارم متدفق يطغى على ضفتيه ويجرف صلصالها اللين ، والطرق فى السهل أدنى إلى أن تكون جداول زاخرة متدافعة الماء . وأخذته رعدة البرد – لأنه مصاب بالأنفلونزا – ثم ألقى بقطعة أخرى من الفحم فى الموقد .

ثم انتفض ، كأنه يريد أن يطرد شبح الخوف أن يُدعى إلى عيادة مريض وحاله الساعة حاله .

وقال يخاطب نفسه : « ليس عندى متسع من الوقت للمرض . فالناس فى حاجة إلىّ » .

لقد أجهد نفسه فى الشتاء والربيع الماضيين وهو يكافح عواصف الثلج فى السهوب ، وسيول البطائح فى الربيع ، حتى يصل إلى دار نائية فيها مريض موجع ، ثم يناضل طوال الليل لكى ينقذ حياة مريضه ، ولا يعود إلى بيته إلا مع الفجر ، فلا يكاد يكرع إبريقاً من القهوة الساخنة ، حتى يبدأ عمل يوم جديد دون أن يصيب غفوة . وقد تجمدت قدماه ويداه فى الشتاء الماضى ، ولكن الجمد لم يضرب قلبه الكبير ، وها هو ذا يستقبل مستهل شتاء آخر ولكنه مريض .

ما أكثر الذين يحتاجون إلى رعايته ! أسرة راى ، وأسرة تاكر ، وأسرة براسين ، وأسرة سميث – ففى جميع هذه الأسر مرضى يحتاجون إلى علاج ، وهذان الطبيبان الشابان ، هايستنجز وجونز ، لا يعرفان سوى أقل من القليل عن هؤلاء الناس . طبيبان محسنان ، ولا ريب ، يحاسبان ضميرهما عن كل ما يصنعان – ولكنهما لا يزالان فى ميعة الصبا ، لم يصارعا الموت فى بحر نصف قرن من الليالى الباردة المتوالية .

فبأى حق يبقى فى بيته لكى يعنى بنفسه ، على حين يرى أهل الريف جميعاً قد أصيبوا

---

* دون ماركويس مؤلف روائى ومسرحى وكاتب أقاصيص .

بالأنفلونزا والتهاب الرئة ؟ والمرضى هم أهله ، وصحبه ، فقد استقبل بيديه أكثر من جيل منهم، فرأوا نور الدنيا أول ما رأوه على يديه، وهوّن على بعض آبائهم وأجدادهم مشقات الرحيل عنها إلى الدار الآخرة . وقد صاروا ينظرون إليه كأنه الفصول المتغيرة فى إقبالها وإدبارها ، وكان بعضهم ينسى وجـوده كما ينسى الفصول ، فقد كان آخر رجل يؤدّون له دينه عندهم ، فيقدمون عليه دين التاجر والبقال وأقساط المرابى .

وإذا رجل لطخه الوحـل على مركبة لطخها الوحل أيضاً ، قد وقف ببابه وطرقه طرقاً شديداً .

فقال الدكتور ستيوارت برماً : « لقد جاءت الدعوة » وفتح الباب وقال : « إنه جاسون تاكر ، فيما أظن »

فقـــال تاركر : « نعم كيف حالك يادكتور ؟ » ثم ساد السكون هنيهة نظر فيها كلٌّ من الرجلين إلى صاحبه على ضوء مصـباح الزيت الخابى الذى فى بهو الدار ، فقرأ الطبيب هول مصـيره فى آيات القلق المخطوطة على جبين صاحبه . وقال :

« أهى ميرا يا تاكر ؟ »

فقال تاكر : « نعم، لقد جاءها المخاض» .

وعرك تاكر قبعته المبللة بين أصـابعه المضطربة وقال: «وهى مصابة أيضاً بالأنفلونزا يادكتور . وأخشى ما أخشاه هو أن تنقلب إلى التهاب فى الرئة » ثم نظر نظرة سريعة إلى الطبيب وقال : « ولكنك مريض يادكتور » .

فقال الدكتور : « لست فى مثـــل ماعهدته فىَّ من النشاط » .

فتنحنح تاكر وهمس : « لقد كسرت ساق الدكتور هايستنجز ، وأما الدكتور جونز فقـد خرج إلى أحد المرضى فى البطائح فلم يسعنى أن أتصل به » ، ثم سكت هنيهة وتنفس نفساً عميقاً وقال : « يؤسفنى أن أثقل عليك وأنت مريض » .

وقد رسخ فى ذهنى الدكتور ستيوارت أن هذه الدعوة ليست إثقالا وحسب وإنما هى مفضية به حتماً إلى الإصابة بالتهاب الرئة، ثم هناك ذلك الألم الفظيع فى جهة القلب ، فقد حاول أن يقنع نفسه بأنه شبيه بالذبحة الصدرية ، ولكنه ليس منها فى شىء . وعلى كل حال ، وسواء أكانت ذبحة صدرية حقاً أم لم تكن ، فليس ثمة فرق بين الحالين فى حياة رجل بلغ الثمانين ، والحقيقة التى لا مفر منها هى أن القلب كان فى الشتاء الماضى مجهداً متضخماً . تبًّا له ! إن وقت الطبيب لا يتسع لتشخيص ما ألم به من مرض .

طاف هذا الخاطر بذهنه ، ولكنه قال لتاكر : « سأذهب معك » .

فقال تاكر : « شكراً يادكتور ، فقد كنت أحس أنك فاعل ، كيف تنوى أن تذهب؟ »

فقال الدكتور : « سأركب عربتى » ثم كتب وصفة على ورقة وقال: «دعهم يصنعوا لك هــذا الدواء ، وعد إلى بيتك بأقرب ما تستطيع ، وأعطها الجرعة المرقومة على الزجاجة » .

وقل تاكر وهو منصرف : « احذر من أن تسير على جسر الخشب . اعبر النهر على الجسر الحديدى . المسافة أطول بمقدار ميل ولكن الجسر أضمن ، فالنهر الأخضر عَرِم متدفق الليلة » .

ولبس الدكتور ستيوارت معطفه ومعطف المطر فوقه ، وذهب ليشدّ جواده إلى العربة .

وجعل يحدّث نفسه وهو يفعل : «ميلان حتى حدود المقاطعة ، ثم أربعة أميال غرباً إلى الجسر الحديدى ... تبًّا لك ! أتريد أن ألهب جلدك بسوط مبلول ! »

كانت هذه الكلمات الأخيرة موجهة إلى الجواد ، وهو آخر جواد من طائفة صَحِبت الدكتور فخاضت معه الوحل والثلج والغبار الكثيف : « اسكن ، وإلا بعتك لمن يسىء إليك » فقد كان دأبه أن يهدّد جياده بأن يبيعها للعمــال فى معصرة ، أو لمن يقطعها قطعاً تباع ، بيد أن جيــاده كانت تعلم أنه لا يحمل لها سوطاً برغم ما يصبُّه عليها من جام غضبه .

كانت ثيــاب الطبيب قد بُلّت حتى نفذ الماء إلى جلده قبل أن يبلغ الرقعة التى ينتهى فيها السهل الموحل ويبدأ المستنقع الغامر . فوقف ودسّ مقياس الحرارة تحت لسانه ، ثم أخرجه وفحصه على ضــوء سراجه . نعم إن حرارته آخذة فى الارتفاع ، فمضى قُدُما فى طريقه ، وجعل يتمنى أن يصل إلى دار تاكر قبل أن ينزل الوليد ... أو ... قبل أن تفارق الأم ؟ الدنيا .

كانت مياه الجداول والسيول قد فاضت من الخنادق المحفورة على جانبى الطريق ، وجعــلت تجرف ســطح الطريق اللــيّن فتخدّده ، فكان عسيراً على جواده أن يلتزم حادّته . وبعد ساعة أو أكثر قليلاً طرق أذنيه هدير متصل ثابت ، فهذا النهر الأخضر أمامه ، فخرج من المركبة ليــلقى نظرة على الجسر الخشبى ، فقد يوفر عليه عبوره مسافة ميل من السير فى الوحل والأخاديد . فخطا فى الوحل المائع حتى بلغ ضفة النهر ، وهو يمسك سراجه بيده أمامه — وإذا هو يقف دون حدّ الخطر ولمّا يكد ، فليس هنــاك جسر من خشب ، فقد دمره التيار واحتمله فيما دمر واحتمل .

فانثنى حتى إذا بلغ الجسر الحديدى وقف ونزل من مركبته مرة ثانية ، فرأى المياه تغمر معبر الجسر ارتفاع قدم ، وهى تتدفق وتفور ، ولكن هيكل الجسر مصنوع من الحديد وهو ثابت متين ، فارتدّ بضع أذرع على الجسر ، وهو يطأ بقوةٍ على عوارضه ، وكانت المياه المتدفقة تصدمه إلى ما دون الركبتين .

فجعل يخاطب نفسه ساخراً : « إن ماينبغى لك أن تصنعه بالأنفلونزا يادكتور ، هو أن تلبث دافئاً فى سريرك ، وأن توقى قدميك البلل والبرد ، وأن تجتنب كل إجهاد وعنف من أى ضرب كان ! »

ولكن الدكتور عاد إلى جواده وهو يقول لنفسه : « آخذه بلجامه وأقوده » ، وماهو إلا أن فعل، فالسراج بيمناه واللجام بيسراه ، والجواد والعربة يتعثران وراءه . ولم يلبث أن كف عن السير ، فقد نظر إلى أمام : أين الطرف الغربى لهذا الجسر؟ فقد كاد ينتهى من العبور ، وليس يرى طرفاً ينتهى العبور عنده ، فليس أمامه سوى شىء واحد : الماء ! فظل هنيهة يفكر فى هذه الظاهرة العجيبة ـ ظاهرة جسر أرسى طرفه الشرقى إرساءً ، ولكن ليس للجسر طرفٌ غربىٌّ ، ومع ذلك فلِمَ لم تتقوض أركان الهيكل جميعاً ؟ وإذا به يرى فى لمحة جواب السؤال: فبين القاعدة الغربية للجسر والأرض التى كانت بمنزلة الشاطىء للنهر ، احتفر الماء المتدفق مجرى جديداً وتدفق فيه فغمر القاعدة الغربية وماحولها ،وهذا شىء لاتستطيع العربة أن تعبره ، فعساه أن يتمكن من عبوره سيراً على قدميه ، ففصل الجواد عن العربة ، وامتطى صهوته ، فلا مفرّ لعبورهما من ذلك،أماالعربة فلتبق حيث هى.

قال لنفسه : « إنها عربة بالية قديمة على كلّ حال » .

وأخذ معه حقيبته الجلد الصغيرة ، ففيها بعض أدوات الطب وطائفة من زجاجات الأدوية . وبينما هو يمتطى الجواد ، أحسّ بألم حادّ يطعنه فى اليسار من صدره كاد يقطع نفسه فأغمض عينيه لحظة متشبثاً بعُرْف جواده .

ثم قال وكأنه يهمس لنفسه : « طبيب قديم بالٍ كالعربة ، ولكننى سأبلغ غايتى» . وقد قال هذه الكلمات الأخيرة، وكأنه يتحدى بها الليل والعاصفة والمستنقع الغدّار ، أو هى روحه القاهرة التى ترسل هـذا التحدى : سحقاً للذبحة الصدرية ! فليس عنده متسع من الوقت حتى يعنى بأمرها .

وخاض به الجواد الماء إلى الخندق العرم، فأحس الطبيب الماء يرتفع من حوله إلى ركبتيه ... ثم إلى فخذيه ... لقد بلغ الماء السراج ... وإذا به ... أين الجواد ؟

إنه يكاد يختنق ... وها هو يصـــارع ماحوله مصارعة المحموم ... ثم ألفى الدكتور ستيوارت نفسه مستمسكاً متشبثاً بجذور شجرة من الصفصاف . فحاول جهـده أن يصعد على الضـفة المنحدرة الزّلقة . وقد رفعه الطوفان الدافق ثم حطه ... ولـكنه ظل متشبثاً بالجذور ، ثم حاول محاولة أليمة أخرى فأحسّ أن ساقيه قد أطلقتا من عقالهما ، ولـكن هذا الألم ـ فهو يحس أن فى صدره رماداً حامياً .

بيد أنه تمكن من أن يستخرج حبوب المورفين من حقيبته الصغيرة ، فأخذ حبة ، واستلقى على الوحل ، فمرت به ثوان أحسّ فيها بالراحة ، ولـكن القدرة على التفكير لم تلبث حتى عاودته ، فإذا ذهنه صافٍ ، فهبّ كالمذعور يجاهد حتى يقف على قدميـه ، فصعد الضفة متعثراً ، وصار على الطريق ، فرأى شيئاً أمامه يتحرك ، بل إنه حيوان فوقف يحدق وهو يحاول أن يُنْـفِذَ بصره فى دُجَى الليل ، وإذا الشيء المتحرك يدنو منه ثم يقف . فهذا جواده ، لقد نجا بمعجزة من التيار الجارف ، فسُرِّىَ عنه فهو غير مضطر بعـد الساعة أن يمشى إلى دار تاكر مسافة نصف ميل .

وتراءت له أنوار الدار ، فحاول أن يمتطى الجواد ، ولـكن المحاولة أجهدته فأحسّ بالألم يخزه فى صدره ، فألقى ذراعه اليمنى على عنق الجواد ، وشبك أصابعه فى عُرْفه ، ومشى مستنداً إليه ، حتى وصل ولم يكد .

« وصلت فى الوقت » ، قالها الطبيب وهو يمشى متثاقلاً فى الرُّواق المفضى إلى الباب ، فقد نفذ فى أذنيه صراخ المرأة وقد ضرّبها المخاض .

فتح الباب ودخل بدون استئذان . كانت ميرا فى أفضل حجرة للنـوم قرب حجرة الاستقبال ، وكان باب حجرتها مفتوحاً ، فدخل ورأى تاكر جالسـاً فى الزاوية ، وأخذت عينه شاباً فاحم الشعر ، متعب العينين ، نابت شعر الذقن ، منحنياً فوقها ، وإذا بهذا الشاب يترنح مقبلاً على الدكتور ستيوارت ويقول :

« سلام عليك يادكتور ، كيف أتيت ! »

فقـال الدكتور ستيوارت ســائلاً :

« أ كُتِبت لها الحياة ، ياهايستنجز ؟ »

فقال هايستنجز : « إذا لم يَضعف قلبها »

فقال ستيوارت : « سحقاً للقلوب ! »

وقد استقبلا الطفل الوليـد بأيديهما ، ولـكن الدكتور ســتيوارت لم يدرك حتى انتهت الولادة أن هذا الشاب هو حقاً الدكتور هايستنجز الذى قيل له إن ساقه مكسورة ، ولا يستطيع حراكا . فقال :

« وكيف أتيت ياهايستنجز ؟ »

« على صهوة جواد . فقد أقلقنى أن تعجز

أنت عن المجيء ، ولعلى مررت بك وأنت فى الطريق » .

فهمهم ستيوارت : « كنت مطروحاً فى الوحل ، ولعلى بقيت هناك فترة ما » .

وردّد هايستنجز قوله كالمعتذر : «خشيت أن تعجز عن المجيء » ولكنّ ألم ساقه كان فظيعاً ، وحاول أن يتكلم ، ثم كفّ ، فقد تغيرت معـــالم وجه الدكتور ستيوارت ، فأراحه هايستنجز قليلا على مقعد فى حجرة الاستقبال .

فتمتم ستيوارت وهو يعبث بكمه : « هو القلب ، ياهايستنجز » فأعانه الشاب على ثنى كمه وحقنه : « ويلاه ، هذا الاختناق ، والرماد المتقد ... »

وقال : « هايستنجز ، احفظ علىّ حياتى هنيهة ، حتى تنحسر غُمّة هذا الوباء . . . احفظ علىّ حياتى قليلا » .

ومالبث العقار أن فعل فعله ، فسرى الدفء فى الجسم فاسترخت العضلات، ولكن أين القــوة ؟ وقد بدا عليه كأنه مترنح ، عاثر ، طافٍ ، محمول على عُباب تيار زاخر .

وصفا ذهنه لحظة فقال كأنه لم يرَ الشاب سوى الآن : « هايستنجز ! لقد جئتَ برغم ساقك المكسورة » . ثم قعد وجعل يتكلم كأنه قائد يهنىء أحد ضباطه ببسالته ، وكان فى نبرات كلامه ، زهو وسلطان وحنان : « والذى نفسى بيــده ، إنك لطبيبٌ يابنى ! »

ثم ندّت منه آهة طويلة عميقة ، وإذا جسده يسترخى، فقد أذن للتيار أن يحتمله، لقد صار عنــده متسع من الوقت لذلك ، فإنه يترك أهله وصحبه بين يدى رجل قدير كريم الأصل .

وترددت فى حجرة الأم صرخة الوليد . فقال الطبيب العجوز ستيوارت: «صرخة طفل آخر من أطفال البطائح » .

ثم ابتسم ، فحمــله التيار الجارف وهو يبتسم — إلى الرفيق الأعلى .

أعتقد أن النشاط الذى تنفقه المرأة فى الزيارات والحفلات كلّ سنة ، يكفى لرفع قصر بكنجهام تسع بوصات وربع بوصة عن سطح الأرض ، وأن يبقيه معلقاً فى الهواء ثلاثاً وأربعين ثانية .

[دوق مانشستر]

رحلة من أعظم الرحلات البحرية تحريكا للنفس .

رحلة السفينة "إرما"

ڤولدمار ويدم
كارل ب وول

فى ليلة ١٥ من ديسمبر ١٩٤٥ أخذت سفينة صغيرة خَرِعة طولها ٣٧ قدماً تتلمّس طريقها فاجتازت عاصفة ثلجية شديدة قرب رأس هنرى بولاية فرجينيا الأمريكية ، وألقت مراسيها فى مرفأ « ليتل كريك » . وكانت تقل ١٦ من أهل أستونيا ، ما بين رجال ونساء وأطفال ، وكانت هذه السفينة الصغيرة قد غادرت مياه السويد قبل ١٢٨ يوماً وقطعت أكثر من ٨٠٠٠ ميل . وقد حدثت رحلات كهذه فيما بعد — انتهت إحداها فى فلوريدا منذ عدة شهور — ولكن هذه كانت الأولى ، وكانت أشد الجميع تحريكا للنفس .

وقصة هذه الرحلة الباسلة ، ولماذا كانت ، مبنية على مذكرات دونها فولديمار فيدام المؤرخ الأستونى ، وأحد ركاب السفينة .



استكهلم : ٥ يوليـــو ١٩٤٥

أقبلت مايا أندرى على البيت تحمل خطاباً تلقته من السلطات السويدية اليوم ، وكانت يدها تُرْتَعش وهى تطلعنا عليه .

وكانت هذه الرســـالة الرسمية تقول : « إن الحكومة ترغب فى أن تعودى إلى وطنك فى أستونيا . . . » .

واللغة رقيقة ، ولـكن ما تنطوى عليه مفزع ، فإن معناه أن موسكو تضغط لتردّنا إلى بلادنا ، وهى الآن تحت حكم السوفيت .

والرسالة إلى مايا إحدى رسائل كثيرات مماثلة لها ، وقد أرسلت بالبريد — بحسب الحروف الأبجدية — إلى اللاجئين السياسيين من أستونيا ، الذين فروا واجتازوا بحر البلطيق فى السنوات الخمس الماضية .

وفى سنة ١٩٤٠ استولت جمهورية الاتحاد السوفيتى على جمهوريتنا أستونيا، ففر مئات إلى فنلندة والسويد . وفى عام ١٩٤١ طرد الألمانيون الروسيين ، ففرّ آلاف . وفى عام ١٩٤٤ عاد الروس ، ففرّ عشرات من الآلاف . واليوم يوجد هنا فى السويد ثلاثون ألفاً من أهاليها الذين يبلغون مليوناً ،

وهناك ستون ألفاً هائمون على وجوههم فى أوربة ، وستون ألفاً أحياء أو موتى « فى مكانٍ ما بروسيا » .

ويطلب السوفيت الآن أن نعود إلى وطننا . وفى إحدى الليالى تصفنا محطة الإذاعة السوفيتية البلطيقية بأننا « فاشيون » وأننا « مجرمو حرب » ، وبعد بضع ليال نوصف بأننا « وطنيون طيبون ما غادروا بلادهم إلا بسبب الظلم الألمانى ، وسيعودون قريباً إلى وطنهم » — إذا كانت قبضة اليد لا تجدى فجرّب المصافحة !

وقد قام بوليس السويد ، بناء على طلب السوفيت ، بإحصاء رسمى للأستونيين الموجودين هنا ، ومنهم ٩٩٫٥ فى المئة ، لا يريدون العودة . لماذا ؟ إنه الخوف — الخوف من البوليس السرى الروسى .

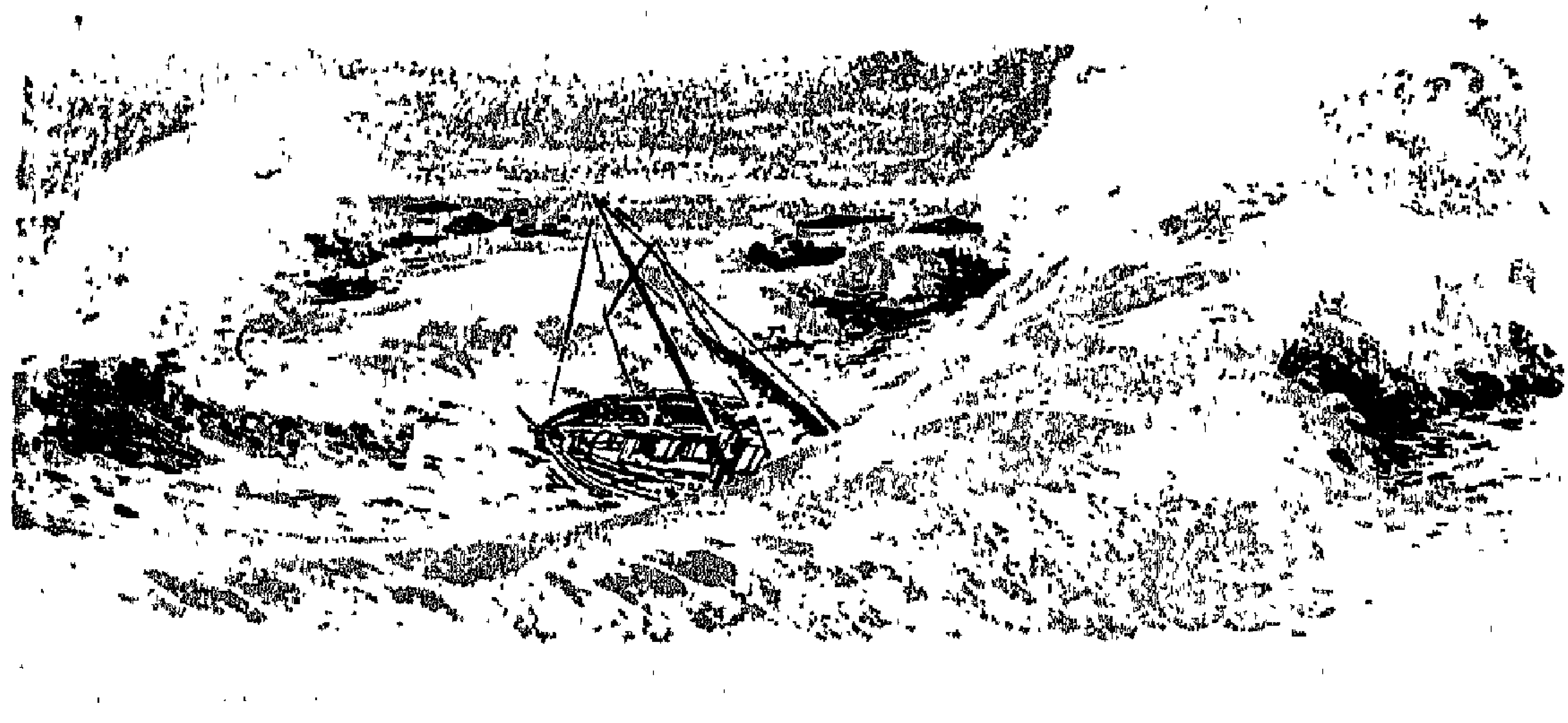
وقد شاهدت تعبئة البوليس السرى الروسى فى أستونيا فى شهرى يوليو وأغسطس من عام ١٩٤١ . وقد أرسل ٣٥٫٠٠٠ من الرجال الذين تتراوح أسنانهم بين ١٩ سنة و ٤٥ سنة إلى معسكرات السخرة فى شمال روسيا وإلى ما وراء جبال الأورال .

وليست الرسالة التى تلقتها مايا أندرى الليلة بالدليل الوحيد على أن موسكو تفكر فينا ، فإن هناك إعلانات مأجورة فى صحف استكهلم تطلب من كل الأستونيين أن يسجلوا أسماءهم فى المفوضية السوفيتية ليتسنى أن « نعاد إلى وطننا » .

وقال هارى بالبرج : « إننا لا نستطيع أن نظل قاعدين هنا هكذا ، فسنعاد عاجلا أو آجلا . وعلينا أن نصنع شيئاً . فلنأخذ سفينة نبحر بها إلى أمريكا » .

واعترض أرفيد كون قائلا : « لن يسمحوا لنا بالدخول ، فليس على جوازاتنا تأشير بالدخول » .

فقال هارى بلهجة الواثق : « سنسوّى



هـــذا الأمر حين نصل إلى هناك » .

ومن الجلىّ أنها فكرة حمقاء ، ولـكنى مؤيد لها .

استكهلم فى ٨ يوليه ١٩٤٥

وجد هارى سفينة نستطيع أن نشتريها ، وهو يعتقد أنها تستطيع أن تقلنا إلى أمريكا.

واسمها إرما ، ويسمى السويديون هذا الضرب من السفن « كوستر » ، أى سفينة مبنية للرحلات الساحليـــة . ويزعم صاحبها أن عمرها ٥٥ سنة فقط ، ولـكن من الصعب تبين الحقيقة . على أن هارى يقول إن السفينة مثل الزوجة الصالحة ، فبعد أن تتجاوز سناً معينة ، لا يعود لمنظرها قيمة ، بل المعوّل على صلاحها .

وتبدو لى السفينة إرما أصغر جداً مما يجب ، فطولها لا يزيد على ٣٧ قدما ، ولـكن من حسن الحظ أنها عريضة فهى لا تنقلب إذا ساء الجوّ ، وهذا مما يسرنى ، فلولا ذلك لـكان لا بدّ لها من قاعدة ثقيلة تمنعها من الانقلاب . ويقول صاحبها إن شراعها يرقع الآن فى بيته ، ولـكنه من قماش متين .

وقد طعن هارى بمديته ألواح السفينة تحت خط الماء فلم يجد موضعاً واحداً ضعيفاً متآ كلا ، ولـكنه سأل صاحبها هل نستطيع أن نجرها إلى الشاطىء لنلقى على جوفها نظرة أدق ، فغضب الرجل وقال : إذا كنتم لا تريدون أن تأخذوها كما هى ، فاذهبوا إلى حيث ألقت. ويعتقد هارى أن الرجل شريف صادق ، ويقول إنه لا يسعك إلا أن تشعر مثل هذا الشعور نحو سفينة ظلت فى حوزتك زمناً طويلا ، وقـد صار هارى مشغوفاً بالسفينة إرما .

قنـــاة جوتا بالســـويد
١٨ من أغسطس ١٩٤٥

كانت هذه الأسابيع الأخيرة حافلة بالعمل الذى يقصم الظهر ، فقد كنا نعد السفينة للإبحار ، وقد خرجنا من استكهلم منـــذ تسعة أيام ، ونحن الآن ماضون بمثل بطء القواقع إلى عرض البحار. وقد آثرنا طريق القناة لأن الروسيين فى جزيرة بورنهلم فى البلطيق بين السويد والدنمرك. وثم إشاعات باختفاءات عجيبة فى هـــذه المياه — ومن الصعب أن يتبين المرء أيرجع الاختفاء إلى الجو أو إلى الدوريات الروسية .

وكانت السفينة إرما فى الأصل سـفينة نزهة مبنية بحيث تتسع لأربعة أو خمسة ، وجماعتنا ١٦ ، وكلهم أصدقاء منذ أيام سابقة فى أستونيا كانت أسعد من أيامنا هذه .

وفى الغرفة الرئيسية التى كانت مجعولة لاثنين فقط ، وضعنا ألواحا محاذية للسريرين وتنام هنا أسرة بالبرج وهى مكونة من ستة : هم هارى وهو فى الثالثة والثلاثين

مثلى ، وزوجته إيلين فى الرابعة والعشرين ، وابنتهما الجميلة جداً ذات الشعر الذهبى ،وهى فى الثالثة من عمرها ، وأم هارى فى الستين ، وبنت عمها المسز جوليان ألتنبروم فى الثامنة والخمسين ، وابنتها مايا أندريه .

وفى الغرفة الثانية الصغيرة التى كانت أيضاً مجعولة لاثنين تنام أسرة كون : أرفيد وعمره ٣٨ ، وهو رجل يبتسم ويغنى وهو يعمل ، وكان قبل الحرب رباناً لإرشاد السفن فى أحد موانىء أستونيا ، وزوجته الجذابة الغيور وهى فوق الثلاثين بقليل ، ولهما ثلاث بنات : إيمى فى العاشرة ، وإنجا فى السابعة ، وأوللا فى الثالثة .

كل غرفة حوالى تسع أقدام فى الطول وسبع فى العرض ويبلغ ارتفاع سقفها خمس أقدام . ولما كانت كل منهما لا تتسع لنا جميعاً فى وقت واحد ، فإن كل جماعة تعد طعامها على حدة . وقد جهزت كل غرفة بموقد صغير يشعل بالكحول .

وفى السفينة شىء واحد يعد حديثاً — مبولة صغيرة فى غرفة كون مزودة بمضخة يدوية ، فيندر بطبيعة الحال أن تخلو غرفة آل كون من الزوار .

وفيما نسميه مازحين «غرفة الطوارىء» ، نقيم نحن العزاب الخمسة : أنا ، وهينو لوتس فى الخامسة والعشرين ، وكان يدرس الصيدلة قبل الحرب ، وبول راينهولم فى الثامنة والعشرين وكان طياراً فى السلاح الجوى النرويجى وقاتل الألمانيين ، وأخوه لمبت فى الرابعة والعشرين وهو طالب انقطع عن الدرس من جراء الحرب ، « ورومى » (الذى يرغب فى كتمان اسمه لأن له أقارب فى أستونيا) وهو طالب فر بعد الاحتلال الألمانى .

لما دخل الروسيون أستونيا فى ١٩٤٠ كنت أدرس للحصول على درجة أستاذ فى التاريخ والفلسفة بجامعة تارتو ، فعينى الروسيون سكرتيراً فى إحدى وزارات الشعب ، ولكن غيرتى لم تكن كافية ، فنقلت كاتباً فى « جراج » وهو ككل شىء آخر تحت « إدارة » السوفيت . فحرصت على هذه الوظيفة ليتسنى لى أن آكل أحياناً حتى جاء الألمان ، فلما هددونى بإدخالى فى الجيش «المتطوع» فررت وقررت أن لا أعود أبداً إلى أستونيا إلا إذا صارت لها حكومتها .

وفى غرفة الطوارىء توجد أيضاً الآلة — وهى آلة إضافية قديمة ذات أسطوانة واحدة أقمناها بعد أن ابتعنا السفينة . وعلى كل من جانبى الآلة ينام اثنان منا معا على لوح مغطى ببطانية ، وطول اللوح خمس أقدام وعرضه قدمان ، فالرقاد عليه يتطلب حذقاً . ومن حسن الحظ أن واحداً منا نحن الخمسة

يجب أن يقوم بالمراقبة مع هارى أو أرفيد وهما الوحيدان اللذان ركبا البحر أو يعرفان أبسط الأشياء عن تسيير سفينة . على أن كليهما يقول إنه ملاح بارع و « أستاذ فى الملاحة » . وإنى لأرجو أن لا يكون هذا مجرد تمدّح بالباطل . ويقول هارى إن الطريق الذى يجب أن نسلكه فى هذا الوقت من العام يسمى طريق « الرياح التجارية » ، وأن السفينة إرما ينبغى أن تقطع أكثر من سبعة آلاف ميل .

ويظهر أن مؤونتنا تقلقه قليلا، ولما كان من غير المعهود فى هارى أن يقلق لشىء ما، فإن هـذا يقلقنا جداً . وقد تركنا شراء السفينة وليس معنا إلا القليل من المال ، وعندنا تسع علب كبيرة من اللبن المركز للأطفال ، وست غرارات من البطاطس ، وثلاث غرارات كبيرة من الأرز ، وشىء من الخبز السويدى الجافّ ، وقدر من طحين الشوفان ، وقليل من علب اللحم المحفوظ والسردين . وقد بنينا خزانات للماء على جوانب السفينة ، وبطّنّاها بالإسمنت حتى لا يفسد الماء بسرعة . ويقول هارى إنه مع التدقيق الشديد فى توزيع الجراية ينبغى أن يكون هناك ما يكفينا جميعاً ستين يوماً .

كراجيرو — النرويج .
٢٦ أغسطس .

قبل أربعة أيام دخلنا فى عاصفة شديدة فى مياه سكاجيراك الزرقاء، فانخرقت السفينة تحت خط الماء ، فاضطررنا أن نواصل نزح الماء بالمضخة باستمرار حتى لا تغرق فى البحر اللجىّ ، وقبضة المضخة عبارة عن حلقة من الحديد على سطح السفينة من الجانب الأيمن، على مقربة من سقف غرفة الطـوارىء . فأنت تقف لحظـة معتمداً على الغرفة حتى تعتدل السفينة ، ثم تلقى بنفسك على الحلقة ، فإذا أخطأتها فإنه لا يكون بينك وبين البحر إلا قدرتك على الاحتفاظ باتزانك . وترفع الكباس الحـديدى وطوله ثلاث أقدام ، ثم تخفضه ثم ترفعه ثانية ، فينزح ملء كوبين من الماء . وكل مئة حركة للكباس تنزح ١٢½ جالون ، وقد كنت أحرك الكباس خمسمئة مرة فى كل نوبة . وكذلك كان يفعل كل رجل على السفينة . ومع ذلك بقى الماء على عمق بوصات فى أرض الغرف .

فقررنا أن نتجـه إلى ميناء نرويجى ، فلما بدت لنا منارة كراجيرو قلت لهارى : « إن من المؤلم أن نقطع رحلتنا وما كدنا نقوم بها » .

وأحسب أن ضحكة هارى كان يمكن أن تسمع على شاطىء النرويج . وقال: « نقطع ؟ إنما نريد أن نسد الخرق » .

وقد رفعنا السفينة على حاملة للزوارق ،

فرأينا قعرها لأول مرة ، فلم نرض عنه ، فقد كان إلى يمين المكان الذى ظهر فيه الخرق عدة مواضع كالإسفنج . وقال هارى : إن هذا ليس عيب السفينة ، وإنما أصيبت وهى تجر وترفع ، وكنا نرى فى كل أنحاء قعرها قطعاً بارزة كأنها الأسمال التى تحشى بها اللعب.

وقال هارى إن من الممكن ترميمها فى أوجز وقت ، ولكنك كنت تستطيع أن ترى أنه ساخط على صاحب السفينة الأخير ، لا لأنه غشنا عامداً بل لأنه أهملها .

وقد استنفد الترميم معظم المال القليل الذى كنا ندخره للطوارىء ، ولكننا تمكنا من الحصول على بضعة ألواح من النحاس وعلى بعض الدهان الجيد مما أغفله الألمان لسبب ما ، ولم نحصل على ذلك إلا بما معنا من النقد السويدى ، فإن النرويجيين أبوا أن يأخذوا سواه .

وبينما كان الرجال يعملون، خرج النساء والأطفال إلى عدة قرى ساحلية لشراء لبن محفوظ للأطفال ، فلم يجدن فى ثلاثة أيام سوى علبتين .

وقد أتممنا عملنا البارحة ، وأعدنا السفينة إلى الماء . ثم رأينا قوماً يرقصون على رصيف قريب تضيئه مصابيح زاهية ، فذهبنا إليهم لنشاركهم فى لهوهم ، فوجدنا الفتيات النرويجيات يكثرن من التهامس فيما بينهن ، فقد حِرْنَ فى أمرنا فهن لا يدرين أنحن من السويد أم فنلندة أم أستونيا أم لتوانيا أم ألمانيا أم روسيا ، فرأينا أنه آمن لنا أن لا نتكلم إلا اللغة السويدية ، إذ كنا قد غادرنا السويد بترخيص رسمى « لرحلة فى المياه الساحلية » ، وقد ترى السلطات أننا أبعدنا فى الرحلة .

بحر الشمال .

٣٠ أغسطس

تعرضنا يومين لرياح شمالية غربية قوية ، وكان الموج العالى يتكسر على السفينة كل خمس دقائق كأنما كان هناك توقيت بجهاز خاص ، فيقطر الماء من سقوف الغرف ، ويبتل كل إنسان وكل شىء .

ومن سوء الحظ أن دوار البحر قد زال ، وهذا من سوء الحظ لأننا أصبحنا نشعر بالجوع طول الوقت . وإعداد الطعام السخن عناء . وقد حاولنا اليوم أن نعد حساء على احد الموقدين، فانقلب لما وضعنا عليه الماعون، فحاولنا ذلك مرة أخرى ، وأمسك رجلان بالموقد وثالث بالماعون ، واضطرب الرجل الذى يمسك الماعون ، فأريق الحساء مرة أخرى . وأخيراً استعنا برجل رابع ليسند الذى بين يديه الماعون .

وامتلأت قلوبنا الليلة عند الغسق رعباً ، ذلك أن أرفيد وثب فجأة من جانب السفينة

إلى عجلة القيادة وأدارها بعنف ، فنجونا من لغم عائم ولما نكد ، حتى لقد كنت أستطيع أن ألمسه . ولست أدرى ما « جنسية » اللغم ، فهو بعض ماخرج عن موضعه .

لوخ نس — أسكتلندة .
٧ سبتمبر

بفضل الآلة الإضافية التى نبدأ بها كل صباح لتسيير المحركات ، بعد تدفئتها نصف ساعة بجهاز اللحام — أخذنا نجتاز على مهل سلسلة أقنية كالدونيا التى تصل البحر الشمالى بالمحيط الأطلسى. وقد بدا على موظفى الهجرة فى مرفأ فريزر بورج (وهل هم سوى آدميين ؟) أنهم حاروا حين رأوا جوازاتنا السويدية ، وأخيرا ختمها أحدهم وكأنما يقول « ماذا يهم ؟ »

وفى هذا المساء ، حين وصلنا إلى الطرف الجنوبى الغربى للوخ نس ، لم نستطع أن نهتدى إلى مدخل القناة التالية . وكنا فى سكون الليل نسمع أصوات الأجراس ، فمضينا إلى ناحية الصوت فى العتمة ، فإذا بها كنيسة ،فأعطانا القسس خضرا ، ولبناً طازجاً ، وحلوى وسجاير ، وكنا قد أصبحنا عاجزين عن شراء مؤن أخرى ، لأننا أنفقنا آخر ما معنا على شراء زيت الديزل ، الذى يقول هارى إنه الآن أهم من الطعام .

خليج كنجزتاون — إرلندة .
٢٤ سبتمبر .

كادت السفينة إرما البارحة تلقى حتفها وهى راسية ، فقد هبت فجأة عاصفة عاتية وفصلتها من مرساها ودفعتها نحو الشعاب الصخرية التى تحيط بالميناء . ولم يكن ثم سوى أمر واحد يستطاع عمله ، وهو إدارة المحرك الإضافى ومواجهة الريح .

وعكف بول وهاينو ولمبت على العمل بهمة لإدارة هذا المحرك القديم ذى الأسطوانة أو الرئة الواحدة . وكنت تستطيع أن ترى العرق يتصبب من وجوههم على الضوء الأزرق المنبعث من جهاز اللحام . وكنا نرى أمامنا فى الظلام زبد الأمواج الثائرة على الصخور ، من خلال الماء الذى تقذفنا به العاصفة ، فيقع كالمطر على السطح . وكانت السفينة قد سيقت إلى قرب الصخور ، ثم بدأ المحرك يدور ويعمل .

وكان هارى لا يكاد يستطيع ، حتى بمساعدة المحرك الإضافى ، أن يدير مقدمة السفينة ليواجه بها العاصفة ، ولكنا شرعنا أخيراً نناى شبرا فشبرا عن الصخور ، على أنا ظللنا طول الليل وأحدنا ممسك بمقبض المضخة يرفعه ويخفضه على الأقل خمسمئة مرة .

وسكنت الرياح مع الفجر فجأة كما ثارت ، فعدنا أدراجنا إلى الخليج . وارتدى أرفيد وبول ثياب السباحة ، وغطسا ليتحسسا جانب السفينة ، وعادا يقولان إن الرقع

النحاسية في مواضعها وأنها سليمة على ما يظهر.

وكنا قد قدرنا الماء الذي يدخل في جوف السفينة بالساعة. وفي هذا الصباح، في الماء الساكن بعض السكون، وجدنا أن الماء ينفذ بمقـدار ثلاثة جالونات في الساعة. ويقول هاري إن هذا مما يمكن السيطرة عليه.

فونشال — جزيرة ماديرا
١٠ أكتوبر

في بكرة هذا الصباح، وبعد ١٧ يوماً بين الماء والسماء، انتهى هاري وأرفيد بالسفينة إلى الموقع الملائم الذي قدّراه. وكان لا يبدو شيء من الأرض، ثم بدأت جبال ماديرا الخضراء الجميلة تظهر في الأفق على مهل.

وهاري وأرفيد يتعاونان على القيادة، وهما الوحيدان اللذان تسمح لهما السلطات البرتغالية بالنزول إلى البر، لأن هذه السلطات تظن أننا شيوعيون! وتقول إن أستونيا تحت السيطرة الشـيوعية، ونحن نحمل جوازات من أستونيا. إذن نحن شيوعيون!

وأبرق هاري إلى أبيه في أمريكا يطلب مالا، فإن بنا حاجة ملحة إلى زيت الوقود وإلى المؤن، وقد بدأ هاري يرى أن الوقت قد يكون تأخر جداً لقيام سـفينة صغيرة برحلة نعبر بها المحيط.

في عرض البحر.
٢٠ أكتوبر

غادرنا ميناء ماديرا اليوم في جو ساكن أتم سـكون، واستنفدنا إلى الآن عشرة جالونات مما عندنا من زيت الديزل النفيس، فلم يبق منه سوى خمسـة جالونات يقول هاري إنه لابد من ادّخارها للمرور بالموانىء الأمريكية.

وقد وصل المال من والد هاري بعد تسعة أيام من الانتظار، فتمكنا من ابتياع مقادير من البطاطس والأرز والخبز والسمك المجفف وبضع علب من اللبن، ولكنا لم نجد قطرة واحدة من زيت الديزل في فونشال.

ونحن الآن ننتظر أن تهب ريح تدفعنا في اتجاه الرياح التجارية، ويقول هاري إن هـذه الرياح يعتمد عليها، غير أنه يقول أيضاً إن طول فترة السكون خليق أن يكون كارثة لقلة ما عندنا من الماء والطعام، وإنه ليزعجنا حين يخلط تفاؤله الطبيعي بالحقائق.

وقد حرص هاري وأرفيد في ماديرا على أن يبينا للنساء من جماعتنا حقيقة الأخطار التي سنستهدف لها. وقد قال هاري: «لقد ضاع منا وقت ثمين، ولا بد لنا من التعرض لعواصف شديدة قبل أن نصل إلى أمريكا».

غير أنا قررنا بالإجماع أن نمضي قدما وقد قالت المسز بالبرج: «إنه خـير لنا أن نغرق من أن نعود».

ويقول هاري إنه لا مرسى لنا بعد ذلك

إلا فى أمريكا على مسافة خمسة آلاف ميل أو نحوها من هنا ، وإن إرما ستمضى محاولة أن تنتفع بالرياح . ويبدو أنه متردد بين الذهاب إلى نيويورك أوفيلا دلفيا .

فى عرض البحر .
٢٠ نوفمبر

كانت أيام الشهر الماضى أيام صحو ومتاع كأننا فى الفردوس . وكانت إرما كالبطة السعيدة ، تمخر ماضية فى طريقها تداعبها الريح المعتدلة والبحر الأزرق . وكانت تبدو أحياناً كأنها فناء لبعض الدور فى يوم غسل الثياب وقد نشرت على كل شبرفيها السراويلات والقمصان والبطاطين وثياب النساء ، حتى الأطفال تخفق ملابسهم الصغيرة فى الريح . وكنا ننطرح على سقوف الغرف ، والشمس الحامية على وجوهنا ، وننظر إلى السارية وهى تتمايل تحت السماء الصافية . وكانت الشمس كأنما تخرج من عظامنا مالقينا من شدائد فى السنوات الست الماضية .

ونحن نلغط كثيراً بما عسى أن يكون فى المستقبل . ويقول أرفيد الذى كان بحاراً فى أمريكا ، إنها المكان الوحيد الباقى فى العالم الذى يود أن يكوّن فيه أسرته . ويقول هارى : « إذا أبت علينا الولايات المتحدة أن ندخل بدون تأشير على جوازاتنا ، فسنمضى إلى أمريكا الجنوبية » بل إنه يتحدث عن أستراليا باعتبارها بلاداً أخرى للحرية والأمل .

وتعقد مايا كل صباح حلقة درس فى اللغة الإنجليزية للأطفال . والكتاب الذى تقرئهم إياه هو نسخة اشترتها من أسكتلندة من « الأميرة والأقزام السبعة » . وكان الأطفال يعرفون القصة باللغة السويدية ، وهم الآن يتعلمونها باللغة الإنجليزية ، وما أسرع مايحفظون الألفاظ . فحتى يوتا وأوللا اللتان لم تتجاوزا الثالثة ، تستطيعان أن تؤلفا بالإنجليزية جملا كهذه « أنا أستونية » « أنا ذاهبة إلى الحمام » .

وقد اكتسبت وجوههم سمرة شديدة وزاد وزنهم . وهم يتناولون ثلاث وجبات فى اليوم : طحين الشوفان فى الفطور ، والأرز أو البطاطس والسمك المجفف أو اللحم المحفوظ فى الغداء ، وست ملاعق من اللبن المركز فى كوبة ماء ، وطحين الشوفان ، وكسرة من الخبز الجاف فى العشاء .

وظل نزح الماء متواصلاً ، ولكنه يبدو الآن كأنه رياضة ممتعة ، وكل منا يدير المضخة مئة مرة ساعة فى اليوم . ويقول هارى إنه لما كان طعامنا هو الأرز والبطاطس فإن إدارة المضخة تحول دون البدانة .

وفى العصر ينظر هارى وأرفيد إلى الشمس بجهاز قياس الزاوية ليعرفا مكاننا . فليس

عندنا خرائط للملاحة، وكل ماعندنا خريطة كبيرة للمحيط الأطلسي . وفي كل يوم يرسم هاري خطا متعرجاً يبين سيرنا ، فإذا حجبت السحب الشمس صارت الملاحـة بالحساب والتقدير . ويقـدر هاري سرعتنا بالنظر إلى الماء ، ويقول إن السفينة متئدة متزنة ، وإنها في هذا الجو البديع ستقطع أربع عقد لا أكثر ولا أقل .

في عرض البحر
٢٣ نوفمبر

في الثماني والأربعين ساعة الأخيرة رافقنا حوتان كالحارسين ــ واحد عن يميننا والآخر عن يسارنا ــ وعلى نحـو ٣٠ قدماً منا . فإذا نفخ أحدهما وكان في الناحية التي تجيء منها الريح ، أرسل علينا رذاذاً خفيفاً ، وقد سماها الأطفال باسمين ، فالذي إلى اليســار اسمه العبوس، والذي إلى اليمين اسمه العاطس.

ويقول أرفيد إن الحيتـــان مشهورة بالوداعة . وأنا أرجو أن يكون ذلك صحيحاً فإن كلا منهما أطول من السـفينة بمقدار ٢٥ قدماً ، ومن السهل أن يحطمنا .

في عرض البحر
٢٩ نوفمبر

يقول هاري وأرفيد إننا على مسافة ألف ميل تقريباً من نيويورك ، ومئتي ميل من جزر بهاما شرقاً ، وقد أمر هاري بخفض جراية البالغين ، فصارت فنجاناً من الأرز ونصف فنجان من المـاء في اليوم . واحتفظ بقليل من البطاطس وعلب اللبن للأطفال .

وقد خرجنا من طريق الرياح التجارية ، وأخذ مقياس الحرارة يهبط باطراد .

في عرض البحر
٣٠ نوفمبر

هبت عاصفة راعدة شـديدة حولنا ، وصارت الرياح هوجاء ، وكنا نرجو أن نصل إلى « تيار الخليـج » قبل قيام العاصفة. وقد ارتفعت الأمواج إلى خمس عشرة قدماً ، ونحن الآن مدفوعون مباشرة إلى إنجلترا .

وقد بذلنا جهد المستيئس لوقف هذا الارتداد ، وقبيل المغرب ألقى هاري مرساة العاصفة التي تشبه القمع، لأنه يخشى أن يكون الضغط فوق ما تحتمل الألواح التي كادت تبـلى . وما كاد يفعل حتى غمرت الغرف موجة عظيمة لأن مؤخرة السفينة ليس لها حاجز كاف .

فجرب هاري وأرفيد نظرية أخرى . فربطا سلسلة ثقيـلة طولها عشر قامات بالمؤخرة ، وربطا بها سلسلة المرساة . فلمـا غطست المرســاة ، ارتفع شراع المقدمة واعتدلت السفينة ، بحيث امتلأ الشراع بالهواء وصارت السلسلة بثقلها بين المؤخرة ومرساة العاصفة ترد عن السفينة شدة

الصدمات ، والشراع يكفل لنا أن نظل أمام الأمواج الطامية .

ولا بد أن يقف هارى أو أرفيد عند عجلة القيادة باستمرار ، لأن حركة واحدة غير سديدة خليقة أن تجعل الرياح خلفنا ، فتكون هى القاضية . ولا نزال مسوقين إلى إنجلترا بسرعة عقدتين فى الساعة .

في عرض البحر

٤ ديسمبر

اجتزنا العاصفة على نحو ما ، ونحن نعود الآن إلى الغرب ببطء فى جو يكاد يكون راكداً ، ولسنا ندرى أين نحن ؟ ولما تناول هارى صباح اليوم جهاز قياس الزاوية ألفى مرآته مكسورة . وقد أخذ بول مرآة إيلين وهو يحاول تسويتها لتركيبها فى الجهاز .

وقد عانت السفينة جهداً شديداً . وفى الليلة البارحة سدت المضخة قطعة من البطاطس كانت عائمة فى جوف السفينة ، فقضينا ساعتين فى إخراجها ، وكانت الألواح قد غمرها الماء . ويقول هارى إنه يخشى أن تكون إحدى الرقع النحاسية قد خرجت من موضعها . وقد أكلنا قطعة البطاطس .

ولما كانت كلاب البحر تحوم حول قعر السفينة فإنه ما من أحد يجرؤ أن يغطس لينظر مبلغ ما أصابها من التلف . وأراد بول أن يصيد كلباً برمح صنعه فى منطقة الرياح التجارية ، غير أن هارى يقول إن الكلب أشد خطراً فى السفينة منه فى الماء . على أن بول تمكن من اصطياد سمكة سوداء عريضة ، وقد أكلناها الليلة . وهذه أول مرة منذ ستة أيام أكلنا فيها شيئاً غير الأرز . ومن الغريب أن السمكة كان لها طعم الأرز .

في عرض البحر

٨ ديسمبر .

كلنا يشكو من شدة البرد . ويقول هاينو إن ثيابنا صالحة للتمشى فى بستان لا للشتاء فى المحيط الأطلسى . فأنا مثلا أرتدى غلالات صيفية وقميصاً وبذلة قديمة ، وقد لففت على وسطى بطانية ، ولففت على رجلى مجلات قديمة ، وفوق هذا كله لبست معطفاً أسود له طيات من المخمل ، وهو أثر من آثار حياتى الماضية يحزننى أن أرى الماء الملح يتلفه .

وكلنا ثيابه من هذا القبيل ، وقد صرنا جميعاً كالإسفنج مما رشتنا به الأمواج فى اليومين السابقين . وإذا رقدنا يخرج الماء منا كالجدول .

ويدلّك النساء الأطفال فى الغرف ، وليس ثم قطعة واحدة من قماش جاف لتدليكهم بها ، ووجوههم متهضّمة مائلة إلى الزرقة ، وحتى حين ينامون يبدون كأنهم ينتفضون ، ولكنهم لا يبكون فى الليل إلا إذا هاج البحر ورمانا بموجه .

نجح يول أخيراً في إصلاح جهاز قياس الزاوية ، وأتيح لنا أن ننظر به إلى شمس الشتاء وقد طلعت لحظة وجيزة فوجدنا أننا على مسافة ٣٥٠ ميلا من نورفوك شرقاً .

اليوم عيد ميلاد لبت الخامس والعشرين. فبعد أن انتهت نوبته عصر اليوم ، تقدمت إليه مايا وإيلين فوق السطح المضطرب الزلق بعلبة صغيرة من السردين استطاعتا بمثل جهد الأبطال أن يدخراها لهذه المناسبة، وكانت مايا أيضاً قد نظمت قصيدة أنشدته إياها .

وأصغى لبت صابراً، ثم فتح العلبة ومضت لحظة خيل إلينا فيها أنه قد يأكل كل مافيها ، ولم يكن فيها سوى ١٢ سردينة ، ولكنه كبح نفسه وأدار علينا العلبة .

في عرض البحر .

١٠ ديسمبر .

تحولت الريح بأعجوبة ، وهي الآن غربية جنوبية دافئة قوية ، وهي تدفعنا أمامها . وقد ظللنا طول النهار نغني بشدة . ورفع أرفيد وهو أمام العجلة صوته بأغنية جديدة:

« أتناول من البحر جرْعة ملحة ، ثم أقبل عروسي فيضطرم خداها » .

ويزعم أن هذه أغنية أستونيه قديمة للسماكين، وفي المقطع الثاني منها رفع هاينو صوته معه بالغناء ، وفي الثالث اشتركنا جميعاً فيه .

ويقول هاري إننا سندخل ميناء نيويورك بعد غد. وقد قضينا أياما وكل طعامنا فنجان من الأرز . وقد تفكك جدار الأسمنت في خزانات الماء ، وما من شك في أن نصف الفنجان اليومي من الماء سوف يتحجّر في معداتنا . ولكن طعمه الليلة حسن .

منتصف الليل — ١٢ ديسمبر

نحن في نقطة لاتبعد إلا خمسين ميلا من أتلنتك سيتي ، وكل ما نحتاج إليه هو ثماني ساعات أو عشر أخرى من الرياح الموافقة . ولكننا لم نفز بها ، بل هبت عاصفة أخرى علينا ، وكانت في هذه المرة مقبلة من الشمال مباشرة بأقصى شدة .

فارتددنا إلى الجنوب في الليل ، ونحن لانملك حيلة . وكانت الأمواج العالية تزأر فوق سطح السفينة ، وتغمر مكان القيادة . أما في الغرف فكان كل شيء عائماً — الحقائب والأحذية والفراش — وأحس الأطفال بالخطر فبكوا بكاء أليماً .

وكنا على التناوب طول الليل نعكف على المضخة نرفعها ونخفضها بعناد . وكان دُفّاع الماء يكاد يخنقنا أحياناً ، وكنا نعمل على المضخة بسرعة ١٥٠٠ حركة في كل نوبة مدتها أربع ساعات .

وحدث مرة أن أقبلت موجة كالجبل ولها صوت الرعد ، فقذفت أرفيد وكان على

عجلة القيادة ، وأمالت سفينتنا الصغيرة على جنبها ودارت بها مقدار ١٨٠ درجة .

وكنا بين نوبات الحراسة نقرفص على فراشنا ولكن النوم كان مستحيلا ، فقد كنا نسمع زئير الأمواج المندفعة ، وكلما تكسرت واحدة ارتجفت السفينة وأنّت ، ثم كان ذلك السكون الهامس العجيب وهى تحاول أن تفلت من قبضة الماء .

١٣ ديسمبر .

سكنت العاصفة ، ونحن الآن نحاول مرة أخرى أن نرتد غرباً ، وقد تكون الثلج على الشراع ، فصار العمل على المضخة لا يفيدنا الدفء .

وقد حطمت العواصف المواقد ، ولكن النساء اهتدين إلى اختراع جديد ، فهن يرقن بعض الكحول على الأرض ويشعلنه فيجتمع الأطفال حول اللهب . وكل شىء مغمور بالماء فلا خوف من حريق .

والريح نسيم فالتقدم يسير . وقد أدرك الإعياء كل امرىء منا ، والأطفال ينامون معظم الوقت ، ونحن ندرك الآن أننا نتضور .

القليل الباقى من الماء للشرب يجب أن يمتص بمنديل ويدخر للأطفال ، وعندنا قليل من الأرز ، ولكن ألسنتنا جافة فلسنا نستطيع مضغها ، وهارى نفسه يوافق الآن على أن أملنا الوحيد فى النجاة منوط بأن تلمحنا سفينة عابرة .

١٤ ديسمبر .

كان هارى على عجلة القيادة وأنا على المضخة ، حين أقبلت إيلين على السطح ، فوقفت برهة تنظر إلى البحر ولا تنبس بحرف ثم أشارت وصرخت .

فأرسلنا لحاظنا من خلال الثلج المتساقط فرأينا سفينة ! وكانت مقبلة علينا من مسافة ربع ميل .

فصاح هارى : « كل شىء على ما يرام الآن يا إيلين . لقد أبصرتنا السفينة ، وهى تخفف من سرعتها » .

وأسلم هارى العجلة إلى أرفيد ونزل ، ثم صعد بعد قليل بكيس الجلد الذى فيه أوراق السفينة إرما وجوازاتنا . ولاحظت أنه مشط شعره ، وارتدى خير سترة عنده .

وبعد لحظة كانت السفينة بجانبنا ، ثم أنزلت السلم فصعد إليها هارى ، وبعد عشر دقائق شرع البحارة ينزلون إلينا طوفاناً من المؤن — ماء ، وخبز ، ولحم ، وعلب بن ، وكاكاو ، ولبن ، ولفافات من الثياب والبطاطين ، وسجاير وزيت ديزل لآلاتنا .

ثم هبط هارى على السلم ، فألقينا الحبال ولوّح لنا البحارة ، فلما مضت عنا السفينة قرأنا اسمها على مؤخرتها : جون ب . جراى ، لقد كانت من سفن النقل الإضافية التابعة لأسطول الولايات المتحدة .

وصاح هارى : « كل امرىء يستطيع أن يأكل الآن » .

وقد أعطاه ربان السفينة حمل ذراع من خرائط الشواطىء. وقد بسطها مغتبطاً فوق سطح غرفة الطوارىء، وربت على ظهر أرفيد. وقال : « كان موقعنا مضبوطاً بدقة » . فاعتدل هاينو لحظة وكان يعمل على المضخة .

وقال : « لقد كنت أتوقع أن ينقلونا إلى سفينتهم » .

وكنت أنا أفكر فى هذا أيضاً .

فألقى هارى إلى هاينو نظرة فيها ابتسام وحيرة ، فأدركت حينئذ أن فكرة ترك السفينة إرما لم تخطر له قط .

ومن العجيب أنى بدأت أدرك ، ونحن نسير فى الليل تحت ضوء القمر البارد فى اتجاه أمريكا ، أنى أنا أيضاً أحب السفينة إرما . فقد أقلتنا ١٢٨ يوماً مسافة ٨٠٠٠ ميل فى البحر. وكانت بدينة وعتيقة ولكنى أحببتها. ولم يكن ثم فى حبى لها سوى تحفظ واحد ، ذلك أنه يجب أن تكون لها مضخة آلية لنزح الماء.

١٥ ديسمبر .

رأيناه أول مرة فى غبش البكور . وكان هارى وأرفيد عند عجلة القيادة ، وهاينو على المضخة ، وكنت قد صعدت لأن البرد شديد والنوم فيه عسير .

وكان فى البـداية وهجاً لا يكاد يرى على الأفق الغربى ، فلو أنه كان فى الشرق لما كان إلا الفجر ، ولكنه كان بادياً فى الغرب ، فأدركنا أننا نرى نور أمريكا تعكسه السماء الغربية .

ولبثنا برهة صامتين، ولكنى كنت واثقاً أننا جميعاً نفكر فى شىء واحد : لقد خلفنا كل شىء وراءنا — العواصف ، والجوع ، وأخطار البحر ، وفوق كل ذلك ، الخوف واليأس فى البلاد التى كانت وطناً لنا . ولعلنا، نحن ركاب إرما ، كنا أسعد الملايين المشردين من أهل أوربة . وفى هذه البلاد الجديدة سنبدأ حياة أخرى .

وبينما كانت إرما تعلو وتهبط فوق البحر المائج ، لمع فى السماء ضوء منارة بعيدة ، فقال هارى بصوت متهدج لأول مرة: « أظن هذا رأس هنرى » .

وهنا صاح أرفيد بهاينو: « لا بأس يا هاينو فى وسـعك الآن أن تدعها تغرق ! »



سطو وتجسس

مختصر كتاب

ويليس جورج

قصة عجيبة عن « لص » ، يفتح الأقفال ، والخزائن ، ويصور الوثائق المختومة بالشمع ، ويعيش خارجاً على القانون فى سبيل خدمة بلاده فى زمن الحرب .

سطو وتجسس

بعد الهجوم على برل هاربر بقليل، كنت ذات ليلة فى عملى بمكتب المخابرات السرية التابع لوزارة البحرية فى نيويورك. وفى الساعة الحادية عشرة مساء مزّقت سكونَ المكتب دقات آلة التقاط الرسائل وهى تسجل رسالة من وشنطن دفعت بى إلى ممارسة عمل قد يصدق عليه وصف « السطو الرسمىّ » .

ذكرت الرسالة أن موظفى إحدى السفارات في وشنطن قد حرقوا — فيما يقال — كل محفوظاتها فى الليلة السابقة، وسألتنا أفى مقدورنا أن نتثبت من أن قنصليتها فى نيويورك قد حذت حذوها .

فاستأذنت رئيسى أن أحاول التسلل إلى القنصلية لأحقق الأمر، وكان رئيسى على خلاف كثيرمن الموظفين، رجلا لا يحجم عن المخاطرة بمنصبه من أجل القيام بعمل تدعو الضرورة إليه . فقال لى :

« امض فى سبيلك، ولكن لا تنس أن لدور القنصليات حرمتها إذ تُعَدُّ قطعة من أرض أوطانها، فلو اكتشف أمرك لوقعت وزارة البحرية فى حرج شديد » .

وكنت أدرك ذلك حق الإدراك، فدبرت خطة مأمونة العواقب، فبدأت بمقابلة مدير البناء الذى فيه القنصلية، وأطلعته على وثيقة إثبات شخصيتى، فتبين لى أنه من قدماء رجال البحرية، فتطوع من فوره لمساعدتى وقال لى:

« ليس هناك مَنْ يتولى حراسة البناء ليلا سوى عامل المصعد المخصص للقنصلية » .

وتنكرت فى زى العمال الموكلين بنظافة الدار، وركبت مصعداً آخر إلى الطابق الثانى فوق القنصلية، ثم نزلت إليها عن طريق السلم، وفتحت بابها بالمفتاح الذى يحتفظ به مدير البناء . فلما دخلتها هبت علىّ رائحة احتراق أوراق، ودلت سلال المهملات على أن يداً قد أعدمت كل الأوراق، ولكنى وجدت بضعَ خزائن حديدية، وخزائن أخرى مدفونة فى الجدار، وكذلك وجدت صناديق لحفظ اللفات، فأيقنت أنه لا تزال هناك أوراق هامة غير التى أُحرقت .

وصح عزمى على الرجوع إلى تلك القنصلية، سواء أُذن لى أو لم يؤذن — ومعى كل ما يحتاج إليه فتح الخزائن والصناديق من رجال وأدوات . ولم أجد ممانعة من رئيسى، وإن كان قد أذن لى هذه المرة بدون إذن من وشنطن . ولم يغب عنه،

كما لم يغب عنى ، أن التنقيب فى سلال المهملات شىء ، وفتح الخزائن شىء آخر ، وقال لى : « لى شرط واحد ، هو أن تقوم بعملك بحيث لا يرتاب إنسان فى أنك فتحت هذه الخزائن » .

وهذا شرط ينوء به رجل مثلى لم يألف هذا العمل ، ولكنى بدأت فى اليوم التالى فى جمع زمرة أرجو أن تحسن مثل هذا العمل . فاخترت حداداً، وخبيراً فى الخزائن، وعالماً باللغات ليدلنا على المستندات الجديرة بالاستنساخ ، واخترت أيضاً مصوراً قديراً ليصورها على شريط مصغر ، وأعارنا مكتب المخابرات البريطانية رجلا ناتىء العظام وجهه كوجه الفأر ، وهو رجل عزب بلغ الخمسين من العمر ، وكل عدته حقيبة فيها بعض القلايات والغلايات والمواقد الصغيرة التى تعينه على فض أية ربطة مختومة ، بحيث يعجز المدقق عن أن يدرك أنها فضت ، ولو فحصها بالأشعة فوق البنفسجية . وأخذت معى أيضاً عدداً من الحراس لمراقبة البناء وتنبيهنا إذا رأوا أحداً من موظفى القنصلية .

ونم مسلك هذه الزمرة التى جمعتها على عجل فتولت أول سطو لها ، على أنها قليلة الدراية بمهمتها ، إذ أخذنا نجول فى القنصلية على غير هدى ، فيتصادم بعضنا ببعض ، ثم نتقاطر متزاحمين من حجرة إلى حجرة لنرى الأقفال كيف تفتح . ولما فتحت أول خزانة مددنا جميعاً رؤوسنا فى وقت واحد لنرى ما بداخلها ، ولم نكن حراصاً على إخفاء آثارنا ، ومع ذلك لم يكتشف أمر زيارتنا، وظللنا نوالى التنقيب فى القنصلية ليلة بعد أخرى .

وحدث ذات مرة أن وقعت آلة التصوير على الأرض وسمع لها دوى ، فلم نر شيئاً يريبنا ، إلا أن عامل المصعد قد روى بلا ريب خبر هذا الدوى ، إذ ساورنى شعور غامض فى الليلة التالية بأن الحالة قد تبدلت، فقررت أن أتبين الأمر قبل أن أرسل زمرة العمال للتنقيب . فتنكرت من جديد فى زى عمال النظافة ، وصحبت رئيسهم ودخلت القنصلية ، فإذا أنوارها تضاء فجأة ، وطلع علينا القنصل ومعه حارس مسلح يسدد إلينا بندقيته ، فأنقذنا زينا ، واعتذر لنا القنصل قائلا إنه حسبنا من اللصوص .

أخذت بعد ذلك أرصد القنصلية من دار مجاورة ، فتبينت أن الحارس يصل فى الساعة الخامسة من مساء كل يوم ويقضى بها الليل كله ، فمنعنا وجوده من العودة إليها، ولكنى قررت أن أتخلص منه . وتسللت ذات ليلة إلى الطابق الذى فوق القنصلية ، وقذفت كرسياً على الأرض فأحدث ضجة عظيمة بالقرب من بئر المصعد ، ثم نزلت مسرعاً

إلى الطابق الأرضىّ ومعى الكرسى. وبعد نصف ساعة وصل القنصل فى سيارة ، وكان الحارس قد دعاه ، وأخذنا نرقبه من الدار المجاورة وهو يتفحص فى هياج أرجاء القنصلية . وكررت الحيلة نفسها ليالىَ متتالية ، فيحدث كل مرة ما حدث فى الليلة الأولى . وغضب القنصل آخر مرة غضباً شديداً ، إذ ضاقت نفسه بهذه الأوهام التى تزعجه عن مضجعه فى جوف الليل . وفى الليلة التالية ، لم يعد الحارس إلى القنصلية، فقد طرده القنصل ولا ريب .

وعدنا إلى عملنا وقد زاد احتراسنا ، فنحن نعلم أن القنصل قد أخذته الريبة ، وهكذا بدأنا نتعلم بالتجارب القاسية . ولم ننته من مهمتنا إلا بعد عشرة أسابيع ، ولكننا ظفرنا بعد انقضائها بصور كافة المستندات الهامة التى كانت فى القنصلية ، وصار عندنا قاموسها الرمزى، وكشف بأسماء أعوان المحور المقيمين فى الولايات المتحدة ، وبيانات وفيرة تثبت أن النازيين يستخدمون القنصلية للتجسس على نطاق واسع .

وفى السنتين التاليتين تمّ على يدى ١٥٠ سطواً مماثلا دون أن ينكشف أمرنا . وهذا من حسن حظنا ، فإن الحكومة لن تحمينا إذا قبض علينا ونحن ننتهك القوانين . وقد أنذرنا رئيسنا قائلا :

« حذار حذارِ من إحراج الحكومة مهما كان الأمر » .

وبالرغم من اعترافى بأن السطو قد أصبح لى عملا ، فإننى أرجو القارىء أن يؤمن بأننى لست ممن تهوى نفوسهم الإجرام ، وليعلم أننى كنت قبل أزمة ١٩٢٩ سمساراً فى سوق الأوراق المالية بنيويورك ، ثم قضيت بضع سنين فى خدمة وزارة المالية ، وكان يعهد إلىّ بتتبع أخبار مهربى الخمر من كوبا، وذلك بعد إلغاء قانون تحريم بيع الخمور ، ثم عهد إلىّ بعد ذلك بتتبع أخبار مهربى المخدرات .

لذلك كنت قد أصبت خبرة عظيمة فى أمثال هـــذه التحقيقات حينما التحقت فى سنة ١٩٤١ بمكتب المخابرات السرية التابع لوزارة البحرية ، ولكن خاب أملى ، فقد عهدوا إلىّ بعمل كتابى .

فلما أعلنت الحرب زاد اهتمام الناس جميعاً ، وموظفى الحكومة أيضاً — بخطر التجسس ، وحرص كثير من الناس على تزويدنا بأنباء الجواسيس، فكان دق التلفون فى مكتبنا لا ينقطع . وقيل لنا ذات ليلة إن أنوارا كشافة تنبعث من حجرة فى سطح بناء كبير فلعله جاسوس يرسل إشارات رمزية . فحطمنا باب الحجرة، فإذا بالجاسوس

الذى نريد القبض عليه سمك فى حوض وضع بجانب النافذة وسلط عليه نور كهربائى يومض وينطفىء لتدفئة الأسماك التى جىء بها من المناطق الاستوائية .

ونقل إلينا التلفون أخباراً عن أشخاص يرسلون إشارات لاسلكية على موجة قصيرة ، وعن غواصات ألمانية يقال إنها شوهدت فى نهر هدسن ، وكل هذه الأنباء من نسج الخيال ، ولكن كان علينا أن نحقق كل هذه الوقائع واحدة واحدة .

وما كنت أرى مثل هذا العمل سوى لهو أطفال ، وأخذت أفكر فى المستندات السرية التى تضمها مئات من الصناديق والخزائن فى الشركات التى تعمل فى الولايات المتحدة تحت سيطرة الألمان . فهذه هى البيانات الهامة التى ينبغى للمكتب أن يظفر بها ، بدلا من أن يشغل رجاله بتتبع الأنباء التى يوافيه بها أشخاص حمقى ضعاف الأحلام . وبدأت أفكر فى وضع خطة للسطو — أو قل للسرقة ، ووافق رؤساؤنا عليها حينما رأوا نجاحنا فى السطو على القنصلية المشتبه فيها .

ولكن هذا النجاح الأول الذى أصبناه كاد يودى بخطتنا ، إذ كنا لا نجهل أن الخبرة بهذه الأعمال لا تزال تنقصنا ، ومع ذلك أراد رؤساؤنا أن ننفذ خطتنا على نطاق واسع ، فطلبوا إلينا — كأنما هو أمر يتم بين عشية وضحاها — أن ندرب خمسين رجلا على الاحتيال لفتح الأقفال ، ومثل هذا العدد أيضاً لفتح الخزائن . فصار المكتب كخلايا النحل من كثرة العمل ، وصارت كل حادثة تحتاج إلى جماعة من الرجال المتخصصين يعملون يداً واحدة .

وكان إخفاء أسرارنا عن بنى جلدتنا أشق من إخفائه عن الذين يرتابون فينا . وتقاطر كثير من الضباط لزيارة معمل الأبحاث الذى أقمناه فى مكتبنا ، وأخذ عمالنا يبينون من هو ين لهؤلاء الضباط كيف تفتح الصناديق بسلك صغير أو بسن منشار ، وكيف تفك الأقفال وتفض الخطابات ، وسائر الحيل التى نلجأ إليها عند السطو ، ويستشهدون بحوادث لا تزال رهن التحقيق . ومثل هذه المعلومات الشائقة سوف تصبح من بعد خير حديث يتجاذبه الناس على موائد الطعام . وعمد بعض الضباط وغيرهم ممن لا تربطهم بالمكتب أقل صلة ، إلى المفاخرة بهذه الأعمال استثارة لأعجاب رفيقاتهم من الفتيات . ولقد حضرت حفلة ذات يوم فإذا بفتاة يافعة تحدثنى بتفصيل إحدى وقائع سطونا ، وقد عرفتها من كاتب صديق لها يتباهى بأنه ممن يعهد إليه بهذه الأعمال الجريئة .

ولكننا برغم هذه الصعاب أخذنا ندخل التحسين على وسائلنا وأدواتنا ، حتى أصبحنا

قادرين على أن نقوم في ليلة واحـدة بمثل مهمتنا الأولى التي استغرقت عشرة أسابيع، بيد أننا كنا في بعض الأحيان نمكث شهراً كاملا نضع خطة سطو واحد ونستعد له، فالسطو ولا جرم يتطلب حذراً شديداً.

وأصبحنا نبـدأ كل تحقيق مهم بفرز الأوراق المهملة التي يأتينا بها عمال النظافة من المكاتب المشتبه فيها، فلربما دلتنا قصاصة ورق أو بقية رسالة محترقة على أن الأمر يتطلب تحقيقاً شاملا. وقد كان هناك رجل نرتابُ فيه، وكانت عادته أن يمزّق رسائله ويحرقها. ومرّ شهر فإذا كاتبة الاختزال التي يستخدمها تلقي بدفترها في سلة المهملات، فوقفنا منها على نص رسالة مهمة كان قد كتبها منذ ستة أسابيع مضت.

وقد تولى الزميل البريطاني تدريبنا على إجادة فضّ الرسائل، وتعلمنا كذلك أن نأخذ معنا ستائر لنغطي بها النوافذ حتى يتسنى لنا العمل والأنوار مضيئة، وأن نشرع في العمل بهدوء وسكون إلى أن نتحقق من أن المكان خالٍ من آلة مخبأة لالتقاط الأصوات وتسجيلها، وأن نأخذ معنا مسحوقا من الرماد والطلق (التلك) لنـذرّه على المستندات وسطوح المكاتب والخزائن التي نفتشها، وأن ننتبه للأشراك المنصوبة لنا، وأن نرسم على الورق مواضـع ما يكون في الخزانة قبل أن نلمسها، حتى نعيدها كما كانت أولا. وزوّدنا إحدى سياراتنا بجهاز لاسلكي يرسل الإشارات ويتلقاها، وصنعنا جهازاً صغيراً آخر لنضعه في حقيبة ونأخذها معنا. ولكننا لم نوفق كثيراً في تدريب غير المختصين من رجالنا على الاحتيـال لفتح الصناديق والخزائن، إذ هو فنٌّ يحتاج إلى دراية تامة بالأقفال وأسرارها، وإلى التمرن على فتحها سنة كاملة.

وكان أكبر نجاح أصبناه هو سطونا على المسكن الذي رتبه ستيفن زيجلي بمكو شديد في الطابق الثاني عشر من أحد أبنية شيكاغو. وهـذا الرجل يتظاهر بأنه يتولى أعمـال المصارف والتأمينات، وله في هذه الأعمال شهرة دولية، ولـكن السلطات الأمريكية ارتابت في أنه يقوم أيضاً بعمل أهم، وهو إدارة جمعية تجسس ألمـانية. وأقام زيجلي مركز أعماله في بلد أوربي محايد، ولكن أغلب صلاته كانت بألمانيا.

ولما فتح زيجلي مكتبه في شيكاغو أصرّ على إدخال تعديلات كبيرة في المسكن، وأعاد نظامه بحيث يجتاز الزائر قبل الوصول إلى مكتبه أربع حجرات تحت رقابة من فيها من الموظفين، ثم سارع بالشكوى إلى مدير البناء بأن عاملات النظافة قد أتلفن بإهمالهن

مستنداً مهمًّا ، وأصر على أن يأتى هو بمن يتولى له هذا العمل مكانهن .

ولبثنا ثلاثة أشهر نفحص الأوراق التى تجمع من سلال المهملات فى مكتبه ، فتبين لنا أنه ممن تعلبهم عادة التلهى برسم صور أو دوائر على الورق على غير وعى أثناء انشغالهم بالحديث مع الناس وجهاً لوجه أو بالتلفون . فكانت صوره دائماً مدافع وسفناً حربية أو طائرات وقنابل ، وقد يرسم أحياناً شيئاً يشبه جهاز الرادار شبهاً كبيراً ، فقررنا السطو على مكتبه.

ولما كنت أنا المسئول عن السطو ، فقد حملت معى مسدساً ، وكذلك فعل ثلاثة من الحراس ، أما بقية الرجال فلم يحملوا إلا مسدسات صغيرة تطلق بدل الرصاص غازاً ، وجعلت أول همى أن أفوز بمعونة مدير البناء ، فمد لى يد المساعدة ، وكذلك فعل المالك بعد أن اتصلنا به ، ولكنه اشترط علينا أن نختلق للنفوذ إلى المكتب عذراً معقولا ، فاقترحت أن نتظاهر بأننا عمال مكلفون ببحث مقدار تمايل البناء ، وقلت له: « تحدث فى كل الأبنية صدوع من جراء تمايلها ، وذلك فى المواضع التى يقع عليها أكبر ضغط . وإن احتمال وقوع غارات جوية يسوّغ لك أن تطلب فحص هذه المواضع . وهذه حيلة تمكننا أيضا من وقف المصاعد أثناء قيامنا بالتنقيب ، بحجة أن الاهتزازات الناجمة من حركة المصعد تؤثر على الأجهزة الدقيقة التى تتولى الفحص بها . وهذا يجعلنا بمأمن من المباغتة » .

فأجابنى: « لا بأس، يا حضرات المهندسين! »

وفحصنا أمر المستخدمين الخمسة الذين يشرفون على البناء بالليل ، فتبين لنا أن أحدهم لا يؤمن جانبه ، وسعينا إلى نقله لخدمة النهار . واختارت سيارة الراديو مكاناً لها بجوار البناء ، وشرع اثنان من رجالنا وهما فى زى النقاشين ، يطلون جدران الممشى المؤدى إلى باب مسكن زيجلى ، وعلمنا منهما بعد يومين أنهما أصبحا يعرفان كل موظفيه.

وقمت أنا والحداد بتفقد مسكن زيجلى ، ولم نجهل أنه لو كان من الجواسيس حقاً لما غفل عن نصب فخاخ لمن يقتحم مسكنه ، فلذلك شرع خبير الأقفال يعالج الباب الخارجى بكل هدوء وفتحه بعد ١٥ دقيقة ، وظل واقفاً خارج الباب ليصنع له مفتاحاً آخر .

وكان مالك البناء قد قدّم إلىّ رسم المسكن ، فأضفت عليه كل التعديلات التى أدخلها زيجلى ، وبينت مواقع المقاعد والمكاتب والصناديق وبقية الأثاث ، وقمت بهذا العمل فى سكون تام . ثم أخذت أبحث عن الأشراك ، فوجدت على حافة النافذة وراء مكتب زيجلى ، خقيبة يمتد منها سلك مستور إلى وصلة الكهرباء بأسفل الجدار ،

فرفعت السلك من الوصلة وفتحت الحقيبة ، فإذا بها تضم جهازاً دقيقاً لتسجيل الأصوات يتحرك من تلقاء نفسه إذا نطق إنسان فى الحجرة بكلمة واحدة ، ويسجل بواسطة مكبرات الصوت ، من غير ضوضاء ، كل ما يحدث فيها من أصوات .

ووجدت أحد مكبرات الصوت على رف وراء مكتب زيجلى ، وآخر مخبوءا تحت منضدة وسط الحجرة . ووجدنا فى أحد الصناديق خزانة حديدية من طراز متين ، فسجلنا أرقام قفلها الخارجى . ولم نغادر المسكن إلا بعد أن تحققنا من أن كل شىء قد أعيد إلى مكانه الأول ، فقد أعدنا طلاء أرض المسكن بعد أن داستها أحذيتنا وتركت آثارها عليها، ونثرنا مسحوق الرماد والطلق على الحقيبة بدلا من طبقة الغبار التى كانت تعلوها . ثم خرجت من المسكن ودرست كل الطرق التى يتسنى لنا الفرار منها إذا فاجأنا مباغت ، واخترت بقرب مسكن زيجلى دورة للمياه لنقوم فيها بالتصوير الشمسى .

وبعد ثلاثة أيام من هذا التفقد ، ذهب أحد عشر رجلا من عمالنا فى الساعة الواحدة صباحاً إلى ذلك البناء فى عدة سيارات تتبعها سيارة نقل كبيرة قد كتب على جدارها « شركة نورث وست الهندسية » وتحت هذا الاسم عنوان الشركة ورقم تلفونها ، وكنا قد استأجرنا فعلا مكتباً صغيراً فى العنوان المذكور، وكتبنا اسم الشركة على باب المكتب، وأدرجنا رقم التلفون فى دليل شيكاغو .

وأخرجنا من سيارة النقل عدة صناديق وحقائب كتبنا عليها اسم الشركة أيضاً، وفيها أجهزة للفحص وأجهزة لقياس تمايل البناء. وبقى رجلان مختبئين فى السيارة : أحدهما عامل اللاسلكى، والآخر حارس يعرف كل موظفى زيجلى، وأخذا يرقبان باب البناء من شق صغير فى غطاء السيارة .

وتقدمت إلى مدير البناء وأنا أتظاهر بأنى لا أعرفه ، وأطلعته على العقد الذى تعهدنا فيه بقياس درجة تمايل البناء وعليه توقيع المالك ، وطلبت إليه أن يوقف حركة المصاعد ، ثم استولينا - نحن المهندسين ! - على مصعدين وتفرقنا فى أرجاء البناء ، ثم تجمعنا عند مسكن زيجلى . وتركنا فى المصعد قبعاتنا ومعاطفنا وأحذيتنا ، وقلنا لعامل المصعد إننا فعلنا ذلك لأن وقع الأحذية على الأرض يحدث اهتزازات تضر بأجهزتنا.

وتقدم واحد منا ومعه المفتاح الذى صنعه خبير الأقفال ليفتح الباب ويستوثق من أننا لن نقع فى كمين ، وطلبنا إليه إذا وجد نفسه فى مأزق أن يتظاهر بأنه من اللصوص ويولى الفرار بأقصى جهده .

ولكنه وجد الطريق مأموناً فدخل من

فوره الحجرة ، وفك جهاز تسجيل الأصوات، وأسدل الستائر السود على النوافذ وأضاء الأنوار . فلما رأينا هذه الإشارة دخلنا جميعاً، وبدأ كل رجل منا يؤدى المهمة الموكولة إليه ، فرتب عامل اللاسلكي اتصاله بسيارة النقل الواقفة فى الطريق ، وأعد المصور أدواته فى دورة المياه ، وفتح خبير الأقفال باب مسكن مجاور حتى نهرب إليه وقت الضرورة .

وبعد ١٥ دقيقة من دخولنا وصلتنا رسالة لاسلكية من السيارة تنبئنا بأن أحد موظفى زيجلى قد دخل البناء ، فسارع رجالنا إلى جمع أدواتهم ولجأوا إلى المسكن المجاور ، وهناك أعدنا الاتصال بالسيارة . وقد تم جلاؤنا عن مسكن زيجلي فى بحر عشر دقائق دون أن نترك أثراً ما يدل على زيارتنا .

وعمد الحارسان اللذان خلفناهما عند المدخل إلى تنفيذ خطة موضوعة لتعويق الباغتين ، فأصر أحدهما على أن يثبت القادم شخصيته لمدير البناء ، وأضاع خمس دقائق وهو يبحث بالتلفون عن هذا المدير فى مكاتب ليس بها أحد فى تلك الساعة، وأخذ الحارس الثانى يشرح له دقائق الأجهزة التى نستعملها لقياس تمايل المبانى. وقال له : «فأنت ترى أنك ستعطل عملا مهماً، أفلا تستطيع أن تؤجل شغلك إلى غد؟ » فأجابه الموظف : « الحق أننى لم آت لعمل ، بل إن رفيقتى تشاربنى فى حانة قريبة ، وقد نفدت نقودى فأريد الآن أن أصعد لآخذ زجاجة من الويسكى خبأتها فى مكتبي ، ولن أبقى فيه أكثر من دقيقة واحدة » .

فأخذه عامل المصعد إلى الطابق الثانى عشر وظل ينتظره حتى فتح الباب وأخذ الزجاجة ورحل يتبعه أحد رجالنا إلى أن رآه يعود إلى رفيقته ، ولما وصلتنا إشارة لاسلكية بالأمان عدنا إلى عملنا .

وفتح خبيرنا خزانة زيجلى المتينة فى أقل من عشرين دقيقة، بعد أن عالج أرقام مفتاحها، وهذا عمل دقيق يحتاج إلى تدريب طويل وخبرة عظيمة ، ولا ينجح فيه إلا من آتاه الله خفة اليد وحدة السمع ومعرفة تامة بأقفال هذه الخزائن .

ووقع نظرنا ساعة فتحت الخزانة على ربطة مختومة كتب عليها بحبر أرجوانى « وردت فى الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة مساء » ، ويلى ذلك تاريخ الأمس . فالظاهر أن الربطة وصلت قبل موعد انصراف الموظفين بقليل ، فوضعها زيجلى — لعامه بمحتوياتها — كما هى فى الخزانة . وأعددت رسماً دقيقاً يبين وضع هذه الربطة فى الخزانة، حتى يتسنى لنا إعادتها كما كانت، ثم أخرجناها وسلمناها إلى خبير فض الأختام .

لفّـها الخبير فى ورق شفاف جعل فيه خروقاً بقدر أختامها، ثم أعد معجوناً كالذى يستعمله أطباء الأسنان وطبع عليه أختام الربطة البادية من خروق الورق ، ثم جاء بقلم من الحديد أحماه أولا فى النار ودار به حول الخروق ، وكان غلاف الربطة قد أحكم تثبيته بالصمغ قبل أن توضع عليها الأختام ، فعمد الخبير إلى بلّ الغلاف بسائل يستعمله هواة جمع الطوابع لنزعها من ظروف الرسائل . فلما تشرب الغلاف هذا السائل وذاب الصمغ من الداخل ، تناول الخبير حافة الغلاف وأخذ يرفعها على مهل .

ووجدنا فى الربطة قاموســاً رمزياً ، فسجل المصور كل صفحة فيه ثم ناوله إلى الخبير ليعيد ترتيب الربطة، فأخذ يليّن باطن الأختام المنزوعة بقلم الحديد المحمى ، وهيأ لها طبقة من المعجون فوق مكانها فى الربطة، ثم وضعها وضغط عليها فثبتت بحيث أصبح منظرها لا يختلف عما كانت عليه من قبل ، فلا تلاحظ العين أن يداً قد عبثت بها .

أما نحن فقد اكتشفنا فى الخزانة أثناء ذلك خدعة تنصب لنا شركا ، إذ رأينا فيها خيطاً متعرجاً قد ألقى فوق صندوق من الصفيح يغطيه التراب . فلبثنا عشرين دقيقة نرسم تعاريج هـذا الخيط ونقيسها ونتدبر كل ما يراد من وضع هذا الخيط على تلك الصورة . ثم أخرجنا محتويات الخزانة وفحصنا ما بها من ملفات ، وهكذا فعلنا أيضـــاً بالأوراق والمستندات التى أخرجناها من الصناديق وسلمناها إلى العالم اللغوى ، وهو يجيد أربع لغات ، وقد لجأ إليها كلها لقراءة تلك الأوراق وفرز المهم منها ، فصورناها جميعاً . وانهمك المصور فى مباشرة مهمته، فالتقط فى أقل من أربع ساعات ألفى صورة من الرسائل وصفحات القاموس الرمزى والتقارير وأوراق أخرى .

وانتهت مهمتنا ، فاجتمعنا عند مدخل البناء وأردنا أن نستر موقف المدير ، فتظاهرنا أننا نجدّ فى جمع الأجهزة التى جئنا بها لقياس تمايل البناء ، وفى كتابة حساب معقد من الأرقام. ولم نكد نمضى فى هذا العمل حتى أقبل زيجلى مسرعاً ، والظاهر أن الموظف الذى قدم علينا من قبل كان قد استفاق من سكرته التى طالت ساعتين ، وأبلغه بالتلفون أنه شاهد جمعاً من الرجال يجولون فى البناء ومعهم آلات عجيبة . ومرّ زيجلى بالحارس مسرعاً ، وقد بدت عليه دلائل الغضب والاهتمام للنبأ الخطير ، وطلب أن يصعد فوراً إلى مكتبه فتجاهلناه لوثوقنا من أنه لن يجد أثراً ما يدل على زيارتنا.

ونزل زيجلى بعد عشرين دقيقة مبتهج النفس وهو يبتسم ، فلا شك أنه ألفى كل

نخاخه كما هى ولم يجـد ما يريبه ، ثم أخذ يفحص بعناية شديدة أجهزة مقياس تمايل البناء ، وكنا بسطناها عند المدخل وبدا عليه السرور حين قال له أحد « المهندسين » إن البناء سليم ، ثم غادرنا وهو يصفر مسروراً.

ولعل هذه كانت آخر مرة يصفر فيها مسروراً، إذ ذهب رجال الحكومة بعد يومين بهدوء إلى مكتبه واقتادوه إلى السجن بهدوء أيضاً.

ووقعت فى أيدينا وثائق تثبت ببراهين قاطعة أن زيجلى يدير جمعية ألمانية للتجسس تضم نفراً كبيراً من الأعوان فى عدة مدن أمريكية . وقد وجـدنا فى خزانته كشفاً بأسماء هؤلاء الأعوان ومكان إقامتهم ، وتعليمات عن استعمال شرائط التصوير المصغرة والحبر الخفى ووسائل التنكر وغير ذلك . وقد تم القبض على جميع أعوان زيجلى فى غضون شهر واحد ، وانهارت جمعية التجسس ، ولـكن لم يعلم زيجلى ولا سواه كيف انكشف أمرهم .

كانت وسائلنا حينئذ على نقيض ما كانت عليه من سذاجة أيام اقتحمنا القنصلية الأجنبية ، فقد وفقنا إلى وضع الخطة المحكمة لعملنا حتى لا تدع مجالا للمصادفة . ولعلّ حادث الضابط «باتا» هو خير مثل يبين لك ما طرأ على أساليبنا الفنية من تقدم وتحسن .

فذات يوم قبض على موظف معروف بالأمانة يدعى جستاف جنسن يشغل منصباً مهماً فى مصنع حربى ، وذلك حينما خطر لأحد حراس المصنع وهو يؤدى واجبه أن يفتش ثيابه ، فوجد فى جيبه جزءاً من رسم لسلاح سرى جديد . وكان جنسن من مهندسى المصنع الذى يصنع هذا السلاح ، فادعى أنه وضع الرسم فى جيبه أثناء العمل ثم غفل عنه . ونظراً لسابق خدماته الجليلة فى زيادة إنتاج المصنع ، فقد أفرج عنه بعد أن وجه إليه تحذير شديد ، ولـكن رئيس حراس المصنع لم يطمئن إلى أقواله ، وأمر بوضعه تحت المراقبة .

وكان جستاف ممن اكتسبوا الجنسية الأمريكية بالإقامة ، أما مولده ففى بلد يحتله الألمان ، وله حكومة مهاجرة تقيم فى لندن. وكان جستاف موضع التبجيل ، والرأى فيه أنه يناصر الأمريكيين بقلبه ، ولـكن ورد على لسان أحد جيرانه وهو يذكر خصال جستاف كلمة ذات مغزى زادت من ريبة رئيس الحرس ، فقد قال الجار : « إن جستاف رجل أريب ، فليس هو بالمهندس المقتدر المنصرف إلى عمله فى المصنع وحسب، بل إنه يصنع بيديه كثيراً من الأشياء التى يحتاج إليها . فقد صنع منذ قليل آلة لتصوير الوثائق ووضعها فى قبو منزله » .

آلة لتصوير الوثائق ! إن هذا فيما يبدو يدل على التجسس . وأحيل الموضوع على مكتبنا ، وراجعنا ملف خدمته فوجدنا أنه ذكر فى الطلب الذى قدمه للتوظف اسم الضابط باتا باعتباره أحد من يعرفونه ، وهذا الضابط من كبار موظفى الحكومة المهاجرة ، ومقر عمله فى نيويورك .

وكنا نعلم أن باتا قد اشتغل بالجاسوسية فى الحرب العالمية الأولى ، وبدا لنا أن من الخير أن نفحص أمره الآن ، فعهد إلىّ أن أستكشف مكتبه فى نيويورك .

وقال لى مدير البناء الذى يقيم فيه باتا : « يسرنى مجيئكم فإننى أرتاب فى هؤلاء الناس لأنهم يشغلون الطابق العاشر كله وبعض مساكن الطابق الثانى عشر أيضاً ، وسيل زوارهم لاينقطع ، وقد بدأوا أخيراً يحرقون أوراقهم » .

وتعذر علىّ أن أتحين وقتاً يخلو فيه المكتب من الموظفين ، إذ اعتاد بعضهم أن يمكث فيه طول الليل ثلاث مرات أو أربعاً فى الأسبوع للاستماع إلى إذاعات لاسلكية يزعمون أنها صادرة من أهل المقاومة السرية فى أوربة .

وفحصنا سجل السكان المحفوظ عند بواب البناء ، فأدركت أن يوم السبت هو أصلح وقت نقوم فيه بالتنقيب فى المكتب ، وقابلت مدير البناء فأدخلنى مكتب الطابق العاشر ، ورسم المصور فى الظلام صورة المكتب كله وملحقاته فى الطابق الأعلى .

وكان المكتب فسيح الأرجاء ، إذ وجدنا فى قسم واحد منه ١٤٠ صندوقاً لحفظ الملفات وهى مغلقة جميعاً ، فقيدت أرقام الأقفال كلها ونوع الخزائن وأحجامها ، فتلك الأرقام تعين على صنع المفاتيح المناسبة . وكذلك البيانات التى قيدتها عن الخزانتين تعين خبيرنا — على الاستعداد لفتحها ، وقد عرف طرازها .

وسرعان ما أدركت أن اقتحام هذا المكتب عمل معقد ، ولا بد من إجرائه على نطاق واسع يتطلب الاستعانة بكل ما لدينا من رجال وأدوات . إذ لا بد لنا من آلتين للتصوير ، ومن سيارة الجهاز اللاسلكى ، وجهاز لاسلكى لكل من الطابقين ، وعشرين رجلا على الأقل .

وأخذ بعض رجالنا وهم متنكرون فى زى عمال النظافة أيضاً — يشتغلون طول النهار بالقرب من المكتب أياما عديدة ، حتى ألفوا وجوه كبار موظفيه ، وقمنا بتجربة أجهزتنا اللاسلكية فى تلك المنطقة ، حتى نطمئن إلى أن الأسلاك الكهربائية فى البناء لاتؤثر على الرسالات التى نتبادلها .

وقر رأينا على أن نحتال من جديد للتمكن من اقتحام المكتب ، بأن ندعى أننا مكافحون

بقياس تمايل البناء ، وجئنا بأجهزة لافائدة فيها ولكن منظرها يوحى بأنها أجهزة دقيقة ثمينة ، حتى يشعر حراس البناء بالليل أنهم يشاركوننا فى عمل مهم، وأخذنا نترقب اقتحام المكتب مستعينين بهذه الأجهزة الخداعة .

واجتمع رجالنا فى مكتبى فى الساعة العاشرة صباحا لنتحقق من كمال استعدادنا ، وبعد ذلك بخمس وخمسين دقيقة تحركت سيارة الجهاز اللاسلكى ، واستقل الحراس سيارتين وراءها . أما السيارة الأولى فقد اختارت لها مكاناً أمام البناء ليستطيع رجالها مراقبة مدخله . وفى الساعة ١١,١٤ فتح باب البناء المخصص لدخول سيارات البضائع ، وذلك باتفاق بينى وبين المدير ، ودخلت السيارتان اللتان تحملان الأجهزة اللاسلكية والمصورين. وبعد دقيقة واحدة أقفل الباب، ووضع الرجال أدواتهم فى مصعد، وصعدوا إلى الطابق العاشر والحادى عشر .

أما بقية رجالنا « المهندسين » ، فقد تحركت بهم سيارتان من مكتبنا فى تمام الساعة الحادية عشرة ، ووصلوا مدخل البناء بعد عشرين دقيقة ، فاستقبلهم المدير ، فتريثوا معه قليلا بدعوى إطلاعه على الأجهزة التى يحملونها ، ولما اطمأنوا إلى أن قدومهم لم يثر الشبهات صعدوا إلينا .

وعكف خبير الخزائن على عمله، وفتحت على عجل أقفال المكاتب والصناديق بالمفاتيح التى أعددناها من قبل ، وأخذ العالم اللغوى يراجع المستندات التى نجدها ، ولم تمض عشر دقائق حتى كنا قد صورنا أول مستند .

ووصلتنا فجأة إشارة من سيارة اللاسلكى تحذرنا بأن الضوء ينبعث من إحدى نوافذ المكتب ، فأحكمنا إسدال ستائرها ، فجاءتنا إشارة أخرى تقول لنا : « على بركة الله » ثم تابعنا عملنا مسرعين . ولم تمض عشر دقائق أخرى حتى فتحت الخزانة ، وكنا نعمل فى صمت، ولم نسمح لأحد منا أن يشرب من الصنابير أو يدخل دورة المياه لئلا ينبعث من أنابيب البناء أقل صوت ينم علينا. واستمر العمل خمس ساعات ونحن نسرع فيه إسراعاً، والتقط المصور ستة آلاف صورة ، وانتهت مهمتنا ، وتأهبنا لمغادرة المكان .

وأعدنا كل الأشياء إلى حالتها الأولى ، ونثرنا مسحوقنا على سطح خزانة كان قد علاها الغبار لقلة استعمالها ، ومسحنا خشب المكاتب ، ومحونا آثار بصمات الأصابع عن اللفات، وكنسنا الأبسطة حتى لاتبدو عليها آثار أقدامنا وقد خلعنا عنها الأحذية .

ولما عدنا إلى المكتب شرع المعمل فى تحميض الشريط المصور ، واستخرجنا منه صوراً مكبرة أخذنا نفرزها ونرتبها، وتسنى لنا بعدئذ أن نتبين نتيجة عملنا فى تلك الليلة.

ماذا وقع فى يدنا ؟

أول ذلك أننا ظفرنا بسجل كامل لأخبار جستاف جنسن ، علمنا منـــه أنه من الجواسيس الأجانب ، كما علمنا كل سر أؤتمن عليه فأفشاه . وفزنا أيضاً باكتشاف مقر جمعية للتجسس تجمع الأسرار الحربية فى كافة المدن الكبرى فى أمريكا الشمالية والجنوبية . ووقعنا أيضاً على أسماء كل ما لهذه الجمعيـة من أعوان تابعين لتلك الحكومة الهاجرة . وكملت معلوماتنا عن الوسائل التى تتبعها تلك الجمعية للاستعانة بالهيئات الاجتماعية التى تضم أفراداً وُلدوا خارج أمريكا .

وقد دهشنا من دقة إحكام هذه العصابة لعملها ، وتبين لنا أننا لا نجاريها فى مضمارها . ولا أستطيع أن أعـــدد كل المعلومات التى حصلنا عليها ، ولكنى أؤكد أننى قرأت الخطة التى وضعها الحلفاء لغزو صقلية قبل أن يبدأ الغزو بأسبوعين .

ومرد الفضل فى كل عمل عملناه هو إلى الخبراء المقتدرين الذين عاونونا، ولم يكن هؤلاء الرجال من رجال القوات المحاربة ، ومع ذلك فقد خاطروا كل ليلة بسمعتهم وحياتهم لمساعدتنا ، ولم يكن لهم مطمع فى مال ، ولو قبض عليهم لما وجدوا لهم عذراً يدافعون به عن أنفسهم ، إذ كنا نحمل تبعة السطو الذى نتولاه ، فلو كشف أمرهم لفقدوا مناصبهم وموارد رزقهم . وقد رضى أحد كبار الخبراء فى فن التصوير الشمسى فى أمريكا أن يخاطر بنفســه ليساعدنا فى مهمة شاقة تتطلب خبرته .

وأعاننا أيضاً على النجاح كثير من العلماء ، وإن كانوا لا يرافقوننا عند اقتحام الدور . وقد صنع لنا أحد العلماء فى أسبوع واحد جهازاً صغيراً يدار بالبطاريات لإرسال الإشارات اللاسلكية ، مما أعاننا على تفتيش مكتب لم نشأ الاستعانة بتياره الكهربائى حتى لا ينتبه صاحبه لعملنا .

وأخيراً نقلت من هذا المكتب وأصبحت معلماً فى المكتب السرى التابع للقوات المحاربة ، وأخذت ألقن طابته فن فتح الأقفال وغيره من الفنون المشابهة ، وارتحلت بعد ذلك إلى ألمانيا ومعى فرقة من المتخصصين فى تحطيم الخزائن ، وحصلنا على وثائق خطيرة أصبحت فيما أعتقد من أدلة الإثبات فى محاكمة نورمبرج .

أما الآن وقد انتهت الحرب ، فقد عدت إلى ملل الحياة المدنية ، وما أنا اليوم إلا فتاح خزائن عاطل عن العمل . والغالب أن هذه السمعة التى اكتسبتها أثناء الحرب لا تزال عالقة بى ، فلا عجب إذا خشى أصحاب الأعمال أن يستخدموا رجلاً سبق له فى سبيل خدمة وطنه فتح آلاف من الأقفال ومئات من الخزائن .

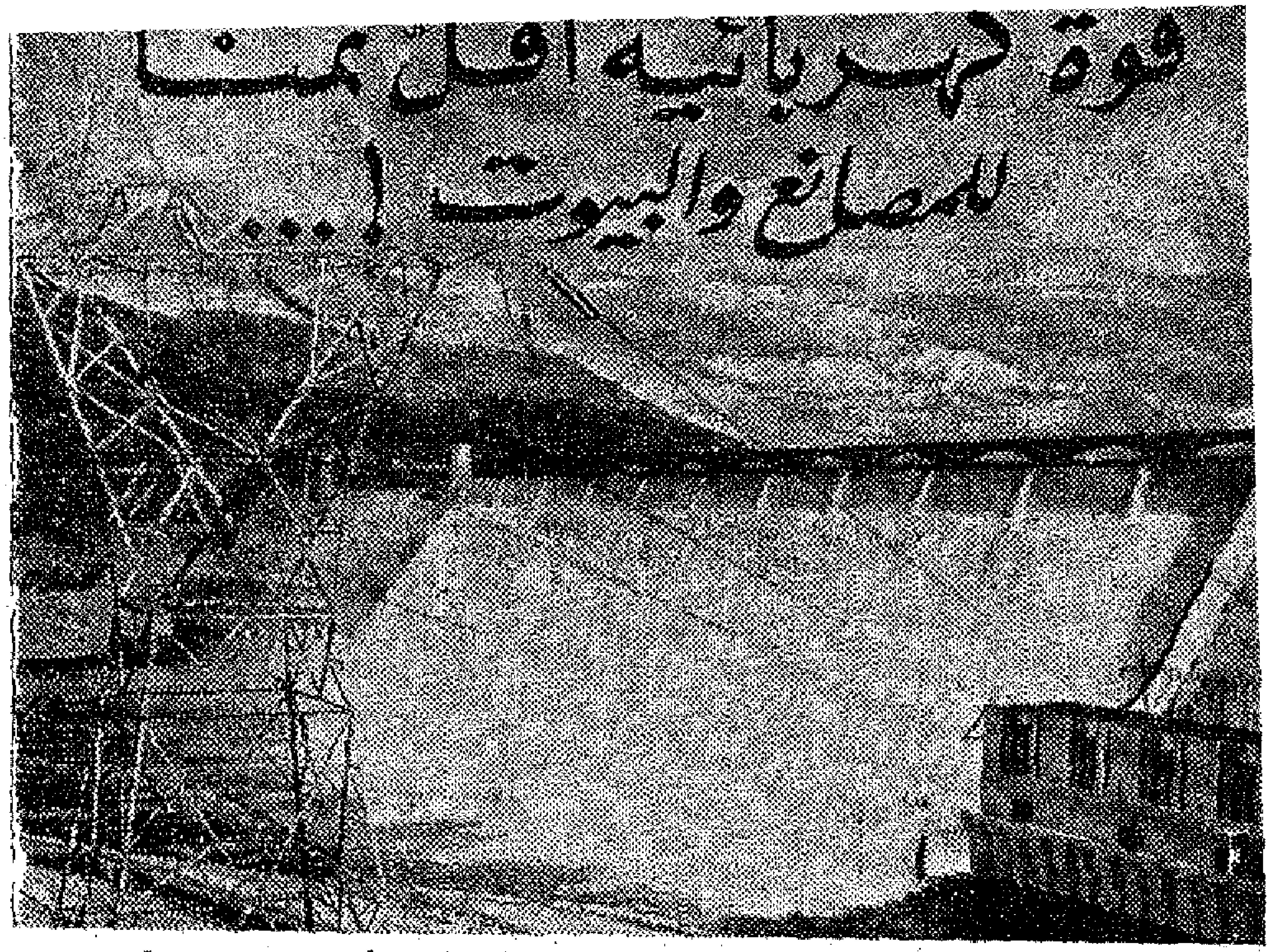
من نوادر الأدباء

اشتهر وسلر بنقده اللاذع كمثل اشتهاره بصوره الرائعة . ورأى ذات يوم صورة لا تزال فى أوائلها من رسم دانتى جابرييل روستى المصوِّر والشاعر الإنجليزى ، فأثنى عليها . وبعد أيام قابل روستى فسأله عنها ، فقال روستى : « لقد أمرتُ بصنع إطار بديع لها » . فلما رآها وسلر بعد أيام أخرى كانت الصورة مثبتة فى إطار نادر الجمال ، ولكنه قال لصاحبها : « أراك لم تضف إليها شيئاً منذ رأيتها أول مرة » ، فقال روستى : « لا ، لم أضف شيئاً ، ولكننى نظمت قصيدةً فى موضوعها » وقرأ القصيدة ، فألفاها وسلر فيّاضة بالجمال والحنان فقال : « أخرج الصورة من الإطار ، وضع القصيدة مكانها » .

دُعى مارك توين والمالىّ تشونسى ديبيو مرةً للخطابة بعد مأدبة . وجاء دور مارك توين أولا فألقى خطبة رائعة استغرقت ثلث ساعة ، فوقعت عند المستمعين وقعاً عظيما ، ثم كان دور ديبيو فوقف وقال :

« حضرة الرئيس ، سيداتى وسادتى : اتفقت مع مستر كليمنز (اسم مارك توين الحقيقى) قبل المأدبة أن نتبادل الخطبتين . وقد فرغ هو الآن من الخطبة التى أعددتها أنا . وإنى لأشكر لكم حسن إصغائكم إليها واحتفائكم بها ، ويسوؤنى أنى أضعت المذكرات التى كان المستر كليمنز قد أعدها وأعطانى إياها ، ولست أذكر شيئاً مما جاء فيها » . ثم جلس بين الهتاف والتصفيق .

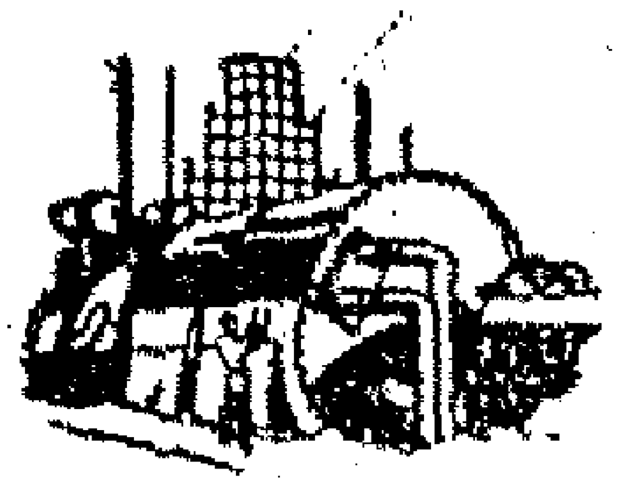
فلما انفضَّ شمل المجتمعين ، دنا أحدهم من مارك توين وقال : « أحسبك يا سيدى رجلاً قد فُرِض عليه أمر أليم ، وقد تسامع الناس بأن مستر ديبيو رجل بارع الذكاء واسع الحيلة ، ولكن هذه الخطبة التى أعطاكها كانت لا تباريها فى سخافتها خطبة أخرى » !



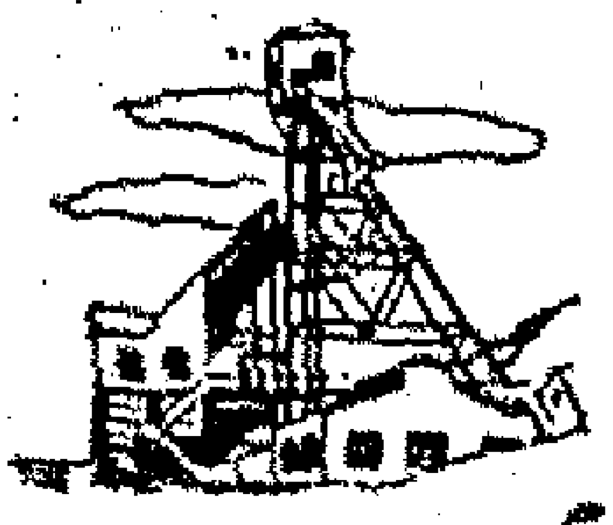
أكثر من ١٦٠٠ من المنتجات للصناعة



معدات كهربائية



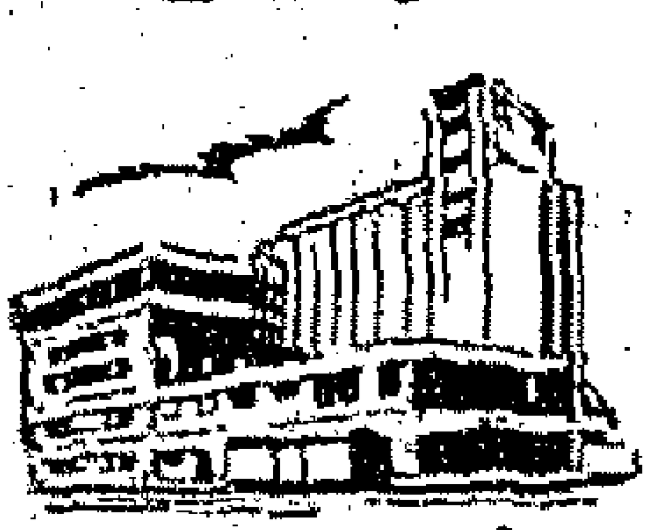
توربينات مائية وبخارية



آلات للأسمنت والتعدين



مضخات



آلات لطحن الدقيق

تمتاز الكهرباء اليوم عن أي عامل منفرد آخر بأنها أساس لحياة أرغد. فهي القوة التي تسيّر الآلات الحديثة وتضيء المدن العصرية. وهي القوة المحركة وراء آلاف من المنتجات وعليها تقوم الرفاهة ووسائل الراحة في كثير من الشئون.

وإحدى المسائل التي شرعت مؤسسة « أليس شالمرز » في بحثها منذ سنين، هي كيفية توليد الكهرباء من أحسن الطرق وعلى أفضل وجه. لقد تعلمنا كيف نبني توربينات مائية وبخارية ذات مقدرة فائقة، تولد القوة الآلية لتسيير مولدات ضخمة. كما أننا نصنع هذه المولدات ذاتها — والمحولات وآلات الضبط وغيرها من الآلات اللازمة لضبط التيار الكهربائي وتوزيعه بطريقة اقتصادية إلى المراكز الحيوية.

على أن هذا الميدان هو واحد من ميادين عديدة نقوم بخدمتها. فمن ثمانية مصانع هائلة، تنتج مؤسسة « أليس شالمرز » أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية في العالم. استشر أقرب وكلائنا إليك لمساعدتك على حل أية مشكلة في الآلات الخاصة بصناعتك.

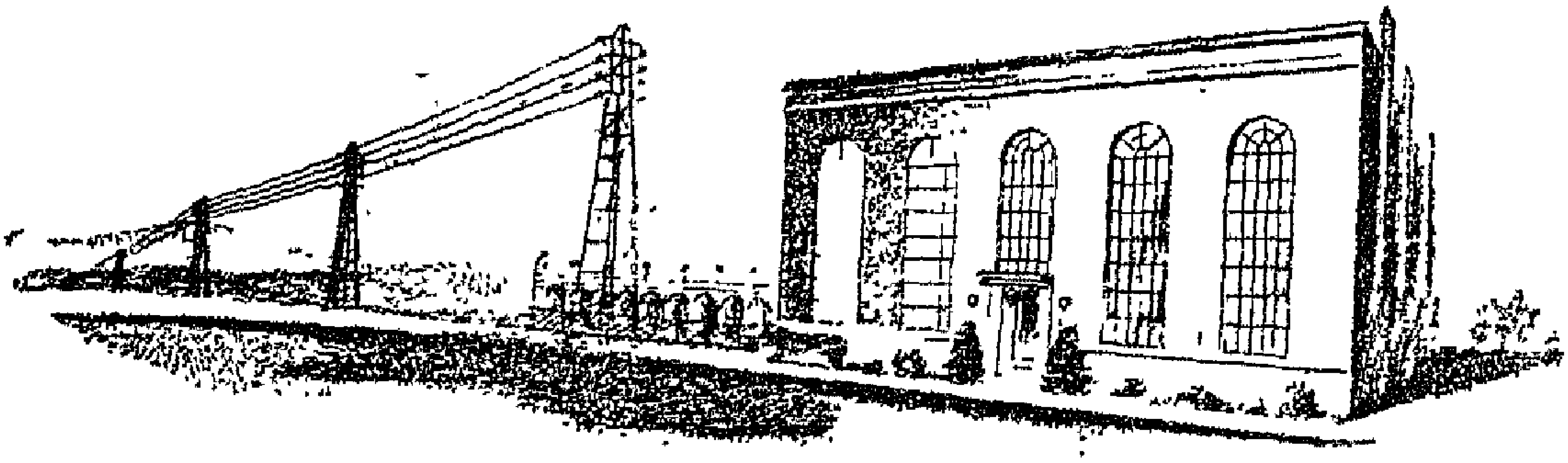
ALLIS (AC) CHALMERS

MILWAUKEE 1, WISCONSIN, U. S. A.

الوكلاء في الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصري والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش. م. م. ٤٠١٠ شارع صفية زغلول بالإسكندرية ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — **العراق وشرق الأردن** : الشركة الأمريكية العراقية الملاحة لمتد ٨/٢٨٢ شارع المستنصر ببغداد، شارع الملك فيصل بالبصرة — **الحبشة** : أمريكان إيسترن كوربوريشن، أديس أبابا — **المملكة العربية السعودية** : أمريكان إيسترن كوربوريشن، جده — **إيران وأفغانستان** : أمريكان إيسترن كوربوريشن، شارع شاه (نادرى) ٩٢٦ طهران.


أوتو لايت
AUTO-LITE
تخدم سيارتك
سواء أكنت فى حاجة إلى استبدال شمعة من شموع الاحتراق فى سيارتك وحسب أم إلى ترميم الجهاز الكهربائى بأكمله ، فإنك تستطيع أن تثق من حصولك على الخدمة المضمونة إذا اعتمدت على أوتوليت .
إن مؤسسة أوتوليت أكبر المصانع المستقلة فى العالم لإنتاج معدات السيارات الكهربائية — شموع احتراق ، بطاريات ، أجهزة القيام والتوليد ، أسلاك — فلا عجب أن تجد أن أوتوليت هو الإسم الذى تدعمه القدرة الفنية الصحيحة .
ابحث إذن عن إسم أوتوليت على جميع أجهزة القيام والإضاءة والإشعال.
THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division
Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.
AUTO-LITE
AUTO-LITE
أجهزة للقيام
الإضاءة والإشعال



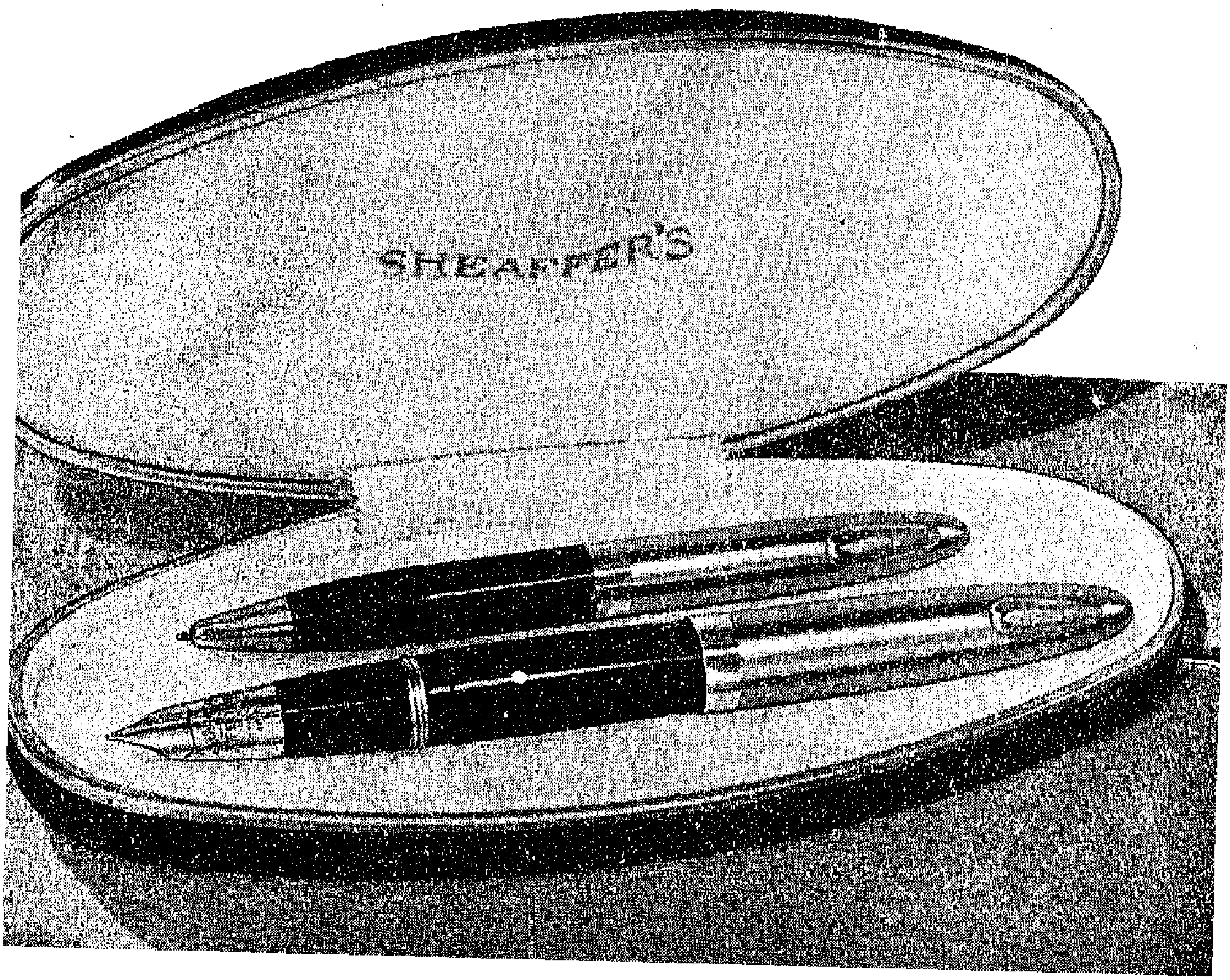
اذا أهديت إليها " تريومف " تاكواى
علمت أنها أفضل الأقلام !

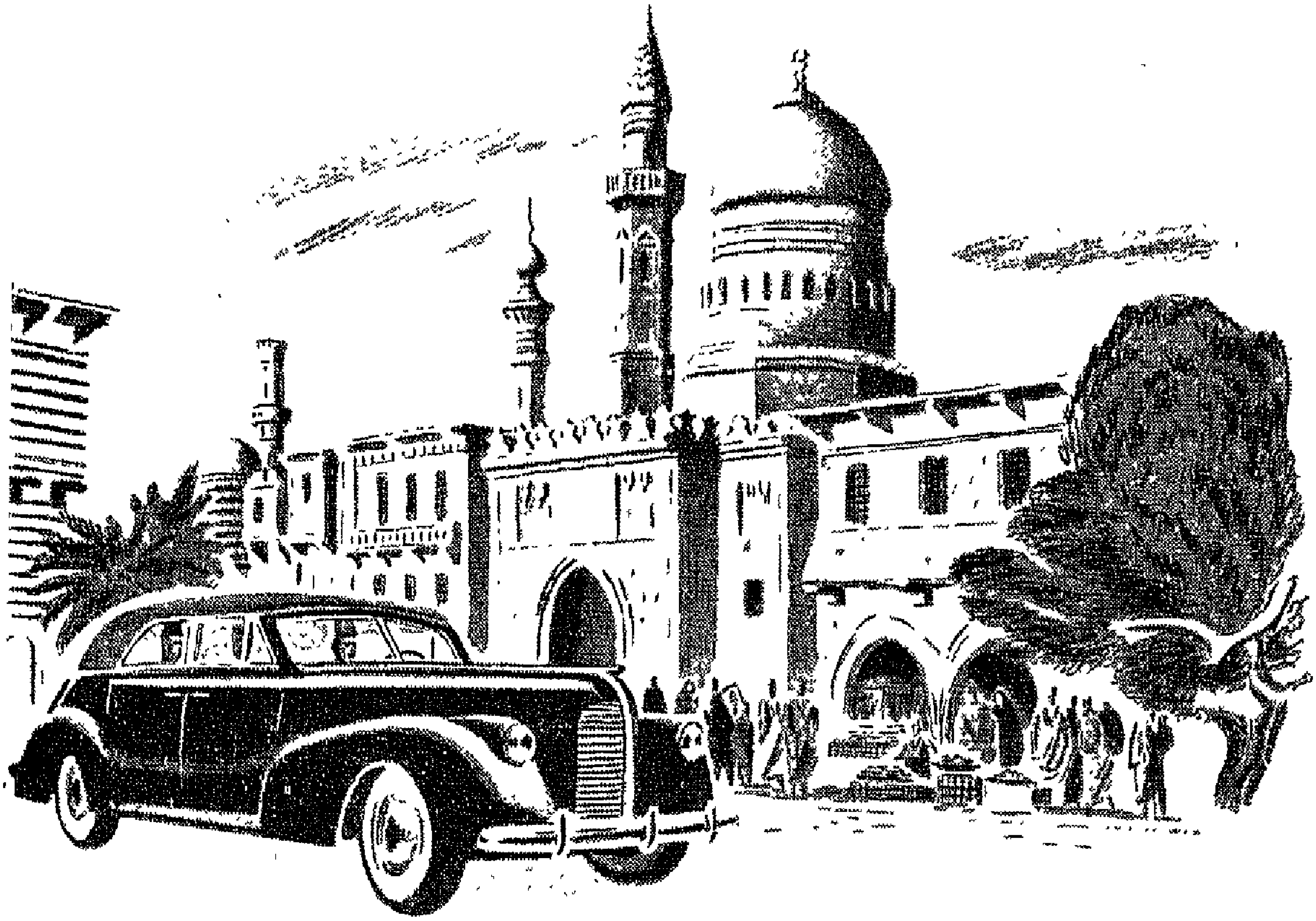
قلمان – للرصاص والحبر – صُمّما وصُنعا خاصة للنساء ، « تريومف تاكواى » اللذان يصنعهما « شيفرز » ! جمالٌ رقيق – نفعٌ دائم !
وقد ركب على كل منهما مشبك خاصٌ لحمله فى حقيبة اليد ، أو فى الجيب.
ولقلم الرصاص رأسٌ لا يخدش . هذه هدية تستطيع أن تُزهى بها حين تهديها إليها ، لأنك تعلم أنها حين تحوزها تصير هى أيضاً فخورة مزهوّة .

W. A. SHEAFFER PEN CO.

Fort Madison, Iowa, U. S. A.

SHEAFFER'S



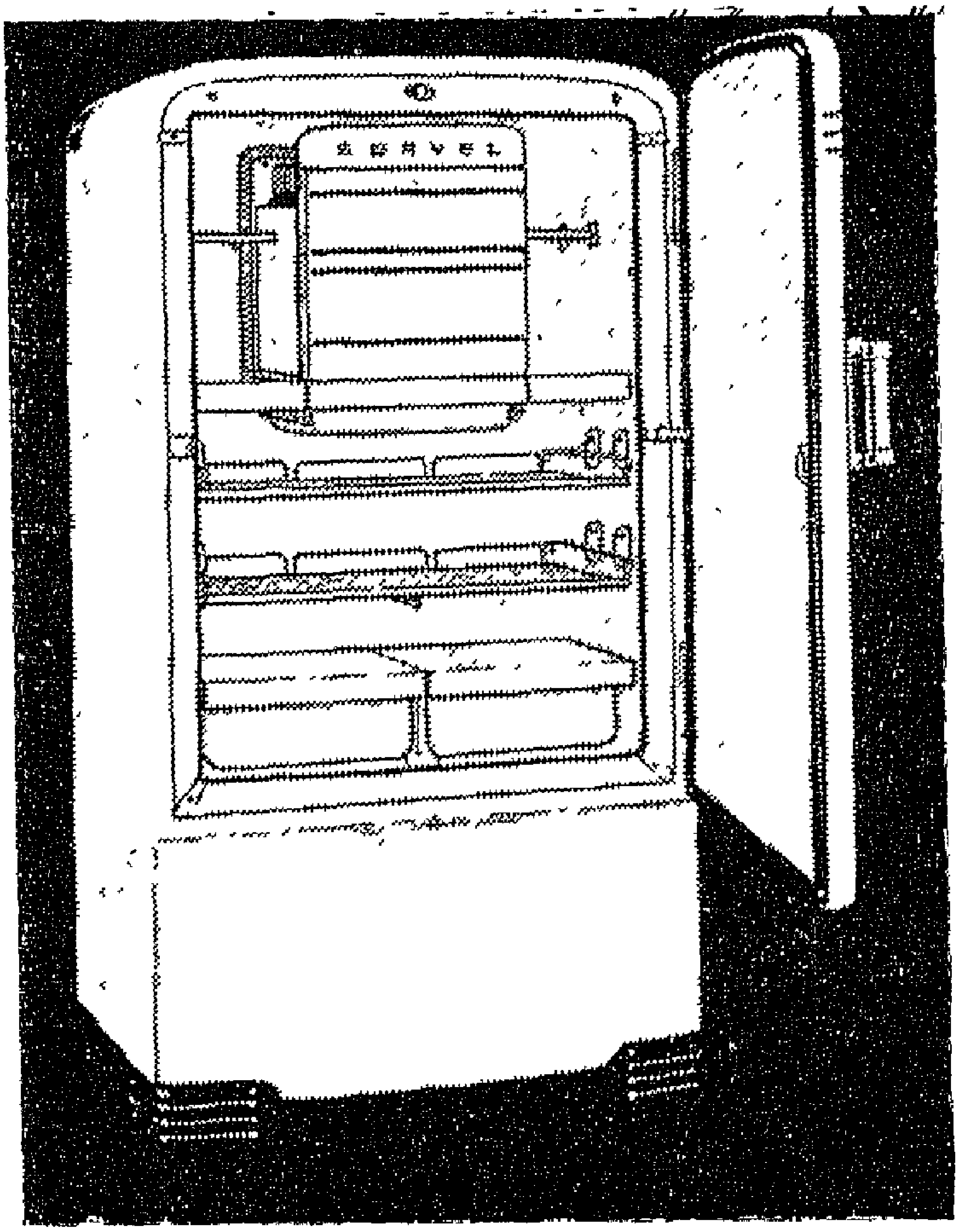


متاعب أقل فى الطريق
باستعمال زيت موبيلويل فى سيارتك

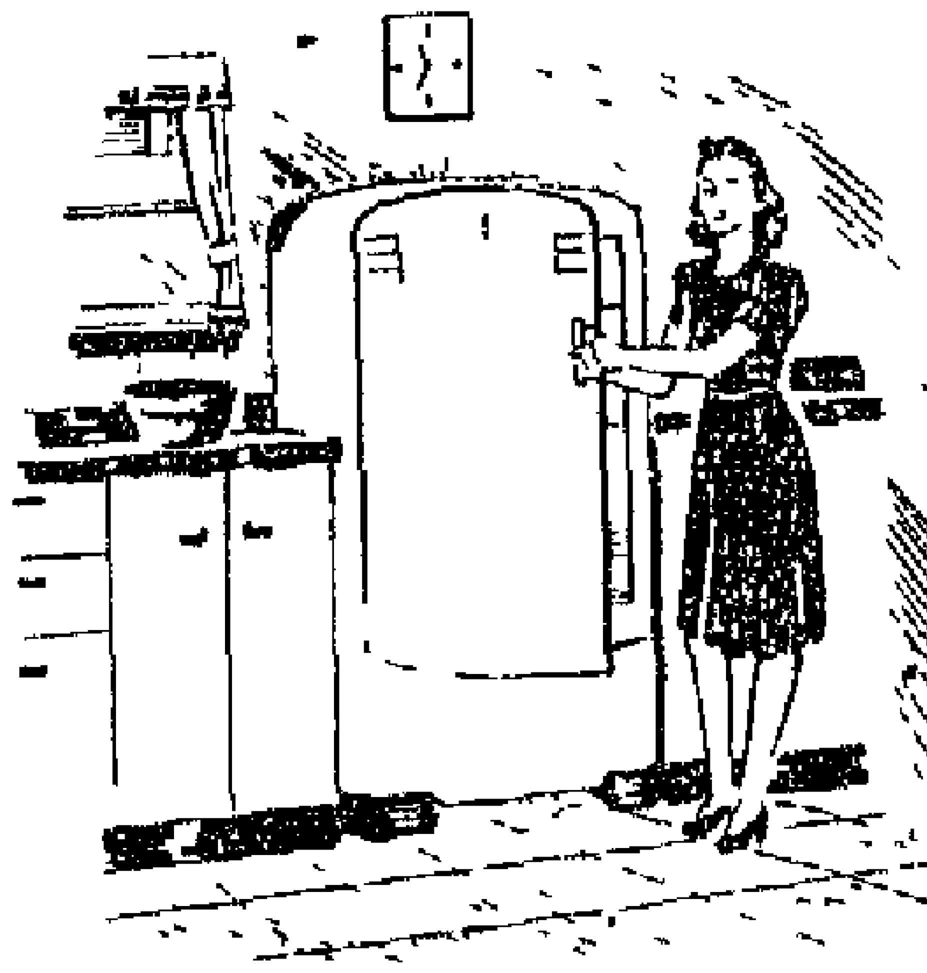
زيت موبيلويل يمثل الوقاية التامة لسيارتك ضد الهرش والعطل والاصلاحات
ومن شأنه أن يجعل السيارات القديمة تسير سيراً منتظماً وتؤدي خدمة أطول.
موبيلويل أشهر زيت سيارات فى العالم صنع خصيصاً لحفظ المحركات
نظيفة خالية من الرواسب الضارة التى
تضعف قوتها.
اضمن لسيارتك أطول سير على الطريق
باستعمال زيت موبيلويل ، فهو
أحسن وقاية لمحركها.

جارجويل
زيوت موبيلوشحومات

شركة سوكونى - فاكوم أويل المساهمة



أفضل وسائل التبريد أينما سكنت



ثلاجة سيرفيل تعمل: بالجاز الأبيض، أو الغاز الطبيعي، أو الغاز الصناعي، أو الغاز المعبأ

تصنع قدراً عظيماً من مكعبات الثلج — داخلها واسع رحب — تجرد بغير أجزاء متحركة

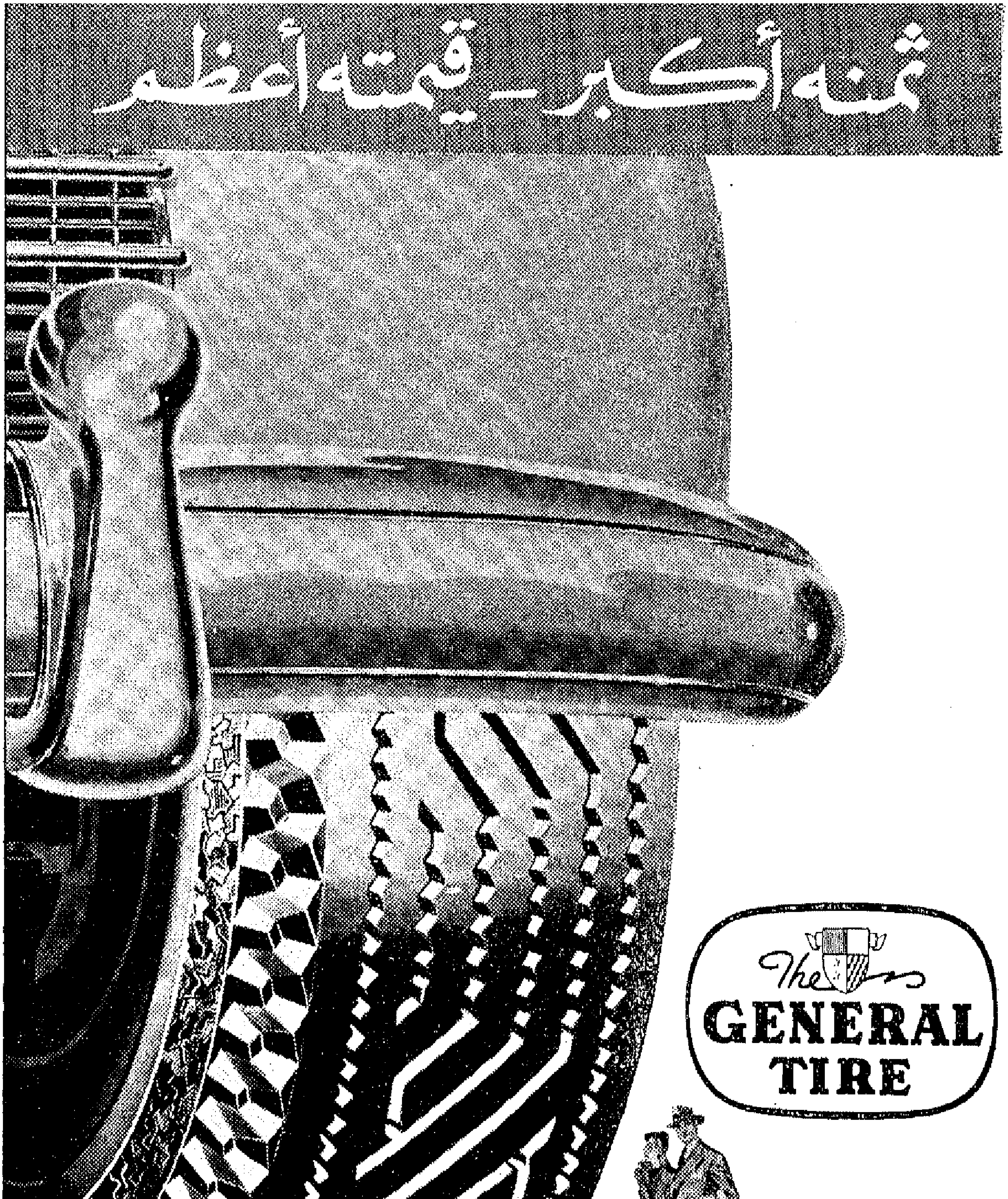
سواء كنت تعيش فى الريف أو فى المدينة فنى وسعك أن تستمتع بوسائل التبريد الآلية الحديثة. ذلك لأن « سرفيل » لا تحتاج إلا إلى لهب صغير من الغاز أو الجاز حتى تدير مادة التبريد التى تحدث برداً مستمراً؛ ومكعبات براقة من الثلج. وليس فى نظام التبريد فيها أجزاء متحركة، قد تبلى أو تتآكل، أو تتعطل أو تحدث ضجة. فلا عجب فى أن تجد أكثر من مليونى أسرة فى القارتين الأمريكيتين تستعمل « سرفيل » وتقول إنها « أفضل الثلاجات ».

و « سرفيل » تقدم لك أيضاً أجود آيات الجمال المشيق ... وأحدث الوسائل الميسرة النافعة. ففى ثلاجة « سرفيل » جهازان كبيران للتندية يحفظان لك الخضر والثمار لذيذة شهية.

والمكان الرحب الخاص بخزن اللحم يحفظ فيه كل جودة اللحم الطازج ورائحته الكاملة الشهية. ثم تجد فى جوفها متسعاً رحباً يحتوى على رفوف تستطيع أن تغير أماكنها وسعة ما بينها وفقاً لحاجة أسرتك فى مختلف الأيام.

الثلاجة التى تختلف عما سواها

Servel سرفيل


ثمنه أكبر ـ قيمته أعظم
The
GENERAL
TIRE
Copyright 1947
The General Tire & Rubber Co.
Akron, Ohio
إطار جنرال

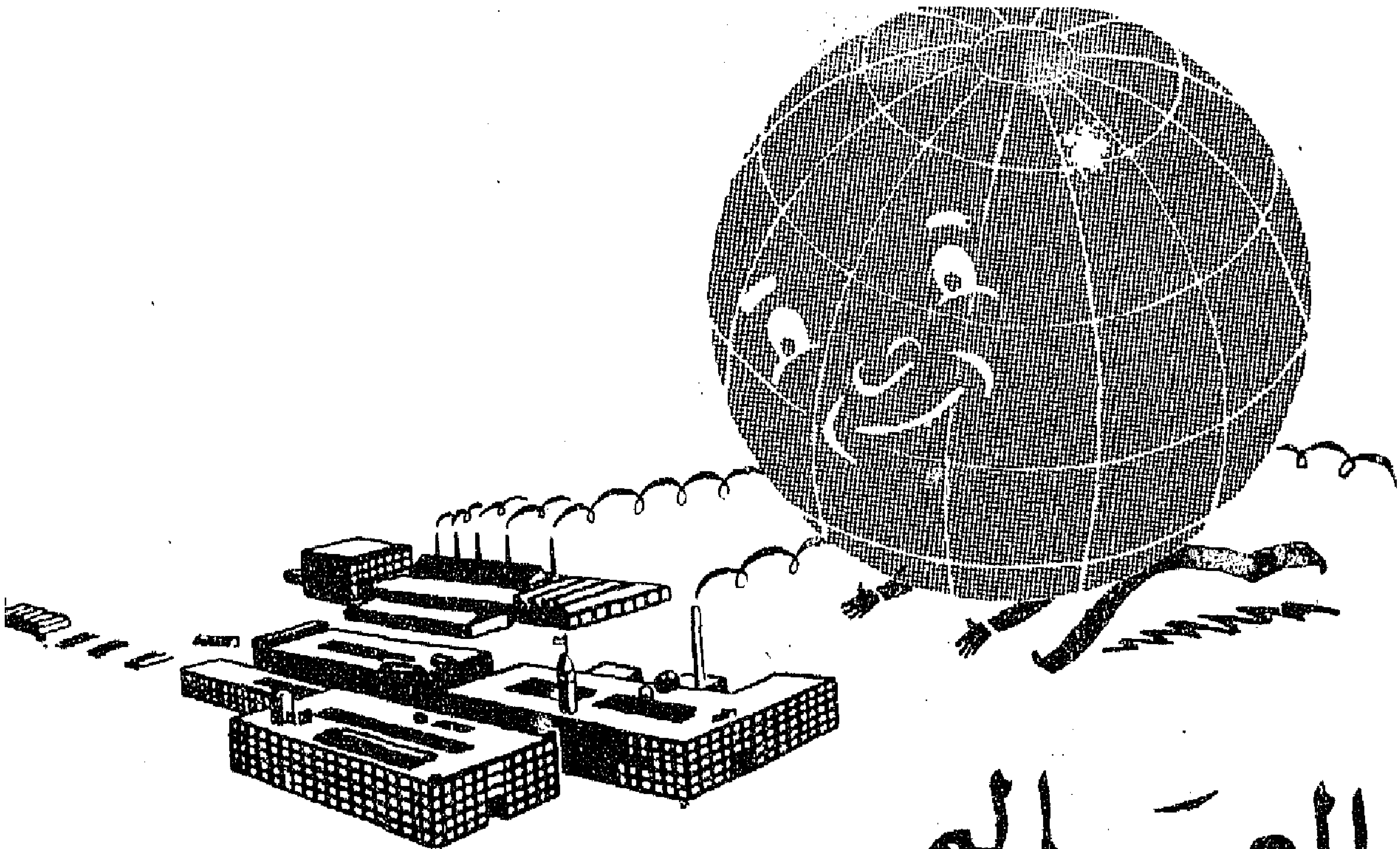


إنك تجد مركبات النقل «إنترنشونال» في كل مكان يوجد فيه مهام ضخمة يجب أن تنجز، وكثير من هذه المركبات مضى عليها في العمل ست سنوات أو أكثر ولكنها مستمرة في أداء خدماتها بالرغم من ندرة كل شيء تحتاج إليه سيرها في الأحوال العادية. على أن مركبات النقل «إنترنشونال» للمهام الضخمة قد أخذت تزداد، ولا ريب في أنه يهمك أن تلم بمميزات هذه المركبات إذا كنت تنشد لعملك أقصى حد في الأداء وأدنى حد في النفقات.

إن مركبات النقل «إنترنشونال» يسيرها محرك «ردبامونـد» الحديد، كما تمتاز بما اشتهر عن «إنترنشونال» من تصميم متين وأداء باهر وهذا هو السبب في أن عدد ما بيع من مركبات «إنترنشونال» للمهام الضخمة يتجاوز عدد ما بيع من أي نوع آخر.

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building — Chicago 1, U. S. A.

INTERNATIONAL IH INTERNATIONAL HARVESTER **HARVESTER**



العالم
يقصد إلى بوش ولومب

ليس فى التاريخ سابقة لمثل هـــذا الطلب العظيم على أدوات الإبصار . وعدد الذين يطلبون أجود الأدوات وأفضلها منقطع النظير فلذلك ترى أن الطلبات التى تتلقاها شركة « بوش ولومب » تفوق قدرتها على الإنتاج .

ومصانعنا تعمل ليــل نهار ، ونحن نبذل كلّ جهد مستطاع لنلبى الطلبات التى وصلتنا .

على أنه من الخير أن تذكر أنه متى وصلتك أدوات الإبصار التى طلبتها ، حاملة ماركة « بوش ولومب » المسجلة ، فإنك تظفر بالجودة التى بلغت ذروة التقــدير فى جميع أنحاء العالم .

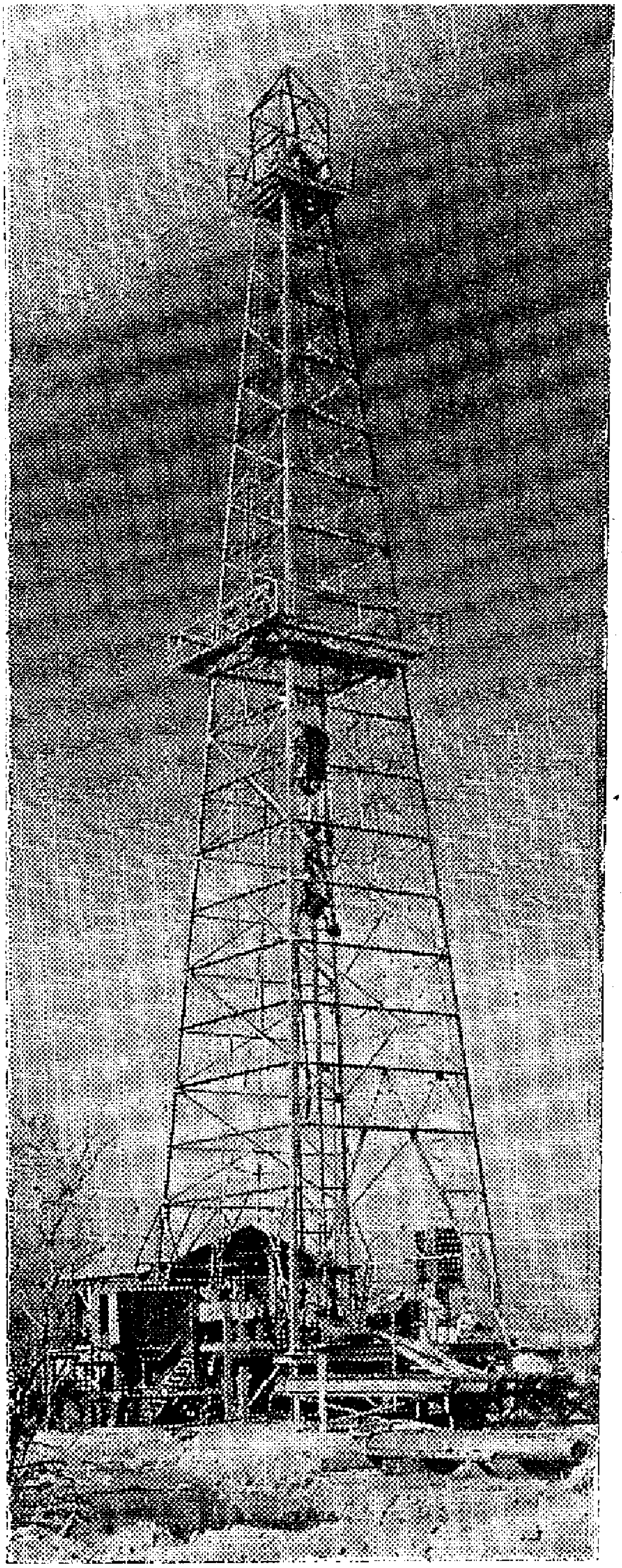
بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

OPTICAL COMPANY

روشستر
الولايات المتحدة الأمريكية

تأسست سنة
١٨٥٣



الكشف العلمى يسير قُدُماً !

لايزال فى جوف أمنا الأرض ، كنوز لا تقدر من الزيت ، لم يكشف عنها الغطاء . بيد أن الانتفاع بالمعدّات الحديثة لحفر الآبار العميقة ، وبقوة « كاتربيلر ديزل » التى تستطيع أن تعتمد عليها ، قد جعل البحث عن الزيت ممكناً بغير أن تنفق المال والوقت ذلك الإنفاق الباهظ الذى كان فى الزمن الماضى يثبط همم الباحثين .

وآخر صورة صوّرت للمشروع المنشور هنا ، تدل على أن الحفر بلغ عمق ٦٠٠٠ قدم (وهو عمق كان يعدُّ من الوجهة الاقتصادية أمراً لا يمكن تحقيقه منذ بضع سنوات) وينتظر أن يبلغ العمق ١٠٫٠٠٠ قدم فى آخر الأمر . ومحرك « كاتربيلر » ديزل يهيء لك القوة للحفر ونزح الماء بالمخضات وضغط الهواء ، وإضاءة منازل الموظفين والعمال .

وبعد أن تحفر الآبار وتمدُّ الأنابيب ، ترى أن محركات « كاتربيلر » ديزل نافعة فى دفع الزيت فى الأنابيب إلى المرفأ أو مصنع التكرير — مهما تكن المسافة بعيدة ، أو مهما يبلغ مقدار الارتفاع . إن محركات « كاتربيلر » ديزل من أنفع المعدات التى زوّد بها الناس ، من أجل استغلال جميع الموارد الطبيعية والصناعية فى أمةٍ من الأمم .

CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

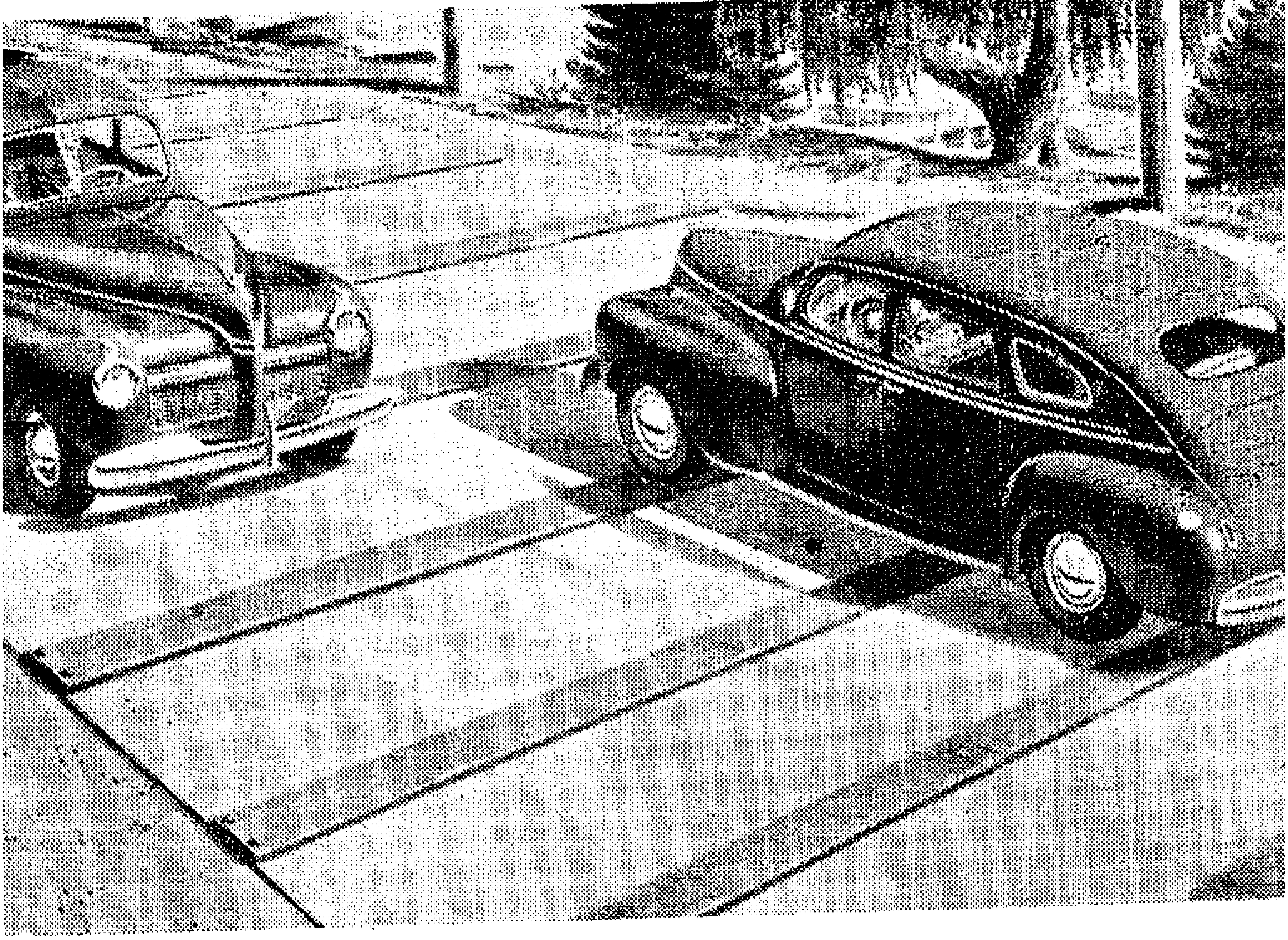
CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب



لا يمكنك أن تظل الأول



تصوّر أنك تقود سيارتك على طريق كهذا الطريق : قضبان من الصلب ممدودة عليه من جنب إلى جنب كلّ بضع أقدام . . . ساعةً بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم !

ولن تجد سائقاً — أو سيارة — يستطيع أن يحتمل من الشدة مثل ما تلقاهُ على هـذا الطريق من الإرهاق الطويل الذى تهزُّ جسم الرجل وهيكل السيّارة هزّاً عنيفاً .

ومع ذلك عزم « جوديير » أن يمتحن إطاراته ، وغيرها من الاطارات ، على طريق يشبه هذا الطريق تماماً .

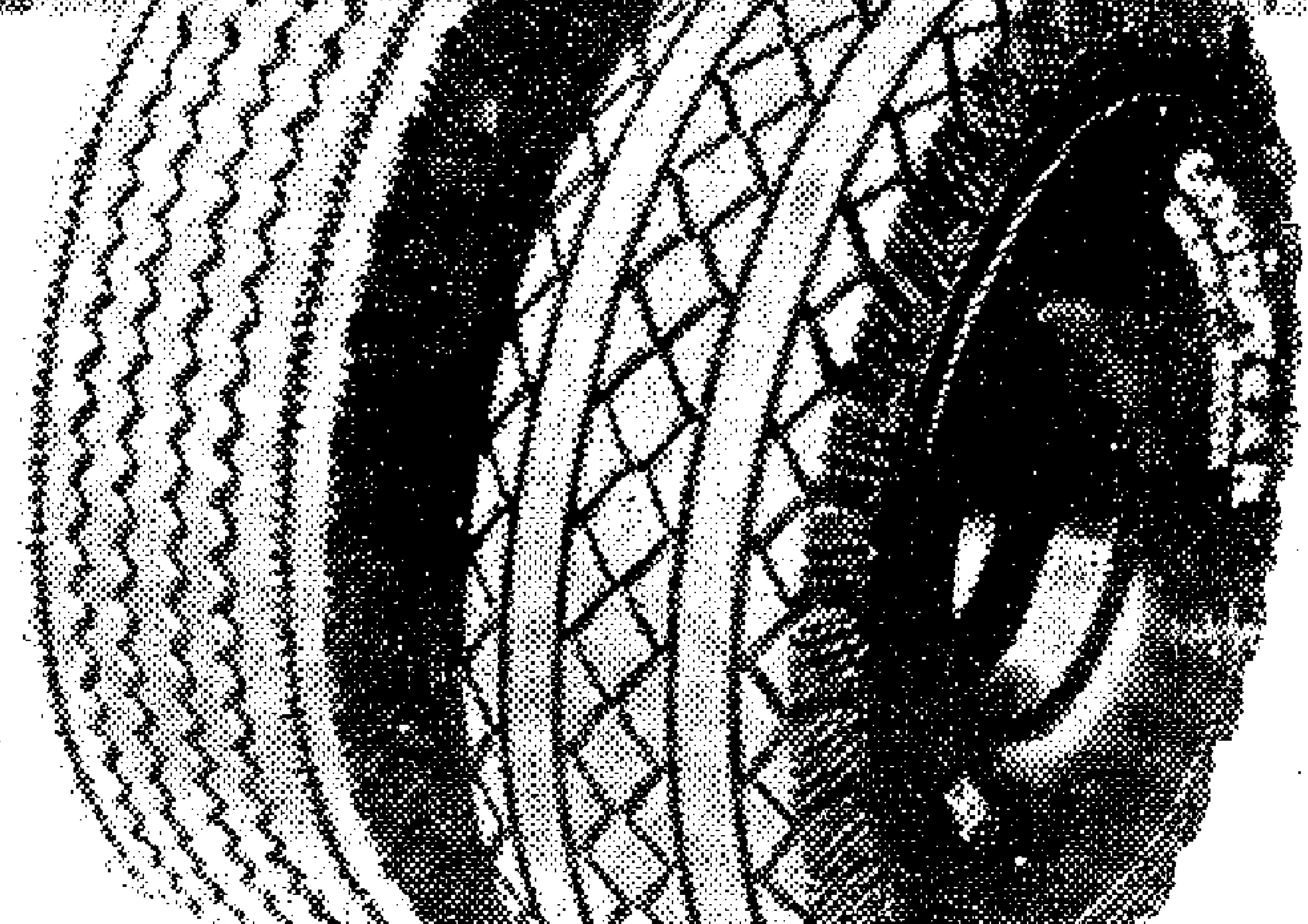


الأول فى كل سنة ، منذ ٣٢ سنة

GOOD YEAR

مالم تكن أنت الأفضل





وإليك كيف تمّ ذلك ! : تدور العجلة الكبيرة . . . فتجرى الإطارات على الطريق جرياً حثيثاً ، فتصطدم اصطداماً قويًّا بقضيب من الصلب مرةً كل عُشْر ثانية .

فإذا ما مضى الوقت ، وصارت جميع الإطارات الأخرى متهالكة، ترى إطار «جوديير» لايزال يحتمل هذا الاصطدام !

وهـذا دليل آخر على أن إطار « جوديير » هو أفضل إطار يباع اليوم فى الأسواق . . . سببٌ آخر يدلك لِمَ ظلّ إطار« جوديير» هو إطار العالم المفضل،فى سنته الثانية والثلاثين.

Two versions of the World's Finest Tire
De Luxe Rib Tread
De Luxe All-Weather* Tread
*T. M., The Goodyear T. & R. Co.

إن إطارات جوديير تنقل فى العالم كله من الناس ومن أطنان الشحن أكثر مما ينقله أى نوع آخر من الإطارات


شحنة من الفتنة
من مصانع «كاسونز»
بمانشستر (إنجلترا) خرجت
أحدث الروائع فى أنواع
«أحمر الشفاه» البريطانية فى
خمسة ألوان جديدة . وقد
روعى فى صنعها أن تكون
ممتازة فى مادتها ولونها ،
فهى تحتل اليوم مكان الصدارة
فى صالونات التجميل فى
جميع أنحاء العالم .
أحمر شفاه Cussons



سيطر على البعوض والذباب والبراغيث ، وغيرها من الحشرات
باستعمال د. د. ت. "پستماستر" الأصلي

إن مركّبات قاتل الحشرات « د. د. ت PESTMASTER » ، قد ركبت تركيباً علميًّا ، وقد امتحنت امتحاناً بالغ الإحكام ، وثبت نفعها خلال ثلاث سنوات أو أكثر من الاستعمال ، ومن تجارب في المعامل أحاطت بكل ناحية ، وهي تصنع تحت هيمنة دقيقة من أجل ضمان جودتها ، والشركة التي تصنعها هي شركة «مشيجن كيميكال كوربوريشن» التي كانت في طليعة منتجي « د. د. ت. PESTMASTER » وموزّعيه في أثناء الحرب إلى القوّات المسلحة في أوربة وجنوب المحيط الهادي ، وإلى جمعية الصليب الأحمر ، ومصلحة الصحة الأمريكية ، وهيئة الإغاثة والتعمير « أنسرا » .

هذا تاريخ قاتل الحشرات د. د. ت. — وهذا هو السبب الذي من أجله يصحّ لسكان الشرق الأوسط أن يستعملوا قاتل الحشرات « د. د. ت PESTMASTER » وهم على ثقة تامة من أنهم يظفرون بوسيلة مأمونة نافعة مجدية في السيطرة على البعوض ، والذباب ، والبراغيث ، وبعض الحشرات الأخرى الضارة والمزعجة . وهناك مركّبات من قاتل الحشرات د. د. ت. قد أعدت إعداداً خاصًّا للاستعمال في البيوت ، والحدائق ، وعلى المنتجات الزراعية ، والمواشي والأنعام ، والدواجن ، وفي المكاتب والمصانع وفي جميع مشروعات الصحة العامة والموزّع الذي تعامله في بلدك مستعدٌ أن يعاونك على تعيين التركيب الصحيح من قاتل الحشرات د. د. ت. الذي تحتاج إليه ، وإذا شئت فاكتب إلى المصنع رأساً



MICHIGAN CHEMICAL CORPORATION

SAINT LOUIS, MICHIGAN, U.S.A.



من الوقت ما يكفى ، وتراخى فى مكانه وهو يتنفّس الصعداء ويقول : « آه لو انفسح لى الوقت ! »

ولو أنصف لعلم أنه يدعُ الساعات تتفلّتُ من بين أصابعه حاملة بِسرّ الحياة إلى غير رَجْعة . والرجل العاقل لا يدع دقيقة من دقائق العُمْر تمرّ إلا أمسك بناصيتها وحشَدَ فى ثناياها ما يتسع له من روائع الحياة . وكلّ ساعة من ساعات العمر تتيح للعاقل فُرَصاً غاليةً لو هو أحسنَ انتهازها واستغلالها . . وإذا رأيت امرءاً يُحسِنُ الانتفاع بالدقائق الشاردة ، فذاك خليقٌ أن يجعل الأحلام حقائق واقعة .

[أنجيلو باترى]



لكل امرئ منّا موضوعٌ يهواه ويشغله — إمّا علم النفس ، وإما الاقتصاد ، وإما التاريخ ، وإما الفلسفة ، وإما الفن ، وهو وإن كان يبدو بعيداً عن محيط عمله الذى يزاوله فى كل يوم ، إلا أنه ينفث فى روحه وعقله أسباب النماء والقوة ، ويحرّره من ربقة النظام الرتيب الذى يستعبده .

[ألفين جونسن]



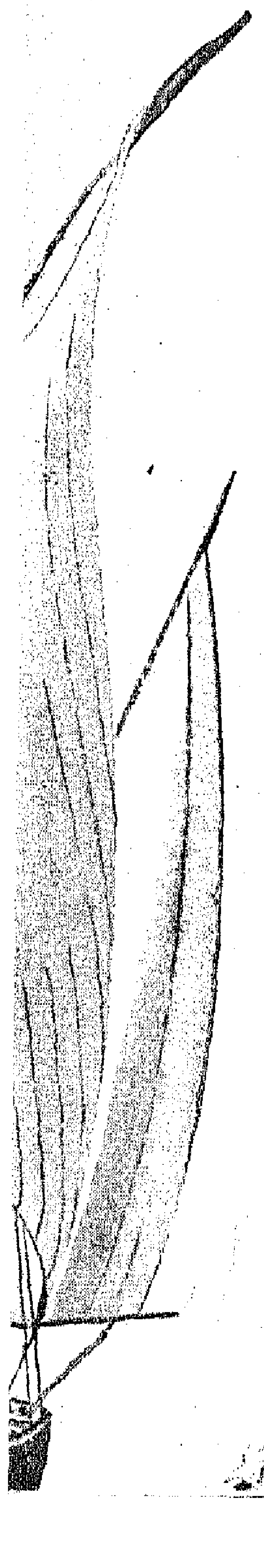
تستطيع أن تقول بحقّ إنّ حبّ القراءة حبّاً ينبعث من أعماق القلب — يجعل الشاب أكبر مما تدلّ عليه سنّه ، ويجعل الشيخ أشب مما تدلّ عليه سنّه .

[ولتر مردك]



« المختار » يتيح لقارئه من الآراء والأفكار والحقائق ما يعينه على حسن التفكير ، ويحفزه إلى العمل ، وينفث فى روحه وعقله أسباب النماء والقوة ، وكذلك يستطيع أن يحسن الانتفاع بالدقائق العابرة فيسعدُ بحياته ، ويفيض من سعادته على أهله وأصحابه .

ذخيرة الدقائق العابرة



تجوز الحضارة فى هذا العهد غمار انقلابٍ خطير يتصل بأعمق جذور الحياة . . . . وفى غمار هـذا الانقلاب أتبيّنُ خطيئتين لا تغتفران : أما الأولى فخطيئة عدم المبالاة ، وأما الثانية فخطيئة الجهل ... وقد كان الناس قبل عهد العلم الحديث يخضعون لقاعدة : « جاهد ، لا تجع » ، أما الآن فالشعار : « فكر ، لا تهلك » . ولما كان الناس على سطح الأرض لا يعيش أحدهم منعزلا عن الآخر ، وكان كل منهم يتأثر بأفكار جاره سواءٌ عرضت هذه الأفكار فى الحديث أو فى الصحف والمجلات ، فالقول : « فكر ، لا تهلك » معناه « اقرأ ، لا تهلك » . [محمد على علوبة باشا]

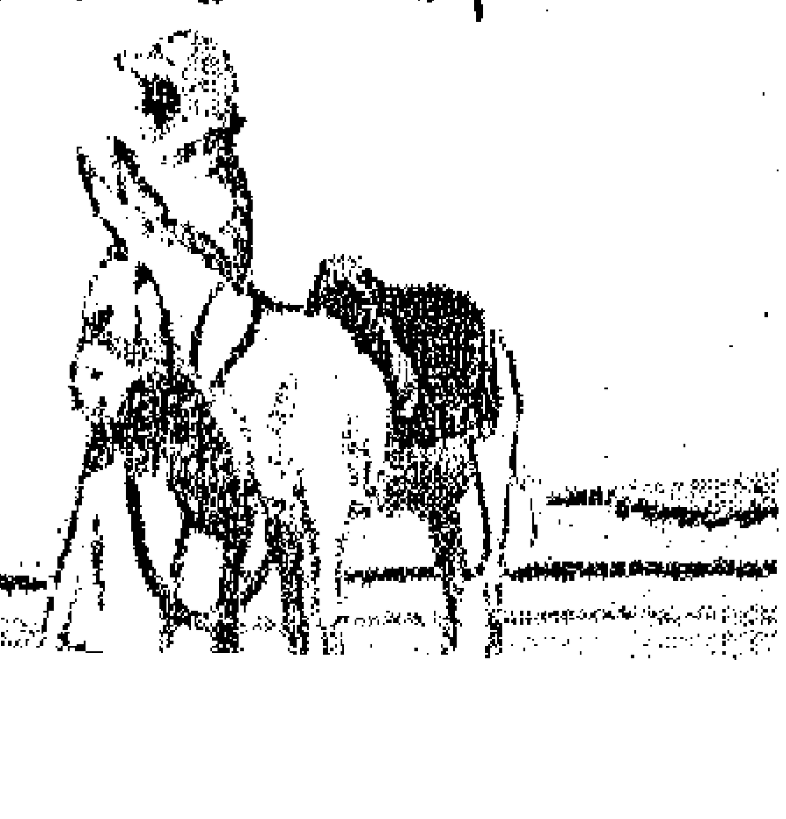
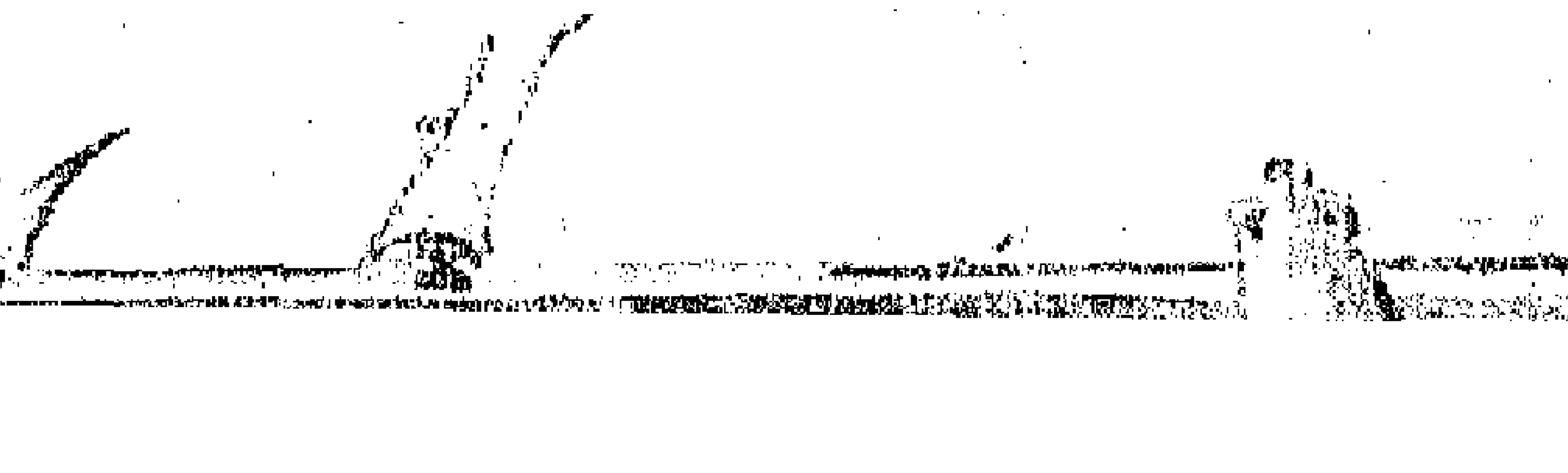


أسعد الناسِ أقدرُهم على حُسن التفكير ، والتفكير الحسنُ لا يكونُ إلا فى العقل المثقّف . . وفى الناسِ قوم يستغلون ساعات الفراغ فى تثقيف عقولهم : يحبون الموسيقى الجيّدة ، والكتب الجيدة ، والصور الجيدة ، والأحاديث الجيدة — فمن هؤلاء ؟ إنهم أسعدُ الناسِ فى هـذه الحياة الدنيا ، وهم ليسوا سعداء فى أنفسهم وحسبُ ، بل هم أيضاً سبب يجلب السعادة للآخرين . [وليم ليون فلبس]

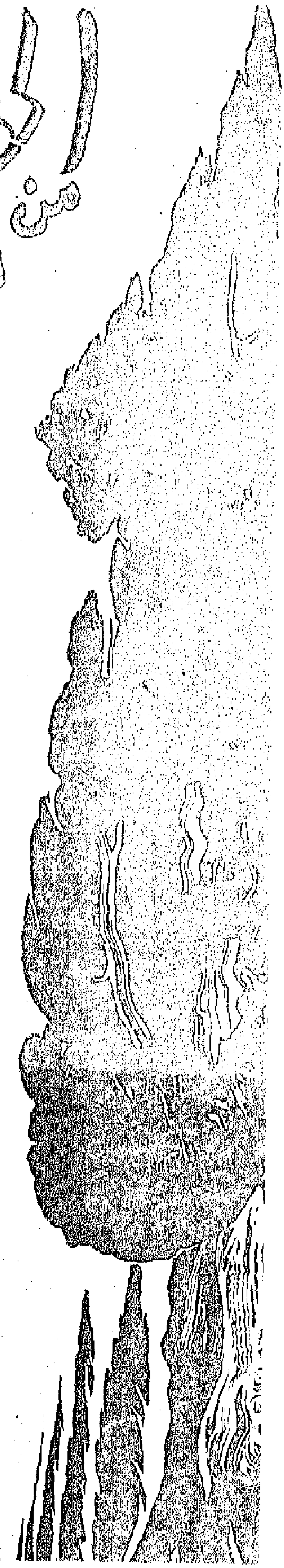


ليس فى الحياة شىء أنفس من الوقت ، والمرء منّا إذا نظر فلم يجد بين يديه وقتاً طويلاً ممتداً ، زعمَ أنه لا يجد

[التتمة فى الصفحة السابقة]

المختار من ريدرز دايجست



في كل مقالة لذة دائمة

مايو ١٩٤٧

من آيات العرب ـ ١

الكتمان

قيل لأعرابي : « كيف كتمانك للسر ؟ » قال : « ما قلبي إلا قبر » . وقيل لمزيد : « أي شيء تحت حضنك ؟ » فقال : « يا أحمق لم خبأته ؟ » . وقال عمرو بن العاص « ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته ، لأني كنت أضيق صدراً حين استودعته » . وكان يقال : « من ضاق صدره اتسع لسانه » .

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST — Vol. 8, No. 45, MAY 1947.

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : ولم ف . جيلسي .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .
العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

مطبعة مصر ش . م . م

السنة الرابعة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٨
العدد ٤٥

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

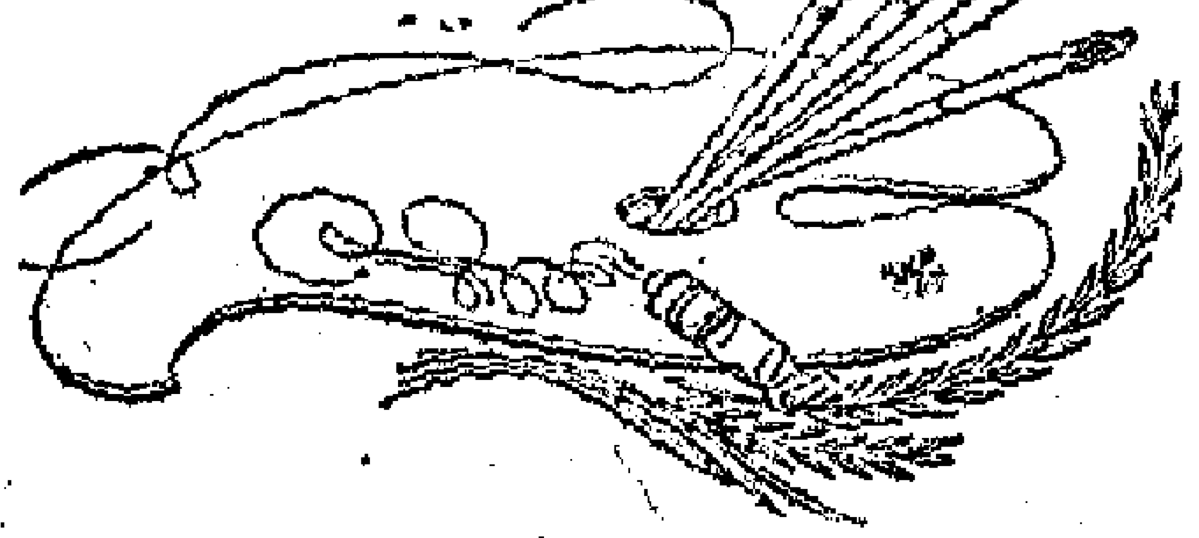
مايو ١٩٤٧

دعاية غريبة كشف أمرها مصادفة ، فإذا الناس يتساءلون ما قيمة المدخر من صور الأئمة في المتاحف والمجموعات الخاصة ؟

أمصوّر عبقري ، أم مُزيِّف عبقري ؟

إرفنج والاس

مختصرة من مجلة "ذي سترداي إيفننج بوست"



لم تكد تعرفُ مواقع السراديب التي خبأ فيها هرمان جورنج ما نالت يده من التحف الفنية ، وهي مجموعة لا تقدر بمال ، حتى سارعت إليها في أواخر شهر مايو سنة ١٩٤٥ لجنة من رجال الحلفاء المتخصصين في الآثار والفنون الجميلة ، لتتولى فرز هذه الأسلاب . فانبهرت أعين هؤلاء الرجال حين رأوا تلك المجموعة التي تضم ١٢٠٠ لوحة منتزعة من كافة متاحف أوربة ، فلا عجب إذا لم يدهشوا كل الدهشة حين رأوا بينها لوحة زيتية تعدّ من روائع الآثار ، وتمثل «المسيح والخاطئة» وعليها توقيع جان فرمير المصور الهولندي الذائع الصيت والذي عاش في القرن السابع عشر .

ولم يدر بخلد هؤلاء الباحثين أنهم بسبيل اكتشاف أعجب ما شهدته العصور الحديثة من الفضائح في عالم الفن. وكانت هذه الفضيحة جريمة، غير أنها كانت في بادىء الأمر ضرباً من الدعاية ، ثم إذا بها تصبح تهديداً بضياع ثلاثة ملايين من الريالات ، وتلويث سمعة نفر من أكبر خبراء الفنون في العالم .

ولم تثرْ الشبهة الأولى التي أدت إلى كشف النقاب عن تلك الفضيحة حين وجدت هذه

اللوحة الفريدة بين مجموعة جورنج ، بل حين ثبت أنها ليست بمسروقة . فقد هبّ خبيرهولندى غيور على نفائس بلاده يراجع أوراق جورنج الخاصة، فتبين له منها أن رجلا فى أمستردام باع هذه اللوحة فى سنة ١٩٤٣ بمبلغ ٦٠٠ ألف ريال إلى والتر هوفر الوسيط الذى يستخدمه جورنج فى شراء تحفه . وبيع لوحة من عمل فرمير إلى الألمان ، هو عند الهولنديين ضرب بغيض من معاونة أعدائهم الألمان . ذلك أن فرمير ، يعدّ كما يعد رمبرانت ، من أبطال هولندة ، وقد أطلق اسمه فى هولندة على شوارع لاحصر لها ، وترى نسخاً من لوحاته معلقة فى دور القوم كافة ، وإن كانوا فقراء . أما لوحاته الزيتية فمن الكنوز التى تعتز بها الدولة .

وثار حنق الخبير الهولندى ، فسارع إلى وطنه ومعه اللوحة ، فتبين أن بائعها إلى وسيط جورنج قد فرّ ، ولكن السلطات علمت أنه اشتراها من أحد تجار التحف الفنية ، وباعها هذا التاجر لحساب رجل يدّعى راينسترا واستوفى أجره على البيع . ثم قرر راينسترا أنه حصل عليها من هانز فان ميجرين المصور المقيم فى أمستردام .

وهذا المصور من ذوى الثراء ، ويملك عدداً من الدور ، وقد جمع ثروته من بيعه ستّ لوحات كانت عنده من رسم فرمير ، خمسة منها باعها للهواة والمتاحف فى لاهاى وروتردام وأمستردام. أما السادسة فهى لوحة « المسيح والخاطئة » التى اقتناها جورنج . ولما سئل من أين له هذه اللوحة ؟ قال إنه اشتراها فى إيطاليا. فتمسكت السلطات بهذا القول الذى ينطوى على الاعتراف بأنه كان يشترى من الفاشيين ويبيع للنازيين ، وقبضت عليه فوراً .

ومكث الرجل فى السجن ثلاثة أسابيع ، وكانت الشرطة الهولندية تأمل أن تستخلص منه اعترافاً بأنه باع إلى الألمان لوحة تعدّ فى وطنه من الذخائر التى لايفرّط فيها. فلما أبى أن يدلى بهذا الاعتراف ، زادت الشرطة فى تضييق الخناق عليه، وأخيراً انهدّت عزائمه وصرخ قائلا : « يالكم من حمقى ! إنى لم أبع شيئاً من ذخائر الوطن إلى الألمان. لقد بعت لهم لوحة عليها توقيع فرمير ، ولكنها من صنع يدى أنا » .

وأملى اعترافه، فتبين منه أنه رسم مابين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٤٣ ست لوحات نسبها إلى فرمير ، وأنه باع هذه اللوحات الكاذبة بمبلغ ثلاثة ملايين ريال، وأنه خدع فاحصيها من جهابذة العلماء ومؤرخى الفنون، كما خدع نفراً عديداً من نقاد الفن فى أوربة وأمريكا، حتى كالوا المديح لهذه اللوحات الكاذبة . وها هو يفخر بأنه لايقل براعة عن أساتذة

الفن القدماء، وأن النقاد الدائبين على انتقاص موهبته ليسوا إلا حميراً .

فإذا صح هذا لم يعد فان ميجرين متهما بمعاونة العدو ، بل بارتكاب غش امتدت آثاره إلى أكثر من دولة واحدة . ودعى كبار خبراء الفن فى هولندة ، فجاءوا وقد تملكهم القلق والغضب لكرامتهم، وأصروا جميعاً على أن هذه اللوحات من رسم فرمير حقاً وصدقا ، كما شهدوا بذلك عند فحصهم لها أول مرة . ولا عجب فى إصرارهم هذا ، فإن سمعتهم وأرزاقهم متوقفة على براءة هذه اللوحات من الغش .

وثار الجدل فى صحف هولندة ومقاهيها ودورها ، ثم امتد إلى لندن وباريس وروما وإلى نيويورك وشيكاغو .

وأخذت السلطات الهولندية تتشاور فى الأمر، فإذا بأحد الموظفين يتقدم باقتراح: « لماذا لاندع فان ميجرين يرسم على أعين البوليس صورة جديدة يقلد فيها أسلوب فرمير ؟ » فهذه اللوحة السابعة هى التى ستثبت : أهو قادر على تقليد أساتذة الفن القدماء أم هو يحاول بهذا الادعاء أن يبرىء نفسه من تهمة معاونة الأعداء ؟

ومنذ سنة أو أقل ، أخذ فان ميجرين يعمل للدفاع عن نفسه بهذه الوسيلة العجيبة ، وأذنت له السلطات بكافة المواد التى يحتاج إليها، وحبسته فى معمل كبير لأحد المصورين.

وقد قال لصديق جاء يزوره : « إن مهمتى شاقة ، فإنهم لا يحضرون لى زيتاً من النوع الذى أريده ، ولا يترك لى وقت للتفكير ، فهم يحثوننى على العمل حثاً ، وإذا جلست أرسم تجمعوا خلفى ومدُّوا أبصارهم من ورائى. وبرغم هذا كله فأنا أعتقد أننى سأرسم لوحة جميلة » .

وبدت من أخلاط الألوان حين تمت اللوحة صورة تمثل المسيح وهو طفل فى المعبد ، وحواليه نفر من الناس . وتضمنت اللوحة كافة الخصائص التى يمتاز بها أسلوب فرمير — كجمال ألوانه الزرق والصفر ، ودقة الرسم والعناية بالتفاصيل . ولو فحصت مواد اللوحة كلها لما تطرق الشك فى صدقها، فالقماش متخذ من منسوجات القرن السابع عشر ، والألوان قد مزجت كما كان يمزجها فرمير ، والريشة المستعملة مماثلة لريشته .

وأخيراً تمت الصورة وعينت السلطات الهولندية محكمين من الخبراء العالميين لدراسة اللوحة ، واتخذ هؤلاء المحكمون مقرّهم فى متحف أعدّ لهم خاصة، وعلقت فيه اللوحات الست التى نسبها ميجرين إلى فرمير ، ومعها لوحته السابعة التى ارتبط بها مصيره . وأخذ المحكمون يدرسون اللوحات ويجادل بعضهم بعضاً ، ولم يصدر قرارهم إلى اليوم ، بل هم

يدعون إليهم من كافة أرجاء أوربة كثيراً من النقاد والخبراء فى كشف اللوحات الزائفة ليعرفوا آراءهم .

ويعتقد المراسلون فى أمستردام أن هذه قضية لن يتسنى إصدار حكم حاسم فيها . وقل أحد هؤلاء المراسلين : « ليس من المعقول أن يصدر مثل هذا الحكم ، لأن القضاة يعلمون الآن أن اللوحات منحولة لفرمير ، وأنهم خدعوا عشر سنين ، ولن تطيب أنفسهم بالاعتراف بأنهم كانوا مخدوعين » . وقد سألت ثمانية من كبار الخبراء الفنيين فى هولندة ، فقرروا أن ميجرين هو الذى رسم اللوحات المنسوبة إلى فرمير ، ويشاركهم هذا الرأى قلم المخابرات السرية التابع للحكومة .

ويقول الخبراء أيضاً إن هذه القضية ستثير الشك فى قيمة مجموعات فنية كثيرة . ويتندر أحد النقاد الهولنديين بفكاهة قديمة تقول : « رسم كورو فى حياته كلها ٢٥٠٠ لوحة ، منها ٧٨٠٠ لوحة هى اليوم موجودة فى أمريكا ! » ، ويستشهد نقاد آخرون بأمثلة فى تاريخ الفن على حدوث مثل هذا الغش ، إذ ظهرت مرة نسختان من لوحة « الصبي ذى الثوب الأزرق » لجانزبورو المصور الإنجليزى الذائع الصيت ، فأحدث ظهورها ضجة كبيرة . واكتشف أيضاً فى باريس أخيراً « مصنع » ينتج عشرات من الصور المنسوبة كذباً إلى بيكاسو وأتريللو ، وقد بلغ من إتقان غش هذه الصور أن أتريللو نفسه كان يحتاج إلى أن يدقق النظر فى الصورة التى تحمل توقيعه قبل أن يقرر أنها ليست من رسمه .

وقد قل الدكتور ماكسمليان توخ — الخبير فى متحف مانهتان والمتخصص فى كشف الصور الكاذبة : « إن عدد اللوحات التى تباع بين الحين والحين باسم رمبرانت يبلغ ستة أمثال كافة اللوحات التى كان فى مقدوره أن يرسمها أو عشرة أمثالها . أما اللوحات الزائفة المعزوّة إلى غيره من المصورين كفان دايك مثلا فهى أكثر من ذلك ، فإن اللوحات المنحولة له تبلغ ألفين ، مع أنه لم يرسم على الأرجح سوى سبعين لوحة » .

ويقول أنصار ميجرين إن لوحاته التى ينسبها إلى فرمير قد لقيت من الناس تصديقاً وإقبالا على اقتنائها ، وفى هذا دليل على أنه نابغة فى فنه . ويقولون إنه لم يعد يعمد قط إلى نسخ لوحات فرمير الخالدة ، بل ابتدع لوحات لاتقل عنها سموّا ، ورسمها بالأسلوب الذى انفرد به ذلك الأستاذ العظيم . ومثل هذا العمل يسمى فى هولندة « التزييف الأصيل » وهو لايعد من الجرائم ، بل يعد

من صميم الفن . ولهذا فإن فان ميجرين من أكبر من عرفه التاريخ فى العالم من المصورين المختصين فى هذا الضرب من الفنون .

وهانس فان ميجرين فى الثامنة والخمسين من عمره ، وقد بدأت موهبته فى التصوير تتجلى وهو فى المدرسة الابتدائية ، وما وافت سنة ١٩٢٠ حتى اكتسب شيئاً من الشهرة . فلما كانت سنة ١٩٣٠ ، إذا هم يطلبونه لتصوير النبلاء فى لندن ، وتصوير نفر من أصحاب الملايين الأمريكيين فى ساحل الريفييرا .

ومن يومئذ نشب الخصام بينه وبين النقاد والمصورين الهولنديين ، فقد أنكروا أسلوبه الذى انفرد به وكرهوا حدة لسانه ، وحسدوه على إقبال الثراء عليه . وقصده بعض النقاد الذين لا ذمة لهم يعدونه بامتداح معارضه إذا هو بذل لهم شيئاً من ماله ، فلما ازدراهم وصدهم ، انقلبوا عليه وأخذوا يهاجمونه ، فصمم فى سنة ١٩٣٦ على أن ينتقم لنفسه منهم .

وأخذ يحكم وضع الأسس التى يقيم عليها خدعه ، واستعرض أساتذة الفن القدماء ممن رأى فى نفسه القدرة على تقليد لوحاتهم . وأخيراً وقع اختياره على فرمير ، ولكن لماذا اختار فرمير دون غيره ؟ اسمعه يجبك : « لأننى كنت أعجب به إعجاباً شديداً ، ثم لأننى وجدت تقليد أسلوبه أسهل على ، ولأن حياته كانت محاطة بالغموض بحيث لا يثير ظهور لوحة جديدة له كبير دهشة أو ريبة » .

حرص هذا الرجل على أن تكون لوحاته محكمة لا يفضحها الاختبار ، فإن الخبراء يمتحنون الألوان بفحص تأثير الكحول عليها ، ويستعينون بإبرة الحقن الجلدية لاكتشاف العناصر الكيميائية التى تتركب منها مواد الألوان ، ويستخدمون أيضاً الأشعة السينية والأشعة فوق الحمراء لتصوير قماش اللوحة ، ويلجأون إلى مصابيح الكوارتز للنفوذ خلال طبقات الألوان طبقة بعد طبقة . وقد توقع ميجرين أن تستخدم هذه الوسائل كلها فى امتحان لوحاته .

وأخذ ينقب عن المخطوطات القديمة ليتعلم منها سر تركيب مواد الألوان التى استخدمها فرمير . فاللون الأصفر مستخرج من مادة صمغية ، والأزرق من مسحوق حجر اللازورد ، والأبيض من الزنك لا من الرصاص . ولم يحجم ميجرين عن دفع ألفى ريال ثمناً لأنبوبة واحدة من مسحوق اللازورد . وهو يقول : « أما العقبة الوحيدة التى صادفتنى فهى الزيت اللازم لمزج الألوان ، فالمصورون فى عصرنا هذا يستخدمون زيت بذرة الكتان ، وهو لا يصلح لما أريده ، لأنه يجعل اللوحة غير قابلة لأن يتماسك سطحها بحيث تبدو عليها دلائل العتق والقدم ، وقد عثرت لحسن حظى فى مخطوط قديم على وصف دقيق

التركيب الزيت الذى كان يستخدمه فرمير ، فاستخدمته أنا أيضاً ، وبذلك احتملت لوحاتى امتحان ألوانها بالكحول » .

واختار ميجرين أول ما اختار فى تقليده أعمال فرمير ، موضوعا يمثل المسيح وهو يقتسم الخبز مع الحواريين . وعكف على إجادة رسم اللوحة بلا كلل ولا ملل يوما بعد يوم إلى أن مضت سبعة أشهر ، وتكتم عمله فلم يشعر به أحداً من الناس حتى ولا زوجته. فلما تمت اللوحة راجعها من جديد موضعاً موضعاً حتى اطمأن على أنها تحتوى كل الخصائص التى توحى بأنها من صنع فرمير ، حتى أنه لم يغفل عن أن يجعل فى سطح لوحته شقوقاً كأنها من آثار القدم. فهو يعلم أن اللوحات التى رسمت قبل عهد فرمير كانت تنشأ فى ألوانها شقوق واسعة ، أما ألوان لوحات فرمير فزيتها كان يحميها أن تصاب بهذه الشقوق الواسعة، بل تلحقها شقوق صغيرة تتصل على شكل سلسلة . وقد بذل فان ميجرين غاية جهده وحيلته لتصبح شقوق لوحته مضاهية لأمثالها فى لوحات فرمير .

وقد أعانته درايته بحياة فرمير على أن يختلق قصة مستساغة لاكتشاف تلك اللوحة. فهو يعلم أن فرمير كان يعمل ومعه طائفة من التلاميذ الإيطاليين ، وقد رسم هؤلاء التلاميذ موضوع اقتسام الخبز بين المسيح والحواريين، وأنهم حملوا معهم تلك اللوحة إلى بلادهم، فأغلب الاحتمال إذن أن أستاذهم فرمير كان قد رسم قبلهم الموضوع نفسه ، فعسى أن يكون سافر فى إحدى الفترات المجهولة من حياته إلى إيطاليا . وإذن فلتكن إيطاليا هى المكان التى تكتشف فيه لوحة فرمير الجديدة . ودبر ميجرين الأمر بحيث يصله من صديق له هناك خبر العثور على تلك اللوحة ، فيشتريها منه بثمن بخس، ثم يبيعها بعد ذلك .

وحمل لوحته إلى أمستردام ، وقبل أن يعرضها للبيع اتصل بأحد نقاد الفن فى هولندة يدعى أبراهام برديوس ، وهو رجل يبلغ من العمر ثمانين سنة فابتهجت نفسه حين رأى أنه لايزال مقصد الناس لطلب مشورته ونظر إلى اللوحة ببصره الكليل وفحصها متعجلا ، ثم سلمه شهادة بخطه تشهد بأنها لوحة صحيحة النسبة .

وفى سنة ١٩٣٧ تولى متحف بويمانز فى روتردام فحص هذه اللوحة بالمواد الكيميائية وبالأشعة واطمأن إلى أصالتها ، ودفع لفان ميجرين نصف مليون جيلدين ثمناً لها . ثم وضعت فى مكان الصدارة فى معرض ضم ٤٥٠ لوحة هولندية من عمل أساتذة الفن القدماء ، وكان المعرض قد أقيم احتفالا بعيد

الملكة ولهلمينا ، فتقاطر لمشاهدتها نقاد من لاهاى ولندن وباريس . وبلغ من إجلالهم لها أنهم طالبوا إدارة المتحف بأن تفرش الحجرة التى عرضت فيها بالأبسطة حتى لا يعكر عليهم وقع الأقدام صفاء استغراقهم فى تأملها ، فلبت إدارة المعرض طلبهم . وكتب بعض النقاد يشيدون باللوحة ويصفونها بأنها تفوق كافة لوحات فرمير إبداعاً .

وابتهج ميجرين أيما ابتهاج ، فقد أثبت بلاهة خصومه وأنه حقيق بالثراء الذى وافاه . وأصبح الطريق أمامه مأموناً ، فاستمر فى عمله ، وظل يواليه إلى أن بعث إحدى لوحاته إلى جورنج ، فكانت — كما يقول هو — بداية النهاية . وفان ميجرين اليوم رجل منهوك محطم ، وهو رهين المنزل ، ولا يؤذن له إلا بقسط ضئيل من الحرية ، ولا يشد من أزره سوى رغبته المتقدة فى أن يثبت بأدلة لا تدع مجالا لأقل الشكوك ، أنه قلد فرمير وخدع جهابذة الفن ولا ينفك يقدم أدلة جديدة على صدق هذه التهمة المنسوبة إليه .

فالكرسى الذى يجلس عليه المسيح فى اللوحة الأولى والسادسة ، شبيه بالكرسى الحديث الذى يستخدمه فى معمله ، وكذلك الحال فى طريقة رسم يدى المسيح ، فإنها تختلف عن أسلوب فرمير ، إذ هما صورة صادقة ليدى فان ميجرين نفسه . أما الألوان فإنه يقدم أدلة تثبت أنه كان يشتريها بثمن باهظ من لندن .

ولا يزال المحكمون فى جدل مستمر إلى اليوم . ويعتقد بعض الناس ، وهم أقلية ، أن القضية ستحفظ فى بحر سنة أو سنتين ، وأن ميجرين سيستعيد حريته . ولكن الأكثرية تظن أن المحكمين الدوليين سيضطرون إلى الاعتراف بأن هذه اللوحات مكذوبة ، فإذا صح هذا الظن فأغلب الرأى أن يحكم على فان ميجرين بالسجن لمدة تتراوح بين سنتين وست سنوات ، وبغرامة قدرها مليونا ريال . ويتمنى فان ميجرين أن يصدر عليه هذا الحكم ، إذ هو اعتراف بموهبته ، وقضاء على غطرسة النقاد وكبريائهم .

قيل إن رجلا من أصحاب مذهب « اللاأدرية » أنبأ الرئيس ودرو ولسن أن المتاعب التى تلازم الناس تثبت أن الأديان قد أخفقت فى رسالتها ، فقال ولسون : « تدبر هذا — إذا كان الناس أشراراً ومعهم الدين ، فكيف يكونون بغيره ؟ »

[وتر واشل]

الجناح الطائر

فرانك ج. تاباور
مختصرة من مجلة "حقائق الطيران"

قصة الرجل والطائرة الغريبة الخليقة بأن تحدث انقلاباً فى عالم الطيران

وقف جاك نورثروب ثائر الأعصاب أمام لوحة الرسم يتصنع الاهتمام بعمله، ولكنه كان يصغى كالقلق إلى هدير المحركات الدائرة فى أرض المطار خارج مكتبه. وجاك نورثروب هو رئيس شركة نورثروب للطيران، وهذا الهدير الذى يصغى إليه هو هدير طائرته المعروفة باسم «الجناح الطائر»، فهى أول طائرة صنعت بغير جسم أو ذيل، وهذه محركاتها تدور توطئة لتجربتها الأولى، وهى تختلف فى تصميمها اختلافاً عظيما عن كل طائرة كبيرة سواها، فكيف تركب متن الهواء؟

وأرادت قيادة سلاح الطيران الأمريكى أن تهوّن الأمر على الطيارين وإدارة الشركة فأمرت بمنع المتفرجين من الوقوف على حواشى المطار. فالتزم نورثروب مكانه فى حجرة الرسم كما لزم كل عامل مكانه من المصنع. وكذلك حيل بين الرجل الذى ظل ٢٣ سنة يحلم ببناء طائرته هذه، وبين رؤيتها ترتفع فى الهواء أول مرة.

وازداد هدير المحركات، ثم خفت حين أبعدت الطائرة، ولكن نورثروب لم يصب شيئاً من الراحة حتى حمل إليه التلفون صوتاً متهدجاً من فرط التأثر يعلن له أن الطائرة قد نزلت سالمة. فكان ذلك النبأ نهاية جهاد دام عشرين عاماً بين الأمل والخيبة، حتى صنعت هذه الطائرة (XB-35).

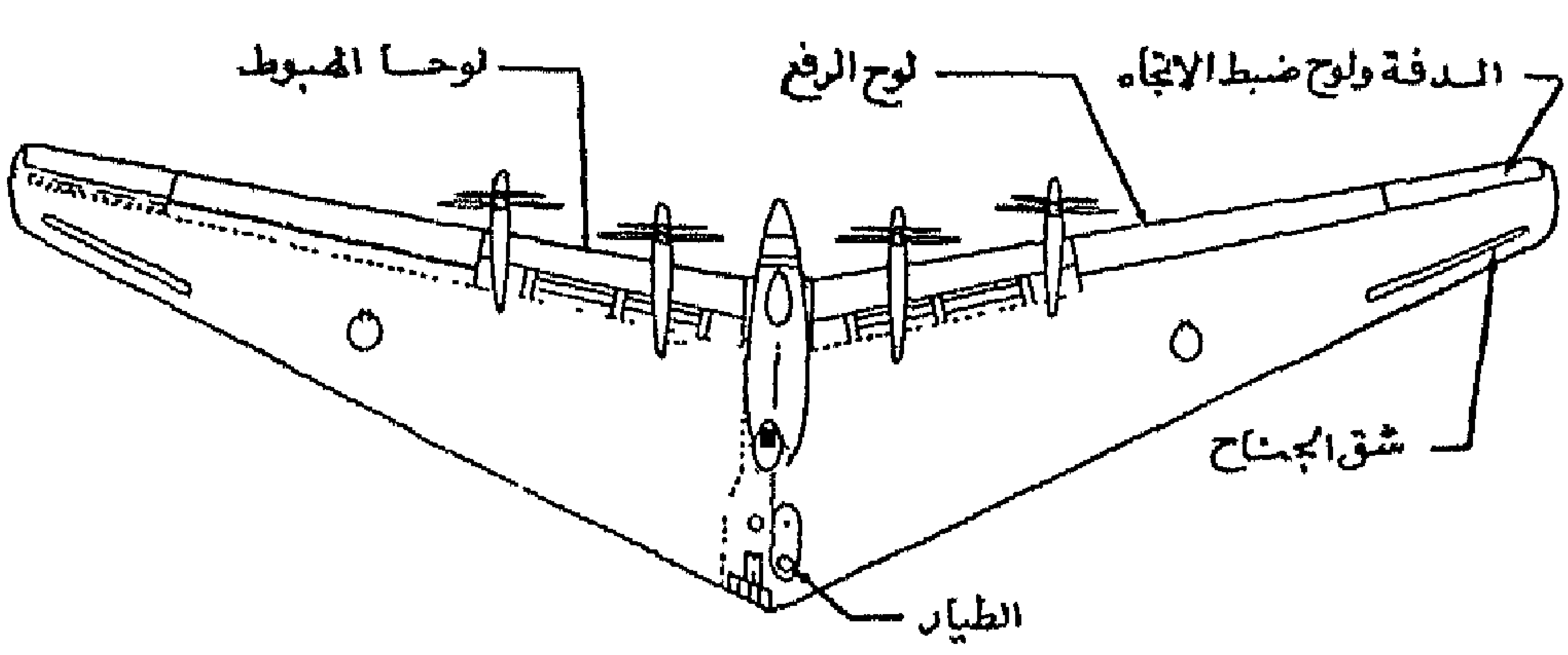
هذا الجناح الطائر الغريب الشكل، يُعَدُّ مرحلة جديدة فى تاريخ الطيران. فإذا نشبت حرب أخرى، فقد يكون لواء الظفر معقوداً بهذه الطائرات التى لا ذيول لها، لأنها أقدر من جميع الطائرات المعهودة على الوصول إلى أية بقعة من بقاع الأرض، بسرعة أعظم وبحمل من القنابل أكبر. وإذا ساد السلام فالأجنحة الطائرة خليقة أن تحدث انقلاباً فى ركوب متن الهواء للرحلة والنقل، فإن فى وسعها أن تنقل المسافرين مسافة ألفى ميل فى خمس ساعات، فلا يكلف نقل المسافر الواحد سوى عشرة ريالات أو أقل. ومهندسو نورثروب يعتقدون أن الجناح الطائر سيكون قطار الشحن الطائر وسفينة الجو فى المستقبل.

والأرقام تؤيد ما يرون، فالمسافة بين

طرفى الجناحين ١٧٢ قدماً ، والطائرة تندفع فى الجو بقوة أربعة محركات مركبة فى مؤخرة الجناحين ، وتولد قوة ١٢ ألف حصان، ويبلغ وزن الطائرة ٩٠ ألف رطل، وتستطيع أن ترتفع فى الجو بحمل يبلغ ١١٦٠٠٠ رطل . ولو كانت طائرة الجناح الطائر متاحة يوم كانت حرب اليابان دائرة الرحى ، لكان فى وسعها أن تحمل من جزائر ماريانا إلى اليابان ماوزنه ٥٠ ألف رطل من القنابل ، بدلا من ١٠ آلاف رطل كانت تحملها الطائرة من طراز القلاع الطائرة الضخمة . وقد صمم مهندسو الشركة طائرة أخرى من طراز الجناح الطائر أكبر مرتين من الطائرة الأولى (XB-35).

صنعت هذه الطائرة الجديدة حتى تستطيع أن تطير على ارتفاع ٣٠,٠٠٠ قدم، وأن تمضى بسرعة معدلها ٤٠٠ ميل فى الساعة . وأما شقيقاتها التى صممت ، فسوف تزوّد بأجهزة خاصة تتيح لها أن تكون أعظم سرعة وأعلى تحليقاً . وطائرة الجناح الطائر تستطيع أن تقطع عشرة آلاف ميل دون أن تهبط لتتزود بالوقود . ولكن نورثروب ينوى أن يجعل مراحلها أقصر من ذلك حين تُقلُّ الناس أو تنقل البضائع . وتدلُّ دراسة الأرقام التى توازن بين النفقة والدخل ، أن أجدى المراحل على الشركة ، مرحلة طولها ٢,٤٠٠ ميل ، وهذا يكفى للانتفاع بالطائرة أحسن انتفاع فى أطول الرحلات الحربية والتجارية المعهودة الآن . أما الركاب فيجلسون على مقاعد وراء نوافذ فى مقدمة الجناحين ، فيستمتعون بمشاهد كانت حتى اليوم وقفاً على الطيار وحده ، وجوف الطائرة رحب يتسع لخمسين راكباً ، وفى وسعهم أن ينهضوا من مقاعدهم وأن يتمشوا دون أن تصطدم رؤوسهم بالسقف.

وقد وصف نورثروب بأنه أحد كبار المهندسين المبدعين فى عصرنا هذا . ولعلّ نورثروب وجلين مارتن يستطيعان دون غيرهما



من رجال صناعة الطائرات ، أن يضعا تصميم طائرة، ثم أن يركبا بأيديهما أجزاءها المعقدة ، ثم يتوليا قيادتها بأنفسهما . وقد علم نورثروب نفسه بنفسه ، فقد تخرج من مدرسة ثانوية فى كاليفورنيا ، ثم اشتغل فى مصانع شتى للطائرات. وكان يضايق رؤساءه بشدة إلحاحه عليهم أن ينفقوا مالا كثيراً فى صناعة الجناح الطائر . بيد أنه ليس رجلا تستهويه فكرة واحدة فيجن بها ويهمل كل ما سواها ، فقد أسدى أيادى كثيرة إلى صناعة الطائرات ، فصمم طائرة « ڤيجا » المشيقة التي جعلت طائرات لوكهيد فى الطليعة بين الطائرات السريعة ، واستنبط لشركة « دوجلاس » ضرباً جديداً من الأجنحة ، فإذا طائراتهم تقل معظم ما ينقل فى الهواء ، وقد صمم أيضاً مطاردات قاذفة للجيش والأسطول ، ولكنه ظل خلال ذلك كله برماً ساخطاً لأنه لم يلق من يعنى بما يقوله ويدعو إليه فى شأن الجناح الطائر .

غير أنه انتفع بساعات فراغه فصنع بيديه فى حظيرة سيارته جناحاً طائراً صغيراً ذا ذيل قصير ، فكانت تلك الطائرة وسطاً بين الطائرة المعهودة والجناح الطائر الخالص .

وقد طار بها هو وغيره من الطيارين سبعين مرة فى سنتى ١٩٢٩و١٩٣٠ فجمعوا حقائق لا تقوم بمال ، فانتفع بها نورثروب فى طائفة من النماذج تلت نموذجه الأول .

وما فتىء مهندسو الطيران فى أرجاء الأرض يتطلعون منذ سنين إلى الطائرة المثلى — طائرة ليس فى سطح بنيانها كله رقعة لا تعين على رفعها فى الهواء ، ولا أجزاء بارزة تحدث حولها تيارات من الهواء تعوقها أو تقلل سرعتها . وقد عمد بعض مهندسى الطائرات إلى الاحتفاظ بذيل الطائرة ، ولكنهم وصلوا بين الجناحين والذيل برقعة من القماش كالجلد بين الأصابع فى أرجل البط . وقد صنع نورثروب النموذج الذى صنعه سنة ١٩٢٩ على هذه القاعدة . وعمد مهندسون آخرون مثل « بلانكا » و « برنلى » إلى الاحتفاظ بالهيكل والذيل ، ولكنهم جعلوا شكل الهيكل كشكل الجناح حتى يكون أكثر عوناً على رفع الطائرة . وكان فى ألمانيا مهندسان شقيقان من آل هورتن صمما طائرة أدنى ما تكون إلى الجناح الطائر الخالص . أما مهندسو الطيران فى بريطانيا فقد بحثوا بحوثاً وجربوا تجارب نافعة ، ولكن أحداً من هؤلاء لم يوفق فى تصميم طائرة خلو من الهيكل والذيل كليهما ، إلى أن صنع نورثروب طائرته هذه .

وقد حاول بعض أعوان نورثروب أن يجمعوا له فى سنة ١٩٣٩ مالاً يمكنه من أن يستقل بعمله . واهتم بذلك رجل يدعى

لاموت كوهو كان قد اشتهر بتنظيم كثير من شركات الطيران الناشئة وتدبير المال لها، فجمع مليون ريال لنورثروب ونظمت الشركة، فعين نورثروب رئيساً وكوهو رئيس مجلس الإدارة ، وشيّدوا مصنعاً يُعَدُّ من أحسن مصانع الطيران وأعظمها كفاية.

وقد كان الغرض الأول من الشركة الجديدة أن تتولى البحث العلمى والتجربة ، ولكن ما من أحد من الناس يستطيع أن يكسب رزقه من البحث — على ما يقول كوهو . فلما نشبت الحرب كان كوهو فى أوربة وتعذّرت عليه العودة فوراً ، فعزم على أن يزور النرويج موطن زوجته، فوجد هناك بعثة عسكرية تهمّ بالسفر إلى أمريكا لتشترى قاذفات مائية تتولى عمل الدوريات على السواحل . فأقنعها بأن تعرّج على مصنع نورثروب، ثم عجل فى عودته ليستقبلها حين تصل إلى المصنع . وقد وصلت قبل أن يتمّ بناء المصنع ، فسار بها إلى بيته ، وباعها ٢٤ طائرة مائية دون أن يروها . وإذا نورثروب يلفى نفسه منصرفاً عن جناحه الطائر إلى صنع الطائرات التى باعها زميله ، وقد كانت يوم صنعها أسرع الطائرات المائية، ولم تزل كذلك .

وجاء النداء من الجنرال أرنولد ، قائد سلاح الطيران الأمريكى ، يطلب مطاردةً ليلية تستطيع أن تحارب القاذفات الليلية النازية . فظفر نورثروب فى المباراة، وكانت طائرته رشيقة سريعة أطلق عليها اسم « الأرملة السوداء » ، كان فى وسعها أن ترى وتبصر فى ظلام الليل البهيم بجهاز من أجهزة رادار ركب فى رأسها . فلما أمر سلاح الطيران الأمريكى مصنع نورثروب أن يقف وقته وقدرته على صنع « الأرامل السود » ، بدا لنورثروب أن الجناح الطائر عاد ثانية حلماً من الأحلام .

ومن محاسن الحظ أن نورثروب كان قد صنع أربعة من الأجنحة الطائرة طراز (N9M) تتسع كلٌّ منها لرجل واحد . فلما اطلع سلاح الطيران الأمريكى على نتائج تجربتها طلب أن تصنع خمس عشرة طائرة مثلها . وقد أنشأوا مخبّأ كبيراً أحاطوه بأشد الكتمان ، ومن هذا المخبّأ أخرج نورثروب أول طائرة تامة من طراز الجناح الطائر فى أول مايو سنة ١٩٤٦ ، فكانت تزكية قوية لرأى ظل يكافح فى سبيله عشرين سنة .

واهتمام نورثروب لا ينحصر فى الطائرات فإنه لما عجز أطباء الجيش عن أن يحرّكوا اهتمام الجرحى من الجنود أو الذين أصيبوا بمرض نفسى، حتى يحفروا الخشب أو يعملوا بعض الأعمال التى يراد بها علاجهم ، عنى نورثروب بالموضوع، فجزأ بعض الأعمال

الصناعية اللازمة لإنتاج «الأرامل السود» حتى يستطيع من كان طريح الفراش من الجنود أن يتمها على طبق يوضع أمامه ، أو فى ورشــة تبنى فى أرض المستشفى . وكان الجنود الناقهون ينالون أجراً كأجر العمال فى المصنع، فقويت نفوس الجرحى والمرضى، فلما شفى بعضهم كانوا قد تدربوا تدريبــاً يؤهلهم للعمل فى المصنع ، فعينوا فيه . وكان نورثروب يراهم ذوى أرجــل أو أذرع صناعية ، فلم يرضه ما رأى من قلة الإتقان فى صنعها ، فقال : « لايزالون يصنعون الأرجل والأيدى فى دكاكين الحدّادين، فلِمَ لاندخل فى صنعها ذلك الإحكام الدقيق الذى نعتمد عليــه فى صناعة أجهزة الطائرات ؟ »

وكذلك عمد مصنع نورثروب إلى صنع الأعضاء الصــناعية ، وعين له نورثروب طائفة من أبرع المهندسين ، وإذا به يظفر بمجموعة مــن الأعضاء الصناعية خفيفة الوزن مصــنوعة من اللدائن ، وأخرى من الصلب الذى لا يصدأ ، وقد زودت جميعاً بما يمكن مَن يستعملها من السيطرة على الرجل أو اليد أو الركبــة أو المعصم سيطرة دقيقة . فيستطيع من بترت ساقه أو ذراعه أن يمسك قلماً باليد الصناعية فيكتب به ، أو يعتمد على الساق الصناعية فى التصعيد إلى أكمة أو الانحدار منها فى يُسْر وراحة — بل هو يستطيع أن يرقص .

ومع أن نورثروب وكوهو أسَّسا شركة غرضها الأول أن ترود الآفاق الجديدة فى عالم الطيران ، تراهما قد استحدثا أيضاً شيئاً كثيراً فى علاقات العمال بأصحاب العمل ، فترى همهما منصرفاً إلى جعل أجور عمالها فى الطليعة بين أجور عمال الطيران. وتهيء الشركة لعمالها أسباب التأمين على الصحة والحياة والإصابة بالحوادث العارضة، وتسيِّر سيَّارات نقل خاصة تنقلهم من بيوتهم إلى المصنع ، ثم تعيدهم إلى بيوتهم ، وتعينهم على حل ما يعترض كلا منهم من مشكلات خاصة به. ومديرو المصنع لايكتمون الأخبار عن العمال، فكل خبر من أخبار المصنع ، ساء أو سرَّ، يطلع العمال عليه فى صحيفة خاصة بالمصنع .

وللشركة ملاعب كثيرة للرياضــة ، وضروب شتى مــن اللهو والتسلية تبلغ تسعين ضرباً ، منها فرقة الموسيقى وجماعة التصوير الشمسى وغيرها .

يقول جاك نورثروب : « بدأت حياتى مســاعداً لميكانيكىّ فعرفت رأى العامل ، ولعل هــذا هو ما حملنا على أن نتخذ : «أحبّ لأخيك ما تحب لنفسك» دستوراً لنا ، حتى يصير المصنع مكاناً يطيب العمل فيه » .

فهذا هو الرجل الذى حلم بالجناح الطائر ، فرأى حلمه قد صار حقيقة واقعة .



جيش من حشرات فتاكة لا ترحم يزحف فيلقى الرعب فى قلوب البشر والحيوان جميعاً .

خرجت ذات يوم أنا وزوجى ، حتى إذا أوغلنا فى غابة بجمهورية كولمبيا ، بزغ الفجر فإذا بنا نرى فجأة مئات من الطيور آكلة النمل وهى ترفرف مهتاجة فى أرجاء الغابة ، ثم تنقضُّ إلى الأرض ، ثم ترتدُّ صاعدة إلى أغصانها . وكنا نعلم معنى هـذا ، وكذلك كل سكان الغابة ، فإذا الحشرات والحيات وسائر الحيوان قد لاذت بالفرار ، فتسلق بعضها رؤوس الأشجار ، وأوغل بعضها ذاهبـاً فى جوف الأرض .

لقد بدأت جيوش النمل زحفها ! ففى فصلى الأمطار من كل سنة تزحف آلاف مؤلفة من هذه اللاعنة المصبوبة على الغابات ، ميممة شطر القرية التى فيها مساكننا .

فترجلنا عن ظهور بغالنا وأخذنا نجوس خلال الغابة بحثاً عنها ، فوجـدنا فرقة من هذا الجيش لابدة تحت جذع شجرة ، ولم تتهيأ بعد للمسير . وإذا أرجلها قد تشابكت حتى صارت على هيئة كرة يبلغ قطرها نحو ياردة . وكان طول النملة من هذه النمل البراقة الظهور نحو بوصة ، ولها فكّان كالكلابتين تستطيع أن تمزق بها فريستها إرباً إرباً .

فلما أسفر النهار بدأت الكرة تتنمّش وتضطرب ، وما هو إلا أن ذابت ، وإذا الجيش الزاحف قد غطى أديم الأرض . وأخذ ضباط هذه النمل يصدرون الأوامر بتحريك القرون ، فإذا الجيش يتحرك قدماً فى صف عريض منظم يبلغ طوله مئة قدم . وإذا طائفة من الحراس تذهب وتجىء على الجناحين ، وكل منها قد أشرع فكيه محركا قرنيه .

أما الطيور آكلة النمل التى كانت تتبعها ، فهى على الأشجار تتحين الفرصة حتى تنقض على كل من يتخلف أو يعييه المسير .

فلما جاء موعد إفطار النمل ، تفرقت آلاف من الرواد فى كل وجه باحثة عن الطعام ، وإذا الطيور آكلة النمل تنقضُّ فتختفى فى مناقيرها مئات من هؤلاء الرواد ، بيد أن الباقين ظلوا فى سعيهم باحثين عن الفرائس . وكان أول من عاد من الرواد قد حمل

إليهن نبأ شجرة تموج بالدود والأساريع ، فانبرت إليها كتيبة من النمل ، وصعّدت فى الشجرة وانتشرت على أغصانها ، وأخذت تمزق أوصال الأساريع وتلتهمها التهاماً .

وعاد رائد من النمل وهو يترنح ، فقدْ فقدَ ثلاث قوائم من قوائمه الست ، ولم يبق من قرنيه سوى نصف قرن . ولقد شق عليه أن يهتدى إلى سواء سبيله ، فإن قرونه الدقيقة الحس بما تلمسه وما تشمه ، كانت له بمنزلة العينين والأنف . فلقيته على الطريق جماعة الإسعاف من النمل ، فمد كل منها فكيه حتى تشابكت وصارت كالمحفّة ، وحملوه وعادوا به أدراجهم ليبلغ النبأ الذى وقف عليه : لقد عثر على عش للزنابير يتدلى من أغصان إحدى الشجيرات .

وساروا به وهو على المحفة فقاد الجيش إلى مكان تلك الوليمة ، وضرب الجيش نطاقاً على ذلك العش ثم انقض عليه انقضاض الوحش فمزقه تمزيقاً . وجنّ جنون الزنابير فطفقت تدافع مستميتة عن بيتها وأطفالها ، ولكن على غير جدوى . فلما فرغت النمل من طعامها مضت فى سبيلها .

وجيش النمل يقطع فى مسيره نحو ميل فى ثلاث ساعات ونصف ساعة ، إذا لم يعقه عائق . فلما أرخى الليل سدوله ، كفّت النمل عن المسير كعادتها إذا أظلمت الدنيا ، وتشابكت قوائمها حتى صارت على هيئة الكرة ثم نامت ملء جفونها . فلما أسفر الصبح اصطفت صفوفها مرة أخرى ، وكان قد لحقت بها طوائف أخرى من النمل .

وكان على قريب من مدبّ هذه النمل أصَلة عاصرة (نوع من الحيات) قد تحوّت على خنزير برّى فهشمت عظامه ثم ابتلعته جملة واحدة ، ثم التفّت على جذع شجرة ونامت حتى تهضم ما التهمته .

فتشممت النمل رائحة الطريق الذى سلكته الأصلة حتى بلغت الشجرة فانتشرت صاعدة إليها . وكأن التخمة قد خدّرت أوصال الحية فلم تشعر بزحوف النمل التى تسيل على بدنها كأنها زفت مُذاب . وكان أول ما فعلته النمل أنها سملت عيون الأصلة حتى أعمتها ، وظلت سائر اليوم تلتهم لحمها التهاما وتنهشها نهشاً حتى تركتها عظاما عارية ، ثم تجمعت النمل مرة أخرى على هيئة الكرة حتى تنام الليل إلى أن يصبح الصبح .

فلما كشف الصبح لثامه ، يمّم جيش النمل شطر قريتنا وهو يسوق أمامه كل ما لاقى فى طريقه ، وكان حسّ هذه الآلاف المؤلفة من النمل وهى تدبّ فى الغابة الساكنة ، كحس رذاذ المطر وهو يتساقطُ على الأرض .

وجاءهم فجأة ما راع قلوبهم وملأها رعباً ، فقد حمل حراس الجناحين نبأ مفزعاً إلى

قائد الجيش. وذلك أن آ كل النمل الأرقط، وهو عدوهم الفتاك، قد هجم عليهن وهو الساعة يلتهم الكتيبة إثر الكتيبة، ومايكاد يخرج لسانه اللازج حتى يغيّب فى ظلام جوفه عشرات بعد عشرات من النمل.

وكان أمامهم نهر، فاندفع الجيش كله قاصداً نحوه. فلما بلغ الشاطىء رأى صخوره العالية، فاجتمعت طليعة الجيش وتشابكت بأبدانها حتى صارت كالسلم، فأخذ من وراءهم يرتقى هذا السلم وينشىء بأبدانه جسراً بعد جسر من صخرة إلى صخرة. وأخذ الجيش يزحف على هذه الجسور بسرعة مدهشة حتى بلغت الماء وأصابها رشاش تياره، ثم بدأت الطلائع تجتمع وتكون كتلة على هيئة الكرة، فيأتى الجندىّ بعد الجندىّ ويأخذ مكانه منها، وتركوا نفقاً ينفذ إلى جوف الكرة. ثم جاءت النمل العاملة تحمل الصغار والطعام، واندفعت داخلة فى النفق إلى جوف الكرة، وجاءت مؤخرة الجيش فسدّت مدخل النفق بأبدانها سدًّا محكما، ثم هوَت الكرة كلها إلى عُباب الماء.

وظل تيارُ الماء يتقاذف الكرة حتى ارتطمت بمنحنى شديد الانحناء من اليابسة، وفكت النمل قوائمها المتشابكة وانطلقت ساعية على الشاطىء. وعندئذ ظلت تجوس فى أرجاء المكان باحثة عن مدبّها المعهود، وأخيراً اصطفت ومضت قدما. لقد انصرمت ستة أشهر منذ دبّتْ على هذا الطريق نفسه، ولكنها اهتدت إليه، وظلت تسير فيه نهارَها كله وزُلَفاً من الليل.

وبلغنا القرية وقد أطبق الليل، وشغلتنا مراقبة النمل عن أن نرسل إلى أهل القرية من يبلغهم نبأ مقدمه، فانطلق دليلنا فردريك يعدو فى أرجاء القرية وهو ينادى: «جاءت جيوش النمل».

فأضاءت الشموع فى كل كوخ، وخرج الأطفال عراة أو كالعراة، وتبادروا إلى الفراخ يحملونها فى أيديهم، ثم انطلقوا يعدون إلى سفح التل. واندفعت الأمهات خارجات من أكواخهن يحملن صغارهن وهم عراة، وأسرع الرجال إلى أبقارهم يجروها إلى مَلاذ أمين. لقد ألف القوم منذ سنين طوال أن ينفروا هكذا من بيوتهم فى السنة مرتين.

ولم تلبث الجيوش المغيرة أن غزت الأكواخ من كل ناحية، وكانت دارنا على تل فى طرف القرية، فجاء زوجى معه بمئتى رجل من أهل القرية.

فلما كان الفجر عقدنا العزم على الفتك بهذا الجيش كله، فأمر زوجى الرجال بحفر خندق عميق يحدق بالبيت، على أن يتركوا ممرًّا بين البيت والقرية. وأخذ نساء القرية

يغلينَ الماء فى المراجل ، وجعل الأطفال يحملون سَعَف النخل ويلقونه فى الخندق ، ولبس بعض الجماعة أحذية طويلة من المطاط ولف بعضهم سيقانه بالخرق القديمة . وظللنا ننتظر الجيش الغازى متلهفين مترقبين .

وعـدا فردريك شطر القرية ليعرف أخبارها ، ثم إذا به ينادى : « إنها زاحفة عليكم ! استعدوا » .

وصعّـد الجيش الزاحف فى التل ، ثم اجتاز الممر إلى البيت ، ثم تفرقت جماعة الجيش إلى كتائب ، وأخذ الغزاة يتسلقون الجدران إلى روافد السقف ، فيفتكون بكل ما يجدون من الحشرات ويلقون بها إلى الأرض . وانقضوا فجأة على الوطاويط النائمة المتعلقة بالسقف فقتلوها ، وألقوها إلى أعوانهم فجروها إلى الفناء حيث تلتهمها الجماعة وخرجت فرق من النمل تجوب مخزن البيت بحثاً عن الفئران ، وتنقب فى خزانات الكتب بحثاً عن الخنافس والصراصير ، وتندسّ فى شقوق الأرض طلباً للجرذان .

فلمـا عبرت آخر نملة الممر المفضى إلى البيت ، بادر الرجال فأتموا حفر الخندق ، وبذلك قطعوا سبيل الرجعة على هذا الجيش النمازى . وظللنا ست ساعات ننتظر عودة الجيش الغازى المحاصر ، وأخيرا خرجوا من البيت عائدين .

فأسرعنا وصببنا البترول على سعف النخل الذى فى الخندق ، وأذبنا شمعاً فى الماء المغلى . وأشعل فردريك النار فى الخندق ، وأخذ جماعة من رجالنا مجارفهم بأيديهم وظلوا يجرفون بها النمل الخارج من البيت ويغطسونه فى الماء المغلى الذى يطفو على وجهه الشَمع الذائب . وبذلك أفنينا بعض الجيش فرقة بعـد فرقة . وأطار الذعر ألباب النمل ، فهامت على وجوهها إلى كل ناحية ، وكان مصير الآلاف التى بلغت حافة الخندق أن ألقى بها فى النار .

فلم تمض عشرون دقيقة حتى كان كل ما وقعت عليه العين من جيش النمل قد أفنى وأبيد ، إلا أن مئات من الفُـرّار قد لاذوا بالبيت يطلبون النجاة ، ولكنا ظللنا ننتظر ، لعلمنا أن شهوة الطعام سـوف تدفعهم إلى الخروج من مكامنهم .

وما لبثنا حتى رأينا الطيور آكلة النمل قد أقبلت تحـوم حول مكاننا ، وظلت هى الأخرى تترقب .

ظللنا على ذلك حتى كان وقت الأصيل ، فإذا النمل تخرج من مخابئها واحدة فى إثر واحدة ، فجعلنا نرقب الطيور وهى تنقضّ عليها فتمّ العمل الذى تولينا نحن أوائله .

لقد انكشفت الغمة ، وعاد السلام إلى القرية فأظلها مرّة أخرى بظله الوارف .



كيف اتخذنا قرار إلقاء القنبلة الذرية

هنرى ل. ستمسون
مختصرة من مجلة "هاربرز"

كان هنرى ل. ستمسون وزير الحربية الأمريكية بين ١٩١١–١٩١٣، فوزيرا للخارجية بين ١٩٢٩–١٩٣٢، فوزير الحربية بين ١٩٤٠ – ١٩٤٥ ، فوقع على عاتقه فى منصبه الأخير أن يشير على رئيس الولايات المتحدة بما ينبغى فى أمر القنبلة الذرية .

كان القرار القاضى بإلقاء القنابل الذرية على اليابان ، من أخطر القرارات التى اتخذتها الحكومة الأمريكية ، فلذلك عزمت أن أدوّن رأيى فى الحوادث التى أفضت إلى هذا القرار .

فى خريف ١٩٤١ أطلعنى الرئيس روزفلت على خبر الطاقة الذرية ، فكان ذلك أول ما عرفتهُ عنها . ثم كرّت أربع سنوات كنت فى بحرها ذا يدٍ فى جميع القرارات الكبيرة الخاصة بخطة تحسينها واستعمالها . فمنذ اليوم الأول فى مايو ١٩٤١ إلى يوم استقلت من وزارة الحربية فى ٢١ سبتمبر ١٩٤٥ ، كان إلىّ مرجع الأمر فى إدارة المشروع كله ، وكان مرجعى أنا إلى الرئيس وحده .

ولم يضنّ الرئيس روزفلت بمجهود ما فى سبيل الوصول إلى سلاح ذرىّ فى أول فرصة مستطاعة . وكان البحث العلمىّ الأول فى الانشطار الذرّى قد تمّ فى ألمانيا سنة ١٩٣٨ ، وكان من المعروف أن الألمان قد واصلوا تجاربهم ، وكان الرأى أنهم أسبق الأمم فى مضمارها ، فكان مما لا غنى لنا عنه أن نسبقهم إلى الانتفاع بأسلحة ذرّية فى ميدان القتال .

ولم أسمع الرئيس روزفلت يشير مرة واحدة إلى أن الطاقة الذرّية ينبغى أن لا تستعمل فى الحرب . وقد حدثنى مراراً عن إدراكه لما ينطوى عليه عملنا من قدرة التدمير ، ولكننا كنا نخوض غمار حرب ، فكان هذا العمل أمراً لا بدّ منه .

وقد روى غيرى قصة القنبلة الذرّية وما فيها من عجب أحسن رواية ، فحسبى أن أقول هنا إنه يوم وافى ربيع سنة ١٩٤٥

كان مجهودنا المرهق المديد قد أوفى على غايته .

وفى يوم ١٥ مارس ١٩٤٥ دار بينى وبين الرئيس روزفلت آخر حديث دار بيننا ، وما دوّنته في مذكراتي اليومية يرسم صورة واضحة لما كنا نفكر فيه فى تلك الأيام . وقد حذفت من نصّ مذكراتى اسم الموظف الكبير الذى كان يخشى أن ينتهى مشروع منهتان (وهو الرمز الذى كنا نطلقه على مشروع صنع القنبلة الذرية) إلى الإخفاق ، وقد كان رأيه هـذا رأياً يشاركه فيه الذين لم يطلعوا أوفى اطلاع على الحقائق :

« بحثت أولا مع الرئيس مذكرة أرسلها إلى ... فقد أقلقه ما انتهى إليه من الإسراف فى بذل المال لمشروع منهتان ، وقد بين ... أن المشروع قد يكون مآله إلى أن يصير كارثة ، واقترح أن نجمع طائفة من العلماء من غير المشتغلين بالمشروع ليصدروا رأيهم فيه ، لأن الشائع أن الرئيس قد أقنع بالإقدام على عمل مقضى عليه بالخيبة ، فينبغى أن يفحص الأمر فحصاً دقيقاً . وقد عرضت على الرئيس كشفاً بأسماء العلماء العاكفين على المشروع ، وكان بينهم أربعة من حائزى جائزة نوبل ، وكل عالم طبيعى نابه الذكر تقريباً . وراجعت معه الرأيين فى مستقبل الهيمنة على الطاقة الذرية بعد الحرب ، وكان أحدهما الرأى القائل بوجوب الكتمان وحفظ مقاليد الهيمنة على المشروع فى أيدى الذين يهيمنون عليه اليوم . وأما الرأى الآخر فأن تكون الهيمنة دولية ، وأن تقوم على حرية العلم ونشر المعرفة . وقلت له إن هـذه الأمور ينبغى أن يفصل فيها قبل أن تلقى القنبلة الأولى ، وأنه ينبغى له أن يعد بياناً فى هـذا الموضوع يذيعه عقب إلقاء القنبلة ، فوافق على ذلك ... »

ولم أرَ روزفلت بعد ذلك . فلما ذهبت إلى البيت الأبيض ثانية لبحث الطاقة الذرية فى يوم ٢٥ إبريل ١٩٤٥ ، كان همى أن أشرح الموضوع لرجل (ترومان) لم يكن يعرف عن الموضوع شيئاً سوى ما سلم به يوم كان عضواً فى مجلس الشيوخ ، كما سلم سائر الأعضاء ، وهو إصرارنا على أن هذا الأمر ينبغى أن يظلّ سرًّا مكتما عنه هو نفسه . وها هو ذا اليوم رئيس الولايات المتحدة وقائدها الأعلى ، والتبعة العليا ملقاة كلها على كاهله .

والمذكرة التى اعتمدتها فى هذا البحث ، هى أيضاً دليل حسن لما كان يجول فى فكرنا يومئذ :

١ — أغلب الرأى أن ننجز فى بحر أربعة أشهر سلاحاً هو أخوف ما عرف من الأسلحة .

٢ — ومع أننا اشتركنا مع إنجلترا فى صنعه ، فالولايات المتحدة

هى التى تسيطر اليوم على الموارد اللازمة لصنعه واستعماله ، وليس هناك أمة أخرى تستطيع أن تدرك ما أدركناه اليوم قبل مضى سنوات .

٣ — ومع ذلك يكاد يكون من المحقق أننا لا نستطيع أن نبقى فى الطليعة أبد الآبدين ... ومن أرجح ما يرجح أن تصير أمم أخرى فى المستقبل قادرة على صنع القنابل الذرية فى زمن أقصر من الزمن الذى استغرقناه .

٤ — وقد يصنع فى المستقبل سلاح كهذا السلاح ، فى السر والخفاء ، وقد يستعمل على حين بغتة بقوة مدمرة . والانتفاع به يتيح لأمة صغيرة أن تقهر أمة قوية غافلة فى بضعة أيام .

٥ — ويومئذ يكون عالمنا اليوم وما فيه من فرق بين تقدمه الخلقى وتقدمه الصناعى ، تحت رحمة هذا السلاح . وقد يقضى على الحضارة الحديثة قضاء تامًّا .

٦ — فكل خطوة تخطى نحو إنشاء هيئة عالمية ، بغير أن يدرك زعماء بلادنا قوة هذا السلاح الجديد ، تكون خطوة غير مطابقة للحقيقة . وليس ثمة أىُّ نظام من نظم الهيمنة التى بحثت حتى يومنا هذا ، يكفى للهيمنة على هذا الخطر . والهيمنة على هذا الخطر ، فى أية دولة أو بين الدول ، يقتضى من حقوق الرقابة الدقيقة وأساليب الهيمنة ما لا عهد لنا بالتفكير فيه من قبل .

٧ — وإذن فمسألة مشاركة الأمم الأخرى فى هذا السلاح ، وعلى أى أساس تكون المشاركة ، هى المسألة الأولى فى سياستنا الخارجية. فنجاحنا فى صنع هذا السلاح ، قد ألقى على كاهلنا تبعة أدبية لما قد ينزل بالحضارة من كارثة يكون مرجعها بعضه أو كله ، إلى هذا السلاح .

٨ — ويقابل هذا أن حلّ مشكلة الانتفاع بهذه القوة يمكننا من أن نسير بهذا العالم إلى حال تتيح لنا أن ننقذ السلام والحضارة مما يهددهما .

٩ — وقد جاء فى تقرير الجنرال جروفز (مدير مشروع منهتان) أننا اتخذنا التدابير اللازمة لإنشاء لجنة مختارة لتشير على السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية فى حكومتنا بالعمل الذى ينبغى أن يتمّ .

كانت هذه اللجنة تعرف باسم « اللجنة المؤقتة » ، وكنت أنا رئيسها ، ولكنّ عبء العمل فى توجيه بحوثها المديدة ، وقع على جورج ل . هريسون الذى تولى رياستها فى غيبتى . وأما سائر أعضائها فكانوا : جيمس برنز ممثلا خاصًّا للرئيس ، ورالف بارد وكيل وزارة البحرية ، ووليم كليتون مساعد وزير الخارجية ، والدكتور فانيفار بوش مدير مكتب العلم والصناعة ، والدكتور كارل كومتن رئيس معهد ماساشوستس الصناعىّ ، والدكتور جيمس كونانت رئيس جامعة هارفرد ورئيس لجنة البحث فى أمور الدفاع .

وقد شملت مباحثات اللجنة موضوع الطاقة الذرية كله من نواحيها السياسية والحربية والعلمية . فإشارة اللجنة باستعمال القنابل ضد اليابان ، لم تتخذ دون علم بالموضوع . وقد شمل عملنا وضع مشروع قانون للهيمنة فى الولايات المتحدة على الطاقة الذرية ، ووضع توصيات كان هدفها قيام نظام لهيمنة الدولية عليها . ولكن الجنرال مارشال ، رئيس هيئة أركان الحرب الأمريكية يومئذ ، كان يشاطرنى الرأى بأن بحث الطاقة الذرية لا يمكن أن يقتصر على ناحية استعمالها فى الحرب ، بل ينبغى أن تبحث أيضاً من ناحية قيام صلة جديدة بين الإنسان والكون .

وفى اليوم الأول من يونيو ١٩٤٥ أقرت هذه اللجنة بالإجماع التوصيات التالية :

١ — ينبغى أن تستعمل القنبلة ضد اليابان فى أقرب فرصة .

٢ — ينبغى أن تستعمل ضد هدفين : منشأة حربية أو مصنع حربى تحيط به دور ومبان أخرى تكون عرضة للتدمير .

٣ — ينبغى أن تستعمل دون إنذار سابق يكشف عن حقيقة هذا السلاح .

وقد غير بارد رأيه بعد ذلك وخرج على الإجماع فى هذه الفقرة .

كانت اللجنة قد تدبرت موضوع الإنذار السابق لإلقاء القنبلة ، أو التهويل بتجربتها فى أرض غير مأهولة ، وصرفت الرأى عن الاقتراحين ، لأنهما لا يحتمل أن يفضيا إلى قسر اليابان على التسليم، وكان كلا الاقتراحين ينطوى على مخاطرة . والتجربة الموفقة للقنبلة الذرّية التى تمت فى نيومكسيكو لا تكفل انفجار قنبلة بعينها ساعة تلقى من طائرة ، ولو أنذرنا اليابان بما سوف نلقى من هذه القنابل ، ثم ألقينا قنبلة لم تنفجر ، لانهار ما نسعى إليه من الظفر بتسليم اليابان. وإلقاء قنبلة لا تنفجر كان أمراً خليقاً أن يكون . ثم إننا لم نكن نملك قنابل نبذّرها فى التجارب . فكان أمراً لا غنى عنه أن

نظفر من القنابل القليلة التى بين أيدينا بأكبر تأثير وأسرعه.

كانت مهمة اللجنة أن تشير وحسب. ولكن التبعة الكبرى فى المشورة على الرئيس بما ينبغى أن يصنع كانت واقعة على كاهلى، ولست أرغب أن أتستر وراء أحد. وكان الرأى الذى انتهت إليه اللجنة مشابهاً لرأيى، وقد انتهى كلٌّ إلى رأيه مستقلا عن صاحبه. وقد كان لباب هذا الرأى أن نظفر من إمبراطور اليابان ومستشاريه العسكريين بتسليم صادق، فينبغى أن تصدم اليابان صدمة قوية تنطوى على برهان مقنع بأننا قادرون على تدمير إمبراطورية اليابان. وصدمة من هذا القبيل خليقة أن تنقذ من الناس، أمريكين ويابانيين، أضعاف أضعاف من تهلك.

وإليك الحقائق التى استندت إليها فى تفكيرى، والخطوات التى خطوناها لتحقيق ذلك.

كانت اليابان فى يوليه ١٩٤٥ قد حل بقوتها وَهن عظيم، وكنا نعلم أنها أرادت أن تسبر غور الحلفاء، فاقترحت على حكومة السوفيت أن تتوسط فى عقد صلح مفاوضة واتفاق. وقد كانت هذه المقترحات الغامضة تشمل احتفاظ اليابان بالبلاد العظيمة التى استولت عليها، فلذلك لم ينظر فيها نظرة جد وصدق. ولم يكن عندنا دليل ما على أن الوهن قد دبَّ إلى عزم اليابانيين على مواصلة القتال، وأنها تؤثر التسليم بغير قيد أو شرط، فقد كانت قوتها الحربية لا تزال قوة ضخمة. ففى يوليو ١٩٤٥ عهد إلى قسم المخابرات فى هيئة أركان الحرب الأمريكية، فقدَّر قوة الجيش اليابانى بخمسة ملايين من الجند، كان منها فى جزائر اليابان نفسها مليونان أو أقل قليلا. وقد ثبت بعد ذلك أن هذا التقدير يطابق الأرقام اليابانية الرسمية.

أما الأسطول اليابانىُّ فكان قد قضى عليه من حيث هو قوة بحرية متزنة تستطيع أن تتصدَّى لأسطولٍ غازٍ. وكان سلاح الطيران قد ضعف حتى صار أكثر اعتماده على غارات الفدائيين من الطيارين. بيد أن هؤلاء الطيارين كانوا قد أنزلوا بالقوات الأمريكية أذى خطيراً، والتعرُّض لأذاهم فى المعركة الأخيرة خطر يخشى شره.

وكان الرأى أن اليابان خليقة أن تحزم أمرها على المقاومة إلى النهاية فى جميع الأقطار الخاضعة لسيطرتها. فإذا صحَّ ذلك لم يكن للحلفاء مفرٌّ من القيام بمهمة ضخمة، هى القضاء على قوة مسلحة قوامها ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جندى وخمسة آلاف طائرة من طائرات الانتحار، وهم من

شعب قد أقام الدليل حقًّا على قدرته أن يستميت فى القتال .

وفى يوليو كنا قد أعددنا الخطط لهزيمة اليابان دون أن نعتمد فيها على القنبلة الذرية ، فامتحانها فى نيومكسيكو لم يكن قد تمّ بعد . وكانت قواعد الخطـة أن نشدّد الحصر البحرىّ ونزيد قذف القـاذفات ، على أن يلى ذلك غزو الجزيرة اليابانيـة الجنوبية وهى كيوشو . أما الجزيرة اليابانية الكبرى ، هونشو ، فقد دُبِّر الأمر لغزوها فى ربيع سنة ١٩٤٦ ، وكانت القوة الأمريكية من الجيش والأسطول، والتى عينت لهذه الخطة الكبيرة ، تشمل نحو خمسة ملايين رجل .

وقدّرنا أنه إذا اضطررنا إلى تنفيذ هذه الخطة بحذافيرها ، فإن أعظم القتال لا ينتهى قبل أواخر سنة ١٩٤٦ ، وقد نفقد من رجالنا نحو مليون نفس بين قتيل وجريح . وإذا حقّ لنا أن نبنى التقدير على ما سبق لنا من قتال مع اليابانيين ، فعـدد قتلاهم وجرحاهم سيفوق المليون كثيراً .

كانت هذه الاعتبارات تجول فى ذهنى ، فكتبت مذكرة للرئيس فى ٢ يوليو ، أدعو فيها إلى توجيه إنذار لليابان يحكم اختيار ميعاده ، وأن يكون الإنذار باسم أكبر ممثلى الولايات المتحدة وبريطانيا والصين ، وروسيا إذا كانت قد خاضت الحرب ضد اليابان . وينبغى أن يكون الإنذار دعوة إلى اليابان إلى التسليم والرضى باحتلال أرضها حتى يضمن نزع سلاحها نزعاً تامًّا من أجل السلام فى المستقبل . فلما باحثت الرئيس فى هذه الخطة أعرب عن موافقته العامة .

ومن الضرورى أن نبين بأجلى بيان صفة الإنذار الذى رأينا توجيهه إلى اليابان ، فقد كان الغرض أن يفرغ إفراغاً ينذر اليابان بالدمار إذا قاومت ، ويمنيها بالأمل إذا سلمت .

وفى المذكرة التى كتبتها وقدمتها إلى الرئيس ترومان فى ٢ يوليو ١٩٤٥ لم يرد ذكر القنبلة الذرية . فضرورات التكتم الحربىّ كانت تقضى بالامتناع عن ذكرها إلا لضرورة لا مفرّ منها . وعلى كلٍّ فالقنبلة كانت يوم كتبت مذكرتى لم تمتحن بعد . وقد كان فى طليعة تفكيرنا طبعاً أن القنبلة ستكون خير معوانٍ على تنفيذ الشطر الأول من الإنذار إذا عزمت اليابان على المقاومة .

وكان إقرار المذكرة التى كتبتها فى ٢ يوليو أمراً يتعلق بالسياسة العليا ، فإذا ما قبلها الرئيس صار مكان القنبلة الذرية فى خطتنا شيئاً واضحاً .

وقد دار البحث فى وشنطن على الموعد

الذى يوجه فيه الإنذار إلى اليابان . فلما عين موعد مؤتمر بوتسدام لاجتماع الأقطاب الثلاثة ، حدد موعد الإنذار على أساسه ، وقد كان قرار الرئيس ترومان أن تشترك الولايات المتحدة وبريطانيا فى توجيه هذا الإنذار من مؤتمر بوتسدام ، وأن يكون بموافقة الحكومة الصينية ، حتى تتبين اليابان أن أكبر أعدائها يدٌ واحدة فيما يتضمنه البلاغ من إنذار أو رجاء . وقد تم ذلك فى بلاغ بوتسدام النهائى الذى أذيع يوم ٢٦ يوليو ، وجارى مجاراة دقيقة ما جاء فى المذكرة التى أعددتها فى ٢ يوليو ، دون أن تكون فيه إشارة إلى إمبراطور اليابان .

وفى ٢٨ يوليو أبى سوزوكى رئيس الوزارة اليابانية أن يقبل هذا البلاغ ، فأعلن أنه (أى البلاغ) غير جدير « بالاهتمام العلمى » ، فلما جاء الرفض لم يبق أمامنا إلا أن نقيم الدليل على أن البلاغ عنى ما جاء فيه .

وقد تمت تجربة القنبلة الذرية فى ولاية نيومكسيكو فى ١٦ يوليو ، وكنا يومئذ فى بوتسدام . فتجلى لنا فى الحال أننا صنعنا سلاحاً لا عهد بمثله ، وأن استخدامه ضدّ العدوّ خليق أن يحدث فى نفوس الحكام اليابانيين تلك الصدمة التى نتوخاها ، وذلك ممّا يعزّز رأى اليابانيين الذين يطلبون السلم ، ويُضعف مقام الحزب العسكرى .

ولما كانت مهمة إلقاء القنبلة الذرّية عملا خطيراً ، فقد جاءونى بخطتها لأوافق عليها . وقد وافقنى الرئيس ترومان ، فحذفت من كشف المدن التى جعلت أهدافاً للهجوم الذرّى اسم مدينة كيوتو . وعلى أن كيوتو كانت هدفاً حربيًّا عظيم الشأن ، فقد كانت عاصمة اليابان القديمة ، وكانت مزاراً لفن اليابان وثقافتها . وقد وافقت على أربعة أهداف أخرى ، منها مدينتا هيروشيما ونجازاكى .

وقد ألقيت القنبلة الذرّية على هيروشيما يوم ٦ أغسطس ، ونجازاكى يوم ٩ أغسطس . وقد كانت هاتان المدينتان زاخرتين بآيات النشاط الحربى اليابانى . فهيروشيما كانت مقرّ قيادة الجيش اليابانى المعيّن للدفاع عن جنوب اليابان ، وكانت أيضاً مستودعاً كبيراً للتموين الحربى واحتشاد القوات قبل سفرها . أما نجازاكى فكانت ميناءً عظيما ، وكانت رقعتها تضمّ مصانع ضخمة لها شأن حربىّ عظيم . وكنا نرى أن ضرب هاتين المدينتين أمر خطير فى نظر زعماء اليابان العسكريين من رجال الجيش والأسطول على السواء . فلبثنا ننتظر ما يسفر عنه ضربهما ، فلم ننتظر أكثر من يوم واحد .

فقد عقدت الوزارة اليابانية اجتماعاً طويلا انقسمت فيه فريقين ، وأصرّ كل فريق

على رأيه حتى فصل الإمبراطور نفسه في الأمر . فعرضت اليابان أن تسلم في ١٠ أغسطس ، وكان عرضاً يستند إلى شروط إنذار بوتسدام ، إذا استثنى التحفظ الخاص بسيادة الإمبراطور . وعلى أن ردّ الحلفاء لم يقطع عهوداً في هذا الصدد ، فإنه تضمّن معنى الاعتراف بمنزلة الإمبراطور الخاصة ، وذلك بالنص على أن سلطانه ينبغى أن يكون خاضعاً لأوامر قائد الحلفاء الأعلى. وقد قبلت هذه الشروط يوم ١٤ أغسطس ، ووقعت وثيقة التسليم توقيعاً رسمياً في ٢ سبتمبر في خليج طوكيو . وكذلك تحقق هدفنا العظيم . وجميع الأدلة التي اطلعت عليها تبيّن أن العامل الفاصل في قرار اليابانيين الأخير أن يقبلوا شروطنا ، هو القنبلة الذرّية .

وكانت القنبلتان الذريتان اللتان ألقيناهما على اليابان ، هما القنبلتان الوحيدتان اللتان كانتا جاهزتين ، وكان معدل الإنتاج قليلا جدًّا ، ولو طالت الحرب إلى يوم الغزو المقرر في أول نوفمبر ، لكانت الغارات التي تشنها القلاع الطائرة الضخمة لإلقاء القنابل المحرقة أشدّ فتكا وتدميراً من القنابل الذرّية التي كنا خليقين أن نلقيها في المدة نفسها. بيد أن القنبلة الذرّية كانت شيئاً أكبر من سلاح شديد التدمير ، فقد كانت سلاحاً نفسيًّا .

ففي شهر مارس من سنة ١٩٤٥ شنّت القوات الجوية الأمريكية غارتها الكبيرة الأولى على طوكيو لإلقاء القنابل المحرقة ، وقد أحدثت هذه الغارة من الدمار والإصابات أكثر مما حلّ بهيروشيما . وقد توالت أمثال هذه الغارات فتركت أقساماً كبيرة في مدائن اليابان قاعاً صفصفاً ، ولكن اليابانيين مضوا في القتال . وفي اليوم السادس من أغسطس ألقيت قنبلة ذرية واحدة على هيروشيما ، ثم ألقيت القنبلة الثانية بعد ثلاثة أيام على نجازاكي ، فعندئذ وضعت الحرب أوزارها .

وكذلك ترى أن القنبلة حققت الغرض المقصود منها أتمّ تحقيق ، وصار حزب السلام في اليابان قادراً على أن يسلك طريق التسليم ، وألقى الإمبراطور بكل سلطانه العظيم في كفة السلام . وكنت في مذكرتي التي قدمتها للرئيس يوم ٢ يوليو ، قد اقترحت أن نحتفظ بالإمبراطور لما يحيطه به شعبه من الإجلال العريق في نفوسهم ، ولما لهُ من سلطان على جيوشه التي شيمتها الولاء لهُ . فلما أمر الإمبراطور بالتسليم ، وأخضعت الفئة المتعصبة المعارضة له ، سكن الشعب الياباني ، فتمت أعمال الاحتلال ونزع السلاح الياباني الضخمة بسهولة لا عهد بمثلها من قبل .

فقرار استعمال القنبلة الذرية كان قراراً

أنزل الموت بمئة ألف من اليابانيين أو أكثر، ولست أرغب فى أن أنكر هذه الحقيقة أو أزينها للناس ، بيد أن هذا التدمير العمد المدبّر ، كان أقل الأعمال المتاحة لنا قسوة ونكراً . فتدمير هيروشيما ونجازاكى وضعا حداً للحرب مع اليابان ، ووقف غارات القنابل المحرقة ، والحصر البحرى الذى أخذ يخنق اليابان خنقاً ، وبدّد أيضاً ذلك الشبح المخيف شبح القتال المبيد ، بين جيوش برية عظيمة .

إن الحرب فى القرن العشرين قد أصبحت تزداد وحشية وتدميراً زيادة مطّردة، وهى أشد نذالة من جميع وجوهها . أما وقد أطلقت الطاقة الذرية من عقالها ، فقد كملت قدرة الإنسان على أن يدمر نفسه بيديه . وقد أفضت القنبلتان اللتان ألقيتا على هيروشيما ونجازاكى إلى نهاية حرب ، ولكنهما بينتا أيضاً أنه ينبغى لنا أن لا نأذن بقيام حرب أخرى . وهذه هى العبرة التى ينبغى للناس وللزعماء فى كلّ قوم أن يتدبروها . وعندى أنه متى فعلوا ، فإنهم سيجدون طريقاً إلى السلام الدائم ، فليس لهم فى الأمر خيار !

حكمة سليمان

وقفت أعرابية منذ سنوات بين يدى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود تشكو إليه أن زوجها كان يعمل تحت نخلة ، فإذا أحد رجال الملك قد سقط من أعلى النخلة فوقع على زوجها فمات ، وطلبت القصاص جزاءً وفاقاً . فلما سألها الملك أترضى بدية تؤدى إليها ، أبت وقالت إن القصاص حق لها بحكم الشريعة .

فتفكر الملك قليلا ثم قال : « صدقت ، إن الشريعة توجب أن أُخلى بينك وبين هذا الرجل فتقتصّى منه ، أما كيف يقتل ، فذلك شىء من حقى أنا أن أقرره ، وإذن فأنا آمرك أن تتسلقى النخلة ثم ارمى بنفسك عليه حتى يموت كما مات زوجك » .

فقبلت أن تأخذ الدية .

[أرمسترنج فى كتابه : « سيد بلاد العرب »]

هذه طبائع البشر

منذ سنوات أراد مجلس لوس أنجليس البلدي أن يوفر موارد الماء للمدينة، فاشترى من طائفة من الفلاحين فى الجبال أراضيهم بمبالغ ضخمة من المال من أجل مائها أو مرور الماء فيها . وقد قابلت يوماً رجلا من هؤلاء فسألته ما ينوى أن يفعل وقد صار غنيًّا، فقال متمهلا : « أول ما أنوى أن أفعله، هو أن أظل ما عشت مستريحاً فى سريرى حتى الساعة السادسة من كل صباح » .

جلست العروس وزوجها يفتحان علب الهدايا التى أهديت إليهما يوم زفافهما ، فعثرا على علبة تحوى حذاءين جديدين جيدين للزوج، وحذاءين لامعين من أحذية السهرة للعروس ، ثم أخذتهما الدهشة حين وجدا هذه العلبة تحوى أيضاً زوجين من الأحذية العتيقة . فالتفتت العروس وقالت : «هذان حذاءان قديمان من أحذيتى ! » والتفت زوجها وقال: «وهذان حذاءان قديمان من أحذيتى ! » ثم فتح ظرفاً فوجد فيه ورقة نقد بعشرين ريالا ورسالة هذا نصّها :

« ابنى العزيز . أقدم الأحذية الجديدة لك ولزوجتك، لتسيرا بها على طريق الزواج. والزواج فى أوله ، هو كهذه الأحذية ، فقد تكون ضيقة تؤلم القدم . ولكنكما ستجدان على الأيام والسنين ، أن الزواج يصير أبعث على الرضى ، وأدنى إلى الكمال — وأجلب للراحة أيضاً كهذه الأحذية القديمة . فأتمنى لكما رحلة موفقة . » أبوك المحب

أنا صاحب حانة فى حىّ جرينتش فى نيويورك ، وقد كنت ذات ليلة أهمّ بإغلاقها فى الساعة الثالثة صباحاً ، وإذا برجل يدخل علىّ ، فرابنى ما رأيته من حركاته وسكناته . فقد كان متفزز الأعصاب يرتعد حين طلب كأساً، ثم رأيته يرفع الكأس، مشيحاً بنظره عنى ، ثم وضعه وقفز وهو أشد ارتعاداً مما كان ، وعدا إلىّ غرفة التلفون وجعل يدير حديثاً كحديث المهتاج . وما إن خرج منها حتى برح الحانة .

وكنا قد بلينا فى حيّنا بموجة من الجرائم، وهذا رجل مريب، فدعوت رجال الشرطة، ولم أكد أفعل حتى رأيت صاحبي قد عاد ، فرأى كأسه لا تزال فى مكانها فجرع ما فيها جرعة واحدة ، وأمر بأخرى ، ثم هرول إلى غرفة التلفون. وقد وصل رجال الشرطة قبل خروجه منها ، فلما جعلوا يسألونه كان كالخائف المذعور ، ثم سكن قليلا وجعل يتكلم كلاماً معقولا . وقد انتهى بنا الأمر ، أننى قضيت معه بقية الليلة على سلم المستشفى ونحن نتنادم ونشرب .

لقد وضعت زوجته ولداً !

لمحة من الحياة في ريف روسيا حيث لا تزال الوسائل العتيقة التي تقصم الظهور هي الوسائل السائدة في الفلاحة .

الحياة في مزرعة روسية مشتركة

جون ستروم

مدير التحرير سابقاً لمجلة "فلاح البراري"

منظر الحقل وقد انحنت فيه النساء الحافيات على حصد القمح بمناجلهن ، كأنه مشهد طلع علينا من عصر الزراعة المتغلغل في القدم .

فسألت صاحبي وأنا لا أكاد أصدق ما أرى : « ألا تستعملون حاصدات آلية ؟ » وتذكرت صور صفوف من الجرارات تزحف في عظمة وجلال فتعبر السهوب الروسية وهي تجر حاصدات هائلة تشق بحراً طامياً من القمح الذي صار لونه كالذهب .

فقال بطرس شيباشوف : « كلا لم نستعمل حاصدة آلية قط في هذه المزرعة » . وقد كان صاحبي رئيس جماعة من العمال عددهم ثلاثون عاملا ، وكان هناك من مثلها ثلاث جماعات أخرى في هذه المزرعة الروسية المشتركة قرب مدينة ستالنجراد .

استقلت في أوائل سنة ١٩٤٦ من منصب مدير التحرير لمجلة « فلاح البراري » وعزمت أن أطوف في أوربة لأكتب عما أرى ، لاقتناعي بأن أعظم الرجاء في قيام السلام لا يتحقق إلا إذا توثقت أواصر التفاهم بين شعوب العالم . وكنت قد طلبت تأشير السوفيت على جوازي قبل أن أبرح أمريكا . فجعلت أجوب أوربة وأنا أنتظر وروده ، فمضت خمسة أشهر ولم أظفر به .

فلما كنت في برلين كتبت البرقية التالية : «طلبت التأشير على جوازي في فبراير حتى أزور الاتحاد السوفيتي ، لأني أريد أن أطلع الأمريكيين على مآثر الزراعة الروسية ، وأن أعزز التفاهم بين أمتينا العظيمتين . ففي هذه الفترة التي تفاقمت فيها أزمة الطعام ، يسرني أن يتاح لي أن أنقل إلى قومي قصة الشعب السوفيتي المجاهد . وشكراً» . وأرسلتها إلى ستالين ، موسكو ، الاتحاد السوفيتي .

فنلت تأشير الروس على جوازي بعد عشرة أيام .

وفي وزارة الزراعة في موسكو قيل لي ما مؤداه أن البلاد بلادي ، ووضعت السفارة الأمريكية مترجماً تحت تصرفي .

* مختصرة من كتابه : « قل الحق وحده »

وكذلك تمكنت أن أطوّف فى أرض الاتحاد السوفيتى كما أشاء . وقد كنت ذات صباح فى سيارة جيب جعلت تهتز وترتجُّ بنا على طريق غير ممهد ، فكنا نتنكبهُ فى الحين بعد الحين ، فنعدل إلى الأرض الزراعية حتى نتجنب ما فيه من حفر ملأى بالطين ، فلم أجد حواجز تعترضنا. فى المزارع المشتركة ترى رعاة الأنعام بدلا من الحواجز ، فاليد العاملة أوفر وأرخص من الأسلاك ، وكنا نقصد المزرعة المشتركة التى أطلق عليها اسم « مزرعة أكتوبر الأحمر » .

كان فى المزرعة نحو مئة بيت بنيت بكتل من الخشب ، وكانت سقوف بعضها عيداناً بُريت باليد ، وسقوف البعض الآخر من القش. وكانت أفنية البيوت عاطلة من الأزهار فبدت لىَ القرية كأنها عارية . فلما وقفنا أمام مقرّ الإدارة بادر إلينا أطفال حفاة ليلوّحوا لنا تحت لوحة قد كتب عليها : « مرحباً بأصدقائنا الأمريكيين » .

كان رئيس مجلس المزرعة شاباً من الذين خاضوا غمار الحرب ، وكانت ذراعهُ لا تزال معلّقة برباط ، ولم يكن فى المزرعة أحد سواه من أعضاء الحزب الشيوعى ، فجلسنا على كوم من الخشب ، وجعلت أدوّن ما يجيب به الرئيس على أسئلتى .

قال إن فى المزرعة ٨٣ أسرة تضم ٤٣٦ نفساً ، وعدد العمال ١٣٦ عاملا منهم ١١٦ من النساء . وقد وجدت فى مزرعة بعد أخرى أن النساء يؤدين ٨٠ فى المئة من العمل . وقد خطر لى أن هذا يرجع إلى الحرب ، فسألت وزير الزراعة : « ما مقدار العمل الذى ينتظر أن تؤديَهُ النساءُ بعد ١٥ سنة أو ٢٠ سنة ؟ » فقال : « ٥٥ فى المئة وحسب » .

وقد بعثت مزرعة « أكتوبر الأحمر » بمئة وستة وأربعين رجلا إلى الجيش ، وباثنى عشر رجلا إلى مصانع الحرب ، فلم يعد منهم سوى ١٥ رجلا ، وكان من هؤلاء عشرة قد فقدوا أذرعهم أو سيقانهم . ولعلّ معظم الباقين لا يزالون فى الجيش أو فى الصناعة .

وهذه المزرعة ليست بالكبيرة ، فمساحتها ١٢٥٠ فداناً ، لا يزرع منها سوى ٦٣٠ فداناً ، وأما البقية فغابات ومراعٍ أو أرض بور ، وهذا يجعل نصيب العاملَ الواحد ٤٫٦ فدان . فتذكرت إخوتى الثلاثة ، فكلٌّ منهم يتولى زراعة ٢٠٠ فدان ، وقلما يظفر بمن يعاونه .

وسرعان ما تبينت لِمَ يحتاجون إلى هذه الكثرة من العمال ، ففى حقول القمح كنت أرى المرأة العاملة تقبض بيدها اليسرى على حزمة من سوق القمح ، ثم تحشها بمنجلها ، ثم تكوّم ما تحصد كومة محكمة . وقد فعلت

ذلك ثمانى مرات أو تسعاً أو عشراً حتى صار بين يديها كومة من الحجم المطلوب . ثم تأخذ بضعة أعواد من القش وتفتلها حتى تصير حبلا تربط به الحزمة الضخمة .

أتكون هذه المزرعة مثالا لغيرها ؟ بعد أن قارنتها بمزارع شتى زرتها أقول إنها مزرعة وسط ، فثمة مزارع تستخدم فيها الآلات الحديثة . وإذا وازنت بين الاتحاد السوفيتى وروسيا القيصرية قلت إن الاتحاد السوفيتى قد أخذ حقـًّا بأسباب الآلات فى زراعته ، ومع ذلك ترى أن الغاية التى ينشدونها فى مشروع السنوات الخمس الأخير ويرجون أن يبلغوها فى سنة ١٩٥٠ ، تقتضى أن تستعمل الآلات فى حصاد ٥٥ فى المئة وحسب من القمح . أما فى سنة ١٩٤٦ فقد قضى عليهم ما خسروه من آلات الزراعة فى الحرب ، أن يحصدوا ثلثى القمح بالمناجل أو غيرها من أدوات الحصاد العتيقة .

فالمزرعة السوفيتية تحتاج على الجملة إلى عـدد من العمال أكبر جداً مما تحتاج إليه المزارع فى بلاد بلغت فى الاستعانة بالآلات شأواً بعيداً . وليس الانتقال من محراث الخشب إلى الجرارة شيئا يتم بين عشية وضحاها ، ولا يسعك أن تحيل فى جيل واحد جماعة من الفلاحين إلى مزارعين حاذقين يحسنون الأخذ بأسباب العلم والصناعة .

وقد طوّف بى بطرس شيباشوف فى مزرعة أكتوبر الأحمر فوجدت ١٨ عاملا من عمال جماعته يشتغلون بالإنتاج ، ومنهم ١٦ امرأة . ومنهم أيضاً من يتولى الآلات أو يخفر المزرعة أو يرعى الأنعام . والمزرعة المشتركة لها خبيرها فى شئون المحاصيل أو تربيـة المواشى ، وحدّادها وكهربائيها وسروجيها . ومثل هـذا الاكتفاء لا غنى عنهُ لقلة أسباب المواصلات ، ولكنهُ ليس كبير الجدوى فى العمل .

وأرادنى بطرس على أن أرى أسرته ، فإذا أنة البالغة ١٩ سـنة من العمر تتولى قطيعاً من البقر ، وقد قالت لى إنها واحدة من ثلاثين فتاة وعشرين رجلا ذهبوا إلى ألمانيا فى السنة الماضية ليعودوا بألف رأس من ماشية هولشتين ، لكى توزع على المزارع المشتركة التى فقدت ماشيتها فى زمن الحرب.

وقالت أنة متهللة : « كانت رحلة ممتعة ، وقد استغرقت ستة أشهر كنا فى خلالهـا نضرب خيامنا كلّ ليلة على الطريق » .

وكان أصغر أبناء شيباشوف لا يزال فى دار حضانة الصغار ، وهى مبنية بكتل الخشب ، وتضم كلّ الصغار دون السابعة ، حتى تتمكن أمهاتهن من القيام بأعمالهنّ . وهناك يلعب الصغار ، وينامون فى مهود صغيرة ، وتراقبهم ثلاث نسـاء حتى تعود أمهاتهم من الحقـل

فيحملنهم إلى البيت . وقد رأيت على لوحةٍ نشراتعن قواعدالصحة والنظافة ، ولكننى لم أر ستائر السلك على النوافذ والأبواب ، فكان الذباب كثيراً .

وقدمنى بطرس إلى زوجته التى كانت تعمل فى « مزرعة الأسرة » — وهى شقة ضيقة من الأرض مساحتها نحو فدان ، ولكل أسرة مزرعة خاصة مثلها . قال بطرس : « إننا نزرع هنا أشياء نأكل بعضها ونبيع بعضها » ، وفى وسعهم أن يبيعوها فى السوق الحرّة بأثمان باهظة .

وسوف تذهب زوجة بطرس غداً إلى سوق المدينة التى تبعد ١٥ ميلا ، وقد كانت سيارة النقل قبل الحرب تقل النسوة إلى السوق ، ولكنّ السيارة وُهبت للجيش ، فعليها أن تذهب ماشية ، وقد يذهب معها ١٥ امرأة أخرى حاملات الخيار والطماطم واللبن.

ولكن لِمَ لا يحملن كل هذه المحصولات على عربة فتمضى بها امرأة واحدة لتبيعها فى السوق ؟ ذلك لأن كلّ مزارع ينبغى له أن يبيع محصوله بنفسه منعاً للمضاربة . فأسعار السوق الحرّة مرتفعة ، والحكومة لا تريد أن تشجع أحداً من الناس أن يكسب مالا من عمل رجل آخر ومن عرق جبينه .

يباع البيض كل بيضـــة بستة قروش ، واللبن كل لترٍ بعشرين قرشاً ، والطماطم كل رطل بخمسة وأربعين قرشاً . وليس هذا سوى بعض ما يكون ، فإذا أراد بطرس أن يفاجىء ابنته بحذاءٍ يهديه إليها وجب عليه أن يدفع ١٣٥ ريالا فى ثمن الحذاء .

ومع أن الحكومة تملك كل الأرض فى الاتحاد السوفيتى ، ترى المزارع المشتركة ، وعددها نحو ٢٤٥٠٠٠ مزرعة ، يحق لها أن تنتفع بالأرض إلى ما شاء الله، وفى مقابل ذلك يفرض عليها أن تقدّم للحكومة مقادير معيّنة من المحاصيل بأسعار منخفضة .

ولا يحق للمزارع المشتركة أن تملك جرارات أو حاصدات ، فهذه الآلات ينبغى أن تستأجر من وكالة تابعة لوزارة الزراعة، ويدفع كراؤها عيناً من المحاصيل .

وفى الفترة الواقعة بين ١٩٣٧ — ١٩٣٩ كان ٤٠ فى المئة من مجمل دخل المزرعـة المشتركة يؤول إلى الحكومة ووكالة الجرارات والآلات التابعـة لوزارة الزراعـة ، وكان يخصم ٢٠ فى المئة للتامين وما أشبه ، وأما الأربعون فى المئة الباقيـة فكانت توزع على العمال ، وكان ٥٥ فى المئة من مجمل الإيراد النقدى يوزّع على العمّال .

وليست حصة كلّ عامل كحصة صاحبه . وأشار بطرس بيده وهو يحدثنى إلى النساء المكدودات يحصدن القمح وقال : « خذ هؤلاء العاملات ، فإن كلا منهنّ يُسجّل

لها عمل يوم ونصف يوم إذا حصدت وحزمت ٢٧٠ حزمة ، محيط كلٍّ منها ٤٥ سنتيمتراً ، فإذا أنجزت هذا المقدار فى يوم واحد فإنها تظفر بأجر يوم ونصف يوم » .

وهم يقدّرون أعمال الحقل كلها على هذا الأساس ، ثم يوزع الدخل فينال كل عامل نصيباً يوازى ما عمل . وقد كان متوسط عمل العامل فى السنة الماضية مئتى يوم ، فكان نصيبهُ ١٠ بوشلات من القمح ، وطنًّا من البطاطس ونحو ١٢ ريالا ، وقد كان ما يوزَّع قبل الحرب يبلغ ضعفى هذا تقريباً .

وقال لى رئيس مجلس المزرعة : « هذا مورد واحد من موارد الدخل . فلكل أسرة محصول حديقتها الخاصة ، ويحقُّ لكل فلاح أن يملك بقرة وعجلا وخنزيرة وخنازير صغيرة ، وعشرة أغنام وعشر خلايا نحل ، وبعض الدواجن . ثم إننا نكافئ من يتقن عمله » .

ولكل مزرعة مشتركة رجالهُ يمسكون الدفاتر ، ويحسبون أوقات العمال ، ويتتبعون ما يدفع من الأجور والمكافآت . وقد كانت نفقات الإدارة فى العهد الأول باهظة ، فأمرت الحكومة بأن لا تزيد على ٨ فى المئة من قيمة مجموع أيام العمل ، و ٢ فى المئة من الإيراد النقدى . ومع ذلك ذكرت صحيفة براقدا خبر مزارع تبلغ فيها نفقات الإدارة ١٤ فى المئة .

وترى خارج مقرّ إدارة المزرعة لوحاً تعلَّق عليه نشرات تبين ما يتصل بشئون المزرعة ، من أهداف المزرعة وأهداف كل جماعة من عمالها . وهى تذكر للمحسن ما أحسن وللمسىء أو المقصر ما أساء . فإذا تأخر فلان مثلا فى نومه نبهه رئيس الجماعة إلى ذلك ، فإذا عاد إلى مثل ذلك علِّق اسمه على اللوح . أما المزارع الذى يأبى أن يتعاون مع إخوانه فجزاؤه أن يطرد من المزرعة إذا وافق أكثر الأعضاء . وإذا ما طرد فقلما تتاح له فرصة للاستقرار فى مزرعة أخرى .

وآثار الحرب لا تزال بادية فى مزرعة أكتوبر الأحمر ، فقد رأيت صغاراً يلعبون فى خنادق دار فيها قتال دامٍ أيام معركة ستالنجراد . وقد رفع بطرس بيديه قنبلتين لم تنفجرا ، كما يرفع أى فلاح من أرضه صخوراً خليقة أن تثلم محرائه . إن هؤلاء الفلاحين يحرثون الأرض حول دبابات ألمانية ثقيلة أعجزهم أن يزحزحوها .

وقد كان من أثر غزو الألمان أنك لا تجد عندهم مصنعاً لنشر الخشب ، فهم ينشرونهُ بأيديهم . وقد أصبحت الخيل قليلة ، فلما كان الربيع الماضى مضوا إلى الحقول بالمجارف لكى يحرثوها . أما أقدام الرجال الذين

كانوا يدفعون المجارف فى التربة ، فكانت حافية أو ملفوفة بخرق بالية .

وقد سلم بطرس بأن العمل على هذا المنوال « عمل بطىء ، ولكن لابد لنا من أن نبذر البذور مهما كان الأمر » .

فلما قرع جرس العشاء ذهبت مع بطرس إلى بيتـه المؤلف من ثلاث غرف والمبنىّ بالخشب ، فرأيت فى زاوية البهو صورة لنين وصورة ستالين ، وفى الزاوية الأخرى أيقونات دينية ، وشاهدت فرناً كبيراً مطلياً بطبقة من الطين يمتد من المطبخ إلى البهو إلى حجرة النوم ، فيستعملونه للطبخ وللتدفئة كليهما .

[illegible]ن الطعام مأدبة أعدت لى خاصة فهذه ، صحاف [illegible]ست بالبيض المسلوق والخيار والطماطم والجبن والبطاطس ، وكانت هناك قطع ضخمة من الخبز الأسود والسمك . فأكلت وأسرفت ، فلما صرت عاجزاً عن أن آكل شيئاً آخر جاؤنا بالصنف الرئيسى — لحم طرىّ . ثم ختمنا المأدبة بكرز غضّ مغموس فى العسل ، وخيار مملح . وقد قالوا لى : « من لم يحبّ الخيار فليس روسيًّا » .

ثم اقترح رئيس مجلس المزرعة أن يشربوا على تحيتى قال : « تحيةَ ضيفنا العزيز ، حتى إذا عاد إلى بلاده وصف مشكلاتنا لقومه ، فإن علينا أن نجدد أشياء كثيرة حتى نسترد حياة السعادة . قل لقومك إننا لا نخشى العمل ، وأننا سنقهر ما يعترضنا من المشاق والصعاب . وقل لهم إننا لن ننسى عونهم يوم كانت حاجتنا إليه أشد ما تكون . بلغهم شكرنا » .

وهـذا الذى رأيته من مودة هؤلاء المزارعين الروس ورغبتهم فى إرضائى ، قد ترك فى نفسى أثراً عميقاً . فلما أزفت ساعة الرحيل ، وكنت كالغريق فى بحار كرمهم ، جاءوا فعانقونى وقبلونى على عادة القوم فى روسيا .

ولقصتى هذه خاتمة ، فبعد يومين سمعت قرعاً على باب غرفتى فى الفندق فى ستالنجراد ففتحته فإذا أربع فتيات ، كل منهنّ تحمل سلة مثقلة بالطماطم والتفاح والكرز والخيار « هدية وداع من أهل مزرعة أكتوبر الأحمر إلى صديقهم الأمريكى » . وقد قطعت هذه الفتيات ٢٠ ميـلا مشياً على الأقدام أو فى عربة يجرها ثور أو فى معدية تعبر نهر الفولجا لكى يهدين إلىّ هذه السلال .

وقالت إحداهنّ : « لتكن هذه السلال آية للمودة بين قومك والاتحاد السوفيتى » .

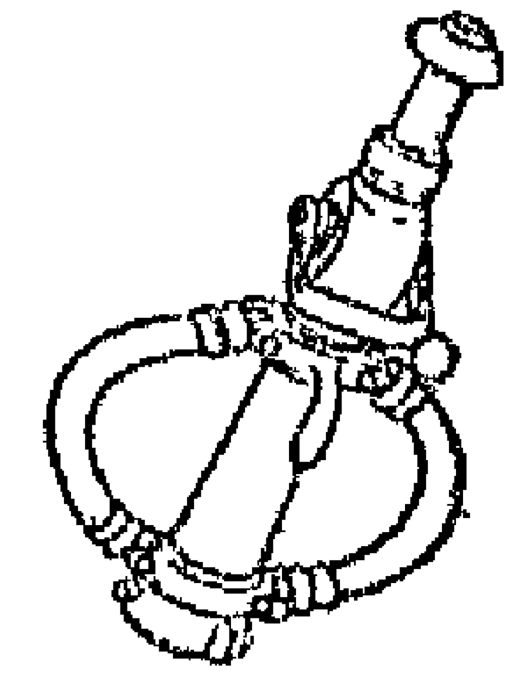
ولست أدرى ما يجول فى ذهن ستالين ، ولا ما يطمح إليه مولوتوف ، غير أن هذه هى الصورة الصادقة لأهل روسيا كما رأيتهم .

صناعة الغزل تسدى يداً إلى رجال المطافىء

الماء "النفاذ" فى كفاح الحرائق

بول و . كيرنى

مختصرة من مجلة "أخبار السلامة القومية"



فى شهر أغسطس الماضى شبّت نارٌ فى أكوام من العشب الجاف تبلغ زنتها تسعين طنًّا . وإذا ما شبّت نارٌ كهذه النار شقّ عليك أن تصنع شيئاً لتخمدها، فتأتى كل المخزن والعشب كليهما . ولكن كلارك إستانديش وجماعة من المتطوعين أخمدوا هذه النار بغير أن يصاب المخزن بأذى يقتضى أكثر من رفع بعض ألواح الخشب من جداره .

و « الماء النفّاذ » هو سرُّ هذه القدرة الجديدة على كفاح النيران، فهو يتيح للناس (١) أن يكون إخماد الحرائق فى أوائلها أسرع، وأن يكون الضرر الذى يسببه إغراق المبانى بالماءِ أقلّ وأخفّ (٢) وأن يخمدوا حرائق كان إخمادها مستحيلا (٣) وأن يوفروا توفيراً كبيراً مايقتضيه إخماد الحرائق من كثرة رجال المطافىء، بتقليل ما يلزم من الوقت لفحص النار الكامنة ، والقضاء على ما يعيدها إلى الشبوب بعد الظن بأنها قد خمدت .

وفى مناطق الريف التى تقلُّ فيها موارد الماء ، كان أسلوب الانتفاع برذاذ الماء فى إخماد الحرائق نعمة عظيمة ، لأنه أسلوب يوفر ٥٠ فى المئة من مقدار الماء اللازم لو أطلق عليها متدفقاً من الخراطيم. أما اليوم فقد جاء « الماء النفاذ » يضاعف تلك النعمة، ويجعل أسلوب الرذاذ أجدى مما كان ضعفين أو ثلاثة أضعاف .

و « الماء النفاذ » ماءٌ عاديٌّ أضيفت إليه مادة كيميائية تزيد قدرته على اختراق سطوح الأشياء . وساعة وصل إستانديش إلى مخزن العشب المستعر ، كان تسعون فى المئة من الماء المصبوب من الخراطيم يرتدُّ عن العشب المحترق ، فلا يجدى شيئاً فى إخماد ناره . فجىء بخرطوم يطلق الماء رذاذاً ودُسّ فى ثغرة فى جدار المخزن ، ثم جىء بالماء النفاذ فى فنطاس ، فدفع الماء تحت ضغط قوىٍّ فى الخرطوم ، فوقع الرذاذ على العشب .

قال إستانديش : « وفى خمس دقائق أو أقل كان الماء قد أخذ يتحدر خلال

كوم العشب إلى أسفل المخزن ، فتشبّع الكوم الذى يبلغ ارتفاعه ١٢ قدماً بالماء ، وإذا النار قد همدت » .

والمادة الكيميائية التى تزيد قدرة الماء على بلّ الأشياء وتشبّعها به ، تفعل ذلك بما لها من أثر فى إضعاف قوة التماسك التى تكون بين جزيئات الماء عند السطح . وقوة التماسك هذه هى التى تجعل الماء يصير قطرات إذا ما سكبته على سطح من الخشب أو الورق أو غيرها . خذ قطارةً وقطر منها ماءً على سطح ورقة ترى القطرات تحتفظ بشكلها الكروىّ . أضف إلى الماء قليلا من هذه المادة الكيميائية ، فإذا الماء قد انتشر أمام عينيك ونفذ فى مسامّ الورقة .

منذ أربع سنوات شبّت النار فى متجر ورق منبوذ ، فالتهمت ما زنته أطنان كثيرة من القصاصات التى حزمت حزماً حزماً ، وبعد ساعات من الجهاد أخمدت النار . ثم مرّت ثمانى ساعات أخر شقّ فيها الرجال هذه الحزم التى تقطر ماءً ، وغمروا قلبها بالماء حتى يقضوا على كل جذوة نار يخشى أن تكون كامنة فيها ، فتعيد السعير بعد قليل إلى سيرته الأولى .

وهذا القسم من كفاح النار يستغرق ثلثى عمل رجال المطافىء . ومع أن الرجال كافحوا النار فى هذا المتجر أدق كفاح ، فقد دعاهم رجال المتجر ستّ مرّات فى الأسبوع التالى ليعالجوا حرائق صغيرة مردُّها إلى اشتعال النار ثانية فى بعض حزم الورق .

وقد شبّت نار حاصدة فى المتجر نفسه منذ أشهر فاستغرق إخمادها نفس الزمن الذى استغرقه إخماد النار الأولى ، ولكن رجال المطافىء لم يضطروا إلى فحص الحزم كما فعلوا فى المرّة السابقة ، ولم يحدث ما يقتضى عودتهم فيما بعد . وقد اعتمد ضابط المطافىء فى إخماد هذه النار على « الماء النفاذ » .

وقد وصلت مرة إلى مصنع خشب شبت فيه نار ملتهمة فأخمدت بسرعة لا تكاد تصدق . وقد كان المصنع هيكلا من الخشب ، وكانت أكوام الخشب مكدسة على أرضه ، وكانت النشارة مكدسة فى أسفل المصنع حتى بلغ ارتفاعها سبع أقدام . وقد شبت النار أولا ساعة حاول أحد العمال أن يزيد شعلة فرن من أفران الجاز ، فسرى اللهيب بين ألواح الأرض إلى جبل النشارة المكدس فى أسفل المصنع والنشارة خير طعام للنار . وهبت ريح فزادت النار سعيراً وانتشاراً .

فلما أذيع إنذار الحريق كان بين الذين لبّوا النداء رجل يدعى هيل ، فجاء بفنطاس

خزن فيه الماء النفاذ تحت ضغط قوىّ . وتولى هيل كفاح النار . فأحدث ثقبين فى أرض المصنع ودسَّ فى كل منهما رأس خرطوم يرسل الماء رذاذاً ، وأمر فى الوقت نفسه بمدّ خرطوم إلى أقرب صنبور من الماء العادى ، يبعد ١٢٠٠ قدم ، مبالغة فى الاحتياط ، وما إن عاد رجالهُ من وصل الخرطوم بصنبور الماء العادى ، حتى كان هيل قد أخمد النار بالماء النفاذ ! وقد فحص مخزن النشارة بعد ذلك ، فثبت أن الماء قد تخلل الكوم كله ونفذ مسافة بوصتين فى الأرض تحته .

وقد روى أحد رجال المطافىء فى قسم كفاح النار فى الغابات والحدائق بولاية رود أيلند ، أنهم حاولوا هناك أن يمتحنوا فعل الماء النفاذ والماء العادى فى إخماد حرائق الغابات ، ثم يقابلوا بين أثرهما فقال :

« كانت النار التى شبَّت تشمل مساحة كبيرة من الأرض تغطيها طبقة كثيفة من النبات المتحلل وورق الصنوبر ، ومقدار كبير من شجيرات ميتة جافة . فعينت فصيلة من رجال المطافىء لتتولى كفاح النار من الجهة الغربية ، وكان معها فناطيس الماء النفاذ . وعينت فصيلة مثلها لكفاح النار فى الجهة الشرقية وكان اعتمادها على الماء العادى . وقد استغرقت فصيلة الجهة الشرقية خمس ساعات فى إخماد النار التى خصصت لها ، ثم توقف رجال منهم وبدأوا عمل الفحص الذى لا بدَّ منهُ ، عن جذوة كامنة قد تعيد النار إلى الاستعار . أما فصيلة الجهة الغربية فقد أخمدت نارها بالماء النفاذ فى ساعة أو أقلّ ، ولم يكن بها حاجة إلى الفحص أو إلى رقابة المنطقة طوال الليل » .

وقد يسهل عليك أن تظفر بإقبال رجال المطافىء ساعة تكون النار مستعرة وألسنتها متضرّمة ، ولكن إذا طلبت منهم أن يتولوا الأعمال المضنية فى حفر الخنادق لحصر نطاق النار ، أو فى البحث عن جذوة كامنة فى طبقات من النبات المتحلل ، أو أن يحملوا على ظهورهم آنية من الماء ويظلوا طوال الليل يروحون ويجيئون فى الغابات المظلمة حتى لا يتيحوا لجذوة كامنة أن تتأجج — فساعتئذٍ تراهم يؤثرون أن ينصرفوا عن كفاح النار إلى مضاجعهم .

وقد صنعت الموادُّ الكيميائية التى تزيد قدرة الماء على النفاذ والبَلّ ، لينتفع بها أولا فى تبييض المنسوجات فى مصانع الغزل والنسج ، أو فى زيادة قدرة الأصباغ على النفاذ من خلال المنسوجات نفاذاً تامًّا متساوياً . وتجد الآن مئات من المركبات تباع فى السوق ، وليست كلها مما يصلح لكفاح النيران ، ولكنهم وجدوا ثلاثين

مادة أو نحوها خليقــة أن تكون صالحة لذلك . وقد كانت الشركة الأمريكية الأولى التى حصرت همها فى إعــداد مادة تصلح لكفاح النار هى شركة آرنولد وهوفمان فصنعت مادة « درنش » ، وبدأت تبيعها فى شهر نوفمبر الماضى . وهى تبيعها فى فناطيس يحتوى كل منها على ٥٥ جالوناً، وسعر الجالون ريالان ونصف ريال . فإذا مازاد المصنوع من هذه المادة هبط السعر .

وكفاح نار كبيرة مستعرة يحتــاج إلى مقدار كبير من الماء ينطلق انطلاقاً قوياً ، ولكن الماء النفاذ والخراطيم القصيرة كافية للقضاء على معظم الحرائق . فإذا أردت أن تكافح ناراً كالنار المشبوبة الضرام فى الخشب، وجب أن يكون مقدار المادة الكيميائية فى الماء واحــداً فى المئة . أما نيران الزيوت الطيارة التى تشتعل فوق درجة ٣٧ أو ٣٨ من الحرارة كالجاز الأبيض وزيوت الوقود، فينبغى أن يكون مقدار المـادة الكيميائية فى الماء ٢ فى المئة، حتى تظفر بأحسن النتائج، بيد أن رجال المطافىء ظفروا بنتائج لا بأس حين كان القدار أقل من ٢ فى المئة . وأما نار البنزين وغيره مما يشتعل على درجات قليلة من الحرارة، فلا يجدى فى كفاحها الماء النفاذ جدوى تبعث على الرضى .

وليس فى وسع إناء من المعــدن مطلى بالكهرباء أن يقاوم تأثير المادة الكيميائية شهوراً كثيرة ، فينبغى أن تضاف المـادة الكيميائية إلى الماء قبيل استعماله ، فإذا كان الوعاء من الصلب لم يتأثر بالمادة الكيميائية أكثر مما يتأثر بالماء العادى ، على شريطـة أن تضاف إليه مادة مانعة من الصدأ .

ولعل مدينة بروفيدنس فى ولاية رود أيلند هى أول مدينة انتفعت بالماء النفاذ فى فرق المطافىء . وولاية ماساشوستس تنتفع به فى دوريات قسم الغابات . أما فرق المطافىء فى المصانع والمتاجر التى بليت منذ زمن طويل بخطر النار فى بالات القطن وأكوام الفحم التى تشتعل أحياناً من تلقاء نفسها ، فتراها قد ازدادت إقبالا على هذا الماء . فهذه الحرائق وما كان من قبيلها من الحرائق المألوفة فى البيوت والمخازن والغابات ، خليقة أن تعنو للماء النفاذ ، فيوفر ذلك على الناس ملايين من الريالات تذهب طعمة للنار أو يهلكها ضرر البلل من الماء المتدفق .

سئل فيلسوف عن المرأة فقال : حربٌ لا هدنة فيها

من صميم الحياة

رسالة من حبيب



أجنس روزري

مؤلفة "المسكن الملائم" و "جولة في بلاد الشمال"

جاءنا من بلدة رشمنْد بولاية فرجينيا الأمريكية كهربائي يتولى تركيب عض الأسلاك في بيتنا، فأخذ يعمل بحذق وسرعة، وكان في نحو الثلاثين من العمر، وىّ البنية، رشيق الحركة مهيب الهيئة، كان لذلك وقع في نفسي. كان يوشك أن يحمل أداته ويخرج، فإذا به يقف إلى جانب لبيان وينظر إلى مجموعة من مجلات الموسيقى.

وعندئذ دخل زوجي الغرفة، وأومأ برأسه إلى الرجل، ثم قال له بما فطر عليه من حسن التودُّد: «أمولعٌ أنت بالموسيقى؟»

فأجاب مقتضباً: «كنت بها مولعاً»، وكان في إنجليزيته لكنة طفيفة، وفي صوته جَهارة مستملحة.

فقال زوجي: «خذها فقد قرأناها جميعاً».

قال الرجل: «شكراً».

فسأله زوجي: «من أية بلاد جئت؟»

قال الرجل: «من كرفلنج بالدنمرك. وكان لوالدى جوهانز جاكوبسن مصنع صغير فيها يصنع أدوات الكهرباء».

فقلت متعجبة: «الدنمرك! لقد عزمنا على أن نقوم برحلة إلى الدنمرك في الشهر القادم».

فشحب وجهُ الرجل وانطلق يقول: «لم أعدْ أعرف شيئاً عن الدنمرك»، ثم ولى خارجاً. فلما بلغ الباب وقف والتفت إلينا وقال بلهفة: «إذا دخلتما بلدة كرفلنج فأسألكما بالله أن لا تخبرا أبوىّ أو أحداً سواهما أنكما قد رأيتمانى».

ونزلنا أرض الدنمرك. فكان يصحبنا على عادة أهلها أحد أعضاء جماعة السياحة ليطوف بنا في كل مدينة ننزلها. وكان هؤلاء الأدلاء، رجالا ونساء، ممن يتكلمون لغات مختلفة، ويتعّهدون كل غريب ينزل بلدتهم. فلما دخلنا كرفلنج كان دليلنا أحد المدرسين، وكان رجلا ثرثار اللسان، فسرّه أن يجد فرصة لتمرين لسانه على الإنجليزية. فلما خرج معنا وبلغنا شارع البلدة مررنا بمصنع صغير مكتوب عليه «جوهانز جاكوبسن، أدوات كهرباء» فخطر ببالى وبال زوجي ذكر الفتى الكهربائي في وقت واحد تقريباً،

فسألنا دليلنا عن المصنع ومقدار نجاحه ، كأن سؤالنا سؤال عارض .

فقال : « نعم ، ولكن إدارة المصنع قد آلت إلى غير أصحابه ، فقد مات جوهانز وماتت زوجته أيضاً ، وكان لهما ولد يقال له سفند ، رحل إلى أمريكا . وقد كانا إلى آخر ساعة من حياتهما يؤملان أن يعود ويتولى العمل بعدها ، ولكنه لم يعد قط » .

فقال زوجي : « وماذا يفعل ولدهما فى أمريكا ؟ » فبدأ دليلنا يذكر لنا أن سفند كان فتى جميل الصوت ، وكان يطمح إلى أن يصير مغنيا عظيما ، فلما فرغ من تعلم صناعة الكهرباء فى مصنع أبيه ، أرسله أبوه إلى كوبنهاجن وباريس ليدرس الموسيقى . ثم رحل الفتى إلى نيويورك وهو على ثقة من أنه لن تمضى سنة حتى يقف مغنياً فى دار الأوبرا العظيمة فى نيويورك .

قال زوجى : « أوَكان ذلك ؟ »

فقال الأستاذ : « كلا ، ولما انقضت السنة الأولى لم يسمع أبواه بعدئذ عنه شيئاً ، وكانت رسائلهما إليه تردّ إليهما وكان ذلك منذ عشر سنوات خلت » .

قال زوجى : « أولا تعلمون ماذا أصابه؟ »

فقال الأستاذ : « أنا أعلم ولا ريب . فأنا أعرف سفند حق المعرفة ، وقد توليت تعليمه عدة سنوات . ورأيى أنه أخفق فى أن يصير مغنياً محترفاً فاستحى أن يعترف بما أصابه . إنه فتى ظريف ولكنه شديد الكبرياء . وكانت له خطيبته اسمها كارن أولسن ، وكانت تعيش مع أبويه وترعاهما كأنها ابنتهما ، فلما ماتا رحلت إلى السويد ، ومن يومئذ ماتت عنا أخبارها . وعلى ذكر ذلك أقول إن زوجتى لمحتها أمس فى كوبنهاجن ، وقالت إنها لا تزال جميلة كما كانت . ولقد كان لها أجمل شعر ذهبى وقعت عليه عين » .

قال زوجى : « أو لا تزال فى السويد ؟ »

قال الأستاذ : « ماندرى ، فإن زوجتى لمحتها وهى فى السيارة ولم يتح لها أن تبادلها الحديث ، ولعلها جاءت إلى كوبنهاجن لتشهد يوم العيد ، ولعلها لا تزال تترقب عودة سفند . وارحمتاه لها من فتاة جميلة ! »

فبادرت أنا وزجى وكتبنا إلى سفند جاكوبسن رسالة بذلنا أقصى الجهد فى تحريرها ، وأكدنا له أننا لم نذكر لأحد أننا لقيناه ، وأننا إنما كتبنا له لظننا أنه يحب أن يعلم ما أنبأنا به الأستاذ .

وظللنا شهراً نطوف فى الدنمرك ، واستغرقنا ذلك حتى نسينا هذه الحادثة . وفى الرابع من شهر يوليه شهدنا احتفالا سنوياً ضم أكثر من ٣٠٫٠٠٠ نسمة فى أكبر حدائق جتلند ، وفى أرض مساحتها نحو ٧٠٠ فدان اشتراها الأمريكيون الذين

ولدوا فى الدنمرك وأهدوها لمسقط رأسهم . فمنذ كانت سنة ١٩١١ وهـذه البقعة هى المكان الوحيد فى خارج الولايات المتحدة الذى يحتفل فيه باستقلال أمريكا فى ميعاده من كل سنة .

وكان دليلنا يومئذ امرأة شابة تتفجر نشاطاً ، فأنبأتنا أنه سوف تعزف الموسيقى وتلقى بعض الخطب ، وأنها حجزت لنا مقاعد قريبة من المنصة ، فلما بلغنا المكان رأينا هناك حشداً من علية القوم وعظمائهم .

وقام رئيس مجلس إدارة الحديقة وألقى كلمة رحب فيها بالحاضرين، ثم بدأت الموسيقى تعزف فانطلقت معها أصوات ٣٠٠٠٠ نسمة تنشد نشيداً واحداً . وبعد أن سمعنا شيئاً من الموسيقى والخطب ، قام رجل فاحتل مكانه عنـــد مكبر الصوت وبدأ يذيع .

همست رفيقتنا تقول : « سوف يذيع رسائل من أمريكا ، فإن آلافاً من أهل الدنمرك يفدون على هذه البلدة عند الرابع من شهر يوليو كل ســنة ليتسقّطوا ذكراً من أهلهم وأصحابهم النائين » .

ثم دوّى صـوت المذيع ينادى الناس بأسمائهم ، ثم يتـلو عليهم رسـائل أهلهم وأصدقائهم من وراء المحيط ، أو يعلن حضور وافدٍ من أمريكا يريد أن يلقى من ذوى رحمه من تقطعت بينه وبينهم الأسباب منذ زمان طويل ، فكان ذلك كله مما يحرك النفوس .

ثم قالت رفيقتنا : « يشهد هـذا اليوم فى كل سنة رجالٌ ونساءٌ يرجون أن يلقوا بعض أحبابهم القـدماء ، أو أن يتسقطوا خبراً من أخبار ناس لم يروهم منـذ زمان طويل . وأعرف شيخاً ظل حريصـاً على شهود هذا اليوم اثنتى عشرة سنة عسى أن يسمع شيئاً عن مكان ابنته فى أمريكا . فلما كانت السنة المـاضية رأيته بعد الاحتفال يحادث سيدة رأت ابنته وأنبأته بعنوانها » .

ثم قالت بعد قليل : « انظرا إلى تلك السيدة الأنيقـة الجميلة ذات الشعر الذهبى المعقوص ، فإنها لم تزل منـذ تسع سنوات تأتى فتجلس فى مكانها هذا ، فمن الواضح أنها ترقب رسالة » .

وفى تلك اللحظة ، رنّ فى أذنى اسم مألوف : « سفند جاكوبسن من رشمند ، موجود بيننا ، ويريد أن يعرف خـبراً عن فتاة اسمها كارن أولسن من كرفلنج » .

وخفق قلبى حتى بلغ حنجرتى ، فالتفت إلى الفتاة ذات الشعر الذهبى ، فرأيتها تهب واقفة فى مكانها ـــ ثم تقعد ثانية . ففى وسع كارن أولسن أن تنتظر دقائق حتى ينفضّ الجمـع ، فانتظار بضع دقائق ليس شيئاً مذكوراً عند من بقى منتظراً عشر سنوات .

جاهد شارل بيان الخطر والمرض ، وكافح جمود الحكومة وفسادها ، ثم انتصر حيث أخفق مئات غيره

هذا رجل قهر جزيرة الشيطان

كلارنس و. هول

مختصرة من صحيفة «كرستيان هرالد»



لقد انصرم نحو قرن من الزمن حتى جاء اليوم الذى أمحى فيه كل ما كان يجرى فى جزيرة الشيطان ، وهى مستعمرة للمجرمين أقامها الفرنسيون ، فكان لها أسوأ ذكر بين الناس . والرجل الذى وقع عليه اختيار الحكومة الفرنسية للقضاء على هذا الجحيم الذى هلك فيه منذ سنة ١٨٥٢ سبعون ألفاً أو يزيدون ، ليس من رجال الحكومة أو من خبراء الإجرام ، بل هو ضابط لطيف المعشر من ضباط جيش الخلاص يدعى شارل بيان .

ينطوى هذا الاختيار على قصة رائعة قوامها جهاد دام ثمانية عشرة عاماً ولم يفتر فى سبيل النازلين بجزيرة الشيطان ، يؤيده إيمان لا يتزعزع بأن الدين يكفل التسامى بحياة البشر من أدنى الدركات — وإذا القصة تنتهى بانتصار هذا المجاهد .

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، كان شارل بيان طالباً فى جامعة باريس ، فرأى ما يصنعه جيش الخلاص لمعونة البائسين من الناس . وكان شعاره : « قد يعثر المرء ، ولكن لا تقنط من إقالة عثرته » ، فأذكى ذلك خيال بيان ، فانقلب من دراسة علوم الاجتماع إلى دراسة الدين ونال إجازته ، فتطوع لخدمة ذلك الجيش .

وكان بيان يعمل فى حى مونمارتر بباريس ، يوم أخذت صحيفة تنشر سلسلة من المقالات عن الأحوال فى مستعمرة المجرمين فى غانة الفرنسية فأثار ما كشفته الصحيفة سخط الناس ، فجعلوا يطالبون بالإصلاح — ولكن سرعان ما خمدت هذه الثورة كما خمد غيرها من قبل .

ولكن نارها لم تخمد فى صدر شارل بيان فقد هزه ما قرأ وأثار غضبه ، فجعل ينقب فى خزائن الكتب عما كتب عن هذه المستعمرة ، فألفى نفسه تواقاً إلى بذل العون لهؤلاء « الذى لا يجدى فيهم إصلاح » . وكان قد وقف نفسه على تحقيق المبدأ الذى

بقول بأنه فى وسعك أن ترفع الذين هبطوا إلى أدنى الدركات ، فلم لا يطبق هذا المبدأ على منبوذى جزيرة الشيطان ؟

سخر منه خبراء الإجرام ، وأطلعوه على سجلّ فيه خبر مئة محاولة بذلت لإصلاح الحال فى غانة الفرنسية ، وكيف انتهت جميعها إلى الإخفاق . ولكن بيان كان رجلا عنيداً ، فقال : « ربما كان ما تقولونه صحيحاً كله ، بيد أننى أريد أن أرى بعينىّ » . فألحّ على أهل السلطة حتى ضاقوا به ، فأعطوه تفويضاً مطلقاً بأن يبحث ما شاء ، ثم قالوا : « سوف ترى » ونسوا أمره .



وقد رأى بعينيه ! ظل يجوب أرجاء المستعمرة ثلاثة أشهر ، وقد أراد رجالها أن يذهبوا به حيث يريدون له أن يذهب ، فأبى إلا أن يمضى حيث يشاء ، فعاش مع المساجين وحادثهم ، وعرف كيف يحيون وكيف يموتون . وذهب إلى معسكرات العمل فى الأدغال الحارّة الرطبة ، فرأى الرجال الذين جىء بهم منذ عهد قريب من إقليم أوربة المعتدل ، يعملون عراةً وهم يتضورون جوعاً فى بطائح تعجّ بالبعوض والحيات ، حيث تأخذ الحمى والدوسنطاريا كل واحد منهم تقريباً فى آخر الأمر . وقضى ليالى كثيرة فى مبانٍ يعيش فى كل مبنى منها ثلاثون أو أربعون من المجرمين ، كل منهم فى حجرة ضيقة خانقة ، وزار ثكنات التأديب حيث جن جنون الرجال بعد أن حبسوا على انفراد شهوراً متوالية ؛ وتبين أن ما يرسل من فرنسا كل سنة يبلغ ألف سجين أو أكثر ، فبعد خمس سنوات أو نحوها لايبقى منهم حياً سوى عُشْرهم .

أما الذين أفرج عنهم ، وعدتهم ٢٥٠٠ ، فقد كانوا فى نظر بيان أشقى الناس طُرًّا وأحقهم بالمرثية . فقد قضى هؤلاء الرجال فى غياهب السجن طول المدة التى حكم بها عليهم ، إلا أنه كان مفروضاً عليهم ، بحكم القانون الفرنسى الجائر ، أن يظلوا فى المستعمرة مدة أخرى تعادل مدة سجنهم إذا كانت أقلّ من ثمانى سنوات أو أن يبقوا فيها ماعاشوا ، إذا كانت مدة العقوبة أكثر من ثمانى سنوات . ثم كان عليهم أن يدبروا المال لرحلة العودة إلى وطنهم . ولما كان من المستحيل على الرجل هناك أن يكسب أكثر من بضعة فرنكات ، فقد كان الحكم بالسجن فى جزيرة الشيطان حكماً مؤبّداً .

هؤلاء الذين أفرج عنهم ، كانوا يظفرون بالمأوى والمأكل والملبس يوم كانوا فى السجن، فصاروا بعد الإفراج يهيمون على وجوههم فى مدينتى سان لوران وكايين الزريّتين ، فتراهم فى أسمال بالية ووجوه هزيلة ، لم تحلق ذقونهم ولا قصّ شعرهم منذ أسابيع ، وهم يتلمسون فتات الطعام ليأكلوا . وقد كان القول الشائع بينهم : « تبدأ مدة عقوبتك ساعةَ تسترد حريتك » .

وقد حاول كل منهم تقريباً أن يفرّ، فنجا بعضهم من المستعمرة ، ولكن فئة قليلة من هؤلاء الفارّين بلغت ما أرادت ، أما البقية فقد قضت عليها قروش البحر أو غوائل الرمال المتحركة أو الجوع فى الأدغال .

ولم يجد بيان فى المستعمرة كلها من يستطيع أن يحمل رسالة الدين المواسية إلى نفوس هؤلاء الرجال وهم أحوج ما يكونون إليها .

وتبين أيضاً أن رجال الحكومة لا يعبأون بالإصلاح شيئاً . وقد سئل البرنس نابليون يوم أنشأ المستعمرة فى سنة ١٨٥٢ : « ترى من يتولى حراسة هؤلاء المجرمين ؟ » فرد على وزيره : « رجال أشد إجراماً منهم » ، فصار ذلك هو القاعدة المتبعة على الأيام . وقد ذهب إلى غانة الفرنسية حكامٌ كثرٌ ليقضى كلٌّ منهم فيها سنتين ، وكان منهم رجال حسنت نيتهم وعظم رجاؤهم ، فحملوا معهم مشروعات ضخمة للإصلاح . بيد أنّ رجال الإدارة الدائمة هناك أحبطوا أعمالهم قبل أن يبدأوا ، فكانوا يلفّقون تهماً توجه إليهم حتى تستدعيهم الحكومة فتوصم حياتهم السياسية بالعار ، أوكانوا يقضون على خططهم بالمماطلة والإرجاء ، وهم واثقون أن كل حاكم سينقل فى بحر سنتين . وأما سلطانهم هم وفساد حكمهم فماضٍ إلى ما شاء الله .

وقد استشاط بيان غضباً بعد أن رأى ما رأى ، فذهب إلى حاكم المستعمرة وزأر فى وجهه كالعاصفة : « من العار فى القرن العشرين أن يكون لفرنسا أربعمئة موظف يعملون عملا ليس له سوى نتيجة واحدة : هى الفتك بستة آلاف رجل ، بأن يفسدوا أخلاقهم وأبدانهم معاً » .

فزفر الحاكم زفرة حسرةٍ وقال : « إنى أوافقك يا كبتن، ولكن ماجدوى الموافقة ! فهذه جهنم مصغرة لا يسع أحداً أن يطفىء سعيرها » .

فقال بيان : « سوف نرى يا صاحب السعادة » .

وعاد بيان إلى فرنسا ، تستعر بين جوانحه نار السخط ، وبين ضلوعه نار حمّى أصيب بها فى تلك المنطقة الاستوائية ، فظل طريح الفراش سنة ونصف سنةٍ . وكان

إذا ما ركبه الهذيان فى الليل ، تتراءى له تلك الوجوه الهزيلة التى مات فيها الرجاء ، وجوه المساجين الذين أفرج عنهم . وأخيراً نفض عنه المرض ونهض مترنحاً من فراشه يشن حرباً لا تهدأ ، فرسم خطة ذات شعبتين : أما الأولى فغرضها القضاء على المستعمرة بعد زمن ، وأما الثانية فإصلاح اجتماعى خلقى شمل المساجين والذين أفرج عنهم جميعاً . فكتب المقالات وخطب فى اجتماعات لا تحصى عقدت فى أرجاء فرنسا ، وجعل يلح على أعضاء مجلسى النواب والشيوخ ، وحرص على أن يبقى ذكر « جزيرة الشيطان » ذكراً يتقد ويتلظى فى أذهان رجال الحكومة.

وقد ظل بيان ثلاث سنوات ونصف سنة يجاهد حتى ظفر بتأييد وزارة العدل ، ثم أبحر فى سنة ١٩٣٣ عائداً إلى غانة الفرنسية ومعه ثلاثة ضباط من إخوانه وزملائه . فلم يحتف به رجال المستعمرة عند وصوله ، ولكنه تمكن بشىء من التملق أن يظفر ببناء مهجور ، واختار من المساجين الذين أفرج عنهم عمالا لترميمه ، وآخرين ليتولوا الطبخ والخدمة فى حجرة الطعام وغرف النوم . وكان أحد هؤلاء مصوراً فناناً قد ذبح خليلته فرسم لافتة وكتب عليها : « بيت الأمل » .

غير أن افتتاح الملجأ كان غير موفق ، فقد أعد بيان عدته ليفتتحه بمأدبة لكل قادم ، فلما أزف موعد الطعام تبين أن الطهاة والندل قد وجدوا بعض النبيذ فذهبوا يستمتعون به . فتميز بيان وزملاؤه الضباط غضباً ، ولكنهم خلعوا ملابسهم الرسمية وجعلوا يقدمون الطعام بأيديهم لألفين من الضيوف الجياع ، أما رجال الحكومة فكانوا يبتسمون ابتسام السخرية . وفى تلك الليلة عاد بعض « الضيوف » وسرقوا أدوات المائدة ومعظم الطعام ، وأدوات الورشة ، بل سرقوا أيضاً حبل سارية العلم !

فلم يثن ذلك من عزم بيان وزملائه ، فأعادوا الكرة ، فمر شهر حتى تمكنوا من تعويض الأدوات المسروقة ، وإعداد المطعم للعمل . ثم عملوا أعمالا أخرى ، ففتحوا داراً للذين أفرج عنهم فى كايين ، وأنشأوا مزرعة فى الأدغال لزرع الخضر وتربية المواشى فتتخذ منتجاتها للمطاعم ، وفتحوا دكاكين للتجارة تصنع أثاث الملاجىء ، وتحفر من الخشب تحفاً تباع فى الخارج . واستعان بيان بفئة قليلة من الذين أفرج عنهم ، فكشف رقعة فى الغابة الملتفة وجعلها مزرعة للموز ، فإذا هى تتيح عملا للرجال ومورد كسب للملاجىء . وكان شعار بيان : « العمل متاح لكل رجل يريد أن يكسب رزقه » ، وقد وجد بين هؤلاء الرجال

المستهترين العتاة عدداً من العمال يكفى لمواصلة عمله .

وقد بلغت المشاق التى عاناها أعظم مبلغ ، فتجار المستعمرة الذين يشترون الأدوات المسروقة ، والباعة المتجولون الذين يبيعون ضرباً رخيصاً من الخمر ، والنساء ، وحراس السجن المرتشون — جميع هؤلاء رأوا فى عمل بيان وصحبه خطراً يقضى على الفساد الذى يعيشون به . وإذا رسائل التهديد تتوالى على الجماعة ، تنصحهم بأن يغادروا المستعمرة — وإلا فويل لهم . وقد دبرت لهم المكايد لوصم شرفهم، وترصَّدهم الأعداء ليلا ليعتدوا عليهم ، وأصيب مساعد بيان مرة بلكمة كسرت فكه ، وأهمل رجال القضاء ورجال الشرطة أن يحيطوهم بالحماية الكافية ، وتواطأ بعض هؤلاء مع المجرمين المسجونين وبعض الذين أفرج عنهم لينقذوا المستعمرة من هؤلاء المصلحين ومن أحلامهم!

وكان بين ضباط المستعمرة جماعة تضمر المودَّة لبيان ولكنهم كانوا يهزون رؤوسهم سخرية من أساليب بيان فى تعزيز ثقة المجرمين به وبأنفسهم ، فقد ولَّى بيان أحد المختلسين على الحسابات ، وجعل رجلا كان قد سمَّم زوجته طاهياً لأحد الملاجىء ، وأقام آخر قد حكم عليه بجريمة الاغتصاب حارساً على بيت ضابط يوم غاب الضابط ولم يبق فى البيت سوى زوجته — ولكنَّ المساجين الذين أفرج عنهم وجدوا فى ثقة بيان بهم حافزاً خلقيًّا قويًّا .

وقد صارت الحقول والمزارع على الزمن توفى نفقاتها ، وكذلك الورش والملاجىء . وقد جمع بيان مالا من التحف التى تباع ، ومن الكتب التى كتبها عن الحياة فى هذه المستعمرة ، فعزم أن ينفقه فى تنفيذ مشروع طالما تاقت إليه نفسه — أن يعيد الذين أفرج عنهم إلى وطنهم بعد أن قضوا فى المستعمرة مدة تعدل مدة سجنهم .

ولم يقتصر غرض بيان على أن يعيدهم إلى وطنهم ، بل أن يردهم إلى الخلق القويم عسى أن يصيروا مواطنين نافعين . وكان الطلقاء القلائل الذين عادوا إلى فرنسا قد ساروا سيرة فاسدة ، فطباعهم التى ازدادت فساداً بعد إقامة طويلة فى جزيرة الشيطان ، لم تلبث أن ردَّتهم إلى الإجرام .

وقد أطلق بيان على خطته الجديدة اسم « الخطة الجديدة » فإذا ما جاء رجل من الطلقاء يطلب عملا ، بينوا له أنهم يوفرون له المأوى والمأكل مقابل عمله ، ويعطونه فرنكين كل يوم . وفى نهاية كل شهر يعطونه قسيمة بأربعين فرنكا . وفى وسعه أن يصرف القسيمة نقداً ، ولكنه إذا جمع عشرين قسيمة ، وقيمتها ٨٠٠ فرنك ،

استطاع أن يأخذ فى مقابلها تذكرة سفر إلى فرنسا ثمنها ١٦٠٠ فرنك . فإذا ما نزل إلى البرّ فى فرنسا لقيهُ أصدقاء بيان فيبذلون له العون ليسير سيرة جديدة .

فالرجال الذين كانوا لا يفكرون ولا يحلمون إلا فى الفرار من جزيرة الشيطان وجدوا فى هذا المشروع حافزاً قويًّا . فلم تكد تنقضى سنتان على هذا المشروع حتى أبحر الفريق الأول إلى فرنسا . وأبحر بيان معهم ، وكان لا ينى عن تذكيرهم فيقول : « إن مستقبل زملائكم فى غانة ومستقبل المستعمرة كلها ، أمانة فى ذمتكم » . وجاء الصحفيون يستقبلون السفينة ، وهبَّت الصحف فى اليوم التالى إلى نشر مقالات تنبأت فيها بأن موجة من الإجرام سوف تكتسح فرنسا ، ولكن الإجرام لم يكتسح فرنسا ــ لا حينئذ ولا فيما بعد . فقد صار أصحاب بيان رجالا من ذوى الأخلاق القويمة . وما وافت سنة ١٩٣٩ حتى كان قد أعاد إلى فرنسا ٨٠٤ من المجرمين ــ فلم يرتكب منهم إثماً سوى ثلاثة من الطلقاء .

وأما بيان فوزَّع وقته بين غانة وفرنسا مجاهداً فى سبيل إلغاء المستعمرة ، وحقق ما قال علماء الإجرام إنه مستحيل ، ولم يكن ما أنجزه قاصراً على بضعة أفراد بل شمل جماعات كبيرة من أعتى المجرمين . فلما عينت لجنة لوضع مشروع قانون بإلغاء المستعمرة ، كان هو العضو الوحيد فيها من غير رجال الحكومة .

وفى سنة ١٩٣٨ وقع رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوماً يمنع الحكم على المجرمين بالسجن فى جزيرة الشيطان ، وأحل محله الحبس فى أحد السجون فى فرنسا . أما المجرمون الذين فى غانة فينبغى أن يوفوا فيها مدة سجنهم ثم يباح لهم أن يغادروها . وكان الرأى أن تخلى هذه المستعمرة رويداً رويداً من نزّالها فى بحر عشر سنوات .

وقد حالت الحرب بين بيان وبين إتمام عمله ، فقد كان فى فرنسا يوم غزاها الألمان فلم يستطع أن يبرحها ، ولكن حكومة الجنرال ديجول أخذت وهى فى المنفى تنفذ آراءه دون أن يعلم . وفى مستهل سنة ١٩٤٦ صدر الأمر الرسمى بإلغاء المستعمرة .

وقد أجمعت الحكومة على اختيار بيان للقيام بهذه المهمة . وقد وصف بيان هذا الأمر بأنه « أحب أمر صدر إلىّ » . فأبحر ووصل إلى سان لوران . وما كان أحد يدرى أنه آتٍ ولكن نبأ وصوله انتشر انتشار النار فى الهشيم . وإذا المجرمون والطلقاء جميعاً يقبلون من جميع الأرجاء على سان لوران لينثروا الأزهار فى طريقه ، وليستقبلوه كأنه بطل فاتح .

استفتاء يدل على أن فرص النجاح تزداد ازدياداً مطرداً .

ثقة بالمستقبل

ولتر ليبمان

مختصرة من صحيفة "نيويورك هرالد تريبيون"

منذ عهد قريب أعد الباحث إلمر روبر استفتاء لمجلة فورتشن، فوجه فيه السؤالين التاليين : الأول ، هل فرص النجاح اليوم أكثر مما كانت في زمن أبيك ، أو هي تساويها ، أو هي أقل منها ؟ الثاني : أتظن أن فرص نجاح ابنك أكثر من فرص نجاحك أنت ، أم هي تساويها ، أم هي أقل منها ؟

فإذا نظرنا في كثرة ما يقال عن صراع الآراء في عصر الثورات ، كانت النتائج التي أسفر عنها استفتاء روبر شيئاً عجيباً . فقد كان رأي سبعين في المئة من الرجال أن فرص نجاحهم أكثر من فرص النجاح في زمن آبائهم . وقد كان رأي ستين في المئة أو أكثر قليلا أن فرص نجاح أبنائهم أكثر من فرص النجاح المتاحة لهم . وكان رأي ١٣ في المئة أو أقل أن الفرص المتاحة لنجاحهم أقل من الفرص المتاحة لآبائهم ، وأن الفرص لنجاح أبنائهم سوف تكون أقل من الفرص المتاحة لهم.

والرجال الذين تتفاوت أعمارهم بين السابعة عشرة والخامسة والعشرين ، أعظم تفاؤلا من الذين في الأربعين . والذين أقبلت عليهم الدنيا أعظم تفاؤلا من الفقراء. ولكن الفقراء أنفسهم يرون أن الفرص المتاحة لنجاحهم أعظم من الفرص التي كانت متاحة لآبائهم ، وكان ذلك رأي ٦١ في المئة من الفقراء . ومما يدل دلالة عظيمة هو أن الزنوج متفائلون ، فثمانية وستون في المئة يرون أن فرص نجاحهم أعظم من فرص آبائهم ، وخمسة في المئة منهم وحسب ، يرون أن الفرص المتاحة لأبنائهم سوف تكون أقل من الفرص المتاحة لهم . وأما الذين يرون أن فرص النجاح لأبنائهم سوف تكون أكثر من فرص نجاحهم هم ، فبلغوا ٧٥ في المئة .

فليس في نتيجة هذا الاستفتاء دليل ما على أن المجتمع الأمريكي أخذ في الجمود والتحجر والانقسام إلى طبقات ثابتة ، بل نجد في هذه الأرقام دليلا على أن المجتمع الأمريكي آخذ في الاتساع ، وأن الارتقاء من الحضيض إلى القمة ، هو في رأي سواد الناس ، اتجاه حر

ماض على سننه . وهذه الأرقام تناقض القول بأن المجتمع الأمريكى سائر قدما على النهج التاريخى المألوف ، وهو قيام جماعة فيها أقلية تنيلها الوراثة أسباب المتعة والامتياز ، وأكثرية كتب عليها الحرمان الدائم .

وهذه الأرقام تلقى ضوءاً كاشفاً على مشكلة الثورة الاجتماعية . ورأيى أن الصفة التى تميز الثورات الاجتماعية ، ليست فلسفة الثورة ولا برنامج الثائرين ، بل هى قيام رجال يغلب أن يكونوا أدنى إلى الشباب ، فيقبضون على زمام السلطان والنفوذ . وما يتبدى فى أعمال الحكومات التى قامت على أثر الثورة من نشاط زاخر زمناً ما ، يرجع على الأكثر إلى أنها تخرج على قاعدة « السن » و « الأقدمية » فى اختيار من تختارهم لتقلد زمام السطان والنفوذ .

وعندى أن أرقام المستر روبر تسوغ لنا أن نقول إن التقدم من الحضيض إلى القمة فى النظام الاجتماعى الأمريكى ، قد بلغ من الحرية مبلغاً يحملنى على الاعتقاد بأن الأمة الأمريكية تعيش فى ثورة دائمة. وأنت ترى مظاهر العنف فى الثورة حيث تقوم الحوائل دون هذا التقدم المطرد ، فلا تجد شيئاً سوى الانفجار يقضى على تلك الحوائل ويعيد التقدم إلى سيرته الطبيعية . وما دام الناس فى أمة ما لا يعتقدون أن هناك قوة تلزمهم الحضيض ، فتلك الأمة تجنى أهم ثمار الثورات — تجديد نشاطها بارتقاء رجال جدد إلى المقامات العالية ، دون زلزلة النظام الاجتماعى الذى يصحب الثورات العنيفة .

ويكاد يكون هذا هو السبب فى أن الأمريكيين أشد الشعوب محافظة على منشآتهم الاجتماعية، فهم لا يجدون فى حياتهم ذلك الحافز الذى يدفع الناس إلى تبديل منشآتهم ، وهو إيصاد باب فرص التقدم عن سواد الناس. ففى أمريكا ترى معظم الناس لا يعتقدون أن هذا الباب موصد فى وجوههم .

ومن عواقب هذا الرأى أن الأمريكيين يتحرجون من تبديل منشآت أبلاها القدم كنظام الكونجرس وصلته بالرئيس . فهم يتحملون نظاما للحكم وإن ساء ، إلا فى زمن الحرب وحين تنزل به ضائقة اقتصادية ، لأنهم لا يبنون آمالهم فى الحياة على ما تصنعه الحكومة.

ومن عواقبه أيضاً، أن الأمة على تفاؤلها ليست أمة مستقرة . فالأمريكيون لم يدركوا من السعادة كل ما يتوقون إليه ، فهذا الارتقاء من الحضيض إلى القمة يقتضيهم أن يطابقوا بين أنفسهم وبين أساليب جديدة فى الحياة ، فيجعلهم جهد هذه المطابقة أهل قلق واضطراب وشك ومخافة ، فهذه حالة لا تنشىء فيهم شعور الرضى عن النفس ، الذى هو حليف الجمود .

"الدم هو الحياة"

بول دى كروف

> الحمض الفوليك هو فيتامين جديد يقوى الدم ويفتح باب الأمل للايين من الناس نهكتهم ضروب معينة من فقر الدم

اهتدى العلماء إلى فيتامين جديد يقوّى الدم هو الحمض الفوليك، وتتبدّى فيه قدرة على إبراء طائفة مختلفة من ضروب فقر الدم الخبيث المخوف الذى ظلّ يفتك بكلّ من يصاب به، حتى أتيح للأطباء أن يعالجوه بخلاصة الكبد. والحمض الفوليك يقوى دم الحوامل الذى بلغ مبلغاً خطراً من الرقة، ويردّ النشاط ردًّا سريعاً على المصابين بالضعف من فقر الدم وقلة الغذاء، ويفتح باب الأمل فى إنقاذ حياة عدد لا يحصى من ضحايا مرض القُلاع، وهو نكبة من النكبات الكبيرة، فى البلاد الحارة، ويكبح جماح فقر الدم الذى ينسلّ فى الجسم مع الشيخوخة.

هذا الفيتامين هو أحدث ماعرف من فيتامينات (ب) وهو موجود فى كثير من موادّ الطعام، ولكن الطبخ يقضى عليه قضاء حثيثاً، ومع ذلك فلا غنى للجسم عن قدر معين من الحمض الفوليك، وإلا هلك.

وقد بدأ البحث الذى انتهى إلى كشف هذا الفيتامين منذ ٢٢ سنة يوم هيَّأ الدكتور جورج مينو طعاماً وافراً من الكبد للمصابين بفقر الدم الخبيث، كانت الدلائل تدلُّ على أنهم قوم لا ترجى حياتهم. وكان المرضى قد وفدوا على مينو يتهالكون إعياء، وفى وجوههم شحوب مخيف وصفرة رقيقة. وكانت علتهم قد دبّت فى أبدانهم وأورثتهم ضعفاً وفتوراً، فكانت أبدانهم مترهلة، وشفاههم تبدو كأنما لم يبق فيها قطرة من دم. وقد كان مصير المصابين من أمثال هؤلاء، أن يرق دمهم، فإذا اطردت رقته ازدادوا تعباً يبهر النفس، حتى تدركهم غشية — وفى أثنائها يلفظون نفسهم الأخير.

جعل مينو يطعم مرضاه شرائح الكبد نيئة ومطبوخة، ويزيدهم منها، وقد كانوا خليقين أن يجدوها كريهة المذاق لا تطاق لولا أنهم بدأوا يحسون دبيب العافية فى أوصالهم الخائرة.

وفى بحر أسبوع جلسوا فى أسرتهم

يلحون فى طلب الطعام ، وفى بحر أسبوعين أو أقلّ أرادوا أن ينهضوا ويمشوا . وكذلك أقام مينو الدليل على أن فى الكبد قدرة تبثُّ الحياة ، ثم تجـلّى له من تجربة بسيطة أن ما تصنعه الكبد إنما هو إيقاد جذوة الحياة الخامدة فى نخاع العظام .

فحين كان هؤلاء المرضى أدنى إلى الموت ودمهم يكاد ينضب من عروقهم ، أخذ مينو قليلا من نخاع عظامهم ، فتبين من فحصه بالمجهر أن الخلايا الكبار فى النخاع ، وهى أمهات كريات الدم الحمر ، لاتقذف فى تيار الدم بهذه الكريات الحمر التى لاغنى عنها للحياة .

ثم أعاد مينو فحص نخاع العظام بعد أن أطعم المرضى قطع الكبد ، فوجد ملايين من الكريات الحمر الوليدة — خلايا زرقاً شبكية الشكل — فهذه الأمهات الكبار قد بدأت تلد من جديد .

وثمة أنواع كثيرة من فقر الدم يعجز فيها نخاع العظم عن صنع الدم ، ومثل هذه الكارثة تنزل بالذين يصابون بالقُلاع ، وبالنساء اللواتى يتواتر حملهن ، وبأكثر المصابين بالبلاجرا الحادة ، وبالشيوخ الذين يسوء غذاؤهم . ولما كان فقر الدم الناشىء من نقص الحديد أقلُّ خطراً من هذه الأنواع بكثير ، فقد أطلق الأطباء على هذه الضروب الخطرة اسماً خاصاً ، ففيها جميعاً تجد الكريات الحمر كبيرة الحجم قليلة العدد قلة تنذر بالخطر ، فلذلك أطلقوا على هذه الضروب من فقر الدم اسم « فقر الدم ذو الخلايا الضخام » .

تُرى أتنقذ الكبد المصابين بضروب فقر الدم ذى الخلايا الضخام ، كما أنقذت المصابين بفقر الدم الخبيث ذلك الإنقاذ الرائع ؟ وقد كان الدكتور توم سبايز أول الذين جعلوا يتلمسون الجواب عن هذا السؤال . وقد وجد أن أغلب مرضاه الذين كانوا يكابدون أشد غوائل البلاجرا ، يعانون أيضاً فقر الدم ذا الخلايا الضخام . فلما ردّ الحياة على أولئك المصابين المشرفين على الموت باستعمال الحمض النيكوتنيك ، تبين أنه أبرأهم من البلاجرا وحسب ، ولكنه لم يبرئهم من فقر الدم ، ولم يجد بدًّا من أن يطعمهم الكبد أو يحقنهم بخلاصتها ، حتى يستطيع أن يتم عليهم نعمة الشفاء .

ثم ظهر أن مرض القُلاع شأنه كشأن البلاجرا ، وكذلك فقر الدم فى الحوامل ، وفى سوء التغذية . فالكبد إكسير يقوى الدم بيد أن هذا العلاج لم يكن علاجا محكما . فالحقن بخلاصة الكبد يوجع المحقون ، وظهر أن من المرضى من يشتدُّ نفور أبدانهم من مادة الكبد ، فيعجزون عن مواصلة العلاج . وكانت خلاصات الكبد فى خير حالاتها

أخلاطا معقدة، قوية أحياناً وضعيفة أحياناً، على الرغم من أنها علاج ناجع عجيب.

ظل العلماء عشرين سنة يبحثون في الكبد عن مادة كيميائية تستطيع أن تقاوم فقر الدم، ثم كشف الباحثون عن الفيتامينات منذ بضع سنوات خلت، مادة قوية غير نقية، وجدوها شيئاً لا غنى عنه لحياة طائفة كثيرة من المكروبات، ولحياة أنواع شتى من حيوانات التجارب، فأطلق عليها الدكتور روجر وليمز اسم «الحمض الفوليك»، وهي توجد في أوراق السبانخ وكثير من الأطعمة الأخرى مثل عش الغراب وفول الصويا والخميرة والكلية، وتوجد منها أيضاً مقادير قليلة في الكبد النيئة.

ومن ثمّ جعل العلماء يبحثون عساهم أن يتبينوا كيمياء الحمض الفوليك، فكان بحثهم خبط عشواء يحير الألباب. فبعض خلاصات الكبد التي هيمنت على فقر الدم الخبيث كادت تخلو خلوًّا تاماً من الحمض الفوليك الذي تحتوي عليه الكبد النيئة. وجرّب الأطباء خلاصات مركزة من الحمض الفوليك في علاج المصابين بفقر الدم الخبيث، فلم يفض ذلك إلى إنشاء كريات الدم الحمر.

وعلى الرغم من هذه الخيبة ظل فريق من الباحثين قوامه ١٦ من رجال الكيمياء والبحث عن الفيتامينات في شركة سياناميد الأمريكية، يتلمس الطريق إلى كشف السر. وكان رئيس الشركة ومديرها يغدقون ألوف الريالات ثم مئات ألوفها، على البحث عن عنقاء الكيمياء. وكيف سوّغوا لأنفسهم هذا الإنفاق؟ لقد سوغوه بأن الحمض الفوليك يبدو شيئاً جوهرياً للحياة — من حياة المكروبات إلى حياة الحيوانات، بل هو جوهري لحياة البشر أيضاً.

وفي شهر أغسطس ١٩٤٥ روت هذه الجماعة من العلماء أنها وفقت إلى تركيب الحمض الفوليك النقي، وقد عُدّ هذا الحادث العلمي بالغ الخطر، حتى ذيلت الرسالة العلمية التي أذيع خبره فيها بأسماء العلماء جميعاً، وهو مناقض لما جرى به العرف.

وفي ذلك الشهر نفسه بدأ الدكتور سبايز في مستشفاه، يمتحن الحمض الفوليك المركب على الذين أشفوا على الموت من مرض فقر الدم ذي الخلايا الضخام. وكان سبايز يعلم أن خلاصات الكبد التي تكبح جماح فقر الدم في البشر، لا تحوي سوى قدر يسير من الحمض الفوليك. بيد أن فكرةُ الحرّ وسوس إليه: إن الأكباد التي استخلصت منها هذه الخلاصات كانت تحوي الحمض الفوليك، فلعل الكيميائيين ضيعوا دواءً يطلبونه حين عكفوا على تنقية الخلاصات التي بين أيديهم، أو ربما كان في الكبد

الطبيعية أكثر من مادة كيميائية واحدة تكافح فقر الدم ؟ فلِمَ لا يمتحنه .

هذا الضرب من التفكير الحر الذى يتنكّب الطريق المتبع ،هو سر الاكتشاف. وفى نوفمبر ١٩٤٥ روى الدكتور سبايز أن الحمض الفوليك ذو قدرة على إنشاء الدم الأحمر ، وأن قدرته هذه تضارع قدرة أقوى خلاصات الكبد ، كما تجلى من اختباره هذا الحمض فى ثمانية من المصابين بلغ منهم فقر الدم ذو الخلايا الضخام . فما وافت نهاية السنة حتى كانت بلورات الحمض الفوليك الصفر قد صنعت الدم الأحمر فى ٢٦ مريضاً من ٢٧ مريضاً ، وكان بينهم خمسة مصابون بفقر الدم الخبيث الفتاك .

وقد كان من الرائع حقاً أن ترى كيف يفضى أخذ جرعات قليلة من هذه المادة الكيميائية الجديدة ، إلى زيادة قدرة نخاع العظم المريض على تقوية الدم . فهذا شيخ فى الخامسة والسبعين جىء به إلى المستشفى وهو مصابٌ بإسهال شديد ونفَس مبهور وشحوب مخيف ، وكانت الكريات الحمر فى دمه نصف عددها الطبيعى ، فكان علاجه غاية فى البساطة : بضعة مليجرامات من الحمض الفوليك يتعاطاها بفمه كل يوم .

فلما انقضت أربعة أيام قال الشيخ إنه خير مما كان ، فقد بلغ منه تقرّح الفم واللسان حتى عجز عن الأكل ، فإذا هو يأكل فى اليوم الرابع أكل رجلين. وقد دل المجهر فى الوقت نفسه على أن الأمهات الكبار قد عادت تعمل على عهدها فى أعماق نخاع العظام .

قال الشيخ : « لم أكن يوم جىء بى إلى هذا المستشفى ، سوى عبء على كاهل أهلى ، وقدرت أنه قد آن لى أن أموت . ولكن هذا القليل من الدواء الأصفر قد رد الحياة على هذه الرِّمَّة البالية » . وما هى إلا مدة قصيرة حتى عاد إلى العمل فى حديقته.

ثم ذهب سبايز ومعاونوه إلى مدينة هفانا فتعاونوا مع طائفة من أطباء الطليعة فيها ، على علاج تسعة أصابهم القلاع فصاروا غرضاً للموت بهذا الداء .

كان كلٌّ منهم كومة من عظام فى إهاب من الجلد ، وكانوا يكابدون إسهالا مهلكا ، وكانوا فى حزن وبكاء لا ينقطع ، وكانت وجوههم جامدة ، فإذا ما أدار أحدهم رأساً أو رفع ذراعاً فعل ذلك فعل البطىء الضعيف ، فقد خمد نشاطهم وكادت دماؤهم تغيض ، وما كان أحد منهم يبالى بموت أو حياة .

وقبل أن يبدأ العلاج ، أعطاهم سبايز خلال أيام طعاماً خالياً من اللحم (فإن اللحم قد ينشىء قليلا من الدم) حتى يستيقن من أن الحمض الفوليك هو وحده الذى أعانهم

فى محنتهم، إن كان فى يد البشر شىء يستطيع أن يسدى لهم العون . ثم بدأ الامتحان — الحمض الفوليك يؤخذ بالفم ، فى جرعات كبيرة أولاً .

فما مضى يومان حتى بدا أول قبس من الحياة المرتدة إلى أبدانهم ، وإذا الوجوه الجامدة قد أشرق فيها طيف من ابتسامة ، وزال ألم المغص المخيف مع الإسهال ، وفى اليوم الرابع تدفق النشاط فى أوصالهم فأرادوا أن ينهضوا من أسرّتهم ويمشوا ، وقد فعل بعضهم. وفى بحر أسبوع كانوا جميعاً قد نهضوا وصاروا يتجولون فى المستشفى .

وقد دلت هــذه الأحداث على أن قوة البلورات الصفر أبعد غوراً من مجرد قدرتها على أن تصنع دماً جديداً ، لأن تدفق النشاط فى أوصال المرضى ، قد سبق نشأة الكريات الحمر الجُدد، فهذه النشأة لم تظهر بواكيرها إلا فى اليوم الرابع .

وكان أدعى من هذا إلى العجب أن سبايز استطاع أن ينقص الجرعة إلى بضعـــة مليجرامات من الحمض الفوليك كل يوم ، فإذا هــذه المقادير اليسيرة تردّ على المصابين شهية الطعام حتى صاروا يطلبون المزيد منه بعد بضـعة أيام ، وقد زاد وزنهم جميعاً ، وزاد وزن بعضهم زيادة مشهودة، وقد عادوا جميعاً إلى العمل .

وقد توالت الأدلة سراعاً من جماعات الأطباء الباحثين ، على قدرة الحمض الفوليك على بعث الحياة ، وعلى تعدد منافعه . وتجد اليوم أن بحوث علماء كثيرين فى بلاد متعددة ، قد أيدت قدرة الحمض الفوليك ونفعه فى شفاء ألوف من المرضى .

هــذه الأقراص الصغيرة التى لا يكاد قطرها يزيد على مليمترين، تضارع حقن الكبد من وجوه كثيرة ، بيــد أن هناك تحفظاً واحداً : ذلك بأن الدكتور سبايز لا يزال فى رِيب من قدرة الحمض الفوليك على أن يدرأ انحــلال الجهاز العصبىّ الذى يشاهد أحياناً فى المصابين بفقر الدم الخبيث .

وقد تعاون الدكتور سبايز والدكتور رامون سواريز فى مدرسة طب المناطق الحارة فى بورتوريكو ، فوجــدا أن قوة الحمض الفوليك تكافىء قوة الكبد فى بناء الدم فى المصابين بالقلاع . وعلاوة على هــذا تجد الحمض الفوليك يحفظ الدم فى حالة مأمونة فى المصابين بفقر الدم الخبيث الذى يؤذيهم تعاطى مادة الكبد .

وإذا استثنينا قدرة هذه الأقراص الصغيرة الصفر على بناء الدم ، وجدنا لها منافع كثيرة منوّعة فى تقوية الجسم. ففى كل سنة يحقن ألوف من الناس بملايين من حقن الكبد لعلاج الضعف والشحوب والإعياء ، ولو لم

يكونوا مصابين بفقر الدم ، فالحمض الفوليك قد يحلّ — فى كثير من الحالات — محل حقن الكبد التى تعطى الآن لابتعاث النشاط .

ومن الأمور الجوهرية ولا ريب أن يذهب المرضى إلى أطبائهم لكى يفحصوا فحصاً دقيقاً حتى يعرف نوع فقر الدم الذى يعانونه ، قبل أن يستعمل الحمض الفوليك فى علاجهم ، فلعل غاية مايحتاجون إليه هو الحديد ليس إلا . وربما كان الذى بهم هو فقر الدم الخبيث ، فينبغى لهم أن يواصلوا ماعاشوا أكل الكبد أو أخذ قرص الحمض الفوليك كل يوم ، وأن يكون ذلك تحت إشراف الطبيب . وربما كان الذى بهم هو فقر الدم الراجع إلى سوء التغذية ، أو الإصابة بالقلاع ، فهذه الحالة إذا ماشفيت باستعمال الحمض الفوليك أمكن اتقاء عودتها بغذاء نافع يحتوى على قدر كبير من اللحم .

ليس الحمض الفوليك دواء شافياً من كل مرض ، فهو عاجز عن علاج فقر الدم الذى يصحب سرطان الدم المعروف باسم «لوكيميا» ولا فى علاج عقم الدم (عجز نخاع العظم عجزاً تاماً عن إنشاء خلايا الدم) .

وأعظم ما يُرجى من هذا العقار الجديد هو إمكان نفعه فى درء أنواع فقر الدم ذى الخلايا الضخام ، وهذه الأنواع هى أول سبب لرقة الدم وضعفه فى ملايين من الناس فى جميع أرجاء الأرض .

وقد ركب الحمض الفوليك أول ماركب منذ سنة أو أكثر قليلا ، ومع ذلك فالمقادير المتاحة منه كثيرة . وقد لا يكون له مثيل بين العقاقير التى ترد الحياة على الناس ، فى سرعة تقدمه من دور الكشف إلى دور الاستعمال العام . وقد هبط سعر القرص من ستة قروش إلى ثلاثة قروش ، وعلى قدر ازدياد مايصنع منه يهبط ثمنه .

والحمض الفوليك لايغنى عن غذاء صالح تكثر فيه المواد الزلالية ، ولكن هذا الفيتامين الجديد الذى يبنى الدم ويبتعث الحياة ، قد يكون خير هبة إلى ملايين من الناس برّح بهم الجوع وحرموا أكل اللحم فرقّت دماؤهم ، فالحمض الفوليك يستطيع أن يعينهم على أن يظفروا بقدر من الدم يمكنهم من أن يعملوا ليظفروا بما يحتاجون إليه من لحم وزلال .

تعريف

الحبُّ العذريُّ : هو مسدّس لم تكن تعلم أنه محشوٌّ بالرصاص .

« فى كتاب حديث خطير ، تجد عالم الأحياء لوكونت دى نوى
بسط لك ما تبينه من دواعى الإيمان فى ثنايا روائع التطور العضوى »

أحدث الأدلة على وجود الله

لعالم من علماء الأحياء

فلتون أورسلر

منذ وضع دارون نظريته فى التطور أخذ الشك فى قواعد الدين المسيحى ينتشر ، وفتن الناس بأن يعدّوا الإنسان وليد المصادفة فى عالم الأحياء ، وأن ينكروا وجود الروح وحريتها فى أن تختار بين الخير والشرّ ، وأن يروا الحياة شيئاً لا غرض له ولا معنى ، وأصرّ أهل الشك على أن العلم قد صرع الإيمان .

بيد أننا نسمع اليوم صوتاً جديداً — صوت عالم ينادى بأن العقائد القديمة صحيح كلها . والداعية الجديد إلى الإيمان بالله هو عالم من علماء الأحياء ، اسمه الدكتور لوكونت دى نوى ، وقد كان من قبل أحد علماء معهد روكفلر ومعهد باستور . وقد كشف فى كتابه العجيب « مصير البشر » عن نظرية جديدة للتطور ، وحاول عن طريق العلم والمنطق أن يثبت ما كان مثاراً للجدل من المعانى السامية التى تاقت إليها نفوس البشر منذ أول عهدهم بالحياة : كحرية الإرادة ، ومعنى الحياة ، والخلود ، ووجود الله سبحانه وتعالى ، فيجعلها حقائق لا مماراة فيها .

يستهل عالم الأحياء دى نوى كتابه باعترافه بأن العلم عرضة للخطأ ، فينبغى لنا أن لا نثق به ثقة عمياء . فليس فى هذه الدنيا شىء نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة ، وحواسنا الخمس يشوبها نقص ، وأدواتنا العامية لن تبلغ الكمال فى دقتها .

وليس فى طاقتنا أيضاً أن نعرف الحقيقة ، فإذا مزجتَ الدقيق بالسُّخام كان لك منهما مسحوق أغبر ، فلو سارت حشرة دقيقة بين حبيبات هذا المسحوق ، لكانت هذه الحبيبات فى نظرها صخوراً ضخمة بيضاً وسوداً . فلا وجود لهذا المسحوق الأغبر كما نراه نحن فى تقدير هذه الحشرة . ونحن نعيش فى كون لا يحيط به إدراكنا ، فكل رأى نراه فى شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبىّ .

فى هذا الكون الجبّار ، تجد العلم يعبث بأجزاء ضئيلة من المعرفة ، ولكن المهاوى التى تفصل بين ما نعرفه من الحقائق ، إنما هى مهاوٍ رحبة عميقة . ونحن نعيش على

رةٍ عُمِّرت حوالى ٢٠٠٠ مليون سنة ، وعلى هذا المسرح العظيم تمت روائع التطوُّر. ولكن كيف رفع الستار عنها ؟ لقد استحال علينا حتى اليوم أن نعرف معرفة دقيقة كيف بدأت الحياة ، بل لا ترى أحداً قد تمكن من أن يشرح لنا أصل الحيوانات الفقارية التي ننتمي نحن إليها .

إن تاريخ التطوُّر كلهُ مشوب بالأسرار الغامضة ، فكل خطوة كبيرة خطاها الأحياء إلى أمام ، قد تمت على رغم مناقضتها لنواميس الاحتمال العلمي المحكمة . وكل تقدم من أدنى إلى أعلى ، كان ارتقاءً بعيد الاحتمال .

خذ مثلا تلك اللحظة التي بدلت فيها الحياة نهجها في التناسل . فقد مرت ملايين من السنين وخلايا البروتوبلاسمة تتكاثر بالانشطار ـ كأن فيها حياة خالدة . ثم ظهر فجأة وعلى نحو لا يزال مستسراً ، أسلوبٌ جديدٌ فذٌّ في التناسل ـ هو التزاوج . ومن أدعى الأمور إلى العجب ، أن الموت جاء قريناً للتناسل الجنسيِّ حين طرأ هذا التناسل على الحياة .

وأنت ترى دى نوى العالم الجرىء يذكر مرة بعد أخرى مقارنات ترمز إلى ما يريد ، من الفصول الأولى من سفر التكوين في التوراة ، ومن حقائق التطوُّر

> « وضع الدكتور لوكونت دى نوى نصب عينيه وهو يؤلف كتاب « مصير البشر » أن يأتي بالبراهين العلمية على زيف الفلسفة المادية .
> ولست أعرف أحداً سبقه إلى هذا ، وما من أحد يستطيع حتى أن يحاول حمل هذا العبء ، مالم يتمرس بأحدث مكتشفات الرياضة والطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء ووظائف الأعضاء .
> إنه رجل يبني للحق في العلم والدين . وكتابه من القوة والسداد بحيث لا يكاد يتيسَّر ظهور مثله أكثر من مرة أو مرتين في قرن واحد » .
> [دكتور روبرت مليكن]
> حائز جائزة نوبل في علم الطبيعة

المعروفة . فكأن كاتب تلك الفصول قد عرف بالبداهة نهج الحياة العظيم الذى أعدَّهُ لها الخالق عزَّ وجلَّ . والإنسان كثيراً ما يصل إلى الحقيقة من طريق البداهة ، كما يصل إلى المعرفة من طريق العقل ، وكلاهما ـ البداهة والعقل ـ خليق بالاحترام .

في التطوُّر خمس حقائق جوهرية لا تنكر : (١) بدأت الحياة في صور متناهية في البساطة (٢) ثم تطورت هذه الصور

البسيطة إلى صور أعقد فأعقد (٣) ثم أفضى هـذا العمل على الأيام إلى نشوء الإنسان ذى المخ البشرى (٤) ثم ولد الفكر المجرد فى البشر (٥) ثم ظهرت الأفكار الخلقية والروحية من تلقاء نفسها فى شتى أقطار الأرض .

وليس بين هذه الحقائق الخمس حقيقة واحدة يستطيع العلم أن يفسرها ، فينبغى لنا أن نفرض فروضاً لكى نملأ ما بينها من فراغ .

وكثيراً ما يكون الفرض حتما لا مفرّ منه . وقد استعان أينشتين باثنى عشر فرضاً أو أكثر فى الوصول إلى نظريته فى النسبية ، ولم يكن بينها فرض واحـد يمكن أن نقيم دليلا على صحته . ومع ذلك فقد أطلقت طاقة الذرّة بفضل هذه النظرية . والفرض الذى فرضهُ دى نوى يقيم للتطوُّر نهجاً وغرضاً خلقيًّا . وقد بناهُ على أنهُ من المستحيل أن تعزو إلى المصادفة المحض ، ما نعرفه عن بدء الحياة وارتقائها إلى عجائب العقل البشرى .

وقد ظلّ الماديون سنين يقولون إن المصادفة متحكمة تحكماً مطلقاً فى كل ما هو عرضة للفناء ، ولكن دى نوى يردّ عليهم فيقول : « إن الإنسان حرٌّ فى أن يطيع غرائزه الحيوانية التى تيسر لهُ المتعة الحسية ، أو أن ينشد غرضاً من ضرب آخر . فلكى يبلغ ذلك الغرض ينبغى له أن يناضل غرائزه الحيوانية القوية . وكثيراً ما يعذبهُ هذا النضال ، بيد أن كثيراً من الناس يتجشمون هذا النضال على رغم ما يلقونه من ألم ، غير أن هذا الاختيار ليس بمتاح إلا للإنسان وحده » .

وكثير من الناس يختارون أول الطريقين ، أما الذين يختارون الثانى فقليل ما هم . ولكن هذه القلة هى التى كان لها دائماً شأن عظيم فى التطوُّر ، وهـذه القلة الخارجة على الكثرة قد سارت منقادة إلى زعامة لا تقاوم ولا ترى ، فقـد أطاعت نداءً سرمديًّا قاهراً ما زال يستحثها .

إن الثلوج التى تذوب على قمم الجبال تصبح جداول وأنهاراً متدفقـة وهى فى طريقها منحدرة إلى البحر ، وهى تنحدر استجابة لناموس لا يردّ هو ناموس الجاذبية . أما فى التطوُّر ، فإن الحياة لم تنحدر إلى أسفل بل ترقت صُعُداً ، يستحثها ناموس لا يردّ كناموس الجاذبية . ومنذ كان العالم صعّدت الحياة فى هذا المعراج ، فبدأت مادة لا شكل لها ، ومضت عُلْواً حتى صارت إنساناً له عقل وضمير .

فهل عمى العلم عن البيّنات التى تدل على النهج والنظام فى التطوُّر ؟ كلا ، فإن الحياة فى ترقيها المتواصل ، كثيراً ما خالفت نواميس الاحتمال الثابتة ، حتى لنرى أشد

المـاديين عناداً مضطراً إلى التسليم بوجود قوة مجهولة .

ولم يكن للماديين بدّ من أن يطلقوا اسماً على هذه القوة المجهولة ، لكى يتمكنوا من أن يدخلوها فى نطاق تفكيرهم . ولما كانت جوانحهم منطوية على نفور من اسم الله سبحانه وتعالى ، وصفوها بقولهم « عدوّ المصادفة » . وما داموا يعترفون بوجودها ، فليسمّـوها ما شاؤوا .

وقد ظلت الحياة تعمل ألف مليون سنة إلى أن صار الإنسان مخلوقاً مفكراً ، وهى خاضعة لسيطرة حافز أصيل هو حافز البقاء ، ثم ظهر خلقٌ جديد من البشر ظهر أنهُ خاضع لقوة جديدة ــ فكرة الخير والشرّ التى يبذلون المهج فى سبيلها .

ويقول دى نوى إن هذه الفكرة كانت كأنما هى صوت القوة السرمدية تخاطب النفس البشرية فتقول .

« لقد بقيت حتى اليوم ولا همّ لك إلا العيش والتناسل ، فكنت تقتلين وتسرقين الطعام أو الأزواج ، ثم تنامين ملء الجفون بعد أن استسلمت لدواعى غرائزك. ولكنك منذ اليوم ستكافحين هذه الغرائز ، فحرام عليك أن تقتلى ، أو تسرقى ، أو تشتهى ما فى يد سواك .

« وحرام عليك أن تنامى ملء الجفون ، إلا إذا تمت لك الغلبة على نفسك . وسوف ترضين العذاب والتضحية بالحياة دون أن تتخلى عن مثلك العليا . ولن تكون أهدافك العليا منذ اليوم أن تأكلى وتعيشى ، بل سوف تصبرين على الجوع والموت فى سبيل أغراض نبيلة . ولا بد لك من أن تكونى نبيلة ، لأن ذلك هو إرادة الحىّ الجديد الذى انبعث فيك ، فعليك أن ترتضيه سيداً لك ولو قمع شهواتك » .

ليس الإنسان آخر مرحـلة فى معراج التطوُّر ، وإنما هو فى مرحلة متوسطة بين المـاضى وما يحفل به من ذكريات الوحش ، وبين المسـتقبل الحافل بآمال النفس . ولن يكون تقدمنا منذ اليوم تقدماً بدنيًّا بل تقدماً روحانياً ، وسوف يتحرّر إنسان المستقبل تحرُّراً تاماً من شهواته البشرية المدمِّرة ــ من الأثرة والطمع وشهوة السلطان . وسوف يستمتع بملذات الجسد دون أن يكون عبداً لها ، فالإنسان سينطلق من إسار الجسد وينجو من رقّه .

ومن الواضح أن زمام التطوُّر فى المستقبل سيكون فى أيدى الأخيار من الناس ، ولكن ما هو الخير ، وما هو الشر ؟ أما الماديون فينكرون وجود الخير والشر . وأما دى نوى فلا يكتفى بتوكيد وجودهما ، بل يسعى إلى تعريفهما أيضاً .

إن معيار المطابقة بين الحيّ وبيئته هو المنفعة ، وأما الأحياء التي تتطور فمعيارها هو الحرية ــ الحرية من القيود المهلكة . ومنذ كان التطوُّر في مهده ، كان هذا الفرق هو الامتحان للفريقين في مدارج الرقيّ . والأحياء التي تنشد الحرية هي الأحياء التي سارت بالحياة إلى العلى ، قال دي نوي : « إن التطوُّر هو التقدم من حالة غير مستقرة إلى حالة غير مستقرة ، فلو لم تلق الحياة من الأحياء سوى المطابقة التامة الثابتة لهلكت » .

وأهمُّ ما في الأمر هو أن الإنسان قد بدل سيده المطاع ، فقد كان في البداية عبداً للنواميس الطبيعية الكيميائية البيولوجية ، أما اليوم ففي وسعه أن يفكر تفكيراً مستقلا . وقد كان أسلافه جميعاً ممثلين مسيَّرين في رواية لا يفهمونها ، أما اليوم فتجد الإنسان يريد أن يفهم الرواية كلها .

فقد صار قادراً على أن يرقى بنفسه إلى الكمال . فأفكار الجمال التي تخطر لهُ ، ورؤى الجمال التي تولد فيه ، يستطيع أن يحيلها شيئاً مجسما بيديه . وهو يخترع ويتعلم ، وصار لا يكتفي بأن تشبع شهوةٌ من شهواته . ومع ذلك فهو لا يزال حيواناً على الأكثر ، فلذلك تراه مضطرباً محيراً .

إن صوت ضميره الوليد يناقض الأوامر المتقادمة التي يتلقاها ، ويلقي عليه أوامر جديدة . فهل من العجب أن يثور ؟ إنه كالجواد الجموح يثور على الشكيمة ــ بيد أنهُ يختلف عن الجواد في أنه هو الذي فرض على نفسه وضع هذه الشكيمة ، وهو مع ذلك حرٌّ أن يلبسها أو أن يدعها . ولما كانت السيطرة على النفس قائمة على حرية الاختيار بين الخير والشر ، فإنها تلد الكرامة البشرية ، والكرامة هي هدف التطوُّر .

فإذا ما أدركنا هذه الحقيقة الجليلة وجدنا تعريفاً أدق للحسن والقبيح ، فالخير ينبغي أن يكون أيضاً احتراماً للشخصية البشرية ، والشرُّ هو ما كان احتقاراً لها .

وهذا هو أهم أحداث التطور حتى يومنا هذا . فالإنسان منذ اليوم ينبغي له أن يعصي طبيعته حتى يستطيع أن يتطوّر ، فقد صار الفرد أخطر شأناً من النوع .

وإذن فينبغي أن لا نيأس إذا كان الأخيار ندرة في هذه الدنيا ، فإن هذه القلة هي التي ستسير بالارتقاء قُدُماً ، شأنها اليوم كشأنها منذ ملايين السنين . وهذه القلة سوف تكون طليعة سلالة جديدة ، وأسلاف الإنسان الذي بلغ كمال النموِّ الروحاني .

تُرى أينصرم بليونان من السنين قبل أن نبلغ هذا الهدف ؟ كلا ، هكذا يقول

دى نوى ، ففي الوسع أن نستعجل هذا التطور بمعونة مخ الإنسان — أعظم أسلحة الإنسان. فقد قضت الحيوانات دهوراً طويلة حتى صار لها أجنحة ، بيد أن الإنسان غزا رحاب الفضاء فى ثلاثة أجيال . وبفضل مخ الإنسان اتسع مدى حواسنا اتساعاً لم يخطر لنا فى حلم ، فنحن نستطيع أن نرى المتناهىَ فى الصغر والمتناهىَ فى البعد جميعاً . وقد اختصرنا المسافات حتى صارت كأنها ليست شيئاً مذكوراً ، وصفّدنا الوقت حتى كأنه لا يتحرّك .

بيد أن هذه القوة الفكرية الطيّعة ، تزيد التبعات الملقاة على كواهلنا . فنحن أحرارٌ فى أن نمضى قُدُماً أو أن نورد أنفسنا موارد الهلاك . إن كثيرين من الناس ينظرون إلى المخترعات الحديثة كأنها دلائل الحضارة الحقة ، بيد أن مثلنا الأعلى ينبغى أن يكون كرامة البشر لا راحتهم . وإذا لم يخضع العقل للضمير ، أساء البشر الاختيار بين الخير والشر . فالعقل يشير بالمطابقة للمألوف والملاءمة والتراخى ، ولن يشير بالثورة والمقاومة والتطوّر . وإنك لا تجد فى تاريخ البشر رجلا ذهب شهيدَ الرأى المتزن . ولذلك ترى الذكاء وحده خطراً ، فهو وحده الذى صنع القنبلة الذرية . وإذا الناس يدركون أن ظفر العلم يهدّد أمنهم وسلامهم ، فصار الصراع بين الذكاء والمبادىء الأخلاقيــة مسألة موت أو حياة للناس .

ومما يؤسف له أن هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدّون الإنسان حيواناً راقياً لا أكثر ، ولذلك تراهم لا يتبينون سوى حلول حيوانية لمشكلات البشر . فهم فى ميدان السياسة يريدون أن يجندوا الناس ويعبئوهم كالحشرات ، وقد فعل الطغاة ذلك فى أرجاء واسعة من سطح الأرض ، منكرين على الإنسان أية قيمة أو عمل يفوق عمل اليعاسيب العاملة فى خلية النحل . بيد أن إرادة تلك القوة التى يسمونها « عدو المصادفة » ثم نهج التطور العظيم ، يقتضيان أن يبقى الإنسان حرّاً لكى يتطور فى مدارج الارتقاء ، لا أن يُسام الخسف والتسخير . فينبغى أن نجلّ الشخصية البشرية ، لأنها تعمل للتطور وتجرى طوعاً لإرادة الله .

وقد يسألك كثيرون : « إذا كنت تؤمن بوجود الله ، فكيف تراه يأذن بكل هذه الشرور التى تعيث فى الأرض ؟ » ، وهذا السؤال يدل على أن النظرية الجديدة قد أسىء فهمها . ففى بدء التطور كان التقدم كله يتم بإرادة الله وحدهُ . أما اليوم فقد جعل الله للفرد أثراً فى التطور ، فإنه سبحانه يوم وهب الإنسان ضميراً وإرادة حرة ، نفخ فيه من روحه .

وهذه الحرية التى وهبها الله لعباده حقيقة

واقعة يتعالى الله سبحانه عن الحد منها . وإذا سلمنا بأن هنــاك قوة عليا خلقت نواميس الحياة ، فينبغى أن نعلم أن هذه القوة الخالقة لن تحول دون تنفيذ هــذه النواميس . فالطبيعة ليست متهافتة غير متماسكة ، ولكن الإنسان جاهل — ولا يزال الطريق أمامه طويلا .

ومن هنا ترى الرجل الذكى محيراً لأنه لا يستطيع أن يدرك الله الذى لا تدركه الأبصار على صورة يفهمها : أهو جبار ذو لحية على صورة الإنسان ؟ فى هذا العصر عصر العلم ، يسهل الرد على السؤال . فمنذا الذى يستطيع أن يتصور الإلكترون ؟ وكل عالم يقول لك إن الإلكترون شىء لا يمكن تصوُّره ، ولا يسعك أن ترسم شكله ، وليس ثمة رجل قد رآه . فالإلكترون الذى لا يُرى موجودٌ وإن تعذَّر علينا أن نتصوَّره ، فما ظنك بالله الذى لا تدركه الأبصار ، والذى ليس كمثله شىء .

كيف يستطيع المرء من الناس أن يساهم فى التطوُّر المقبل ؟ إننا نعرف قوانين الأخلاق وفى وسعنا أن نلتزمها . وأهم من هذا أننا نستطيع أن نعود إلى العادة القديمة ، عادة تهذيب الشباب وتقويم أخلاقهم . فالكفاح من أجل المستقبل ينبغى أن يبدأ فى المدرسة ، لأن التعلم سلاح من أسلحة التطور ، ولو علِّم الحقُّ فى جميع مدارس الدنيا لما قامت الدول الطاغية الجامعة .

ونحن نرى صغارنا اليوم يحشون عقولهم بتفاصيل لا تجدى ، أما الأخلاق التى لا غنى عنها فيمرُّون بها مرَّ الكرام ، فكأنك تعلم الزرَّاع أن يزرعوا الأزهار دون أن تعلمهم كيف يحرثون الأرض . فلِمَ لا يفكر أحدٌ فى تعليم الخلق للصغار ؟ إن العالَمَ كلَّه ليدرك حقًّا عظمة المزايا التى تعود عليه يوم يكون أكثر سكان الدنيا أهلا للثقة .

إن ناموس التطور ، هو اليوم كما كان منذ الأزل ، كفاحٌ نحو العلى ، والكفاح لم يفقد شيئاً من حدَّته وعنفه ، لأن ميدانه قد انتقل من المادة إلى الروح . ففى البشر نفحة من روح الله ، ونحن أحرارٌ فى أن نهملها أو نخمدها ، أو أن نقترب من عرش الله بما نبديه من رغبة فى طاعة أمره .

لم يكتب دى نوى كتابه للمؤمنين الصادقين ، بل هو يوجــه الخطاب إلى المتشككين والمرتابين ، وإلى ملايين من النـاس يبلغ منهم القنوط مبلغاً يحملهم على التساؤل : ألهذه الحياة معنى ؟

إن مؤلف « مصير البشر » يُهدى إلى نفوس هؤلاء القانطين شجاعةً وأملاً .

طعام للوحش

فرانك بك بمعاونة فرين فريزر

مختصرة من كتاب "ظفر وناب"

أمامنا كلب ضئيل أصفر ، فرأيت في عيني صاحبي جونسن نظرة الجد الصارم يشوبه شيء من الحنان ، وإذا هو يقول : « أتريد يافرانك أن تذهب معي إلى مزرعتي فتصيد فيها بَبْراً ؟ »

كنا جالسين على شرفة نادي الجولف في سنغافورة ، وأمامنا سفينة بريد مثقلة بالأغنام قادمة من أستراليا .

فقلت : « أذكرك هذا الجرو من الكلاب بالببر ؟ إنه لشيء عجب ! »

فقال : « هو ما تقول . فإذا أردت أن تصطاد بَبْراً فهيَّا معي . . » وأخرج من جيبه سيجاراً وناولني إياه . ثم قال : « أتعرف ديك سكوت ؟ فقد كان له ولدان ، فخطر له أن يقتني لهما كلبـاً . فلما ذهب في إجازته الأخيرة إلى أستراليا جاء بكلب ألزاسيٍّ قوي أغبر مشيق البدن كأنه ذئب ، وأطلقوا عليه اسم « بنجي » . فلما شب صار كلباً عجيباً دَمِثاً أنيساً ، فكان رفيقاً للصغيرين ، وكلب حراسة لا يجارى » .

فقلت : « إنك تروي القصة كأنها شيء كان ثم مضى » .

فأجال جونسن نظره في السفن التي كانت في الميناء وقال : « نعم ، وسبب ذلك هو هـذه السفن . فالناس يأخذون هذه الأغنام بعـد وصولها ويربونها في المراعي القريبة من منزل ديك . وقد اتفق ذات ليلة أن ذعر القطيع ، فلما أصبح الصباح وجدوا ستة من الأغنام قد مُزِّقت رقابها » .

« أهو بنجي إذن ؟! »

« نعم ، كان ذلك من فعله ، وليس في ذلك ريب . فقد علقت به نتف كثيرة من صوفها ، وكان الدم يغطي فمه ، وكانت السلسلة التي يربط بها مقطوعة . فلم يسعهم بعد ذلك إلا أن يربطوا بنجي بسلسـلة لا يقوى النَّمِـر على كسرها .

« بيد أنَّ بنجي كان كلباً قوياً ، وقد طعم دم الغنم ، فصدع السلسـلة ذات ليلة فأهلك في تلك الليلة عشرة أغنام أو أكثر . فكان ذلك قاصمة الظهور ، فديك لا يريد في بيته كلباً فتاكا ، فأخذ بنجي في مساء ذلك اليوم ، وجاء به إلى الفنـدق حيث كنت مقيما .

« وساعة دخلت حانة الفنـدق رأيت

بنجي أول ما رأيته ، فقد كان ديك هناك يحتسي كأساً ، وكان الكلب جاثماً عند قدميه ، فلم تكد عيني تقع عليه حتى رأيت كلباً جميلا فأعجبت به ، وإذا ديك يقول : « هو لك إذا أردته . إنه كلب فتاك ، وقد اضطررت أن أوفي ثمن ١٨ رأساً من الماشية فتك بها ، ولا أنوي أن أتكلف من أجـــله فوق ما تكلفت » .

« وأنا أيضاً كنت غير راغب في أن أقتني كلباً فتاكا ، ولكنني تذكرت فجأة شيئاً يصلح له . فقلت : « لقد اتفقنا ، هو كلبي منذ الساعة » .

« فأسلمني ديك زمام الكلب دون أن ينبس بكلمة ، ورفع الكلب نظرهُ إلى ديك أولا ثم إليَّ ، فلم أجد في نظرته معنى التعنيف لصاحبه الأول ، وإنما وجدت معنى التساؤل . فلما انصرفت انقاد لي بغير مشقة ، بل فعل ذلك كأنهُ مرتاحٌ إلى ما تمَّ » .

ثم توقف جونسن ، وبعد هنيهة من الصمت استأنف الكلام دون أن ينظر إليَّ فقال : « أتعلم لِمَ أردت بنجي ، يا فرانك ؟ أردت أن أجعله طُعْماً للببر .

« قلت لك إنه كان في مزرعتي ببرٌ مخوف . وأنت تعرف أيضاً ما تلقاهُ من مشقة ومماطلة إذا أردت أن تظفر بترخيص لتقتل أحد هـذه الوحوش . ولكن ليس في القانون ما يمنع أن تصيد أحدها حيًّا ، فلذلك بنيت شركا للببر من كتل الخشب ، وبقي عليَّ أن أظفر بطعم جيد — مخلوق يستطيع أن يملأ الليل صياحاً ، فعزمت أن أجعل هذا الفاتك طعماً للببر .

« وينبغي لك أن تعلم يا فرانك أن عيني لم تقع على هذا الكلب من قبل . وقد كنت أظنُّ أنه شرس ، فلما سار معي عسر عليَّ أن أصدِّق أن هذا المخلوق الوديع الودود يفتك بالأغنام حقاً . وأنت تعلم أن مزرعتي تبعد عن النهر ثمانية أميال أو نحوها فلما حاذينا ضفة النهر ، لم آلف نفسي مضطرًّا أن أتودّد إليه حتى يقفز إلى الزورق ، بل قفز إليه من تلقاء نفسه كأنه يثق بي — أو كأنه كان يتمنى منذ زمان طويل أن تتاح له نزهة كهذه النزهة . وجعل ينبح الأمواج ، وتلقى في شدقه قليلا من زبدها المتناثر ، ثم إذا به يدسُّ أنفه تحت يدي ويرفع بصره إليَّ كأنه يريد أن يقول : « إننا نستمتع بما نحن فيه ، ألا توافقني » .

« وجلست إلى مائدة العشاء وجثم هو على الأرض ينظر إليَّ ، لم يكن يطلب طعاماً — بل كان يرجو أن يُعطى طعاماً وحسب . وأظن أني ألقيت إليه ببضع كسر من الطعام ، وهو شيء أنفر منه وأنا على

المائدة ، بيد أنه جال فى خاطرى أنه كلب قد دنا أجلهُ ، والمجرمون الذين دنت آجالهم يعطون الطعام قبل ساعة القتل . ثم سرنى أن أرى فى عينيه معنى الشكر كلما التقط كسرة من طعامه . ثم خرجت إلى شرفة الدار وأشعلت غليوناً وجلست أنظر إلى كواكب السماء . وإذا برأس الكلب على ركبتى . لم يسألنى أن أدلله ، وكل ما صنع هو أنه ألقى رأسه الكبير على ركبتى دليلا على ما فى قلبه من الودّ . فهببتُ إلى قدمىَّ ودعوت خادمى وقلت : « تعال ، سنذهب معاً لنضع الطعم فى الشرك » .

« أما بنجى فمضى معنا طائعاً مرتاحاً ، فكأنه كان مغتبطاً بهذه النزهة التى لم يتوقعها فى الغابة ، وكنت أرى ومضة من شعر ذيله وهو يحركه فى الحين بعد الحين ، وقد انطلق يتشمم ما بين الأعشاب . وظنى أن هذا خير ما يحبه الكلب ــ أن ينطلق حرًّا على سجيته ، على أنّ يكون من ورائه صاحب يناديه باسمه فى ظلام الليل . وأخيراً وصلنا إلى الشرك ، وأنت تعلم أى ضرب من الشراك هو ــ شرك متينٌ مبنىٌّ بكتل الخشب ، وله باب يسقط فيسد المدخل إذا ما تحرك السّناد الذى ركب عليه . ولم يدرك بنجى أن فى الأمر شيئاً غريباً إلا بعد أن شدّ الخادم وثاقه فى القفص ، فجعل يعول عويل الطفل الصغير .

« وجعلت أناجى نفسى وأنا عائد إلى دارى : « إن بنجى كلبٌ فتاك ــ كلبٌ مجرم ، وديك نفسه كان قد عزم على رميه بالرصاص » . وكان عويل بنجى يترامى إلىَّ ، فقد اشتدَّ صياحه . وقال خادمى : « الكلب خير طعم للببر . فالببر قادم الليلة لا محالة » ، فلم أجد فى قول خادمى راحة ولا رضى ، فقد تركنا هذا الكلب الألزاسىَّ الجميل وحده ، وفى مكان على مقربة منه ببر يستطيع أن يخرسه بلطمة واحدة !

« وأويت إلى فراشى ولكن النوم جفانى ، وقد توالت على خاطرى أفكار غريبة ، ورأيت بينها ذلك الكلب العظيم بعينيه الشهلاوين وأنفه المغضَّن وكفّيه الكبيرتين الدافئتين وقد ألقاهما على ركبتى ، فجعلت أفكر فى الأمر : ليس فى بيتى كلب ، وقد يكون بنجى كلباً يفتك بالأغنام ، ولكن ليس فى مزرعتى أغنام يفتك بها ، فلِمَ لا أحتفظ به ؟

« عجباً ما أسرع ما يغير الإنسان رأيه ! فقد كنت حتى الساعة لا أفكر إلا فى أن أوقع الببر فى شركى ، بيد أن شعوراً آخر قد ساورنى الآن ، سمّه ما شئت : الحنان ، أو قل هو ذكرى أنفه الرطب على ركبتى

ونحن فى السيارة ، أو لهفته على إرضائى ساعة كنا فى الزورق ، أو تلك النظرة فى عينيه وهو جاثم عند قدمىَّ ، أو سمه محبة الكلاب وحسب . وعلى كلٍّ فقد أيقظت الخادم وقلت له : « هيَّا بنا ننطلق لنخرج الكلب من الشرك ، فعدونا نصف ميل حتى بلغناهُ . وإذا كنت ممن قد اقتنى كلباً ، كان فى وسعك أن تدرك كيف كانت لهفتى .

« فلما دنونا من الشرك لم أسمع نَبْأة من صوت ، فظننت أن البر قد فتك به ، ثم سمعت عويلا خافتاً — كعويل طفل فى المهد إذا تركته وحده . ثم رأيت أمامى بنجى ، وأنفه الأسود يلمع من بين قضبان الشرك ، وعيناه مسدّدتين إلى نور المصباح وفيهما بريق ، وكان فى حركة ذيله الأغبر مودة وثقة ، فكأنه يقول : « لقــد طالت هذه الملهاة ، فلنجرب أخرى » ، فلما فاك وثاقه وانطلق ، لم يثب إلىَّ وثباً ، بل أقبل يعدو ، وفى عدوه لهفة المودَّة ، فكان ذيلهُ يتحرَّك ولسانه الأحمر قد تدلى . فقلت : « تعال ، إننا عائدون إلى البيت يابنجى » ، فانطلق يعدو فى الطريق الذى سلكناه كما فعل حين جئنا به ، يتشـمَّم هنا وهناك ، فآونة يبعــد وآونة يدنو حتى يصير عنــد قدمىّ يشمّ الأرض التى أطـأها — إنه لكلب أصيل .

وإذا حادث قد حدث — حدث بسرعة عجيبة وعلى قيـد أنملة منى حتى لعجزت أن أرفع المصباح بيدى لأرى حركة اندفاع فى الظلام . وقد رأيت رمحين من العاج يبرقان فى الظلام ويقبلان علىَّ — رمحان محدودان كالإبر ! فقد وطئت قدمى حمى خنزير برّى يحمى أنثاه وصغاره . فهذا وحشٌ ضخم ضار يهمُّ أن ينقضَّ علىَّ !

وليس فى الوقت فسحة لأرفع بندقيتى ، فقد كان كلُّ ما حدث مباغتاً ، وإذا ومضة غبراء كالشهاب تنطلق من الظلام ، وسمعت الخنزير يخور من هول الصدمة . ورأيت نابين لامعين يغوران فى الظلام ، ثم سمعت بنجى يصرخ صرخـة الألم ، تليهـا زمجرة خافتة وحشية — زمجرته حين ينقضُّ على الأغنام .

وقد رميت الخنزير برصاصى ، ثم وجدت بنجى — وقد أغمد النابان فى صـدره ، ولـكن أنيابه القوية البيض كانت ناشبة فى زَوْر الخنزير .

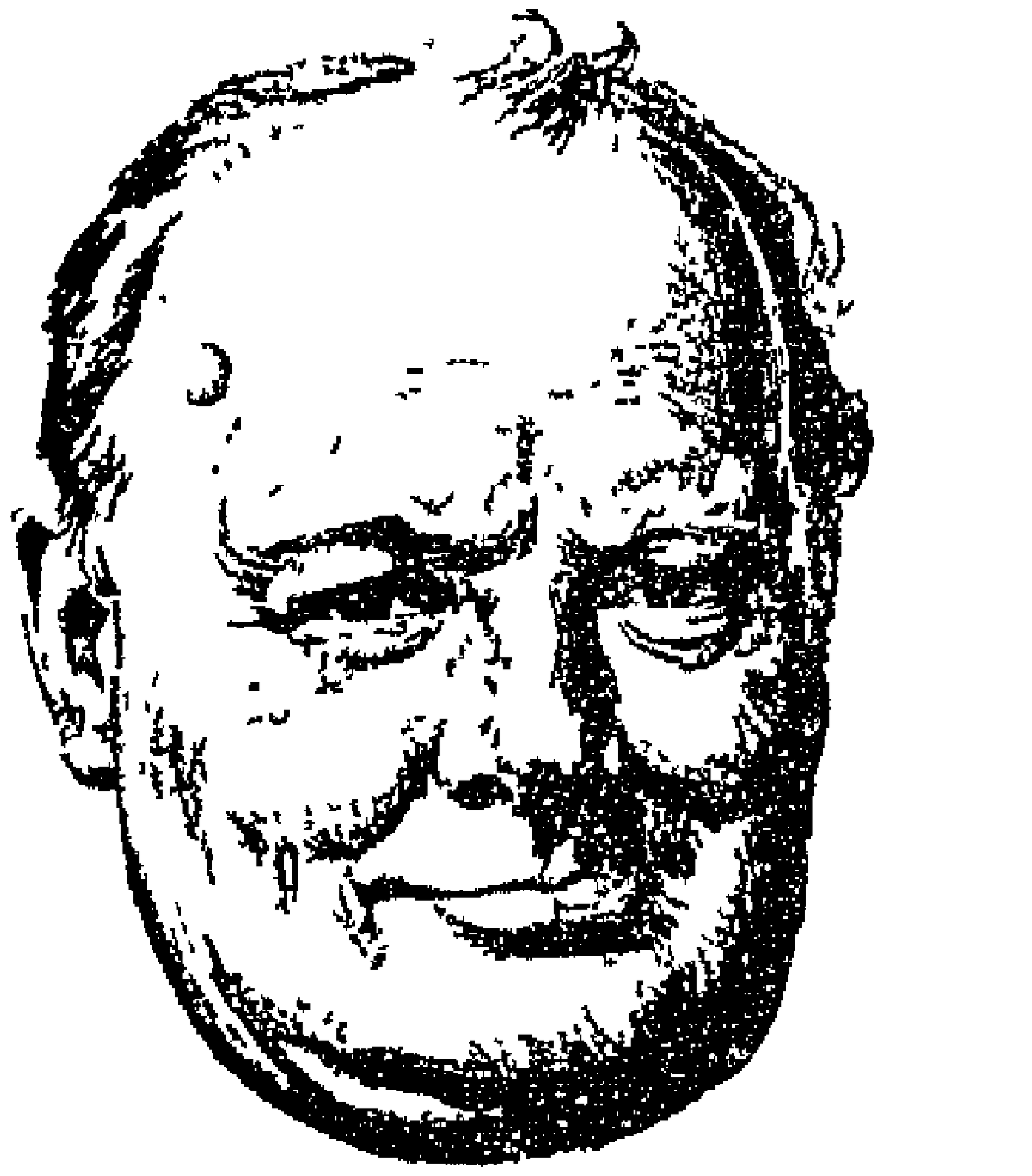
أحسست أنى عائدة من جنازة سعادتى

[المـازنى فى « أخبار اليوم »]

طريق المستقبل

وستن تشرشل

مختصرة من مجلة "كوليرز"



أشهر شيوخ الساسة في العالم
يصف خطته لقيام عالم يسوده السلام

مرّت ثماني سنوات منذ كتبتُ عن « الولايات المتحدة الأوربية » ، وقد وصفت يومئذ المحنة الأليمة الخطرة النازلة بقارة أوربة التي تمزقها أسباب الشحناء القديمة ، وتثيرها النعرة القومية الحديثة، وتقطع أوصالها الحواجز الجمركية ، ويخيم فوقها ظلّ محور هتلر وموسوليني ، والتي نهكت قواها حرب عالمية سابقة ، ويستبد بها الخوف من حرب أخرى .

وهأنذا أعود اليوم إلى الكتابة في الموضوع نفسه ، والدعوة إلى الرأي ذاته . وقد ظننت منذ ثماني سنوات أن حجتي لا تردّ ولكنها ذهبت عبثاً وسدًى ... ففي بحر سنة ونصف سنة ، دفعت أوربة إلى تنّور حرب أفظع وأشد تدميراً من كل حرب خاض البشر غمارها ، ثم إن هذا النزاع الأوربي شمل العالم بأسره .

وليس ثمة ريب في أن المشهد الذي نراه اليوم يشبه من نواحٍ كثيرة مقلقة ما كنا نراه في سنة ١٩٣٨ . والحق هو أن شعوب أوربة قد تردّت اليوم في هوة الشقاء تردّياً لا يكاد يقدر، فملايين من بيوتهم قد دمرت، وقد مزق بعضهم بعضاً تمزيقاً أفظع وأعم ، وتوسلوا بأسلحة أكثر وأفتك . ولكن أتراهم وجدوا السلم الوطيد الدائم ؟ أصار الإخاء بين البشر أدنى مما كان ؟ أعاد إلى القانون سلطانه ؟

كلا وا أسفاه ، فأحقادهم القديمة لا تزال تستعر ولهيبها لا يزال يضطرم، برغم ما منيت به بلاد أوربة من نقص محزن في مواردها ، ومن ضعف في نشاطها وحيويتها. وهذه هيا كل محمومة العيون مسمومة النصال ، تحملق بعضها في بعض فوق أكوام من الأنقاض والرماد كانت فيما مضى دولاً ذات سلطان وحضارة . أما لهذا البلاء من آخر ؟ أمقضيٌّ

علينا أن نهوى رويداً رويداً فى مهاوى العذاب الذى لا يحد إلى درك الجاهلية الأولى؟ أم فى وسعنا أن نتجنب هذا المصير ؟

وقديماً قالوا إن أسيراً إسبانياً ظل سنين يذوى ويذوب حنيناً إلى الحرية ، وفى ذات يوم دفع الباب فانفتح ، فقد كان مفتوحاً لم يوصد قط ، فخرج حرًّا طليقــاً . وإن فرصة كمثل هذه الفرصة متاحة اليوم لشعوب أوربة ، أتراهم ينتهزونها ؟ أو يتاح لهم أن يفعلوا ؟ وهل يجدون متسعاً من الوقت ؟ إن قلب رجل شيخ ليخفق رحمة لهؤلاء القوم المساكين . ما أطيبهم ! وما أرقهم ! وما أكرمهم ! وما أسرع بعضهم إلى نجدة بعض وهم فى قراهم ! وما أقدرهم على التقدم المتواصل والتحسن الذى لا يحدُّ ! وها هم يجدون اليوم على أعتاب أكواخهم : العلم والاختراع والتنظيم والمعرفة — والسلطان أيضاً .

لقــد أعلن الرئيس روزفلت الحريات الأربع ، وأكبرهنّ التحرُّر من الخوف ، وهذا لا يعنى التحرر من خوف الحرب وحسب بل أخطر من ذلك شأناً وأوقع فى النفس : الخوف من دقة الشرطى على الباب ، فيدخل ويأخذ العائل أو الابن أو الصديق الصدوق ويلقى به فى الظلمات ، دون أمل فى ردّ الظلم أو فى الظفر من الدولة بعدل . وهــذه هى الأحوال التى تسود معظم أوربة اليوم .

ومع ذلك ففى الوسع أن يكون لــكل هذا آخر . وكل ماينبغى لمئتى مليون أو ثلاثمئة مليون من أهل أوربة هو أن يعزموا على أن يصيروا أحراراً سعداء ، بأن يصبحوا أسرة واحدة متآزرة من الأمم ، من المحيط الأطلسى إلى البحر الأسود . نفضة واحدة من العزم ، وإذا باب السجن ينفتح على مصراعيــه ، فيخرج الأسرى إلى الشمس المشرقة على عالم يغمره الفرح والغبطة . ولست أخفى عن القارىء أننا فى حاجة إلى عمل علوىٍّ ، ولــكنه عملٌ بسيط ، قف على قدميك ، ولــكن لنقف جميعاً دفعة واحدة.

وفرنسا هى البلد الذى ينبغى أن تصدر عنه هذه الإشارة ، وأول ذلك أنه يقتضى منها غلبة على النفس أنبل وأعظم من أى شعب عظيم آخر يتقدم لــكى يتولى هذه الزعامة ، والثانية أنه لا يسع فرنسا أن تستعيد مجدها الحق ومنزلتها بين الأمم بطريق غير هــذا الطريق . فعــلى فرنسا الآن أن تأخذ بيد الشعب الألمانى وترده إلى إخاء البشر وأسرة الأمم . وما النصر إلا أن تحوز القدرة على أن تعفو عن المغلوب وترشده ، وهذه هى الغنيمة التى يتألق بريقها أمام عيون الشعب الفرنسى فى هذه الساعة الخطيرة من ساعات تاريخهم الطويل .

وإنه ليشجعنى على هذا الرأى صوت رجل مشهور ينبعث من أعماق الماضى . ففى سنة ١٨٧١ ، كانت نار الحرب مستعرة بين الجمهورية الفرنسية وألمانيا ، فإذا فيكتور هوجو يقول: «وسوف نسمع فرنسا تصيح: هذا يومى. فهل أنا عدوك ؟ كلا! أنا أختك فقد استعدت كل شىء ، ولكننى أعيده كله على شرط واحد: أن نكون شعباً واحداً متحداً ، وأسرة واحدة، وجمهورية واحدة. سأدمر حصونى ، وتدمرين حصونك ، إن ثأرى هو الإخاء . فلتمح الحدود ، وليكن الراين نهراً لنا جميعاً ، أعطونا الولايات المتحدة الأوربية، اتحاد القارة، حرية أوربة» .

ولكن هذه الرسالة التى تشق حجاب الغيب لم تلق أذناً مصغية ، وسارت الحوادث فى اتجاه آخر. وقد ابتلينا بحربين رجتا العالم كلهُ ومزقتا أوصاله ، ونحن نسمع اليوم حديثاً عن حرب ثالثة تقضى على البقية الباقية من حضارتنا وإنسانيتنا .

إن رجاء البشر معقود بهيئة الأمم المتحدة. وإنشاء هيئات أو اتحادات إقليمية تحت هيمنة الهيئة العالمية العليا ، أمرٌ يتطلع إليه الميثاق بل يحث عليه ، فينبغى لنا أن نعلم الآن أن الهيئة العالميـة تعجز عن القيام بمهمتها بغير هذه الاتحادات الإقليمية .

وحين تؤلفُ أمة ما ، أو عصبة من الأمم المتحالفة ، جيشاً عظماً ، يكون لهذا الجيش مقرٌّ قيادة عامة، ولكن من الذى يستطيع أن يزعم أن القيادة العامة تستطيع أن تعالج مباشرة شئون جمهرة من الكتائب والفرق ولكل منها قائدها الذى يطالب بكل ما تحتاج إليه لإنجاز المهمة الخاصة بها ؟ وكل إنسان يعلم أنه لابد من إنشاء جماعات من الجيوش وفيالق، لكل منها هيئة أركان حربها المنظمة ولكل سلطانها ، وأن هذه الهيئات وحدها هى التى تستطيع أن تنفذ أمر القائد الأعلى، فيكون لإدارته أثر قوى فى سير الحرب . ولولا هـذا النظام لعجزنا عن تولى مهامِّ الحروب العظيمة على وجه مجدٍ موفق .

فللأسباب نفسها ترى هيئة السلام العالمية خليقة أن تتهاوى أنقاضاً أو أن تتبخَّر كلاما أجوف، إذا لم تنشأ هذه الهيئات التى تتوسط بينها وبين الشعوب أنفسها . وأى شىء أدنى إلى العبث والإخفاق من جماعة من الدول الصغيرة تتحكم فيها بضع دول كبيرة تثرثر بألفاظ الوحدة العالمية، وتعمل جميعاً لخدمة المصالح الخاصة، ثم تجتهد أن تظفر بالأصوات لإفراز ماتريد ؟

والحقُّ أنه قد تمّ تقدم عظيم فى إنشاء هـذه الكتل الثانوية القوية ، ونحن نرى بأعيننا اليوم أن هذه العُمُد التى يقوم عليها صرحُ العالم ، إنما هى حقائق شامخة

إلى العلى . فثمة الولايات المتحدة الأمريكية داخل جماعتها الكبيرة التى تضم أمم الشق الغربى من الأرض ، وهناك اتحاد السوفيت ومن حوله الجماعات السلافية التى تؤاخيه ، وهناك الإمبراطورية البريطانية وجامعة الأمم البريطانية منتشرة فى أرجاء الأرض تؤلف بينها آصرة من التعاطف .

ولا بد لنا من أن نتطلع إلى قيام جماعة أسيوية تعتز بروح آسية وتنميها ، ففى الشرق الأقصى شعوب زاخرة العدد ، تراها اليوم متردية فى هوة الهزيمة والفوضى الداخلية ، بيد أنها ستعرب يوماً ما إعراباً صادقاً عما فى ضميرها .

فلِمَ لا يكون بين هذه العمد مكان لأوربة — القارة الأم ، الينبوع الذى لم يكن كل ماتفجّر منه هو مصائبنا وحسب ، بل الينبوع الذى تفجرت منه أيضاً أعظم طائفة من أمجاد الحضارة الحديثة ؟

ولأبسط هنا ما ينبغى لنا أن نفعل . ينبغى لأمم أوربة أن تتعلم أن تدعو نفسها أمماً أوربية ، وأن تعمل على هذا الأساس على قدر مالها من سلطان سياسى ونفوذ وحرية . فإذا ما سادت الفكرة الأوربية بين الذين يعنيهم الأمر ، تفتحت أمامهم سبل كثيرة للعمل .

فأول ما ينبغى أن ينشأ مجلس أوربة ، وينبغى لهذا المجلس أن يسعى إلى أن يجعل التجارة بين أعضائه أعظم ما تكون حرية وثمراً ، وأن يعمل على إلغاء الحواجز الجمركية بين الدول الممثلة فيه أو خفضها على الأقل ، وأن يجاهد ليجعل الائتلاف الاقتصادى تمهيداً للوحدة الاقتصادية . ثم ينبغى لمجلس أوربة أن يتطلع إلى نوع من الدفاع المشترك يستطيع أن يحفظ النظام ويتيح لأعضائه أمناً متبادلا ، ويمكن أوربة من أن تشترك اشتراكا نافذ الأثر فى قرارات هيئة الأمم المتحدة .

والسعى إلى توحيد النقد شىء لا يمكن أن ينفصل عما تقدم . ومن محاسن الحظ أن قطعة النقد لها وجهان ، فأحدها ينقش عليه الشعار القومى ، والآخر ينقش عليه الشعار الأوربى . أما طوابع البريد ، والجوازات ، ووسائل الاتجار ، والاجتماعات الأوربية من أجل الثقافة أو التآخى أو الإحسان ، فتنحدر تحدراً طبيعياً من الاتفاق الأصيل .

فإذا عجزت الحكومات فى أول الأمر عن أن تعمل عملا رسميًّا لتحقيق هذه الأغراض ، فينبغى أن تقوم هيئات شعبية قوية تتولاها . وليس ثمة ما يحمل على الظن بأن الحكومات القائمة تعارض هذا ، وإن كانت عاجزة عن المبادرة إليه . وقد صرح

المستر أتلي رئيس الوزارة البريطانية : « ينبغي لأوربة أن تتحد أو تهلك » . وكبار القابضين على زمام السلطان في أوربة أو خارجها يرون الرأي نفسه . وقد بدأت بلاد البلجيك وهولندة ولكسمبرج ، منذ الآن تنفذ هذا الرأي دون ضجة أو إعلان.

وقد كثر الكلام عن « الكتلة الغربية »، بيد أن إنشاء « كتلة غربية » مشروع ضيق النطاق لا يفي بالغرض . وليس ثمة شيء يستطيع أن يولد القوة الدافعة اللازمة للبقاء ، سوى فكرة « أوربة » و « النزعة الأوربية » . ومن الجائز أن لا تكون كل دولة قادرة أن تنضم إلى هذا المجلس من فورها ، ولكن لابدّ من أن نخطو الخطوة الأولى . ولا بدّ أن تكوّن النوّاة ، حتى يتاح لمن يريد أن ينضم إليها ساعة يلفى نفسه راغباً في ذلك أو قادراً عليه . فلهذا الهدف من القوة والسلطان ما يجعل تحقيقه على التدريج أمراً مستطاعاً .

وقد قيل لنا إن فكرة أوربة الحرة المجدّدة ، هي فكرة مناهضة للسوفيت في صفتها وغرضها وأثرها . وهذا غير صحيح . فليس في الولايات المتحدة الأوربية شيء تخشاه شعوب روسيا وآسية المنضوية تحت لواء الاتحاد السوفيتي ، بل فيه نفع كبير تجنيه ، وبخاصة لأن هاتين الطائفتين من الشعوب منضويتان تحت لواء هيئة الأمم المتحدة، وينبغي أن تكونا مخلصتين لأحكامها. والكتلة العظيمة التي هي روسيا السوفيتية، لن تتمكن من أن تتيح لشعوبها حياة أفضل من حياتهم إلا عن طريق الحافز الموحِّد الذي تلده التجارة العالمية والاتصال بين شعوب العالم .

وإنه ليهول المرء أن يسمع أحدهم يقول إن القنبلة الذرية في يد الولايات المتحدة الأمريكية ، هي خير ضمان للإنسانية يوقيها شر حرب عالمية ثالثة . ومع ذلك فأظنه قولا حقاً ، فبين شعوب الأرض فروق أعظم مما كانت بينهم في الحروب الدينية في عهد الإصلاح في أوربة ، أو في وجوه النزاع السياسي والاجتماعي الذي أعقب الثورة الفرنسية ، أو في صراع القوة مع ألمانيا الهتلرية الذي انتهى منذ زمن يسير . إن الهوة بين الشيوعية من ناحية ، والحضارة الأوربية من ناحية أخرى ، لهي أوسع وأعمق ما عرفه البشر في تاريخهم .

ووراء الشيوعية ترى القوة العسكرية الروسية التي تعد قوة ساحقة ، إذا اقتصر النظر على أوربة وحدها . وهذه القوة في قبضة ثلاثة عشر رجلا أو أربعة عشر رجلا كلهم قادر مقتدر. وليس في وسعنا أن نقيس مبلغ ما يتعرض له هؤلاء الرجال من ضغط

فى بلادهم ، ولا نستطيع أن نعرف مبلغ انسياقهم لأطماع جائرة تدفعهم إلى غزو العالم. فنحن نواجه رأياً وسيفاً فى وقت واحد .

ولو كانت المسائل العالمية المطروحة للبحث الآن مما يمكن أن تفصل فيه جيوش البر وحسب، لكان مستقبل الديمقراطيات الغربية بل مستقبل الحضارة الحـديثة ، مستقبلا قاتماً حقاً .

والقنبلة الذرية هى العامل الجـديد فى توازن القوى ، وكل إنســان يعلم أنها لن تستخدم إلا دفاعاً عن النفس ورداً لأذى مميت . وما دام هذا السلاح الأعلى فى يد الولايات المتحدة وحدها ، فأغلب الظن أنه سوف تتاح للعالم فسحة من الوقت للتنفس . ولسنا ندرى كم تطول ، فلنكن على ثقة من أنها لن تضيع هباء .

وإذا استطعنا أن نبعث فى هذه الفسحة حياة أوربة ووحدتها وثقافتها ، ثم نستعين بما بعثنا على تشييد صرح عالمىّ متين باذخ للسلام لايجرؤ أحد على أن يتحداه ، فيومئذ نخلف وراءنا أفظع أزمة فى التاريخ، ونستقبل طريق المستقبل الممهد أمامنا .

أومن أعظم الإيمان بالحظ ، فعلى قدر
مايزداد اجتهادى فى عملى يزداد حظى .
[ف . ل . إمرسون]

جاء على لسان أحد المهرجين الحكماء أنه يولد فى كل دقيقة مخلوق مغفل ، فلو علم ماوقع فيه بعض الأمريكيين لغيرّ رأيه ، ولزاد فى تعداد الذين يولدون من المغفلين كلّ يوم . فقد كشفت مصلحة البريد الأمريكية منـذ عهد قريب عن خطة شيطانيـة لابتزاز أموال المغفلين من الناس . ذلك بأن أحدهم نشر إعلاناً فى الصحف هذا نصه : « آخر فرصـة تتاح لك كى ترسل ريالك إلى صندوق البريد رقم ١٠٦ » ولم يزد عليه حرفاً واحداً . ومع ذلك فقـد وقع مئات من المغفلين فى هذا الشرك ، فأرسلوا ريالاتهم إلى هذا العنوان دون أن يدور فى خاطرهم أن يسألوا مَنْ يجمع هذه الريالات وفى أى سبيل ينفقها . أما صاحب الإعلان فقد أخذ الريالات .

[مجلة « تدبير المنزل »]

أعِلمٌ أم وَهمٌ ؟

(١) إذا تركت الشعر زمناً طويلا فى الماء صار دوداً .

خطأ : ولعل مرجع هذا الوهم إلى أن الماء الراكد يصلح لنمو ضروب البكتريا والعفن والديدان الخيطية وغيرها من الأحياء الدقيقة ، وبعضها يشبه الشعر .

(٢) الضفادع تشرب الماء بجلدها .

صواب : فالضفادع تستطيع أن تمتص الماء بجلدها ، بل تستطيع أن « تشرب » الماء من ورقة نشاف مبلولة .

(٣) النملُ تشمّ أحيانا بقوائمها .

صواب : يظن علماء الحشرات أن النمل تستطيع أن تهتدى بأرجلها إلى رائحة درب تسير عليه ، وتستطيع أيضاً أن تتبين الروائح بطائفة من مفاصل قرونها ، ولكن إقامة الدليل شىء مستحيل .

(٤) يعتقد الناس أن العقبان تخطف الصغار .

خطأ : فقد عنيت جمعيات علوم الطير بتتبع الروايات التى نشرتها الصحف فى هذا المعنى فى السنوات العشرين الأخيرة ، فأثبتت أن الروايات وصورها ملفقة .

(٥) للقمر تأثير فى نموّ الخضر .

خطأ : ليس فى وسع النبات أن ينتفع بالضوء المعكوس عن سطح القمر فى تركيب مواد الطعام كانتفاعه بضوء الشمس ، وذلك لأن ضوء القمر ضعيف لا يغنى . أما وجوه القمر فليس لها تأثير فى المحاصيل ولا فى حالة الجوّ .

(٦) البغال لا تلد .

خطأ : البغال حيوانات خلاسية ، فهى لذلك عقيمة لا تلد فى الأغلب الأعم ، ولكنّ العلماء ذكروا بعض حالات ولدت فيها البغال .

(٧) الحيّات لزجة البدن .

خطأ : الحيّات حيوانات باردة الدم ، وحرارة أبدانها قلما تزيد على حرارة بيئتها ، فهى لذلك تبدو باردة رطبة إذا لمستها يد إنسان ، ولكنها ليست لزجة .

(٨) الماء الساخن أسرع إلى التجمّد من الماء البارد ؟

خطأ : الماء البارد أسرع ، ولكن الماء الذى أغلى ثم ترك حتى يبرد ، فهو أسرع إلى التجمد من الماء العادى ، لأن الإغلاء أخرج منه بعض فقاقيع الهواء الموجود عادةً فى كلّ ماء .

(٩) يجثم الطائر على سلك كهربائى بغير أن تقتله الكهرباء .

صواب : لأنه غير متصل بشىء آخر أو بالأرض فلا تتم الدورة الكهربائية .

(١٠) الطماطم من الخضر .

خطأ : هو من الثمار فى علم فلاحة البساتين .

دِفــاعٌ عَنْ العِفــةِ

مرجريت كلكنج بانينج

استغرق إعدادُ هذه المقالة أكثر من سنة كاملة ، حتى بنيت على أساس من البحث المستفيض ، ومن الأحاديث الكثيرة ، ومن البيانات التى قدمها الأطباء وعلماء النفس وغيرهم ممن يقضون أيامهم فى معالجة المشاكل التى تعقبها العلاقات الجنسية . ففى وسعنا إذن أن نقول إنها لا تقتصر على بيان الرأى الذى انتهت إليه الكاتبة بعد تدبّر ، بل فيها أيضاً أوثق ما اجتمع من الآراء حتى يومنا هذا . والسيدة مرجريت بانِنج أمّ أربعة من الأبناء ، وقد ذاع صيتها بما كتبت من المقالات الكثيرة فى مسائل الشباب والزواج والأسرة .

إذا كان للعفة قضية أو مشكلة ، فلا مندوحة إذن من عرضها وبيانها .

ولا يزال كثير من الناس يجد فى اتباع ما يأمر به الدين وقوانين الأخلاق، ما يقنعه فى حل هذه المشكلة . بيد أننا نرى أن تفكير البشر قد أخذ يجنح إلى تجريد الرأى من وحى الأديان ، وأخذت الألسنة تردّد إنكارَها أن تكون العلاقات الجنسية خاضعة لقوانين الأخلاق ، فمن أجل ذلك أصبحنا اليوم نرى آلافاً لا تعد من الشباب ترى أنها حرة فى « أن تفصل فى هذا الأمر بما تراه » ، إذا كان من الممكن أن تستعمل هذه العبارة فى أمر هذه العلاقة التى تكاد تكون دائماً وليدة العواطف الجامحة .

وهؤلاء الشباب يفصلون فى هذا الأمر بغير معرفة كافية ، ودون أن يسمعوا الحجج بتمامها . فقد قيل لهم إن « كل امرىء يفعل ذلك » ، وأنّ الفسوق والمخادَنة أيضاً « صارت شيئاً هيّناً لا خطر له » . وهذا الكلام المضلل قد يفضى إلى ارتكاب أشياء لها بلا ريبٍ أثر لا يزول فى حياة الفتاة التى تقارفها ، بل إنها تحدث فى الفتاة تغييراً ينال من نفسها كما ينال من بدنها .

أوَلم ترَ مرّةً تلك السيارة التى مالت إلى ناحية خالية من الطريق فوقفت وأطفأت أنوارها ؟ ألم تسمع ببعض تلك الفنادق التى تتيح لمن ينزلها مكاناً يخلو فيه ساعات إلى من يحبّ ؟ ولقد أخبرنى عميد إحدى الجامعات المختلطة أن أكثر الفنادق التى تقع على مقربة من أرض الجامعة ، تفتح

أبوابها للفتيان الذين يريدون أن يختلوا ببعض الفتيات ليلا . وقد أرسلت بعض الأسئلة إلى نحو ١١٠٠ طالب وطالبة فى إحدى الكليات ، وإلى ٢٠٠ من الطلبة المنتسبين ، وسجلت أحاديث دارت مع نحو ٣٠٠ منهم ، فظهر منها جليًّا أنّ بعضَ الحرَج من العلاقات الجنسية لا يزال قائماً فى نفوس بعض جماعات الطلاب . وتبين منها أيضاً أن بعض الفتيات اللواتى يُؤْثرن التحصن حتى يتزوجن ، لا يستنكرن ما يقارفه سائر صديقاتهنّ من العلاقات الجنسية . هذا ونحن نعلم أيضاً أنه تسجل فى الولايات المتحدة أسماء ٥٠٫٠٠٠ أمّ لا زوجَ لها فى كل سنة ، وأن كثيراً من أمثالهن لا تسجل أسماؤهن لأنهن يجدن من المال أو الجاه ما يعينهن على التخلص من تسجيل أسمائهن ، وأن كثيراً من عقود الزواج قد تبين فيما بعد أنها تمت بعد الحمل ، وأن أساليب ضبط النسل والإجهاض تمنع ظهور الأمومة فى كثير من العلاقات غير المشروعة .

ومع ذلك فينبغى أن لا ننسى أن الفسوق وإن كثر بين الناس لم يبلغ بعد أن يكون هو الأصلَ ، فالعفــة لا تزال هى الأصلَ القائم . فجماعات البشر لن ترضى أن تشيع بينها هذه الفاحشة ، ونظامها أيضاً لم يقم على إباحة شيوعها . وأظن أن كل أحد يعرف كما أعرف فتيات كثيرات لم يأتين قط هذه الفاحشة ، ويعرف أخريات لا يجدن إلى إتيانها سبيلا ، فهنّ يعشنَ على نظام متبع ، وتشغلهنّ عنها الدراسة أو الرياضة أو شئون البيت أو أعمال الخير فى المجتمع .

بيد أنه ما من أحد منهم إلا وانتهى إلى سمعه مالا يمكن تجاهله من همس يتردّد اليوم فى كل ناحية،من ناس يدعون إلى التغاضى عن إثم الفسوق، بل إلى الدفاع عن العلاقات الجنسية قبل الزواج . وذلك وحده سببٌ قوى يدفعنا إلى تتبع هذه الحقائق الظاهرة وكشف اللثام عن قليل مما لا يزال مكتما ، حتى فى هذا العصر عصر الصراحة . ويعتقد بعض الآباءِ أن هــذا الموضوع مما لا ينبغى أن ينشر أو يذاع، مخافة أن تُفضى مناقشته إلى إثارة الشوق الجامح أو إلى تنمية الرغبات الآثمة . بيد أن الكتمان أشدُّ من المناقشة السافرة أثراً فى إحداث هذا الفساد، وأكبر من ذلك أن الشباب يتصارحون فيما بينهم صراحة تزيد على الأيام ، فالصمت الذى يلوذ به الكبار لا معنى له إلا أن يزيد الهوّة التى بينهما اتساعاً ، تلك الهوة التى فرقت بينهما فى كل ما يحتاج إلى المشورة والتعاطف .

كثيراً ما تسمع الشبان الذين يجادلونك

فى أمر العلاقات الجنسية يقولون: «ولم لا ؟» ويعدونها شيئاً هيناً لا خطر له ، ولكن مما له أعظم دلالة أنك لا تسمع مثل هــذه الاستهانة من طبيب واحد من الأطباء الذين عالجوا آلافاً من هذه الشئون ، واتتمنوا على آلاف من أسرارها ، ولن تجــد فى علمـــاء النفس الذين تقصَّوْا مشا كل العلاقات الجنسية الخارجة عن علاقات الزواج ، من يستخفّ بها وبخطرها . نعم إنه من البين أن القول الفصل فى كل حادثة على حِيَالها إنما مردّهُ إلى ضمير المرء وإلى عواطفه ، بيد أن كل رأى يراه العلماء والأطباء الذين تتيح لهم أعمالهم أن يتبينوا آثار الفسوق فى الفرد وفى الجماعة ، ينبغى ولا مراءَ أن يذاع على الناس كافة .

فأول ذلك ، ما يعرفونه من الحقائق عن الأمراض التناسلية وعن الإجهاض . فجماعة الصحة الاجتماعية فى أمريكا مثلا تقدّر أن خمسة فى المئة من الأمريكيين مصابون بالزهرى ، وأن عشرة فى المئة مصابون بالسيلان . وأعلى نسبة يبلغها الزهرىّ تكون فى صدر الشباب ما بين السادسة عشرة والثلاثين من العمر . فإذا أمكن قطع دابر الأمراض التناســلية ، فكل ما جنيناه هو القضاء على خطر واحد من أخطار الفسوق. ومع ذلك فلا تزال بيننا وبين هذا الهدف نفسه شقة بعيدة . وعلينا أيضاً أن لا ننسى ذلك الخطر الشديد الدائم الذى يهدد الفتاة بالمرض من جراء العلاقات الجنسية قبل الزواج ، وذلك لأنه ما من فتاة تذهب مختارة إلى الطبيب لتسأله المشورة .

فالفتاة تعرف ما تعرف من ذلك عرضاً واتفاقاً ــ وأكثره خطأ وباطل . وهى عرضة لأن تظنّ أنها تكون بمنجاة من الحمل باستعمال بعض الموانع التى تنجى منه ، فلنسمع إذن ما يقوله الدكتور حنا ستون أحد كبار أطباء النساء فى نيويورك :

«إن ما تصنعه خير الشركات من موانع الحمل لا يوثق به البتة . فهذه شركة تتمتع باحترام الدوائر الطبية تعلن عن نوع من المراهم لا تكاد تبلغ نسبة نفعه ٦٠ فى المئة . أما كل أنواع اللبوس المعروضة فى الأسواق فنسبة نفعها ما بين ٤٠ فى المئة و ٥٠ فى المئة . وأما غسول الرحم فربما بلغت نسبة نفعه ١٠ فى المئة . ثم يزيد الأمر تعقيداً أن بعض النساء أشد تأثراً ببعض موانع الحمل من بعضها الآخر ».

ويؤيد هذا الرأى أيضاً الدكتور موريس

بيجلو ، مدير معهد الأبحاث العلمية . فقد تولى معهده اختيار مئات من العوازل (الأكياس) المصنوعة من المطاط ، اشتروها من شركة من أوثق الشركات ، فنبذوا من كل ١٠٠ عازل ٢٥ عازلا لعيوب فيها . أما المستحضرات الكيميائية فتفقد قوة تأثيرها إذا لم تكن جديدة كل الجدة . ومعنى هذا كله أن ما يقال فى وصفها من أنها « تجعلك بمنجاة من كل خطر » ، ليس غلوًّا قبيحاً ومجانبة للحق وحسب ، بل هو أيضاً باطل . ومما يزيدها بطلاناً ما يكتنف الفسوق من الأحوال المعروفة عند الناس .

وتدل الأرقام دلالة لا يتطرق إليها الشك على أن هناك عدداً هائلا من النساء يلجأ إلى من يزاولون الإجهاض . ولا مراء فى أن كثيرات منهن قد سمعن ماتثرثر به الألسنة عن الإجهاض وأنه شيء هين لا يؤود المرأة احتماله . فليسمعن أيضاً : أن عشرة آلاف فتاة وسيدة تفيض أرواحهن فى كل سنة على يد الذين يزاولون الإجهاض . ويقول الدكتور فردريك توسيج :

« إن خطر الالتهابات فى الإجهاض يبلغ عشرة أضعاف خطرها فى الولادة الطبيعية ، وذلك لما يقتضيه الإجهاض من العنف فى الوصول إلى جوف الرحم . أما فى الولادة فذلك قلما يكون . وفضلا عن ذلك فإنك تجد فى مقابل كل امرأة تموت من الإجهاض ، عدة نساء تلحقهن عاهة تدوم أحياناً ، أو يصيبهن العقم ، أو يعانين إذا حملن ثانية آلاماً ، وكل ذلك من جراء هذا الإجهاض » .

وليس هذا وحده هو الخطر الذى يجب أن تعرفه ، فإن آثار الإجهاض على النفس الإنسانية لا تكاد تقل عن ذلك خطراً . فالفتاة المجهضة تعيش أيامها فى عذاب من ذعر جاثم ، وفى حزن دائب على طفلها الذى ثكلته . والإجهاض لا يقتصر على الأذى الذى يُلحقه بصحة المرأة ، بل يلحق الأذى أيضاً بشعورها وعواطفها . فالمرأة فى ساعة الوضع تمتلىء نفسها بغضاً للعلاقات الجنسية وعواقبها ، ولكنها لا تلبث أن تحمل وليدها بين يديها فيكون لها جزاءً عما تحملت من الآلام ، وتجد إلى جوارها زوجاً يظلها بحمايته ، وتتلقى من المجتمع احتراماً وتوقيراً . أما الفتاة التى تذهب إلى طبيب يجهضها فإنها تجد فى نفسها لذعة ذلك البغض ، ولكنها لا تجد طفلا يعزيها ولا زوجاً يحميها ليكونا وقاءً لها مما عساه يعتلج فى صدرها من حقد ينتهى إلى بغض الرجل الذى أحبت ،

أو إلى التفزع من العلاقات الجنسية إذا ما تزوجت فى مستقبل أيامها .

فهذه الأخطار جميعاً ــ المرض والإجهاض وآفات العواطف ، والموت أيضاً ــ تكتنف كل العلاقات التى تكون قبل الزواج ، بيد أننا نرى كثيراً من الناس يخوضون غمارها جميعاً ثم تكتب لهم النجاة . فإذا نجت الفتاة سالمة منها جميعاً ، أفيكون معنى ذلك أن الإشكال فى قضية العفة قد انتهى ؟ كلا فإن الحجة المؤيدة للعفة ليست بقوية ولا غالبة إذا هى قامت على خوف العواقب وحسب . فيقول الدكتور توماس باران كبير أطباء الحكومة الأمريكية : « لم أزل أتمنى أن يخلو برنامجنا الصحى من كل رادع من روادع الخوف . فإذا فرضنا أن الزهرى والسيلان مرضان لا وجود لهما ، فإن مزية قصر العلاقة الجنسية على إنسان واحد سوف تبقى فيما أعتقد مزية قائمة على ما ينطوى فيها من الفضائل » .

وإذن فما هى هــذه الفضائل التى تقيم الحجة على وجوب العفة ؟ وإليك عبرة من العبر تنطق بها امرأة التمست متاع العلاقة الجنسية فى غير الزواج :

« كثر حديث الناس عن أضرار الحسرة التى تأكل قلب المرأة التى تأبى على نفسها أن تعطى بدنهـــا ما يتطلب من لذاذات الحب . وأنا أرى أن هذا العذاب المبهم المعاوِد لا يكاد يعد شيئاً بالقياس إلى الحسرة التى تبتلى بها المرأة التى تلتمس السعاد فى الحب بغير الزواج . فالفتاة عند المباشرة الأولى تنطلق كل غرائزها الجنسية الكامنة من إسارها وتحتشد احتشاداً ، وتتنبه لأول مرة فى حياتها إلى المآرب التى ينطوى عليها الحب والزواج . ولكنها تعرف عندئذ ، والإخفاق يملأ قلبها قنوطاً ، أنه كتب عليها أن يظل تحقيق هذه المآرب إلى الأبد ناقصاً لا يبلغ تمامه . إنه إحساس خفى متغلغل لا يحس به إلا من ابتلى به . ويورث هذا الإحساس نزاعاً فى النفس يلقى ظله القاتم على لذة كان المرء يتوقع أن يجد فى كل نواحيها إشراقاً وحرية» .

وبقى كثير يقال ، فإن التبكير فى مزاولة العــلاقات الجنسية كيفما اتفق ، يفضى فى الغالب إلى إفسادها وإضعافها إذا جاء زمن نضجها . يقول هولنجزورث فى كتابه عن « تحليل نفسية المراهق » : « إن التبكير فى مزاولة العلاقات الجنسية قد يمنعهـا أن

تنضج ، إذ يحصر الأمر كله فى شعور البدن بالراحة التى تعمها » — أما العلاقة الناضجة فالنفس تتذوق فيها ضروباً من اللذات العقلية ومن الإحساس بالجمال . وإنك لتجد كثيراً من الفتيات يتفاخرن بأنهن « لا يتجاوزن حدّ العناق والملامسة » ، وهن لا يدركن إلى أى مدًى مخوف قد تجاوزن حدّ السلامة . فهذا عميد إحدى كليات البنات قد أطال استقصاء هذا الأمر، فانتهى إلى أن الملامسة خليقة أن تورث الفتاة عادات تخيل إليها أنها نالت كفايتها بغير المباشرة ، ونكون عاقبة ذلك أن تدخل على عواطف الفتاة آفة تجعلها غير صالحة للزواج وما يقتضيه . وقد جزم بعض الثقات بأن الملامسة أعظم خطراً من المباشرة التامة، لأنها تقضى قضاءً مبرماً على التمتع بالمباشرة الطبيعية . وقد قال أحد علماء النفس الذين يقصدهم الناس للاستشارة فى أمثال هذه الشؤون :« إن شعور الاكتفاء الذى تورثه الملامسة يجعل الأنثى تشعر بأن المباشرة عمل بغيض إليها . فالفتيات اللواتى أسرفن فى الاكتفاء بالملامسة ، يشق عليهن أن يجدن راحة فى المباشرة الطبيعية ، وقلما يجدن فى الزواج راحة أو سعادة » .

نعم إنه من العسير أن يحدد المرء حدًّا ينتهى عنده العناق بين الذكر والأنثى ، بيد أن كل فتاة تستطيع أن تفرّق بين الضمة البريئة الخالصة التى هى تعبير عن الحبّ الغرير ، وبين الضمة التى تنطوى على الشهوة الفائرة . نعم إنها لتستطيع أن تفرّق ما دامتْ تتبَعُ فطرتها السليمة ، ولكن ينبغى فى هذا المقام أن لا ننسى تأثير الشراب. فالناس يعرفون أن الخمر تلهبُ الإحساس ، فهم يستعينون بها على إثارة شهوات الفتيات. والفتاة إذا شربت ، وبخاصة إذا لم يكن الشراب عادة لها ، شقّ عليها أن تهيمن على آرائها أو أعمالها . فلو ظلّت حقاً قادرة على الهيمنة على نفسها حتىّ « تعلم ما تأتى وما تذر » ، فمن المشكوك فيه أن تكون تعلم أن الأطباء وعلماء النفس يرون أنها بهذه الملامسة قد تجلبُ على نفسها ضرراً لا يزول ولا ينمحى .

فإذا بلغت الفتاة منتهى الغاية فيما تقترف فماذا تكون العاقبة ؟ إنّ عفاف كل فتاة عذراء إنما هو نسيجٌ محكم : من أخلاقها ، ومن أعصابها ، ومن تركيب بدنها ، ومن تفكيرها . فهل تراها تعلم حق العلم أىّ تغيير عميق الأثر يلحقُ هذا النسيج المحكم فى دقائق قليلة تستسلم فيها لنوازع الغريزة ؟

إن الفتاة إذا فرّطت فى عفافها ، فأغلب الرأى أن تنهار معه شريعة أخلاقها . نعم قد تظنّ الفتاة أنها غير خاضعة لشىء من أمثال

هذه الشرائع ، ولكنها تنسى أنها لا تستطيع أن تخرج من تحت سلطان العرف والشعر والخيال ، وإن كانت لا تؤمن بشيء من زواجر الدين ونواهيه . فمن أجل ذلك ترى كثيراً من الفتيات لا يجدن عند المباشرة الأولى مناصاً من الشعور بالإثم ، فيظل ثابتاً لا يفارقهن قط . وهـذا « الشعور بالإثم » قد ذكره كل طبيب تقريباً من الأطباء الذين تقصوا مثل هذه الأبحاث . فمهما خلت النفس من الشعور بخطيئة قارفتها لأنها خرجت على أوامر الدين ، فإن نفوس السواد الأعظم من الفتيات لا تزال تحمل طائفاً ملحًّا من « الشعور بالإثم » .

والفتاة التي تشعر أنها قد ارتكبت خطأ تقاسي عذاباً مبرّحاً . نعم ، فقد يندمل الجرح الذي في ضميرها ويبرأ ولكنها تنقلب يومئذ امرأة مرائية كذابة ، وربما بقي هذا الجرح على حاله لا يندمل ماعاشت ، فتتحمله وتسير به بين الناس في رعب جاثم من خوف العقاب والقـصاص . وكثيراً ما تراها بعدئذ تعزو ما تفتقده من لذاذات المباشرة إلى العقاب الذي استحقّته لما اقترفت من إثم .

وهناك أيضاً طائفة أخرى من الفتيات قد ضربن بالعرف المتبع عرض الحائط ، وهنّ لا يشعرن بأي حرج في نفوسهن ولا في شريعة أخلاقهنّ ينهاهنّ عن مباشرة علاقاتهن الجنسية . فماذا يكون مصيرهنّ ؟ مصيرهن أن يهجرهن خلانهنّ . والمرأة التي ترى هـذا الرأي تعتقد دائماً — وتصرّح بذلك في كل وقت — أنها تستطيع أن تتولى أمر نفسها بنفسها . وهذا في كثير من الأحوال هو أن تفعل ما يأذن لها خليلها بأن تفعله . وأخيراً ينتهي أمرها إلى أن تصير خارجة على المجتمع ، ولا تجد في المجتمع حامياً يحميها بظله . وقد ينطوي قلب هذه المرأة على جرأة هي جُرأة الخارج على المجتمع ، ولكنها أيضاً تستشعر مثل الوحشة التي يستشعرها .

وقد ذكر أحد ثقات العلماء أن هناك فئة من النساء يزيد عددها على الأيام قد آثرن البقاء بغير زوج ولا ولدٍ ، لأن الخليل الأول قد هجرهنّ ، أو لأنهنّ وجدن ما يصبون إليه من شفاء غليلهنّ دون أنْ يحملن شيئاً من تبعات الزواج . وهذه الفئة ليست خطراً يهدد سائر المتزوجين وحسب ، بل هي في نفسها مأساة أيّ مأساة . فكثيرات منهنّ من ذوات العقول الراجحة والأبدان السليمة ، فكان حقاً عليهن أن ينتفعن بأنفسهنّ ، فذلك خير لهنّ من أن يحيين حياة معزولة عقيمة مجدبة .

وعلى رغم ما عسى أن يقوله بعض الناس من أن الأخلاق لا شأن لها بهذه القضية .

فرأيي أنهم إنما يرددون زوراً من القول ولغواً . وحسب الفسوق ولواحقه من التأثير على الأخلاق، أنه يجعل الفتاة حرباً على الجماعة التى تعيش بينها . وكثير من الفتيات يدخلن مختارات تحت لواء هـذا الجيش ، فهن يحاربن كل نظام متبع يرين أنه خانق تضيق به النفس، وكل دين يزعمن لأنفسهن أنه عتيق قد مضى زمنه . ولكنّ هؤلاء الفتيات قلما يعلمن أيَّ حق يحاربن ، وأيَّ حصن يقهرن الغوائل فى مستقبل الأيام يهدمن ، وأى حجة راجحة من التجارب والتاريخ تنقض رأيهن وحجتهن .

وأثر الفسوق والمخادنة على الأعصاب شيء عظيم الخطر أيضاً . فالتكتم والإخفاء قلما يتيح للمرء أن يجد ما ينبغى له من منزل أو راحة، فغاية المتكتّم أن يجد مأوى يستره لا مكاناً يستمتع فيه بالعيش . واذكر دائماً تلك الغرف الضيقة البعيدة عن العيون ، وتلك الفنادق الرخيصة ، وتلك السيارات التى تعتزل العمران — فإنها هى البيئة التى يترعرع فيها ما نسميه «الحب» . أما الأوصاف التى لا بد منها للفسق والمخادنة فهى : التعجل والحذر ، والتفزع من المفاجأة أو الفضيحة.

ولن تجد فى هذه المسألة بعينها رأياً خيراً من رأى الدكتور أوليفر بترفيلد ، مدير دار إرشاد الأسرة فى نيويورك إذ يقول:

«إنه ليس بالهيّن أن تظفر بالمطابقة بينك وبين المرأة، إذا أتيحت لك أحسن الأحوال الملائمة . فإذا ساورك شعور بالإثم أو خوف من الفضيحة فإدراك ذلك يكاد يكون أمراً مستحيلا . فإذا فاجأ الرجل أو المرأة شيء يضطر أحدهما إلى مشورة الطبيب الخبير ، أبى عليهما شعورهما إلا أن يخفيا تلك العلاقة التى بينهما. وهذا التكتم خليق أن يجرّ فى أعقابه أشياء كثيرة . والأنثى العذراء قد تحتاج إلى مشورة الطبيب ونصيحته قبل المواقعة ، فإن المباشرة ليست أمراً تابعاً لهدْي الغريزة . والعلاقات الجنسية التى تسبق الزواج قد تفضى إلى عادات فاسدة يكون من العسير ومن المؤلم إقلاع المرء عنها بعد الزواج » .

فالفسوق لا يكاد يتم أبداً إلا بين رجل وامرأة يروّع قلوبهما الخوف والترقب فى مكان لا يجدان فيه راحة ولا اطمئناناً ، وفى نفوسهما ريبة من عين رأت أو أذن سمعت . فالأذى الذى يلحق بأعصاب الفتيات الغريرات ، وهنّ فى مثل هذه الحالة ، ومع الإجهاد الذى يصيبهن عندئذ من فرط التهيُّج — أذًى لا يقدر .

وقد اتفقت كلمة الناس على أن الكظم أو القمع ضارٌّ بكل إنسان تقريبـاً ، وبعض الناس يسوق هذه الحجة في تأييد مقارفة هذه الفاحشة ، ولكنها حجة عليهم أيضاً . فالفسوق مهما علا صوته وصخبه متبجحاً باسم الحرية ، فهو يحمل الكظم والقمع في ثناياه . ففي الدنيا أماكن كثيرة لا يستطيع الفسَّاق أن يجاهروا فيها بأفعالهم . والفتاة الفاسقة محرومة دائماً من الحامي والرفيق الذي يخرج بها على أعين الناس . وتأتي عليها ساعات لا يسعها فيها أن توجه الحديث إلى الرجل الفَـرْد الذي انصرف كل هواها إليه وحده . وهذا شيء لا خطر له مادام الحب أو الشوق لا يزال في طور النماء ، ولا يزال متبادلا بينهما من أعماق القلب ، فإن التكتم عندئذ يكفل لهما خلوة لذيذة محببة . بيد أن التجربة قد دلت على أن مثل هـذا التكتم يحمل في ثناياه بذور البغضاء المريرة ، فالفتاة تنقلب في العادة شديدة الامتعاض شديدة الكراهة للتخفي عن عيون الناس، ولماحرمته من اعترافهم بمكانتها عنـدهم ، ويزداد على الأيام خوفها من افتضاح علاقتها بمن تحب .

نعم ، قد يتم الزواج بين الخليلين، ولكن كلاهما لا يزال يخادع نفسه ويخادع صاحبه. فهما يباشران ما تقتضيه معيشتهما معاً من تبعات ومن جهود في سبيل حسن العشرة بينهما ، ويحملان عَـبْء ذلك العمل الشاق الذي هو الزواج ، وقد حرما يومئذ لذات الابتهاج به وحـلاوة تكشُّف الأسرار الدفينة فيه ، وهما لذتان تجعلان هذه التبعات أحب إلى النَّفس وأيْسرَ محملا . والزواج شيء عسر ، برغم الدافع العاطفي الذي يحث عليه ، وبرغم الحسنات التي يثيب المرء بها . فإذا كان الرجل والمرأة قد فرغا من نَيْل متاع النفس قبل زواجهما ، واجها مشاكله بلا عونٍ من الثواب الطبيعي الذي يخفف من وطأتها، فقلوبها عندئذ عرْضةٌ لعقارب الغيرة ، وذلك لأن كلا منهما يعلم عن صاحبه ما يحمله على الريبة في أمانته .

وثمة شيء آخر، فإن عقدة زواجهما خليقة بأن تنحل . وأرجو أن تتذكر أن أكثر حديثنا هـذا منصبٌّ على الذين لم يتم نضج عواطفهم — أي على الشباب الذين يسرع بهم هواهم إلى طلب اللذة العاجلة وإلى روعة المغامرة . وهم قد سمعوا أن المباشرة في زمن الصبا قد تكون عابرة هينة ولا ضرر فيها . ولكن هل سمعت الفتيات اللواتي يسلمن قياد أنفسهنّ لهذا الرأي ، مايقول به أعظم ثقات الأطباء وعلماء النفس — من أن المغامرة الأولى في المباشرة الجنسية قلماتكون عابرة أو هينة في نفس الفتاة ؟ وأنها لا تكسر شِرَّة الغريزة الداعية إلى المباشرة ، بل هي

تزيدها عراماً وشدة ، وتحصر رغبتها فى شخص واحد بعينه ؟ ولهـذا يشعر أكثر الفتيات أن هناك رباطاً وثيقاً بين المباشرة والحب ، فتقـترن المبـاشرة فى فكرهنّ بشخصية المحب اقتراناً لا ثغرة فيه . فكيف تكون العاقبة إذا كانت مغامرة الشاب عابرة كما هو أكبر الظن فيها ، فلا يلبث أن يدعها ويطير عنها إلى ثمار شهية أخرى يجتنيها ؟ إن الفتاة بعدئذ لن تنال شيئاً إلا العذاب المبرّح من لواعج الغيرة والحسرة والقنوط .

ومثل هذه الفواجع وما يأتى فى آثارها من الشعور بالضعة والألم ، كثيراً ما تفضى بالمرأة إلى أن تصير بغيًّا . ولم يسمع الناس صوتاً واحداً قد ارتفع للمحاماة عن البغاء . وقد تختلف قوة الحماسة التى يذكرها الأطباء ما تعقبه العلاقة الجنسية قبل الزواج، ولكنهم مجمعون إجماعاً تاماً على ما فى البغاء من أذى وشرور .

فالمرأة البغىّ لا تزال تشك فيما آتاها الله من فتنة وإغراء ، فتظل تلتمس اليقين من رجل بعد رجل . والرجل البغىُّ أيضاً يجد مثل ذلك من جراء الشعور بالضعة ، فهو يفعل كما تفعل المرأة فلا يزال يلتمس الدليل على فحولته التى يشك فيها شكا خفياً . وهذا البغاء ضارٌّ بالرجل الذى يسرّه أن ينال متاع النفس من عشرة حسنة فى بيت يرضيه ، فسرعان ما يفقد من نشـوته ومن صبره ما يتيح له أن يبلغ رضى امرأته وكفايتها من المباشرة . وفضلا عن ذلك فإن الرجل البغى والمرأة البغى يجدان أنه محال عليهما أن يصبرا على إنسان واحد فى علاقتهما . فالماضى الملوث بالفسوق لا يزال يتهجّم عليهما ويفسد عليهما حياتهما . إن المباشرة تفقد عندئذ بهجتها وسحرها ، ولكن الشوق إلى قضاء الوطر منها ، وإلحاح الأعصاب فى طلبها ، يظل حيًّا كما كان . والبغاء يحرم المرء الإحساسَ بأعظم لذة فى الحياة — ألا وهى الحب .

لا بأس إذا شئت أن تقول : « هـذه أشياء يختلف اليوم نظر الناس إليها » . نعم، قد يختلف نظرهم إليها ، ولكنهم سواء فى إحساسهم بها .

فالغيرة مثلا لا تزال نارها حية كما كانت . وإنه لحقٌّ أن للعقل أثراً بيناً فى كبح جماح النفوس عند القوم المثقفين ، ولكن النظرة الثانية تدلك على أن هذا العقل نفسه هو الذى لا يزال يلحّ حتى يحدّث الرجل نفسه بأن زوجته إذا كانت قد ارتكبت فاحشـة قبل زواجها ، فقد هدمت أشياء بعينها مما يردعها ويعصمها عن غشيانها ثانية ، فهى إذن عرضة لأن تخون الأمانة . وهؤلاء هم علماء

النفس يقولون أيضاً إن المرأة البغى هى أشق النساء جميعاً بنيران الغيرة .

وأيضاً ، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل إيثار الرجل أن يتزوج فتاة عذراء . ونحن لا يسعنا فى هذا الشـأن إلا أن نعتمد على شهادة الذين انتهوا إلى تحقيقه بالاستقصاء . وقد تبين أن هذا الإيثار حقيقـة قائمة فى العصر الحديث وفى العصور الخالية، والدليل على ذلك مذكور فى كتاب وستر مارك « تاريخ الزواج » . فعلى رغم ما يتشدق به فتياننا فى هذه الأيام من الكلام المزوّر ومن تظاهرهم بقلة المبالاة ، فهم لا يزالون يأبون على الفتاة التى يحبونها أن تكون قد كان لها خليلٌ من قبل . وإذن فالحقيقة التى لم يغيرها إلى اليوم تقادم الأزمان ، هى أن الفتاة إذا فرطت فى عفافها ، فما فعلت سـوى أنها قامرت بالفرص التى تتيح لها فيما بعد أن تستمتع بزواج يكفل لها السعادة إلى آخر أيام العمر .

وينبغى أن نقرر هنا حقيقة ثابتة ، وهى أننا لم نظفر إلى اليوم بعلم جديد نضيفه إلى ما نقله إلينا التاريخ من المعارف الخاصة بالعلاقة الجنسـية . وحين نرى اليوم أن العلاقات الجنسية قد أخذت عراها تنحل ، فمن الخطأ أن نقول إننا نرتدُّ إلى الهمجية . فالعلاقة الجنسـية عند قبائل الهمج لم تزل خاضعة لأحكام ضابطة ، وإن كانت لا تشبه ما تواضعنا نحن عليه . أما الشىء الذى يدل عليـه التاريخ دلالة واضحة ، فهو أن العفة كانت دائماً تابعة لقواعد تحددها وتضبطها. وهى فى الغالب أقدم القواعـد فى تاريخ حياة الإنسان ، وتعدِّى حدود هـــذه القواعد كان جزاؤه أشد العقاب ، لأنه كان يجلب معه بلبلة فى حياة الجماعـة ، ويثير الأحقاد المستعرة ، ويوقع بينهم شرًّا مستطيراً .

وإذا أراد المرء أن تظل عُرى العلاقات الجنسية وثيقة لا تنحل ، فلا بُدَّ عندئذ من أن تظل الثقـة موفورة قائمة بين الرجل والمرأة. ومثل هذه الثقة لا تستقر ولا تتوثق بعد أن يبلغ الخليـلان غايتهما الأولى من صبابة الحب ويقضيا أربهما منها ، إلا إذا كانت هذه الثقة موصولة الأواصر بما يعتقده الرجل أو المرأة من دين أو فلسفة فى الحياة ـــ أو أى شىء يعزز صلته بالحياة نفسها . وإنه ليس بخيال بل هو حقيقة ثابتة ، أن العلاقة الجنسية لا بدَّ فيها من أمرين : إما أن تكون وثيقة الصلة بقانون من الأخلاق يعصم صاحبه (وهذا نادر جدًّا) ، وإما أن تكون قائمة على عقيدة تجعل صاحبها يؤمن بأن العلاقة الجنسية واجبٌ ، حقّ الجماعة فيه كحق الفرد . وقد بينت أولجا نوف هـــذه

المسألة بأجلى بيان حيث قالت: « إن العلاقة الجنسية ليست من خاصة شئون الفرد وحده ، إنها من الشئون التي تهم الجماعة بأسرها ».

وهذا هو الشيء الذي ينبغي أن نحرص على أن يدركه الشباب الذين لم يزالوا في طور التشوق والتطلع ، والذين بلغوا مبالغ الرجال ولكنهم يتورّعون. وينبغي أن يبين لهم — دون تحقير أو إهدار لحق الفرد في الحب — أن الناس قد يخالفون أو يعصون ما تأمر به شرائع الزواج ، ولكن هذه الشرائع لا تزال قائمة ، والقصاص لا يزال ينزل بكل من يتعدّى حدودها .

فإذا استطعت أن نجعل كل شاب يؤمن بهذا كله قبل أن يخلو بصاحبته ، فخيراً مافعلت . ولكن أنّى لك ؟ إنهما فتىً وفتاة في فورة الشباب ، وفي صَبْوة الشوق ، وفي خلوة تضمهما معاً : فينبغي إذن أن يعرفا بادىء ذي بدءٍ أن الذين يريدون أن يهيمنوا على الغرائز الدافعة إلى اجتماع الرجل والمرأة لا يحاربون الهوى الذي يحبب أحدهما إلى الآخر ، بل يحاربون النوازع التي تجلب الضرر على ما بينهما من الحب — أو على الشيء الذي قد ينتهي بهما إلى الحب .

فالذي ينبغي أن تفعله هو أن تعين هولاء الصغار على النجاة من التردّي في الخطر ، فإذا لم يكن الهوى الذي بينهما هوًى عابراً ، فعليك أن تحرضهما على أن يتزوجا . ومامن أحد من ثقات أهل الرأي الذين لقيتهم لأفاوضهم الحديث في أمر العفة ، إلا ردّد على سمعي هذه الكلمة — وهي أن خير حلٍّ للمشكلة هو التبكير في الزواج ؛ وهو ليس بمرادف البتة للعجلة في الزواج . ولكن معناه هو أن الفتى والفتاة إذا أَمِنا قيام العوائق التي تُقصيهما عن مباشرة العلاقة الجنسية وتماطل في تحقيقها ، فذلك حقيق بأن يغير ما يعتلج في نفوسهما ، فإنه ليس يدفعهما إلى الثورة على العُرْف والسُّنن المتبعة ، إلا مايجابهان به من صدّ يملأ قلوبهما يأساً ، ومن هوّة تباعد بين يقظة هواهما وما يتطلبه هذا الهوى من حاجات .

وكثيراً ما نسمع أن الأحوال الاقتصادية هي التي تجعل التبكير في الزواج شاقاً في أيامنا هذه . بيد أن زواج الشباب لم يكن قط أمراً سهلا ، فالتاريخ يحدثنا أنه كان لزاماً على الآباء دائماً أن يعينوا الشباب في مستهل أيام زواجهم . فينبغي للآباء في زماننا هذا — أو أعرفهم بالحقيقة على الأقل — أن يحرّضوا الشباب على التبكير في الزواج . وقبل ذلك ينبغي أن يعلنوا دفاعهم عن قضية العفة قبل الزواج .

إنها قضية قائمة كما رأينا . وفوق ذلك فإن الرجال لم يسنّوا بعدُ طريقاً لحماية المرأة

التى فرطت فى عرضها إلا فى حالات قلائل كالحمل والمرض ، وهى مهددة أبداً بخطر يدمر أخلاقها ونفسها . والفسوق يُنْزِل أشرف تجارب الحياة فى أخسّ منزلة وأرذلها، وهو يقمع الحب ويعوقه عن النماء ، وهو يخرج جيلا من نساء يعشن فى وحشـة ، ورجال ملء قلوبهم الأثرة .

وقصارى القول هو أن الشباب ، فتياناً وفتيات ، لا يحرصون على الفسوق بل هم يتوقون إلى هادٍ يهديهم سواء السبيل . وقد دلت الأبحاث فى الكليات على أن الطلبة يؤمنون بالإخلاص فى الحب ويريدون الزواج ، إنهم يحبون أن يحيوا حياة طيبة فيها عاطفـة وفيها قوة لا تبلى على الأيام . وإذن فقضية العفة لا تحتاج إلى دفاع طويل كى يقتنع بها من كانت هذه فطرته وعقائده. وكل ما يحتاج إليه الفتيان والفتيات هو : الرأى السليم والإرشاد الصالح ، وشىء من الفرصة يتاح لهم .

قد يسدى الأطباء أو الخبراء أو علماء النفس أو الأصدقاء نصيحتهم للشباب، ولكن البتّ فى النهاية ليس إليهم بل إلى الشباب أنفسهم . فهذه إذن هى إحدى المشكلات التى تخص الجماعة كافة، ولكنها تصبح موزعة على أفراد الجماعة حتى يقضى فيها كل امرىء بإرادته ورأيه . فتكون العاقبة أن نرى خليطاً من الأهواء والنوازع — ينحدر بعضها إلى المرء بالوراثة ، وينشأ بعضها من إلحاح البيئة وضروراتها ـ فصار هذا الخليط أمانة ثقيلة فى عنق كل فتى وفتاة ، وهى أمانة تقتضى كلا منهما أن يحرص على أمرين عظيمين : سعادة البشر كافة وسعادة نفسه خاصة . ولعل الموقف الحاسم الذى كتب على كل فتى وفتاة أن يقفه حيال قضية العفة، هو أخطر المواقف الحاسمة فى حياته . فمن أجل ذلك يجب على الكبار أن يصرفوا أعظم همهم إلى بيان الأدلة العلمية والتاريخية والنفسانية التى تؤيد قضية العفة ، وأن يحرصوا على أن تظل معروضـة على أعين الشباب أبينَ عرض وأوضحه ، حتى يقوّوا عزائم الشباب على مقاومة الانحلال الذى يرونه محيطاً بهم من كل ناحية .

امتحن ذكاء صديقك

بين يديك ثمانى كرات متشابهة جميعاً ، ولكنّ إحداها أخف قليـلا من السبع الباقية ، وبين يديك أيضاً ميزان ، فكيف تستطيع أن تستخرج الكرة الخفيفة بوزن الكرات مرتين وحسب ؟ [الجواب صفحة ١٠٤]

قُل كلمتك مُبتسماً

مارشال درامند

مختصرة من مجلة "البيت الشهرية"

في كلمات التحية التي نلقيها على أصحابنا ومعارفنا كل يوم ، رقّة واهنة ، إذ ليس مردّ تأثيرها فيمن يسمعها إلى ألفاظها هي نفسها ، بل إلى نفحة الإخلاص التي تهبّ منها حين تجرى على ألسنتنا .

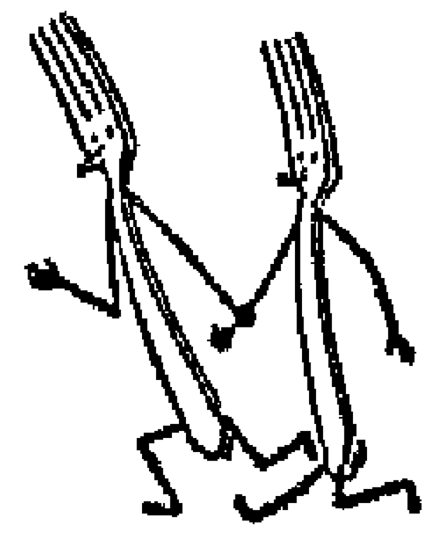
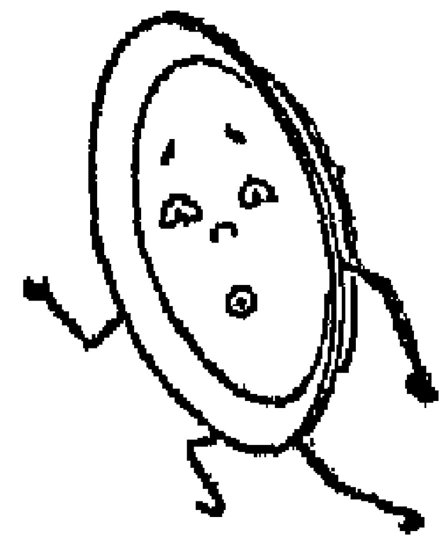
انظر كيف تراك تقول : « من فضلك » و « أشكرك » و « أهلا وسهلا » و « كيف أصبحت ؟ » . أتراك تلقيها إلقاء كأنها ألفاظ تعوّدها اللسان حين تلقى من تلقى من الناس ، أم تلقيها ألفاظاً نابضة ينبوعها القلب ، لتحدث المودّة بينك وبين من تلقى من الناس .

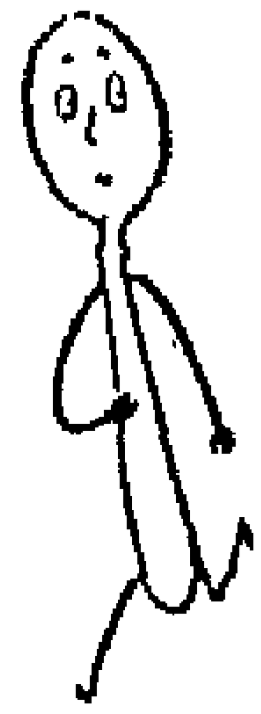
ألم ترفع مرّة سماعة التلفون فإذا بك تسمع من يقول « آلو » بصوت جذاب لا تجد منه فكاكا . وقد عرفت رجلا وقع في هوى امرأة فأحبها وتزوجها ، وذلك بعد حديث جرى بينهما بالتلفون عن عمل من أعماله ، ففتنه صوتها .

ومن الناس من إذا سمعته يقول لك : « من فضلك » أو « شكراً لك » أحسست كأنه يخاطب نكرة لا يعرفك ولا تعرفه ، وربما أحسست كأنه يخاطب جماداً ، لخلوّ نظراته من بريق المعرفة ، وخلوّ صوته من نبرة تدل على بعض المودّة .

ولعل أشد الكلمات ابتذالا على الألسنة هي قول القائل : « معذرة » و « أنا آسف » ، فهي كلمات وضعت للتعبير عن الاعتذار ، ولكنها اليومَ تلقى إلقاءً كيفما اتفق ، دون أن يكون في صوت الناطق بها أيّ أثر من آثار الندم أو الاعتذار ، حتى يخيل إليك أنها ضربٌ من الإهانة . .

وهذا شيء يبعث على الأسف ، فإن هذه الكلمات التي نحتاج إليها في كلّ يوم ، لو هي استعملت وكان فيها نفحةٌ من الإخلاص ومن التعبير عما في نفس قائلها ، لأفاضت على الكآبة التي تتغشّى حياة الناس ضياءً مشرقاً ينفي عنها الملل والسآمة . وما من أحد يحسّ أنك « آسف » من أعماق قلبك إلا اغتفر لك كل إساءة قدّمتها إليه ، وإنه لخليقٌ أن يقبل عذرك إذا سألته المعذرة بأدب مشفوع بابتسامة رقيقة — بدلا من أن تفعل ذلك كأنه حقٌّ لك تتقاضاه إياه .



في دنيا الصغار

-٢-

ج . ب . ماك إيفوى

تزعم زوجتي أن جميع الأطفال يتلكأون حين يأكلون ، وأن جميع الآباء والأمهات يعانون مشقة كبيرة في حمل أبنائهم على الأكل ، وأن هذه هي طبيعة الأطفال، وأن أبناءنا لا يختلفون عن سواهم، وليس في وسعنا أن نصنع شيئاً. أما أنا فأرى أن هذا كله هراء وتسليم بالهزيمة ، وأما الأطفال فلا يرون آراء ، بل يفعلون ما يريدون . فتراهم في بعض الأيام لا يزالون يأكلون طعام الفطور في ساعة متأخرة من النهار، وتراهم في غيرها يزدردون كل شيء يقدم لهم كأنهم وحوش مفترسة .

فقر رأيي منذ عهد قريب على أن هذا التعثر والعبث الذي تقول النساء إنه من وحي الفطرة لا يجدينا شيئاً ، وأن الأوان قد آن لي أن أمسك الزمام بيدي ، فأهيمن بعقلي ومنطقي ورباطة جأشي على تغذية ابنتينا فقلت : « الأطفال كالحيوانات الصغيرة ، وجميع الحيوانات تأكل حين تجوع » .

فقالت زوجتي : « ولكن الحيوانات تأكل أيضاً ما يضرها، وقد تكثر من الأكل حتى تصيبها التخمة وتمرض. أسمعت في حياتك بجواد قد هلك من كثرة الأكل؟ » فرددت عليها : « أسمعت في حياتك عن طفل هلك من كثرة الأكل ؟ » فقالت كالظافرة : « هذا غير ذاك » .

فقلت : « لعلك تريدين أن نعيد المناقشة من ألفها إلى يائها : الأطفال كالحيوانات ، ولو كان لي ما أريد لوضعت الطعام أمامهما على المائدة ، ولصحت بهما : هذا طعامكما ، فإذا أقبلتا عليه فبها ونعمت ، وإذا امتنعتا تركته هناك حتى تقبلا عليه . ولكنني أعلم ولا ريب أنك أنت لا ترتضين حكماً يرتضيه العقل والمنطق كهذا الحكم ؟ »

فقالت زوجتي متعجبة : « حكم منطقي ! أي ضرب من الأولاد تصيران إذن ؟

ولو تركت لهما الحبلَ على الغارب لأكلتا أكل الحيوانات » .

فقلت : « هو ما تقولين ، وإذن لرأيت عيونهما تتألق ، وشعرها يلمع وأسنانهما تبرق ، ولشبَّتا ولهما عافية كعافية الأشبال ورشاقة كرشاقة القطط » .

فقالت زوجتى : « لعلك تريد الآن أن نعيد المناقشة من ألفها إلى يائها » .

فقلت بلهجة جافية : « إذن فلنفعل . وربما يهمك أن تعلمى أنى عكفت منذ أيام على مطالعة كتاب عن سلطان الآباء وطاعة الأبناء . فالخبراء يقولون إن الصغار مثلهم كمثل أهل الفطرة ، فى وسعك أن تدرِّبهم كما تدربين المستوحشين على الإذعان للسلطان ، إذا جعلت السلطان رمزاً من الرموز أو نُصُباً من حجر أو أى شىء من الجماد . فكذلك الأولاد ، تستطيعين أن تظفرى بطاعتهم إذا نقلت السلطان من الأب أو الأم إلى شىءٍ لا يسع الصغار أن يناقشوه أو يجادلوه » .

فقالت زوجتى : « ألا تضرب لى مثلا ؟ »

فلم تكد تسألى مثلا حتى اقترحت عليها رأيىَ العظيم : « لنجعل المنبِّه ذلك الرمز . فالمنبِّهُ يدقّ وكذلك ناقوس المدرسة — وناقوس المدرسة رمز لسلطان المدرسة فى حياة التلميذ . فاضبطى المنبه حتى يدقّ فى الوقت الذى تريدين البنتين أن تنتهيا من طعام الفطور ، وقولى لهما إن جرس المنبه يخبرهما بالوقت الذى ينتهى فيه طعام الفطور . فإذا ما قرع الجرس رفعت الأطباق وأخذت إلى المطبخ سواءٌ أكانتا قد أتمتا الفطور أم لم تتماهُ » .

فقالت زوجتى كالواثقة المطمئنة : « لن يجدينا ذلك شيئاً » .

فقلت : « سوف ترين » .

وفى صباح اليوم التالى ضبطت المنبه ، وجلست الفتاتان إلى مائدة الفطور وقد سحرهما المنبه ، وجعلتا تراقبان عقرب الدقائق يتحرك وهو يدنو إلى العلامة التى ينتهى عندها زمن الفطور . وقد كانتا فى الأيام السابقة تأكلان بعض الشىء ، ولكنهما كانتا فى صباح اليوم كالمسحورتين وهما تراقبان الساعة وتنتظران الجرس حتى يدقّ ، فلم تأكلا شيئاً . فلما دقّ المنبِّه ، لذت بالحزم ونفيت الشفقة من قلبى ، وأخذت الصحون إلى المطبخ ، فعدتا ورائى وهما تصيحان ، فحافظت على رباطة جأشى ، وظللت حازماً لا ألين ، فأسفر ذلك كلُّه عن أن البنتين جن جنونهما حتى عجزتا عن الذهاب إلى المدرسة .

وقد سرت زوجتى ولاريب سروراً عظيما بما كان من انهيار نظريتى ، فبينت لها أن ما تمّ لا يعد امتحاناً علمياً صحيحاً . فالمصباح

الكهربائى ، والتلفون ، والراديو لم تتقن بعد تجربة واحدة ، وقلت : « وسنجرّب مرة أخرى غداً صباحاً » .

وقد فعلنا ، وكانت النتيجة كما توقعت مخالفة لنتيجة التجربة الأولى . فقد فتنهما منظر المنبه فجلستا تراقبان العقرب الدائر ، ولكنهما تذكرتا أيضاً أنهُ إذاما دق الجرس فإن الطعام سوف يختفى عن المائدة ولامحالة ، فلذلك رأيتهما تزدردان الطعام ازدراداً حين بدأ الجرس يدقّ . وقد حاولت أن أنتزع الصحون منهما ، فلم أقوَ على ذلك ، فقد تشبثتا بها حتى التهمتا كلّ ما كان أمامهما فى دقيقة واحدة تماماً . فأسفر ذلك عن إصابتهما بسوء هضم عنيف ، وعجزتا عن الذهاب إلى المدرسة فى اليوم الثانى أيضاً . فقالت زوجتى وفى لهجتها جلال النصر : « أرجو أن تكون قد اقتنعت الآن ، فقد حاولت أن تحلّ محلّ عادتهما البريئة فى التلكؤ على الطعام ، عادتين خبيثتين ربما لازمتهما طوال حياتهما ، فتنسفان صحتهما نسفاً ، وتفسدان عليهما حياتهما زوجتين ووالدتين : الأولى أنك حولتهما إلى آلات تراقب عقرب الساعة ، والثانية أنك وضعتهما على أول الطريق الذى يفضى إلى سوء الهضم وقرح المعدة .

ولا أزال أظن أن هذا العالم المخبول — عالم الأمهات اللواتى يصغين إلى الإلهام ، وعالم الأطفال الذين لا تستطيع أن تعرف ما يكون منهم بين ساعة وأخرى — لا يزال فيه مكانٌ لعقل الرجل الهادىء المنطق .

بيد أنّنى لست أعرف أين هو .

ظلّ رجال المباحث ثلاث سنوات يبحثون عن سيدة تسرق الشيكات وتصرفها من المصارف حتى بلغ ماسرقت على هذا النحو عشرة آلاف ريال . وقد روى رجال المباحث أنه تعذر عليهم أن يظفروا بوصف دقيق لها ، لأنها دأبت على لبس فساتين تكشف عن جمال نحرها حين تتقدم إلى موظفى البنوك لتصرف الشيكات التى سرقتها .

[أسوسييتد برس]

كثيراً ما يكون اطمئنان الضمير حسنة من حسنات ضعف الذاكرة .

[مثل شائع فى جمهورية شيلى]

انتفع بما آتاك الله

الدكتور هارى إمرسون فوزديك

مختصرة من مجلة "الرياضة البدنية"

لى صديق من علماء النفس يلجأ إليه الناس يستشيرونه فى متاعبهم . وقد قال لى منذ عهد قريب إن معظم الذين يأخذهم الاضطراب العاطفى هم قوم يعجزون عن الرضى بما قُسم لهم ، فيسخطون ويبرمون بقصورهم ويتمنى كل منهم أن يكون إنساناً آخر ، وتراهُ لايزال يتحسر ، متصوراً ما كان خليقاً أن يفعل لو أتيح له ما أتيح لغيره ، فإذا به يهمل ما انطوى بين جوانحه من قدرة فطر عليها ، وبذلك يعجز عن أن ينتفع بقدرته أعظم انتفاع وأجداهُ .

وكلُّ أحد من الناس يستطيع أن يجد أسباباً كثيرة تسوغ له أن يبرَم بما قُسم لهُ ، فهذا ولِيم ولبرفورس عاش غير راض عن نفسه ، فقد كان قميئاً . وقد ذهب الأديب بوزويل مرة ليسمع ولبرفورس يخطب فوصفه فقال : « رأيت دودة على منبر ، ثم رأيته يكبر فى عينى ويكبر وأنا أستمع إليه ، حتى صارت الدودة حوتاً هائلا » . وكان ولبرفورس أيضاً رجلا ضعيف الصحة ، وظل عشرين سنة يمتثل أوامر الأطباء ، وكان يأخذ الأفيون لكى يمسك عليه رمقه ، ولكنه بلغ من العزيمة مبلغاً وقاه أن يزيد الجرعة التى يأخذها بأمر أطبائه . وإليه يعود الفضل فى القضاء على تجارة بريطانيا فى الرقيق ، أكثر مما يعود إلى أى بريطانى آخر . فإذا ما وقفت فى دير وستمنستر أمام مدفنه ، ورأيت شاهد « المدعى العام المدافع عن حقوق الناس الذى لاحامى لهم ولا صديق » ، تمثل لك كيف تحوّلت تلك الحياة المرهفة الإحساس العذبة ، فصارت عطفاً زاخراً قاهراً يشمل المحرومين من النـاس ، قلما يحسُّ بمثله رجل قوىُّ البنية تتفجر العافية من نواحيه .

وأنت إذا قلبت صحائف التاريخ وجدت أشد الأعمال الموفقة تحريكا للنفس ، ماتمَّ على أيدى قوم ابتلتهم الحياة ببعض أرزائها ، فعدوا تلك الأرزاء جزءاً من الحياة ، فقبلوها على علاتها ثم مضوا على سننهم يتقنون مايعملون برغم مانكبوا به . وقد روى أن عازف الكمان العظيم « أول بول » كان يعزف فى حفلة فى باريس ، فانقطع أحد أوتار كمانه وهو يعزف ، فعدّل ما بقى من اللحن حتى يطابق عزفه على ثلاثة أوتار ، وأتم العزف على خير وجه . فتلك هى الحياة — فإذا انقطع أحد

الأوتار مضيت تعزف على ثلاثة أوتار وحسب.

ولا يكاد المرء ينظر إلى مواطن القصور في نفسه هذه النظرة النافعة ، حتى يتيح لنفسه فرصاً تستحث همته ، وقـد تفتن لبه أحياناً . فسخطك على مواطن قصورك لايجدى عليك شيئاً ، والبـكاء على ما أصابك يقعد بك دون المسـير . فينبغى للمرء أن يكون جريئاً فى التسليم بأنه كتلة من القوى الكامنة ، ثم أن يقدم على أروع مغامرة فى الحياة — أن ينتفع أقصى انتفاع بخير ما قُسم لهُ .

يروى أن كتيبة من الأسكتلنديين خاضت معركة فى أسبانيا فلما حمى وطيسها قذفـــوا بقلب روبرت بروس ـ البطل الأسكتلندى ـ إلى المعمعة ثم جعلوا يحاربون لـكى يصلوا إليه . فأسلوبك فى الحياة ينبغى أن يكون كمثل أسلوبهم فى القتال : اقبض بيديك على زمام حياتك ، واقذف إلى ميدان الجهاد بمثل أعلى أو بأمل عظيم تريد أن تبلغ إليه ، ثم كافح حتى تبلغهُ . عين لنفسك هدفاً ، ثم دبر أمور حياتك حتى تفضى بك إليه . وكثير من الناس يخفق فى أن يصير شيئاً مذكوراً لأنه يرى أن الحياة شىء يجده على قارعة الطريق ، لاشيئاً يصوغه بيديه . والحقيقـة هى أن الوجود شىء تمنحنا إياهُ الطبيعة ، وأما أعظم جهادك حتى تصير رجلا حقاً ، فهو أن تأخذ « الوجود » وتعين له الأهداف وتنظم الخطط لتحقيقها ، حتى يصير « الوجود » حياة نابضة .

نزل صديق لى منذ نصف قرن فى مدينة بوسطن ، وكان والده قد قال له إنه دون الوسط من الناس قدرة وذكاء . وقد بدأ حياته فى أمريكا عاملا فى مسبك ، واتخذ له سكناً فى غرفة فوق حانة ، فتلك كانت حالة « الوجود » التى بدأ بها حياته فى أمريكا . ولـكنه أحال هذا الوجود حياة زاخرة حافلة فقد صار هذا الرجل — جورج جوردن — عالماً من أعظم العلماء الذين خرجتهم جامعة هارفرد ، وقد ظل أربعين سنة يفيض حكمة وضياء على حياة الناس من منبره . فوجوده فى المسبك وفوق الحانة ، كان كل ما لقيه جوردن فى أمريكا ، وأما حياته فقد صاغها بيديه . وكثيراً مايكون أصدق صديق يلقاه الإنسان ، هو التنافر بينه وبين بيئة لايجد فيها سوى العداء ، فتستيقظ نفسه النائمة . أما الراحة والدعة فقلما ينفعان .

وهنـاك ثلاثة عوامل تتضافر على خلق شخصية كهذه الشخصية : أما الأول فهو الخيال ، فالحيـاة الزاخرة الحافلة بالرضى والنفع ، تبدأ صورة يراها المرء بعين خياله ، فيرى أى ضرب من الرجال يريد أن يصير ، أو أى عمل من الأعمال يحبُّ أن يصنع . وقد تاقت فلورنس نيتنجيل إلى أن تكون

ممرضة ، وتصور إديسون نفسه مخترعاً ، وأشباههما كثر . وقد نجا جميعهم من تيار الحوادث المتدافع ، لأنهم تصوروا المستقبل فرأوه واضحاً ، فساروا إليه لا يلوون على شيء .

انظر إلى الشاعر جون كيتس ، فقد صار يتيماً وهو فى أول عمره ، وهوت عليه كف الفاقة ، وعذبه مالقيه من شدة النقاد وقسوتهم ، وخاب أمله فى الحب ، وأصيب بالسل ، ثم طواه الردى وهو فى السادسة والعشرين من عمره . بيد أن حياة كيتس لم تكن سفينة صغيرة يتقاذفها عباب الأحداث برغم مالقيه من شقاء . فمنذ كان صبياً يافعاً وقع على قصيدة الشاعر سبنسر « ملكة الجن » فأدرك عندئذ أنه خلق ليكون شاعراً ، فصار ذلك هو الهدف العظيم لحياته ، حتى انتهى به إلى شهرة جعلته أحد كبار المشاهير . وقد قال مرة : « أظن أنى سأعد بعد موتى بين شعراء الإنجليز » . فهذه صورة طبعت فى مخيلته ، فكانت له بمنزلة قلب روبرت بروس لتلك الكتيبة من الأسكتلنديين .

تمثل فى مخيلتك صورة الرجل الذى تريد أن تكونه ، وثبتها فيها زمناً طويلا ، فتصير لك كالمغنطيس يجذبك إليه . أو تصور نفسك رجــلاً مهزوماً ، فإذا الظفر قد أصبح مستحيلا عليك . أو تصور نفسك رجلاً ظافراً يكن لتلك الصورة نصيب قوى التأثير فى نجاحك . فإذا لم تتخذ لنفسك صورة ما ، كنت كالحطام الطافى على العباب .

وأما العامل الثانى فهو الفطنة . فأنت لا تستطيع أن تجنى نفعاً ما إذا حاولت أن تركب مركباً لا تطيقه . وكثير من الناس يتعثر تعثراً يدعو إلى المرثية قبل أن يتبين القبلة الصحيحة التى ينبغى له أن يولى وجهه شطرها . وقد بدأ وسلر المصور العظيم حياته وكل همه أن يصير قائداً حربياً ، وظل على ذلك حتى فصل من الكلية الحربية ، لأنه رسب فى علم الكيمياء . وقد قال متهكما فى تعليقه على ذلك الامتحان : « لو قدّر الله أن يكون عنصر السليكون غازاً لصرت اليوم جنرالا » . وأراد والترسكوت أن يكون شاعراً ، ولم ينقلب إلى كتابة الروايات التى أذاعت اسمه وخلدته ، إلا بعد أن ظهر عليه بيرون فى عالم الشعر . فتدبر أمر نفسك تدبراً دقيقاً ، واحتكم إلى تقدير عقلك قبل أن تتصور هدفك ، ولكن لا تغفل أن تختار هدفا لك ، سواء أكنت حكما فى اختياره أم لم تكن . حذار من أن تكون كالحطام الطافى على وجه العباب .

وأما العامل الثالث فهو الشجاعة . وكل رجل ذى شخصية مطبوع على الإيمان الذى ينفخ فى قلبه الشجاعة ، فقد كان رتشرد ڤاجنر يؤمن بقوة موسيقاه ، يوم كان أهل

جيله يستنكرونها ويتنكرون لها ، فما لبثت موسيقاه حتى تمت لها الغلبة فى أرجاء الأرض. وقد ظلت الحمى الصفراء قروناً تحصد نفوس الناس ، وقام الدليل بعد الدليل على شدة فتكها، وإذا جماعة من رجال الطب الأمريكيين فى كوبا ، قد قر فى نفوسهم إيمان بأن قهرها مستطاع ، وقد قهروها . وأقام تشارلس دارون عشرين سنة يعمل فى حديقة إنجليزية يخفق وينجح ، ويجرب ويواصل العمل، لأنه كان مؤمناً بأنه قد كشف سراً من أسرار الخلق، حتى أدرك ما أراد. والإيمان شىء غير الغرور ، هو قوة مبدعة ، هو البصيرة مقترنة بجرأة الجنان .

فالخيال والفطنة والشجاعة ، وإن قل حظك منها ، تفضى بك إلى نتائج هى عجب من العجب . فإن كان غرض المرء الأول أن يجمع ثروة ، ففى وسع العالم أن يسلبه ماجمع ، وإذا كان غرضه الأول أن يظفر بالمتعة ففى وسع العالم أن يغلبه على أمره ، أما إذا كان غرضه الأول أن يبنى شخصية ففى وسعه يومئذ أن يحسن الانتفاع بكل شىء يلقاه فى هذه الحياة .

إن لم يكن فى وسعك أن تهب ابنك سوى هبة واحدة ، فلتكن هى الحماسة .

[بروس بارتون]

رأيت رجلا جالساً يحمل بيديه مجلة يطالعها ، ولكننى استغربت حين رأيته يقرؤها مقلوبة كما تبينت من الغلاف ، فظننت أنه يتظاهر بالقراءة لأمر فى نفسه . فلما هممت أن أعود إلى عربتى لاحظت أنه مكب حقاً على المطالعة مستغرق فيها ، فاستغربت ذلك فسألته ، فقال : « تفضل واجلس أكشف لك عن سرى . ذلك أنى كلما ركبت القطار فى رحلة طويلة أشترى مجلة فأفك السلك الذى يربط صفحاتها بالغلاف وأقلب الغلاف فأجعل أسفله أعلاه ، وأعلاه أسفله ، ثم أذهب إلى مركبة البولمان وأبدأ أقرأ فصولها . ولابد أن يرانى من يظننى أتصنع القراءة ، ثم يرى الصفحات غير مقلوبة فيسألنى كما سألتنى . وإنك لتدهش متى علمت عدد الظرفاء المهذبين الذين تعرفت عليهم بهذه الطريقة » .

[الكاتب : دون وارتن]

هذا رجل يقسم ربحه مناصفة مع عماله ، فكانت النتيجة أن زاد الربح والإنتاج زيادة كبيرة .

الربح مناصفة بين العمال وصاحب العمل

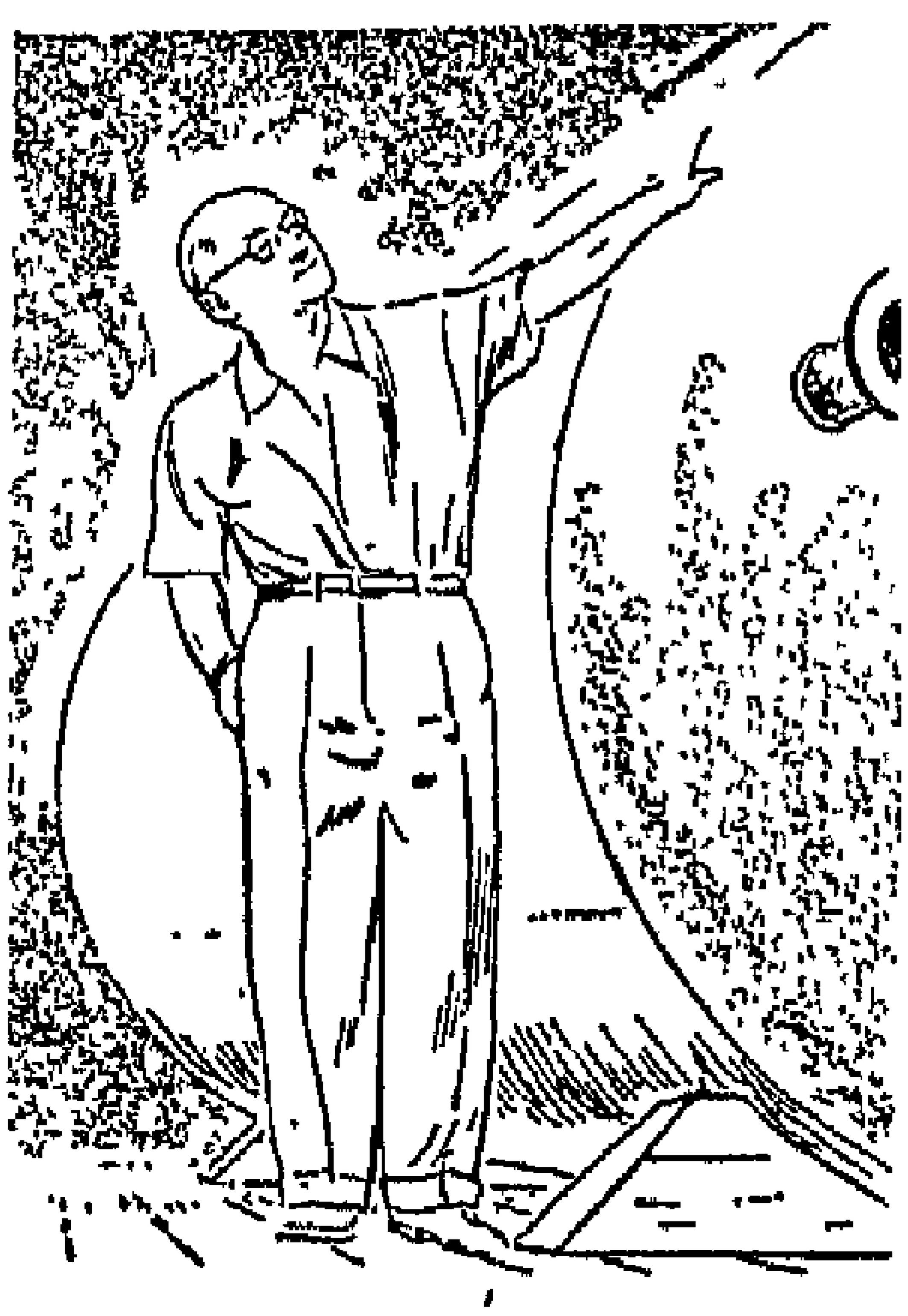
جون تشمبرلن

مختصرة من مجلة "لايف"

قد يصبح سيسل أدمسون ، وهو من أصحاب المصانع فى بلدة أمريكية يبلغ تعداد سكانها ستة آلاف نسمة ، الرائد الأول لعصر صناعىّ حديث ، وذلك بفضل تطبيقه للمبدأ القديم القائل بقسمة الأرباح بين المالك والعمال ، فإذا بهذه القسمة تأتيه بالغنم لا بالغرم ، فإن أدمسون وشركاءه يقسمون الأرباح مناصفة بينهم وبين العمال ، ومع هذا فقد زاد ربحهم ضعفين عما كان عليه وقت أن كانت شركتهم تستأثر بالأرباح كلها.

وسيسل أدمسون رجل هادىء الطباع يبلغ من العمر ٦٤ سنة ، ومن عادته أن يمضى إلى عمله مشمّراً عن ساعديه . وهو عماد المصنع ، ولا يحجم عن العمل بيديه إذا ما دعت الضرورة . أما الشركة التى يديرها فليست بالكبيرة ، وتقدر ما تبيعه بمليون ريال فى السنة تقريباً ، وتختص بصنع فناطيس من الصلب تشتريها شركات البترول ومحطات البنزين . ولكن أدمسون لم يزل يعرف كيف يجنى الأرباح حتى فى أيام الأزمات ، وظل يدفع لعماله أكبر الأجور فى تلك الصناعة . وهو بعد ذلك من المؤمنين بصواب تخفيض أسعار البيع ، كلما هبطت أثمان المواد الأولية .

وقد أتقن ، وهو صبى فى المدرسة علوم ، الرياضة العالية والهندسة والرسم وطرق الصناعة . ثم رأى أن الدراسة فى الجامعة مضيعة للوقت ، فانصرف إلى أول مشروعاته واخترع جهازاً بسيطاً يتيح لصاحب السيارة أن يلحم وهو فى الطريق إطاراتها الداخلية إذا ما انفجرت . ولكن هذه الإطارات صارت بعدئذ موفورة ، فانقطعت الحاجة إلى جهازه . وسأل أدمسون نفسه : «أى شىء أستطيع أن أصنعه وأبيعه فى السوق التى أوجدها



أول رجل صنع الفناطيس الملحومة الألواح

انتشار صناعة السيارات ؟ » وكان قد خبر طرق لحام الصلب فى مصانع السفن فى زمن الحرب العالمية الأولى، ورأى انتشار محطات البنزين ، فصح عزمه على أن يكون أول من يصنع أنموذجاً موحداً من القناطيس الملحومة الألواح لتخزين البترول . وكان هذا فى سنة ١٩١٩ ، فباع أدمسون بعد ذلك فى بحر خمسة وعشرين سنة ما يقرب من مليونى قنطاس، وأثبت بهذا صدق فراسته .

وفى سنة ١٩٣٧ أوفدت نقابة عمال الصلب بعض رجالها إلى بلدته ، فلم يقف أدمسون فى سبيلهم ، وقال لعماله إنهم أحرار فى الانضمام إلى النقابة إذا ما أرادوا .

وقرر أدمسون أن رضاه بانضمام العمال إلى النقابة سيزيد من مقدرتهم على الإنتاج ، فلما خاب أمله بدأ يتدبر ما بين العمال ورأس المال من علاقة .

فرأى أن العمال ورأس المال كلاهما آلة ، فتتعاون هاتان الآلتان على الإنتاج ، وكلتاهما تتطلب تكاليف لتعهدها وصيانتها . فتكاليف الآلة الأولى هى الأجور التى تدفع للعمال من الدخل ، وتكاليف الثانية هى المال الذي يدخر من الدخل فى مقابل ما يستهلك من الآلات . بيد أن رأس المال يأخذ نصيباً آخر من الدخل سوى نصيبه الذى يدخر لاستهلاك الآلات ، وأما العامل فلا يأخذ شيئاً سوى أجره . وهذا فى رأى أدمسون ميزة اختص بها رأس المال دون العمال ، فلا جرم إذا كان ذلك سبباً فى سخط العمال . وبذلك وضع أدمسون المبدأ الذى يرمى إلى قسمة الأرباح مناصفة بين الشركة وعمالها .

ولم يضع أدمسون مبدأه هذا إلا بعد أن درس تجارب الشركات الأخرى التى تتبع مبدأ قسمة الأرباح ، فوجد أن بعض الشركات يطلب من العمال أن يساهموا بمقدار من أجورهم على أن تضم إليه مبلغاً مماثلا له تخصمه من أرباحها . وهناك شركات أخرى تجعل الأرباح التى توزع على العمال وقفاً على دفع معاش لهم عند الشيخوخة أو المرض ، أو لدفع مكافأة لهم عند فصلهم من العمل . وهناك شركات أخرى ــ ولكنها قليلة ــ تخصص قسما من أرباحها لتدفعه رأساً إلى العمال ، ولكنها لا توزعه عليهم إلا فى نهاية العام وطبقاً لهوى أصحاب الشركة . ولم يجد شركة واحدة تعطى العامل حصة فى أرباح الشركة باعتبارها حقاً خالصاً له . ولذلك ارتاب أدمسون فى أن تؤدى هذه الخطط إلى زيادة الإنتاج، فالعامل لا يضاعف جهده من أجل معاش يرجو أن يدفع له فى المستقبل يوم يعتزل العمل لشيخوخته .

ويخالف أدمسون معظم أصحاب المصانع

الذين يتشدقون بفضائل « حرية العمل » ثم لا يقدمون للعامل شيئاً من المزايا إلا على وجه يحرمه حرية اختيار الوسيلة التي يستغل بها ماله . أما أدمسون فيقول إن الإيمان بالحرية يتضمن الثقة بقدرة الفرد على توفير الطمأنينه لنفسه بنفسه. ولهذا كان من رأيه أن مبدأ قسمة الأرباح ينبغى أن يقوم على دعامتين لا غنى لإحداهما عن الأخرى . أما الأول فنهوض العامل بالتبعات الملقاة عليه ، أما الثانية فأن ينال فوراً مكافأة محسوسة ملموسة . ومن رأيه أيضاً أنه ينبغى توزيع الأرباح مرة كل شهر .

واجه أدمسون بعد ذلك مشكلة أخرى ، فإن رؤساء نقابات العمال لا يرتاحون لتطبيق مبدأ قسمة الأرباح ، الذى يجعل لكل عامل حصة فى رأس المال ، إذ تبين لهم فى أحوال كثيرة أن تطبيق هـذا المبدأ يتخذ وسيلة للحيلولة بين العمال والانضمام للنقابات ، ولهذا قرر أدمسون أن يطلب إلى النقابة أن تضع التفاصيل التى تعينه على تطبيق مبدئه الجديد ، وأن يكون لها الإشراف على تنفيذه. فذهب إلى مدينة بتسبرج ، مقر اتحاد نقابات عمال الصلب فى أمريكا، وقال لرجاله : « إنى ألبى كل ما يطلبه الاتحاد ، ولكن العمل فى مصنعى ليس على ما يرام . فماذا تطلبون ؟ هيا بنا نتعاون معاً » .

وقد أحسن أدمسون بذهابه إلى جو سكانلون خبير اتحاد النقابات فى وسائل الإنتاج وحساب مصاريفه ، إذ هو من أكثر الناس بصراً بهذه المشاكل ، وهو يؤمن بأن نجاح نقابات العمال رهن بازدهار الصناعة ، وتباحث سكانلون وأدمسون معاً حتى وصلا إلى حل ارتضاه كلاهما .

وبدأ تطبيق مبدأ قسمة الأرباح منذ يوم أول يناير سنة ١٩٤٥ ، ففى أول شهر وزع من الأرباح ٤٢٠٠ ريال على مئة عامل بنسبة أجورهم. فانهالت على الشركة اقتراحات العمال بتحسين وسائل الإنتاج وتيسير العمل والقضاء على التراخى والكسل فى المصنع ، وبعد أن كان العمال الفنيون يقفون فى المصنع مكتوفى الأيدى إلى أن تتهيأ لهم مواد العمل ، إذا بهم يمدون يد المساعدة إلى الحمالين المكلفين بتفريغ البضائع ونقلها . وبدأ العمال أيضاً يتدربون على أعمال مختلفة ، حتى يسهل على كل منهم أن ينتقل من عمل إلى عمل فلا يضطر المصنع إلى استخدام عمال جدد ، أو إلى بطالة بعض العمال أحياناً. وفصلت الشركة من العمال كل من اعتاد الكسل أو التغيب عن عمله مراراً .

وكانت الشركة قد حرصت على شيئين : أن تمتنع عن إثارة الغيرة بين العمال بإعطائهم مكافآت على أساس عدد القطع التى يصنعونها،

وأن تهمل الأساليب التى تثير نفوس العمال بما تحصيه عليهم من دقائق العمل وثوانيه ، فلذلك زادت كفاية الإنتاج فى المصنع زيادة كبيرة ، وكان سبب الزيادة تكاتف العمال من حيث هم جماعة واحدة لا فرق فى نظرها بين مصلحتها العامة ومصلحة كل فردٍ فيها . وأخذ العمال يقيدون على لوحة فى المصنع أرقام الإنتاج شهراً بعد شهر ، ويرون فى هذه الأرقام شاهداً على فوزهم فى جهادهم ، وضماناً جديداً لتوفير طمأنينتهم على أرزاقهم . فكان من حسنات هذا الأسلوب أن ترى من عمال هذا المصنع من دفع فى سنة واحدة خمسة أقساط سنوية تسديداً للباقى من ثمن داره ، واشترى عامل آخر ستة أفدنة من الأرض . وقد حدث أخيراً أن اجتمع العمال معاً وقرروا أن يمنحوا أدمسون مرتباً قدره ١٢ ألف ريال فى السنة ، وكان كل دخله من قبل هو حصته من أرباح الشركة .

وعمال شركة أدمسون رجال جاوزوا عهد الشباب ، ومتوسط أعمارهم ٤٨ سنة ، ولذلك كان ازدياد كفايتهم فى الإنتاج مدعاة للعجب ، بل لقد دهش أدمسون نفسه حينما رأى كفاية الإنتاج فى أول سنة قد زادت ٥٤ ٪ ، وكذلك زادت الأرباح زيادة مدهشة ، وزاد دخل العامل ٥٠ ٪ ، وتضاعف ربح أصحاب الشركة بالقياس إلى ربحهم فى السنين الماضية . ولما كانت الأحوال الاقتصادية لم تتغير فإن هذه الزيادة فى الأرباح لا ترجع إلا إلى سبب واحد : هو زيادة مقدرة العمال على الإنتاج بفضل شعورهم بالطمأنينة ، وبأنهم يساهمون فى عمل الشركة وينهضون بتبعاتها .

وقد قامت اعتراضات متعددة على أن خطة أدمسون قد لا تجدى فى شركات أخرى : حيث يتوقف مقدار الربح على البحث العلمى والتحسين الصناعى ، أو حيث تكون جماعة العمال تابعة لاتحادات متفرقة فى أنحاء البلاد ، أو حيث يأبى أصحاب الأسهم فى الشركات المساهمة أن يقتسموا هذه الأرباح ، أو حيث تظفر الشركة بخفض نفقات الإنتاج وزيادة مقدار الربح ، فيسارع المستهلكون إلى المطالبة بخفض ثمن المنتجات .

ولكن هذا لا يمنع أن يصبح مبدأ أدمسون صالحاً للتطبيق فى الشركات الصغيرة أو الشركات المقصورة على أعضاء أسرة واحدة ، وهى كثيرة . وقد يقال إن أدمسون لم يأت بمعجزة ينتفع بها الناس جميعاً ، ولكن هذا عصر كثر فيه إضراب العمال ، أفليس المرء معذوراً إذا خيل إليه أن هذا الرجل قد فتح فتحاً جديداً يفضى بنا إلى عصر يسوده السلام والرضى فيما بين العمال وأصحاب العمل ؟ .

محضر تحقيق

مارك كونولى

مختصرة من مجلة "كوليرز"

« ما اسمك ؟ »

« فرانك واينجارد » .

« وأين تقيم ؟ »

« فى المنزل رقم ١٨٥ بالشارع رقم ٥٥ » .

« وما صناعتك ؟ »

« مدير مسرح الفرقة التى تمثل رواية : هاللو أمريكا » .

« هل تعرف جيمس داول ؟ »

« نعم ، هو من ممثلى هذه الفرقة »

« وهل تعرف تيودور روبيل ؟ »

« نعم ، ياسيدى » .

« هل هو من رجال الفرقة أيضاً ؟ »

« كلا ياسيدى، فإننا عند إخراج الرواية أعلنا عن حاجتنا إلى أقزام، فتقدم لنا روبيل وجيمى معاً ، ولكننا رفضنا روبيل لأن قامته أطول مما كنا نريد ، ولم أره بعد ذلك إلى أن فتحنا باب حجرتهما عنوة فى يوم الثلاثاء الماضى » .

« وهل وجدتهما ميتين ؟ »

« نعم ياسيدى » .

« ولماذا ذهبت إلى حجرتهما؟»

« لأن جيمى لم يحضر ليقوم بدوره فى الرواية، لذلك ظننت أن قد حاق به مكروه »

« ماذا تعنى بقولك هذا ؟ »

« لأنى كنت أرى جيمى فى الأيام الأخيرة غارقاً فى غم شديد ، وكنت أعلم أن روبيل يقصر فى تسرية الهمّ عنه » .

« هل تريد أن تقول أنهما تعاركا ؟ »

« كلا ياسيدى ، فكلاهما كان مغموماً . وقد طال الكرب على روبيل ، فإنه قد تزوج منذ خمس سنوات أخت جيمى ، وهى من الأقزام أيضاً ، فماتت بعد ذلك بنحو سنة ، وظل روبيل عاطلا سنتين ، وتحمل جيمى عبء الإنفاق عليه ، وكان جيمى يحدثنى مراراً عن أن روبيل قد بدأ يغتم كثيراً منذ رأى هذا الطول الطارىء على قامته » .



« ماذا تعنى بعبارة الطول الطارىء ؟ »

« نعم ، هذا طول طارىء ، فإن القزم يظل ما عاش بالطول الذى بلغه وهو فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ، ولكن قامة

بعض الأقزام تأخذ أحياناً فى الطول من جديد قبل بلوغ الثلاثين، وقد تطول مقدار قدم واحدة أو أكثر فى بحر سنتين ، ثم يقف نموه ويظل طوله ثابتاً لا يتغير إلى آخر عمره ، ولكنه لا يعد بعد ذلك من الأقزام .

« وهذا هو ما حدث لروبيل ، فإنه لم يوفق إلى عمل، وانتابه غم شديد ، وحاول جيمى أن يسرّى عنه كربه ، فكان يصحبه للتنزه ، أو يذهبان معاً إلى السنما . ويخيل إليه أن إدراك روبيل لما أصابه من طول القامة كان يتجلى له أوضح ما يكون حين يسيران فى الطرقات جنباً لجنب، ولعل هذا هو سبب موتهما » .

« ماذا تعنى بهذا ؟ »

« نعم، فكلاهما قد أدرك أن جيمى وحده هو الذى سينهض بعبء الإنفاق على نفسه وعلى زميله ، وأنه سيتاح له العمل دائماً ، على حين يظل روبيل عاطلا ، وأخذ هذا الخاطر يسيطر على روبيل ويقلق باله.

« وقد لاحظت منذ ثلاثة أسابيع أن جيمى قد أخذت تبدو عليه أيضاً دلائل الغم، فقد كنت واقفاً بباب المسرح ، فأقبل علىّ مقطب الأسارير، مع أننى كنت أراه من قبل يسير مرحاً ويلعب بعصاه ، فقلت له : « كيف حالك ياجيمى؟» فأجابنى : «لست بخير يامستر واينجارد » ، فقلت له : « ماذا بك ؟ » فأجابنى : «لقد بدأت قامتى تطول مرة أخرى » وكانت لهجته لهجة رجل ينبئك بأنه أصيب بمرض سيقضى عليه فى بحر أسبوع .

فأجبته : « هذه أوهام ياجيمى ، فهذه قامتك على حالها لم تطل» ، فأجابنى « كلا ، فإنها تطول ، كما حدث لزوج شقيقتى ، وقد جرى هذا أيضاً لأبى ، ولكن أهله كانوا من ذوى اليسار فلم يضره طوله الطارىء . أما أنا فلا محيص لى من العمل لكسب قوتى» . فقلت له : « إننى أرى قامتك لم تتبدل ، فكم كان طولها ؟ » فأجابنى : « ٣٧ بوصة » فقلت له : « تعال معى إلى مخزن المسرح لنقيس طولها » .

« فتراجع عنى وقال : « كلا ، لا أريد ، إنى أعرف مبلغ طولى الآن ! »

« وظل الغم مستولياً عليه طول الأسبوع، ولما جاءنا يوم الإثنين الماضى رأيته ممتقع الوجه من الخوف وقال لى : « لقد طالت قامتى مقدار بوصتين »

«ومع ذلك لم أتبين شيئاً من الطول فى قامته، فقلت له : « تعال نقس قامتك » ولكنه كان يشعر بوجل شديد من مواجهة النتيجة ، فرفض طلبى، وظل يتهرب منى طول الأسبوع. وقد سألته ليلة السبت الماضى عن حاله هل تحسنت فقال لى : « نعم تحسنت جداً هذا»

مع أن وجهه كان ينطق بذعر شديد. وهذه آخر مرة رأيته فيها قبل أن تقع عيني على جثته » .

« لقد شهد الشرطي جورليتز أنه حينما وصل وجد إحدى الجثتين في ركن من الحجرة ، والأخرى في الركن المقابل له . فهل كانتا على هذا الوضع حينما فتحت باب الحجرة ؟ »

« نعم ياسيدى » .

« وقد شهد الطبيب الشرعي أن الموت كان من جراء طعنات بسكين ، ولعلها سكين واحدة . فهل تظن أن اليأس هو الذى دفعهما إلى هذا الانتحار ؟ »

« كلا ياسيدى ، ولا أعتقد أنهما انتحرا » .

« ماذا تعنى بهذا القول ؟ »

« نعم . فإننى حين دخلت الحجرة أنادى عاملة المسرح ، نظرت إلى مدية وقلت لها إنها مُدْية من طراز عجيب ، وعجبت لماذا احتفظا بها فى حجرتهما .

« فقالت لى إنها مُدْية قصّاب ، وإنها كانت بين أدوات مطبخها ثم اختفت منذ بضعة أسابيع . فأخذت أعجب أيهما الذى سرقها . ثم تدبّرت الوقائع وأدركت حقيقة ما حدث . أين تلك العصا الصغيرة التى وجدت فوق الفراش ؟ »

« هذه هى » .

« نعم ياسيدى . الواقع هو أننى لم أصدق قول جيمى إن قامته قد أخذت تطول ، ولما أنبأتنى عاملة المسرح بخبر اختفاء المدية بدأت أفكر ، وبدا لى أن جيمى كان قد عثر على هذه المدية مصادفة قبل حدوث الحادث » .

« ولماذا قلت مصادفة » .

« لأن روبيل كانت قد انتابته لوثة من الجنون فيما أعتقد ، فسرق المدية وأخفاها عن جيمى ، فلما عثر عليها جيمى أخذ يعجب فيمَ يستعملها روبيل . وهو لو سأله لما ظفر من سؤاله بشىء ، ثم أدرك جيمى من تلقاء نفسه فيم استعملت هذه المدية ، أو لعل روبيل أخبره بما كان . ومهما يكن من شىء فالرأى أن جيمى أخذ يفحص عصاه — تلك العصا التى كان يحملها دائماً ، ورأى مكان حزّ المدية فى أحد طرفيها » .

نزاع المحياة

لم ألقَ فى حياتى رجلا عظيماً لم يكن ينطلق دائماً على سجيته فى وداعته وبساطته ، أما التصنع والتظاهر فهما أبداً علامة الرجل الذى لا يثق بنفسه .

[الجنرال شارل دوز]

الشخصيات التي لا تنسى :

وجدت أبي

شروود أندرسن

شاعر، وروائي، وصحفي أمريكي

أعجب الأواصر التي تربط بين البشر في هذه الحياة الدنيا ، تلك الأواصر التي بين الأب وولده . وقد عرفت حقيقتها اليوم بعد أن صار لي وَلد .

إن الوَلد يتمنّى أن يرى في أبيه خلالاً يمتازُ بها عن سائر الناس. وأنت تسمع الناس يقولون إن الآباء يحبون لأولادهم أن يكونوا على الصورة التي يشعرون في أنفسهم أنهم عاجزون أن يكونوا هم عليها . ولكني أقول لك إن العَكْسَ صحيح أيضا . وأنا أعرف عن نفسي أني كنت في أول عمري أحب أن يكون أبي على صورة بعينها غير التي هو عليها . فإذا رأيته يمرّ بنا أنا ولِداتي ونحن نلعب في الطريق ، أتمنى أن أشعر بنفحة من الكبرياء تجعلني أقول: «هذا هو ، إنه أبي».

ولكن لم يكن أهلَ ذلك ولا يستطيع أن يكونه . فكنت أرى يومئذ أنّه يحرص على أن يجعل نفسه مهرّجاً ومسلاة للناس. فلو فرضنا أن أحداً من أهل قريتنا أقام حفلة تمثيلية يكون فيها الصيدليّ وكاتب الخبّاز وطبيب القرية وكثير من النساء والرجال ، فإنّ أبي سيحرص أشد الحرص أن يمثل دور المهرّج الأول ، ويفعل أحمق الأفعال . وسيراه الناس لطيفاً ، ولكني لا أراه كذلك .

بل كنت أراه فظيعاً ، ولست أدري كيف كانت أمي تطيقه. وأعجب العجب أنها كانت تضحك مع الضاحكين . ولعلي كنت خليقاً أن أضحك معهم لو لم يكن هو أبي .

وكان لا يحسنُ ركوب الخيل ، ولكنه يركبها فإذا به يسقط عن ظهر الجواد ، ولا يبقى أحدٌ من الناس إلا استغرب في الضحك ، ولكنه لا يعبأ شيئاً ولا يبالي ، بل لعله كان يرتاح إلى ضحكهم . وأذكر يوماً رأيته يأتي عملا مضحكا، وعلى قارعة الطريق أيضاً ، وكان معي لِداتي من الأطفال ، فإذا هم يتضاحكون ويتصايحون به وهو يصيح إليهم ويعبث كما يعبثون . فانطلقت أعدو إلى زُقاق بعيد عن أعين الرفاق ، وظللت أبكي وأنتحب .

وربما كنتُ فى فراشى ليلا ، فأسمع صوته وقد دخل ثملاً ومعه بعض أصحابه ، وكان رجلا لا تراه وحده أبداً . وكان قبل إفلاسه سروجيّاً ، فكان دكانهُ لا يخلو من المتسكّعين الذين لا عمل لهم . وقد أفلس ولا عجب ، من جرّاء التسليف والبيع بالنسيئة. فقد كان لا يستطيع أن يردّ طالبا ، وكنت أعدّ فعله هذا حماقة وجنونا . وبدأت أنطوى على بُغضه وكراهته .

وكان فى المدينة رجال لم أكن أظن فيهم أنهم يحبون أن يتابعوه فى عبثه وحماقته ، كمفتّش المدارس التى فى قريتنا ، وذلك الرجل الوقور الذى يملك دكاناً لبيع الحديد. وأذكر أنه كان عندنا رجل جليل أبيض الشعر ، وكان صرّافاً فى المصرف ، فعجبت أشدالعجب حين رأيته يماشى هذا الثرثارة — فهكذا كنت أرى أبى . وأنا اليوم أعلم ما الذى حبّبه إليهم ، ذلك أن الحياة فى القرية ، كما هى فى سائر القرى الصغيرة ، كانت مملّة أحياناً . وكان هو يطرد مللها ويملؤها حبوراً ، فكان هو الذى يضحكهم ، ويقصّ عليهم القصص ، بل كان أحياناً يستدرجهم حتى يغنّوا .

وكان إمّا يجمعهم فى دارنا ، وإما يخرج بهم فى الليل مثلا إلى روضة قريبة من الجدول ، فيسمّرون ويطبخون ويشربون ، ويجلسون ليسمعوا منه قصصه .

وكان كثير الحكاية عن نفسه ، ويقصّ عليهم العجائب التى حدثت له . وربما كان فى حكايته ما يدلّ على أنه مغفّل أو سخيف ، ولكنه لم يكن يبالى .

وإذا نزل بنا رجل إرلندى فسرعان ما يقول له أبى إنه إرلنديّ أيضاً ، ويذكر له القرية التى وُلد فيها ، ويحكى له أشياء حدثت هناك فى زمن صباه . وكان يُسْبغُ على حديثه لهجة من الصدق كانت خليقة أن تجعلنى أنا نفسى أصدق ما يقول ، لولم أكن أعلم علم اليقين أنه مولود فى بلاد أمريكية خالصة .

فإذا كان الضيف أسكتلندياً ، فهو أسكتلنديّ ، ويتخذ فى لهجة حديثه نبرة الأسكتلنديين فى النطق . وكذلك إذا كان الضيف ألمانيا أو سويدياً ، فهو من بنى جلدته أياً كان . وأظن أنهم جميعاً كانوا يعرفون أنه يكذب ، ولكن يبدو لى أنهم كانوا يحبونه صدق أو كذب . ولم يكن يسعنى وأنا طفل أن أدرك سر ذلك .

أما أمى ، فوا رحمتاه لها ، كيف كانت تطيقه ؟ كان يساورنى أن أسألها ولكنى لم أفعل قط ، فلم تكن ممن تستطيع أن تسألهم مثل هذه الأسئلة .

فلما أفلسنا ولم تبق لنا سوداء ولا بيضاء ،

فهل تظن أنه كان يدخل علينا وفى يده شىء من طعام ؟ غيره من يفعل ذلك ! أما هو فكان إذا لم يجد فى البيت طعاماً خرج يدور على بيوت أهل القرية ، فكلهم كان يحب محضَره. فكان يظل غائباً عنا أحياناً أسابيع، وتنوبُ عنه أمنا فى كسب شىء لإطعامنا . ثم إذا به يعود يوماً حاملا فى يده فخذ خروف مثلا جاء به من أحـد أصحابه المزارعين ، فيضرب به وجه مائدة المطبخ وهو يقول : «أقسم بالله أنك سوف تصنعين لأولادنا طعاماً شهياً » ، أما أمّنا فما كانت تفعل سوى أن تنظر إليه وتبتسم له ، ولا تقول له شيئاً عن الأسابيع والأشهر التى غاب فيها عنا غير تارك لنا قرشاً لطعامنا. وقد سمعتها مرة تكلم امرأة فى شارعنا ، ويخيل إلى أن المرأة كانت قد اجترأت أن تواسيها وتسرّى عنها بلواها ، فإذا هى تقول لها : « لا عليك ، فنحن بخير والحمد لله ، إنه ليس بإنسان كئيب النفس كأغلب سكان الشارع، فإنه إذا كان معنا نفى عن الحياة كل كآبة » .

وكان صدرى يمتلىء كل يوم بغضاً له ، وطالما تمنيتُ لو لم يكن لى أباً ، حتى أنشأت فى نفسى لنفسى أباً سواهُ. وكنت أحب أن أنزّهَ أمى عن العيب فأتخيل قصة زواج غامض مستور لم يظهر أمره لسبب من الأسباب الغريبة ، فأزعم أنها تزوجت رجلا كرئيس إحدى الشركات أو أحد أعضاء البرلمان ، وكان الرجل يظنّ أن زوجتـه قد ماتت ، ثم تبين له أنها لم تمتْ .

ثم تكتـّموا الأمر ما استطاعوا تكتماً شديداً ، ولكن ماذا يضيرنى مادمتُ قد ولدتُ لأب كهذا ؟ فأنا ولا ريب لست ولد هذا الذى هو أبى عند الناس . أما أبى الذى تحدّرت من صلبه ، فهو رجل مهيب عظيم الشأن قد استقرّ فى مكانٍ ما من هذا العالم . ولم أزل أفعل ذلك حتى داخلنى بعض الإيمان بهـذه القصة التى كنت أتخيلها .

وجاءت ليلة، وكانت أمى غائبة عن الدار لبعض حاجاتها ، وجاءَ أبى وكان غائباً، ولا أدرى، أين، منذ أسبوعين أو ثلاثة، فوجدنى وحدى فى الدار أقرأ على مائدة المطبخ .

وكان المطر منهمراً وقد بلل ثيابه . فجلس وجعل يرمقنى ببصره وقتاً طويلا دون أن ينبس ببنت شفة، فأخذنى الفزع، فقد رأيت على وجهه مَسْحة من الحزن لم أر مثلها قط وظل جالساً زمناً والماء يقطر من ثيابه ، ثم هبَّ واقفاً وقال :

« تعالَ معى » .

فنهضتُ وخرجت معه من الدار والعجب يملأ قلبى، ولكنى لم أكن خائفاً. وسرنا فى طريق تَرِب يفضى إلى وادٍ يبعد عن المدينة

نحو ميل ، وكان فى الوادى بركة . ومشينا صامتين . لقد سكت الرجل الذى لم يسكت له لسان قط !

لم أكن أعلم ماذا يبغى ، وكان يخالجنى شعور عجيب بأنى أسايرُ رجلا غريباً عنى . ولست أعلم أكان يريدنى أن أحسّ هذا الإحساس، ولكن لا أظن أنه كان يريد ذلك.

كانت بركة كبيرة ، وكان المطر لا يزال يسحّ سحاً، والبرق يومض والرعدُ يقصف، ولما بلغنا شاطىء البركة المعشب ، فعندئذ نطق لسانه ، وكان صوته غريباً تحت هذا الظلام وهذا المطر .

قال : « اخلع ثيابك » . فأخذت أنضو ثيابى وأنا لا أزال فى عجبى ودهشتى. وأومض البرق فرأيته عارياً قد خلع ثيابه كلها .

ثم نزل إلى الماء ، وأخذ يدى وجذبنى معه . لم أنطق بحرف ، ولا أدرى أكان ذلك من خوف تملكنى أم من الدهشة التى استبدّت بى . وكان يبدو لى أن أبى لم يلق إلىّ قط بالاً قبل هذه الليلة .

وظللت أسائل نفسى : « ماذا يبغى هذا الرجل ؟ » وكنت لا أحسن السباحة ، فأخذ يدى ووضعها على كتفه وأوغل فى الظلام .

كان رجلا عريض المنكبين ، قوياً على السباحة، وكنت أكاد أحسّ بحركة عضلاته تحت جنح الظلام. وسبحنا حتى بلغنا الطرف الآخر من البركة، ثم عدنا أدراجنا إلى حيث تركنا ثيابنا ، وكان المطر لا يزال ينهمر ، والريح لا تزال تعصف . فكان أبى يسبح أحياناً على ظهره ، فإذا فعل ذلك أخذ يدى فى يده القوية وجذبها إليه حتى تظل دائماً على منكبه ، فإذا خفق البرق رأيت قسمات وجهه واضحة .

كانت على وجهه مسحة الحزن التى رأيتها عليه حين دخل المطبخ . وكنت أرى هذا الوجه لحظة خاطفة ثم يطويه عنى الظلام والمطرُ وعاصف الرياح . وإذا بى أحسُّ فى قلبي شيئاً لم أحس مثله من قبل .

كان إحساساً بالقرب والتدانى: إحساس غريب، كأنْ ليس فى هذه الدنيا سوانا أنا وهو ، وكأنه نفضنى نفضاً أطار عنى نفسى وما فيها ،وأطار عالم صباى، والعالم الذى كنت أستنكف فيه من نسبتى إلى أبى الذى ولدنى.

وصار هذا الرجل سرّ دمى الذى يجرى فى عروقى ، وكان هو السباح الأيّد الذى يلوذ بقوته فى ظلام الليل ولده الضعيف . وسبحنا صامتين، ولبسنا ثيابنا المبللة صامتين أيضاً ، وانقلبنا عائدين إلى الدار .

رأينا نور المصباح فى المطبخ ، ولما دخلنا والماء يقطر من ثيابنا رأيت أمى جالسة هناك فابتسمت لنا، وأذكر أنها قالت لنا : «أين

كنتم يا أولاد ؟ » ، ولكن أبى لم يجبها . وقد بدأ مغامرته معى بالصمت وختمها أيضاً بالصمت . ثم استدار والتفت إلىّ ، وذهب خارجا من الغرفة وعليه فيما خيّل إلىّ مهابة لاعهد لى بمثلها فيه من قبل .

ثم صعدت الدرج قاصداً غرفتى ، ونضوت عنى ثيابى فى الظلام ، وأويت إلى فراشى ، ولكن لم أنم بل لم أكن أريد أن أنام ، فهذه أول مرة تستيقن نفسى فيها أنى ولد أبى . لقد كان أبى قصّاصاً كما قدّر لى أنا أن أصيرَ . وعسى أن أكون قد كانت ضحكة غلبتى وأنا راقد تحت الظلام ، ولو كنت فعلت ذلك فقد فعلته لأننى علمتُ أننى لن أبغى بعد اليوم بأبى بديلاً .

فى الليلة الأولى بعد عودتى من الحرب ذهبت أزور خطيبتى فى دارها . وبعد قليل ترفّق أبواها فى الخروج من حجرة الاستقبال . وبينا نحن جالسان وقد دعانى شوقى إليها أن أقبلها ، إذا بى ألمح شقيقتها الصغيرة واقفة بالباب وهى فى ملابس النوم ، فناديتها وربتُّ لها على كتفها وقلت لها : « ألا يحسن بك أن تأوى إلى فراشك ؟ فإن فعلت أعطيك ربع ريال » .

فلم تقبل الرشوة وخرجت دون أن تنبس ببنت شفة وعـدَت إلى حجرتها ثم عادت وقالت : « خذ نصف ريال ودعنى أتفرّج » . [الجاويش هنرى شنكر]

حل المسألة

(انظر صفحة ٨٤)

ضع ستّ كرات لاغير فى كفتى الميزان ، ثلاثاً فى كل كفة . فإذا تعادلت الكفتان ، فالكرة الخفيفـة هى إحدى الكرتين اللتين لم تزنهما ، فاطرح الكرات الست وضع كلاً من الكرتين الباقيتين فى كفة تعرف أيهما أخف . فإذا لم تتعادل الكفتان ، طرحت الثلاث التى فى الكفة الراجحة ، ثم تأخذ كرتين من الثلاث التى فى الكفة الخفيفة ، فتزنهما الوزنة الثانية ، فإذا تعادلتا كانت الخفيفة هى التى لم توزن . وإذا لم تتعادلا عرفت أيهما هى الكرة الخفيفة .

فلتثر العاصفة



خلاصة رواية

روز وايلدرلين

مؤلفة

"لتسى بيلى" و"سندا" الخ

هذا مختصر رواية رائعة حافلة بآيات الحب والبسالة وكفاح الطبيعة القاهرة ، وهى رواية جعلت مؤلفتها روز ويلدر لين فى طليعة كتاب الروايات فى هذا العصر ، وقد رحب بها النقاد يوم صدورها أعظم ترحيب فأعيد طبعها ثمانى مرات ، ولا تزال رواية يعاد طبعها مرة كل سنة .

فلتزأر العاصفة

لما كان طفلين يلعبان معاً ، قالا إنهما سيتزوجان متى شبّا وكبرا ، فلما كبرا تزوجا .

ولم ينقض قط عجب كارولين ، الفتاة الحيّية الهادئة التى لم يقسم لها حظ وافر من الجمال ، كيف فازت برجل مثل تشارلز . وكان مرحاً مقداماً ، وصائداً جريئاً ، وراقصاً وعازفاً ، ومكافحاً .

ولم يكن قد بقى بقرب حلّتهما سوى القليل من الأرض الطيبة ، أما إلى الغرب فكانت أرضاً لم يستوطنها أحد ، وكان يقال إنها خصيبة ومستوية ، وليس فيها غابات تقطع ، فذهبا غرباً .

وكان والد تشارلز رجلا سخى الكف ، وله ستة أولاد أصغر من تشارلز ، وكان على تشارلز أن يعمل لأبيه إلى أن يبلغ الحادية والعشرين ، ولكن أباه نزل له عما بقى له من الزمن — هبة حرة تتجاوز العامين ، وزاد على ذلك فأعطاه المركبة والجوادين ، وهذا ما كان يكسبه بالعمل حتى يبلغ الحادية والعشرين .

أما أبوا كارولين فأعطياها بطانيتين ، ووسادتين محشوتين بريش الإوز البرى ، وقدراً ، ومقلاة ، وطاسة . وأعطياها أيضاً لحماً محفوظاً ، وجبناً ، وقالبين من السكر ، وديوان شعر تنيسون ، مجلداً بالجلد الأخضر المذهب ، وكان عندها هى ملاحف رقّعتها . فخرجا متزوّدين تزويداً حسناً .

ولم يستطيعا قط أن يقولا أيهما كان خيراً — أيام الرحلة غرباً وهى متنوعة على طرق مجهولة ، أم الليالى التى كانا يقضيانها بجانب النار الموقدة ، وتشارلز يعزف على قيثارته ، والخيل ترعى ، والنجوم تتلامح ، والقمر يضىء ، وهواء الليل ساج جميل . وكانت أغنيته المحببة إليه تنهضه على قدميه إذ يرفع الصوت بألفاظ التحدى والنصر ، فتنطلق فوق الحقول المعشوشبة وتتجاوب بأصدائها الغابات المتراحبة العذراء :

« خلّ العاصفة تزأر ، فإن ذلك أخلق بأن يعجل بفنائها ، وسنخوض الإعصار ، ونرسو آخر الأمر على الشاطىء السعيد » .

ثم تخمد كارولين النار ، ويربط تشارلز الخيل حتى يطلع الصبح ، ثم يأويان إلى فراشهما فى المركبة .

وكان تشارلز يصيب كل يوم صيداً ، وإذا احتاجا إلى الدقيق والشاى والسكر ، أقاما فى حلّة من الحلل ، وذهب تشارلز يعمل ليكسب ما يتزوّد به .

وكان الصيف قد شارف آخره حين بلغا

السهوب الغربية ، ووجد تشارلز عملا على السكة الحديدية ، وقال إن إقامة بيت أمر لابد أن يؤجَّل، وفى أثناء ذلك تقيم زوجته فى مخيم السكة الحديدية ، فإنها حامل، وهو يريد أن يكسب شيئاً من المال .

وكان مخيم الرجال الذين يمدون الخط الحديدى إلى الغرب صغيراً فى هذا السهل المتقاذف : وهو قسم للنوم ، وآخر للطبخ ، ومخزن للشركة . وكانت المسز بيكر وأختها اللتان تديران قسم الطبخ ، امرأتين جافيتين غير مهذبتين ، فلم تشأ كارولين أن تقيم معهما ، فبنى لها تشارلز كوخاً أو عريشاً من العيدان، فكان يقطع العيدان الجافة القوية ، وساعدته هى على تمليس الحيطان ومدّ غطاء المركبة فوقها، واستخدمت الحشائش الجافة فوق السطح لاتقاء حرارة الشمس . وقد تمت إقامة البيت فى يومين، فصارت لها دار مرتبة رطيبة الجوّ لايشاركها فيه أحد .

وكان تشارلز يذهب بالمؤن إلى البيت الجديد على مسافة عشرين ميلا غرباً ،فيكون مع كارولين ليلة ويغيب عنها ليلة . وكنت تسمع الذئاب تعوى على بعد ، وكانت مخازن الشركة القريبة كثيرة الضوضاء بوقع الأقدام فيها ، وارتفاع أصوات الذين يشربون ويقامرون، وكان تشارلز قد أعطاها مسدساً فلم تخف قط ، ولكنها كانت تستوحش ولا تجد أنيساً .

فلما كانا شهر سبتمبر صارت الرياح باردة، والسماء الغائمة تتجاوب بأصوات الطيور المرتدة إلى الجنوب ، وكانت المخمات تنقض ، فلن يكون هناك عمل حتى يحوّل الحول . وكان تشارلز قد كسب من المال ما يكفى لمؤونة الشتاء ، ولشراء الأدوات والبذور ، وقد وجد مكاناً يقيم فيه بيته .

وكانت عيناه الزرقاوان تومضان وهو يحدثها بذلك، ففى هذا المكان بيت مسقوف ومستودع من العيدان ، وخمسون فداناً من الأرض الممهدة ، فقد كان فيها قبله رجل أخذ هذه الأرض وعمل فيها كل هذا ، ثم نفض يده منها وذهب مشرّقاً ، وقال إنه لايطيق أن يقضى شتاء آخر مستفرداً وَحَداً .

وسألها تشارلز : « أترى ستكون هذه الأرض موحشة لك يا كارولين؟ إنه لن يكون هناك إنسان آخر إلى مسافة ثلاثين ميلا » .

« أما لك بُدّ من أن تنأى عنها ؟ »

« كلا ، بل سأكون هناك، ولكن — » .

فقالت : « لا ، لن تستوحش نفسى » .

وفى منتصف الليل قصد تشارلز مكتب تسجيل الأراضى على مسافة ثلاثين ميلا ، ليظفر بهذه الأرض قبل أن يسبقه إليها سواه . ولم يكن قد ناهز العشرين ،

ولـكنه كان رأس الأسرة ، فلم تكن به حاجة إلى الانتظار إلى أن يبلغ الحادية والعشرين ليسجل طلبه للأرض . وفى ثالث يوم ، وفى ظلام الليل ، سمعته كارولين يغنى على الرغم من كركرة المركبة ؛ وكانت معه الوثائق ، فبعد خمس سنوات تصبح الأرض ملكه.



انقطع العمل فى المخيم. وشرع الرجال يذهبون شرقاً إلى البلاد المعمورة فى مركبات أو على ظهور الخيل ، أو مشياً على الأقدام . أما كارولين فساعدت تشارلز على حزم المؤن ، فذهبا غرباً.

وغضبت المسز بيكر حين سمعت أن تشارلز وكارولين لن يذهبا شرقاً لقضاء الشتاء ، وواجهت تشارلز ويداها على خصرها .

وقالت مغضبةً : « هذه البنيّة وفى مثل حالتها ! أتريد أن تقتلها ؟ »

فأفزعته صراحتها ، فما كان يدور له فى خلد أن ولادة طفل تنطوى على خطر على المرأة ، فصار مستعداً أن يعدل عن كل شيء وأن يكر راجعاً بكارولين إلى أهلها ، ولـكن كارولين كانت تفكر فى البيت والأرض ، وكانت تعلم أنه إذا أخذها غيره من طلاب الأرض فقد يقتلون تشارلز حين يعود فى الربيع ، وكثيراً ما وقع هـذا ، فقالت فى أدب بصوتها العـذب : « وداعا يامسز بيكر — يجب أن نمضى الآن » .

ومضى تشارلز بالمركبة ، ولـكنه كان لا يزال مستعداً للارتداد ، وكانت كارولين أفطن من أن تذكر له طلاب الأرض والوثّابين عليها ، واكتفت بأن تقول برصانة: « إن الوضع أمر طبيعى ، وفى وسعى أن أضع طفلى هنالك كما أضعه فى أى مكان آخر » .

وساقا مركبتهما طول النهار دون أن يلتقيا بأحد ، وأبصرا مرة فارساً من بعيد لعله من الهنود ، أو من البيض الخوارج على القانون الذين يختبئون فى الغرب .

وكانت دائرة الأفق طول النهار على وتيرة لا تتغير ، والحشائش البرية تتماوج مع الريح . ولما كان العصر مرا بمخزن بذور منفرد ، هو الأثر الوحيد الذى يُهتدى به فى كل هـذه الأرض ، فانحرف تشارلز عن طريقه ليشترى بعض البذور .

وقبيـل الغروب دار حول مستنقع ، ووقفت الخيل ، فصاح تشارلز : « وصلنا ! »

فاتسعت عينا كارولين وهى تصوبهما إلى الماء فى بطن الخور تحتها ، فقهقه تشارلز ، فقد أبقى هذا الخور سرًّا ليفاجئها به ، ولم يخبرها أن فى هذه الأرض ماء ، وأنهما لن يحتاجا أن يحفرا بئراً .

وقال تشارلز : « خطر لى أن نسميه

خور الكمثرى البرى » ، وكانت هناك على الماء شجرتا كمثرى صغيرتان : « إن الماء يجرى فى عروقهما ، وسينوّران فى الربيع » .

وأسرع فأراها الكوخ ، وكان تحت أقدامهما ، والخضرة فوقه ، والحشائش تحجب مدخنة الموقد ، والطريق ينحدر على حافة الخور الوعرة إلى الباب .

كان الباب يفتح على حجرة كبيرة تتسع لكل ما معهم ، والأرض ممهدة وصلبة ، والقماش يستر السقف وجانباً من الحيطان ، وهناك سرير ، ومائدة ودكة ، وموقد من الحديد للطبخ وكان تشارلز قد اشترى ذلك كله من الرجل الذى رحل عن الأرض ، وكانت الشمس تدخل من البـاب الذى يطل على السهوب المترامية من فوق الجانب الغربى المنخفض من الخور ، بل لقد كانت هناك كوة صغيرة مغطاة بورق مزيّت ، ومنها يدخل النور فى الشتاء .

ولم يكن ثم ما هو خليق أن يكون أدفأ من هذا الكوخ فى الشتاء وأبرد فى الصيف ، وكل هذا الدفء وهذه الراحة — المخزن المصنوع من العيـدان ، والأرض الخصبة التى لا شجر فيها ، والخور ، وبعض النبت الذى يصلح علفاً للخيل ووقوداً — كل هذا لهما ! وكل ما يتطلب الأمر منهما أن يعيشا هنا ويفلحا الأرض ، وبعـد خمس سنوات يكون ذلك كله ملكا لهما .



وظل كل شىء مريحاً قبل أن تهب عواصف الثلج ، وكانت الخيل تجد الدفء فى المخزن ، وأمامها النبات والشوفان تأكل منه إلى أن يقبل الربيع ، وكان تشارلز قد قطع كل الحشائش الجافة وكومها بجانب المخزن .

وعوت الرياح ودفعت الثلوج أمامها على الأرض . وكان تشارلز فى الأيام الصافيـة يحمل بندقيته ثم يعود باللحم والفراء ، وكانت كارولين تكنس وتمسح ، وتطبخ ، وتغسل وتكوى . وفى الأيام التى تهب فيها عواصف الثلج صارخة من الشمال الغربى ، كان تشارلز يتحسس طريقه إلى المخزن لا يعدوه ، وكان قد مدّ حبلاً من رأس الطريق إلى باب المخزن حتى لا يضل فى العواصف التى تعمى البصر .

وصنع تشارلز مهـداً من صندوقين ، ونجر الخشب بعناية بقطعة مكسـورة من المدخنة ، حتى صار أملس مثل كفه ، وحفر على رأس المهد صورة طائرين وعش . وكان ضوء المصباح حسناً ، والموقد ينفث الحرارة ويبعث رائحة الطعام الطيبة . وكان تشارلز يتناول قيثاره من صندوقه ويعزف ويغنى ويوقع بقدمه .

وفى شهر فبراير غطى الثلج هذا العالم

الساكن ، وأثقل الحمل كارولين فصارت بطيئة الحركة قصيرة النفس ، وكان تشارلز لايفارقها إلا قليلا وإن كان الجو ملائماً للصيد. وكان السكون يغشى هذه الأميال من الثلج التي لا أثر فيها لإنسان ، والتي لا يسمع فيها إلا زفيف الرياح ، ولا يرى إلا آثار الوحوش — عالم لا عداوة فيه ولا رحمة .

وحاولت كارولين أن تتذكر كل ماسمعته عن الوضع ، وما أقل ذاك ، ولم تدع تشارلز يفطن إلى حنينها إلى أمها .

وجاءها المخاض بأوجاعه بعد ظهر يوم ، وكانت قد أعدت عجينة للخبز وأدنت الوعاء من الموقد ليرتفع العجين ويختمر بسرعة ، واستطاعت أن تملكه وتقرّصه وترغّفه قبل أن يرى تشارلز وجهها، وكانت تعلم أن الأوجاع ستكون شديدة ، وآلت أن لا تصرخ أو تتوجع ، حتى لا تزيد ما يعانيه .

وطال الليل جداً ، وكانت راقدة على السرير تبتسم لزوجها كلما استطاعت ، وكان فزعها شراً من الوجع ، فتعلقت به في جزع ، ولكنه كان أقل منها حيلة ، ثم غام كل شيء ، وسمعت صرخات أدركت أنها ندّت عنها ، ولم تكن تستطيع أن تردها أو تكتمها ، ولم تكن تشعر بشيء إلا هذا الألم الذي لا يطاق . وكانت قوتها قد أخذت تضعف .

وولد الطفل في صباح اليوم التالي — ولد في يوم عيد ميلادها السابع عشر كأنه هدية فسمياه تشارلز جون . وكان سميناً صحيح البدن ، وكان قلما يصرخ . وكانت كارولين تغسل ثيابه كل يوم وتغسله هو بماء الثلج بعد تدفئتـه على الموقد . وكانت سعادتها فوق الوصف إذ تحمله لترضعه .

وذهبت الثلوج بسرعة في ذلك الربيع ، وبين مساء وصباح ازدانت السهوب بالأزهار البرية، وكان الباب يظل مفتوحاً طول النهار، وكانت كارولين تحمل الطفل وتمضي به إلى الحقل حيث يحرث زوجها ، وكانت الأرض كلها عليها تباشير خصْبها .

وكان الخط الحديدي سيصل في ذلك العام إلى مسافة عشرة أميال من مكانهما ، ونزل عدد من الأسر عند موقع المدينة ، وستجرى القطر على الخط في العام القادم. وكان الناس في كل مكان يتخـذون بيوتهم ، فاغتبط تشارلز وكارولين لأنهما سبقا غيرهما وأخذا خير بقعة . وسيخرج في أرضهما أول قمح في هذه المنطقة .

وفي صباح يوم من أيام مايو ، وقد أنبتت الأرض واخضرت رؤوس القمح ، وأخذ تشارلز يزرع البطاطس، أقبلت مركبة تجرها الثيران. وفي ذلك المساء دعا تشارلز كارولين

وأراها ناراً على مسافة نصف ميل، وفى صباح اليوم التالى كان القادمون يقيمون كوخاً .

فقال تشارلز بفرح: «سيكون لنا جيران». ومضى فى الصباح ليحيي القادمين ، ثم عاد كئيباً محزوناً ، فقد كانوا من السويديين ولا يكادون يعرفون الإنجليزية .

وبعد بضعة أسابيع ، وفى وقت الظهر ظهر المستر سفنسن فى مدخل الباب وهو رجل ضخم فى ثياب معفرة ، ويداه غليظتان ، ووجهه عريض مكتئب ، وكان الدمع يلمع فى عينيه الزرقاوين ، ومد ذراعيه مشيراً إلى السهوب المترامية، وأخرج صوتاً كصوت الرياح التى لاتهدأ ، ورفع إصبعين ، أحدهما يشير به إلى نفسه ، والآخر إلى زوجته . وبسط يديه إلى كارولين متوسلا ، فقد كانت زوجته تشعر بالوحشة .

وفى عصر ذلك اليوم ارتدت كارولين خير ثيابها ، وقبعتها ، وحملت طفلها بين ذراعيها ، ومضت تجتاز السهل حتى وقفت أمام الستر الذى يغطى مدخل الباب، ونادت فى استحياء : « يامسز سفنسن » .

فرفعت الستر امرأة صفراء الشعر ، فى مثل سن كارولين، وكانت تنتفض من السرور، فأخذت بيد كارولين وأدخلتها الكوخ ، وكان الكرسى الوحيد فيه هو المقعد الذى نزع من المركبة ، وألحت عليها المسز سفنسن وهى تبتسم وتتكلم بما لا يفهم ، أن تقعد عليه ، ثم وضعت البن والماء فى إبريق وخرجت مسرعة لتوقد تحته ناراً ، فما كان عندها موقد .

وكان غطاء المركبة مطوياً على الأرض ، وعليه مرتبة سميكة من الريش ومخداتها ولحاف. وفى أحد الأركان براميل وصندوقان كبيران مدهونان ، وفتحت المسز سفنسن صندوقاً وأخرجت فنجانين وطبقين ، ثم جاءت بالقهوة .

وقالت كارولين وهى تشير : «فنجان». فقالت المسز سفنسن مثلها : « فنجان » ، وضحكت فبدت أسنانها البيض المتينة .

وقالت كارولين : « طبق » .

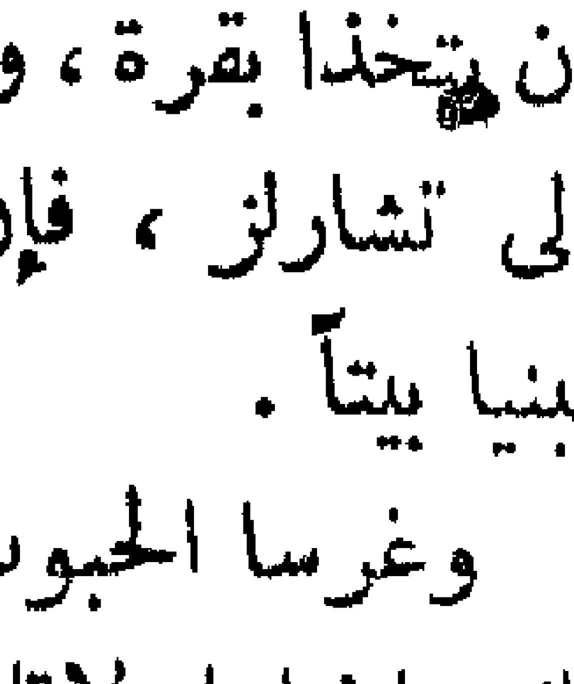
فقالت المسز سفنسون بحماسة : «طبق». ثم شرعت كارولين تشير إلى أشياء أخرى فكان الأمر كأنه لعب ولهو ، وقالت المسز سفنسن بعدها : « طفل » فتركتها تحمل ولدها ، فكان يضحك ويضرب برجليه وهو على ذراعيها .

ولما همت كارولين بالانصراف ، ذهبت بها المسز سفنسن إلى المستودع المصنوع من العيدان وأرتها خليتى نحل ، فعلمتها كارولين كلمتى « نحل » و« عسل »، وعادت إلى البيت تحمل أنباء كثيرة تريد أن تقصها على زوجها .

وبعد ذلك صارت كارولين والمسز سفنسن تجتمعان أحيانا مرتين فى الأسبوع، وتقضيان العصر معاً فى أحد الكوخين . وشعرت كارولين كأن الأرض تعمر بسرعة لما صار لها جار على مسافة نصف ميل منها .

وكانت الأرض تموج بنباتها وستخرج سوى القمح ، البطاطس واللفت والجزر ، ويتوفر الدقيق للشتاء المقبل ، ويكون المال كافياً لغير ذلك من المؤن . وفى العام المقبل ، إذا جرت الأمور على ما يرام ، يستطيعان أن يتخذا بقرة ، ومتى آلت ملكية الأرض إلى تشارلز ، فإن فى وسعهما حينئذ أن يبنيا بيتاً .

وغرسا الحبوب على صفين حول الموقع الذى اختاراه لإقامة البيت، وكانت كارولين تذهب كل يوم ، بعد أن تفرغ من أعمالها الأخرى، تملأ الدلو عشرات المرات من ماء الخور إلى صفى الحبوب النابتة . وسيجىء يوم يكون لهما فيه حِجاز يصدّ الرياح .



وفى صباح يوم فى أخريات شهر يونيه قال لها زوجها : « أريد أن أريك شيئاً » ، وكان صوته يرعش من فرط التأثر ، فتبعته فى الطريق ، ثم وقفت مذهولة . فقد كانت السنابل الخضر فى الحقل كله ترتفع أمامها إلى صدرها .

وعجز تشارلز عن ضبط صوته وهو يقول « انظرى يا كارولين ! سأحصد مقدار أربعين بوشلا من الفدان الواحد . والقمح يباع هنا الآن بسعر ريال للبوشل . فهذا المحصول يساوى ألفى ريال ! »

فذهلت ، فقد كان هذا مبلغاً يتجاوز كل تقدير ، وقالت بلهجة من به رهبة : « فى وسعنا أن نشترى البقرة » .

فصاح تشارلز : « بقرة ؟ قولى قطيعاً من البقر ! وسنحيط الأرض بحاجز ، ونبنى البيت ، وسأشترى لك ثوباً من حرير ! وستكون لنا مركبة وزوج من الخيل ! » ، ورفعها بين ذراعيه وراح يدور بها ويرقص ويصيح وقد غلبه الطرب ، ويقول : « أصبحنا أغنياء يا كارولين ! أغنياء ! »

وجعلا يذهبان كل مساء إلى حقل القمح لينظرا إليه ، وكانت أيام الصقيع قد ولّت ، ولم تعد بالمحصول حاجة إلى المطر ، وشرع تشارلز يحفر سرداب البيت الجديد بين صفوف الحبوب التى زرعها . وكانت كارولين قد وُلدت فى بيت من خشب ، أما تشارلز فكان يطوف برأسه شبح من ذكرى بيت أبيض الدهان فى الشرق، فاعتزم أن يبنى البيت على هذا المثال .

وخطر لتشارلز أن الأرض التى حصل

عليها ليست كافية ، وقال : « وينبغى أن أستعجل طلباً لأرض أغرس فيها أشجاراً . إننا ننمو ونكبر يا كارولين وينمو معنا أعظم بلد فى العالم ! »

فقالت : « ستحتاج إذن أن تغرس مئة شجرة وتتعهدها خمس سنوات ، وتقتل نفسك عملا ، وأنت تتعهد أرضين » .

فضحك منها ضحكا طيّبه الحب وقال : « وما فائدة المال ؟ فى وسعنا أن نستأجر عمالا » .

وقبل أن تطلع الشمس استقل المركبة ، فقد أقيم فى موقع المدينة مكتب للأراضى ، فنى مقدوره أن يعود إلى البيت فى تلك الليلة .

ولم يكن عمل اليوم فى نظرها إلا صدفة تضمّ فى جوفها مستقبلاً هو أقرب إلى الحقيقة من الحاضر ، وستكون فى البيت الجديد بئر ومضخّة ، فلا تحتاج أن تأخذ الماء من الخور بعد ذلك وتحمله . وسوف تكون للطفل ثياب رقيقة من الصوف ، وأردية موشّاة بالمخرّم (الدنتلا) ، وتفرش أرض البيت بالخشب ليسهل تنظيفها .

ولما مالت الشمس للمغيب ذهبت تحمل الماء لتسقى البذور المغروسة ، واعتدلت فى وقفتها ونظرت إلى الحفرة التى ستكون سرداب البيت ، وفكرت فى الدار البيضاء التى ستبنى وحولها الأشجار الذاهبة فى الهواء تصدّ عنها الرياح ، وتحيط بها حقول تخرج ثروة من القمح . هكذا سيكون بيتهم ، ولن يعرف الطفل بيتاً غيره ، وسيكبر ويصبح فتى ثم رجلا فى هذا البيت الأبيض الكبير ، ويعمل فى حقول القمح وفى المخازن الكبيرة ، ويركب جواده ويركض به فى السهوب ، ولن يتذكر شيئاً من الحياة فى كوخ فقير .

وكان الظلام قد أرخى سدوله حين سمعت صوت المركبة وخرجت للقاء زوجها عند المخزن ومعها مصباح ، فوقع الضوء على حمل من الحطب ، ووراء المركبة آلة حصاد جديدة حمراء تلمع أجزاؤها المصنوعة من الصلب ، وكان على المقعد بجانبه كوم من حُزم ملفوفة .

ووثب تشارلز فوق العجلة ، وضمها ضمة طردت الهواء من رئتيها : « خمنى ماذا جئتك به ! »

« ولكن يا تشارلز ، كيف ؟ أتراك استدنت ؟ »

« ولم لا ؟ إننا قادرون على الوفاء ، أليس كذلك ؟ أما لو أنك سمعت ما يتحدثون به فى البلدة عن قمحنا ! لقد قدمت طلباً للأرض الواقعة فيما وراء الخور وصار لنا خير رقعة فى هذه المنطقة . ومتى صارت كلها مزروعة قمحاً ـ ربّاه ! هل كنت

تحسبين أنى سأقطع كل هذه الأميال العشرة على مركبة فارغة ؟ لقد كان واجباً أن نشترى آلة الحصاد هذه ــ والحطب ! »

ولم يسبق لهما قط أن تناولا عشاء كهذا أو قضيا مثل هــذه الليلة . وكان تشارلز قد اشـترى قطعة من اللحم ، وشيئاً من الحلواء والزبيب ، وزاد فابتاع رطلا من الزبد ورطلا من السكر الأبيض ، وجاء بلعبــة للطفل ، وحذاءين كبيرين جداً له فى سنه هذه . ثم فك حزمة ، وكشف عن ياردات من الحرير الرقيق الأسمر ، فشهقت كارولين وهى لاتكاد تصدق ما ترى عيناها ، ولمست الحرير فى خشوع ، وحاول تشارلز أن يتكلم مستخفًّا فقال : « إن شعرك أرق وأنعم من الحرير » ، ثم ندت عن صدره صيحة وهو يقول : « حمداً لله، فإن فى وسعى الآن أن أعنى بك وبالطفل » .

وبعد أن أكلا عشاءهما جلسا معاً فى مدخل الباب ، وصعّـدا عيونهما إلى النجوم ، وكانا مطمئنين آمنين بفضل ما أخرجت الأرض من القمح . وقال تشارلز : « سأحصده فى آخر الأسبوع المقبل » .

وكانت كارولين تضع طعام العشاء على المـائدة فى اليوم التالى حين سمعا صراخ امرأة .

فقال تشارلز : « ابقى حيث أنت » .

وتناول بندقيته وخرج ، ولم تبعد كارولين عن الطفل واكتفت بأن تذهب إلى رأس الطريق .

وكانت المسز سفنسن مقبلة تعدو ، وتشارلز يعــدو إليها ، فصاحت وهى تلهث بألفاظ تنم على التحذير والفزع ، ثم دارت وأشارت إلى فوق ، فرأت كارولين سحابة لم يسبق لها بمثلها عهد مقبلةً من الشمال الغربى بسرعة . وعادت المسز سفنسن إلى كوخها وهى تنتحب .

وأحست كارولين بمثل وقع المطر على النبات حولها ، ولـكنها لم تر سوى أوراق تضطرب ، ووقف تشارلز كأنما تجمّد وصاح : « ربّاه ! ربّاه ! » .

ذلك أن الجراد كان يتساقط من السماء بالمئات ، فقد كانت السحابة من جراد .

وذهب تشارلز يعدو إلى المستودع وهو يصيح : « املأى الدلو . اغمسى البطانيات فى الماء ، فقد تكون النار منجاة من شرّه ! » .

وقبل أن ينقطع تساقط هذه المخلوقات المجنحة من السماء ، كان تشارلز قد ساق الخيل ثلاث مرات حول حقــل القمح ، وحفر ثلاثة أخاديد فى الأرض ليحمى بطينها المرفوع قمحه مــن النار التى أوقدها بعــد ذلك فى الحشائش البرية . ومن حسن الحظ أن الريح كانت ساكنة .

وكان على كارولين أن تتبع النار على طول الخط المحروث لتمنع النار من أن تشبّ في القمح ، أما تشارلز فكانت مهمته أشق ، وهي أن يحصر النار في الحشائش ويمنعها أن تحرق الأرض كلها . وكانت هناك سوى رائحة الحشائش المحترقة ، رائحة زيتية منبعثة من الجراد الذى يقع في النار .

وبدا كأنه لم يكن قط هناك ، ولن يكون أبداً ، سوى هذه المعركة المستيئسة العنيفة التي لا رحمة فيها ولا هوادة . على أنها انتهت أخيراً ، وهوت كارولين إلى الأرض وهي ترتعد .

خف إليها تشارلز ، وكان قد غشيه الدخان وذهب شعر جفونه ، واحترق الشعر الذى كان على ذراعيه ، ولكن أعواد القمح ظلت قائمة كما كانت — خضراً ذهبية جميلة — وللجراد حفيف فوقها .

وقال : « ادخلى واستريحى ، وسأحافظ على أن يبقى هذا الدخان الكثيف الخانق ، وأخلق بهذا أن يجدى »

ومشت كارولين فوق الجراد ، وكانت قدماها تسحقان ما تدوسان منه وكان الجراد في شعرها ، وفي كمها ، وفي إزارها ، وحاولت أن تسد أذنيها فلا تسمع حفيف أجنحتها .

ومضت إلى الطفل تتعهده بلا تفكير ، وفي الوقت المعتاد أطعمت الخيل ، وقادتها إلى الماء لتسقيها ، ثم طبخت العشاء . وكان تشارلز يجز الحشائش ويكومها على الخط الذى كانت فيه النار حول حقل القمح ، فارتفع الدخان الكثيف وانتشر في الهواء الراكد .

وأبقت كارولين العشاء دافئاً زمناً طويلا ثم جاء زوجها أخيراً ، وقد زهد في الطعام من الإعياء والقلق والاضطراب . وخرجت معه إلى حقل القمح ، وأرّثا النار الهامدة على ضوء النجوم ليظل الدخان يرتفع في الجو .

وطلع الفجر معتما من الدخان ، ولما وقعت أشعة الشمس الأولى على السهوب ، ارتفع من الأرض صوت ، وكان هذا صوت أشداق صغيرة لا عداد لها تأكل وتقضم . وبدأ الحقل يموج ويضطرب ، والأعواد الطويلة تنتفض وكان أحدها ربما اهتز وتحرك كأنما يكافح ، ثم يتطرح ويميل على ما جاوره .

صاح تشارلز بصوت مبحوح وانطلق إلى الحقل ، وجعل ينتزع الأعواد جملة ، وكان يحس كأنه إنما يقطع لحمه هو حين يقتلع الأعواد ويكدس أكوامها ليشعل فيها النار ، ولكنه لابد من التضحية ببعض النبات لإنقاذ البقية .

وكان تشارلز يصيح من خلل الدخان : « كارولين ! ارجعى إلى الكوخ وابقى فيه — لا قبل لك بهذا — ما زلت ترضعين الطفل ! » وكانت الدموع المنحدرة من

عينيه المحمرتين تبلل الهباب الذى على خديه.

وكانت كل ساعة تحمل إليه شراباً بارداً وطعاما، ولكنه كان لا يكف عن العمل ليأكل. وقال مرة وهو يشهق: «لو استطعنا أن ننقذ ما يكفى للبذور، لأمكن تأجيل هذا الدين إذا رهنت له المحصول».

وفى اليوم التالى لم يبق عود من الحشائش قائماً على الأرض، وكانت ملقاة كأنما حشت ولكنها كانت لا تزال تضطرب. وجاءت كارولين بدلو من ماء الخور ووقفت تحدق فى أشجار الخوخ. لم تكن عليها ورقة واحدة.

ولما دخل تشارلز فى الكوخ كانت عيناه محمرتين فى وجهه الذى علته طبقة من الدخان. وقال: «ذهب القمح يا كارولين! كل سنبلة.» وانحط على المقعد.

وأبت أن تدعه يتهافت وينهار. وقالت: «إذا لم يكن هناك قمح فإنى أحسب أننا نستطيع أن نمضى فى سبيلنا بدونه. وقد استطعت إلى الآن أن نمضى بدونه» وقعدت بجانبه فجذبها إليه، وأحست أن الشهيق يرج كيانه حين أسند وجهه إلى كتفها، وقد تعلق بها فى هذه المحنة التى تجاوز طاقته، كما تعلقت هى به حين وضعت طفلها.

«آه يا كارولين! أما لو أنى لم أرتكب هذه الحماقة! مدين بمئتى ريال، لا طحين لهذا الشتاء — ولا بذور أيضاً».

«لا تفكر فى هذا الآن. ولن تعجز عن تدبير أمرك. وسيزول عنك هذا الشعور متى نمت قليلا».

ونام نوماً ثقيلا من الإعياء، وفى الصباح كان وجهه منضناً وعيناه وارمتين، وبعد أن اغتسل وأفطر، أقنعته بأن يرقد ثانية فنام، وجلست كارولين ساكنة حتى لا تقلقه.

وسمعت فجأة صوتاً حاداً تمشى دبيبه فى ظهرها ورأسها، فوثبت إلى قدميها، فرأت على عارضة الباب صفا أسود يتهاوى عليه ويتدفق منه. فقد أقبل الجراد يغزو الكوخ، وكانت آلاف من ذوات الرؤوس الصلبة، والعيون الجاحظة، والفكاك البارزة، تتحرك فوق عارضة الباب، فالتقطت الطفل ولفت عليه فوطتها وغطته بذراعيه.

وصاحت: «تشارلز. تشارلز! اقتلهم!»

وكان الباب مفتوحا على حافة الخور. فبدا لها كأن الأرض كلها تزحف — الطريق، وحافة الخور، والسهوب... تموج وتزحف، ومدت يدها إلى الرتاج ودفعت الباب فأغلقته بشدة فسحق عدداً من الجراد.

وهب تشارلز يسقط الجراد عن السقف والحيطان، ويسحقه بقدميه، ويزيله عن السرير، ويكنسه من تحته.

وظلت هذه المخلوقات تجىء طول الليل والنهار بعده، ولم يبرح تشارلز الكوخ

ألا ليتعهد الخيل ، وقال : « الحمد لله فإنها بخير ، وسأستطيع أن أجد عملا لى بها ، وسأعود إلى العمل فى السكك الحديدية ، لما قضى علينا بعد ، وسكون بخير » .

فقالت كارولين : « طبعاً . وقد وفقناداً تماً » .

وكانت تعلم مبلغ كرهه للعود إلى العمل فى السكة الحديدية ، فقد قضى عاما يعمل فى أرضه ، وكان حراً مستقلا .

وقبيل المساء ، بدا الورق المزيت الذى يسد الشباك صافياً ، فقد ذهب الجراد فجأة كما جاء ، ومضت سحابة شفافة منه إلى الشمال الغربى . ولم يبق فى السهوب كلها عود واحد من النبات ، وثار التراب مع الريح فى المساء ، وكان كل ما تركه الجراد ولم يأت عليه هو أكوام الدريس المتخلفة من العام الماضى .

واستقل تشارلز المركبة فى صبيحة اليوم التالى إلى أقرب مخيم للسكة الحديدية ، وكان على مسافة عشرين ميلا ، وقال لها : « إذا استخدمنى رئيس العمال على الفور ، فسأبقى هناك ، وسأحاول أن أبعث إليك بخبر إذا وجدت أحداً آتيا إلى هنا ، ولكن لا تقلقى إذا لم أعد غداً مساء ، فإن سفنسن هنا ، وسيتعهدك » .

وضمها إليه لحظة ، وقبلها ، ثم استقل المركبة ومضى بها .

ولم تدرك مبلغ قلقها إلا بعد أن تخلف عن العودة فى الليلة التالية ، وحدثت نفسها أنها كانت واثقة أنه سيجد عملا ، وسيستطيعان الآن أن يؤديا بعض ما عليهما وأن يبتاعا بعض المؤونة للشتاء المقبل ، وبذوراً للعام التالى . وقالت إن ما ضاع من القمح ليس بالخسارة الحقيقية ، فما حصدناه قط ، ولا بنينا البيت الجديد ، ولا اشترينا المركبة الجديدة والجوادين — ما كان شىء من هذا كله حقاً . وقالت لنفسها : « لقد وجد عملا ، وستكون لنا بقرة فى العام المقبل ، ويشرب ابنى من لبنها » .

وبعد خمس ليال عاد زوجها . وكانت كارولين ترضع الطفل حين سمعت المركبة تقف أمام المستودع . وأراها ضوء المصباح التراب الكثيف فى عينيه ، وأدركت أنه قطع عدة أميال فى يومه فى التراب والحر وحده ، وعاد مهزوماً .

فقالت تلاطفه : « أراك تعبت جداً فدعنى أفك الخيل » .

« لم أستطع أن أجد عملا . ليس فى المنطقة كلها عمل » .

فرفعت إليه وجهها ، فقبلها قبلة سريعة ودار ليحل السيور ، ودخلت هى فى الكوخ . فلما أقبل كان الشاى يغلى ، والبطاطس يصعد منه البخار وكان فمه وفكه صارمين ، فاستغربت كارولين وقالت لنفسها : « إنه لم يتجاوز العشرين ! »

وقال : « إنهم يستغنون عن العمال فى كل مكان ، وقد كفوا عن العمل . وكل امرىء يبحث عن عمل . ونصف من فى البـلدة يخرجون منها ، وقد رأيت الرجال يشحذون فى مخيمات السكة الحديدية ، — رجال لهم أسر وأطفال ! »

فتشددت وقالت : « ليس الأمر من السوء بهذا القدر . فعندنا الدريس والبطاطس ، وفى هذا الشتاء تستطيع أن تخرج للصيد » .

فضرب المائدة بقبضته وقال : « لن أستطيع ، فليس عندى بارود ولا أستطيع أن أقترض . وقد قضى على » ووضع قبضتيه على ركبتيه وقال : « علينا أن نرحل عن هذا البيت إذا استطعنا . وقد أجد عملا إذا ذهبنا شرقاً » .

وكانت كارولين تدرك أنه لا ينبغى لهما أن ينزلا عن البيت والأرض ، فقالت : « لماذا لا تذهب شرقاً حتى يقبل الشتاء ، وفى وسعنا أن نرجىء الدين إذا بقينا فى البيت » .

فقال بفتور : « كيف نستطيع أن نقوم برحلة كهذه ونعود فى خمسة شهور ؟ إننا سنضطر أن نسير على مهل من أجل الطفل ، ويجب أن يكون معنا مال لنعيش ونقتات . وسيثب بعضهم على هـذه الأرض المحروثة إذا تركناها » .

ولم يكن قد خطر له أن يشرّق وحده فقالت بحزم : « لن يثب على الأرض أحد وأنا هنا » . ففهم ورفع إليها عينيه وقال : « هل تعنين يا كارولين — » .

فقالت : « إنى أشعر بالوحشة فى الحالين سواء أكنت تعمل فى السكة الحديدية أم فى أقصى الشرق » . وتشددت وقالت بسرعة : « سأكون بخير فإن آل سفنسن هنا » .

وفى تلك الليلة ظلا يتحدثان وهما راقدان والطفل بينهما ، واستطاعت أن تبين له أن الأمر بسيط : فالعمل فى الشرق أو فى السكة الحديدية سواء .

وقضيا بضعة أيام معا قبل أن يرحل . وساعدته وهو يغرس البطاطس واللفت ، وحفر بئراً ، وعلق عليها البكرة لتمتاح منها ، وهى قريبة ، فلا تحتاج أن تذهب إلى الخور . وقضيا المساء مع آل سفنسن ، ثم عادا إلى الكوخ فى ضوء القمر ، والطفل نائم على ذراعى أبيه .

وفى صباح اليوم التالى وضع الحطب فى المركبة وذهب إلى البلدة ، ثم عاد يحمل الدقيق والملح والعسل والبترول ، وقطعة من اللحم المملح ورطلين من الشاى ، فقد باع الحطب واشترى بثمنه هذه المؤن ، وهى تكفى كارولين حتى يعود فى الخريف . ورهن الخيل لوفاء الدين ، ولكنهما مع ذلك تحدثا وهما مستبشران . وقال إنه سيقطع الطريق بسرعة ، ومتى وجد قطاراً فسيركبه ، ويقال إن المحصولات جيدة

في الشرق ، ومن السهل أن يجد عملا في الحصاد ، وفي الخريف يعود ومعه ما يكفي من المال ويسترد الخيل ، ويقضيان شتاء آخر معا ، ثم يجيء الربيع ، والعام الجديد ، والمحصول الجديد .

وظلا مستبشرين إلى آخر لحظة ، التفت إليها تشارلز ولوّح لها بيده عند قمة الطريق ، ورفعت كارولين الطفل وأمسكت بيده ولوحت له بها ، وبقيت واقفة تصغي حتى انقطع صوت المركبة . لقد رحل .

وكان عندها ثلاث كرات من الخيط ، وإبر صغيرة للنسج ، فبعد أن فرغت من شئون الكوخ ولم يبق شيء آخر تعمله ، نسجت الخيط كله ثم حلته لتنسجه مرة أخرى .

وكانت كارولين دائمة التطلع إلى القادمين إلى السهوب على الخيل ، فإذا رأت أحدهم يركض إلى الجنوب ، راحت تعدو وتنادي وترفع عينها إلى الغريب القادم وتقول : « أماض أنت إلى البلدة ؟ إذا كنت سترجع من هذا الطريق فهل لك أن تسأل في مكتب البريد عن رسائل لي ؟ »

فكانوا جميعاً يقولون : « حباً وكرامة . يسرني أن أفعل ذلك » ، ولكنهم لم يعودوا .

وكانت كارولين واثقة أن لها رسالة في مكتب البريد — إذا لم يكن قد وقع لزوجها حادث ، وكانت الرحلة ذهاباً وإياباً تستغرق يومين ، بعربة تجرها الثيران ، أو سيراً على الأقدام ، فعرض سفنسن أن يقوم بها ، ولكنها في عصر ذلك اليوم سمعت وقع حوافر ، ثم سمعت من يدعوها ، فإذا رجل يحمل لها رسالة :

« زوجتي العزيزة — إني أتناول القلم لأخبرك أني بخير ، وأني أرجو أن تكوني كذلك ، كيف حالك وحال الصغير ؟ إني أزاول عملا في مطحن وأتقاضى ٥٠ ريالاً في الشهر مع المسكن . وصاحب المطحن يعاملني معاملة حسنة . اكتبي إليّ لأعرف كيف أنت . وسأعود في شهر أكتوبر . والآن يكفي هذا من زوجك المحب . قبلاتي لك وللصغير » .

وقد أبلت الرقعة من كثرة ما قرأتها .

وسار سفنسن إلى البلد ليرسل ردها بالبريد ، وكان عطوفاً جداً حتى لكانت كارولين تشعر أنها لن تستطيع أن توفيه حقه . ورأت أن تدعه يجز البرسيم لها على أن يقتسماه . وكان يحتاج إليه لإطعام ثيرانه ، أما هي وولدها فيكفيهما ما بقي عندها من العام الماضي ، ونصف المحصول الجديد .

وظل سفنسن أسبوعاً كاملا يجز البرسيم ويكومه ، وكانت امرأته تجيء معه كل صباح حاملة جانباً من الطعام ، فيأكل الثلاثة غداءهم في الكوخ الظليل ، وكان هذا الأسبوع خليقاً أن يكون مما يطيب تذكره لولا كآبة

سفنسن . وكانت كارولين تغضب حين تسمعه يحمل على البلاد كلها وعلى الغرب . فتقول بحدة : « إن البلاد بخير . وما من بلد يمكن أن يطعمك بملعقة » .

فيشير سفنسن بعديته إلى الفضاء ، وكانت السهوب تحجبها الحرارة ، ولا أفق يبدو ، ويقول بمرارة : « هذه الأرض اللعينة لا تطعم أحداً ، هى مأوى جن » .

فتسكت كارولين وتتقى تأدباً منها أن تقول : « إن الرجال هم الذين يصنعون البلاد » . ثم تقول بلطف بعد قليل : « إن الجو حار لأنه لا شجر هناك ، وفى حيثما تكون الأشجار يروح الناس يقطعونها ويحرقونها ويقتلعون جذورها . أما هنا فسنغرس الأشجار التى نريدها ، وسيكون الجو أكثر اعتدالا متى نما الشجر وزرعت الأرض وخرجت المحاصيل . إنها أرض طيبة » .

ولما أقبل شهر سبتمبر ، راحت كارولين تعد الأسابيع ، فما بقى إلا ثمانية أسابيع ثم تجتمع بزوجها .

وأقبل سفنسن ذات صباح ووقف بباب الكوخ وبسط يديه الغليظتين ثم تركهما تهويان إلى جانبه وقال : « سنرحل » .
لقد قنط واعتزم أن يرحل إلى الشرق .

وحاول سفنسن أن يتصيد الألفاظ ، واغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول لها إن خول النحل تقتل الصغار فتغرس إبرها فيها فتميتها ، لأن غريزتها دلتها على أنها ستعجز عن إطعامها فى الشتاء . فقد أتى الجراد على كل نبت ، ولم يعد النحل يجد نوراً وزهراً يستخرج منه العسل ، وانحدرت دموعه إلى لحيته حزناً على صغار النحل ، وقال بحدة إنه لن يبقى فى أرض لا تستطيع أن تعيش فيها نحلة .

وفزعت كارولين قليلا ، فقد احتفظت طول الصيف بشعورها بأن الأرض سيستقر فيها العيش بسرعة ، إذا كان لها جيران على مسافة نصف ميل منها ، ووضعت قبعتها على رأسها وذهبت لتزور امرأة سفنسن .

وقالت المسز سفنسن إن لها أخا فى ولاية أخرى ، وسيقصدان إليه ، وسيقضيان هذا الشتاء فى أرض حقولها مسوّرة وفيها جيران ، أرض زاخرة بالحياة . وقد تحدثت عن كل هذا وهى مشغولة بالتهيؤ للرحيل .

ولم تنطق عيناها بحقيقة شعورها إلا مرة واحدة على غير عمد ، فقد كانت تدرك أن زوجها يئس ، وأنه لن يكون إلا أجيراً فى الشرق ، ولكنها تبسمت وقالت : « سنعود ، والأرض واسعة ، أليس كذلك ؟ »

نعم ، ولكن تشارلز سيصبح مالكاً لأرض بعد أربع سنوات أخرى ، ولن ييأس أبداً .

وحمل سفنسن على ثيرانه ما عنده من البطاطس واللفت ونصيبه من البرسيم البرى

إلى البلدة ، ليستبدل بها مؤناً يحتاجان إليها في رحلتهما . ولما عاد دسّ يده في جيبه وأخرج رسالة ، ففضتها كارولين بسرعة وكانت فيها ورقتان من أوراق النقد ، وكانت لا تكاد تتبين الألفاظ المكتوبة على الرقعة ، لترقرق الدموع في عينيها :

« زوجتي العزيزة — إني أتناول القلم لأقول لك لا تقلقي . فقد وقعت لي حادثة ولكني أتماثل للشفاء بسرعة. لست أستطيع يا كارولين أن أعود في شهر أكتوبر ، فقد انكسرت ساقي في موضعين ، ولكن الطبيب يقول إنها تلتئم بسرعة ، ولن أصاب بالعرج — وقد تسلمت رسالتك ، ويسرني أن أعلم منها أنك بخير ، وأن الصغير سمين وبصحة . يحسن بك يا كارولين أن تقيمي مع آل سفنسن فلست أدرى متى أستطيع السفر ، والشتاء قد يكون قارساً هناك ، وسيكون الصيد نادراً ، وستخرج الذئاب والمتشردون إلى الأرض المعمورة ، وسيعنى بك سفنسن ، فدعيه يبني لك كوخاً بجوار كوخه ، وقد بعثت لك بما تيسر من المال للمؤن ، وسأعود متى استطعت ، فلا تقلقي عليّ ، فإن صاحب المطحن لا يتقاضاني شيئاً على طعامي وأنا طريح الفراش ، وسيؤدى للطبيب أجره . وحاولي يا كارولين يازوجتي العزيزة أن لا تحني إليّ كحنيني إليك ، فلن أفارقك مرة أخرى ما دمت حيًّا . واكتبي إليّ . زوجك المحب »

ونظر سفنسن إلى كارولين مستطلعاً . وكان هو وزوجته قد تأهبا للرحيل ، وكل يوم يمضى يعد خسارة ، لأنه ينبغي لهما أن يرحلا بسرعة قبل نزول الثلج وتراكمه .

وقالت : « لن يعود الآن فقد أصيب بكسر » ، حتى هذه الكلمات لم تدلّ على ماعراها من الذهول ، وكانت عيناها تنظران إلى ورقتي النقد ، ورقتين كل منهما بعشرة ريالات ، فهما عشرون ريالا .

وصار الأمر مرجعه إليها الآن ، فقالت : « سآخذ الطفل وأذهب إلى البلدة » .



وانحرف آل سفنسن عن طريقهما ليذهبا بكارولين إلى البلدة ، وبذلك منحاها يومين من جملة الأيام القليلة الباقية لهما ليقطعا الطريق إلى غايتهما. وفي هذين اليومين كانت الثيران تأكل طعامها دون أن تدنيهما من غايتهما . ولم تستطع كارولين أن تأبى هذه المعونة ، ولكنها أبت أن تتقبل غيرها . وعليها اليوم أن تجد لها مأوى في البلدة .

وكان هناك المتجر ، فتنفست تنفساً عميقاً وحملت الطفل على كتفها ، وكان هندرسن

صاحب المحل يكنس الأرض حين دخلت هى وامرأة سفنسن فقال : « صـباح الخير . ماذا أستطيع أن أصنع لكما ؟ »

فقالت له كارولين إنها تريد أن تقيم فى البلدة حتى يعود زوجها : « وفى وسعى أن أعمل فى مقابل الإقامة . وقد بعث إلىّ بقدر من المـال ولـكن — »

فعبث هندرسن بلحيته وقال : « أقول لك الحق ، إنه لم يبق كثير من النساء هنا ، فقد رحل الرجال ذوو الأسر بعد أن أنزل بنا الجراد هذه الضربة . والمكان ضيق ، ولـكن يحسن أن تتحدثا إلى زوجتى » وفتح الباب المؤدى إلى منزله وقال : « هنا سيدتان تريدان أن تحدثاك » .

وكانت زوجته تعد الفطور ، وهى امرأة صغيرة الجسم، سريعة الحركة ،كثيرة الكلام فقالت : « طبعاً لا تستطيعين أن تقيمى وحدك على تلك الأرض مع دنوّ الشتـاء . وإنه ليسرنى أن تبقى معنا . والله يعلم أن قليلا من المال ليساعدنا كثيراً، ولـكنه ليس عندنا سـوى غرفة نوم واحدة لنا نحن الستة . ومتى جاء دورنا لإسكان المدرّسة عندنا ، فسأحتاج أن أعد لها فراشاً هنا فى المطبخ . وهناك زوجة ديكر صاحب الحانة ، ولـكنها امرأة تقيـة . وليس عندها سوى غرفة واحدة ، ولكنها رحيبة ، وليس فيها غيرها هى وزوجها . وهناك أيضاً زوجة وكيل المحطة إنسول ولست أدرى هل تقبـل إسكانك ، ولـكنه لا ضير من السؤال » .

وكانت المسز ديكر امرأة نحيفة شاحبة الوجه وعيناها سوداوان براقتان ، فوقفت فى مدخل الباب ونظرت بحدة إلى كارولين والطفل وخاتم الزواج على إصبعها وقالت :

« لماذا يتركك زوجك هنا ولايعنى بك؟» .

فقالت كارولين : « إنه ذهب إلى الشرق ليعمل ، وسيعود متى استطاع » .

« تدفعين أربعة ريالات فى الأسبوع ؟ » .

فذهلت كارولين ، واتسعت عيناها جداً وهى تنظر إلى المسز ديكر .

وقالت المســز ديـكـر : « إذا كنت لا تستطيعين — لا أستطيع أن أطرد حتى كلباً عن بابى إذا لم يكن له مأوى » .

فقالت كارولين بوقار : « إن هذا أكثر مماأردت أن أدفع ولـكنى سأفكر فى الأمر» .

وبدا لـكارولين كأن الأمر ليس حقاً وأنها ليست سائرة فى الطريق المعفر فى هذه البلدة الغريبة ، ولا مأوى لها .

وكانت المسز إنسول تقيم فى الطابق الذى فوق المخزن، وهو البناء الوحيد ذو الطبقتين فى البلدة كلها. فجمعت كارولين كل شجاعتها وصعدت على الدرج ، وفتحت المسز إنسول الباب وهى غاضـبة ، وكانت تنظف البيت

وحول رأسها فوطة ، وفى يدها مكنسة .

قالت كارولين: « إنى أبحث عن عمل ».

« فردت عليها بحدة: ما أكثر العمل هنا! ولكنك تخطئين إذا ظننت أنه يسعى أن أستخدم فتاة. ولو كنا نستطيع أن نعيش عيشة كريمة ، لما جئنا إلى هذه الأرض » .

فقالت كارولين: « إنى مستعدة أن أعمل مقابل السكنى والأكل » .

« اسمعى نصيحتى واذهبى شرقاً . فقد خربت هذه الأرض وصارت للكلاب. وعندنا ثلاثة أولاد كبار نطعمهم ، ولا يبقى بعد ذلك ما يكفى قطة . ومعذرة » وأغلقت الباب .

فدقت المسز سفنسن كفاً بكف وسألت كارولين ماذا تنوى أن تصنع ؟

فقالت كارولين : « سأعود إلى البيت » لقد أقام لها زوجها بيتاً وستقيم فيه . وإذا كان لا مفر عن احتمال الوحدة والبرد ، والذئاب والمتشردين ، فليكن ! وستكون هناك حين يعود زوجها .

وفى تلك اللحظة خرج من المتجر شاب ، وهو يحاول أن يحمل لفائف معه وأن يمد يده فى الوقت نفسه إلى قبعته :

« صباح الخير ياسيدتى . هل وصلتك الرسالة ؟ »

فقالت : « عم صباحاً . نعم تلقيتها ، وشكراً لك » .

« لقد سألت فى مكتب البريد عنها فقالوا إنها أرسلت إليك » .

فسألته : « هذه خيلك ومركبتك ؟ »

فقال بزهو : « نعم » .

« إنك تعرف أين أسكن ، فهل لك أن تحملنى إلى هناك بريال ؟ »

« بكل تأكيد » .

وحاول سفنسن أن يبدى عن رجولته ، وقال إنه يعد نفسه مسئولا عن سلامتها أمام زوجها ، وأنه مستعد أن يأخذها معه ، غير أن كارولين أبت حتى أن تستمع إلى اقتراح الرحلة إلى المجهول ، واستولت عليها الرغبة فى العودة إلى بيتها .

وتوخت الحيطة فابتاعت بعض المؤن للشتاء ، وشكرت آل سفنسن من أعماق قلبها ، وكانت تعلم أنها لن تراها مرة أخرى . وقبلت المسز سفنسن كما قبلت أخواتها حين فارقتهن إلى الأبد لترحل إلى الغرب مع تشارلز .

ثم ذهبت تقطع السهوب وراء الخيل السريعة السود ، وكانت حوافرها تقدح الشرر ، وكان عرفها وذيولها تميل مع الريح ، والهواء يصافح وجه كارولين، وهذا الشاب الغريب إلى جانبها وكان هذا كله آخر ما بقى فى ذاكرتها من ذلك اليوم العجيب .

وحمل الشاب المؤن إلى الكوخ، وجاءها

بدلو من الماء من البئر ، فشكرته كارولين وأعطته ريالا .

فقال لها: «إني أكره أن أتركك وحدك هنا ، ولكني أحسب أنك ستكونين في أمان إلى حين ، في هذا الجو الحسن . متى يعود زوجك ؟ »

« لا أدري على وجه التحقيق » .

«أعندك مسدس وتعرفين كيف ترمين؟»

« نعم » .

« الأرجح أنك لن تحتاجي إليه ، ولكنه يطمئن — إن فتاتي هي المعلمة — وسوف نعود من هذا الطريق يوم الأحد المقبل إذا كان الجو حسناً — والآن أستودعك الله ! » ، وانصرف .

وفي هذا الأسبوع كتبت إلى تشارلز رسالة طويلة ، واتقت أن تزعجه بإخباره إن آل سفنسن رحلوا ،وكتبت إليه تقول إنها تحبه ، وحدثته عن أسنان الطفل ، وكيف أن سفنسن جزّ لها البرسيم مناصفة، وقالت إن ما بعث به إليها من المال كاف . وإنها هي والطفل في أحسن صحة،ولا ينقصهما شيء ، وإن سفنسن وزوجته مثال الرقة والعطف ، وإن كل أسباب الراحة متوفرة للشتاء ، وكتبت بعناية وبخطها الدقيق المتقن تقول : « إننا نجتاز الآن وقتاً عصيباً ، ولكنه لا ينبغي أن نفكر فيه ، وعلينا أن نفكر في المستقبل، فما كان قط من السهل أن نعمر أرضاً ، ولكن ما أسهل ذلك علينا مع ماهو متاح لنا من أسباب الراحة ووسائل التيسير،كالبترول والمواقد والسكك الحديدية والبريد السريع ، بالقياس إلى ماعاني آباؤنا. وإني لأرجو أن نحيى حتى نرى أياماً أكثر رخاء مما كانت في الماضي ، وحينئذ نفكر بارتياح واغتباط في أن هذه الأيام الصعبة لم تمض عبثاً » .

وهـذه الرسالة التي طوتها ووضعتها في الظرف ، وعنونتها لم ترسل قط ، وبقيت طول الشتاء بين صفحات الإنجيل ، لأن الجو تغير فجأة ، ولم يستطع الشاب وفتاته أن يجيئا . وكان صباح يوم السبت صافياً معتدلا كأيام مايو، وبعد الظهر أقبلت سحابة كثيفة من الشمال الغربي وأطبقت في السماء ، وتحتها عارض منذر من السحاب كأنه الملاءة المنشورة . ثم ثارت العاصفة وكأنها جدار أبيض أصمّ ، وجاءت الرياح تعوي مع الثلج .

وظلت الرياح ثلاثة أيام وثلاث ليال لا تكف عن العواء ، ولما فتحت كارولين الباب لم تستطع أن ترى شيئاً من الثلج المتهاوي . ولم تدر ما مبلغ البرد ، فإنها لما رأت السحابة بادرت فكومت الدريس في كل شبر من الكوخ ، وكانت تثنيه بشدة

فإذا احترق كان له لهب شديد قصير الأجل، وتأذّت كفاها ودميت من تناول الأعواد الحادة الخشنة ، ولكنها واصلت التكسير ، وأبقت الكوخ دافئاً. وكانت تضنّ بالبترول، فتمضى عليها فى الساعات الطويلة الحالكة مستضيئة بضوء مضطرب يدخل من بين الألواح ، أو من غطاء الموقد المكسور ، فانتابتها مخاوف غامضة ثقيلة .

كيف يكون الحال إذا مرض الطفل ؟ وإذا أصاب تشارلز شىء فلم يعد أبداً ؟ وإذا خرجت وحدها وفاجأها ذئب بوثبة ، فماذا يكون مصير الطفل وحده فى الكوخ ؟

وفى صباح اليوم الرابع استيقظت كارولين على صمت وسكون عميقين ، وآذى الهواء البارد منخريها ، وتكون الصقيع على طرف البطانية من أنفاسها ، وكانت النافذة تبدو شهباء مستسرة فى الظلام ، فأشعلت المصباح وأوقدت ناراً فى الموقد البارد . وكانت إذا أرادت أن تفتح الباب تلقى بنفسها عليه بكل قوتها ، فتنثنى الألواح المتينة ، ويسقط الثلج من فرجة الطنف ، ويضرب نور الشمس عينيها ، فتحس أن الألم يعمها .

وكان الثلج الذى يغمر الأرض ، تحت السماء الزرقاء المتراحبة، يعكس ضوء الشمس البارد ، ولا شىء يتحرك ، ولا شىء يتنفس. وكان الهواء والشمس والثلج كل العالم المنظور — عالم لا حىّ ولا ميت ، وهو مخيف لأنه غريب عن الحياة والموت .

وتنفست نفساً عميقاً ، وانهالت على الجمد بالمسحاة تقشره شبراً فشبراً لتشق بها طريقاً تمشى عليه وهى آمنة .



وكانت هذه العاصفة القاسية فى أخريات أكتوبر تنذر بأن الشتاء سيكون قارساً فوق العادة، وكانت لا تدرى متى تثور بها العاصفة التالية.

فكان أول ما عنيت به هو الوقود ، فحفرت الجمد عن أكوام الدريس إلى جانب المخزن، وحزمتها بحبل وجرتها واحداً واحداً على الطريق إلى الكوخ . ولما أراقت الماء الذى غسلت يديها به ، لاحظت أن قطراته رنّت على طبقة الجمد ، فقد تجمدت وهى تسقط ، وصار أنفها وأذناها بيضاً ، واحتاجت أن تدلكها بالثلج طلباً للدفء وذلك مؤلم .

وكثرت العواصف بعد شهر نوفمبر وكانت فى الأيام التى تضطر فيها إلى البقاء فى الكوخ ، تكسر الدريس ، وتشعل المصباح وهى تنظف وتطبخ وتغسل وتقضى ساعات تلاعب الطفل ، وقد صار أكبر ، وكان ينظر إلى ضوء النار الموقدة

فيصفق ، واستطاع أن يجلس بلا معونة ، وأن يزحف ، وظلا هى والطفل يعيشان يوماً بعد يوم ،والرياح المولولة والبرد والثلج لا يمسهما منها سوء .

ثم جاءت العاصفة التى دامت سبعة أيام وكان عند كارولين فى الكوخ من الدريس ما يكفيها ثلاثة أيام ، ولم يسبق أن رأت عاصفة تستمر ثائرة أكثر من ثلاثة أيام ، وفى اليوم الثالث اقتصدت فى إحراق الدريس ولكنها لم تنزعج ،وفى اليوم الرابع اضطرت أن تكسر صندوقاً وتوقد فيه ناراً ، وفى اليوم الخامس أحرقت الصندوق الباقى ، وبقيت المقاعد الثقيلة والمائدة ، ولكنها كانت قد تركت الفأس فى المخزن .

ولما خمدت النار لم يبق ثم شىء ينبعث منه ضوء ،وغُمَّ عليها الأمر فلم تعد تعرف أهى فى النهار أم فى الليل ، وإذا رقدت مع الطفل ولصقت به تحت البطاطين فقد يحفظ عليهما الحياة دفء بدنهما ،وعدلت عن تكسير المقاعد الثقيلة لعجزها عن ذلك بيديها ، ولم يبق إلا المهد ولكنها أشفقت أن تعجل بإحراقه .

وفى اليوم السابع حطمت المهد وأحرقته بحساب وتقتير ، واتخذت من الرأس الذى صاغه تشارلز للمهد ، وقوداً لتغلى الشاى والبطاطس . وعجنت قطعة من البطاطس وغلتها فى الماء وأطعمت الصبى بالملعقة ، ثم أطفأت المصباح ورقدت معه تحت كل ماعندها من فراش . وأيقظها تغير فى صوت الرياح ،ولم تكن تعلم أهذا نهار أم ليل ،فلما تحاملت على الباب وفتحته ، رأت ريحاً شمالية قوية تطرد مايتساقط من الثلج أمامها ، ولم يكن الثلج يدور وهو يسقط ، فالعاصفة قد انقضت .

وفى الصباح فى بريق الشمس والثلج الذى يأخذ البصر ، رأت وراء الخور قطيعاً من الماشية ، وكان متلاصقاً متلاحماً ، ورؤوسه إلى الجنوب ، وأنوفه متدلية إلى الركب ، وهو واقف يتشدد على البرد صابراً . وكان شاطىء الخور يحجب الكوخ عن الماشية ، ولكن إذا تحرك القطيع ولمح الدريس فقد يأتى على وقودها .

ولفت شملتها على جسمها وأخذت المسدس . وكانت تعلم أنها لا تستطيع بفأس أو غيرها أن ترد الماشية المتضورة عن الطعام ، وما كانت تجرؤ أن تخاطر بمواجهتها إذا هى انطلقت ، وإنما تستطيع أن تحولها بطلقات الرصاص ، فإذا أخفقت احتمت بالكوخ . وإذا ضاع الوقود ـــ

ولم تتحرك الماشية ، أفتراها ماتت ؟ كلا ، فإن أنفاسها تخرج بيضاء من خياشيمها ، وسارت على مهل إلى الشاطىء ، والثلج المتساقط يرتفع إلى ركبتها ،واجتازت الخور المتجمد ، ودنت من الماشية حتى صارت على

عشر ياردات منها ، ثم على مسافة خمس ، ثم على مسافة ياردتين ، ولم يرفع القطيع رؤوسه ، ثم رأت كعكات من الثلج على عيونها وعلى أصداغها ، حتى أنفاسها وهى تتصاعد كالبخار قد تجمد وأعماها .

وأدركها عطف قوىّ ، فاندفعت تخوض الثلج إلى أقرب عجل ونزعت الثلج عن عينيه ، فنخر ورفع رأسه فزعاً ، وجرى بضع ياردات ثم دار عائداً إلى القطيع ، وند عن حلقه خوار طويل من الألم .

وكانت كارولين تعرف ما يجب أن تفعله ، وفكرت فى الصبى الذى يستمد قوته من قوتها ، فمضت إلى أقرب عجل وصوبت المسدس إلى صدغه وأغمضت عينيها وأطلقته ، فلما فتحت عينيها كان قد خر ميتاً ولم يخرج من جرحه إلا قليل من الدم يقطر ويتجمد ، ولعلها رحمته بقتله .

ثم كأنها ألهمت ففكرت فى اتخاذ بقرة . ولم لا ؟ وإذا لم تأخذ البقرة ، فإن البقرة ستموت . أما لو أخذت بقرة ! وتوفر اللبن للطفل ! وفوجىء تشارلز بذلك حين يعود ! وكانت تمشى كأنما ينازعها حذاؤها وشملتها وهى تدخل فى غمار القطيع ، فقد كانت تعلم أن البقر لا بد أن يكون فى الوسط ، وكانت هناك بقرة صغيرة ، حمراء ، غير موسومة وتكاد تكون سمينة ، فتخيرتها .

وعادت إلى المخزن لتجىء بحبل ، ومالت الشمس للمغيب حين نجحت فى دفع البقرة التى أعماها الثلج وفى شدها وإخراجها من القطيع ، فقد كانت تأبى أن تخرج منه لتظل آمنة ، فجاهدت كارولين جهاداً شاقاً حتى اجتازت بها الخور وصعدت بها إلى الشاطىء وأدخلتها فى المخزن ، وألقت إليها الدريس وأزالت الثلج عن عينيها .

وارتدت إلى القطيع تحمل الفأس والحبل ، واقتطعت من العجل خير أجزائه من اللحم ، ثم ذهبت وهى تنتفض من التعب ، تزيل الثلج عن عيون الماشية واحدة واحدة ، فمضى القطيع يمشى فى تثاقل وضعف على الجمد . لقد أتاحت له كارولين فرصة للحياة ، وشعرت أنها استحقت البقرة .

وفى تلك الليلة كان اللحم يطبخ على الموقد ورائحته تفعم الهواء ، وكان الدريس المغمور بالثلج فى المخزن حسب البقرة من طعام وشراب . وشعرت كارولين أنها قصرت فى واجب الشكر على ما فازت به من نعم ، وتركت فخذتين من العجل فى الثلج خارج الباب لتحتفظ بهما .

ولما ذهبت إلى المخزن فى اليوم التالى ، خارت البقرة واندفعت وعيناها متسعتان فزعتان ، فألقت إليها بالدريس ، ووضعت لها دلوين من الثلج على مقربة منها ، وكلمتها

ليسكن روعها ، وستعرف البقرة على الأيام عطفها عليها فتهدأ وتسلس .

وأغلقت باب المخزن وهى مزهوة بأنها تملك شيئاً ينبغى أن تتحفظ عليه ، وكانت تهم بأن تمضى إلى أكوام الدريس فصدها شعور غريزى ، فوقفت ودارت فتلفتت ، وإذا حول زاوية المخزن ذئب هزيل ، وكان ردفاه يختلجان ، والشعر الخشن يقف على ظهره ، وأنيابه تبدو تحت خطمه الملتوى ، ثم برز اللسان الأحمر يلحس فمه الناتىء فى جشع ، وحرك مخلباً ، ولم تتحرك كارولين ، ودار الذئب بسرعة واختفى فى الثلج المتساقط .

وسارت كارولين بخطى ثابتة إلى الكوخ فى الثلج الذى يأخذ البصر ، وكانت تدرك أنها إذا ركضت فإن الفزع الوبيل سيستولى عليها ، ولكن الذئب قد يثب عليها من فوقها وهى تنحدر فى الطريق الهابط على شاطىء الخور ، وبلغت الطريق وانطلقت تعدو . ولم يكن ثم قياس للزمن وهى تجتاز المسافة من حافة السهوب إلى باب الكوخ الذى أغلقته بقوة وراءها ، وسرعان ما تأدى إليها عواء ذئب من السقف فوق رأسها ، فأجابه آخر من ناحية الخور المتجمد .

وفى تلك الليلة سمعت أصوات النهش والقضم والعُواء عند الباب ، فقد وقعت الذئاب على اللحم الغضّ فى الثلج ، فتركت المصباح مشعلاً ، وجعلت عينها على ورق النافذة ، وكانت أصغر من أن يدخل منها ذئب بسهولة ، وكانت مستعدة أن تطلق الرصاص إذا ظهر مخلب أو رأس ، وكانت قد جاءت بالفأس إلى الكوخ ، فاستقر عزمها على أن تحطم المائدة والمقاعد وتحرقها ، مفضلة ذلك على الخروج مرة أخرى ، ولكنها حرصت على أن يكفيها الدريس يومين ، ثم رأت ضوءاً فضياً فوق الثلج الذى يغطى النافذة ، فعلمت أن الشمس طالعة .

وفتحت الباب بجهد شيئاً فشيئاً ، والمسدس فى يدها ، فما تستطيع أن تقضى الشتاء كله بغير وقود ، ولا مفر من التعرض لبعض الأخطار .

ولم تعثر على أثر للذئاب فى أى مكان ، ووجدت البقرة بخير فى المخزن ، ولم تخرج قط بعد ذلك من الكوخ إلا بالمسدس .

وكان وجود الذئاب يذكرها دائماً بتحذير زوجها لها ، فقد كتب إليها يقول إنه قد يكون هناك ذئاب ومتشردون ، وفكرت وهى تحرك النار ، فى الدخان المتصاعد من المدخنة ، فإنه فى الأيام الصافية يرى من مسافة أميال فى كل الجهات ويدل على أن الكوخ مسكون .

وفقدت الشعور بالزمن فى هذا الشتاء وهو يمضى ، وجاء شهر فبراير وهى لا تدرى ،

وأشرفت على النهاية فترة من الأيام الصافية بددها قارس قبل الغروب ، فثارت العواصف مرة أخرى . وكان الصندوق مملوءاً بالدريس ، وصحاف العشاء قد نظفت ، وكارولين تسرح شعرها قبل النوم على الضوء الخافت المنبعث من النار المشفية على الهمود .

وخطر لكارولين أن صوت الرياح أشبه بأصوات الجن وهي منطلقة تتسابق وتدور فوق الكوخ ، وتخرج صيحات وصرخات وولولات ليست مما يخرج من الأرض أو الإنسان ، وإذا بها تصعد عينها فترى لجأة المدخنة تنثني وتقرقع ، وراعها أن سمعت صيحة آدمية .

إن رجلا فوق الكوخ ولا شك ! وقد أعمته العاصفة فاصطدم بالمدخنة ، وما من رجل شريف نزيه القصد ، أو آخر ضل عن بيته ، يمكن أن ينأى عن مثواه في هذه العاصفة ! فهو لا بد أن يكون من الطرداء الخارجين على القانون الفارين أمام هذه العاصفة .

وقد اصطدم بالمدخنة من الناحية الشرقية ، فهو متجه إذن إلى الخور ، وليس بينه وبين السقوط في الجمد العميق إلا بضع خطوات يهوى بعدها عن شاطىء الخور ، وحينئذ يقضى عليه وتدفنه العاصفة في مكان ما ، ولا يبقى منه إلا عظامه بعد أن يذوب الثلج في الربيع . وقالت لنفسها : « اهدئي واسكني ! فليس هذا من شأنك ، ولا تدخليه عندك ، وفكري في الطفل ! »

ثم أدنت فمها من المدخنة وصاحت « ارقد ! وازحف ! شاطىء الخور أمامك ! اتبعه إلى اليمين ! هناك حبل ! أسامع أنت ؟ »

وكانت صيحته التي رد بها خافتة لأن الرياح طغت عليها ، فعادت تقول له « أمامك طريق ! طريق ! تحت ! إلى اليسار ! »

وإذا كان قد رد عليها فإنها لم تسمعه . وتناولت مسدسها ورفعت المزلاج عن الباب وتراجعت ووقفت وراء المائدة ، وانتظرت والمسدس في يدها .

واتسع الوقت أمامها للندم على مافعلت . ولإدراك أنها ما كانت تستطيع أن تفعل غير ذلك .

ودفعت الرياح الباب فجأة فانفتح ، واندفع الثلج إلى الكوخ ، وظهر الرجل . وكان مديد القامة ، خافى المعالم ، في معطف من الفرو وقبعة وغطاء للأذنين يغطيهما الثلج . وكان متلثما إلى عينيه المحمرتين ، وحاجبيه المكسوين بالثلج ، ومضت هنيهة قبل أن تعرفه وتصرخ ، فالتف عليها ذراعاه القويان الباردان كالثلج .

وقالت بعد هنهة ، وهى تشهق ولا تزال غير مصدقة : « كيف — كيف وصلت إلى هنا ؟ » وكانت يداها تتحسسان الفرو الذى غشيه الثلج ، صاعدة هابطة عليه لتستوثق أن هذا هو تشارلز حقاً .

فقال: « إنى أكاد أقتلك برداً ، فلأغلق الباب » . فلما سمعت هذه الكلمات المألوفة أنشأت تبكى . وقالت وهى تنشج : « هل — هل تعشيت ؟ »

فقال ، كأنما يغنى من الفرح : « قاتل الله العشاء » .

ثم جعل بعد ذلك يعابثها قليلا : « ماذا يدهشك ؟ ألم أقل لك إنى سأعود بأسرع ما أستطيع ؟ » وأنبها جاداً فقال: « الله وحده يعلم يا كارولين ما قاسيت حين قيل لى فى البلدة إن آل سفنسن رحلوا ، وإنك هنا وحدك » .

وكانوا قد أنذروه فى البلدة أنه لن يستطيع مغالبة العاصفة ، ولكنه اعتقد أنه يقدر على ذلك . وما كاد يصل إلى الخور حتى هبت العاصفة: « وخيل إلى أنى منجه إلى الشمال ، ثم لما اصطدمت بالمدخنة ، لم أدر أى شىء هذا ، ثم نأيت عنها ولم أهتد إليها ثانية ، وهذا ما كنت أحاوله — أن أهتدى إليها — حين سمعتك يا كارولين — أيها الملك ! » .

ثم ضمها . وما أكثر ما سئل عنه ، وما خبرها به .

وقال وهو مبتهج : « معى أربعون ريالاً . ألا إن صاحب المطحن لخير الناس فى عشرين ولاية ! وما كنت أتوقع أن يبقى معى مليم ، ولكن — » .

« وكيف رجلك يا تشارلز ؟ »

« لا أزال مضطراً أن أترفق بها قليلا — ألا ترين أنك على ركبتى الأخرى ؟ ولكنها احتملت السير . وستصح وتعود كما كانت فى الربيع فنحرث الأرض » .

« وكان لابد أن تمشى ! أوه يا تشارلز ! »

« وماذا كنت تنتظرين أن أفعل وأنت هنا وحدك ؟ »

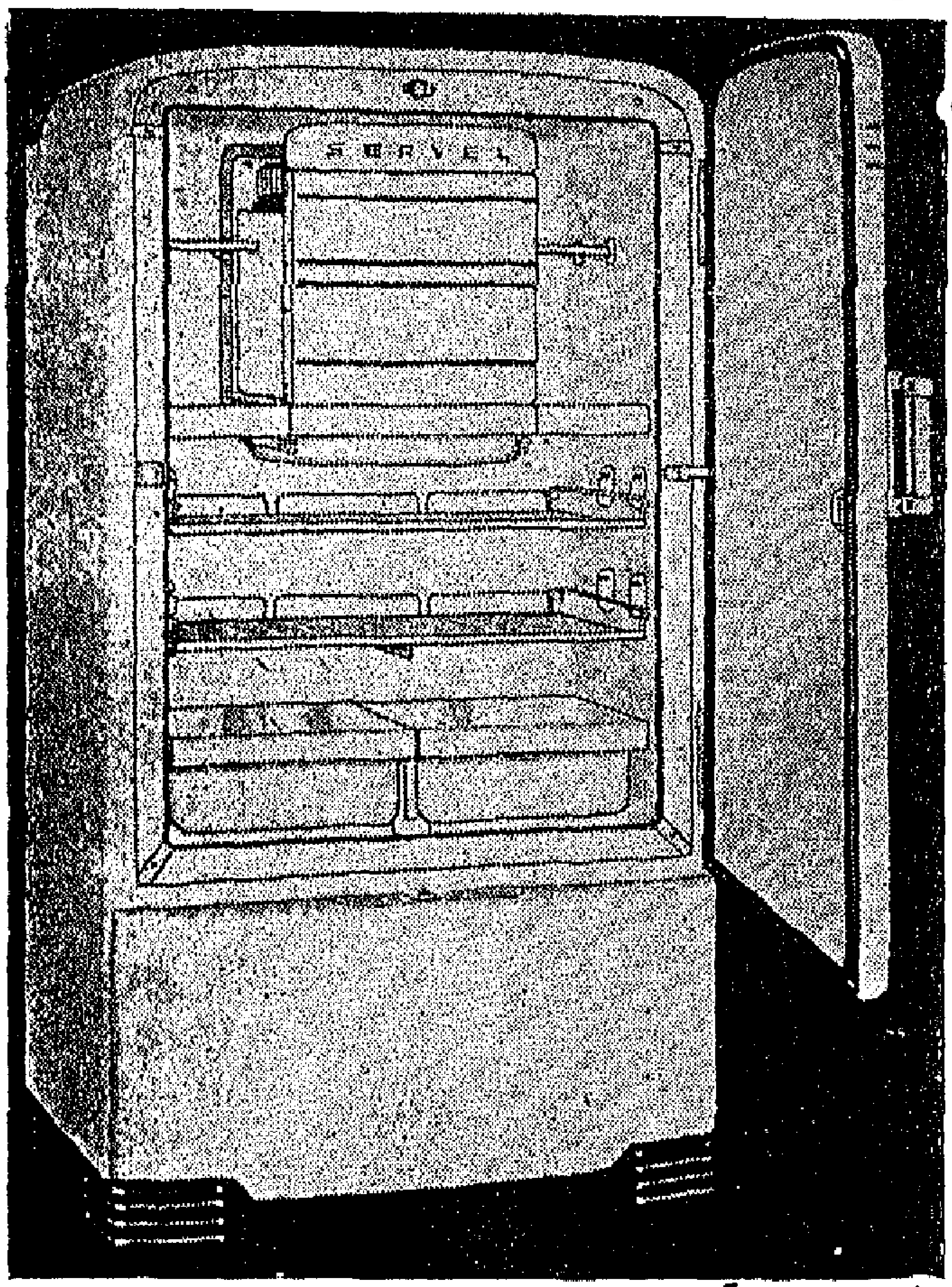
ولم يكن لما قالا قيمة فى الحقيقة ، وكانت العاصفة لا تزال ثائرة فى الخارج ولكن ماذا يهم ؟ لقد لف شملهما مرة أخرى — فلتزأر العاصفة !

قال ابن قُتَيْبة قرأت فى كتاب للهند : « ليس من خَلّة يُمدَح بها الغنىّ إلاّ ذُمَّ بها الفقير ، فإن كان شجاعاً قيل أهوج ، وإن كان وقوراً قيل بليد ، وإن كان لَسِناً قيل مِهْذار ، وإن كان زِمِّيتاً قيل عَيِّى » .

استمتع بهذه الثلاجة العجيبة

وهى تعمل
بالجاز الأبيض
الغاز الطبيعى
الغاز الصناعى
الغاز المعبأ
تهيئ لك
مقداراً كبيراً
من مكعبات الثلج
لأنه رحيب فى الداخل
تجمد بغير أجزاء متحركة





تصوّر المقادير الكبيرة من مكعبات الثلج التى تبرّد لك شرابك فى أى وقت تريد تبريده . تصوّر قدرتك على أن تحفظ الطعام طازجاً شهياً أياماً كثيرة حتى فى أشد الأقاليم حرارة . وثلاجة « سرفيل » تهيئ لك أن تستمتع بهذه المزايا العظيمة ، مزايا التبريد الآلى الحديث — فى بيتك أو فى متجرك — فى المزارع والحقول .

وذلك لأن ثلاجة « سرفيل » تعمل بقدر قليل من الكيروسين ، أو بلهب غازى ضئيل : وهى تصنع الثلج ، وتوفر البرودة ، على وجه ثابت لا يطرأ عليه خلل . وسبب ذلك أن ليس فى نظام التبريد الخاص بها أجزاء متحركة — ولا آلات — فلا تتآكل ولا تحتاج إلى إصلاح ولا تحدث ضجة .

وهذه الثلاجة هى نفس ثلاجة « سرفيل » المستعملة الآن فى أكثر من مليونى بيت ومتجر فى جميع أرجاء الأرض . وهى جميلة المظهر ، ومزوّدة بأحدث ما عُرف من وسائل التيسير وحوض الألومنيوم فى داخلها يكفى لصنع أرطال كثيرة من الثلج كل يوم . وهى رحيبة فى الداخل ، وبها أقسام لحفظ اللحم أو الخضر ، تسهّل عليك أن تخزن مقادير وافرة من مواد الطعام الكبيرة الحجم .

ومتى صرت صاحب ثلاجة « سرفيل » اشتد تعجبك من استغنائك عنها فيما مضى من الأيام .

الثلاجة التى تختلف عما سواها

Servel سرفيل

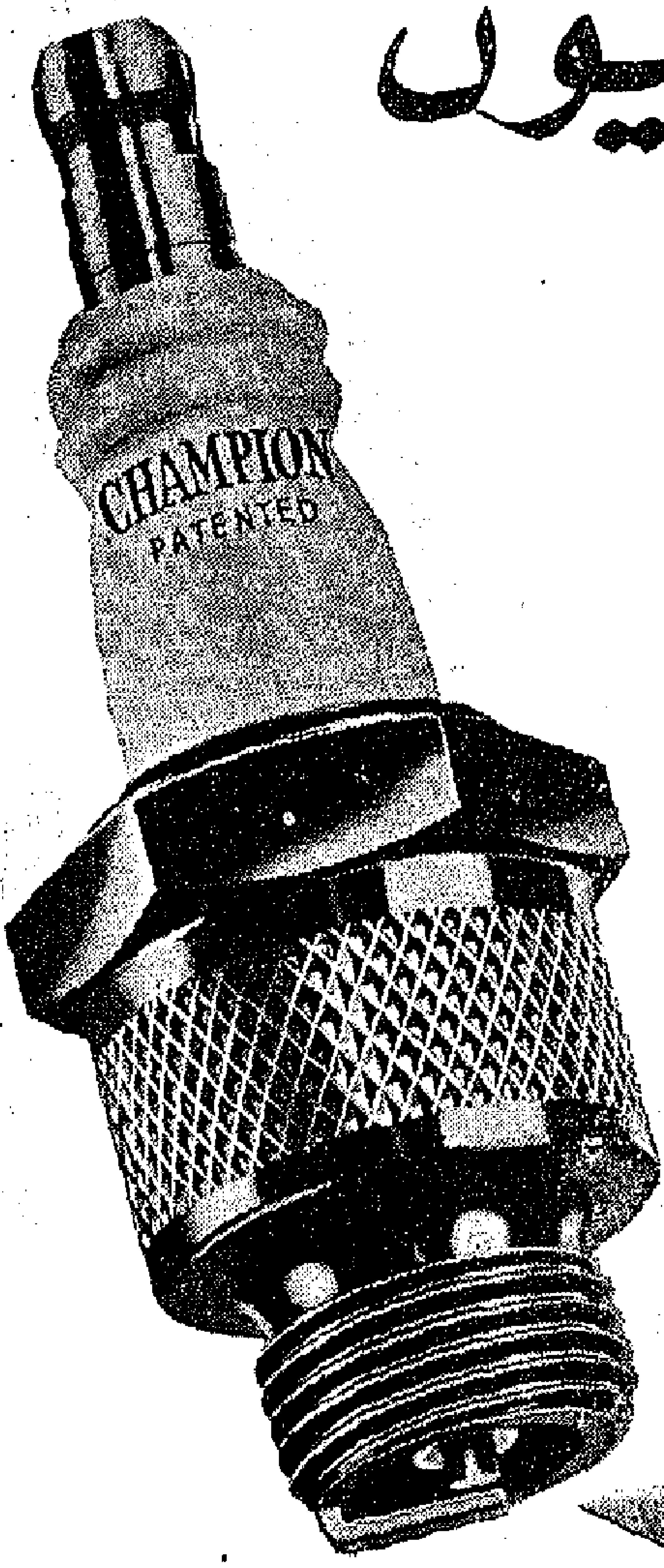
Servel, Inc., International Division, 51 East 42 St., New York 17, N. Y., U.S.A.

خطوط الطيران الكبرى فى العالم تطلب خاصة

شموع احتراق شامپيون

Champion...

لأنها شموع يعتمد عليها

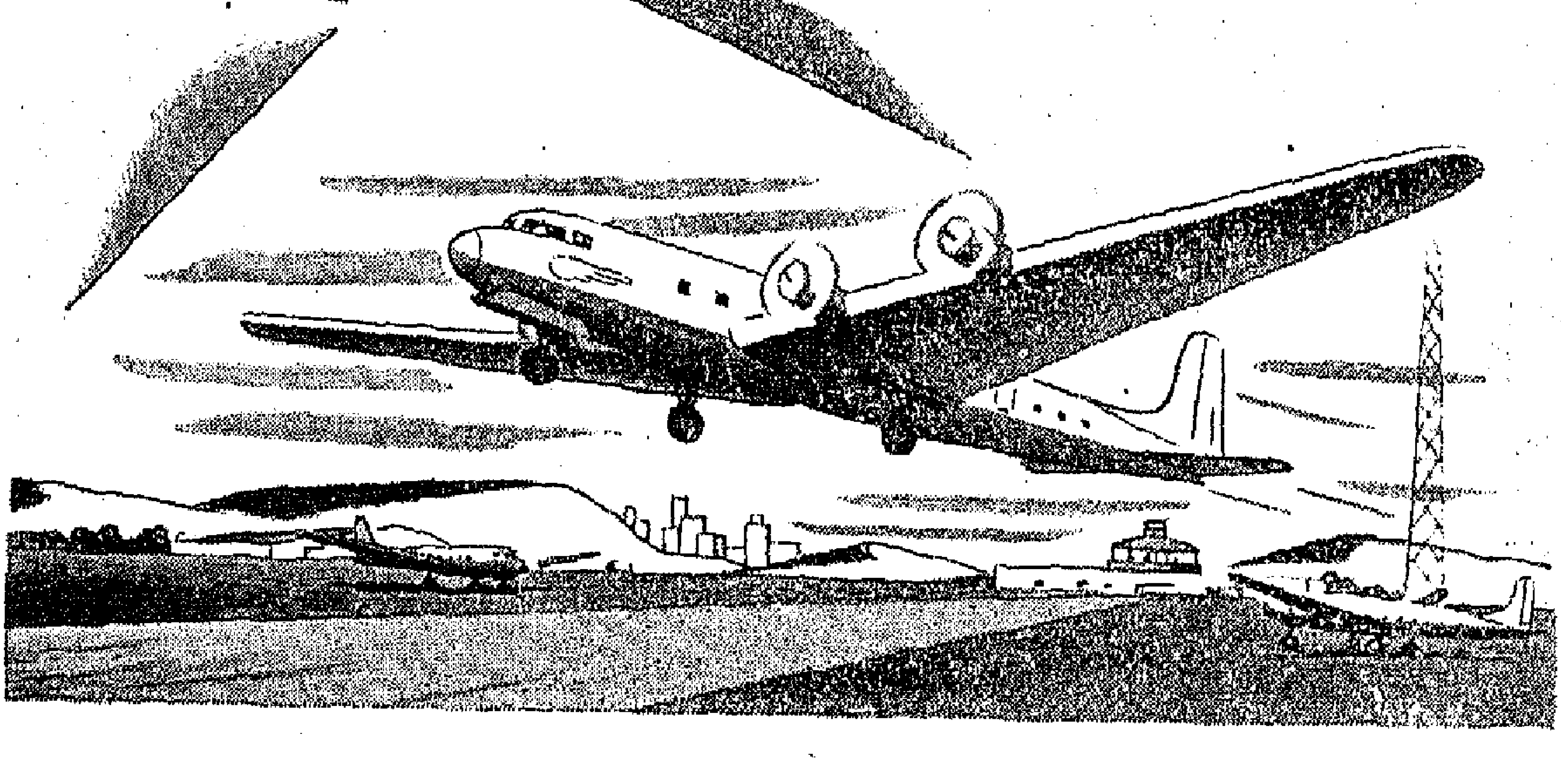


إن أهل الخبرة فى خطوط الطيران يعتمدون على التجربة التى ظفروا بها خلال سنوات كثيرة من العمل والاختبار ، فيطلبون خاصة شموع احتراق « شامپيون » ، لطائراتهم .

ففى نظر أصحاب السيّارات ينبغى أن يكون اختيار هؤلاء الخبراء ذا مغزى عظيم ، وأن يقوم دليلا قاطعاً على ما تتصف به شموع «شامپيون» من أداء يعتمد عليه . وشموع احتراق «شامپيون» التى تستعملها فى سيارتك هى نتاج الهندسة الدقيقة العالية ، وجودة المواد وإتقان الصناعة ، التى تجتمع لإنتاج شموع الاحتراق للطائرات .

فاحرص على أن تطلب شموع احتراق «شامپيون» التى يعتمد عليها .

CHAMPION SPARK PLUG COMPANY
Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.



.. حتى يفوق الكمال الذي تدركه غداً
الكمال الذي أدركته اليوم



مصنع غزل في مذبح

تقدم شركة « سويفت » للمستهلك أجود اللحم في العالم . فلكي تتمكن من ذلك ، لا يكفيها أن تنتخب الحيوانات للذبح أدق انتخاب . بل من الضروري أيضاً العناية بتفاصيل لا تحصى ، فنرى بين هذه التفاصيل أن إعداد الذبائح ، عمل ذو شأن خطير وهي تتقنع بأغطية من القماش مختلفة الأنواع والأحجام والأشكال ، لتضمن الجودة والتماثل في نوع اللحم ، وهما شيء لابدّ منه ولا غنى عنه . وقد أنشأت شركة « سويفت » مصانع تامة للغزل والنسج في منطقة مصانعها ، وهناك تجد عمالا مدرّبين حاذقين يقومون على معدات النسيج الحديثة التي تصنع القماش اللازم « لكساء » الذبائح . وهذا الكساء يضمن الجودة التي اشتهر بها « سويفت » ، والتي يحافظ عليها ، بل يحسّنها كلما كان ذلك ممكناً ، بالمثابرة .

COMPANIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة " سويفت " الدولية

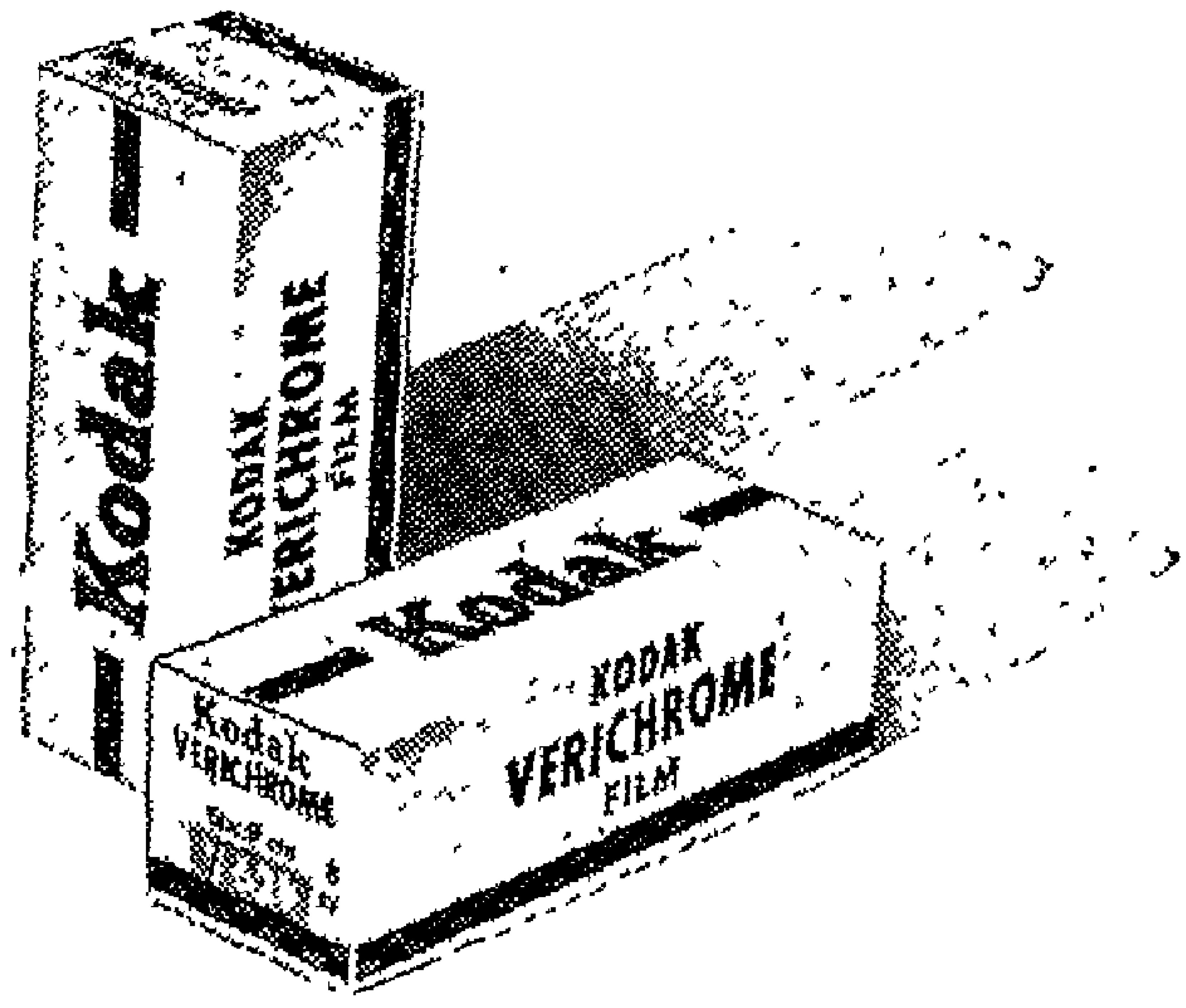
مصانع في الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواي توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً


Kodak

... باللغة العربيــة هى "أمواج الشاطئ"

... باللغة الإنجليزية هى "surf"

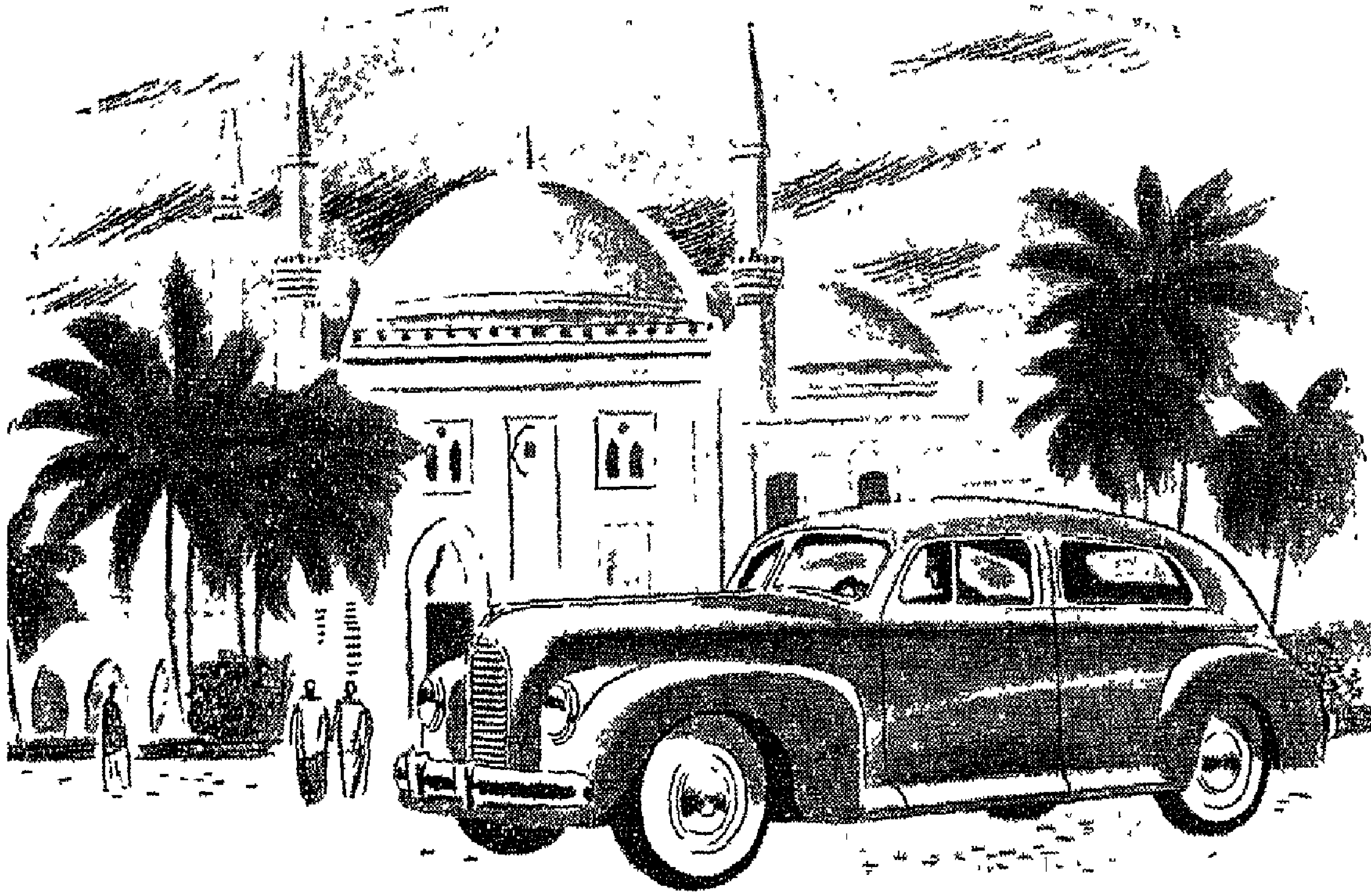
... باللغة الهولندية هى "branding"

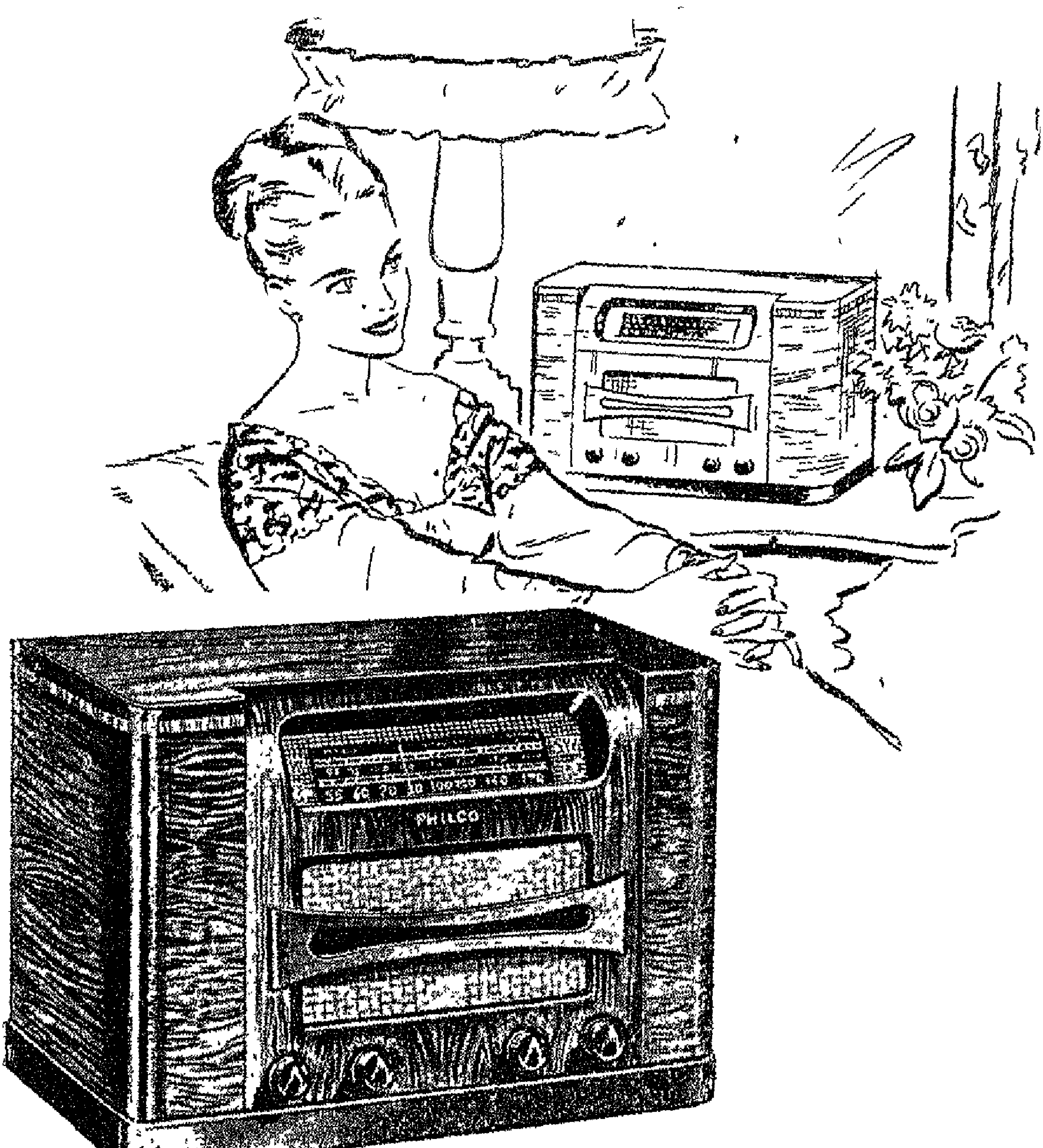


ولكنك تجد فى جميع
لغات الأرض كلمة واحدة
تدلّ على كلّ مايلزم لالتقاط
الصور، من أفلام، وآلات
تصوير، ومعدات وأدوات
هى كلمة : *Kodak**

*Kodak ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٩ سنة شركات « كوداك » وشركات المنتمية إليها، و « كوداك » لها هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين. تيسر لكل إنسان أن يظفر بمنتجات « كوداك » فى أنحاء الأرض.

EASTMAN KODAK COMPANY ROCHESTER, N. Y., U. S. A.




PHILCO

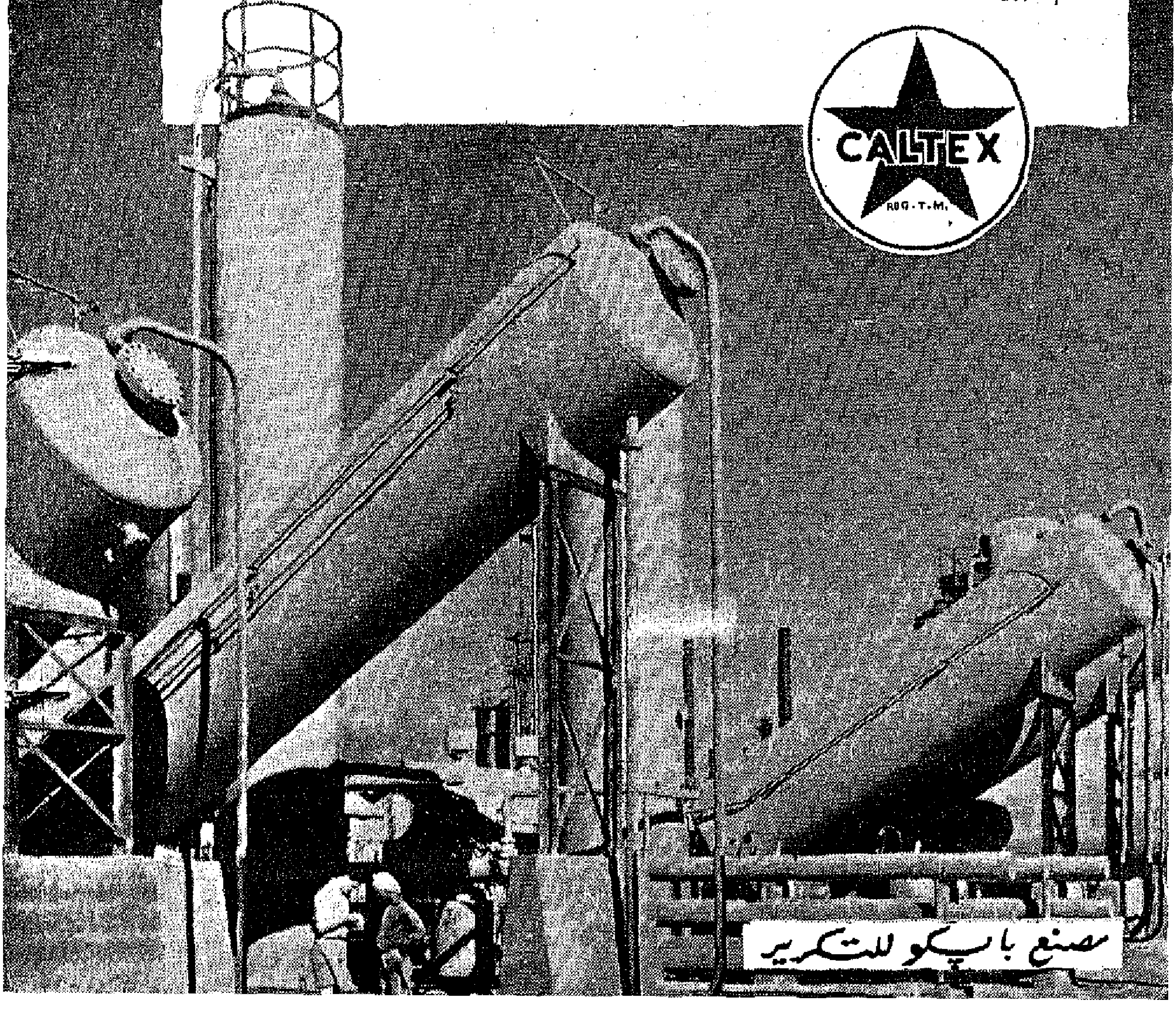
مواد للتزييت والوقود مضمونة الجودة

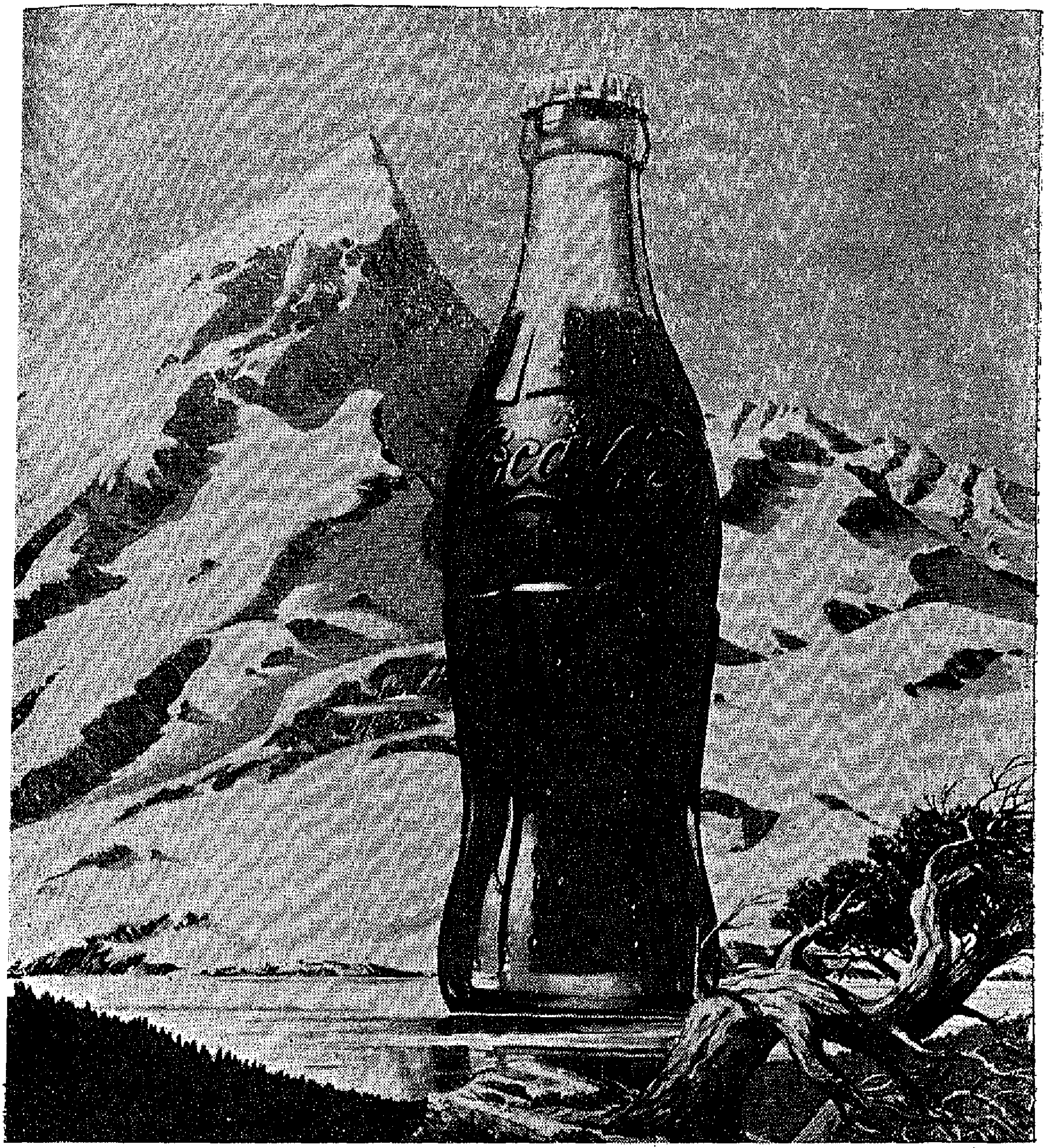
إن شركة « كالتكس » مستعدة أن تقدم لك ما يلزمك من خدمة بمنتجات بترولية بالغة الجودة ، مستخرجة من أحدث مصانع التكرير في العالم ، ومن أغنى آبار البترول .

احرص على أن تطلب « كالتكس » فتظفر بأجود — البنزين ، والكيروسين ، ومواد التزييت ، ووقود الديزل ، وزيت الوقود .

Société California Texas des Pétroles, S. A. E.

9, Sh. Fouad 1er, Cairo. Egypt.




Coca-Cola

[تتمة مقالة الغلاف]

كُتب عليه أن يجاهد جهاداً عنيفاً شاقاً لاهوادة فيه ، حتى يبني حضارة جديدة كالتي بناها له آباؤه وأجداده .

ومجـلّة « المختار » تؤدّي اليوم جزءاً من المهمّـة العظيمة التي فُرِض علينا أن نؤديها للعالم العربيّ ، وهي اختيار الجيّـد مما يكتب ويذاع من المعارف والعلوم في العالم العربيّ ، فيصل بيننا وبين الحضارة الحديثة التي تحيط بنا من كل ناحية ، ويتيح لنا أن نعرف مايستجدّ من أنباء العلوم والمعارف والمشاكل الدولية التي لاغنى لنا أن نقف عليها .

ولن يستطيع شعب بعد اليوم أن يعيش في عزلة ، فإن السرعة التي امتاز بها هذا العصر ، في المواصلات والنقل والإذاعة ، جعلت الدنيا كلها كأنها مدينةٌ واحدةٌ يعيش فيها ناسٌ لا بد من تعاوُنهم وتعارفهم ، حتى يفهم بعضهم عن بعض ، وينظر بعضهم إلى خير بعض — أي أن يعيشوا بالتآخي والتفاهم : لا بالتقاطع والتدابر .

ونحنُ وإن كـنّا لانزال في أوّل الطريق ، إلاّ أن سالف مجدنا كفيلٌ بأن يحيى في نفوسنا تلك الشُّعْـلة القديمـة التي أنارت للشعب العربي القديم طريقه بين ركام الحضارات الغابرة ، فاختار منها ما شاء ، ثم صاغ لنفسه حضارة عظيمةً كانت هي الأساس الأوّل للحضارة الغربيّـة الحديثة .

ونحن اليوم في الموقف الذي وقفه آباؤنا من الحضارات السالفة ، فعلينا أن نقرأ وأن نقف على كل نبأ من العلوم والفنون والآداب ، ونختار منها ما يلائم حضارتنا ، وعلينا أن نعرف معرفة دقيقةً مشاكل العالم الحديث ، لنقرّر لأنفسنا الخُطّـة ونمهد السبيلَ الذي يفضي بنا إلى المشاركة في بناء الحضارة الإنسانية العامة — وهي الأمل البعيدُ الذي يسعى إليه الجنس البشري كلّه .

إن كلّ كلمة يقرأها المرء تُوحي إلى نفسه بمعنى أو مثل يرشده في الطريق الذي كُتب عليه أن يقطعه مجداً جاهداً ، فعليه أن يختار ما يقرأ ، وعلى الصحف والمجـلات أن تختار لقرائها أولى المعارف بالتتبع والقراءة ، وهذه مجلة « المختار » لم تخلُ صفحةٌ من صفحاتها من هذا الحرص على أن تختار لقارئها العربيّ أجودَ ما يسدّده من المعارف ، وأحسَنَ مايتطلّب من المُثُل ، وأقوى ما يحفزهُ على أن يعمَلَ في الحياةِ بعزمٍ وحريّة ومعرفة

إياك والقناعة . حذار من الحسرة

محمود محمد شاكر
مدير تحرير مجلة المختار

الشعوب هى بانية الحضارات ، أما خاصة العلماء والأدباء والفنانين ، فهم الصفوة التى تنشىء مجد الحضارة . فإذا تيسّر للشعب أن يقف على أنباء العلوم والفنون والآداب ويشارك فى معرفتها والإلمام بأصولها ، ثارت فى نفسه تلك القوة الدافعة التى تحرك المرء إلى مُثُل يتطلب تحقيقها يوماً بعد يوم وساعةً بعد ساعة . فلابدّ إذن من شىء يغرى الشعوب بأن تقرأ ثم تقرأ ولا تكف ، حتى لا ينقطع عنها المدد الذى يمدّها به صفوة العلماء والأدباء والفنانين .

ونحن اليوم نعيش فى عالم قد امتلأت جوانبه بألوان من المعارف الإنسانية مختلفة متباينة ، تصدُر فى آلاف من الكتب وملايين من نسخ المجلات والصحف ، ولا طاقة للفرد بتتبّع ضروب المعارف والمشاكل العالمية التى تضمُّها كل هذه الملايين من الكتب والمجلات والصحف . فكان لا بد للقارىء الوسط من مجلات تختارُ له من أنباء العلوم والآداب والمعارف الإنسانية مايكفل له استمرار المدد الذى يهديه إلى هذه الألوان المختلفة المتباينة .

وفى هذه الرقعة المترامية من الأرض — من مراكش إلى بلاد الهند — جيل من الناس يبلُغ تعداده أكثر من مئة مليون نسمة كلهم يتكلم اللسان العربىّ أو يقرأه ، وبين يديه حضارة مستحدثة تزخر بالحياة والحركة ، وتموج بألوان من الفنون والآداب والعلوم ، ولهذه الألوان كل يوم جديد يذاع منها فى كل ساعة نبأ أو أنباء . ثم يتلفّت هـذا الجيل فى ماضيه ، فيرى حضارة مجيدة كانت تزخر بالحياة والحركة وألوان من الفنون والآداب والعلوم ، أفتراه يقنع بالنظر والاستمتاع ، أو بالذكرى والتحسُّر ؟

أما الحياة فتقول لكل حى : « إيّاك والقناعة ، وحذار من الحسرة » ، فهو يسمع نداءها ويريد أن يستوعب ما أمامه ويجدّد الذى فات ، فكذلك

[التتمة على الصفحة السابقة]

المختار من ريدرز دايجست

فى كل مقالة لذة دائمة

يونيو ١٩٤٧

الصديق

إذا صفا لك أخٌ ، فكن به أشدَّ ضنًّا منك بنفائس أموالك ، ثم لا يُزهِّدنَّك فيه أن ترى منه خُلقاً أو خُلقين تكرههما . فإن نفسك التى هى أخصُّ النفوس بك ، لا تعطيك المقادة فى كل ما تريد ، فكيف بنفس غيرك ! وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره .

[الجاحظ ، رسالة المعاش والمعاد]

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST — Vol. 8, No 46, June 1947.

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : ولم ف . جيلسي .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً
العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٣٦٤

الطبعات الدولية

السنة الرابعة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٨
العدد ٤٦

كتاب شهرى لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

يونيو ١٩٤٧

بعد أحد عشر شهراً من البحث ..

وجدت هيئة الأمم المتحدة مقرها الدائم في ٢٢½ ساعة

جيمز موناهان

بدأت هيئة الأمم المتحدة بحثها عن مكان لمقرها الدائم فى فبراير ١٩٤٦ ، وطال البحث على غير جدوى حتى استغرق أحد عشر شهراً . ففى المواقع التى كان الأعضاء يؤثرونها اشتدت معارضة أصحاب الأرض ، وفى مواقع أخرى كان ثمن الأرض فاحشاً . فلما دنا موعد الفصل فى الموضوع خيل إلى الناس أن المشكلة لن تحل إلا حلا وسطاً لا يبعث على الرضى ، فيكون ضرباً من الهزيمة الأدبية تنزل بالأمم المتحدة .

ثم حدث ما يشبه المعجزة ، ففى ٢٢½ ساعة بين ظهر اليوم العاشر من ديسمبر والساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين من صباح اليوم التالى تم الاتفاق .

وفى هذا المقال خفايا ذلك الحدث الرائع كما يذكره الرجال الذين اشتركوا فيه .

ظهر يوم الثلاثاء ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ ، وقد افتتح جون د . ركفلر مؤتمراً لأسرته فى مكتبه العالى فى مبنى ركفلر بنيويورك : فلن تنقضى أربع وعشرون ساعة حتى تتخذ لجنة مقر هيئة الأمم المتحدة قرارها فى موقع هذه العاصمة العالمية . وليس بين المواقع المقترحة موقع حاز رضى عامًّا ، ومن الأسرار المكشوفة أن الأعضاء غير راضين .

وقد وصل اثنان من أبناء ركفلر — نلسن ولورانس ، أما دافيد فقد تأخر فى حى الأعمال ، وأما جون فليس فى نيويورك ، وأما ونثروب ففى جمهورية فنزويلا . وقد كان نلسن ركفلر عضواً فى اللجنة التى

ألفها محانك نيويورك لتتبع شئون الأمم المتحدة . وهو على صلة وثيقة بسير الأمور ، فقد طار منذ يومين من بلاد المكسيك لحضور اجتماع دعيت إليه هذه اللجنة على عجل ، وفيه عرف الحقائق الكالحة .

فمدينة نيويورك التي يؤثرها أعضاء الأمم المتحدة على غيرها ، قد كادت تقضي على أملها في أن تضم مقر الهيئة العالمية ، بما بدا منها من « ترفع وعدم مبالاة » — على قول أحد أعضاء الوفود ، وقد ربطت مصير القرار بما عرضته على الهيئة من أرض أقيم عليها « المعرض العالمي » في « فلاشنج مدوز » . وقد أجمع رأى الأمم المتحدة أو كاد على أن هذا الموقع لا يصلح . نعم إن نيويورك عرضته بغير ثمن ، ولكن المهندسين قدروا أن إرساء أسس المباني في هذه الأرض التي كانت مستنقعاً يكلف ٣٥ مليون ريال . وليس في منطقة مدينة نيويورك مكان آخر متاح للأمم المتحدة « بغير ثمن أو بثمن معقول » .

وقد عارض البريطانيون في اتخاذ مقر الهيئة في مدينة سان فرنسسكو ، وصرح الروس بأن وفودهم لن تذهب إلى الساحل الأمريكي الغربي مهما يكن من شيء . وأذعن الوفد الأمريكي لرأى الأكثرية ، فأيد اختيار مكان على الساحل الشرقي — ساحل المحيط الأطلسي . وعرضت مدينة فلادلفيا مكاناً فيها ، فصار محتملا أن يتفق الرأى على قبوله ، ولكن موظفي الهيئة برموا بذلك فقال أحدهم : « إذا اخترنا فلادلفيا مقراً لنا ، ذهبت وفود الهيئة إلى وشنطن لقضاء أعمالها ، وإلى نيويورك طلباً للهو والتسلية » .

وتقدم السناتور وارن أوستن ، ممثل الولايات المتحدة في هيئة الأمم المتحدة، باقتراح مؤداه أن يرجأ الفصل في الأمر حتى تجتمع الجمعية العمومية في سبتمبر ١٩٤٧ ، وكان يرجو أن تتم معجزة في خلال ذلك تسفر عن مكان مقبول في منطقة مدينة نيويورك ، ولكن الاقتراح رفض بعد احتجاج قوى على إرجاء البت في الموضوع .

وإذن فأغلب الظن أن يقترع أوستن غداً مع أكثرية الأعضاء المترددين ، على قبول ما عرضته فلادلفيا — فهو رأى وسط ولا مفرّ منه .

١٢٫٣٠ بعد الظهر : قرّرت أسرة ركفلر أنه لا بد من أن توجد رقعة من الأرض في مدينة نيويورك أصلح من « فلاشنج مدوز » مقراً للهيئة العالمية ، وأن تعرض عليها قبل الصباح . أما البواعث التي تحملهم على ذلك فقوية : زهوهم بمدينتهم، وإيمانهم الصادق العميق بالأغراض السامية

التى تتوخاها هيئة الأمم المتحدة ، وعطفهم على رغبة الكثرة من أعضائها ، وعناية الأسرة منذ زمان طويل بفعل الخيرات .

وإذن فلِمَ لاتقدّم الأسرة أرضها المطلة على نهر الهدسن فى نيويورك ؟ فهذه الأرض تضم بيوت أبناء ركفلر الأربعة المتزوجين وأختهم المتزوجة وأبنائهم السبعة عشر . وفى أجزاء شتى من هذه الأرض عاشت أربعة أجيال من أسرة ركفلر . ولو وهبت هذه الرقعة من الأرض لهيئة الأمم المتحدة ، وخططت فى أول الأمر على وجه ينقذ بيت الأسرة العتيق من الهدم ، لكان التوسع فى المستقبل أمراً لا مفرّ منه . فالأب جون ركفلر وابنه الأكبر نلسن ، راضيان بهدم البيت الكبير ، أو بأية تضحية أخرى من أجل الأمم المتحدة ، أفيرضى الأبناء الآخرون بالنزول عن بيوتهم ؟

وافق لورانس وعرض أرضه التى مساحتها ٢٥٠ فداناً ومالاً لشراء ما يلزم من أرض تضاف إليها ، وعرض نلسن أن يستشير شقيقيه الغائبين ، وقال ركفلر الأب إن سمسار الأرض ولم بيتس يستطيع أن يدبر أمر شراء الأراضى المجاورة اللازمة لجعل القطعة التى يعرضونها كافية للغرض المطلوب . وقد فوضوا الأمر إلى نلسن .

الساعة ١٫٣٠ بعد الظهر : فى مكتب نلسن ركفلر فى نيويورك : يجمع الخرائط والسجلات، ويدبر أمر المخاطبات التلفونية، ويوزع الأعمال الكتابية والقانونية. وسرعان ما يصل دافيد ركفلر فيطلعونه على ما تم ، فيقول إنه يرضى طبعاً أن ينزل عن أرضه، وأن يكتتب بمبلغ من المال اللازم لشراء أراضٍ أخرى لا بد منها . وها هوذا الأخ جون على التلفون من بلد خارج نيويورك . إنه راض ولا ريب ، ويؤسفه أنه لم يشهد هذه الحركة ليشارك فيها . ويسأل أحدهم عن الأخ ونثروب ، وهو عزب، فى جمهورية فنزويلا . إن الاتصال به مستحيل الآن ، فلنفرض أنه لن يخرق إجماع الأسرة .

الساعة ٣٫٤٥ بعد الظهر : لقد أخذت الرسوم تنتشر على الخريطة ، ولكن الحاجة ماسة إلى أرض أكبر من الأرض التى يعرضها ركفلر وأبناؤه . ما الأخبار من مستر بيتس السمسار ؟ احذروا أن تذاع أنباء ما يحدث قبل أن يتم الأمر ، فقد منيت هيئة الأمم المتحدة بخيبة أمل بعد خيبة ، ودار حديث فى التلفون : « مستر بيتس ؟ إليك حقائق الحالة . . أنستطيع أن تدبر الأمر لشراء بقية الرقعة قبل المساء ؟ »

الساعة ٦٫٣٠ مساءً : ينضم إلى الجماعة المتعبة ولاس هاريسون أحد المهندسين

الكبار الذى صمموا « مبـــانى مركز ركفلر » فى قلب مدينة نيويورك ، ثم يليه جون لوكوود المحامى، وفرنسيس جيمسون الصحفى الملحق الآن بمكتب ركفلر ؛ وروبرت موزز مدير قسم الحدائق العامة فى المجلس البلدى الذى تحمس أشد الحماسة للفكرة ساعة أطلعوه على سرها .



الساعة ٧٫١٥ مساء : نلسن ركفلر يحدث أباه بالتلفون ، والذين معه فى الحجرة ينصتون إليه بلهفة . فالأرض التى عرضتها الأسرة تزيد قليلا عن ألف فدان ، ومستر بيتس السمسار يظن أنه دبر شراء رقع من الأرض حولها تجعل المساحة كلها ألفى فدان . ومدير الحدائق العامة يعتقد أن هيئة الأمم المتحدة تقبل العرض. وهذا ركفلر الكبير يسأل سؤالا ، فيرد عليه نلسن ردًّا حاسما : « هـذا خير مكان متاح، ولكنه ليس أفضل مكان للهيئة . إن أفضل مكان للهيئة هو فى رأى رجالها ، مكان فى وسط المدينة على النهر الشرقى بين الشارعين ٤٢ و ٤٨ ، وهذا هو المكان المقترح لتشييد « مدينـة الأحلام » وهى مجموعة من ناطحات السحاب تتكلف ١٥٠ مليون ريال ، وقد ارتسمت صورتها الأولى فى خيال السمسار النيويوركى وليم زوكندورف . وهذا ولاس هاريسون هو المهندس الذى عهد إليه بتصميم هذا المشروع الضخم . نعم ، إن الصحف قدرت ثمن هذه الرقعة من الأرض بنحو ٢٥ مليون ريال .

وأما هاريسون فيعتقد أنه يمكن أن تشترى لهيئـة الأمم المتحدة بمبلغ ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال .

وسكت الحديث لحظة وإذا نلسن يصيح دهشة وفرحاً — فقد عرض أبوه أن يدفع المال .

وإذا مكتب نلسن قد صار كأن فيه تياراً سارياً من الكهرباء . وقد كان حديث نلسن بالتلفون كلمات مفردة يقولها بلهجة من يختنق ، ويدوّن على ورقة أمامه أوامر يتلقاها من أبيه . فلما رد السماعة إلى مكانها عرف زملاؤه أن أباه قد وافق على أن يشـترى أرض « مدينـة الأحلام » من زوكندورف ، لتكون هبة إلى هيئة الأمم المتحدة بغير مقابل !

الساعة ٩٫٣٠ ليلا : لقد ذهبت سكرة الفرح بما تمّ ، وحلّ محلّها تقدير صحيح لضخامة العمل الذى ينبغى أن يتم من جميع نواحيه قبل الصباح . فمدينة نيويورك ينبغى أن تتنزل عن أرض الشوارع التى تمر فى هذه الرقعة ، وعن شاطئها على النهر ، وأن تنزع ملكية رقع صـغيرة من الأرض حتى تصير

بهذه الرقعة قطعة واحدة . هاتوا مدير الحدائق على التلفون ، فهو يعرف كيف يعالج هذا الأمر . ثم ينبغي أن توافق الحكومة الأمريكية على الهبة ، وأن تعفيها من الضرائب ، وكونها هبة لا يعفيها من الضرائب ، لأن هبات ركفلر جاوزت الحدّ المقرر فى القانون المالى ، وركفلر يرى أن مالا دفع عنه ضرائب حين عُدّ إيراداً ، لا يجوز أن يدفع عنه ضرائب مرة أخرى حين ينفق من أجل هبة . .

وهو يذكر ما انتابه حين اضطرّ أن يدفع ضريبة فادحة على هبة قدّمها إلى عصبة الأمم . هاتوا السناتور أوستن فهو يعرف كيف يعالج هذا الأمر فى وشنطن (لقد ترك أوستن فندقه ليحضر مأدبة وزير الخارجية لوزراء الخارجية ، ولن يعود قبل ساعة متأخرة من الليل) . ثم هناك مسألة لعلها أهمّ مسألة : أيرضى وليم زوكندورف أن ينزل عن الأرض ؟ وإذا هاريسون يبتدر معطفه وينطلق عجلان .

الساعة ١٠٫٣٠ ليلا : لقد وفق هاريسون أخيراً إلى العثور على ضالته زوكندورف فى ملهى مونت كارلو الفخم حيث أدب الرجل مأدبة احتفالا بعيد زواجه، وبعيد ميلاد شريكه ، هنرى سيرز . وقد توالت على هاريسون الدعوة لشهود المأدبة، فردّها وانتحى بزوكندورف وشريكه سيرز على مائدة صغيرة ، وبسط أمامهما خريطة الأرض وطلب منهما أن يرضيا بالبيع وأن يذكرا الثمن. فيقول زوكندورف إنه يرضى أن يبيع لهيئة الأمم المتحدة وحدها بمبلغ ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ ، ولكنه يحتج بأنه ليس سوى شريك ، أليس من المستطاع أن ترجأ الصفقة حتى الصباح ؟ فيصر هاريسون على أن الوقت ضيق . ويوافق سيرز على رأى زوكندورف ولكنه يعمد إلى التلفون فيخاطب الشركاء الآخرين .



٥ مقر هيئة الأمم المتحدة بمدينة نيويورك

ويرسم زوكندورف خطاً حول الرقعة ويكتب على ظهرها أنه رضى بالبيع ، ثم يوقع باسمه.

ويخرج هاريسون عَدْواً، فلا يكاد يبلغ منتصف الطريق حتى يخطر له أن يبلغ نلسن ركفلر خبر الصفقة بالتلفون. فيدخل بهو فندق سان رجيس ويفعل، فيحثه ناسن على أن يسرع فى العودة. ويلوح لهاريسون أن ما تم خليق بأن يُحتفى به ، فيدخل متجراً ليشترى زجاجة شمبانيا ، ويمدّ يده إلى حافظة نقوده ليوفى

الثمن ، ثم يخرج من المتجر صفر اليدين ، فالرجل الذى عقد لساعته صفقة بمبلغ ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال لم يجد فى جيبه سوى ريال أو أقل . ثم يخطر له أنه فى هذا النشاط المحموم لتدبير مقر لهيئة الأمم المتحدة ، قد حرم نفسه دون وعى مبلغاً كبيراً من المال كان خليقاً أن يناله من أجل تصميم « مدينة الأحلام » ، وإذا هو يستغرق فى الضحك .

الساعة ١١٫٣٠ ليلا : لقد أعدّت الوثائق ، ونظر المحامى لوكوود إلى الكتابة على ظهر الخريطة ، فأضحكه أن تكون أساس هذه الصفقة التاريخية . إنها وثيقة خارجة على المألوف فى أمثال هذه الوثائق ، ولكنها قانونية .

وعمد نلسن إلى التلفون فكلم أباه ، وجعلا يراجعان ما تم من عمل ، وينقحان الرسائل والوثائق على التلفون فقرة فقرة. وجاء نبأ بأن مدير الحدائق العامة قد خلا بالمحافظ ، فيقترح ركفلر الأب أن يعقد اجتماع حول مائدة الفطور فى الساعة ٧٫٣٠ من صباح اليوم التالى. وما فرغا من الحديث حتى أشرفت الساعة على الواحدة من صباح يوم الأربعاء . وإعداد جميع الأوراق المنقحة يستغرق وقتاً حتى الساعة الثالثة صباحاً .

الساعة ١٫٣٠ من صباح الأربعاء : عاد السناتور أوستن إلى فندقه من مأدبة وزير الخارجية برنز ، وكان يزرّر أزرار منامته حين دق جرس التلفون : نلسن ركفلر . وقد وقف السناتور يرتعد برداً أمام النافذة المفتوحة وهو يستمع إلى الخبر . لقد هاله الأمر فانعقد لسانه ، وغمر قلبه الشكر . فحث نلسن على أن يأتى إليه بالوثائق اللازمة فى الساعة ٨٫١٥ ، صباحاً فموعد الاجتماع الفاصل فى اللجنة هو الساعة ١٠٫٣٠ والمسافة تستغرق ساعة بالسيارة من قلب نيويورك إلى مقر الأمم المتحدة فى ليك سكسيس .

الساعة ٧٫٣٠ صباحاً : بعد ساعات قلائل من النوم المضطرب تصل الجماعة المتعبة إلى شقة ركفلر لتناول الفطور — نلسن ولوكوود وجيمسون. ولكن التلفون يقطع عليهم الأكل . إنه من هاريسون ، وقد اجتمع بمدير الحدائق العامة الذى يقول إنه واثق بأن مجلس المدينة سيقبل شروط مستر ركفلر . فيجمع نلسن الوثائق ، لأن السناتور أوستن منتظر .

الساعة ٨٫١٥ صباحاً : كان السناتور أوستن قد جمع رجاله فى الجناح الخاص به ساعة وصل نلسن ركفلر ، وكان خط التلفون إلى وشنطن مفتوحاً . فيضع نلسن كل شىء بين يدى السناتور ويبرح الفندق، ولكن لا يزال عليه أن يسلم رسالة الهبة

إلى الدكتور إدوارد زوليتا مندوب جمهورية كولومبيا ورئيس لجنة مقر هيئة الأمم المتحدة. والدكتور زوليتا مريض فى المستشفى. وينظر السناتور أوستن إلى الساعة نظرة الرجل القلق العجل، فعليه أن يغادر فندقه بعد ٢٠ دقيقة ليذهب إلى ليك سكسيس. وهذا الوزير برنز على التلفون وقد استخفه الفرح بما تمّ على غير انتظار. وكلّ شيء فى وشنطن سائر على ما يرام، ووزارتا المالية والعدل ومصلحة الضرائب معنية بالموضوع. وقد يقتضى الأمر قانوناً خاصاً يوافق عليه الكونجرس ولكن « لا حرج مطلقاً عليك إذا قلت إن الحكومة الأمريكية تقبل جميع شروط الهبة ».

وماذا تصنع مدينة نيويورك؟ كان السناتور قد ارتدى معطفه، وإذا برسالة من المحافظ أودواير: « إن الأرض التى لا تشملها الرقعة المباعة ستنزع ملكيتها وتقدم هبة إلى هيئة الأمم المتحدة. وكذلك الشوارع وشاطىء النهر، وقد دعى مجلس التقدير إلى عقد جلسة خاصة من أجل ذلك ».

وانطلقت سيارة أوستن إلى ليك سكسيس.

الساعة ١٠٫٣٠ صباحا: لقد غادر الدكتور زوليتا فراشه فى المستشفى ليرأس الاجتماع التاريخى، وقد ازدحم أعضاء اللجنة الذين يمثلون كل أمة من الأمم المتحدة، ومعهم مساعدوهم حول المائدة. فقد تبدد القتام المخيم على اللجنة فى الأيام الاخيرة. وما كان أحد يدرى تفصيل ما تم، ولكن كل واحد منهم كان يحس أن حدثا خطيراً قد حدث، وقد شرق الدكتور زوليتا بدمعه حين أراد أن يثنى على هبة ركفلر «العظيمة الكريمة التى تجعل مقر هيئة الأمم المتحدة فى هذا المركز الذى يشرف على التعاون الدولى ... »

لقد تمت المعجزة فى أربع وعشرين ساعة أو أقل. وظفرت الأمم المتحدة بما تريده من « مدينة الأحلام »، ونسيت ما أبدته نيويورك فى الأمس من « ترفع وعدم مبالاة »، فقد أحلّت محله ضيافة تشعّ إشعاعاً. وقال السناتور أوستن: « وقد تم كل هذا بفضل ما فى قلب رجل واحد من بصيرة وكرم ».

في وسعك أن تأخذ بيد الشاب إلى الجامعة، ولكنك لن تستطيع أن ترغمه على التفكير. [جورج إيد]

علّموا أولادكم الحياة

الإناء الأحمر

كان الجدل لا يزال يشتدُّ ويعنف بين الشقيقين جون وإدورد ، وكان كلٌّ منهما يتهم شقيقهُ بأنهُ هو الذى أخطأ كل الخطأ . وفى ذات يوم طرق سمع أبيهما صخب إحدى هذه المعارك الحامية . فدعاهما إلى مكتبه ، وأجلس كلاًّ منهما على طرف المنضدة مواجهاً لأخيه ، وأخذ إناءً أحمر من الزجاج ، رسمت على أحد جانبيه وردةٌ بيضاء ، ووضع الإناءَ فى وسط المنضدة والتفت إلى جون وقال : « خبرنى ماذا ترى » ؟

فردَّ جون : « أرى إناءً أحمر » .

ثم التفت إلى إدورد وقال : « وأنت الآن خبّرنى ماذا ترى » .

فقال : « أرى إناءً أحمر وعليه وردة بيضاء » .

فقال : « حسن يا أبنائى ، وحسبكما هذا » .

وقد فهم الغلامان ما يريد أبوهما ، وتراهما اليوم يتذكران ذلك الإناء الأحمر كلما شجر بينهما خلاف فى الرأى ينذر بأن ينقلب جدلا عنيفاً ، فيدركان مرة أخرى أن المسألة رهن بوجهة النظر . [مسز هورنتج]

الكف المفتوحة

كنت فى العاشرة يوم وجدت أول ما وجدت صديقتى الحميمة الأولى بين فتيات مدرستى ، فتوثقت أواصر صداقتنا حتى صار لها فى نفسى أعظم منزلة . ولما كنت مفطورة على الاستئثار ، فقد ألفيت نفسى شديدة الغيرة من كل شىء تعنى به إذا كان شيئاً ليس لى فيه نصيب . ولم أخف عنها ما أحسُّ ، فأزعجها ذلك وبرمت به .

وأدركت أمى ما أعانى ، وكنا ذات يوم نتفرَّج على بعض الفراخ الوليدة ونعجب بها ، فرفعت أحدها بيدى وشددت قبضتى عليه حتى كاد يختنق . وقد جاهد أن يفلت من قبضتى — وما لبث حتى أفلت .

فقالت والدتى وكأنها غير عابئة بما حدث : « إذا شددت قبضتك على فرخ وليد ، عظمت رغبته فى أن يفلت منك . ترفقى فى حمله » .

فلما أخذت الفرخ الثانى فى راحتى المبسوطة اطمأنَّ إلىَّ وسكن ، فقالت أمى وهى تمرُّ بكفها على ريشه : « أتعلمين يا بنتى أن الناس كالفراخ . فكلما زدنا حرصاً على تقييد من نحبهم ، ازدادوا هم حرصاً على طلب الفكاك والحرية . فإذا ترفقت فى الحرص عليهم لم يشعروا منك بالضيق والسأم .

فأثمر هذا الدرس ثمره . وعلى أنى أحس أحياناً بالغيرة تستبد بى ، فإن صورة الفرخ المطمئن فى كفى المفتوحة ، قد وقتنى أن أظهر ما يعتلج فى نفسى » . [بربارة بوردو]

الولد والفراشة

كنت كغيرى من لداتى الفتيان الشياطين ، أقع فيما لا تحمد عقباه ، ثم أعدو إلى أمى لتنقذنى منه ، بيد أن أمى كانت تؤثر أن ترانى أحل بنفسى ما أقع فيه من مشكلات . وكنت لا أدرك لم تأبى أن تعيننى ، حتى كان يوم رأيت فيه شرنقة فراشة تنبض وتتململ ، فصحت فرحاً بما توقعت أن أراه ، وبادرت إلى الشرنقة أشقها بمبراتى ، حتى أيسر على الفراشة أن تخرج منها . وإذا أمى تراقب ما أفعل ، فلما شققت الشرنقة ووجدت الفراشة لا تطير ، ساورتنى خيبة أمل قوية ، فكان ذلك ما ابتعث أمى على الكلام ، فقالت :

« يا بنى إن لجهاد الفراشة غرضاً — هو أن يمكنها من أن تكتسب القوة التى تتيح لها أن تحلق فوق العالم الذى كانت تدب فيه دبيباً ، فلم تأذن أنت لها أن تستكمل قوتها ، وها هى ذى لا تستطيع أن تمشى ولا أن تطير . وهذه هى حال الأولاد أيضاً . فإذا لقى ولد مثلك من يحل له جميع مشكلاته ، سلب الفرصة التى تتيح له النماء . وكل جهاد فى الحياة نخوض غماره يعزز قدرتنا على مواجهة الجهاد الذى يليه » . [أ . ج . بوست]

شىء لا يسترد

ألفت شقيقتى الصغيرة أن تذيع أخباراً ملفقة عن لداتها ، فأفضى ذلك إلى كثير من الشقاق بيننا وبين جيراننا . وما كانت شقيقتى تقصد أن تؤذى أحداً ، وكانت إذا عنفتها أمى على ما فعلت تقول وهى آسفة : « أسألكم العفو ، وأسترد ما جرى به لسانى » .

وما كان لضروب العقاب المألوفة أثر فى نفسها . ثم تذكرت أمى درساً تلقته عن أمها ، فطلبت من شقيقتى أن تأخذ وسادة محشوة بالريش إلى خارج البيت وأن تشق غطاءها ففعلت ، فقالت أمى : « والآن أريدك أن تجمعى الريش الذى انتثر وتفرق » .

فقالت شقيقتى : « هذا شىء مستحيل . فقد طار الريش فى كل مهب » .

فقالت أمى : « طبعاً ، وهذا الريش مثله كمثل الأكاذيب التى تذيعينها ، فتتفرق ولا سبيل إلى استردادها » .

فإذا ما ألحت على اليوم رغبة فى إذاعة الإشاعات والأقوال التى تتناهى إلى ، تذكرت الدرس الذى تلقته شقيقتى من أمى .

[بيتر مورتى]

كيف تحررت من ربقة الخوف ؟

مرجريت لى رنيك

مختصرة من مجلة " المرأة المستقلة "

كنت يوم أشرفت على التخرُّج من المدرسة الثانوية ،فتاة شديدة الحياء ضعيفة الحيلة ، بيد أنى دأبت على التحصيل والإجادة ، فإذا بى ألفى نفسى جالسة على المنبر يوم توزيع الشهادات ، وفى رأسى المضطرب تتردد عبارات خطبة الوداع التى عهد إلىّ أن ألقيها .

جلست فتيات فرقتنا صفوفاً على المنبر ، فأشرفنا منه على بحر تتراءى لنا فيه وجوه آبائنا ، وكان بينهم أبواى . فهذه أمى ولا تزال سبابتها دامية من إكبابها على إعداد الثوب الذى أختال فيه الآن ، وهذا أبى قد خصص للحفلة أحد أيام إجازته الثمينة ليشهد هذا الحادث العظيم . فإذا لم أحسن ما وكل إلىّ ركبهما الخزى ، ولن أغتفر لنفسى ما اجترحت .

وكانت رئيسة المدرسة قد أمرت أن نجلس ، نحن الخطيبات الأربع ، متجاورات فى وسط المنبر . جف ريقنا ، فإن الغمغمة بخطبة كانت تكفى لإيقاع لرعب فى قلوبنا ، أما أن نجلس هناك على مرأى من جميع الناس فكان فوق طاقتنا .

وزاد الطين بلة أن كان إلى جانبى كرسى لا يزال خالياً ، هو كرسى خطيب الحفلة . وكانت معامتى فى اللغة الإنجليزية قد أوصتنى أن أتلطف فى الحديث معه قبيل بدء الحفلة، حتى يرى جمهور المدعوين طلاقتنا وحسن ما أدَّبتنا به . فكان ذلك قاصمة الظهور إذ ما عساى أن أقول لرجل غريب عنى ؟

فلما وصل الرجل ودخل مختالاً على أنغام الموسيقى التى تعزفها فرقة المدرسة ، بلغ يأسى غايته ، إلا أن معلمة اللغة الإنجليزية أومأت إلىَّ إيماءة الآمر ، فنظرت إلى الخطيب وابتسمت وحاولت أن أبدو فى أحسن حال .

وقلت وأنا أكاد أغص بريقى : « ينبغى لى أن أتبسط معك فى الحديث ، ولكن ... ولكن يؤسفنى أننى لا أجد ما أقوله ، فقد أخذ الخوف علىَّ كلَّ مأخذ » .

فقال : « وأنا خائف أيضاً . فى جيبى الخطبة التى أريد أن ألقيها ، ولكننى لا أظن أنها ذات قيمة . ثم إننى ... »

فقلت وقد أدهشنى ما قال : « ليس ثمة ما يخيفك » .

فحدَّق فىَّ — لا تحديق رجل فى طفل، بل تحديق إنسان فى إنسان آخر ، يحاول أن يتبين كيف يستطيع أن يبذل له معونته . ثم قال : « وليس ثمة ما يخيفك أنت .

دعيني أفض إليك بسر ، ثم لن يلمّ بك خوف في مستقبل أيامك . كلُّ امرىء في هذا العالم يساوره شيء من الخجل والوجل، ويحس كأن العيون كلها متجهة إليه ، فإذا قضيت الدقيقة الأولى التي تلقين فيها غريباً عنك وأنت تحاولين أن تسرّي عنه حتى يشعر بالراحة ، فإنك لن تشعري بالوجل بعد ذلك . جرّبي » .

وقد أنست في وجهه الصبوح دعة ولطفاً، فأدركت على حين فجأة عظمة هذا الرجل الذي انطوت نفسه على العطف وصدق البصيرة .

وقلت بصوت عال خارج من أعماق القلب : « سأجرّبها » .

وإذا بي أتبين ، وياللهول ما تبينت ، أن لعزف قد انقطع ، وأن صوتي قد رن رنيناً في السكون الذي يخيم على الجمع المرتقب . وكان رئيس مدرستنا رجلا ضئيلا جَهْم الوجه ، فرأيته يحملق فيّ ، ورأيت زميلاتي يحدّقن إليّ مشدوهات . فمرّت بي لحظة كانت خليقة أن تنحدر بي إلى مهاوي الخزي والعار.

ولكن الرجل الجالس في جواري ضحك ضحك الواثق المطمئن ، ومدّ يده ُ وربّت على كتفي تربيت الصداقة والمودة ، فإذا أمارات السرور والرضى والمودة قد شاعت في نفوس الحاضرين جميعاً ،فقد فعلت برغمي ما أوصتني معلمتني أن أفعل — لقد تحدثت مع ضيفنا المبجل حديثاً كان باعثاً على ارتياح الناس .

ولست أذكر ما كان وقع الخطبتين ، خطبته أو خطبتي ، ولكنني أذكر أني شعرت بسعادة لا توصف ، وبأن الحفلة كلها كانت حفلة عظيمة . وأهم من ذلك كله أني أذكر كيف باح ذلك الرجل الكريم لفتاة خائفة غير مليحة بأن سره في التغلب على الوجل والارتباك هو أن ينسى المرء نفسه وهو يحاول أن يمدّ يد المعونة إلى غريب عنه.

وقد انتفعت بهذا السر ألوفاً من المرات ، وقد تبينت أثره في أغراب مختلفة طباعهم، فكنت أزداد شكراً لمن كشف لي هذا السر . وطالما تمنيت أن أتذكر من هو حتى أعرب له عن شكري .

ومنذ عهد قريب عمدت إلى تنظيف غرفة في داري احتشدت فيها أشياء كثيرة لا قيمة لها كنت ادخرتها على الأيام . فوجدت صندوقاً فيه رسائل قديمة ، ونسخة من بيان الحفلة التي نلت فيها شهادتي ، وقد كتب على صفحته الأولى هذه الكلمات :

« خطيب الحفلة، فرنكلن د . روزفلت وكيل وزارة البحرية » .

وليس في وسعي الآن أن أعرب له عن شكري ، ولكن في وسعي أن أطلع الناس على سره كما أطلعني هو عليه .

إن جهاز هانس جيجر الذى اخترعه منذ ٤٠ سنة قد صار :

هادى الناس في العصر الذرى

صموئيل برجر
مختصرة من مجلة "سيئتفيك أميركان"

مضت ساعات منذ انفجرت القنبلة الذرية الرابعة فى بكيني ، وقد دفعت الريح الشرقية السحابة المهلكة الغريبة الشكل التى نجمت عن ذلك الانفجار ، ولكنَّ الموت لا يزال يملأ مياه الخليج ، ويذرع سطوح السفن المحطمة التى اتخذت أهدافاً لتلك القنبلة ، ويتخلل السفن المصنوعة من الصلب التى لم تكد تصاب بأذى من قوة الانفجار .

وهذه أشعة « جمَّا » قد اخترقت أبدان مئات من الماعز والخنازير والجرذان والفئران فلم تشعر بألم ، ولكنها صارت حيوانات قضى عليها الموت . وصار لا بدَّ للرجال من أن يغامروا ويقتحموا ذلك الحمى الذى يجوس فيه الموت ، ليطفئوا النيران المستعرة فى السفن المصابة . ولكن أنَّى لمكافحى النيران أن يعرفوا السفن المأمونة ؟

ليس لهم من وسيلة سوى عدَّاد جيجر ، وهو صندوق أسود مستطيل فى حجم جهاز الراديو الصغير . وهو مزوَّد بلوحات عليها أرقام وحروف ، وبسمَّاعتين ، وفى وسعه أن يقيس درجة نشاط الإشعاع فى الجو . وفى وسع المرء أن يسمع من السماعتين دقات رتيبة كأنها صرير صرَّار الليل ، فإذا ما ازداد توالى الدقات كان ذلك دليلا على ازدياد نشاط الإشعاع . وكذلك ترى أن مكافحى النيران فى بكيني لم يقدموا على مهمتهم إلا بعد أن سبقتهم زوارق صغيرة مزوَّدة بعدَّادات جيجر لتتبين أى السفن يستطيع مكافحو النيران أن يدخلوها آمنين، وأيها لا تزال تحوى ذلك القدر المميت من أشعة « جمَّا » .

ولم تكد تنقضى فترة على انفجار قنبلة بكيني الأولى ، حتى كانت الرياح على ارتفاع خمسة أميال فوق سطح الأرض ، قد أخذت تدفع فوق عرض البحر سحابة جميلة مذهبة الحواشى . لقد كانت تبدو وديعة بريئة من كل شر ، بيد أنها كانت تموج بالطاقة الفتاكة . فلو تحوَّلت الرياح يومئذ فوق المحيط الهادى لكانت خليقة أن تدفع هذه السحابة إلى طرق الجو التى تسلكها الطائرات ، أو ربما تبدلت حالة الجو فتنهمر السحابة مطراً مميتاً على جزيرة مأهولة . فلم يكن بد من أن يتتبع رجال التجربة مسار تلك السحابة المهلكة . ولم يكن ذلك بالأمر

السهل فى جو يكثر فيه الغيم المتراكم كالجبال. وهو فى الليل أشق، إذ قد تنحرف الطائرات التى تتبع السحابة، فتقع فى الشر الذى تحاول أن تنقذ غيرها منه .

فيومئذ أثبت عدادّ جيجر نفعه الذى لايجارى، فأرسلت طائرات مزودة بعدادات جيجر ، فظلت تحوم حول منطقة السحابة حتى تبددت دون أن تحدث أذى .

وقد صنع عداد جيجر أولا ليكون أداة من أدوات البحث العلمى الخالص ، وقد تم ذلك قبل أن يفكر الناس فى القنبلة الذرية بزمن طويل . فمنذ أربعين سنة أو نحوها كان رذرفورد العالم الطبيعى البريطانىّ العظيم ، عاكفاً على بحوثه الشهيرة فى عنصر الراديوم ، فعنى مساعدهُ الألمانىّ الشابّ هانس جيجر بصنع جهاز يحصى الدقائق التى يطلقها ذلك العنصر الجديد . ولا يزال هذا الجهاز أحكم الأجهزة التى صنعت لتبين نشاط الإشعاع وأدقها إحساساً .

وسواء كنت داخل المعمل أو خارجه ، وعلى قمة جبل أو فى قبو مصرف، فإن الهواء يعج بقذائف صغيرة ذات طاقة وسرعة لايصدقهما العقل .

وهذه القذائف المتناهية فى الصغر هى على الأكثر بعض الأشعة الكونية التى يظن العلماء أنها تنطلق من الفضاء الذى بين النجوم . ومن رحمة الله أن جو الأرض يمتص معظم هذه القذائف الكونية ، فلا يصل منها إلى الأرض ولا يخترق أبداننا سوى عدد يسير نسبياً . ولو لم يكن ذلك كذلك، لتعذر نشوء الأحياء من الحيوان على سطح هذا الكوكب السيّار .

وقد اهتمّ العلماء الذين يستطلعون أسرار مجموعاتنا الشمسية بعدّاد جيجر فانتفعوا به فى قياس قوة هذه الأشعة الكونية . وأما الأطباء فينتفعون به فى كفاح السرطان وغيره من الأمراض المهلكة . وأما المهندسون المنقبون عن النفط فيدلونه فى الآبار التى يحفرونها ليتبينوا به شكل طبقات الأرض التى تحوى النفط. ويستعمله علماء الجولوجيا فى بحثهم عن اليورانيوم وغيره من المعادن المشعّة . وقد ثبت أنه جهاز لاغنى عنه فى كل فرع من فروع العلم الجديد الذى يبحث نواة الذرة .

وقد انتفع رجال الصناعة بالذرات المشعّة « الكاشفة » فى نواح شتى . فهم يضيفون مثلا مقداراً قليلا من غاز مشعّ إلى غاز عادى ويدفعونه فى الأنابيب ، ثم يستعينون بعداد جيجر على تبين انسياب الغاز فى شبكة معقدة من الأنابيب ، ويتم لهم ذلك على وجه موفق عجيب . وإذا ما أراد رجال الكيمياء أن يعرفوا أين يختفى النحاس المذاب فى محلول

معين ، تراهم يضيفون حفنة قليلة من النحاس المشعّ ، فيسرى مع النحاس العادى حيثما سرى ، ويختفى حيثما اختفى ، ولكن الذرات المشعة تنمّ على نفسها، وعدّاد جيجر يكشفها حيث تكون . وقد اتخذ رجال تكرير النفط ذرات الإيدروجين المشع وسيلة للكشف ، فظفروا بحقائق لا تقوّم بمال ، عن مصير جزيئات الإيدروجين فى خلال العمل الذى يطلقون عليه فى صناعتهم عمل تحطيم جزيئات النفط . وهذه الحقائق خليقة أن تفضى إلى تقدم عجيب فى صناعة النفط .

وقد اقترن عدّاد جيجر فى السنوات الأخيرة بالذرّة فى كفاح المرض وشق طرق جديدة فى البحث الطبى . ولنضرب لك على هذا مثلاً عجيباً ، فهذا مريض فى مستشفى مصاب بسرطان فى غدته الدرقية، فاستؤصلت الغدة ، وإذا به بعد سنوات يقلّ وزنه قلة مطردة . فبحثت حالة تمثيل الطعام فى بدنه فثبت أنه مصاب بفيض غير طبيعى من نشاط كنشاط الغدة الدرقية .

وسرعان ما كشف الأطباء سبب ذلك ، فقد ظهر فى بدن المريض (وقد يكون ذلك فى أى مكان فى البدن) بَضْعة من نسيج الغدة الدرقية المصابة التى استؤصلت، وجعل يفرز مقادير غير طبيعية من التيروكسين — المادة الحيوية التى تفرزها الغدة الدرقية ، فصارت المسألة التى تحيِّر الأطباء هى : أن يعرفوا أين استقر هذا السرطان حتى يستأصلوه أو يعالجوه .

وقد وجدوا حلا لمشكلاتهم فى عقار جديد ، هو اليود المشعّ ، ثم فى عداد جيجر ، فاليود يسير فى الجسم إلى نسيج الغدة الدرقية ليستقرّ فيه ، كما يسير حمام الزاجل إلى وكره . وقد وضع اليود العادى فى الجهاز الرحوى (سيكلوترون) وقذف بالقذائف فصار يوداً مشعًّا . وأخذ منه مقدار قليل لا يؤذى ، وحقن به المريض ، وبعد قليل جعل الأطباء يستطلعون طِلْع بدن المريض بعدّاد جيجر ، فكان الدق فى العدّاد بطيئاً فى أول الأمر ثم ازداد سرعة ، وما لبث العداد حتى عين المكان الذى استقر فيه اليود المشعّ — ومعه نسيج الغدة الدرقية السرطانى .

وقد صنعت مواد كيميائية أخرى تصلح لمثل هذا ، كانت غير مشعة فجعلت مشعّة ، فاستعملت ذراتها للكشف ، ففتحت آفاقاً جديدة فى البحث الطبى . وقد خدر العلماء جرذان العامل وأحدثوا صدوعاً صغيرة فى عظام سيقانها ، ثم أطعموا الجرذان فسفوراً مشعًّا . ولما كانت كسور العظام لا تلتئم إلا على قدر ما تمتصه من الفسفور ، فقد اتخذ العلماء سرعة امتصاص الفسفور

بمقياساً لسرعة التئام الكسور . ثم استعانوا بعدادات جيجر ، التى تتبين ذرات الفسفور المشعّ ، فراقبوا العظم الحى وهو يمتص الفسفور ، واستطاعوا أول ما استطاعوا أن يحددوا معدل الامتصاص . وأما الخطوة التالية فهى الانتفاع بهذه الحقيقة فى علاج كسور العظام فى أبدان الناس .

وإذا ما حقن الصوديوم المشعّ فى الدم ، نقله الدم إلى جميع أجزاء الجسم . فإذا وضع عداد جيجر على قدم رجل استطاع الطبيب أن يحسب معدل جريان الدم فى القدم أدق حساب . وهذا أمر خطير الشأن ، حين يقضى التشخيص ببتر القدم . فالجرّاح يؤثر أن يبتر الساق تحت الركبة ، إذا لم يكن بدٌّ من البتر ، ولكن إذا كانت دورة دم المريض عاجزة عن أن تدفع مقداراً كافياً من الدم إلى حيث تم البتر حتى يساعد على اندمال الجرح — وهذا كثيراً ما يكون — ألفى الجرّاح نفسه مضطرّاً أن يجرى جراحة ثانية لبتر الركبة . فالصوديوم المشعّ وعداد جيجر ينبئان الجراح أين يستطيع أن يجرى البتر وهو آمن .

وأنت ترى دوائر الطب اليوم تموج بالحديث عن هذه المواد المشعة الكاشفة . ونحن اليوم أوسع علماً ببناء الخلايا والأنسجة الحية، وبكل جزء من أجزاء بدن الإنسان، لأن رجال الطب يستطيعون أن «يراقبوا» الأفعال الخفية فى الجسم الحى ، فغدوا وهم لا يحتاجون إلى الظن والتقدير . وأنت ترى اليوم عدادات جيجر قد صارت أشياء مألوفة فى المستشفيات التى ترود آفاق الانتفاع بالمواد المشعة الكاشفة، وسوف يزداد عددها على الأيام .

ومهما يأتنا به الغد ، فإن عداد جيجر سيبقى نافعاً فى إنقاذ حياة الناس من الهلاك . أما أن يستعمل فى معمعة الحرب الذرية أو فى سكون المعامل والمستشفيات — فذلك أمر مرجعه إلينا نحن .

قال لنا رجلٌ من معارفنا دأب على الخروج إلى عمله فى الساعة السادسة والنصف كلّ صباح ، إنه رأى منذ أيام أحد جيرانه يحاول أن يفتح باب بيته وهو ثملٌ يترنح ، فأقبل عليه الشرطىُّ المكلف بحراسة الحىّ وقال : « إلى أين أنت ذاهب يا صاحبى فى هذه الساعة المبكرة ؟ »

فقال السكران : « إلى سماع محاضرة ! » [صحيفة « المساء »]

ضباب الموت فوق نيويورك



واثيد ب . باركر

قائمقام في الجيش الأمريكي ، معين في قسم القنبلة الذرية بوزارة الحربية

مختصرة من مجلة "مدفعية الساحل"

مقتطفات من مذكرات أحد المؤرخين في المستقبل

في الساعة الثالثة والنصف من صباح ٢٥ فبراير ١٩٥٢ ، استيقظ روجر جونز أحد سكان الحيّ الجنوبي في مدينة نيويورك ، مصاباً بغثيان عنيف لم يعرف له سبباً . وقد دام الغثيان ربع ساعة ، فلما عاد إلى فراشهِ لاحظ ضباباً كثيفاً يهبُّ على حجرته من نافذتهِ ، فدهش لأن الليل كان صافياً في أوله ، والريح قوية ملحة .

في الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين وصل إليس مانشستر مدير ميناء نيويورك إلى رصيف الميناء فقد هبَّ من فراشه على طلب مستعجل بالتلفون من معاونيه ، فقابلوه على الرصيف العاشر ، وكانت موجة عاتية قد دمّرت طرفهُ . وعلى الرغم من الظلام والضباب فقد تمكن مانشستر من أن يتبين امتداد التلف إلى الأرصفة الواقعة على شمال ساحل نهر الهدسن . وتجمع حوله طائفة من رجال أخذهم الروع ، فكانوا يعزون ما حدث إلى موجة مدٍّ طاغيــة أحدثها زلزال في عرض البحر . فلما انصرف عائداً إلى سيّارتهِ عرتهُ نوبةٌ مفاجئة من الغثيان.

وفي نحو هذا الوقت كان الدكتور حيرام ستراندبرج المتخصص في علم الأشعة في جامعة كولومبيا ، لا يزال في معمله على مألوف عادته ، فلاحظ أن عقارب الأجهزة التي تقيس نشاط الإشعاع ، قد جمحت حتى جاوزت مداها المرقوم ، فهبَّ إلى المقارنة

إن الآراء الواردة في هذا المقال هي آراء الكاتب ، لا آراء وزارة الحربية الأمريكية .

بين ما حدث فيها وبين ما حدث فى الأجهزة الأخرى ، ثم كلم زوجته بالتلفون وأمرها أن تبرح المدينة لتوّها . ثم اتصل بالشرطة وبمحافظ المدينة وقيادة الجيش . وقد ترفق بعض الذين ردّوا عليه وهم يرفضون أن يصدقوا ما يقول ، وأما الآخرون فقد ردوا ردّ النائم الساخط . فلما برح ستراندبرج معمله تبين ضباباً تدفعه ريح جنوبية غربية قوية — وهذا شىء لم يعهده من قبل .

فما وافت الساعة الخامسة حتى كان مكتب المحافظ قد غصّ برجال الحكومة ومديرى الصحف ومحطات الإذاعة، وكانت وجوههم شاحبة وكان شعر عوارضهم نابتاً لم يُحلق ، فجعلوا يصغون إلى جماعة من العلماء بينهم الدكتور فيلكس نوفاك ، عالم الطبيعة الذائع الصيت وحائز جائزة نوبل الطبيعية ، وكان هؤلاء العلماء يصفون لهم وصفاً مختصراً كارثة لم يشهدها شاهد عيان يوثق به .

وقد مضت أشهر قبل أن تعرف قصة هذه الكارثة على وجهها ، فقد فجرت قنبلة ذرّية ، ولكنّ أحداً لم يعرف أوضعتها غواصة فى مكان تفجرها ، أم ألقتها سفينة فى اليمّ بعد أن ضبطت فيها جهازاً يفجرها فى موعد معين ؟ فقد تفجرت فى الساعة الثالثة صباحاً ، فكان لانفجارها دمدمة مكتومة لم يتبينها سوى فئة قليلة من ملايين النوّام فى مدينة نيويورك. وقد دفع الانفجار بضعة ملايين من أطنان الماء فى الفضاء مسافة ميل أو أكثر ، ولكن الماء كان رذاذاً كل قطرة منه مشحونة بشظايا دقيقة مشعّة تنبعث منها أشعة « جما » وأشعة « بيتا » المهلكة . وكان العدوّ قد اختار أفضل ليلة توافق غرضه : فثمة ريح سرعتها ٣٠ ميلا تهبّ من موقع الانفجار متجهة فوق جزيرة منهاتان المستطيلة — قلب مدينة نيويورك . فلم تكد تنقضى ساعة أو أقلّ حتى كان الرذاذ الفتّاك قد هطل على المدينة كلها . وعلى أن قوة الإشعاع المنبعث من رواسب الرذاذ كانت تختلف باختلاف الأماكن ، فإن الموت كان يهدّد كل إنسان.

فى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة أمر المحافظ بتطبيق « الخطة ٢٩٩ » وهى خطة تقضى بإخلاء نيويورك ، وكانت قد أعدت منذ سنوات . وسرعان ما أخذت النذر والأوامر تغمر الجو من جميع محطات الإذاعة ، حتى ران عليها الصمت حين توقفت مولدات الطاقة بعد فرار المشرفين عليها . وقد فرّ غيرهم من رجال المرافق العامة ، ولكن رجال المطافىء والشرطة والعلماء لزموا أماكن عملهم مغامرين فى تعرضهم لمقدار مهلك من أشعة « جما » . وكان العلماء أهدأ أهل المدينة روعاً ، وقد

جمعوا كلَّ ما فى نيويورك من عدّادات جيجر — وكانت لا تزيد على مئـة ، ولو كانت عشرة الآلاف لـكانت قليلة — واستعانوا بها على تخطيط المناطق التى غزاها الموت .

ولم تكد تنقضى عشر دقائق على وصول خبر الانفجار إلى الدكتور نوڤاك حتى كان قد قدّر مبلغ الإشعاع الذى انطلق منه ، وقال للمحافظ : « إن معدل المقدار المؤثر من إشعاع جمًّا فوق أشـد أحياء المدينة تلوثاً به ، كفيل بأن يهلك أىّ إنسان يقيم فيها أكثر من ثلاث ساعات . وفى مثل هذه الأحوال لا تحدث الوفاة إلا بعد انقضاء تسعة أيام على الأقل ، وقد يطول الأجل إلى ستة أسابيع ، وأما الأعراض فلا تظهر قبل مرور يومين أو ثلاثة أيام . وقد يبلغ المقدار المؤثر من الإشعاع فى بعض الأماكن مبلغاً يعقب الغثيان فى الحـال . فهؤلاء المصابون يموتون فى بحر أربعة أيام . وأما الذين يستطيعون أن يهجروا المدينة لساعتهم فقد يفقدون بعض شعرهم فى الأسـبوع التالى ، أو يصابون بحمى خفيفة ولـكنهم يبرأون برءًا تامًّا . والمستقبل وحده كفيل بأن يبين للناس ما يكون أثر الأشعة فى ذرّياتهم .

وقد مات الدكتور نوڤاك فى اليوم التاسع بعد حلول الـكارثة . وعلى أن تقديره لقوة نشاط الإشعاع كان مدعاة للعجب فى إحكامه، فقد مات كثيرون فى أقل من الزمن الذى قدروه . ذلك بأنه ما كان هو ولا المحافظ ولا رجال الشرطة ولا الجنود الشبان الذين أطلقوا الرصاص على الجماهير لتفريقهم ، يستطيعون أن يعرفوا أن موجة من الذعر والهستيرياستستبد" بسكان المدينة وهم يحاولون الفرار من الجزيرة الضيِّقة، فقد كان ذعرهم أفظع ذعر عرف فى تاريخ البشر .

لقد سحق ألوف منهم سحقاً فى محطات قطارات النفق وعلى الجسور وفى الأنفاق التى تحت النهرين ، ولم تكد تنقضى ساعة على تفشى الذعر بين النـاس حتى غصَّـت مخارج المدينة بحطام السيارات وجثث القتلى، وصار الفرار من المدينة متعذراً إلا على فئة قليلة ، منهم بعض الذين قطعوا أحد النهرين سباحة . وأما القطارات التى كانت فى المدينة ذلك الصباح فقد خرجت مكتظة بالركاب .

وقد تطوّع كثيرون من رجال القطارات الأبطال للعودة إلى المدينة ليخرجوا بفوج آخر من الناس ، فظلوا يدأبون على إخلاء المدينة حتى كادت تصفر من سـكانها ، وسكنت موجة الذعر . ولـكن هـــذه العودة كثيراً ما عرّضت المتطوعين للتأثر دقائقَ أخرى بالإشعاع ، فكان ذلك حسبهم

لكى يلقوا حتفهم بعد أربعة أسابيع .

كان سكان منهاتان، ساعة وقع الانفجار، مليونين أو أكثر . ويدلُّ الإحصاء الذى أذيع فيما بعد، وإن كان إحصاءً غير دقيق، أن عدد القتلى والمفقودين بلغ ٣٨٩١٠١، وأن معظم الذين كتبت لهم النجاة أصيبوا بضروب مختلفة من مرض الإشعاع . ثم إن ألوفاً كثيرة من الناس فى ضواحى نيويورك أصيبوا أيضاً ومات منهم خلقٌ كثير . وأقصى منطقة عن نيويورك نزل بها أذى الإشعاع كانت تبعد عنها ١٨٠ ميلا ، فقد حملت إليها تيارات الهواء فى ثورانها مقادير مركزة من مواد التحطم الذرّى .

أما الدكتور حيرام ستراندبرج الذى كان أول رجل تبين الكارثة مسجلة على لوحات أجهزته ، فقد عـيِّن رئيساً للجماعات المزودة بعدّادات جيجر التى عهد إليها أن تخطِّط مناطق المدينة التى يكثر فيها الإشعاع أو يقلُّ، وقد ظلّ دائباً على العمل ليل نهار حتى أمرهُ الدكتور نوفاك أن يرحل . ولم يمض أسبوعان على حدوث الانفجار حتى أخذ شعرهُ يتساقط ، وفى اليوم الثامن عشر جعل وزنهُ يقلُّ ، وركبته حمى ، وبعد أربعة أسابيع علت وجهه صفرة الموت ، وأصيب بالرعاف المتردِّد ، ونقص وزنهُ ٣٥ رطلا ، ولم ينقذ حياتهُ سوى تكرُّر نقل الدم إليه وإعطائه مقادير من الهرمونات والڤيتامينات . أما الحارس الذى كان يجاور العالم فى المستشفى فقد ظهرت عليه الأعراض نفسها، ولكنه مات فى اليوم الثانى والثلاثين .

وقد استغرق إجلاء جميع الأحياء عن نيويورك أسبوعاً كاملا . ولن يعرف أحد عدد الذين ماتوا بغير الإشعاع ، أو عدد الذين غرقوا فى النهرين ، أو قتلوا فى الأنفاق ، أو قتلوا بالرصاص وهم يسلبون وينهبون .

وفى اليوم السادس من شهر مارس عادت طائفة صغيرة من العلماء البواسل يحملون عدّادات جيجر بأيديهم ، وجعلوا يتامسون طريقهم فى تيه الموت الخاتل طلباً لوثائق نفيسة . ثم جعلت جماعات أخرى تعود رويداً رويداً إلى المدينة ، حين بدأ نشاط الإشعاع يضمحلُّ عن جدران المبانى وأرصفتها وسلالمها وموائدها ، وكان بعض هذه الجماعات فى دبابات مبطَّنة بألواح الرصاص .

ولم يكن من اليسير أن تظفر بمتطوعين لهذه الجماعات ، ولو كانت فى حماية عدّادات جيجر ، فإن آثار أشعة « جمّا » تتجمع فى الجسم ، وتكرُّر التعرُّض لها مهلك كالتعرض لقدر مركز كبير منها .

وظلت الجهـود تُبذل طوال الربيع والصيف لتطهير أقسام المدينة الملوّثة بالإشعاع، وقد غسلت مياه البحر من الطرق بعض الرواسب المشعَّة، بيد أنَّ زوال الطبقة السطحية ترك بقايا لم يجد الغسل المتكرر في إزالتها. وكان تطهير المباني من الخارج عملا من أشق الأعمال، لأن رشها بالماء من خراطيم المطافيء كان كفيلا بأن يجعل الماء المشعّ المهلك يتجمع عند قواعدها. ولم يكن ثمة مواد كيميائية تبطل أثر سموم الإشعاع. وقد تلفت آلات تقوَّم بملايين لا تحصى من الريالات، ولو كان نقلها مستطاعاً لبقيت ملوّثة لا يقربها أحد.

وقد ظلت مدينة نيويورك سنة كاملة مدينة مهجورة حتى أعلنت الحكومة أنها صارت صالحة لإيواء الأحياء من سكانها.

هذا هجوم متخيل ولكن ليذكر القارىء ثلاثة أمور:

الأول — ليس في هـذا البيان الذى قرأتهُ شيءٌ يتوقف حـدوثهُ على ما يتمُّ من تقدم في العلم الذرّى. فالقنبلة كما هى اليوم، وكما ألقيت على اليابان وامتحنت في بكيني، تستطيع أن تحدث الأذى الذى وصف في هذا المقال.

الثانى — أن معظم رجال الحرب الذين تعهَّدوا القنبلة يشكُّون في إمكان الظفر بدفاع مُجْدٍ ضدّ قنبلة تستعمل على هذا النحو.

الثالث — ينبغى أن نبذل كلّ ما في طاقتنا لتحقيق هيمنة دولية على الطاقة الذرّية، والرجال الذين تعهدوا القنبلة الذرّية يرون أن الخطة الأمريكية المعروضة على الأمم المتحدة، هى خير حلٍّ لهذه المشكلة.

❋

سرُّ حسن التمثيل

ذهبت ممثلة ناشئة إلى برنارد شو وسألتهُ أن يبدى لها رأيه في قدرتها على التمثيل. فبعد أن مثلت أمامه عدة أدوار طلبها، أغرب في الضحك وقال: «اذهبي يابنيَّتى وتزوجي وليكن لك طفلان أو ثلاثة، وتمرسى قليلا بحقيقة الحياة، ويومئذ ربما تصيرين قادرة على أن تمثلى». ففعلت، وعادت إلى المسرح بعد غيبة دامت خمس سنوات، فصارت سيبيل ثورندايك أشهر ممثلات المسرح الإنجليزى.

[صحيفة ورلد تلجرام]

طريق إلى العِفَّة

دونالد كلروس پيتى

إنه المقالة التى نشرت بعنوان « دفاع عن العفة » كانت حديث الناس فى أنحاء البلاد كلها . والسيدة مرجريت بانتج ، كاتبة المقالة ، صديقتى وجارتى . وإنه لمما يملأ القلب غبطة أن نرى من يدافع عن هذه القضية ، وبخاصة امرأة معروفة بجودة التأليف وسموّ الأغراض .

ولكن كان مما أثار نفسى أنى رأيت مقالة السيدة مرجريت قد بنيت على نفس النواهى القديمة التى طال ترددها لزجر الشبان منذ أقدم العصور ، وحسبى أن أدع الأرقام التى ذكرتها فى مقالتها عن الأمراض التناسلية وعن المخادنات ، تقول بلسانها ماذا أجدت علينا هذه الزواجر ! وكأنى بها تريد أن تقول إن المرء إذا اعتصم بعفته جنى ثمرة ذلك صحة وعافية وتوقيراً عند الناس .

ولما كنت فى الكليـة عرفت بعض الأصدقاء الذين ألفوا أن يسيروا على نظام متبع فى غواياتهم غير نادمين، وهم يستطيعون أن يدلّوك على طرق كثيرة لتوقى ما يخاف . والوقاية من المرض ومنع الحمل ، هما وإن كانا غير مأمونين كل الأمن ، إلا أنهما أكثر أمناً من المرور فى طريق مزدحم بالسيارات، إذا تولاهما طبيب حاذق . فلم يبق إذن شىء من العواقب المخوفة التى تهـدد الآثمين سوى استنكار المجتمع وتنكره لهم . وما أهونه من تهديد ! لقد شهدت الناس وأنا لا أزال طفلا يضمرون للمرأة المطلّقة ريبة فى أمرها ، وإن كانت طُلقت من زوج سكير عربيد ، فانظر كيف صار رأى الناس بعد عشرين سنة ! صار الرجل يقارف آثامه وشهواته غير متحرّج من استنكار المجتمع أو تنكّره . ويخيل إلىّ أن الناس بدأوا يغتفرون الزّلة للفتاة التى تعرف كيف تتقى آثارها .

بيد أنى أرى أن السيدة مرجريت لم تكن لتشغل نفسها بالعفة لو لم ترها فى خطر داهم . والعفة ذات شأنٍ وخطر لأنها حق، ولأنها جميلة ، ولأنها شىء يجد فيه صاحبه مفخرة لا يجدها فى شىء سواها .

إنى لأسمع سخرية الساخرين يقولون : «إن استطعت فقل هذا لناشئة هذه الأيام ! » فإن فعلوا فحسبهم أن يعرفوا أن هذا هو

الشيء الذى قلته للناشئة فى أحيان كثيرة ، فتقبلوه منى تقبلاً يدهش الساخرين .

فأنت إذا بذلت لهم نصيحتك وهم فى ريعان الصبا ، رأيتهم ظماء إلى أن يسمعوا منك أن الفضيلة شيء يستحق أن يحرص المرء على حيازته ، وهم لا يطالبونك إلا بأن تأتيهم بالرد المقنع على وسوسة الساخرين حين يقولون : إن المُثل العليا لإفراطها فى السمو، صارت بعيدة على يد المتناول. ولن تجد عند الناشئة إلا الشكر لك حين تصدُقهم وتحدثهم بعبرة استخلصتها من تجاربك أنت فى الحياة . وفى قلوب هذه الناشئة الغضة شوق خفى إلى النصائح الصادقة التى أنضجتها الأيام ، إذا أحسنت تقديمها إليهم .

وسرعان ما يلقى النَّشَأ الصغار أن طريق الحياة قد كثرت فيه السبل المتشعبة، فيعجل كل منهم ويختار لنفسه سبيلا يسلكه . فإذا ساءك اختياره ، أنحيت باللائمة على الناس جميعاً إلا نفسك وقد سكتَّ حين كان يجب عليك أن تتكلم ، وتتطلب لنفسك المعاذير عن صمتك فتقول : لقد غلبنى الحياء ، وكنت أظنُّ أن الصغار لن يستمعوا إلىّ ، وأنهم يتبجحون فى كلامهم حتى يخيل إليك أنهم أكثر منك معرفة وعلما ! وكذلك ماتت كلمة الحق — تلك الكلمة الجريئة الجميلة التى لا يُستحَى منها .

وإذا أردنا من الشباب أن يجاهد نفسه حتى لا يتورط فى غوايات الفسوق ، فلا بد لنا من أن نضع فى يده سلاحاً أفعل من الخوف . وقد دللت السيدة مرجريت على أن الخوف وحده غير كاف فى عصمتهم . ولست أعنى بذلك أن نتجنب ذكر الحقائق التى عرضتها ونخفيها عنهم، بل أرى أنه لا بد من عرضها على الشباب صريحة وبلا مواربة — ولكن دون أن نقرنها بالحب حين نذكرها .

نعم أقول الحبّ ، والحبُّ أقوى من الخوف وأفعل ، وهو الشيء الذى ينبغى أن ندير عليه حديثنا معهم. فمن غلبه الخجل مما أقول ، فليغمض عينيه ويسدّ أذنيه حتى لا يسمع .

ما أسهل إغراء الشباب أن يجودوا بالمهج فى سبيل مثل أعلى يهديهم إليه من هم أكبر منهم سناً ، وبذلك تشهد قبور المجاهدين فى كل أرض . فمن البعيد إذن أن يكون أشق من هذا وأعسر أن تقنع الفتى بأن الحرص على العفة فرضٌ واجبٌ عليه ، وأنها أمانة فى عنقه لنفسه ولزوجته ولأولاده .

نعم إن من الفتيان فتياناً لم يألفوا قط الطاعة والنظام، فهؤلاء قلما يرجى منهم أن يستجيبوا لما تدعوهم إليه، وكذلك شأن بعض الفتيات. ولم تخل الدنيا قط من أمثال هؤلاء، والذنب

فى ذلك ذنب الأمهات والآباء . ولكن هل يعجزك أن تجد فى العفة مزية تغرى سائر الشباب بحبها وطلبها والحرص عليها ؟ أم تراك لن تجد حيلة إلا أن ترهبهم وتنفرهم بذكر العواقب الوبيلة التى تجلب عليهم الأمراض ؟ أم تراك ستلقى السَّلَم ويسقط فى يدك ، لأنك لم تحاول شيئاً ، ولأنك لا تستطيع أن تقول « هذا لناشئة هذه الأيام » !

لقد رزقنى الله ثلاثة أولاد، ولن أعرف هل أحسنت هدايتهم وتقويمهم حتى تنقضى عشرون سنة منذ هذا اليوم،فإنهم لم يشبُّوا بعد . وسوف أذكر لهم « حقائق الحياة » التى سلم الناس بها مجردة من كل تكلف ، فإذا فعلت ذلك فسأقول لنفسى إنى لم أبدأ بعد ما ينبغى أن أبذل من الجهود فى تهذيب عواطفهم وتقويمها .

وأعظم ما أبتغيه هو أن أجعل أبنائى يحسنون الحب ، فإن الحب والعفّة كلمتان مترادفتان . وهذا كلام ينبغى أن لا نكف عن ترديده عليهم ، وبخاصة حين يبلغون من العمر مبلغاً يسمعون فيه لجاجة الساخرين وهم يزعمون أنه ليس فى الدنيا شىء يسمّى الحب العذرىّ ، وأن هذا الحب ليس إلا بهرجاً وزينة أضفاها الشعراء على شىء لم يخرج عن أن يكون عملا طبيعياً من أعمال غدد الجسم الإنسانى ، وأن هذا العمل الطبيعىّ هو من خاصة شأن الفرد لا علاقة له بالمجتمع (هكذا يقول عقلاء الناس !) ولا تبعة فيه على فاعله .

والشابُّ المحبُّ لا يعبأ شيئا بمثل هذا الضرب من الفاسفة . فالمحبُّ ، ذكراً كان أو أنثى ، يدرك حق الإدراك أن العفّة هى دستور حبّه ، وأنها هى الميثاق بينه وبين الحبّ .

وقلت إنى أحبّ لأبنائى أن يحسنوا الحبّ ، لأن المحبّ عفيفٌ بفطرته وباختياره . فمعنى ذلك إذن أنى أحببتُ لأبنائى أن يكونوا من أهل العفّة ، حين أحببت لهم أن يحسنوا الحبّ . فأنا أومن أصدق الإيمان بأن عفّة الفتى والفتاة جميعاً قبل زواجهما ، أعظم خطراً من كل المزايا التى يظفر بها الذى طال تجريبه للحبِّ المدخول .

وحين أقول إنى أحبّ لأبنائى أن يحسنوا الحبُّ ، فلست أريدُ بذلك أن أجعلهم يحسنون غواية المرأة وإغرائها ، أو أن يكونوا أُلاّفاً للنساء وأتباعاً . فالمحبّ الصّالح هو عندى الزوج الصالح ــ أى الذى لا يقتصر أمره على أن يكون زوجاً مطمئناً فى عيشه ، مخلصاً لامرأته ، صبوراً قريب العَفْو ، بل هو الذى يجعل امرأته تحسّ دائماً أنها بمنزلة كمنزلة الملكات ، وأن يده

الرفيقة تمسح عن قلبها الهموم حتى تحسّ بالحياة ونشوتها وأفراحها .

وأنا منذ اليوم لا أزال أبذل الجُهْد بعد الجهد في أن ألقّن أبنائي ، عامداً وغير عامد ، أني أعتقد أن المرأة مخلوق مطهّر مقدّس . أما أمهم فتعلمهم كيف يربأون بأنفسهم عن أن يسلموا قيادهم لشيطان غويّ من أترابهم . فكلانا حريص على أن يمزج لهم الدعابة والصراحة بالإخلاص في الحديث . وبذلك نرجو لهؤلاء الصغار الثلاثة أن ينشدوا أفضل الأشياء بفطرتهم ، وأن لا يقنعوا بشيء دون أفضلها . والعفّة في هذا الباب ليستْ نيراً مضروباً على الأعناق ، ولن نجعلها تبدو لهم كذلك وهم بين ظهرانينا ، بل هي في ذاتها فضيلة من فضائل الدين ، ومفخرة من المفاخر العظيمة ، وزينة لكل من يتحلى بها .

وأنا أسأل الله أن أرى أبنائي وقد أحبوا في ريعان صباهم حبّاً خالصاً لاتصنّع فيه ، وأن يدوم عليهم هذا الحبّ — فهو خير عاصم لعفافهم . ولن أزعم أنّ هذا شيء تسهل المحافظة عليه ، فالأشياء الشريفة التي يسهل نيلها وتحصيلها قليلة ، فإنّ معظمها يقتضيك نيلها سنوات من ضبط النفس والمثابرة . وهذا العُسْر في تحصيل العفّة والمحافظة عليها هو سرّ كمالها ونُبْلها .

وأنا أرجو أن ينشأ أبنائي وهم يدركون هذا حق الإدراك ، فلا يكونون من الحمق والجهالة بحيث ينفضون أيديهم من الشيء إذا تطلب منهم جهداً . وقد أخذوا اليوم يدركون أنه لزامٌ عليهم أن يرعوا حقوق الناس ولا يعتدوا عليها ، وأنه لزام عليهم أن يتحمّلوا الحرمان بلا ضجر ولا شكوى ، وأن كل مزية يمتاز بها المرء لا بد لها من تكاليف وتبعات . فمن أجل ذلك لن يفاجأوا في زمن المراهقة بدعوة إلى ضبط النفس لم يكن لهم بها عهد .

وسيكونون مزوّدين بشيء أفعل وأمضى من النواهي التي يكلفون اجتنابها ، وبشيء أنبل من مجرّد الحذر على صحتهم وحسن سمعتهم .

فأول ما أفعله أن أشرح لهم مسألة العفّة من الناحية الطبيعية — وهذا وحده شيء حسن . وسأقول لهم باللفظ الواضح الصريح الذي يؤثره الشباب : إن العلاقة الجنسية ترمي في كل وقت وفي كل حال إلى الزواج ، وأن هذا هو هدفها سواء أأريد منها الولد أم لم يرد ، وسواء أكانت هناك خِطبة وعقد زواج أم لم تكن ، وأنها تتضمن دائماً معنى اختيار الزوج الذي تريد معاشرته . وأن المغازلة التي تسبقها تحدث في نفس كل منهما وفي بدنه أثراً قوياً عميقاً

لست بصدد الحكم على أفعال أولئك المحبين الذين استغنوا قديماً ولا يزالون يستغنون فى حبهم عن الزواج ، بل أنا بصدد الحديث عن هذه الغريزة الجنسية العظيمة التى فطرنا عليها جميعاً . والغرائز أوامر مقدسة يملها الجنس البشرى على أفراده . فغريزة المحافظة على النفس تقول للحىّ : اتّق الموت ، واتّق غوائل الجوع ، واتق الضعف ، واتّق المرض . وغريزة الأمومة تأمر الأم أن تؤثر أبناءها على نفسها وعلى الناس . وغريزة التناسل تدفعنا إلى البحث عن الزوج ، والزواج هو كل هدفها ، وكل ما يتعلق بهذه الغريزة ليس له هدف سوى هذا الهدف .

وسأواصل الحديث فأقول لأبنائى :

أنّ الإنسان لم يخلق حيواناً لا عقل له ، إنّ له عزيمة ورأياً فى تصريف حياته . نعم إنه لا يستطيع أن يُغْفِل حُكم الغريزة الجنسية إغفالا تاماً ، ولا يحقّ له أن يفعل ذلك ، ولكنه يستطيع أن يتخيّر الوقت وأن يتخيّر الشريك . فإذا عجز عن مثل هذا العمل ، فهو خليق أن يستحى من نفسه . فإنّ الحياة أرض مقدسة ــ وهذا شىء سأردده على أبنائى ما استطعت ــ فعلينا إذن أن نسير فيها بوقار ، وأن نتقبّل بالشكر هذا العمر القصير الذى أنعم به علينا لكى ننال نصيبنا من هذه الأرض المقدسة ، ويكون لنا فيها سلطان وتصرُّف حتى تخرج لنا ما نشاء من ثمراتها .

وهذه الثمرات هى أبناؤنا . وإذن فليس جميلا بالمرء منا أن يكتفى بأن يتخيّر لأبنائه الرّحِم الذى يولدون منه ، بل أن يتخيّر لهم الأب الذى سوف يُجْرِى دَمُه فى دمائهم . والرجل الذى يظل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة وهو «ينهز مع الغُواة بدَلوهم» ليلا ونهاراً حتى يمنّ الله عليه بفتاة طيبة يسكن إليها ويستقرّ ، خليقٌ أن لا يعجب أو يحار إذا رزقه الله ابنة تكون سيرتها فى الحياة كسيرته . وخليقٌ به أن لا يدهش إذا جاء يوم ففتنته أنثى خرقاء حمقاء فتزوجها ، فإذا هى تلد له من الولد كل أخرق أحمق ، فإذا هؤلاء البنين والبنات ينزِعون إلى آثار يقتدون بها ، وليس يَسَعْ آباءهم عندئذ أن يركبوهم بالتأنيب والملامَة .

وسوف أذكر أبنائى دائماً بأنّ كلا منهم كملتقى السُبُل يجتمع عنده ما لا يعدّ من سُبُل الوراثة . وأنّ أحدَهم إذا تخيّر لنفسه فتاةً ، فلن يكون قد تخيّر طائفة من المحاسن والمفاتن ، بل لقد تخيّر أيضاً أسرةً وسِيرتَها ، وأصلا تَنزِعُ إليه بأعراقها .

وسيكون هذا الاختيار حاسماً وإن لم يكن الزواج قد خطر لهم ببال قط ، بل كان كل همهم أن يجربوا بعض التجارب القليلة الخطر. وإنى لاتوقع أن ينشأ أبنائى على قسط من رقة الحس وكرم الطبيعة كسائر من ترى من الشبّان ، فمن أجل ذلك أرجو أن ينفعهم قولى حين أقول لهم إن اتخاذ الخليلات فيه من الخطر مافى اللعب بالنار ، فإنه تأتى على المرء ساعة لايملك بعـــدها أن يتراجع أو يتملص . وقد تأتى هذه الساعة بأسرع مما يتوقع ، فإن المرء الذى يلتمس المتعة الجنسية يزداد إيغالا فى طلبها والحرص عليها مرّة بعد مرّة ، طمعاً فى أن يحسّ فى المرة التالية بمثل النشوة التى خامرته فى المرة السالفة . وسأقول لهم إن الفتاة التى « لا تردّ يد لامس » قد خسرت عصمتها وأمانتها ، وأنها قلّما توفق إلى التخلق بأخلاق الزوجة المحبـة . والفتى الذى يخلع رداء عفتـه مستهيناً به ساخراً منه خليق أن لا يظفر بهذا الرداء السنىّ البهىّ إذا طلبه مرة أخرى .

ولست أعنى أن الزّلة الواحـدة تمحق البدن أوالنفس ، ولست أحبُّ قط أن يظن أبنائى أن آباءهم لن يغفروا لهم خطاياهم أو يعذروهم فيما فعلوا ، بل أعنى أن الزّلة فى طريق الحبّ تنحـدر بالمرء إلى زلات تتبعها ، وكل امرىء يعرف ذلك فى سرّ قلبه إنها تنحدر بالمرء إلى ندامة مُرّة لاتجدى فى إصلاح مافسد ، وإلى اشمئزاز عنيف يسأم منه كل محب عفيف ، وإلى غلظة تتغلغل فى القلب والشعور . نعم إن النفس القوية ذات العزم تستطيع أن تعودَ مصعّدةً فى هذا المنحدر الذى انزلقت فيه حتى تنحو نقية طاهرة ، بيد أن النفوس القوية ذات العزم ليست هى النفوس التى تزلُّ عند أول فتنة ، بل هى النفوس التى تحافظ على عفتها وطهارتها ، وفى خلال هذه المحافظة ، تظل نشوة الحبّ وسموّه ونبله باقيةً على عرشها الذى يتزعزع .

ما أعجب هـذه الدنيا ! إذا لزمت الصمت عدّك الناس جاهلا ، فإذا فتحت شفتيك بالقول لم يبق عندهم شك فى ذلك !

إذا لم تكن فصوليا فذلك دليل على أنك أبله . [الدكتور فرانك كرين]

صنعت آلة جديدة تفتح أبواب مستقبل لا يحد لعشب عريق في القدم هو :



"رامي" العشب العجيب

ادوين ج. بكه

مختصرة من صحيفة "تورنتوستار" الأسبوعية

عرف الناس منذ آلاف السنين مادة لا تفضلها مادة لصنع القماش والغزل والحبال والسجاجيد — أي لكل شيء يغزل أو ينسج تقريباً. وهذه الألياف العجيبة لامعة كالحرير، وأبرد مساً من الكتان، وأقدر منه على امتصاص الماء، ولا تحتاج إلى شيء يبيضها، لأنها بيضاء ناصعة. وهي كالقطن يسهل غسلها ولكنها تختلف عنه، فليس فيها شيء من زغبه. ثم تجدها لا تتقلص على الأيام، ولا تمتدّ أو تسترخي، ولا يحول بياضها.

فلم لم ينتشر استعمالها في نواحي الأرض ؟

كان السرّ في ذلك أن هذا العشب، المعروف باسم « رامي » غالي الثمن. وهو يستخرج من تحت لحاء نبات سنويّ كالأعشاب، يزكو في التربة الخصبة والإقليم الدافىء والمطر الغزير، فتنجم سوقه وترتفع ست أقدام في الجوّ في بحر ٦٥ يوماً. وهو نبات لا تكلف زراعته نفقة كبيرة، بيد أن حصده ونزع لحائه الصلب وفصل الألياف من الصمغ الذي يحيط بها، كان حتى اليوم عملاً مرهقاً ينبغي أن يتم بالأيدي. ولو تم هذا العمل في الهند أو الصين، حيث الأيدي العاملة أرخص ما تكون في العالم، لوجدت ثمن ألياف «رامي» قد بلغت مبلغاً يعجزها عن أن تباري الألياف الأخرى، إلا إذا طلبتها لأغراض خاصة. ومع هذا فقد كانت الصين تنتج ٢٠٠٠ طنٍّ منه كلّ سنة قبل الحرب.

وقد مضت عشرات من السنين في البحث الذي لم يجدِ، حتى صنعت آلات جديدة تستطيع أن تحصد نبات « رامي » وتعدّ أليافه للانتفاع بها. وترى اليوم جماعة من أهل الأعمال المتمرسين في أمريكا قد زرعوا هذا النبات في آلاف من الأفدنة هذه السنة. ويتوقع رجال المباحث الزراعية في الولايات التي تحفّ بخليج المكسيك، أن يزرع فيها نبات رامي على كرّ الأيام في عشرة ملايين فدان، فتصير أليافه محصولها الأول.

والرجل الذي صنع إحدى الآلات الموفقة التي تحصد نبات رامي وتقشر لحاءه وتزيل الصمغ عن أليافه، يدعى جلبرت بريرتون،

وهو كندى من أصل إرلندى ، وقد كان فى لنــدن أيام الحرب الجوية الخاطفة التى شُنَّت عليها،فلاحظ فى أحد الأيام خرطوماً يستعمل فى كفاح النيران ، وتبين أنه يحتمل ضغطا شديداً ويعرك عركا قوياً فلا يبلى . فبحث عن سر ذلك ، فوجده مصنوعاً من ألياف رامى التى يجعلها البلَـلُ أقوى وأمتن. وعرف لِمَ ظل الناس يجهلون هذه المادة العجيبة ، فعزم على أن يصنع آلات تجعــل إنتاجها قليل النفقة .

وقد كان إقدامــه إقدام الرجل الذى يجهل ما يعترضه من مشاق . فهو لا يدرى عدد المخترعين الذين عزموا على مثل ما عزم حتى قبل ولادته ، ثم باءوا بالخيبة والخسران. ففى سنة ١٨٦٩ عرضت الحكومة البريطانية جائزة قدرها ٢٥٫٠٠٠ ريال تعطى لمن يصنع آلة تستطيع أن تقشر لحــاء نبات رامى قشراً موفقاً ، فلم يظفر بالجائزة أحد . وقد سجلت فى دائرة المخترعات الأمريكية آلات خاصة بنبات رامى فزادت على الألف .

وقد طوّف بريرتون فى أرجاء الأرض مستقصياً أساليب زراعة هـــذا العشب وأساليب حصاده . ثم عكف فى ورشة فجعل يصنع الآلات ثم يفككها ثم يعيد صنعها على وجه آخر ، وأقام على ذلك سنتين .

وأخيراً امتحنت آلاته فى مزرعة زرع فيها نبات رامى على سبيل التجربة . وآلته التى تقوم بعمل الحصاد وقشر اللحاء شبيهة بالآلة التى تتولى حصاد القمح ودرسه ، وهى تحصد النبات وتقشر لحاءه وهى ماضية فى الحقل،ثم يزال الصمغ عن الألياف فى مصنع خاص . وقد ثبت فى الحرب أن هذه الألياف خير ما تصنع منه الحبال للأسطول ، والخراطيم لكفاح النار ، وحبال المظلات للطيّارين . وقدرتها على مقاومة الانقطاع تفوق قدرة ألياف الكتان أربعة أضعاف، وتفوق قدرة ألياف القنب ثلاثة أضعاف ، وتفوق قدرة ألياف القطن ثمانية أضعاف. وقد مضت سنة منذ صنعت ملابس من ألياف رامى . وهناك شركات تتأهب لتعرض فى السوق قمصاناً للعمل أو الرياضة وملابس للصيف مصنوعة من هــذه الألياف ، أو ملاءات للأسرة وأقمشة للتنجيد وشباكاً لصيد السمك .

لقد لفت موميات المصريين القدماء فى أكفان بقيت أربعــة آلاف سنة — لقد كانت منسوجة من ألياف رامى . وقد قال أحد أصحاب مصانع المنسوجات وهو يبتسم: « المشكلة فى ألياف رامى أنها بالغة المتانة . فعلينا أن ننسجه مع القطن حتى نطمئن إلى أن بعض الخيوط على الأقل عرضة للبلى » .

صراع مع وحش البحر

فيكتور هوجو
الشاعر والروائي الفرنسي العظيم

مختصرة من كتابه "الكادحون في البحر" عن مجلة "جوردن بوك"

أخذ الفتى جليات يتنقل بين شعاب البحر وصخوره، حيث ارتطمت سفينته وغرقت منذ عشرة أسابيع. وقد قضى شهرين ولا طعام له سوى السرطان، ولكنه لايكاد يجد اليوم سرطاناً يصطاده، فقد ثارت عاصفة ردّتها إلى كهوفها المنعزلة البعيدة، ولم تقو بعدُ على العودة إلى الشاطىء.

وبينا هو يدير في نفسه العزم على الاستغناء عن السرطان ببعض السمك، إذا به يسمع خشخشة عند مواطىء قدميه فانتبه، فرأى سرطاناً كبيراً، ولم يكد السرطان يشعر بدنوّه منه حتى غاص في الماء.

أخذ يطارد السرطان ويتبعه عند مستقر الصخرة تحت الماء، ولكن السرطان كان أسرع منه، فغاب عن عينيه، واندسّ في فجوة تحت الصخرة. وكان فيها كما قدّر، ثغرة واسعة اتخذها السرطان لنفسه ملاذاً. وكانت هذه الفجوة أشبه بالسقيفة.

لم يكن الماء الذي تحتها عميقاً، فاستطاع أن يرى الحصباء في قراره. فوضع سكينهُ بين أسنانه وطلع على رأس الفجوة ثم نزل إلى القرار، فبلغ الماء إلى منكبيه.

وسار في الفجوة حتى انتهى إلى طريق مسدود عليه سقف كأنه قبة معقودة، ولكنه لم يجد للسرطان أثراً.

فرأى عند سطح الماء شقاً مستوياً تناله يدهُ، فقدر أن السرطان قد لاذ به، فأولج يده ما استطاع وأخذ يتلمس جوف هذه الفجوة المظلمة، وإذا به يحس أن شيئاً قد أمسك ذراعه، فاعترته قشعريرة من هلع غريب لايكاد يوصف.

هذا شيء حيٌّ دقيق، خشن الملمس، عريض، بارد، لزج، قد أخذ يلتف حول ذراعه العارية الممتدة في الأعماق المظلمة. كان ضغطه كضغط حبل يربط، وكانت حركته المستمرة كحركة بِزال (بريمة) يُدار، وما هو إلا خطفة حتى أخذ هذا اللولب العجيب يلتف حول معصمه ومرفقه حتى بلغ الكتف، وإذا طرف دقيق ينفذ إلى تحت إبطه.

فارتدّ جليات راجعاً، ولكنه لم يجد لذلك حولاً ولا قوة! لقد سمر في مكانه، فبذل جهد اليائس حتى يخلص ذراعه، ولكنه لم يفعل سوى أنْ أثار ثائرة عدوّه الذي

جعل يشتد في التفافه على ذراعه — لقد كان لدناً كالجلد ، صلباً كالحديد ، بارداً كظلمات الليل .

وخرج من الشق شيء آخر ، فكان سنوناً ممتداً دقيقاً كأنه لسان هولة من الهول ، وأحس كأنه يلحس بدنه لحساً . ثم امتد فجأة ، وإذا به يزداد طولا ويزداد دقة كلما دب على بدنه وجعل يلتف عليه ، وماهو إلا أن سرت في جسده لواذع آلام لم يلق مثلها في حياته ، حتى أخذت عضلاته تتقلص .

ثم خرج من شق الصخرة شيء ثالث يتموج ، كأنما يتامس طريقه حول بدنه ليلتف على ضلوعه التفاف الحبل . وقد فعل .

والهلع يخرس اللسان ، فلم يستطع الفتى أن يصرخ . وكان هناك بصيص من الضوء أتاح له أن يرى تلك الأشياء البشعة المنظر ، والتى جعلت تلتف عليه .

وبرز سوط رابع ، ولكنه كان سريعاً كالسهم ، فأهوى إلى بطنه والتف حول خصره .

كان محالاً أن يقطع أو يمزق هذه الحبال اللزجة التى اشتد التفافها على بدنه ، والتى نشبت فى أماكن كثيرة منه ، وكان كل مكان منها مجمع آلام لامثيل لها ، حتى أحس كأنه فريسة تقضم منها آلاف مؤلفة من أفواه صغيرة دقيقة .

ثم طلع من الجحر شريط خامس طويل لزج ، فدب ذبيبه فوق إخوته والتف على صدره التفافا شديداً ، فزاد مايجد من الآلام حتى شق عليه أن يتنفس .

ولم يلبث أن رأى بَضْعة مسطحة مستديرة ضخمة ظاهرة اللزوجة قد أطلت من جوف الفجوة ، وكانت هى مجمع هذه الألسنة الخمسة التى التفت عليه . ورأى فى الناحية الأخرى من بدن هذه الهولة البشعة ، منبت ثلاثة ألسنة شبيهة بالخمسة الأولى ، ورأى أطرافها لاتزال تحت الصخرة . ورأى فى وسط هذه البضعة المستديرة عينان تَبِصَّان ، واستقرت العينان على جليات .

إنها الأخطبوط !

وإنه لعسير على من لم يره بعينه ان يصدق أن الأخطبوط خلق موجود ، ولو قورنت به الحية ذات الرؤوس لما كانت شيئاً مذكوراً .

والأخطبوط حيوان لاعضلات له ، ولا زعجرة ، ولا صدر ، ولا قرن ، ولا إبرة ولا مخالب ، ولا ذيل يقبض به أو يضرب ، وليس له زعنفة ولا ظفر ، ولا شوكة ، ولاناب . ولاقوة نافضة كالكهرباء ، وليس له سم ولا منقار ولا مواضغ . ومع ذلك فهو أقوى المخلوقات سلاحاً .

وهذه الهولة المفزعة كثيراً ما توجد بين الصخور فى عرض البحر ، وهو رمادى اللون

ويبلغ طوله نحو خمس أقدام ، وسمكه نحو سمك ذراع الرجل ، وهو حيوان مشعَّث الخلقة، وهو أشبه شيء بمظلة مغلقة لا نصاب لها ولا بد . فهذه الكتلة المشعثة تقبل عليك سريئة رويداً رويداً، وإذا بك تراها تنفتح كما تنفتح المظلة ، وتخرج من حول الوجه والعينين فجأة ثمانية ألسنة ، وهذه الألسنة أجسام حية سريعة الحركة، فتمتد وتتموج كأنها ألسنة من لهب .

وهو إذا قبض على حى خنقه، وإذا مسه شل حركته، وإذا رأيته فهوكأنه لحمٌ خشنٌ قد ضرب فيه الصديد . إنه الوباء والأمراض مجسمة في مخلوق .

وتحت كل لسان من هذه الألسنة الثمانية صفّان من الأفواه المصاصة مختلفة الأحجام، فأكبرها ما كان عند الرأس وأصغرها ما انتهى عند الأطراف، وفى كل صف خمسة وعشرون فماً مصاصاً ، فمع كل لسان من الألسنة الثمانية خمسون مصّاصاً ، وعدتها جميعاً أربعمئة مصاص . وهذه الأنابيب المصاصة الصغيرة تستطيع أن تنفذ فى البدن إلى نحو بوصة أو أطول .

وهذه المصاصات هى الأداة التى يفترس بها فريسته ، فإذا على بدنها مصاصات تمص الدّم فى مئات من المواضع ، وهى لا تعضّ ولا تنشب كالمخالب ، ولكنها تخدش خدشاً لا يكاد يوصف. إن تمزيق الجلد شىء مفزع، ولكنّه أقلّ إفزاعاً من مصّ الدّم .

هذا هو المخلوق الذى وقع الفتى جليات فى قبضته .

التفّت على الفتى خمسة ألسنة من ألسنته الثمانية ، وبقيت منه ثلاثة متشبثة بالصخرة ، فكذلك بقى الأخطبوط متعلقاً بالصخرة من ناحية، وناشباً فى فريسته من ناحية أخرى، وأصبح الفتى مقيداً إلى الصخرة لا يستطيع عنها حولاً . ورأى ٢٥٠ فماً مصاصاً قد أشرعت نحوه ، فهو من رؤيتها فى استبشاع ممضّ وعذاب واصب .

لقد ذكرت أن المرء لا يستطيع من قبضة الأخطبوط خلاصاً ، ولا تجلب عليه محاولة الخلاص إلا اشتداد قبضة الأخطبوط عليه. فلم يكن للفتى نجاة ولا ملاذ إلا سكينه التى فى يسراه .

وهذه الألسنة التى يمدّها الأخطبوط لا ينفع فيها القطع ، فهى جلد لا تعمل فيه السكين بل تنزلق إذا جرت عليه، فإذا حاول قطعها فلن يزيد على أن يقطع فى جسده هو.

إنه خلقٌ مفزعٌ هائل ، ولا نجاة منه إلا بشىء واحد ، يعرفه الماكون ويعرفه خنزير البحر أيضاً ، إنهم يعرفون الضربة التى تطيح برأسه . نعم ، فإن مقتله الوحيد فى رأسه ، ولقد كان الفتى يعلم ذلك حق العلم.

إنه لم ير في حياته أخطبوطاً بهذا الحجم، وهذه أول مرة يرى فيها هذا النوع الضخم. ولو كان غيره لطارت نفسه شعاعاً من هول الفزع.

ومنازلة الأخطبوط كمنازلة الثور الهائج تقتضي من المرءِ أن ينتهز لحظة بعينها ليصيب منه مقتلا، وذلك حين يحني الثور رأســه للنطاح، وحين يمدّ الأخطبوط رأسه. ولا بد من سرعة الحركة والانقضاض، فإذا أفلتت الفرصة من يده فقد هلك.

وحدّق الفتى في هذا الوحش، فكأنه أحسّ به خملق فيه.

وفي لمح البصر أطلق الوحش لسانه السادس من الصخرة وأهوى به إلى الفتى وقبض به على يده، وفي هذه اللحظة نفسها مدّ الأخطبوط رأسه مدًّا سريعاً. وما هو إلا ثانية أو أقل حتى يطبق بمصاصاته على صدره

واتقى الفتى مهبط اللسان السادس على يده، وانقضّ الوحش على الفتى، وانقض الفتى عليه بالسكين. ومالَ الوحشُ ومالَ الفتى مرة بعد مرة — كانت حركة كخاطف البرق.

وأغمد الفتى نصل سكينه في تلك البضعة المسطحة اللزجة، وأجاف دائرة حول العينين بأسرع من خطفة السوط في الهواء، ثم انتزع الرأس من مجثمه كما تنزع السنّ من مستقرها.

وسكن الصراعُ، وتراخت السيور الملتفة عليه. أما المصاصات المشرعة نحوه فقد بطلت قوتها بعد أن فقدت سرّ قوتها، وهوت لساعتها من مكانها عند جسم الرجل ومن الصخرة التي تشبثت بها، وغاصت الكتلة كلها إلى قرار الماء.

ورأى الفتى، وهو مبهور الأنفاس بعد طول الصراع، شبحاً غامضاً عند موطىء قدميه على الصخر — كومتان من اللحم اللازج لاشكل لهما، الرأس في ناحية، وسائر بدن الوحش في ناحية أخرى. ومع ذلك فقد خشى الفتى أن تأخذ الوحش حلاوة الروح وسكرة الموت فينقض عليه كرة أخرى، فتقهقر حتى يكون بمنجاة من غوائل ألسنته المخيفة — بيد أن الأخطبوط كان قد بَرَدَ برود الموت.

تعريفات لاذعة

السياسيّ المتطرف: هو رجلٌ محافظ ينشد وظيفة

الهم — سبب مباشر لكثير من علل البدن .

القلق النفسيّ والمرض

جورج و جراي
مؤلف "جبهة العالم تزحف"
و "صورة العالم الجديد"

مختصرة من مجلة "هاربرز"

جاء رجلٌ إلى المستشفى يوم الاثنين ، وعلى ذراعيه بثور من مرض جلدى مزعج ، وقال : « أكاد أصاب بهذه البثور كلَّ يوم اثنين » .

فسأله الطبيب : « وماذا تصنع في أيام الأحد ؟ »

فقال إنه اعتاد أن يزور فتاة هى خطيبته منذ سنوات ، ثم تكشفت قصته عن أن خطيبته دأبت على إرجاء تحديد يوم الزواج. وكان إذا ما زارها يوم الأحد يلحُّ عليها أن تفصل في الأمر ، فتخيِّب أمله ، فإذا ما كان يوم الاثنين تنفّط جلده بالإكزيما، فكأنه صرخة احتجاج من جلده على ما يعانيه من قلق نفسيّ .

ووفد على المستشفى نفسه رجلٌ مصابٌ بالربو إصابة خطيرة ، فأبلَّ من مرضه بعد علاج دام بضعة أسابيع ، وعين له اليوم الذى يبرح فيه المستشفى . فلما كانت الليلة السابقة لذلك اليوم ، عاودته أعراض الربو فجأة ، فاستؤنف ، العلاج حتى هدأ لُهاثه ، وعين له يوم آخر يبرح فيه المستشفى ، فعاوده الربو أشد مما كان .

وقد دل تاريخ هذا الرجل على أنه كان مدرساً في كلية ، وأنه وقع نزاع في مجلس الأساتذة فكان من المنازعين ، فخشى أن يفصل من عمله . فأخذه قلق رأى معه أنه لو بقى محتمياً بين جدران المستشفى فذلك أسلم له من أن يعود إلى مسرح النزاع الأول فيواجه احتمال فصله من عمله .

ومن الجلى أن هاتين الحالتين تنطويان على شىء غير علة البدن وحسب ، فالرجلان كلاهما مصاب باضطراب عقلى أو نفسيّ ، بدت آثاره في أعضاء الجسم .

وقد جرى الأطباء منذ زمن بعيد على تسمية بعض الأعراض المبهمة باسم العلل « الوظيفية » لكى يميزوها من العلل « العضوية » التى تكون فيها الأعضاء العليلة مصابة بآفة في تركيبها . فالصداع الذى يمكن ردُّه إلى وجود ورم في المخ ، هو علة « عضوية » ، ولكن الصداع الذى يبرّح

بصاحبه فلا يستطيع البحث أن يكتشف وجود صلة بينه وبين آفة فى تركيب الجسم ، هو « علة وظيفية » . وثمة كثير من الأطباء تحيرهم العلل «الوظيفية» فيصرفون المصابين بها بقولهم : « لست إلا واهماً ، فكف عن القلق ، عد إلى بيتك، وانس أنك مريض »

وهذه نصيحة قلما تفيد . ووصف هذه الحالات بأنها « قلق نفسى » لا يقنع هؤلاء المرضى ، فتراهم يتنقلون من طبيب إلى طبيب ، وقد ينتهى بعضهم إلى طبيب يعتمد فى العلاج على الإيحاء النفسى أو إلى دجّال.

وقد ينتهى آخر إلى طبيب يعد المريض كلاً لا يتجزأ ، بجسمه وعقله ونفسه وحدة متماسكة . وكثيراً ما يكون طبيب الأسرة من هذا الضرب من الأطباء . والعلاج على هذه القاعدة فنّ ، والأطباء الذين يمارسونه اليوم بعد التدريب العامى الصحيح يزدادون ازدياداً مطرداً ، ولكنهم لا يزالون قلة بين الأطباء . ذلك بأن دراسة العواطف من ناحيــة أثرها فى المرض ، لم تنل عناية صادقة فى مدارس الطب ومراكز الأبحاث إلا منذ عهد قريب . وقد أخذ أهل البحث يتبينون الآن أن الاضطرابات النفسية تعقد عدداً كبيراً من الأمراض،وكثيراً ما يكون أثرها هو المهيمن على المرض .

فى سنة ١٩٣٤ بدأت الدكتورة فلاندرز دَنبر وزملاؤها فى أحد المستشفيات الكبيرة فى نيويورك يستقصون ما عسى أن يكون للعواطف من أثر فى ضربين مختلفين من الأمراض يعزى كلاهما إلى علل عضوية : السكر ، وأمراض القلب . فوجدوا أن العواطف والعوامل النفسية تؤثر فى نصف المرضى أو أكثر من نصفهم فى الطائفتين كلتيهما، وأن مرض السكر يسوء ، وأعراض علل القلب تشتد ، حين ينتاب العليل اضطراب فى عواطفه .

والأدلة تزداد ازدياداً مطرداً على أن القلق الحبيس فى النفس والذى لا يجد متصرفاً فى أعمال البدن ، لا يلبث أن يتجلى فى شكل مرض . ففى كثير من حالات ارتفاع ضغط الدم لم يعثر الباحثون على سبب عضوى يمكن أن تعزى إليه . فإذا كان لارتفاع ضغط الدم سبب عضوى وجدت حالة المصاب تتحسن إذا تحسنت حالته النفسية .

وقد ذكر الدكتور إروين موس حالة رجل بلغ ضغط دمه ٢٨٠ ، وكان إلى ذلك مصاباً بعلة فى الرئة ، وفى بوله آثار من الزلال ، فلم تجده الراحة ولا المعالجة بالعقاقير . ولكن الرجل ذكر فى أحد الأيام أنه قد أساء إلى زوجته إساءة كبيرة ، وهى قد هجرته وعاشت بعيدة عنــه . فعمد الطبيب من فوره إلى تدبير اجتماع بين الزوجين ، فتحادثا حديثاً

تتخلله المودة ، فهبط ضغط دم الرجل على أثره إلى ١٥٠ ، وخفت أعراض العلة فى رئته وزالت آثار الزلال من دمه . وبعد سنوات كان الرجل صحيحاً معافىً وضغط دمه لا يزيد على ١٣٠ .

وقد عنى الدكتور ستانلى كوب وطائفة من زملائه الأطباء فى مستشفى بوسطن ، بدراسة علل متباينة مثل علل الربو والرَّثْية (التهاب المفاصل) والتهاب القولون المخاطى ، ووجدوا أن بين المصابين بكل مرض من هذه الأمراض عدداً كبيراً يضنيهم التوتر العاطفى المزمن . وقد تبين من استجواب المصابين بالتهاب القولون أن ٩٦ فى المئة منهم يعانون سخطاً كامنا فى نفوسهم ، وأن ٧٥ فى المئة منهم يضمرون حسرة فى نفوسهم ، وأن ٦٨ فى المئة يخامرهم الشعور بالإثم . وكانوا جميعاً ساخطين على رؤسائهم أو معلميهم أو آبائهم ، وقد تجلت آثار سخطهم وثورتهم فى أمعائهم .

وقد تولى معهد التحليل النفسى فى شيكاغو بحثاً مستفيضاً فى علة الربو ، فوجد أن الذين يعانون الاستهداف الشديد لبعض الموادّ ، تنتابهم أزمات الربو فى مواقيت منتظمة على إثر المواقف التى تثور فيها عواطفهم وتضطرب .

وقد ذكرت قصة امرأة كانت فى منصب مساعدة فى متجر كبير ، وكانت تنهض بأعباء عملها على خير وجه ، فرقيت على غير انتظار إلى منصب مديرة ، وما هى إلا ثلاثة أشهر حتى أصيبت بربو شديد ، فأدرك طبيبها أن ازدياد تبعاتها كان مصدر قلق وخوف ، فأقنعها بأن تستقيل من منصبها الجديد ، وتعود إلى عملها الأول ، ففعلت فخف الربو حتى صارت السيطرة عليه أمراً يسيراً .

إن طبيعة القلق النفسى مرتبطة بفكرة السلامة ، وترتد أصولها إلى أقدم عصور البشر . فالنجاة من الموت كانت المشكلة الكبرى التى عاناها البشر فى عصورهم الأولى ، وكان لا مفر للمرء من أن يعمل عملا قويًّا ، فإما أن يحارب وإما أن يفرّ . فكان من أثر هذه الضرورات فى حياة الناس ، أن نشأ فى الجسم جهاز يمكن البدن من فوره أن يطابق بين الحاجة والعمل السريع اللازم له .

فإذا ما انتاب الرجل خوف أو غضب حدثت فى الجسم تغيرات عنيفة ، فتتنبه عضلة القلب فيزداد خفقانها ، ويتحول الدم من المعدة والأمعاء إلى القلب والمخ والرئتين وعضلات هيكل البدن — وتحتشد جميع قوى الجسم ليكون القتال أو الفرار أتمّ ما يكون . والوسيلة التى تحدث هذه التغيرات الذاتية هى على الأغلب وسيلة كيميائية

أي مواد قوية تفرزها الغـدد وأطراف الأعصاب. فكلُّ شيء يهدد سلامة البدن أو يستفزه إلى الغضب، أو يثير فيه المخاوف يحرك من تلقاء نفسه هذه الوسيلة الكيميائية الحيوية المعقدة إلى العمل، فتعدّ البدن وتهيئه للعمل.

وأنت ترى اليوم أن الرجل الذى فقد ثروته فى مصرف أفلس، يعانى خوفاً حقيقياً كمثل الخوف الذى كان يعانيه رجل الكهف إذا واجه وحشاً ضارياً . وقد كان رجل الكهف يحتاج إلى ازدياد الخفقان فى قلبه وإلى تعديل توزيع الدم فى الجسم، سواء أفرّ من الوحش أم ثبت له وقاتله . ولكن الرجل الذى يصاب فى إفلاس مصرف أودع فيـه ماله ، ليس فى حاجة إلى هذه التغييرات البدنية ، لأنها تهيىء بدنه لعمل لا يقوم به — فلا هو يقاتل ولا هـو يفرّ . فيطغى على أحشائه فيض من المواد الكيميائية القوية لا حاجة به إليها ، فتثير نزاعاً فى باطنه ، وهو يميل إلى إخماد سَوْرة هذا النزاع . بيد أن إخمادها لا يعنى القضاء على أذاها ، فالأمر على نقيض ذلك ، فإن الأذى السامّ الذى يحدثه القلق يزداد إذا قل إدراك المرء لكنهه ، ويقل إذا زاد ذلك الإدراك .

ولشدائد الحياة آثار تختلف باختلاف الناس ، لاختلاف بنياتهم واختلاف نشأتهم . وقد كتب الدكتور سول من معهد التحليل النفسى فى شيكاغو : « قد ينشأ طفل على إباحة التعبـير عن غضبه كيف شاء ، وقد ينشأ غيره على أن يكظم غضبه ، فإذا شبَّا وتعرضا لما يغضب ، ثار الأول وصخب ، وأصيب الثانى بصـداع . أما الطفل الذى يدلل فى طفولته ويحاط بجميع أسباب الحماية والوقاية ، فهـو خليق أن يعانى فى مستقبله شدائد الحياة فى مجتمع قائم على التنافس ، ويتطلب من الناس استقلالا وصلابة وشدة، فيصير عرضة لأن يعتل » . ورجل الأعمال الذى لا يفتـأ يناضل وهو يكنُّ فى نفسه شوقاً إلى الراحة والعطف والحب ، كثير ما تميل به طبيعته إلى الإعراب عن هـذا النزاع الذى يستبد بحياته فى شكل قرح فى معـدته ، أو قد يستتر وراء رقة الرجل ورصانتـه حنق مزمن ، كثيراً ما يؤدى كظمه إلى ارتفاع ضغط الدم .

والطبيب العاقل الحكيم يتدبر جميع هذه الأحوال ، وقد ينتفع فى العلاج بالعقاقير والجراحة والإيحاء والمطابقة الاجتماعية — أى بكل وسيلة تعينه على استئصال جذور القلق . فطبُّـه لا يقتصر على علاج القلوب والرئات والكلى والأمعاء ، وهو لا يعالج العضو المصاب وحسب ، بل الرجل المريض أو السيدة المريضة . ويرى الدكتور ستانلى كوب أن الأساس الذى نتخذه للتمييز بين

العلل « العضوية » والعلل « الوظيفية » هو أساس لا حقيقة له ، والحد الفاصل بين الجسد والعقل هو من نسج الوهم .

وقد رأينا أن تركيب الدم يتغير إذا أضيفت إليه مقادير ضئيلة من مادة الأدرينالين ، ولنا أن نعد الدم عضواً — عضواً سائلا . فإذا تغير تركيب هـذا العضو السارى فى اعضاء الجسم بحدوث تغيُّر يسير فى مواده الكيميائية ، تغيرت الأعضاء التى يغمرها ويسرى فيها .

وكذلك ترى أن القلق النفسى يصير عاملا كيميائيًّا حيويًّا ، وأنه إذا ما نبـه إفرازات البدن من تلقاء نفســه ، فإنه قد يطلق فى الجسم مواد تؤذيه كما تؤذيه البكتيريا .

بل يبدو أن التوتر النفسى يعين البكتيريا حين تغزو الجسم. ولعل تفشى وباء الأنفلونزا سنة ١٩١٨ فى فترة اشتد فيها القلق فى أواخر الحرب العالمية الأولى ، لم يكن مصادفة من المصادفات . بل إن الزكام ذاته يكون أشد ما يكون إذا كان المصاب به ضحية قلق نفسى .

وقد دأب الدكتور سول على دراسة تسعة من المرضى خلال عدة أشهر دراسة التحليل النفسى ، فلاحظ أنهم يصابون بالزكام إذا أصيبوا باضطرابات عاطفية معيَّنة ، وأنهم برئوا من الزكام حين أدركوا كنــه حالتهم النفسية وخلصوا من مشكلاتها .

لقد نفــذ القرن التاسع عشر إلى كنه العدوى بالمكروبات ، وابتكر رجاله أساليب للتعقيم والتحصين ، فعسى أن تكون مأثرة القرن العشرين هى النفـوذ إلى كنه الصلة بين القلق النفسى والمرض ، والوصول إلى الأساليب التى تتيح لنا منع آثاره المؤذية وتكفل لنا السيطرة عليها .

روى صحفىٌّ أنهُ ظفر بمقابلة هندنبرج يوم كان رئيس الجمهورية الألمانية ، وحاول أن يستطلعهُ سرَّ شجاعته ورباطة جأشه ، فسأله : « ماذا تصنع يا فخامة الرئيس حين تضطرب أعصابك ؟ »

فقال الرئيس : « أصفـِّر » .

فقال الصحفى : « ولكننى لم أسمعك تصفـِّر أبداً » .

فقال الرئيس : « وأنا لا أصفـِّر أبداً » .

[برافورد كارفر]

عدلنا عن الطلاق

لكاتبة متنكرة
مختصرة من مجلة "يور لايف"

في مساء ليلة منذ ثلاث سنوات التفت إليّ زوجي وقال في هدوء: « يا ماري أريد طلاقك » .

كنا جالسين أمام الموقد في بيتنا في الريف، وكانت الجلسة صورة تامة للهناءة الزوجية ، حتى لقد أعياني لحظة أن أصدق أنه قال ما سمعت . ولو كنا قد تشاجرنا لفهمت ، أو لو كنت ركبت رأسي كما يفعل بعض النساء بعد عشر سنوات من الزواج لفهمت.

وصحيح أننا لم نكن مجنونين حباً منذ السنوات الأولى من زواجنا ، ولكننا كنا راشدين فاعتضنا المودة من الافتتان ، والتسامح من تلهب العاطفة ، وكانت لنا مشاركة في كثير من الأمور ، وتعلمنا الاستقلال مع الاحترام المتبادل . فلماذا إذاً أراد جون الطلاق ؟ لأنه كما قال يريد أن يتزوج امرأة أخرى .

وذهلت فحدقت في النار واستولى عليّ غضب بطيء مُلحّ وأنا أفكر في ولدينا الصغيرين النائمين ، وقلت : « لا يمكن أن يحدث هذا الطلاق فإن سعادة الولدين أهم من سعادتك، ولست تستطيع أن تتخلى عنهما الآن » .

وكان جوابه هو الحجة التي لا تدفع وهي أني برفض الطلاق إنما احتفظ بالهيكل لا بالجوهر ، وأن التأثير النفساني في الطفلين سيكون أدهى من الأثر الذي يحدثه فقد أبيهم .

وكانت كبريائي المجروحة تغلي خلال غضبي ، وأحسست بإغراء قوي أن أسبقه إلى طلب الطلاق. ثم فكرت في النساء اللواتي عرفتهن واللواتي أطلقن سراح أزواجهن لغيرهن من النساء. وتذكرت الشكوى التي كانت تتبدّى وتتلكأ في عيونهن بعد أن تكلفن ستر جراحهن بزمان طويل . ووثب بي الخيال إلى النزاع على النفقة والوصاية على الطفلين ، فطرحت كبريائي .

وذهبت إلى المدينة في اليوم التالي واستشرت رجلين أقدر رأيهما ، أحدهما

طبيب والآخر محام ، فكان رأيهما واحداً :

« المرأة الأخرى ليست بسبب كاف لهدم بيت فيه أطفال ، وسيسلوها جون يوماً ما » . فسألت : « كيف أكون على يقين من أنه سيسلوها ؟ »

فقال : « إن المرأة الأخرى ليست إلا عبارة جوفاء في تسع حالات من عشر ، وهى ليست أكثر من عرَض يدل على أن الرجل قد بلغ المرحلة التي يتساءل فيها: أتراه لا يزال مستمتعاً بالحياة ؟ ولما كنت زوجته فلعلك لا تبهرينه كما تبهره امرأة أخرى، فإذا طلقك وتزوجها فإن الأرجح أن يتكرر هذا كله مرة أخرى » .

فقلت موافقة : « إن هذا يبدو معقولا ولكن كيف أستطيع أن أجعله يدرك هذا »

« بالافتراق على سبيل التجربة . دعيه شهراً أو شهرين يعيش بعيداً عنك وعن الطفلين ليفكر في الأمر ، فيكون في حكم المطلق ولكنكما لا تتخذان خطوة حاسمة » .

وردّا كلاهما على السؤال الذى كان في عينيّ : « لا تقلقي يا ماري ، فسيشتهى العودة قبل أن ينقضي وقت الفراق » .

ولكننا لم نفترق على الفور، فقد كان دخل زوجي لا يكفي للإنفاق على بيتين، وتغلبنا على هذه العقبة بأن انتقلنا إلى المدينة حيث وجدت عملا ، فما لبثنا أن تبيّنا أن كل قرش أربحه يذهب إلى الخدم وإلى معاهد الأطفال الرضّع . وكان من جراء هذا أنه أرجأ مشروع الطلاق ، لأنه إذا أراده فإن عليه أن يزيد دخله .

وأقمنا ننتظر ، ومع أن علاقاتنا في تلك الفترة كانت ودية ، إلا أن بقائي زوجة بالاسم فقط كان صعباً . وكانت الفرصة تغرى بأن أوغر صدر الولدين على أبيهما . وكثيراً ما كان يبدو لي أن مما هو خليق أن يرفه عنى أن أبكى على كتف ابني الأكبر وأقول له إن أباه سيتركنا، وكان من السهل أن أغمر الطفل بالحنان والحب اللذين كنت خليقة أن أتوجه بهما إلى زوجي . وكان جون يعمل بالليل ، وفى أيام آخر الأسبوع، وقلما كان يرى الطفلين . وعلى الرغم من أنى بذلت جهدى أن لا أغير قلبهما على أبيهما ، شعرا أن بين أبويهما نبوة ، وانحازا إلىّ بطبيعة الحال .

وهكذا اضطر جون أن يواجه الواقع ، وهو أن بعض الثمن الذى يتقاضاه إياه الطلاق هو أن يفقد ولديه ، وإذا كان هذا صعباً علىّ ، فلا بد أنه كان عليه أصعب .

وإنى لأعرف الآن أن أفكارنا كانت تجرى في مجرى واحد . وقد استعدت بذاكرتى أيام الخطبة والزفاف ، وتذكرت تلك الأيام التى جاهدنا فيها وتعبنا وسعدنا

حين كنا لا نكسب إلا ما يكفى للعيش . ولقد ذل لى زوجى بعد ذلك إنه كان لا ينفك يتذكر كيف كنا — كلانا — نعمل حتى ادخرنا فى البنك ما يسّر لى ترك العمل ، والتهيؤ لوضع طفل .

ولن يستطيع أحدنا أن ينسى الليلة التى ولد فيها أول طفل لنا ، ولا وضع الطفل الثانى ، وتذكرنا المتعة التى شعرنا بها حين وجدنا البيت الريفى الذى كنا نحلم به ، والشهور الأولى الرائعة التى بدأنا فيها تربية الفراريج وغرس الحديقة . ومما لا يمحى من لوح الذاكرة ذلك المرض الفظيع الذى كاد يودى بولدينا جميعاً .

وأفسح الانتظار لجون فى الوقت ليشعر بقوة الخيوط التى نسج منها ماضينا معاً . فقد اجتزنا سنوات المجاهدة معاً بألوية منشورة ، فهل كان هذا كله عبثاً وباطلا ؟ وهل يسهل عليه أن يبدأ حياة جديدة مع امرأة أخرى ؟

وهكذا كنا ، ونحن ننتظر ، نتقدم فى سبيل إنشاء علاقة جديدة أطيب .

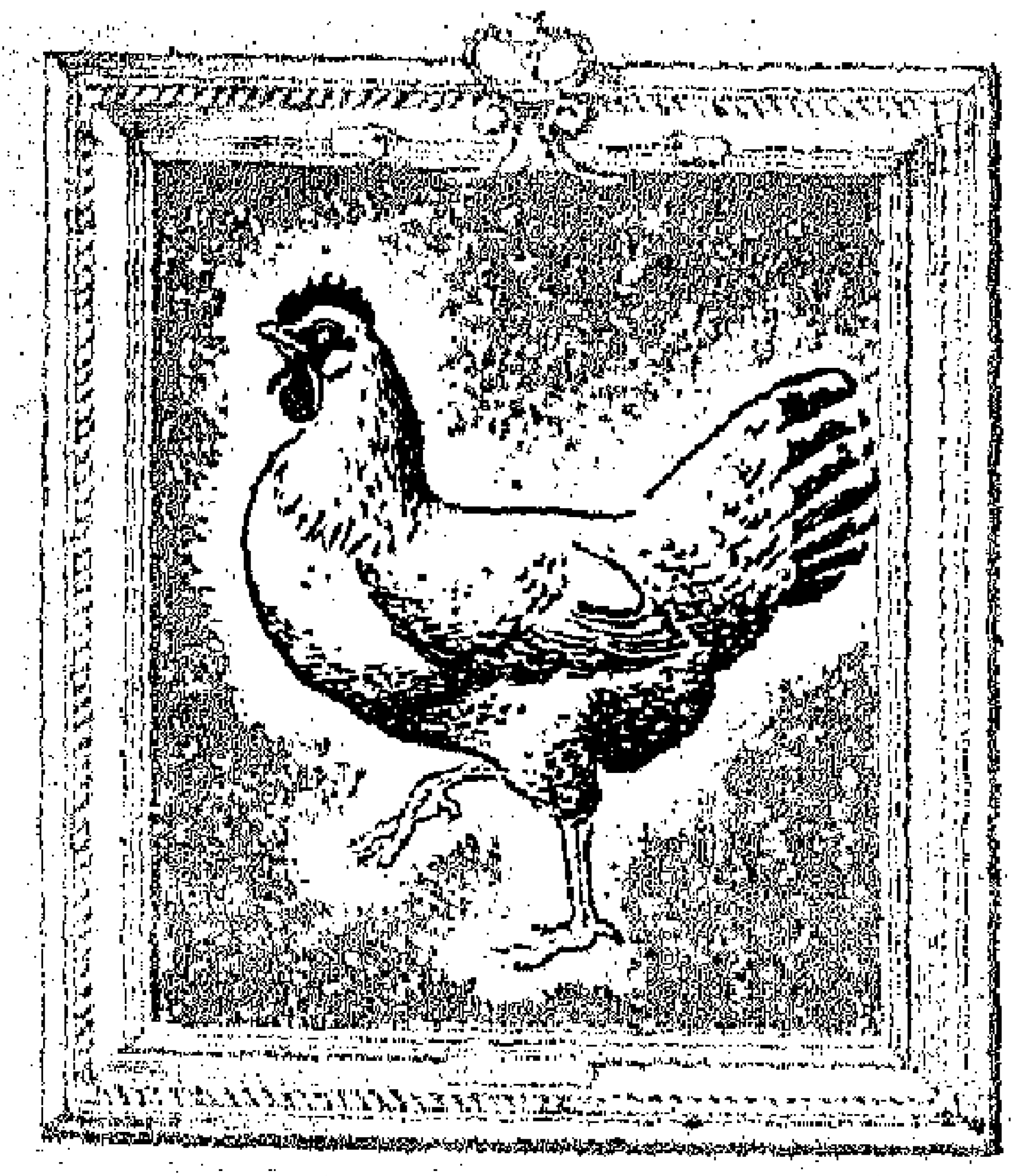
وكل زوجين يخطر لهما الطلاق فى وقت ما . ولقد تساءلت ، ككثير من الزوجات ، فى ساعات الغضب وخيبة الأمل ، أترى كان اختيارى لزوجى حكيما ؟ ولكنى من أجل الولدين لم أسمح لنفسى قط بأن أفكر جادة فى فصم العروة ، والآن واجهت الأمر من ناحية مصلحتى الخاصة .

ذلك أنى لم أرتح إلى مواجهة المستقبل بغير زوج ، ولن يكون من السهل أن أجد زوجا آخر . وكان رأيى فى نفسى أنى امرأة جذابة ذكية مستقلة ، فأدركت أنى لن أكون مستقلة حتى يصبح الطفلان قادرين على تحصيل رزقهما ، وتبينت أن الدنيا غاصة بالنساء الفاتنات الذكيات اللواتى لا يقيدهن شىء . ولقد التقيت فى عملى بكثير من الرجال ، ولكن الذين بلغوا النضج العقلى والعاطفى كانوا متزوجين ، وأنا آنف أن أهدم بيت امرأة أخرى ، وليس أبغض إلى نفسى من حياة المطلقة المرحة المضطرة إلى التستر والمداورة . وانتهيت إلى أنى لم أدرك قط على وجه صحيح قيمة الزوج ، فبدأت أتمنى أن لا يحدث الطلاق .

ولما آن أخيراً أن نجرب الفراق ، لم يكن أحد منا يريد أن يمضى فيه ، وصح ما توقع الطبيب والمحامى ، فطلب جون أن يعود بعد الأسبوع الأول .

وقد صار ، مذ عاد ، زوجاً وأباً أصلح مما كان ، وجاهدت أنا أن أكون أوفق له مما كنت . وكان الشوق قد لج به إلى الطفلين ، فصار أرغب فى المشاركة فى تثقيفهما وتوجيههما . وسنعود إلى الريف فى الربيع المقبل ، وإنى لواثقة أننا سنبقى هناك ما عشنا .

ملكة الدّجاج



جيرالد موفيوس

مختصرة من مجلة " ذي بروجرسيف "

كانت كريمة الأصل والنسب ، وعليها آية هذا الكرم منذ نشأتها ، إذ كان لون ريش عنقها أصفر فاقعاً ، ولون صدرها أصهب قانئاً ، أى أنها كانت من سلالة دجاج معروف النسب، فمن أجل ذلك سميناها «الملكة» .

ولم يكد الريش يكسو الملكة حتى تبين فيها طِماحها إلى الذكور، ولم يبق فى الحظيرة كلها ديك إلا وافتتن بها، فقد كان فيها رشاقة ودلالٌ وخلاعة كأنها غانيةٌ مدرّبة .

فلما بلغت الشهر الخامس من عمرها وحان موعد أول بيضة تضعها ، أخذت تهتف وتقرقر ، وأكثرت فى ذلك حتى انتفش عرفها الصغير اللامع . فلما سمعت الديكة صياحها اجتمعت حولها لتحتفى بها ، وقد بلغت الصبابة بهم جميعاً كل مبلغ . وفى ذلك اليوم نفسه عاجلت المنية ديكا صغيراً كان يرجى له شأنٌ كبير ، ويبدو أن الملكة كانت قد وضعت عليه عينها وآثرته بهواها ، فمن أجل ذلك تألبت عليه الديكة جميعاً ، وصارت له أعداء .

وكان يبدو على الملكة وحدها دون سائر الدجاج أنها صادفة كل الصدوف عن اتخاذ زوج أو إنشاء أسرة. ولما كاد الربيع ينصرم صارت إناث الدجاج جميعاً حديدة الطبع كارهة لرفقائها من الديكة ، فلا يكاد يدنو ديك من إحداهن إلا نقرته أما الملكة فكانت على خلافهن — كانت تؤثر حياة العزوبة ، فلا تريد أن تقيدها قيود الأسرة ، بل تريد أن تبقى فتنة للشباب جميعاً من ديكة حظيرتها ومن ديكة النواحى المجاورة .

لقد وضعت أكثر من ٢٥٠ بيضة كبيرة صافية البياض فى السنة الأولى من عمرها، وهو مقدار ضخم لا نكاد نجد له مثيلا فى جميع حظائر الدجاج . فمن أجل ذلك تغاضينا عن عادتها فى التجوال، إذا كانت تخرج فتطوف فى أرجاء القرية بحثاً عن الديكة .

وأول ما حدث من ذلك أن زوجاً من فتيان الديكة جاءا يختالان ويتصايحان ويراودان

الدجاج فى حظيرتنـا ، فجرى بينهما وبين ديكتنا سباب وشجار. فخفق لها قلب الملكة، وإذا بها تهز أعطافها بدلال وتعتدل وتتبرّج، ثم تطير متخطية السور وهى تهتف هتافاً رقيقاً تهفو له القـلوب ، ثم تنطلق مسرعة نحو الغابة ،قد استخفتها النشوة وهى تسعى حثيثة والعاشقان الجديدان فى أثرها . ومن يومئذ أخذنا نفكر ونتشاور فى قص جناحى الملكة حتى لاتعود إلى فعلاتها هذه ، بيد أننا كنا نراها تعود إلى الحظيرة فى ميعاد الطعام غير متوانية ، وتدخل وعليها مسحة من البراءة والصفاء كأنهـــا عادت من نزهة لاريبة فيها .

وبعد زمان رأينا الشيخوخة قد أخذت تدبُّ فى لداتها ، ولـكن الملكة بقيت هى العذراء الخالدة ـــ شبابٌ خالدٌ وفتنة خالدة. ولما بلغت الثالثة من عمرها واستوى شبابها، كانت قد وضعت من البيض ما لو فرش لغطى أرض الحظيرة ، ولـكن لم يكن يبدو عليها أقل اهتمام بحضانة بيضةواحدة منها حتى تصير أمًّا لها نسل يبقى بعدها . وهى فضلا عن ذلك كانت تنظر إلى أخواتها نظرة ازدراء وتحقير ، فامتلأت قلوبهن بغضاً لها .

وفى هذه السنة نشأت العلاقة بين الملـكة وبين « الأمـير » ، وهو ديك لم نر قطُّ أضخم منه جثـة ولا أرفع صوتاً ولا أزهى منظراً . وقد أقبل يزور الحظيرة كما جاء عشرات من أمثاله من قبل ؛ فخرجت إليه الملـكة متخطية السور دون أن تنتظر كعادتها حتى تنشب المعركة بين ديكة الحظيرة وهذا المتهجم الطارىء .

كان هذا « الأمير » أهلاً لأن يخلب لبّ أية دجاجة ، وكان نبيـل الهيئة يمشى مختالا مَرِحاً تيَّاهاً بنفسه. فإذا شرع يؤذن رفع هامته وردها إلى خلف ، فيخيل إليك أنه مُغنٍّ أخذ يتهيأ للغناء .

وأصبح هو والملـكة رفيقين لايفترقان، فإذا جاء الصباح غابت عن الأنظار ثم تعود إلى الحظيرة وحدها إذا نزل الليل ، وكان الأمير يصحبها أحياناً حتى تبلغ منعطف الطريق ثم يودّعها . ومضى على ذلك بضعة أسابيع، فإذا بنا نلاحظ أن الملـكة قد صارت ساهمة فاترة النفس ، ولم تعد تضع بيضاً ، فعزونا ذلك إلى أن ميعاد تغيير ريشها قد دنا. ثم جاءت ليلة وخرجنا لنلقى الحبّ فى بيت الدجاج فلم نر الملـكة ، فأخذنا ندعوها باسمها الذى تستجيب له ، ولكنها لم تجب .

وبعد أيام قلائل خرجت أنا وكلبى نخوض فى الأرض الموحلة، فإذا الـكلب يقف ويتشمم طائفة من أعشاب كثيفة عالية نابتة عند طرف الســـور ، فإذا الملـكة جاثمة ناشرةً جناحيها،وقد ابتلّ ريشها وبُدت عليها حدّة

الطباع ، فمن البين أنها تحتضن الآن بيضها لتنشىء لنفسها أسرة .

فأدنى الكلب أنفه من منقارها كأنه يقول لها قد عرفتك ، فجزته أحسن الجزاء بأن نقرته نقرة مؤلمة . فحملتها برفق فإذا هي قد صارت ضامرة نحيلة، فإن الطبيعة قد هيأتها لكي تحتضن ثماني بيضات أو تسعاً على الأكثر، فإذا تحتها خمس عشرة بيضة قد نامت عليها بصدرها الصغير وجناحيها الرقيقين الدقيقين، فوضعتها حيث كانت وعدت أدراجي إلى البيت .

وكنت أحب أن أنقلها من هذا المكان البارد الرطب ، غير أن أخي رأى بحكمته أن نبني لها حيث هي بيتاً من خشب وورق مطلي، وندعها وشأنها . فجاءت الجماعات من أهل المدينة ليروا الملكة وهي تعاني مصاعب الأمومة . ومهما بلغ من رأيك في الدجاج وأنه مخلوق فارغ العقل ، فإنه أعقل من أن يحتضن بيضاً ويفرخه في أيام الخريف في البلاد الباردة — ولكن الملكة فعلت ذلك .

وبعد أسبوعين استقر رأينا على أن الملكة إنما تحضن بيضاً لا يرجى له أن يفرخ، ولكن جاءت ليلة مظلمة باردة ، فإذا الملكة تقبل وهي تصيح وتقرقر، وعلى أثرها فراخ زغب صغار تتعثر في مشيتها وتتصايح وقد بللها المطر. وكان يكسو كل فرخ منها زغب أرقش يثبت نسبه إلى الأمير الأرقش الزاهي الريش . وقد بلغت الملكة غاية مناها ، فقد احتضنت خمس عشرة بيضة انشقت عن خمسة عشر فرخاً .

فاتخذنا مكاناً في الحظيرة وسورناه ليكون لها بيتاً ، وكان صغارها يتصايحون ونحن نفعل ذلك . فلما فرغنا بدا لنا أن الصغار كرهوا هذا المكان، ولم يكن ذلك طبيعياً . بيد أن هذه العفاريت الصغار ولم تلبث أن نمت ونبت عليها ريشها ، وهو شيء قد يحدث أحياناً للفراخ التي انفلق عنها البيض في غير أوانها .

وذات صباح أزلنا ذلك السور الذي أنشأناه لها ، فكان خطأ ارتكبناه ، إذ لم تكد تأتي ساعة الظهيرة حتى وجدنا الملكة قد قاربت حد الموت ، فإن أخواتها وقريباتها وأبناء عمومتها قد حكموا على هذه الدجاجة البغي بالموت وكادوا ينفذون ما حكموا به ، فقد كانت في ريعان شبابها تستأثر بفتنة الذكور من الديكة ، وها هي ذي اليوم تأتي بمعجزة : فقد أنجبت لنفسها أسرة كبيرة ، على حين أنهن قد أخذن يتهيأن للاستكنان الذي ألفنه في فصل الشتاء .

وقضت الملكة أيام الشتاء في بيت الخشب، واستردت من عافيتها ما أعانها على أن تسجع سجعاً قليلا وأن تنكت العشب بأظافرها .

ولـكن ما كاد يوافى الربيع وتحمرّ أعراف الدجاج ويزهو لونها ويامع ريشها ،حتى رأينا عرف الملـكة قد بقى كما كان خابى اللون لا بريق له .

وقد خفنا أن نعيدها لتعيش مع أخواتها فى الحظيرة ،ولـكننا أعدناها فلم يحدث شىء قط ، بل بدأت يومئذ تزهى وتتبختر وتميل برأسها كأنها تدعو الديكة إلى نفسها كما كانت تفعل من قبل، ولـكن لم يلب دعوتها أحد. ورأت ديكا ناشئاً فأخذت تغازله بعينيهـا ، إلا أنه كان مشغولا عنها بدجاجـــة غضة الإهاب بضة الجسم . وكان فى الديكة ديك ضخم فخم ، فجاء يمشى ذات يوم فصدمهـا ، ولـكنه مضى على وجهه ولم يعبأ بأن يعتذر إليها مما بدر منه .

وقد طال الزمن على الملـكة حتى أدركت الحقيقة : لقد صارت عجوزاً فى الغابرين .

وذات يوم جاء الأمير وهو يختـال فى مشيته، وبدأ دجاج حظيرتنا يرمُقْنه بعيونهن إعجاباً وافتتاناً ، فردّتها الديكة عما تفعل . وما هو إلا أن رأينا الملـكة تثب من فوق السور وتهبط ماثلة بين يديه . يالها من ذكريات محببة !

ولـكن الأمير ارتدّ عنها فزعاً، لقد فارقته خُيلاؤه وتساقط ريش ذيله ، وإذا الملـكة تقبل عليه ناشرة جناحيها رافعة رأسها، وفى كل ريشة من ريشها سَوْرة من غيظ وحنق. وجعلت تنقره ولا تكفّ عنه حتى سال دمه.

وعلى حين بغتة رأينا الأمير يلم شَعَث نفسه ويستجمع قوته ويفرّ ذاهباً فى الغيطـان وهى تقتفى أثره مسرعة ، فإذا لحقته ألحت إلحاحاً شـــديداً فى إيذائه والانتقام منه . ومنذ ذلك اليوم ذهبت الملـكة إلى حيث لا نعلم ، فلم نَرَ لها ولا للأمير وجهاً .

أهواء النساء

فى الليلة السابقة لحفلة توزيع الشهادات فى إحدى كليات البنات ، عقدت خطبة إحدى الفتيات وأعطاها خطيبها الخاتم فلبسته ، ولـكن ساءها أن أحداً فى المدرسة لم يلاحظه . فلما كان العصر ، كانت فى فئة من صاحباتها يتحدثن ، وإذابها تقف على حين فجأة وتقول: « ماأشدّ الحرّ ! فمن الخير أن أخلع خاتمى»

[ستيف بنسون]



أتستطيع بريطانيا أن تنجح ؟

ونستن وكارين [illegible]

مختصرة من مجلة " أتلانتيك الشهرية "

ما أشبه بريطانيا برجل قد أخنى عليه الدهر ، وقد وقف هلعاً تتطلع عيناه إلى عقارب الساعة ليرى كم بقي له من الزمن ومن القرض البالغ قدره ٣٫٧٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ، والذى أمدته به أمريكا فى العام الماضى لتعينه على إصلاح شأنه ، فيتبين له أن رصيده من هذه الريالات الأمريكية يذوب بسرعة مخيفة ، أى بمعدل خمسة ملايين ريال فى اليوم الواحد .

ولن يحلّ الخريف حتى تكون بريطانيا قد استنفدت نصف رصيدها دون أن تصل إلى منتصف الشوط الذى لا بد لها من قطعه حتى تصل إلى بر السلامة . ومع أنها قد ضاعفت سرعتها التى كانت تسير بها قبل الحرب ، فلا يزال من الواجب عليها أن تخطو بدل الخطوة اثنتين ، إذا هى أرادت أن تفوز فى سباقها وتلحق عقارب الساعة ، فإن لم تفعل عجزت حتى عن شراء ما يلزمها من الطعام حين ينفد القرض .

> هل تستطيع بريطانيا أن تنجو من الإفلاس وهى تعانى نقصاً فى الأيدى العاملة ، وقلة فى الطعام ، وتلفاً فى الآلات ؟

فهل يتحقق لها الفوز ؟

وفيما يلى بيان الأبواب التى تصرف فيها بريطانيا رصيدها من القرض بالنسبة المئوية : المأكل والمشرب ٤٧ ، المواد الخام ١٥ ، منتجات المصانع ٩ ، مواد أخرى أهمها النفط ٢٩ .

فهى من أجل أن تبقى رصيدها أطول وقت ممكن ، تصبر على خشونة العيش وشدته .

فالحكومة البريطانية تحث شعبها على أن يبذل جهداً جباراً فى زيادة الإنتاج ، مع أن مؤونة الفرد فى الأسبوع مقصورة على ربع رطل من اللبن وبيضة واحدة ، وأوقيتين من الزبد ، وقطعتين صغيرتين من اللحم ، وأوقيتين ونصف من الشاى ، وأوقيتين من الجبن ، وأوقية واحدة من الدهن ، وثلاث أوقيات من لحم الخنزير

المقدد ، و ٨ أوقيات من السكر ، وقرابة ثلاثة أرطال من الخبز . وهذه مقادير لا تقيم أوَد رجل مهما بلغ حسن تدبيره . وإذا كانت الأسرة تربى دجاجاً وجب أن تتنازل عن حقها فى شراء حصتها من البيض لتأخذ بدله حباً للدجاج ، فإذا زاد عدد الدجاج ، فالحكومة تستولى على البيض كله .

ويعلم الشعب البريطانى أنه ليس بمستطاع أن تنتج أرضه مزيداً من الطعام ، فبريطانيا المزدحمة بالسكان تستغل أربعة أخماس أرضهافى الزراعة، وتفلحها بعدد من المحاريث الآلية يفوق كل مايملكه منهـا أى بلد آخر بالقياس إلى أرضه . وبذلك وصل الإنتاج الزراعى فيها إلى أقصى حد مستطاع ، ومع ذلك فالمحصول لايكاد يفى بنصف حاجة الشعب من الطعام ، طبقاً للأنظمة الصارمة الراهنة .

وأرادت الحكومة أن توفر الطعام ، فعمدت إلى منع كل الواردات غير الأساسية ما عدا صنفين يعدان من الترف هما التبغ وأفلام السنما ، وهى تفكر اليوم فى أن تمنعهما أيضاً . وهذه مسألة تحتاج إلى روية قبـل الفصل فيها ، فقد تم بها قسوة العيش على الناس ، وقد يكون منع هذا الترف القليل بمثابة القشة التى تقصم ظهر البعير .

وقد هبط مستوى المأكولات المطبوخة فى بريطانيا بسبب ندرة الدهن ، ومرّ على الأسر البريطانية سبع سنوات عجاف اقتصر فيها أكلها على المسلوق من لحم الضأن والبقر والسمك والبطاطس والكرنب والفاكهة. وكانت الأفواه لاتجد مذاقاً لطعام بسبب ندرة السكر والتوابل، أماخبز الحرب وهو أسمر ثخين . فيرسخ فى المعدة كأنه فتات حجر صلد . وأما الظفر ببرتقالة طازجة أو ليمونة طازجة أوأىشىء طازج ، فأمر بعيد المنال. وقدشب جيل بتمامه لايعرف مامذاق الطعام المطبوخ فى القدور أوالكعك المعد فى فرن البيت ، أو ما طعم الفول السودانى المملح .

والدور كافة فى حاجة ماسة إلى الترميم ، وإذا تداعى سقف ظلّ على حاله أشهراً إلى أن يؤذن لصاحبه بألواح من الخشب الأبيض لترميمه ، أمّا الطلاء فلا . وترقع أغطية الأثاث الرثّ بقماش الأكياس التى يعبأ فيها البطاطس . وليس هناك من حمّام فى دار إلا وتعوزه المناشف ، ولا فراش إلا ويفتقر إلى غطاء . ولم يعد من الأسرار الخافية أن نوافذ الدور الأعلى فى قصر بكنجهام عارية بلا أستار .

وقد أخبرتنى إحدى الأسر فى لندن أن ملابسها كما يلى : ربة البيت تلبس ثوباً من قماش حلةسوداءورثتها عن أبيها، أماحذاؤها وهو ضيق يؤلم قدمها ، فقد اشترته مستعملا من جارة اشترته مستعملا من أخرى اشترته

من سويسرا . أما الزوج فيلبس حلة اشتراها من سوق الملابس القديمة . وأما ابنتهما الشابة فملابسها الداخلية من أرخص أنواع الأقمشة وأخشنها ، وجواربها من صنف غليظ، وهو لو غطى أجمل ساق لأخفى كل جمالها .

والذين يزورون بريطانيا اليوم يكاد يتشابه إحساسهم، فأشدهم كراهية للبريطانيين لا يطيق إذا قدم إليه لثالث مرة طبق من الكرنب المسلوق إلا أن يصرخ قائلا: « لماذا تتحملون كل هذا ؟ فلن يرد بلدكم موارد التلف إذا أذن لكم ببعض الطعام المستساغ ، أو بزيادة قليلة من الثياب » .

أما البريطانيون فيتحملون كل هذه الأعباء ، إذ لا مفر لهم من ذلك . فهم بين أمرين لا ثالث لهما : إما الرضى بمعيشتهم كما هى اليوم ، وإما الإفلاس . فقد خسر الشعب البريطانى ربع ثروته فى الحرب ، وتهدمت مصانعه ودوره ، وضاع نصف أسطوله التجارى ونصف أمواله الموظفة فى الخارج ، ومجموع هذه الخسائر ٣٠ بليوناً من الريالات. ثم هو ينهض بتبعات خارج بلاده تنهظ كاهله. فلو تخلت منها بريطانيا لوفرت ١٣٠٠ مليون من الريالات كل سنة ، ولخففت بها ضائقة شعبها ، ولكنها تخشى إذا جلت فجأة عن الهند أن تستعر الحرب بين المسلمين والهندوس ، وقد يموت ملايين منهم بسبب المجاعة ، ويصبح طريق الهند مفتوحاً أمام روسيا . وتخشى إذا هى انسحبت من فلسطين أن تقع مجزرة كبيرة بين العرب واليهود ، وأنها إذا انسحبت من ضفاف الرين فمن يتولى توفير الطعام لسكان المنطقة التى تحتلها فى ألمانيا .

فهذه هى الصعاب التى تجعل نجاة بريطانيا من الإفلاس مرتبطة بمقدار المواد الخام التى تستطيع أن تستوردها لمصانعها، لتبيع منتجاتها بعد ذلك فى الأسواق الخارجية نقداً . فليس لها سوى هذه المنتجات لتدفع بها ثمن ما تحتاج إليه من طعام حين ينفد القرض الأمريكى . وهى فى حاجة إلى الوقت حتى تنتظم صادراتها ، فالقرض يفسح لها أن تتنفس ولكنه لا يوفر لها كل ما تحتاج إليه من الوقت بل بعضه .

والشعب البريطانى ، يدرك حق الإدراك تلك الحقيقة المرة التى تتجلى من الفرق بين الدخل والخرج القومى ، فالدخل يبلغ ٤٫٨٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريالا ، موزعة كالآتى :

أرباح السفن ٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .
فوائد أموال موظفة فى الخارج ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .
صادرات ٤٫٨٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .

أما الخرج فيبلغ ٦٫٩٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال موزعة كالآتى :

واردات من الطعام والمواد الأولية ٥٫٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .
نفقات الجيوش فى الخارج ١٫٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .
معونة إلى ألمانيا وإيطاليا وغيرهما ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .

فالفرق هو بليونا ريال . وهى تعتمد فى سدّ هـذا العجز على قوى ثلاث : الأيدى العاملة ، والآلات ، وتنظيم الاقتصاد القومى.

أما العمال فإن عددهم قد نقص بسبب الحرب نقصاً كبيراً. فمنهم من قتل فى الحرب، ومنهم من لحقته إصابة أقعدته عن العمل . ويبلغ مجموع خسارة بريطانيا فى هذا الباب ٦٠٠ ألف عامل. ونجم عن توجيه بريطانيا لمعظم شبانها إلى الخدمة العسكرية فى فروعها المختلفة طوال السنوات الست التى دامت فيها الحرب ، أن أصبحت المصانع مفتقرة إلى العمال المدربين . وهناك ٢٫١٠٠٫٠٠٠ رجل يعملون فى وظائف الحكومة وخدمة التموين . وفضلا عن ذلك فإن بريطانيا تحتفظ الآن بأكبر جيش عهدته فى وقت السلم، وقوامه مليون رجل ونصف مليون من الرجال ، فلايبقى لها بعد ذلك من الأيدى العاملة إلا ١٨ مليوناً . ولكنها مضطرة إلى أن تصرف منهم ١١ مليوناً ونصف مليون إلى العمل فى إنتاج مايحتاج إليه الجيش من مهمات وأدوات ، وإلى أنواع أخرى من الأعمال لاغنى لحياة الشعب عنها . ويدخل فى هذا الباب المزارعون ، وأصحاب المتاجر وعمال النقل ، فلايبقى للمصانع بعد ذلك إلا ستة ملايين ونصف مليون من الرجال .

وفضلا عن ذلك، فإن قانون تحديد وقت العمل بأربعين ساعة فى الأسبوع، وإصرار اتحـاد نقابات العمال الذى أصبح كإحدى الوزارات، على المطالبة برفع الأجور ، كلاهما من العوامل التى ترفع أثمان كافة صادرات بريطانيا ، هذا وقد جرى استفتاء شعبى منذ زمن قريب فتبين أن ٤٠ ٪ من الرجال والنساء ما بين العشرين والثلاثين قد أعربوا عن رغبتهم فى الهجرة . فليس هناك مستقبل زاهر لبلد مهدد بفقد ٤٠ فى المئة من صفوة أبنائه ذوى الشباب والقوة .

أما المصانع فمعظم آلاتها قد لحقها الدمار أو البلى من جراء الحرب ، وكثير منها قد أهمل ، بيد أن المشكلة أعمق غوراً من ذلك . نعم إن موهبة الاختراع لا تنقص البريطانيين ، ولـكنهم لم يبرهنوا عليها بآثار ظاهرة فى ميـدان الإنتاج الصناعى الوفير الواسع النطاق ، فهى متأخرة فى هذا المضمار . وقد آن الأوان لكى توليه عنايتها . فهى بلد لا يزال معظم دوره خالياً من التلفونات والثلاجات وآلات الغسل والكنس، ولا يملك سيارة سوى أسرة واحدة من كل سبع ، ولا تزال وسائل نقل البضائع مقتصرة على عربات تجرها الخيل .

ومناجم الفحم، وهى أهم موارد بريطانيا ، خير مثل يتجلى فيه نفرة أهلها من الاعتماد

على الآلات فى إنتاجهم . فالفحم الذى وصفه هربرت موريسن وزير الداخلية بأنه « وسيلة البقاء » هو الذى يمد المصانع بالقوة المحركة ، كما يستعان به فى تدفئة الدور ، ولكن لا يزال العامل البريطانى فى المناجم يعمل بيده فلا يبلغ إنتاجه إلا سدس ما ينتجه قرينه فى الولايات المتحدة .

ويبلغ إنتاج الفحم ١٨٠ مليون طن فى السنة ، يضيع ربعها هباءً ، لأن أفران المصانع ومدافىء البيوت من طراز عتيق . وقد مضت على البريطانيين دهور طويلة وهم لا يألفون إلا الجلوس أمام المدافىء المفتوحة وهم يعطسون ويتململون من آلام الروماتزم ، ويصرون بعد كل هذا على أن التدفئة ببخار الماء المحبوس فى الأنابيب مضرة بالصحة.

وتراهم يتدثرون بالثياب الثقيلة ويشربون مقادير كبيرة من الشاى ، وقد يستعينون بمدافىء كهربائية صغيرة أو يحتضنون قنينات ملأى بالماء الساخن ، فيخيل إليك أنهم يجاهدون جهاداً كبيراً للهرب من الدفء عمداً . وهيهات أن يؤمنوا بأن المدفأة المفتوحة لا تنتفع إلا بنحو ١٥ فى المئة من قوة الفحم ، وأما التدفئة بالماء الساخن فتنتفع بنحو ٦٠ فى المئة منها ، ولهذا يضيع عليهم ثلاثة أرباع ما يحرقونه من الفحم . فلا مفر لهم من الإقلاع عن جمودهم والتحول إلى الوسائل الحديثة فى المصانع والدور ، لأنهم يعانون اليوم نقصاً فى الأيدى العاملة وفى الفحم ، حتى أصبح بعض المصانع مهدداً بالانقطاع عن الإنتاج .

فلا معدى لبريطانيا من أن تتحول عن الإنتاج القليل الجيد إلى الإنتاج الكثير ، ولكنها تواجه هذا وقد خرجت فيه من الحرب وهى تلهث من التعب. فإن أحجمت كان فى الإحجام هلاكها ، وإن أقدمت فستعانى الكثير من الهم والضيق حين ترى التحول يسير بخطى وئيدة لأنه تحول لا يتم بين عشية وضحاها . فتعلُّم الوسائل الجديدة لا يكون إلا بالتجربة والامتحان والاهتداء إلى الصواب بعد الخطأ . لذلك يشك كثيراً فى أن تفلح بريطانيا فى زيادة إنتاجها بفضل هذا التحول قبل أن ينفد قرضها الأمريكى .

أما الاقتصاد القومى فإن إنجلترا قد اندفعت فى السيطرة عليه ، ونجم عن ذلك أن صارت بين اثنتين : إما أن تشرف على أصحاب الأعمال فلا تترك لهم من الحرية إلا اسمها ، وإما أن تحل محلهم فى الملكية فيصبح صاحب العمل خادماً للدولة .

وهذا التحول فى الأنظمة الاقتصادية وفى وسائل الإنتاج ينبغى أن يتم بسرعة وبلا توقف وكان يظن أن هذا التحول يتطلب إنجازه ما بين عشر سنوات إلى عشرين

سنة ، وأن يكون على التدريج . والظاهر أن حكومة العمال لاتهاب هذه الثورة فى الأنظمة الاقتصادية ، والحقيقة أنها بدأت بالأهم قبل المهم ، فهى اليوم قد أممت أو بدأت فى تأميم خطوط الملاحة الجوية، وبنك إنجلترا، والمناجم، ومصانع الأدوية ، والمواصلات البرقيـــة واللاسلكية ، والسكك الحديدية ، والنقل بالسيارات ، والبترول ، ثم تأتى الكهرباء والغاز والماء وصناعة الصلب أيضاً ، كما أنها أصبحت أشبه بالمالكة للأراضى الزراعية . والسرعة التى يتم بها هـذا التأميم تسبب كثيراً من القلق .

وكثير من البريطانيين لا يكاد يفهم كيف تستطيع وزارة ليس بين أعضائها رجل واحد من أهل الصناعة (وهى وزارة العمال) ، أن تكون أقرب إلى النجاح وأقدر على تنظيم الاقتصـاد البريطانى من رجال طالما مارسوا مشكلات الإنتاج ، مهما قيل فى هؤلاء الرجال . فإنه لا معدى للجان الحكومة مهما صدق عزمها وتولاّها خير الرجال ، من أن تواجه تلك الصعاب الجمة التى ينطوى عليها تملك الحكومة للصناعات وإدارتها لها . فاتساع أعمال الحكومة يتطلب مزيداً من الموظفين ليتولوا فحص السيل المتدفق من الطلبات والاستمارات ، وهكذا يعمل آلاف من الرجال والنساء فى عمل ليس من ثمراته شىء يؤكل أو يلبس أو يباع فى الخارج . ويشكو أصحاب المصانع التى لم تمتلكها الحكومة بعد أنهم غـير قادرين على زيادة الإنتاج فى مثل هذه الأحوال .

ومن شكواهم أن اتحاد نقابات العمال لا يعنى بزيادة الإنتاج بقدر عنايته بتحويل أصحاب المصانع إلى موظفين فى حكومة يسيطر عليها العمال . والشعور السائد بينهم هو أن الغرض الأول من تأميم الصناعات هو زيادة هذه السيطرة ، وأن رؤساء المصانع الذين تعينهم الحكومة ليسوا سوى آلات فى يدها تسخرها لجمع الأنصار الذين يصوتون لها فى الانتخابات القادمة . وهذا عبث بحرية الانتخابات التى ألفتها بريطانيا دائماً . وتدافع الحكومة عن نفسها بأن التأميم لم يطبق إلا على خمس الصناعات فحسب ، أما أربعة أخماسها الباقيـة فسيظل فى ملكية أصحابها . وستفقد بريطانيا بسبب هذا النزاع بين الحكومة وأصحاب المصانع ، كل أمل فى الوصول بالإنتاج إلى الحد المطلوب قبل أن ينفد القرض . وهى إذا لم تصل إلى هدفها فستكون مهددة بالانهيار .

ومن أجل تفادى هذا الانهيار قد وُكل تنظيم إشراف الحكومة على الاقتصاد القومى إلى رجال سمت أغراضهم ومبادئهم ، ولكن

هذا الإشراف الحكومى قد انقلب على يد رجال من أمثالهم فى بلاد أخرى إلى التحكم والاستبداد . وإكراه الأقلية على الصمت هو أول الخطوات إلى العبودية .

فها هى عضوية اتحاد النقابات قد أصبحت اليوم فى بريطانيا شرطا لازما لاستخدام العامل . وبدأت محاولات للقضاء على ما للفرد من حقوق على أرضه وبيته، ولحرمانه من ثمرة كده واجتهاده . وإكراهُ المرء على أن يعمل كما يُؤمر، مفضٍ إلى إكراهِهِ على أن يفكر كما يؤمر .

ويبنيء مظهر الشعب البريطانى بأنه مقبل على عمله كما كان فى الماضى وإن حرم كل شىء سوى الصبر . وقد تكون ثياب الشعب رثة ، ولكنه لا يزال يحتفظ بنظافة بلاده كأنها حديقة من الحدائق ، ولا يزال القضاة فى أرديتهم القرمزية يفصلون بين الناس بالعدل المعهود منهم . ولا تزال الأسر على عادتها يشارك بعضها بعضاً فى بطاقات التموين ، وتجاهد جهاداً كبيراً للتغلب على صعاب الحياة . ولا يزال الرجال يراهنون فى سباق الكلاب ، ويشربون البيرة المخففة، ويتناقشون فى الألعاب الرياضية .

هذا هو الظاهر ، ولكن الشعب البريطانى يضمر فى قلبه شعوراً بقلق لا يزال يتزايد ، فإنه يعمل بصبر آملا أن يصل إلى عهد من الرخاء ، ولكنه لا يكاد يصبر على رؤية الاعتداء المتزايد على حريته الشخصية، تلك الحرية التى حرصت على احترامها كل الحكومات السالفة . فالكرب الذى يشعر به الشعب ليس مردّه إلى بطاقات التموين، بل إلى شىء آخر أكبر منه .

وقد بذلت أخيراً محاولة لتأليف نقابة من ممرضات أحد المستشفيات فى لندن . فلما احتجت الممرضات فصلن من عملهن بلا هوادة . فسارعت الصحف إلى الاهتمام بأمرهن وكتبت مقالات افتتاحية عديدة للدفاع عنهن ، وانبعثت من الأمة كلها صرخة غضب ، فتراجعت الحكومة، ولكن بعد أن ساد بين الشعب شعور بأن تأميم نواحى الإنتاج والمهن إذا لم يجر على أسس سليمة فهو خليق أن يؤدى إلى خنق الحرية ، وتأليف حزب واحد ، والخضوع لزعيم واحد — أى إلى الحكم المستبد المطلق .



بعض الناس يسرع إلى تصديق كل شىء عنك ،
ما دام الذى يسمعه هو أسوأ شىء . [هيو فلرتون]

سيدة من أجل سيدات المكسيك وأكرمهن تقيم الدليل على أن الأنوثة لا تنافى المطالبة بحقوق النساء



حسناءُ عاملة تُحدِث انقلاباً فى قومها

ميشيل سنالى

مختصرة من مجلة " ذى إنتر أميريكان "

سيدة ضئيلة الجسم رقيقة متألقة الحسن — هى أديلا فورموزو ده أوبريجن سانتاسيليا ، تنظر إليها فيخيَّل إليك أنها تستعد لصورة تنشر فى إحدى مجلات الأزياء ، بيد أنها من أكثر النساء عملا فى الشق الغربى من كرة الأرض . فقد أنشأت الجامعة الحديثة الأولى للنساء فى بلاد المكسيك، وتولت إدارتها ، وهى قائدة حملة قومية أنقذت من العمى حتى اليوم ألوفاً من أبناء وطنها . وهى تتولى عن حكومة بلادها مهام خاصة،فقد كانت عضواً فى الوفد الذى مثل المكسيك فى مؤتمر الأمم المتحدة فى سان فرانسيسكو . ثم هى بعد ذلك خطيبة مفوَّهة تحبها الجماهير ، وكاتبة لها قرّاء كثر، وموسيقية موهوبة، وهى التى نظمت الفرقة المكسيكية الأولى للرقص التمثيلى (باليه) . وفضلا عن ذلك فإنها أم ثلاثة أطفال حسان ، وزوجة رجل هو من أسعد الأزواج فى المكسيك

وإذا تأملنا فى نشأة أديلا ازددنا إعجاباً بكل هذه الأعمال التى تضطلع بها ، ذلك بأن هذه الفتاة الصغيرة الحسناء نشئت تنشئة الزهرة الغضة وفقاً للتقاليد الإسبانية العريقة التى تقضى بأن تجنَّب نساء الطبقة العالية غمار الحياة خارج البيت أو خارج محيطهن الاجتماعى الخاص .

وقد ترعرعت أديلا فى بيت كبير فى مدينة المكسيك ، فجعلت تفكر لماذا يتاح لأخوتها أن يطلبوا العلم فى الجامعة ، ثم تمنع هى ويمنع أترابها من الفتيات أن يتعلمن شيئاً سوى الشعر الفرنسى والمحاسن الاجتماعية التى تهيء لهن سبيل الزواج ؟ وأحست أن الطبقة التى تنتمى إليها هى طبقة محرومة ، وأنه إذا ما أتيحت لها الفرصة كان فى وسعها أن تقيم فى المكسيك نظاماً أفضل من نظامها القائم . فأخذت تثقف عقلها

مستعينة بمكتبة الأسرة الحافلة ، وجعلت تنتظر .

وقد واتتها الفرصة يوم لقيت كارلوس أوبريجن سانتاسيليا ، وهو مهندس معمار شاب ، فوافقها على أن للنساء عقولا قمينة بالتثقيف . وأصبح العهد الذى قطعاه يوم عقدت خطبتهما ، خبراً خطيراً بعد زواجهما فى سنة ١٩٢٧ ، فقد أذاعت أديلا بعد الزواج أنها صارت حرّة فى أن تطلب العلم فى الجامعة القومية .

فاستنكرت أسرتها وصديقاتها هذا الخبر ، بل إن الجامعة نفسها حاولت أن تثنيها عن عزمها فقيل لها : « ليس لديك ياسيدتى ما يؤهلك لنيل درجة من الجامعة » .

فقالت : « ولكننى ياسيدى لا أطلب درجة ، وإنما أطلب علماً » .

وقد أقنعتهم بأن يأذنوا لها أن تحضر الدروس مستمعة ، وأما صديقاتها فلبثن ينتظرن حتى تفتر حماستها .

ولكن حماستها ظلت متأججة . وهذه السيدة فى أوائل العقد الخامس من عمرها اليوم ، ولما تظفر بدرجة من الجامعة ، ولكنها أنشأت جامعة للنساء ، وفيها يتهيّأ جيل جديد من الفتيات للقيام بنصيب أوفر وأجدى فى حياة الأمة . وقد أسفرت حماستها أيضاً عن مأثرة مجيدة أخرى هى دار العيادة الحديثة التى شيّدتها الجمعية المكسيكية لمنع العمى . وهى تسعى الآن إلى إنشاء نظام جديد نافع لمحاكم الأحداث .

وأنت ترى اليوم صديقاتها اللواتى كنّ يستنكرن نهجها قد أصبحن معجبات بها ، ويدهشهن أن تجد متسعاً من الوقت للقيام بجميع هذه المهام . أما هى فتقول : « إن القيام بعمل نافع شىء هين كالقيام بعمل غير نافع — وهو أبعث على رضى النفس . ألا ترين ما ينفقه الناس من الذكاء وحصر الذهن فى لعب النرد وأشباهه ؟ »

وقد دلت وهى تكافح علة العمى فى بلادها ، على أن النساء يفقن الرجال فى إصلاح بعض عيوب النظام الاجتماعى .

والعمى فى المكسيك ، وبخاصة بين الأميين ، لم يزل إحدى مشكلاتها الكبرى . وفى سنة ١٩١٨ اهتمت جماعة من الأطباء على رأسها الدكتور جوزيه توريس ، فأنشأت عيادة صغيرة أثبتت أن معظم إصابات العمى فى المكسيك مَرَدُّها إلى أصول بسيطة مثل مرض الحصبة وجدرى الماء ، وأن منعها أمر ميسور . بيد أن هذه الحركة ظلت ضعيفة متعثرة حتى عام ١٩٣٦ ، لافتقارها إلى المال والتوجيه السديد .

وكانت هذه السيدة قد تطوعت للعمل فى العيادة ، فأدركت أن أسباب المشكلة

متأصلة فى جهل الجماهير وفاقتهم، وأن الحاجة إنما هى إلى حملة تشن لتحريك نفوس الناس وتعليمهم ، ولجمع المال للعناية بالعيون . فنظمت سلسلة من الاجتماعات : من إلقاء المحاضرات إلى مصارعة الثيران ، فعلقت اللوحات ووزعت النشرات وخطب الخطباء، وكان كل ذلك يصور الحالة تصويراً يحرك النفوس .

وقد جمع من المال فى هذه الحملة مايكفى لتشييد عيادة ذات ثلاث طبقات فى قلب مدينة المكسيك، وفيها تتدرّب الأمهات على العناية بعيون أطفالهن ، ويتولى الجراحون أدق الجراحات . وفى الدار اثنا عشر طبيباً يعالجون نحو ٣٠٠ مريض كل يوم ، وهم يظنون أنهم أنقذوا بصر ٧٥ فى المئة من جميع الذين عالجوهم فى السنوات الخمس الماضية.

وأرادت هذه السيدة أن تيسر العناية الطبية للمصابين فى قرى الجبال، فاشتركت مع الدكتور لويس سانشيز بولنس فى سنة ١٩٤١ فى تنظيم أول عيادة للعيون فى العالم تتنقل بالسيارات من مكان إلى مكان . فترى فى سيارة ضخمة طبيباً متخصصاً فى أمراض العيون ومساعداً له وممرضة ، يفحصون القرويين المحتشدين ويعالجونهم . فإذا كان أحد المصابين فى حاجة إلى جراحة أرسلوه إلى العيادة فى مدينة المكسيك ، ولكن معظم المصابين ينتفعون بالعلاج الذى ينالونه على المكان ، وبما يوصف لهم من علاج يزاولونه فى بيوتهم . وهذه السيارة تتمّ جولتها مرة كل ثلاثة أشهر ، فتيسر العلاج لخمسة آلاف أو أكثر فى كل سنة .

وقد كان آلاف من الصغار يتركون المدرسة بعد عام أو عامين إذا كانوا ضعاف البصر ، فتكتب عليهم الجهالة والأمية ما عاشوا . ويظهر أن أحداً من الناس لم يكن يدرك أن هذه المآسى التى تنزل بأفراد الأمة ، تسلُّ قدرة الأمة وتهبط بمستواها الاقتصادى والثقافى . أما اليوم فتجد فى كل مدرسة فى منطقة العاصمة لوحة لامتحان بصر التلاميذ، وإرشادات للانتفاع بها، وهى من اليسر والوضوح بحيث يستطيع كل معلم أن يتولاها . وقد كشفت هذه الامتحانات حقيقة عجيبة ، وهى أن ٢٧ فى المئة من تلاميذ المدارس الابتدائية يحتاجون إلى علاج عيونهم أو تصحيح بصرها . وقد ظفر مئات من المصابين بالعلاج النافع فى العيادة العامة .

وقد دأب عقلها الذى لا يفتر نشاطه ، على التفكير فى تنكر قومها لتربية البنات تربية نافعة ، ورسخ فى ذهنها أن هذه الهوة التى حفرها الناس بين الرجال والنساء تضعف من جهد الرجال والنساء جميعاً . فالجماعة تنبت أمهات ينبغى أن يرشدن

صغارهن ، ولكنهن أمهات لا يدرين شيئاً من حقائق الحياة . وهذه مشكلة قومية ، لأن النساء اللواتى ثقفت عقولهن هن أنفع وسيلة لتحسين أحوال الاجتماع التى يرتبط بها فلاح الأسرة .

وما وافى عام ١٩٤٠ حتى كانت قد ظفرت بتأييد كبار أهل التربية فى البلاد، وبموافقة الحكومة على مشروعاتها . ثم عرضت هذه المشروعات على ذوات الجاه والثراء من نساء المكسيك . فعاونّها على جمع المال، وفى أوائل سنة ١٩٤٣ فتحت أبواب جامعة النساء .

والغرض الذى ترمى إليه هـذه السيدة هو أن تنشىء أمهات يحسن خدمة الوطن، فلذلك ترى الجامعة تعنى عناية كبيرة بدروس التغذية وتربية الطفل تربية علمية ، بيد أن الأساتذة لا يكفون عن تنبيه الطالبات إلى أن تبعاتهن لا تنحصر فى البيت. وقد اتخذن لذلك شعاراً من أرسطو مؤداه : « النساء نصف الأمة » . ولذلك يتاح الآن للفتاة المكسيكية أن تتعلم القانون أو أعمال المصارف أو الصحافة أو التمريض، أو ما يعدها للعمل فى السلك القنصلى .

وعـدد الطالبات فى الجامعة ٣٥٠ ، معظمهن من بنات الأسر الوجيهة التى كانت تنشىء بناتها تنشئة الأزهار الغضة . بيد أن نظرتهن الجديدة إلى الحياة والعمل فى الحياة لم تنتقص من فتنتهن . والسيدة أديلا نفسها تعدّ من أبهى درر الحيـاة الاجتماعية فى المكسيك وأكرمهنّ، وتقول: « كلما ازدادت معارف المرأة ازداد شغف الرجال بها » .

سرّ نجاح الصحفى

بعد سنين من العمل الشاق اعتزل محرّر صحيفة فى الريف عمله ، فقد صار صاحب ثروة وهو يحبّ أن يستمتع بها وبالراحة . فسئل عن سرّ نجاحه فقال : « إننى أعزو قدرتى على أن أعتزل العمل ولى فى المصرف مئة ألف ريال بعد جهاد دام ثلاثين سـنة ، إلى مثابرتى على القيام بواجبى ، والتزامى سياسة الصدق فى كل ما نشرت ، ونهج الاقتصاد فى جميع نفقاتى ، ووفاة عمى الذى خلف لى ٩٨٫٥٠٠ ريال .

[نشرة أنباء بوسطن]

إن رحلة طولها ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة .

[مثل صينى]



والت ويتمان شاعر الشعب

ماكس ايستمان

لكل شعب عظيم شاعره ، فشكسبير ، وجوته، وبوشكين، ودانتى، وهوجو ولى بو — هذه أسماء تخفق فى سماء بلادها كأنها أعلام قومية . وليس ثمة شك الآن فى أن والت ويتمان هو الذى سيتبوأ فى أمريكا هذا المكان الفريد . وقد أفرد له معجم أدبى حديث ٧٤ صفحة ، تقابلها ٢٧ صفحة ، لإدجار ألان بو ، وسبع صفحات للونجفلو ، وست صفحات لويتيار .

وأنا أرى فى هذا تحولاً رائعاً ، فقد مات ويتمان فى بيت صغير زرى فى كامدن بولاية نيوجرسى ، مغموراً لا يكاد يعرفه جمهور القراء ، وكان يعدى — فى حيث كان يعرف — رجلا قبيح السيرة غير عف اللسان .

على أن ويتمان كان فى الواقع نزيهاً نقى الصفحة — وبلغ من ذلك أن كل أصدقائه كانوا يذكرون هذا عنه ويتحدثون به . وكان فضلا عن ذلك ، إذا قيس إلى معظم الشعراء ، نموذجاً للفضيلة ، ولم تكن له رذائل أوعادات سيئة. ولم ينطق قط بفاحشة ولادخن ولاقامر، وقلما كان يشرب خمراً.

وقد ولد فى ١٨١٩ فى كوخ صغير حائل اللون ، وقضى معظم حداثته فى بروكلين حيث كان أبوه يبنى المنازل . ولما بلغ العشرين كان قد تعلم صف الحروف ، واشتغل بالتدريس ، وأصدر جريدة كان يكتبها ويطبعها بنفسه ، ويوزع أعدادها على ظهور الخيل . وظل تسع سنوات بعد ذلك يعمل فى الطباعة ، أو استقاء الأخبار ، أوالتحرير فى صحف شتى . وكان فى العامين الأخيرين من هذه الفترة رئيس التحرير فى جريدة « بروكلين إيجل » .

وقد نظم وهو فى هذا العمل بعض الغزل الرقيق ، ولكنه بلغ التاسعة والعشرين من عمره فلم يخطر بباله قط ولا ببال أحد سواه أنه قد يصير يوماً ما شاعراً عظيما

وكان كل امرىء فى المدينة وحولها يعرف والت ويتمان ويحبه ، وكان ضخماً قوياً متين الأسر ، وله وجه ورأس من خير ما أبدعت الطبيعة . ولكن الشيء الذى اشتهر به هو أنه كان يعمل العمل على سجيته وبغير احتفال ، فكان إذا لم يكف عن العمل عصر يوم ويذهب للسباحة ، فذاك لأنه قضى الصباح غادياً رائحاً فى سفينة أو مركبة . ولقد قال عنه أحد الذين استخدموه : « إن هذا الفتى إذا أصابته الحمى فإنه يكون أكسل من أن يقفقف ويرتعد » ، وقد لازمته هذه السمعة .

والسبب الذى دعا ويتمان إلى ترك جريدة « الإيجل » ملفوف فى مثل الضباب ، ولكنك تستطيع أن ترى شخصيته بارزة فى وضوح من خلل الضباب ، فقد كان يميل إلى حظر الرق فى الولايات الجديدة ، وكان أصحاب الجريدة يريدون ترك الأمر لما تقرره الولايات نفسها .

ولم يكد ينقضى شهر على ترك ويتمان لصحيفة الإيجل ، حتى تعاقد على تولى تحرير جريدة فى نيوأورلينز ، وكانت رحلته إلى نيوأورلينز بداية مرحلة جديدة فى حياته ، فقد أيقظت العملاق الذى كان راقداً فى أطواء نفسه ، وابتعثت وجدانه وخياله . وأعتقد أن لذلك ثلاثة أسباب :

الأول أن الرحلة أذهلته وراعته ، فقد رأى مبلغ الخصب والثروة فى الجمهورية الفتية المترامية الأرجاء ، فوقع حب أمريكا فى قلبه. والثانى أنه أرسل نفسه على السجية إلى حد ما فى جوّ نيوأورلينز الفرنسى الحر المفتّر ، فأقلع عما فى طبيعته من شدة المصلح وصرامته .

ولكن أهم من ذلك أنه أحب امرأة لم يستطع — أو لم يشأ — أن يتزوجها ، ولا يعرف شيء عن هذا الحب سوى صورة رائعة للفتاة ملصقة فى أحد دفاتره ، لأن ويتمان كان قد حرص على أن يكتم هذا السرّ فى قلب صخرة صماء . ولكنه لاشك عندى أنا على الأقل ، فى أن لمسة هذه الفتاة هى التى فجرت ينابيع الشعر فى نفس هذا الفتى الكسول ، المتلهب ، الجليل ، الغرير .

وعاد ويتمان من نيوأورلينز ، وقد تغير وصارت له رسالة . فقد رأى رؤيا — رؤيا الجمهورية الأمريكية تنفض عنها آخر ما كانت تتلفع به أوربة الإقطاعية ، وتأخذ بيد البشرية إلى عهد جديد من حياة تكفل للناس المساواة والحرية بغير خوف، وتزخر بجرأة العلم ورقة الشعر . فإذا بهذا الرجل قد خرج على الناس ليغنّيهم فى شعره بهذه الصورة ويدعوهم إليها .

وقد أدخل ويتمان تغييراً طفيفاً على اسمه ،

وتغييراً كبيراً فى زيه، فهو شاعر الديمقراطية، ولهذا طرح رباط الرقبة وحل أزرار قميصه وراح يرتدى الثياب العادية التى يتخذها العامل أو الصانع. ولم يكن هذا التغيير متكلفاً كما يبدو لأول وهلة، لأنه كان نجاراً يعاون أباه، وكان هذا هو الزى الذى يتخذه وهو يعمل، ولكن دلالته كانت عميقة فى نظره.

وكان يعتقد أنه يحدث تطوراً مماثلا لذلك فى الشعر، ذلك أنه بدلا من أن ينظم الشعر على مثال شعراء إنجلترا، كان يقول ما يريد أن يقول فى بساطة، على نحو ما يعرب العمال عما فى نفوسهم، ويدع الألفاظ وحدها تغنى أغنيتها.

ولم تكن طريقة ويتمان فى قرض الشعر هى التى أكسبته العظمة، وإنما كانت العظمة فيما تغنى به: كقصيدته فى نفسه — وهى تكشف عن قيمة الإنسان الفرد وجلاله وقدسيته — ليس لها نظير فى الأدب، وأغنية العطف، وفيها من مروءة القلب وأريحية النفس ما لم يتغن بمثله أحد من قبل، وقصيدة الإيمان وهى تحلق فوق المعابد، وقصيدة الديمقراطية وهى تتخطى حدود الأمم، وقصيدة الحب وهى تخرج به من سجن الصمت الذى سجنه فيه الحياء الكاذب والتزمت المتكلف.

وكانت هذه القصيدة الأخيرة (عن الحب) هى التى جنت عليه سوء السمعة. وإن صراحة ويتمان المشهورة فى المسائل الجنسية لتبدو مستحيية ساذجة فى هذه الأيام التى تستطيع فيها أية طالبة أن تبتاع الكتب عن الحب والزواج من أقرب مكتبة. ولقد كانت قصيدته هذه إلهاماً، وكان ديوانه أول كتاب فى العالم — إذا استثنينا الكتب الطبية — يتناول العلاقات الجنسية فى صراحة وجدّ، ومن غير نزق عاطفى. وكان يصدر فى ذلك عن عاطفة جليلة وشعور بقدسية كل وجود وكل ذرة، وقدسية نفسه التى هى بعض ذلك كله. وكانت هذه الصراحة الجادة الجديدة من أهم مظاهر التطور فى تاريخ الثقافة الإنسانية.

وقضى ست سنوات فى نظم ديوانه الجليل، وكان يخط الأبيات ويقيدها وهو يعبر النهر أو يقف على الرصيف أو يستقبل مركبة، أو يرقد على الشاطىء الموحش. ثم يرتد بما دوّن إلى البيت، ويجرى فيه قلمه على منضدة من خشب الصنوبر فى غرفة صغيرة فى الطابق الأعلى، لها نافذة واحدة، وفيها سرير ضيق، ووعاء للاغتسال. وكأنما أراد أن يفيض على ديوانه روح الديمقراطية والشعور بقداسة الصغير والبسيط من الأشياء، فسمى ديوانه « أوراق العشب ».

وكان فى كلامه عن نفسه فى الديوان

يتكلم عن الأمريكى العامل . وقد أسرف فيما نحل نفسه وادعاه لها ، ولكن الذى كان يحاول أن يقوله هو : « هكذا ينبغى أن يتكلم الرجل العادى ، وهكذا ينبغى أن يكون موقفه » . ومن ذلك قوله :

« أنا أو أنت — وإن خلت جيوبنا حتى من مليم ـ قد نشترى أطيب ما فى الأرض .

« ولأن تنظر بعين أو أن تستنبت فولة فى كمها خليق أن يذهل علم الأزمان كلها .

« وما من حرفة أو مهنة إلا والشاب الذى يعمل فيها قد يستطيع أن يصبح بطلا .

« وما من شىء مهما يبلغ من لينه إلا وهو يصلح مداراً لعجلات الكون .

« وأنا أقول لكلّ رجل وامرأة : خلّ روحك تقف هادئة ساكنة أمام مليون من الأكوان » .

وقد طبع ويتمان ثمانمئة نسخة من ديوانه فى مطبعة صغيرة وأشرف بنفسه على الطبع ، ثم نشر إعلانا فى صحيفة نيويورك تربيون ، وبعث بنسخ إلى النقاد ورؤساء التحرير ، وأهدى عدداً آخر إلى طائفة من الأمريكيين المشهورين ، وحمل البقية إلى المكتبات فى نيويورك وبروكلين فى حقيبة كبيرة من قماش الشراع .

والمعروف أنه لم تُبَع منه نسخة واحدة ، ولم يقرّظه سوى صديق له فى صحيفة تربيون فكتب ثناء لا نفع فيه . أما سائر النقاد فبعضهم أهمله ، وسلقه بعضهم بألسنة حداد ، كقولهم :

« خليط متنافر من التبذل والهراء . . . »

« جهله بالفن كجهل الخنزير بالرياضيات » .

« ليس له جزاء أوفق من السوط » .

ولم يكن رأى الأمريكيين النابهين خيراً من ذلك . فقد رمى الشاعر جون جرينليف ويتيار الكتاب من النافذة .

وهكذا كان استقبال أمريكا لشاعرها القومى ، ثم هبطت من السماء الصافية رسالة صار لها الآن مثل شهرة القصائد نفسها :

« سيدى العزيز ـ ليس يخفى على ما لديوان أوراق العشب من قيمة ومزية ، وأرى أنه خير ما أخرجته أمريكا إلى الآن فى باب الحكمة والفطنة ، وإنى لأحييك وأبشرك بمستقبل عظيم » . والرسالة موقعة بأشهر اسم فى تلك الأيام ، رالف والدو إمرسون .

ولم يخالج ويتمان أى شك فى عظمته بعد ذلك ، ولكن ارتقاءه إلى قمة الشهرة كان أبطأ من مدّ المحيط ، وكان أوساط الأمريكيين الذين غنّاهم ويتمان بشعره القوىّ ، يفضلون عليه سائر الشعراء المتحذلقين .

وكان من أثر الحرب الأهلية أن أبطأ توقُّل ويتمان إلى المجد ، لأنه لم يكن جندياً ، وكانت له سعة قلب الأم وحنانها ، وكان وهو

يسير في الدنيا يحبها كلها ـ طيّبها وخبيثها . ومن العسير على من أوتوا موهبة الحب أن يتحيزوا في قتال . يضاف إلى ذلك أن ويتمان عزم أن يكون شاعر الأمة كلها .

وقد فض النزاع الذي قام في نفسه على نحو بوّأه مكانا لا في تاريخ الشعر وحده، بل الحب أيضاً . ذلك أنه انتقل إلى وشنطن حيث المستشفيات العسكرية الكبرى ، وكف عن الشعر ، وتخلى للعناية بالجرحى من الجنود ، وكان يأخذ مرتباً ضئيلا في مكتب ، ويعيش في غرفة صغيرة في سطح ، ويزور المستشفيات كل يوم من الظهر إلى الساعة الرابعة مساء ، ثم من السادسة إلى التاسعة : ويحمل حقيبة كبيرة غاصة بالهدايا للجنود : طباق ، وورق ، وظروف ، وبرتقـال ، وحلواء زنجبيل . ولـكن أعظم هباته لهم كان حنان الأم في صورة رجل متين وثيق .

وكان قبل كل زيارة يتمشى قليلا في الشمس والرياح أو تحت النجوم ، ولم يكن يشرب إلا الماء واللبن ، وكان يتقي أكل الدهن « والعشاء المتأخر » ليستوثق من أن يظل بدنه « طاهراً ، كاملا ، رشيقاً ، نظيف الدم قوياً » ، تفيض منه على الجنـود قوى الطبيعة الشافية .

ولم يكن في هذا يصدر عن أي مذهب أو دين ، وإنما كان يعمل بوحي من أعمق الحوافز في طبيعته التي يعتقد أنها بشير بما كتب للعالم أن يصير إليه متى انتشرت ألوية الديمقراطية .

وقد بذل ويتمان صحته القوية في هـذه السبيل ، وكان كأنه جندي جريح حين وضعت الحرب أوزارها ، وكان في بيته مع أمه يتماثل للشفاء مرة أخرى من « ملاريا المستشفى » حين جاءت الأنباء بمصرع لنكولن .

وأقبـل الربيع ، وتفتحت الأزهار في ساحة البيت الصغير الذي يعيش فيه ، وكانت بروكلين في تلك الأيام أشبه بقرية ريفية ، ولم يكن يحتاج أن يبعد في سـيره ليسمع تسبيح الطيور وصدحاتها إذ يزحف الليل وتظهر نجوم السماء في الغسق . وقـد نظم أعظم قصائده هناك ، فجمع الزهر والنجم وتغريد الطير وأساه هو ، في تحية إنسان يحيى بطلاً ، ويحيّ الموت والحياة أيضاً . وقد وصف الشاعر سوينبرن قصيدته « حين تفتحت الزهرة في ساحة الباب آخر مرة » بأنها « أعذب وأروع تسبيحة رتلت في معبد الدنيا » . ولعل هذه الأنشودة الجليلة كان لها الفضل الأوّل في ظفره باسم شاعر أمريكا .

وبعد الحرب حصل ويتمان على وظيفـة كتابية في المكتب الهندي ، وكان يعد طبعة جديدة لديوانه ، ويحتفظ بالأصول المخطوطة في مكتبه . واستولت على وزير الداخلية

هارلان، رغبة ملحة فى الاستطلاع ذات ليلة، فتسلل إلى مكتب الشاعر وألقى نظرة على الديوان، فأفزعه ما قرأ، ومن يومئذ تبوّأ مكانه فى التاريخ حين طرد الموظف الخالد.

وفى ١٨٧٣ انهار بدن ويتمان القوى، واستيقظ ذات ليلة فإذا هو لايستطيع أن يحرك ذراعه أو رجله اليسرى، فعاد إلى النوم فى هدوء، وانتظر صابراً حتى يقدم أصدقاؤه فى الصباح التالى. ولم يفقد سكينة نفسه قط فى عشرين عاماً قضاها سقيما مُشْبَتاً ولافارقه صبره وفكاهته. وكان يتقبل مالا مفرّ منه من ضيق نطاق حياته بجلد وشجاعة يضارعان زهوه حين أعلن للدنيا اتساع أفق نفسه ورحابتها.

وكان الأصدقاء المعجبون — وهم جماعة قليلة تزداد وتكبر — يبعثون إليه بالمال معاونة له. وكان يتتبع ازدياد شهرة ديوانه باغتباط مشوب بالقلق، كما تتبع الأم سيرة ابنها الذى أحسنت تربيته. وكان يتلقى التحيات والزيارات من حين إلى حين ممن لهم شهرة كافية تشجعه على الاعتقاد بأن ديوانه سيحيى ويخلد.

وقد كان ويتمان خليقاً أن يزهى ويبتهج، ولكنه ما كان ليدهش فى قرارة نفسه الساكنة، لو علم أنه بعد خمسين سنة من موته، سيقف رئيس وزارة بريطانيا فى مجلس العموم ليفضى بنبأ انتصار حربى عظيم، فيقتبس بالحرف الواحد — عظته النبيلة:

« والآن افهموا ما أقول جيداً: إن فى طبيعة الأشياء أن تجعل كل ظفر يتحقق، يأتينا بشىء يجعل حاجتنا إلى الجهاد أشد وأعظم ».

لما كان الجنرال النمسوى جالجوتزى ضابطاً فى رتبة قائمقام تجادل هو وضابط فى مثل رتبته فوصفه بأنهُ حمار، فصدر الأمر إلى جالجوتزى بأن يعتذر علانية عما فرط منهُ. فلبس حلتهُ الرسمية، ووقف أمام ثلة من الجند، وحيّ الضابط المعتدى عليه وقال: « يؤسفنى أننى قلت: إنك حمار ».

ثم لقى صاحبهُ فى اجتماع خاص فكرّر اعتذارهُ، وقال: « بيد أننى أظن أنك أخطأت ساعة طلبت أن أعتذر لك أمام حشدٍ من الجند ».

فقال صاحبهُ: « ولِمَ ذلك؟ »

فقال جالجوتزى: « لأن رأيي فيك كان قبل الاعتذار منحصراً بيننا، أما الآن فإن الجيش كله بات يعرفهُ ».

[تايمز لوس أنجيليس]

سر طال كتمانه

روبرت بكنر

مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

يقول محرر مجلة تلانتيك الشهرية إن مؤلف هـــذه القصة : « عاهد نفسه على أن يتحرى صدق حوادثها من مصادرها الرسمية بريطانية وبلجيكية . وقد تكون هذه القصة إحدى الوثائق المهمة في تاريخ الحرب العالمية الأولى . »

ما من كاتب إلا وقد أتاحت له الأيام أن يعثر في الحياة على قصة محكمة من نسيج الحياة نفسها ، بيد أن آفة القـصص الصادقة هو استحالة تصديق وقوعها ، فإنه لأيسر على العقل أن يصـــدق قصة متخيلة محبوكة الأطراف ، من أن يؤمن بقصة مقتبسة من صميم الحياة . وليس في الوثائق الرسمية دليل قاطع يدلّ على صحة القصة التي سأرويها ، أما دليلها الذي لا يردُّ فقد أودع الثرى في جدث صغير على شواطىء بلجيكا .

— ١ —

في شتاء سنة ١٩٢٧ أطبق عليّ الليل وأنا راكب في قطار بروكسل السريع ، وكان ينهب وادي الرور نهباً كأنه مذعور روّعه سعير النار المتضرمة في أفران من الصلب ، تلقي وهجاً خبيث المنظر على أكوام الرماد المتراكمة .

وكان رفيقي الوحيـــد في الغرفة رجل انجليزي طويل الصمت ، فابتدرته قائلا : « إنها أشبه شيء بجهنم . أليس كذلك ؟ »

فابتسم الإنجليزي وقال : « جهنم ! بل انظر حواليك ترَ جهنم التي ترســل من جوفها المدافع والقنـابل المهلكة » ، ثم كفكف من غربه وقال كالذي يحدث نفسه : « يا للحمقى ، ألا يردعهم ما لقوا في المرة السالفة ! »

فأحيت هذه الثورة شوقي إلى أن أدقق النظر في شأن هذا الرفيق . كان في الخمسين من عمره فيما أرى ، أشهب العينين فيهما حدّة ومودّة وكان كل متاعه حقيبة وصرة ملفوفة في ورق قد وضعها بجانبه على المقعد .

ثم قلت له : « نعم ، ولكن أمريكا لن تتورّط في هذا الأمر مرة أخرى ، فإن ذلك « النصر » قد أرهقها من أمرها عسراً » .

فقال : « عجباً . أهي أمريكا إذن هي التي حازت النصر ! »

فقلت في سـذاجة : « ليت شعري من حازه إذا لم تكن هي التي حازته ؟ ظنّ أنت فلعلك أصدق مني رأياً » .

فسكت برهة ثم قال : « أتريد حقاً أن نعلم . لست أنا فى حاجة إلى الظن ، فأنا الذى فعلت ، أنا الذى حاز النصر للحلفاء » .

فغشينى ذهول دام لحظة ، وسألت الله أن يكون جنونه مأمون الخطر .

ثم قال بعد قليل : « إنك لتظننى مخبول العقل » .

قلت : « كلا ، بل أنا أحبّ أن أعلم كيف كان ذلك » .

فبقى هنيهة يحدّق فىَّ أو ينفذ بصره فى غيب نفسى ، ثم قال كالذى يحدث نفسه : « ولم لا ! بل يجمل بى أن أفعل منذ الساعة . أنا روجر برادمان » فعرفته بنفسى وتصافحنا .

— ٢ —

ثم أنشأ يقول : « لست أشكُّ فى أنك لم تسمع بقضية برادمان الجاسوس التى طار ذكرها فى سنة ١٩١٣ ، ولعلك لم تكن قد ولدت بعد » .

وصدق ، ولكنى كنت قد قرأت شيئاً عن هذه القضية المشهورة فى كتاب للدكتور سبنجارد فقلت له : « أليست هى القضية التى كادت تؤجج نار الحرب بين ألمانيا وبريطانيا ؟ أأنت بطلها برادمان ؟ »

فقال : « أجل ، لقد أوفدنى قلم مخابرات البحرية لكى آتيه برسوم التحصينات فى هيليجولند ، فظفرت بها ثم قبض على متلبساً بالجريمة .

« فأسرعت بريطانيا تتبرأ منى ومن فعلتى ولا جرم . وأخيراً تمت المعجزة العظمى فإذا الألمان يطلقون سراحى . فقضيت بعد ذلك سنة أضرب فى أرجاء أوربة ، وآخذ ما يكفى نفقتى من أحد رجال الحكومة

« ثم كانت سنة ١٩١٤ وشبت نيران الحرب ، فأمرت أن أعود إلى لندن ، فأسندوا إلىّ قيادة المدمرة فايردريك التى تتولى حراسة بحر الشمال » .

ثم مد رفيقى يده إلى صحيفة كنت أقرؤها فخط عليها رسماً يمثل ساحل بلجيكا ، وحدد مواقع بلدة أوستند وبلدة نيوبورت ونهر إيزر المتعرّج .

ثم أخذ يشير إلى الخريطة بقلمه ويقول : « لعلك تذكر أن ألمانيا قد هاجمت فرنسا من ثلاث نواح : من الجنوب عابرة الفوج ، ومن القلب على شاطىء المارن ، أما الجيش الثالث فهو الذى اخترق بلجيكا بقيادة فون كلوك . وكانت الخطة تقضى بأن يلتقوا جميعاً عند باريس ويطبقوا عليها إطباقاً مفاجئاً متواتراً . وكانوا من ذلك قاب قوسين أو أدنى .

« اجتاح الألمان أنتورب ثم ساروا يريدون مدن الساحل : دنكرك وكاليه

وبولونيا ، ولو تم ذلك لقطعوا خير طريق تعتمد عليه بريطانيا في مواصلاتها، ولضربوا جناح الحلفاء ضربة قاضية ، ولوضعت الحرب يومئذ أوزارها .

« وفي ذلك الوقت ظلوا يعملون على الجيش البلجيكي الصغير حتى كادوا يضطرونه إلى البحر . وأخذ الجيش البلجيكي يتقهقر يوماً بعد يوم ، وظلت مدافعهم تمزق شمله وأوصاله ، حتى تضعضع أو كاد . وفي ليلة ٢٠ أكتوبر التقى الجيشان لا يفصل بينهما سوى نصف ميل ، وكان جناح الجيش البلجيكي ينتهي عند كثبان الرمال القائمة على ساحل بحر الشمال على بعد ميل جنوب أنتورب . وهدّ الكلال قوى الرجال حتى كنت تراهم وقوفاً في خنادقهم وهم نيامٌ . كانوا في موقف لا يرجى له صلاح . وكان الملك ألبرت يعرف أن الألمان سوف يعيدون الكرّة عليهم مع الفجر . وكان يعلم أيضاً علماً يملأ قلبه شجناً أن جيوشه المتهالكة لن تطيق لهذا الهجوم دفعاً ، وأن الألمان إذا ما اخترقوا صفوف هذا الجيش فهي نهاية الحرب ، إذ لن يكون بينهم وبين باريس حائل يصدّهم عنها . فجمع الملك إليه قواده في منتصف ليل ٢٨ أكتوبر ، فلما التأم جمعهم كانوا جميعاً رأياً واحداً على أن لا مخرج لهم من هذا البلاء المطبق . فلما استحكم يأسهم تقدم ضابط من فرقة الفرسان واقترح اقتراحاً :

« أشار بأن يسيّروا سرية من صفوة الجنود إلى الساحل عند ميسرتهم ، فتبذل جهدها حتى تفتك بالحرس الألماني القائم هنالك ، ثم يرسلون إشارات من الضوء في البحر ، عسى أن تراها بعض سفن الأسطول البريطاني التي تمخر عباب البحر تحت جنح الظلام ، فتسرع إلى نجدتهم وتضرب بمدافعها الثقيلة خطوط الألمان .

« فقبلوا اقتراحه آيسين ، فاختاروا ثمانية من شداد الجند لهذه السرية . فخرج الثمانية يزحفون في جوف الخندق ميممين شطر كثبان الرمال ، وقد أصلتوا حرابهم واستعدوا لمعركة خاطفة تُعْجل الحرس الألمانيّ عن الحركة وعن الصياح .

— ٣ —

وكفّ برادمان عن الحديث ، ودار فأخذ الصرة التي كانت إلى جانبه وحملها بين يديه ، ولكني أسرعت أسأله : « هل وجدوا الحارس في مكانه ؟ »

فردّ عليّ مكتئباً وقال : « نعم وجدوه ، وجدوه نائماً ! كان غلاماً في العشرين أو نحوها ، قد أضناه التعب فجلس على جذع شجرة وركز بندقيته بين ساقيه ، وكان قد خلع حذاءه ودفن قدميه في الرمل البارد

ليخفف ما يجد فيهما من آلام ، وكان قد شمر سراويله إلى ما فوق الركبتين .

« فضربه أحد الضباط بكعب مسدسه على أم رأسه ، ثم شدوا وثاقه . ثم التمسوا مكاناً تستره كثبان عالية من الرمل ، فأوقدوا هناك ناراً من الحطام صبوا عليها نفطاً ، فلما تضرمت أخذوا يلقون فيها البارود بين الحين والحين حتى ترسل وهجاً ساطعاً متقطعاً » .

ثم سكت وقال متردداً : « ومن هنا بدأت قصتي أنا . كانت مدمرتي فايردريك سائرة بحذاء الشاطىء البلجيكي موسقة بالإمداد للأسطول من قذائف وطرابيد وصناديق فيها وسكي ، أو هكذا ظنناها عند ما شحناها في ميناء بليموث ، فقد كان عليها رقم « كاميرون هايلندر » وهو اسم نوع من الوسكي ، ولكنا حين شرعنا بجرد حمولة السفينة تبين لنا أن في هذه الصناديق ملابس عسكرية مرسلة إلى فرقة « كاميرون هايلندر » النازلة بمكان ما في فرنسا . وكانت عدتها ١٨٠ كسوة كاملة ، ولا عجب فما أكثر الأخطاء المضحكة التي كانت ترتكب في تلك الأيام !

« وفي نحو الساعة الواحدة من ليلة ٢٩ أكتوبر رأى أحد رجالنا تلك النار الموقدة على الشاطىء . فظللت أرقب هذا الوهج الساطع المتقطع برهة طويلة ، ولكني لم أدر ما معناه وما غايته . وكنا يومئذ نظن أننا نعرف المدى الذي بلغه الألمان في زحفهم ولكن لم يكن يدور بخلد أحد منا أنهم بلغوا هذه الغاية . فلما أخذ مني العجب لهذا الضوء المنبعث من مكان ينبغي أن لا يلمح فيه ضوء ، أمرت السفينة أن تدنو من الشاطىء ، إذ لا مرية في أن على الشاطىء من يتولى إرسال هذه الإشارات . فأنزلت إلى البحر زورقاً وركبته أنا واثنا عشر بحاراً ورسونا على بعد ميل من مصدر الضوء . وسرنا على حذر قدماً حتى تبينت الملابس البلجيكية ، وناديتهم باللسان الفرنسي .

« وأقسم بالله غير حانث أنك لم تر في حياتك قط وجوهاً يعروها من الدهشة ما عرى عندئذ هذه الوجوه . فما كادوا يروننا مقبلين نحو النار حتى ألقوا بسلاحهم إلينا وهم يبكون من فرط الفرح . وأكبر ظني أنهم ظلوا على ذلك نحو خمس دقائق حتى استطاع أن يجد أحدهم صوته ليفصح عما في نفسه . وأخيراً شرع أحد الضباط يرسم لنا على الرمل مواقع المعركة ، وبين لنا كيف أصبح الجيش في موقف ميئوس منه .

« فبينت لهم أن مدافع مدمرتي أضعف مرمى من أن تصيب ما وراء الشاطىء .

فلما سمع الضابط البلجيكي هذا النبأ المشئوم انعقد لسانه بالصمت . فأشحت ببصرى عنه حتى لا أرى ما لاح فى عينيه من غمٍّ وعذابٍ ، فإذا بى أرى الحارس الألمـانى ملقى على الرمل ، وإذا هو فى سراويله المشمرة وسيقانه العارية كأنه غلامٌ صغير لم يشبَّ عن الطوق . وكان الفتى قد ثاب إليه رشده ولكنهم كموه .

« فوقفت أنظر إليه برهة، ثم تذكرت فجأة ما فى المدمرة من ملابس فرقة الهايلندر . وقلت لنفسى : لم لا أعطها للبلجيكيين ؟ إن كتيبة من الجنود فى هذه الثياب الأسكتلندية خليقة أن تلقى الرعب فى قلوب الجيش الألمانى المنهوك القوى ، إذ يظنون أن البريطانيين قد أمدُّوا البلجيكيين بعدد من صفوة المحاربين لم يضعضعهم القتال بعد . إنها خدعة يرجى تأثيرها فى النفوس . نعم، وفى وسعى أيضاً أن أزوّدهم بصندوق أو صندوقين من المدافع الرشاشة .

« بدأت أشرح خطتى للضابط البلجيكى، فجعل يسمع لى غير مكترث ، ثم ثار فجأة وقبض على ذراعى وهو يقول : أجل ، أجل حسبها أن تكون بارقة من أمل .

« أسرعت عائداً إلى المدمرة ، فأنزلنا زورقين حملا الثياب والمدافع إلى الشاطىء، وفى أثناء ذلك أعدّ البلجيكيون كتيبتين من الجنود يتلقوننا عند الساحل . وإن أنس لا أنسى ذلك اليوم المشهود — ١٨٠ رجلا قد أحاطوا بالنار وهم يخلعون ثياباً ويلبسون أخرى ، وهم يتضاحكون من هذه الملابس الأسكتلنـدية البراقة الألوان ، ويضعون القلانس مقلوبة تتدلى عَذَباتها على وجوههم الغُبْر الملطخة بالأوحال . ثم وزعنا عليهم المدافع الرشاشة .

« وتمَّ ذلك كله قبل أن يبزغ الفجر بساعة . وأتبعناهم بصرنا حتى أضمرت الكثبان آخر رجل منهم ، ثم عدنا أدراجنا مسرعين إلى المدمرة . وبينا نحن فى طريقنا إلى البحر إذ سمعنا دوىّ مدافع الألمان يؤذن ببدء هجومهم . لقد بدأت المعركة الحاسمة فى هذه الأرض البلجيكية »

قلت : « فذلك يوم فتحوا السدود وصدوا الألمان عن التوغل ؟ »

فأومأ البريطانى برأسه وقال : « هكذا تقول كتب التاريخ . بيد أن الحقيقة هى أن الملابس الأسكتلندية هى التى صدّتهم — وتلك المدافع الرشاشة القليلة أيضاً . لقد أثخن حملة هذه المدافع فى عدّوهم حتى تكدّست جثث قتلاهم وهم يخترقون تلك المستنقعات . لقد كانت أفظع مقتلة بعد مقتلة فردون ومقتلة غاليبولى . لقد كفّ حملة هذه المدافع مرة أو مرتين حتى تتقدم

زحوف الألمان فتلمح هذه الثياب الأسكتلندية، فلما بصروا بها أسقط فى أيديهم من الفزع مما ظنّوه فيلقاً جديداً من الفيالق الأسكتلندية . فلما فتح البلجيكيون سدود الإيزر كانت المعركة قد انتهت . ومنذ تلك الساعة كتبت النجاة لجناح الحلفاء الأيسر ، ولم يستطع الألمان إلى آخر يوم فى الحرب أن يتقدموا شبراً واحداً فى أرض بلجيكا » .

— ٤ —

فاستفزّنى العجب فقلت : « ويحك أيها الرجل ! ألم تحدّث أحداً قط بهذا ؟ ألم يعرف خبره أحدٌ قط ؟ »

فقال : « بلى ، عرفه إنسان آخر ، رجل واحد فقط . فمنذ ثلاث سنوات مررتُ بتلك المنطقة من الساحل ، فحدثتنى نفسى بأن هذا اليوم هو تمام عشر سنوات كاملة منذ رسوت أنا وأصحابى على الشاطىء ، وغلبنى الشوق إلى أن أرى تلك البقعة مرة أخرى . فرست بنا السفينة عند ميناء أنتورب فى صباح ٢٩ أكتوبر ، فلما أمسى الليل كنت فى نيوبورت ، ولم يكن فى الفندق نزيلٌ سوى رجل واحد ، وكان فتىً ألمانياً اسمه جنزْ بتشل . وجمعتنا المائدة عند العشاء .

« فلما أوغل الليل قمت أضرب فى الطرقات قاصداً شاطىء البحر ، وسرعان ما بلغته وبينا أنا أسير على مهل ، إذ بصرت برجل جالس على جذع شجرة ، فجفلت لرؤيته . ثم تبينته فى ضوء القمر فإذا هو بتشل رفيقى فى الفندق . فضحكت وسُرِّى عنى فناديته باسمه . .

« جلسنا فى ذلك المكان ندخن ونتحدث ثم انتهى بنا الحديث إلى أن سألنى ما الذى أقدمنى إلى نيوبورت فى شهر أكتوبر . فقصصتُ عليه قصتى ، كما رويتها لك لم أخرم منها حرفاً . وأذكر أنى لم أكد أفرغ حتى اعترانى ضربٌ من الندم كأنى بحت بأكثر مما كان ينبغى أن أبوح به . فأردت أن أدارى ما كان منى فقلت كالمداعب : « هكذا كان يا بتشل ، فأنا الرجل الفرد الذى حاز النصر للحلفاء ! »

« فأمسك الألمانى ساعدى مترفقاً وسألنى : « أتعلم من أكون أيها الصديق ؟ أنا الرجل الذى يحمل وِزْر هزيمة الألمان ، أنا الحارس الذى باغتوه نائماً » .

« كان حقاً ما قاله . وقد ظلّ عشر سنوات وهذا « الوِزْرُ » ينهش قلبه نهشاً من فرط الندامة على ما فرط منه حتى كاد يجنُّ . ثم قال لى بلهجته الساذجة البريئة إنه يلمُّ بهذه الناحية التى شهدت ما اقترفه من الإثم حتى يتخلص من بشاعة هذه الشعور . ومنذ وضعت الحرب أوزارها

وهو يرى بعينيه فظائع الثورة فى بلاده ، ويرى الجوع يفتك بالأحبة من بنى جلدته ، فلا يزال يحس أنه هو وحده الذى يحمل وزر هذه الجناية الفظيعة وأثقالها . وهو يعتقد أنه لو كان ظل يقظاً فى تلك الليلة ، لما عاق الألمان عائق عن أن يقضوا ليلة عيد الميلاد فى باريس .

« وقفنا فى تلك البقعة من رمال الشاطىء يغمرنا ضياء القمر ، وجعل كلانا ينظر إلى صاحبه : الرجل الذى حاز النصر لقومه ، والرجل الذى جر الهزيمة على قومه . ثم انثنينا نسير الهوينا على سيف البحر . لم يكن بيننا شىء يمكن أن يقال » .

فسألت برادمان : « ألم تر بتشل منذ ذلك اليوم ؟ »

فقال : « كلا ، لم أره مرة أخرى » ، ثم ألقى نظرة إلى الصرة التى كانت إلى جواره ثم مضى يقول : « كان يكتب إلىّ وأكتب إليه مرة فى كل عام ، وكان يعمل فى مسبك للحديد على مقربة من درتمند . فمنذ أسبوع واحد كتب إلىّ من المستشفى كتاباً يذكر حاجة فى نفسه يسره أن أقضيها له ، وقال : « سيصلك صندوق فيه بعض النُّفايات » ، وسألنى أن أدفنه فى رمال شاطىء البحر على مقربة من نيوبورت .

ثم قال برادمان : « وأنا الآن فى طريقى إليها ، وهذا هو الصندوق » .

وفكّ الورق عن الصرة ، فإذا فيها قارورة منحوتة من حجر ، مكتوب عليها : « جنرْ بتشل » .

غرائب الناس

قل النقد فى يد أمّ ذات يوم فاحتالت حتى تقترض المال الموفر لطفلها فى حصّالة ، فلما فتحتها وجدت فيها ورقة من زوجها هذا نصها : « أنا مدين لهذا المصرف بخمسة ريالات » .

ذهب رجل فى مدينة جرسى يدعى توماس إلى الشرطة وأبلغ أن سيارتهُ قد سرقت ، فتبين رجال الشرطة بعد البحث أن هذه السيارة قد سرقت مرة من قبل — وأن سارقها هو توماس نفسُه !

أضاعت سيدة فى شيكاغو كلبها فأبلغت الشرطة ، فطلبوا منها أن تصف لهم العلامات المميزة للكلب فقالت : « طلاء أحمر على أظافره » .

[مجلة تايم]

تدل التجارب على أن رأس سلامة العمال هو سكينة نفوسهم

هل أنت عرضة للخطر ؟

لورنس جالتون

مختصرة من مجلة "عمل الأمة"

لم يزل أهل الرأى من رجال الصناعة يقولون منذ سنين إن اتقاء الحوادث المؤذية أو المهلكة فى المصانع شىء مستطاع ، ولا يقتضى هناك سوى أن تكون أرض مصنعك أرضاً لا يزلق عليها العامل ، وأن تقيم الحرّاس على الآلات حتى لا يدنو منها عمال من غير أهلها ، وأن تعلق لوحات التنبيه والتحذير على الجدران . هذا كلام حسن حتى نسمع ما كان من أمر العاملة مارى جونز.

فقد أصيبت مارى فى ١٦ حادثة فى خمس سنوات، ولكنّ سواها من العمال والعاملات الذين يؤدون نفس عملها لم يصابوا قط . فصارت مارى فى آخر الأمر موضوع بحث مستفيض ، فأسفر البحث عن أنها فتاة سريعة الغضب ، وأن أباها سريع الغضب أيضاً ، فكان الشجار كثيراً بينهما .

فلما أقنعتها إدارة المصنع أن سبب الحوادث التى أصيبت فيها قد يرجع إلى اضطراب عواطفها الناشىء عن معيشتها فى بيتها ، اتخذت مارى خطوة حاسمة . فاستأجرت شقة صغيرة استقلت بها ، فلم تصب منذ ذلك اليوم فى حادثة ما .

ومنذ سنوات كان الفتى بل كنج يعمل فى شركة كبيرة للسكة الحديدية. وكان معدل إصابته فى الحوادث التى تقع له عالياً يبعث على القلق، مهما تباينت الأعمال التى يؤديها. وأخيراً حدثت له حادثة فقد فيها إحدى عينيه. وقد كان جسمه سليما لا يشكو مرضاً ولا ضعفاً ، ولكنه كان فريسة همّ يأكل قلبه، فقد اقترض مئة ريال من مراب جشع يوم تزوج . ومع أنه سدد للرجل مئة ريال أو أكثر، فقد بقى مديناً بمئة ريال، ولم ير حيلة تمكنه من أن يفك نفسه من ربقة هذا الدين .

فعنى أحد محامى الشركة بالأمر وأغلظ فى كلامه مع المرابى ، فألغى الدين، ولم يصب بل منذ ذلك اليوم فى حادثة ما .

فهذان العاملان — مارى وبل — كانا

مريضين فى نفسهما وعواطفهما ، وقد بلغ منهما المرض مبلغاً جعلهما عرضة للحوادث وإن لم يجعل لجوءهما إلى الطبيب أمراً ضرورياً . وقد كشفت حالات كثيرة من هذا القبيل فى السنوات الأخيرة . فهذا سبب أصيل من أسباب الحوادث الصناعيـة التى تهلك ألوفاً من العمال كلّ سـنة وتؤذى ملايين منهم .

والهمّ من أكبر أسباب الحوادث التى تؤذى العمال . وقـد قالت الدكتورة ليديا جبرسون الطبيبة النفسانية المختصة بمسائل عمال الصناعة : « لن تجـد عاملا يصرف ذهنه عن كونه أباً أو عاشقاً أو سـابحاً فى الأحلام أو مبغضاً ، لأنه قد ارتدى ثياب العامل . وإنك لتجد بين حساب البقال والساق المكسورة ، صـلة أكبر وأقوى مما يقدره صاحب العمل » . وقد يفضى حدوث وفاة فى الأسرة ، أو شبوب نار فى البيت ، أو هرب خطيبـة مع رجل آخر ، إلى أن يصاب العامل بذهول مؤقت . فمن الخير أن لا يحتم على الموظف أن يتولى عمله خلال الأيام التى يعانى فيها آلام هـذه النوائب والملمات .

وقد أخذت الدلائل تتجمع منذ سنة ١٩٢٩ على أن بعض الناس أشدّ تعرضاً للإصابة فى الحوادث من غيرهم ، ففى تلك السنة كشفت إحدى شركات السكة الحديدية أن ٣٠ فى المئة من موظفيها كان لهم شأن فى ٤٤ فى المئة من الحوادث التى وقعت لها .

ومنذ بضع سنوات جربت أربع شركات كبيرة أن تقلل الحوادث التى تقع لرجالها ، فلم تجـد شيئا يعلل إصابة عدد معين من سائقى سياراتها مرة بعـد مرة . وأخـيراً نقل الرجال الذين كثرت إصابتهم فى الحوادث إلى أعمال أخرى ، فقلت حوادث سيارات النقل ، ولكن سرعان ما أصيب العمال المنقولون أنفسهم فى حوادث فى أعمالهم الجديدة .

ومنذ عهد قريب اهتمت مؤسسة مالية كبيرة بزيادة الأسباب التى تضمن سـلامة الموظفين فى مكاتبها ، فأعِدّ كشف ذكرت فيه أسماء مئة من الموظفين الذين أصيبوا فى أكبر عدد من الحوادث . وقد أصيب كثيرون منهم فى ثلاث حوادث فى السنة ، وأصيب بعضهم فى خمس حوادث أو أكثر . ثم أرسل الكشف إلى الطبيب النفسى الذى تستشيره الشركة ، فإذا صاحب كل اسم ذكر فى الكشف معروف للطبيب النفسى بأنه مضطرب العواطف .

والاهتمام بمقابلة الموظفين قبل تعيينهم ومحادثتهم ، هو الوسيلة إلى تبين مبلغ تعرضهم للإصابة فى الحوادث . والذين يتولون هذا العمل ينبغى أن يدربوا حتى يحسنوا تبين

المتاعب التي يعانيها طالب العمل في حياته .

ثم إن دراسة مايقع للمرء من الحوادث التافهة تكشف العامل أو الموظف قبل أن يصاب في حادثة فادحة، فيعين في عمل يكون فيه غير معرّض للخطر .

وقد ظلت عاملة شابة تأتي إلى القسم الطبي في شركة كهربائية لتعالج من إصابات يسيرة كانت تحل بها ، فوجدوا أنها تعاني داء الروماتزم وضعفاً في العينين وتفزّزاً شديداً في الأعصاب ، فنقلت إلى عمل لاتتعرّض فيه للخطر ، ودأبوا على تنبيهها في الحين بعد الحين إلى ماينبغي أن تراعيه من أجل سلامتها . ولم تزل حتى الساعة على خير حال .

وينبغي أن يدرّب المفتشون فيكون تدريبهم نافعاً للشركة كلها . فالهموم التي يعانيها العمال ، ولا سيما الهموم المالية ، تخف وطأتها على نفوسهم بعد الحديث مع مفتش شديد العطف عليهم ، فيكون في وسعه أن يقوى عزائمهم وأن يرشدهم أحسن إرشاد.

على أن الانتفاع بطبيب نفسيّ يعدّ من خير الوسائل لمعالجة مشكلة تعرّض العمال والموظفين لخطر الإصابة في الحوادث، لأنه يستطيع أن يعينهم على حل ما يعانونه من مشكلات العواطف . وقد راجعت إحدى الشركات سجل الحوادث التي تقع في أحد مصانعها ، فوجدت نفراً من الموظفين في أحد الأقسام يصابون في عدد كبير من الحوادث يزيد على المألوف ، فبحث الطبيب النفسي الموضوع فتبين أن العلة هي مفتش لايستلطفه العمال فيستفز أعصابهم فيما يعمل، فحدثه الطبيب حديثاً مستفيضاً فانقطع وقوع الحوادث .

وقد درست حالة شابة كانت كثيراً ماتصاب في حوادث تافهة ، فأسفر الدرس عن أنها مافتئت منذ صغرها عرضة للإصابة في أمثال هذه الحوادث، وكانت إذا ما أُصيبت وهي طفلة تنال اهتماما خاصاً من أهلها ، فصارت إصاباتها تتوالى لأنها أصبحت تعتقد عن غير وعي منها أن الإصابة خير وسيلة لكي تظفر بعطف أهلها . فلما دلها الطبيب النفسي على الحقيقة دهشت — ثم اقتنعت ، وسرعان ما صارت كسواها من العمال بمأمن من الحوادث .

وقد أخذت الشركات الكبيرة تدرك حقيقة هذه المشكلة ، فإذا ما ظفرت بحلها أجدى ذلك على الصناعة جدوى كبيرة ، فتقل الحوادث في المصانع وخارج المصانع أيضاً ، لأن عدد من يصيبه الأذى أو من يهلك من العمال في حوادث تقع لهم في بيوتهم أو في الشارع، أكبر من عدد الذين يلحقهم الأذى أو يهلكون في حوادث تقع لهم وهم يؤدّون أعمالهم .



لغز الهدف الحيّ

فلتون أورسلر
مختصرة من مجلة "المشعوذين"

أصدر قاضى التحقيق قراره بأن الوفاة وقعت قضاءً وقدراً ، وظلت اسكتلنديارد زهاء ثلاثين سنة وهى تعدُّها قضية قد فرغ منها . ولكن نهاية شونج لنج سو الحاوى الشرقى لم تكن ولا ريب من هذا القبيل .

وقد بدأت هذه القصة العجيبة فى مطلع هذا القرن حينما وجد حاوٍ محترف يدعى وليم إلزودث روبنسن أنّ أبواب العمل قد سدّت فى وجهه .

ولم يكن مرجع إخفاقه إلى أنه غير ماهر فى عمله ، فقد ظل سنين عديدة يعمل فى الفرق الجوّالة يعرض على الجماهير خفة يده وألعابه السحرية ، ويحلم باليوم الذى يرتفع فيه اسمه إلى مصاف النجوم . ولكن الذى كان يعوزه هو القدرة على أن يجعل من نفسه فوق المسرح شخصية جذابة تخلب لبّ الجماهير ، فكانوا يراقبونه ببرود وهو يمد يده إلى الفضاء فترجع ملأى بقطع من النقود أو ممسكة بأرنب حىّ . وقد قال عنه مرة أحد قساة النقاد إنه لو أحيى الميت لما تحرك أحد من النظارة دهشة أو ارتياعاً .

وضاق ذرعهُ يوماً فقال لزوجته ، وتسمى دوت ، وهى فتاة رقيقة الجسم راجحة العقل تظهر معه على المسرح حين يقوم بألعابه :

« لا فائدة من الاستغراق فى الأحلام ، ولا مفرّ لى من البحث عن عمل آخر لئلا نهلك جوعاً » .

فأجابته غاضبة : « صه أيها الرجل ، ولا تفقد الثقة بنفسك ، فإنك بارع فى صناعتك وستواتيك الشهرة يوما ما » .

ووقع بصر روبنسن ذات يوم على إعلان عن فرقة من الحواة الصينيين يعرض فيها زعيمهم ألف ريال لمن يستطيع أن يقلد ألعابه .

وروى روبنسن الخبر لإيك روز ، وهو صاحب مكتب لتوظيف اللاعبين المزليين ،

وقال له : « فعسى أن أظفر أنا بهذا المبلغ » .

ودهن روبنسن وجهه بطلاء أصفر ، وارتدى ثوباً فضفاضاً من الحرير ، واعتلى خشبة المسرح ليعلن قبوله للتحدى . فلما رأى الحاوى الصينى هذا القادم ، بدأ يزمجر ويصرخ قائلا : « إن الأمريكيين هم وحدهم المقصودون بهذا التحدى » ، وأمر بطرد روبنسن ، فأخرج من المسرح عنوة .

فاستخفه الفرح وقال لصاحبه روز : « لقد حسبنى من الصينيين ، وهذا ما يلهمنى فكرة عجيبة » .

فاستجاب صاحبه لحماسته ، وكان روز ذا موهبة عظيمة فى الترويج لأمثال روبنسن من الحواة ، فبدأ يدرّ به على المضحكات الشائقة وغرائب الألعاب السحرية التى اختص بها الحواة الصينيون .

وكان هذا أول السبيل الذى انتهى به إلى لندن فى شهر مايو سنة ١٩٠٠ ، حين دخل أحد فنادقها الفخمة رجل مائل العينين ، على ظهره ضفيرة طويلة ، وهو يدلف فى ثوب حريرى فضفاض ، وقيد اسمه فى سجل الفندق « شونج لنج سو الشهير » وجاء فى صحبته فرقة من البهلوانات ، ومعهم فتاة رقيقة الجسم مائلة العينين تسمى « سوس سين » هى امرأته دوت نفسها .

وأقبل مراسلو الصحف فوجدوا شونج متربعاً فوق وسائد من الحرير تحت قناديل صينية تتدلى من أعواد الغاب ، وأخذ يكلمهم برطانة عجيبة ، فيقول لهم المترجم إنه يحدثهم عن آرائه فى ثورة الصين وتجارة الأفيون . وشرب الصحفيون خمراً لذيذة من منتجات الصين ، وقدم إليهم عشاء من بيض البط القديم ، والمحار المقدد فى الشمس ، وجذور الزنبق .

وفى ليلة الافتتاح تدفق الجمهور على مسرح الحمراء الشهير ، ووقف أيك روز فى نهاية الصفوف يرقب ارتفاع الستار وهو يرتجف ، فلو خان صاحبه التوفيق فى تلك الليلة لغرقوا جميعاً فى بحر من الديون .

ودخل المسرح رجل ذو شخصية جديدة تتجلى فيه الجرأة وتحوطه الأسرار ، وتنم حركاته عن السخرية والاستهزاء . وخلبت الدهشة ألباب الحاضرين حين رأوه يلوح بيده الصفراء فتنبت تحتها حدائق ذات أزهار يانعة . وكان أكبر تصفيقهم حينما رأوه يأخذ من يده قطعاً صغيرة من الورق فيجدل منها كيساً كبيراً يقذفه فى الهواء ، فيتساقط مطر من الورق الملون تنشقّ من خلاله سوس سين وتسقط فى أحضان هذا الأستاذ العظيم .

ولما نزل الستار لم يبق ريب فى أن شونج لنج قد أصبح أكثر الحواة شهرة فى هذا القرن ، وصار فتنة الجماهير . أما وليم روبنسن المشئوم فقد ذهب إلى غير رجعة .

ظل هذا الدعىّ يصرف جُلّ وقته فى المحافظة على شخصيته الجديدة ، وأخذ يجول الطرقات وعلى وجهه طلاؤه الأصفر، ويذهب إلى شاطىء البحر ليعرض جسمه الأصفر أيضاً لأشعة الشمس. وظل يجاهد فى تجميع عضلات شدقيه فوق خديه حتى ثبتت فى مكانها، واقتصر كلامه على رطانة التقطتها أذنه من الحىّ الصينى فى نيويورك ، أما إذا تكلم الإنجليزية فإنه ينطقها بلهجة الصينيين ويجعلها ملأى بالأغلاط ، بل صار هذا دأبه أيضاً حينما يخاطب زوجته دوت .

ولكن دوام الحال فى هذه الدنيا من المحال ، فإن شينج لنج فو الساحر الصينى العملاق الذى طرد روبنسن ذات يوم من المسرح ، كان يستجم فى ذلك الوقت فى شنغهاى بعد جولته المربحة فى الولايات المتحدة. وأحسّ هذا الحاوى الثرى أنه بدأ يضيق ذرعا بالبطالة، فلم لا يقوم بجولة أخرى ، ثم إنه لم يزر لندن من قبل .

ولم يكن هذا الحاوى الصينى قد سمع بهذا الرجل الذى اتخذ لنفسه اسما على وزن اسمه ، ولكنه حينما حلّ بلندن رأى إعلانات كبيرة عن « شونج لنج ســـو الحاوى الأول فى البلاط الصينى، وخريج معبد السماء ، وأكبر ساحر فى العالم » .

فتمتم شينج غاضباً : « ياله من محتال ! »

وظهر شينج على مسرح الأمبير المواجه للمسرح الذى يلعب فيه شونج ، وقد أعجب به الجمهور أيضاً إعجاباً شديداً، ولقد شهدت ألعابه، ولن أنسى أعجبها وهى تلك اللعبة التى يقف فيها هذا الساحر العملاق على المسرح وهو عار لا تستر عورته إلا خرقة صغيرة ، ثم يجرى على المسرح ويقلب جسمه فى الهواء بعد أن يعتمد على يده ، ويقفز قفزة عالية ثم يعتـــدل ، فإذا فى يده وعاء مملوء ماءً يسبح فيه سمك أحمر ، وهذه لعبة تخلب الألباب، ولكن شونج ظل مستأثراً بإعجاب الجمهور .

ومن أجل هـــذا ظهر التحدى الآتى فى جريدة الويكلي ديسباتش اللندنيـــة : « أقدم أنا شينج لنج أكبر سحرة الصين ، ألف جنيه لمبرّة اللبن ، إذا اســـتطاع شونج لنج سو أن يأتى بعشرة من العشرين لعبة التى أقوم بها ، أو إذا أخفقت أنا فى القيام بأية لعبة من ألعابه » .

وحـــدد يوم ٧ يناير لإجراء هذه المبارزة العجيبة بين فنون السحر .

واستقبل شونج لنج ، وهو هادىء غير مكترث سيارة حمراء كبيرة واخـــترق بها طرقات لندن ساعة ازدحامها بالمارة ، ولم تكن لندن قد شهدت أمثال هذه السيارة فى سنة ١٩٠٥ ، وكان غطاؤها مطوياً

فأخذت الشرطة فى صد الجماهير المتجمعة عنها، ووقف اثنان من البهلوانات على رأسيهما وراء سيدها يظللان وجهه بمظلات قرمزية يمسكانها بأصابع القدمين . وهكذا سار فى هذا الموكب الفخم إلى مكان المبارزة . لقد وصل شونج لنج سو ، ولكن أين شينج لنج فو ؟

وبعد قليل أقبل صبى يلهث، ومعه رسالة من المتحدى هذا نصها: «عليك ياشونج لنج سو أن تثبت أمام المفوضية الصينية قبل المبارزة أنك من رعاياها » .

فضرب صاحبنا الأمريكى الحصيف بيده على بطنه وضحك ضحكة عالية وقال : « لقد هرب شينج . . ولكن لا بأس ، سأقوم أنا بألعابه وألعابى أيضاً . وفضلا عن ذلك سأدفع لمبرة اللبن ألف جنيه ».

لقد فتنت به الجماهير لخفة روحه وحضور بديهته ، وعاد الساحر الصينى الأصيل إلى بلده مخلفاً غريمه فى أوج مجده .

ولكن شيطان الغواية جاء يطرد صاحبنا من جنته، فقد رأى فتاة جميلة سوداء الشعر تجلس الليلة بعد الليلة فى مقصورة بعينها لاتتحول عنها وهى ترمقه بإعجاب ، فأرسل الساحر باقة من الزهر إلى هذه المجهولة الجميلة ، فجاءته منها رسالة معطرة .

ولم يلبث أن وصلته دعوة إلى بيت فى إحدى ضواحى لندن ، ووجد عشاء أعد بذوق جميل فى أطباق صينية ، وانعقدت بينهما أواصر الصداقة، وكانت الفتاة تسمى « استلاّ » أى النجم ، فكانت آخر نجم بزغ فى سماء هذا الساحر .

كان شديد الثقة بأن مغامرته هذه ستظل كباقى ألعابه سرًّا مكتما ، ولكنه وجد ذات يوم على منضدة حجرته فى المسرح رسالة غُفلاً هذا نصها : « إلى متى تظن أنك تستطيع خداع زوجتك ؟ لاتنس اللعبة التى تتلقى فيها بيدك الرصاصة المنطلقة نحوك ، فإن زوجتك هى التى تطلق البندقية ! »

واستبعد أن تكون زوجته هى التى كتبت له هذه الرسالة ، فها هى تبتسم له متوددة كعادتها ، أم هو واهم ؟

وكان شونج كلما قام بلعبة «صيد الأحياء» يتذكر تلك الرسالة الغُفل . أصدقته عيناه — أم هو واهم — حين يرى هذا الوجه الدقيق ، وجه زوجته ، يزداد أثناء هذه اللعبة تجهما وصرامة ليلة بعد أخرى. فبرح به هذا الشك المرير ، فقال لها ذات يوم إنه قد عزم على إلغاء هذه اللعبة لما فيها من خطر ، فضحكت سوس سين وقالت له إنه قد هرم، فأقسم من فوره أنه لن يعدل عنها .

وبدأ يساوره خاطر آخر : لماذا يظل

يدعى أنه صينى ؟ وطلب إلى « استلا » أن تفرّ معه ، فإذا الدهشة تعروه حينما سمعها تجيبه : « الزواج ؟ كلا ياشونج ، فأنا لن أتزوج إلا رجلا من بنى جلدتى الأمريكيين »

تردد الساحر لحظة ، ثم اندفع يقول : « أنا أمريكى . . . وسأثبت لك ذلك » ، وارتدى فى اليوم التالى ثياب الغربيين وسار إلى دار صديقته ، فلما فتحت له الباب قال لها : « أتصدقين الآن؟» فأخذت تحملق فيه وقد غلبتها الدهشة، فأين ذلك الرجل الشرقى الساحر الذى خلب لبها ؟ إنها لا ترى أمامها إلا رجلا قميئاً لا تنسجم عليه ثيابه ، وتدل لهجته على أنه من العامة .

ووصلته بعد يومين رسالة من استلا تنبئه فيها بأنها ستتزوج أحد معارفها فى الولايات المتحدة .

وجلس شونج لنج سو ساعات طويلة غارقاً فى ذهول ، ثم قام وسار متثاقلا إلى مكتب ويل جولدستن المتخصص فى صنع أجهزة ألعاب السحر وأفضى إليه بسره ، وقال له :

« كان لى قلبان بين جنبىّ كلاهما يكره صاحبه . أما أحدهما فيحب امرأة لا تريده ، وأما الآخر فله زوجة يخشى بوائقها . فحرمت بذلك الأمن والراحة » .

فقال له صاحبه : « وعلى أى شىء عزمت ؟ » فأجابه « لا أدرى » .

وفى تلك الليلة دخل جولدستن وهو قلق حجرة روبنسن أثناء الاستراحة ، فوجده قد ارتدى ثياب المسرح وفى يده البندقية التى سيستعملها فى أخطر ألعابه ، فكلمه صديقه وألح عليه أن لا يقوم بهذه اللعبة فى تلك الليلة ، فوعده وقال له إنها آخر مرة يقوم فيها بها . ثم نظر إلى ساعته — وقد بدت عليه أمارات الحزن والأسى — فوجدها كادت تبلغ الثامنة مساءً . وهذا هو المسرح مزين بأستار قرمزية ، فإذا اندلع فيه لهيب أزرق وانبعث دخان فضى أبيض برز الأستاذ الساحر العظيم . أنظر إليه ، إن فى يده سلسلة من المناديل الملونة تتحول أمام ناظريك إلى أعلام لمختلف الجيوش يطير من بينها حمام أبيض يرمز للسلام . ثم يتناول منديلا شفافاً ويلوح به فى الهواء ثم يطويه فيستخرج من بين طياته وعاءً ضخماً من البلّور مملوءًا ماءً يسبح فيه سمك أحمر — ويتمتم الساحر بشىء من العزائم ، فيتخذ الوعاء شكل بارجة ترمى بسهام نارية تلف بغلالتها فتاة رقيقة الجسم ذهبية البشرة هى سوس سين ، فإذا بها ترتفع فى الهواء ثم تهبط مغمضة العينين كأنها غارقة فى حلم . ويقبل بهلوانات آخرون بأيديهم أطواق من الخشب يفصلون بها جسد الفتاة عن الفضاء ليثبتوا أنه معلق بغير حيلة ، ثم يدحرجون

هذه الأطواق إلى النظارة ليتأملوها .

ثم يخلو المسرح فجأة من اللاعبين إلا فتى في ثوب أخضر يقفز قفزاته، ويعلن للنظارة: « سنريكم الآن كيف نجا شونج لنج سو من القتل في إحدى معارك الثوار، فليتطوع ثلاثة أو أربعة من النظارة ليطلقوا عليه الرصاص » .

ويأتى أربعة من النظارة ، وهم ليسوا من أعوان الساحر، فيعتلون خشبة المسرح ويدار بالرصاص على الحاضرين ليتفحصوه، ثم تضع سوس سين هذا الرصاص بعينه فى البنادق التى يحملها الأربعة المتطوعون .

تعزف الموسيقى لحناً خافتاً مؤثراً، ويقبل أربعة من الصينيين فى ملابسهم الوطنية وهم يحملون شونج على مقعد من خشب الأبنوس، ثم ينزل الساحر وفى يده اليمنى وعاء من الصلب، وهذا هو الوعاء الذى ظل الساحر يبصق فيه الرصاص من بين أسنانه مئة ليلة متتالية.

ويقف شونج فى ركن المسرح ويومىء بإشارة ، فيشرع الرجال فى تسديد البنادق إليه ثم يصرخ :

« اطلقوا النار ! »

انطلقت البنادق تلك الليلة فبسط شونج ذراعيه وتمايل ثم سقط على الأرض، فضحك الحاضرون ظنا منهم أن مايرونه هو من حيل الساحر ، فلم يسبق لممثل أجاد تصوير الموت كما فعل . ونزل الستار بين الهتاف والتصفيق .

ورقد الساحر وراء الستار جسداً هامداً قد فارقته الحياة تنزف الدماء من جرح عميق فى ناحية قلبه، وجثمت إلى جانبه سوس سين البريئة تحضنه بين ذراعيها .

وقد صرح هودينى الساحر الشهير بأن الرصاص فى هـذه اللعبة لاينطلق قط من البنادق ، وأن الساحر يخبىء فى فمه رصاصاً مشابهاً يبصقه فى الوعاء بعد الطلقات ، فلا جدال فى أن الجهاز المركب فى البندقية لمنعها من الانطلاق لم يعمل عمله فى تلك الليلة .

ولكن جولدستن هو الذى أدرك — بعد أن رأى تلك البنادق فى حجرة الساحر — أن شونج نفسه هو الذى أفسد جهاز البنادق. وتحولت ريبته إلى يقين حينما رأى بعد ذلك ماجرى على المسرح، إذ كان من عادة شونج أن يزيد فى الاحتياط والتوقى ، فيرفع الوعاء الصلب أمام قلبه ، ولكنه لم يفعـل ذلك فى تلك الليلة حينما أمر بإطلاق الرصاص. ولو كان فعل لأنقذه هذا الوعاء ، لأنه من معدن صلب لايخترقه الرصاص .

لم يكن يريد أن يتقى المنيّة ، فقتل أحد القلبين المتباغضين صاحبه ، وهوت الجثة التى تحتوى القاتل والمقتول جميعاً .

مؤلف كتاب « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس » يعرض طريقة لتهذيب النفس بأن تحاسبها .

حماقات ارتكبتها

ديل كارنيجي
مختصرة من مجلة "يور لايف"

قال إلبرت هيرد مرة : « كل إنسان يطيش خمس دقائق على الأقل كل يوم. والحكمة هي أن لا تتجاوز هذا الحد» .

وأنا أتخذ مذكرة عنوانها «حماقات ارتكبتها» ، وأعيد النظر فيها فتساعدني على حل أكبر مسألة أواجهها : وهي علاج أمر ديل كارنيجي .

حدثني ذات مرة هـ . ب . هاول المالي الذي بدأ حياته كاتباً في متجر بالريف ثم صار مديراً لشركة كارنيجي ، عن أحد أسباب نجاحه فقال : « لم أزل منذ عدة سنين أتخذ مذكرة أدون فيها كل مواعيدي. وفي مساء كل سبت أفتحها وأفكر في المقابلات التي جرت لي ابتداء من صباح يوم الاثنين . وأسأل نفسي : ماذا ارتكبت من أخطاء ؟ وكيف كان يمكن أن أكون أحسن عملا ؟

« وكان هذا التحليل الأسبوعي لنفسي يشقيني أحيانا، ولكنه أفادني أكثر مما أفادني أي شيء آخر حاولته » .

وعسى أن يكون هاول قد أخذ فكرته من فرانكلين الذي كان كل ليلة يحاسب نفسه حساباً عسيراً، فتبين أن فيه ثلاثة عشر عيباً كبيراً ، منها ثلاثة عيوب هي : تضييع الوقت ، وتجسيم التوافه ، ومجادلة الناس .

وكان فرانكلين يغالب عيباً من هذه العيوب كل يوم مدة أسبوع ، ويسجل أيهما كان له الفوز في هذا الصراع . وفي الأسبوع التالي يغالب عادة سيئة أخرى ، وظل على هذا الحال عامين . ثم كتب يقول: « هناك ثلاثة أشياء عسيرة : الصلب ، والماس ، وأن تعرف نفسك » .

ولنفرض أن بعضهم قال فيك إنك « مخرف » فماذا تراك تصنع ؟ إليك ما صنع لنكولن: فقد أراد أن يرضى أحد السياسيين. فوقع أمراً بنقل كتيبة من الكتائب، واعتقد وزير الحربية ستانتون أن في الأمر خطأ جسيما فأبى أن ينفذ الأمر، وقال إن لنكولن « مخرف » إذ أصدر هذا الأمر .

ولما علم لنكولن بما قاله ستانتون كان جوابه: « إذا كان ستانتون قد قال إني مخرف فلا بد أن أكون كذلك ، فإنه دائماً تقريباً على صواب . وسأذهب إليه وأرى» . وأقنعه ستانتون بأن الأمر الذي أصدره خطأ ، فعدل عنه لنكولن .

ونحن جميعاً نمتعض من النقد ، ولكنه ينبغي أن نرحب به ، لأنه لا مطمع لنا في أن نكون على صواب أكثر من ثلاث مرات من أربع مرات ، أو هذا على الأقل ما كان تيودور روزفلت يقوله وهو في البيت الأبيض ، وكل ما يستطيع أن يطمع فيه . ويعترف أينشتين بأن النتائج التي ينتهي إليها تكون خطأ في ٩٩ في المئة من المرات.

وقال لا روشفوكول : « إن أعداءنا يكون رأيهم فينا أدنى إلى الصواب من رأينا في أنفسنا » .

وكان ا . هـ . لتل رجلا يرحب بالنقد المخلص ، ولما صار وكيلا لبيع الصابون لشركة كولجيت ، كانت الطلبات تبطىء عليه ، فقلق وخشى أن يفقد عمله . ولما كان الصابون لا عيب فيه ، فقد بدا له أن العيب فيه هو . فكان أحيانا ، إذا أخفق في عقد صفقة ، يذهب إلى التاجر ويقول : « لقد جئت لأستشيرك وأطلب رأيك وملاحظاتك ، فهل لك أن تتفضل وتبين لي خطأي حين حاولت أن أبيعك الصابون منذ برهة ؟ وأرجو أن تكون صريحاً » .

فكانت النتيجة أن اكتسب أصدقاء كثيرين ، وأن فاز بنصائح ثمينة ، وهو اليوم رئيس شركة صابون كولجيت .

إن ما فعله هاول ، وفرانكلين ، ولتل ، لا يقوى عليه إلا رجل كبير ، فلماذا لا تسأل نفسك : أأنت من هذا الضرب من الرجال؟

جمود !

عهد إلى إريك جديس في الحرب العالمية الأولى أن يتولى إجراء التوفير اللازم في أقسام الحكومة البريطانية ، فكان يلاحظ في أحد دهاليز الوزارات حارساً يرتدي ثوباً رسمياً ، فسأل عنهُ فقيل له إنه واقف هناك ليحذر الناس من لمس الجدران ، ولم يزل منذ سنين واقفاً هناك يؤدي هذا العمل . ولكن الحارس لم يكن يدري لِمَ يؤديه . وقد تبين جديس بعد بحث مستفيض أن زوجة أحد الوزراء جازت ذلك الدهليز ذات مرة منذ ٣٣ سنة ، يوم كان دهان الجدران طرياً ، فلمس كمها الجدار فعلق به الدهان ، فصدر الأمر في مساء ذلك اليوم بتعيين حارس يحذر الناس من لمس الجدران ، فظل الحراس المتعاقبون يفعلون ذلك ثلث قرن ! » [مجلة فوربز]

مدرسة على جبل

لويس أداميك

مختصرة من مجلة "هاربرز"

بين سلسلتين من الجبال فى ولاية نورث كارولينا نجد بلدة «الجبل الأسود»، فإذا ارتقيت منها على منحدر عريض بلغت كلية الجبل الأسود، وهى بناء كبير رث أشبه ما يكون بفندق ينزله أوساط الناس للاصطياف، وقد استأجره أصحاب الكلية من إحدى جماعات الشبان التى كانت تتخذ هذا البناء مقرًّا للكشافة فى الصيف. ويوم دخلت ردهته التى تشبه مخزناً للعشب الجاف، كنت أتوقع أن أمكث ساعة أو نحوها، ألقى خلالها بعض الأسئلة عن هذا المعهد ثم أواصل رحلتى البهيجة، بيد أنى مكثت شهرين ونصف شهر أدرس نهجاً فى التربية يكاد يكون من أهم مناهج التربية شأناً.

كانت بداية كلية الجبل الأسود فى ١٩٣٣ شيئاً عجيباً. ولست حريصاً على أن أردّ ذلك إلى أن الأستاذ جون رايس فصل من كلية رولنز أيام كان ينشىء لنفسه فلسفة فى التربية والتعليم، بحجة أنه مثير للمتاعب. ولست أردّه إلى المدرسين القلائل الذين ناصروه ففصلوا من مناصبهم. بل أود أن أخص بالذكر خمسة عشر طالباً وطالبة، لا يزيد معدّل عمرهم على عشرين سنة، آثروا مختارين أن ينضموا إلى الأساتذة المتمردين فى مشروع كان تحقيقه يبدو شيئاً مستحيلا، وهو إنشاء كلية جديدة لا يعرف أحد منهم كيف يكون الشروع فى إنشائها، ولا كيف يدبرون لها المال.

ومع ذلك فقد وفق هؤلاء الطلبة فى مساعدة المدرسين على جمع المال الكافى لاستئجار البناء الذى وجدوه على الجبل الأسود، وشراء المعدّات اللازمة للفصول، والطعام الذى يكفيهم بضعة أشهر. وقد جمع الأساتذة والطلاب ما عندهم من كتب، وأطلقوا على مجموعها اسم «مكتبة الكلية». واتفقوا على أن يتطوع كلٌّ منهم للنهوض ببعض الأعمال اليدوية، واكتفى الأساتذة فى السنة الأولى بالمال اللازم لملابسهم وبشىء من نفقاتهم، فإذا متوسط

لويس أداميك كاتب أمريكى من أصل يوغسلافى، مؤلف «الضحك فى الأدغال» و«عودة المواطن» و«عشاء فى البيت الأبيض».

ما سحبه كلٌّ منهم من خزينة المدرسة ١٧٥ قرشاً فى الشهر . وقد ازداد عدد المدرسين والطلاب ازدياداً مطرداً ، ولكن الحدّ الأقصى لعدد الطلاب لن يعدو ١٢٥ طالباً ، أما المدرسون فلن يزيد عددهم على ٣٠ مدرساً ، لأن التربية التى تسعى كلية الجبل الأسود إلى تحقيقها لا تتيسر إلا فى كلية صغيرة .

وقد عزم متمردو كلية رولنز أن يعودوا بالتعليم إلى الرأى القديم ، أى أن يكون لكل طالب أو لكل فئة قليلة من الطلاب مدرس يتولى تدريس الموضوع الذى يجيده . ولذلك ترى كلية الجبل الأسود ليس لها مجلس إدارة ولا مدير ولا موظفون لهم من السلطان ما يعينهم على التدخل فى عمل المدرسين. والأستاذ رايس هو عميد الكلية ، ولكن مجلس الزملاء هو الذى يبت الرأى فى كل قرار خطير ، وهو مجلس يضمُّ ممثلى المدرسين ورئيس هيئة الطلبة . والطلبة يحكمون أنفسهم بأنفسهم ، وممثلوهم يعقدون مع ممثلى مجلس المدرسين اجتماعات متعاقبة ، فيكون الأعضاء فيها أنداداً وأكفاء . وفى كل شهر أو نحوه يعقد جميع المدرسين والطلاب اجتماعاً عاماً يبحثون فيه المسائل التى تهمهم .

وقد عهد إلى جون رايس فى أول الأمر أن يضع خطة التعليم . ولباب فلسفته فى التربية أن مهمة الكلية هى إرشاد الشباب حتى يبلغوا مرتبة النضج الفكرى والعاطفى ، وهو يقول : « ينبغى للمدارس أن تخرج للناس قوماً لا يمتازون بما يعرفون ، بل يمتازون بما يسعهم أن يصنعوه بما يعرفون ، قوماً يدركون أن الحياة تقتضى التعاون فى جميع نواحيها وفى كل مكان » .

وقد ناهز جون رايس الخمسين من العمر ، وهو رجل ذكىُّ الفؤاد واسع الاطلاع ، صريح متحمس صادق السريرة صلب العود. وقد وقع الرجل فى نفسى أحسن موقع فى أول الأمر ، بيد أننى سخرت من شدة تفاؤله . غير أنى لم ألبث حتى أدركت أن آراءه فى التربية قد أحرزت نجاحاً وتوفيقاً فى كلية الجبل الأسود ، فصرت أرى أنه مُرجى منها خير عظيم .

والتربية فى كلية الجبل الأسود أساسها التجربة والاختبار ، ففيها يتاح للطالب أن يتلقى من الدراسات ما يتلقاه فى سائر المعاهد — ولا نستثنى الموسيقى ولا فنون الجمال — بيد أنه فرض واجب عليه أيضاً أن يعيش فيها فرداً فى جماعة متماسكة . وإذا استثنيت أربعة من المدرسين المتزوجين وصغارهم ، فأهل المدرسة جميعاً يعيشون ويعلمون ويتعلمون ويلعبون ويلهون فى ذلك

البناء الفسيح . وجميعهم يأكلون معاً فى حجرة كبيرة ، لا يستثنى من ذلك المتزوجون ولا صغارهم .

وليس فى المدرسة موظفون سوى الطاهى ومساعديه ، ورجل يتولى تنظيف المواقد والداخن فى الشتاء ، ورجلين يكنسان وينظفان الحجرات العامة . وأماماسوى ذلك من الأعمال فيتولاه الطلاب والأساتذة بلا فرق بينهم ، فترى الطلاب والأساتذة يخدم بعضهم بعضاً فى حجرة الطعام . ولا يطلب من الطلبة الذين لا يوفون نفقات المدرسة كاملة أو لا يوفون شيئاً منها ، أن يتولوا من أعمال الخدمة فى حجرة الطعام أكثر مما يتولاه زملاؤهم ، لأن ذلك قد يشعر الآخرين بأنهم أكرم شأناً ، وهذا شئ مستنكر .

وطلاب هذه الكلية ثمانية وأربعون ، منهم ٢٦ شاباً و٢٢ فتاة ، تتفاوت أعمارهم بين ١٨ سنة و ٢٥ سنة ، ولكن ليس فى الكلية قاعدة خاصة بعمر الطالب ، وهى أقل اهتماماً بدرجاته فى المدرسة الثانوية ، وأعظم اهتماماً بما ينطوى بين جوانحه من قدرة . ولا تشترط الكلية فيمن يطلب الالتحاق بها سوى شرطين : أن يكون قادراً على الانتفاع بالحياة فى جماعة كجماعة كلية الجبل الأسود ، وأن يكون ذكيًا . ومن الخلائق المطاوبة أن يكون فى وسع الطالب أن يقول فى الحين بعد الحين : « لست أصلح لشىء » ، وأن يكون متوقد النفس ، وأن يكون قلبه منطوياً على حب الحق . وهم يقبلون فى عداد الطلبة بعض ذوى الأعصاب المريضة ، لأنهم يشعرون أن فى وسعهم أن يمدّوا يد المعونة إليهم ، ثم لأنهم يريدون أن يدرّبوا سائر الطلبة على فنون المعيشة مع فريق من الناس تشقّ الحياة معه .

ولما كانت كلية الجبل الأسود تؤمن بأنه ينبغى للطالب أن يتعلم الاستقلال وأن يتخذ لنفسه الرأى الذى يراه هو ، تراها لاتفرض على أحد من الطلبة نهجاً فى الدراسة يسير عليه ، ولكنها تقتضى منه أن يتقدم لامتحان معارفه مرتين ، أما الأولى ففى نهاية السنتين الأوليين ، وأما الثانية ففى نهاية السنتين التاليتين . أما كيف يظفر بمعارفه ، فتبعة ذلك تقع على كاهله هو دون غيره . وقد يستقلّ فى الدراسة دون معين ، أو قد يستعين بمعلم ، أو قد ينضمّ إلى غيره فى فصول الكلية . ويغلب أن تكون الدراسة فى فصول أول الأمر ، ثم يستقلّ كل طالب بدراسته .

والطالب فى قسم التمهيد يرود ميادين المعرفة المتباينة حتى يستكشف ما يميل إليه قلبه . وأمر الانتقال من قسم التمهيد إلى القسم العالى — وهو مرحلة التخصص —

ثم إلى مرحلة التخرج، موكول إلى الطالب نفسه ؛ فهو الذى يقرر متى يلفى نفسه قادراً على أن ينتقل . وليس معنى هذا أن الطالب يترك وشأنه متعثراً بين هــذه المراحل ولامعين له ،كلا،فالمدرسون أبداً على استعداد لإرشاده وإسداء النصح إليه متى طلبه منهم.
ومتى ظن الطالب أنه قد أنجز دراسته فى القسم العالى، طلب أن يمنح حق التخرج، ويقدم مع طلبه تقريراً يبين فيه ما يزعم أنه قد استوفى معرفته فى الموضوع الذى اختاره ، فإذا ظفر هذا التقرير برضى الأساتذة دعوا رجلا من أهل التخصص فى ذلك الموضوع ممن لا صلة لهم بالكلية فيتولى امتحان الطالب.

وللكلية عطلتان طويلتان ، فى رأس السنة وفى الصيف ، وهى تحثُّ طلبتها على أن يدرسوا خلالها أحوال الصناعة والاجتماع والسياسة فى حيثما يكونون ، حتى إذا ما عادوا إلى الكلية أعدُّوا بياناً بما رأوا. وقد اجتمع الطلبة فى وشنطن منذ سنوات فقضوا أسبوعاً يتباحثون مع كبار أهل السياسة ورجال الحكومة والصحافة . وهم لايفتأون يدبرون مثل هذا الاجتماع فى المدن الصناعية الكبيرة وغيرها .

إن معلم الطالب فى كلية الجبل الأسود هى الجماعة كلها . فقطع الخشب ، وإصلاح الطرق ، والعمل فى مزرعة الكلية ، وتمهيد ساحات اللعب، وبناء مخازن الحبوب، وقيادة سيارات الكلية ، هذه جميعها أعمال يتولاها الطلبة والأساتذة على السواء ، فتساعد على تدميث الأخلاق وتربية روح التعاون ، وتدربهم على حمل التبعات . وهذه الأعمال تحلُّ بعض الشيء محلَّ الألعاب الرياضية ، واشتراك الطلبة فى تأديتها يشعرهم بأنهم يسدون خدمة ذات شأن فى حياة الجماعة يوماً بعد يوم .

وللطالب من الحرية والامتيازات ما لغيره من أعضاء الجماعة ، فهو حرٌّ كلَّ الحرِّ فى أن ينتقد مدرسيه كما ينتقدونهُ . وهو حرٌّ كلَّ الحرِّ فى أن يعرب عن رأيه فى كل موضوع وفى كل وقت ، وأن يتحمل عواقب كلامه .

وترى بعض المدرسين ، ومنهم رايس ، يحضرون دروساً غير دروسهم ، شأنهم فى حضورها كشأن سائر الطلبة .

ويتمُّ جانبٌ عظيم من التعليم فى كلية الجبل الأسود خارج حجرات الدراســة . ولا يكفُّ رايس عن تحريك خيال الطلبة، فتراهُ وهو يتنقل فى البناء من مكان إلى آخر ، ينضمُّ إلى جماعة منهم ، فيستدرجهم إلى المناقشة فى كلية الجبل الأسود وما بها من علل وعن سبب ذلك ، أو يحاشهم فى التربية أو السياســة . ومن ثمَّ تشيع المناقشة فى أرجاء الكلية ، وتتصل حتى

مواثد العشاء ، وتتردّد أصداؤها فى صباح اليوم التالى على موائد الفطور .

ومن الأغراض التى تطلبها كلية الجبل الأسود ، أن تجعل كلّ طالب خبيراً بطبائع الناس حتى لا يرتكب خطأ فى زواجه أو فى سائر صلاته بالناس . ولا يكاد يقع شئ فى هذه الدار دون أن يذيع خبرهُ فى بحر ساعة . وقلما يفد وافد على هذه الكلية ويمكث فيها أسبوعين ، دون أن ينجلى خبرهُ لأهلها حتى يصيروا أعرف به من جماعته الأولى . فكأن جماعة الكلية تنضو عن الزائر ما يستر حقيقة نفسه ، فتنجلى هذه الحقيقة لهم ، وله أيضاً .

وبعض هذا المنهج فى دراسة طبائع البشر يهدف إلى تدريب الطلاب على أن ينظروا إلى مواطن قصورهم نظرة تمكنهم من الانتفاع بمافسم لهم . والطلبة الذين يؤمّون كلية الجبل الأسود أول مرة ، يجدون فيها حرية رائعة . فإذا ما أراد أحدهم أن يرتكب ما يعنّ له من حماقة ، فليس يكبح جماحَهُ أحد ، إذ ليس فى الكلية قوانين وقواعد ، ولكن الطلبة لا يلبثون حتى يدركوا ما تتضمنهُ الحرية وتنطوى عليه : إن الحرية تبيح النقد . ومعظم النقد خال من الخبث والحسّة ، وتشيع فيه الرغبة فى معونة الطالب الذى يوجَّه النقد إليه .

وإذا نزلت شدة بأحدهم لم يعدم نصيراً ، فترى الطلبة القدماء يتلمسون الوسيلة التى تمكنهم من أن يبصّروا الطالب بالمأزق الذى ساق نفسه إليه ، فإذا ما وقع الطالب الجديد تحت « تأثير الجماعة » على هذا النحو ، اتجه تفكيرهُ إلى نفسه ، فلا يزال ينقب فى أعماقها حتى يهتدى إلى حقيقتها . فهذه هى التجربة فى الحياة ، وهى أجدى ضروب التربية وأعمقها أثراً فى النفس .

ومنهج التمثيل فى الكلية بالغ الدلالة على طريقتها . فالطلبة والأساتذة يمثلون خمس مسرحيات كلّ سنة ، ولكن التمثيل لا يطلب لذاته . قال أحد الأساتذة :

« إن طريقتنا هى أن نكل دور المتغطرس مثلا لشاب متغطرس ، فتتجلى له حقيقة غطرسته فى الدور الذى يمثله . ونحن نسعى أن نجد أدواراً توافق الأجلاف أو الأغنياء الذين لا يمتازون إلا بثرائهم ، أو أصحاب الكبرياء والتعالى ، فيتاح لهم أن يروا أخلاقهم متجلية فى الأدوار التى يمثلونها . فيفضى بهم ذلك ، على ألم ومضض ، إلى صلاح نفوسهم فى معظم الأحيان . وقد أسفرت هذه الطريقة عن تبدّل تام فى أحد الطلاب ، فقد كان يوم وفد علينا أسوأ من

لقيناه من الطلاب أخلاقاً ، فصار أدمثهم وأنفعهم وأحبهم إلينا .

« ونحن نكل إلى بعضهم أيضاً أدواراً تناقض ما نشأوا عليه، فالفتى الغنيّ يمثل دور عامل لطمته الفاقة، والفتاة الفقيرة تمثل دور سيدة غنية ولكنها بائسة . ونكل إلى الشاب المستهتر دوراً يعينه على أن يدرك — وأن يشعر خلال فترة قصيرة — ما لذة الكفاح والموت فى سبيل حق مهضوم » .

إن الأساس الذى تقوم عليه كلية الجبل الأسود قوامه آراء جديدة فى التربية ومثل عليا تطمح إلى تحقيقها . وهى لا تكاد تدبر المال اللازم لها من سنة إلى سنة إلا بشق النفس ، وبين رجالها فئة تتمنى أن يحلق فوق الجبل الأسود مالك كريم فياقى عليها نصف مليون من الريالات . فحاجتهم شديدة إلى مكتبة تفى بأغراضهم وإلى معدات كثيرة، ولكن بعضهم يرى أيضاً أن وفرة المال قد تكون أسوأ مغبة من قلته . وهم جميعاً متفقون على أن يرفضوا كل مال يعرض عليهم إذا كان صاحبه يودّ أن يملى على الكلية رأيه فى إدارتها ومنهجها . ثم إنهم يرون أن وفرة المال بين أيديهم قد تعجزهم عن أن يدركوا سرّ معلم جديد ، وهل أقبل على المدرسة حبًّا فى فكرتها أم حبًّا فى مالها .

ترى كيف يكون طلاب كلية الجبل الأسود حين يبلغون الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين من العمر ؟ إن معظمهم خليق أن يصيروا رجالا أهل رأى متزن ومحضر أنيس، وروع هادىء، وعزيمة صادقة وعود صلب . وسيكونون أهل ذكاء وخيال وعمل يستطيعون بنظرة واحدة أن يميزوا الرجل الأجوف من الرجل الحق . وأظن أن دأب أكثرهم سيتجه إلى تحسين العالم، وقد يخوض بعضهم غمار السياسة . فهذا رايس يحثهم على العمل فى وشنطن لأنه يرى أن أمام الرجل الذكى الصادق الذى يصارح الناس بما يرى، ويتخذ من السياسة وسيلة لخدمة الجماعة ، مستقبلا عظيم الشأن والخطر .

أما الآن فقيمة كلية الجبل الأسود هى فى دلالتها على الأكثر ، ولكن المبدأ الذى قامت عليه مبدأ عظيم . ويفكر بعض أهلها فى إنشاء كليات مستقلة على نمطها فى أرجاء البلاد . وإنى لواثق بأن إنشاء عشرين كلية على غرارها — لا تضمّ الكلية منها أكثر من ١٢٥ طالبة و ٣٠ مدرساً — يخطو بنا خطوة حسنة إلى إحداث انقلاب عظيم فى التربية ، فإذا أنشئت ألف كلية على غرارها، كان لها من الأثر النافع العميق فى حياة الأمة مالا يكاد يخطر على قلب أحد .



ما حظّ السمك من الذكاء؟

فرانك و. لين

مختصرة من مجلة "الخلاء"

عُنى العالم الروسى الأستاذ فرولوف مرةً بكتابة كتاب عنوانه «سمك يستجيب للتلفون»، وقد وصف فيه ما تمّ له فى معمله. فقد اتخذ حوضاً للسمك وربط السمك إلى سلك كهربائى خفيف مسترخ، وجعل الرباط طويلا حتى يستطيع السمك أن يسبح كما يشاء. ودبر أمره حتى إذا ضغط زرًّا، أحدث التلفون المغطس فى الماء صوتاً يصحبهُ تيّار كهربائى ضعيف يسرى فى السلك إلى السمك فيستجيب السمك بحركة انتفاض عنيفة.

وبعد أن جرّب هذه التجربة أربعين مرة، حذف منها التيار الذى يهزّ السمك، ولكنهُ أبقى صوت التلفون. وإذا السمك ينتفض الانتفاضة نفسها حين يسمع الصوت. فقد تعلم أن يجيب قرع جرس التلفون! وقد نوّع التجربة فجعل التلفون فوق الماء، وإذا السمك يستجيب الاستجابة نفسها.

هذه التجارب الحديثة فى طبائع السمك وسلوكِه، تلقى ضوءا على بعض المسائل التى تحير صيادى السمك. أيستطيع السمك أن يسمع وطء الصياد فى الجدول؟ وهل يزعجه الكلام؟ وما هى الحقيقة فى قدرة السمك على الإبصار؟ وهل يستطيع أن يميز الألوان؟

وقد ظلّ العالمان كارل فون فريش وستيتر يواليان البحث حتى أقاما الدليل على أن سمع السمك يبلغ مبلغاً عجيباً من الحدة. وقد ربّيا بعض السمك الصغير الأعمى على أن يقرن بين تقديم الطعام إليه وبين أصواتٍ معينة تحدثها صفارات وأوتار معدنية، فصار السمك إذا سمع الإشارة الداعية للطعام انتفض إليها مسرعاً مندفعاً.

وقد ثبت أنه إذا حدث صوت خافت على مشى قدم من حوض السمك، فذلك وحده كافٍ فى أن يجعله ينتفض كما ينتفض عند حضور الطعام. وهذا خليق بأن يعلم صياد السمك الذى يضرب الماء بمجدافيه ويتكلم بصوت عالٍ أن يأخذ حذره. وقد أثبت

أيضاً أن قدرة السمك على السمع تعدل قدرة رجل غاطس فى حوض آخر محاذٍ لحوض السمك ، أو ربما كان سمع السمك أدق .

وقد ربى ستيتر وفون فريش بعض السمك على التمييز بين الأصوات . فصوتٌ من طبقة معينة يعنى الطعام ، وصوت آخر يعنى منع الطعام — فإذا أخطأت سمكة فى تبين الصوت الذى يعنى « منع الطعام » ، لطمت لطماً خفيفاً على خطمها بعصاً من زجاج . وقد تعلم السمك دروسه ، فصار سهلا عليه أن يميز بين صوتين بينهما طبقة كاملة .

وقد جرّب الدكتور فرانك براون ١٤٠٠٠ تجربة أو أكثر فى قدرة ضرب من سمك القاروس على تبين الألوان . فقد أخذ أنبوباً من زجاج وجعل له حلقة ملونة ثم غطسه فى الحوض بين السمك . فإذا ما سبح السمك إليه أعطى طعاماً ، ثم أخذ أنابيب أخرى لها حلقات مختلفة الألوان وجعل يغطسها واحداً واحداً ، فإذا ما دنا السمك منها لمسَ ظهرهُ سلك يجرى فيه تيّار كهربائى ضعيف ، فتأخذه نفضة خفيفة . فوجد بعد بضع تجارب أن معظم السمك يستطيع أن يميز بين الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق إذا كانت صافية الألوان.

وبعد أن تعلم السمك أن يفرّق بين اللون « الصحيح » الذى يأتيه بالطعام واللون « الخطأ » ، لازمته هذه القدرة أسابيع كثيرة .

وللسمك قدرة غير يسيرة على تبين شكل الأشياء . وقد أقام كونراد هرتز صدق الدليل على هذا القول ، بتعليم السمك أن يقرن أشكالا معينة ، كالدائرة أو الشكل البيضى ، بالطعام . فإذا سبح السمك متجهاً إلى الدائرة أعطى طعاماً ، أما إذا سبح متجهاً إلى الشكل البيضىّ لم يعط شيئاً . وقد تعلم السمك على الأيام أن يتجه إلى الدائرة دون الشكل البيضىّ ، بل تعلم أن يميز بين حرفين من حروف الهجاء . وهذا يدلّ على أنّ السمك قد يألف شكل الأشياء التى تنصب لصيده فيتجنبها .

وتتجلى قدرة السمك على أن يتبين فروقاً يسيرةً فى شكل الأشياء فى حادثتين وقعتا للباحث كليفورد باورشور . فقد احتفظ فى أحد أحواضه بسمكة تضطرب اضطراباً كثيراً حين يدنو منها ومعهُ علبة فيها ديدان. أما إذا دخل وليس فى يده تلك العلبة ظلت السمكة ساكنة مطمئنة ، وهذا يدلُّ على قوة عظيمة فى البصر .

وكان عند كليفورد سمكة أخرى صيدت بشبكة فى بركة ماء ، ولم يكن فيها أثرٌ من أذى شصّ الصيد . وعلى الرغم من أنها لم تألف فى سابق حياتها شصوص الصيّاد ،

فقد كانت تنفر من كل دودة تقدم إليها معلقة بشص، فتأبى أن تأخذها . فلما قدمت إليها الدودة معلقة بخيط هجمت عليها .

وهذه الحقائق تعيننا على أن نصدق بعض الغرائب التي تروى عن السمك . ولما كانت هذه التجارب قد خضعت لقواعد البحث العلمى ، فلن يدهشنا أن تتبدّى فى السمك أحياناً آثار تدل على شيء نسميه نحن فى الإنسان ذكاء .

فقد كان فى مدينة باث فى إنجلترا بركة فيها سمك ذهبيّ ، وقد ركب فوق البركة لوح صغير غطى سطحه ببيض النمل ، وربط اللوح بخيط ، ودلى الخيط فى الماء . وسرعان ما تعلمت السمك أن تجذب هذا الخيط فيميل اللوح فينهمر بيض النمل عليها فى الماء ، فتلتهمه .

وقد حدث فى لندن منذ سنوات أن رجلا من عارضى السمك ، علم سمكة أن تدور فى الماء دورة كاملة . فلما سئل كيف دربها على ذلك قال : « كنت أدلى أمامها دودةً فى الماء ، ثم أحرك الدودة فى دائرة تامة والسمكة تتبعها . وتراها اليوم لا تكاد ترانى حتى تدور دورة كاملة ، وتظلّ على ذلك حتى تظفر بالدودة » .

ومن الأمثلة على وجود « التفكير » فى السمك ، مثلٌ منتزع من تجارب الدكتور س . ن . هولدر ، فقد كان يصيد السمك واقفاً على طرف رصيفٍ داخل الماء فعلقت سمكة فى شصّهِ ففرّت مسافة ٢٠٠ قدم ثم توقفت ، ثم عادت إلى الرصيف واندفعت تحته واتخذت لها موقفاً عند أحد عُمُده ثم قطعت الحبل .

ولو انتهت القصة عند هذا لكان يحق للمرء أن يقول إن السمكة قد نجت بانقطاع حبل الصيد مصادفة واتفاقاً . ولكن هولدر لم يكفّ يومئذ عن الصيد . وكان فى وسعه أن يرى تلك السمكة التى علقت بشصّه ثم نجت ، وبعض الحبل المقطوع سابحٌ وراءها فى الماء . وبعد ثلث ساعة أو نحوه ، عاقت هذه السمكة نفسها بشصه مرة أخرى . فلم تفرّ كما فعلت من قبل ، بل دارت لساعتها حول أحد العمد التى شيّد الرصيف عليها ، وقطعت حبل الصيد .

وقد رويت روايات كثيرة عن السمك الكبار التى علقت ثم نجت ، وعن غيرها مما يعجز الصيادين أن يصيدوهُ ، ولكن يبدو أن جميع السمك يتعلم بالتجربة ، وبعضه يفوق غيره فى الانتفاع بتجربتهِ . والسمكة التى تنجو ، من شباك الصيد مرةً بعد مرة يصبح صيدها بعدئذ أشق وأعسر .

كيف تزوجا؟

لم أفكر قط فى الزواج ، فلما مات رفاقى وجدتنى وحيداً فى هذا العالم ، وشعرت بالحاجة إلى نفس تحبنى ، إلى إنسان يحبنى منذ الساعة . وأنا أعلم أن الصداقة تنمو على الزمن ، أما الحب فينقض كالبرق الخاطف ، وربما انشق عن قلب عاصفة ، وأنا أوثر عواصف الحياة على مناعمها وسكونها . هكذا كنت أفكر وأنا أرسل طرفى إلى البر من خلال نافذة السفينة ، حيث رأيت جماعة من الغيد الحسان يؤدين بعض أعمالهن ، ففتنتنى إحداهن أشد فتنة أخذت على المسالك ، فلم أجد مفراً من النزول إلى البر ، ويممت من فورى شطر البيت الذى كنت أطيل إليه النظر وأحسست قلبى يخفق من فرط اهتياجى ولكنى كنت مصمما على المضى . وإذا رجل يدعونى إلى الدخول ، وقد كنت داخلا ولو ردنى أو منعنى . رأيت الفتاة هناك فقلت لها : « ستكونين لى أنا » ، وكنت لا أحسن تكلم البرتغالية ، فقلت هذه الكلمات الجزيئة باللغة الإيطالية. وبهذه الكلمات عقدت عقدة لا يحلها إلا الموت . لقد اهتديت إلى كنز منيع الجناب ، ولكنه كنز غال نفيس . إنه آنيتا ، أم أولادى التى قاسمتنى بأساء الحياة ونعماءها — تلك الزوجة التى طالما افتقدت شجاعتها فى أيام محنتى .

[من مذكرات جريبالدى محرر إيطاليا]

وقد كتبت جرترود آثرتن تقول : « كنا فى مزرعتنا بكاليفورنيا ، وكان الشتاء خاملا مملاً ، وكنت فتاة تعيش فى كفالة جدها وفى رعايته . وكان المطر مدراراً فحبسنا فى البيت أكثر وقتنا . فى ذلك الشتاء بدأت أنوثتى التى لم تنضج بعد تستشعر أن جورج آثرتن يحاول أن يغازلنى بالحب ، بيد أنه لم يزد على أن أثار سخطى عليه . فاعتصمت من يومئذ بالمكتبة ، وحرضت كلبى على أن يكشر له عن أنيابه كلما أقبل وهم بالدخول على . كنت جالسة فى المكتبة يوماً بعد الظهر أقرأ كتاب « فيدون » لأفلاطون . نعم ، لم أكن أفهم منه إلا القليل ولا كنت أعرف قدره ، ولكنى كنت مصممة على أن أتزود بالقراءة خير زاد . وجاء جورج فنظرت إليه مقطبة

الجبين وهو داخل عليّ ، فرأيت فى هيئته أنه قدجاء يخطبنى إلى نفسه مرة سادسة،غير مبال بنباح الكلب وهريره . فرددت بصرى إلى الكتاب ، وأدرت له ظهرى ، فأخذ هو يتكلم ويتكلم . وأخيراً قلت له بغير احتفال : «حسبك!فلستأبالى بماتقول. وكل امرىء سيتزوج يوماً ما . ولكن أسألك أن تدعنى وشأنى ، فإنى أوثر أن أقرأ أفلاطون » .

« لم أفكر فى هذا الأمر مرة أخرى ، وقدرت أنهسوف يغضب من جفوتى وغلظتى فى الحديث . فلما كان اليوم التالى خرجنا على عادتنا معاً فى العربة وانطلقنا إلى لقاء جدى . وقد بكرنا يومئذ على غير عادتنا ، لأن الجواد كان فى حاجة إلى حذاء يركب على حافره كما زعم لى فلما فصلنا عن القرية ميلا قال لى إنه يحمل فى جيبه إذن الزواج، وأننا فى طريقنا إلى بيت القس ليعقد عليّ ونتزوّج . فوجمت لحظة لا أستطيع نطقاً، ثم جن جنونى وأنذرته بأنى سوف أقفزمن العربة، ولكنه أخذيستحث الجواد بسوطه. فغشينى من الحيرة ما غشينى ، وياللعجب للحب ـــ هذا الحب المتقلب المتلون قد انبثق ينبوعه فى قلبى،وأحسست نشوة من الخيال والأحلام تستأثر بى ، ودخلنا على القسيس بيته فعقد زواجنا لساعته .

[جرترود آثرتن ـ مغامرات روائية]

تزوج الساحر هودينى ، وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، فتاة ظلت فى عصمته وفى رفقته إلى أن وافاه الأجل . وقد روت لنا كيف تزوّجا فقالت : « فى أوائل صيف سنة ١٨٩٤ أقام هودينى حفلة فى المدرسة التى كنت طالبة فيها . وكان من العسير أن أستميل قلب والدتى حتى تأذن لى أن أشهدها لأن آداب الأسرة تقول بأن جميع الحفلات « مفسدة » لا يجمل بفتاة أن تشهدها . فظللت ألح عليها حتى رضيت وذهبنا معاً ، وبينا هو يعرض بعض أعماله إذ فرطت منه حركة لم يردّها أراقت بعض الأحماض على المائدة ، وطار رشاش منها إلى ثوبى فأحدث فيه بقعة لا يمكن إزالتها . فثارت ثائرة أمىّ وأخذت تغلظ القول للساحر الشاب، وكان قد أسرع إلينا ليعتذر مما بدر منه . فترفقت حتى همست فى أذنه : « لا يسؤك كلام أمى إنك مدهش» . واستطاع هودينى أن يهمس فى أذنى بأنه سوف يلقانى مرة ثانية. وفى اليوم التالى قرع جرس الباب فى دارنا ، فإذا هو هودينى . ففتحت أمى الباب قليلا وقالت له : « ماذا تريد منا ، أهذه بعض حيلك ؟ »

قال هودينى : « لقد أمرت بصنع ثوب آخر للآنسة ،فعسى أن تأذنى بالثوب الذى اتسخ ليصنع لها على قدّه » .

ودار بينهما شىء من الحـــديث ، ثم

أعطته الثوب وقالت : «خذه وانصرف» . وكنت أرقبهما من النافذة ، فلما أغلقت الباب لوحت له بيدى ، ولم ألبث أن تسللت من الدار ولقيته وتماشينا قليلا .
وبعد أسبوع جاء يحمل إلينا ثوباً جميلا ، وقال إن أمّه قد قضت الليالى ساهرة فى خياطته ، إذ كانوا أفقر من أن يتاح لهم شراء ثوب جديد . فأخذت أمى الثوب منه بغلاظة وأغلقت الباب فى وجهه ولم تشكره بكلمة . ففتحت أنا الشباك وقلت له : « مهلا ، انتظر حتى أقيسه » .

وما هى إلا دقائق حتى نزلت وأنا فى الثوب الجديد ، وأخذت قبعتى وحقيبتى ومضيت إليه وقلت : « إنه ثوب مدهش» فقال : « وأنت فتاة مدهشة » ثم انطلقنا نتمشى معاً ، وقد تم ذلك دون أن ترانا والدتى . فاقترح علىّ هودينى أن نذهب إلى مدينة من الملاهى. فساورنى شىء من الخوف، ثم لم ألبث أن وافقته ، وكان ذلك عند أوّل العَصْر . كانت المناظر الخلابة التى رأيتها كأنها دنيا جديدة سحرتنى ، فما شعرت إلا والشمس قد آذنت بمغيب، والمنزل بعيد . فطفقت أبكى ، وقلت له إن والدتى لن تغفر لى طول غيابى، وأنها ستشتدّ فى توبيخها لى، وأنها سوف تحبسنى فى غرفتى لا أبرحها ، وأن لى عندها عقاباً عتيداً سوف ألقاه .

فإذا بهودينى يثور قائلا : « لو كنت زوجتى لما اجترأ أحد أن يعاقبك» ، فأذهلتنى عبارته ، ولم أكد أفيق من ذهولى حتى رأيتنى فى دكان جواهرىّ أقيس بعض الخواتم . فلم تغب الشمس حتى كان عقد زواجنا قد تم على يد جون ماكن القس » . فلما أسلم هودينى روحه إلى بارئه كان قد مضى على زواجنا ثلاث وثلاثون سنة، والحب الذى بيننا جديد كما كان فى أول أيامه » .
[هارولد كيلوك — هودينى]

كان برنارد شو منذ زمان يتودّد إلى « المثرية الإرلندية ذات العيون الخضر » ، وكان يومئذ مولعاً بركوب الدراجات . ولما كان مخلوقاً هش العظام ، فقد كنت لا تكاد تراه إلا وبعض عظامه محوط بالجبائر، وجاء يوم فإذا به يسقط مكسور الساق فى الطريق الذى تقع عليه دار السيدة التى يحبها — الآنسة تونزند .

قال فرانك هاريس: « ولبث شو يمرّض فى دارها وهو بين الموت والحياة ، وكان يخشى إن هو بقى يوماً آخر فى هذه الظلال الناعمة من العناية أن يتهور فيسأل هذه الآنسة أن تتزوّجه . فما كاد يطيق السَّيْر بالعكازتين حتى حاول الفرار ، فزلت به قدمه عند أول السُّلم فهوى حتى بلغ آخره،

فلم يغنم من ذلك سوى كسر ساقيه جميعاً . فما كاد يفيق إلى ما أصابه حتى وجد أن هذه الآنسة قد حاطته بكل ما فى قلبها من شفقة وحنان ، فلم يسعه إلا أن يرفع عينيه إليها وهو يقول: «أترضين بى زوجاً ؟ » فقالت : « نعم » ، فأغمى عليه » .

[ألكسندر ولكوت ــ رومة تحترق]

كان كلفن كولدج رئيس الولايات المتحدة يقيم فى شبابه فى بلدة على مقربة من مدرسة للصم يقال لها « مدرسة كلارك » . فقام ذات يوم يحلق ذقنه وهو ينظر فى مرآة صغيرة معلقة إلى جانب النافذة ، فحانت منه التفاتة فرأى فتاة تعبر الطريق . كانت فتاة حسناء رشيقة المشية ، ولكن مشيتها تدل على صدق العزيمة ورآها قد يممت شطر مدرسة كلارك. فكف عن الحلاقة وبقى الصابون يغطى بعض وجهه ، وأطل عليها وأتبعها بصره . فرآه على هذه الهيئة رفيقه الذى يساكنه فى غرفته فأخذه العجب مما يرى من فعله ، ثم لم يلبث أن عاد ليطل مرة أخرى ولكنها كانت قد غابت عن بصره ، فإذا به يقول لصاحبه : « عساها تعود من هذا الطريق. وأظن أنها هى التى ستكون لى زوجة » .

فقال له صاحبه : « وما اسمها ؟ » .

فقال كلفن بلا اكتراث : « لا أدرى » ثم أخذ فى الحلاقة .

وبعد قليل عادت الفتاة ومرّت تحت نافذته ، وسره أن يعلم بعد ذلك أن هذا هو طريقها وأنه يراها كل يوم تمر تحت نافذته . ونادى صديقه وأومأ إليها فعرفها ، وقال له إن اسمها الآنسة جريس جودهيو، وأنها من معلمات مدرسة كلارك ، ووعده بأن يعرفه بها . وقد فعل . فلما رأى حرص كلفن على لقائها فى مواعيدها قال لنفسه : إن التى تعلم الصمّ كيف يسمعون سهلٌ عليها أن تعلم البكم كيف ينطقون ! وقد تزوج كلفن كولدج الآنسة جريس جودهيو فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٠٤

[كرون روجز ــ سيرة كلفن كولدج]

إن خير زوج فى نظرنا هو الرجل الذى يظن أن للصداع الذى يلمّ بزوجته من خطر الشأن ما لداء المفاصل الذى يتعذب هو به . [صحيفة جلفستون نيوز]

إن قلب المرأة هو درج حافلٌ بقطع معطرة من ذكرياتها .

[مرجريت مارشال]

قد يكون قياس الدقائق المكهربة فى الهواء خطير الشأن عميق الأثر كقياس الحرارة والرطوبة والضغط

تفسير ابتهاجك واكتئابك

هارلان ت. إستتسون

مختصرة من مجلة "زس ديك"

أتراك سألت نفسك لِمَ تشعر فى بعض الأيام بالطموح والنشاط وبهجة الحياة، ولِمَ تستبدُّ بك فى غيرها سنة من الفتور وضعف الهمة وانكسار النفس؟ ولِمَ صار عملك قليل الجدوى برغم ما تبذله فيه من جهد وهمة؟ وعساك إذا كنت فعلت، أن تكون قد أنحيت باللائمة على حالة الجوّ، وعسى أن تكون حالة الجوّ هى حقًّا سبب ما يعروك فى الحالين.

وقد أدرك العلماء منذ زمن طويل أن كلَّ قدم مكعبة من الهواء الذى نتنفّسه يحوى دقائق مكهربة — أيونات أو أجزاء ذرات أو جزيئات مكهربة كهربة موجبة أو سالبة، محمولة على دقائق الغبار أو قطرات الماء أو حبات اللقاح. ولكنَّ العلماء لم يدركوا إلا منذ عهد قريب ما للجسيمات المكهربة من شأن خطير فى علوم الأحياء، لأنهم لم يتمكنوا من إخضاع حالة الجوّ الكهربائية فى معاملهم لقواعد الضبط العلمى إلا منذ عهد قريب. وفى وسعك أن تولد الأيونات، الجسيمات المكهربة، بإطلاق الشرر الكهربائى فى الهواء، أو الأشعة السينية أو ما ينبعث من عنصر الراديوم، بل تستطيع النار فى موقد مكشوف أن تولدها فى الهواء. فإذا تيسّرت لك الوسائل الوافية، استطعت أن تستخرج من الهواء الجسيمات الموجبة الكهربائية، أو السالبة الكهربائية، فتغلّب فى هواء غرفة موصدة ما تريده من الجسيمات الموجبة أو الجسيمات السالبة. وقد فعلوا ذلك فى معامل شركة جنرال إلكتريك.

(*) هارلان إستتسون عالم من علماء الفلك وطبيعة الأرض، متوفر على بحوث الكسوف والخسوف وبقع الشمس وأثر ذلك فى الراديو والمد والجزر والزلازل وما أشبه ذلك. مؤلف «الناس والنجوم» و«الأرض والراديو والنجوم» و«بقع الشمس وأثرها» و«الأرض فى نظام الكون» وغيرها.

وقد وجد الأستاذ دساور فى جامعة فرانكفورت الألمانية ، أنه إذا ما تعرض المرضى للجسيمات الموجبة الكهربائية انتابهم شعور الإعياء والدوار وأصابهم الصداع ، فإذا ما أزيلت الجسيمات الموجبة من الهواء وحلّت محلها جسيمات سالبة زال عنهم الإعياء والصداع ، وأحسوا بالنشاط والنشوة .

وقد قاسوا درجة ضغط الدم فى طائفة من المرضى ، فأسفرت عن حقيقة عجيبة : أن الجسيمات الموجبة ترفع درجة الضغط وتسبب تعباً عامًّا فى البدن ، وأن الجسيمات السالبة تخفض درجة الضغط وتسبب شعوراً بالراحة والاسترخاء . وقد عولجت فئة من المصابين بارتفاع ضغط الدم ، باستنشاق الجسيمات السالبة فى بحر أسابيع ، فتحسنت حالة ٨٠ فى المئة منهم .

ولعلك سمعت المصابين بالروماتزم يقولون إنهم يتبينون التغير القريب فى حالة الجو قبل وقوعه . فهل لهذه القدرة سند علمى ؟ لقد وجد الأستاذ دساور أن المصابين بالروماتزم يشعرون بازدياد ألمهم ، وتورم مفاصلهم ، وارتفاع يسير فى حرارتهم ، حين يوضعون فى غرفة ويستنشقون هواءها الذى تكثر فيه الجسيمات المكهربة . ولا يخفى أن العاصفة يسبقها اقتراب منطقة من الهواء الذى انخفض ضغطه البارومترى ، وهذا الانخفاض يصحبه امتصاص الهواء المختزن بين دقائق التراب فى الأرض ، فإذا ماخف ضغط الهواء عنه ارتفع من مكانه . وقد وجدوا أن الهواء الصاعد من جوف الأرض يحتوى على أيونات موجبة ، فربما كانت هذه الأيونات الموجبة هى التى تؤثر فى المصابين بالروماتزم ، فيتبينون بها العاصفة التى تنذر بالهبوب .

وهل يكون التغير الطارىء على أيونات الهواء ، هو سبب مايطرأ على بعض الحيوان من تغير قبل أن تتغير حالة الجو ؟ لسنا نعلم ، ولكن هذا ميدان فسيح رائع للباحثين ، إذ يلوح أن كلّ شىء يغير مقدار الأيونات ونوعها فى الهواء الذى نتنفسه ، خليق أن يفضى إلى إحداث وجوه من التغير الفسيولوجى فى أبدان الأحياء . وعسى أن نتبين بعد زمن قليل أنّ قياس مقدار الأيونات فى الهواء كل يوم ومعرفة نوعها ، أمر له من خطر الشأن ما لقياس درجة الحرارة وضغط البارومتر .

والهواء يحتوى أيونات كبيرة وأخرى صغيرة ، وقد تبينوا فى معهد كارنيجى فى مدينة وشنطن أن عدد الأيونات الكبيرة يزداد فى الهواء بعد غروب الشمس ، وأما عدد الأيونات الصغيرة فيزداد عند الفجر . ولعل هذا الفرق بين هواء الليل وهواء النهار أخطر أثراً مما بينهما من فرق فى مقدار الرطوبة ، وعسى أن نجد فى هذا الفرق

تعليلا لما تكون عليه حالة المصابين بعلل فى جهاز التنفس ، فى الليل أو فى النهار .

وقد روى منذ عهد قريب أن بعض المصابين بحمى الربيع تتحسن حالتهم إذا عاشوا فى بيوت مزودة بوسائل تكييف الهواء وضبطه ، ولكنهم يصابون بنكسة حين تعصف العاصفة ، فينتابهم السعال والعطاس وغيرها من الأعراض التى ألفوها فى إبان مرضهم . ولما كنا قد تبينا أن الأيونات تكثر فى الهواء حين تعصف العاصفة ، فلعلنا نستطيع أن نقيم الدليل على أن بعض هذه الأيونات الكثيرة تنفذ إلى البيوت التى ضبط هواؤها ، فتحدث التهاباً فى أنوف المصابين بحمى الربيع وحلوقهم .

وإذا ما عمت وسائل تكييف الهواء وضبطه ، وألف الناس سكنى البيوت المزودة بها ، فسوف يرون أن عمل هذه الوسائل لن يقتصر على تصفية الهواء أو تجفيفه أو ترطيبه وضبط درجة حرارته وحسب ، بل سيشمل أيضاً ضبط عدد الأيونات الموجبة والسالبة التى توافق مزاجنا الخاص ، بعد أن يفحصه الطبيب ويقرر ما يصلح له .

ما أضمر أحدٌ شيئاً إلاّ ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه . [على بن أبى طالب]

كيف تعارفا

وصفت زوجة الجنرال مارشال وزير الخارجية الأمريكية الليلة الأولى التى تعرفت بها إلى الجنرال ، فقالت فى كتابها الجديد : « معاً » .

التقينا فى حفلة عشاء عند أصحاب لى فى مدينة كولمبس سنة **١٩٢٨** ، فلما أشرفت السهرة على نهايتها طلب إلى الكولونيل مارشال أن يصحبنى فى عودتى إلى بيتى . ومدينة كولمبس صغيرة ، فبعد أن ظللنا نطوّف فى سيّارته مدة ساعة سألته : « أأنت حديث عهد بهذه المدينة ؟ »

فقال : « لا . أنا هنا منذ سنين » .

فقلت : « ويلوح أنك لم تتعلم فى سنتين شيئاً عن شوارع هذه المدينة ! »

فقال : « بل أعرفها أوثق معرفة ، ولولا معرفتى بها لعجزت عن أن أتجنّب البيت الذى تسكنينه ساعة كاملة » .

كلمات يُهتدى بها

لا تيأس ، فإذا غلبك اليأس ، فامض في عملك ، وأنت يائس [إدمونـد برك]

دوروثى كانفيلد فيشر

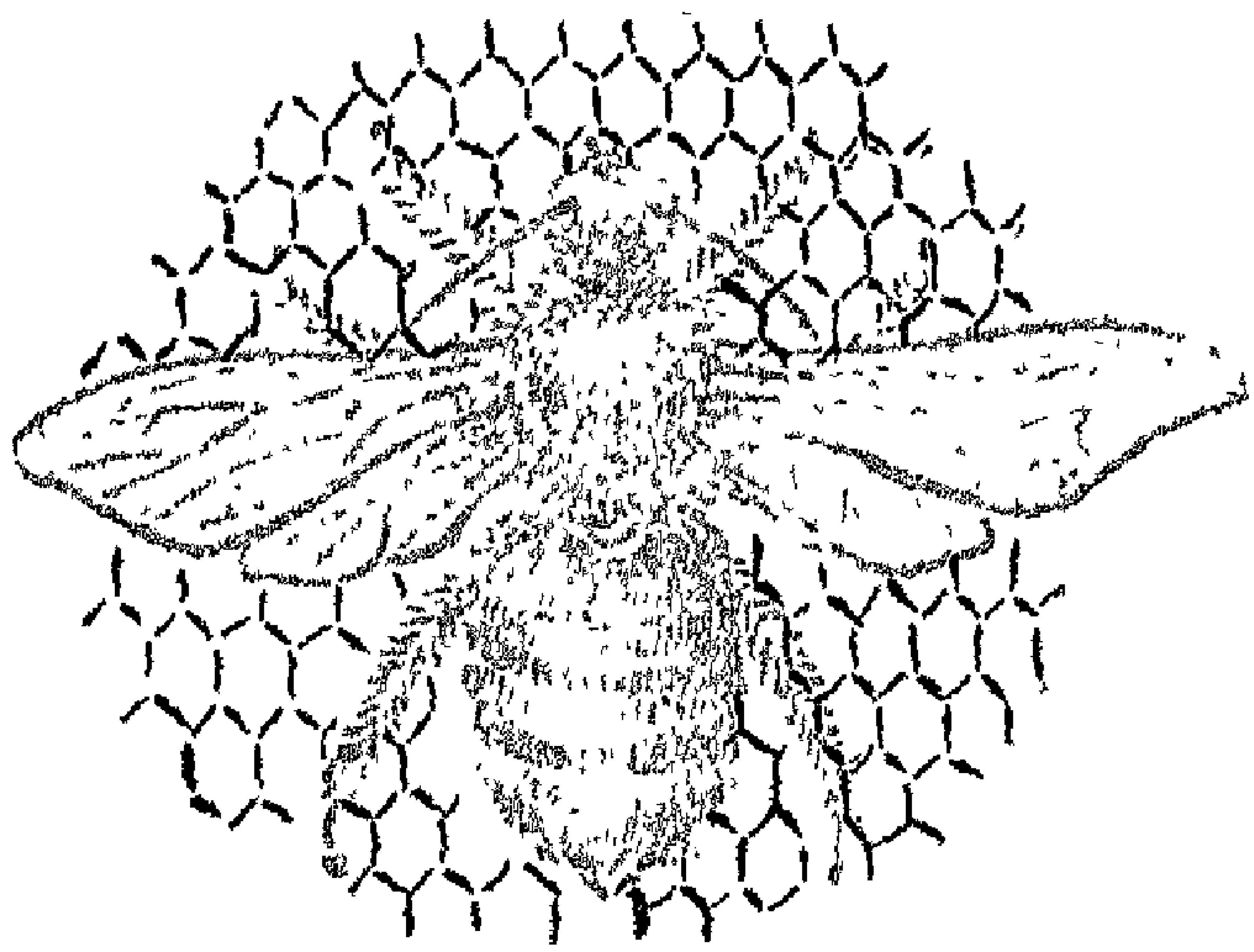
ما أكثر الكلمات المأثورة التي تحثّنا على الاعتصام بالشجاعة ، ولكنني لم أجد كلمة تبعث في نفسي القوّة على الاعتصام بها مثل هذه الكلمة ، فإن أكثر الحكماء والكتاب يصوّرون لنا الحياة كأنها معركة ، فيهيبون بنا أنْ «كافحوا وثابروا» ، ولكن قليل من الناس من يستطيعُ أن يقهر نوائب الدّهر في معركة حامية قصيرة الأجل .

« وإدمند برك كان أخبر منهم بالحياة ، فقد هاض قلبه موت ولدٍ له كان يحبه أشد الحبّ ، وامتلأت نفسه غمًّا وكرباً وهو يرى بنيان الحضارة ينهار من حواليه . ويومئذ عرف اليأس وجربه كما عرفه أكثرنا وجرّبه وهو يجثم على قلبه يوماً بعد يوم . فمن أجل ذلك قال : « امض فى عملك » .

« ولقد أصاب شاكلة الحق . فنحن نعيش فى عالم غلبت عليه الحماقات والشرور ، فليس يسعنا أن ننفض أيدينا من أمره ونستكين لغواشى اليأس . وربما كان فى البلدة المجاورة لبلدتنا ، أو فى البيت الملاصق لبيتنا ، إنسان لا نعرفه قد أخذ منه اليأس كلّ مأخذ ، ولكنه ظل يعمل ولا ينى . وعسى أن يكون من أمثاله كثيرون لايزالون يعملون جاهدين لكى يدكّوا دعائم أبنية الشرور . ومن يدرينا ، فلعلنا الساعة قد كدنا نقوّض هذه الدعائم وندكها ونحن نعمل جاهدين فى سبيل ما نؤمن به . وعسى أن تشرق شمس الغد فإذا بنا قد أتينا على هذا البنيان من قواعده » .

باب الكتب - ١

حياة النحلة



مختصر كتاب

موريس مترلنك

إن قصة الخلية مزيج مدهش من الأسرار والعلم والمتعة . ومترلنك يرويها هنا بنظر نافذ وبراعة حتى صار كتابه آية خالدة .



مبارزة ملكية

نفض النحل الذى فى خليتنا فتور الشتاء عن نفسه ، وبدأت الملكة تضع فى الأيام الأولى من شهر فبراير، فكل يوم يشهد مولد آلاف من النحل. وكلما تقدم الربيع ، ونشط اجتناء العسل، استولى القلق على أهل هذه المدينة الغاصة . وستشعر الملكة قريباً بقوة قاهرة تكرهها على ترك هذه المدينة التى تولت فيها الملك . وهى ليست ملكة بالمعنى الذى يفهمه الناس من هذه الكلمة ، فإنها لاتصدر أوامر، بل تخضع ــ كأهون رعاياها شأناً ــ لتلك القوة المحجوبة التى هى «روح الخلية» ، وهى وسيلة التناسل الوحيدة فى الخلية وأم المدينة كلها ، وكل مايتحرك داخل جدرانها من عمال وذكور ويرقات وأساريع، ومن أميرات صغار سيعجّل مولدهن القريب رحيلها هى ــ كل هؤلاء قد خرجوا من بين جنبيها .

والنحلة العاملة تعد الملكة مقدسة، فأنقى العسل المصفى من أجلها ، يدخر لها وحدها، ولها حرس يحف بها ويتعهدها نهاراً وليلا . وإذا اتفق أن وقع لها أهون حادث فإن الخبر ينتشر بسرعة من جماعة إلى جماعة ، فيقبل الجميع ويروحون ويجيئون وهم يندبون . وإذا انتزعتها من الخلية قبل الأوان ، فإن العمل فيها ينقطع ، فلا أحد يعنى بالصغار . ويكف المتارون عن زيارة الزهر، ويتخلى الحراس عن مراكزهم عند المدخل، ويزحف القحط شيئاً فشيئا على المدينة ، وينقص السكان، ثم لايلبث الحزن واليأس أن يبيداهم وإن كانت كل زهرة من أزاهير الصيف متفتحة أمامهم .

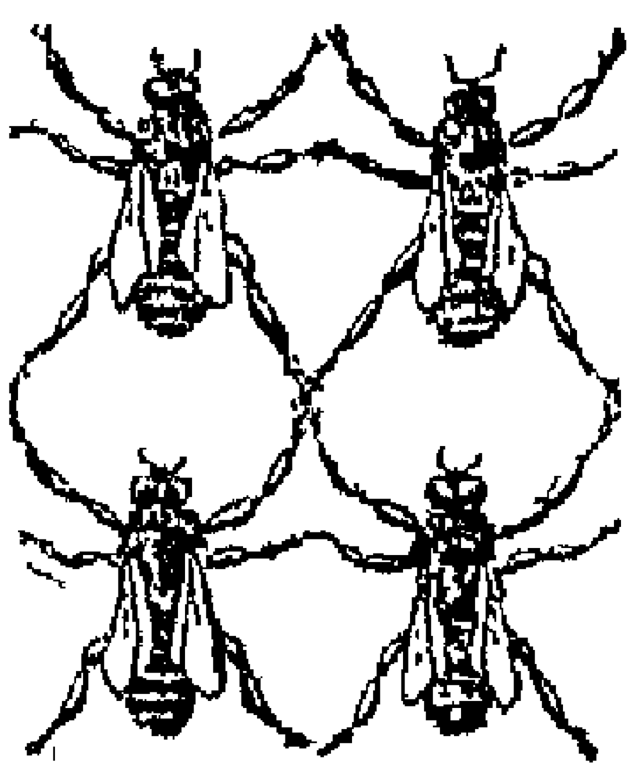
فإذا عادت الملكة إلى الصحة قبل أن يدرك اليأس النحل ، فإنه يتلقاها بترحيب عجيب مؤثر . فيحف بها فى لهفة ، ويقدم إليها العسل ، ويمضى بها فى صخب إلى بهو العرش ، ويعود النظام فوراً ، ويستأنف العمل ، وتتجاوب أصداء الخلية بترنيمة الغبطة الغريبة الرتيبة الإيقاع التى هى النشيد الملكى ، على مايبدو .

والنحل لايسمح بأكثر من ملكة واحدة ناضجة فى الخلية ، ولكن الناس لا يزالون يعبثون بما يعده النحل قوانين ثابتة للطبيعة. وماذا يصنع النحل حين نجىء نحن، بالقوة أو بالغش، بملكة ثانية إلى المدينة ؟ لعل هذا فى الأحوال الطبيعية ، وبفضل الحراس على الباب ، لم يقع قط مذ جاء النحل إلى هذه

الدنيا ، ولكن هذا الحادث الضخم لا يذهب بألباب النحل ، فإنه يواجه الموقف باجتنابه. وإنه لسهل على النحل أن يشك الملكة الطارئة بما لا يحصى من إبره المسمومة ، فتموت على المكان . ومع أن الإبرة مشرعة للوخز دائماً ، ومع أن النحل لا يفتأ يطعن بها فى معاركه التى تدور بينه ، إلا أنه لا يشرعها أبداً فى وجه ملكة ! وكذلك الملكة ، فهى لا تشرع إبرتها فى وجه رجل أو حيوان أو نحلة عادية ، ولا تستل سلاحها الملكى أبداً — وهو مقوس على هيئة السيف — إلا حين تنازل نداً لها : ملكة مثلها .

ويبدو أنه ما من نحلة تجرؤ على اقتراف جريمة قتل ملكة ، غير أنه لا بد من قتل إحدى الملكتين . ولهذا يلجأ النحل إلى طريقة أخرى للالتواء بالملكة المتطفلة، وذلك أنه يحيط بها إحاطة تامة وقد تشابكت أبدانه التى لا يأخذها حصر ، ويبقيها فى هذا السجن أربعاً وعشرين ساعة إذا احتاج الأمر إلى ذلك حتى تموت اختناقاً أو جوعاً .

ولكن إذا حدث فى هذه اللحظة أن جنت الملكة الشرعية ، فإن جدران السجن الحية تنفرج على الفور ، وتنشىء دائرة حول العدوين، وترقب المبارزة الغريبة التى ستدور بينهما . وإذا حاولت إحدى الملكتين أن تفر من المعركة، سواء أكانت الملكة الشرعية أم الطارئة ، فإن النحل يقبض عليها فوراً ويضعها فى هذا السجن الحى حتى تبدى رغبة فى منازلة عدوها . على أنه ينبغى أن نقول إن التجارب العديدة تدل على أن النصر يكون دائماً — تقريباً — حليف الملكة الشرعية ، لأن النحل يبدى بعض التحيز فى طريقة سجنه للملكتين المتنافستين ، فأم النحل لا تكاد تجد شيئاً من الضيق فى محبسها ، أما الملكة الغريبة فإنها تخرج منه دائماً منهوكة مضعضعة مكلومة .



سرب النحل

تتهيأ خليتنا الجياشة للخروج جماعة ، فإن ستين ألفاً أو سبعين ألفاً ، من ثمانين أو تسعين ألفاً ، وهم جملة السكان ، ستغادر المدينة فى الساعة المضروبة نزولاً على روح الخلية . والنحل لا يخرج لقلة فى الطعام ، كلا ، فلو أن الخلية فى قحط ، أو لو أنها نهبت أو ثارت بها عاصفة ، أو حل مصاب بالأسرة المالكة ، لما هجر النحل الخلية ، وإنما يخرج منها حين تبلغ الخلية ذروة الوفر والرفاهية .

وأجمل ما تكون الخلية ليلة هذا الخروج العظيم . ولنحاول أن نصوره لأنفسنا ، لا كما يبدو للنحل ، فإننا لا ندرى على أية صورة سحرية قاهرة تنعكس الأشياء على ٦٠٠٠ ،

أو ٧٠٠ صفحة من صفحات عيونه الجانبية. ولكن كما يمكن أن يبدو لنا لو كنا فى مثل جرمها. فمن رأس قبة ضخمة، تتدلى جدران من الشمع منشئات إنشاء هندسياً لا نظير له فى دقته وجرأته وعظمته بين المنشئات الإنسانية. وكل جدار من هذه الجدران التى لا تزال مادتها نقية عطرة، فيه آلاف من الكهوف خزنت فيها مؤن تكفى الجميع عدة أسابيع. وهنا، فى كهوف شفافة، توجد العناصر المخصبة المستمدة من الأزهار، خميرة الحب المشتارة من كل زهرة من زهر الربيع — وهى ترسل ومضات ما بين صفراء وحمراء وسوداء بنفسجية. وعلى كثب منها، فى عشرين ألف خزان، أودع عسل إبريل وعليه أختام لا تفض إلا فى أيام الضنك الشديد وهو أصفى أنواع العسل وأعطرها. وتحت ذلك عسل مايو فى سبيل النضج، فى أوعية كبيرة مفتوحة، وإلى جانبها فرق من الحراس تمدها بتيار مستمر من الهواء. وفى الوسط — وهو أدفأ مكان فى الخلية — مسكن المستقبل، المقر الملكى الذى فيه كهوف الفقس. وأخيراً، فى قدس الأقداس، توجد القصور الثلاثة أو الأربعة أو الستة أو الاثنا عشر، وهى رحيبة إذا قيست إلى غيرها، وفيها تقيم الأميرات المراهقات فى انتظار ساعتها، وهى ملفوفة فيما يشبه الشملة، وتطعم فى الظلام.

ولكن ساعة خروج السرب قد أزفت، ففى الخلية جو غير مألوف، قلما يخطىء النحال إدراك معناه. وعلى سطح الممرات الذهبية كلها يعد العمال العدة للرحلة. وتبدأ كل نحلة، قبل أى شىء آخر، بحشو بدنها بمؤونة من العسل تكفيها خمسة أيام أو ستة أيام. ومن هذا العسل الذى يحمله النحل فى جوفه يستقطر فيما بعد، بطريقة كيميائية لا تزال غامضة، الشمع اللازم لإنشاء المبانى فوراً. وهو يتزود أيضاً بنوع من الصمغ تختم به وتسد كل الشقوق فى المسكن الجديد، وتقوّى به الجوانب الضعيفة، وتطلى به الجدران.

فالنحل يدرك سلفاً ما سيحدث له فى هذا اليوم الذى هو أخطر أيام حياته، فقد ينزل المطر غداً أو بعد غد، أو تثور الرياح. والجوع والموت خليقان أن يحلاّ به لولا بعد نظره، ولن يخف أحد إلى نجدته، ولا هو ينشد النجدة من أحد، فإن كل مدينة لا تعرف الأخريات، والمعونة لا تبذل أبداً. وحتى لو جمع النحال النحل الخارج ووضعه إلى جانب الخلية التى هجرها فى هذه اللحظة، لبدا على النحل كأنه نسى ما كان يجد فيه من الهناءة والوفر والسلام. وكل نحلة تؤثر أن تموت جوعاً وبرداً، على أن ترجع إلى الخلية التى يتضوع منها أريج كدّها السابق، فينتهى إليها وهى فى ساعة محنتها.

وصحيح أنه فى هذا اليوم العظيم يخرج

بعدد معين من العمال إلى الحقول فى هدوء ، كأنّ شيئاً لم يحدث ، ثم يعود وينظف الخلية ويتعهد كهوف التفريخ، ويظل بمنأى عن النشوة العامة . هذه النحلات هى التى لا ترافق الملكة فى خروجها، بل تبقى لحراسة الخلية القديمة ، وتغذى ١٠,٠٠٠ بيضة ، و ١٨,٠٠٠ يرقة ، و ٣٦,٠٠٠ من صغار النحل، وسبعا أو ثمانى من الأميرات ستصبح اليوم مهجورات . أما لماذا أفردت لهذا الواجب الصارم ، وبأى قانون ، وبأمر من فذلك ماليس فى وسعنا أن نتكهن به . وهى تبقى لأداء هذه المهمة فى ولاء وسكون ودون أن تنحرف عنها . ومع ذلك فإن الإغراء لابد أن يكون قويا ، فإنه عيد العسل، ويوم الفرحة الوحيد والنسيان والطيش . ويبدو كذلك أنه اليوم الوحيد الذى يأكل فيه النحل حتى يهنأ ، وينعم على هواه بأطايب الكنز الذى جمعه هو. فقد طرح النحل الخارج وراء ظهره كل تعب وكل همّ، ولم يعد عنيفاً معتدياً ، مرتاباً ، جامحاً ، غاضباً. وفى وسع الإنسان ــ ذلك السيد المجهول الذى لا يعترف النحل بسلطانه والذى لا يستطيع أن يخضع النحل إلّا بالإذعان لقانونه ــ فى وسعه فى هذا اليوم أن يشقّ الستار الوضاء الذى ينشئه النحل وهو يطير هزجاً فى دوائر، وفى وسعه أن يجمعه فى يده كما يضع فيها عنقوداً من العنب . فإن النحل فى هذا اليوم يصبر على كل شىء ولا يؤذى أحداً ، مادام لا يحال بينه وبين ملكته التى تحمل مستقبله فى جوفها.

وتصدر إشارة الرحيل فجأة فى الخلية الحاشدة، فكأن حافزاً واحداً مباغتاً قد فتح كل باب فى الخلية ، فينطلق الحشد الأسود خارجا اثنتين اثنتين، أو ثلاثاً ثلاثاً ، أو أربعاً أربعاً ، بحسب عدد المخارج . ويظل الحشد لحظات يخفق فوق الخلية ، ثم ينطلق فى الفضاء كالبساط السحرى الذى تحدثنا عنه الأساطير « طاعة لأمر سيده » ويمضى فى طريقه المستقيم إلى الشجرة التى حطت عليها الملكة، وحولها يحط كل فوج هزِج، ويطوى أجنحته الوضيئة .

ثم يسود الصمت مرة أخرى ، وتعود هذه الضجة العظيمة ، وهى ليست أكثر من جماعة كبيرة من النحل الهادىء تنتظر عودة الروّاد الذين ذهبوا يبحثون عن مكان يصلح أن يكون مثوًى .

وهذه هى المرحلة الأولى لما يسمى «الخروج الأول» الذى تكون الملكة القديمة على رأسه دائماً . والمعهود أن يستقر النحل على الشجيرة أو الشجرة التى هى أقرب إلى الخلية ، لأن الملكة كانت تعيش فى ظلام دائم مذ طارت لزواجها أو مذ خرجت فى العام الماضى وقد كادت تنسى كيف تستعمل جناحيها .

ويتنظر النحال حتى يتم الحشد ويلتئم عقده، ثم يغطى رأسه بقبعة كبيرة من الخوص (لأن أشد النحل وداعة يخيل إليه أنه وقع فى شرك إذا هو تعثر فى الشعر، فيستخدم إبرته) ثم يشرع يلم الحشد بأن يهز الغصن الذى عليه النحل، فيسقط ويتلقاه فى خلية مقلوبة، ويقع النحل فى هذه الخلية زرافات كالثمر الذى جاوز حد النضج. وإذا كان الغصن متيناً لايسهل هزه، استعمل النحال ما يشبه الملعقة يجمع بها النحل ويفرغه فى حيث يشاء، كأنما هو يفرغ بها قمحاً فى ماعون. ولا داعى لأن يخشى مايهزج حوله من النحل، وما يقف على وجهه ويديه. وقد ارتفع فى الجو هزجها من الطرب والنشوة، وهى أصوات لها تختلف عن أصوات الغضب. أما لماذا يشعر النحل بالسعادة فذلك ما لا نعرفه، إلا أن يكون سر ذلك أنه يطيع قانونه.

ولكن إذا لم يجمع النحال النحل، فإن تاريخه لاينتهى هنا. ذلك أنه يظل مستقراً على الغصن حتى يعود العمال منه وهم يقومون منه مقام الكشافة والرواد، وقد تفرقوا عند الخروج فى كل النواحى للبحث عن مثوى، ثم تعود هذه النحلات واحدة واحدة، ويخيل إليك أنها تقدم تقريرها عن مهمتها. فهل يكون هذا المثوى الجديد فى جذع شجرة أجوف، أو فى ثغرة فى جدار متهدم، أو فى فراغ كهف؟ والأغلب أن يتريث الحشد ويتدبّر إلى صباح اليوم التالى، ثم يختار. وفى لحظة معينة يتحرك الجمع، ويتفرق، ويمضى، ويندفع فى طيرانه على طريق مستقيم مجتازاً الحواجز وحقول القمح والأنهار والقرى إلى غايته التى اعتمدها، وهى لاتكون إلا نائية، ويندر أن يستطيع الإنسان تتبع هذه المرحلة الثانية.



تأسيس المدينة

وسواء أذهب النحل إلى حيث يشاء أم استولى عليه النحال، فإن مدينة جديدة تؤسس على الحالين. وقد خلف النحل فى الخلية القديمة ذخيرة عظيمة من اللقاح المستمد من الزهر، وأكثر من ١٢٠ رطلاً من العسل، وهو مقدار يزيد نحو ٦٠٠ر٠٠٠ ضعف على وزن النحلة المفردة. وهذا يعادل، إذا اعتبرنا الإنسان بدلا من النحلة، ٤٢ر٠٠٠ طن من المؤن، أو أسطولا ضخما من السفن الكبيرة موقراً بزاد هو أثمن من أى زاد نعرفه. فإن العسل للنحلة ضرب من الحياة السائلة، وغذاء مصفًّى ليس فيه نفاية.

وهنا فى المثوى الجديد لا يوجد شىء، لاقطرة من عسل، ولا ذرة من الشمع،

ولاعلامة هادية، ولاشيء يستعان به . على أن النحل لايكاد ينزل فى المثوى الجديد حتى نشهد تقسيمالهذا الحشد المختلط هو أوضح مايكون وأبعده عن أن يكون مرتقباً . فالجمهور الأعظم منه يؤلف من نفسه وهو متلاصق متماسك ستاراً مثلثاً كثيفاً أشبه بمخروط مقلوب رأسه عند قبة المثوى . ويظل هذا المخروط المقلوب العجيب ساعات طويلة ينتظر فى صمت يكاد يكون مروّعا، أن يظهر الشمع بأعجوبة . ولسنا نعلم كيف يحدث ، وكل مايسعنا أن نقوله هو أنه يظل متدلياً هكذا مسافة من الزمن تتراوح بين ١٨ و ٢٤ ساعة فى درجة حرارة تبلغ من ارتفاعها أن تغرى المرء بالاعتقاد أن فى جوف الخلية ناراً موقدة . ثم تظهر طبقات بيض شفافة عند فتحة الجيوب لأربعة الصغيرة التى تحت معدة كل نحلة .

وفى أثناء ذلك تكون بقية النحل ـ التى بقيت تحت ـ غير عابئة بالمخروط ، فتتولى كنس الأرض ، وإزالة القش وذرات الرمل والورق الذاوى ، فإن النحل نظيف إلى حد الشطط فى ذلك . وفى أشد أيام الشتاء برداً ، حين يعوق الصقيع ما يسميه علماء النحالة « الخروج فى سبيل النظافة » ، يؤثر النحل أن يموت بالآلاف من داء يصيب أمعاءه ، على أن يلوث خليته .

وبعد أن يتم التنظيف ، يشرع النحل يمسح المثوى ويفحصه بدقة ، فكل شق يفحص ، ويسد بمادة كالشمع ، ثم يبدأ طلاء الجدران من أعلى إلى أسفل ، ويعين الحراس للباب ، ثم يخرج عدد من عمال النحل إلى الحقول ويعود باللقاح .

ولنحاول أن نكوّن فكرة عن إحكام النظر ، ودقة الحساب والجهد وسائر ما يتطلبه تهيئة هذا المثوى الجديد من هـذه الأمة الصغيرة . ففى هذا المثوى الذى يعدّ تراعى قوانين التهوية ، والمتانة ، وخصائص الشمع ، وطبيعة الطعام الذى يخزن .

والخلايا التى يقدمها الإنسان للنحل على ضروب شتى لا آخر لها ، فمن تجويف فى شجرة ، إلى وعاء من الطين لا يزال يستعمل فى آسية وإفريقية ، إلى بناء من القش على هيئة الناقوس ، أو خلية مربعة كالتى يتخذها النحالة المتخصصون ، ذات طبقات ثلاث أو أربع من أمشاط بعضها فوق بعض تكفى لعسل ثلاثمئة رحلة ، والأمشاط فى إطار ، فيسهل إخراجها واستخلاص عسلها .

ومهما يكن المثوى الذى يوضع فيه النحل من سوء الحال ، فإن عليـه أن يؤسسه ، وهو مطالب بأن يعين مواضع مخازن الشتاء التى ينبغى أن لاتجاوز منطقة الحرارة المنبعثة من النحل الذى يكاد يتجمد ، وعليـه أن يختار مواقع لكهوف التفريخ بدقة ، وإلا

حلت به نكبة إذا جاءت أقرب أو أبعد مما ينبغي من الباب .

ومع ذلك لم يحدث قط أن أعيَى النحل علاج مثواه مهما بلغ من غرابته ، إلا إذا كان المثوى الجديد لايصلح على الإطلاق ، أو إذا كانت تشيع فيه الرّوائح الكريهة . وفى هذه الحال يهجره النحل وينشد مثوى أصلح على مسافة قريبة . كذلك لايمكن أن يقال عن النحل إنه يمكن إغراؤه بالقيام بعمل سخيف أو غيرمنطقى ، سواء وضعت النحل فى مثوى على هيئة الكرة أو المكعب أو الهرم ، أو فى سلة بيضية أو متعددة الأضلاع ، فإن هذا الحشدالعجيب من العقول الصغيرة المستقلة يستخدم المثوى السخيف الذى أعددته له على نحو منطق باهر. وفضلا عن ذلك — وهذا يحدث كثيراً فى تربية النحل بالطرق الحديثة — إذا كانت جدران الخلية التى جمعت فيها النحل مغطاة بالشمع، فإنه لايضيع الوقت فى إنتاج شمع لاحاجة به إليه ، بل يشرع فى إتمام العمل الذى بدأ به النحال من قبل ، ويخلق فى أسبوع مدينة حسنة الهندسة مريحة ، ولولا ذلك لاحتاج إلى شهرين أو ثلاثة شهور لإنشائها .

ومتى تكونت طبقات الشمع رأينا إحدى النحلات ، كأنما ألهمت ذلك فجأة، تنفصل من البقية وتصعد إلى أعلى موضع فى القبة ، ثم تنزع بفمها وأرجلها إحدى طبقات الشمع المتدلية من بطنها، وتدحوها ، وتنشرها وتثنيها بمثل مهارة النجار الذى يعالج لوحا طريا، حتى إذا صارت للمادة الشمع الأبعاد اللازمة، ألصقتها بأعلى نقطة فى القبة. وبهذا تضع حجر الزاوية فى المدينة الجديدة ، فإننا هنا أمام مدينة مقلوبة تتدلى من السماء .

ثم تضيف إلى حجر الزاوية قطعاً أخرى من الشمع ، ثم تذهب فجأة كما جاءت ، وتحل أخرى محلها ، وتمضى فى العمل ، وتختفى بعد ذلك .

وعندنا الآن كتلة صغيرة من الشمع ليس لها إلى الآن صورة ما ، متدلية من القبة . ومتى بلغ سمكها حد الكفاية ، رأينا نحلة أخرى تخرج من الجماعة ، وهى مختلفة فى شكلها اختلافاً كبيراً عن النحلة التى سبقتها فوضعت الأساس . وتدلّ هيئتها على رسوخ الإيمان ، ويروح الجمع كله يتتبع حركاتها باهتمام حتى يكاد يخيل إلينا أن مهندساً مشهوراً قد دعى ليعين فى الشمع موقع الغرفة الأولى التى ينبغى أن تتعلق بها — بالحساب الرياضى — كل أخرى . وهذه النحلة من طبقة العمال الثالين أو النحاتين ، وهى لاتنتج شمعاً ، ويحل محلها على الفور عامل نافد الصبر يمضى فى المهمة التى سوف يتمّها ثالث. وهكذا تطيه

كل منها القانون العام للعمل المتقطع المتتابع .

وينشىء النحل أربعة أنواع من الغرف . فهناك أولا الغرف الملكية وهى على هيئة ثمرة البلوط ، ثم الغرف الكبيرة المجعولة لتربية الذكور وخزن الطعام، والغرف الصغيرة وهى مهود للعمال ومخازن عادية، وتشغل فى العادة أربعة أخماس السطح المبنى فى الخلية . وأخيراً يقيم النحل ما يمكن أن يسمى غرف الانتقال ، للوصل بين الغرف الكبيرة والصغيرة . وهذه بطبيعة الحال غير منتظمة الشكل، ولكن أبعاد النوعين الثانى والثالث يبلغ من دقتها وضبط مسافاتها أنه حين وضع نظام القياس المترى وأريد الاهتداء إلى قياس طبيعى مضبوط مقرر ، اقترح بعضهم اختيار غرف النحل لهذا الغرض*.

وكل غرفة عبارة عن أنبوبة مسدسة الأضلاع على قاعدة هرمية. ويقول الدكتور ريد : « لا يوجد سوى ثلاثة أشكال ممكنة للغرف تجعلها كلها متساوية ومتشاكلة، دون أن يكون هناك بينها مسافات لافائدة منها . وهذه هى المثلث المتساوى الاضلاع، والمربع، والمسدس المنتظم . والمسدس أصلحها من حيث المتانة والراحة .

« وقد تبين أنه بجعل أرض الغرفة مؤلفة من ثلاثة سطوح تلتقى فى نقطة ، فيتيسر له أن يقتصد فى المادة والجهد مالا يستهان به ، والنحل ــ كأنه عالم بمبادىء هندسة الفراغ ــ يجرى عليها بدقة . وتعد الزاوية التى تلتقى عندها السطوح للحصول على أعظم اقتصاد، من مسائل الرياضة العليا . وقد عين ماك لورين عضو الجمعية الملكية بلندن ، هذه الزاوية المطلوبة بدقة ، ووجد أنها هى نفس الزاوية التى تلتقى عندها فعلا السطوح الثلاثة فى أرض غرفة مشط النحل » .

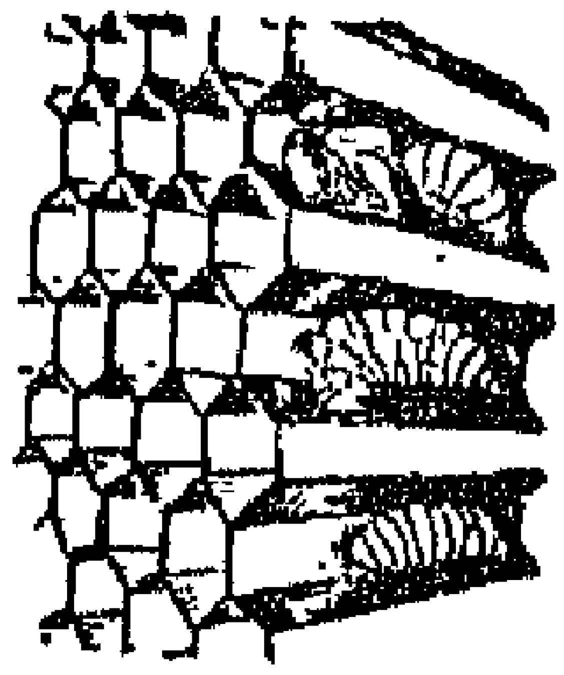
ومن المحقق أن النحل لا يشتغل بالحسابات العويصة ، ولكنه من ناحية أخرى ، يبدو أن من المستحيل أن تكون هذه النتائج المذهلة راجعة إلى المصادفة وحدها ، ولاسيما أن الزنابير التى تبنى أيضاً أمشاطاً ذات غرف مسدسة ، قد حلت هذه المسألة حلاً لا يدل على ذكاء ، فإن أمشاطها مبنية جزافاً ، حتى أن ثلث المسافة تقريباً يضيع هباء .

ونحن إذ نعجب بهذه البراعة الهندسية فى البناء ، يجب أن نقف أيضاً لنعجب بالبراعة فى إنشاء الممرات والمماشى من خلل الأمشاط أوحولها . وهى من حذفها فى شقها تهيىء طرقاً مختصرة فى كل اتجاه ، وتحول دون الزحام ، وتكفل التهوية الحرة . وكذلك يجب أن نعرف التجارب العديدة التى أجريت لحمل النحل على تكييف بنائه

---

* تبين أخيراً أن الغرف وإن كانت عجيبة الانتظام، تتفاوت بعض الشىء فى السعة بحسب الخلايا.

وترميمه ، ولكن يحسن بنا أن ندع هذه الأعاجيب وأن نعود إلى رواية الخلية .



الحياة فى الخلية

ولا يكاد الصف الأول من المثاوى يتم حتى تحتله الملكة وحاشيتها من الحرس والخدم . وقد يحسن أن نذكر هنا حقيقة غريبة، هى أن العمال من النحل تتقى دائماً أن تدير ظهرها إلى الملكة ، فلا تكاد تقترب من جماعة العمال حتى تراها ترتب صفوفها بحيث تواجه الملكة وترجع القهقرى أمامها.

ومتى وصلت الملكة إلى غرفة تعدّها صالحة ، فإنها تضع فيها بيضة وتمضى إلى غرفة أخرى . ومنذ هذه اللحظة إلى أن ينزل أول صقيع الخريف، لاتكف الملكة عن البيض، وهى تبيض أثناء أكلها ، وحتى فى نومها إذا نامت . ولا تزال تتعقب العمال خطوة خطوة وهم ماضون بهمة على الرغم من كلالهم فى إقامة المهاد التى يتطلبها خصبها . وأخيراً تتمّ هذه الأم التى لاتكلّ ، طوافها بمحيط الخلية كلها ، فتعود إلى مثاويها الأولى التى تكون فى هذا الوقت خالية ، لأن الجيل الأول يكون قد خرج إلى الحياة ، ولايلبث أن يطير إلى النوّار القريب ، وتغصّ به أشعة الشمس ، ويزيد به إشراق الزمان .

ويخرج من البيض الذى وضعته الملكة فى المثاوى الكبيرة ذكور النحل . ويبدو من هذا أن الملكة لابد أن تكون قادرة على تعيين جنس البيضة سلفاً، واختيار المثوى لها. فكيف يتسنى لها أن تفصل الذكور من الإناث من بين هذا البيض الذى لايأخذه إحصاء !

هنا يواجهنا مرة أخرى لغز من ألغاز الخلية، ولا سبيل إلى سبر غوره والكشف عن سره ، ونحن نعلم أنه حتى الملكة العذراء ليست عاقراً ، ولكن البيض الذى تضعه لايخرج إلا ذكوراً ، وهى لاتستطيع أن تنتج عمالا أو ذكوراً بإرادتها إلا بعد تلقيحها فى طيران الزفاف الخطر ، وهذا الطيران يكسبها إلى آخر العمر نطفة التلقيح التى تنتزعها من عاشقها المسكين . وهذه النطف تبقى حية فى غدة خاصة تحت المبيض ، وتسيل فتلقح البيض فى مروره .



المدن الصغيرة

والآن فلنغلق خليتنا حيث نرى الحياة قد استأنفت سيرها الدارج ، ولنعد إلى المدينة الأمّ لنرى ما يجرى فيها بعد أن هجرها الحشد .

بعد أن تسكن الضجة ، تصبح المدينة المسكينة التى برحها ثلثا أهلها ضعيفة كالبدن

الذى ألح عليه النزف ، على أن بضعة آلاف من النحل قد بقيت ، وهى تزيل كل أثر للحادث ، وتعنى بخزن المؤن التى نجت من النهب ، وتخرج إلى الأزهار مرة أخرى ، وتقوم بحراسة دقيقة على « رهائن » المستقبل .

وعلى الرغم من أن اللحظة تبدو حالكة ، فإن الأمل كبير فى حيثما دارت العين، حتى ليخيل إلينا أننا فى قصر من قصور الأساطير القديمة ذات الجدران المكونة من آلاف الفوارير التى فيها أرواح الرجال الذين سيولدون . فإنا هنا فى مثوى الحياة التى تسبق الحياة ، وفى كل ناحية يرقد آلاف من صغار النحل فى مهاد مختومة، وهى بيضاء كاللبن، وأيديها مطوية ورؤوسها مثنية فى انتظار ساعة اليقظة .

وحول منطقة التفريخ كلها، يرقص العمال من النحل وتخفق أجنحتها . ويبدو أن النحل بهذه الحركة يولد الحرارة اللازمة ، وبعد بضعة أيام أخرى، تبدأ تنشق تلك الأوعية — والخلية الكبيرة تحتوى ما بين ٦٠٫٠٠٠ و ٨٠٫٠٠٠ منها — فيخرج صغار النحل ، فتقبل القابلات من النحل مسرعات، وتساعد الصغار على الخروج من سجنها ، وتنظفها وتمسحها وتذيقها بطرف لسانها أول قطرة من عسل الحياة الجديدة . والصغار تعرف على الفور كل ما ينبغى أن يُعرف ، وتمضى من فورها إلى المثاوى المغلقة، وتروح تضرب بأجنحتها وترقص رقصاً موقعاً لتعجّل هى أيضاً بخروج أخواتها الدفينات .

على أنها تعفى فى بداية الأمر من أشق الجهـــود ، فلا تخرج إلى الأزهار مع أخواتها التى ولدت معها فى يوم واحد إلا بعد أسبوعين ، وفى أول خروج لها تتخطى العتبة وتقف ، وتبرحها ثم ترجع عشرين مرة ، وتخفق فى الجـو ورؤوسها متجهة إلى الخلية ، وعيونها تنظر وتتأمل وتدخر صور الأشجار والنافورة ، والبـــوابة ، والجدران حتى ينطبع على ذاكرتها طريقها الجوى الذى ستنساب راجعة منه، كأنما صار طريقاً معلماً بخطين من الحديد.

ولما كانت الملكة القديمة قد رحلت مع الحشد ، فإن هذه الخلية لا تزال مفتقرة إلى ملكة ، فتظهر فى جوف أحد الأمشاط سبع منشئات غريبة أو ثمان ،كل منها بذرة أو حبة تملأ مكان ثلاثة أو أربعة من مثاوى العمال . والمعهود أن تكون كلها مجتمعة حول نقطة واحدة ، ويتولى حرس كبير شديد العناية ، السهر على هذه المنطقة التى يبدو أنها ذات شأن كبير ، إذ من هنا تخرج الملكات . وفى كل واحدة من هذه الحبات تكون قد وضعت بيضة قبل خروج

الحشد ــ بيضة مماثلة من كل وجه للبيض الذى يخرج منه العمال .

ومن هذه البيضة، بعد ثلاثة أيام ، يخرج فرخ صغير يتلقى غذاءً وفيراً خاصاً يسمى « الهلام الملكى » . فينمو الفرخ بفضل هذا الغذاء نمواً شاذاً ، ويطرأ عليه تغيير فى أفكاره وفى بدنه ، يبلغ من جسامته أن النحلة التى سيلدها خليقة أن تكون من نوع مختلف من الحشرات .

وعمر هذه النحلة يكون أربع سنوات أو خمس بدلا من الأسابيع الستة او السبعة التى هى عمر النحلة العاملة . ويكون مخها أصغر ، ولكن مبايضها ضخمة ، ويكون لها عضو خاص ، هو وعاء التلقيح ، فيكاد يجعلها جامعة بين الذكورة والأنوثة ، ولا يكون لها من الخصائص ما هو متعلق بحياة الكد ، فلا يكون لها زَغَب على قوائمها، ولا جيوب تدخر فيها الشمع ، ولا سلال تجمع فيها اللقاح ، وتموت دون أن تذوق زهرة واحدة . وإنه لعجيب أن نرى أشياء كثيرة من أعضاء ، وآراء ، ورغبات ، وعادات، وحياة كاملة ــ لاتتوقف على جرثومة ، كما هو الشأن فى النبات والإنسان والحيوان ، بل على مادة غريبة لاحركة فيها ولا حياة ــ هى طعام النحل المسمى « الهلام الملكى » .

وقد مضى نحو أسبوع على رحيل الملكة القديمة . وصغار النحل الملكى الراقدة فى الحبات ليست كلها فى سن واحدة ، فإن من مصلحة النحل أن تكون المواليد فى فترات منتظمة ، وقد ظل عمال النحل ساعات يرققون جدران أنضج المثاوى ، والملكة الصغيرة من الداخل تقرض الغطاء المستدير لسجنها . وأخيراً تخرج ، ولا تكاد تفعل حتى يستولى عليها نشاط عجيب ، وتحس أنها ليست وحدها ، وأن عليها أن تفتح مملكتها ، وأن على مقربة منها أدعياءَ مختبئين فتروح تمشى على جدران الشمع بحثاً عن منافساتها ، وهنا تتدخل روح الخلية بأحكامها التى نجهل سرها .

وقد تسمح الخلية للملكة الجديدة بأن تحطم أخواتها وأعداءها قبل التفريخ، أو قد تؤثر الخلية أن تتريث حتى تؤدى المراسم الخطرة المعروفة باسم « طيران الزفاف » الذى يتوقف عليه مستقبل هذه الأمة . فإذا أذنت الخلية فى القضاء على المنافسات ــ وهو ما يحدث كثيراً ــ فإن الملكة تسرع إلى كل مهد كبير ، فيفسح الحرس لها الطريق ، وتدفعها غيرتها المتلهبة فتلقى بنفسها على أول مهد يصادفها ، وتنزع عنه الشمع بأسنانها ومخالبها ، وتمزق الغلاف الرقيق الذى يغطى المهد ، وتجرد الأميرة الراقدة من كل ستر ، وتلسعها بإبرتها

حتى تميتها ، وتكرر هذا فى مهد بعد مهد .

وتكون النحلات المحيطة بها واقفة فى سكون تشهد هذه الثورة ولا تعمل شيئاً ، حتى يدرك الملكة الإعياء فلا تعود تقوى على مطاوعة عاطفتها ، وحينئذ يتولى النحل إتمام المجزرة .

وهذه هى الساعة الرهيبة فى الخلية ، والمناسبة الوحيدة — إذا استثنينا ماله مسوّغ من قتل الذكور العاطلين — التى يسمح فيها للعمال بالشقاق والقتل فى الخلية .

ويحدث أحياناً أن تخرج ملكتان فى وقت واحد ، ولكن هذا نادر لأن النحل يحرص حرصاً شديداً على الحيلولة دون ذلك — فإذا حدث هذا فإن مبارزة وبيلة تبدأ فى اللحظة التى تخرجان فيها من مهديهما. ولهذه المبارزة طابع عجيب، فإنه إذا صارت الملكتان أثناء المحاورة فى موقف قد يجعل الطعن قاتلا للاثنتين ، فإن الملكتين المتحاربتين يستولى عليهما الجزع ، فتتحاجزان وتفرّان لتلتقيا وتتنازلا مرة أخرى . وتنفصلان ثانية إذا رأتا أن الكارثة المزدوجة تهدد مستقبل أمتهما ، إلى أن توفق إحداهما أخيراً إلى مباغتة الأخرى واهتبال غِرّة منها وقتلها دون أن تتعرض هى للخطر . ذلك أن قانون هذا الشعب لا يسمح إلا بضحية واحدة !

وبعد أن تحطم المهود ، ويقتل كل منافس ، يتلقى الشعب ملكته الجديدة بالقبول ، ولكنها لا تتولى الحكم حقاً ، ولا تعامل من شعبها كما كانت أمها تعامل إلا بعد طيران الزفاف ، أما قبل التلقيح فإن النحل يستخف بها . فلكى تكون فى مثل مركز أمها ينبغى لها أن تلتقى بالذكر فى خلال عشرين يوماً من حياتها ، فإذا تأخر هذا لسبب من الأسباب ، فإن الملكة يقضى عليها بأن تظل عذراء . وقد رأينا أن هذا ليس معناه العقم . وهنا نواجه السر — أو الاحتياط — الطبيعى العظيم ، أى الإنتاج بغير تلقيح ، وهو ما يشاهد فى عدد من الحشرات . والملكة العذراء تستطيع أن تضع ، ولكن البيض الذى تضعه ، كبيراً كان أو صغيراً ، لا يخرج منه إلا ذكور . ولما كان الذكور لا يعملون أبداً ، ويعيشون عالة على الإناث ، ولا يخرجون للتزود إلا لأنفسهم فقط ، وهم على العموم عاجزون عن تموين أنفسهم ، فإن النتيجة تكون بعد بضعة أسابيع أن يبيد آخر عامل مرهق ، وأن يقضى على الخلية كلها .



طيران الزفاف

اتخذت الطبيعة فى تلقيح النحلة تدابير غريبة لاجتماع الذكور والإناث من أصلين مختلفين . وإن حول الملكة العذراء ومعها فى الخلية ، مئات من الذكور الأقوياء فى نشوة

دائمة بين العسل . والسبب الوحيد فى وجودهم هو الوصال مرة واحدة . ومع أن الاحتكاك الدائم بين رغبتين يؤدى فى كل مكان آخر بلا استثناء إلى التغلب على كل عقبة ، إلا أن هذا الوصال لايكون أبداً فى الخلية . وفى كل يوم ، من الظهر إلى الثالثة مساء ، حين تكون الشمس مشرقة ، يخرج هذا الجمع المجنح ينشد العروس وهى أعرق فى الملكية ، وأعسر منالا من أميرات الأساطير اللواتى لا سبيل إليهن . ذلك أن عشرين أو ثلاثين قبيلة من ذكور النحل تقبل مسرعة من كل الخلايا المجاورة ، فحاشية الملكة فيها أكثر من عشرة آلاف خاطب ، ومن هذه الآلاف العشرة لا يقع الاختيار إلا على واحد فقط !

وقل من استباح سر زواج النحلة الملكة الذى يتم فى أجواز السماء الجميلة الوضاءة اللانهائية .

ومهما يبلغ من شوق العروس فإنها هى التى تختار اليوم والساعة ، وتتلكأ فى ظل المدخل حتى يطلع صباح رائع يفتح لها أبواب السماء التى ستزف فى قبتها اللازوردية العظيمة .

وتبدأ طيرانها راجعة مرتين وثلاثاً حتى يرتسم فى ذهنها موقع المملكة التى لم ترها قط من الخارج ، ومنظرها . ثم تنطلق كالسهم إلى قبة السماء الزرقاء ، وتحلق إلى ارتفاع لايكاد يرتقى إليه أبداً غيرها من النحل وتكون الذكور فى كؤوس الزهر تنعم بالفتور ، فتشهد هذا المنظر ، ويحمل إليها النسيم هذا العطر الجذاب الذى ينتشر من جماعة إلى جماعة حتى تفعم به كل خلية قريبة ، فتحتشد الجموع على الفور وتتبعها فى بحر السرور ، ويسكرها هى خفق أجنحتها ، وتذعن لقانون الجنس الذى يقضى بأن لا ينالها فى طبقات الجو سوى الذى هو أقوى ، فتزداد علواً وسمواً ، ولابد أن تصل إلى منطقة لاتغشاها الطير حتى لاتنتهك حرمة هذا الزفاف . فتمضى صاعدة ، ويكون الحشد المختلط الذى يتبعها قد أخذ يخف ويتفرق ، ويرتد عن الطراد الضعيف والمتهافت والمسن والجائع الذى خرج من خلية راكدة أو فقيرة ، ويختفى هؤلاء فى الفضاء ولا يبقى سوى عدد قليل لايكال معلقاً فى الزرقة الأبدية ، وتهيب هى بأجنحتها أن تدفعها دفعة أخيرة ، ويدركها ذلك الذى تخيرته لها بقوة لاسبيل إلى إدراك كنهها . ويمسك بها ، فيمضيان معاً يدفعهما حافز واحد ، ويدوران معاً متشابكين صاعدين وينعمان بثانية من نشوة الحب وجنونه .

ولا يكاد يتم اجتماعهما حتى تنتزع جهاز الذكر من جسمه ، وتجر معه كل ما فى أحشائه . فيتراخى جناحاه ، وكأنما أصابته صاعقة ، فيسقط بدنه الفارغ فى الهاوية .

والقانون الذى ضحى بمستقبل الخلية من أجل تكاثر الذكور الذين لاحاجة إليهم،هو نفسه الذى يضحّى بالذكر من أجل مستقبل الخلية . والفكرة تورث الذهول أبداً ، ولكنها لاتخلو من منطق ، إذ يبدو أن الطبيعة قضت لمصلحة التلاقح أن لا يتم اتحاد الذكر والأنثى الملكة إلا فى أجواز السماء . ولكن فى السماء أخطاراً شتى — الرياح الباردة ، وتيارات العواصف ، والطيور — ولهذا قضت بأن يكون الاتحاد أقصر وأوجز مايمكن . وإنه لكذلك بفضل الموت المفاجىء الذى يدرك الذكر .

وتهبط الملكة بعد ذلك من السماء اللازوردية وترجع إلى الخلية وقد أعطاها الذكر كل ما كان له ، وأكثر مماتحتاج إليه، فتحتفظ بالنطفة التى تسبح فيها ملايين من الجراثيم التى تظل إلى آخر حياة الملكة تخرج واحدة واحدة حين تمر بها البويضات ليتيسر الاتحاد العجيب بين عنصرى الذكورة والأنوثة ، فيولد النحل العامل . والآية مقلوبة ، فإنها هى التى تقدم عنصر الذكورة ، وذكر النحل هو الذى يقدم عنصر الأنوثة .

وبعد يومين من هذا الاتحاد تضع بيضتها الأولى ، فيحفّ بها شعبها ، ويبدون لها أعظم رعاية . ومنذ هذه اللحظة التى صارت فيها مزدوجة الجنس ، وصار لها مدد من الذكورة لاينفد ، تبدأ حياتها الحقيقية ، ولا تترك الخلية أبداً إلا حين تهجرها مع الحشد الراحل ، ولا تكف عن الإنتاج إلا عند ما يرفرف عليها الموت .

وإنه لزفاف هائل، وإنه لأغرب ممايصوره الخيال ، وفيه مأساة ، وليس للطبيعة همّ إلا أن ترقى الجنس بالتلقيح المختلط ، ولكى تكفل هذا جعلت أداة الذكر بحيث لايستطيع استخدامه إلا فى الفضاء ، ولكى يتيسر هذا ينبغى أولا أن يؤدّى طولُ مدة الطيران إلى توسيع الرئتين . وامتلاء هاتين الرئتين العظيمتين بالهواء ، يدفع بالجزء الأسفل من المعدة إلى الوراء فيتسنى بروز عضو التناسل . وهذا هو بيان السر الفسيولوجى كله لهذا الطراد الرائع والزفاف البديع — وهو يبدو عاديا جداً للبعض ، ويكاد البعض الآخر يعده سوقياً .



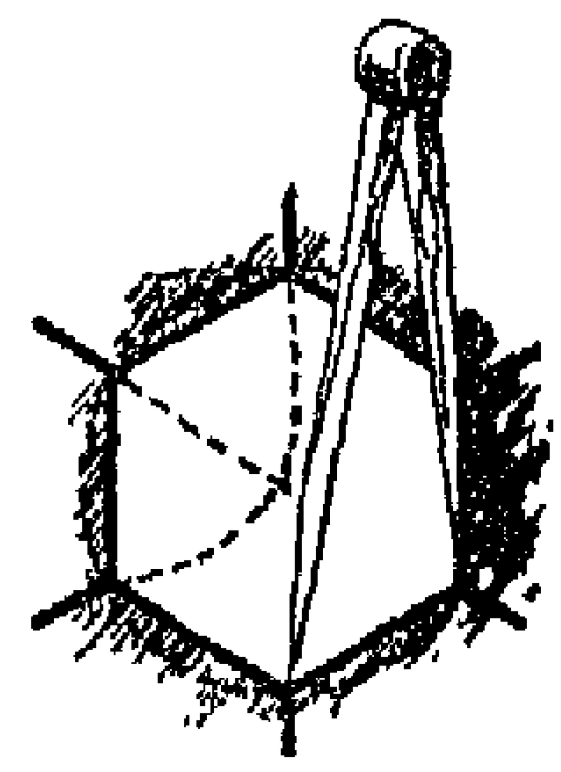
ذبح الذكور

إذا ظلت السماء صافية ، واللقاح والعسل متوفرين ، فإن جماعة العمال من النحل تظل فترة وجيزة متسامحة متغاضية ، تحتمل وجود الذكور الثقلاء النهمين . وهذه الذكور السمينة المبدّدة الراضية كل الرضى عن بطالتها وعن كونها ليست أكثر من

« زواج شرف » لاتزال عاطلة لاخير فيها ، تأكل وتنعم وتزحم الممرات ، وتعرقل السير فيها ، وتعوق العمل . وهى تختار لرقادها الهنيء خير أركان الخلية ، ثم تنهض متثاقلة وتحتشد عند الحجرات المفتوحة حيث العسل أحلى وأعطر ما يكون ، وتلوث بإفرازها الأمشاط ، وتروح جماعة العمال الصابرة التى لاتزال عيونها ناظرة إلى المستقبل، تصلح فى صمت مايفسد الذكور التى تخرج إلى الشمس لتضحى فيها من الظهر إلى الثالثة بعده ، ولها خوذة مؤلفة من لؤلؤتين سوداوين كبيرتين، وريشتين عاليتين خفاقتين، ودرع من مخمل متموج الأوان ضارب إلى الصفرة. فإذا أراد الذكور الخروج أحدثوا جلبة كبيرة، ونحوا الحراس جانباً ، وأوقعوا النحل الذى يتولى التنظيف ، واصطدموا بالنحل الذى خرج يمتار وعاد موقراً بالقليل الذى جمع ، ويخرج الذكور واحداً واحداً إلى الفضاء وهو مغتبط لا يصده شيء ، ويقصد إلى أقرب الأزهار ، حيث يرقد إلى أن يوقظه نسيم العصر الرقيـق ، ثم يرجع إلى الخلية بنفس الأبهة والنفخة، فياض الجوانب بالرغائب البديعة ، ويمضى من فوره إلى الحجرات ويدس رؤوسه إلى الأعناق فى العسل، ويعب فيه حتى يمتلىء ويصبح كالطبلة ليعوض ما فقد من قوته .

ولكن صبر النحل ليس كصبر الإنسان ، فيجيء صباح يصدر فيه الأمر الذى طال ارتقابه ، ويشيع فى الخلية ، فتنقلب جماعة العمال الوادعة إلى قضاة وجلادين، ولا ندرى من أين يصدر الأمر ، ويظهر أن مصدره هو النقمة التى استولت على جماعة العمال على الأيام ، ولايكاد يصدر الأمر حتى يخفق به كل قلب . وتكون جماعات الذكور العاطلة راقدة غافلة على الجدران المعسولة، فيتقدم إليها جيش من عذارى النحل الساخطة وتوقظها من نومها بعنف ، فتهب متعجبة ، ولا تكاد تصدق عيونها ، فتديرها فيما حولها وهى مذهولة ، وفى ظنها أن هناك خطأ هى ضحيته ، ولكن الأيام التى كانت تشور فيها عسل مايو وتحتسى رحيق أزهار الليمون ، وتشم أرج العتر والبرسيم ــ قد تقضت ، وشاعت فى الخلية رائحة السم الحادة . ويهجم على كل ذكر ثلاث أو أربع من النحل رسل العدالة، فتشرع بهمة فى قطع جناحيه ، والبحث عن ثغرة فى درعه تدفن فيها سيوفها ، ولايحاول الذكور الضخام العزل دفاعاً عن أنفسهم ، وتودى بالبعض جراحه على الفور فيحمله ويقذفه من الخلية اثنتان أو ثلاث من النحل الذى أعدمه، ويحتمى البعض الآخر بركن من الأركان ويبقى فيه يحيط به حرس لايرحم حتى يموت جوعاً ، ويصل كثير من الذكور إلى الباب فينجو فى

الفضاء ولكنه فى المساء يكون البرد والجوع قد ألحّا عليه فتعود جموعه إلى المدخل ملتمسة المأوى ، غير أنه يلتقى هناك بحرس لا يعرف الرفق . وفى صباح اليوم التالى قبل أن تخرج جماعة العمال فى رحلاتها اليومية ، تنظف المكان الغاص بجثث الذكور الضخام التى لا خير فيها ، وتمحى ذكرى هذا الجنس العاطل إلى أن يجىء الربيع مرة أخرى .



رقدة الشتاء

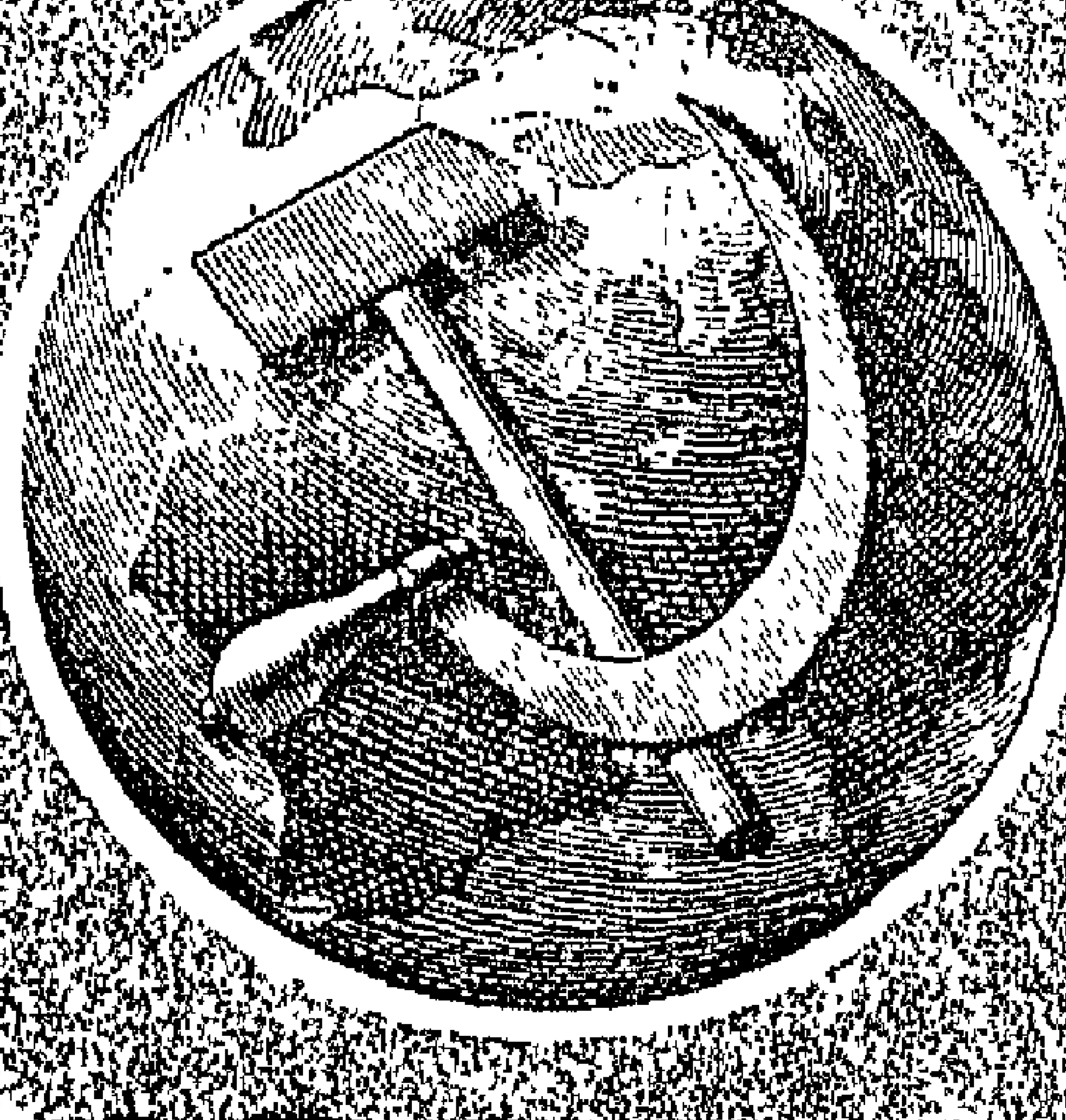
ويستأنف العمل بعد القضاء على الذكور ، ولكن بهمة تفتر شيئاً فشيئاً ، لأن الأزهار تقل ، وقد مضت أيام الأفراح العظيمة ، وتختم مخازن العسل بالشمع الأبيض الذى لا يلحقه فساد ، وينقطع البناء ، وتقل المواليد وتكثر الوفيات ، وتطول الليالى ، ويقصر النهار ، ويعصف المطر والرياح وضباب الصباح بمئات من جماعة العمال .

ويكون الإنسان قد أخذ نصيبه من الحصاد ، وقد زودته كل خلية حسنة بمئة رطل من العسل ، بل بمئتى رطل فى بعض الأحيان تمثل حقولا واسعة من الأزهار ، كان النحل يزورها كل يوم ألف مرة أو ألفين . ويحتشد النحل فى وسط الخلية استعداداً لنوم الشتاء الطويل ، ويروح يخفق بأجنحته معاً — بسرعة أو ببطء بحسب درجة الحرارة فى الخارج ، فيولد فى منطقته دفئاً معادلا لدفء يوم من أيام الربيع . ويقوم العسل الذى يتغذى به مقام الشمس والأزهار حتى تطلع شمس الربيع فتدفىء الخلية ، وتبعث برسالتها إلى النحل أن قد عادت إلى الحياة الشقائق والبنفسج ، وتخبره أن السماء صارت زرقاء مرة أخرى ، وأن الدائرة التى تضم الموت إلى الحياة وتصل ما بينهما قد عادت إلى الدوران وبدأته من جديد .

ونحن إذ نتأمل أسرار الخلية لا يسعنا إلا أن نظل على ذكر لآية من آياتها ، وتلك هى الحجرة المسدسة التى تكاد تبلغ درجة الكمال المطلق — كمال لا تستطيع أن تزيد عليه كل عبقريات البشر مجتمعة . فما استطاع الإنسان فى نطاق مساعيه أن يحقق ما حققه النحل فى دائرته ، ولو أن أحداً من عالم آخر هبط إلى الأرض وسأل عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة ، لما وسعنا إلا أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع .

حقيقة ١٤ مليونًا من أرقام روسيا السوفيتية

ماكس إيستمان



مختصر مقتبس من كتاب ألفهُ داڤيد . ج . دالين وبوريس ييڤوليفسكي، وعنوانهُ : « لا شيء سوى سلاسلهم » وستنشره مطبعة جامعة ييل . وقد أضيفت إليه أقوال لشهود العيان من البولنديين الذين أفرج عنهم من معتقلات الرقيق وفقاً لاتفاق ستالين سيكورسكي، وحقائق منتزعة من تقارير رجال كانوا من رجال الشرطة السرّية السوفيتية ، وغيرهم من الذين كانوا يشتغلون في إدارة هذه المعتقلات، ومقتطفات متعددة من الصحف السوفيتية.

حقيقة ١٤ مليونًا
من أرقاء روسيا السوفيتية

من أخطر الحوادث في العصر الحديث وأشدها ترويعاً للنفس، حادث إحياء سنة استرقاق الناس في روسيا السوفيتية. وقد حاول هتلر أن يفعل هذا على الطريقة الرومانية القديمة، فاستعبد الأجانب أو من كانوا في حكم «السلالات المنحطة». أما ستالين الذي لا يؤمن بالتفاوت بين السلالات، فقد استرق أبناء وطنه، كما استرق أبناء أمم أخرى، وقد فعل ذلك على نطاق لم يشهد التاريخ مثله من قبل.

ففي إمبراطورية الاتحاد السوفيتي اليوم ١٤ مليون عبد* فرضت عليهم السخرة، وهم يعيشون في حظائر تحيط بها حواجز تعلوها الأسلاك الشائكة، ويحرسها في الليل والنهار رماة يرابطون في أبراج مزودة بالأنوار الكشافة القوية، وأسراب من الكلاب لمطاردة من يفر. وهؤلاء الأرقاء يؤدون أشق الأعمال وأخشنها وأفدحها من تعدين واحتطاب وكشف أرض الغابات ومد الطرق والسكك الحديدية وشق الترع وتمهيد المطارات وإنشاء المصانع.

فهذه القوة العاملة قليلة النفقة، ثابتة خاضعة للمسيطرين عليها، «لا تبالي» تقلب الجو، ويمكن أن تنقل في مركبات الشحن، فتساق جماعاتها سوق الأنعام دون مقاومة. ويمكن أن ينتفع بها دون خوف أو قلق على الأموال المثمرة في العمل، لأن هؤلاء الأرقاء السوفيت لا يكلفون سيدهم شيئا، وسيدهم هو وزارة الشئون الداخلية*، يأخذهم وكلاؤها من الشارع بلا حرج أو ينتزعونهم من فرشهم في جوف الليل. وعمل أربعة عشر مليونا من الأرقاء عامل جوهري في اقتصاد «الدولة الاشتراكية الأولى». فإذا نقص عددهم أصدرت الإمفيدا أوامر إلى فروعها بالقبض على طائفة تعين عددها ممن تسميهم «المذنبين» الجدد.

ونظام الاسترقاق هذا يدحض الزعم بأن «الملكية الجامعة» قد حلت مشكلة البطالة،

* يوافق ألكسييف على هذا الرقم (انظر بيانه في ذيل هذا الفصل ص ١٢١) وقد قال فيكتور كرافشكو مؤلف كتاب «آثرت الحرية» إنه بلغ ٢٠ مليوناً، يوم كان في روسيا. وقد روى الكولونيل كازاليت النائب البريطاني الذي رافق سيورسكي رئيس الوزارة البولندية في جولة في هذه المعتقلات أن جنرالا روسياً قال له: «لست أدري لم تتألمون من أجل البولنديين، فثمة ٢٠ مليوناً من قومنا يعيشون هذه المعيشة نفسها».

* إمفيدا لفظ مركب من أوائل الحروف، وهي الاسم الجديد لبوليس الدولة. وقد كان يعرف قبل باسم «نكفيدا» وقبل ذلك باسم «أوجبو».

فنى الاتحاد السوفيتى من الناس الذين كتب عليهم الرق الدائم أكثر من عـدد العمال الأمريكيين الذين تعطلوا فترة ما فى أشد سنوات الأزمة ضيقا وكساداً . ويعيش الأرقاء فى بعض المعتقلات معيشة أسوأ من معيشة الناس فى العصر الحجرى . وإليك على سبيل المثال بعض شهادة أسير بولندى كان قاضيا فيما سبق من أيامه . قال :

« وصلنـا إلى السهل المقرور المهجور عراة أو نكاد ، حفاة الأقدام بين الموت والحياة ، فلم نجد سوى عود غلقت عليه لوحة عليها هذه الكلمة : « المعتقل ٢٨٨ » فأكلنا عصيدة حبوب كالشعير لم تطبخ ، ونمنا فى خنادق متلاصقين طلباً للدفء، وكان فراشنا أعواداً مبلولة مفروشة على الطين .

« وكان الموكل بالمواعيـد يوقظنـا فى الساعة الرابعة صباحا بدق فأس على منشار من الصلب ، فلم يكن أحد يكلف نفسه أن يلبس ثيابه، لأنه ينام بها ، وليس علينا إلا أن ننهض ونأكل ماتبقى من عصيدة البارحة . فإذا كانت الساعة الخامسة أعطيت الإشارة الثانية : « هيا إلى العمل » فتخرج هذه المخلوقات القذرة فى أسمالها البالية واحداً بعد واحد من جحور الطين ، وهى ترتعد برداً ، فتبدأ عمل يوم آخر . وقد كانت الرائحة الكريهة شيئاً لا يطاق .

« وقد حدث أحياناً أن لزم أحدهم مكانه زاعماً أنه مريض ، فإذا جس مساعد الطبيب نبضه وحكم أنه يكذب ، ضرب المسكين وركل حتى يخرج من مكانه . وكان كثيرون يموتون كل ليلة، فيمزق الحراس ثيابهم عن جثثهم ويجرونها إلى مايشبه زريبة مصنوعة من القضبان والعيدان فتكدس فيها » .

وما يلى مأخوذ من شهادة آخر : « كنا نعيش فى خيام لاسقوف لها، فكنا نعود ليلاً من عملنا وقد برح بنا البرد والبلل، فنتهالك على ركبنا فى الوحل داخل الخيام ، ونرقد بملابسنا فننام نوم المحموم ، ونجفف بعض ملابسنا قبل أن يسفر الصبح ، فيسوقنا الحراس وكلابهم إلى عمل يوم آخر . وكنا إذا ما مات أحدنا فى الليـل ، نخفى جثته ما استطعنا أن نحتمل نتنها ، لكى نأخذ حصة الخبز التى كانت مقررة له » .

وقد أخذ هذا المثلان من « معتقلات الموت » فى الشرق الأقصى الروسى والشمال الروسى . وكثير مثلها مما يصف الحياة فيها يمكن الاستشهاد به من أكداس الأدلة التى بين أيدينا . وقد روت سيدة بولندية ذات مكانة — وهى اليوم فى أمريكا — رواية عن الحياة فى معتقل وسط من هذه المعتقلات فأيد ما جاء فى روايتها مئات من المعتقلين السابقين بشهادات مفصـلة مكتوبة .

ينام الأرقاء ف ثكنات طويلة من خشب على صفوف من رفوف يبلغ عرضها طول الرجل ، فيدخل السجناء رؤوسهم أولا وينامون على الرفوف العارية متلاصقين وأقدامهم إلى الممرّ . وليس لهم فرش ولا ملاءات ولا بطاطين ، فينامون فى الأسمال التى يعملون فيها . وأجسامهم تزخر بالقمل والبق ، وتمرّ عليهم الفيران ، وليس عندهم ماء يغتسلون به ، ولا يؤذن لهم إلا بحمام واحد فى كل شهر من دلو مملوء بالماء الساخن. وفى كل ثكنة موقد واحد يدفىء من يكون فى دائرة لا يتجاوز نصف قطرها خمس أذرع ، أو ستًّا . أما بقية السجناء فلا ملجأ لهم إلا حرارة أبدانهم .

فى الساعة ٤ : ٤٠ صباحاً يوقظ الأرقاء حراس مسلحون ، فإذا تلكأوا جرّهم الحراس من الرفوف جرًّا وهم يضربونهم ، ويأخذ كلٌّ منهم قصعة من الخشب وملعقة (لا تغسلان أبداً) إلى قدر كبير فيتلقى ملء مغرفة من حساء رقيق وقطعة من الخبز الأسود*. وبعد الفطور يصفون صفوفاً ويحصى عددهم ويساقون إلى العمل جماعات كل جماعة فيها ٢٥ رجلا، ويخفرهم حراس مسلحون بالبنادق . وفى كل صباح ينذرهم أحد الحراس قبل الخروج إلى العمل فيقول: «حذار ! فلن يخطو أحدكم خطوة إلى اليمين أو إلى اليسار إلا رمى بالرصاص دون إنذار» . والحراس يرمون حقاً ، وكلُّ رجل يضل أو يعثر يترك جثة هامدة على جانب الطريق.

يعمل السجناء عشر ساعات متوالية إلى اثنتى عشرة ساعة . ويعطون عند الظهر ملء ملعقتين طافحتين من «الكاشا» وهى عصيدة كثيفة . ثم يصفون صفوفاً فى المساء ويعدون ويلقى إليهم الحراس بالإنذار نفسه ويعودون بهم . وأما طعام العشاء فمغرفة أخرى من الحساء ، وملء ملعقتين من العصيدة. ثم يزحفون إلى رفوفهم لقضاء الليل.

تلك هى حياتهم إذا أنجزوا المقدار المطلوب من العمل المنتج ، فإذا لم ينجزوه خفضت جراياتهم الضئيلة . أما الذين يرفضون العمل — ومن ينجز أقل من ثلث المقدار المطلوب يعد فى حكم من يرفض — فيحبس على انفراد ، فإذا توالى الرفض كانت العقوبة المألوفة هى الإعدام .

وجاء فى تقرير آخر : « ومع ذلك فإن الذين «يرفضون» كثر ولا سيما فى الشتاء . ومن يرفض يكون عادة رجلا قد بلغ منه

---

* يصنع الحساء شهراً كاملا من السمك ، وتشاهد رؤوسه وعيونه طافية فيه ، وفى الشهر التالى من حبوب الشوفان غير المقشورة، وفى الشهر الثالث من ثفل حبوب الصويا بعد عصر زيتها ، وفى الشهر الرابع من الكرنب والماء .

الإعياء فبات لايكترث لشيء ولايتمنى سوى شيء واحد : أن يرقـد هادئاً فى مرقده ، فيكون أقل ما يكون شعوراً بانطفاء جذوة النشاط والحياة فى بدنه . »

ولكل طائفة من المعتقلات مستشفى ، وهو بناء كسائر المبانى مزود بالرفوف النابية للنوم . ولكن الطعام فيه أكثر قليلا، ولكل مريض بطانية . ويتحول بعض المستشفيات جنة فى نظر المرضى لوجود طبيب مخلص هو فى العادة مسترق مثلهم، ولكن يحدّ من جهده قلة المواد الطبية ، وكثرة القوانين التى وضعت لتقضى على المرضى ، لا لتعين على شفائهم . ومن هذه القواعد أنهم يعيّنون نسبة خاصة للمرضى، فمن يمرض بعد أن تكتمل هذه النسبة لا يأذنون له بدخول المستشفى .

كان تشتيت الأسر شيئا يمزق نياط القلوب فى عهد النازى ، ولكنهم فى ألوف من الأحوال كانوا يبقون على الأسر المعتقلة مجتمعة الشمل . أما فى روسيا فالقاعدة العامة ، حتى فى ترحيل الجماعات ونفيها ، أن يفرق بين الأزواج وزوجاتهم ، ويشتت شملهم حتى يتعذر عليهم أن يتصل بعضهم ببعض . وكثيراً ما تطبق هذه القاعدة على الآباء وأبنائهم .

ويتفاوت درجة القسوة بتفاوت الزمان والمكان ، ولكن القواعد العامة المتبعة فى المعتقلات متشابهة فى جميع الأماكن ، لأن الغرض الأول فى هذا النظام هو معاقبة أعداء الدكتاتورية واستئصالهم والانتفاع بهم ما أمكن الانتفاع . والروس السوفيت يخشون دائما أن ترق القلوب ، وكل حارس من حراس المعتقلات يدرك أنه إذا لم يحرص على القسوة التى فرضها السوفيت، كان عرضة لخطر الحكم عليه بالاسترقاق .

وما هى القاعدة فى اختيار الروس للاستعباد ؟ إنهم يختارون من الذين يعرقلون النظام الشيوعى الجامع ، أو يعارضونه ، أو ينقدونه أو يشتبه فى أنهم يكرهونه سراً .

ومن أغرب ما فى الأمر أن المميّزين بين المسترقين هم الذين يعرقلون النظام من طريق الإثم الخلقى — أى المجرمون من أمثال اللصوص والقتلة ، وأقلهم امتيازاً هم الذين يعارضون عن اقتناع أدبى أو دينى أو سياسى . فهؤلاء يطلق عليهم « أعداء الشعب ». أما المجرمون فيبلغون ١٥ فى المئة من أهل المعتقلات ، وأما البقية فسبع طوائف:

١ — البيتوفيك ، وهذا لفظ سوفيتى جديد يطلق على جريمة « الانحطاط » عن طريقة الحياة الاشتراكية . وهى تشمل ما يسمى « سوء استعمال الوظيفة » . ولما كانت

الدولة تملك كل شىء ، فبائع الشراب المبرد رجل موظف ، وإذن فهذا مورد لا ينضب يجمع منه الرجال لمعتقلات الأرقاء . مثال ذلك:

هذه طاهية فى مزرعة مشتركة نسيت أن تملح طعام العشاء فحوكمت بتهمة « تقصيرها فى تأدية واجباتها الرسمية » . وهذا رجل أرسلته المزرعة المشتركة إلى المدينة ليبيع بعض الحبوب فباعه بمبلغ ٢٣ روبلا بدلا من ٢٦ أو ٢٧ روبلا ، فألقى القبض عليه لأنه بائع غير بارع .

٢ ــ الكولاك ، هؤلاء هم المزارعون المقاديم الموفقون ، الذين وفقوا بطرق شريفة إلى اقتناء أرض وماشية أكثر قليلا مما يقتنيه جيرانهم ، واعتقدوا أنه يحق لهم أن يقتنوها ، فهؤلاء يؤلفون أكبر فئة من الأرقاء . ولما كانوا أقوياء الأبدان وقد ألفوا العمل الشاق ، تراهم أنفع الأرقاء للدولة . وقد كانوا ينفون بالملايين ، (وكم من قرية قد نفى أهلها جميعاً) ، يوم كان الفلاحون يساقون سوقاً إلى المزارع المشتركة فى أوائل العقد الماضى ، وإذا ما انقرض الكولاك حل محلهم فلاحو المزارع المشتركة الذين لا يفتأون يتوقون إلى اقتناء المزارع الخاصة برغم كل عقبة .

٣ ــ عمال الصناعة الذين حكم عليهم « لإهمالهم » أو لأنهم « يعرقلون النظام » وهذه جريمة شنعاء فى القانون السوفيتى ، وتشمل أيضاً التغيب عن العمل أو التأخر ، أو الاحتجاج على ساعات العمل وأجوره وأحواله ، وهى أشنعها جميعاً .

٤ ــ عمال وشيوعيون من أمم أجنبية أغراهم بالسفر إلى روسيا ما يرجونه فيها من قيام الدولة المثلى ، وقد جاءوا حجاجاً إلى وطن الاشتراكية الدولية ، فما لبثوا حتى اعتقلوا فى بلد يسىء الظن بجميع الأجانب ، ويضم إليهم روسيون عاشوا خارج روسيا ثم عادوا إليها فعدُّوا ملوثين بالثقافة الغربية البورجوازية ، وكذلك الذين يتصلون بالأجانب الذين يزورون روسيا .

مثال ذلك: فتاة تدعى أنيشكا، اشتركت فى حفلة راقصة وظفرت بجائزة ، وكانت زوجة القنصل الإيطالى حاضرة فهنأتها ، وحادثتها حديثاً رقيقاً دقيقتين أو ثلاثا ، فاعتقلت الفتاة فى اليوم التالى وحكم عليها بالسخرة .

٥ ــ العصاة من القساوسة وأناس حكم عليهم بالسخرة من أجل عقائدهم الدينية ، وكتاب ومؤلفون من أجل آرائهم .

٦ ــ بضعة ملايين من أهل بولندة وبلغاريا وغيرهم من الدول التابعة لروسيا ، وقد صار هؤلاء طبقة جديدة من الأرقاء منذ وضعت الحرب أوزارها ، وهم يختارون ويعاملون كالأرقاء الروس سواء بسواء .

٧ ـ أسرى الحرب الروس الذين أعيدوا إلى وطنهم. فالقاعدة المتبعة فى الجيش الروسى أن الجندى الروسى ينبغى أن يموت وهو يقاتل، فالتسليم للعدوّ محرم. وإذن فجميع الذين « حرّروا » من الجنود يمثلون أمام لجنة فتحكم أهم أبرياء أم لا ؟ وقد سيق ألوف منهم إلى معتقلات الأرقاء وكثيرون منهم مصابون بجراح تشهد لهم بحسن البلاء دفاعاً عن وطنهم. وهذا الرق المصلت على رقابهم كالسيف، هو الذى جعل ألوفاً منهم يأبون كل الإباء أن يعودوا إلى وطنهم.

إن العمل فى المعتقلات محدود الزمن من الناحية القانونية، ولكنّ الإمفيدا لا تعرف قانوناً، فهى تستطيع أن تمدّ زمن الأحكام بأمر إدارى كما تستطيع أن تفرضها بأمر إدارى، وكثيراً ما تفعل. أما الذين أطلق سراحهم بعد الحكم عليهم بالعمل فى هذه المعتقلات، فيقدّر عددهم بخمسة فى المئة.

ومن أغرب الأمور أن هذا العمل البشع لم يظفر باهتمام الصحافة العالمية، وفى سنة ١٩٣٠ حظرت وزارة المالية الأمريكية استيراد رُبّ الخشب وعيدان الثقاب من روسيا لأنها من منتجات « السخرة ». ولكن مولوتوف نفى ما يشاع بزعم فاضح فقال: « إن كثيرين من العمال فى البلاد الرأسمالية ليحسدون السجناء فى مناطقنا الشمالية على ما يستمتعون به من أحوال المعيشة والعمل ». فرفعت وزارة الخارجية ذلك الحظر. ومضى فريق من السياح يزعمون أن هذه المعتقلات كمصايف الكشافة البديعة أو هى أحسن؛ ومنهم هنرى ولاس الذى ظهر فى صورة ومعه طاغية معتقل دالسترووى، فتراه فيها مبتسما مغتبطاً. ومساحة هذا المعتقل أكبر من فرنسا مراراً، وفيه يموت ألوف من الأرقاء فيما يبذله السوفييت من جهد جهيد للتفوق على سائر الأمم فى استخراج الذهب. وقد وصف ولاس هذا الطاغية بأنه « زعيم من زعماء الصناعة ».

وأمثال هذه الاخطاء كانت خليقة أن لا تقع لولا الطريقة الخاتلة التى بدأ بها الرق فى روسيا. فقد تسلل مستتراً فى ثوب مثل أعلى، وكان رأى لنين أن المجرمين ليسوا أعداء المجتمع بل ضحايا المجتمع الرأسمالى. وأعلن أن الحاجة فى النظام الاشتراكى إنما هى إلى تربية هؤلاء تربية جديدة بالعمل، فيزول الإجرام من الدنيا.

وقد بدأت روسيا حركة إصلاح إنسانى نافع فى السجون وبين جماعات المجرمين، وظلّت بعض آثاره قائمة حتى ١٩٢٨ فقضى المجهود الضخم الذى اقتضاه تنفيذ مشروع السنوات الخمس على المثل العليا كلها سوى

إنجاز العمل المطلوب . أما الفكرة الصالحة، فكرة تربية المجرمين تربية جديدة ، فقد ضاعت فى بحث أولى الأمر عن الأيدى العاملة ، وكل ما بقى حتى اليوم من المثل الذى نشده لنين هو تمتع المجرمين ببعض الامتيازات فى هذه المعتقلات .

وقد حرصت وزارة الداخلية والعدل على المطالبة بأن تكون معاملة « أعداء الطبقة العاملة » أشد قسوة من معاملة المجرمين غير السياسيين. وقد أعلن سيميون فيرين ، وهو موظف كبير فى الإمفيدا : « إننا نقول لكم أيها المجرمون العاديون إننا لا نعدكم أعداء ، لأننا لا نجد بينكم أبناء ملاك الأرض وأصحاب المصانع » .

ونضم هذه المعتقلات ألوفا من الأطفال، لأن مرسوم ١٩٣٥ الذى يجعل القانون الجنائى يشمل بحكمه القصّر الذين فوق الثانية عشر لم يلغ قط . وعلى الرغم من حظر المباشرة الجنسية بين الأرقاء ، ترى أطفالا يولدون فى هذه الأرض التى تظلها المجاعة بسلطانها . فكثيرات من النساء يلجأن إليها غير عابئات بشىء ، عسى أن يتيح لهن الحمل شيئا من راحة وجراية أكبر مما ينلن . فإذا بلغن الشهر السابع أو الثامن نقلن إلى معتقل خاص بالوالدات فيلبثن فيه سنة يعملن عملا خفيفاً ، فإذا حال الحول أخذ الطفل إلى مكان تجهله الأم ، فتتولى الدولة تربيته .

ومنذ أخذ السوفيت بنظام الرقّ صار عليهم أن يحلوا مشكلة اقتصادية معقدة . فقد كان متوسط العامل الأجير ١٤٩٦ روبلا فى السنة عام ١٩٣٢ — ١٩٣٣ ، وقدرت تكاليف السجين فى المعتقلات بنحو ٥٠٠ روبل . فالفرق توفير كبير ، ولكنه لا يعوّض ما هو مأثور بين عمال السخرة من قلة الكفاية .

وقد فطن الماركسيون السوفيت إلى هذه المشكلة ، فحلوها فى ظل النظام الاشتراكى حلا يعجز المجتمع الرأسمالىّ عن أن يحاول مثله . فهم يفرضون على العامل العناية بعمله وذلك بإبقاء جمهرة الأرقاء جائعة، وبتوزيع الطعام عليهم وفقاً للعمل الذى يؤدونه. فالذين لا يستطيعون أن يؤدوا عملا يكفى لسدّ حاجتهم أو لا يريدون أن يؤدّوه، كالضعاف والمرضى والذين « يرفضون » ، يقتر عليهم حتى يموتوا قبل أن يصبح رزقهم عبئاً ثقيلا على الدولة .

وقد قال شاهد عيان آخر : « لقد قضى على كل شىء يبقى على المرء كرامته ، فلا حرمة ولا كرامة ولا رحمة . ولا يزال الجوع وما يصحبه من تبلد العقل والخلق يحيل هؤلاء البشر إلى ضروب من الحيوان .

فالإنسان الذى يعيش فى هذه الجثث يموت تدريجاً، ويحل محله حيوان منهوك ذاهل».

وما أسدل «الستار الحديدى» إلا ليخفى هذه الحقائق . وسيظل هذا الستار مسدلاً ما دام فى الدنيا أحرار يرون فظاعة ما مُنِى بها البشر باسم الاشتراكية .

بيان من كيريل م . ألكسييف

كان قبل مهندساً ، ثم دبلوماسيا سوفيتياً ، ثم فر من السفارة السوفيتية فى المكسيك سنة ١٩٤٦ وتنكّر للشيوعية، وهو مقيم الآن فى الولايات المتحدة .

كل الوقائع الواردة فى مقال ماكس إيستمان صحيحة وقد رواها رواية معتدلة . ويسرّنى أن أرى هذه الحقيقة المهولة الجاثمة على الشعب الروسى قد نشرت ، فلا بد من أن يعيها العالم الغربى بأسره .

إن عدد معتقلات الأرقاء فى روسيا وعدد المعتقلين، بلغا مبلغاً من الجسامة حتى تكاد تجد كل أسرة قريباً من ذويها بين هؤلاء الأرقاء . ونحن المهندسين نعرف أحوالهم علم اليقين ، لأن كثيرين منا قد ساهموا فى مشروعات بناء ضخمة يستخدم فيها الرقيق بوجه عام ، ولا سيما تشييد المصانع الجديدة فى الأورال وسيبريا .

وقد اشتركت فى هذا التشييد، وفى وسعى أن أشهد أن العمل هناك تم معظمه على أيدى أرقاء جىء بهم من المعتقلات المجاورة.

وليس ثمة من يعلم ، ولا الإمفيدا التى تدير هذه المعتقلات، عدد المحكوم عليهم فيها. ويوم غادرت روسيا منذ سنتين كان عددهم وفقاً لإحصاء الإمفيدا، يتجاوز ١٤ مليوناً . ومن المستحيل الظفر برقم دقيق لأن ألوفاً يموتون كل يوم ، وكثيرون يهلكون وهم فى طريقهم إليها . وهؤلاء العمال لا يعدون من البشر ، فهلاك مئات الألوف منهم لا يقلق الذين يتولون إدارتها ، والذين يموتون يعوَّضون باعتقال غيرهم .

والمهمة السياسية التى تضطلع بها المعتقلات هى أن تستأصل تدريجاً الذين يوصفون بأنهم عناصر « خطرة » (أى الذين يعارضون الحزب الشيوعى) وهم لا يقتلون لساعتهم ، لأن الحكومة ترغب فى الانتفاع بتسخيرهم قبل أن يموتوا .

لبن من الشجر !



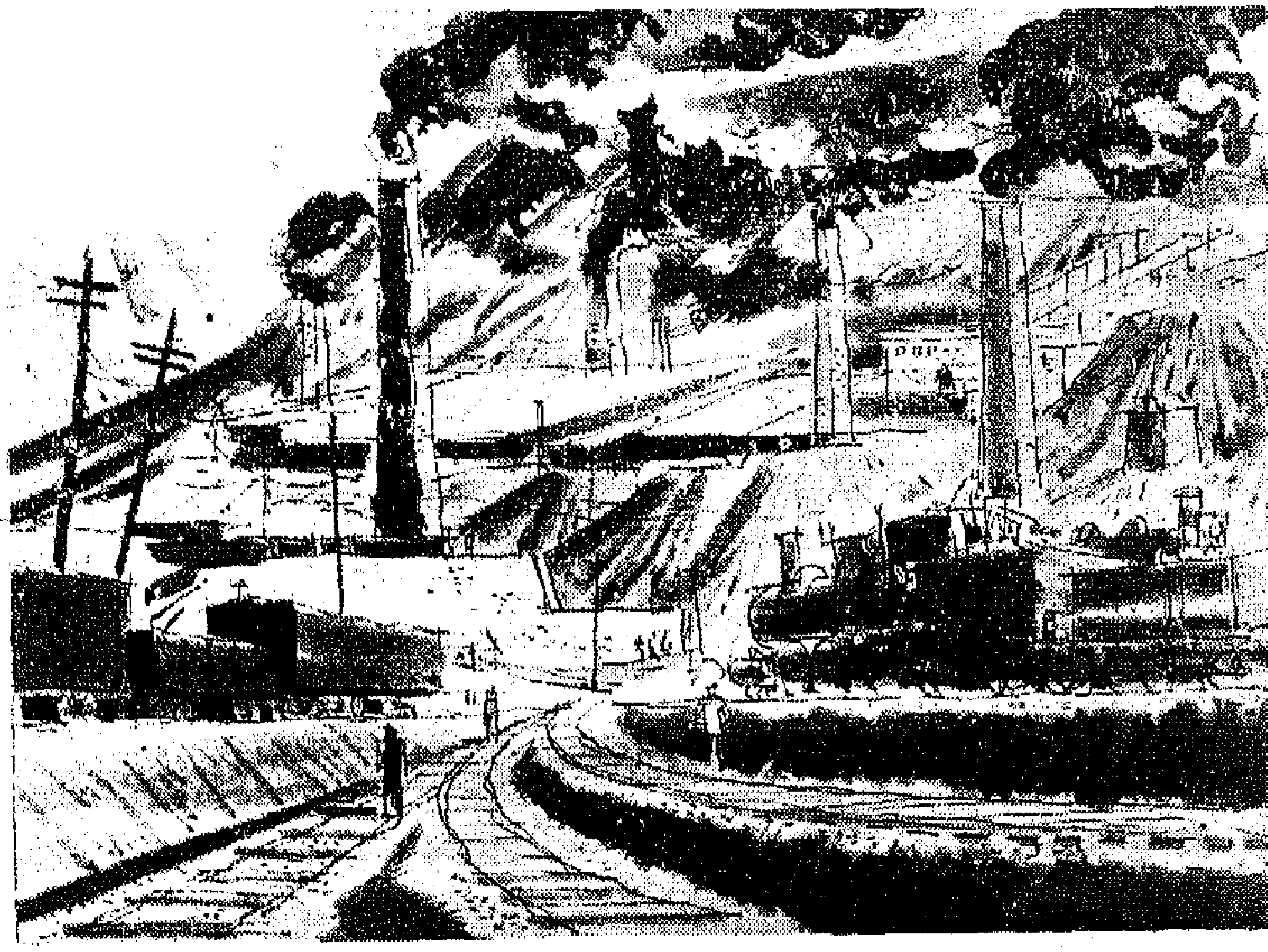
إذا أخذتَ موضوعاً كموضوع المطّاط ، وحاولت أن تسجّل الأشكال المتعددة التى يتخذها فيما يستعمل لهُ من أغراض ومنافع كلّ يوم ، ألفيت نفسك تواجه مشكلة عظيمة : أين تبدأ ؟ وعسى أن يعيننا على تبسيط الموضوع أن نتتبع وجوه تقدُّم المطاط والانتفاع به منذ ذلك اليوم الذى بدأ فيه جون بويد دنلوب يجرّب التجارب بدرّاجة ابنه الصغير فاخترع أول إطار نافع تستطيع أن تملأه بالهواء .

ولما كانت الموضوعات التى نستطيع أن نتخذها مبدءًا لبحثنا ، كثيرة متعددة ، فليقع اختيارنا اتفاقاً على — **«لايتكس»** . والقارئ قلما يعرف هذه الكلمة ، ومع ذلك فإنّ أثرها عظيم جدًّا فى حياتنا يوماً بعد يوم . ولها منافع منوّعة متعددة فى صناعات متباينة تتفاوت من بناء المبانى إلى نسج المنسوجات إلى الهندسة والزراعة . ولكن ما هى مادة — **«لايتكس»** ؟ إنها « لبن » شجرة المطاط . وهى كاللبن تميل إلى التخثر . ولكن بدلا من أن تنتج الجبن الطرىّ كما يفعل اللبن العادىُّ ، تنتج كتلا من المطاط . وقد جاء زمن كان كل المطاط فى العالم يصنع بتجميد « لايتكس » . وكانت هناك طريقة تمكنك من أن تصنع « قشدة لايتكس » (الغنية بالمطاط) « ولايتكس المقشود » (وهو أقلّ غنى بالمطاط) . أما **«القشدة»** فتوصف بأنها **«لايتكس دنلوب ٦٠ فى المئة»** . وتركيبها ثابت لا يحول ولست فى حاجة إلى امتحانها لتعلم نسبة المطاط فى « لايتكس » . و « دنلوب ٦٠ فى المئة » يختلف عن المطاط المجفف فى أنهُ يتصف بكل ما يتصف به المطاط الجديد غير المعالج من قوة مطٍّ وخواصّ ميكانيكية . وهو حتماً أجود من جميع ضروب « لايتكس » ويسهل الانتفاع به فى طلاء المنسوجات به وانتشاره فيها حتى تصير **مانعة لنفوذ الماء** ، وفى صنع أحذية مطاط لا لحام فيها ، وما يشبهها من الأحذية الواقية من الماء ، وقفازات الجراحين — وذلك بطريقة التغطيس .

وصنع وسائد « دنلوب » من مادة « لايتكس فوم كوشننج » مَثل حسن آخر على تعدّد المنافع التى استعمل فيها « لايتكس » استعمالاً موفقاً . فأشياء مثل مقاعد السيارات ، وفرش الأسرّة ، والكراسى الكبيرة ، وغيرها من ضروب الوسائد يسهل إفراغها فى الشكل المطلوب فتكون قطعة واحدة و « لايتكس » الذى صنعهُ « دنلوب » قد زاد راحة الناس زيادة كبيرة ، وخير مقياس لذلك ما تراهُ من المقاعد الوثيرة التى يستمتع بها روّاد دور السينما والمسارح وركاب السيارات — وأكبر سفن بريطانيا وأسرع قطاراتها . وهذه أسباب للترف يصنع معظمها من مادة **« دنلوبلّو »** فهو الإسم المسجّل لمادة **«لايتكس فوم كوشننج»** التى يصنعها «دنلوب» من **« لايتكس ، ٦٠ فى المئة »** .

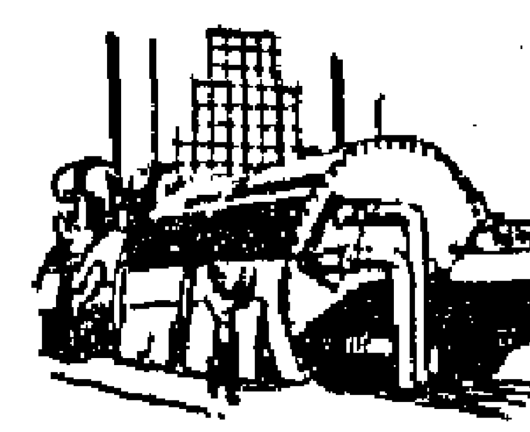
ALLIS-CHALMERS

أكبر مجموعة من معدات الصناعة الرئيسية





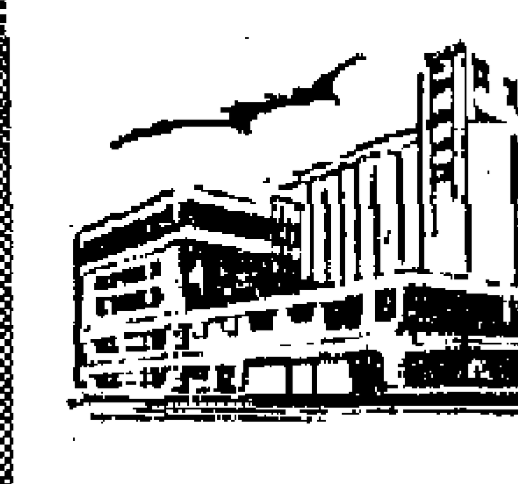
معدات كهربائية



توربينات بخارية ومائية ومكثفات ومضخات بالقوة الطاردة



آلات لطحن الأسمنت والتعدين



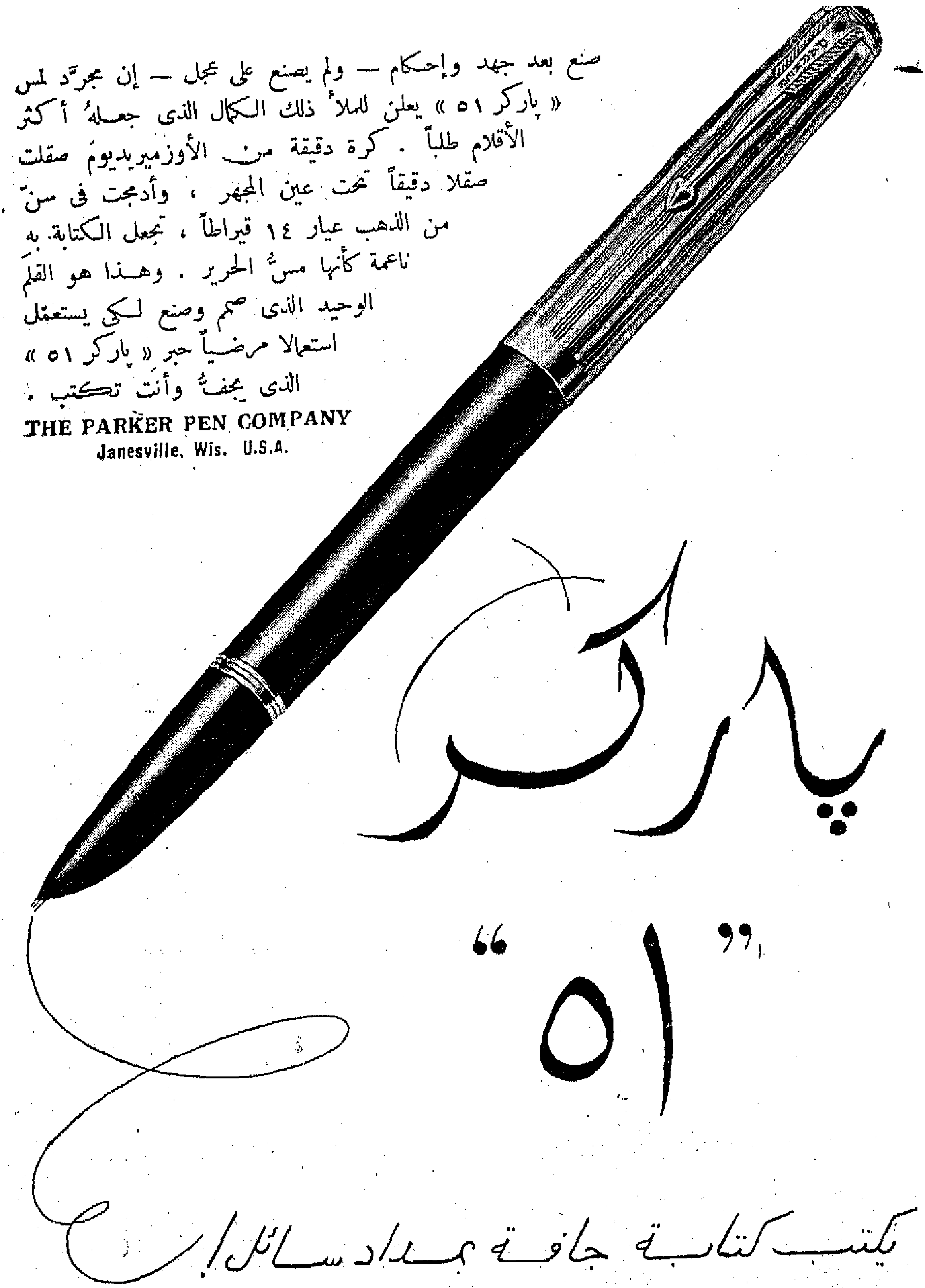
آلات للطحن ولنشر الخشب

إحرص على أن تجدنا فى كل ميدان صناعى

فكر فى « أليس-شالمرز » حين تنظر إلى هذه الصورة — صورة التعدين والصهر ! لأننا ننتج اليوم معدات عظيمة الشأن لهذه الصناعات ، ولكل صناعة أساسية فى العالم . فى الشرق الأوسط — على جانبى خط الاستواء ، تجد ماكينات « أليس-شالمرز » قادرة أن تعينك على استخراج المعادن ، وتوليد الطاقة ، وإنتاج الطعام واللباس — جميع الأشياء التى تكفل العيش الرضىّ .

و « أليس-شالمرز » يستطيع أن يزودك بمحرك واحد ، أو بطلمبة واحدة ، أو أن يصمم ويصنع لك الماكينات اللازمة لمصنع كامل وليس فى العالم كله صاحب مصنع يستطيع أن يزودك كما يزودك « أليس-شالمرز » بمثل هذه المجموعة الكبيرة من ماكينات الصناعة اتصل بوكيلنا فى بلدك .

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م . ، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية ، ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — **العراق وشرق الأردن** : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٨/٢٨٢ شارع المستنصر ببغداد . شارع الملك فيصل بالبصرة — **الحبشة** : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، أديس أبابا — **المملكة العربية السعودية** : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جده — **إيران وأفغانستان** : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، شارع شاه (نادرى) ٩٢٦ طهران .

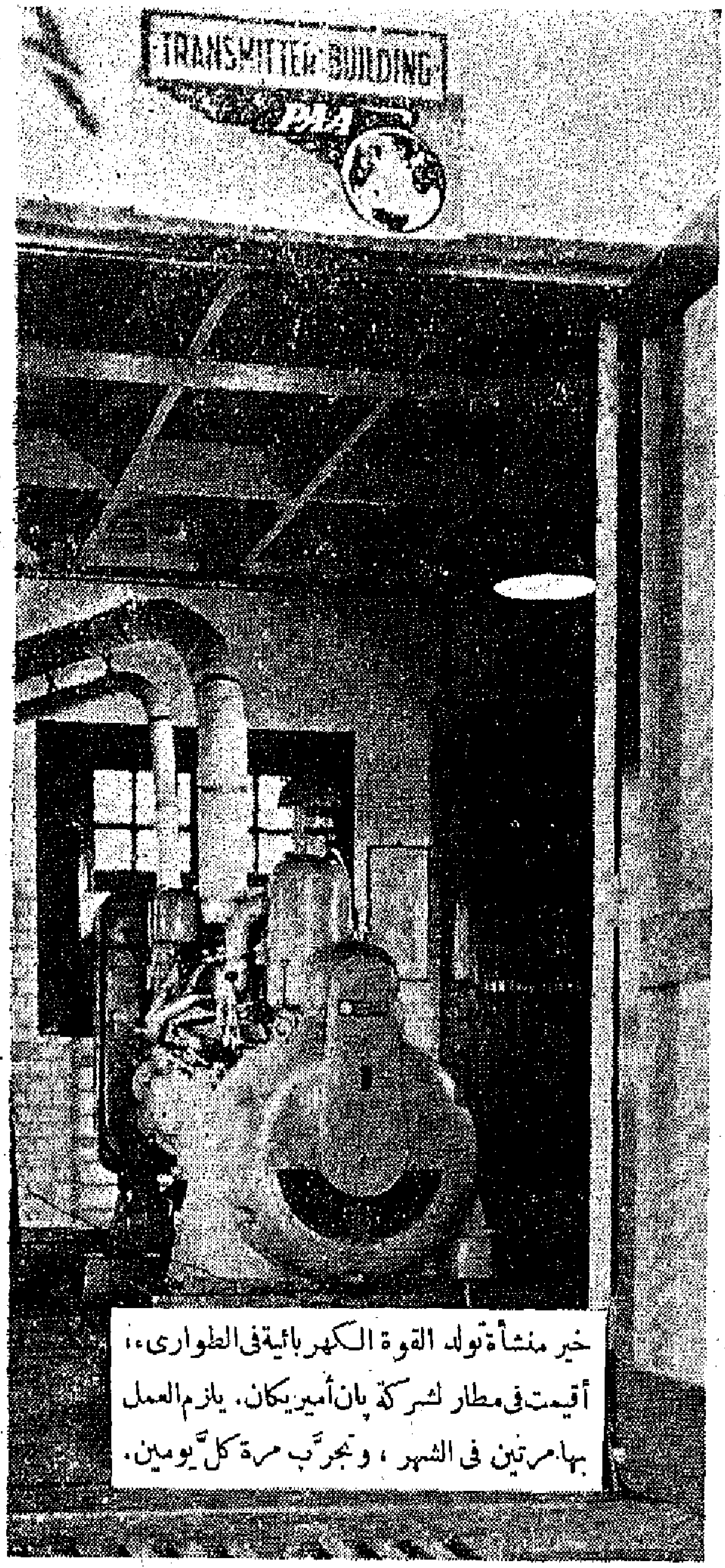

صنع بعد جهد وإحكام — ولم يصنع على عجل — إن مجرّد لمس « پاركر ٥١ » يعلن للملأ ذلك الكمال الذى جعله أكثر الأقلام طلباً . كرة دقيقة من الأوزميريديوم صقلت صقلا دقيقاً تحت عين المجهر ، وأدمجت فى سنّ من الذهب عيار ١٤ قيراطاً ، تجعل الكتابة به ناعمة كأنها مسّ الحرير . وهذا هو القلم الوحيد الذى صمم وصنع لكى يستعمل استعمالا مرضياً حبر « پاركر ٥١ » الذى يجفّ وأنت تكتب .
THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis. U.S.A.
پاركر
"٥١"
يكتب كتابة جافة بمداد سائل !



طب



ضابط المرور في طريق الجو



خير منشأة تولد القوة الكهربائية في الطوارىء ، أقيمت في مطار لشركة پان أميريكان . يلزم العمل بها مرتين في الشهر ، وتجرّب مرة كل يومين.

على قدر ما تمتدّ أسباب النقل الجوّي وتتشعب ، ترى أذرعها تنضمّ على قدر أكبر فأكبر من سطح الأرض ، فلا بدّ إذن من أن تتسع أيضاً الأسباب التي تيسر «مرور» الطائرات و«حركتها» فينبغي أن يشمل نظام الإضاءة والإشارة عدداً أكبر من طرق الفضاء ، والمطارات ، والمناطق التي تشتدّ فيها العواصف . وينبغي أن يكون عملها دائماً لا يتطرق إليه الخطأ أو التوقف — وأن يضمن كل ذلك بوجود مصدر للقوة تعتمد عليه في الطوارىء .

ومجموعات «كاتربيلر ديزل» الكهربائية مستعملة في جميع أرجاء الأرض للإضاءة والراديو في طوارىء الطيران ، وذلك لأنها اشتهرت بصفة الاعتماد عليها والثقة بها ، وهي صفة قام الدليل عليها في ألوف المنشآت ، وفي أشدّ درجات البرد والحرّ ، ومختلف أحوال الإقليم والعمل .

في هذا الميدان ، كما في سائر ميادين الصناعات والأعمال العظيمة — مثل الزراعة والمناجم والصناعة والصيد والبناء والمقاولات — تجد منتجات «كاتربيلر ديزل» تؤدي عملاً عظيماً في استعجال التقدم الاقتصادي في الشرق الأوسط .

CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

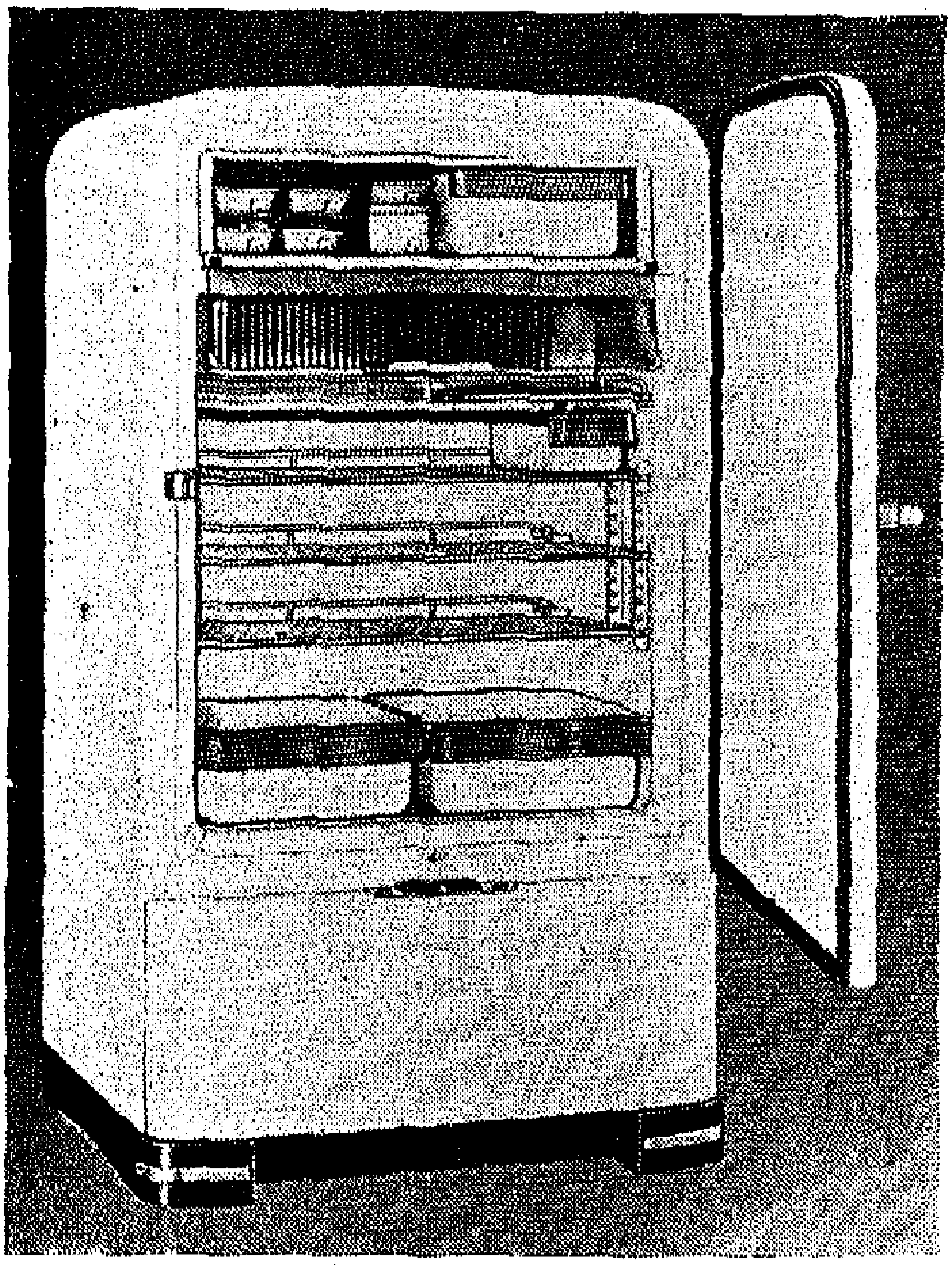
CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب

ثلاجة معجزة
تعمل
بالجاز الأبيض أو الغاز الطبيعي
الغاز الصناعي أو الغاز المعبأ





• مقدار كبير من مكعبات الثلج
• البرد الذي يحفظ الطعام

أينما كان موقع بيتك ، فأنت واجد ثلاجة «سرفيل» قادرة على تزويدك ببرد ثابت مستمر ، يحفظ الأطعمة المعرضة للتلف ، طازجة شهية حتى في أشد الأقاليم حرارة ، وزد على ذلك ، أن هذه الثلاجة المعجزة ، تصنع لك مقداراً كبيراً من مكعبات الثلج فتستعملها في تبريد شرابك .

وأنت تستطيع أن تنتفع بثلاجات «سرفيل» في كل مكان — في المدن والمزارع ، في البيوت والمتاجر — لأنها تعمل بلهب صغير من الكيروسين أو الغاز ، وليس في نظام التبريد فيها ، أجزاء متحركة تكون عرضة للخلل — ولا آلات تحدث ضجة أو تحتاج إلى ترميم أو إصلاح .

واليوم ، تجد ثلاجة « سرفيل » مستعملة في بيوت ومتاجر مليونين من الأسر ورجال الأعمال في جميع أنحاء الدنيا ، وهي جميلة الشكل ذات سطح أبيض لامع يسهل تنظيفه وحفظه نظيفاً ، وداخلها الرحب — بما فيه من أماكن خاصة للحم والخضر — يسهل عليك أن تختزن مقادير كبيرة من الأطعمة التي تملأ فراغاً كبيراً .

ومتى اقتنيت ثلاجة « سرفيل » ، فإنك تعجب كيف استطعت من قبل أن تعيش بدونها .

الثلاجة التي تختلف عما سواها

Servel سرفيل

Servel, Inc., International Division, 51 East 42 St., New York 17, N. Y., U.S.A.



خدمة الكاميونات ، بواسطة متخصص فى الكاميونات لخدمة الصناعة والزراعة السائرة فى طريق التقدم والنجاح

إن معظم الكاميونات المستعملة اليوم قد طوت سنين من الخدمة الشاقة المنهكة . وكثير منها عمره تسع سنوات أو أكثر ، ولكنها لم تنته بعد . . . فسوف يكون لها شأن عظيم فى إنشاء عالم مستمتع بالرخاء . ولكن الخدمة التى تستطيع أن تسديها إلى الصناعة والزراعة تتوقف كل التوقف على الخدمة التى تنالها السيارات نفسها . فخدمة الكاميونات هى أكبر عامل فى تشغيل الكاميونات ونفقتها .

نعم وإنهُ يتعين على رجال خدمة الكاميونات ، أن يحفظوا السيارات القديمة قادرة على القيام بعملها — وهيئة «إنترنشونال» لخدمة الكاميونات هى واحدة من أكبر هذه الهيئات فى العالم ، وهى فى خدمتك مهما كانت ماركة سيارتك .

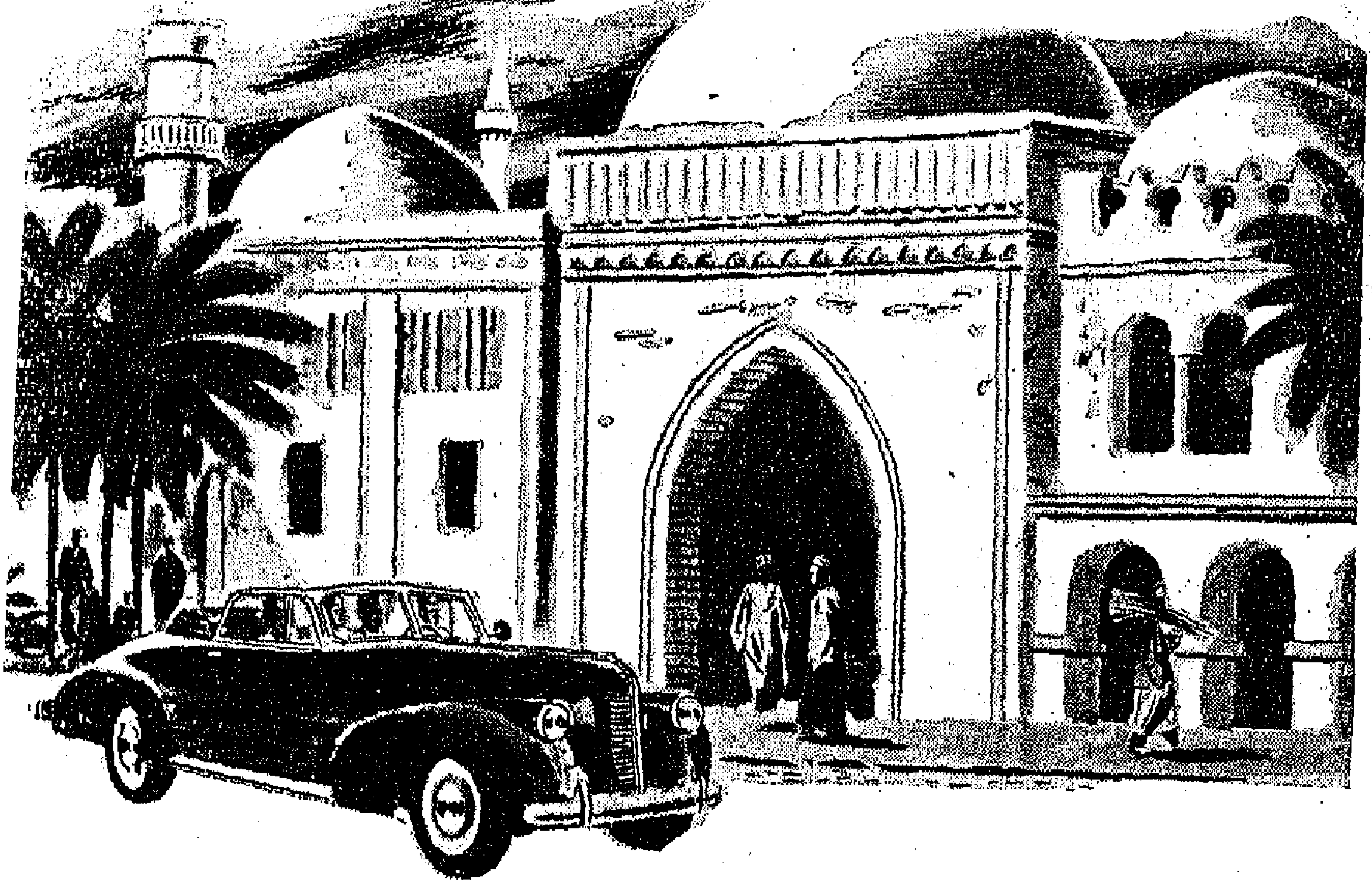
احرص على ماركة « إنترنشونال » ذات الماسة الثلاثية . فهى تدلُّ على خدمة سيارات النقل بواسطة متخصصين فى الكاميونات ، وهذه خدمة متاحة لك بواسطة موزّع « إنترنشونال » الذى تعامله . وهى تعنى خدمة سريعة ، اقتصادية ، مضمونة .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building Chicago 1, U. S. A.

INTERNATIONAL HARVESTER

McCORMICK-DEERING INTERNATIONAL TRACTORS AND FARM EQUIPMENT — INTERNATIONAL TRUCKS • INTERNATIONAL INDUSTRIAL POWER


أجود إطار
أطول مسافة..
أعظم أمن
GENERAL
COPYRIGHT 1947, THE GENERAL TIRE
& RUBBER CO., AKRON, OHIO
BUY
The
GENERAL
TIRE





صب الزجاج المصهور فى مصنع زجاج "بوش ولومب"

جودة مصنوعات "بوش ولومب" تبدأ بجودة الزجاج الذى تصنع منه

لا يمكن أن تكون العدسة أجود من الزجاج الذى صنعت منه . وشركة « بوش ولومب » لها مصنع زجاج خاص بها ، حتى تطمئن إلى أن أنواع زجاج الإبصار التى تصنعها ، وهى ١١٦ نوعاً ، تكون دائماً متصفة بالخواص العلمية الثابتة اللازمة لها . وقد وضع هذا المصنع تحت إشراف علماء همهم أن يصمموا أساليب بصرية لأدوات « بوش ولومب » ويبتكروا « صيغاً » لعدساتها ، وهذا المصنع يعمل ليل نهار ، لكى يخرج أجود نوع من زجاج الإبصار لكل غرض من الأغراض وكل حاجة من الحاجات .

وهذه الخطة التى تجرى عليها شركة « بوش ولومب » ، خطة الهيمنة التامة على جودة الزجاج من ساعة الصب إلى ساعة تركيب العدسات ، هى التى تجعل جميع الأدوات البصرية التى تحمل علامة « بوش ولومب » المسجلة ، مما يشتد الطلب عليه اشتداداً عظيماً فى جميع أرجاء الأرض . وما تصنعه شركة « بوش ولومب » يوزع توزيعاً عادلا على قدر الطاقة بين جميع زبائنها .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

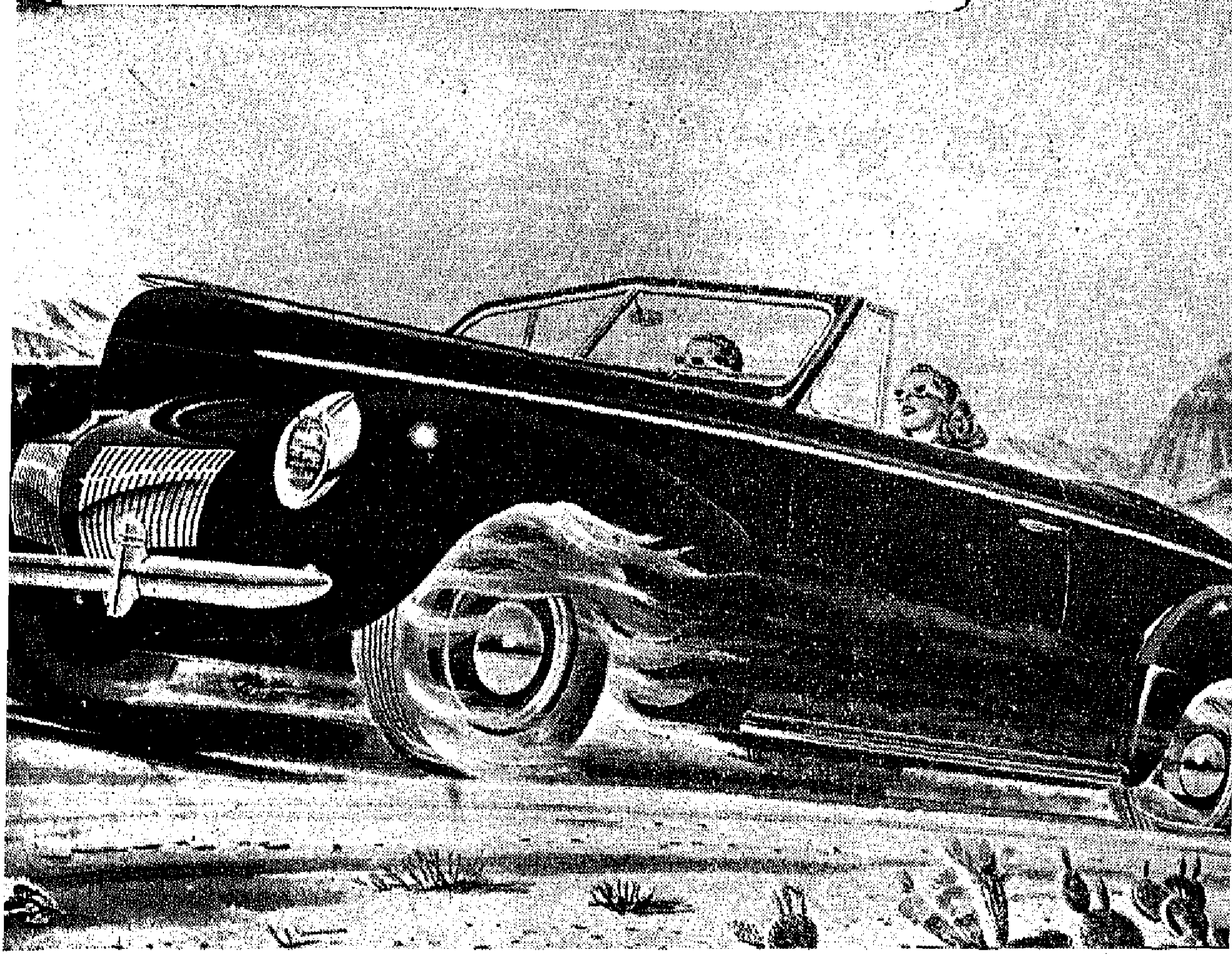
OPTICAL COMPANY

روشستر
الولايات المتحدة الامريكية

تأسست سنة
١٨٥٣


Kodal

لا يمكنك أن تظل الأول



الصورة التى أمامك (فوق) ، تمثل تمثيلا حسناً ما يقع فعلا حين تدفع جهاز السرعة إلى تحت وتبقيه . وأنت لا ترى طبعاً ، لهباً أو دخاناً ، ولكن إطارات سيارتك تسخن كثيراً ، وبخاصة فى الجو الحار . **والحرارة هى أعدى أعداء الإطارات** . الحرارة تميت « الحياة » فى المطاط . الحرارة تقتل « قوة » الألياف فى الإطارات .

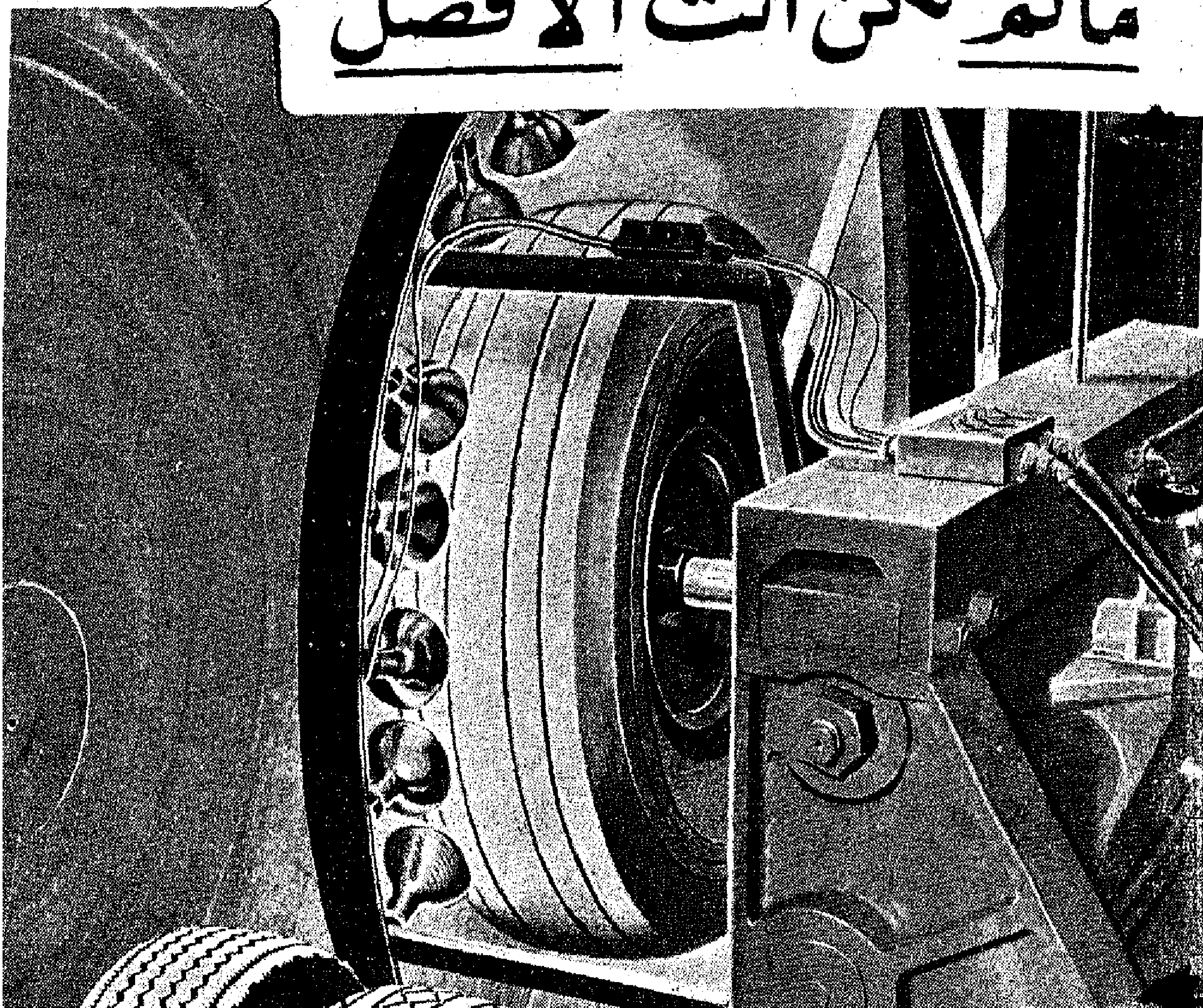
انظر كيف تمتحن إطارات « جوديير » لتثبت أنها تحتمل الحرارة **زمناً طويلا** بعد أن تتلف بها **الإطارات العادية** .

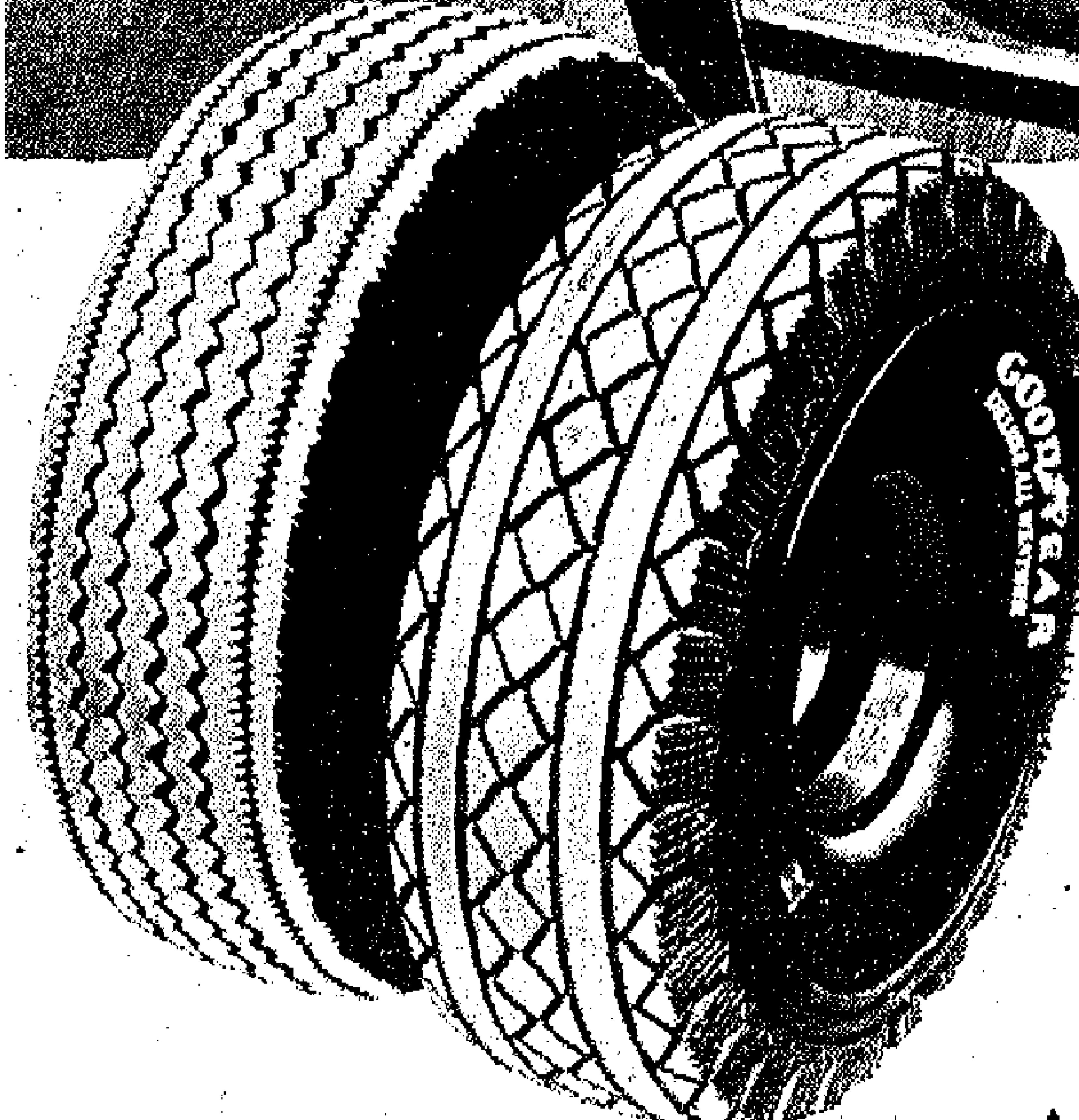


الأول فى كل سنة ، منذ ٣٢ سنة

GOODYEAR

مالم تكن أنت الأفضل





كانت يدك عرضة لهذه المصابيح ـ آخ ! فالأشعة تحت الحمراء تحفظ إطارات « جوديير » على درجة ١٠٠ ـ التى تكفى لغليان الماء . وفى الوقت نفسه يظل الإطار ملامساً للقرص الدوار الذى يولد ضغطاً يعدل ضغط السيارة الكاملة الحمل ، فكأن هذا الإطار مركب على سيارة تنهب الأرض نهباً ساعة بعد ساعة فى الوقت الذى يتعرض لهذه الحرارة الثابتة التى لا ترحم .

وهذه حقيقة أخرى تفسر لك لماذا تجد إطارات «جوديير» فى ١٩٤٧ لاتزال كما كانت خلال ٣٢ سنة متوالية ـ هى الإطارات التى يفضلها العالم ويضعها فى المقام الأول .

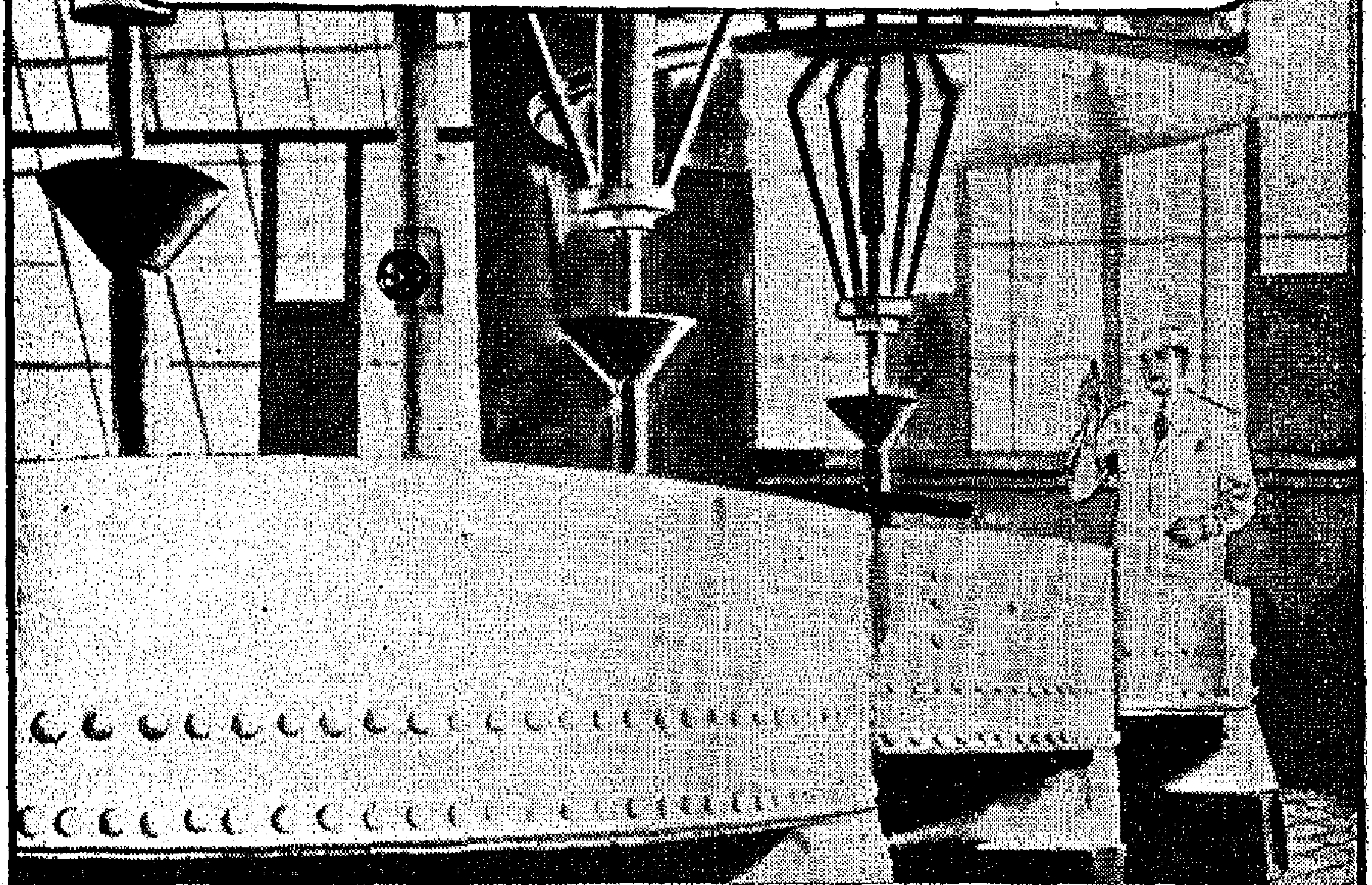
إن إطارات جوديير تنقل فى العالم كله من الناس ومن أطنان الشحن أكثر مما ينقله أى نوع آخر من الإطارات

ions of the World's Finest Tire

De Luxe Rib Tread


شحنة من الفتنة
من مصانع «كاسونز» بمانشستر (إنجلترا) خرجت أحدث الروائع فى أنواع «أحمر الشفاه» البريطانية فى خمسة ألوان جديدة. وقد روعى فى صنعها أن تكون ممتازة فى مادتها ولونها، فهى تحتل اليوم مكان الصدارة فى صالونات التجميل فى جميع أنحاء العالم.
Cussons أحمر شفاه

.. حتى يفوق الكمال الذى تدركه غداً الكمال الذى أدركته اليوم



التجربة طريق الكمال

إن أحذق ربات البيوت وأوفرهن تجربة ، قد تخفق فى أحد الأيام وهى تعد صنفاً خاصاً للأكل . ومثل هذا قد يحدث لها إذا أهملت شيئاً يسيراً فى أثناء إعداده ، أو إذا كانت المواد التى تصنعه منها غير بالغة مستوى الجودة المطلوبة .

ولكن هذا لا يحدث لشركة « سويفت » أبداً . فهى تستعمل فى كل شىء تصنعه وصفات أعدت إعداداً دقيقاً ، وأساليب لا تعتمدها إلا بعد البحث المسهب المحكم . وهى مزودة برجال ذوى خبرة واسعة وتجربة وحنكة فيشرفون على هذه الأساليب مرحلة مرحلة ، فيبتكرون ويتقنون وسائل جديدة تنطوى دائماً على أحدث ما جاء به العلم والصناعة .

فكل ناحية من نواحى العمل فى شركة « سويفت » يحدوها ويرشدها عزم لا ينثنى على تحسين وإتقان كل ما سبق عمله .

COMPAÑIA Swift INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة "سويفت" الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

فى طريقها إلى الشرق الأوسط



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تكفلها خبرة مئة عام فى صناعة أرقى مستحضرات الزينة للرجال .
وسيكون فى وسعك أن تنعم بآخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر متاجر الشرق الأوسط .
ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد

أكوافلفا: أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مُبرِّد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية الندية ، اقتصادى للغاية ، يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co., **GLASTONBURY, CONN., U.S.A.**

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيك ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من ١٠٠ سنة


اشرب
كوكا كولا
مثلجة
Coca-Cola
اشرب
كوكا كولا
DRINK
Coca-Cola
ICE COLD
اشرب
كوكا كولا
مثلجة
مرحبا!
إذا أردت
شرابا لذيذا
مرطبا...
فاطلب
Coca-Cola
MARQUE DÉPOSÉE

[تتمة مقالة الغلاف]

والمختار فرع من هيئة أمريكية عالمية ، توجه كل عنايتها إلى مثل هذه المهمة فى نطاق النافع والممتع يحسن بالقارىء أن يطلع عليه أو يطيب له . والرجال الذين تعتمد عليهم فى ذلك ، قد عرفوا بالتجربة ما ينبغى أن يُنتقى ، وكيف ينبغى أن يختصر . فنى وسعك أن تعتمد عليهم كما يعتمد ملايين آخرون من الناس فى أقطار المعمورة . فجماعة المختار كلها هى كالرجل الذى توفر من حاشية الملك أو الأمير ، على جمع الحقائق التى يطلبها سيده فى موضوع بعينه ، أو هى كالشركة التى تختار لك من الصحف على أنواعها كلّ ما ينشر فى أمر يستأثر بعنايتك . ولكنها تفعل أكثر من ذلك ، لأنها تتولى عنك اختيار فصول كنت خليقاً أنت أن تؤثرها لو عرفت أنها نشرت ، بيد أنك تهملها لكثرة ما ينشر . ثم هى تعرضها عليك عرضاً فيه إيجاز يشوقك ويوفر عليك بعض وقتك ، بغير أن يضيّع عليك شيئاً من معانى الكاتب وأساليبه الأصيلة . فهى تجمع لك طائفة مختارة من المقالات التى تنفعك مطالعتها فى صحتك أو عملك أو تهذيب نفسك أو تربية أولادك ، أو من المقالات التى تجدى عليك متعة وتسلية بريئة تنسيك بعض مهام العمل ومتاعبه . هكذا وجدتها قبل أن أعرف أصحابها .

وقد تعلمت بالتجربة خلال ربع قرن من الاشتغال بالصحافة والتدريس ، أن الرجل الذى يصح أن يسمى الرجل المتعلم أو الرجل المثقف ، هو الذى لا ينقطع عن طلب ذخائر العلم والمعرفة ، فلا يكاد يظفر بواحدة حتى ينطلق شوقاً فى طلاب أخرى . وإذن فتعريف الرجل المثقف ، هو الرجل الذى يجعل طلب المعرفة سعياً لا ينقطع ، أوله ساعة يفتح الوليد عينيه على الدنيا ، وآخره ساعة يطبق الموت أجفانه.

وهو ، ككل سعى إلى كشف المجهول ، حافل بالروائع . وقد يكفينى أن أقرأ عبارة تجرى على لسان أم فى تربية طفل ، أو قصة فتاة تحرّرت بكلمة من ربقة الخوف ، أو سيرة سيدة لم يثنها حسنها عن إحداث انقلاب اجتماعى فى قومها ، أو سيرة النحلة العجيبة — حتى أستشعر بمثل الروعة التى ملأت نفس بيرد يوم حلق فوق القطب الجنوبى ، أو نفس مارى كورى ليلة رأت ضياء الراديوم يشعّ أول مرة من أنبوب فى معملها ، وإذا أنا رائد يستكشف الحياة وروائعها التى لا تحصى فى الهين والخطير من الأشياء جميعاً .

فالتطلع الدائب إلى فهم هذا العالم الذى نعيش فيه ، يجعل طلب المعرفة مغامرة تنبض بروعة الحياة نفسها.

وعسى أن لا تكتفى بمطالعة المختار ، إن كان وقتك يتسع لأكثر منه أو كان عملك يقتضيه ، ولكن مهما تفعل فأرجو أن تشعر كما أشعر أن المختار هادٍ يحسن الهداية فى هذه المغامرة التى تنبض بروعة الحياة — مغامرة طلب المعرفة .

مغامرة تنبض بروعة الحياة

لقيتُ منذ زمن كاتباً مشهوراً توثقت بيني وبينه أواصر الصداقة حتى صار يفضي إليَّ بطرف من ماضي حياته . وقد حدثني مرة أنه بعد أن صار ذا شهرة بين المؤلفين ، عاد إلى جامعة كبيرة ليستأنف دراستهُ عسى أن يظفر بدرجة الدكتوراه ، ولكنه لم ينجز الدراسة ، ونسي بعد ذلك معظم ما تعلمه في تلك الفترة من حياته سوى كلمة تلقاها عن أحد أساتذته الحكماء فإذا هي :

« لقد مضى الزمن الذي كان يستطيع العالم فيه أن يلمّ بكلّ شيء . وقد بلغت الكتب والرسائل والمقالات مبلغاً عظيماً حتى لترى جلّ ما يستطيع الرجل أن يتطلع إلى معرفته هو أن يعرف أين يستطيع أن يجد ما يهمه أن يطلع عليه » .

أما كيف يتسنى له ذلك ، فمشكلة دقيقة . وقد تعينه المكتبات العامة في معرفة الكتب وبعض الرسائل التي يحتاج إليها ، وأما المقالات فلا على الأكثر . وعلى كلٍّ فالكتب والرسائل والمقالات التي تخرج من المطابع أشبه بالسيل المتدفق في هذا العصر ، والمكتبات العامة قلما تلحق بالجديد منها حتى تخلق جدتهُ كلها أو بعضها ويفوت أوان الاستمتاع به ، أو أوان نفعه - إن لم يكن من المراجع . وعسى أن نجد سبيلا إلى تحقيق ما نريد ، باحتذاء ما يصنعه الملوك والأمراء ورؤساء الحكومات ومديرو الشركات الكبيرة ، فهم يصطفون لهم من حاشيتهم من يتوفر على مطالعة ما ينشر ، ثم يختصر الفصول والفقرات التي تهمهم ويبوّبها ، وقد يستعينون بشركات خاصة أنشئت لمثل هذا الغرض . فإذا أردت أن تطلع على كلّ ما يكتب في صحف أمة ما ، عن قضية السودان مثلا أو عن قضية فلسطين ، عهدت إلى إحدى هذه الشركات أن توافيك بما تريد ، فتفعل لقاء أجر ليس بالكبير ولا المرهق .



[التتمة على الصفحة السابقة]